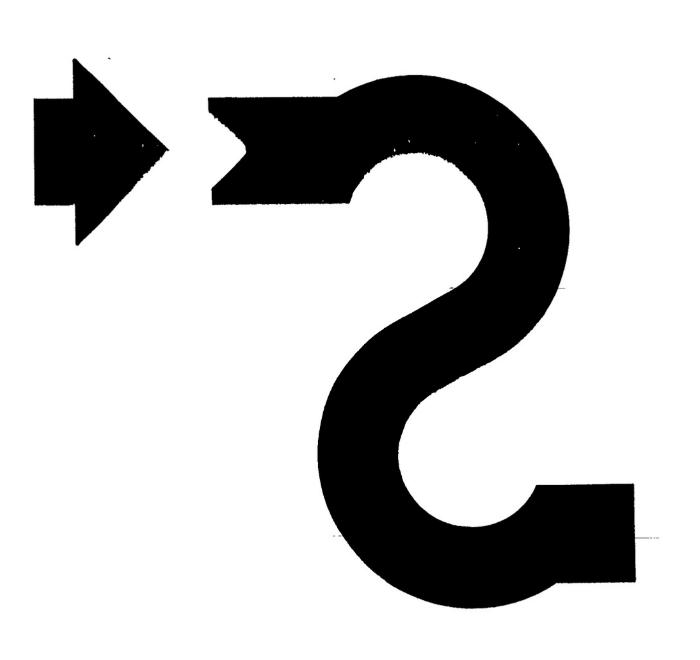
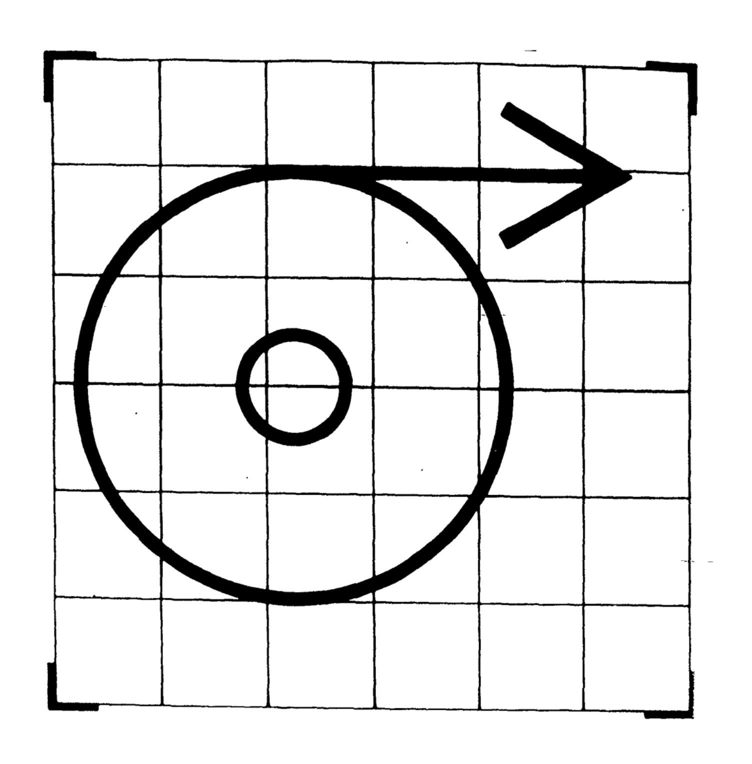


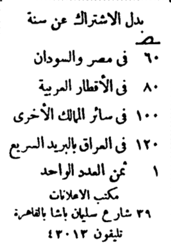
Suite d'une autre bobine

NF Z 43-120-7



Début de bobine

NF Z 43-120 1





1939

3 juillet - 25 décembre

(n°313 - 338)

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx11

A.C.R.P.P

7me Année No. 313

Lundi - 3 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ يوليه سنة ١٩٣٩ » العـــدد ٣١٣

الفهـــــــرس

من هـــــذيان الحر ...

نحن يا صديقى القارئ من سَموم تموز على حالٍ سواء: أنا لا أحسن الكتابة، وأنت لا تحسن القراءة؛ فتعال أهذِ أنا وتسمعْ أنت؛ فإن الهذيان فى الحر كالهذيان فى الحمى تنفيسٌ عن الروح المكروب، وتخفيف عن الدم الفائر، والهذيان كلام كفورة الإناء ليس له نظام ولا فيه عقل؛ ولكنه كحُلم النائم لا تغلب فيه جملة على جملة، ولا تظهر به صورة دون صورة، إلا لأن لهما فى العقل الباطن أثراً، وبالروح اليقظان صلة. ولعلك واجد فى لواغى المحموم والملوم والنشوان والنائم من ومضات الحق ما لا تجده أحياناً فى بعض الكلام. ولقد كان فى قرى الريف جماعة من الممسوسين السّهامين يعتقد الناس أن وسوستهم من كشف الغيب وإنذار القدر؛ وربما أصابوا فى لحونهم توجيهاً إلى منفعة أو تنبيهاً إلى مضرّة!

* * *

يقولون: فى شهر تموز، يغلى الماء فى الكوز، ويحرى الشر على البوز[1]! فهل صمم الفوهرر أن يفتح فى (دانزيج) طاقة من جهنم تجعل البحر حمياً[2] على كل مستجم، والجبل جحيماً

(١) البوز فى لغة العامة: الفم

(٢) الحميم: الماء الحار

على كل مصطاف ؟ ما ضر هتلر أن يهمل الأغنياء المدللين حتى يبذروا الذهب فى مدن المياه ، كما أهمل الفقراء المساكين حتى حصدوا الحنطة فى قرى اليابسة ! ماذا يصنع ذلك الأمير أو ذلك الكبير الذى وقف دخل العام كله على هذا الشهر، فقسم أمواله بين موائده الخضر فى كل ساحل، وفرّق آماله على مواخيره الحمر فى كل حضيض ؟ أيجوز أن يحرمه هتلر غدوات القمار وأصائل النزل وأماسى الرقص وأسحار الفتون، لأنه يريد أن يتسع وطنه، ويرتفع شعبه ، وينتشر سلطانه ؟ هل هانت الأرستقراطية على الناس إلى هذا الحد ؟

لو كنت ذلك الأمير أو ذلك الكبير لصحت ملء فمى : لعن الله الديمقراطية والدكتاتورية ! فإنهما منذ رفعتا كلمة الشعوب فوق إرادة السادة ، ونقلتا سلطان الملوك إلى الساسة والقادة ، هوت الأرستقراطية إلى الدرك الأسفل من بناء المجتمع ، وأصبح أهلها كدُمَى الأثاث توضع للزينة ، أو كذلاذل الثياب ترسل للحلية . لقد كانت الحرب فى عهد العزة الأرستقراطية لا تقوم بين إمارتين أو مملكتين إلا لأن الأمير أو السيد أراد أن يصيد فصُدَّ عن الأرض ، أو يخادن فدُفع عن المرأة ، أو ينفق فعجز عن المال . أما اليوم فمن مهازل الدهر أن تشب الحرب بين دولتين أو قارتين لأن عاملاً فقيراً أراد ليده عملاً فلم ينل ، أو تاجراً حقيراً طلب لبضاعته سوقاً فلم يجد !! . وفساد الأمر كله إنما جاء من وضع الحكم فى أيدى المتعلمين من أبناء الصناع والزراع والعمَالة !

* * *

لمنت أن الله خلق فى الناس العُلَّيق والعَلَق . فالعلَّيق نبات يتسلق ما يقربه من الشجر فيعلوه ويلتف به ويعرش عليه حتى يحرمه نَسَم الريح وضوء الشمس وجلال الرفعة . والعَلَق دود يتعلق بمن يمسه من الحيوان فينشب فيه خرطومه ، ثم يمتص دمه ويستلب حياته .

فهؤلاء الأتباع والأوزاع الذين يلتفون حول (أبناء الذوات) يهرِّجون لهم فى الحديث ، ويروجون لهم المنكر ، ويتطاولون من وراء أكتافهم إلى نفخة الحياة ، هم علّيق .

وهؤلاء (البلطجية) الأوشاب الذين يلقون أبدانهم الثقيلة على عواتق البغايا الضعاف والتجار المساكين فيفرضون عليهم بالقوة ملء البطون والجيوب من السحت والإثم ، هم عَلَق .

وأولئك المتزعمون المتبطلون الذين قصروا جهدهم فى الحياة على أن يتخاطفوا عصا القيادة ويتنازعوا كراسى الحكم، ووسيلتهم إلى ذلك أن يقوموا على هامش الطريق أبواقَ فتنة ، أو يقفوا فى سوائه أحجار عثرة ، هم علّيق .

وأولئك المترفون المسرفون الذين استولوا على الأرض من غير ثمن ، وتسلطوا على الفلاح من غير سلطان ، فأكلوا ثمرة الزرع حتى انتفخوا، وشربوا عرق الزارع حتى طفحوا، هم عَلق.

وأولئك النقاد المتخرصون الذين يهجمون على أعيان العلم والأدب باللغو والجهل والسفه ، ليدركوا نباهة الذكر من بلاهة العامة ، هم علّيق .

وأولئك المؤلفون المزيفون الذين يستغلون ضعف المعلمين وفقر الأدباء فيكلفونهم أن يكتبوا المقالات وهم يمضونها ، ويضعوا الكتب وهم يستلحقونها، ويربحوا الأموال وهم يقبضونها، هم علَق.

وأولئك الرؤساء البلداء الذين يحملون على الموظف الصغير بالإعنات والقهر حتى يكفيهم كل رأى فى التقارير ، وكل نظر فى الأضابير ، ولا يدع لهم إلا نفخة الشدق بالأمر ، ولطمة الإمضاء بالخاتم ، هم علّيق . وأولئك الموظفون المخادعون الذين يسرقون جهود زملائهم بالمكر، ويكسبون رضى رؤسائهم بالملق ، ويلقون التبعات عن كواهلهم بالحيلة ، هم علَق

ولو شئت لحدثتك عن العليق والعلق فى كل طائفة ؛ ولكن مالنا نبغّض الهابط إلى الصاعد ، ونحرض الساعى على القاعد ، ولا نترك شؤون الخلق للخالق ؟

* * *

إن عقرب الساعة يهدف إلى السابعة فى خُطى غير منظورة ؛ وإن أنفاس المساء الندية قد أخذت ترف بطراءتها على الغرف المحرورة . وهأنذا أشعر شيئاً فشيئاً بحمَّاى تذهب ، ورشدى يثوب ، وبدنى يسكن، وذهنى ينتعش ، وفكرى يتجمع، وقلمى يجرى على الورق بكلام لا أدريه ، وبالنلام يطلب القال للجمع فلا أستطيع أنَ أصرفه لأعيد النظر فيه !

بيلاطس « باشا »

للأستاذ عباس محمود العقاد

بيلاطس هو الوالى الرومانى الذى حكم البلاد اليهودية من قبل الامبراطور طيبريوس عشر سنوات ظهر فى أثنائها السيد المسيح وسيق إليه متهماً بما نسميه اليوم « الخيانة العظمى » والانتقاض على النظام القائم والدولة الحاكمة . فخشى بيلاطس أن يطلقه وأشفق من الحكم عليه وهو لا يدينه بجريمة ، فأسلمه إلى قومه يدينونه بما عندهم من شريعة ، ويجزونه بما اصطلحوا عليه من عقاب

وكان بيلاطس رجلاً حاذقاً أريباً ولكنه فى بعض الأمور معوج الأساليب معرض للريبة والشكاية إلى « المراجع العليا » كما نقول اليوم

فمن أساليبه أن اليهود ثاروا عليه بتحريض الكهنة والرؤساء فلم يقمعهم بقوة القانون ، ولم يرسل عليهم الجند ظاهرين ، ولم يحمل أمام الناس وأمام المراجع العليا تبعة القمع والقسوة فى علاج هذه الثورة ، بل ألبس الجند ثياب الشعب وسلحهم بالمدى والخناجر وأمرهم أن يندسوا فى غمار الشعب الهائج فيمعنوا فيه تجريحاً وتقتيلاً حتى يتفرق الجمع وتثوب المدينة إلى السكينة ، ولا جناح عليه فيما زعم ، فإنما هى مشاجرة جامحة بين يهود ويهود !

أمثال هذه الأساليب مع شىء من الطمع وشىء من الترف هى التى أخافته من اليهود ومن رفعهم أمره إلى عاهل الرومان فأسلمهم السيد المسيح وهو يقول فى ضميره كما هو رأيه : يهود فى يهود !

هذا هو بيلاطس . فمن أين جاءته الباشوية التركية ولم تظهر لها دولة فى أيامه ، ولم يكن لها معنى فى ذلك العهد معروف ؟

لم تجئه الباشوية التركية ولكنها جاءت إلى رجل يشبهه أقرب الشبه فى العصر الحديث ، وهو حاكم الإقليم المعروف ببحر الجاموس من أقاليم السودان فى أعالى النيل ، وهو كسائر الحكام هناك إنجليزى صميم لعله لا يحمل اللقب من الترك ولا من المصريين ، ولكنه « والى » والوالى هناك لا يكون إلا « باشا » فى لسان رعاياه ، مجاراة للعرف الذى شاع فى تلك الأقاليم النائية منذ حكموا بالولاة العثمانيين

ولم يكن اسمه بيلاطس ولكنه عرف باسم بريدج ، أو قد شاء المؤلف أن يعرفه لنا بهذه التسمية ، وقد عالج مسألة كالتى عالجها الوالى الرومانى على نحو كالذى انتحاه ذلك السلف القديم ، فهو من ثم بيلاطس حديث !

وبيلاطس باشا هو اسم الرواية التى تقص لنا نبأ مع مسيحه عيسى بن النجار ، وتشرح لنا من أحوال السودان الأعلى ما يغنى عن مطولات فى السياحة والتاريخ ، وتتمثل لنا بقلم مؤلفها ميكائيل فوسيت Michael Fausset وثيقة صحيحة من وثائق الاستعمار البريطانى فى القارة الأفريقية

أول فائدة تستفاد من قراءة هذه الرواية أن يأتى عليها القارئ الذى له معرفة يسيرة بأهل السودان فلا يلبث أن يقول : نعم ! هذا يحصل !

ثم يرجع إلى تاريخ السيد المسيح فيرى من الموافقة والمخالفة ما يدله على الجائز وغير الجائز من ذلك التاريخ ، ويقول على بصيرة : نعم هذا محتمل الحصول ، وهذا لا يقع فى الاحتمال

ولا ريب عندنا فى أن المؤلف قد جهد بعض الجهد لتقريب الموافقة والمشابهة بين التاريخين

فاسم المهدى السودانى الذى تحدث عنه « عيسى » ، واسم أمه « مريم » ، واسم الخاطئة التى صبت على رأسه الطيب مريم المغربية ، وصناعة الرجل الذى دل عليه الصرافة ، وكراماته أو الكرامات المنسوبة إليه شبيهة بمعجزات السيد المسيح ، والحوار بينه وبين المدير بريدج كالحوار بين المسيح عليه السلام وبيلاطس ، والأسباب التى أثارت الجمهرة ورجال الدين على مهدى السودان الأعلى هى الأسباب التى أثارت الجمهرة والأحبار على رسول الناصرة ، والموعد يوم عيد ، وكل شىء متفق متقارب حتى رجاء الشعب من الحاكم أن يطلق لهم نخاساً سفاكا للدماء كعادته فى العفو عن بعض المسجونين فى أيام الأعياد

ولكن العجيب من أمر الرواية أن من يجهل تاريخ المسيحية يقرأها فلا يستغربها ولا يشعر بجهد المؤلف فى ذلك التقريب والتوفيق لأنها إذا حصلت فأغلب الظن أن تحصل هكذا بغير اختلاف كبير

وقد سمعنا نحن بأنباء مهديين متعددين ظهروا فى تلك الأقاليم، وسمعنا عن واحد منهم أباح بعض المحرمات ورفع بعض التكاليف، واحتج لذلك بما شاء من التعلات والتأويلات. ويخيل إلينا أنه هو هذا الذى عناه صاحب الرواية لقربه من مكانها، وقربه كذلك من زمانها، وهو حوالى مقتل «لى ستاك» حاكم السودان، فإن كان فى الرواية توفيق مقصود فليست فيها مبالغة ولا شذوذ عن المعقول

***

على أن القارئ لا يستفيد هذه الفائدة وحدها من قراءة الرواية لأنه يعرف منها أشياء شتى عن أساليب الإنجليز فى استعمارهم لأمثال تلك الأرجاء، وسياستهم لأمثال تلك الشعوب، واضطلاعهم بتصريف الأزمات وهم بعيدون عن الرؤساء كلما طرأ من الحوازب ما يدعو إلى تصرف سريع

فالحاكم « بريدج » يعرف العربية معرفة جيدة، وهو ومساعدوه يقرأون تاريخ النوبة وتاريخ الإسلام وسيرة النبى عليه السلام ومذاهب العلماء فى الظواهر النفسية والنقائض الاجتماعية، ويتتبعون أخبار الاستعمار فى الدول الأخرى فيعتبرون بها أو يقيسون عليها ويأخذون بصوابها ويجتنبون أخطاءها

فإذا شغلوا الناس بالألعاب والمسابقات فى المواسم الوطنية أو المواسم الإنجليزية فلعلة يصنعون ذلك لا لمجرد اللهو وتزجية الفراغ. أو كما جاء على لسان واحد منهم وهو يتكلم عن الحاكم:

« لقد تعلم مما قرأ عن مجرى الأمور فى ميلانيزيا وغيرها من جزائر المحيط الهادى، فإن المبشرين هنالك قد غيروا من عقائد أبناء البلاد، فأعرض هؤلاء عن العراك فيما بينهم وزهدوا فى الرقص وليالى السرور، وضعفت فى نفوسهم حمية الحياة وشهوة البقاء. إنهم لايعيشون أو لا يرسلون شعلة الحياة إلى مابعدهم من الأجيال فهم على وشك الانقراض. وهكذا يحدث هنا فيوشك أن ينقرض القوم أو هم على الأكثر متماسكون لاينمون مع الأيام. لقد منعنا الغزاة أن يقتتلوا، ومنعنا العرب أن يغيروا على العراة، فشق على هؤلاء وهؤلاء أن يشغلوا أنفسهم وأن يغثأوا ما فى طبائعهم من شوق إلى الصيد والنضال، وفارقتهم حماسة العيش. فهذا الذى جعل الحاكم بريدج مهموماً بإيقاظ تلك الطبائع وتوجيهها بعد تهذيبها إلى حب الرياضة والمغالبة فى هذا المضمار.

وجاء على لسان أحدهم: « من هم المسلمون حق الإسلام فى زماننا هذا؟! إنهم لنحن نحن طلاب الحقائق العلمية. إنهم لنحن نحن أصحاب الإيمان بالتوحيد الشامل لأبعد الكواكب وأصغر الذرات، وعلى ديننا هذا يدور العمل وتأتى الأعاجيب من اليابان إلى فلباريزو، ومن رأس الرجاء إلى سبتزبرجن، إلى ماوراء هذه وتلك من أرجاء القطبين. نحن نطلب الحق وليس غير الحق نطلب. ونحن لا نتبع نبياً واحداً ولكننا نستقصى كل شىء، ونمحص كل شىء، وننبذ كل باطل. ونرفض كل ضلال »

***

ومع عناية هؤلاء الحاكمين بالخفايا النفسية فى الرعايا الفطريين أو ذوى النصيب المحدود من الحضارة تراهم لا ينسون العناية بإرضاء القوم ومجاراتهم فيما يشتهون مما لا ضرر فيه

فيبعث الزعيم من الزعماء البدويين إلى الحاكم فى طلب طبيب يشفيه من عرج مزمن فلا يرده الحاكم ولا ييئسه من الشفاء، بل يكلف خير أطبائه أن يحمل معه الجهاز الكهربائى والبلاسم الضرورية ويزوده بالنصائح التى تنفعه عند الرجل وذويه... ثم لا ينسى أن يهمس فى أذنه وهو منصرف: ولا تنس أن تأخذ معك شيئاً من عقاقير الباه فإنهم سائلوك عنها لا محالة وفى مقدمتهم المريض!

***

وإذا حسن لديهم أن يتوخوا مظاهر الهيبة بين المحكومين فليس ذلك بمانعهم أن يحتالوا على تمليقهم ومجاملتهم كأنهم خدم مسخرون فى طاعة السادة ذوى الأهواء والبدوات. وهكذا يساس الملك فى جميع الأقطار، ولا سيما فى أقطار يلخص حاكمها مشاكلها كلها فيقول: إنها تنحصر فى مشكلة واحدة وهى: « مسافات الأماكن ومسافات الأحوال »

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

– ٤ –

عجب ناس حين رأونا نقول بأن الأستاذ أحمد أمين ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرة عامية ، واستكثروا أن نحكم هذا الحكم على رجل من أساتذة الجامعة المصرية

ونجيب بأننا لم نظلم هذا الصديق ، وإنما نفسه ظلم ، فهو الذي يبنى أبحاثه على قواعد المسلّمات والمقررات عند عوامّ الباحثين ، وذلك يشهد بأن الابتكار والابتداع بعيدان كل البعد عن ذهن هذا الباحث الفضال

يعلن الأستاذ أنه يحتقر المعدة ليصح له التطاول على ماضي الأدب العربي ؛ واحتقارُ المعدة لا يقوم على أســاس من الواقع ولا من المنطق ، وإنما هو مجاراة للعوامّ الذين يصعب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم في الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والنشاط والخمول ، ويعسر عليهم أن يفهموا أن الإنسان يرى المعنويات والمحسوسات بأشكال مختلفة في وجوه متباينة تبعاً لاختلاف الذوق والحسّ والمزاج

والواقع أننا عبيد لحواسنا وأعصابنا ، وأن جمهورنا مدين في تكوين ذوقه وحسه وعقله إلى ما يأكل وما يشرب وما يلبس وما يرى وما يذوق . وقد راعى ذلك فقهاء الشريعة الإسلامية حين وضعوا آداب القضاء ، فقد استحبوا للقاضي أن يمتنع عن الحكم إذا شعر ببعض عوارض المرض أو الظمأ أو الجوع

* * *

قلنا من قبل إننا لا نهجم على هذا الرجل بلا تأثّم ولا تحرُّج ، فالله وحده يعلم أننا نهجم عليه كارهين ، لأنه صديق لم نر منه غير الجميل ، ولأن له أصدقاء كنا نحب ألا نؤذيهم بالهجوم عليه ، فلنا فيهم إخوان أعزاء

ولكن هل يجوز أن يكون أحمد أمين وأصدقاؤه أعز علينا من الحق ؟

هل يجوز أن نترك هـذا الرجل يتحذلق ذات اليمين وذات الشمال مراعاةً للأخوّة الغالية التي جمعت بيننا وبينه منذ نحو عشرين عاماً ؟

إن أحمد أمين يجور على ماضي الأدب العربي بلا تحفظ ولا احتراس ، وأغلب الظن أنه ما كان ينتظر أن يقول له أحد : « قف مكانك ، يا أحمد أمين ، حتى تدرس الأدب العربي دراسة تمكنك من الحكم له أو عليه »

وساعده على الاطمئنان إلى السلامة من عواقب ما يصنع أنه يصدر أحكامه الخواطئ في وقت خمد فيه النقد الأدبي . فهو يظن أنه لن يجد من يرشده إلى أن التصدر لأستاذية الأدب العربي يوجب حتماً أن يكون ذلك المتصدّر أديباً يتذوق المعاني ويدرك الفروق بين أساليب البيان .

فإن كان القراء في ريب من ذلك . فإنّا ننقل إليهم أحكامه على مقامات بديع الزمان ، ومقامات الحريري ؛ ننقلها بالحرف ليستطيعوا متابعتنا في تبيين ما فيها من خطأ وضعف .

قال الأستاذ أحمد أمين :

« ثم انظر بعدُ إلى الفن المبتكر في العصر العباسي ، وهو فن المقامات ، فقد ابتدعها بديع الزمان الهمذاني ، فلم يجعل محورها حبًا ولا غراماً كما يفعل الروائيون اليوم . ولم يجعل محورها شيئاً يتصل بأدب الروح ، ولكنها كلها « أدب معـدة » . فأبو الفتح الاسكندري بطل المقامات كلها ، رجل مكر واحتيال ، يصطنع جميع المهن لابتزاز الأموال . نراه مرة قرّاداً يسلّي الناس ويضحكهم ، ومرة واعظاً مزيفاً يعظ وينصح ؛ ثم تنكشف حيلته فإذا هو مهرّج ؛ ومرةً مشعوذاً يحتال على الناس بشعوذته ليفتحوا كيسهم ويغدقوا عليه من مالهم ، وهو في كل ذلك مستجد سائل محتال . وجاء الحريري فجعل مكان أبي الفتح الاسكندري أبا زيد السروجي ، وهو كصاحبه دناءة نفس ، وخساسة حرفة . يشحذ ثمن كفن لميت يدّعيه ، ويتعامى فتقوده امرأته إلى المسجد ليبتز أموال المصلين ، ويجمّل غلامه ليوقع الوالي في شركه فيسلبه ماله وهكذا ، ويتخذ الفصاحة والبلاغة وسيلة للتكدي والسؤال ... أليس هذا كله أدب معدة ؟ »

ذلك كلام الباحث الفضال أحمد أمين نقلناه بحروفه لئلا نُتَّهم بالتجنّي عليه حين نحكم بأنه رجل لا يدرك أسرار الحروف .

أبهذه الجرأة يحكم أحمد أمين على فن المقامات ؟

لن نقول شيئاً يمس أحمد أمين ، ويكفي أن نقف عند الملاحظات الآتية :

١ — نلاحظ أولاً أن أحمد أمين لم يفهم أغراض الحريرى وبديع الزمان ، فهو يتوهم أنهما يحاولان إغراء الجماهير بالإقبال على ما فى تلك المقامات من شمائل وخصال ، ومن هنا جاز له أن يضيف أدب المقامات إلى أدب المعدة، ولوكان أحمد أمين درس مقامات الحريرى ومقامات بديع الزمان لأدرك بلا شك أن لهذين الرجلين غاية ما كان يصح أن تخفى على رجل يؤرخ الأدب بالجامعة المصرية .

فما هى تلك الغاية ؟

هى غاية واضحة لمن يقرأ ويفهم ، وهو بحمد الله ممن يقرأون ويفهمون ، ولكنه لم يقرأ المقامات

الغرض من نظم المقامات عند بديع الزمان هو نقد الحياة الاجتماعية والأدبية فى القرن الرابع . وفى سبيل هذا الغرض تعرض بديع الزمان لوصف ما رآه فى زمانه من مثالب وعيوب ، واهتم بتدوين ما عاناه الناس فى تلك الأيام من حيل الدجالين والمشعوذين . وقد وصل إلى أبعد حدود الإجادة حين حدثنا عما كان يعرف أهل ذلك العصر من فنون الأدب ومذاهب المعاش ، ولم يفته أن يقيد حيل اللصوص فى تلك الأيام ، بحيث صارت مقاماته سجلاً صادقاً لبعض أحوال المجتمع فى القرن الرابع بأقطار فارس والعراق

وكذلك كان الغرض عند الحريرى ، فقد أراد أن يصور ما عرف الناس لعهده من ألوان الحياة ، وأن يبين كيف كانوا يجدون وكيف كانوا يمزحون

وهناك غاية ثانية عند الحريرى لم يفطن لها الأستاذ أحمد أمين وهى تقييد ما شاع فى زمانه من ضروب الرموز والكنايات

ولا موجب لإيراد الشواهد ، فسيعرف ذلك أحمد أمين حين يقرأ تلك المقامات

٢ — ونلاحظ ثانياً أن أحمد أمين غفل عن نظرية تعد من البديهيات، وهى أول ما يدرس طلبة الكليات، وهى النظرية التى تقول بأن للفن والأدب غاية أصيلة هى الصدق فى وصف ما ترى العيون ، وما تحس القلوب ، وما تدرك العقول ؛ وليس من الحتم أن يكون الأدب والفن جنديين فى جيش الأخلاق ، فبعض أشعار ديك الجن وأبى نواس أرفع قيمة من بعض ما كتب ابن مسكويه والغزالى ، أرفع من الوجهة الأدبية والفنية ، وإن كانت أضعف من الوجهة الدينية والخلقية

٣ — ونلاحظ ثالثاً أن أحمد أمين ينظر إلى الأخلاق نظرة سطحية ، فلو أنه كان تعمق فى دراسة الأخلاق لعرف أن الأخلاق تغلب عليها الصفة الاعتبارية ، فما نعيبه اليوم من طرائق التعبير لا يجب أن يكون كذلك فى أذهان من سبقنا من الأدباء فى الأعصر السوالف

٤ — ونلاحظ رابعاً أن أحمد أمين توهم أن فن المقامات وقف عند الحدود التى رسمها الحريرى وبديع الزمان ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربى لعرف أن فن المقامات اتسعت آفاقه فشمل الزهديات والفقهيات ، وتحوّل مع الزمن إلى أن صار من الأساليب التعليمية ، ولذلك تفصيل سيهتدى إليه حين يقرأ تاريخ المقامات ، وهو سيقرأ ذلك التاريخ لأنه يؤرخ الأدب بكلية الآداب

٥ — ونلاحظ خامساً أن أحمد أمين لم يعرف أن فن المقامات الذى ابتكره الهمذانى وأجاده الحريرى قد انتقل إلى اللغة الفارسية واللغة العبرية واللغة السريانية، فهو من الفنون العربية التى وصل تأثيرها إلى ما جاورها من اللغات،وأدب المعدة لا يؤثر كل هذا التأثير

٦ — ونلاحظ سادساً أن الأستاذ أحمد أمين الذى أساء الأدب مع الحريرى لجعل راويته مثالاً فى « دناءة النفس وخساسة الحرفة » لم يعرف أن مقامات الحريرى خدمت الأدب واللغة خدمة عظيمة جداً ، فقد شُرحت تلك المقامات مرات كثيرة وشغلت الأدباء واللغويين فى المشرق والمغرب، وكتبت بالذهب مئات المرات، وتهاداها الأمراء والملوك ، وكان لها تأثير شديد فى النهضة الأدبية الحديثة لأنها من أقدم ما نشرت مطبعة بولاق . وحديث عيسى بن هشام وهو أول كتاب مبتكر فى الأدب الحديث له صلة بأسلوب المقامات

٧ — ونلاحظ سابعاً أن أحمد أمين لم يخطر بباله أن فى مقامات بديع الزمان تحفة فنية نستطيع أن نباهى بها أدباء العالم فى الشرق والغرب ، وهى المقامة المضيرية ، فقد بلغت من الروعة مبلغاً لم يصل إليه كاتب فى قديم ولا حديث ، ولو ترجمت إلى اللغات الأجنبية لعدها الأجانب من الأعاجيب

٨ — ونلاحظ ثامناً أن الجانب التعليمي في مقامات الحريري خفيت دقائقه على فطنة أحمد أمين ، وما أحب أن أزيد !

٩ — وألاحظ تاسعاً أن أحمد أمين لم يدرك أن للكاتب حرية ذاتية في طريقة التأليف، فهو كان ينتظر أن يكون في المقامات حب وغرام كما يصنع الروائيون في هذه الأيام ، وهو أيضاً يجهل أسلوب الروايات بعض الجهل ، فالحب ليس ركناً أساسياً في تأليف الرواية كما يتوهم الناقد ، وإنما هو وسيلة لدرس الشخصيات وللمؤلف الروائي أن يغفله حين يشاء

١٠ — ونلاحظ عاشراً أن أحمد أمين لم يبتكر الهجوم على المقامات ، وإنما نقله عن الأستاذ سلامة موسى ، وسلامة موسى له عذر مقبول هو بعده عن التغلغل في أسرار الأدب العربي . فما عذر أحمد أمين وهو يتصدر لتدريس الأدب بالجامعة المصرية ؟

ألم أقل لكم إن أحمد أمين يعتمد على ما يقرأ ويسمع بلا نقد ولا تمحيص ؟ إن أحمد أمين يتوجع فيقول :

« أصبحنا إذا قرأنا ما يقوله الإفرنج عن تعريف الأدب بأنه (نقد الحياة) عجبنا من هذا التعريف ، لأنا لا نرى الأدب العباسي ينقد الحياة ، وإنما يصف نوعاً من حياة القصور ، فأما الشعب فلم يوصف إلا قليلاً »

ولو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن مقامات الهمذاني والحريري هي من الصميم في « نقد الحياة »

وكيف يكون وصف القصور بعيداً عن « نقد الحياة » يا أحمد أمين ، وأنت تعرف أن القصور في تلك الأزمان كانت محور الحياة ؟

وهل يستطيع الأدب أن يخرج على واجبه في « نقد الحياة » حين يتحدث عن الوزراء والملوك والخلفاء ؟

وهل كانت المدائح والأهاجي إلا دساتير لحياة الناس في تلك الأزمان ... ؟

و « الشعب » الذي يتحدث عنه أحمد أمين هو نفسه الذي كان يتلقى المدائح والأهاجي بالقبول ، وهو الذي كان يروى ما يقوله الشعراء في الرؤساء والملوك ، فهو قد اشترك فعلاً في مسايرة الاتجاهات الأدبية في العصور الخالية

***

أحب أن أعرف رأي الأستاذ أحمد أمين في التصحيحات التي قدمناها إليه

ألا يزال يعتقد أن الهمذاني والحريري كانا يضعان دستوراً لحياة الصعلكة والتشرد والاحتيال ؟

أيكون انتفع بهذا الدرس فعرف أن فن الهمذاني والحريري يقوم على أساس السخرية من بعض أخلاق الناس في تلك الأزمان ؟

أحب أن أعرف كيف يحرم على أمثال الهمذاني والحريري أن ينقدوا المجتمع بالرسائل والقصائد والأقاصيص ، وهو مذهب استحله كتاب الإنجليز والفرنسيس والألمان ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربي لعرف أن أدباء العرب فهموا أن فن المقامات ليس إلا وسيلة للتعبير عن طوائف من الأغراض ، ومن أجل ذلك تصرفوا فيه فنقلوه من ميدان إلى ميادين ، وحملوه ما شاءوا من المذاهب والآراء

وما فهمه أدباء العرب فهمه أدباء الفرس حين اتخذوا المقامات وسيلة لشرح المذاهب الدينية والفلسفية ، وعرض الصور الفنية والأدبية ، وكذلك فعل بعض اليهود وبعض السريان فضمنوا المقامات طوائف من العظات والأخلاق

***

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم يقول الأستاذ أحمد أمين :

« وانتشر بجانب أدب المقامات نوع آخر من أدب المعدة بمعناه الحقيقي هو أدب التطفيل ... وخلف لنا الأدب وصيتين طويلتين يوصي بهما نقيب الطفيليين ولي عهده : إحداهما من إنشاء أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الأديب المعروف ، والثانية من إنشاء المولى تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني »

ذلك ما قال أحمد أمين ، وهو بما قال رهين

فهل يفهم هذا الرجل أن الصابي كان يجدّ حين أنشأ تلك الوصية ؟

لو كان أحمد أمين قرأ كتاب النثر الفني لرأى المؤلف يقول :

« ومن أظرف ما كتب على طريق الهزل والفكاهة (عهد التطفل) وهو عهد أنشأه أبو إسحق الصابي على لسان طفيلي اسمه (عليكا) كان يقع على مائدة معين الدولة بن بويه ، والطريف في هذا العهد أنه يجري على نمط العهود السلطانية فيبدأ بعرض خصائص المعهود إليه ، ثم يبين المهمات التي كتب من أجلها العهد :

إن الأدب هو « نقد الحياة » كما يقول الإفرنج ، فهل يكون من الفضول فى « نقد الحياة » أن يعمد كاتب مثل الصابى إلى السخرية من طائفة طفيلية كانت تعيش على هامش المجتمع فى القرن الرابع ؟

وهل يطلب من الكاتب أن يغفل وصف الطفيليين لئلا يقال إن أدبه أدب معدة ؟

وما قيمة الأدب إن سكت عن وصف عيوب المجتمع ؟

إن العصر العباسى هو من العصور التى اشتبكت فيها النوازع الإنسانية فكثر فيه الجد والهزل ، والعفاف والمجون

فكيف يجوز أن يقف الأدب عند غاية واحدة هى وصف الجانب الرزين من المجتمع ؟

إن ذلك لا يجوز إلا فى ذهن رجل يجهل أن غاية الأدب هى « نقد الحياة »

* * *

أتحبون أن تعرفوا من أين وصل الخطأ إلى الأستاذ أحمد أمين ؟

وصل إليه الخطأ من التلمذة للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين ، فقد حكم الدكتور طه بأن العصر العباسى عصر شك ومجون ، لأن فيه عصابة مشهورة بالزيغ والفسق ، وهى جماعة أبى نواس ومطيع بن إياس ، مع أن العصر الذى عرف أمثال هذين الرجلين هو نفسه العصر الذى نبغ فيه كبار الفقهاء والنساك والزهاد ، وهو الذى بلغ فيه الفكر العربى غاية الغايات فى فهم أصول الفلسفة وأصول الأخلاق

فهل خطر فى بال أحمد أمين أن العصر العباسى لا يصح الحكم عليه بإيثار المعدة وإغفال الروح من أجل كلمة أو كلمات فى وصف الاحتيال على الطعام والشراب ؟

تذكر يا أستاذ أمين أنك أستاذ مسئول ، وتذكر أنك بالفعل رجل محترم ، ولأغلاطك تأثير سيء فى تلاميذك ، وفيمن يثقون بك فيأخذون عنك بلا مراجعة ولا تدقيق .

تذكر ، يا أستاذ ، أن للدنيا آفاقاً أوسع مما تظن ، وأن من واجب الأديب أن يتعقب بالوصف تلك الآفاق .

تذكر أننا قد نطالبك بوصف زمانك ، وفيه « طفيليون » يتقربون إليك بتجريح الرجل الذى يواجهك بكلمة الحق ، وأنت تعرف ما أعنى ومن أعنى .

تذكر ، أن من العيب أن تقول إنك نظرت فى الأدب العربى فوجدته « ينحدر مع التاريخ شيئاً فشيئاً ليكون أدب معدة » ، وأنت تعرف بلا ريب أن من ذكرتهم من الأدباء لم يكونوا يصورون إلا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية .

وهل غاب عنك أن العصر الذى جعلته يعيش من أجل المعدة هو نفسه العصر الذى نشأ فيه أبو طالب المكى وأبو حامد الغزالى وجار الله الزمخشرى ، وهو نفسه العصر الذى نبغ فيه ابن مسكويه والحلاج والجيلى وإخوان الصفاء ؟

أنت رجل فاضل فيما أعتقد وفيما يعتقد عارفوك ، فأنت أستاذ على جانب عظيم من أدب النفس ، وقد أنصفتك مرات كثيرة فى مؤلفاتى ، فمن جنايتك على نفسك أن ترتجل فى مواطن لا ينفع فيها الارتجال .

* * *

أما بعد فقد دعانا كثير من الزملاء إلى نقض ما كتبه الأستاذ أحمد أمين عن جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى .

ونجيب بأننا سنؤدى هذا الواجب بعد أن نشرب معه فنجاناً من قهوة أبى الفضل على شواطى الأسكندرية ، الأسكندرية الجميلة التى لم يخلق الله مثلها فى البلاد .

وهنالك ، على شاطئ البحر ، وفى رعاية الألوف من أسراب الملاح ، سأصاول صديقى أحمد أمين

« لحديث شجون » زكى مبارك

التجني على أحمد أمين

للأستاذ نديم الجسر

لقد استوقف نظرى فى العدد ٣١١ من الرسالة الغراء عنوان الكلمة التى كتبها الأستاذ العلامة الدكتور زكى مبارك عن الأستاذ العلامة أحمد أمين، فحسبت أن قول الدكتور فى العنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربى) يطوى وراءه معنى غير المعنى الصريح؛ لأن الأستاذ أحمد أمين، إن لم يستأهل أن يسمى أديباً بكل ما فى الكلمة من معان، فهو، بلا ريب، من أعاظم العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة والأدب العربى بدراسات لا مثيل لها فى لغة العرب؛ فأسدى بذلك إلى كل أديب ومتأدب عربى لا يحسن الاستقاء من معين الفرنجة خدمة لم يسبقه إليها سابق بمثل الطريقة التى سلكها. فكيف يكون من هذا شأنه فى خدمة العلم والفلسفة والأدب جانياً على الأدب جناية يستحق عليها التشهير بين الناس؟

لو قرأت هذا العنوان فى جريدة سياسية أو كانت الكلمة لغير الدكتور زكى مبارك ما حملت نفسى عناء مطالعتها، لأنى كنت أذهب إلى أنها كلمة عدو أو حسود أو جاهل؛ ولكن المجلة مجلة (الرسالة) وما أدراك ما الرسالة، والكاتب هو الدكتور زكى مبارك فماذا أقول؟

إن الدكتور زكى مبارك هو أحق الناس بعرفان فضل أحمد أمين، وإن الدكتور زكى مبارك لأولى الناس بالدفاع عن أحمد أمين لو حاول هدمه شخص آخر. هكذا رأيناه قد فعل عند ما غضب لكرامة الأدباء فى مصر يوم حاول النيل منهم ناشئة الأدب فى لبنان.

قد لا تكون كلمة الدكتور فى حقيقة أمرها تطوى الشىء الكثير من الظلم لأحمد أمين، ولكن الظلم والقسوة يبدوان فى العنوان؛ وطالما كانت ضخامة العناوين أشد أثراً فى تحويل أفكار المتأدبين الناشئين وتضليلها مما وراء العناوين. فهل رضي الدكتور مبارك أن يستقر فى أذهان هؤلاء أن أحمد أمين من الجناة على الأدب العربى؟

لا ريب فى أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن موفقاً فى المقالات التى كتبها فى (الثقافة) مؤخراً. لا أقول هذا مجاراة للدكتور مبارك بل هو شىء لاحظته منذ شهرين، وقلته لبعض عشاق أحمد أمين، وأنا منهم. فكل من قرأ مقالاته التى كتبها بعنوان (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) أدرك أن العلامة الكبير لم يأت بشىء فى هذا المضمار: لأن التأثر بالأدب القديم ليس مما يستطيع الأديب التفلت منه كما يتفلت من اللفظة الوحشية عند صوغ الكلام؛ بل هذا التأثر نتيجة لازمة للعناصر التى تتكون منها نفسية الأديب بحكم الوراثة والتقاليد والذوق والثقافة. وظهور القليل منه فى أدب اليوم برهان على أننا نجارى طبيعة التطور بالتدريج.

ونظن أن أستاذنا الكبير أحمد أمين الذى يحدثنا فى (ضحى الإسلام) بحديث دونه السحر عن تطور العقلية العربية فى مضمار العلم والأدب، لا ينكر أن أثر الأدب الجاهلى قد ضعف فى شعر بشار وأبى نواس وأبى العتاهية، وكاد يتلاشى فى شعر شوقى وحافظ. وهكذا سوف يسير الأسلوب الأدبى مع الزمن ويستقى من تطوراته عناصر جديدة تحل محل القديمة حتى لا يبقى من القديمة إلا ما يتخذ أمثلة لدراسة تاريخ الأدب.

وبعد فأى بأس فى بقاء ذلك الأثر الضعيف من الأدب الجاهلى؟ ألسنا نجد لذة وطرباً ونشوة فى هذه الصلة الحلوة بين القديم والحديث؟

ثم أليس من جملة أعمال الأدب أن يحفظ شخصية الأمة بربط حاضرها بماضيها، وتوجيه عواطفها نحو قبلة واحدة تجتمع عندها أحزان تلك الأمة وأفراحها ومفاخرها وتقاليدها وأساطيرها؟

وهل يجوز لنا أن نترك كل ذلك الماضى ونتجرد منه كما نتجرد من الثوب الخلق لنكون لأنفسنا أدباً جديداً تزعق فيه السيارة بدلاً من حداء الحادى، وتهب فيه نسمات الخرطوم أو مالطة بدلاً من صبا نجد؟

إن هذا سوف يكون مع الزمن كما حصل حتى اليوم؛ وأما التخلى دفعة واحدة عن أذواق وعواطف داخلية كونتها الأجيال فينا فهو عمل يتم بقوة الجيش إذا شاءت الحكومة، ولكنه عندئذ لا يسمى أدباً تخاطب به الأرواح، بل يسمى (أوامر عسكرية) تنفذ بقوة السلاح ...

وبعد فإنك إذا أردت أن تجد فى كلمة الدكتور زكى مبارك شيئاً من الإنصاف فاطلبه فى قوله فى صدر مقاله الأول:

«إن الأستاذ أحمد أمين من كبار الباحثين فى العصر الحديث ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويطيل

مدينة قونيـــــة

(بامضرة مولانا)

للدكتور عبـد الوهاب عزام

فصل من رحلات الدكتور عبدالوهاب عزام التى تطبع الآن فى مطبعة الرسالة ننشره بمناسبة ذكرى انتصار الجيش المصرى فى قونية على الجيش التركى .

— ١ —

من أسكيشهر الى قونية

أمسيت يوم الأحد فى أسكيشهر ثم ركبت قطار المساء والساعة ست ميمّماً قونية ؛ وكانت زيارة قونية منية فى النفس حاولتها حينما سافرت إلى استانبول من قبـل فحال دونها بُعْد الشقة ؛ وبينها وبين استانبول أكثر من عشرين ساعة بالقطار . وكنت حينئذ أهاب اختراق الأناضول ، فلما اخترقته فى هذه السفرة وأنست بالسفر فيـه عزمت على الرجوع إلى الشام من الطريق الذى أتيت منه ؛ وكانت قونية أحبّ بلاده إلىّ وكانت نفسى على رؤيتها أحرص . وإنما أربى من قونية زيارة مولانا جلال الدين

الطواف فى الموضوع وذلك سر تفوقه » فهذه كلمة الحق وأما ماتلاها من لواذع فهو ظلم

ونريد أن نرجح أن المقالات التى كتبها الأستاذ أحمد أمين فى الثقافة بعنوان (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربي) هى التى حملت الدكتور مبارك على أن يسمى قلة توفيق الأستاذ أحمد أمين فى مباحثه هذه (جناية على الأدب العربى) . ونحن لا نقول عن هذه التسمية إنها (جناية) على أحمد أمين بل نسميها (تجنياً على أحمد أمين) . ولعل الدكتور يبدل عنوان هذه السلسلة بعنوان آخر يستحسنه ، فإنه إن لم يفعل ذلك من باب الإنصاف والرقة فى النقد فليفعله من باب الكياسة، كيلا يمنح أحمد أمين، من حيث لايشاء، زعامة قوية فى الأدب العربى، فإن من يستطيع بمقال أو بمقالين أن يجنى على الأدب العربى لا بد أن يكون زعيماً من زعمائه إن لم يكن كبير زعمائه .

« طرابلس الشام » مريم الجسر

كان معى فى القطار شاب من قونية معه زوجه فحدثنى عن الترك وتمسكهم بدينهم وما فعلوا فى الحرب ، وكيف توغل اليونان فى الأناضول حتى قذفهم أبطال الترك فى البحر . وقال : إنهم قاربوا قونية ولكن مولانا جلال الدين ردّهم عنها. قلت فى نفسى: هذه كلمة ظاهرها خرافة وباطنها حق ؛ فإن ما يبثه جلال الدين فى النفوس من قوة وإيمان وجهاد وحرية جدير أن يرد كل عدوّ عن حماه .

— ٢ —

بلغ القطار قونية والساعة ست ونصف من الصباح فمضيت إلى فندق اسمه فندق سلجوق فاسترحت بمقدار ماحال التعب الشديد بينى وبين مشاهدة المعاهد التى طال اشتياقى إليها . ثم خرجت إلى المكتبة « ملت كتبخانة سى » فألقيت نظرة على فهارس المكتبة ولا سيما العربية منها فلم أجد فيها من نفائس الكتب أو غرائبها ما يستوقف الباحث . وأرسل معنا قيم المكتبة رجلاً من الموكلين بالآثار فذهب بنا إلى حيث يدفعنا الشوق ويدعونا الحب إلى البقعة التى ترسل الشعر والحكمة والتصوف فى آفاق الإسلام منذ ستة قرون ، إلى المزار الذى استبدل به صاحبه قلوب العارفين :

فلا تطلبن فى الأرض قبرى فإنما ... صدور الرجال العارفين مزارى

إلى الذكرى العظيمة التى لا تزال تدوى فى القلوب تقى وشعراً ، وفى العقول حكمة وإيماناً ، وفى الآذان موسيقى وغناء؛ إلى النبوغ الذى مزج الحكمة والتصوف والشعر فى أحسن تقويم؛ إلى الرجل الذى أنبته بلخ وظفرت به قونية ولكن لم يسع قلبه وعقله مكان ؛ إلى الحكيم البكرى الذى لا تحده الأنساب والأوطان ؛ إلى صاحب المثنوى والديوان مولانا جلال الدين الرومى الذى تنسب إليـه الطائفة المولوية المعروفة فى مصر والأقطار الإسلامية، وقد اشتهرت مجالسهم فى السماع، يجتمعون على نظام خاص ويدورون بترتيب محكم على نغمات الناى وإنشاد المثنوى؛ والناى عند المولوية رمز إلى الحنين الدائم إلى العالم الروحى وقد بدأ مولانا جلال الدين كتاب المثنوى بنشيد الناى وأوله :

استمع للنـــاى غنى وحكى ... شفّه البين طويلاً فشكا

مذ نأى الغاب ـ وكان الوطنا ـ ... مـــلأ الناس أنينى شجنا

من تشرده النوى عن أصله ... يبتغى الرجعى لمغنى وصله

أين قلب من فراق مُزّقا ... كى أبثّ الوجد فيه مُحرّقا

كلُّ نادٍ قد رآنى نادباً ... كل قوم تخذونى صاحبا

ظن كلٌّ أننى نعم السمير ليس يدرى أى سر فى الضمير
إن سرى فى أنينى قد ظهر غير أن الأذن كلّت والبصر
إن صوت الناى نار لا هواء كل من لم يَصْلَها فهو هباء
هى نار العشق فى الناى تثور وهى نار العشق فى الخمر تفور. الخ

وكان للمولوية فى تركيا شأن عظيم وكان رئيسهم (جلبي قونية) يقلد سلاطين العثمانيين السيف حين يتولون الملك

دار المولوية في قونية

وكذلك كان لهم أثر عظيم فى الأدب، وحسبك من شعرائهم الشيخ غالب

هذه دار المولوى ولكن لا أرى الوفود متزاحمة على بابها، ولا أرى الدار آهلة بنزّالها، قد أقفر الندىّ، وخلا السامر، وعدّت الدار من الآثار، يدخل إليها بالمال الصالحون والفُجّار

يلقى الداخل سور يتوسطه باب عتيق فوقه ظلة وعليه ثلاثة أبيات بالتركية تدل على أن السلطان مراد خان بن سليم خان بنى هذه الخانقاه سنة ٩٩٢ هـ . ومراد هذا هو مراد الثالث ابن سليم الثانى ابن سليمان القانونى (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ) فإذا ولج رأى فناء ينتهى إلى الشمال بحجرات كانت مساكن المولوية ومجالسهم ومطابخهم ومأوى ضيوفهم . وإلى اليمين حجر رفيعة اتخذت الآن مكتبة . وأمامَ الداخل بناء كبير تعلوه فى الجهة اليمنى قبة خضراء مخروطية تحلّق فوق قبر جلال الدين، وفى الجهة اليسرى مأذنة وقبتان كبيرتان، ويُدخل إلى البناء من باب جميل مصنّع تعلوه كتابة فيها هذا الشعار الذى يرى على كثير من أبنية المولوية : « يا حضرت مولانا » ويفضى الباب إلى حجرة فيها آثار المولوية فيها كتب ونسخ من المثنوى هى أقدم نسخة وأنفسها، ثم باب آخر يفضى إلى قبور المولوية والمصلى ودار السماع (سماعخانة) : إلى اليمين رواق عليه قبة ويفصله سياج وسُتُر تمنع الناس أن يدخلوا إليه أو يروا ما فيه إلا أعالى ضريحين كبيرين أحدهما لجلال الدين والآخر لأبيه بهاء الدين ويبدو ضريح الأب من وراء السياج مستطيلاً رأسياً فيقول العامة : لقد قام بهاء الدين فى قبره إجلالاً لابنه

وفى وسط البناء رواق بناه السلطان الفاتح، وإلى اليسار مصلى ودار للسماع من آثار السلطان سليمان القانونى

وفى البناء من عجائب الخط والنقش والتذهيب والكتب والبُسُط ما يبهر الناظر، وفيه من ملابس مولانا وآثاره وآثار بنيه

رأيت أربع قلانس قيل إن إحداها قلنسوة مولانا، وأخرى لابنه سلطان ولد، والثالثة لشمس الدين التبريزى، والرابعة لحسام الدين جلبي من كبار أصحاب جلال الدين

ورأيت ثلاثة مصاحف كتبت فى أواخر القرن التاسع فيها ترجمة تركية ومصحف سلجوقى بين سطوره ترجمة فارسية ونسخا من شروح المثنوى، ونسخة من الفتوحات يقال إنها بخط الشيخ الأكبر

ورأيت سجادة عليها صورة الكعبة قيل إنها كانت لأم جلال الدين مؤمنة خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه، وسجادة أخرى يقال إن السلطان علاء الدين السلجوقى أهداها لجلال الدين يوم عرسه، عليها الآية : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ... الخ

وقناديل صنعت فى مصر ... الخ الخ

أطفنا بجوانب المكان نستمع إلى الدليل، وللذكرى فى نفوسنا صوت أبين من صوته وأصدق وأجل، ولكنى أستعيذ بالله من قول القائل :

يك طواف مرقد سلطان مولانا ى ما
هفت هزار وهفصد وهفت وحج أكبر ست

«طوفة بمرقد مولانا سبعة آلاف وسبعمائة وسبعون حجا أكبر»

ثم خرجت وفى النفس حنين إلى البقاء وعزم على العودة :

خرجت أمشي يقول قلبي للرّجـــل بالله أنظريني



الباب الداخلي لمزار جلال الدين

وعدت فى اليوم التالى فلقيت أمين الدار وكنت واعدته اللقاء لاشتراء بعض الصور ، فقلت : أريد تجديد العهـد بالمزار فدخل معى يطوف فى أرجائه ويصف ما يرى ويروى من التاريخ . وخرجت ولم أقض حاجات الفؤاد من رؤية ما وراء السياج .

ونعوذ بالله من الحجاب ! إن شرّ مايلقى الصوفىّ أن تسدل الحجب دون آماله ويحال بينه وبين مقصوده . خرجت كارهاً أتثاقل لأمضى مع الرجل إلى داره فيعرض علىّ ماصوّر من آثار قونية . قال : أأنت أستاذ ؟ قلت : نعم . قال : انتظر ، ثم أشار إلىّ فتبعته فرجع إلى المزار وتلفّت ثم أشار إلىّ وفتح باب السياج فتبعته . قال : نحن نمنع العامة من الدخول ونمكّن الأساتذة الباحثين من رؤية ما يشاءون . فشكرت له وسرت إلى ضريح جلال الدين بين قبور كثيرة لشيوخ المولوية من أولاده . وقفت وقفة أناجى الروح العظيم وأستلهم حكمته وعظمته ؛ ثم خرجت وفى النفس ما فيها من جلال الذكرى وثورة الشوق

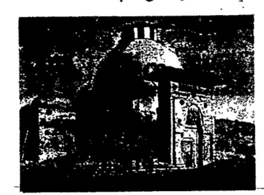
— ٣ —

ورأينا من آثار قونية مسجد علاء الدين وقصره وهما من أعظم آثار السلاجقة هناك ؛ يقومان على ربوة فى المدينة تسمى ربوة علاء الدين (علاء الدين تپه سى)

ورأينا على مقربة من الربوة مدرسة قره داى وزير السلطان علاء الدين ولا تزال فيها من عجائب الصنعة ، ولا سيما الكاشانى ما يخلّدها على رغم الزمان الذى ذهب برونقها وكثير من نقوشها

وعلى باب المدرسة آيات وأحاديث وكلمات عربية منها : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك . إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . السماح رباح . العسر شؤم . الحزم سوء الظن . الولد مجبنة مبخلة

وفى المدرسة بهو عليه قبة ، وإيوان وحجر قليلة كانت للطلاب ، وحجرة فيها ضريح صاحبها



مدرسة قره داى فى قونية

وزرنا مدرسة خربة تسمى صرجه لى مدرسه بنيت سنة ٦٤٠ﻫ ومدرسة صغيرة لحفظ القرآن كتب على بابها :

أنشأ هـذه البقعة فى أيام دولة السلطان محمد بن علاء الدين خلد الله مملكته صاحب الخيرات والحسنات محمد بن الحاج خاصبك الخطيبى أعلى الله شأنه وجعلها دار الحفاظ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

وهذا تاريخ محرّف فيما أظن فقد انتهت دولة السلاجقة قبل هذا التاريخ . والظاهر أن البناء شيد سنة أربع وعشرين وستمائة فى عهد علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ — ٦٣٤) إلا أن يكون السلطان المذكور هنا من سلاطين بنى قرمان الذين خلفوا السلاجقة فى قونية

(البقية فى العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

لجاجة الجـــدل

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قد ترى إنساناً يسخر من إنسان آخر لأنه فى حديثه معه يذكر حقائق مبتذلة يعرفها كل الناس ؛ وهذا الساخر قد يعرف أن أحاديث الناس فى جملتها من هذا النوع الذى يسخر منه ، وأن كونها من هذا النوع يسهل الحديث بين الناس على اختلاف ما يؤهلهم للحديث من علم وفطنة ، أو ما لا يؤهلهم لهمن جهل وعباء . فهذا النوع المبتذل من الحديث الذى يسخر منه الساخر يؤلف بين الناس فى مجالسهم ويساعدهم على أن يقضوا وقتاً يريدون إفناءه ، ويمنع من انقطاع الحديث زمناً للبحث عن فكرة صائبة غير مبتذلة ، كما قد يمنع من الحقد الذى ينشأ بسبب الخلاف على فكرة غريبة غير مبتذلة ، أو بسبب حسد جليس لجليسه إذا ظهر عليه بفكرة جليلة . والساخر من الحديث المبتذل فما ينقم فى سريرة نفسه على محدثه إذا كانت آراؤه سخيفة أو مبتذلة قدر ما قد ينقم عليه إذا بذه بالحجة وفاقه بأصالة الرأى . فليس شر الحديث المبتذل ، وإنما شر الحديث ما كان لجاجة وحبًّا للظهور بالعظمة وأثرة ورغبة فى الانتصار وفى إرغام الناس على إحلال فكر . فان بعض الناس – حتى بعض أفاضلهم وعلمائهم – يرتاد المجالس كى يزهى بعلمه وينتصر بالجدل . وبعض الذين لم ينالوا قسطاً كبيراً من التعليم يشعر بنقص إذا جالس الناس فيعمد إلى إخفاء ما يشعر به من نقص بما يظهر ذلك النقص، فتراه يحول الحديث من الموضوعات الشائعة المبتذلة إلى الأمور العلمية ويحاول أن يسيطر على الحديث باللجاجة وادعاء العلم والإصرار والتهجم على مخالفه ، وقد ينفعل انفعالاً نفسيًّا شديداً ، وليس انفعاله من شدة انتصاره للحق ولا من ذعره أن يسود الباطل العالم ، وإنما انفعاله من غيظه إذا لم يُمَكَّن من الانتصار فى الحديث ومن إسكات مجادله كى يوهم نفسه وكى يوهم جلساءه أنه لا يشعر بنقص علمه، وقد يفطن جلساؤه إلى أن باعثه على اللجاجة والانفعال شعوره بنقص تعلمه ولا يفطن هو إلى فطنتهم لنقصه فيضع نفسه فى منزلة الخزى من غير داع

وتثبت المرء بالحق فى المجالس واجب، أما إعلان هذا التثبت بالجدل الذى يؤدى إلى الخصومة والعداوة والبغضاء والتضارب أو التقاتل فمن الضعف وقلة كبح النفس والعجز عن ضبط اللسان . وهذا العجز ليس من الحكمة فى شىء بل هو من الطيش الذى قد يندم المجادل عليه ولو كان الحق فى جانبه، فإن أحاديث الناس فى مجالسهم ليس فيها ما يزكى اللجاجة التى تدعو إلى الخصومات . ويستطيع الجليس إذا خشى أن يُعَدّ سكوته عن الجدل واللجاجة مشاركة فى خطل الرأى أو إثم النية أن يترك ذلك المجلس وأن ينصرف عنه إلى غيره بعد إعلان رأيه فى رفق وتؤدة وحلم

وبعض الناس قد طُبِعَ على أن يجادل لنصرة ما يراه حقاً حتى ولو أدت المجادلة إلى المهاترة أو المضاربة ، وكأنما يشعر شعوراً غامضاً أن مصير الدنيا وبقاء الكون موقوف على انتصاره لما يراه حقاً ، وقد يكون هذا المجادل اللجوج صادق النية مخلصاً فى شعوره كأنه لم يَرَ كيف أن العلماء والفلاسفة يأتون كل جيل أو كل عصر بآراء تخالف ما أتى به أسلافهم ، والحياة قائمة بالرغم من خطأ السابقين أو اللاحقين ، والسماء لم تنهد ولم تسقط على الأرض والدنيا على حالها يخالطها كثير من الخطأ ، فلأى أمر إذاً يتضارب الناس فى مجالسهم أو يتخاصمون من أجل اللجاجة والجدل

على أن فى الناس من يحترف الجدل مكراً ودهاء كى يكون اعترافه بأصالة رأى مجادله أوقع وكى يكون انهزامه فى الجدل أحب إلى جليسه الذى يجادله ، وكى يفهم ذلك الجليس أن قوة بيانه ورجاحة حجته وفرط ذكائه هى الصفات العالية والهبات النفيسة النادرة التى مكنته من إقناع ذلك المجادل الذى إنما يجادل كى ينهزم وكى يمدح صفات جليسه العقلية تقرباً إليه لحاجة فى نفسه ، وهذه وسيلة من وسائل الدنيويين الذين يريدون النجاح فى الحياة ، وقد شاهدنا مثل هذا الجدل والاقتناع الكاذب فى حديث الرؤساء والمرءوسين وفى حديث الوجهاء ومن هم أقل منهم منزلة

وهناك نوع آخر من الجدل يثيره خبيث يعرف أن جليسه عصبى المزاج ينفعل إذا جادل فيحب أن يعبث به وأن يضحك من انفعاله، وأن يتخذه لهواً وقد يكون رأيه فى الأمر الذى يجادل

فيه مثل رأى ذلك العصبى المزاج ولكنه يخالفه كى يتفكه بضجيجه وصراخه وحركاته حتى إذا نال بغيته من الفكاهة أقر برجحان رأى ذلك العصبى المزاج فينال نوعاً آخر من الفكاهة إذا رأى عظم سروره وخمود ثورة أعصابه

وقد شاهدنا نوعاً آخر من الجدل إذ يرى أحد الجليسين أن جليسه سفيه لا يريد توضيح الحق بالجدل وإنما يريد الظفر فى الحديث بأية وسيلة، ولا يترك جليسه إذا سكت بل كلما طال سكوته أحس ذلك السفيه أن سكوته إنكار لرأيه فيلج فى الجدل كى يرغمه على الخروج من صمته وصاحبه لا يرى فائدة فى الخروج من صمته فيكتفى بأن ينطق بمقاطع لا تدل على مخالفة أو موافقة كأن يقول: أوم. إيم. آ. إم. وهذا على أى حال خير من التقاتل أو التضارب من أجل الجدل

ونقرأ فى الجرائد عن تضارب يؤدى إلى قتل وكان سببه نزاعا على مليم أو على قطعة من البطيخ، ومثل هذا التقاتل يرجع إلى اللجاجة فى الجدل أكثر مما يرجع إلى شدة الفقر إلى المليم أو إلى قطعة البطيخ؛ ومثله مثل اللجاجة فى الجدل وفى النزاع على رأى سياسى أو فى التنافس فى البر وعمل الخير، فهذا أيضاً قد يدعو إلى التقاتل كما حدث بين شايين تجادلا فى أيهما أحق بالتأذين والدعوة إلى الصلاة فانقلبت لجاجة الجدل إلى تشاتم ثم إلى تضارب فتقاتل. ونقرأ فى الجرائد أن اللجاجة فى الجدل قد تؤدى إلى الخصومات والتقاتل بين الأسر أو بين البلدان المتجاورة.

واللجاجة فى الجدل عند بعض الناس مرض يظهر خبث النفوس فترى بعض الناس يحقد على من يجادله ويسعى فى أذاه إما سعياً ظاهراً وإما فى الخفاء. ويخيل للرائى أن بعض المجادلين يكاد يجن إذا لم ينتصر فى الجدل، وقد يكون هذا المجادل طيب القلب سمحاً إذا وافقه الجلساء على رأيه وهواه، وقد يمدح من يوافقه فى حديث المجالس على رأيه فيقول: — فلان رجل ذكى لا يجادل بالباطل ويدرك الصواب إدرا كا سريعاً ... وقد يكون هذا الممدوح مخفياً غير ما وافقه عليه وساخراً برأى المادح فى سريرته وهازئاً بلجاجته

والطوائف والأمم مثل آحاد الناس فإننا نقرأ فى تاريخ الإنسانية عن تقاتل الطوائف من الناس على ألفاظ لا طائل تحتها وعلى أخيلة وأوهام بعيدة عن العقل فنعجب هل كانوا حمقى أم مجانين

وستأتى عصور يتساءل أهلها عن تقاتلنا على الألفاظ والأوهام، ويتعجبون من حماقة هذه الأجيال كما تتعجب هذه الأجيال من حماقة أهل العصور القديمة، ولم يعظنا ما رأيناه من عبث التقاتل على الألفاظ والأوهام والآراء التى تتبدل فى كل عصر حتى كأن العقل البشرى من قلة اتعاظ النفوس لا أثر له فى الحياة وحتى كأن الحياة لا تستقيم إلا بأن يجد الناس لذة فى خلق أسباب الألم والعذاب لأنفسهم بخصومات الجدل وعداواته كما يجد بعض المتدينين لذة فى أكل النار وطعن أنفسهم بالخناجر فى بعض الحفلات الدينية. والجدل فى مناظرة الكتب والصحف والمجلات كالجدل فى مناظرة الكلام فمنه ما يكون من العبث المفضى فيه، ولعل أشد المناظرة عبثاً وضيعة ما يدعو إلى مجادلة الذى يزكى بالمصطلحات قلة خبرته بالحياة، وهى مصطلحات لا يستقيم مذهبها إلا فى الأمور النظرية التى لا تتصل بأمور الحس، أو مجادلة من يشبه المؤرخ الذى لا ينتقد مصادر تاريخه كما ينتقد الصيرف نقوده وتطغى حماسة الشباب فى قوله وتطغى الثقة بالأصدقاء على الرغبة فى الإنصاف وفى تخليد حكمه وصيانته من أن ينقضه بحث باحث

وقد يكبر الوهم للمشتغلين بالسياسة قيمة جدلهم ومناظراتهم فى الصحف، ويحسب كل فريق أن خراب الوطن رهن بانخذاله فى أية مناظرة مهما يكن سببها فيستبيح ضمير كل فريق من الوسائل فى خصومات الجدل ما كان يعده إجراماً لو نظر إلى الأمور بعين المؤرخ الذى يرى زوال الجهود البشرية وغثاثة أمر الكثير منها وتفاهة ما كان الناس يعدونه جد جليل خطير

ولما كانت السياسة شغل الناس الشاغل فى العصور الحديثة فإن الأخلاق التى يستبيحها الجدل فى شؤونها، وما قد يظن معينا على هذا الجدل، تفشى وتفسد أمور الحياة التى يراد إصلاحها بهذا الجدل فيأتى فساد الأمور من سبيل إصلاحها، ويأتى سقمها على يد طبيبها. ولا يقتصر هذا الفساد على المشتغلين بالأمور السياسية؛ فإن كل إنسان وكل قوم يبيح فيمن يعدهم من خصومه وإن لم يكونوا خصوماً فى أمور المعاش، ما تبيحه السياسة من الكذب،

دراسات إسلامية

كبار الزنادقة فى الاسلام

للأستاذ عبد الرحمن بدوى

رجحنا فى العدد الماضى من الرسالة أن تكون الزندقة التى عناها المهدى والهادى فى هذه الاضطهادات المنيفة التى قاما بها بين سنة ١٦٣ وسنة ١٧٠ هى المانوية ، وأن يكون هؤلاء الذين اتهموا بالزندقة ممن كانوا يقولون بأن للعالم أصلين قديمين هما النور والظلمة ويحرمون ذبح الحيوان واللحم إلى آخر هذه المبادىء التى أعلنها مانى مؤسس مذهب المانوية .

ولكن هـذا لم يمنعنا أن نقول كذلك إن معنى الزندقة قد اتسع وامتد حتى أصبح يشمل أشياء أخرى لم يكن للمانوية بها صلة ولا سبب . ولم يكن هذا الاتساع وليد السنوات التالية والقرنين الثالث والرابع فحسب ، بل بدأ من قبل ، فى هده الفترة عينها التى مضت فيها السنوات الأخيرة من خلافة المهدى وسنوات خلافة الهادى كلها .

ولا سبيل لمعرفة نواحى هـذا الاتساع ، وكيف تشعّب وتنوّع ، فكانت فيه فروق ودقائق ، إلا بدراسة كبار الزنادقة والتحدث عنهم .

والزنادقة طوائف وأنواع ، والدوافع التى حدت بهم إلى الزندقة كثيرة متعددة . أما طوائفهم فنستطيع أن نحصرها فى ثلاث : الأولى طائفة هؤلاء الذين يسميهم صاحب « الفهرست » رؤساء المنانية فى الإسلام ؛ والثانية طائفة المتكلمين ؛ والثالثة طائفة الأدباء من كتاب وشعراء . والدوافع تكاد ترجع كلها إلى ثلاثة أيضاً : فمن هؤلاء الزنادقة من كانوا يؤمنون بالزندقة (ونقصد بها هنا المانوية) إيماناً صحيحاً صادراً عن رغبة دينية صادقة ، فكانوا مخلصين فى اتخاذها مذهباً ، حريصين عليها كأشد ما يكون الحرص

ومنهم من وجد فى الزندقة (بمعنى المانوية أيضاً) تراثاً قومياً خلفه الآباء فيجب الحرص عليه وتمهده ؛ لا لصلاحيته فى ذاته ، ولا لأنه يستحق الإيمان به كما هو ، وإنما لأن فى هـذا الحرص وذلك التمهد نوعاً من الإرضاء للنعرة القومية ، والإشباع للنزعة الشعوبية . وفيها أيضاً موضع للمفاخرة ومجال لكى يقارنوا به تراث العرب ودين العرب بما خلفه لهم الآباء من تراث ودين . ومن أجل هذا كان جميع هؤلاء من الموالى الفرس . وبين هؤلاء وهؤلاء وجدت طائفة من الزنادقة كانت تتخذ من الزندقة وسيلة من وسائل العبث الفكرى التى يلجأ إليها الشكاك دائماً ، يرومون من ورائها أن يعبثوا بعقائد الناس ، بأن يعقدوا حلبات النضال بينها ، ويساعدوا الضعيف منها على القوى السائد ، ويظهروا ميلهم إلى الأول ؛ وكل هذا لا شىء إلا ليجدوا السلوى حيث لا سلوى ، ويعثروا على العزاء وليس ثم عزاء . فهى حالة نفسية عنيفة تتملكهم فتدفعهم إلى ما هو أشبه باللهو الفكرى والمجون الشكى منه إلى شىء آخر .

وتكاد الطوائف والدوافع يقابل بعضها بعضاً تمام المقابلة . فالطائفة الأولى ، ونعنى بها طائفة رؤساء المانوية (أو المنانية فالمعنى واحد) ، يغلب على دوافع أصحابها الإيمان بها إيماناً صادقاً ، وهذا هو الأليق بأن يكون عليه الرؤساء . والطائفة الثانية يغلب على أصحابها الدافع الأخير ، دافع الشك الفكرى والفكر المتشكك ، ولا عجب فهم متكلمون أى إنهم رجال فكر وأصحاب مذاهب ومقالات يعتمدون على الأفكار والعقل ، دون المصالح أو الإيمان . والطائفة الثالثة ، وإن كان للدافع الثانى أثر كبير فى اتخاذها الزندقة ، إلا أن أعظم دافع أثر فيها كان نزعة الشعوبية . وليس

والحساسة فى العداوة والإجرام ؛ فإن الرجل من عامة الناس أو أشباه العـامة يرى بين الخاصة والعظماء المشتغلين بالسياسة من يستبيح كل وسيلة مهما كانت مرذولة ، فيبيح لنفسه فى أمور المعاش واللهو والتلذذ بالكيد ما تبيحه السياسة فى الأمور العامة ، ويصير نشر الدعوة الكاذبة فى أمور السياسة خطة يتأثرها الناس فى أمور المعاش أو اللهو أو الغرور ، ويصير التحزب ونصرة الجماعة بالحق وبالباطل فى أمور السياسة عادة يتبعهـا الناس ويغالون فى باطلها فى أحقر الأمور وأصغرها أو فى أبعد الأمور عن تلك الخطط والعادات وأقلها حاجة إليها وأكثرها فساداً بها ، ويكون فسادها أعظم والمغالاة بها أشد فى البيئات التى تعودت فى تاريخها التخاذل فى الحق والتحزب والتقاتل فى أتفه الأمور أو أجلها وأبعدها عن التحزب بالباطل .

عبد الرحمن شكرى

هذا بغريب فالشعراء والكتاب لا يستهويهم الإيمان ، ولا قبل لهم بالإيمان فى الشك الفكرى، وإنما تستهويهم الأحداث العنيفة التي تلهب عواطفهم وتثير ثائرة خيالهم ، وليس أدعى إلى إلهاب العاطفة وإثارة الخيال من نزعة الشعوبية ؛ أولاً لأنها تتصل بالسياسة وأحداثها ، والنزاع القائم بين طائفة وطائفة أخرى . وثانياً لأن الشعوبية تذكرهم بمجد الديمتزون به ،ويتغنون بعظمته . والشعراء يميلون دائماً إلى التغنى بالماضى سواء بالافتخار به أو البكاء عليه ، لأن الماضى زمن قد فات ولم يعد له وجود إلا فى الذاكرة التى تعيه ، فيستطيع الخيال أن يشكله على النحو الذى يبغيه ، وأن يتصرف فيه كما أراد وحيثما شاء ، وهو مطمئن آمن . بينما الحاضر يحدق فى عينه فلا يستطيع أن يزور فيه أو يكذب عليه فى أثناء وجوده !

والآن فلنتحدث عن أشهر رجال هذه الطوائف

أما الطائفة الأولى فأشهر رجالها أبو على سعيد ، وأبو على رجاء ، وأبو يحيى ويزدانبخت . وقد استطاع الأستاذ فيدا صاحب المقال الذى أشرنا إليه والذى ستمد عليه كثيراً فى مقالنا هذا ، أن يعثر على اثنين منهم فى المصادر الأخرى فى يقين . ثم حاول أن يتعرف إلى آخر ثالث

فأبو على سعيد ذكره الشهرستانى(١) الذى يقول عنه إنه كان فى أيام خلافة المعتمد وكان يكتب فى سنة ٢٧١ هـ

ويَزْدانْبَخْت ذكره أحمد بن يحيى المرتضى ، كمؤلف لكتاب أخذ عنه المرتضى نظرية تتابع الأنبياء . ويحاول فيدا أن يجد أبا على رجاء فى شخص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان(٢) حينما أشار إلى أنه جرت مناظرة فى حضرة المأمون بين محمد بن الجهم والعتبى والقاسم بن سيار من جهة وبين أبى على الزنديق . فلما لم يفلح هؤلاء فى مناظرة الزنديق قام المأمون نفسه بمناظرته فألقى عليه سؤالاً أفحمه ولكن الزنديق لم يرجع عن خطئه ومات على دينه . ولكى يثبت فيدا صحة هذا الافتراض ، ونعنى به أن أبا على المذكور فى رواية الجاحظ هو أبو على رجاء . قال إن هذا الزنديق لا يمكن أن يكون أبا على سعيداً، الذى ذكرناه آنفاً لأن أبا على سعيداً كان يكتب وكان حيًّا فى سنة ٢٧١ ، بينما الجاحظ الذى مات سنة ٢٥٥ يتحدث عن أبى على صاحبنا ، باعتباره ميتاً . وعلى ذلك فليس هناك من مانع ، اللهم إلا إذا ورد دليل مخالف ، أن نفترض أن الزنديق الذى ذكره الجاحظ هو أبو على رجاء الذى ذكره ابن النديم

أما الزنادقة من المتكلمين فأشهرهم ابن طالوت ونعمان ، اللذان كانا أستاذى ابن الراوندى الزنديق المشهور ، كما كان من أساتذته أيضاً أبو شاكر الذى يذكر عنه الخياط أنه كان متصلاً بهشام بن الحكم ، المتكلم الشيعى المعروف . ويرى فيدا أن الرابطة بين أساتذة ابن الراوندى الثلاثة هؤلاء يظهر أنها كانت التغالى فى التشيع . وهذا كان كافياً لكى توضع أسماؤهم بين أسماء الزنادقة. ويضاف إلى هؤلاء جميعاً صالح بن عبد القدوس . وقد أشرنا من قبل إلى البحث الذى كتبه جولد تسيهر وعسى أن تتاح لنا فرصة قريبة للتحدث عن هذا البحث

وهم جميعاً إما بعيدون عن المانوية أو أن معلوماتنا عن مبادئهم الدينية ضئيلة جداً . ولكن هناك شخصية أخرى بين الزنادقة من المتكلمين نعرف عنها بعض الأشياء ونعنى بها شخصية عبد الكريم بن أبى العوجاء . ولا نتعرض هنا للكلام عنه كمحدث أسرف فى اختراع الأحاديث ووضع المكذوب منها ، ولا عن صلته بحسن البصرى وجعفر الصادق، وإنما يعنينا هنا أن نقول عنه شيئاً يتصل بزندقته فنقول إنه كان كما يقول البغدادى(١) مانوياً يؤمن بالتناسخ ويميل إلى مذهب الرافضة ويقول بالقدر . ويتخذ من شرح سيرة مانى وسيلة للدعوة وتشكيك الناس فى عقائدهم ويتحدث فى التعديل والتجوير ، كما ذكر البيرونى فى كتاب « الهند(٢) »

ولكن أظهر شخصية فى هؤلاء المتكلمين الزنادقة بعد شخصية ابن الراوندى (الذى نؤجل الحديث عنه إلى أن نفرد له فصلاً خاصاً إن كان هناك ثم مجال) ، هى شخصية أبى عيسى الوراق وقد كان هو أيضاً أستاذاً لابن الراوندى

كان أبو عيسى الوراق معتزلياً فى البدء ولكن المعتزلة طردته

(١) الملل والنحل ، طبع كيورتن ص ١٩٢

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١٤١ وما بعدها

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٤٩ وما بعدها

(٢) ما للهند من مقولة ص ١٣٢

لآراء له ذكرها خصومه ولسنا نعرف مبلغ صحتها على وجه التحقيق فيذكرون عنه أنه كان شيعياً رافضياً ، ويقول عنه الخياط إنه كان مانوياً يقول بأزلية المبدأين (النور والظلمة) ويعتقد في خلود الأجسام؛ والخياط معتزلي فهو خصم لأبي عيسى . ومن هنا لا نستطيع أن نؤكد تماماً أنه كان مانوياً . ولذلك فإن الأستاذ ماسينيون[1] يميل إلى وصفه بالناقد المستقل الفكر »

وهنا ننتهي من الكلام عن الطائفة الثانية وننتقل إلى الطائفة الثالثة ونعني بها طائفة الأدباء والشعراء

وأول هؤلاء وأشهرهم من غير شك بشار بن برد ، ولكننا لا نستطيع هنا أن نفصل القول في زندقة بشار ، ويكفينا الآن أن نقول إن نزعة الشعوبية عند بشار كانت أكبر دافع له على الزندقة كما كان للعبث والمجون الذي طبع عليه بشار ، وروح التشاؤم والسخرية من الناس أثر في هذه الزندقة غير منكور . وهنا نلاحظ بإزاء بشار ما لاحظناه من قبل عند الكلام عن ابن أبي العوجاء وأبي عيسى الوراق من أن الاتهام بالزندقة كان يسير جنباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة كما لاحظ الأستاذ فيدا بحق ، ومن هنا كان الشك في معنى هذه الزندقة التي تنسب إلى بشار؛ ولذلك يميل الأستاذ فيدا إلى أن يرى في بشار شاكاً من الشكاك فحسب

ولكن زندقة خصم بشار ، ونعني به حماد عجرد ، أظهر بكثير من زندقة بشار. وعلى الرغم من أنه لا يمكن القطع بشيء فيما يتصل بعلاقته بالمانوية إلا أنه يمكن اعتباره ممن كانت لهم نزعة مانوية واضحة ، خصوصاً إذا لاحظنا أن شعره وقصائده كان يتغنى بها في دوائر أتباع ماني وتستعمل في الصلوات

أما حظ النزعة الشعوبية في تكوين الزندقة فلم يكن كبيراً في شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب بقدر ما كان عند إبان بن عبد الحميد اللاحقي . فقد كان يعرف الفارسية ويترجم عنها ؛ وكان على اطلاع وسعة علم بأدب الفرس القديم ، فكان ذلك داعياً له إلى التعلق بتراث الفرس والتغني به في جميع مظاهره . ولكن هذا ليس دليلاً قاطعاً على أنه كان مانويا حقاً ، أو أنه اعتنق المانوية كدين أخلص (؟) على الرغم مما ذكره أبو نواس عنه في إحدى القصائد التي هجاه بها فاتهمه بأنه كان حسياً لا يؤمن إلا بما يراه فلا يعتقد إذن بالجن ولا بالملائكة . وهذه التهمة عينها قد وجهت إلى بشار من قبل . واتهمه أيضاً بأنه أشاد بماني وسخر من المسيح وموسى . وهنا يبدو الخلط والاضطراب في كلام أبي نواس لأنه إذا كان مانوياً فلن يسخر من المسيح . والصلة بين المانوية والمسيحية كبيرة واضحة لا تسمح بهذه السخرية. ونرجح نحن أن السبب الأكبر في اتهام إبان بالزندقة كان نزعته الشعوبية الواضحة فاتخذ أنصار العربية من اتهامه بالزندقة سلاحاً يستعملونه ضده في الخصومة الحضارية بين الشعوبية والعربية

وهؤلاء الشعراء الثلاثة قد اتفقوا جميعاً في غلبة روح الاستخفاف والعبث فيهم . ولذلك فإن أبا نواس كان صادقاً حقاً في تسميتهم « بعصابة المجان » ولو أنه كان فرداً من أفراد هذه العصابة ! فهم أقرب إلى الشك والمجون إذن من الإيمان والحد وهم أولى باسم الشكاك العابثين من اسم الزنادقة المخلصين

وأكثر من هؤلاء جداً وأبعدهم عن العبث والمجون أبو العتاهية . وقد لخص الأستاذ فيدا آراء أبي العتاهية أحسن التلخيص فقال : إن أول ما نلاحظه في معتقدات أبي العتاهية أنه كان يؤمن بالأثنينية بكل صراحة . فالعالم الظاهر مكون من جوهرين متعارضين ، والوجود تتنازعه طبقتان إحداهما خيرة والأخرى شريرة . وهو يرجع الوجود كله في النهاية إلى الجوهرين المتعارضين اللذين نشأ عنهما العالم وتكوّن . غير أن أبا العتاهية صاغ نظرياته الأثنينية في صيغة واحدية ، إذ جعل الله الواحد عند بدء الأشياء وقال : إنه خالق الجوهرين وأن العالم ما كان له أن يوجد بدون الله وحده . طارحاً بذلك أسطورة الخليط الأزلي بين الجوهرين أو المبدأين ونعني بهما النور والظلمة

* * *

وهنا نقف قليلاً بعد أن استعرضنا كبار الزنادقة وشرحنا كيف كانوا موضعاً للاضطهاد في أيام الخلفاء العباسيين الأول لكي نتبين ما وصلنا إليه من نتائج

فنلاحظ أولاً أن الزنادقة الذين وجه إليهم الخلفاء ما وجهوه من اضطهاد كانوا مانوية إما بتحولهم عن الإسلام أو منذ ولادتهم

(١) Massignon, EI, article zindik

فى الفترة ما بين سنة ١٦٣ و ١٧٠ . أما بعد ذلك فإنا لم نستطع أن نثبت الثانوية لواحد ممن اتهموا بالزندقة ، اللهم إلا لعبد الكريم ابن أبى العوجاء . أما الآخرون فلم نستطع أن نفصل فى أمرهم فصلاً أخيراً

ثم نلاحظ كذلك أن الزنادقة كانوا فى أماكن عديدة فكانوا فى بغداد وفى حلب وفى مكة ، ثم فى البصرة والكوفة على وجه الخصوص .

وإن أشهر ما كان يوجه إليهم من تهم هو ترك الفرائض (كالصوم والصلاة والحج) ، ثم ادعاء الشعراء منهم والكتاب أنهم يستطيعون أن يكتبوا خيراً من القرآن ؛ وأخيراً موقفهم بإزاء وحدانية الله

وأنه كانت هناك رابطة بين الزندقة والشيعة، قد رأينا كيف كان الانتساب إلى الشيعة الرافضة دليلاً على الزندقة وداعياً إلى الاتهام بها

ونلاحظ أخيراً أن الكثير من كبار الزنادقة قد قضوا شبابهم وأوائل حياتهم فى أواخر أيام الدولة الأموية . فيجب أن نستنتج كما يقول الأستاذ فيدا : « أنه للكشف عن أصل التأثيرات الإيرانية التى لعبت دوراً خطيراً منذ ظهور الدولة الجديدة (أى الدولة العباسية) فلا بد من البحث فى الأوساط العلمية العقلية فى داخل خراسان وبين أعوان أبى مسلم الخراسانى السريين كما نبحث عنه فى البصرة والكوفة » ففى منطقة خراسان التقت جملة حضارات مختلفة فى طابعها . فكان فيها فى أواخر الدولة الأموية حركة صراع فكرى بين عدة حضارات . وكان لهذا الصراع الفكرى أكبر الأثر فى تكوين العقلية الجديدة التى سادت العصر العباسى أو الجزء الأول منه على أقل تقدير . ولن نستطيع أن نفهم هذه العقلية الجديدة وتطورها طوال ذلك العصر إلا إذا درسنا هذا الوسط الذى اصطدمت فيه العقليات المختلفة واختمرت فيه بذور الحياة العقلية التى جعلت من العصر العباسى الأول عصراً من أخصب العصور الفكرية فى تاريخ العالم كله .

عبد الرحمن بدوى

الحب العذري في الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٢ —

قال ابن الكلبي : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وفدت إليه الشعراء ، كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عَديّ بن أرطاة على عمر ابن عبد العزيز ، وكانت له منه مكانة ، فقال جرير :

يا أيها الرجل المُزجي مَطيّتهُ   هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أبلغْ خليفتنا إن كنت لاقيَهُ   أني لدى الباب كالمصفود في قَرنِ
وحشُ المكانة من أهلي ومن ولدي   نائي المحلّة عن داري وعن وطني

قال : نعم أبا حَزْرَة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وسنانهم مسنونة ، قال : يا عدي ، مالي وللشعراء ! قال : يا أمير المؤمنين ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم . قال ومن مدحه ؟ قال : عباس بن مِرْداس ، فكساه حُلّة قطع بها لسانه ، قال : وتروى قوله ؟ قال نعم :

رأيتك يا خير البريّة كلّها   نشرت كتاباً جاء بالحق مُعلَما
ونورت بالبرهان أمراً مُدَمّساً   وأطفأت بالبرهان ناراً مُضرّما
فمن مبلغٌ عني النبيَّ محمداً   وكلُّ امرىء يجزى بما قد تكلما
تعالى عُلُواً فوق عرش إلهنا   وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة قال : لا قرب الله قرابته ، ولا حَيّا وجهه ، أليس هو القائل :

ألاَ ليت أني يوم حانتْ مَنيّتي   شممتُ الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله   وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي   هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا ، ويعمل عملاً صالحاً ، والله لا دخل علي أبداً ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جميل ابن معمر العذري ، قال : هو الذي يقول :

ألاَ ليتنا نحيا جميعاً وإن نمُتْ   يوافق لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب   إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظلُّ نهاري لا أراها ويلتقي   مع الليل روحي في المنام وروحها

أعزب به ، فوالله لا دخل علي أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : كُثيِّر عَزّة ، قال : هو الذي يقول :

رهبانُ مَدْيَنَ والذين عهدتهم   يبكون من حَذَر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها   خَرّوا لِعَزّة راكعين سجودا

أعزب به . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : الأحوص الأنصاري ، قال : أبعده الله وأسحقه ، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه :

الله بيني وبين سيدها   يَفرُّ عني بها وأتّبعُ

أعزب به . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : هَمّامُ بن غالب الفرزدق ، قال : أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلّتاني من ثمانين قامةً   كما انقضّ بازٌ أقتم الريش كاسره
فلما استوتْ رجلايَ في الأرض قالتا   أحيٌّ يُرجّى أم قتيلٌ نحاذره
وأصبحتُ في القوم الجلوس وأصبحت   مُغلّقةً دوني عليها دساكره
فقلتُ ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا   ووَلّيتُ في أعقاب ليلٍ أبادره

أعزب به . فوالله لا دخل علي أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأخطل التَّغلبيّ ، قال : أليس هو القائل :

فلستُ بصائمٍ رمضانَ عمري   ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عَنساً بكوراً   إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعَير يدعو   قُبَيل الصبح حيَّ على الفلاح
ولكنّي سأشربها شَمولاً   وأسجد عند مُنبلَج الصباح

أعزب به . فو الله لا وطئ لي بساطاً أبداً وهو كافر . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جرير بن الخَطَفَى ، قال : أليس هو القائل :

لولا مراقبةُ العيون أرَيْنَنا   مُقَلَ المها وسوالفَ الآرامِ
هل يَنهينّك أن قتلن مُرَقّشاً   أو ما فعلن بعُروة بن حِزَامِ

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلة اللوى — والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا — وقت الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهذا . فأذن له ، فخرجت إليه فقلت : أدخل أبا حَزْرَةَ ، فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبيَّ محمداً — جعل الخلافة في إمام عادلِ
وَسِعَ الخلائقَ عدلُهُ ووفاؤه — حتى ارعوى وأقام مَيلَ المائلِ
والله أنزل في القرآن فضيلةً — لابن السبيل وللفقير العائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً — والنفسُ مولعةٌ بحب العاجلِ

فلما مَثلَ بين يديه قال : اتق الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقاً ، فأنشأ يقول :

كم باليمامة من شعثاء أرملة — ومن يتيم ضعيف الصوت والنظرِ
ممن يَعُدُّك تكفي فَقْدَ والده — كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطرِ
يدعوك دعوةَ ملهوف كأنَّ به — خبلاً من الجن أو مساً من البشرِ
خليفةَ الله ماذا تأمُرَنَّ بنا — لسنا إليكم ولا في دار مُنْتَظَرِ
ما زلتُ بعدك في همٍّ يُؤَرِّقُني — قد طال في الحيِّ إصعادي ومُنحَدَري
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنَا — ولا يعود لنا بادٍ على حَضَرِ
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا — من الخليفة ما نرجو من المطرِ
أتى الخلافة إذ كانت له قَدَراً — كما أتى رَبَّهُ موسى على قدرِ
هذي الأرامل قد قَضَّيت حاجتها — فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ

فقال : يا جرير ، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ؛ يا غلام ، أعطه المائة الباقية . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها لأحب مال كسبته إلي . ثم خرجَ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض . ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقَى الشيطان لا يستفزُّه — وقد كان شيطاني من الجن رَاقيَا

ولا شك أن وجهة عمر رضي الله عنه ظاهرة في منع ابن أبي ربيعة لأنه كان لا يتورع في شعره عن التشبيب بالنساء من يعرفها ومن لا يعرفها ، ويتعرض للمحصنات المتعففات ويترقب خروجهن للطواف والسعي ، ويصفهن وهن محرمات حتى صرن يخفن الخروج إلى الحج . وقد نفاه عمر بسبب هذا إلى دَهْلَكْ ، وهي جزيرة ببحر القُلزُم أمام مدينة مصوع . أما أبياته المذكورة فهي وإن كانت محمولة على المبالغة لا تليق برجل يحافظ على أمور دينه لأن فيها شيئاً من الاستهتار بعذاب الله ، وما كان لمثل عمر رضي الله عنه أن يقبل هذا منه وأن تنسيه رقته الشعرية ناحيته الدينية ، كما أنست قبله عمه عبد الملك بن مروان وقد اجتمع ببابه ابن أبي ربيعة وكُثَيِّرُ عَزَّةَ وجميل بُثَيْنَةَ ، فقال لهم : أنشدوني أرقَّ ما قلتم في الغواني ، فأنشده جميل :

حلفتُ يميناً يا بُثَيْنَةُ صادقاً — فإن كنت فيها كاذباً فعميتُ
إذا كان جلدٌ غير جلدك مَسَّني — وباشرني دون الشِّعار شريتُ
ولو أن راقي الموت يَرْقي جنازتي — بمنطقها في الناطقين حييتُ

وأنشد كُثَيِّر :

بأبي وأمي أنتِ من مظلومة — طَبِنَ العدوُّ لها فغيَّر حالها
لو أن عَزَّةَ خاصمت شمس الضحى — في الحسن عند مُوَفَّقٍ لقضى لها
وسعى إليَّ بصَرْمِ عزة نسوةٌ — جعل المليك خدودهن نعالها

وأنشد ابن أبي ربيعة :

ألا ليت قبري يوم تُقضى منيَّتي — بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طَهوري كان ريقك كله — وليت حنوطي من مشاشك والدم
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي — هنا أو هنا في جنة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين ، وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف

وكذلك الأمر في منع عمر رضي الله عنه الأحوص والفرزدق والأخطل من الدخول عليه ، فأما جميل وكثير فالأمر في منعهما غير ظاهر ، لأنهما كانا من أصحاب ذلك الحب العذري السابق ، ولم يكونا مثل ابن أبي ربيعة والأحوص والفرزدق والأخطل ، وإن كان في بيت كثير ما يمكن أن يؤخذ عليه من الناحية الدينية ولكنها مؤاخذة ضعيفة لا يلتفت إليها ، لأنه أسند السجود لعزة إلى أولئك الرهبان ، وهم يدينون بعبادة الأيقُونات والتماثيل ، فلو أنهم سجدوا لعزة إذا رأوها لكان لهم في هذا شأنهم ، ونحن لا نسأل في ديننا عن شأن غيرنا ، وهذا إلى أن الأمر محمول على المبالغة ، والمبالغة ضرب من التجوز

وهذا ليس له محل عندي إلا أن عمر رضي الله عنه كان

لا يرى التساهل فى شأن ذلك الحب العذرى ، وإن كان أخف ضرراً من الحب المستهتر ، فهو فى ذلك يأخذ جيلاً وكُثيِّراً بحب واقع قد شغلا به ، وأمعنا فيه ، وملآ بذكره أشعارهما ، وصرحا فيها للناس باسم محبوبتهما ، ومثل هذا لا يقبله أدب الإسلام وإن كان يحمد لأصحابه ما يأخذون به أنفسهم من العفاف

أما جرير فكان يتعاطى الغزل فى الشعر قضاء لحق الصناعة الشعرية ، ولم يكن يشتغل بالحب كما اشتغل به ابن أبى ربيعة وغيره من فساق الشعراء ، ولا كما اشتغل به جميل وغيره من العشاق العذريين ، ولا شيء أصلاً فى تعاطى ذلك الغزل على ذلك النحو الصناعى ، كما يفعل الآن فى الروايات الغرامية ، بشرط ألا يكون فى ذلك شيء من الفحش الذى لا يبيحه دين ولا خلق . وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم بالشعر وفيه كثير من ذلك الغزل ومن ذلك غزل كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) وقد بلغ من أمره أن يقول فيها :

هيفاء مقبلةً عجزاء مدبرةً لا يُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ
تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ
كأنَّهُ مَنْهَلٌ بالرّاحِ معلولُ

وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم من كعب ذلك الغزل على ما فيه من ذكر الأعجاز ، والتشبيه بالخمر المعلول ، لأن كعباً قال ذلك قضاء لحق الصناعة ، ولم يصف فيه أمراً واقعاً ، ولم يتحدث عن اشتغاله بالنساء أو بالخمر على مثل ما تحدث به الشعراء الفساق

وكذلك لا حرج فى رواية ذلك الشعر بالغاً أمره ما بلغ ، لأنه قد يكون فى حفظه وروايته فوائد لغوية أو تاريخية ، ومهما بلغ أمره فإنه لا يبلغ ما أجازه الإسلام من حكاية الكفر على طريق النقل ؛ إذ حكم بأن ناقل الكفر ليس بكافر ، وقد كان ابن عباس رضى الله عنه يروى شعر عمر بن أبى ربيعة على ما فيه من ذلك الحب الفاجر ، والفسق الظاهر ، ولا يعبأ بانتقاد الخوارج المتشددين فى الدين عليه ، لأن دين الله يسر لا عسر ، واعتدال محمود بين الجمود والتفريط

وإنى أرى فى الحب العذرى رأى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فهو عندى من الأمور التى لا ينبغى الاشتغال بها ، ولكن لا بأس به إذا كان يراد لغاية حميدة كالزواج ، فإذا لم يظفر صاحبه بزواج من يحبها فليقلع عن ذلك الحب ، وليشتغل بما يفيده فى هذه الحياة لأنه لم يخلق لذلك العبث الضار به فى نفسه ، والضار بالمجتمع فى أخلاقه وصيانة أعراضه ، وإنما خلق للعمل النافع ، وإيثار مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ؛ فإذا لم يمكنه أن يتغلب على نفسه فى حبها ، فليكتم فيها ذاك الحب ، وليحفظها عن آثامه ، وليصبر على تلك البلوى صبراً جميلاً ولو أدى به ذلك إلى إهلاك النفس ، لينال فى أخراه من الأجر ما يعوض عليه ذلك الحرمان فى الدنيا ، ولا يكون جزاؤه الحرمان فيهما معاً .

أما الذى قد يقترن بذلك الحب من شكوى الصبابة والتصريح باسم المحبوبة والخلوة بها وغير ذلك مما يفعله العشاق العذريون ولا يصل بهم إلى مجاوزة حد العفاف ، فقد تساهل فيه بعض العلماء كما سبق ولم ير فيه بأساً . ومن ذلك ما يحكى أن ابن سحنون دخل على مالك فقال : يا إمام ، اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك ، فقال وقد ظن أنه هجاه : أنت فى حل من ذلك ، فأنشده هذه الأبيات بين يديه :

سَلُوا مالكَ المُفْتِى عن اللهو والغِنَا
وحُبِّ الحسان المعجباتِ الفَوَارِكِ
يُنَبِّئْكُمُ أنى مصابٌ وإنما أُسَلِّى همومَ النفس عنى بذلك
فهل فى مُحِبٍ يكتم الحبَّ والهوى
أثامٌ وهل فى ضَمَّةِ المُتَهالِكِ

فضحك وقال : لا إن شاء الله

وإنى أشك فى صحة هذه القصة ، ولعلها كانت مع مالك من غير ابن سحنون ، أو كانت مع غير مالك منه ، لأن ابن سحنون لم يدرك مالكا ، وأبوه سحنون هو الذى أدركه ، ولكنه لم يجتمع به ، وكان قد نشأ بالقيروان وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى مصر وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم ، ثم رحل إلى المدينة ولقى علماءها بعد وفاة مالك رضى الله عنه .

والحق أن بعض تلك الأمور كالخلوة مما لا يصح التساهل فيه أيضاً ، لأنها تعد من وسائل الزنا ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ولكنها لا تصل فى الحرمة إلى حد الزنا ، لأنه من الكبائر ، أما هى فمن الصغائر . نعم قد تنفع عفة أولئك العشاق فى تكفير تلك الصغائر عنهم ، لأنه قد ورد أن اجتناب

الكبائر مما يكفر الصغائر ، كما قال تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما) ، ولعل هذا هو مراد من أفتى برفع الحرج عن تلك الأمور ، فيكون مرادها أن إثمها يكفر عنهم ، لا أنه لا إثم فيها ، وفرق كبير بين الأمرين ، لأن في رفع الإثم عنها إذناً بفعلها ، أما تكفيرها بذلك فيبقيها على حرمتها ، وليس فيه إذن بذلك الفعل ، لأنه لا يصح لأحد أن يفعل ما حرم عليه اعتماداً على الوعد بتكفيره ، وهذا إلى أن الإصرار على الصغائر قد يجعلها من الكبائر ، فلا ينفع فيها ذلك التكفير ، ولا يفيد فيها إلا التوبة عنها

وهذا هو رأيي في ذلك الحب العذري ، وإذا كان فيه بعض القسوة على أولئك العشاق ، فهو غاية ما يمكن أن يتساهل فيه معهم . وإني أرى أن هناك قوماً قد يقع ما يكون في ذلك الحب من الإثم عليهم أكثر مما يقع على ذلك العشاق أنفسهم ، وهم الآباء أو الإخوة الذين يرون في زواج أولئك العشاق فضيحة أو عاراً ، فيحولون بين زواجهم ، ويعملون على إذكاء نار الحب بذلك المنع ، وعلى وجود الفضيحة والعار من حيث يريدون الفرار منهما . وقد كان زواج أولئك العشاق هو السبيل إلى إطفاء نار ذلك العشق ، وصيانة المجتمع من الاشتغال بأخباره وأحاديثه ، وما فيها من هتك العرض ، والاستهتار بتلك الصغائر . وإني أرى أن ما كانوا يفعلونه من ذلك ليس إلا من بقايا عوائدهم في الجاهلية فلا يقره الإسلام ، ولا يأذن بتلك القسوة التي يدعو إليها الجهل ، بل يندب إلى ذلك الزواج ، ويثيب كل من يعمل على إنصاف أولئك العشاق ، وهذه هي أصوله وفروعه بيننا ، وليس فيها ما يمكن أن يستند عليه في تلك العادة الآثمة ؛ ومما يؤيد رأينا في ذلك ما نسوقه من هذه الرواية

روى المسعودي أنه كان بالمدينة فتى من بني أمية من ولد عثمان وكان ظريفاً يختلف إلى قينة لبعض قريش ، وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ، ويحبها ولا تعلم ، ولم تكن محبة القوم إذ ذاك لريبة ولا فاحشة ، فأراد يوماً أن يبلو ذلك ، فقال لبعض من عنده : إمض بنا إليها ، فانطلقا ، ووافاها وجوه أهل المدينة من قريش والأنصار وغيرهما ، وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ، ولا تجد بواحد منهم وجدها بالأموي ، فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى ، أتحسنين أن تقولي :

أحبكم حبًا بكل جوارحي فهل عندكم علم بما لكم عندي
أتجزون بالود المضاعف مثله فإن كريماً من جزى الود بالود

قالت : نعم ، وأحسن أحسن منه . وقالت :

للذي ودنا المودة بالضعـ ـف وفضل البادي به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الأر ض وأقطار شامها والحجازا

فعجب الفتى من حذقها وحسن جوابها وجودة حفظها ، فازداد كلفاً بها وقال :

أنت عذر الفتى إذا هتك السـ ـتر وإن كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فاشتراها بعشر حدائق ، ووهبها له بما يصلحها ، فأقامت عنده حولا ثم ماتت ، فرثاها ، وقضى في حاله تلك ، فدفنا معاً ، وكان من مرثيته لها قوله :

قد تمنيت جنة الخلد للخلـ ـد فأدخلتها بلا استئهال
ثم أخرجت إذ تطمعت بالنعـ ـمة منها والموت أحمد حال

فقال أشعب الطامع : هذا سيد شهيد الهوى ، إنحروا على قبره سبعين بدنة ، وقال أبو حازم الأعرج المدني : أما محب لله يبلغ هذا ؟

وأنا أقول : جزى الله عمر بن عبد العزيز عن ذينك المحبين خير الجزاء

عبد المتعال الصعيدي

مطبوعات حديثة

على منهج الأغانى

بقلم أبى الفرج الأسكندرانى

صوت

بأبى من حرّم النـــوم على عينى وناما
بأبى من أضرم القلب اشتياقاً وهياما
فقضى الله علينـــا فنزحنـــا وأقاما
أذكرى من ليس ينساك وإن لاقى الحماما
إن من نام لعمرى يحسب الناس نياما

* * *

حدثنا الأستاذ أحمد رامى قال : إن هذا الشعر للدكتور ناجى ، وفيه لحن للأستاذ محمد عبد الوهاب يضرب بكل أصابع اليدين على البيان . . .

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال : إن الشعر ليس للدكتور ناجى ، وإن للأستاذ رامى عذره الجلى فى نسبته إليه ؛ فالنفس الشعرى متقارب بينه وبين العباس بن الأحنف . فكلا الشاعرين من شعراء الهفات ، تحس فى أبياته حرارة أنفاسه ، ورقة عواطفه . ولو أنى كنت قد وضعت كتاباً عن شعراء القرن الثانى ، لكان ذلك أجدى على القراء وأليق بى من كتاب « النثر الفنى » فى القرن الرابع ، ولكن الفرصة لم تفت على كل حال . وإنّ من بدأ حياته الأدبية بالكتابة عن عمر بن أبى ربيعة ، لجدير بأن يجعل للعباس بن الأحنف موضعاً فى حياته الطويلة المباركة ، إن شاء الله .

قال أبو الفرج : وهذا وعد ننتظر من الدكتور زكى مبارك وفاءه . ولقد عجبنا من إيثاره « الشريف الرضى » على العباس بتصنيفه كتاباً عنه أثناء إقامته فى بغداد ! فالشريف وإن جلّ قدره شاعراً ، وسمت مكانته رجلاً ، فإن العباس أشبه بأن يكتب عنه الدكتور زكى مبارك طبيب « ليلى المريضة فى العراق » . أو لعل اسمها ليلى العريقة فى المراض ، كما يزعم بعض الناس .

الدكتور ابرهيم ناجى وأخباره :

حدثنا الأستاذ صالح جودت قال : إن الدكتور ناجى غضب من نسبة رامى إليه هذه الأبيات وقال : إن فيها تحريفاً ، فصحة البيت الثانى :

بأبى من أضرم القلب اشتياقاً واهتياما

وصحة البيت الثالث :

فقضى الله علينا فشحطنا وأقاما

قال الدكتور ناجى : ولست أنا بالذى يقول : « اهتيام » و « شحط » ؛ ولا بالذى يبدأ البيت بقول « بأبى » فهذه لغة أستسيغها منسوبة إلى أبناء عصرها ، ولكنى لا أقبلها من أبناء عصرى . ولقد كان العباس رقيقاً دمثاً لما قال شحط ، ولم يقل افرنقع ؛ وقد كانت الكلمة الثانية تقال فى عصره ، فعمد إلى أرق الكلمتين . ولكن عصرنا فيه ما هو أرق وأعذب وأصدق فى التعبير عن خوالجنا المهذبة ؛ ولكن رامى (عفا الله عنه) ينسب لى من شعر القدماء ليرمينى بالعدول عن مذاهب المحدثين ، وسأحاربه هو وأمثاله بمثل هذا السلاح حتى يستقيموا . ثم أنشد :

لأرون لهم من غير قولهم حتى أجدد فيهم عهد حماد

قال أبو الفرج الاسكندرانى : والغريب أن الدكتور ناجى يذكر أحد الحمادين ، ويتهدد بأن يسلك مسالكهم ، ولا يرى أنه بذلك قد « شحط » عن التجديد . ولقد همّ أبو الفرج بأن يبدى هذه الملاحظة ، ولكنه خشى أن يؤخذ بها لو أذاعها . فإنه هو أيضاً يعارض كتاب الأغانى وينتحل لنفسه لقب : « أبى الفرج »

قال الدكتور زكى مبارك ، وقد أدرك لفطنته ما جال بخلد الاسكندرانى وإن لم يقله : لاعليك من ذلك ، فالتجديد لايكون إلا من الراسخين فى العلم بالقديم . وهذا مارتن لوثر ما استطاع إنشاء المذهب البروتستانتى إلا لأنه كان قسيساً كاثوليكيّاً ، وإننى ما أنشأت مذهب البروتستانتية فى الأدب العربى إلا لأنى أزهرى

حدثنا الدكتور زكى أبو شادى ... بل لم يحدثنا بشىء لأنه صاحب مجلة تتعرض للناس بالسوء .

وحدثنا صالح جودت قال : إن حماداً الذى يذكره الدكتور ابرهيم ناجى فى قوله .

لأرون لهم من غير قولهمو حتى أجدد فيهم عهد حماد

ليس أحد الحمادين الذين يشير إليهم الدكتور زكى مبارك ، ولكنه الأستاذ محمد على حماد محرر مجلة (الشعلة) فهو أقرب إلى خيال ناجى من هؤلاء الذين علت ذكرياتهم طبقات من غبار القرون . وما كان لناجى ولا لأحد منا نحن المجددين أن يلتفت هذا الالتفات . فنحن إنما نستمد الوحى الشعرى من الحياة لا من الكتابة عن الحياة ، ولا من الكتابة عن الكتابة عن الحياة .

نحن نذكر حاد الشملة لأننا نراه ونتصل به عن طريق الحواس، وهي صلة الفنان بالحياة؛ ولكننا لا نكتب عن العباسيين لأننا لا نتصل بهم إلا عن طريق الكتب ... والكتب نؤلفها نحن ويقرؤها غيرنا ... إلا أن تكون بالطبع كتباً أجنبية، فدراسة ناجي لشكسبير أمر معقول، وليس كذلك ما كان قد يفعله لو لم يكن مجدداً فيدرس من يقولون إنهم أشباهه كابن المعتز والعباس بن الأحنف.

قال الدكتور زكي مبارك: هذا بعض الفوارق بيني وبين ناجي ومدرسته الحديثة. فأنا منطيق ولا أرى كلام صالح يتمشى مع المنطق. أنا أدرس الحياة في حاضرها عن طريق الحس، وأدرس ماضيها عن طريق الدرس والخيال، وأدرس مستقبلها عن طريق التنويم المغناطيسي. ولقد أفدت من التنويم وما يتصل به من الدراسات أن صار في وسعي تعرف ما يجول بنفس محدثي من الأفكار والخواطر. وليس ذلك مجرد ذكاء، وإن كنت ذكياً وزكياً بالذات والزاى، ولكن عن طريق العلم والدرس. ولن تمر غير أشهر قلائل، فأجوز امتحان الدكتوراه للمرة الرابعة ولكنها ستكون في هذه المرة في «المازمارتيزم» وسيكون في استطاعتي أن أتعرف ما في الكتب دون أن أقرأها. فأكتب عن الشافعي مرة أخرى دون أن أعيد قراءة كتاب الأم، وأنقد شعر السيد الحيري، وإن كان شعره قد ضاع.

عود الى حياة الدكتور ناجي

هو زعيم المدرسة الحديثة؛ ولهذه المدرسة طلبة وفيها مدرسون ولكن ليس لها دراسة ولا موضوع قابل للدرس. ولكن في التعليقات الشفوية المتفرقة على قصائد الشعراء المعاصرين مادة لو جمعت لكانت موضوعاً طريفاً لها. وهذا بعض ما سنتناوله في هذا الكتاب

وسنتبع طريقة أبي الفرج الأصفهاني في تحقيق الرواية والإسناد. ولن نخترع ولن نلفق إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة. وكذلك كان يفعل الأصفهاني

ولقد ننسب إلى شاعر من غير شعره لأنه كان الواجب أن يقول هذا، فإن حاد عن هذا الواجب فالذنب ذنبه هو ولا علينا أن نؤكد صدق الرواية. وسنضرب المثل المقنع بأن لنا الحق كله في ذلك

تتلخص الفكرة العامة لآراء المدرسة الحديثة في هذه النظرية: ما دمنا مجددين في اللغة العربية فالاقتباس عن الغرب تجديد لأنه في لغتنا سيكون جديداً. ولكن محاكاة العرب محرمة لأنها تكرار لما في هذه اللغة

إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذي يجب أن يقولوه. أما وقد قالوا غيره فالذنب عليهم، وما دمت أدون آراءهم فهذه هي آراؤهم. أما الذي يقولونه فهو أنهم إنما يرون الجديد جديداً بصدوره عن انفعال نفسي جديد، وهم لذلك يزعمون أنهم ينكرون الاقتباس من الأدب الغربي كما ينكرون محاكاة العرب الأقدمين

ولكن الأمر لا يقف عند هذا بل حياة هذا الجيل مقتبسة من الحياة الغربية إلى حد كبير؛ فالاقتباس عن الغرب في الحياة ينشئ في الأدب اقتباساً أصيلاً لا يتنافى مع التجديد. وبذلك لا يختلف ما قلته عنهم في حقيقته مع ما يقولون، ولكن الذي ينكرونه من الاعراب عن الرأي الذي يدينون به يبيح محاكاة العرب والاقتباس من الغرب وعليهم القول وعليَّ التوضيح

استطراد في الغرض من هذا الكتاب

وقبل أن نستأنف التحدث عن حياة الدكتور ناجي وشعره نقول إن أبا الفرج الأصفهاني كان يذكر شاعراً والموسيقار الذي لحن له. هذا في بعض العصور، وفي عصر آخر يذكر شاعراً ومن وقف الشاعر نفسه على مدحه أو هجوه، وفي عصر ثالث يذكر شاعراً وراويته، وفي عصر رابع يذكر شاعراً والأمير الذي يتولى رعايته أو يتولى خصومته

هذا بأن الشاعر في بعض هذه العصور كان يخشى على شعره من النسيان فيتخذ راوية. وفي عصر آخر كان لا يستطيع الحياة إلا في كنف أمير، وفي عصر ثالث لا يستطيع الحياة إلا مناوئاً مشاغباً، وهو في كل العصور على السواء محتاج إلى من يضع له ألحاناً لشعره، لأن الشعر غناء قبل كل شيء.

من أجل ذلك رأيت أن الشعراء المعاصرين ليسوا في حاجة إلى راوية فحسبهم من الرواية المطابع، وليسوا في حاجة إلى من يحميهم فللشعوب الآن ما كان للأمراء في سالف الزمان، ولكن الذي يحتاج إليه الشاعر المعاصر هو الناقد النزيه.

ولقد وجدت بحمد الله هذا الناقد فسأذكر تاريخ شعرائنا وشعراء الأقطار العربية مشفوعاً بتاريخ ناقده وبنقده إياه. ومشفوعاً كذلك بتاريخ الموسيقار الذي لحن له.

عود الى حياة الدكتور ناجي

هو طبيب متأثر بالثقافتين الانكليزية والفرنسية عصبي المزاج ثائر الأعصاب مرهف الحس بكلمك فيهتز جسمه كله حماسة وشدة اقتناع

قضت حرفته بأن يكافح الموت فى كل مريض وهو واسع الرجاء واسع الأمل . فرسالته فى الأدب لا يمكن أن تكون كرسالة أدباء الهند فى العصر الحاضر رسالة إذعان وتسليم . وعلى رغم الأمل والرجاء المستفادين من حرفة الطب فلا يستطيع أن يخلص من أثر المشاهدة للمريض والمكافحة للمرض . وإذا كان السيد يحاكى المسود كما يقول الاجتماعيون فشعر الدكتور ناجى فى ساعة إخلاده إلى نفسه واستجماعه ألوان تأثره - شعره هذا يحاكى أنين مرضاه وتوجعهم

نوع الشعور الذى يبشر به هذا الطبيب الشاعر هو التفريج عن الهم بالتعبير عنه

لذلك يعنيه صدق التعبير وهو من أدق الشعراء المعاصرين إبرازاً للفكرة محدودة بحدودها فى تصوره ، فليس فى شرح شعره مجال للتأويل وليس فيه شىء من الغموض . ولكن مجال الحياة التى ينظر إليها وينقدها مجال شديد الضيق؛ وفى نفس ناجى ثورة مكبوتة منشؤها أنه لم يقل كل ما يريد أن يقول . فهو مع أمانته فى الإفضاء عما شعر به فيما قال لا يزال يختزن الكثير من التجاريب والمشاعر ويمنعه حرصه على صدق الأداء أن يقول اللفظ حائماً حول معناه أو قريباً منه أو شبيهاً به فيفرج عن نفسه بوسيلة ما بالتعبير عنها . وسيظل هذا الكبت ما دام محترفاً حرفة الطب التى تشغل الوقت كله والفكر كله ، ولكنها لا تشغل كل المشاعر

هذا ما يقوله ناقده عنه وناقده هو الدكتور زكى مبارك فإن لم يكنه فقد كان الواجب أن يكونه

أما ملحنه فهو الشاعر الموسيقار صالح جودت

صوت

ليلى العريقة فى المراض ... بيضاء شاحبة البياض
مصفرة العينين تتـ ... قل بالدلال وبالتغاضى
مكنونة ليست تعـــد ... من الطوال ولا العراض
فإذا رأيت ذبولهـــا ... أبصرت نرجسة الرياض
وإذا سمعت أنينها ... شاقتك ضفدعة الحياض
أصغى فيبعث صوتها ... كل انشراحى وانقباضى

الشعر للدكتور ناجى وفيه لحنان أحدهما لم يسمع قط ، والآخر لم يصنع بعد : وكلاهما من صنعة الأستاذ صالح جودت .

« يتبع » عبد اللطيف النشار

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



في مثل هذا الجو الذي كدرته دسائس الماكرين والطامعين ، راحت وزارة البارودى تعالج ما كانت تشكو منه البلاد ، ومن ورائها نواب الأمة يشدون أزرها ، وإنهم ليعلمون ما كان يحيط بوطنهم من الكيد والإعنات .

وأحس البارودى من أول الأمر بتزايد الجفاء بينه وبين الخديو . فما كان ليسيغ توفيق أن يصبح الأمر بينه وبين الوزارة قائماً على أساس غير ما ألف من مبادئ السيطرة ونوازع الاستبداد ؛ ولكن الوزارة استعاضت عن معاونة الخديو بمؤازرة البلاد ...

وكان أول ما واجهته الوزارة من الصعاب بطبيعة الحال هي مسألة الميزانية ؛ أو بعبارة أخرى لائحة المجلس التي بسببها استقالت وزارة شريف ؛ أو على الأصح أجبرت على الاستقالة . ويجمل بنا أن نأتي بالحديث على سرده في هذه المسألة لنتبين إلى أي حد كان افتيات الدولتين على البلاد، وليرى الذين رموا حركتها الوطنية ورجلها بمختلف التهم مبلغ ما في مزاعمهم من جهل أو عدوان .

جاء في خطاب شريف باشا الذي تقدم به إلى المجلس بعد انعقاده ؛ وقد خطت الحركة الوطنية خطوة واسعة بعد يوم عابدين قوله : « فإنه لم يحجر عليكم في شيء ما ، ولم يخرج أمر مهم عن حد نظركم ومراقبتكم . إنما لا يخفا كم الحالة المالية التي كانت عليها مصر مما أوجب عدم ثقة الحكومات الأجنبية بها ، ونشأ عن ذلك تكليفها بترتيب مصالح ، وتعهدها بالتزامات ليست خافية عليكم ، بعضها بعقود خصوصية ، والبعض بقانون التصفية . فهل يتيسر للحكومة أن تجعل هذه الأمور موضعاً لنظرها أو نظر النواب ؟ حاشا لأنه يجب علينا قبل كل شيء القيام بتعهداتنا وعدم خدشها بشيء ما ، حتى نصلح خللنا ، وتزداد ثقة العموم بنا ، ونكتسب أمنية الحكومات الأجنبية . ومتى رأت منا تلك الحكومات الكفاءة لتنفيذ تعهداتنا بحسن إخلاص بدون مساعدتها . فنتخلص شيئاً فشيئاً مما نحن فيه » .

بهذه الكلمة مهد شريف لخطته فيما يتعلق بلائحة المجلس ، أو ما نسميه نحن دستوره ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالميزانية . ثم جاءت اللائحة تنص على أن : « لمجلس النواب أن ينظر في الميزانية ويبحث فيها ، وتعتمد بعد إقراره عليها وعلى رئيس المجلس أن يبلغ ذلك إلى ناظر المالية لغاية اليوم العشرين من شهر ديسمبر بالأكثر » .

« ولا يجوز للمجلس أن ينظر في دفعيات الويركو المقرر للأستانة أو الدين العمومي ، أو فيما التزمت به الحكومة في أمر الدين بناء على لائحة التصفية أو المعاهدات التي حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية » .

هاتان هما المادتان : الثالثة والثلاثون ، والرابعة والثلاثون ؛ من لائحة المجلس . وبمقتضى أخراهما يحرم المجلس من النظر في نحو نصف الميزانية ، لأن هذه الأبواب المستثناة من الميزانية كانت تقرب من نصفها .

ولقد كان المجلس يطمع في أن ينظر في الميزانية دون أن يستثنى منها شيئاً ما دام هو القيم على حقوق البلاد . ولكن الحكمة قضت عليه أن يتواضع فيقبل لائحة شريف على ما بها من نقص . ففعل ذلك ولكنه لم يفد من حكمته وا أسفاه شيئاً ... فقد كبر على الدولتين أن ينظر المجلس في أي جزء من الميزانية ، فرمتاه بالمذكرة المشؤومة التي كان من نتائجها ما رأينا من تطرف المتدلين

وثورة المتطرفين ، والتقاؤهما جميعاً ، وتمسكهما بالنظر فى الميزانية مهما يكن من العواقب . الأمر الذى طاح بوزارة شريف ، وأحل محلها وزارة البارودى ...

وجاءت وزارة البارودى . فلم يكن أمامها إلا طريق واحدة : هى السير وفق رغبة النواب ، والرأى الوطنى العام فى البلاد . نخطت تلك الخطوة مستندة إلى مؤازرة الأمة لها معتمدة على حقها. فكان ما قررته فى مسألة الميزانية ما يأتى : « لا يجوز للمجلس أن ينظر فى دفعيات الوركو المقرر للآستانة أو الدين العمومى أو فيما التزمت به الحكومة فى أمر الدين بنـاء على لائحة التصفية أو المعاهدات التى حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية »

« وترسل الميزانية إلى مجلس النواب فينظرها ويبحث فيها (بمراعاة السند السابق) ، ويعين لها لجنة من أعضائه مساوية بالعدد والرأى لأعضاء مجلس النظار ورئيسه ، لينظروا جميعاً فى الميزانية ويقرروها بالاتفاق أو بالأكثرية » .

ووافق المجلس على اللائحة الجديدة التى تقدمت بها إليه وزارة البارودى ، وكان هذا الرأى الأخير ، أعنى تكوين لجنة من أعضاء المجلس مساوية فى العدد لأعضاء مجلس النظار قد عرض كحل من الحلول على وزارة شريف . فأبت الدولتان قبوله ؛ فلما قضت وزارة البارودى فى الأمر حسب مشيئة النواب ، ثارت ثائرة الدولتين اللتين جاءتا لنشر روح المدنية والحرية فى الشرق !

ولقد جعلت الوزارة الأمر للأمة فيما إذا وقع خلاف بين المجلس والوزارة . فنص فى دستور المجلس أو ما سماها اللائحة على ما يأتى : « إذا حصل خلاف بين مجلس النواب ومجلس النظار ، وأصر كل على رأيه بعد تكرار المخابرة وبيان الأسباب ، ولم تستعف النظارة فللحضرة الخديوية أن تأمر بفض مجلس النواب وتجديد الانتخاب على شرط ألا تتجاوز الفترة ثلاثة أشهر من تاريخ يوم الانفضاض إلى يوم الاجتماع . ويجوز لأرباب الانتخاب أن ينتخبوا نفس النواب السالفين أو بعضهم » .

« وإذا صدق المجلس الثانى على رأى المجلس الأول الذى ترتب الخلاف عليه ينفذ الرأى المذكور قطعياً » .

هذا هو الحل الذى عالجت به وزارة البارودى مشكلة الميزانية والذى من أجله حقت عليها لعنة الدولتين ، وحق عليها عقابهما . مع أنه لا يمكن أن يكون هناك تساهل فى مثل هذا الأمر ، وفى مثل تلك الظروف من هذا الذى جرت عليه الوزارة .

هؤلاء نواب شعب يجتمعون باسمه للنظر فى صالحه، فكيف يتسنى لهم ذلك إن لم يكونوا قوامين على ماليته وهى أساس كل شىء ودعامة كل إصلاح؟ وكيف يكون الحكم قائماً على أساس ديمقراطى إذا حيل بين نواب الأمة وبين النظر فى الأموال التى تجبى من أفرادها؟

وإذا كانت لمصر ظروف خاصة ناشئة من ديونها التى لم يكن لأهلها يد فيها ، فأى شىء كان يطمع فيه من نوابها أكثر من أن يتركوا ما يتعلق بالدين دون تدخل فيه ؟

ولكن الدولتين كانتا تحاربان المجلس فحسب مهما بلغ من اعتداله وحكمته . كانتا تحاربانه ، فتحاربان فيه الوطنية المصرية والقومية المصرية ، لأنهما إن نمتا وازدادتا قوة ، ضاعت الفرصة ، وخرجت مصر سالمة مما كان يدبر لها ! أنظر إلى الاحتجاج الذى كتبه المراقبان الأجنبيان فى ١٢ يناير سنة ١٨٨٢ عندما علما نية النواب فى وزارة شريف، قالا[1]: « يظهر أن مجلس شورى النواب يتهيأ لأن يطلب حق تقرير الميزانية ، ولهذا نرى من واجبنا أن نقول : إن إعطاء النواب هذا الحق ولو اقتصر على الإدارات والمصالح التى لم تخصص إيراداتها للدين يفسد الضمانات المعطاة للدائنين . لأنه سيكون من نتائجه الضرورية أن تنتقل إدارة البلاد من يد مجلس النظار إلى يد مجلس النواب » .

ولا تسل عن مبلغ غضب هؤلاء الطامعين الكائدين لمصر من وزارة البارودى حينما حلت المشكلة على النحو المتواضع الذى بيناه، فلقد انطلقت ألسن الساسة منهم مع ألسن السفهاء من مراسلى الصحف بكل فاحشة وجارحة فى الوزارة والنواب جميعاً على نحو خليق بأن تخجل منه الإنسانية . فهذا نظام موضوع بأسره تحت سيطرة جيش ثائر كما صوره كلفن فى تقاريره ؛ وهذه وزارة جامحة تسوق مصر إلى الخراب ، وهؤلاء نواب لا يعرفون من معانى الوطنية إلا التعصب الأعمى فضلاً عن جهلهم وضيق عقولهم .

كتب ماليت يصف النواب[2] : « إن ما يتظاهرون به من طموح إلى العدل والحرية قد انتهى بأن حلت سلطة الجيش الغاشمة محل كل سلطة مشروعة » .

وقال كوكسن يصف قانون الانتخاب الذى وضعته الوزارة السامية : « إن الغرض منه فى هذا البلد أن تكون كل المزايا

(١) مقدمة التاريخ السرى : وهذه الفقرة عربها الأستاذ عبد القادر حمزة عن كتاب دى فريسنيه « المسألة المصرية » .

(٢) المسألة المصرية تعريب الأستاذين : العبادى وبدران

الانتخابية لمن رشحتهم السلطة الحاكمة ، والسلطة الحاكمة الآن هي سلطة الجيش » .

وأوعز ماليت إلى وكلائه في الأقاليم أن يكتبوا تقارير عن مبلغ ما وصلت إليه الحال من سوء في البلاد ، وأرسل تلك التقارير إلى حكومته ، وبلغ من الجرأة على الحق ، بل بلغ من صفاقة أحد هؤلاء الطامعين لتغلب الجشع الاستعماري على لبه أن كتب يندد بإلغاء الكرباج فقال وما أعجب ما قال[1] : « إن الحاكم الشرقي إذا حرم كرباجه ، وحظر عليه أن يسجن من يشاء عجز عن سياسة قوم اعتادوا منذ القدم أن يخضعوا لحكومة فردية قوية . إن الطريق الذي سارت فيه الحركة منذ عام ، جعل الفلاح يعتقد أنه يستطيع الوصول طفرة إلى ما يسمونه له حرية ، في حين أن ما اكتسبته هذه الحركة من قوة جديدة بإسلام أزمة الأمور إلى طائفة من الخياليين النطريين جعل أثرها في السلطة على وجه العموم أثر الماء تصبه على قطعة من السكر » .

هذا هو ما قاله ذلك الإنجليزي الذي تفتخر دولته بأنها سبقت الدول إلى الحرية ، والتي ما فتئت منذ عهد كرومر في مصر تفاخر بأن معتمدها هذا هو الذي أبطل الكرباج في هذه البلاد !

وإنا لنسأل الذين يقرأون هذه المفتريات ، والذين يتتبعون أساليب انجلترة وفرنسا في الكيد لمصر – نسأل هؤلاء السادة – الذين يعلمون هذا ، ومع ذلك يعيبون على عرابي وزملائه تطرفهم : أكانوا يفعلون غير ما فعل عرابي وأصحابه إذا كانوا يحبون أوطانهم حقاً ، وكانوا يعيشون في مصر في تلك الأيام ؟

أما الذين كانوا يجهلون تاريخ هذه الدسائس التي كانت تبثها انجلترة في مصر ، وحملوا لجهلهم بها على عرابي ما حملوا مجاراة منهم لما أشيع عنه ، فحسبنا أن نريهم حقيقة الأمر ونكل المسألة بعد هذا إلى فطنتهم وضمائرهم .

وما ندافع عن عرابي إلا لأننا نعتقد أنه ظلم ، وأن الذين ظلموه هم أعداء البلاد الذين استباحوا ذمارها وألحقوا بها الذل والهوان ، وما يجدر بمصري وبلاده فقيرة في الأبطال أن يشايع الذين حاولوا أن يمسوا بالباطل تاريخ رجل كانت البطولة في مقدمة صفاته .

على أنه ما كان لباطل أن يطمس نور الحق إلا أن يطمس ظلام الليل نور النهار ؛ وهيهات أن يتفجر نور النهار ولا تذوب في أمواجه الوضاءة المشرقة ظلمة الليل ، وإن تراكمت من قبل بعضها فوق بعض . . .

ولقد جعل الكائدون لمصر الجيش هدفهم فيما راحوا يشيعونه من مفتريات . أنظر إلى قول ماليت في تقرير له عن : « تزايد اختلال الأمن في البلاد لقلة اكتراث الأهالي بأولياء الأمور الملكيين ، ويعزى ذلك إلى سلوك رجال الحزب العسكري الذين لا يعاملون زملاءهم الملكيين بالاحترام الضروري لإدارة البلاد ، وقد أخذت الرشوة تعود إلى سابق عهدها بين الموظفين ، ومما يساعد على انتشارها كثرة التغيير والتبديل في كبار الموظفين » . . . ثم يقول في وصف ما زعمه من الضيق الذي وقع فيه الفلاحون في سبيل الحصول على المال : « ويعزو الملاك قلة رؤوس الأموال وما هم فيه من الضيق إلى سياسة الحكومة الحاضرة التي لا تبعث على الثقة بها ، ويجهرون بأنهم إذا عجزوا عن دفع الضرائب فالتبعة واقعة على الوزارة » .

وليس عجيباً أن يسلك كلفن وماليت وأشياعهما هذا المسلك في الطعن على الوزارة ، وقد أدركا ما كانت تنويه حكومتهما من العمل على تمهيد السبيل للتدخل المسلح بعد هذا التدخل السياسي

ولقد كانت تلك المذكرة المشؤومة خطوة واسعة نحو هذا الغرض المرسوم . فبسببها كان لا بد أن تتفاقم الحوادث لتصل بالبلاد إلى كارثة الاحتلال . كتب قنصل فرنسا إلى حكومته يوم ٢٩ يناير يقول : « إن الرغبة البادية على مجلس النواب من جانب في أن يصير برلماناً ، والخطة القوية التي رأت الدولتان من جانب آخر أن تختاراها ، والتي كانت مذكرة (٧ يناير) تعبيراً عنها ، هما السببان الجوهريان اللذان اصطدم كل منهما بالآخر . فأوجدا الموقف الحالي » . وكتب في يوم ٦ يناير يقول : « يمكن أن يقال إن الانقلاب الذي أحدثه مجلس النواب المصري جواب منه على مذكرة (٧ يناير) . فلقد أعلنا في هذه المذكرة أننا نحتفظ بالنظام الحالي ضد الجميع . فأجاب المجلس على ذلك بأن غير هذا النظام تغييراً جوهرياً . وبذلك وضعنا أنفسنا في موضع صارت الضرورة قاضية علينا فيه بأن نتدخل أو نعدل سياستنا » .

وهذا الذي ذكره ذلك القنصل يصور الحال تصويراً صادقاً ، وما كان موقف الدولتين يخفى على أحد من الوطنيين ، وعلى ذلك يقضي الإنصاف على الذين يحكمون على أعمال رجال ذلك العهد ، وفي مقدمتهم عرابي أن يضعوا في أذهانهم قبل كل شيء أطماع هؤلاء الساسة ، وأن يصوروا تلك الأعمال على هذا الأساس .

« يتبع »

الخفيف

[1] المرجع السالف .

بـــــــــنزايون

ابتـــداء من ٢ يوليو ســـنة ١٩٣٩

فرصـــــة عظيـــــمة

تنزيـــل هائـــل فى الأسعـــار

أمثلة من بعض الأسعار

الحرابر

ص

كريب سابليه مشجر عرض ٩٠ سم تشكيله كبيرة
تضحى بسعر ١١½ المتر

كريب ماروكان فانترى عرض ٩٠ سم ٣٥ لون
آخر موده سعر استثنائى ١٠½ «

كريب دى شين لنجرى عرض ٨٠ سم جميع الألوان سعر ٧½ «

كريب دى شين عرض ٩٠ سم سعر خصوصى للاوكازيون ٦⅔ «

كريب اسبور فاسونيه عرض ٧٥ سم تشكيلة جميلة جداً سعر ٩ «

الأصواف والأجواخ

قماش فريسكو قابل للغسيل عرض ١٤٠ سم ألوان
موده سعر استثنائى ١٩ «

أصواف انجليزية فانتزى للتضحية سعر ٤٢، ٣٠، ٢٨، ٢٤، ٢٢ «

حرير لزوم البدل والتايور عرض ١٤٠ سم صنف
جيد سعر ٤٥، ٤٠، ٣٥ «

تيل لزوم البدل والتايور عرض ٧٠ سم صنف متين
سعر ١٤، ٧½ «

جميع الفضل تصفى بأسعار زهيدة

الأقطان والملونات

ص

فرال مشجر رسومات جميلة انتهزوا الفرصة بسعر ٢¼ المتر

بوبلين مقلم سعر استثنائى ١٩ مليم «

زفير مقلم بسعر لم يسبق مثله ٢١ « «

باتسته مطبوعه عرض ٧٥ سم سعر ٢٣ « «

كريتون مشجر طلب الفضل سعر ٢٥ « «

البياضات

مـ

ملاية سرير مقاس ١٩٠ × ٢٥٠ سم سعر استثنائى ١٧ الواحدة

فوطة وجه ابونج مقاس ٥٥ × ٨٥ سم سعر استثنائى ٣٣ مليم «

شكير مقاس ١٠٠ × ٢٠٠ سم للشهرة سعر ١٣ قرش «

برنس حمام بسعر لم يسبق مثله سعر ٢٨ « «

استور فيليه مقاس ١٣٠ × ٢٥٠ سم سعر ١٦½ « «

دمور عرض ٩٠ سم (التوب ٣٠ يارده) سعر ٤٩½ « التوب

دبولان نمرة ٩ (التوب ٤٠ ياردة) سعر ٩٥ « «

المحدورات

قميص اكسفور تشكيله كاملة جميع المقاسات سعر الرجال ١٣½ الواحد
وسعر الأولاد ١٠½ «

بيجاما اكسفور جميع المقاسات تشكيلة واسعة جداً سعر الرجال ٢٥ «
وسعر الأولاد ٢٠ «

كيلوت حريمى صنف جيد جداً غير قابل للتنسيل
تشكيلة كاملة من الألوان والمقاسات سعر ٥½ «

شراب حريمى حرير طبيعى ألوان مودة ومشكله سعر ١٤ الجوز

« « « اصطناعى جميع الألوان « ٦ «

فانلا رجالى اسبور صنف ممتاز « ٤ الواحدة

شراب رجالى قطن صنف جيد تشكيلة كبيرة « ٢ الجوز

المفروشات

تيل مراتب مقلم عرض ١٣٠ سم للتضحية سعر ٥⅔ المتر

كريتون مطبوع عرض ١١٥ سم رسومات جميلة سعر ٦ «

قطيفة فرش مشجرة عرض ١٣٠ سم للتصفية سعر ١٧ «

حرير فرش فانتزى عرض ١٣٠ سم انتهزوا الفرصة « ٢٠ «

أكثر من ٦٠٠٠ فضـــلة للتصفية باسعـــار زهـــيدة

بمحلات بـــــــنزايون الـــكبرى

وبفروعهـــا العشر



الرقص قديما وحديثا

للأستاذ محمد السيد المويلحي

ينظر الشرق فى هذا الزمن إلى فن الرقص نظرة احتقار واستنكار لأنه لا يعلم عنه أو لا يحب أن يعلم عنه إلا أنه مجلبة للهو والسرور ، وإرضاء للغرائز الحيوانية ، ثم هو يعتقد اعتقاداً يبلغ حد الإيمان — ولعله صادق — أن جميع محترفات الرقص من الطبقة الفقيرة التى لا تكترث لعوامل الشرف والتقاليد لا كثيراً ولا قليلاً ... أولئك اللائى لا يرقصن لأنهن يجدن فن الرقص ويلممن بأنواعه الكثيرة ، بل لأنهن يرقصن لملء البطون وستر الجسوم وإرضاء الرجال ليس إلا ... !

هو لا يعلم أو لا يحب أن يعلم أن الرقص من أروع الفنون وأبدعها إن لم يكن أروعها وأبدعها جميعاً ، فقد ظهر مع الإنسان الأول «على الأرض» من غير تعليم أو تدريب ، ومن غير قواعد مرسومة أو أصول موضوعة ، ومن غير أن يعرف أن هذا الذى يقوم به ويؤديه سيصبح مع مرور الزمن وكر الدهور فنًّا ككل فن آخر له قواعده وأصوله ، وقيوده وحدوده ...

فالطفل الصغير الذى لا يفرق بين الجمر والتمر ، تراه إذا صفا ناغى وناجى وأخذ يهز جسمه ، ويحرك رأسه ، ويلعب بيديه فى حركات رتيبة منتظمة تعطى للناظر صورة بديعة (للرقص) الساذج الفطرى الذى يجرى مع الدم ويتحرك مع كل حركة للطفل حركات مضبوطة (موزونة) كأنما تعلمها وتلقنها عن مدرس ماهر!

والعجيب فى الأمر أن تلك الحركات الطبيعية التى تصدر عن الطفل لو وزنت (فنيًّا) وقدر لها مثلاً (نواراً) زمنيًّا لكل حركة لرأينا أنها تجرى على هذا النمط ، وعلى هذا التقدير دون أن تزيد أو تنقص أو تخل بهذا الحساب الدقيق !

هذا الطفل بذاته لو غضب ، أو خاف ، أو تألم لعبر عن غضبه وخوفه وألمه بحركات تختلف تمام الاختلاف عن أختها ، ولأعطانا صوراً مختلفة صادقة لهذا الفن الطبيعى الذى يجرى مع دمه كما قلنا والذى يسجل خلجاته تسجيلاً دقيقاً لأنه يقوم فى هذا الدور مقام الكلام ومقام التعبير ...



ش (١) الرقص الجميل
راقصات ومصفقات من نقوش الدولة القديمة

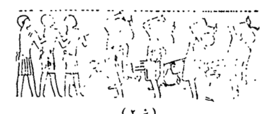
والصبى الصغير الذى لا يفهم من الدنيا إلا أنها أكل وشرب ولعب ولهو ويقظة ونوم تراه إذا سمع لحناً أو عزفاً (رقص) معه وتابع موسيقاه وتنقل معه من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام بإتقان يثير الدهشة ويبعث على العجب والحيرة عند من لا يعلمون أن الصبى لم يفعل شيئاً أكثر من أنه أسلم حواسه وأدمج خوالجه حتى نسى نفسه ونسى كل شىء يحيط به إلا هـذا اللحن الذى حرك هذا الشىء الخفى الذى يجرى فى دمه وهو الرقص ...!!

* * *

والمرأة والرجل ، والفتاة والشاب ! ! ما بال الجميع عند ما يسمعون (الموسيقى) التى تلائمهم وتوافق ميولهم يتمايلون برؤوسهم ويضربون الأرض بأرجلهم ويحركون أصابعهم وأيديهم فى حركات منتظمة مستمرة ؟ ؟ إنه الرقص الذى يجرى مع الدم والذى تؤديه الأجهزة العصبية فى حركات غير إرادية ! !

(والزار) الذى يقولون عنه إنه ترضية للجن حتى تترك الأجسام أو تعفو عن أصحابها فيبرأون من أمراضهم (وكساحهم)

لو أسقطنا من حسابنا الدجاج الأبيض (أبو منقار أحمر وذيل أصفر) والخروف البنى الذى لاشية فيه ، والحمام اليمنى الذى يرضى عن صوته الجن ، والدم الذى يشربه المريض ويلوث به ملابسه وجسمه ... لو أسقطنا من حسابنا هذا والبندق والفستق والفطير والبلح ، ألا يبقى غير الطبل والرقص المنتظم تثنى له المرأة وتنقبض وتنبسط فى حركات إيقاعية سليمة ؟؟



(ش ٢)

رقص من نقوش الأسرة السادسة تستخدم فيه الرءوس المصفقة

قلنا إن الرقص فن فطرى نشأ مع الإنسان من يوم أن خلقه الله وقد كان قدماء المصريين يستخدمونه فى لهوهم وحزنهم ، وحروبهم وقرابينهم ، وعبادتهم لآلهتهم لأنه كان عندهم فى منزلة التقديس ... تحترمه الكهنة وتعتقد أن الآلهة لا تقبل الصلاة ولا القرابين إلا إذا سبقها ، الرقص لذلك كانوا يسمحون به ويشجعون عليه . وقد بلغ أنواعه فى الدولتين القديمة والحديثة أكثر من عشرة أنواع كل منها يقوم على أساس مكين من الفن الصحيح الذى نقلته أوربا عن أوائلنا وأهم الأنواع :



(ش ٣) الرقص الفنى

راقصات من نقوش الأسرة الخامسة

١ — الرقص الجميل ، وكانت تقوم به النساء شبه عاريات إلا ما يستر عورتهن وكن يحلين صدورهن ونحورهن بالحلى والأربطة ، ويرتدين بعد ذلك ثوباً شفافاً طويلاً وإن كان لا يستر شيئاً إلا أنه كان يزيدهن فتنة وسحراً ، وكان رقصهن رقصاً مهذباً بديعاً راقياً يمتاز بالبطء والرشاقة ، وكان على شكل جماعات تتجه اتجاهاً واحداً الواحدة خلف الأخرى كما يتضح من الشكل رقم (١) وكان بعضهن يصفق ليحفظ الإيقاع الموسيقى .

٢ — الرقص السريع ، وكان يقوم به الرجال فى حركات سريعة منتظمة قابضين بأيديهم على قطعتين صغيرتين من الخشب تقرع فى أثناء الرقص قرعاً متتالياً سريعاً يتمشى مع حركاتهم ش (٢)

٣ — الرقص الفنى (الكلاسيك) ، ويمتاز بنشاطه ولونه الفنى البديع وجماعاته المنتظمة . وهذا الرقص الذى ابتكره قدماء المصريين من آلاف السنين هو الذى نقلته أوربا الحديثة عنهم واستعملته فى أوبراتها وسمته Ballet ...! ش (٣)



(ش ٤) رقص الصور الحية

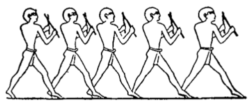
من نقوش الدولة الوسطى ، مدافن بنى حسن

٤ — الرقص الحى ، وهو أبدع أنواع الرقص القديم لأنه كان ترجماناً صادقاً للتفاعيل الطبيعية والخوالج النفسية فكان يمثل الانتصار والانحدار فيجثو المغلوب خاشعاً خاضعاً تحت قدمى الغالب كما ترى فى الشكل رقم (٤) الجزء الأيمن ، وكان يمثل زقزقة العصافير ، وتغريد البلابل ومداعبة النسيم للأغصان كما ترى فى الشق الثانى من الشكل (٤) ... !

٥ — وهناك أنواع مختلفة عرفها قدماء المصريين ، منها : رقص الحصاد وكان يقوم به الرجال وهم يصفقون بالأذرع المصفقة الواحد خلف الآخر فى اتساق ونظام ، والرقص بالآلات الإيقاعية كانت تقوم به نساء ذوات دل ، وكن لا يرتدين إلا غلالات شفافة تنم عن جسوم غضة بضة يرقصن ويعزفن فى آن واحد ، والرقص بمتابعة الصاجات والرءوس المصفقة وكان الراقص غير العازف كما ترى فى شكل (٦) ضارب بالصاجات (الأول من اليمين) ثم راقص ومصفق وضارب بالرءوس المصفقة ... والرقص الحربى وتتمثل فيه القوة والعظمة ، ويظهر فيه الجبروت

هذه هى أهم أنواع الرقص المصرى القديم أما أهم أنواع الرقص الأوربى والأمريكى فهى :

الفالس ، سلوفالس (بوستون) التانجو ، الرومبا ، الكاريوكا الفوكس تروت ، سلوفوكس ، اللامبتوك ، الشارلستون ، الشيمى ، سونج ، بج آبل ، جاقا ، وان استب ، توستبس (بازودوبل) ، فايف ستبس ، جيج ، لانسيه ، كادرييه ، بلوز ، مازوركا ، كلاسيك دانس ، دانس سور بوانت ، كونتننتال ... !



(ش ٥) رقص الحصاد بالقضبان المصفقة .
من نقوش الأسرة الخامسة مقبرة رقم ١٥

وفيها القديم والجديد وفيها المنقول عنا كما قلنا وفيها المنقول عن زنوج أمريكا كرقصة (الرومبا) وهى قريبة جداً من رقصة (شنجا) التى يرقصها العبيد والتى يسميها العامة من المصريين (شنجه رنجه) ... !

وأهم ما يلاحظ فى هذه الرقصات كثرة اللف ، والدوران ، والحركة . والطابع الذى تمتاز به هو طابع النشاط والرياضة العنيفة أحياناً كرقصة الدانس سوربوانت وتقف فيها الراقصة طول الوقت على أصابع القدمين ... !

* * *

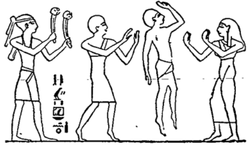
على أن هناك رقصات داعرة ماجنة تشمئز منها الأخلاق ، وتنفر منها التقاليد كرقصات البج آبل . اللانسيه والكادرييه وتكون فيها البطن فوق البطن ، والصدر فوق الصدر والفم قرب الفم وتلعب فيها الحيوانية دوراً كبيراً ولا يقوم بها إلا الشباب والشواب الذين يفيضون بالحيوية الكاملة ، وبالجرأة المستهترة وبعدم الاكتراث بما يقال أو يثار وتحرم هذه الرقصات بعض الشعوب الأوربية كالإنجليز

أما الرقص الشرقى والمصرى الحديث ونعنى بالحديث الذى نراه فى هذا العصر فلا يخرج عن الرقص الإيقاعى الذى أدخلته وزارة المعارف فى برامج مدارس البنات ورياضة الأطفال وهو رقص بديع أشبه بالألعاب الرياضية منه بالرقص ، والرقص البلدى ويقوم به عامة الشعب وبخاصة من طبقة الصعايدة (والفتوات) وهو أشبه الأشياء برقص الحصاد الذى كان يؤدى فى الزمن المصرى القديم ويمتاز بمزف (الوحدة الثابتة)

وأما رقص الراقصات المصريات والشرقيات فلا شيء فيه من الفن أبداً ، ولا غاية من ورائه ، ولا غرض من أدائه إلا إرضاء الرجال والاستحواذ على (جيوبهم وقلوبهم) !

فالجمهور لا يصفق للراقصة ولا يشتد وينالى فى تحيتها والإشادة باسمها إلا بقدر ما وُهبت من جمال ، وبقدر ما تتمتع به قامتها السمهرية من اعتدال ، وبقدر ما توزع من بسمات ، وبقدر ما تمنح من لثمات ! ..

فالرقص هنا لا يعتمد على فن أو ذوق أو رياضة ، وإنما يعتمد على هز الصدور ، ورج البطون ، واستفزاز أحط الغرائز ، وتنبيه (الحيوانية) تنبيهاً عنيفاً صاخباً يدفع الموظف الفقير إلى سرقة مال الحكومة ليتمتع ولو على حساب مستقبله وبيته وأولاده ، ويحمل الفلاح الذى حصل أمواله أن يبددها ويصرفها ولو خرب بيته وطلقت زوجه ، وشرد بنوه وبناته !



(ش ٦)
من نقوش طيبة فى الأسرة الثامنة عشرة مقبرة امنمحت ، رقص تستعمل فيه احدى النساء الصاجات وهى الراقصة الأولى من اليمين

ويرى إلى هاوية الخراب والدمار شبابنا الذى لا يعرف قيمة مال أتاه من غير كد أو جهد ...

ويحفر حفرة الخيبة لكل طالب يسمح له والده بالتردد على هذه المباآت التى لا تعلمه إلا التفكير ... لا فى الدرس والفحص ولكن فى حلاوة العينين، وسحر الشفتين ونار القلب والحب !

هذا هو رقصنا (الآن) . وهو الذى تحميه الحكومة ، وتحافظ عليه وتتغاضى عن صيحات العقل التى طالبت بالغائه ...



وحى نفرتيتي

معجزة الإيمان والحب

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

١ – مع الربيع

فى إبريل من إحدى السنين ولد أدولف ، فانساق إلى الحياة مع الربيع

أول نسمة أنعشت رئتيه كانت مشربة بروح من العطر والطيب ، وأول صورة وقعت على عينيه كانت مزركشة بزخارف صاغتها يد المبدع البديع ، وأول صوت طرق أذنيه كان تنهيدة من نسمة رشيقة حنون ، وأول ما رشف من عصير الحياة كان رحيقاً من روح الثمر الطيب الذى تتبرج به الدنيا فى الربيع

ويا شقاء الذى يهبط الأرض فى الربيع ... أو ... ياسعده ؟

يتدلى إلى الدنيا فيراها أول ما يراها : باسمة راقصة ، مرتلة فرحة ، قد أسكرتها نشوة التسبيح . وهو ينطلق إليها وكله روح وكله شعور : لم يعشش فيه العقل ، ولم يُعَشِّشْ نفسه الحذر ...

فلا عجب إذا صدّق الدنيا وأحبها ، ولا عجب إذا اطمأن لها ، ولا عجب إذا بادلها تسبيحاً بتسبيح

وإن هو إلا حين ، ثم يعقب الربيع صيف ، ومع الصيف نفحات من سعير ؛ ثم يتلو الصيف خريف ، ومع الخريف أشباح من فناء معتم مخيف ؛ ثم يعقب الخريف شتاء ، ومع الشتاء صقيع من موت معربد ينخر الصدور

ولكن وليد الربيع يحتضن صورة الربيع ، فمهما تلونت الحياة بين ذراعيه ، ومهما أفاق لها مع الحادثات فرآها الحرباء التى لا تثبت على لون . . فهو لا يزال يرجو منها الخير ويأمل أن تعاوده صورة الربيع

وإنها لتعاوده . توافيه وتبارحه ؛ وعلى أمل لقياها وفى ذمة فرحتها يصبر على شقوتها وعلى وحشة ظلمتها

أحبها . ومن حبه لها استشف الحسن فى قبحها ، والخير فى شرها ، وما فيها من شر ! وإن هى إلا صور !

ولكن الناس يعقلون ! يعقلون أنفسهم وأرواحهم ! وهم من شدة تعقلهم يتمترون

يا ليتهم جنوا كما جن وليد الربيع !

٢ – فناله

فى معسرة أحب أدولف أن يستكمل من لوازم العيش حاجته ، وأن يصارع على صدر الزمان فاقته ، فلم يعتنق إلا ريشته ...

وهذا هو رقصنا الذى يستنزف أموالنا ويخرب بيوتنا ويدفع شبابنا إلى التخنث والتزين ثم الهلاك ...

الحكومة تطارد الباعة الذين يكسبون (الملاليم) بعرق جبينهم ليصرفوها على أولادهم وزوجاتهم ، ولا تطارد الراقصات اللاتى لا عمل لهن إلا الخراب لكل من يحتك بهن .!

الحكومة تحذف بعض المناظر الهينة اللينة من روايات بعض المصريين المساكين ولا تحذف هذه الدعارة وهذا الطاعون الذى يفتك بصغار تلاميذنا ومجانين وارثينا ، والساذجين من عمدنا وفلاحينا ... !

***

هذا هو الرقص عندنا ويا له من رقص لم يعلمه أو يلهمه إلا الشيطان ! !

محمد السيد المويلحي

(ملحوظة) : الصور المصرية القديمة من كتاب موسيقى قدماء المصريين للدكتور الحفنى.

طرق أقرب الأبواب منه ولم يكن إلا باب الجمال والفن ... فرحب به الجمال ، وأكرم الفن وفادته

حقاً إنه لم يكن في المصورين بارعاً مبرزاً . . . ذلك أنه روى من الفن سجعته وقوت صنعته ، وما كان الفن إلا فطرته

٣ — محارب

وزلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وصبت الأقدار أهوالها ، فخف صاحبنا لها مشدوهاً يلاطم أوحالها ، يغربل بالفن أشكالها ويلقف بالصبر أحمالها ، فلانت ونامت وقد نال منها مضاعف ما قد أهدى لها

٤ — شريد

صهره الزمن حتى لتكاد نفسه تسيل حسا ، وتراكمت تحت قدميه التجارب فرفعته ورفعته حتى لتكاد تحرق السماء هامته . حلق في جو يقصر عنه الترف والرغد . فلم يعد يرضى أن يعيش كما يعيش الناس ، ولم يعد يطيق الحياة مستنقعاً بين جنتين ، وإنما أرادها ساحة زاهية نيرة باسمة كالربيع ، راقصة مرتلة مسبحة . فسالم الناس وسالم الأرض وسالم السماء

ما كان يبغي من هذه الدنيا غير ما يمسك به الرمق فما ملأ جوفه حتى سعى ليملأ سمعه بالنغم ، وليملأ بصره بالصور . تدثر بالفن ، وأغمض عينيه ونام على الصخب يسترجع الربيع إذا غاب عنه ، ويستجديه الراحة إذا حضره

ولكنه لم يعتزم أمراً ، ولم يخلبه هدف . فراح يخبط في الشرق وفي الغرب راضياً آمناً ، ولكن رضاه وأمنه شابتهما حيرة إذ كان يحس هتافاً يتلوى في نفسه غامضاً مبهماً مبعثراً في جوانحه تعجز اللغة عن حشده وجمعه وإنشاده كلاماً ولفظاً ، ولم يكن يحس شيئاً أهنأ من هذا الغموض البنفسجي الشفاف ، فاستسلم له يداعبه ويناغيه متلمساً إفصاحه ودعوته

٥ — دعوة الحب

كان الجمال يستهويه فيستقصيه في مجال السمع ومجال البصر ومجال الحس ومجال الوعي . فكان يتردد على رياض الجمال ما يغفل روضة ، وكان يتعطف على معارج الحسن يُسرّي به فيها فيلمس من أسراره ما لا يراه غيره ، فكانت له عند كل جميل وقفة

والتقى هذا المستمشق في جولة من جولاته بتمثال رصد فيه فنان حساس لمة من لمات روح نفرتيتي فلم يملك إلا أن يسكن أمام التمثال وقد اختبل حسه وتذبذب بين نزعة الرقص للفنان والسجود لنفرتيتي ومبدع نفرتيتي

رآها أنثى قائدة موجهة فوقف بين يديها وقفة مرن عليها في الجيش ... وسمعها تسأله :

— وماذا تريد أن تصنع ؟

فقال : لا أدري

فعادت وسألته : ألست تحس شيئاً ؟

فأجابها : إني أحس

فأمرته : أن لبّ نداء حسك

وسكتت ، وشعر بها وكأنها تنصرف عنه أو تنخطف من تمثالها فتستأذن وانفرد

٦ — في الوحدة

راح يقول لنفسه :

— أما أنها حدثتني وأني حدثتها ، فقد حدثتني وحدثتها ، وأما أن هذا المعروض للناس تمثال ، فإنه تمثال لم يحدث أحداً ولم يحدثه أحد . فلا بد أنها تعرفني ، ولا بد أنها اختارتني من بين زوارها ، ولعلها تسللت من وطنها المستحي لتلقاني دون غيري ، « هي » قطعت إلى آفاقاً وآباداً فكيف أغفل عنها و « هي » تنتقل بين أعطاف الوجود باحثة عني . لا بد أنها المكتوبة لي ... وإلا فما لي لم تعجبني قبلها امرأة ... وما لي قد آمنت قسراً عني أنه لن تعجبني بعدها امرأة ؟ !

إذن ... فيا لقرب الحبيبة !

واللقاء بيدها . . . فيا رحمة الحبيبة !

عليّ أن أسترضيها . إنها طلبت مني أن ألبي حسي ، فإلى أي شيء قصدت ... وأنا ... بماذا أحس ؟ وأي حس هو الذي تفيض به نفسي حتى ليخفي ما عداه من الأحاسيس ؟

أما أنا ... فإنى محروم . إنى أرى نقائص كثيرة ويخيل إلىّ أنى أملك إصلاحها ولكنى غير متمكن من شىء أصنعه

ولست وحدى المحروم ، فإنى أشعر أن حولى كثيرين محرومون ، منهم المحروم من قوته . بل إني محاط بجمع ... بحشد ... بجيش ... بشعب من المحرومين ... إنى أعيش فى وطن محروم ... بل فى جيل محروم مظلوم . واحتمال الظلم والحرمان نقص ... ولعلها لا ترضى عن منقوص

فمن هو الظالم ؟ أين هو ؟ ...

... وخرج أدولف من حديثه مع نفسه بأن عليه عبئاً ألقاه على كتفيه أهل جنسه من الجرمان يريدون أن يتوحدوا ... وما أكبره من عبء !

٧ — معها مرة ثانية

ودلف إليها مرة أخرى فوجدها تنتظر منه إشارة تعرف بها أنه قد حدد فى ذهنه قيمة مهرها من مادة ومعنى . فأطرق خجلاً وقال :

— أليس عسيراً توحيد جرمانيا ؟

— ما من شىء فى الحياة عسير . وكل ما أردت ميسور . كان لى صهر ، وكان يحب المال ... ومع هذا فقد استطاع أن يوحد الله ... وأنا ... وقد كنت وثنية استطعت أن أعبد الله ...

— وما لله ومالى ؟ أترين أنى جدير بصنع المعجزات ؟ لقد مضى زمان المعجزات يا سيدتى

— إنك كسلان !

— كلا

— أثبت !

... وانطفأ التمثال ...

٨ — مؤمن ونائمون

وبدأ أدولف الكفاح . فجمع حوله الشباب ... وجاهد ما جاهد حتى استولى على ألمانيا ...

وقضى هذا الدهر وهو يتردد على محبوبته فلا ينعم منها إلا بومضة وبسمة من علامات الرضى

... حتى اشتاقت حكومة مصر إلى تمثال الملكة فطلبت من حكومة ألمانيا أن تعيده إلى وطنه ... يومئذ زارها فإذا هى ضاحكة تسائله :

— مالك ؟

— إنهم يريدونك فى مصر

— وما مصر ؟

— وطنك

— وطنى أنا ؟ أنا وطنى أينما كنت وإذ ما أكون . لست أحل أرضاً ولا أشغل مكاناً

— ولكنك كنت ملكة مصر

— ومصر الآن فى زاوية من ملكى

— أى إنسان أنت ؟

— كان الإنسان بعض أزيائى !

— فأى كائن أنت ؟

— إنه كائن واحد !

— ... ! وهل يفهمونك فى مصر ... هل يحسونك ؟

واضمحل أودلف وتخاذل ... وقال :

— لا يمكن ... فلتبق هنا أيها التمثال فإنى أرى فيك عجباً

... واعتذر « هتلر » لحكومة مصر وقال إنه يحب الملكة الخالدة ...

٩ — الناس يسخرون

وطابت للناس سخرية وأضحوكة ... وما أكثر المآسى التى يضحك منها الناس ويسخرون ، وما أكثر العبر التى يمرون بها غافلين متجهلين !

فن نبع من فن وأفرغ فى فن

درة من منح الله سجلها مؤمن يتعبد بالنحت ، وتلقاها عاشق متيم بالجمال والحسن فانبلج رجلاً يبهر المتعقلين والمتفلسفين ! إنه

اندلع ... وقال : إنه يحبها ولم يزد فسخروا منه ... فما باله لو قال : إنه يحادثها ...

منذ إذ أسرها !

١٠ — توت عنخ آمون

إحتل الألمان « الرين » وعاد أدولف ليلتها إلى مخدعه متعباً مضنى . وكان يحن إليها . وكان صادقاً فى حنينه . فناداها فلبته فإذا هو معها ، وإذا هى تسأله :

— أحسبك ارتحت الآن قليلاً ؟ !

— الحمد لله

— وأحسبك تريد جزاء ؟

— لا . فقد تعلمت منك تناسى الجزاء

— إذن هيا معى

— إلى أين ؟

— إلى وليمة صغيرة ... ألا تحب أن تعرف توت عنخ آمون ؟

— قد أتساقط بين يديه

— لماذا ؟

— لأنه صاحب الحق فيك

— وهل مسست أنت حقه ؟ ... تعال ... فهو يريد أن يراك ... وقادته إلى العرش وقدمته إلى الملك

— هذا هو أدولف

— مرحباً ... هل تشرب خمراً من خمرنا ؟

— قد تروقنى ... ولكنكم قد تحسنون إلى لو أسمعتمونى ترنيمة من ترانيم صلاتكم

— وماذا لو حيتك الملكة برقصة أو أغنية ؟ !

— قد تكون متعبة

— أظنه لا يتعبها ما يرضيك ... أليس كذلك أيتها الملكة ؟ ورفعت المائدة ... ورفع الملك والملكة ... وهبط أدولف وعاد إلى مخدعه محزوناً ...

لقد كان يحسن أن يتقى هذه المقابلة . إنه لم يربح منها شيئاً إلا غيرة خاطئة صوبها إليه قلب صاحب حق

... ولكن ... لا ... أو هل يمكن أن يكون قد طاب لها أن تعبث به ... ولماذا لا تكون هذه الصلة كلها من أولها إلى آخرها مؤامرة دبرتها مع نفسها ، أو أغرتها بها شيطانة عابثة . أو دبروها معاً

بدأ الشك والقلق يحزان نفسه

١١ — تخبط

إنهار المسكين !

كان قد أحس حبه المتجرد قد رسا به فى مرفأ جديد من مرافىء الوجود : كله ربيع !

رسا فيه . وهم أن ينزل إليه فإذا به يضع قدمه فى هذه الدنيا من جديد وفى بقعة من بقاع برلين .

إنه يحب برلين ، ويحب ألمانيا . إنه وطنى عنيف . ولكن حبه لوطنه لا تزيد على حبه لتمثاله ... فهل التمثال هو المقصود بالحب؟

و« مى » ... قد قالت إن وطنها القديم لم يعد اليوم إلا جانباً من مسرحها الجديد . وهو لا بد أن يكافئها ... ولا بد أن يضم إلى ملكه هذا المرفأ البعيد الذى رأى نفسه قد رسا فيه ...

فما الطريق إليه ؟ . إلى أين ؟ . إلى المرفأ البعيد ؟ أى مرفأ ؟ وأين هو ؟!

ويل أو طوبى لمن طلب البعيد !

١٢ — عتاب

فى هذا الاضطراب الموجع القاسى أخطأ بعض أصحاب أدولف فى حقه وفى حق كفاحه فقتلهم بيده ...

وليس القتل بالفعلة التى يرتكبها الإنسان ثم يسهل عليه النوم .

انتابه الأرق ليلتها وثارت به نفسه . كان صرعاه يحبونه ، وكان هو يحبهم . حقاً إنهم أخطأوا ، ولكن من فى الناس المعصوم ؟ ثم من ذا الذى منحه السلطان على الأبدان والنفوس؟.

أولا يمكن أن يكون هؤلاء الضحايا أبرياء ... من يدرى ؟!

وكيف يقتل المتطهر البرىء ؟!

العين بالعين . والسن بالسن . وإذا كان فى الغفران فضل ففضله للباذل الواهب .

فهل يغتفرها لنفسه ؟. كلا ... كلا ... فهو إذن منقوص معيب ، و « هى » لا تحب المنقوص المعيب ...

ها هى ذى ! تمد يدها بالمسدس إليه ... مد هو أيضاً يده . تناول المسدس ، ورفعه إلى رأسه ، وأطلقه . فقد أرادت « هى » أن يموت مكفراً عن خطيئته .

ولكنه كان قد استنفد الرصاص فى رؤوس صرعاه . وكانت الطلقة كاذبة . نظر إليها يعتذر عن جرأته على الحياة بعد ما أرادت ، وإذا هى تقول :

— هل رأيت ... ما كانت بك حاجة إلى قتل إخوتك بيدك فاشتر وحده كميل أن يقتل المخطئين . . لا تلطخ يدك بالدم بعد اليوم ، ولا بالدنس . وليكن منذ اليوم سلاحك الصدق ودرعك الإيمان ...

— ما هذا ؟ كأنى سأكف عن المضى فى كفاحى ... فإنما أناضل خصوماً كل منهم جبار عنيد . ولن أصل إلى ما تريدين منى إلا بعد محررة أردم بأشلاء قتلاها هذه الهوة التى تفصل ما بينى وبينك

— إذن فأنت لم تبلغ ما أريدك أن تكون . ولست إذن إلا كثيرك من المفتونين !

وغادرته يرتجف وهو يقول :

— كأنها تريد منى أن أقول للشىء كن . . . فيكون .

١٣ — تجربة

وخانه خائن جديد من إخوته المقربين...فانطلق إليه . . . ولكنه أحسها تنطلق إليه معه . . . حتى إذا جاءه ربض أمامه ، ومد إليه بالمسدس يده . فتناول المسدس الصديق الخئون وأفرغ رصاصه فى رأس بدنه ، وخر أمام صاحبه رمة لوثتها الخطيئة ، وجثت روحه عند قدميها « هى » باسمة شاكرة إذ هونت عليها سكنى الرمم فاشترت بها براح الخلود ...

فآمن أدولف بما هدته إليه صاحبته

ومع هذا فقد يحسبه حتى حواريوه من هواة الحروب

١٤ — سر نحو الخاتمة

إذن فالحق لا يقف أمامه شىء . والإيمان به هو الطريق إليه . ضمت ألمانيا النمسا . استولت ألمانيا على أراضى السوديت . . . وحدث وحدث ، وأمم الأرض كلها كانت مشفقة مما حدث ، ولكن أدولف أحدثه ولم يرق قطرة دم

وهو الآن لا يزال ينزل حقائق الحياة وحقوق الناس . وهو مشرف على الدنيا من صومعته المترفعة . . . أما إذا أقر كل حق فى صومعه « هى » راضية عنه . أما إذا طغى فقد تزوره مرة أخرى فى مخدعه تعاتبه أو تعانقه ...

بمرتبتى ملكة مصر الخالدة لا تسمح أن يصيب بلادها السوء ! ...

(القاهرة فى أول يونية سنة ١٩٣٨) عزيز أحمد فهمى



فلسفة ليبنز

ارجاع الحرارة والحركة الى أصل واحد

للدكتور محمد محمود غالى

بقاء الطاقة يجد تفسيراً فى حركة الجزيئات — عمل روبير ماير — المبدأ الثانى فى الترموديناميكا — هذا المبدأ يقرر استحالة الحياة فى مستقبل الزمن — كيف فسر بولتزمان المبدأ المتقدم — أول دعامة فى فكرة الاحتمال والمصادفة .

قدمنا كلمة عن فلسفة جديدة يحاولون بها توحيد الظواهر الطبيعية فى الكون والرجوع بها إلى قليل منها ، وذكرنا أن كل محاولة فى هذا السبيل تمد تقدماً للانسان يفوق العديد من الاختراعات التى تبهرنا أحياناً ولا يمكن أن نعتبر الكثير منها خطوة حقيقية فى سبيل التقدم ، وذكرنا حالة خاصة باكتشاف ليبنز(Leibniz) من توحيد ظاهرتى الحرارة والحركة والرجوع بهما إلى ظاهرة طبيعية واحدة ، وقد ذكرنا ذلك فى معرض الكلام عن النظرية السينيتيكية للغازات والسوائل التى استعرضناها لنثبت للقارئ فكرة الجزىء ، وشرحنا تجارب كوتون وموتون واكتشافهما للألتراميكروسكوب الذى نرى به رأى العين أثر ما تحدثه جزيئات السائل على الجسيمات الصلبة الكولويدية التى تتصادم مع هذه الجزيئات ، فنرى حركة الجسيمات مضاءة داخل نقطة من الماء كما نرى الطائرات فى الليل تضيئها أشعة قوية ، وذكرنا أن العلماء(١) توصلوا إلى تفسير هذه الحركة غير المنتظمة والدائمة للجسيمات الصلبة الموجودة داخل السائل، وحسروا الستار عن مشاهدة قديمة للعالم النباتى براون (Brown) الذى شاهد هذه الحركة منذ سنة ١٨٢٧ والتى يُروى أن الطبيعى الإيطالى سبالانزانى (Spallanzani) شاهدها من قبله

ونعود الآن إلى فكرة ليبنز، فللقارئ أن يطالبنا حتى كتابة هذه السطور بأن نقيم الدليل على فلسفته فى إرجاع الحرارة إلى الحركة ، هذه الفلسفة التى تقدمت اكتشاف براون وسبالانزى بأكثر من قرن، وتقدمت أعمال كوتون وموتون وبيران بقرنين

لقد أقامت العلوم الطبيعية على إثبات وحدة الظاهرتين والرجوع بهما إلى أصل واحد، من الأدلة ما لا يقبل اليوم جدلاً . وقد كان أول هذه الأدلة عن طريق أحد المبادئ الأساسية للعلوم وهو المبدأ القائل ببقاء الطاقة وعدم فنائها ، هذا المبدأ يعزز أيضاً النظرية السينيتيكية للحرارة بحيث أصبحت نظرية بقاء الطاقة دليلاً على فكرة ليبنز فضلاً عن إثباتها للنظرية السينيتيكية . ولقد كان ثانى هذه الأدلة تفسير بولتزمان Boltzmann لما يسمونه المبدأ الثانى للترموديناميكا وهو ما سنتكلم عنه فيما يلى ، وهو أيضاً عمل على تحقيق النظرية السينيتيكية

أما القانون القائل ببقاء الطاقة الذى يعممه العلماء الآن فى كثير من الظواهر الطبيعية فقد وجد أساسه فى بادئ الأمر فى الظواهر الميكانيكية حيث كان لروبير ماير Robert Mayer الفضل فى الكشف عن تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية تحولاً حقق وجود علاقة عددية بينهما بحيث تُعيّن دائماً كل كمية من الشغل الميكانيكى كمية من الحرارة تتناسب معها

يذكر كل الذين تخرجوا من كلية الهندسة التجربة المعروفة لتعيين المعادل الميكانيكى للحرارة Mechanical Equivalent of Heat المعروفة بتجربة جول Joule ، ويذكرون أن طاقة ميكانيكية معينة يمكن قياسها بعجلة محمَّلة تدور ، ترفع حرارة مُسَعِّر (١) وتنقل إليه كمية معينة من الحرارة تتناسب مع الطاقة الميكانيكية بحيث يكون بين الطاقتين نسبة ثابتة هى معامل جول المتقدم الذكر

(١) بعد تحميص طويل ظل عدة أعوام فى تفسير الحركة البراونية بين رمزى Ramsay فى سنة ١٨٧٦ المعروف باكتشافه للغازات النادرة فى الهواء، أن سبب الحركة مصادمات عديدة تقع على الجسم الصلب من جزيئات السائل

(١) وعاء صغير من النحاس توضع به كمية من الماء

هذا التحول من طاقة إلى طاقة كان انتصاراً لماير ، إذ أصبحت الحرارة مظهراً من مظاهر الشغل الميكانيكي . على أن هذا التحول يجد تفسيره في النظرية السينيتيكية إذا اعتبرنا أن الحرارة هي هذه الكمية من الشغل الموجودة في الحركة غير المنتظمة للجزيئات الداخلية للسائل ، أي هي هذه الطاقة الموجودة في بلايين المصادمات الصغيرة ، بحيث أن الشغل الميكانيكي هو نتيجة حركة موحدة الاتجاه للجسم ، معتبراً وحدة ، أي نتيجة حركة جزيئاته متجهة اتجاهاً واحداً

وعلى هذا فتحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة حرارية هو انتقال من حركة منتظمة إلى أخرى غير منتظمة والعكس صحيح ، بحيث أن بقاء الطاقة وعدم فنائها دليل جديد على صحة النظرية السينيتيكية التي يصح أن نطلق عليها النظرية الميكانيكية للحرارة

أما عن الدليل الثاني لفكرة ليبنز من أن الحرارة والحركة أمر واحد فقد أتى عن طريق فكرة استحدثت في العلوم الطبيعية كان لها خطرها وأهميتها وكانت فوزاً جديداً للسينيتيكية ، هذه الفكرة خاصة بما يسمونه المبدأ الثاني في الترموديناميكا وهو المبدأ الذي يعين اتجاه Sens الحوادث الطبيعية

كم من حوادث نعتبرها عادية لأننا اعتدناها فلا نسائل أنفسنا عن أسبابها . عند ما تنفصل تفاحة عن شجرة فإنها تقع على الأرض بدل أن ترتفع إلى أعلى ، ولقد كان الحادث عند نيوتن رغم بساطته لافتاً النظر وسبباً لأن نرث عنه اليوم مسائل من أعظم ما عرفه الإنسان من تفكير منظم ، أجل ، مسائل إن تزعزعت أركانها اليوم قليلاً بعبقرية أينشتاين وغيره فما زالت لها مكانتها من الصحة فيما يخص الكثير من ظواهر الكون . وهكذا عند السؤال عن سبب بعض المظاهر الطبيعية تتعين أمامنا معارف لها من الخطر والأهمية مالا يخطر ببال ، فماذا يحدث مثلاً عندما تضع يدك على جسم ساخن ؟ إن ثمة نتيجة حتمية هي ارتفاع في درجة حرارة اليد وانخفاض في درجة حرارة الجسم الساخن ، فهل تساءلت مرة لماذا يحدث هذا ؟ إننا نعلم جميعاً أنه عند ما نضع جسماً ساخناً جداً على منضدة فإنه ترتفع حرارة الجزء من المنضدة اللامس لهذا الجسم ويقابل ذلك انخفاض هين في حرارة الجسم الساخن ، ونعلم جميعاً أنه لم يحدث بتاتاً أن تفقد المنضدة شيئاً من حرارتها الأصلية لتزيد هذا الجسم الساخن حرارة على حرارته

هذا الموضوع ، على بداهته ، الذي يتلخص في انتقال الحرارة من جسم ساخن إلى جسم بارد ، يعود بنا إلى فكرة أساسية في العلوم الطبيعية ، وهي خاصة بتقسيم الظواهر إلى ظواهر عكسية Phénomènes Reversibles ، أي ممكن تحولها من حالة إلى حالة كما يمكن العودة من الحالة الثانية إلى الحالة الأولى ، وظواهر غير عكسية Phénomènes Irriversibles أي إن قبلت التحول من حالة إلى حالة فهي لا تقبل الرجوع إلى الحالة الأولى

ولزيادة الإيضاح نقول : يحوي الجسم البارد مهما بلغ من البرودة كمية من الحرارة ، ومن الجائز أن نزيد في برودته باللجوء إلى وسائل طبيعية مختلفة ، بحيث يفقد شيئاً من حرارته ، وعليه فليس ما يمنع أن نتصور أن ينقل هذا الجسم البارد جزءاً من حرارته إلى جسم حار ، بحيث يرفع الجسم البارد حرارة الجسم الحار على حساب أن يزداد هو في برودته ، ولا يتنافى هذا بحال مع مبدأ بقاء الطاقة السالف الذكر ؛ ولكن مما يلفت النظر أنه لا بد من عملية خاصة وطاقة أخرى جديدة نصرفها ليكون هذا الانتقال جائزاً ، فهو ليس أمراً طبيعياً يحدث من تلقاء نفسه .

وهكذا لم يحدث أبداً أن فكر إنسان في أن يضع قطعة من الثلج ليرفع بها حرارة فنجان ساخن من الشاي ، أو يضع عموداً ساخناً في وعاء به ماء بارد ليزيد في برودة الماء ويرفع حرارة العمود . إن الذهن العادي لا يستسيغ ذلك ، وهو يدرك بالبداهة أن عملاً كهذا ضرب من المحال ، وهو يعلم بدون حاجة للرجوع إلى المعادلات الرياضية الصعبة أن قطعة الثلج تعمل على تبريد الفنجان الساخن ، كما أن العمود الملتهب يعمل على تسخين الماء ويطفأ عادة فيه ، بحيث لم يحدث أبداً لصانعي العجلات الذين يلجأون إلى تسخين الأطواق الحديدية قبل وضعها حول أجزاء العجلة الخشبية أنه عند وضع هذه المجموعة في الماء ، ليتقلص الطوق الحديدي ويشد العجلة ، أن برد الماء وازدادت حرارة الطوق ، وإنما الشاهد أن يبرد الطوق ويسخن الماء وقد يبلغ الغليان

وهكذا تحتم المشاهدات البسيطة قبل أن تحتم العلوم والمعادلات المعوصة أن ثمة نزولاً حتمياً واقعاً من الحرارة العليا إلى الحرارة المنخفضة وأن هذا السير وهذا الاتجاه موجودان في جميع العمليات الحرارية ، ولا يتغير ما دمنا لا نلجأ إلى وسيلة خارجية وإلى استعمال طاقة أخرى . ولقد وضح الطبيعيون ذلك بإدخال فكرة يسمونها

« الأنتروبي » Entropie وهي بالتعريف[١] مجموع تكامل كميات الحرارة الصغيرة الحادثة أثناء الانتقال مقسومة على درجة الحرارة المطلقة ، وقرروا أن « الأنتروبي » تزداد دائماً في كل العمليات الحرارية . وأود ألا يشغل القارىء نفسه بموضوع « الأنتروبي » فهي في الواقع طريقة رياضية للتعبير عن القانون الثاني للترموديناميكا هذا القانون الحراري البسيط الذي يلاحظه القارىء في كل مشاهداته اليومية والذي يحتم انتقال الحرارة من جسم عالي الدرجة إلى جسم خفيضها ، تقرر كمبدأ عام يربط العلوم الحرارية بمعارفنا الطبيعية ، ويقرر أن العمليات الحرارية تتم جميعها في الكون على طريقة التوزيع المتساوي لكل الكميات الحرارية المستعملة . ولئن كانت الشمس التي هي في الواقع المصدر البارز في حياتنا تفقد بالأشعة من وزنها ما يبلغ أربعة آلاف مليون طن في الثانية الواحدة[٢] فهي في طريق الفناء كما يعتقد الكثيرون من العلماء ، أو أنها تزيد حرارتها كما ذكر ذلك حديثاً في النشرات الأمريكية الأستاذ جاموه أي أنها في دور النمو ، فإن حوادثها في كلتا الحالتين تسير وفق المبدأ الثاني للترموديناميكا — هذا المبدأ الذي يعين الاتجاه الحراري من الدرجات المرتفعة إلى الدرجات المنخفضة ، ثابت لا يتبدل .

إنما يهمنا من هذا المبدأ الثاني أمران : الأمر الأول خاص بفلسفة الوجود والتطور ولا نتعرض أكثر من أن نقول إنه موضوع يدعو التأمل فيه إلى شيء من الأسف ، إذ يدلنا هذا المبدأ الثاني على طريق السير الحراري فيما يتعلق بالكون الذي يسير وفق هذا المبدأ نحو نهاية محتومة ، نهاية يسميها العلماء الموت الحراري Mort Thermique ، وتفسير ذلك أنه عندما تتوزع الطاقة الكلية للكون توزيعاً متساوياً تصبح حرارة المادة المكونة لأجزاء الكون المختلفة متساوية . والذين تابعوا مقالاتنا الأولى في وصف الكون والحيز المتمدد وقلة ما به من مادة ، يفهم أن هذه الحرارة تكون منخفضة بحيث لا تسمح لأي نوع من الحياة بالبقاء ، على الأقل على الصورة التي نفهمها من الحياة والحركة .

والأمر الثاني خاص بعلاقة هذا المبدأ الثاني بالنظرية السينيتيكية ، والواقع أنه لم يكن عسيراً أن يتوصل الطبيعيون إلى هذا المبدأ الثاني الذي يشترك في مشاهدة نتائجه اليومية الشخص العادي بقدر العالم الطبيعي ، ولكن كان على الطبيعيين أن يجدوا لهذا المبدأ تفسيراً يلتئم مع بقية المعارف الطبيعية ، وقد كان لبولتزمان Boltzmann الفضل في أن يجد هذا التفسير الخاص بانتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة وعدم إمكان العملية العكسية باللجوء إلى النظرية السينيتيكية ، وبذلك وجد بولتزمان مرة أخرى وبطريقة غير مباشرة دليلاً جديداً على فلسفة ليبنتز . وها نحن أولاء نسرد في هذه الأسطر لمحة من تفكير بولتزمان وأثره على النواحي الطبيعية الأخرى :

عند ما نقول إن لهذا الجسم حرارة معينة فإننا نعني أن لجزيئاته سرعة معينة ، هذه السرعة للجزيئات ليست متساوية فمنها ما هو سريع ومنها ما هو بطيء . إلا أن ثمة متوسطاً عاما لسرعة جميع الجزيئات تمثل حركتها المتوسطة ، وهذا المتوسط العام يدل على حرارة الجسم ، هذه السرعة المتوسطة تزيد كلما زادت حرارة الجسم

وعند ما يتلاصق جسمان حرارتهما مختلفة فإن جزيئاتهما تتصادم وتختلط — على أن كل أنواع الحوادث جائزة وقوعها في كل تصادم فردي ، حتى أنه من الجائز أن يصطدم جزيء بطيء مع آخر سريع وينقل إليه سرعته الخاصة به كما يحدث هذا بين كرتين من كرات البلياردو ، ولكن مثل هذا الحادث نادر وأكثر شيوعاً منه مصادمات من نوع آخر تتساوى فيها السرعات على قدر الإمكان بحيث أن التعادل الحراري يحدث من تعادل سرعات غالبية الجزيئات المختلفة ، وهكذا تكون نتيجة التلاصق نزولاً حتمياً في حرارة الجسم الحار وارتفاعاً حتمياً في حرارة الجسم البارد

على أن أعظم ما في هذا التفسير وهذا القانون الثاني للترموديناميكا أنه يحول هذا الاقتراح السابق إلى قانون إحصائي ، ويتساءل القارىء كيف يصبح قانون أساسه إحصاء مبني على المصادفة قانوناً طبيعياً ثابتاً ؟ ولكن لم يعد لهذا السؤال محل

---

(١) نجد فكرة الانتروبي في كل الكتب الطبيعية مثلا كتاب الطبيعة العامة تاليف اليفيه الجزء الثاني (١٩٢٢) ص ٥٩ الطابع هرمان ، Physique Genérale par Ollivier Tome II (1922) Edit.: Hermann كذلك كتاب بلوخ النظرية السينيتيكية الغازات في مجموعة كولان نمرة ٧ ص ٧١ — ص ٨٠

(٢) كنت أصبو إلى أن أدل القارىء على المراجع العلمية الخاصة بهذا النوع من الأبحاث عن الشمس ويراها في محاضر المجمع العلمي الفرنسي بين سنة ١٩٢٥ ، سنة ١٩٣٥ وتقصر مذكراتي التي في حوزتي في الوقت الحاضر عن أن أدله على التاريخ المضبوط ومع ذلك فإن حساباً بسيطاً يستطيع أن يقوم به القارىء يدله (إذا علم أن وزن الشمس $١٠^{٥٥}$ جرامات ، وهو ما ذكرنا في جدول سابق عند ما تكلمنا عن تمدد الكون) على أنه يلزم أن تمر ملايين الملايين من السنين لكي تفقد الشمس نصف وزنها .

بعد أن انتصر منطق المصادفة فى معظم فروع العلوم الطبيعية ولا سيما بعد « الكوانتا » وما أدخلته من تعديلات جوهرية على معارفنا ، وكما يقول ريشنباخ(١) فى محاضراته التى أذاعها فى برلين : عند ما ندخل فى حجرة فإننا لا نسائل أنفسنا بتاتاً عن الخطورة التى قد تحدث من اجتماع جميع جزيئات الأكسيجين الموجود فى الحجرة فى ناحية منها واجتماع جزيئات الأزوت فى الناحية الأخرى ، بل إننا على ثقة دائماً ومهما طال الزمن أن الهواء داخل الحجرة خليط من الأكسيجين والأزوت وأن اختلاطهما نتيجة لمصادمات فردية بين جميع جزيئات الأوكسيجين وجميع جزيئات الأزوت ، ولاشك أنها حادثة نادرة جداً لا يجيزها العقل أن يجتمع فى ناحية من الحجرة كل الجزيئات المكونة لأسرة الأوكسيجين وفى الجزء الآخر الجزيئات المكونة لأسرة الأزوت ، بحيث يصبح جزء هام من الحجرة خانقاً والآخر مساعداً على الاشتعال

ومهما يكن من الأمر فإنه عندما تكون حادثة ما جائزة ولكنها قليلة الاحتمال فإننا لا نأخذها فى محل الاعتبار فى تسيير حياتنا اليومية — وهكذا نسافر للاصطياف فى جبال لبنان العليلة الهواء أو حول بحيرة ليمان فى سويسرا المعروفة بمناظرها الخلابة ، رغم ما يدل عليه الإحصاء من أنه فى مجموع ألوف البواخر المسافرة فى العالم يتعرض حتماً بعضها للغرق أو الحريق . وهكذا ترانى على استعداد لتكوين ابنى ضابطاً بحرياً ، لو وجدت لدينا مدارس بحرية منظمة تدرس العلوم الصحيحة ، وذلك لأجعل منه شخصاً نافعاً يعتمد عليه ، رغم أن الحوادث سجلت فى هذا الشهر ثلاث حوادث تأسف لها الإنسانية ، وهى غرق ثلاث غواصات لأمريكا وانجلترا وفرنسا ، بحيث أنه يعد ضرباً من السخف أن أمنعه من تعلم البحرية وأسمح له فى نفس الوقت بالخروج من المنزل لشراء حاجياته أو للتوجه إلى المدرسة ، لأنه فى هذا أيضاً معرض ليلقى حتفه بطريقة أسرع من احتمال غرقه فى غواصة قد تغرق فى كل بضعة آلاف من الغواصات

وهكذا نغادر جميعاً منازلنا فى الصباح بشىء من التفاؤل يملأنا ثقة أننا سنلتقى بأطفالنا فى المساء ، ولو أن بين مئات الألوف الذين يخرجون كل صباح من مدينة القاهرة يوجد دائماً وكل يوم واحد أو اثنان يصاب بحادث يحرمه من هذا الاجتماع

(١) ريشنباخ Reichenback الأتوم والكون فى مجموعة فلامريون باريز

إن فهمنا للطبيعة انقلب رأساً على عقب بهذه الفلسفة الجديدة التى أدخلها بولتزمان ، فلأول مرة دخل فى العلوم الطبيعية قانون إحصائى مبنى على مجموع الحوادث الفردية واحتمال حدوثها بدل القوانين القديمة التى كانت لا تستند على هذا النوع من التفكير

من هنا بدأ مجال جديد فى جميع المسائل ؛ ومن هنا تغلغلت فكرة بولتزمان فى النواحى الأخرى للعلوم الطبيعية . ولا شك أننى عند ما فكرت يوماً أن أحصل على حالة الماء المشبع بالطمى من دراسة فوتو كهربائية(١) للماء الحامل للطمى كنت متشبعاً بنوع من التفكير الأحصائى لبولتزمان ، على رغم أن كل العوامل كانت تؤول بنا إلى الابتعاد عن الطرق النيفولومترية(٢) وهكذا رغم العوامل المنفرة استعملت الطرق الضوئية بنجاح لمعرفة كمية ما بالنيل من طمى ووضعت مع العالم بيروه أخيراً أساساً لمعرفة كمية الطمى عن بعد وبدون الالتجاء لاستعمال الأسلاك الكهربائية(٣) على أن هذا النجاح مرتبط بوجود متوسط عام للملايين الحسبات من طمى النيل ، متوسط يدل على كمية هذا الطمى ونوعه

وهكذا باتت العلوم كلها مسرحاً لنتائج الإحصاءات الفردية وحساب الاحتمالات ، والذين يستطيعون اليوم أن يتنعموا «الكوانتا» وما أحرزته من نجاح ويفهمونها كما فهمها « بلانك » يدركون أن التقدم الإنسانى آت من هذه الناحية الجديدة الخاصة بالاحتمال والمصادفة والتى يظل اسم بولتزمان علماً فيها

ونختم هذا البحث الخاص بالجزىء بأن نذكر للقارىء أن النظرية السينيتيكية قد ساعدت جداً على فكرة الجزىء وأفهمتنا كنهه وطبيعته بدرجة بلغت الآن اليقين ، بحيث أن ترك السينيتيكية يجعلنا عاجزين عن تفسير أحد قوانين الطبيعة وهو قانون بقاء الطاقة وعدم فنائها ، ونكرر للقارىء أن السينيتيكية ساعدت أمثال بولتزمان على تفسير بعض مظاهر الكون مما جعلتهم يتوصلون إلى نوع جديد من التفكير الطبيعى بات أساساً لمعظم معارفنا

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) هذا البحث نشرته بمحاضر المجمع العلمى الفرنسى فى يونية سنة ١٩٣٥

(٢) راجع كتابى « الأجسام العلقة فى مياه الأنهار » الطابع جوتييه فيلار . باريز سنة ١٩٣٥

(٣) هذا البحث نشرته مع بيروه وكيل مصلحة الطبيعيات بمرسيليا فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى مايو سنة ١٩٣٨

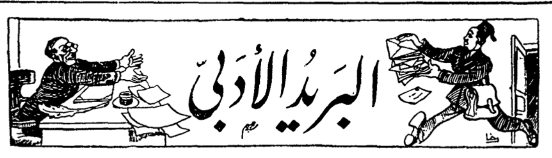
وهكذا انتصرت فكرة ليبنز[١] ، هـذا الفيلسوف الألمانى الذى طالع فى سن صغيرة جداً أعمـال كيبلر Kepler وجاليليو Galilée واستوعب ديكارت ، والذى درس الرياضة فى جامعة أينا

وسنقيم الدليل بعد الذى كتبناه عن تقسيم الجزئ إلى ذرات ونرى كيف مهدت الكيمياء وانتصرت فى هذا الباب وسندحل بالقارىء بعد حين فى الذرة Atome ليرى هذا العالم العجيب ، والعظيم نسبة لما يحدث فى داخله ، وبهذا يلمح طرفاً من أعظم ما نعرفه عن الكون .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) ليبنز ولد فى ليبزج سنة ١٦٤٦ وتوفى فى هانوفر سنة ١٧١٦



وفاة العلامة الشيخ محمد شاكر



فى صباح الخميس الماضى نُعى الإمام الجليل والعالم المحقق الشيخ محمد شاكر، فشق نعيه على المسلمين والعلماء وأهل الأدب ؛ فقد كان — رحمه الله — رجلاً من رجال الجيل ، وعلماً من أعلام الدين ، وداعية بعيد الصوت صريح القول قوى البرهان .

ولد المرحوم الشيخ محمد شاكر فى مدينة جرجا ، فى منتصف شوال سنة ١٢٨٢ (مارس ١٨٦٧) ؛ وحفظ بها القرآن ، وتلقى مبادئ العلم ؛ ثم رحل إلى الأزهر فتلقى العلم عن كبار الشيوخ فى ذلك العهد ، وعين أميناً للفتوى مع الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ العباسى المهدى فى مارس سنة ١٨٩٠ . وفى فبراير سنة ١٨٩٤ تولى منصب « نائب محكمة مديرية القليوبية ، ومكث به حتى اختير قاضياً لقضاة السودان فى سنة ١٩٠٠ ؛ وهو أول من ولى هذا المنصب ، وأول من وضع نظم القضاء الشرعى فى السودان على أوثق الأسس وأقواها ، وله فى هذه الفترة تاريخ عجيب لا يُذكر مثله لغير علماء الصدر الأول فى الدولة الإسلامية .

ثم عين فى سنة ١٩٠٤ شيخاً لعلماء الإسكندرية فوضع الأساس لتنظيم المعاهد الدينية الإسلامية كى تؤتى ثمرها وتخرج للمسلمين رجالاً هداة يعيدون للإسلام مجده فى أنحاء الأرض .

وفى إبريل سنة ١٩٠٩ صدرت الإرادة السنية بتعيينه وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر فبذر فيه بذور الإصلاح ، وتعهد غرسه حتى قوى واستوى ، أو كاد . . .

ولأمر ما لم يستمر فى منصبه ذاك فاختير عضواً فى الجمعية التشريعية فى سنة ١٩١٣ ، واعتزل منصبه فى مشيخة الجامع الأزهر

ومن يومئذ خرج المرحوم الشيخ شاكر من قيد الوظيفة إلى ميدان الجهاد الحر - فى سبيل الله وفى سبيل مجد الإسلام . فكانت له فى الصحف مقالات رنانة ما يزال صداها يتردد بين أقطار العربية .

ولما نهضت الأمة المصرية نهضتها الكريمة فى سنة ١٩١٩ ، كان من دعاتها الأولين ومن أشهر قوادها فكتب فى الشئون السياسية عشرات من المقالات فى الصحف المصرية ، دلت على بعد نظره وصدق فراسته . على أنه إلى ذلك لم يكن له ضلع مع حزب من الأحزاب السياسية فى مصر ، مؤثراً أن يكون قياده فى يده لا يُصدر إلا عن رأيه .

وبجانب ذلك لم يدع مسألة شرعية أو اجتماعية مما يصطرع الرأى حوله إلا قال فيها قالته ، صادعاً بما أمر الله ، معرضاً عن المنكرين . وكان من أبرز صفاته : صلابته فى الدين ، وشجاعته

فى الرأى. واستمر – رحمه الله – على النهج، مجاهداً لإعلاء كلمة الله؛ لا يرى لأحد عليه سلطاناً، ولا لنفسه عليه حقاً، حتى أصابه الفالج فألزمه فراشه منذ ثمانى سنوات، يعانى آلام المرض صابراً محتسباً راضياً عن ربه، حتى غاله الموت فذهب إلى جوار الله راضياً مرضياً.

ولقد نشأ أولاده نشأته؛ فأمنهم إلاله مقام معلوم بين المجاهدين لمجد الإسلام والعرب. فإلى أولاده الأساتذة: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ على شاكر، وإلى صديقنا الأديب الأستاذ محمود محمد شاكر، ومحمد محمد شاكر؛ وإلى سائر أسرته والمسلمين عامة، تتقدم أسرة «الرسالة» بالتعزية، راجية ألا يُخلى اللهُ مكان الفقيد العزيز بجهاد أبنائه، وتولاهم الله بتوفيقه وبره . . .

وفاة الأستاذ فليكس فارس



تنعى أسرة الرسالة إلى قرائها عضواً من كرام أعضائها كان له فى كل ميدان من ميادين الأدب جولة وفى كل باب من أبواب الإصلاح مدخل؛ ذلك هو المحامى المدره والسياسى الخطيب والكاتب الشاعر الأستاذ فليكس فارس. توفاه الله فى منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء الماضى فى مستشفى المواساة بالاسكندرية عن سبعة وخمسين عاماً وهو أنشط ما يكون عملاً لأسرته ولقومه

ولد الفقيد الكريم فى المريجات من قرى لبنان العليا من أب عربى وأم فرنسية؛ ثم درس الحقوق وثقف الأدب فى اللغتين العربية والفرنسية؛ ثم زاول المحاماة وجاهد فى سبيل استقلال بلده وحريته بلسانه وقلمه، فكان حيناً من الدهر موضع الخشية للسلطان ومعقد الرجاء للشعب. ثم اختلف الزعماء بينهم فى وجهة النظر، ونبا العيش بالزعيم الكريم فوفد على مصر منذ ثمانى سنوات وفادة الغائب على أهله، فأكرمت مصر مثواه وجعلته كبير المترجمين فى بلدية الإسكندرية بمرتب قدره خمسون جنيهاً مصرياً فى الشهر، فعاش الأستاذ هو وأمه الحنون وزوجه المخلصة وأطفاله الثلاثة عيش الخفض والدعة. وتوثقت صلاته بأدباء الإسكندرية والقاهرة فكان من عوامل الإذكاء فى نهضة الأدب والفكر فيهما. ثم اتصل سببه بأسرة الرسالة والرواية فاختصهما بترجماته ومساجلاته وخطراته، حتى اشتدت عليه فى الشهر الأخير وطأة مرضه الدحيل وهو تضخم الكبد فذهب كما يذهب النور من العين والسرور من القلب والأمل من الحياة. والله وحده يعلم مقدار ما خلف من الأسى المسمور فى نفوس أهله وأصدقائه وقرائه

كان الأستاذ فليكس فارس من أنبل الناس خلقاً وأنقاهم ضميراً وأوفاهم ذمة؛ وكان مفطوراً على الخلال العربية النبيلة والروح الشرقية السامية؛ يدعو لها ويدافع عنها ويفخر بها. وكانت الأديان السماوية الثلاثة قائمة فى نفسه مقام الوحدة المتصلة لا يرى بينها فرقاً ولا حداً ولا معارضة؛ فهى فى رأيه ثلاث طرق تؤدى إلى غاية واحدة. لذلك كانت كتابته فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ترضى كل نفس وتساير كل مذهب. وكانت صلته بالرافعى رحمه الله تشبه أن تكون صلة عقيدة لا صلة مودة. والناظر فى كتاب (رسالة المنبر) يجد الأستاذ فليكس فارس بروحه وأدبه ورأيه وسمته. رحمه الله رحمة واسعة، وألهم أهله وصحبه الصبر على فقده

مجلة الدراسات الإسلامية

بعث إلىّ أستاذى وصديقى المستشرق لويس ماسينيون بالمجلد الرابع لسنة ١٩٣٨ من المجلة التى يخرجها فى باريس على أربع دفعات فى السنة. وهذا المجلد نفيس جداً، لأنه موقوف على إثبات المؤلفات المختلفة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة وموضوعاتها فنون إسلامية ومسائل عربية. وهذا المجلد يتم ما عرضت له مجلدات سابقة. وهكذا يقف المطلع والباحث على مجرى التأليف الخاص بالشرقيات سواء فى الغرب أو فى الشرق ... وأين هذا فى مصر ونحن ندعى زعامة ؟ !

وثبت تلك المؤلفات على هذا الترتيب: تاريخ العلوم فى البلدان الإسلامية – الفلسفة والكلام – فقه اللغة والتربية (وفى فقه اللغة ما يتعلق بالعربية والبربرية والفارسية والتركية) – الاجتماع وأحوال الأمم (وفيهما ما يتصل بتحول البلدان الإسلامية، والمرأة، والزواج، والسكن، والبداوة، والنظام، والعرف، والاقتصاد السياسى، ثم العادات والعقائد الشعبية، ثم الجغرافية

البشرية) - الأدب العربي والفارسي والتركي والهودى : العربي - القانون والتشريع والتدبير — العقائد والتصوف والفرق — الاستعمار الأوربي وسياسة المصر — الفهارس والسير

وقد ذُيّلت طائفة من المؤلفات بتعليقات موجزة مفيدة من حيث إنها ترشد القارئ إلى أوجه النفاسة والطرافة وتنبه إلى مواطن الذلل أو الضعف . وفيمن قاموا بالتعليقات لويس ماسينيون، ور. بلاشير صاحب كتاب « المتنبي »

ومن المؤلفات العربية المثبتة : « نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها » للأب أنستاس مارى الكرملي ، و « إحياء النحو » لابرهيم مصطفى و « زاد المعاد » لميخائيل نعيمة (لا نعجة كما ورد خطأ) و « مع المتنبي » لطه حسين . (وقال المستشرق بلاشير فى هذا الكتاب إنه مقتبس مما ألف فى المتنبي حديثاً فى أوربة)

بشر فارس

الرمزية وأبو تمام

تفضل الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فأشار إلى ما ذكرته عن أبي تمام والرمزية ، وأرجو أن يثق الأستاذ أنى لم أقصد الانتقاص من الرمزية فإني أعرف أنها ضرورة من ضرورات النفس البشرية فى بعض حالاتها ومظاهرها ويستوى فى الالتجاء إليها العالم والجاهل ، ويستوى الفيلسوف والشاعر والرجل من عامة الناس . ولعل من ألذ التجارب السيكولوجية أن يدرس الباحث مظاهر الرمزية فى أفكارهم اليومية وأقوالهم وآرائهم التى يرجعونها إلى العقل والتفكير ، وقد لا تكون من مظاهر العقل الظاهر ، فإن بعض المبادئ والآراء والأقوال إنما هى رموز تؤثر فى إحساس كثير من الناس وتدعوهم إلى أعمال الخير والشر من غير إدراك لها بالعقل الظاهر . والرمزية فى الأدب الحديث فى أوربا فى بعض نتاجها محاولة دراسة ما فى أعماق النفس مما لا يصل إليه التفكير المعتاد . ولكن هذه الدراسة ليس لها طريق سلطاني معروف ، فهى قد تكون إبعاداً فى بحر الظلمات على غير هدى . وليست كل الرمزية محاولة الفنان المسيطر على فنه وإرادته فى عمله ، بل لها أسباب كثيرة ، وقد تكون أشبه بإشارات الثقافة التى تشير إلى حقائق ثقافية معروفة ، أو أشبه بمصطلحات الفلاسفة أو رموز الكيميائيين ، وقد تكون مزاجاً فى النفس ناشئاً عن مزاج الجسم . وهى قديمة جد القدم نجدها فى أقوال كهان المعابد وكاهناتها ونجدها فى الأحلام المشهورة . وقد استخدم الرمزية أدباء كثيرون ، فجيتى يستخدمها وشلى يستخدمها وإبسن القصصى يستخدمها ، وكل منهم يستخدمها أكثر من أبي تمام ولكنهم لا يحسبون فى حساب أدبائها . ولا مانع عندى من عد أبي تمام من أدبائها ، ولكننا إذا فعلنا ذلك عددنا خلقاً كثيراً من أدبائها وسلكنا فى زمرتهم من لم يتفق الأدباء على عدهم من أدبائها . ويستطاع عد كتاب الرؤيا فى الإنجيل من كتبها وهو أقدم من زمن أبي تمام . ومعاذ الله أن نطالب أبا تمام بغير ما قال . وقد كان شكسبير وشعراء عصره يكثرون من استخدام رموز التشبيهات والكنايات والاستعارات كما فعل أبو تمام ولكنهم لم يعدوا من شعرائها . وقد وجدت أن أحسن استعمال للرمزية هو استعمال كبار الشعراء الذين لم يعدوا من مذهبها . وقد كان أحسن استعمال لأنهم لم يقطعوا الصلة بين فهم وبين العقل الظاهر كل قطع ، فإن استخدام العقل الظاهر ألزم وأوجب عند بحث ظلمات النفس ، كما أن استخدام الملاح لفنه وعقله وعلمه ألزم وأوجب فى بحر الظلمات . فإذا كان هذا أيضاً هو رأى الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فلا مانع عندى من عد أبي تمام من شعراء الرمزية

عبد الرحمن شكرى

بشر فارس ومصطلحاته

صديقى بشر أديب جليل وبحاثة قدير فى الموضوعات التى يديرها سنين فى ذهنه ويستقصيها على وجوهها بالبحث والتمحيص

على أن الدكتور بشر فارس بعد ذلك لا ينجح فى الكتابات الارتجالية ولا يصلح كاتباً ناقداً ولا يفلح فى أن يكون صاحب مطالعات ونظرات تفيد « البوادر واللوامع » التى تطوف بالنفس من حين إلى حين . ولا أدل على ذلك مما نجده من التهافت فى الكتابات من المرتجلة التى يكتبها

نقول هذا بمناسبة ما كتبه فى العدد الأخير من « الرسالة » تعليقاً على ردى على نقده لدراستى عن « توفيق الحكيم » ؛ وأنت إذ تقرأ كلمته هذه تجده قد انصرف عن الردّ على الإشكالات التى أثرتها حول صميم نقده والمآخذ الجمة التى أخذتها على كلمته إلى بحث شكلى يدور حول افتراض اقتباسى لبعض المصطلحات الفنية التى يرى هو أنه استحدثها فى اللغة العربية؛ على أننى ألاحظ على هذا الكلام الجديد الذى خرج به ناقدنا الفضال أشياء أجملها فيما يلى:

أولاً — يعتقد صديقى بشر وحده دون كل المشتغلين بصناعة القلم فى الشرق والغرب أن المصطلحات الفنية التى يضعها كاتب ملك لهذا الكاتب وحده .

ثانياً — هذا الاعتقاد الخاطئ الذى يدين به صاحبنا يتناقض مع الفكرة العلمية التى ترى أن قيمة المصطلحات الجديدة ليس فى وضعها وإنما هو فى جريها على أقلام الكتاب . والدكتور بشر فارس واقع فى هذا التناقض حين يقول : « إنى فرحت فرحاً شديداً لما أصبته يستعمل فى مقاليه بعض تراكيب جرت على قلمى . . . وما فرحى إلا لأنى أرى تراكيب اجتهدت فى سياقتها تنطلق على الأقلام ، وكنت أخشى أن تموت يوم ولدت » .

ثالثاً — إذا كان الدكتور بشر فارس يرى حياة المصطلحات فى جريها على الأقلام ، فهل هو يرى من المحتم أن يشير الكاتب فيما كتب إلى مواضع الاصطلاحات التى استحدثها والتى أخذها عن غيره والتى دارت على الأقلام فجاءت على قمه ؟ وإذا كان لا يرى ذلك بدليل أن كثيراً من الاصطلاحات تجرى على قمه وهى ليست له وهو لا يشير إلى أصحابها فيما يكتب ، فما معنى ما كتبه فى نقده لكتابنا (بعدد الرسالة ٣١٠ ص١١٧٦) من أن التعبير « جملة صلات اجتماعية » الذى جرى به قلمنا فى بحث لنا عن « خليل مطران » أصلاً فى كتابه « مباحث عربية » ؟ وما معنى ما كتبه فى العدد الماضى من الرسالة ؟

رابعاً — نسب إلينا الدكتور بشر فارس أننا اقتبسنا تعبير « جملة صلات اجتماعية » منه وأننا لم نحسن استعماله فى مجرى حديثنا . وقد رددنا على الوجه الأول فقلنا إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه . ورددنا عليه فى الوجه الثانى من اعتراضه فبينا وجه اتساق التعبير وموضعه من الكلام .

خامساً : حرج الناقد فى رده بسؤال عجيب عما إذ كان ورد فى كلامنا فى المصدر الذى أشرنا إليه ، وهو مجلة المعهد الرومى للدراسات الإسلامية ، ما ينظر لتعبير « جملة صلات جماعية » فى الفرنسية ، وهذا تعنت لا معنى له خصوصاً وإن الجملة الفرنسية التى تنظر إليها العبارة العربية ليست من خلقه فقد تكرر ذكرها فى كتابات العالم الاجتماعى « دوركايم » ، وخصوصاً فى مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع فى السوربون (ص١١، ١٣، ٢٤، ٢٦ مثلاً) ومن الأعاجيب التى أتى بها الدكتور بشر فارس أنه ذهب يتحدث عن درايتنا بالفرنسية وهل هى تمكننا من الإيمان بمثل هذا التعبير كأن اللغة الفرنسية وقف عليه ، وكأن محاضرات « دوركايم » لم يطالعها سواه من الذين لم يرحلوا إلى باريس ، ولم يدرسوا فى السوربون !

سادساً : قال الدكتور بشر فارس إن عبارة : « توفيق الحكيم يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم تهيئة البيئة ؛ فهو صاحب فن حقاً » التى وردت فى موضعين من دراستنا عن « توفيق الحكيم » (ص ٣٥٧ من العدد ص ٣٦٨ س ١٩ — ٢١ من طبعة مجلة الحديث وص ٦٥ من العدد وص ٧٦ س ١٩ — ٢١ من الطبعة الخاصة) مقتبسة منه . ولكن هل اقتبسناها منه ولم نشر إلى مصدر الاقتباس ؟ هذا هو الموضوع فى الواقع . وأنا أترك الرد على الدكتور بشر فارس فى هذه النقطة لنفسه ؛ فهو يقول فى نقده لدراستنا عن « توفيق الحكيم » فى الرسالة (عدد ٣١٠ ص ١١٧٥ س ٢٥) بعد أن يذكر هذه الجملة : وقد استشهد الدكتور أدهم فيما كتبه بهذه الجملة ص ٣٥٧ » فما معنى الاستشهاد ؟ معناها أن العبارة أسندت إلى الدكتور بشر فارس ، وإذاً فلا معنى لتعنت الدكتور بشر درس واتهامنا بالاقتباس الذى يغفل الاستشهاد بالصدر وإثارة المظنة بكتاباتنا

سابعاً : ارتأى الدكتور بشر فارس أن عبارتنا التى جاءت فى الكلام عن الرمزية عند توفيق الحكيم (ص ٣٦١ من طبعة مجلة الحديث وص ١٩ من الطبعة الخاصة) ذات أصل من مسرحية « مفرق الطرق » ومن مقاله عن الرمزية فى الرسالة وقد يكون هنا له بعض الحق — لا كله — فليس يبعد أن تكون عبارته عن الرمزية قد علقت بذهننا فجرت على قلمنا ونحن نعرض الفكرة الرمزية عند الأستاذ توفيق الحكيم وذلك بحكم قاعدة التداعى . ومما يدل على صحة هذا التفسير ما يرى من التغيير والاستبدال فى بعض المصطلحات التى تضمنتها العبارة المذكورة مما يدل على التمثيل Assimilation من حيث إدارة العبارة فى ذهننا وتصحيح بعض المصطلحات فيها

وأنا إذ أختم هذه الكلمة لا يسعنى — وأنا أرد الأشياء إلى مواضعها — إلا أن أذكر الدكتور بشر فارس بأننى حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتى الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجيء على قلمى من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكاً لمعنى الذى فى ذهنى من تعابيرهم ، ولعل فى ذلك بعض ما يعتذر عنى فى بعض ما رأى وارتأى والسلام

اسماعيل أحمد أدهم



الاجـــابة

لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

[ألفه الامام الزركشي وحققه الأستاذ سعيد الأفغاني]

لأستـــاذ جليل

الأستاذ سعيد الأفغاني — العربي الشامي — مسلم مؤمن، وفاضل مهذب، وأديب محقق. ومن رافقه وقرأ أقواله ظهرت له هذه السجايا والمزايا ظهوراً. ومن خطط هذا السيد أن يُطرف فيما يؤلفه أو ينشره من كتب السلف الصالح. فمصنفه (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام) مباحثه طريفة ذات جدة. وكتاب (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الإمام بدر الدين الزركشي) الذي أظهره اليوم — من أدلة هذا الإطراف. وترجمة الكتاب تنبئ عن غرابته وطرافته

وإن نشْرَ الباحث مؤلفاً قديماً محقَّقاً إياه تحقيق الأستاذ الأفغاني كتاب الإجابة — تأليف وزيادة

وعملُ العرب الحق في هذا الوقت — كما يرى أكثر الفضلاء — إنما هو نشر مصنفات الأقدمين ونقل مقالات الغربيين ليس غير. وحجتهم في ذلك أن (البعث) حديث وأن ليس عند العرب اليوم شيء، والمفلسون المساكين لا يكلفون إنفاقاً ولا جوداً. على أن حاجة العرب العظيمة إلى ذينك النشر والنقل لا تصدعن التأليف فلينشر الناشرون، ولينقل الناقلون مكثرين. وليؤلفْ — بعد البحث الطويل، والتفكير الكثير، والمراجعات المديدة — المؤلفون مقلين، مقلين

* * *

الحديث والمحدثون في الإسلام عالم عجيب. وليس في الدنيا أمة عنيت بما يُعزى إلى صاحب نحلتها عنايتنا بأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم). ومما بعث على هذه العناية الكبرى أن أقواله (صلوات الله وسلامه عليه) لم تقيد بالكتاب في أيامه، ولا أيام صحابته (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولم يكن إلا الألسنة تنقل أو تروى « وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفاً[1] »

وعند أهل السنة أحاديث غابت عن الإمامية، ومع هؤلاء ما لا تعرفه الجماعة، السنية؛ وعند الصوفية والاسماعيلية، وسائر الباطنية غرائب تنكرها تانك الفرقتان. وقد بذل الأئمة (رحمهم الله) المجهود بل فوق المجهود في أمر الحديث ورجاله. وأبدعوا في مؤلفاتهم وتفننوا، وأفردوا كل نوع منه ومن رواته بالتصنيف المجوَّد «لقد كانوا في دقتهم وتحريهم وإحاطتهم وإتقانهم معجزة الله في المؤلفين[2]»

وليقرأ من أراد الإلمام باهتمام القوم (مقدمة ابن الصلاح) في علوم الحديث. ففيها إشارات مبينات؛ وهي في هذا الفن مثل مقدمة ابن خلدون في بابها كما قال فقيه الشام كله العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار.

ومن أدلة الإحفاء أو الاستقصاء في شأن الحديث، ومن بدائع التنويع والتخصيص فيه كتاب (الإجابة) الذي صنفه الإمام الزركشي، وحققه وأنشأ مقدمته وعلق عليه وفهرسه الأستاذ سعيد الأفغاني.

* * *

يبدأ الكتاب بمقدمة الأستاذ الأفغاني، وقد نشر شيئاً منها في الجزء (٣٠٤) من « الرسالة » الغراء. ذكر فيها مطنباً موضحاً مكانة أم المؤمنين (رضى الله عنها) وسيرة المؤلف وأسماء مصنفاته الثلاثة والثلاثين.

ويجئُ بعد ذلك مقدمة المؤلف وقد أشار إليها محقق (الإجابة) في مقالة له في الجزء (١٩) من « الثقافة » الغراء.

ويليها الباب الأول في سيرة « السيدة » : (رضى الله عنها) وخصائصها وفيه فصلان : الفصل الأول في ذكر شيء من حالها؛ وقد جاء فيه :

« رُوى لها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألفا حديث ،

(١) ابن خلدون في المقدمة في الفصل السادس في علوم الحديث

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته في كتاب الاجابة .

ومئتا حديث ، وعشرة أحاديث » ، (٢٢١٠) .

وفي هذا الفصل : « ... عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، ثم قالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغتها قالت : (وصلاة العصر) سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم »

قلت : وفي (كتاب المصاحف) للسجستاني نحو من هذا . وعزا الزمخشري هذه الحكاية إلى حفصة (رضي الله عنها) وقال في كتابه أيضاً : « روى عن عائشة وابن عباس (رضي الله عنهم) والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو ، وقرأت عائشة (رضي الله عنها) والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص » وعزتها رواية في الطبري إلى أم سلمة (رضي الله عنها) وذكرت رواية فيه حميدة ابنة [1] أبي يونس لا أبا يونس . وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان) روايات كثيرة ، كلها تبين للصلاة الوسطى فقط منها هاتان الروايتان :

« ... قتادة عن أبي أيوب عن عائشة أنها قالت: الصلاة الوسطى صلاة العصر ... عن سليمان التيمي عن أبي أيوب عن عائشة مثله »

فللسيدة (رضي الله عنها) مفسرة . وفي الجزء ٢١١ من (الرسالة) الغراء كلمة أشارت إلى ما أشارت إليه ، وجاء في ختامها هذا : « إن كان كتاب كل أمة أو ملة فيه تبديل وتحريف وفيه زيادة ونقصان ، وفيه الخطأ والخطل ، وكان كاتبه عبر صاحبه . فـ (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) . »

الفصل الثاني في خصائصها (رضوان الله عليها) وهي اثنتان وأربعون ، وقد بين المؤلف كل خاصية من هذه الخصائص أو الخاصيات . قال في السادسة عشرة : « اختياره صلى الله عليه وسلم أن يمرض في بيتها . قال أبو الوفا عقيل (رحمه الله) : انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموصمه من الصلاة الأب ، فما هذه الغفلة عن هذا الفضل والمنزلة ؟ ! »

وقال في السابعة والعشرين : « جاء في حقها (خذوا شطر دينكم عن الحميراء [2]) وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي (رحمه الله) يقول : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي »

(١) يحذفون الألف في مثلها وهي عندي لا تحذف

(٢) قلت : في النهاية : تصغير الحمراء يريد البيضاء . وفي لسان العرب تقول : إمرأة حمراء ، أي بيضاء

قلت : بطلان ذلك القول ظاهر مثل الشمس ، وقد قال الإمام العلامة الكبير (علي القاري) في رسالته في (الموضوعات) : « ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً » وذكر أموراً كثيرة : « منها أن يكون الحديث باطلاً في نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلامه كحديث (إذا غضب الرب أنزل الوحي بالفارسية ، وإذا رضي أنزله بالعربية) وحديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) ، وحديث (من لم يكن له مال يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى) ، فإن اللعنة لا تقوم مقام الصدقة أبداً »

ويلي هذا الفصل الباب الثاني والباب الثالث في استدراكاتها (رضي الله عنها) على أعلام الصحابة (رضي الله عنهم) . وهذان البابان هما معنى الكتاب . وفي الأول أربعة وعشرون استدراكا ، وفي الثاني أحد عشر استدراكا . وقد ذيلهما محقق الكتاب بأربعة استدراكات ، قطعها من (مسند أحمد) — رحمه الله — وهي تدل على عظم تفتيشه واحتفاله في البحث .

* * *

جاء في الباب الثاني من الاستدراكات على عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) : « أخرج البخاري ومسلم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة ... » .

وهذا الإمام المهذب المحقق يذكر أخا سيدنا معاوية (رضي الله عنه) كما ترى ، ونابتة في هذا العصر تنفي عن النسبة الحق وتصلها أساطير في أمثال كتاب (العقد) .

إن زياد بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) من أبطال العرب ومن رجال الإسلام الكبار ؛ فليعلم ذلك من يجهل .

ومن استدراكاتها على ابن عباس (رضي الله عنهم) : «ردت على ابن عباس قراءته قوله تعالى (وظنوا أنهم قد كُذِبوا) بالتخفيف فأخرج البخاري في التفسير عن أبي مليكة قال ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا) خفيفة ذهب بها هنالك ؛ وتلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟) فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله في شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرأها (كذّبوا) مثقلة »

قلت: القراءة بكسر الذال والتخفيف هي المشهورة، ولها معنى غير الذي خمنه ابن عباس وقرىء بكسر الذال مشددة وبفتحها مخففة ومشددة وفي (جامع البيان) للطبري (الجزء ١٣ الصفحة ٤٧) روايات

ذوات فوائد فى قراءات هذه الآية وتفاسيرها .

وقال (الكشاف) فى قراءة ابن عباس وتفسيره : « وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر ، وقال : كانوا بشرا ، وتلا قوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية . وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين ، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح »

ومن استدراكاتها على أبى هريرة (رضى الله عنهما) : « . . . عن أبى هريرة قال : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً) فقالت عائشة رضى الله عنها : لم يحفظ الحديث ؛ إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به »

قلت إن من يجتزئ بحديث أبى هريرة (رضى الله عنه) أيدهاه ما يدهى من يجهل السبب فى وحى آية الشعراء

قال الإمام الطبرى فى (جامع البيان) : « قال عبد الرحمن ابن زيد : قال رجل لأبى : يا أبا أسامة ، أرأيت قول الله (جل ثناؤه) : والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . فقال أبى : إنما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين . ألا ترى أنه يقول : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخره . فقال: فرّجت عنى يا أبا أسامة فرّج الله عنك! »

وقال الكشاف فى تفسير الآية : « هم شعراء قريش عبد الله بن الزِّبَعْرَى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ، ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم »

وروى الزمخشرى عن الخليل : « كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير الكلام ، ولكن كان لا يتأتى له »

وجاء فى (الإجابة) فى باب الاستدراكات : « نقل أهل التفسير فى قوله تعالى : (والذى قال لوالديه) إن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد ، قال عبد الرحمن بن أبى بكر : لقد جئتم بها هرقلية [1] ، أتبايعون لأبنائكم ؟ ! فقال مروان : يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه (والذى قال لوالديه أف لكما) فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه ، فأنت فضيض من لعنة الله)

قلت : روى فضيض وفظاظة وأنكرها الخطابى ، وفى أكثر كتب الحديث وغريبه وكتب اللغة التى روت هذا الخبر أوشيئاً منه — (فضض) بالفاء .

وهذا الحديث فى (البخارى) وقد أشار إليه الزركشى ولم يورده ، وهذه رواية أبى عبد الله (رحمه الله) :

« ... عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيئاً ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة ، فلم يقدروا ، فقال مروان : إن هذا الذى أنزل الله فيه : (والذى قال لوالديه : أف لكما أتعدانني) فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى »

ومن استدراكاتها (رضى الله عنها) على أزواجه (صلى الله عليه وسلم) ورضى عنهن : « أخرج البخارى ومسلم عن عروة عن عائشة أنها قالت : إن أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) حين توفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت عائشة لهن : قد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا نورث ، ما تركناه صدقة »

ويتبع هذين البابين والذيل فى الاستدراكات الفائقات فهارس الكتاب : فهرس الأعلام ، فهرس الجماعات ، فهرس الأماكن ، فهرس الكتب ، فهرس الموضوعات

* * *

إن هذا الذى خططناه إنما هو إشارة إلى كتاب الإجابة لا تبيين ولا توضيح . ومن شاء من الفضلاء أن يعرفه ويستفيد منه اشتراه وقرأه ، ودعا للمؤلف ، وأثنى على (السعيد) المحقق . بارك الله فيه ، وأكثر فى شباب العرب والمسلمين من أمثاله .

القارىء

(١) قلت: وفى الفائق : (أجئتم بها هرقلية قوقية) قوق اسم ملك من ملوكهم ويقال الدنانير الهرقلية والقوقية . وفى اللسان : يريد البيعة لأولاد الملوك سنة الروم والعجم .

7me Année No. 314

Lundi - 10 - 7 - 1939



بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر المالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

من ذكريات العهد التركى فى بغداد

حدثنى المرحوم الزهاوى ...

تركية القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت فى دول الأرض معنى من معانى الإرهاب حروف لفظه السُّم والیَمُّ والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه ، وخشعت لسلطانها الأفئدة ؛ ولكنها لم تستطع أن تثبّت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب ، فظلت واقفة أمام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف ، فحرمها ذلك الموقفُ نصيبها من طمأنينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة وينشرون الرهبة ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرُّشى والمصادرة والقتل . فإذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الإصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ ؛ وهى ندوة تقوم فى داره المضياف

ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع فيندو إليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة، فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث. ولكن الزهاوي إذا تكلم أصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة؛ لأن جيلاً كان آية الله في فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث. وكان له في إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان الشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع

* * *

كان الحديث أول ما بدأ دائراً بيني وبين السيد ناجي الأصيل على أن الحرب وأوزارها استغلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة؛ وأخذنا نضرب الأمثال على ذلك مما جرى في العراق ومصر. وكان المرحوم الزهاوي بجانبي، ولكنه كان مشغول الأذن بكلمة منافقة في العقاد والرصافي ألقيت إليه في خفوت وخبث. فلما تشربها سمعه وأجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة، أقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال: هُوهُوه! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهي الحديث ولا ينقضي العجب!

ثم أرسل نكتته الحاضرة وضحكته الساخرة فتنبه المجلس إلى أن الزهاوي سيتحدث، فسكت المتكلم وأصغى المستمع وتهيأت النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل؛ وأخذ الشاعر يقول:

أرسلت إلينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والداد من شكوى الجهل والفساد، والياً يسير بالعراق في طريق العمارة والعلم، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل. وكان لي يومئذ يد في إدارة التعليم كما تريده الدولة، فقال لي الوالي ذات يوم: إنا نريد أن ننشئ مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح أن تكون لها مكاناً. وكان تعليم البنت في ذلك العهد أملاً من آمال المصلحين تتقارع حوله الأقلام بالحجج في غير طائل. فقلنا إن الرجل رحب الباع في الإصلاح، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة، فكان كلما دخل داراً قال إن الأبصار تجرح البنات من هنا، والأسماع تسرق الأصوات من هناك؛ حتى لم يدع في بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم أو التخيل! وظهر من تصرف الرجل أن به بلاهة وغفلة، فخطر لي أن أتداعب عليه لأكشف حاله للناس فلا يستنيموا لحكمه. فقلت له: أفندم! لم يبق في البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع الرضى. فقال: امض بنا إليه. فذهبت به إلى (منارة سوق الغزل[1]) وصعدنا فوقها، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا، وعينه تقع على سطوح بغداد وهي متطامنة تحت المأذنة العالية، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه: نعم! نعم! هذا هو المكان المناسب!

ثم نزل وفي نيته أن يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليفتتح المدرسة! فقلت له: مولانا! لا بد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعليم بناتهم فإنهم سيئو الرأي في ذلك التعليم. ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع. وسأدلك على أقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد:

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست أنت في الصدر، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف؛ ثم تشعل (شبقك) وتأمر كلا منهم أن يفعل فعلك؛ ثم تبتدئ فتذكر الله بصوت موقّع على ضربات كفي وأنت تُميل رأسك من الشمال إلى اليمين تارة، ومن الخلف إلى الأمام تارة، وأنا والحافُّون من حولك نتابعك في كل كلمة وفي كل حركة. ثم حاول أن تأخذك الحال ويستخفك الذكر؛ فكلما أزبد الفم وأرعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم، كان ذلك أحمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين إلى ما تريد

وصدق الوالي كل ما قلته له تصديقاً لا تتخالجه فيه شبهة. وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ما ذا يقول الوالي. وجلس الباشا وأنا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله، وأمر فأشعلت (الغلايين) الطويلة، وأخذ يذكر ويترنح وأنا أرسم له، والشيوخ يذكرون معه. ثم غمزته بعد حين فتهور و(تطور) وأرغى. وتظاهرت أنا بجذبة الوجد وسكرة التجلي فقرعت غليونه بغليوني، ثم أخذت بلحيته البيضاء ورأسه الأصلع، ففعل بي مثل ما فعلت به، وأخذنا نتدحرج على البساط، فمرة أكون فوقه، ومرة يكون فوقي، والشيوخ يعجون بالذكر، والناس يضجون بالضحك، وأنا والوالي قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا في صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفَس. فجلسنا مسترخيين نلهث من الأعياء وكلانا ينظر إلى صاحبه نظر الديك المنتوف إلى الديك المهيض. وذلك يا مولانا هو الوالي الذي اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض!

احمد حسن الزيات

---

(١) منارة مربضة طويلة من آثار العباسيين نهب الناس المسجد من حولها وتركوها قائمة وحدها إلى اليوم

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٥ —

رأينا أن نقف وقفة قصيرة نحادث فيها القراء قبل أن نأخذ فى محاسبة الأستاذ أحمد أمين على الأغلاط التى وقعت فى مقالاته السالفة وهو يحاول تزهيد الناس فيا ورثت اللغة العربية من ألفاظ الشعراء والخطباء

فاذا نريد أن نقول اليوم ؟

نريد أن نؤرخ الظاهرة العقلية التى بدت شواهدها حين واجهْنا الجمهورَ بعيوب الطريقة التى يفكر بها الأستاذ أحمد أمين ، فقد انقسم ذلك الجمهور إلى فريقين : فريق راضٍ ، وفريق عضبان

والفريق الأول يستأهل اللوم قبل أن يستحق الثناء ، لأن هذا الفريق يمثل جمهور المشتغلين بتدريس اللغة العربية ؛ وهؤلاء قد ركنوا فى الأعوام الأخيرة إلى التغاضى عن نقد ما يُكتب أو يقال فى السخرية من ماضى اللغة العربية . وقد يكون لهذا التغاضى أسباب : فهم فى كدح موصول بفضل ما يحمل المدرس من ثقال الأعباء ؛ وهم قد رأوا المجادلات السياسية شغلت الناس عن المجادلات الأدبية ؛ وهم قد سمعوا أن كلية الآداب صار إليها الأمر كله فى توجيه التلاميذ والمعلمين إلى قواعد الدراسات الأدبية ، فلا حرج عليهم إن انسحبوا من الميدان

تلك جملة الأسباب التى صرفت أساتذة اللغة العربية عن المشاركة فى النقد الأدبى

فهل يعرفون أن سكوتهم هو الذى أطمع بعض الناس فى أن يبنى ويستطيل ؟

لو كانت كلية الآداب تعرف أن فى مصر رقابة أدبية لما وقعت فى المضحكات حين قررتْ أن تدرس لطلبة السنة الأولى أسلوب أحمد أمين وأن تمتحنهم فى أسلوب أحمد أمين

ومن المحنة جاء الامتحان !

أحمد أمين له أسلوب ؟

آمنت بالله !

ومن هم المدرسون الذين يدرسون لطلبة كلية الآداب ذلك الأسلوب « الأحمدى » ؟

هم شبان تخرجوا فى كلية الآداب وموقفهم فى هذه القضية أحرج المواقف ، لأنهم يعرفون أن أحمد أمين من أساتذة الكلية ، ولأنهم يعرفون أنه رجل سريع الغضب والاكتئاب . وهم أيضاً يعرفون — واأسفاه ! — أن كلمة الحق فى أحمد أمين قد تحمل بعض المتملقين على وصفهم بالجهل !

ولم يقف الأمر عند كلية الآداب بجامعة القاهرة — جامعة فؤاد الأول — بل تعداه إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية — جامعة فاروق الأول — فهنالك الأستاذ أحمد الشايب وهو الأديب الفاضل الذى ألف كتاباً لطيفاً سماه « الأسلوب » وفيه يقرر أن أسلوب أحمد أمين له مزايا وخصائص

فهل لأحمد أمين أسلوب حتى تخلق لأسلوبه مزايا وخصائص ؟

* * *

أشهد مرة ثانية أن الجامعة المصرية أمرها عجب !

فالدكتور طه حسين الذى وقف بقصر الزعفران فى ربيع سنة ١٩٢٧ يلقى كلمة الجامعة فى مهرجان شوقى ، ثم رأى أن تكون خطبته فى الأخطل لا فى شوقى بحجة أن الجامعة لا تؤرخ الأحياء ، هو نفسه الذى ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكلية الآداب !

فكيف يكون الحال لو اعتدل الزمان وقيلت كلمة الحق فى التدريس بكلية الآداب ؟

أيستطيع إنسان أن يفرض على مدرس أن يعترف بأن أحمد أمين له أسلوب ؟

وماذا نقول للشبان الذين يفدون من أقطار الشرق وقد عرفوا من قبل أن أحمد أمين قد يكون من الباحثين ولكنه لن يكون من الكتاب ولا الأدباء ؟

وكيف تكون حجتنا أمام الأقطار العربية إذا سمعت أننا ندرس أسلوب أحمد أمين كما ندرس أساليب العقاد والمازنى وهيكل وطه حسين والزيات ؟

أتريدون الحق ؟

إن أحمد أمين لم يكن له أسلوب يدرس فى كلية الآداب إلا لأنه أستاذ فى كلية الآداب ، وإلا فكيف غابت قيمة أسلوبه عن أساتذة

الأزهر وأساتذة دار العلوم وهم لم يلتفتوا إليه حين التفتوا إلى أساليب الـكتاب فى العصر الحديث ؟

إن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يحس الثورة على ما يكره ، والأنس بمـا يحب ، فعندئذ تعرف نفسه معنى الانطباعات الذاتية ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص

لقد اشتغل أحمد أمين بالقضاء الشرعى بضع سنين ، فهل قرأتم له مقالاً أو قصة تدل على أنه توجّع مرة واحدةً للمآسى الإنسانية ؟

لقد عاش أحمد أمين مدة بالواحات ، فهل سمعتم قبل أن تسمعوا منى أنه عاش بالواحات ؟

لو كان أحمد أمين أديباً لحدثكم عن تلك المروج التى يجهلها المصريون

ولـكن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً لواجب الوظيفة لا يرى ماعداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين كن أديباً فكان !

* * *

وهنا أوجه القول إلى من أغضبهم هجوى على الأستاذ أحمد أمين

فمن هم أولئك الغاضبون ؟

منهم محام فاضل ألف عدة كتب فى الحياة الأدبية والاجتماعية وقد كتب إلىّ مرتين يدعونى إلى الترفق فى الهجوم على هـذا «الأديب»

وهذا المحامى الفاضل يعجب من أن نصحح رأى الأستاذ أحمد أمين فى القرآن ، وهو يظن أن اللذات الحسية التى سينعم بها المؤمنون فى الجنة إنما هى لذات روحية

وأقول إن القرآن وعد المؤمنين بأن سيكون لهم فى الجنة لحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، وسيقال لهم : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

وظاهر النصوص هو الأصل ، فهل يرى هذا المحامى الفاضل أن نؤول كلام الله ليصح كلام أحمد أمين ؟ !

ومنهم كاتب مشهور أخذ يوسوس ذات اليمين وذات الشمال بأن زكى مبارك مولع بهدم الرجال ، وأنه لو عدم مجالاً للخصومة لخاصم نفسه بلا ترفق !

وأنا أترك الرد على هذه التهمة لمن يعرفوننى معرفة شخصية من أمثال العقاد والمازنى وهيكل والزيات ، بل أترك الرد على هذه التهمة لحضرة الأستاذ أحمد أمين

كيف تشيع عنى هذه المقالة السيئة وأنا الـكاتب الوحيد التى احترم معاصريه فتحدث عنهم فى مقالاته ومؤلفاته بما يحبون ، وسجل آراءهم فى الأدب بنزاهة وإخلاص ؟

ما هو الشر الذى تنطوى نفسى عليه حتى يستبيح الزملاء اتهامى بحب المناوشات والمشاغبات ؟

لقد تأدبت منذ أعوام طوال بأدب أبى منصور الثعالبى رحمه الله فتحدثت فى رسائلى ومؤلفاتى عمن عاصرت من الرجال كما تحدث الثعالبى عن معاصريه من الـكتاب والشعراء

فأين تكونون يا أدباء الجيل من هذا المسلك النبيل ؟

إن أدباء العراق والشام ولبنان ينكرون عليكم ما تتهمونى به من حب الشغب والصيال ، ففى جرائدهم ومجلاتهم وأنديتهم تحدثت عن أدباء مصر بالخير والجميل

بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأصرح بأنى عاديت كثيراً من الناس فى سبيل الدفاع عن أعدائى من أهل الأدب والبيان . ولو شئت لأقمت الشواهد على صحة ما أقول

فكيف يصح أن يتهمنى أدباء مصر بالتحامل عليهم وأنا الذى أحسنت السفارة عن الأدب المصرى فى كل بلد حللت فيه ؟

الحق أن أكثر أدباء مصر يحبون أن يعيشوا مدلَّلين فى زمن لا ينفع فيه الدلال !

الحق أنهم استمرأوا العافية من مكاره النقد الأدبى ، فهم يصرخون كلما هجمنا عليهم لنعود إلى مهادتهم من جديد

ولو أنهم فكروا قليلاً لعرفوا أنى أؤدى الزكاة عن النشاط المصرى . فقد شاع فى كل أرض أن الأدباء المصريين تنكروا للنقد الأدبى ولم يعودوا يعرفون غير مقارضة الحمد والثناء

* * *

وأوجه القول مرة ثانية إلى من أغضبهم هجوى على الأستاذ أحمد أمين فأقول :

إن هذا الرجل أراد أن يؤرخ العصر العباسى من الوجهة الأدبية فجعله عصر معدة لا عصر روح ، وشاء له أدبه أن يختص البصرة بحكم من أحكامه القاسية فزعم أنها عرفت « نقابة الطفيليين »

فهل خطر فى بال هذا الباحث المفضال أن البصرة عرفت أكرم نوع من نكران الذات حين كانت مهداً لإخوان الصفاء؟

هل خطر بباله أن البصرة حين آوت هؤلاء الباحثين العظماء قهرت التاريخ على أن يشهد لها بقوة الروحانية؟

ومن الذى يصدق أن رسائل إخوان الصفاء وهى أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية وُضعت أصولها فى البلد الذى زعم أحمد أمين أنه أنشأ أدب التطفيل؟

هل يعرف أحمد أمين من هو مؤلف «رسالة الطير والحيوان» وهى رسالة لم يُكتب مثلها فى مشرق أو فى مغرب؟

إن هذه الرسالة وضعت فى البصرة، أو ألفها رجل استوحى أهل البصرة، أفما كانت تصلح هذه الرسالة شفيعاً للبصرة فتنقذها من قالة البهتان على لسان أحمد أمين؟

ثم ماذا؟

ثم استطاعت البصرة أن تنشئ مذهباً فى النحو شغل الأمم الإسلامية نحو اثنى عشر قرناً

ولو أن أحمد أمين كان يدقق لعرف أن البصريين لم يصلوا إلى ذلك إلا بقوة الروح، فكيف شاء له هواه أن يجعلهم أصحاب معدات؟

لو أن معدتى كانت كما أحب من القوة والعافية لأكلت لحم الأستاذ أحمد أمين وأرحت الدنيا من أحكامه الجائرة فى الأدب والتاريخ

ولكن الدهر حكم بأن أكون من أصحاب الأرواح فلم يبق لى فى محاسبته غير شيطنة الروح، وفى الأرواح شياطين!

وتحامُل أحمد أمين على البصرة وعلى العصر العباسى هو الذى أثارنى عليه، فإن كان فى الناس من يتوهم أن بينى وبينه ضغينة وأننى أشفى صدرى بتنغيصه، فهو من الآثمين وسيلقى الجزاء يوم يقوم الحساب

ولن ينقضى عجبى من أهل هذا الزمان

فما كنت أظن أن أهل مصر يستكثرون على رجل أن يقول كلمة الحق لوجه الله؟

ما كنت أظن أن من واجبى أن أكف قلمى عن رجل يتطاول على ماضى الأدب العربى وهو بشهادة نفسه غير أديب!

أليس من المزعج أن يكون من تقاليد الصحافة الأدبية فى مصر أن تمجد رجال الغرب وتنتقص رجال الشرق؟

أليس من المزعج أن تكون عيوب الناس فى الأعصر الماضية مقصورة على أسلافنا وهم الذين أحيوا الثقافة الأدبية والعقلية فى عصور الظلمات، وبفضلهم حُفظ أكثر تراث الهند والفرس والروم؟

أليس من المؤلم أن يقال لمن يغار على ذلك الماضى المجيد «إنك ذو ضغينة وإنك تشفى صدرك بتكلف الغيرة على ماضى اللغة العربية»؟

إن الرجل الذى يملك الفصل فى هذه القضية هو الأستاذ أحمد أمين، فليذكر متى عاديته؟ ومتى حقدت عليه؟ ومتى وقع بينى وبينه ما يورث الشحناء؟

إن أحمد أمين لم يوجّه إلىّ أية إساءة، وربما جاز أن يقال إنه لم يؤذ أحداً من معاصريه، فقد كان ولا يزال مثال الطيبة واللطف

ولكن أحمد أمين الذى كف شره عن الأفراد وجّه شره إلى التاريخ، فهو يدوس ماضى اللغة العربية بلا تحرز ولا رفق، ولو تركناه شهرين اثنين يؤرخ الأدب على هواه لجعل الأمة العربية أضحوكة بين العالمين.

فإن كان هنالك شىء يكتب لوجه الله فهو ما أكتب عنك يا صديقى أحمد أمين

***

أما بعد فقد بقيت معركة حامية حول ما سماه أحمد أمين «جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى» فإن اتسع صدر «الرسالة» لتلك المعركة فستخدم الأدب العربى خدمة باقية. وإن ضاق صدر «الرسالة» عن هذه المعركة فسأنقل الميدان إلى مجلة أو مجلتين أو مجلات فى مصر والشام والعراق، وحسبنا الله وهو نعم الوكيل.

«مصر الجديدة» زكى مبارك

العربى الراحل

فليكس فارس

١٨٨٦ – ١٩٣٩

للأستاذ كامل محمود حبيب

حملتك الأمواج غصناً من الأر ... ز كسيراً يفوح منه العبير
تعاليت في الجـــلاد صبوراً ... علم الناس كيف يحيا الصبور
وترامت من سما المجد صقراً ... علم الدهر كيف تقضى الصقور

فليكس فارس

عزيز على النفس أن تتحدث عنك ميتاً ، وقد كنت « بالأمس » ملء القلب، ملء الفؤاد، ملء السمع والبصر ملء هذه الحيـاة الفارغة ...

انطوى هـذا الفكر الوقاد ، وانطفأ هذا القبس اللامع ، وانحبس هذا الصوت الرنان ، وثوى العبقرى الثائر فى رمسه ، وفى قلوب صحابه آهة عميقة وفى أعينهم عبرات حرّى

هذا النغم الحادى كان حلواً تتطرّب له النفس !

هذه النفس العالية كانت طيبة رفافة لم تشبها نزوة من نزوات الـكبرياء !

هذا القلب كان كبيراً ... كبيراً لم تفسده ترهات الحياة !

فى ذمة الله أيها النغم الحادى ، وأيتها النفس العالية ، وأيها القلب الـكبير !

فليكس فارس ! هذا هو الرجل !

أخذ العلم من كتاب الحياة فما تشرّب روح المدرسة ، وفى المدرسة عسف وظلم ، وفيها إغضاء عن النبوغ الفطرى ، وفيها كبْت للمواهب المتأججة، فسما بنفسه، وعلا بروحه، وتفتح الكمّ عن زهرة يانعة وهو ما يزال عند التاسعة عشرة ، شاباً ريّق الشباب وفتى غضّ الفتوة ؛ فدخل المدرسة — أول ما دخل — أستاذاً للبيان العربى فى مدرسة عبية ؛ ثم لمت أول مقالاته الأدبية فى جرائد سوريا ولبنان .

وأعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ فتدفق البيان على لسانه ، وتراءى خطيباً تتقطع دون بلاغته ألسنة الخطباء ، فتألق نجمه . ثم ألقى عن نفسه عبء التدريس ليخوض غمار السياسة عضواً فذاً فى جمعية الاتحاد والترقى العثمانية ، واختارته لجنة سالونيك — بعـد حين — ليكون عضواً عاملاً فيها يؤسس الجمعيات الدستورية فى أرجاء البلاد .

وجرفته السياسة فى تيارها فأصدر جريدته «لسان الاتحاد» تتحدث عن نوازع نفسه ، وآمال قلبه فى السياسة والأدب جميعاً . ثم ... ثم عُيّن أستاذاً للخطابة والأدب الفرنسى فى المدرسة السلطانية بحلب .

واستعرت نار الحرب العظمى فما برح مكانه حتى دخل الجيش العربى البلاد فتخيرته الحكومة الهاشمية سكرتيراً لحكومة حلب ، ثم مديراً عاماً لإدارة حصر الدخان ، فما شغله المنصب عن أن يقوم — بين الفينة والفينة — خطيباً يدعو إلى الوحدة العربيـة وإلى رفض الانتداب الأوربى .

وفى سنة ١٩٢٠ أبحر إلى أمريكا يطلب إلى المهاجرين من بنى وطنه العودة إلى بلادهم ، وقد عزّ عليه أن ينأى جماعة من أفذاذ قومه عن ديارهم أحوج ما تكون إليهم ، وفيهم العالم والصانع والتاجر ، فقضى سنة يضرب فى أنحاء أمريكا يخطب المهاجرين بالعربية مرة وبالفرنسية أخرى ، علّهم يثوبون ؛ وهناك تعرّف إلى أعضاء الرابطة العربية جميعاً ووصل بينه وبينهم برباط من المحبة ، وتوثقت بينه وبين جبران خليل جبران العبقرى الفنان صلات من الهوى والصداقة .

وعاد إلى لبنان وفى خياله أن يستطيع أن يقنع الجنرال بيرو المندوب السامى الفرنسى بوجوب التفاهم مع العناصر الوطنية ، وتشجيع المهاجرين على العودة إلى وطنهم . ومال الجنرال بيرو إلى رأى الأستاذ غير أن الحكومة الفرنسية رأت أن ترسل الجنرال فيجان ليشغل منصب الجنرال بيرو ... فانفجرت الثورة وتطاير شررها هنا وهنالك ، ولكن اليأس لم يجد طريقه إلى القلب الكبير ... قلب الأستاذ فليكس ، فراح يكتب إلى صديقه المسيو جوسران سفير فرنسا فى واشنطن ، وإلى ذوى المكانة العليا

فى فرنسا ، يكشف لهم جميعاً عن خطل السياسة الفرنسية فى بلاده ؛ غير أن صرخاته ذهبت نهب الرياح ، فكبر عليه أن يعمل مع حكومة تسير على مبدأ لا يقرّه ، فنبذها جانباً ، ولبس ثوب المحاماة .

وفى أواخر سنة ١٩٣٠ عين رئيساً للتراجمة فى بلدية الأسكندرية فترك بلاده ومهنته ليستقر فى الوطن الثانى الجميل ... فى مصر ، وليجد هنا أصدقاء أحباء يعوضونه ما فقده فى وطنه الأول

تلك لمحة عاجلة عن حياة الأستاذ الفقيد فيها عظة وحكمة

***

لم يكن للأستاذ فليكس أن يكبح جمحات نفسه ، بعد إذ لمس الإخفاق فى وطنه الأول ، وهو قد هبط وطنه الثانى شعلة من نشاط تتقد ، فاندفع يتعرف على جماعة من أدباء هذا المصر ... ثم قرأ للأستاذ الزيات — أطال الله عمره — وجمع أعداد (الرسالة) لا تفوته فيها شاردة ولا واردة ؛ وعكف على دراسة أدب الرافعى — رحمه الله — حين استهوته مقالاته فى (الرسالة) ؛ وترجم له مقالته «رؤيا فى السماء» إلى الفرنسية وعلق عليها، ونشر هاهى والتعليق فى غير واحدة من الجرائد الفرنسية ، وأعجب بماهلى الأدب العربى الحديث وتمنى لو رآها

وفى صيف سنة ١٩٣٦ تعرف إلى الأستاذ الرافعى – رحمه الله – وطلب إليه أن يزوره فى داره فى كامب سزار برمل الأسكندرية فلبى الدعوة وأنا برفقته ... فألفيت رجلاً هادىء الطبع ، طلق المحيا ، كريم الخلق ، جميل الصحبة . وكان وجهه – ونحن فى داره – يتهلل بشراً وسروراً ... وهكذا ابتدأت أول وشيجة بينه وبين أسرة (الرسالة) الغراء ، ومضت أيام فإذا صوت صرير قلمه يرن على صفحات (الرسالة)

ثم انطلق يتلمس الطريق إلى الأستاذ الزيات ويستزيره فى إلحاح . وفى صيف سنة ١٩٣٧ دخل الأستاذ الزيات دار صاحبه فليكس – لأول مرة – وأنا إلى جانبه . يا عجبا ! إننى أرى صاحب الدار يهتز من فرط الفرح كأنه يلاقى حبيباً طال اغترابه ؛ وإنه ليتراءى لى أنه يهم أن يضم الأستاذ الزيات إليه لولا هيبته . وتقدمت الأيام وفى قلب كل منا لصاحبه المحبة والإخلاص والوفاء

عرفنا الأستاذ فليكس فعرفنا فيه الأديب الفذ والشاعر الرقيق ، وفقدناه ففقدنا فيه الأخ الوفى والصديق الصادق

ففى ذمة الله ، وفى رحمة الله ... يا صديق !

كامل محمود حبيب

فى بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ على الجندى

ضمّت الكوفةُ فى وقت واحد ثلاثة نفر يُقال لهم : الحمادون(١) ، وهم حماد عَجْرد ، وحماد الراوية ، وحماد الزِّبرِقان أو ابن الزبرقان . كان هؤلاء الثلاثة يتعاشرون بثلاثة أجساد تُصرِّفها روح واحدة . ولم يكن غريباً أن يجتمعوا على هذا الود الوثيق ، فقد ألفت بينهم رابطة الأدب ، ولحمة الزندقة ، وآصرة أخرى تُسامِى رضاع الثدى وهى رضاع الكأس ! ولله دِعْبل إذ يقول :

أذكرْ أبا جعفر حقًّا أمتُّ به   أنى وإياك مشنوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس دِرَّتها   والكأس دَرَّتها حظ من النسب

والذى يعنينا من هذا الثالوث العجيب المتّحد فى الاسم والنزعة والهوى والنِّحلة ، حماد بن ميسرة الديلمى مولى بكر بن وائل . كان هذا الرجل آية دهره فى العلم بأنساب العرب وأيامها وحفظ لغتها وأخبارها وأشعارها ، فخلع عليه معاصروه — على بخل المعاصرة وحقدها — لقب الراوية ؛ وهو لقب فخم رفيع لم يُمنحه جُزافاً بل انتزعه انتزاعاً عن استحقاق وجدارة

يحدثون أن الوليد بن يزيد سأله : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : لأنى أروى لكل شاعر تعرفه — يا أمير المؤمنين — أو تسمع به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعراً لقديم ولا مُحدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال الوليد : إن هذا لَعِلم — وأبيك — كبير . فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير . ولكننى أنشد على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة طويلة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام !

وكأن الوليد استراب بحفظه فقال : سأمتحنك فى هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشده حتى نال منه الضجر ! فوكل به من يسمع

(١) معجم الأدباء ج — ١٠ — ٢٥٠ - ٢٥٩

منه ، واستحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة جاهلية ، ورفع الأمر إلى الوليد ، فأجازه بمائة ألف درهم

ولكن مما يحزّ فى النفس أن حماداً لم يكن متحلّياً بتلك الشرائط التى تعدّ قِوام الرواية من أمانة وصدق وإخلاص !

فقد شاء ألا يقنع بما أفاء الله عليه من مواهب عالية ، وبما حصّله بجهده من ثروة أدبية ضخمة تتقطّع دونها أعناق الفحول ! فاستغلّ حفظه للشعر وبصارته بمنازع الشعراء ، وقدرته على النظم ، ودقة مسلكه فى التقليد ، وغرامه بالتزيّد فى الوضع والتلفيق والتدليس ! فكان يقرض الشعر وينحَله مَن يشاء من شعراء العرب ، ويجوز ذلك على أكثر الناس لفرط التشابه بين الأصيل والدخيل !

ومن السهل على من رُزق علم حماد وقوة طبعه وحدة قريحته وبارع زكانته ، أن يفعل مثل فعله لا فرق بين متقدم ومتأخر !

يقول الثعالبى[1] : إن الصاحب يوماً قال لجلسائه – وقد جرى ذكر أبى فراس الحمْدانى – : لا يقدر أحد أن يزوّر عليه شعراً . فقال البديع الهمذانى : ومن يقدر على ذلك وهو القائل :

رويدَك ، لا تصِلْ يدَها بباعك ولا تُغْرِ السباع إلى رباعك

ولا تُعِنِ العدوَّ علىّ إنى يمينُك إن قطعتَ فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت ! فقال البديع : أيد الله مولانا قد فعلت ! – أى زوّرت عليه –

والغريب فى أمر حماد أنه كان لا يستحيى أن يتبجّح بهذا الضلال البعيد ! فكان يقول[2] : ما من شاعر إلا أدْخلت فى شعره أبياتاً حُملتْ عنه إلا أعشى بكر فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت واحد . فقيل له : ما هو ؟ قال :

وأنكرتْنى وما كان الذى نَكِرتْ من الحوادث إلا الشَّيْب والصلَعا

وأغرب من هذا أن جرأته كانت تطوّع له الكذب على الخلفاء المعروفين بدقة الفطنة وسمة المعرفة ! فقد روى صاحب الأغانى بسنده عن جماعة ذكر أنهم كانوا فى دار الخليفة المهدى إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا بالمفضل الضبىّ الراوية ، فدخل فمكث مليًّا ثم خرج ومعه حماد الراوية وحسين الخادم ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور والنشاط . ثم نادى الخادم : يا معشر مَن حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضّل الضبى بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً مُحدَثاً فليسمعْ من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليسمعها من المفضل

وقد كان السبب أن المهدى قال للمفضل – لما دعا به وحده – إنى رأيت زهير بن أبى سُلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا ، وعدِّ القولَ فى هَرِمٍ خيرِ البُداة وسيد الحضْر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً ، إلا أنى توهمته كان يفكر فى قول يقوله ، أو يُروّى فى أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا . أو كان يفكر فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ذا . أى دع ما أنت فيه من الفكر وعدِّ القول فى هرم . فأمسك عنه المهدى ودعا بحماد فسأله فى ذلك . فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لِمَن الديارُ بقُنَّة الحِجْر أقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ ومذ دَهْر

لعب الزمانُ بها وغيَّرَها بعدى سَوَافى[1] المُور والقطْر

... ...

دع ذا ... الخ

فأطرق المهدى ساعة ثم أقبل عليه فقال : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لابد من استحلافك عليه ! ثم استحلفه بأيمان البيْعة – وكل يمين مُحْرِجة – ليَصْدُقَنَّه عن كل ما يسأله عنه . فحلف بما توثق منه . فقال له : اصدُقْنى عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير . فأقرّ له أنه قائلها . فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه

هذا الضعف الخُلُقى الذى عُرِف به حماد هو ما حدا الأصمعى أن يقول فيه : كان حماد أعلم الناس إذا نصح (يعنى إذا لم يزد وينقص) وكذلك قال فيه المفضل الضبى : قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلُح بعده أبدا ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى الرواية أم يَلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال

(١) اليتيمة ج ١ ص ٧٠

(٢) العقد الفريد ج ٣

(١) السوافى : الرياح والمور : التراب

يقول الشعر يُشبِّه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ، ويُحمَل عنه ذلك فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ »

وقد هجا حماداً أحمد بن يحيى[١] هجاء طريفاً يمكننا أن نقف منه على شكله وهيئته وزيه ورأى الناس فيه . قال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ... ويُقيم وقت صلاته حمّادُ
بسطت مشافرَه الشَّمولُ فأنفُه ... مثلُ القَدوم يَسُنُّها الحدّاد
وابيضّ من شرب المُدامة وجهُه ... فبياضُه يوم الحساب سواد
لا يُعجِبنْك بَزّه ولسانُه ... إن المجوسَ يُرَى لها أسباد

وقد نشأ حماد فى العهد الأموى سنة خمس وتسعين هجرية ، وكان أثيراً لدى خلفاء بنى مروان ، يستزيرونه فيفد عليهم ليحدثهم عن أيام العرب وأخبارها وينشدهم أشعارها ، فيظهرون إعجابهم به وينفحونه بالأعطيات السنية

وقد خفّ على قلب يزيد بن عبد الملك منهم فانقطع إليه واختص به ونادمه ، فحصّل منه دُنيا عريضة وعاش فى حال رافهة

ولكن هذه النعمة السابغة كادت تحوُل جائحة مستطيلة لولا ما قُدِّر له من طول السلامة ! فقد كان بين راعيه يزيد وأخيه هشام جفوة شديدة مردها إلى أنهما من أبناء العلات[٢]، فأم يزيد عاتكة بنت يزيد بن معاوية الأموية ، وأم هشام عائشة بنت إسماعيل المخزومية ، وأهم من ذلك أن يزيد كان يريد أن يبايع لابنه الوليد القاصر، فصرفه أخوه مسلمة بلباقة وكياسة إلى مبايعة أخيه هشام الراشد، ولكن يزيد ندم بعد أن تم الأمر، فاستشرت العداوة بين الخليفة وولى عهده حتى اضطر هشام أن يعيش خارج دمشق ، وتبع ذلك أن حقد على حاشية أخيه وبطانته ، ومنهم حماد زينة البلاط ونجمه اللامع !.

فلما آلت الخلافة إلى هشام خافه حماد على نفسه خوفاً شديداً فانزوى فى كِسْر بيته مدة عام كان فى خلالها — إذا ضاق صدره — ينسلُّ فى سر من الناس إلى الثقات من إخوانه خائفاً يترقب ؟ ولما انقضت هذه الفترة ولم يتوجه إليه طلب ، ظن أنه قد

(١) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٠   (٢) الضرائر

بلغ مأمنه ، فبرز من مخبئه وصلى الجمعة فى الرُّصافة[١]، ولم يقنع بذلك حتى جلس عند باب يدعى باب الفيل ، وإذا شرطيان كأنما نبعا من الأرض قد وقفا عليه وقالا: ياحماد ، أجب الأمير يوسف ابن عمر (والى العراق) فانخلع قلب حماد من الرعب ، وقرع سِنّ الندم على خروجه ، وتوسل إليهما أن يستأنياه حتى يأتى أهله فيوصى بهم وإليهم ، ثم يصير معهما إلى حيث يريدان ، فأجاباه فى خشونة الزبانية : ما إلى ذلك من سبيل ! وأخذا بعضديه ، فاستبسل[٢] للموت واستقاد لهما حتى بلغا به الأمير وهو جالس فى الإيوان الأحمر ، فسلم عليه حماد بصوت مصحول فكان رد السلام أن ألقى إليه كتاباً فيه ما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّع ولا مُتعتَع[٣] وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق

ففاضت بشاشة الطمأنينة على قلب حماد ، وقبض الدنانير الصفر وقد امتزج لألاؤها ببريق السرور الخاطف على وجهه !

وفى الحق أن حماداً كان مسرفاً فى خوفه من هشام ، فقد كان هذا الخليفة غزير العقل راجح الحلم عفيف النفس جامعاً لأدوات الرياسة ، حتى كان الأشياخ يقولون : أُديل من الشرف وذهبت المروءة بموت هشام ! ومن كانت هذه صفاته فكثير عليه أن ينكل بأديب مستضعف كلُّ جريرته أنه كان متصلاً بسلفه

وقد هيئ لحماد جمل مرحول فركبه من ساعته ، وسار يُغِذّ فى السير اثنتى عشرة ليلة حتى وافى دمشق ووقف بباب هشام مستأذناً فى الدخول إليه ، فأذن له .

[البقية فى العدد القادم]

على الجندى

(١) المراد بها رصافة الشام وهى مدينة فى غربى الرقة على طرف الصحراء (خزانة الأدب ج — ٢ — ٣٠١)
(٢) استبسل للموت : استسلم له   (٣) مكره

وســــائل الاغتياب

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب اغتياباً إلا إذا كان قد أتى من غيره فى حقه أو فى حق عزيز عنده أو مرضىٍّ عنه لديه . أما إذا أتى الاغتياب من غيره وقُصد به انتقاص غير عزيز عنده ولا مرضىٍّ عنه ؛ أو إذا كان هو الذى يغتاب فإنه لا يعد الاغتياب فى هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة، فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإظهاراً للنقص ومحاربة للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر . وهكذا تتغير حقائق الأمور حسب أهوائه، وبذلك يسيطر على ضميره ويخدع ضمائر الناس. فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة ؛ أما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها . وهو إذا اغتابه أحد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل ومحاربة للنقص كما يعد الاغتياب الذى يجىء من نفسه فى حق الناس . وكثيراً ما يلجأ المغتاب إلى أساليب عجيبة كى يقبل اغتيابه فيقول : إنى لا أريد أن أنتقص فلاناً أو أن أذمه فإنه رجل فاضل، ثم يغتابه بما لا يترك له فضلاً ولا فضيلة. وقد يمدح عمل الرجل فى صنعته كى يقبل الناس ذمه له فى أخلاقه ؛ وذلك لأن الفضل فى العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذى يستطيع أن يزن فضل القول أو العمل فى الصنعة أو المهنة . أما فضل الأخلاق فأكثره غير مكتوب فى طرس ولا مرصوف فى بناء ولا منحوت فى تمثال حتى يزن الوازن فنه ولونه وحقيقته ، بل أكثره وديعة فى نفوس الخلطاء أو من ليسوا بخلطاء ولا عشراء إذا كان المرء معروفاً بالذكر عند من لا يعرفه فى حياته الخاصة. والخلطاء قد لا يؤدون الأمانة وافية ولا الوديعة غير منتقصة وغير الخلطاء إنما يحكمون بالصدى

وكثيراً ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه أو لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذى يريد إثارة شره، أو قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل أن يستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذى يغتابه المغتاب، وقلما يجرؤ أحد الناس إذا سمع ذماً لغائب أو شبه غائب على رفض الذم وتزكية المذموم خشية أن يعد الناس مدحه للمذموم مشاركة له فى نقصه الذى ذمَّ به ، فترى أكثر الناس إلا من ندر إذا اغتاب إنسان إنساناً يسرعون إلى إظهار تصديقهم قوله خشية أن يُعدُّوا مشاركين للغائب المذموم إذا كذَّبوا مغتابه. وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من أهل الخير، وإن كانوا من أبعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب للحقد ، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لأنفسهم، وكل إنسان به شىء قليل أو كثير من الجبن أو الخوف أو الحذر فيخاف إذا لم يعاون المغتاب على اغتياب الغائب — وأقل المعاونة المعاونة بالسكوت والإنصات والابتسام والإقبال — أن يُعدَّ مشاركا للغائب فيما اغتيب به. وإذا كان هذا شأن أهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس وأكثر الناس يجدون فى أنفسهم لذة ومسرَّة — إما قليلة تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإما لذة عظيمة — إذا سمعوا ذماً لإنسان . وأقل أسباب هذه اللذة وأظهرها أن الذم لم يقع بهم بل بغيرهم فَيُسرُّون لنجاتهم من الذم بوقوع الذم بغيرهم كما يسرون من أجل أنَّ ذمَّ غيرهم بالحق أو بالباطل إذا سمعوه أو قالوه يزيدهم عظمة عند أنفسهم فيشعرون أنهم صاروا أعظم من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل، فالذم كالجمر كل يريد أن يلقيه على غيره . فإذا أحس السامع فى نفسه أنه أحقُّ بذلك الذم الذى اغتاب به المغتاب غائباً أسرع فى معاونة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن المغتاب وكيلا يلحظ من عينيه أنه أحق بالذم من الغائب . ومن أجل ذلك يكون الاغتياب أشيع ما يكون بين أهل النقص الحقيقيين بالذم الذين يخفون من أسرار أنفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفاً من ظهوره فيندفعون إلى الغيبة من الخوف، كما قد يُقبِلُ الأرنب من خوف إلى الثعبان، أو كما قد يُقبِلُ الهِرُّ من خوف إلى الأسد . وهم قد يندفعون فى نقصهم ويُهوِّنون على أنفسهم النقص بذلك. وقد يُصَرِّحُ المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفى بالتلميح فى تهديده فيقول: لا يدافع عن أهل الرذيلة إلا من كان من أهل الرذيلة، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب ، وربما صار من خوفه أشد شرَّاً فى الاغتياب من ذلك المغتاب الذى هدده إذا لم يقبل منه قوله .

وقد تجتمع فى نفس السامع أسباب الاغتياب كلها، بل إن الخوف من مشاركة الغائب المهجو فى الذم قد يجعله السامع عذراً لنفسه إذا وجد لذة فى الشر والانتقاص ، وإيقاع الأذى بغيره بمعاونة المغتاب ؛ فيبعد أن يكون قبوله الاغتياب والمعاونة عليه خوفاً يصبح القبول وتصبح المعاونة لذة فى إيقاع الأذى وتماظماً بانتقاص غيره ، فترى أن أقل أسباب قبول الغيبة إثماً وأطهرها شكلاً يسوق النفس إلى أكثر أسباب قبول الاغتياب والمعاونة عليه إثماً ، وإلى أخبثها أصلاً فى النفس . وهذا من عجائب النفس الإنسانية التى فى أول أمرها قد تتحرج من أقل الخبث والشر؛ فإذا قبلته مُكرَهةً كارهة قد لا تتحرج فى أن تجد لذة فى أشد الشر والخبث . والخوف من مشاركة المذموم فى الذم سنة عامة قد تتخذ شكلاً مضحكاً . فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون فى مودة وصفاء ثم يرون على قرب منهم اثنين يتضاحكان، وقد يكون تضاحكهما لأمر لا صلة له بهم ، ولعل ذكرهم لم يجر على لسان المتضاحكَيْن ، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التى تتحدث فى مودة وصفاء أن تضاحك المتضاحكين منهم أو من أحدهم فيبتسم كل منهم كى يوهم أصحابه وجلساءه أنه واثق فى سريرة نفسه أنه غير مقصود بضحك المتضاحكين . وقد يكون ابتسامه مخلوطاً فى شكله بمظاهر الخوف والارتياب فيتخذ ابتسامه شكلا مضحكا حقاً . أما إذا استطاع أن يخفى مافى سريرة نفسه من الارتياب والخوف فإنه قد يقنع جلساءه أن تضاحك المتضاحكين على مقربة منهم ليس سخراً به بل بأحدهم وقد ينظر مبتسماً إلى جليس كى يوهم جلساءه أن المتضاحكَين إنما يسخران بهذا الجليس الذى ينظر إليه فهو يتوقى السخر الموهوم بإلصاقه بجليسه كى يقى نفسه من أن يُظَنَّ موضوع اغتياب المتضاحكين . وهذه ظاهرة مشاهدة فى الناس وقد قال أحد الأدباء الماكرين :

إذا رأيت إنساناً فى جماعة على مقربة منك وارتبت فى أنه يغتابك فما عليك إلا أن تختار صديقاً أو جليساً يجيد الضحك ثم حدثه حديث فكاهة يثير ضحكه ولا علاقة لحديثك بالإنسان الذى ترتاب فى أنه يغتابك فإذا أكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه أثناء الحديث والضحك ارتاب ذلك الإنسان أيضاً فى أنك تذكره بسوء . بل قد يتذرع ببعض جلسائه خشيةَ أن يكون هو المقصود بالضحك فينصرفون عنه ، وقد يسمون إليك مبتسمين إذا كانوا يعرفونك كى يوهم كل منهم الآخر أنه واثق فى سريرة نفسه أنه ليس مدعاةً للسخر والضحك، وإنما يكون انفضاضهم عن ذلك الإنسان على صوت ضحككما كانفضاض قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير مُصَبَّاً بما يميت. وهذه الحيلة ليست من مكارم الأخلاق وربما ألجأ إليها الظن المخطىء وربما لا تستطاع إلا بشىء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على أى حال من أخلاق الناس ومشاهد الحياة .

والمغتاب الذى لا يستطيع الناس أن يجدوا سبباً لحقده على من يغتابه أكثر المغتابين نجاحاً فى الاغتياب ، ومن أجل ذلك يحاول المغتاب الماكر أن يخفى سبب حقده وكرهه ، وقد يكون السبب بطبعه بعيداً عن الأذهان، وقد يكون المغتاب نفسه غير فاهم سبب حقده الذى يخامر نفسه كل الفهم ، وأخلق بهذا السبب ألا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه .

عبد الرحمن شكرى

الفتح الربانى

لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى

يبذل فضيلة المحدث الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا جهداً موفقاً مشكوراً فى إخراج كتابه هذا مع شرحه (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربانى) ، وقد أخرج حديثاً القسم الثالث من الجزء الحادى عشر من ذلك السفر النفيس . والكتاب غنى عن التعريف فهو دائرة معارف فى الأحاديث الشريفة والسنة المطهرة . فنحث القراء ومحبى السنة على الاشتراك فيه . وهو كالعادة ١٢ قرشاً للجزء من الورق الأبيض و ١٠ قروش للورق النباتى . ويطلب من فضيلة المؤلف بعطفة الرسام رقم ٥ بالغورية بمصر .

كتاب فى «الدين الاسلامى»

للأستاذ على الطنطاوى

كان الأعرابى الجلف الجافى ، يقعد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ساعة من زمان يستمع فيها إليه ، فلا يقوم إلا وقد فهم الإسلام وعرفه ، وصار من المبشرين به والداعين إليه . وكان يصحب النبىّ أياماً فلا تنقضى حتى يغدو عالماً ، يبعثه النبى إلى قومه معلماً ومرشداً ، فيعرّفهم الحدود ، ويبيّن لهم الحلال من الحرام ...

كان هذا يوم لم يكن تدون ، ولم تصنف المصنفات ، ولم تجمع الأحاديث . . . وها نحن أولاء نملك أكثر من مائة ألف كتاب ورسالة فى التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة والخلاف وكل ما يخطر على بال باحث من المسائل المتصلة بالإسلام ، ولكنا لا نجد فيها كتاباً واحداً لخص الإسلام كله تلخيصاً وافياً ، وعرضه عرضاً واضحاً ، يقرؤه الشاب فيفهم ، فيفهم فيه الدين كله كفهم الوافدين على النبي الدين ، حين دخلوا فيه أفواجاً ...

ولقد أحسست بهذا النقص منذ ابتداء عهدى بالطلب ، وعرضت له فى رسائل (فى سبيل الإصلاح) التى نشرتها فى دمشق (أثر عودتى من مصر سنة ١٩٢٩) . بيد أنى لم أعرف خطره إلا أمس ، حين درّست الدين فى مدارس العراق ، وشرحت للطلاب مزاياه ، وكشفت لهم عن عظمته ، فكانوا يتشوقون إلى زيادة الاطلاع ، ويرغبون فى متابعة الدرس . فيسألوننى عن الكتاب الذى يجدون فيه خلاصة الدين ، كما يجدون خلاصة الطبيعة أو الهندسة فى كتاب واحد ، فأفكر فيه فلا أجده ، ولا أجد إلا علوماً كثيرة من كلام وفقه وحديث وتفسير فيها آلاف من الكتب ، يعتدها المؤرخون أثمن تراث للعقل البشرى وأغناه ، ولكنها أصبحت اليوم بالية الأسلوب ، قديمة الطراز ، كحلية من الذهب ، ما نقص الذهب ولا خاس ، ولكن أنكر الشكل وتغيرت الأذواق ، والصائغ الماهر يحول الحلية من حال إلى حال ... وكنت أخاف أن ينصرف الطلاب عن دراسة الإسلام ، وتموت فى نفوسهم الرغبة فيه ، إذا أنا دللتهم عليها وأردتهم على قراءتها . وليت شعرى أأقول للطالب الذى لم تدع له دروسه الكثيرة ، إلا بقية من وقت ، آثر أن يشغلها بدراسة الدين عن أن ينفقها فى حق نفسه وراحتها ، أأقول له ، إنك لا تفهم الإسلام حتى تقرأ (النسفية) و (السنوسية) وأشباهها وتدخل فى كل باب من أبواب الفلسفة الفارغة ... والجدل العقيم ... وتدور مع المذاهب الباطلة والرد عليها ، والآراء الخاطئة ودفعها ، وتحفظ كفر أقوام انقرضوا وانقطع دابرهم ، كل ذلك لتفهم التوحيد الذى جاء به النبى صلى الله عليه واضحاً سهلاً لا فلسفة فيه ولا جدال ... وتقرأ (الطحطاوى) والشرنبلالى أو (الباجورى) أو غيرهما من كتب الفروع ، وتملأ الرأس منك فروضاً مستحيلة ، واحتمالات بعيدة ، تتخلل الأحكام ، وتجىء مع قوانين الشريعة ، كل ذلك لتعرف كيف تصلى وتصوم ، وقد كان البدوى يتعلم الصلاة والصيام فى ساعة واحدة ويؤديهما من بعدها على وجه الكمال ... وتقرأ (شروح المنار) أو (جمع الجوامع (وتكسر دماغك فى كلام هو (والله العظيم) أشبه بالطلاسم والأحاجى منه بالعلم وأسلوبه المبين ، لتفهم أصول الفقه ، والأصول فى هذا الدين ثابتة ثبوت الجبال ، واضحة وضوح الشمس ، مستقيمة كخيوط النور لا عوج فيها ولا التواء ، ولا غموض ولا إبهام ... وتقرأ (النخبة) أو (مقدمة ابن الصلاح) لتفهم مصطلح الحديث ، وتقرأ بعد ذلك شيئاً كثيراً ... ثم لا تنجو بعده من أن يتهمك الحشويون بأنك وهابى ، والسلفيون بأنك قبورى[1] ، ولن تعدم من يتبرع بتكفيرك من أجل بحث فى كرامات الأولياء ، أو كلام فى السفور ، أو رأى فى ابن عربى...

فأين الشاب المشغول بدروسه المنهىُ لفحصبه من هذا الخضم الذى يغرق فيه لو خاضه ؟ أو لا يعذر الشبان إذا لم يقدروا على درس الدين فى كتبه ، ولم يجدوا من يفهم عنهم أو يفهمون عنه من علمائه ، فآثروا السلامة ، وابتغوا من العلوم والدراسات ما له كتب مفهومة ، وخلاصات واضحة ؟

أحسست بهذا النقص البين ، فكتبت فى وصفه وخطبت مراراً وسألت من توسمت فيه من العلماء سده وإكماله ، فوجدت من (علمائنا) والجمهور منهم لا يحسن شيئاً إلا إقراء الكتب

(١) كذا يقولون والقياس الافراد عند النسبة — هذا وليس الغرض إهمال هذه الكتب ، فانها المصادر التى لا بد منها لمن يحب التخصص فى علوم الشرع ولكن الكلام على طلاب المدارس

التي كان قرأها على مشايخه من قبل ، وشرحها كما شرحت له ، فإن خرجت به عن الحواشي والشروح ، عاد عامياً لا يكاد يصلح لشيء . ووجدت أكثرهم بعيداً عن الأدب ليس من أهل البيان ، ومنهم من لا يزال يظن (جهلاً) أن الإسلام كره الشعر وحرمه ويحتج بحديث : لأن يمتلئ جوف أحدكم ... ولقد ثبت أن الذي يروونه جزء من الحديث رواية ويل للمصلين[1] . ومن ابتعد عن الأدب ، ولم يتمرس بأساليب البلغاء ، لم يأت منه خير لأن علمه يقتصر عليه ، فلا يقدر على بثه بقلم ولا بلسان ... ووجدت أكثر (علمائنا) يعيش في دنيا أهل القرن التاسع ، ويفكر بعقولهم . ومنهم من شغله منصب يحرص عليه ، أو مال يبالغ في جمعه وادخاره؛ ومنهم من أخلد إلى الراحة، وابتغى الجاه والغنى من شر الطرق وأقصرها ، فخرق على العامة وأظهر الورع فيهم والتواجد . فإن قلت له : صباح الخير ، أو سألته عن مسألة ... أجابك بـ(لا إله إلا الله) أو بالحوقلة والاستغفار ، يقلب سبحته في يده ، ويغمض عينيه ، ويصمت حيناً خاشعاً مراقباً ، ثم يصرخ في وجهك صرخة من أفلت من (العصفورية) أو (العباسية) . ورأيت من هؤلاء من العجائب ما لو قصصته لخفت أن أكذب فيه لغرابته ... فأيست منهم أو كدت ، ودفعني هذا اليأس إلى محاولة الكتابة في هذا الموضوع ، على قصر يدي فيه ، وقلة بضاعتي ، وأعددت (في نفسي) أكثر مباحثه ، ثم رأيت أن أفتح هذا الباب في الرسالة (بإذن الأستاذ الزيات) لكل من أراد أن يكتب فيه وارتضى الأستاذ ما كتب ، ورجوت أن يقبل على الكتابة العلماء والباحثون ، ينشئ كل منهم فصلاً من الكتاب ينشر اليوم في الرسالة . ثم إذا اجتمعت الفصول ونقحها أصحابها وأعادوا النظر فيها أودعت صفحات كتاب يبقى إن شاء الله وينتفع به الناس . . . ولعل الذي يمنع تحقيق هذا الرجاء أن أكثر من يكتب من الشباب وعلك الأسلوب المشرق المبين لا اطلاع له على كتب الدين ، ولا إلمام له بها . وأكثر العلماء (كما قدمت القول) غير مشتغلين بالكتابة . وعلاج ذلك أن يشترك في البحث عالم مطلع ، وأديب كاتب ، فيمشي الشاب الذي يحسن الكتابة إلى عالم يدله على المراجع ، ويبين له الأحكام ، وينشئ هو الفصل بعد ذلك ، فيجتمع له فوائد، منها أن البحث قد كتب وتم، ومنها أنه اطلع على نواح من العلم جديدة ، ومنها أنه ألف هذه الكتب القديمة وعرف أساليبها . . .

ولنأت الآن إلى الموضوعات التي ينبغي أن يشتمل عليها الكتاب ، ما هي وما حدودها . ولست أحب أن أحددها وحدي بل أبين المراد إجمالاً . والمراد أن يلخص الدين الإسلامي في كتاب يضم بين دفتيه الإسلام الذي جاء به النبي محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخلافات ، يقرؤه الشاب المسلم الذي لا يعرف الدين ، فلا يحتاج بعده إلى شيء ، ويقرؤه العامي فيفهم منه دينه، ويقرؤه الغربي (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة

وإذا كان المسلم الكامل هو الذي أخذ الاسلام علماً وعملاً واعتقاداً ؛ وإذا كان حديث جبريل المعروف قد قسم الدين إلى إيمان وإسلام وإحسان ، وشرح الأول بأنه التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وشرح الثاني بأنه النطق بالشهادة ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وفسر الإحسان بأنه عبادتك الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فإن من المستطاع تحديد موضوعات كتاب « الدين الإسلامي » بأنها :

الإيمان وما يتصل به — الإيمان بالله (التوحيد) — الإيمان بالملائكة والجن والشياطين — الإيمان بالكتب — القرآن ، وما يتصل به من نزول ، وجمع وإعجاز — الرسالة والرسل — حياة النبي محمد ورسالته — اليوم الآخر — القضاء والقدر — الصلاة : حكمها وفائدتها وكيفيتها وبيان المتفق عليه من أحكامها ـ الصوم ـ الزكاة ـ الحج ـ الأخلاق الشخصية في الإسلام ـ الأخلاق الاجتماعية في الإسلام ـ الإسلام من الناحية التشريعية ـ الإسلام من الناحية السياسية ـ فكرة عامة عن العلوم الإسلامية ـ المذاهب الأربعة والكلام عليها الخ ...

هذه هي المباحث المهمة ، وأهم منها أن تكتب بأسلوب لا هو بالأسلوب العلمي الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصي الخيالي ، وأن تكون تعليمية قبل أن تكون علمية ، وأن ترتفع عن كل خلاف أحدثه المتأخرون ، وتعود إلى المنبع الصافي الذي استقى منه المصدر الأول خير القرون .

هذا وفي الموضوع مجال للايضاح والنقد والتعديل ، ولعل صفحات الرسالة لا تخلو من ذلك .

« دمشق » علي الطنطاوي

(١) أنظر كتاب (الاجابة) الذي نشره أخي سعيد الأفغاني وحققه وعلق عليه (المكتبة الهاشمية بدمشق)

مدينة قونيـــــة

(يا حضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

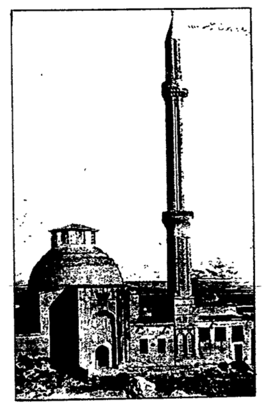
من عجائب الآثار وبدائع الصنعة مدرسة إينجه منارة (مدرسة المنارة اللطيفة) وأنا أعفى القارئ من وصفها وأكتفي بما تنطق به الصورتان المثبتتان هنا

ولا يسعنا أن نغفل جامع صاحب عطا (صاحب آتا) بناه أحد وزراء السلاجقة الكبار فخر الدين علي بن الحسين بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٤ ، وقبره في إيوان داخل المسجد ومعه خمسة قبور . وتدل الكتابة على مدخل الإيوان أنه بني في مفتتح المحرم سنة ٦٨٢

وفي أطراف المدينة على مقربة من المزارع جامع صغير فيه قبر العالم الكبير صدر الدين القونوي المتوفى سنة ٦٧١ ؛ وكان من الأساتيذ في علوم الدين والتصوف. وكان واسطة بين الشيخ الأكبر محيي الدين ومولانا جلال الدين . تزوج محيي الدين أمه ورباه وعنه أخذ جلال الدين فيما يقال . وله مؤلفات في التفسير والحديث والتصوف

ذهبت إليه وحيداً قبيل الغروب فما زلت أسأل حتى اهتديت إليه فألفيته مقفلاً فسرت قليلاً وعدت فإذا رجلان جالسان بجانب الباب أحدهما ضرير . فلما اقترب المغرب قلت : ألا يفتح المسجد ؟ ففتحا الباب فدخلنا إلى مسجد صغير عطل من جمال الصنعة والزينة فتقدم أحد الرجلين فألقى قبعته ووضع العمامة فعرفت أنه الإمام، وتقدم الآخر وعلى رأسه (كاسكت) فأداره وأقام الصلاة فصلينا المغرب وحدنا . وسألت عن ضريح صدر الدين فأشير إلى نافذة تطل إلى حديقة صغيرة فنظرت فإذا قبر بجانب النافذة فوقه عريش من الكرم وبجانبه أشجار

ولم تقر نفسي دون أن أرى مثوى الصوفي العجيب الغريب الذي اتصل بجلال الدين فحوله من الدرس إلى الخلوة ، ومن أستاذ درس إلى مريد طريقة ، الرجل الذي أثار حوله الظنون والأيدي حتى قتل في إحدى الثورات عليه ، فما زال جلال الدين يشيد بذكره ويلهج به في شعره حتى سمى ديوانه الكبير باسمه . ذلكم شمس تبريزي (شمس الدين محمد بن علي التبريزي) الذي يقول فيه جلال وما أكثر ما قال فيه :



مدرسة إينجه منارة (المنارة اللطيفة)

نه من تنها سرايم شمس دين وشمس دين

مى سرايد عندليب أزباغ وكبك أز كوهسار

باسمه الوُرْق والعنادل تشدو   لست وحدى أنوح: (شمس الدين)

عزمت على زيارته فقيل إن المزار مغلق لا يفتح لأحد . فاكتفيت بمشاهدة البناء على بعد . ثم لج بي التطلع فسرت إليه

ليلاً فجارت بى طرق متعرجة ضيقة فرجعت آسفاً وأعجلنى السفر البكر عن المسير صبحاً ، وإن قدر لى الرجوع إلى قونية كانت زيارة شمس الدين أول ما أفعل

— ٤ —

وقونية مدينة كبيرة فى ولاية واسعة تسمى باسمها ، وهى على حافة صحراء كبيرة يمر بها نهر صغير ينتهى إلى بحيرة غربيها. وهى على ٤٥٠ كيلاً من استانبول إلى الجنوب الشرقى منها ويتصل بها سهل خصب جداً تكثر خيراته إذا أصابه مطر جود ، لأن نهرها وينابيعها لا تنى بإروائها. وصناعة النسيج بها رائجة

وهى كثيرة المساجد بها زهاء ١٥٠ مسجداً و ٥٠ جامعاً . وأهلها معروفون بالدين والتقوى

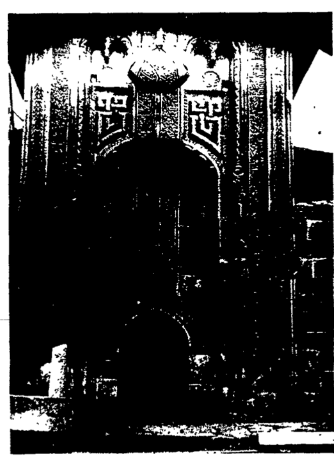
وبها كثير من آثار السلجوقيين إذ كانت حاضرة دولتهم فى آسيا الصغرى

وهى مدينة قديمة عرفت أيام اليونان والرومان . ومن الأساطير التى تروى أن تنيناً سلط عليها فكان يبلع النساء والصبايا حتى قتله برسبوس بن جوبيتر (المشترى) فوضع أهلها على أحد أبوابها تمثالاً لهذا البطل الذى نجاهم من التنين فسميت المدينة ايكونيوم أخذاً من كلمة ايقون أى الصنم أو التمثال

إذا وقف الإنسان على ربوة علاء الدين رأى أمامه ميداناً كبيراً فيه أنصاب حديثة للجمهورية التركية ، وأبنية ومساجد، وينتهى النظر إلى قبة مولانا جلال الدين تبدو من وراء الأبنية وبها شوارع مديدة واسعة . منها الجادة التى تمتد من الربوة إلى المحطة وفيها تمثال عظيم للغازى ويرجى لها مستقبل عظيم. ولا ريب أنها كانت أيام السلاجقة أعظم عمراناً وأكثر سكاناً

وقد زارها ابن بطوطة بعد زوال دولة السلاجقة واستيلاء أمراء بنى قرمان عليها فقال :

« مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين — وقد تقدم ذكره — ويحمل منها أيضاً إلى ديار مصر والشام . وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب . وأهل كل صناعة على حدة . ويقال إن هذه المدينة من بناء الاسكندر ، وهى من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وقد تغلب عليها صاحب العراق فى بعض



باب مدرسة اينجه منارة

الأوقات لقربها من بلاده التى بهذا الإقليم

نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه، وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا . وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم فى الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام . ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة

من تاريخنا النسوى

عائشة والسياسة (*)

للأستاذ سعيد الأفغانى

لم يتح للسيدة عائشة أن يكون لها أدنى أثر فى السياسة على عهد الخليفتين العظيمين أبى بكر وعمر ؛ بل كان شأنها شأن بقية أمهات المؤمنين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم : يُستفتَيْن فى المسائل من أمور الدين ، وخاصة فيما لا يعانيه إلا النساء . فبقين بعد وفاة الرسول مثابة لرواد الفقه وحملة الشريعة ، وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة ، إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس ، كأن الوحى لم ينقطع ، وكأنهم من أنواره فى شمس لا يلم بها أفول ولا تحجبها ظلمة . وليس كل السنة يتسنى للرجال معرفتها ، ولولا ما نشرن منها لضاع علم كثير : فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة ، كثيراً ما يسألونهن فى دقاق المسائل وجلائلها ، وعلى هذا اقتصر عمل عائشة لهذا العهد . وكان فى ذكائها (رحمها الله) وفى علمها ما جعلها مقدمة على عامة أزواج النبى (ص) : يعرفن ذلك من حقها ، ويرجعن أمورهن إليها . . . وكان الناس حين يفزعون إلى أزواج النبى لا يبدءون إلا بها . . . فكأنها فيهن مكان الزعيم . . .

* * *

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، سارت السيدة فى الشطر الأول من خلافته (سيرتها على زمن صاحبيه) : تفتى وتحدث وتنشر العلم... لكنه لم يكد لين عثمان يجرئ الناس عليه ، ولم تكد القالة تفشو ناقمة على بعض تصرفاته ، حتى انقلب الأمر ، ورأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة ، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ولم تزل السيدة توغل فى تدخلها السياسى حتى أدى إلى ما لم تكن تحب ، وحتى خرج الأمر من يدها فى النهاية إلى يد الغوغاء ، فكانت أشد الناس ندماً على ما قدّمت . . .

كان مما أخذ الناس على عثمان عزله من ولاية الكوفة القائد المغوار صاحب رسول الله سعد بن أبى وقاص ، وتوليته الوليد ابن عقبة أخاه من الرضاعة . فلما حضر وفد أهل الكوفة متذمرين إلى عثمان من عاملهم الجديد انتهرهم وأوعدهم . . . فلجئوا إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة مستجيرين . وأصبح عثمان ، فصلى بالناس الفجر فى مسجد رسول الله (ص) ، فسمع من حجرة عائشة صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة . فقال : « أما يجد مُرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ ! » . فسمعت عائشة فغضبت . ورفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : « تركت سنة رسول الله صاحب هذه النعل » . فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد . فمن قائل : « أحسنت » ؛ ومن قائل : « ما للنساء ولهذا » حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له : « اتق الله ولا تعطل الحد ، واعزل أخاك عنهم » . فعزله عنهم ! وهكذا استطاعت السيدة بما لها من

(*) الأغانى ٥ — ١٣٠ (طبع دار الكتب)

وكان صنيع هذا القاضى فى إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجل ، وبعث ولده عوضاً عنه لدخول الحمّام معنا

وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر . وبأرض الروم طائفة ينتمون إليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الأحمدية بالعراق ، والحيدرية بخراسان . وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر »

ولا أنس مسيرى فى قونية ليلة الوداع وانتحائى منتدى قرب المحطة وجلوسى تحت أشجار هناك إلى نافورة كأن وسوستها فى صمت المكان مناجاة أو حديث النفس

وبينا يجول الفكر فى مشاهد قونية وتاريخها ، ويطير بينى وبين الوطن والأهل فى لمحات ، انبعث المذياع مبلغاً رسالة مصر كأنها جواب النجوى . ولست أدرى أعرف صاحب المنتدى أنى مصرى فآنسنى ، أو كان اتفاقاً أجاب حديث الضمير . وكثيراً ما سمعت فى استنبول وقونية صوت مصر ، لا سيما حين تلاوة القرآن

عبد الوهاب عزام

السكانة والذكاء أن تهيئ لمعارضتها نجاحاً باهراً . فغيرت هـذا العامل على رغم الخليفة. وخير ما نطلقه عليها أنها كانت : «زعيمة المعارضة» — على اصطلاح هـذا العصر — مدة الخليفتين عثمان وعلى . . .

ثم جاءت شكوى المصريين من عاملهم ابن أبي سرح على نحو شكوى أهل الكوفة من عاملهم . وقامت السيدة في ذلك مقاماً حميداً كما قام غيرها من مشيخة الصحابة مثل على وغيره . إلا أن ابن أبي سرح لم يعمل بكتاب عثمان[1]، وقتل أحد الذين كانوا شكوه ؛ فرجع المصريون إلى المدينة ، وشكوا إلى أصحاب النبي وأزواجه ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة ؛ فكلم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : « قد تقدمت إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل ؛ فأبيت أن تعزله ؛ فهذا قد قتل رجلاً منهم فأنصفهم من عاملك . . »

ولما رجع المصريون بكتاب عثمان المزور ، وضج الناس ، كانت عائشة تذمه كثيراً ، وكانت هي نفسها تقول (فيما بعد) : « إنا نقمنا عليه ضربه بالسوط ، وموقع السحابة ، وإمرة سعيد والوليد . فغضبنا لكم من سوط عثمان ... »

ومواقف عائشة هذه من عمال عثمان وإرغامها إياه على تغييرهم، قد آذته كثيراً حتى خرج مرة عن وقاره واعتداله ، وما يليق به من الاحتمال والحلم . قال صاحب (البدء والتاريخ) :

« كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة . وخذله المهاجرون والأنصار ، وتكلمت عائشة في أمره وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونعله وثيابه وقالت : « ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم ! » فقال عثمان في آل أبي قحافة أنترة عائشة ما قال ، وغضب حتى ما كان يدرى ما يقول »[2] هـ .

هذا ما كان من آثارها ، ودع لنفسك أن تقدر ما يبلغ مثل ذلك من نفوس الناس ، وهم حينئذ أولو الحمية للاسلام ، وأقرب الناس عهداً بالرسول وصاحبيه — كم يبلغ من نفوسهم الوجد على عثمان حين فرّط حتى بلغ السيل الزبى ، وحتى تنمر عليه امرأة — ثم لا تكون تلك المرأة إلا أم المؤمنين عائشة : ترفع عليه في المسجد صوتها وتبرز للمسلمين نعل الرسول مرة ، وشعره مرة ، وثوبه مرة ، تنصبه في حجرتها وتقول للداخلين عليها : « هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . وكان عثمان مرة يخطب فدلت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت : « يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . فقال عثمان : « رب اصرف عنى كيدهن ، إن كيدهن عظيم ! »[1] .

إن الأثر الذى أثرته في قلوب الناس لجد بليغ . ولست أغلو إن قلت : إن هـذا التغير في النفوس يكمن ؛ ثم هو لا يزداد على الأيام إلا شدة . وهذا يفسر لنا بجلاء سبب تقاعس أهل المدينة عن نصرة عثمان حين حزبه الأمر واغتاله أهل الأمصار .

وزعم بعض الرواة أنها أول من سمته (نعثلاً) و (نعثل) اسم يهودى أو نصرانى طويل اللحية، لقب به عثمان تشبيهاً له به. وأنها كانت تقول : «اقتلوا نعثلاً . قتل الله نعثلاً» . وكان الناس يسبون عثمان حول فسطاط عائشة بمكة ، وعثمان يمر ، ولم ترث السيدة له ولم تغير شيئاً .

ولقد تضافرت روايات من طرق مختلفة على سعى عائشة على عثمان . ولما آلت الخلافة إلى على ونهضت هي تطالب بدمه . قال لها عمار : «أنت بالأمس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه !» وقال لها ابن أم كلاب : « والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

وإذا علمت أن أشد الناس على عثمان — وهو طلحة — يرجو أن تكون إليه الخلافة بعده ، وأن طلحة ابن عم أبي بكر (رحمه الله) ، وأمعنت في الحوادث التي حفت بهذا العهد، وجالت بنفسك الخواطر، وجدت في رواية الطبرى الآتية (وهي مصنوعة باتقان) حل المسألة فاسترحت إليه :

« خرج ابن عباس إلى موسم الحج بكتاب عثمان ، فمر بعائشة في (الصُّلصُل) فقالت : (يابن عباس أنشدك الله فقد أعطيت

(١) الحادثة مشهورة ، وقد تركنا من التفاصيل كل ما ليس له علاقة صميمة بموضوعنا . فليرجع القارئ إلى كتب التاريخ في كل ما يمر به من إشارات في هذا المقال . (٢) ٥ : ٢٠٥

(١) اليعقوبى ٢ : ٢٠٣

لساناً إزبلاً (نشيطاً) أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن المفاتيح ، فإن يلِ يسرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر) . فقال ابن عباس : (يا أمه ، لو حدث بالرجل (يعني عثمان) حدث ، ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا (يعني علياً) . فقالت عائشة وقد يئست منه : (إيها عنك ، لست أريد مكابرتك ومجالدتك) » . اهـ .

وعلى هذا تكون السيدة لم تكتف بزعزعة مركز عثمان ، بل تطمح إلى فرض رأيها في تنصيب الخلفاء أيضاً

وزعم ابن أبي الحديد أن عائشة لما بلغها قتل عثمان قالت : « بعداً لنعثل وسحقاً ! أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » وكانت تطمع أن يكون الأمر إلى طلحة وتقول : « إيه ذا الإصبع (تعني طلحة لأن إصبعه شلاء) إيه أبا شبل ، إيه يا ابن عم ! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع ، حثوا الإبل ، لله أبوك ، أما إنهم وجدوا طلحة كفواً ...) ولما بلغها بيعة علي قالت : « تعسوا ، تعسوا ، لا يردون الأمر في تيم (قومها وقوم طلحة) أبداً ... » ثم أمرت برد ركابها إلى مكة وتقول : « قتلوا ابن عفان مظلوماً » فقال لها قيس بن أبي خازم : «يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبلُ أشد الناس عليه وأقبحهم رأياً فيه ! » فقالت : «لقد كان ذلك، ولكني نظرت في أمره وأمرهم فرأيتهم استتابوه ، حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً في شهر حرام فقتلوه[1] » اهـ

وهي رواية أسخف من التي تسربت إلى الطبري رحمه الله .

وهذا موضوع لفق له بعض الناس من الأخبار ما يرضى أهواءهم على ما نرى اليوم من عمل الأحزاب السياسية . بل إن بعضهم كان يتعبّد بوضع الروايات التي تنصر صاحبه وتدين خصمه . وما نسب إلى السيدة — في رواية ابن أبي الحديد خاصة — لا يصدر عن الأطفال ، بله من كان في مثل عقل السيدة ودينها وحصافتها

سعيد الأفغاني

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٧٦

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

٢ — ترجمة حياته

كان الأبوان على طرفى نقيض . ولقد كان لذلك كل الأثر على حياة لورنس الأولى وبعضه على الجزء الثانى منها ، فضلاً عن أن هذا الاختلاف هو الذى طبع أولى كتبه بطابع خاص

فبينما كان الأب لا يكاد يجيد القراءة والكتابة إذا بالأم وقد نالت حظاً وافراً من التعليم . وبينما كان الأب يعمل كعامل بسيط فى أحد المناجم إذا بالأم تنحدر من سلالة أسرة عريقة فى المجد والنبل . ولكن كان الأب وسيم الشكل تبدو عليه كل أمارات الرجولة . يفخر دائماً أن الموسى لم تمس لحيته فى يوم من الأيام . وكان هذا مما جذب الأم وأوقعها فى حب الأب برغم ما بين طبقتيهما من فوارق. وكان كل منهما يرى فى هذه الزيجة مالا يراه الآخر ، فكانت للأب وسيلة حصل بها على زوجة شابة فتانة . أما الأم فكانت ترى فيها سبباً فى زجها فى بيئة لم تتعودها أو تألفها طول حياتها. وكانت نظرتاهما إلى مستقبل أولادهما أبعد ما تكون عن الاتفاق، فاقترح الأب أن يذهب الأولاد إلى العمل فى المناجم بينما تخدم البنات فى البيوت، وهذا ما حاربته الأم بكل قواها ، لأنها كانت تربأ أن يعيش الأولاد عيشة أبيهم أو أن تحيا البنات حياة أمهن البائسة

ظل هذا النضال قائماً بين الأب والأم حتى أتت الأطفال فأولتهم الأم كل عنايتها وصاروا سلوتها الوحيدة فعاشت لهم ومن أجلهم . أما الأب فقد شعر أن عاطفة زوجته كانت منصبة على الأطفال دونه ، فصار لا يرتاح إلى البقاء طويلاً فى المنزل ، وأصبح يفضل عليه المقاهى والحانات حيث يجتمع بمن هم على شاكلته وبمن يفهمهم ويفهمونه حتى أتى الوقت الذى صارت له فيه الحانة منزلاً ثانياً . كانت زوجته تعد له طعامه وتنتظر الساعات الطوال حتى يحضر قبيل طلوع الفجر وهو ثمل لا يكاد يعى كلمة مما يقول ، حتى إذا عاتبته أو أنبته بكلمة أو عبارة انقلب وحشاً ضارياً وعاملها بمنتهى القسوة حتى إنه لم يتورع مرة أن قذفها بأحد الأدراج فشج رأسها

كان « أرنست » أول أطفالها وقد صوره لورنس صورة ناطقة فى روايته « الأبناء والمحبون » تحت اسم وليام . كان متفوقاً على كل إخوانه فى المدرسة وكان لا يضيع دقيقة من وقته ، فكان يدرس اللغات فى بعض المدارس الليلية فى أوقات فراغه ، وبهذه الطريقة حصل على وظيفة رفيعة فى إحدى شركات الملاحة بلندن . وكان المستقبل يبدو أمامه زاهراً، حتى عاجلته المنية وهو لا يزال فى العقد الثانى من عمره، فكان موته ضربة قاضية على قلب الأم، حتى كانت ما تفتأ تكرر مقدار شوقها إلى ذلك اليوم الذى تموت فيه حتى تقابل أرنست

بعد أرنست أتت إميلى ثم أدا، وأخيراً دافيد هربرت لورنس فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٥ . وكان فى طفولته لا يميل إلى الألعاب التى كان يغرم بها من هم فى سنه لأنها كانت من ابتكار غيره ، وكان يفضل عليها الألعاب التى يبتكرها هو ، لأنه ما كان يكره شيئاً قدر كراهيته للتقليد . ولما بلغ السادسة عشرة تعرف إلى عائلة تشمبرز حيث قابل حبيبته الأولى التى وصفها فى كتابه « الأبناء والمحبون » تحت اسم ميريام . جذبته الفتاة بعينيها المسليتين الواسعتين ، وشعرها الأسود المموج ، وميلها إلى الرزانة والجد على خلاف بنات حيها ، فضلاً عن أنها كانت توليه أذناً صاغية عندما يتكلم معها عن آرائه الغريبة . لذلك كانت زياراته لبيت حبيبته تزداد يوماً بعد يوم لدرجة أقلقت بال الأم وأقضت مضجعها حتى إنها لم تتمالك نفسها ذات يوم أن قالت له فى تهكم وغيظ : إن الأولى به أن يجمع ملابسه ليقيم مع حبيبته دواماً .

وعلى رغم أن لورنس لم يعترف لحبيبته بحبه لها فى صراحة إلا أنه كثيراً ما كان يردد نظريته التى تقول: إن كل عظيم خلقته امرأة؛ وأنه كان يرى فيها المرأة التى سوف تخلق عظمته . ولكن كان لورنس حساس القلب إلى أقصى درجات الحساسية لم يفته ما عانته الأم المسكينة من زوجها القاسى فتعلق قلبه بأمه وفاض بحبها ؛ وعلى العكس من ذلك كان شعوره تجاه أبيه . وقد بادلته أمه حباً بحب حتى تعوض ما فاتها من حب زوجها . ولقد كان هذا الحب

هو علة لورنس الأولى وداؤه الذى ذاق من أجله الأمرين، ولكنه فى الوقت نفسه كان سبباً فى توجيه تفكيره إلى درس موضوع لم يسبقه إليه أحد. كان لورنس يشعر فى قلبه بحبين يتازع أحدهما الآخر ويعمل على استئصاله، وكان كل منهما من القوة بحيث بات لورنس ضحيتهما ردحاً من الزمن. فهو يحب أمه، وفى الوقت نفسه يحب ميريام. ولما كان حبه لأمه هو أول حب طرق قلبه فقد كانت حاجته شديدة إلى امرأة تحبه حباً قوياً جارفاً يخلصه من الأغلال التى كان يرسف فيها، ولكن للأسف كان حب ميريام من ذلك النوع الروحى مما كان سبباً فى تغلب الأم فى النهاية.

وكانت ميريام قد أرسلت خمساً من قصائده إلى أحد الناشرين فنشرها له، وشجعه هذا على أن يرسل إليه أولى رواياته «الطاووس الأبيض» وقد ظهرت الرواية فى يناير سنة ١٩١١ أى بعد وفاة أمه بشهر واحد.

وبموت أمه وفشل حبه ينتهى الجزء الأول من حياة لورنس

وفى أحد أيام ابريل من عام ١٩١٢ قصد لورنس إلى منزل الأستاذ أرنست ويكلى كى يتوسط له لدى إحدى الجامعات الألمانية بغية الحصول على إحدى وظائف التدريس بها. وفى هذه المقابلة الأولى وقع لورنس فى حب زوجة الأستاذ الألمانية. ولدهشته شعر أنها قد بادلته حباً بحب فكتب إليها يبثها غرامه ويطلب منها أن تطلع زوجها على ما بينهما فلم تتردد أن تفعل ذلك برغم شدة تعلق زوجها بها وبرغم أنها قد أنجبت منه ثلاثة أطفال

سافرت فريدا بعد ذلك مع لورنس إلى متز حيث قابل لورنس والدها البارون فون رتشتوفن حاكم الألزاس واللورين بعد الحرب البروسية، وكانت مقابلة جافة بين الأب الأرستقراطى وبين لورنس الذى ينحدر من طبقة الدهماء. بعد ذلك سافر لورنس وحده إلى أرض الرين. ثم قابلته هى فى ميونيخ، وهناك تحت سفح جبال الألب وعلى ضفاف نهر الإيزر بدآ حياتهما معاً. ومن هناك ذهبا إلى بحيرة جاردا حيث نقح روايته «الأبناء والمحبون» ثم أرسلها إلى أحد الناشرين فردها هذا إليه ثانية بحجة أنها أقذر كتاب وقعت عين الناشر عليه. ومن غريب الأمر أن الرواية نفسها نالت تقريظ الكتّاب بعد نشرها وأجمعوا على أنها من أروع ما كتب فى الأدب الإنجليزى. وفى هذا المكان كتب «الشفق فى إيطاليا» وكذلك مجموعة من أشهر قصائده.

وعادا إلى لندن دون أن يمكثا بها طويلاً. فذهبا إلى بافاريا حيث كتب لورنس قصة «الضابط البروسى» التى تنبأ فيها بالحرب العظمى مع أنه كتبها عام ١٩١٣

وفى الشتاء التالى ذهبا إلى إيطاليا حيث كتب روايته «قوس قزح» وأرسلها إلى جارنت — أحد الناشرين — فلم تصادف هوى فى نفسه. فكان يأس لورنس لا يوصف، لأنه كان يعتقد أنه إنما يحاول أن يعلم الناس كيف يعيشون فكان ينتظر منهم الحمد والثناء فلم يجد سوى الجحود والنكران

وفى ربيع عام ١٩١٤ ذهبا إلى لندن حيث عقدا زواجهما وتعرفا هناك إلى الشاعر الشاب روبرت بروك الذى راح ضحية الحرب. وكان لورنس من أعدى أعداء الحرب لا ينى عن مهاجمة مبدئها وإظهار سخطه عليها. وفى ذلك الوقت ظهرت روايته «قوس قزح» فقال الناس عن كاتبها إنه مجنون يشكو من عقدة جنسية، وأمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وإحراق كل النسخ التى ظهرت منه، وحتى أصدقاؤه الذين كان ينتظر منهم أن يؤازروه فى محنته ويقفوا إلى جواره انفضوا من حوله وانهالوا عليه نقداً وتجريحاً. عند ذلك أقسم لورنس أنه لن يكتب رواية أخرى بعد ذلك، وقد بر بقسمه خمس سنوات، وكان يعتقد أنه رجل سابق لعصره، يراه الناس بعيداً عنهم فيبدو فى نظرهم صغير الجسم ضئيل الحجم، ولو أنهم أوسعوا خطاهم واقتربوا منه لرأوا فيه رجلاً أعظم منهم وأكبر حجماً

وذهب بعد ذلك إلى مقاطعة كورنوول يقضى بها سنى الحرب، ولكن كانت زوجته الألمانية سبباً فى خلق كثير من الصعاب فى طريقهما فظن مواطنوه أنه يتجسس للألمان فكانوا يقتحمون منزله كل يوم ويقلبون أثاثه ويبعثرون أوراقه حتى يتأكدوا من حسن نياته. وحدث مرة أن كان عائداً مع زوجته وهو يحمل حقيبة على ظهره، فلم يكد يراه حرس السواحل حتى انقضوا عليه بحجة أنه يحمل آلة تصوير فى الحقيبة، وتسابقوا إلى فتحها ولخيبتهم لم يجدوا بها سوى رغيف من الخبز. وكان لورنس يصبر على كل هذه المكاره على مضض حتى زاره ضابط فى منزله ذات يوم وقرأ عليه أمراً حكومياً يقضى بأن يغادر مقاطعة كورنوول

فى بحر ثلاثة أيام على الأكثر . استشاط لورنس غضباً عند سماع هذا الاتهام الصريح فى أعز شىء لديه ، فهو الذى كان يفنى نفسه حتى يرفع من شأن مواطنيه ويدلهم على طريق الحياة الصحيح ويعلمهم ما لا يعلمون ، ثم يتهم فى وطنيته وانجليزيته ، كانت هذه أقسى ما ناله من الطعنات

وصل لورنس إلى لندن إبان شن الغارات الألمانية الجوية عليها فكان جميع أهل لندن يلجأون إلى الأقبية والمخابئ فراراً من هذه الغارات ، ما عدا لورنس الذى كان يرفض أن يترك فراشه أثناءها

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهب وزوجته إلى فلورنسه ومنها إلى جزيرة كابرى حيث كتب مجموعة قصائده المسماة « الطيور والحيوان والزهور » وكتب كذلك روايته « الفتاة المفقودة » وأخيراً كتب الكتاب الذى لم يغير فيه حرفاً واحداً وهو « البحر وسردينيا »

ثم ذهبا بعد ذلك إلى استراليا واستقلا القطار من سدنى على أن ينزلا فى أية مدينة يروقهما منظرها من نافذة القطار . فنزلا فى ثيرول حيث كتب روايته الشهيرة « القنغر » التى ضمنها كل آرائه فى استراليا وما لاقاه فى كورنوول من اضطهاد أثناء الحرب العظمى .

وهناك وصلته دعوة من مابل رودج للذهاب إلى تيوس فى المكسيك كى يتعرف إلى الهنود الحمر الذين كثيراً ما كان يظهر إعجابه بهم . فلم يتردد فى قبول الدعوة ، وكان هناك بعد وقت قصير. ثم انتقل من تيوس إلى مدينة المكسيك على أثر خلاف قام بينه وبين مابل رودج . وعلى بحيرة تشبالا كتب روايته الفلسفية « الثعبان ذو الريش » وفى الخريف التالى كتب « الصباح فى المكسيك »

ثم اشتدت عليه وطأة المرض فجأة ، ولما عاده الطبيب قرر أنه مريض بذات الرئة وفى الدرجة الثالثة . ولكن لم يمنعه هذا أن يكتب وهو مريض مسرحيته المسماة « داوود » وقصته الطويلة « المرأة التى رحلت »

وفى الصيف التالى عاد إلى أوربا واستأجر فيللا بالقرب من جنوا ، وكان وهو فى فلورنسا قد كتب رواية أسماها « عشيق لادى تشاترلى » ولكنه تركها مهملة فى أحد أدراج مكتبه خشية أن تثير عليه ضجة من جديد ، لأنه كان فيها صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة . ثم قر رأيه أخيراً أن يخرجها إلى عالم الوجود . فأرسلها إلى أحد الناشرين فردها إليه مظهراً استهجانه لما جاء بها ثم أرسلها لورنس إلى آخر فرفضها هـذا بشدة . وأخيراً لم ير لورنس بداً من أن يأخذها إلى مطبعة إيطالية لا يعرف صاحبها من الانجليزية حرفاً واحداً . فوافق هذا على طبعها دون أن يدرى مما يطبع كلمة واحدة . وظهر الكتاب عام ١٩٢٨ ولكنه صودر لتوه . وفى العام التالى صودرت أيضاً مجموعة قصائد له . وزاد الطين بلة أن بلغه خبر مداهمة البوليس لمرض صوره فى لندن ، وتحطيم جل صوره . فزادت وطأة المرض عليه ونقل إلى مصحة فى فنس vence حيث التف حوله كل أصدقائه يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء عائلة روستر وهكسلى وإيدا رانه و هـ . ج . ويلز وأغا خان وزوجته . ثم نقلوه بعد ذلك إلى ڤيللا على مقربة من المصحة ، ولكن كان قد سبق السيف العذل ، فما كاد يصل إلى هذه الڤيللا حتى ساءت حاله وفاضت روحه إلى بارئها فى اليوم الثانى من شهر مارس سنة ١٩٣٠

« يتبع »

عبد الحميد حمدى
مدرس بشبرا الثانوية
خريج جامعة اكستر بانجلترا

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن لتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولقد ارتخص هؤلاء الساسة من دعاة المدنية الناقمين على أهل الشرق ما كانوا فيه من تأخر، كل كرامة بغية الوصول إلى أغراضهم، وانقلبت عندهم الأوضاع التى تعارف الناس عليها ، وشهد التاريخ على مسرح السياسة من المضحكات ما يبكى ، ومن المبكيات ما يضحك ؛ فلقد عز على هؤلاء السادة الذين راحوا يُدِلون بمدنيتهم ويتطاولون بما فعلوا فى سبيل حرية الإنسان أن يروا أهل مصر ينزعون حقاً إلى الحرية ، ويعملون على الرقى بوطنهم جادين غير متوانين ، يتعاونون على الحق ويتناسون ما بينهم من دواعى الخلاف ، ويطرحون الأثرة بل ويحرمون على أنفسهم الطيبات حتى يتم لهم ما أرادوا

وذعر هؤلاء الكائدون لمصر الطامعون فيها أن أفاق أهلها على هذا النحو وقد كانوا يظنونهم أمواتاً أو كالأموات ، وهالهم أن يروا فريقاً من هؤلاء الفلاحين يستلبون سلطة الخديو تدريجياً ويحاولون أن يضموا أنفسهم بحيث تكون الأمة وهم نائبون عنها مصدر كل سلطان ، وأدركوا أن هذا البعث الذى أفاقت عليه مصر من نومها الطويل هو الصبح الذى يهتك أسدالهم ويبدد آمالهم، فناونوا يوماً كما بينا عن محاربة مصر وزعماء مصر ورميهم بكل فاحشة، وفى مقدمة هؤلاء جميعاً ذلك الرجل الذى خطا نحو الحرية الخطوة الأولى وصرخ فى وجه الظلم الصرخة الأولى ...

ولم ير هؤلاء لوزارة البارودى حسنة واحدة . وكيف كانوا يرون لها حسنة ووجودها فى الحكم كان فى ذاته عندهم أقبح السيئات وأكبر الأوزار ، وإنهم ليفترون الكذب عليها وينسبون إليها من السيئات والأخطاء ما ليس لها به من علم

ولكن هذه الوزارة — وتلك عندى أكبر حسناتها — كانت لا تعبأ بما يرجف المبطلون فتمشى إلى غايتها على الشوك وقد عقد أعضاؤها النية على إنقاذ بلادهم من طمع الطامعين وكيد الكائدين، وعلى تمهدها بضروب الإصلاح فى شتى مرافقها حتى تقوى فتعز على كل باغ ظلوم من خصومها

وما كان فى الوزارة من عوامل الضعف سوى جهل رئيسها وأعضائها باللغات الأوربية، إلا وزير الخارجية مصطفى فهمى باشا؛ ولقد ضم إلى الوزارة ليكون لسانها فى الصلة بالأوربيين ، ولكنه كان من رجال العهد القديم على حد تعبير مؤرخى الثورة الفرنسية، فلم يكن ينظر إلى الوطنيين نظرة الاحترام والتقدير، وإنما كان يرى فيهم فريقاً من الفلاحين يتطلعون إلى ما ليسوا أهلاً له، شأنه فى ذلك شأن الجراكسة وأشباههم من سادات مصر وكبرائها فى ذلك العهد.

وعلى ذلك فقد كان وجود هذا الرجل فى وزارة الخارجية عبئاً يضاف إلى أعباء الوزارة، وذلك أمر لم تفطن إليه إلا بعد فوات الوقت

وفيما عدا ذلك كانت وزارة البارودى وزارة وطنية حقاً تعمل صادقة مؤمنة على تحقيق آمال البلاد والنهوض بها على الرغم مما كان يحيط بها من دسائس وما كان يملأ أسماع رجالها من نباح وعواء

انتهى دور انعقاد مجلس النواب فى ٢٦ مارس فقضى بذلك فى العمل نحو ثلاثة أشهر وهى مدة وجيزة كان يشغل بال الأعضاء فيها ترتيب أعمالهم ، ولكن المجلس على الرغم من ذلك قد قسم أعضاءه إلى لجان مختلفة أخذت تتصل بالوزارات وتبحث معها الشؤون العامة التى تهم البلاد ، وجدّ المجلس فى دراسة نصوص المعاهدات والمعاقدات العامة والخاصة المبرمة بين الحكومة المصرية والحكومات الأجنبية ورعاياها

وأخذت الوزارات تعد مشروعات الأصلاح المختلفة لعرضها على المجلس فى دور انعقاده القادم؛ فكانت تنظر فيا يتطلبه التعليم وتفكر فى إنشاء مصرف زراعى ينتشل الفلاحين من وهدتهم، وتعمل على إصلاح المحاكم المختلطة واختصاصاتها كما تناولت قانون الانتخاب وراحت تدرسه لتمد قانوناً جديداً يجعل للمحكومين الرقابة الفعلية على الحاكمين

ولكن حدث أنه كانت كلما تقدمت الوزارة فى خطى اصلاحاتها ازدادت لهجة الصحف الأوروبية فى العيب عليها والطعن فيها، واشتدت وطأة الساسة فى نقد أعمالها، وتزايدت دسائسهم من حولها، وعلى رأس هؤلاء كانن ومالت اللذان أدركا الآن، أو على الأصح وُجِّها، إلى أن مهمتهما فى مصر أصبحت استعجال الحوادث تمهيداً للتدخل العسكرى

« وقد جد عرابى بنوع خاص فى إصلاح نظارته التى كانت فى منتهى الفوضى والخراب وذلك ليستعد للطوارئ كما وأظهر همة فائقة فى إصلاح حصون السواحل ونظم احتياطى المدفعية ووزعه على تلك الحصون(١) »

والحقيقة التى لا يمارى فيها إلا المغرضون المبطلون أن البلاد كانت تشيع فيها روح الوطنية الصادقة التى تبرهن على صدقها بالأعمال لا بالأقوال. ولو أنه قدر للوزارة السامية أن تسير على هذا النهج لكان أثرها بعيداً فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ القرن التاسع عشر كله، فلقد كانت المسألة المصرية تعتبر من كبريات المسائل فى ذلك القرن

وليس أدل على وجود الروح الوطنية فى مصر يومئذ من هاتين العبارتين اللتين نوردهما فى هذا المجال، وأولاهما ما كتبه دى فريسيه فى كتابه « المسألة المصرية » حيث يقول فى تعليقه على مجلس النواب واختصاصاته: « إن كتاب ذلك العصر اجتهدوا فى أن يسخروا من طلب الذين كانوا يطلبون توسيع اختصاص المجلس، حتى ليخيل إلى الذى يقرأ خطابات بعض الخطباء أن الوطنية المصرية كانت فى ذلك الوقت تلفيقاً، وأن وادى النيل لم يكن يحتوى إلا على فلاحين تحنى العصا ظهورهم. فكل ما ترد به على هؤلاء الكتاب والخطباء، هو أن آباءنا كانوا أقل من هذا امتهاناً للوطنية المصرية فى عهدهم؛ وذلك أن نوابنا فى سنة ١٨٤٠ لم يترددوا فى أن يتكلموا فى خطبهم عن الرعاية الواجبة للوطنية المصرية الناشئة. فقد كانت هناك إذاً وطنية مصرية ناشئة تستحق الرعاية فى سنة ١٨٤٠. ولست فى هذا مبالغاً، ولا أنا ممن يحبون المبالغة، ولكن لا ريب فى أنه كانت توجد فى قلوب المصريين من أربعين سنة مضت مطامح كان من الممكن أن تراعى فى حدود معتدلة. تلك حقيقة لا تحتمل جدلاً؛ غير أن الذين كانوا يقبضون على حظ مصر لم يكونوا يرون فى المصريين غير قوم مدينين. فلم يكونوا يعرفون فى معاملتهم إلا مصلحة واحدة: هى مصلحة الدائنين الأوربيين التى يجب أن تقدم على ما عداها. وبذلك لم ينتبهوا إلى أن مثاربتهم على اعتبار مصر رهنا، وتدخلهم فى شؤونها تدخلاً أدى بحكومتها إلى أن تصير فى أيدى الأجانب، كانا قد انتهيا على طول الأيام بأن يجرحا شعور الشعب المصرى الذى هو شعب حى مهما يقل القائلون فى تعوده الطاعة والخضوع من أجيال ».

وأما ثانية العبارتين فهى ما كتبه من باريس سنت هيلير إلى قنصل فرنسا العام فى مصر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨١ قال: « ليس من السهل علينا أن نقدر من هنا قوة هذه المطامح الشرعية ولا كيف يمكن إرضاؤها، ولكن هذه المطامح حقيقية إلى أعظم حد، ومبررة من بعض الوجوه إلى أعظم حد أيضاً، فلا يمكن إهمالها ولا يمكن على الخصوص التفكير فى خنقها(١) »

من هاتين العبارتين يتبين لنا أنه كان فى مصر يومئذ حركة وطنية، فليتدبر ذلك أيضاً من يريد أن يحكم على رجال ذلك العهد وفى مقدمتهم عرابى، وليشفق على أنفسهم الذين يرمون عرابياً ورجاله بالفوضى والجهل والأنانية. ليشفق هؤلاء على أنفسهم فلن يجدر بهم أن يظلوا يجهلون تاريخ هذا الرجل فيحملون الذين يعلمون حقيقة هذا التاريخ على الزراية بهم والاستخفاف بعقولهم، إذ ليس أدعى إلى الاستخفاف بعقل رجل من أن تراه يجهل أمراً من الأمور ثم إذا هو يدلى فيه برأى قاطع فى لهجة يتردد فى اتباعها الراسخون فى العلم...

ما كان عرابى طائشاً ولا داعية فوضى، ولكن كان زعيماً مخلصاً يعمل بوحى من وطنيته ويصيب ويخطئ كما يصيب الزعماء غيره ويخطئون كل على قدر ما اجتمع له من الكفاية والمقدرة! والخطأ والصواب من خواص البشر ومردهما إلى العقل وسعته أو ضيقه؛ أما الصدق والإخلاص وما إليهما من صفات الزعامة والبطولة فلا تسامح فيها ولا تهاون، بل لا يصح أن تكون هذه أموراً يجوز فيها التفاوت إذا عقدت المقارنة بين زعيم وزعيم وبين

(١) المسألة المصرية تعريب العبادي وبدران

(١) العبارتان منقولتان من مقدمة كتاب التاريخ السرى بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

بطل وبطل ! وكيف يجوز في عقل أن يكون هناك صدق ونصف صدق وإخلاص ونصف إخلاص ؟ إن هذه أمور جلالها وجمالها بل وجوهرها في أن تكون غير قابلة لزيادة أو نقص ؛ وعلى الذين لا يزالون يخاصمون عرابياً أن يأتوا بدليل واحد على كذبه أو مروقه. أما الخطأ والصواب فليقولوا فيهما ما شاءوا وبيننا وبينهم حوادث هذه الثورة الوطنية على قدر ما وصل إلينا منها ترينا مبلغ ما في مزاعمهم هم من خطأ أو صواب

زار مستر بلنت قبل سفره إلى انجلترة عرابياً في وزارة الحربية زيارة وداع ، ويجدر بنا أن نثبت هنا بعض ما كتبه ماليت عن عرابي في هذه الزيارة قال : « تناقشنا في كل الموضوعات التي كانت محل الكلام في الدوائر الوطنية بما فيها من مشروعات للأصلاح وأمان ومخاوف في الداخل والخارج ، وكانت بضعة الأسابيع التي قضاها عرابي في مركزه الجديد قد أنضجته وقوته ؛ فناقشني في كل الموضوعات برصانة واعتدال عظيمين سواء في التفكير أو في اللهجة ! وقد أكد لي أنه هو وزملاؤه الوزراء يرغبون كثيراً في أن يصلوا إلى تفاهم ودي مع الحكومة البريطانية في كل المسائل التي يختلفون فيها مع الوكالة البريطانية في القاهرة، وطلب إلى أن أبلغ رسالته هذه بصفة رسمية إلى غلادستون ! وقد شكا شكوى مرة من كلفن وماليت اللذين ظهر مسلكهما العدائي من الخطة التي جريا عليها فيما يختص بتشويه سمعة الوطنيين في الصحف البريطانية وقال لي : « إن السلام لا يمكن أن يوطد في القاهرة ما بقي هذان ، وما بقيت علاقتنا مقصورة عليهما ، فإننا نعرف أنهما يعملان لإيذائنا سراً إن لم يكن جهراً، وسنقف بمعزل عنهما جيماً ، ولكننا لا نريد أن نختلف مع انجلترة كرامة لهما . دع المستر غلادستون يرسل لنا أياً كان خلافهما لنتفاهم معه ونحن نستقبله بأذرع مفتوحة(١) »

هذا هو جانب من حديث عرابي مع بلنت نضعه تحت أعين الذين اتهموه بالنزق وعدم التبصر في عواقب الأمور ليقولوا لنا: هل فيه كلمة واحدة في غير موضعها ؟ هل يتهدد فيه عرابي الانجليز، ويتوعد كما كان حرياً أن يفعل لو كان كما وصفه أعداؤه؟ إنه يشكو من كلفن وماليت ويطلب غيرهما حتى يتسنى لمصر أن تتفاهم مع انجلترة وإنك لتراه بذلك يلقي تبعة اضطراب السياسة الانجليزية على كاهل هذين الرجلين فيرمي الإنجليز جميعاً رمية ماهرة كيسة في شخصهما، فهو يعلم أنهما يمثلان نيات حكومتهما، ثم هو يفتح الباب بذلك للتفاهم فلا يدع في مسلكه مجالاً لأعدائه ؛ كل ذلك دون أن يفرط في حقوق بلاده، أو يشتري بها ثمناً قليلاً وهو الذي جعل خصومه الخيانة في أوائل ما اتهموه به . « يتبع » **الخفيف**

---

(١) التاريخ السري ترجمة البلاغ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٦٠ — أرى الدعوات قد صارت قروضا

في (محاضرات الراغب) : ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقياً. فاتفق أن دعاه يوماً ، قال: فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة فعثرت على رقعة بخطه فيها : « فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة ، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا) . فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له علي دعوات — خرجت وقلت له : لا أتناول طعامك حتى أرد ما علي ، وقلت في ذلك :

أرى الدعوات قد صارت قروضا ودينا في البرية مستفيضا

فأكره أن أجيب فتى دعاني ولا أدعو فيلقاني بغيضا

٤٦١ — ولباس للرأس ...

قال ابن سعيد في (المُغرب) : الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس . وقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس ، وشيبه قد غلب على سواد شعره . وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو غرب . وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده .

٤٦٢ — أخاطب بالتأمير والي منبج

كان البحتريّ مقيماً في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وله الحرمة التامة ، فلما قُتلا رجع إلى مَنْبِج [1] وكان يحتاج للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه ، ويخاطبه

(١) منبج من كور قنسرين ، بينها وبين حلب عشرة فراسخ ، وإلى الفرات ثلاثة فراسخ

بالأمير لحاجته ، ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك ، فقال :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مُرَمَّلِ وبين صبيغٍ بالدماء مضرَّجٍ [1]

أأطلب أنصاراً على الدهر بعد ما ثوى منهما في الترْب أوسي وخزْرجي [2]؟

مضوا أَمَماً، قَصْداً، وخُلّفتُ بعدهم أخاطب بالتأمير والي مَنْبِجِ [3] !

٤٦٣ — شكوى في الصحف

لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبدالله بن همام السلولي شعراً ، وكتبه في رقاع ، وطرحها في مسجد الكوفة :

ألا أبلغْ معــاوية بن صخر فقد خرب السواد فلا سوادا [4]

أرى العمال قد جاروا علينا بعاجل نفعهم ظلموا العبادا

فهل لك أن تدارك ما لدينا وتدفع عن رعيتك الفسادا [5]؟

وتعزل تابعاً أبداً هواه يخرب من بلادته البلادا

إذا ما قلت أقصر عن هواه تمادى في ضلالته وزادا

فبلغ الشعر معاوية فعزله .

٤٦٤ — فأين الرعاية والتذمم ؟

(شرح النهج) لابن أبي الحديد : قال عمر لرجل همّ بطلاق امرأته : لمَ تطلقها ؟ قال : لا أحبها !

قال : أوَ كلّ البيوت بُنيت على الحب ، فأين الرعاية والتذمم [6] ؟؟!!

(١) مرمل بالدم : ملطخ به

(٢) أوسي وخزرجي : أنصاري

(٣) الأمم : البين من الأمر ، أمر بني فلان أمم أي بين لم يجاوز القدر (التاج ، اللسان) هو على القصد ، وعلى قصد السبيل إذا كان راشداً ، وله طريق قصد خلاف قولهم جور (الأساس)

(٤) خرجوا إلى سواد المدينة وهو ما حولها من القرى والريف ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة من قراها (الأساس) العرب تسمي الأخضر أسود لأنه يرى كذلك على بعد ، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه (المصباح)

(٥) تدارك : تتدارك ، حذف التاء كثير

(٦) من خلال المكارم التذمم للصاحب، هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه (التاج) تذمم : استنكف ، يقال : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً (الصحاح)

٤٦٥ — دعوه قبل ألا ننتفع به

(محاسن البيهقى) : ابن مزروع عن أبيه : كنت أسير فى موكب يحيى بن خالد . فعرض له رجل من العامة ، ومعه كتاب فقال : أصلح الله الأمير ! إختم لى هذا الكتاب . فبادر إليه الشاكرية[١] يزجرونه من حواشى موكبه . فقال : دعوه قبل ألاّ ننتفع به (يعنى خاتمه) واستدناه لختمه له ، وتعجب مسايروه من اغتنامه المعروف ، وعلمه بأفعال الرجال[٢] .

٤٦٦ — التوءمون العراقيون

فى (الحوادث الجامعة فى المئة السابعة) لابن الفوطى : فى سنة (٦٤٥) ولدت امرأة فقيرة أربعة فى بطن ، فشاع ذلك وأنهى خبرها إلى الخليفة ، فأمر بإحضار الأولاد ، فأحضروا فى جونة ، فتعجب من ذلك ، وأمر لهم بست مائة دينار وثياب ، وكانت المرأة وزوجها فى غاية من الفقر لا يملكان حصيراً !

* * *

قلت : نمش حليفة ذلك العصر التوءمين العراقيين نمشاً عظيما وقد أخبرتنا الصحف فى هذه الأيام أن كندية أمريكية قذفت بتوءمات خمس ، فكفلتهن الدولة كفالة بلينة ، ووظفت للناجلين فى كل شهر وظيفة ، وقد أمست مدينتهن بهن محجا ، وأخبارهن فى صحف العالمين مستفيضة . ولما زار ملكا البريطانيين ذلك الإقليم فى هذا الوقت شاهداهن وناغياهن ، وتعجبا من التوءمات تعجب آخر الخلفاء فى بغداد من التوءمين

٤٦٧ — انحرا روحاً وجسداً

فى (شذرات الذهب) : فى سنة (٣٥٢) بعث صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة رجلين ملتصقين خلقة من جانب واحد فويق الحقو (الخاصرة) إلى دون الإبط ولدا كذلك ، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان ، ولم يمكن فصالهما[٣] ، وكان ربما يقع بينهما تشاجر فيختصمان ، ويحلف أحدهما لا يكلم الآخر أياماً ثم يصطلحان ، فمات أحدهما قبل الآخر فلحق الحى الغم من نتن الرائحة فمات

٤٦٨ — ودنيا تناديك أنه ليس حر

ابن مقلة :

زمانٌ يمرُّ ، وعيشٌ يمرُّ ودهرٌ يكرُّ بما لا يسرُّ !
وحالٌ يذوبُ ، وهمٌّ ينوبُ ودنيا تُناديك أن ليس حرُّ !!

٤٦٩ — صحبة الأكابر تورث السلامة

حكى عن الشيخ العارف أبى العباس المرسى أن امرأة قالت له : كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه ، وكان عندنا فول مسوس فدششناه[١] فخرج السوس حيّا

فقال لها : صحبة الأكابر[٢] تورث السلامة

٤٧٠ — من قبل أويس

قال ياقوت : من عجيب ما مر بى من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة قال : كان لوالدى تاجر يعرف بأبى طالب ، وكان معروفاً بالكذب . فأذكر وقد حكى فى مجلسه والناس حضور عنده أنه كان فى معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارا[٣] معه ، وقد جاء من البرد أمر عظيم ، وأن الناس كانوا ينزلون فى المعسكر ، فلا يسمع لهم صوت ولا حديث ولا حركة ؛ حتى ضربُ الطبل فى أوقات الصلوات . فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحميت ذاب ذلك الكلام ؛ فسُمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات[٤] ، وحديث الناس ، وصهيل الخيول ، ونهيق الحمير ، ورغاء الإبل ...

---

(١) الشاكرى : الأجير والمستخدم وهو معرب جاكر (القاموس)

(٢) فى الوفيات : قال الحسن بن سهل : من غيرته الولاية لاخوانه علما أن الولاية أكبر منه ، أخذنا ذلك من صاحب ديوان المكارم أبى على يحيى بن خالد بن برمك

(٣) قلت : لو كانا فى هذا العصر لفرق العلم والحضارة الأوربية بين الأخوين ...

---

(١) الدش مثل الجش ، والدشيشة لغة فى الجشيشة . جش الحب طحنه طحنا غليظا جريشا ، والدشاش من برض الحبوب ، ويقال : حب مدشوش (اللسان ، التاج)

(٢) يعنى الشيخ بالأكابر الفضلاء العلماء والكرام المطماء لا الأغبياء الأوغاد أو الأمراء السفهاء ، أو عمال السلطان غير الطيبين الصادقين الأمناء

(٣) يكتبها بعضهم بالألف لأن أصلها بخاراء بالمد .

(٤) البوق : هو الذى يزمر فيه ، وذكر الشهاب فى الشفاء أنه معرب بورى ، وأنشد الأصمعى : زمر النصارى زمرت فى البوق (التاج) . قال أبوالفتح : عاب على المتنبى من لاخبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات

وحي الشاعرية

نفسيات

للأستاذ حسن القاياتي

خطرات لاهٍ فى تفجّع باكِ ... لا راحمى ألى ولا أنا شاكى
كيف الصدود عن ابتسامة واجدٍ ... خضبت بدمع الناظر السفّاك؟
آسٍ كما أعطشت ورد خميلةٍ ... ... إليك بثغره الضحّاك
اللاعج البسّام ترمض ناره ... فى الحد مثنى النور فى الأسلاك
دهرى متى يوحى إلى أملاكه ... ألاّ نباح لدورة الأفلاك ؟
حرّ كوردات القفار مضيّع ... لا النّبل ساد ولا الأريج الذاكى
ياصبوة ما كنت أصدق وصفها ... إلا كما صدق الصبابة (حاكى)
رقّ الشباب على حلّة ناسكٍ ... طرّزتها بحلاوة الفتّاكِ
ملك الجمال على رشاقة جوره ... كم رعته بتصلّف الأملاك
أفنى لدى الحسن الحياء فأنثنى ... والحسن حظ اللاهج الفتاكِ

* * *

أهلاً بكاسية الدلال بشاشةً ... هات الحديث عن الصدود هواك
تيهى كما أمر الدلال فإنه ... أغرى فؤادى بالأسى ونهاك
أهواك ملء جوانحى وكأننى ... من فرط ما أخشاك لا أهواك
يشتاق طرفى أن يراك قريبةً ... يا قرّة الأبصار حين تراك
ردّى لى الليل البهىّ كأنما ... كحلت بطيب سواده عيناكِ

* * *

أخلو إلى زهر الرياض كأننى ... أخلو إلى مرآكِ أو ذكراكِ
وأدير سمعى للطيور فصيحةً ... فكأنما أصغى إلى نجواك
لله من شادٍ أطلّ بسجعه ... كالشاديات نظرن من شبّاك
فى الروضة المعطار منك شمائل ... رياكِ فى زهرانها وحلاكِ
وردٌ يميل مع النسيم كأنما ... أقبلت باسمةً لألثم فاكِ
عطفاً حياة الفاضلين مريرةً ... إن رعتِ فاتنةً فما أحلاكِ

« السكرية — دار القاياتى » ... حسن القاياتى

لي !...

[تذكار لجلسة فى شرفة كان يغمرنا نور النجوم]

للأستاذ العوضى الوكيل

لى سحرُ وجهكِ دونَ الناسِ أفديهُ
ولى جمالكِ تسبينى مرائيه
ولى جبينكِ حلواً عاطراً نضراً
ولى التفاتكِ فى شتّى مغانيه
ولى قوامكِ ، لا الأغصان تشبهه
حسناً ، ولا الأسيُف البيضاء تحكيه
ولى خيالكِ ما باتت شوارده
تحوطنى بين إغفاء وتنبيه
يا سوسن الروض مالى فيك من غزلٍ
إلاّ جمالك بالأنغام أرويه

* * *

لم أنسَ ليلةَ رقّ الجوّ رقّتنا ... ورفّه اللثم عنّا أىّ ترفيه
وللسماء هدوء فى تطلّعها ... وللنسيم خفوق فى مساريه
وللأحاديث سحرٌ فى تبلبلها
ومجلس الحبّ قد رقّت حواشيه
وازدان وجهك بالنورين : نورِ هوًى
فيه ، ونورِ النجوم الزهرِ تزجيه
قد كان يبهجنى فيما أشاهده
نورٌ على وجهك السحرىّ بل فيه
وجاذبيّةُ فنٍّ لا شبيهَ لها ... وربّ فنٍّ سما عن كل تشبيه
حينٌ أطالَ حياتي فهى خالدةٌ
بما ارتوت ـ فتسامت ـ من مساقيه

(دماس — دقهلية) ... العوضى الوكيل


تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا ثقيلا واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسبما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات في الفن

متابعة العلم ليست فناً

على ذكر الفن الرمزي الحديث

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

كنا نعرف الفن الرمزي فيما مضى على نوعين : إما أن يكون تجسيداً للمعاني يتدلى به الفنان إلى جمهور الأذهان ، وإما أن يكون على العكس من ذلك تلويحاً بالبعيد دون القريب يتعالى به الفنان على جمهور الأذهان . ولم يكن هذا لينتزع من الفن الرمزي طبع الفن ولا خواصه ، فقد احتفظ بكيانه كاملاً ، فهو سابق وهو حر ، وهو صادق وهو شاعر

واليوم يراد بنا أن نعرف نوعاً ثالثاً من الفن الرمزي هو — فيما يقول أهله — تابع يمشي وراء العلم ، علم النفس ، يشرح نظرياته وقواعده وما يثبت عنده من طباع النفس وأحوال حياتها . فهل يجوز لنا أن نقبل هذا النوع الثالث على أنه فن صحيح ؟

إننا إذا فعلنا ذلك جرّأنا كثيراً جداً من الأعمال العقلية على المطالبة بالارتفاع إلى مستوى الفن ، وقد يجرنا هذا إلى نوع من البلشفية الروحية التي تسوي ما بين الحق والزيف ؛ فتصبح ألفية ابن مالك فناً شعريا لأنها نظم يشرح النحو، كما أصبح الخشب في هذه الأيام حريراً ، وكما خرج السمن في هذه الأيام من زيت جوز الهند .

وكي ندفع عن رأينا هذا ، فإنه يلزمنا أن نتعرف في الفن بعض النواحي التي لو فقدها لفقد طبيعته ، فأصبح شيئاً آخر قد يكون حلواً لذيذاً ، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال فناً صحيحاً .

فما هي هذه النواحي التي يتحتم على الفن أن يستوفيها كي يكون فناً صحيحاً ؟

أولها من غير شك هذا الحس الصادق الذي تبعثه الحياة نفسها . وهذا الحس هو الذي يملأ نفس الفنان حتى يغمرها ، ثم يفيض منها فناً يتلقاه الناس فيشعرون أنه نبع من نفس صاحبه رغم أنفه ، لأنه لم يكن يملك من بكتمه بعد أن ازدحم في نفسه وكثف . والفنان الحق لا يبحث عن الأحاسيس ولا يتكلفها ، وإنما هو منطلق في الحياة كما ينطلق بقية الناس ، أو كما تنطلق بقية المخلوقات لا يعتزم أن ينتج فناً ، ولا يتهيأ لذلك ، ولا يتعلم من الناس طريقة التعبير عن نفسه .

ومع هـذا الحس الصادق سَبْقٌ يطير بالفنان إلى حقائق الكون على جناحين من هذا الحس نفسه . فالفنان الحق لا يمكنه أن ينتظر حتى يقول له العلم إنه ثبتت لديه حقيقة من الحقائق على وجه من الوجوه ، وإنه يأذن له على أساس هذا الثبوت أن يتخذ من هذه الحقيقة مادة لفنه . هو لا يمكنه أن ينتظر حتى يحدث هذا وإنما هو يصل من تلقاء نفسه إلى هذه الحقائق فيعلنها والعلم لا يزال يحبو في الطريق إليها متثاقلاً متلكئاً ؛ وقد يصيب الفنان هذه الحقائق ، وقد يخطئها ، ولكنه على أي حال يصل إلى شيء ما ، — بعيد عنها أو قريب منها — على أنه هو نفسه لا يعنيه من هذا كله إلا أن ينطلق ، وأن ينطلق فقط .

ومع هذا الحس ، ومع هذا السبق به ، فإنه لا بد للفنان أن يدفعه إلى إنتاجه الفني دافع نفساني من العواطف التي ينفثها في فنه

رضى أو سخطاً أو غير ذلك ، وإلا كان الفن بارداً برودة الموت ، لأنه خلا من العاطفة وهى روحه وباعثة الحياة فيه .

ومع هذا وذاك فلا بد أن يكون الفن حراً لا يرضى لنفسه أن خضع فى الأغلال والقيود ، ولا يقبل أن يتحكم فيه شىء ، وإن رضخ له كل ما ينتجه العقل البشرى من علم وصناعة .

هذه « أوليات » لا يمكن أن يكون الفن فناً بدونها . فهل تتوفر هذه « الأوليات » فى هذا النوع الثالث من الفن الرمزى الذى يطالعنا به هذا العصر الحديث ؟

أما الحس الصادق فهارب من أهل هذا الفن ، وليس هو وحده الذى هرب منهم وفر ، وإنما تسلل من نفوسهم معه كل حس فلم يعودوا يحسون إحساساً صادقاً ولا إحساساً كاذباً . وليس هذا لأن الله خلقهم هكذا « مبرشمين » بل لأنهم هم أنفسهم أرادوا أن يكونوا هكذا . فلم يقبلوا أن يكون فى الناس من يزيد عليهم علماً ، ولا من يزيد عليهم اطلاعاً ، ولا من يزيد عليهم إلماما بما يكتب وبما فى الكتب ، ولا من يزيد عليهم إحاطة بما يحدث فى هذه الدنيا من اختراعات واكتشافات ونظريات ومعلومات ، فأدمنوا القراءة ، وأدمنوا التعلم ، وأدمنوا الاطلاع ، وهذا كله يشغل العقل ويجهده ، ويأخذه بالمران على سلوك نهج الناس فى التفكير . والذى لا شك فيه هو أن هذا العصر الحديث قد اختط لنفسه نهجاً خاصاً فى التفكير ربما تكون الإنسانية قد اصطنعته فى يوم ما ، ولكنها على أى حال لم تقطع فيه شوطاً بعيداً كهذا الذى قطعته فيه هذه الأيام ، ذلك هو طريق المادة ، فالإنسانية اليوم تحشد مواكبها جميعاً فى هذه الطريق ، والقوى القادر هو من تقدم إلى الطليعة يتلقط الثمر الذى يبعثره الشيطان أمام هذا القطيع البشرى ، والضعيف الهزيل هو من تأخر إلى آخر الموكب يتلقط القشور والنوى

والفنان الذى يصطنع هذا اللون من التفكير يقوى واحدة من ناحيتيه الإنسانيتين على حساب الأخرى إذ ينصر عقله على إحساسه ، وهو لا يقوى هذه الناحية فى طريقها الفطرى الذى ترضاه الطبيعة والذى تطالب به برهاناً على جدارة الإنسانية بنعمة العقل الذى لا يؤذى النفس ولا يؤذى الغير ، ولكنه يقويها وهى جامحة فى طريق خاطئ كله رذيلة وكله شر . ومهما ادعى الفنان المشغوف بالعلم اللاهث من الجرى وراءه أن فى استطاعته الاعتصام بنفسه عن نزوات العقل والعلم والحضارة الحديثة ، فإنه إما مخادع فى هذه الدعوى وإما مخدوع ، لأن طابع العقل والعلم والحضارة فى هذا العصر هو طابع المادة ، فالعقل لا يقر من الحقائق إلا ما ثبت ثبوتاً مادياً ، وأول ما ينكره إذن هو الحس والروح . والعلم لم يعد الناس يطلبونه ليجدوا فيه المتعة الروحية أو ليصلوا عن سبيله إلى ما هو أكبر وأعز وأنفس من هذه الحياة ... وأما الحضارة فها هى ذى : عمارات ، وطيارات ، وبوارج ، وغازات سامة ! وكفى هذا القرن العشرين سبة أنه عند ما قال له فرويد : « إن الإنسانية تحركها فى حياتها قوة الغريزة الجنسية » اطمأن إلى هذا اطمئناناً ثبت فى النفوس وتأصل وتفرع وتسلقت منه أغصان سامة هاصرة التفت حول كل شىء حتى أعناق الفنون تريد أن تدقها لتتفرد البهيمية فى نفوس الناس على أساس من العلم وليجىء يوم تنضم فيه مستشفيات المجاذيب وحدها على الذين يؤمنون بالحس والروح ، وليجىء بعده يوم تبرأ فيه الإنسانية من الحس والروح ويكون أمرها إلى الغريزة الجنسية أولاً وأخيراً

ويا له من يوم . . . ! يوم يقول فيه الناس : عاش على هذه الأرض فيما سبق مجنون كان يدعى غاندى وقد كان تلميذاً لمجانين من أساتذته السابقين !

فهل يرضى الفن عن هذا وهو المسكة من روح الله فى نفوس الفنانين ... ؟

لا ! إنهم سيثورون على هذا العقل وعلى هذا العلم وعلى هذه الحضارة ، وسترى الإنسانية عن قريب يوماً يكون الهداة فيه كتابا ، ورسامين ، وموسيقيين ، وممثلين ، وشعراء ، ومغنين وسيصرخ هؤلاء فى وجوه الذين يدحرجون الإنسانية إلى الهاوية ليبيعوا لها الحديد والنار للقتال ، وليبيعوا لها الخبز والماء لإمساك الرمق من أجل القتال وحده . وستكون أهون صرخاتهم كتلك التى صاح بها شارلى شابلن فى وجه « العصر الحديث » بقصته الأخيرة ...

ولعل العالم لما ينس قصة « كل شىء هادئ فى الميدان الغربى »

وغيرها من قصص السينما والمطبعة التي كشفت الستر عن مآسي الحرب وما بمثها من جنون العقل ، وما ألهبها من هوس العلم ، وما غذاها من اختبال الحضارة وجشع المادة . كانت هذه القصة كما كانت غيرها من القصص الداعية إلى الروح والسلام فناً ، وكانت حية ، وكانت حارة . وقد خلقتها جميعاً في نفس منشئها عاطفة واحدة هي الاشمئزاز من العقل والعلم والحضارة الحديثة ، لأن الفنان الحق لا يملك أن يقف من العقل والعلم والحضارة الحديثة إلا موقف المشمئز الكاره لا موقف المحب التابع ، أو العبد الخاضع ، ما دام يرى هذا اللون الأحمر الذي تصطبغ به الحضارة القائمة على أساسين من العقل والعلم والخالية من الحس والروح

أما القول بأن علم النفس لا يدعو إلى الحرب فلا تصح كراهيته، وإنه من الجائز للفنان أن يتابعه وأن يجني الحق من فضله فهو قول يلجأ إليه المكتوف المعصوب العينين ، ولا يقبل أن يقول به فنان منطلق لا يشعر بحاجته إلى العلم كي يرى ويسمع لأنه بعينيه يرى وبأذنه يسمع ... وإلا فعليه أن يطمس عينيه ، وأن يسد أذنيه وأن يقنع بقراءة الكتب التي تؤله الغريزة الجنسية ، وأن يجري وراءها .

سيقولون إن أسمى الفنانين هو الذي ينتج فناً إنسانياً عاماً تتذوقه النفوس جميعاً . وسيقولون إن القواعد التي يقررها علم النفس قواعد عامة تنطبق على النفوس جميعاً انطباقاً تاماً سليما ، وهذا وحده يكفي — عندهم — أن يغري الفنانين بالإقبال عليها والتعلق بها . وردنا على هذا أن هذه الطريقة التي يصطنعونها طريقة عقلية تجارية ليس فيها من خير إلا أنها مريحة جداً للفنان الذي يسلكها إذ يستغني فيها بكتاب يشتريه بدراهم معدودة فيقرأه فيتخذ منه مادة الفن ... عن سنوات أو أشهر أو أيام ينفقها من عمره في هذه الحياة تأكل من أعصابه وتشرب من دمه لتجود عليه بعد ذلك بمثل ما جادت به على من أخرجوا البؤساء، وآلام فرتر ، ومتروبوليس ، وفاوست ، وسائر هذه الجرات الخالدة التي التهبت جهنمات في نفوس أصحابها لا كتلاً من الثلج المصنوع من الماء والأحماض والأملاح

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما استطاع في كثير من الأحوال أن يهدي الصناعة والتجارة

فإذا كان أتباع العلم هؤلاء فنانين حقاً فلماذا لا ينشرون إحساسهم على العالم فيحيطاون به ثم يطالعوننا بما ينطبع في حسهم وهم يرون العالم على ما هو عليه ، وهم يعرفون ما هو عليه ؟

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما كان الفن على مر الزمان سباقاً

وإني أريد الآن أن أتصور واحداً من هؤلاء الذين يتبعون العلم في فنهم وهو يريد أن يضع قصة مثلاً ، كيف يضعها ؟ إنه يقرأ في كتاب من كتب علم النفس أن الذاكرة تغيب عن الإنسان أحياناً فيبتلعها العقل الباطن ، ويعيش الإنسان مدة طويلة أو قصيرة وهو بغير ذاكرة فتصدر منه أقوال وأفعال لا تستقيم مع حياته الظاهرة . وقد يحدث بعد ذلك حادث يعيده إلى ذاكرته أو يعيد إليه ذاكرته ، أو قد لا يحدث له هذا الحادث عفواً ، فهو إذن محتاج إلى التنويم المغناطيسي يرد إليه ذاكرته

يقرأ الكاتب المثقف هذا فيقول في نفسه : والله إن هذا الموضوع يصلح قصة ؛ فلأركبها إذن من رجل وزوجته فتغيب عنه ذاكرته فتشقى هي لهذا ، وأخيراً يسعدان بشفائه ، ثم يعود فيقول لنفسه : وما هي الحوادث التي سأوقع بهذا الرجل فيها ، على أن تكون حوادث مسلية لذيذة ، وعلى أن تكون في الوقت نفسه غامضة حتى يثبت للقراء أني من أدباء الرمز الذين يستغلق فهمهم على عامة الناس . . . آه . . . فلتكن هذه الحوادث كيت وكيت وكيت ... وعلى هذا النمط الكيميائي الصناعي يسير صاحب الفن العلمي في فنه فيؤلف قصته أو يركبها فيقرأها القارئ، وينفق فيها وقته وهو لا يشعر مطلقاً بأن الفنان الذي «عمل» هذه القصة يختلف في كثير أو قليل عن العالم الذي كتب التقرير العلمي صاحب الفضل الأول في تأليفها .

فهل من طبع الفن أن يشبه طبع العلم ؟ لا ... ليس الفن هكذا ولا إنشاء القصة هكذا ...

هوجو ابتأس فأخرج البؤساء . هوجو شقي فخلد الشقاء ،

وعرض منه صوراً لا يقول أحد إنه رآها جيماً ، أو أن كتاباً دله إليها ، ولكنه هو أحسها لأن روحه طافت بها . روحه كانت تغادره وتحل فى البؤساء على اختلاف ألوان بؤسهم فتتذوق للبؤس طعوماً مختلفة ليس أقساها بؤس « جان فلجان » اللص الذى سرق رغيف الخبز ، وإنما قد يكون أقساها بؤس « جافير » رجل البوليس الذى كان يتنطع فى مخاصمة « جان فلجان » وتتبعه وإحراجه لا لأنه يمقته ولكن لأنه كان يخشى أن يقصر فى واجبه ، فيكون فى نظر القانون مجرماً وهو ما لم يكن يحب أن يتردى إليه بعد أن أحسن المجتمع تنشئته وقد كان لقيطاً رباه المجتمع ليكون حامياً من حماته

ما أعجب هذه النفس التى عرضها هوجو فى بؤسائه . نفس أصابتها العقد — على حد تعبير العلماء — فأصبحت تتحجر دون الرحمة لأنها كانت تخشى ألا يرحمها أحد ، كما لم يرحمها أب ولا أم. وهذه نفس قد يحللها فرويد ، وقد يحللها سبيرمان أو غيرهما من علماء النفس ولكن تحليلهما وتحليل غيرهما ليسجد أمام هذا الجلال الذى أسبله عليها هوجو الفنان الذى لم يقرأ علم النفس ولا نظريات علم النفس ، والذى كان يعيش بروحه فيحس ويشعر ، والذى لو لم يكن أديباً بطبعه لما أنشأها هذا الإنشاء الرائع ، والذى لو كان موسيقياً لأرسلها لحناً باكياً

الفنون يا أصحاب الفنون يمكن أن يترجم بعضها إلى بعض ، لأنها لا تكون فنوناً إلا إذا كانت من وحى العواطف ، والعواطف لا تستعصى على أى فن. فما هى العواطف التى تتحرك فى نفوس الذين يجرون وراء العلم الناقل والتى تصلح للترجمة إلى بقية الفنون؟ لا شىء إلا عواطف مصنوعة مركبة . أما العاطفة الصادقة فى نفوسهم فهى لا تتحرك إلا نحو غرض من أغراض الطبع والنشر والإذاعة

لا . ليس هذا فنًّا

وأخيراً . ما الذى يقبل من الفنان أن يكون عليه ؟ ...

لا شىء أكثر من أن يعيش وهو لا يدرى فى نفسه أنه سيخرج فنًّا ... فليترك نفسه للحياة ، وليسع إلى الصدق ما أمكنه السعى . وليبحث عن الجمال ما أمكنه البحث . ليقرأ ، ولكن عليه أن يقرأ فى صفحات الوجوه قبل أن يقرأ فى صفحات الكتب . عليه أن يلتفت إلى الناس وإلى الحيوان وإلى النبات وإلى الجماد . فليمط كل نفسه لكل ما يحيط به من مظاهر الوجود ... فليباشر هذه الحياة ، وليبادلها الحس ، وليغتبط بكل ما تؤاتيه به من سعادة أو محنة ، وبكل ما يراه فى الناس من خير أو شر ، وبكل ما يطالعه فى الطبيعة من أحسن الصور وأقبحها فهذا وحده هو سبيل الفن ، وليس من الضرورى بعد ذلك أن يكون الفن كتابة أو ألحاناً أو صوراً ... وإنما الفن هو حياة المدى ... وكم فى جماهير الناس من ثقاة فنانين ، وكم فى الفنانين من مرتزقة أو — على الأقل — حائدين !

عزيز أحمد فهمى





من الجزىء إلى الذرة

للدكتور محمد محمود غالى

مستقبل الكون والمبدأ الثانى للترموديناميكا — هـذا المبدأ شىء ورجوع الحياة شىء آخر — اختلاط الجزيئات عملية طبيعية واتحاد الذرات عملية كيميائية — ملاحظة « بروست » — الفكرة الذرية عند « دالتون »

إن ما يستشعره القارئ أحياناً من الصعوبة بينا يتابع هذه الأحاديث عن وصف الكون وما يكتنفه من مظاهر لأمر هين، بجانب معرفته فى النهاية شيئاً جديداً عما يحيط به من أسرار فهذه غاية تكون بلا شك مدعاة لارتياحه

أذكر أن فى مارس الماضى عند ما كنا نواجه القارئ بأحدث ما نعرفه عن الكون وعن تمدده وابتعاد ما فيه من عوالم بعضها عن بعض — حدث أن اضطررنا[1] عند الكلام عن حيز « ريمان » وحيز « لوباتشفسكى » وعند الكلام عن الحيز الطبيعى وفق رأى « أينشتاين » ووفق رأى « دى سيتير » إلى اللجوء إلى مناقشة مسائل لا شك فى أن القارئ وجد فى إدراكها شيئاً من الغموض — هذا الغموض الذى اضطررنا إليه اضطراراً كان لزاماً علينا أن نذهب إليه كما كان لزاماً علينا أن نخفف على القارئ بعض الشىء فيما تبع ذلك فى مقالاتنا عن الكون الممتد[2]، ولم يكن فى طوق أن ألج موضوعاً دقيقاً كهذا وأخطو بالقارئ فيه خطوات أخرى دون أن يتخلل حديثى فيه فترة من الراحة

كذلك كان مقالنا الأخير[1] عن الجزىء الذى لجأنا فيه إلى تفسير بعض القضايا التى يلاقى فيها القارئ بعض الصعوبة، ولم يكن هناك بُدٌّ، وقد أخذت على عاتقى أن أقص عليه أهم ما وصل إليه الإنسان من تفكير مُنَظَّم، من أن نذكر فلسفة ليبنز (Leibniz) وألا نغفل رأيه القائل بأن الحرارة هى الحركة، وألا نغفل أيضاً كيف فسّر بولتزمان (Boltzmann) انتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة، وكيف بين عدم إمكان العملية العكسية .

لقد طالعت المقال السابق بعد نشره أكثر من مرة وأعتقد أن الكثيرين من القراء قد فهموا هذا التفسير لبولتزمان وأدركوا هذا النزول الحتمى فى الحرارة كنتيجة حتمية لما يحدث من تعديل فى حركة جزيئات الجسمين المتلاصقين، بحيث لو تصورنا فريقين مزدحمين من لاعبى كرة القدم، فريقاً سريع الحركة وآخر بطيئها، اختلطا فى فناء واحد فإن النتيجة الحتمية لتصادم الفريقين فى أثناء اللعب أن يكتسب الفريق البطىء شيئاً من السرعة ويفقد الفريق السريع جانباً منها، ولا يمنع هذا وقوع بعض الحوادث الفردية التى تشاهد أثناء اللعب من أن ينتقل لاعب بطىء سرعته إلى لاعب سريع الحركة، إنما النتيجة الحتمية للمجموعة هو اقتراب من تعادل سرعتهما ما دام الصدام مستمراً بينهما .

هذا التفسير البولتزمانى مفهوم للقارئ، ولكن مما قد لا يستوعبه بالدرجة التى أرغبها هو النتيجة المرتقبة لمصير الكون من أثر هذا القانون الحتمى القائل بالتعادل الحرارى، أى التعادل فى حركة جزيئات المادة، وهى النتيجة التى لخصناها فى أن

(١) مقالنا بالرسالة — رسالة من العوالم البعيدة تنبئ أن الكون ينتشر — العدد ٢٩٦ ص ٤٣٦ — ٦ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا — الكون يكبر (العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه ينتشر) — العدد ٢٩٨ ص ٥٩٢ — ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩

(٢) مقالنا بالرسالة — وزن الكون وعدد ما به من ألكترونات — العدد ٢٩٩ ص ٦٤٠ — ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ترى ما وراء هذا الكون ؟ — ٣٠٢ ص ٧٨٠ — ابريل سنة ١٩٣٩

(١) مقالنا بالرسالة عن فلسفة ليبنز (Leibniz) — العدد ٣١٣ ص ١٣٢٤ — ٣ أبريل سنة ١٩٣٩

الكون فى مجموعه — الكون الذى فيه نسمع ونرى — سائر حتماً إلى خاتمة يسمونها الموت الحرارى ، أو الاقتراب من السكون ، أو — عند ظن بعض العلماء — عدم إمكان عودة أى شكل من أشكال الحياة والحركة . هذه النتيجة توصل إليها العلماء لقلة ما فى الكون من مادة بالنسبة لمجموع الحيز . هذه الخاتمة التى تتلخص فى التساوى الحرارى مع مرور الزمن نتيجة الانخفاض فى الدرجات المرتفعة ، والارتفاع فى الدرجات الخفيضة، يجعل من الكون فى مستقبل العمر وعاء لا تصلح الحياة فيه .

وإنما ذكرت للقارئ هذه النتيجة التى يحتمها المبدأ الثانى للترموديناميكا مما يبعث الأسف فى نفوسنا ليعرف شيئاً عن تفكير العلماء — هذا التفكير الذى يلجأون إليه نتيجة للمشاهدات والحوادث

كل ما أريد أن أطمئن إليه : هو ألا تؤثر هذه النتائج العلمية على القارئ ، فتزعزعه عن بعض عقائده الموروثة والخاصة بعودة الحياة . تلك الفكرة التى لا تتعارض عندى والمبدأ الثانى للترموديناميكا ، لأننى كما قدمت لم ألجأ فى تعريف الحياة بالحركة بل أعتقد أن ثمة اختلافاً جوهرياً ، وغير مفهوم لنا ، بيننا وبين التفاحة التى نأكلها ، أو المحبرة التى نُملى منها هذا المقال ...

إنما أردت فى مناقشة علاقة المبدأ الثانى للترموديناميكا بمستقبل الكون أن أوجه نظر القارئ إلى ناحية من مناحى تفكير العلماء : كيف يتسنى أن تكون لمسائل نعتبرها طفيفة نتائج خطيرة على تفكيرنا وفهمنا للكون ... وله أن يتأمل الآن قليلاً : كيف ، من حقيقة يلمسها كل يوم تتلخص فى أن الجسم الحار يعمل دائماً على تسخين الجسم البارد ، وأن العكس غير صحيح ، يجد العلماء من هذا الموضوع على بساطته منفذاً للحكم على مستقبل الكون؟

ألان قطعة من الثلج تعمل على تبريد فنجان من الشاى الساخن بوضعها فيه يسير الكون فى مجموعه إلى نوع من الموت بلا رجعة ؟! هذا ما يقرره العلم ، فهو يقرر أن من اختلاط وتصادم مجموعتين من الأفراد ، مجموعة دأبها السرعة وأخرى ديدنها البطء ، تنشأ مجموعة جديدة لا هى بالسريعة ولا هى بالبطيئة بل لمجموع أفرادها سرعة متوسطة واقعة بين سرعة المجموعتين

أود أن يستشعر القارئ أنه إذا كانت المشاهدات تدل على هذا التعادل فى الحركة أى هذا التساوى فى الحرارة ، وإذا كانت الرياضة والمنطق يحتمان هذا النوع من التعادل نتيجة لحساب دقيق، فإن جسيمات الكون فى مجموعه مصيرها الهدوء وأن الكون مصيره الموت الحرارى . أما أن نقرر أن الحياة مصيرها فناء بلا عودة فهذا أمر آخر لا نستطيع فى سهولة أن نقبله أو أن نساير العلماء فيه

أجل إنما أردنا أن ندل القارئ على طرائق التفكير الحديث ، كيف تتسلسل المسائل ، وكيف يرتبط بعضها ببعض ، وكيف يتعلق المعقد منها على البسيط ، وكيف يقسمون الظواهر فى منطق العلم إلى ظواهر حتمية وأخرى احتمالية ، وكيف يفرق القارئ بين الظواهر العكسية والأخرى غير العكسية، وكيف، من أبسط المعارف والمشاهدات، نجدسبيلاً للتحدث عن أروع المسائل المتعلقة بصميم الفلسفة ومستقبل الكون ؟

والآن ننتقل من الكلام عن الجزىء إلى الكلام عن الذرة

قدمنا عند الكلام عن الجزىء[1] أن فكرة تقسيم المادة إلى جزيئات لم تكن حاصل المشاهدات المباشرة بقدر ما كانت حاصل البحث العلمى العميق والوسائل الطبيعية الدقيقة . لئن تكن المادة منفصلة غير متصلة ، أو بعبارة علمية لئن تكن مكونة من جزيئات منفصلة ومستقلة فهذا أمر لم نكن نعرفه بداهة أو مشاهدة، وإنما كان لدراستنا للتطورات الحرارية أكبر الأثر فى معرفته

كذلك لا يمكن بالعين المجردة أن نُقيم الدليل على تقسيم الجزىء إلى ذرات . وكما أن نظرية الجزيئات والاستدلال عليها جاء عن طريق العمليات الحرارية كذلك صادفت النظرية الذرية أى تقسيم الجزىء إلى ذرات مستقلة نجاحها فى العمليات الكيميائية

ففى هذا العلم — الكيمياء — شبت النظرية الذرية وترعرعت، ولقد كان ذلك فى بادئ الأمر راجعاً إلى قانون معروف بقانون النسب الثابتة ظل الأساس الذى بُنيت عليه النظرية الذرية ، وهو يعلمنا الفرق بين المخلوط والمركب الكيميائى :

عند ما نشرب الماء ممزوجاً بقليل من ماء الورد فإنه ليس ثمة حدود تقف عندها درجة المزج للحصول على المزيج . إننا نستطيع أن نحصل على مزيج من الماء وماء الورد بنسب مختلفة فنستطيع أن نجعل النسبة من ماء الورد ١ إلى ١٠ من الماء أو ١ إلى ١٠٠ وهكذا . كذلك عند ما نصنع لوحاً أحمر من الزجاج فإنه بقدر كمية اللون التى نضعها فى مواد الزجاج ، وهو فى حالته السائلة وقبل أن يتجمد ، نحصل على لوح تتعلق درجة احمراره بنسبة

(١) تكلمنا عن الجزىء فى « الرسالة » فى أربع مقالات يجدها القارئ فى الأعداد : ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣

ما وضمناه من مادة مُلوّنة ، ولنا حرية مطلقة فى الحصول على مئات بل وألوف الأنواع من الألواح الزجاجية كلها حمراء ولكن تتفاوت فى درجة الاحمرار . هذه العمليات اختلاط طبيعى بين جزيئات المادة .

ولكن عند ما تتحد كمية من الهيدروجين بكمية أخرى من الأكسيجين اتحاداً كيميائياً تحت تأثير شرارة كهربائية لتكون الماء فإن جرامين اثنين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسيجين ، بحيث لو تعمدنا أن تكون كمية الهيدروجين الموجودة مع كمية الأكسيجين السابقة خمسة جرامات فإن جرامين اثنين يتحدان منها فقط مع الـ ١٦ جراماً من الأكسيجين الموجودة لدينا وتبقى الثلاثة الجرامات الأخرى من الهيدروجين حرة لا تتحد. هذه النسبة الثابتة فى المركبات الكيميائية تختلف كما يرى القارئ عن موضوع مزج الجزيئات الطبيعى الذى يمكن أن نحصل عليه بأى نسبة فى أنواع المعادن Alliages المختلفة « فالبرونز » مثلاً نحصل عليه من النحاس والقصدير بالنسبة التى نريدها ، ولكن الماء نحصل عليه من الهيدروجين والأكسيجين بالنسبة التى تعينها لنا الطبيعة والتى لا تتغير

هذه الأجسام البسيطة كالأكسيجين والهيدروجين التى تدخل كيميائياً فى المركبات المختلفة والتى يمكن بوسائل كيميائية الحصول عليها منفردة مرة أخرى ، عرفها العلماء بالعناصر حيث كان من المشاهد منذ لافوازييه Lavoisier أن كمية معينة من عنصر معين يمكن إدماجها فى عشرات التركيبات الكيميائية كما يمكن الحصول عليها مرة ثانية بحيث لا يزيد وزنها أو يقل مهما كان نوع التركيبات الكيميائية التى دخلت فيها . فإذا كانت الكمية من الأكسيجين التى اتحدت فى المركبات فى بادئ الأمر ١٦ جراماً فإنه من المعروف أننا نحصل دائماً وبالطرق الكيميائية المختلفة على ١٦ جراماً من الأكسيجين وأن هذه الكمية غير قابلة بأى حال للزيادة أو النقصان

كذلك يتكون الغاز الكاربونى Gaz Carbonique من احتراق الفحم فى الأكسيجين بنسبة ٣ جرامات من الأول إلى ٨ جرامات من الثانى، وظلت هذه النسبة هى الأساس فى تركيب الغاز الكربونى بحيث لم يَتَسَنَّ للكيميائيين بوسائل مختلفة وأساليب متباينة (مثل وضع هذه المجموعة من الكاربون والأكسيجين تحت ضغط شديد أو غير ذلك) أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون مع ١ر٨ جرامات من الأكسيجين مثلاً. وليس معنى هذا أن الكاربون والأوكسجين يتحدان دائماً بنسبة ٣ إلى ٨ فإنه يصح للحصول على مركب غير الغاز الكاربونى أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون بأربعة جرامات من الأكسيجين ، ولكن الفارق بين الحالتين عظيم . فثمة حالة غير متصلة تختلف عن حالة الخلط والمزج المعروفة فى اختلاط الجزيئات

كان لا بد تحت هذه العوامل والمشاهدات من أن يُعمِّم العلماء هذه الوقائع المتقدمة ويحصونها ويدرسونها ، وهكذا توصلوا إلى قانون النسب الثابتة الذى يحدد النسب التى تتحد بها العناصر الكيميائية المختلفة ، هذا القانون المعروف منذ العالم « دالتون Dalton » والذى كان الفضل الأكبر فيه للعالم « بروست Proust » يتلخص فى أن النسبة التى يتحد بها عنصران لا يمكن أن تتغير بحالة مستمرة

وهكذا كان من الصعب ألا نفترض أن هذا الأكسيجين المتحد مع الهيدروجين ليكون الماء استقل دائماً بنفسه وحافظ على استقلاله فى أثناء هذه العملية الكيميائية ما دمنا نستطيع أن نعيده سيرته الأولى(١) وهكذا أمكننا أن نرجح أن هذا الذى نسميه عنصر الأكسيجين كان مستقلاً فى كل المركبات الأكسيجينية التى يمكن أن يدخل فيها مثل الماء والماء الأكسيجينى والأوزون وثانى أكسيد الكاربون والسكر الخ بحيث إذا كان السكر مركباً من جزيئات متشابهة تمام التشابه فإنه من المتعين أن فى كل جزىء من هذه الجزيئات قد دخل الأكسيجين كشخصية مستقلة كما دخل الكاربون والهيدروجين اللذان هما المركبان الآخران للسكر شخصيات أخرى مستقلة . من هنا ومن أمثال ذلك حاول العلماء أن يعرفوا الصورة التى يجب أن تكون عليها هذه المواد الأولية أو العناصر البدائية التى تتفق أجزاء منها تحت عوامل لا محل لذكرها وتتقارب لتكوين جزىء من السكر ، هذا المولود الجديد والمركب من هذه العناصر المتقدم ذكرها

هذه الملاحظة من جانب « بروست » الفرنسى فى وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها أدت بالعالم الإنجليزى « دالتون » إلى أن يفرض فرضاً ذرياً يمكن أن يجيب على هذه الحالة المتقدمة :

[البقية على الصفحة التالية]

(١) من المعروف أنه بمرور تيار كهربائى فى الماء يتحلل الماء مرة أخرى إلى عنصرين : الأكسيجين والهيدروجين



لصـــوص الفيء

للأستاذ نديم الجسر

ذكّرني وصف أستاذنا الزيات لصورة من (صور الماضي) في مصر بصورة من هذا الضرب المضحك المبكي ، حُدثت بها من عهد غير بعيد . فأخذتْ بمجامع قلبي لما فيها من روعة ، ولأنها تكاد تكون حقيقة لا أثر للخيال فيها ، ولأنها تصدق عنـدنا على الماضي والحاضر ... ويا للأسف ...

***

كنا في صيف عام ١٩٣٣ في قرية رِسْير، ذلك المصيف الذي عشقه الدكتور فارس نمر ، وأعجب به الباشا سيّد البنك المصري وسيد الأعمال المالية في بلاد العرب ، حتى كاد يفكّر في إمداده وتمصيره . وقد اجتمعنا ليلةً على جاري عادتنا في شرفة الدار التي يتطأمن تحتها وادي سير الفتان ، ومن ورائه ينبسط البحر ساجياً وقد ازدان منه (خليج عَرْقة)[١] الفينيقي بطائفة من قوارب الصيادين تحمل في مقاديمها مشاعل تبهر الأسماك وتستهويها . فيساعد تجمعها حول القوارب على صيدها . وكانت تلك القوارب تختفي في ظلمة الليل فلا يبدو منها إلا أنوار المشاعل كصفّ من مصابيح نُصبتْ في شارع طويل ؛ حتى كنا نوفّق في دعاباتنا أحياناً إلى أن نخدع بها طائفةً من زوّارنا فنوهمهم أنها أسكلة (ميناء)

(١) خليج عرقة : هو الخليج الذي كانت مبنية على مقربة منه مدينة عرقة الفينيقية

كل العناصر مكونة من ذرات ، ويحدث في مختلف العمليات الكيميائية المتباينة أن تجتمع ذرات الأجسام وتكوّن كل مجموعة جديدة جزيئات من جزيئات المركب الجديد ، بحيث يجوز لذرة من مادة معينة أن تلتصق أو تجتمع بذرة واحدة من مادة أخرى كما يمكن أن تجتمع باثنتين أو أكثر ، فالماء مثلاً يتحد فيه ذرتان من الهيدروجين بذرة واحدة من الأكسيجين (إن اجتماع جرامين من الهيدروجين مع ١٦ جراماً من الأكسيجين راجع إلى وزنهما) ذلك أن القوة الكائنة بين هـذه الذرات وبعضها هي بحيث أن اجتماعهما في هذه الحالة اجتماع واحد باثنين ، وإذا اجتمعت ذرة واحدة من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسيجين تكوّن الماء الأكسجيني الذي نستخدمه في الجروح بدل المـاء العادي الذي نشربه .

هذه الخطوة الموفقة من جانب العالم الكبير دالتون التي مهد لها « بروست » ظلت أساساً للعلوم الكيميائية ، وفي آلاف المواد التي نستخدمها والتي هي في الواقع مركبات من عناصر مختلفة متحدة بنسب ثابتة أو ممتزجة بنسب متباينة أمكن تقسيم العالم المادي إلى ٩١ عنصراً تبدأ بالهيدروجين والهيليوم وتنتهي بالبروتوكتينيوم والإورانيوم . هذه العناصر تقوم لنا كمراجع دائم يدلنا على هذه المركبات المكونة لكل ما نراه ونعثر عليه من مادة في الكون ، كما تدلنا الشمس والنجوم الثابتة بمواضعنا المختلفة في الأفق بالنسبة لها على معرفة الوقت نهاراً أو ليلاً

وسنرى فيما سيأتي ما استفاده العلماء من هذا الفرض الذري ونحاول أن ندرك كنه الذرة وما يجري بها ونستخلص من أعمال العلماء سيرة ما يحدثونه اليوم فيها من تهدم ، ما سيكون له أكبر الأثر في تقدم معارف الإنسان.

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

طرابلس ، على حين أن الأسكلة تحتجب وراء الجبل ، فإذا عادوا إلينا فى النهار سألوا عن الأسكلة! فقلنا لهم: سرقها الصيادون...

وكنا نتحدث ، كما يتحدث المصطافون فى هذه القرية الهادئة المحرومة مرح المصايف الأخرى فى لبنان بأحاديث تشوبها كآبة الضجر الذى يلازم المكرّر الوحيد النغم المملولَ من كل شىء . وساقنا الحديث إلى ذكر أحوال القضاة ومظالمهم، ونذرة (قضاة الجنة) ، وكثرة (قضاة النار) ؛ وكان معنا فى هذه الجلسة سيد القرية ، وهو رجل كثير الصمت طويل الروية ، سليم المنطق بالفطرة الموهوبة لا بالقوة المكسوبة، رقيق الحاشية، ليّن العريكة، شديد الحذر من إطالة اللسان ، والخوض فى أحوال الناس . لا نشكو من طيب عشرته إلا أنه يتركنا الساعات الطوال نتحدث ، وهو معتصم بالصمت يسمع . فإذا سكن الحوار ، وخمد الجدل، ألقى بكلمة أو كلمتين فيهما زبدة القول وفصل الخطاب ...

وطال حديثنا عن قضاة النار وأحوالهم فقال صاحبنا بعد صمت طويل : هؤلاء يسمونهم عندنا فى الجبل (لصوص الفىء) . قلنا : وما لصوص الفىء ؟ فأغرب فى الضحك وتشبث على عادته بصمت المحترز فما زلنا به حتى رضى أن يحدثنا فقال :

« يحكى أن مكاريا من أهل القرى كان يملك من وسائل العيش بغلاً يكاريه الناس و يعيش من كرائه مع زوجه وأطفاله، فمرض البغل يوماً مرضاً أقعده وأقعد صاحبه عن العمل ، فقام مع عياله فى جانب البغل يداوونه ويدعون له بالشفاء. ولما اشتدت وطأة الداء نذر الرجل على نفسه أن يعطى رجلاً مشهوراً عندهم بالصلاح والتقى والولاية مائة قرش إن شفى الله بغله. ولكن الله لم يتقبل نذره ومات البغل، فبكاه الصغار والكبار ما شاء الله أن يبكوه. وفى اليوم الثانى أخذ الرجل ما يستغنى عنه من متاع البيت فباعه واشترى بثمنه بغلاً آخر . فما كارى عليه أياماً حتى سرت للبغل من الملف عدوى المرض فقام بجانبه الليل والنهار يصلى ويبتهل وينذر النذور لأكبر الأولياء وأعظم الأبرار ، ولكن البغل مات ولم تنفع فيه النذور للصالحين. فبكاه أصحابه المساكين بكاء الثكالى ثم جمعوا بقية ما فى البيت من متاع فباعوه واشتروا بثمنه بغلاً ثالثاً . وما مضت عليه أيام حتى سرت إليه العدوى، فطاش لبّ الرجل وضاع صوابه ورأى أن نذوره للأولياء الأبرار الأطهار لم تشفع ولم تنفع، فأصابه ما يصيب كل مفجوع عند هول الكارثة من ذهول وسخرية واستخفاف، فبدا له هذه المرة أن يجعل نذره لأشد الناس شراً ؛ وعظم النذر فجعله ألفاً .

وشاءت حكمة الله أن تكون عدوى المرض خفيفة وأن يقوى عليها البغل الجديد فشفى. وعاد الرجل إلى عمله، فما زال يشتد فى طلب الكسب حتى اجتمع لديه النذر فحمله وهبط به المدينة يلتمس فيها من يستوجبه فعمد إلى أشهر بيت للفسق والفجور وانتحى ناحية يراقب منها الناس حتى اختار أشدهم تهتُّكاً وأشنعهم فسقاً فاقترب منه وحدثه بحديث نذره ثم قال له والخوف يعقد لسانه :

« لا تغضب يا هذا وارحم ضعفى وذلتى فإنى أردت وفاء نذرى فلم أجد من هو أعظم منك شراً فحق على أن أوفيكه »

فما سمع الرجل مقالته حتى أغرب فى الضحك؛ ثم أطال الصمت حتى أوجس القروى من طول صمته وكآبته شراً. ثم استعبر حتى وجت القاعة الصاخبة لنحيبه، ولما سكنت نفسه قال: «لقد ضللت يا صاح والله بغيتك ؛ وكدت تعطى نذرك من لا يستحقه . فما أنا بأعظم الناس شراً ، وإنما أنا رجل ابتلانى الجبار بذُلّ الشهوات فلا أستطيع إلى فكاك نفسى من أسرها سبيلاً. ولو رأيتنى كيف أصحو نادماً ذليلاً لرثيت لى ولرجوت أن يغفر الرحمن ذنوبى . . . فإليك عنى، وعليك باللصوص وقطاع الطريق فهم أحق بنذرك منى »

فخرج القروى من الحانة وقد سره أنه وجد ضالته واسترشد برأى (سوقىّ) يعرف حقائق الأمور ، وما زال يسأل عن قطاع الطريق أين مكمنهم ومن أشدهم فتكا وبطشاً، حتى استرشد. فركب بغله وسار فى حلك الليل حتى أشرف على الكمين الذى يقطع الشرير منه الطريق مع عصبته؛ فما شعر اللصوص بالرجل حتى اكتنفوه فقال لهم: على رسلكم فإنما إليكم قصدت . أين رئيسكم ؟ فدلوه عليه فحدثه بحديث نذره فأطرق اللص إطراق الحزين ، ثم استعبر حتى ابتلّت لحيته ثم قال : (إنك يا هذا ضللت بغيتك

فما نحن إلا فقراء عضتنا الفاقة وضاقت بنا سبل العيش فاتخذنا السلب حرفة نكسب منها قوت عيالنا ، ولو وجدنا إلى الرزق سبيلاً غير هذا لسلكناه . ولو كشف الله لك عن قلوبنا لرأيت ألماً وندماً ، ولرجوت لنا عند الرحمن عفواً وكرماً . إذا أردت يا صاح الوفاء بنذرك فدعنا نحن (حرامية الشمس) ، ولصوص التعب والنصب والخوف والخطر واذهب إلى (حرامية الفيء) ؛ فإنهم أحق بنذرك ...)

فقال القروي : ومن هم حرامية الفيء لأذهب إليهم ؟

فقال له شيخ العصابة :

أولئك هم القضاة الذين ولاّهم الله أمور عباده وحكّمهم في الدماء والأعراض والأموال ليقضوا فيها بالحق وجعل كلمتهم هي العليا ، وأنعم عليهم بجاه كبير ورزق كثير وعيش غرير فما رعوا لله في عباده ذمة، ولا في حقوقه وحدوده حرمة، فلا ظالم إلا نصروه ، ولا مظلوم إلا خذلوه ، ولا عرض إلا انتهكوه ، ولا مال ولا وقف إلا أكلوه ...

أولئك هم حراميّة الفيء وأولئك هم شرّ البريّة ...

ورجع القروي المسكين بذل الخيبة وقصد إلى قاضي المدينة فرأى شيخاً يفيض الجلال عن جوانب عمامته ، ويتفجر النور من قسمات طلعته ، ويتقطّر التّقى من أطراف لحيته ، فقال : يا سبحان الله كيف يكون هذا شرّ البريّة وكيف تتحرك شفتاي بحديث النذر إليه ؟

وما زال واقفاً حتى انتهى القاضي من القضاء (على) حقوق العباد ، فرآه في جانب القاعة فدعاه إليه وسأله عن حاجته فقصّ عليه قصة نذره والحياء يعقد لسانه ، فقال له القاضي :

(على المستحق سقطت ... ولكن يا بني نحن لا نستحل أخذ أموال الناس بلا سبب شرعي . والوجه الشرعي الذي يحل لنا به أخذ هذا النذر منك هو أن نقلبه إلى مبايعة ...)

فانتفض الرجل وقال : أستجير بك يا مولاي . إني أخشى إن أخذت منك لقاء النذر شيئاً ألا يتقبل الله نذري ، فقال القاضي : (نحن لا نبيعك شيئاً مذكوراً بل هي صورة نحلل بها أخذ المال منك ... هاك في جانب الباب كومة من الزبل هل اشتريتها مني بالألف الذي نذرته ؟) فقال الرجل :

سمعاً وطاعة. وتمّ التعاقد بالوجه الشرعي ... وقبض القاضي الألف وذهب الرجل إلى قريته فرحاً مطمئناً

وبعد يومين أفاق المسكين على صوت طارق يوالي قرع الباب ويستفتح ، فإذا جندي يبادره بالشتم ويقول : (أيها الرجل الخادع الماكر الخبيث الشرير ! أتشترى الزبلة من مولانا القاضي وتتركها في مكانها فتصبح مجمعاً للذباب ومبعثاً لكريه الروائح ... ؟ لقد حكم عليك مولانا القاضي بنقل الزبلة وبغرامة مقدارها ألف قرش جزاء تركك إياها بعد شرائها وبأن يصادر بغلك لقاء الغرامة ..)

قال الجندي قوله هذا ودخل الدار فاقتاد البغل من مربطه وسار به إلى المدينة. فوجم الفلاح المسكين وجوم من خولط في عقله. وما زال يشيع بغله بعينين دامعتين حتى توارى عن بصره ثم رجع وهو يدمدم قائلاً :

— حقاً إن حرامية الفيء هم شر البرية ؛ وقد أصاب نذري أعظمهم شراً

« طرابلس » نديم الجسر

من هنا ومن هناك

هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين؟

[عن مجلة (فى VU) الباريسية]

لا يستطيع الناظر المتأمل مهما أوتى من قوة الفراسة والمقدرة على تحليل النفوس واستنباط ما وراء الوجوه من المعانى والأفكار، إذا نظر إلى وجه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، أن يحكم لأول وهلة أن صاحب هذا الوجه، على الرغم مما يبدو عليه من الهدوء والاتزان، يحمل حملاً ثقيلاً منذ عشرين عاماً

فإذا جلست إليه ورأيته يمسح بكفه على لحيته الصغيرة المنسقة ويتكلم بصوته المهذب الرقيق، لا تصدق أن هذا الرجل بعيد عن الاستمتاع بالراحة

وإذا كانت الدودة الصغيرة تغادر أثراً ما على السنديانة العظيمة، فلا غرابة أن تترك المطامع البائدة، والأحلام الضائعة، أثرها العميق فى نفس الأمير

لقد كان الأمير عبد الله يحلم فى شبابه - وهو ابن شريف مكة فى ذلك الوقت - بحياة ذات مجد حربى عظيم؛ ولكنه خسر أول معركة قادها بجنود أبيه. وإذا كنت ممن يعرفون قوانين الصحراء غير المسطورة، أمكنك أن تعرف مقدار تأثير هذه الهزيمة

إن العرب قد يغتفرون للسارق؛ وقد يتسامحون مع الرجل الذى يقتل أباه، ولكنهم لا يغتفرون جريمة القائد المنهزم بحال من الأحوال

ومما يستحق الذكر أن الأمير عبد الله فى ثورة الصحراء، والحملة التى يقودها لورنس، لم يكن سوى ظل بسيط فى مجرى الحوادث على الرغم مما هو معروف عنه من الشجاعة والذكاء

وإذا كان قد حكم على الأمير بأن يحيا حياة مدنية وإخوانه يخوضون غمار الحروب، فقد وضع آماله فى شىء واحد وهو عقيدته الثابتة بأنه إذا جد الجد وجاء يوم الانتصار سيدعى ولا محالة للجلوس على عرش من العروش التى تقسمها بريطانيا العظمى بعد زوال الإمبراطورية التركية

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى تولى والده الحسين ملك مكة والحجاز، وتولى أخوه الأكبر ملك جده، وتولى فيصل أخوه الأصغر ملك سوريا ثم ملك العراق؛ وبقى عبد الله وحده بغير تاج حتى أتيحت له إمارة شرق الأردن بعد جهد شديد

وتبلغ مساحة شرق الأردن مقدار مساحة إرلندا، ويبلغ سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس يعيش ثلثاهم معيشة الصحراء

وإذا كان قد انقضى عشرون عاماً منذ اتخذ الأمير ذلك الطريق المقفر نحو عمان بدلاً من دخول دمشق وبغداد دخول الفاتحين، فإنه لم يعلن أمنية واحدة من أمانيه التى كان يفكر فيها ولورنس يخترق الصحراء، وهو منذ عشرين عاماً يرى الطمع لملك فلسطين

وقد أدرك بذكائه وقوة استنتاجه أن العرب واليهود لا يمكن أن يتفقا، وأن هذين الشعبين لا يمكن أن يعيشا معيشة أمان وسلام، وأن بريطانيا لا تستطيع أن تجد حلاً لمشكلة فلسطين يتفق ومصلحة الامبراطورية

وعلى الرغم من الانتظار الذى طالت مدته لم يزل الأمير مصراً على أمنيته العزيزة. وكثيراً ما حرضه أصدقاؤه وأقرباؤه على أن يعبر الأردن بيدوه، ولكنه كان على الدوام يأبى أن يستبق الحوادث ...

وعقيدته أن الحالة فى فلسطين كلما ازدادت تحرجاً كان ذلك فى مصلحته وأدعى إلى تحقيق أمانيه

وإذا كان الأمير قد استطاع أن يكبح جماح نفسه عشرين عاماً، فنحن نعتقد أنه لا يوجد واحد من المشتغلين بالسياسة

فى الشرق الأدنى يظن أن شخصاً فى حالة تقسيم فلسطين سيكون أولى منه بالجلوس على عرشها

ويقال إن هذه الولاية فى تلك الحال سوف تكون مرتبطة بشرق الأردن ، وبارتباطهما تجد بريطانيا حليفة قوية فى الشرق الأدنى ...

هل تحتفظ السويد بحيادها - عن بارى سوار

إن أصوات المدافع التى تدوى فى استكهلم ، وتنقلات الجنود وتدريبها فى عاصمة البلد التقليدى فى الحياد ، مما يدل على أن الثقة بالنازى قد تزعزعت فى تلك البلاد

لماذا تشتغل السويد بتلك التدريبات الحربية ، وقد احتفظت بحيادها مدة الحرب السابقة ؟ هل هى تتوقع أن تكون عرضة للهجوم فى الحرب القادمة ؟

إن الذين لا يتتبعون السياسة السويدية ، قد يذكرون حياد السويد نحو ألمانيا القيصرية فى حرب ١٤ — ١٨ ، ويظنون أن الآريين من السويد يحتفظون بشعورهم نحو المدنية والثقافة الألمانية ، والحقيقة أن تغيراً عظيماً قد حل فى نفوس الرأى العام !

أما المسئول الأول عن هـذا التغيير فهو أودلف هتلر . فقد كانت خطة النازى من البدء مثيرة لشعور الحرية والتقدم الاجتماعى فى نفوس السويديين .

وإذا كان الملك جوستاف على الرغم من بلوغه سن الثمانين يعد من رجال أوربا الملحوظين ، فإن السويد الآن يحكمها الاشتراكيون . وقد تقدمت تلك البلاد تقدماً محسوساً ووصلت الصناعة الحديثة فيها إلى درجة لم تصل إليها الولايات المتحدة .

لقد وصل صدى تهديد هتلر إلى تلك البلاد . وقد أشار القائد الألمانى هانشوفر فى إحدى محاضراته باستكهلم إلى أن عدد السكان فى السويد قليل بالنسبة إلى مساحتها ، وأنها تستطيع أن تمنح الأماكن الفسيحة لسكنى ملايين من الناس .

وقد كان فى السويد بعض الفرق النازية ، وكان بها كثير ممن يعتمد عليهم الفوهرر ، وقد أرادت ألمانيا أن تجمل تلك الفرق فرقة واحدة تحت إمرة رجل واحد يدعى (لندهولم) ، ولـكن خاب مسعاها ، إذ تبددت تلك الفرق ولم تبق للنازى فرقة واحدة على الإطلاق .

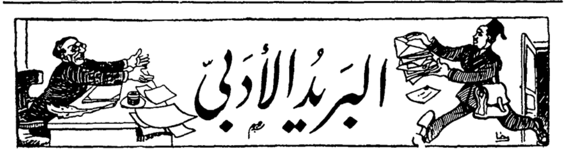
إن إخفاق الهتلرية فى السويد لم يكن فى الحقيقة تعبيراً عن كراهية للألمان ، فإن الارتباطات الجنسية والتعليم يجملان لألمانيا منزلة فى تلك البلاد ، وإن كان لفرنسا تأثيرها الثقافى الملحوظ .

ولكن الشعور السائد قد انقلب على ألمانيا الآن . وإذ كان للسينما أثرها الـكبير فى اسكاندينافيا فقد بدأ الألمان يستأجرون كواكب السينما من السويد لنشر دعايتهم تحت أسماء هؤلاء الـكواكب ولـكن ذهب مجهودهم هباء . فالأفلام الألمانية لا تقابل باستحسان بينما تنجح الأفلام الفرنسية على الدوام

على أن هذا جميعه لا يدل على أن السويد قد فقدت رغبتها فى الحياد ، ولكن من السهل أن يقال إن السويد لا يبعد أن تساق إلى حرب ضد ألمانيا

ويقول رجال السياسة بها إن الاستعداد الحربى الذى تقوم به الدول الآن يمنعهم من المهادنة . وأكثر من هذا طلب الذهب والحديد؛ فالسويد تستخرج كميات عظيمة من هذين المدنين، وإن حديدها النادر أليق من غيره لآلات الحرب . فألمانيا ولا شك تحتاج إلى حديد السويد لعمل السلاح ، وانجلترا وفرنسا تريان من الواجب عليهما أن تمنعا توريده إليها

فإذا هوجمت السويد فسوف تحارب . وكل فرد فيها على أهبة لعمل ما يجب عليه . وإذا كان جيشها ليس بالجيش المظيم فإن لديها ثلثمائة طائرة ، وقد خصص أكثر من ضعف ميزانيتها للتسليح



موسى « عليه السلام »

للغربيين أقوال غريبة فى موسى وعيسى (عليهما السلام)، وفى كونهما . وقد اطلع قراء « الرسالة » الغراء على ما رواه الأستاذ العقاد من مقالة (فرويد)، وللعالم (سلمون ريناك) فى كتابه: Orpheus أرفيوس الذى ألفه منذ أكثر من ثلاثين سنة بحث عن موسى (عليه السلام) أروى منه هذه الأسطر مضافة إلى ماسطره الأستاذ من كتاب «فرويد»، وكلاالرجلين من يهود. قال:

« L'existence de moïse (mosé, peut-être l'egyptien mesu «enfant») n'est pas démontrée par les livres bibliques qui lui sont attribués à tort; nous n'avons pas davantage le droit de la nier; elle est et reste simplement douteuse. Aucun religion n'est l'œuvre d'un homme; mais on ne peut guère concevoire l'essor d'une religion sans l'ascendant d'une volonté puissante d'un génie comme Moïse, saint Paule, Mahomet »(١)

وترجمتها: «إن وجود موسى (ولعل موسى مأخوذ من الكلمة المصرية ميزو بمعنى طفل) لا تؤيده أسفار التوراة التى عزيت إليه خطأ. وليس من حقنا أن نذهب إلى إنكاره. إنه موجود؛ ولكن وجوده سيظل موضع الشك فقط. ليس الدين من صنع الإنسان؛ ولكنا لا نستطيع أن نتصور انتشار دين من غير نفوذ إرادة قوية لرجل من رجال العبقرية أمثال: موسى وبولس ومحمد »

قلت: يشك علماء غربيون فى كثير من أصحاب النِّحل. بيد أنهم لم يتجاسروا أن يطوروا (أن يحوموا) فى شكهم بحضرة سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه). والإسلامية الصحيحة موحيها واحد أحد، لا كما قالت عبارة ريناك فى سائر الأديان.

***

(١) الصفحة (٢٨٠) من الطبعة سنة ١٩٣٣

لم ينجح أحد!

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تسترها على الأقل

أما هذه الفضيحة فهى أنه « لم ينجح أحد » من طلبة قسم النحت فى هذه المدرسة هذا العام

وفى قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا أربعة طلاب فقط موزعون على سنى الدراسة المختلفة. ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة هذا الجيل للنحت فى مصر. ويلحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وقفت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً. فإذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع أن تصنع؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين أستاذ النحت فى المدرسة « وهو سويدى » وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها. والناظر وهذا الصديق المدرس مصريان. ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبى هذا العام، وأن ترفع المدرس المصرى إلى درجة الأستاذية

وإذا كان مما يسعد كل مصرى أن يرى قسم النحت فى مدرسة الفنون الجميلة العليا يرأسه أستاذ مصرى فإنه مما تشمئز منه الإنسانية أن يُعبث فى سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب هم كما قلنا عدة الجيل فى هذا الفن

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس المصرى متهمان فى مقدرتهما الفنية. فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة فى زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها السابق ورؤوس دولته. وأنه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليد الفنانين فى حركاتهم وإشاراتهم ومظاهر « العصبية » التى تبدو عليهم والتى استطاع بها أن يقنع

أهل الحكم فى الوزارة السابقة بأنه يصلح لأن يكون ناظراً لأكبر معهد فنى فى مصر

أما صاحبه المدرس فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله تعليمه لأن يكون مدرساً للصناع فى مدرسة الفنون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين فى مدرسة الفنون الجميلة العليا وشتان ما بين الصناعة والفن

وأنا أكتب هذا وقلبي يتمزق لأنى أنصر به أجنبياً على مصريين، ولكننى أفضل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية. ولا ريب أن الاعتراف بالضعف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وإنكار الحق

والآن، ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة... إنه يحدث فيها أكثر مما ذكرناه ... ع . أ . ف

الفن المنحط

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمّت نفسها « جماعة الفن المنحط » وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، إذ لم يزرها فى دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافى ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها

« والفن المنحط » الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس لا الفكر . ومتى توفر فيه الصدق فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شىء ولا يخفض من شأنه شىء إلا أن يكون تكلفاً ، فهو عندئذ ليس فناً وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شاعر إلى الفسق فى شعره وحسّنه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيه لذته النفسية، ولأنه يعبر عن هذا الذى يجده تعبيراً صادقاً فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فإما أن يرضيها وإما أن يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسام المعجب بالأجسام الذى يصور محاسنها ولو فى أوضاع يستقبحها العرف وتزورّ عنها التقاليد والآداب العامة فهو عند الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا الذى تستقبحه التقاليد والآداب ويعبر عنه صادقاً فى تذوقه وتعبيره

فإذا تصدى شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتعرضه لها أن يجارى أصحابها وأن يقال عنه إنه ملهم روحانى متصوف فإن فنه سينحط ويضعف لأنه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير . وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه الخاص إلى تكلف ما لا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الأغراض فإنه يكون عندئذ كاذباً ومنافقاً ويكون رسمه منحطاً حقاً

فإذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشىء إلا هذا التكلف ...

ع . أ . ف

اختصاص المجمع اللغوى فى رأى المكتب الفنى

كانت وزارة المعارف قد وكلت إلى مكتبها الفنى دراسة اختصاص مجمع فؤاد الأول للغة العربية والنواحى التى يتناولها هذا الاختصاص ، فدرس المكتب هذا الموضوع من مختلف وجوهه ، ورفع مذكرة وافية بشأنه إلى معالى الوزير تحدث فى بدايتها عن المجامع العلمية اللغوية فقسمها ثلاثة أقسام هى : المجامع العلمية ، والمجامع اللغوية والأدبية ، ومجامع الفنون ؛ وأشار إلى ما تؤديه كل طائفة من هذه المجامع فى مختلف الممالك فى العصور الحديثة ، فتكلم عن مهمتها فى إيطاليا ، وبلجيكا ، والدنمارك ، وانجلترا وأرلنده ، واسبانيا والبرتغال ، والروسيا ، وعن طبيعة الأعمال التى تنهض بها . ثم انتقل إلى المجمع المصرى فأتى بنبذة عن نشأته وأغراضه التى حددها مرسوم إنشائه ، وعرض بعد ذلك آراء كبار الكتاب الذين طرقوا هذا الموضوع فى الصحف السيارة وفى داخل البرلمان

وقد رأى المكتب الفنى أن مثار الخلاف فى الرأى هو اختصاص المجمع اللغوى المصرى ، مع أن اختصاص أي مجمع قد يتسع فيشمل الكثير من النواحى العلمية والفنية واللغوية ، وقد يضيق هذا الاختصاص فينحصر فى علم أو فن أو فى ناحية من أحدهما ؛ وذكر أن اختصاص المجامع اللغوية مركز فى وضع المعاجم اللغوية والتاريخية، وفى وضع الاصطلاحات العلمية والفنية، وأنه يجب ألا يقتصر عمل المجمع على تسجيل الألفاظ التى تستقر فى التداول، كما أنه لا ينبغى أن يمهد إلى الهيئات العلمية والفنية بالانفراد فى وضع الاصطلاحات ، وإنما يجب أن يتعاون المجمع مع العلماء والفنيين فى الوصول إلى تحقيق هذا الغرض ، بأن يطلب

إلى كل منهم — كل فى دائرة اختصاصه — أن يقدم إنتاجه اللغوى ، ثم يجتمع اللغويون فى مؤتمرات سنوية أو نصف سنوية لفحص هذا الإنتاج ودراسته رغبة فى الوصول إلى اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب السليمة التى تقابل، فى دقة ووضوح، المعانى المطلوبة مع موافقتها لروح اللغة وأصولها

وكذلك يتركز اختصاص المجامع فى دراسة اللهجات القديمة والحديثة ، إذ هى أساس اللغة وقوامها ؛ فلا غنى عن دراستها

وأشار الكتب فى مذكرته إلى ضرورة الاقتصار فى الوقت والجهود من هـذه الدراسة . أما الدراسة الواسعة المستفيضة بلهجات قديمة فإنها من شأن هيئات أخرى تتولاها

وقال فى صدد دراسة اللهجات الحديثة : إن أهميتها تقوم على أنها تتصل بالحياة مباشرة ، فهى لغة الكلام والتفاهم ، وإنه مما لاشك فيه أن هذه اللهجات أقوى من حيث استعمالها وانتشارها وقربها إلى الأذهان ، فلا يجوز إذن إهمالها أو التجاوز عنها ، لأن دراستها توضح ما طرأ على اللغة الصحيحة من التغييرات والانحرافات فى كثير من الألفاظ والتراكيب .

ثم ذكر أن إحياء الأدب العربى أو التشجيع عليه يحسن أن تتولاه هيئات أخرى غير المجمع اللغوى مثل الجامعة ووزارة المعارف ودار الكتب والجمعيات العلمية وهيئات الترجمة والنشر .

وأشار إلى أهم التعديلات التى يجب أن يؤخذ بها ، وهى أن يزاد عدد أعضاء المجمع العاملين إلى ثلاثين عضواً من العلماء المعروفين على ألا يزيد الأجانب منهم على عشرة ؛ وأن يتألف المجمع من هيئتين إحداها مؤتمر المجمع ويتكون من كامل الأعضاء ، والأخرى مجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المقيمين فى مصر .

عناية مدير بلدية الإسكندرية بأسرة المرحوم فليكس فارس

عرض صاحب السعادة مدير بلدية الأسكندرية العام على القومسيون الإدارى فى جلسة ٥ يولية مسألة مكافأة المرحوم الأستاذ فليكس فارس كبير مترجمى البلدية، فذكر أنها ضئيلة نظراً إلى أن مدة خدمته كانت قليلة ، ولكنه خدم البلدية بإخلاص ونشاط ، كما كانت له خدمات صادقات للأدب والعلم . وقد ترك أسرة مؤلفة من أرملة وثلاثة أطفال صغار . ثم اقترح المدير منحهم معاشاً شهريًا عدا المكافأة التى كان يستحقها . فوافق القومسيون على ذلك وقدر هذا المعاش بعشرة جنيهات فى كل شهر . وهذا العمل من صاحب السعادة المدير يستحق أجزل الشكر وأجمل التقدير .

اللورد لويد والإسلام

ألقى اللورد لويد خطبة فى اجتماع عقد بلندن فى الأسبوع الماضى قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسألة الفلسطينية أو تخاوف مسلمى الهند من الاضطرابات التى يثيرها الهندوكيون ، أن تحثها على ضوء الاعتبارات التى شهدناها فى العشر أو الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية والتى تدلنا على أن العالم الإسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الإسلامى العظيم من قوة ، مضافاً إلى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلاً : « إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الإسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً »

حول الجناية على الأدب العربى

حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

تحية وسلاماً . وبعـد . فإننى على فرط إعجابى بالدكتور زكى مبارك وتقديرى لآثاره الأدبية لم أرض منه هذا الضرب من النقد الذى يتناول الشخصيات دون الآثار ، ويدافع عن الأدب من طريق الجناية على الأدباء . ولو أن نقاد الأدب العربى اتبعوا الطريق التى اختطها الدكتور اسماعيل أحمد أدهم فى رده على الدكتور بشر فارس (عددالرسالة ٣١١) ، أو النهج الذى سلكه الأستاذ عبد المنعم خلاف فى مقاله « النبوة ـ الوحى ـ المعجزة » رداً على مقال نشرته مجلة «الأمالى» (العدد ٣١٠ من مجلةالرسالة) لكان النقد ـ كما رضاه الأدباء ـ أداة صالحة لتوجيه الأدب الصحيح ولتنقيته من أدران الضعف وشوائب الخطأ

ولعمرالحق إن هذه الطريق التى سلكها الدكتور زكى لملتوية شائكة . بل هى ضرب من الجناية على الأدب ما كان أجدره أن يتحاماه .

إن من أهم مميزات النقد الذي يجعل الإصلاح الأدبى هدفه

وصرماء، اللفظ اللين والنقاش الهادئ والحجة الدامغة مع احترام صاحب الرأى المنقود وعدم التعرض لشخصه . فإن كان صاحب الرأى صادق النية نزيه القصد فيما كتب فليس عليه من ضير أن يُنتقد؛ أما إن كان سيء النية نفى القصد، والنقد كفيل بإظهار كل خبيئة ، فحسبه ما يجر على نفسه من تفنيد الرأى وتسفيه الحلم وما يتبع ذلك من هبوط سعره فى سوق الأدب وأوساط المجتمع « وعلى نفسها جنت براقش »

(الخرطوم) محمود أحمد عبد المجيد

هل فى الحيوان غريزة الغيب ؟

قرأت فى الرسالة رقم ٣١٢ المقال الممتع الذى كتبه الأستاذ عزيز أحمد فهمى فكان أعجب شيء التفت إليه نظرى وامتلأ به تفكيرى هو ما أورده من تلك الظواهر التى تميل إلى القول بوجود إدراك الغيب عند الحيوان . فقد عاد بى قوله هذا إلى ذكر ليالٍ خلت ، أيام كانت فلسطين تتهيأ لتقوم بثورتها الكبرى . ويا لها من ليال كانت تملأ قلبى فزعاً وهماً !

حينما يسجو الليل ، ويهجع السامر ، ويخشع كل جرس ، كانت تقوم « وهوهة » حزينة فى جبل النار رجعها بنات آوى كترجيع النائحات ، فما كان يخيل إلى ساعتئذ إلا أن فى كل بيت من بيوت البلدة مناحة قائمة . وشد ما كنت أتشاءم من ذلك الشعور الذى ينتابنى لدى ظهور تلك الأصوات الكئيبة الباكية! فقد كان يذهب بى خيالى إلى أن هذه الأصوات طبيعية بالنسبة إلى ذلك الحيوان، ولكن أذنى تحولها إلى تلك الصورة الكئيبة إيذاناً بمصيبة ستلم بى لا قدر الله

وهكذا لم تكن بنات آوى لتخطئ مواعيدها فى كل ليلة؛ ولم يكن خيالى ليخطئ فى تصور أبشع ما يتوقعه المرء من شر وسوء

وكانت الثورة ، وما أدراك ما الثورة ! فطاحت رؤوس ، وتمزقت نفوس؛ وإذا البلدة لا تمضى عليها ساعات معدودة فى كل يوم دون أن تفجع بحبيب إليها أثير لديها . وكان القوم يوارون الضحايا فى سفح جبل النار مثنى وثلاث

ونظرت ... وإذا الله يستبدل مناحات الأمهات ، والزوجات، والأخوات بمناحات بنات آوى . فالأصوات هى هى بعينها ، والوحشة تملأ البلدة فى وضح النهار فضلاً عن الليل . وذهبت نفسى حسرات، وتصاعدت آلامى المكبوتة زفرات . وما كانت لتطلع الشمس أو تغيب فى كل يوم إلا على مأساة من هذه المآسى

وها قد انتهى أمر الثورة . وها أنا أصيخ بسمعى فى كل ليلة عساى أسمع تلك الوهوهة الباكية ، أو قل تلك المناحات التى كانت تقيمها بنات آوى فما أسمع صوتاً ولا ركزاً .

« نابلس » فدوى عبد الفتاح طوقان

قواعد العربية الفصحى

هذه ترجمة عنوان الكتاب الذى أخرجه فى الشهر الماضى الأستاذان (جودفروا دومامبين) من أساتذة اللغة العربية فى السوربون سابقاً ، و (بلاشير) أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الوطنية للغات الشرقية فى باريس . والكتاب يتناول فى نحو خمسمائة صفحة ، الصرف والنحو بالتفصيل والتمثيل . ومزيته أنه مؤلف على أسلوب حديث مغاير لكتب قواعد العربية المنشورة باللغات الأفرنجية ولا سيما الفرنسية . وبالأسلوب الحديث نعنى ما وصل إليه علم اللغة فى هذا العهد من طريق مراجعة أصول فقه اللغات الهندية ـ الأوربية ، ومن طريق النظر فى مذاهب اللغات السامية

والكتاب مطبوع فى باريس واسم الناشر G. P. Maison-neuve وعنوان الكتاب Grammaire de L'Arabe Classique



حول مناظرة وكتاب

نقد ومراجعة

للدكتور بشر فارس

شيء واحد لفت نظري فيما كتبه — في العدد الماضي من الرسالة — الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم خِرّيج جامعة موسكو لسنة ١٩٣٣ كما جاء في مجلة الحديث، حلب ١٩٣٨

وأما الذي يكتنف ذلك الشيء من الكلام المرتجل ارتجالاً فلا شأن لي به . وقد أخبرت القارئ من عددين أن قلمي لا يقوى على مجاراة غيره في ذلك الضرب من الكلام . ولولا غضبي للعلم الحقّ وغيرتي على النقد الصحيح ما كتبت هذا الفصل

قال الأستاذ أدهم : « إن الجملة الفرنسية Une somme de rapports sociaux التي تنظر إليها العبارة العربية ليست من خلقه (يعنيني) ، فقد تكرر ذكرها في كتابات العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون : ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ مثلاً »

بهذه العبارة يريد الدكتور أدهم أن يقيم البرهان على أن تلك الجملة الفرنسية التي « ليست من خلق » قد وصلت إلى علمه قبل قراءة كتابي « مباحث عربية » . وإني لأرى الأستاذ أدهم يتقول عليّ : فإني لم أقل قط إني « خلقت » تلك الجملة الفرنسية ، إذ أني في « مباحث عربية » (راجع ص ١٦) أضع الاصطلاحات العربية — من طريق الطالعة أو الاجتهاد — ثم أثبت إزاءها ما ينظر إليها في اللغات الإفرنجية ، وذلك رغبة في إغناء لغتنا (وهل أنا أغنى لغات الفرنجة ؟) . وعندي أنه كان يغني الأستاذ أدهم عن عبارته المذكورة أن يثبت لنا الجملة التي استعملها في « مجلة المعهد الروسي للدراسات الإسلامية » — وذلك على وجهها — ولكنه لم يعمل بل لم يبعث إلى بالمجلة كما رجوت منه . وكان بودي أن أرى كيف استعمل المصطلح العربي الخاص بعلم الاجتماع دون غيره ، الموضوع في كتابي وضعاً فلسفياً

ومن الظريف أن يذهب الأستاذ أدهم في إقامة برهانه إلى ما لا نرضاه له . فقد استشهد على وجه التخصيص بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون» ثم عيّن فقال: « ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ » ثم تلطّف فقال : « مثلاً »

والذي في الحقيقة أن دوركايم استعمل هذه الجملة غير مرة ، وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته ، وعلى الأستاذ أدهم التفتيش . غير أن دوركايم لم يستعمل هذه الجملة في « مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون» ، وذلك بالرغم من الكلمة : « مثلاً » التي جرت على قلم الأستاذ أدهم ، وفيها ما فيها من قوة الإيهام

إني لم أسمع قط بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ، مع أني قرأت كتب دوركايم - وهي غير كثيرة - راضياً أو كارهاً ، وأنا أحصّل علم الاجتماع على ألوانه - فيما أحصل من فنون الفلسفة - في السوربون نفسها ، وذلك زهاء سبع سنين . وقد سألت اليوم زميلي في التحصيل في السوربون ، الصديق الدكتور علي عبد الواحد وافي - مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول - هل يعرف تلك « المجموعة » ؟ فأخبرني قال : « لا وجود لها » . أضف إلى هذا أن بين يدي الآن كتاباً فيه ثبت المؤلفات في علم الاجتماع (ولاسيما التي تهم الطالب ، وأي شيء يهم الطالب مثل المحاضرات ، بل محاضرات دوركايم وهو إمام مدرسة علم الاجتماع الحديث في

فرنسة ؟) . وهذا الكتاب عنوانه : Le guide de l'Etudiant en Sociologiè ، وليس فيه ذكر لتلك « المجموعة » . واعلم أن هذا الكتاب مطبوع فى باريس ثمانى سنين بعد وفاة دوركايم فضلاً عن أن أحد صاحبيه من تلامذة دوركايم نفسه ، واسمه Bouglé ، فهو أعلم منا بما أخرج أستاذه لطلاب علم الاجتماع

هذا إلا إذا خرجت تلك « المجموعة » فى موسكو حيث تلقى الأستاذ أدهم شتى العلوم . فرجائى منه إذن أن يبين لى « المجموعة » بحيث يثبت العنوان الفرنسى وتاريخ الطبع ومكانه . فإنى جد حريص على أن أخبر أساتذتى وزملائى من علماء الاجتماع بوجود تلك « المجموعة » ؛ وما أظنهم إلا ناشطين لها ، وما إخالها إلا واقعة موقع الحدث

***

ولعل تلك « المجموعة » ـ وكلها مر ـ موجودة على خلاف ما أقوله وما يقوله صديقى الدكتور على عبد الواحد وافى ، وعلى خلاف ما جاء فى الكتاب المتقدم ذكره . فتكون القصة أن الأستاذ أدهم لم يحسن نقل عنوان الكتاب من الفرنسية إلى العربية ، وذلك لسببين :

أما الأول فلأن العربية ليست « لغته الأصلية » ، كما قال فى العدد السابق من الرسالة حين أخذ يعتذر إلىّ من اقتباس تعبيرات لى[1] .

وأما السبب الثانى فلأن علمه باللغة الفرنسية لا ييسِّر له مثل ذلك النقل . وقد ذكرتُ هذا وعلَّلته مكرَهاً ، لمددين مضيا ، فردّ الأستاذ أدهم قال : « إن اللغة الفرنسية ليست وقفاً علىّ »

معاذ الله أن تكون الفرنسية وقفاً على ! غير أنى ماذا أصنع وفى نقد الأستاذ أدهم لكتابى « مباحث عربية » ما يؤيد ما ذكرته من عددين ؟ فنى رأى الأستاذ أدهم (راجع الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) أن استعمالى لفظ « السلوك » لأحد مشتقات المصدر الفرنسي (وهو moralité) تارةً ، ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر للمصدر نفسه (وهو morale بمعنى éthique) تارةً أخرى مما « يوقع فى اللبس والاختلاط » . والواقع الذى أثبتُّه على كُرهٍ أن الأستاذ أدهم لم يدرك الفرق القائم بين اللفظين الفرنسيين : moralité و morale (راجع « مباحث عربية » ص ٣٦ ، ٥٦ خاصة) ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية « الأخلاقية » ، والثانى يفيد « علم الأخلاق » . وحسب الأستاذ أدهم أن يستفسر معجماً فرنسياً للمدارس ذينك اللفظين .

ولك أن تقول : فإذا شقّ على الأستاذ أدهم أن يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية فكيف ارتجل مصدراً ارتجالاً ثم استشهد به وأثبت بضع صفحات « على جهة التمثيل » ؟

الحق أنى أود أن أجيب عجبَك ، ولكن ما قولك فى هذا الاختلاق :

قال الأستاذ أدهم فى نقده لكتاب « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١١ ص١٢٢٩) : « يَعتبر الباحث (يعنيني) كلمة البصيرة مقابلاً (كذا) intuition ص ٢٢٥٧ ، والغريب أنى لم أثبت كلمة intuition إزاء كلمة البصيرة الواردة فى ص ٥٧ من كتابى ولا فى صفحة غيرها . فمن أين جاء الأستاذ أدهم بكلمة intuition وكيف جعلنى « أعتبر » ما يجهل هل أنا « معتبره » ؟

ثم لِمَ لا يرتجل الأستاذ أدهم المراجع ويبتدع المصادر ، وهو الذى استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم (الكتاب المقدَّس) ثم بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، يوم نقد « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١٢ ص ١٢٧٤ ثم ص ١٢٧٥) . وإليك بيان ذلك :

أولاً — قال الأستاذ أدهم : « ومما يحسن بى الإشارة إليه أن كلمة الروءة وردت فى اللغة العبرية ، وهى من أخوات اللغات العربية ، نازعةً فيها لمعنى السيادة (دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج

(١) ومن مقتبساته الأخيرة أنه هجم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين (الرسالة العدد ٣١٠ ص ١١٤٠ الفقرتان الأوليان) وصبه على ممسوخنا فى فاتحة مقاله الأخير . وأسفى شديد أنه أخطأ المرمى ، إذ البصير بمواقع ألفاظ لغتنا اللطيفة يعلم أن الكتابة « المرتجلة » ليست موضع مدح ، وعلى ذلك فإنى أشكر للأستاذ أدهم تنبيه إياها عنى . ومثل هجوم الأستاذ أدهم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين ثم صبه على كثل هجومه على مذهبى فى مسرحيتى « مفرق الطريق » وصبه على مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم . ذلك أسلوب من النقد طريف ! ولعل سره عند الأستاذ أدهم ، فهو صاحب تحقيقات خاصة به : منها جزمه أن الأستاذ توفيق الحكيم ولد سنة ١٩٠٣ لا سنة ١٨٩٨ كما يقول الأستاذ الحكيم نفسه ويؤكد . إلا أن الأستاذ أدهم يحتج بأن ما يقوله الأستاذ الحكيم ويؤكده « لا يتفق مع هيكل التحقيقات التى قام هو بها » (راجع هذه القصة النادرة فى مجلة الحديث سنة ١٩٣٩ ص٣٣٢)

فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١) »

والذى فى كتاب « ملتقى اللغتين : العبرية والعربية » للأستاذ مراد فرج : « مرا : فتح فكسر ممال ممدود بمعنى السيد وولىّ الأمر — دانيال ١٤ — ١٩ والأصل العبرى ١٦ » (يريد ، على أسلوب جمهور العلماء : الإصحاح ١٤ والآية ١٩ فى الأصل العربى والآية ١٦ فى الأصل العبرى)

ومن المستحيل أن يكتب الأستاذ فرج : الإصحاح ١٤ (الرابع عشر) ، لأن «سفر دانيال» اثنا عشر إصحاحاً فقط ! ومن هنا تبين لى أن الإصحاح ١٤ من غلطات الطبع . فسألت فى ذلك زميلى الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — فأخبرنى بعد المراجعة قال : « إن الصواب هنا : الإصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢١ »

وهكذا ترى كيف جاء الأستاذ أدهم ونقل ما فى كتاب الأستاذ فرج من غير تحقيق ولا روية . والظريف أنه استشهد بسفر دانيال أوّل ما استشهد ، إذ قال : « كيت وكيت : دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١ » كأنه اطلع على سفر دانيال قبل « ملتقى اللغتين » لفرج

ثانياً — قال الأستاذ أدهم — عند الكلام على أنساب العرب — : « ولكنا على الرغم من ذلك ، نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون وأفخاذ من قبائل مختلفة : ابن حزم نقلاً عن الفهرست لابن النديم ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ . والمراجع العربية تروى أن قبائل تنوخ وغسان والمنق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من القبائل العربية التى تفرقت بعد تركها مواطنها فى الجنوب : الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكذلك لنا (يعنى كتاباً له) : علم الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤ »

على هذا النحو ترى الجزء الثالث (؟) من « الفهرست » لابن النديم يُثبَت مرتين على سبيل المرجع. وليس للأستاذ أدهم أن يستنجد بغلط الطبع ، إذ فى كتابه الذى ذكره : « علم الأنساب العربية » : (مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء فى نقده حرفاً بحرف .

هذا والمعلوم أن « الفهرست » لابن النديم طبع مرتين : مرةً فى ليبتسج Leipzig سنة ١٨٧٢ ، ومرة فى مصر سنة ١٣٤٨ للهجرة . وفى كلتا المرتين خرج « الفهرست » فى جزء واحد .

والذى حدث فى هذا الموطن أن الأستاذ أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع الظِنّة ، دأبه مع « سفر دانيال » . ولو راجعها لعلم أن الكلام على الأنساب يقع فى « المقالة الثالثة » (« الفن الأول : فى أخبار الأخباريين والنسابين ... ») من كتاب الفهرست ، لا فى الجزء الثالث منه . ومن هنا يتبين أنه ظن المقالة جزءاً لحظةَ اقتبس المرجع . وأما الصفحة التى يعيّنها (ص ١٨٧) فلا أثر فيها لما يذكره. بل إنى قرأت الفن الأول من « الجزء الثالث » كله (طبعة مصر ، وهكذا للأستاذ أدهم أن يقول أن حديثه فى طبعة ليبتسج !) ولم أعثر على حديث الأستاذ أدهم .

وأما قوله فى مرجعه : « ابن حزم نقلاً عن الفهرست ... » فغاية الاشتباه . لأنه إذا قال ابن حزم من غير تعيين أراد صاحب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » . وعليه فلنا أن نسأل الأستاذ أدهم أى كتاب لابن حزم يعنى ، ولابن حزم المولود سنة ٣٨٣ (أىّ ست سنوات بعد تصنيف الفهرست) ستة وثلاثون مؤلَّفاً ؟ راجع : بروكلن « تكملة تاريخ الآداب العربية » ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧ . ثم إنى أعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً ، عنوانه : « جمهرة النسب » ، وقد نَشَر جانباً منه Khuda Bukhsh فى كتابه: Contributions to the History of Islamic Civilization فهل يعنى الأستاذ أدهم فى مرجعه ذلك المخطوط ؟ وإذن فأين اسم الكتاب وأين الصفحة ، كما يصنع الناقد الثبت والباحث الثقة ؟

وغاية القول هنا: أين الجزء الثالث من الفهرست، وأين النص المستشهد به فى ص ١٨٧ ، بل فى الفن الأول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا ، وما كتابه ؟

* * *

إنى والله ليَحزننى أن أثبت كل ذلك ، وليَزيدنّ فى حَزَنى أن الأستاذ أدهم حدّثته نفسه بأن يكتب : «وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء

المصادر » (الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٥) . فليطمئنَّ الأستاذ إلى أني لا أنكر عليه ذلك ، وليطمئن أيضاً إلى أن « الكاتبين في العربية » لن ينازعوه الغلبة في استقصاء المصادر على طريقته . إنما العلم دقة وأمانة . . .

وإذا امتد الحديث إلى استقصاء المصادر فما ضرَّ الأستاذ أدهم لو راجع معجمات الفلسفة وكتبها حين تكلم على كلمة intuition في نقده لمباحث عربية كما تقدم . فقد قال : « وهذا (أي : الانتقال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج) ما يفيده معنى لفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »

فهل يصاب المصطلح الفلسفي على وجهه التام والخاص جميعاً في « معاجم اللغة » ؟ إني هنا أرشد الأستاذ أدهم إلى « المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة » للأستاذ Lalande (باريس ١٩٣٢) فثمة يدري كيف يذهب الاصطلاح الفرنسي إلى أبعد مما يظن . وله أن يقرأ أيضاً — ليُحكم معرفة المصطلح لهذا العهد مثلاً — كتابين للفيلسوف برجسون Bergson وهما : Essai sur les données immédiates de la conscience و L'Evolution créatrice (الباب الثاني) ثم كتاباً للعالم بوانكاريه عنوانه Science et méthode (الفصل الأول من الباب الثالث)

وإذا أراد الأستاذ أدهم أن يعرف ما تحت مصطلح intuition قبل هذا العهد فعليه ببعض ما كتبه Descartes و Leibnitz و Kant خاصة في « نقد العقل الصرف » ثم شوبنهاور

هذا من جهة المصطلحات الفلسفية ، وأما من جهة المواضعات العربية فما ضر الأستاذ أدهم لو راجع معجمات اللغة ونظر في دواوينها قبل أن يكتب في نقد « مباحث عربية » (الرسالة ، العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) : « ثم عندك قول الكاتب (يعنيني) إن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » . ثم يزيد : « ففي هذا التعبير لفظة التجاور تفيد إفرنجيًّا معنى synonyme والقصور واضح في التعبير العربي (كذا !) فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي (كذا ؟) ولكي تتسق مفادات العبارة لا بد من إبدال لفظة : التجاورة من الجملة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً في الجملة »

على أني لا أحب أن أسأل الأستاذ أدهم كيف يناقشنا في لغتنا وهو لا يزال يأخذها عنا ، كما اعترف بذلك في خاتمة مقاله المنشور في العدد الماضي . إن كل ما أبتغيه أن أرشده إلى كتب اللغة العربية ليتبيّن أن معنى لفظة synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « الترادف » (وما هذه اللفظة عنيتُ في جملتي المذكورة قبل) . وأعلم أن كلمة synonyme في الإفرنجية هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (أو متقارب) . وإلى الأستاذ أدهم « مثلاً » فصلاً قريب المنال في « المزهر » للسيوطي (النوع السابع والعشرون)(١)

* * *

العلم في مصر أمسى شيئاً مقدساً له سَدَنته وله حراسُه . فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدى والجدال المتحكم والتظاهر بالتثبت والدراية ؟ . . .

فالرويَّةَ الرويَّةَ عند الإقبال على الاشتغال بالعلم أو على نقد من توفر عليه . والنقد أمر لا ثمرة فيه إذا حاد عن خدمة العلم وحده . والنقد للعلم مصباح على أن يكون الزيت لا دخل فيه !

* * *

بقي أن أودع القارئ ، وأنا راحل إلى أوربة بعد أربعة أيام . وإني لشاكر له صبره ، فقد أطلت الكتابة في سبيل « وضع الشيء موضعه » . ورجائي منه أن يتحقق ما جاء في هذه الكلمة : فكتاب « الفهرست » و « سفر دانيال » — مثلاً — مبذولان لكل أحد . وإني لطمئن إلى أن القارئ سيعرف — من طريق المراجعة والتحقيق — كيف ينظر عني فيما يبدو لهذا أو لذاك أن يكتب ويكتب والسلام ، وإلى اللقاء بعد أربعة أشهر

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

(١) هذه مراجعة لبعض أقوال الأستاذ أدهم في « مباحث عربية » . ويجد القارئ في مقتطف أغسطس المقبل (باب المراسلة والمناظرة) مراجعة كل ما قاله الأستاذ أدهم . وذلك إلى جانب النظر في آراء طائفة من الكتاب الذين عرضوا لنقد ذلك الكتاب على بصيرة .

7me Année No. 315

Lundi - 17 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

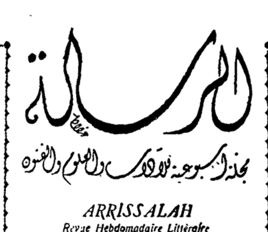
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٣١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

بين بطء الماضى وسرعة الحاضر

من الأحاديث العابرة ...

— اجلس قليلاً ياصديقى نتحدث ! لقد أصبحت كالطيف النافر لا نسمعك إلا هُتافاً ولا نراك إلا لمحاً ولا نجالسك إلا لماماً

— عصر السرعة ياصديقى ! لقد اشتد سائق الركب وأسرع فى النغم حاديه ! فمن تخلف عن قافلة الحياة افترسه الجوع وتخطَّفه العدم !

— أوه ! أجل ياصديقى ! عصر السرعة، أو عصر الآلة، أو عصر الإنسان ذى الزمبلك ! أسماء مختلفة لمرض واحد: هو كَلَب هذه الحضارة الغربية !

— أتسمى نشاط الحياة وسرعة العمل ومساورة الرزق مرضاً؟ وأين تكون الصحة إذن ؟ أفى الجمود أم فى القعود أم فى التخلف ؟

— رويدك يا صديقى ! هل تستطيع أن تقول لى : لماذا يسرع الناس ؟ أليقطعوا العمر فى أعوام ؟ أليفنوا الشباب فى أيام ؟ أليقضوا اللذة فى ساعات ؟ وما قيمة كل ذلك فى دَرَك السعادة ؟ لقد كنا نشتغل بعض اليوم ، فأصبحنا نشتغل كل الليل ؛ وكنا نعمل باليد ، فأصبحنا نعمل بالآلة ؛ وكنا ننتقل بالجمل ، فأصبحنا ننتقل بالطيارة ؛ وكنا نأكل مطمئنين فى البيت ، فأصبحنا نأكل مضطربين فى الشارع ؛ وكنا نقيم العرس أربعين يوماً والمأتم سنة ، فأصبحنا نقتصر من الفرح على ساعة العقد ، ومن الحزن على تشييع

الجنازة؟ وكنا نخلق الكائن الفنيّ في دهر طويل من العمر ليكون متعة الذوق والذهن والعاطفة طول الأبد، فأصبحنا نصوره في ليلة ليفرغ الناس من تقديره في لحظة. فهل وجدنا من رخاء الصدر وسكينة الروح مقدار ما فقدنا من راحة البدن وفسحة الأجل؟

— وما يدريني؟ لو أنني أدركت العهدين لجاز أن أحسن الموازنة وأصيب الحكم؟

— أنا الذي أدركت العهدين، وأستطيع أن أقول لك إني أشعر بالفرق بين بطء العيش وسرعته، كما يشعر الظامئ الآمن بالفرق بين الرشيف والجرْع، وأدركه كما يدرك المتنزه الشاعر الفرق بين اجتياز الروض على القدم واجتيازه في السيارة. لا ريب أن الشارب إذا رشف الماء وتمززه كان ذلك أنضح لغليله وأبرد على كبده من العَبّ الذي يعجل الري ولكنه يؤجل الهناءة. كذلك المتنزه على قدميه يجد في كل خطوة عالماً من الجمال، وفي كل وقفة فيضاً من اللذة؛ على حين لا يجد راكب السيارة إلا الخوف في كل نظرة، وإلا الخطر في كل كرّة!

أنظر! هذا الذي تراه واقفاً بعربته أمام الدار عامل من عمال (أورزدي باك). طلبنا من هذا المتجر بالتليفون بعض متاع البيت وحاجة العيش، فأرسله بالسيارة، وتسلمه الخدم، ولم نجد نحن الذين كلفتنا هذه الصفقة عشرة جنيهات ما كان يجده المشترون المتذوقون من لذة الانتقاء وفرحة الاقتناء وغبطة القدرة

هذه (العملية) التي لم تستغرق غير ساعة من النهار كانت في حياتنا القروية الذاهبة تقتضي من الزمن أسبوعاً ينقضي بين سوابق اللذة وآثارها مذهَّب الأطراف بالأحلام، مطرز الحواشي بالصور، لا تكاد الأسرة تفيق من نشوته ولا تنتهي من حديثه!

***

دعني أعُد بالذاكرة إلى حدود الماضي البعيد فأذكر لك كيف كان رجال القرية يشترون حاجة عامهم من السوق. كان بين القرية والمنصورة ساعة ونصف بالحمارة السريعة، فأصبح بينهما اليوم ربع ساعة بالسيارة البطيئة! وكان القوم متى باعوا القطن أكثروا الحديث عن المتاع والكسوة والمنصورة، فتتهيأ الأذهان من قبلُ للسوق كما يتهيأ قلب المؤمن في رمضان للحج، وفكرُ (المتمدن) في أبريل للاصطياف. فإذا جاء يوم السوق الذي تواطأ رجال (الحارة) على الامتيار فيه، كان كل شيء على تمام الأهبة: فالبرادع المنجَّدة على الحمير، والأخراج المخططة على البرادع، والعصيُّ الدقيقة في الأيدي النليظة، والدنانير الذهبية في الأكياس العميقة، والفطائر الدسمة في القاطف الوعيبة، وكبير (الحارة) قد تنفس عليه الصبح وهو على حماره في جرن القرية يحبس التقدم ويستحث المتأخر؛ حتى إذا اجتمعت العِير واكتمل العدد ساروا في سكة السوق سطراً منضوداً يتناسق على نظام المقام والسن. وتسمع ضوضاءها من بعيد فتحار أذنك بين الكلام والضحك والنهيق وحث المطايا بالزجر والضرب، واصطكاك الحوافر بالتراب والحصى. فإذا بلغوا (طلخا) أودعوا حميرهم في (الوكالة) وهي (الجراج) بلغة اليوم، ثم وضعوا الأخراج على المناكب ومضوا صامتين إلى المعبر يركبون منه الفُلك إلى شاطئ المنصورة

وهنا يرفضُّ عن القوم النشاط والزياط والجرأة فيخشعون خشوع الطائر المهيض، لأن النيل غير الترعة، والسفينة غير النورج، والمدينة التي يسكنها الأفندية غير القرية التي يخيفها كلها أفندي واحد! هاهم أولاء يخرجون من ضيق القارب إلى زحمة الشارع فيمشون في سَواء الطريق أو على إفريزه سلاسل سلاسل يتماسكون عند الخوف، ويتكومون لدى الهلع، ويتصايحون عند الشتات، ويقفون اللحظة بعد اللحظة ريثما يعود الشارد ويلحق المتخلف، حتى ينزل بهم الدليل على (الخواجة) المقصود، نزول الغيث على الثرى المجهود، فيجلس الكهول على الكراسي، والشباب على الأرض؛ وينشر تاجر القماش وعماله الأثواب المختلفة على عيونهم الشاخصة وأيديهم الفاحصة، فيختلفون على النوع أو على اللون أو على السعر، فتعلو الأصوات، وتعنف الحركات، وتطول المساومة، حتى تخور القوى وتصحل الحناجر ويذهب الوقت فيقبلون أخيراً كل نوع يُعرض، ويرضون كل ثمن يُفرض!

ثم يقومون للغداء فيتخيرون شارعاً غير مطروق يجلسون حِلقاً على حاشيتيه ويأكلون فطائرهم بالحلاوة والعنب والبلح وهم فرحون مبتهجون، ثم يعودون إلى البدال والعطار فيستأنفون النزاع على الصنف والسعر حتى يغشاهم الليل فيخرجون من سوق (الخواجات) يُجرِّرَ الأخراج والغرائر لا يهتدون في النور، ولا يأنسون بالناس، ولا ينتبهون للدليل، فينقطع الضعيف، ويضل الغافل، ويكون عند المعبر افتقاد ونشدان وضجة!

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

فإذا خلصوا بما معهم من المدينة والنهر واقتعدوا ظهور المطىّ ونشقوا نسيم الحقول انبسطت المشاعر وانطلقت الحناجر فخاضوا فى أحاديث السوق ، وأفاضوا فى أعاجيب البندر ، وادعى كل منهم أنه كان أبصر بالبضاعة وأخبر بالسعر وأقدر على الخواجة !

وكان شباب القرية قد انتشروا مع الظلام فى طريق العودة يلقون العير ويكفونها مخاوف الليل . وكان نساء الغائبين وأطفالهم يتراقصون على أنغام المنى ، ويتسمعون على السطوح لجب القافلة . فإذا دخلت البلد قابلوها بالزغاريد والأناشيد ، وقضت (الحارة) معظم الليل فى أكل البلح ومص القصب وتساقى الحديث . ثم يصبح الصباح فتفتح الحقائب وتوزع الكسى وتفرق الهدايا ، وتغرق هذه الأسر فى فيض من الفرح والمرح مدى أسبوع !

* * *

الواقع يا صديقى أن السرعة محنة هذه الحضارة . وذلك أنها وفرت على الناس الصحة وأخرت عنهم الموت حتى نموا وكثروا ، فهم يتزاحمون على موارد الرزق ، ويتسابقون إلى مظان القوت ، فأصبح من لا يحمل جناحيه فى رجليه لا يسبق ، ومن لا يصل بالعمل يومه لا ينال !

احمد حسن الزيات

ضريبة الجمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطىء عامر ولكنه ليس بالمزدحم ، والبحر مائج له زئير ، والهواء هائج له صفير ، والراية السوداء كالقافية المحزنة تتكرر على مسافات متساويات أو متقاربات ؛ قافية محزنة والقصيدة مفرحة تضج بالحركة والحياة ! ... وهذا من عجيب النظم فى شعر البحار والحمامات !

وإذا اتسع الأفق أمام العينين حتى كأنهما تنظران إلى مكان واحد ، وتجاوبت الأصداء على الأذنين حتى كأنهما قد كفتا عن السماع بعد طول التكرار ، فهنالك تنطلق الخواطر شتاتاً كما تنطلق خواطر الأحلام بعد تعطيل السمع والنظر ، فهى تارة تستقصى إلى ما وراء الأعماق ، وتارة تستقرب فلا تتجاوز أدنى المحسوسات ، مما علق بالذهن قبيل لحظات معدودات

وهكذا جلست أرقب الشاطىء وكأننى أحلم بما أراه . ومن حق الشاطىء وايم الله أن يحسب فى عداد الأحلام

ها هنا وها هناك تماثيل من خلق الله فى المعرض الحافل المتجدد : بعضها ولا ريب تحفة من تحف الخلق والتكوين ، وبعضها ولا ريب لازم للمناوبة بين شعور الإعجاب وشعور الرثاء ، أو للمناوبة بين إبداء المحاسن وإبداء العيوب

نعمة جزيلة وأى نعمة هذا الجمال الذى لا يقوّم بمال

نعمة يستمتع بها أصحابها وغير أصحابها ، وربما كان نصيب لابسيها دون نصيب الناظرين إليها ، لأنهم يعرضونها ويعطونها والناظرون هم الآخذون

بل هم حريصون على عرضها وإعطاء العيون منها كل نصيب تشتهيه

وإلا فما بال هؤلاء العارضين قد تهيأوا لنزول الماء والماء لا يقبل النازلين فيه !

سيقولون : للشمس لا للبحر ! ... لا تصدقهم ! ... فالشمس أيضاً من وراء سحاب ، قلما تسفر من ذلك الحجاب

إنما يتهيأون لحمام من أشعة النظر لا من أشعة الشمس ولا من أمواج الماء ، ويا له من حمام مرىء على الجمال

* * *

وكنت حديث عهد بالضرائب ولجاج الموازنة بين الوارد والمصروفات

ويشاء الحلم أن يستقرب فى هذه المرة فيسنح لى خاطر كأسرع ما يكون وأقرب ما يكون :

ما للدولة لا تشارك الجميل فى نعمة جماله كما تشارك الغنى فى نعمة ثرائه والصانع فى نعمة ذكائه أو عضلاته !

كل نعمة فللدولة منها حصة . فما بال الجمال لا يحسب من النعم عند مصلحة الضرائب الأميرية ؟ أو ما باله يحسب من النعم ولا يدخل فى الحساب ؟

علم الله لو فرضت ضريبة الجمال لجمت الدولة الملايين واستراحت من المحصلين ، لأن أصحاب الضريبة يؤدونها عن يد وهم شاكرون ،

ويشكون إن قل نصيبهم منها ... ويحمدون الله أن خرجوا بها مثقلين مرهقين

وخطر لى قلم المراجعة والمظالم وما يتوالى عليه من الشكايات والمراجعات

أفلانة تطالبها الدولة بألف جنيه ضريبة جمال ولا تطالبنى أنا بأكثر من بضع مئات ؟ من هو هذا الأعمى الذى ترتضيه الحكومة عاملاً لها فى لجنة التقدير ؟ ومن هى هذه « الضعيفة الذليلة » التى تذعن لهذا الحيف وتصبر على هذا الظلم المبين ؟

وخطر لى ما قبل الشكاية وقبل الرجوع إلى لجنة المراجعة

خطر لى الزوج المسكين وهو داخل على الزوجة العابسة المتحفزة للشجار : تشاجره هو لأنها لا تجد بين يديها الموظف « الأعمى » الذى ظلمها بذلك النصيب من الضريبة ، ولا تأمن العقبى من « التعدى فى أثناء تأدية الوظيفة » والإصرار على تطفيف ذلك النصيب المنزور

— ما بالك يا عزيزتى مهمومة البال ؟

— مالى أنا ؟ بل قل مالك أنت بين الأزواج ؟ قل مالك أنت بين الرجال ؟ قل مالك أنت بين خلق الله ؟

— أنا ؟ وما خطبي يرحمك الله يا أمة الله ؟

— نعم أنت ! ... أنت دون غيرك ! ... أنظر إلىّ ! افتح عينيك فى وجهى . افتحهما جيداً وقل لى : هل أنا دون فلانة فى الحسن والرشاقة والفتنة والأناقة ؟ هل أنا دميمة ذميمة أم هى خيبتى فيك — واحسرتاه — هى التى خيبتنى بين النساء ؟

وبعد بكاء واستغراق فى البكاء

وبعد جفاء وإمعان فى الجفاء

وبعد مائة سؤال ومائة جواب تظهر الحقيقة فإذا هى « تظلم من قلة الضريبة » وإرغام للزوج المسكين على المطالبة بمضاعفتها فى غمضة عين ، وهو هو الذى « يغرمها » ويكتوى بنارها ... وإلا فليس هو برجل بين الرجال ، وليست هى بزوجة ترضاه بهذه الحال !

ويخيل إلى صاحبنا أنه يخدعها عن هذا الطلب ببعض الوعود وبعض الهبات ، فيعود إلى المراوغة والإغراء :

— يا عزيزتى ! يا زينة النساء ... يا أجمل من خلق الله : أيهمك هذه الفلانة وهى لا ترتقى إلى مقام الجارية تحت قدميك ؟ أليس أولى من بذل المال فى الضريبة المضاعفة حلية تزيدك جمالاً على جمال ، وحلة تنفردين بها بين الأتراب والأمثال ، وشارة تغار منها فلانة ، وقُنية بعد ذلك باقية للحفظ والصيانة ؟

ثم تشتد الحيرة بالمباركة فلا تدرى أى الحسنيين تختار ، ولا بد أن تستقر ولا سبيل إلى قرار

هنا الحلية والحلة وما رفضتهما قط بنت من بنات حواء

وهنا الجمال بشهادة الحكومة واعتراف القانون وتسجيل الأوراق الرسمية ، وهى حجة تخرس اللسان ، ولا تدفع بالبرهان

مشكلة !

ولا طاقة للمباركة بحلها

فليحلها الزوج المسكين ، بالجمع بين الحسنيين !

* * *

خطرت لى هذه الخواطر ، وتمثلت القائمين على خزانة الدولة بين إغراءين كاللذين حارت فيهما المباركة صاحبة المظلمة من تطفيف الضريبة

فماذا يصنعون ؟

هل ينتفعون بإقبال الناس على البذل والإعطاء فيقبلون من كل باذل ، ويستجيبون لكل طلب ، ويشهدون لكل راغبة فى شهادة ؟

أو يؤثرون أمانة الذوق وصدق النظر ونصفة الفن على ضخامة المورد وموازنة الأبواب ؟

مشكلة !

لكنها ليست بالمشكلة العويصة فيما أحسب ، وليست بالمشكلة التى تحل بالجمع بين الأمرين فيما أعتقد ... لأن الأمانة فى تقويم الجمال ، سر قابل للاستغلال ، وباب جديد لفرض الضرائب على الخاطبين السائلين ، وعلى مسابقات الجمال فى غير حاجة إلى محكمين ، وعلى أفانين شتى قد تظهر بعد حين ، فإن فات الخزانة ربح الطمع فلن يفوتها الربح من هذه الأفانين .

عباس محمود العقاد

حول الوحدة العربية

إلى الدكتور طه حسين

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

أيها الأستاذ :

لقد مضى نحو ستة أشهر على نشر الانتقادات التي وجهتها إليكم — في مجلة « الرسالة » — بمناسبة حديثكم المنشور في مجلة « المكشوف » البيروتية ، حول « الوحدة العربية وموقف مصر منها » ، وعلى نشر « الفصل الجوابي » الذي أرسلتموه إلى « الرسالة » رداً على تلك الانتقادات(١)

لم أكتب إليكم شيئاً حول هذه القضية خلال هذه المدة لأسباب ستظهر لكم من الأسطر التالية ، ومع هذا أشعر الآن بدافع قوي يدفعني إلى مخاطبتكم في هذه المسألة ، بالرغم من مرور هذه الأشهر الطويلة ، لمواصلة البحث فيها والمناقشة عليها

***

كنت غادرت بغداد إلى المغرب الأقصى قبل وصول عدد الرسالة الذي نشر فيه ردكم ، فلم أطلع عليه إلا في بيروت قبل سفري منها بالطيارة . قرأت الرد هناك فوقعت في حيرة عميقة ، لأنني انتهيت من قراءته دون أن أجد فيه كلمة واحدة يصح أن تعتبر رداً على ملاحظاتي الاعتراضية ، أو جواباً على أسئلتي الانتقادية . . . لأن الآراء المسرودة في الفصل كانت تحوم حول قضية « وحدة الثقافة » و « واجب مصر في أمر هذه الوحدة» في حين أن هذه القضية لم تكن في القضايا التي اختلفت معكم فيها ، بل كانت في القضايا التي شكرتكم عليها ! فإنني ختمت مقالتي الانتقادية بالعبارات التالية :

« هذا ، وأرى ألا أختم اعتراضاتي ، دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر ؛ فإني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية ، لأنني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد. فأقول بلا تردد : اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة ... »

فكان من الطبيعي أن أقع في دهشة عميقة من قراءة الفصل الذي نشرتموه في الرسالة تحت عنوان « الرد »

وأخذت أفكر — وأنا أقطع الفضاء فوق أجواء البحر الأبيض المتوسط — في تعليل الخطة التي انتهجتموها في هذا الباب : « كيف سوغ الدكتور طه حسين لنفسه أن يسمى هذا الفصل رداً ؟ »

قلت في بادئ الأمر : يظهر أن الأستاذ قد شعر بالخطأ الذي وقع فيه فلم يجد مجالاً للرد على الانتقادات التي وجهت إليه ، ولم يرد مع هذا أن يعترف بذلك ، فأراد أن يتظاهر بالرد بنشر فصل لا علاقة له بموضوع الانتقاد والاعتراض

غير أنني لم أرتح لهذا التفسير والتعليل ، لأنني استبعدت منكم أن تسلكوا مثل هذا المسلك في مناقشة قضية هامة مثل قضية الوحدة العربية ، فواصلت التفكير في الأمر إلى أن خطر على بالي تعليل آخر أقرب إلى العقل من التعليل الأول . يقول الدكتور طه حسين : إن الرد هو فصل من كتاب تحت الطبع ؛ أفليس من الممكن أن يكون قد حدث سهو في نقل الفصل من الكتاب ؟ قد يكون في الكتاب فصل يتضمن الرد ؛ غير أن الدكتور قد سها في رقم الفصل ؛ فالمطبعة أرسلت إلى (الرسالة) فصلاً آخر غير الفصل المقصود

عند ما لمحت هذا الاحتمال ، ركنت إليه كل الركون وقلت في نفسي : قد ينشر الدكتور في العدد التالي من الرسالة تصحيحاً لما حدث ؛ غير أن سفراتي السريعة سوف لا تترك لي مجالاً للاطلاع على ذلك قبل عودتي إلى بغداد .. فلا بد لي من الانتظار إلى ذلك الحين للوقوف على التصحيح ، أو لقراءة الكتاب

ولهذا السبب ، عند ما عدت إلى بغداد بعد إتمام رحلتي في المغرب الأقصى والجزائر وتونس وصقلية — أسرعت إلى تصفح أعداد الرسالة التي صدرت في غيابي ؛ ولما لم أجد فيها شيئاً يتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده ، طلبت نسخة من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ؛ وأخذت أقرأ بانتباه شديد باحثاً فيه عن « الرد » ... غير أنني وقعت في دهشة أشد من دهشتي الأولى عند ما انتهيت من قراءة فصول الكتاب بأجمعها، دون أن أصادف فيها أيضاً ما يصح أن يعتبر جواباً على أحد أسئلتي الانتقادية ... وقلت في نفسي : لم يبق مجال لتعليل الأمر بغير الملاحظة التي كانت وردت على ذهني عقب مطالعة الرد المنشور في مجلة الرسالة

(١) الرسالة عدد ٢٨٥ و ٢٨٦ — ١٩ و ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨

مع هذا لم أشأ أن أكتب شيئاً حول هـذا الموضوع ، للملاحظتين التاليتين : أولاً ، كان قد مضى على نشر ردكم مدة تناهز ثلاثة أشهر بسبب ظروف رحلتي . ثانياً ، إن « تباعد الرد عن موضوع البحث والمناقشة » كان من الأمور الجلية التي لا تحتاج إلى التوضيح والتنبيه ؛ كما ظهر لي ذلك من أقوال الشبان الذين حادثتهم خلال رحلتي في باريس ، وتونس ، وسورية

فقلت في نفسي : لا داعي إلى كتابة شيء في هذا الموضوع بعد انقضاء هذه المدة ، ما دام رد الدكتور طه حسين لم يكن من النوع الذي يستطيع أن يخدع أحداً من القراء الأذكياء

ولذلك لم أعد إلى هذا البحث منذ ذلك الحين

***

غير أنني اطلعت أخيراً على مقالكم المنشور في العدد الممتاز من مجلة الهلال ، عن « العقل العربي الحـديث » . ورأيت أنكم عرضتم في ذلك المقال لمسألة « الوحدة العربية » بطرق ملتوية : بعد أن سردتم بعض الآراء حول « تطور العقل البشري » بوجه عام ، وتطور « العقل الأدبي الحديث » بوجه خاص ، بحثتم عن وجوب « تجديد العقل العربي » ، وذكرتم ما تعتقدونه في وسائل هذا التجديد ... وفي الأخير ، انتقلتم إلى مسألة « الوحدة العربية » بطريقة « ظريفة وطريفة » إذ قلتم ما يلي :

« وربما كان من الأمثـلة الظريفة الطريفة التي تبين الفرق بين العقل العربي القديم ، والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي نعيش فيه ، مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها الكلام وتشتد فيها الخصومة ؛ فما أظن أن الناس يختلفون في أن هذه الوحدة نافعة للشعوب العربية وللشعوب الإسلامية أشد النفع ، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعاً ، ولكنهم مع ذلك يختلفون ويختصمون لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسب ما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث . فأما أصحاب القديم فيفهمون هـذه الوحدة كما فهمها القدماء في ظل سلطان عام شامل يبسط عليها جناحيه ويحوطها بقوته وبأسه ، وليسمَّ هذا السلطان خلافة ، وليسمَّ ملكاً كما كان يسمى قديماً ، ويجوز أن يسمى إمبراطورية ليكون له حظ من الطرافة ، فقد عرف القـدماء الإمبراطوريات واحتفظ بها المحدثون من الأوربيين . وكذلك يخدع العقل القديم نفسه فيظن أنه أصبح حديثاً . وأما أصحاب العقل الحديث فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه في البلاد المتحضرة بالحضارات الحديثة الأوربية . يفهمونها على أنها لا تنفع ولا تفيد إلا إذا احتفظت بالقوميات والشخصيات الوطنيـة والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة العامة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية وقامت على الحلف الذي لا يفني أمة في أمة ، ولا يخضع شعباً لشعب ، وإنما يمكن الأمم من أن تتعاون على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة . فإذا قال صاحب العقل الحديث مقالته هذه ضاق به صاحب العقل القديم أشد الضيق ، لأن عقله لم يتطور بعد ، ولم يستطع أن يكون من أهل العصر الذي يعيش فيه ، وإنما هو محتفظ بكل مشخصات القرون الوسطى ، وهيهات لمشخصات القرون الوسطى أن تسيغ ما يقع في القرن العشرين ... »

يظهر لي من كلماتكم هذه أنكم بعد أن تهربتم من مناقشة مسألة الوحدة العربية مناقشة مباشرة — حين دُعيتم إليها — أردتم أن تعودوا إليها عن طريق التعريض والتلويح ، كما وددتم أن تستهووا أذهان قرائكم عن طريق اتهام معارضيكم بالتمسك بـ « مشخصات القرون الوسطى » ، وإلباس رأيكم حلة قشيبة من « مقتضيات العقل العربي الحديث » .

فاسمحوا لي إذن أن أتبعكم في هذه الطرق الملتوية ، وأن أزن ملاحظاتكم بميزان « العقل العربي الحديث » الذي تشيرون إليه .

لا أدري إذا كان الانصراف عن مناقشة المسائل مناقشة مباشرة ، والالتجاء إلى طرق « التعريض والتشويش » في أمرها مما يفيد — في عرفكم — في مقتضيات العقل الحديث . غير أنني أعتقد أنكم تسلمون معي — على كل حال — بأن العقل العربي الحـديث يجب أن يكون على غرار العقل الأوربي الحديث ، ولا تنكرون — بالطبع — أن « العقل الأوربي الحديث » يتطلب السير على مناحي الأبحاث العلمية ، على أساس استنطاق الوقائع والحادثات واستقرائها متجرداً عن تأثيرات الميول النفسانية والآراء القبلانية ...

فلننعم النظر في الملاحظات التي نقلتها آنفاً عن مقالكم لنرى مبلغ ملاءمتها لمقتضيات « العقل العربي الحديث » الذي تدعون إليه:

أولاً ، إنكم تبحثون في كلامكم هذا عن الوحدة العربية والوحدة الإسلامية كأنهما مسألة واحدة ، في حين أن إحداهما تختلف عن

الأخرى اختلافاً كلياً . فإن فكرة « الوحدة العربية » ترمى إلى توحيد الشعوب التى تتكلم بلغة واحدة ، فى حين أن فكرة « الوحدة الإسلامية » ترمى إلى توحيد الأمم التى تتكلم بلغات مختلفة ، بالرغم من تدينها بدين واحد ؛ فالبون بينهما شاسع جداً ، فإن الدعوة إلى « الوحدة العربية » لا تتضمن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة ؛ كما أن عدم الإيمان بإمكان تحقيق « الوحدة الإسلامية » لا يستلزم إنكار إمكان تحقيق « الوحدة العربية » .

ولذلك أقول بلا تردد إن خلط هاتين المسألتين ، والنظر إليهما بنظرة واحدة ، يخالف أبسط حقائق علم الاجتماع ، وأبرز وقائع تاريخ السياسة ، ولا يتفق مع الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه

ومن الغريب أنكم لا تكتفون بالخلط بين هاتين المسألتين ، بل تحشرون بينهما مسألة الخلافة أيضاً بصورة غريبة ، وتنظرون إلى هذه المسائل كلها بنظرة واحدة . لقد تعودنا أن نرى آثار مثل هذا الخلط ، فى كتابات بعض الساسة من الأوربيين المستعمرين ، لأنهم ينظرون — عادة — إلى هذه المسائل كلها من وجهة نظر أطماعهم الاستعمارية ، ويسعون إلى وصم جميع الحركات القومية والوطنية بوصمة « التعصب الدينى » ليثيروا الرأى العام الأوربى عليها ... غير أننا ما كنا ننتظر منكم أن تقتفوا أثر هؤلاء الساسة من حيث لا تشعرون ، وأن تخلطوا بين هذه المسائل بهذا الشكل الغريب .

فأرى من واجبى أن أصرح لكم فى هذا المقام ، بأننى مع عدد كبير من المفكرين القوميين الذين أعرفهم وأتصل بهم على الدوام أنظر إلى قضية « الوحدة العربية » كقضية مستقلة عن قضايا « الوحدة الإسلامية » و « الخلافة الإسلامية » كل الاستقلال . وأؤكد لكم أننى — بقدر ما أومن بفكرة العروبة ، وبقدر ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبقدر ما أقول بوجوب السعى وراء تحقيقها — أعتقد باستحالة « الوحدة الإسلامية » ؛ وأقول إن « إثارة فكرة الخلافة » مضرة بـ « قضية الوحدة العربية » و « فكرة التضامن الإسلامى » فى وقت واحد

***

هذا ومن جهة أخرى ألاحظ أنكم تسلمون — فى مقالكم هذا — بأن « الوحدة » نافعة لـ « الشعوب العربية والإسلامية » أشد النفع ؛ وتقولون بأن الناس لا يختلفون فى منافع هذه الوحدة ، إنما يختلفون فى « تصورها حسب ما يتاح لهم من العقل القديم والعقل الحديث » ... كما تصفون لنا نوعى هذا التصور وصفاً بارعاً : بالنوع الذى يقول به « صاحب العقل القديم » ، وهو الذى « يتصور الوحدة تحت ظل سلطان شامل » ؛ والنوع الذى يقول به « صاحب العقل الحديث » ، وهو الذى يتصور الوحدة على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة ... »

أنا لا أود أن أبحث عن مبلغ مطابقة وصفكم هذا للحقائق الراهنة ؛ غير أنى أرى من الضرورى أن أقول لكم فى هذا المقام إننى قد اطلعت — قبل مدة — على رأى فى « الوحدة العربية » يختلف عن هذين الرأيين فى وقت واحد : فإن صاحب ذلك الرأى ، كان لا يقبل « الوحدة » ، « ولو كانت على أساس المساواة » ، ولا يرضى بالوحدة ، « ولو كانت على نمط اتحاد يشابه الاتحاد الأميركى أو السويسرى » ... فهل تسمحون لى أن أسألكم : أتعتبرون موقع هذا الرأى فى العقل القديم أم العقل الحديث ؟

لا أشك فى أنكم لن تطلبوا منى أن أذكر لكم اسم صاحب هذا الرأى ؛ غير أنى أظنكم سوف تعذروننى إذا ذكرت ذلك تنويراً للقراء :

إن صاحب هذا الرأى — الذى يخالف مقال صاحب العقل القديم ومقال صاحب العقل الحديث فى وقت واحد — هو صاحب « الحديث » المنشور فى مجلة « المكشوف » !.. ذلك الحديث الذى كان مبدأ ومنشأ لجميع هذه المناقشات !

فقد قرأت فى ذلك الحديث ، العبارة التالية ، بحروفها :

« مصر لن تدخل فى وحدة عربية ، حتى ولا اتحاد عربى ، سواء أكانت مساوية فيه للأمم العربية الأخرى أو مسيطرة عليها ... » (المكشوف — العدد : ١٧٥ — الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة . . »

كما قرأت فى مكان آخر من ذلك الحديث العبارة التالية ، بنصها :

« الوحدة العربية ، كما يفهمها ذووها يجب أن تتحقق بشكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأميركى أو السويسرى . »

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

– ٦ –

أرى من الواجب فى مطلع هذا المقال أن أوضّح مسألتين خفيتا على بعض القراء فجرت ألسنتهم بالعتب والملام .

المسألة الأولى ، هى الحكم بأن أحمد أمين ينظر إلى الأدب ، وإلى الوجود نظرة عامّية ؛ فقد ظن فريق من الناس أننا نقول بأنه من العوامّ فى حدود الاصطلاح المألوف ، على معنى أنه بعيد عن الجوّ الذى يعيش فيه العلماء .

وذلك غير ما نريد . فأحمد أمين تلقى العلم فى مدرسة القضاء الشرعى وظفر بإجازتها العالية ، وجلس للقضاء فى المحاكم الشرعية بضع سنين . ثم اشتغل بالتدريس فى الجامعة المصرية . فهو ليس عامّيا بالمعنى المعروف ، وإنما نريد أن نقول إن أحمد أمين على كثرة ما قرأ فى الكتب وما سمع من العلماء لايزال يفكر كما يفكر العوامّ .

ولتوضيح ذلك نقول: إن فى أهل العلم من يكون أقل اطلاعاً من زملائه ، ولكنه قد يكون أقوى منهم فى صحة الفهم وسلامة التميز وقوة الإدراك ، فيكون محصوله القليل أجدى وأنفع ، ويكون له فى أحكام العقل مجال

وفى مقابل ذلك نرى بعض العلماء المزودين بكثير من الثقافات ينظرون إلى الوجود نظرات عامية لا تمتاز بشىء عن نظرات العجائز من قعائد البيوت .

وأحمد أمين قليل الاطلاع فى ميدان الأدب العربى بلا جدال، وهو مع قلة اطلاعه يحكم على الأدب أحكاماً عامية ، بعيدة كل البعد عن أحكام الخواصّ ، وقد أسلفنا الشواهد التى تؤيد رأينا فيه ، وسنسوق شواهد جديدة .

المسألة الثانية ، هى التعرض لأعماله الماشية : فقد استنكر بعض القراء أن نقول إنه يكسب كيت وكيت ، وعدوها مسألة شخصية

ونقول إننا تعرضنا لذلك لغرضين : الأول هو النص على أن أحمد أمين مشغول عن الفكر والقلم بشواغل تصرفه عن التجويد فى البحث والتفكير والإبداع ، والغرض الثانى هو تذكيره بأنه لا يجوز لمثله أن يعيب على أدباء العرب أن يشغلوا بمعاشهم وهو يقتل وقته بتدبير المعاش

ولو شئت لقلت إن الرجل الذى يدعو إلى هجر الأدب الجاهلى جملة واحدة بحجة أنه يشلّ التفكير هو نفسه الرجل الذى اشترك فى تأليف الكتاب « المجمل » والكتاب « المفصل » والكتاب « المنتخب » بأجر معلوم تعرفه خزينة وزارة المعارف

فإن كان أحمد أمين صادقاً فى حكمه على الأدب الجاهلى فكيف جاز عنده أن يشترك فى تلك المؤلفات وفيها مكان ظاهر للأدب الجاهلى وهى خليقة بأن تشل عقول التلاميذ ؟ !

وكنت قلت إن الأستاذ أحمد أمين لا يستطيع أن يخدم الجامعة المصرية بالمجان ، وإنه يأخذ منها فى كل شهر ستين ديناراً ، فكتب

(المكشوف — العدد : ١٧٥ الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة ...)

ترون من كل ذلك أيها الأستاذ أن مسألة الوحدة العربية ليست من القضايا التى يمكن أن تناقش وتعالج بالصناعة الكلامية والاندفاعات الارتجالية . . . كما ترون أن الخطة التى سلكتموها فى معالجة هذه القضية تجركم دائماً إلى مواقف تخالفون فيها الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما جرتكم فى بعض الأحيان إلى مواقف تناقضون فيها أحاديثكم الذاتية أيضاً . . .

إنكم تدعون المفكرين إلى بذل الجهود فى سبيل « تجديد العقل العربى » ... وكم كنت أود أن أراكم تعملون بهذه الدعوة فى المناقشات التى تخوضون فيها ، ولا سيما إذا كان موضوع المناقشة من الموضوعات الهامة مثل « فكرة العروبة » و « الوحدة العربية » . . .

« برمانا » أبو خلدون

إلينا أحد المطلعين يقول إنه يأخذ من الجامعة فى كل شهر خمسة وثمانين لا ستين

فهل يجوز للرجل أن يأخذ هـذا المبلغ بطمأنينة خلقية فى تدريس الأدب العربى وهو يعتقد أنه أدب لا يستحق العناية وأنه كان فى ماضيه الطويل أدب تسوُّل واستجداء ؟

وبعد توضيح هاتين المسألتين أرجع إلى هذا الرجل رحمة قاضية .

لقد دل على مبلغ فهمه للأدب حين ساق هذين البيتين فى مقاله الثالث فى جناية الأدب الجاهلى :

فما روضة زهراء طيبة الثرى يمج الندى جثجاثَها وعرارَها
بأطيب من أردان عَزة موهناً إذا أُوقدَتْ بالمندل الرطب نارَها

فقد ضبط هـذين البيتين على نحو ما يرى القارئ : فجعل الندى فى البيت الأول فاعلاً وجعل الجثجاث والعرار مفعولين ، وجعل « أوقدت » فى البيت الثانى مبنياً للمعلوم ونصب النار على المفعولية

فهل سمعتم قبل ذلك أن الندى يمج الزهر والنبات ؟

لو كان أحمد أمين يتأمل ما يقرأ لعرف أن الندى فى البيت الأول من هذين البيتين لا يمكن أن يكون فاعلاً ، ولعرف أن « أوقد » فى البيت الثانى فعل مبنى للمجهول ليجعل الشاعر معشوقته عقيلة تخدمها الوصائف

فهل يستطيع أحمد أمين أن ينكر أنه أخطأ فى ضبط هذين البيتين ؟

وهل يمكن لمن يثقون بكفايته الأدبية أن ينكروا أن لمثل هذا الفهم الخاطئ دلالة على مبلغ إدراكه لدقائق المعانى ؟

***

نترك هذا وننتقل إلى أحكامه على الشعر العربى فى العصر الإسلامى ، وهو يراه لم يتغير من حيث الموضوع فظل كما كان محصوراً فى المديح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والرثاء

والظاهر أن أحمد أمين لم يدرس الشعر الأموى دراسة تمكنه من فهم الفروق بينه وبين الشعر الجاهلى ، فليس بصحيح أن الموضوعات لم تتغير ، وليس بصحيح أن الشعراء الأمويين كانوا يتناولون الأغراض الشعرية على نحو ما كان يتناولها الجاهليون

وإذا صح أن الشعر الجاهلى والإسلامى متحدان فى الموضوعات فهناك فرق ظاهر جداً بين العصرين فى تصور تلك الموضوعات

فالغزل فى العصر الأموى فنٌّ جديد لا يعرفه العصر الجاهلى ، وهل يتصور أديب أن أشعار عمر بن أبى ربيعة كانت لها سوابق عند الجاهلية ؟

هل يتصور أديب أن تائية كثيِّر فى أغراضها ومراميها كانت لها نظائر فى الشعر الجاهلى ؟

وهل يصح لأديب أن يقول بأن غزليات العرجى وجميل والحارث بن خالد كانت لها أشباه قبل العصر الإسلامى ؟

إن الأمويين تغزلوا كما تغزل الجاهليون ، ولكنهم تفردوا بابتكار فن جديد هو القَصص الغرامى ، فهل فطن لذلك أحمد أمين؟

وهل يمكن نكران ما وصل إليه الأمويون من الرقة والطرف فى النسيب ؟

أليس فيهم الذى يقول :

إن لى عند كل نفحة بستا نٍ من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفـــاتةً أترجّى أن تكونى حللت فيما يلينا

أليس فيهم الذى يقول :

يا أم عمران ما زالت وما برحت بنا الصبابة حتى مسَّنا الشفقُ
القلب تاق إليكم كى يلاقيكم كما يتوق إلى منجاته الغَرِق
تعطيك شيئاً قليلاً وهى خائفة كما يمس بظهر الحيـة الفَرِق

أليس فيهم الذى يقول :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى أواخـــره لا نلتقى وأوائـــله

أليس فيهم الذى يقول :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً
ليممتُ طيتهـــا إننى أرى حبها العجب العاجبا

أليس فيهم الذى يقول :

وإنى لأستحييك حتى كأنما علىَّ بظهر الغيب منك رقيب
ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علىّ ذنوب

إن تفصيل ما امتاز به شعراء العصر الأموى فى النسيب يحتاج إلى كتاب خاص سيؤلفه أحمد أمين يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال ولا ينظر إليه بالعد والإحصاء

إن من أعجب العجب أن يقال إن الشعراء الأمويين لم يبتكروا شيئاً فى التشبيب ، وهم الذين أمدوا لغة العرب بثروة وجدانية ستعيش ما عاشت لغة القرآن

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى قد ابتكر الاستشهاد فى الحب ؟

ألا يكفى أن يكون ذلك العصر هو الذى خلق شخصية مجنون ليلى ، وهى شخصية شرّق سحرها وغرّب ، فكانت لها أصداء عند الشعراء من أهل الشرق وأهل الغرب ؟

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى هو الذى فهم أن الحج من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ألا يكفى أن يكون شعراء العصر الأموى هم الذين أذاعوا بين الناس فتنة الهيام بأسرار الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم جهل الأستاذ أحمد أمين أن العصر الأموى هو العصر الذى تفرد بإجادة الأراجيز ، ولكن هل فكر أحمد أمين فى الأراجيز الأموية ؟

الحق أن العصر الأموى يحتاج إلى أدباء عظام يسجلون فضله على اللغة العربية ، ففى ذلك العصر ظهر الشعر السياسى ، وهو فن من الأدب يختلف عن التعصب للقبيلة كل الاختلاف ، وله مزايا وخصائص تنتظر أديباً له نظرة خاصية لا عامية

فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن من العار أن يقول أستاذ من كلية الآداب بأن الأدب فى العصر الأموى ليس إلا صورة من الأدب فى العصر الجاهلى

وهل يستطيع إنسان أن يقول بأن الكميت بن زيد الأسدى كان له نظير بين شعراء الجاهلية ؟

إن العصر الأموى ينتظر أديباً يفهم أنه كان صلة الوصل بين العصر الجاهلى والعصر العباسى ، ويدرك أنه تحرر كل التحرر من العقلية الجاهلية

فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن عميد كلية الآداب اليوم هو الأستاذ محمد شفيق غربال ، وهو مؤرخ جليل يفهم أن دراسة تاريخ القرون الوسطى أمر واجب ، لأن ذلك التاريخ كان الصلة بين القديم والحديث ، فهل نستطيع أن نشير عليه بأن ينشئ فى كلية الآداب كرسياً للعصر الأموى الذى جهله أحمد أمين ؟

ليت ، ثم ليت ! !

* * *

إن المسافة بين العصر الجاهلى والعصر العباسى طويلة جداً ، لأنها تقع فى نحو خمسين ومئة سنة ، وهى المدة التى انتظمت عصر النبوة وعصر الخلفاء وعصر الأمويين ، وفى تلك المدة كانت الشخصية العربية هى الشخصية التى تهدد ممالك الأرض ، والتى تسن شرائع الفتوة وقوانين المجد ، والتى تلوّن العالم بألوان مختلفات ، والتى مكنت العرب من أن يكون لهم صوت مسموع فى أقطار المشرق والمغرب

فهل يُعقل أن يكون أدب العرب فى ذلك العهد صورة ثانية من أدبهم فى أيام الجاهلية ؟

ومن الذى يصدق أن الشعراء المسلمين كانوا يتهاجون على نحو ما كان يصنع الجاهليون ؟

وهل خطر ببال أحمد أمين أن العصبية السياسية فى العصر الإسلامى كانت لها ألوان لم يعرفها شعراء القبائل فى الجاهلية ؟

هل فكّر فى تحديد الخصائص الشعرية للمدح والهجاء فى العصر الأموى ؟

وهل تنبه إلى ما ابتكره الشعراء الأمويون حين أوقدوا نار العصبية الجاهلية ؟

يعزّ علىّ والله أن يقع فى هذه الأخطاء أستاذ فاضل من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، وهى اليوم معهد عظيم يحج إليه طلبة العلم من أقطار الشرق

يعزّ علىّ أن يكون فى رجال الجامعة المصرية من يفهم أن العصر الإسلامى صورة من العصر الجاهلى فى التفكير ، وطرائق التعبير مع أن ذلك مستحيل

وهل يتصور عاقل أن خطب علىّ بن أبى طالب صورة من خطب أكثم بن صيفى مثلاً ؟

هل يقول مفكر بأن رسائل عبد الحميد صورة مكررة لما كان يكتب الجاهليون ؟

وهل يمكن القول بأن معاوية كان يكتب بأسلوب عمر بن الخطاب ؟

إن التطور شريعة طبيعية يا صديق ، فكيف تتوهم أن يكون العرب خرجوا وحدهم على تلك الشريعة ؟

إن العرب فى أدبهم وتصورهم وعقليتهم قد انتقلوا من حال إلى أحوال ، وإن غاب ذلك عن فطنتك الواعية

وأين أنت من القصص الرائع الذى عرفته المساجد فى العصر الأموى ؟

أين أنت من الشعر الرقيق الذى ابتكره الأمويون فى وصف مجالس الأنس والشراب ؟

وهل تعرف يا حضرة الفاضل أن العصر الأموى ظلم أقبح الظلم حين اعتدى عليه خلفاء بنى العباس بالمحو والتبديل ؟

هل مرّ فى خاطرك أن العصر الأموى رُزِىء بمؤامرة سياسية حرَمتْ تاريخه الأدبى من نعمة الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم يتحذلق الأستاذ أحمد أمين فيقرر أن الخضوع للأوزان الجاهلية والقوافى الجاهلية جنى علينا جنايات كبرى، لأنه « حرمنا من الملاحم الطويلة التى كانت عند الأمم الأخرى وحرمنا من القصص الطويلة الممتعة »

وهذا الحكم يشهد بأن أحمد أمين يجهل طبيعة الأمة العربية بعض الجهل ، ويجهل طبائع الأمم الأخرى كل الجهل

إن أحمد أمين لا يعرف أن العرب ليس فى طبيعتهم أن يأنسوا بالمنظومات المطولة فى القصص والتاريخ ، وهو يتوهم أن العرب كان يجب عليهم أن يسلكوا فى الشعر مسالك اليونان ، وذلك خطأ فظيع

إن عبقرية العرب ليست فى القصص ، وإنما عبقرية العرب فى الغناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية، وفى بلاد العرب نشأت أحاديث القلب والوجدان، وهم بلا جدال أصدق من تحدث عن الأرواح والقلوب

فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن ، وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب

* * *

وإلى الأستاذ الجسر أوجه الكلمة الآتية :

أنت تعجب أيها السيد من أن نمنح أحمد أمين « قدرة الجناية على الأدب العربى » وأجيب بأن أحمد أمين ليس من النكرات حتى نتركه يتحذلق كيف شاء . إن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب يا حضرة السيد ، وكلية الآداب من أكبر معاهدنا العالية ، وما يصدر عن أساتذتها الأفاضل قد يتلقاه أكثر الناشئين بالقبول

وما الذى تخشاه من منح أحمد أمين ما لا يستحق ؟

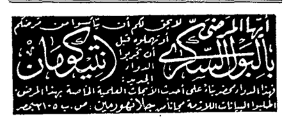
إن كان هجومنا عليه يعطيه فرصة جديدة من فرص الشهرة فلا بأس ، فهو صديق عزيز ، والتنويه بشأنه من أوجب الفروض

المهم « يا حضرة السيد » أن يعرف أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تزجر المتطاولين على ماضى الأدب العربى وتصرفهم عن اللجاج فيما لا يفيد

ونحن لا نحارب أحمد أمين بالذات ، وإنما نحارب الآراء التى نقلها نقلاً عن خصوم اللغة العربية ، وسنرى فى المباحث الآتية ما يشفى صدور قوم مؤمنين

« للحديث شجون »

زكى مبارك



في اللغة

إخوان الفـــوارس

لأســتاذ جليل

إخوان الفوارس (أي هذا الجمع الشاذ) هم أكثر من السبعة الذين ذكرهم الصحاح والتاج، وجيء بهم في جزء سابق من (الرسالة الغراء) والسبعة هم: الفوارس، والهوالك، والنواكس والخوالف[1]، والفوارط[2]، والغوائب، والشواهد[3]

فهناك ستة غيرهم أظهرهم موهوب بن أحمد الجواليقي في (شرح أدب الكتّاب) وأودعهم البغدادي (خزانته) وهناك اثنان ذكرهم التبريزي في (شرح ديوان الحماسة) وهذه جريدة الثمانية:

١ — الحوارس جمع الحارس

٢ — الحواجب جمع الحاجب، من الحجابة

٣ — الخواطئ جمع الخاطئ، من ذلك ما جاء في المثل: مع الخواطئ سهم صائب

قال التاج. يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً، وقال أبو عبيد: يضرب للبخيل يعطي أحياناً

٤ — الروافد جمع الرافد

قال ضمرة بن ضمرة النهشلي:

وطارق ليل كنت حَمَّ مبيته إذا قل في الحي الجميع الروافد

قال الأنباري شارح المفضليات: الروافد جمع الرافد كقولك فارس وفوارس، وهي أحرف (يعني كلمات) يسيرة. والرفد المعونة، وحم مبيته: قصد مبيته

(١) في اللسان: وقوله (عز وجل) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. قيل النساء، وقيل: (الخالف) الفاسد من الناس، وجمع على فواعل كفوارس، وفي التاج: وقيل: الخوالف الصبيان المتخلفون

(٢) في التاج: قد يجمع الفارط على فوارط وهو نادر كفارس وفوارس وأنشد للأفوه الأودي:

كنا فوارطها الذين إذا دعا داعي الصباح إليهم لا يفزع

قال شيخنا: يزاد على نظرائه الثلاثة» قلت: نظراؤه أكثر من ثلاثة عشر يا شيخ ...

(٣) في خزانة الأدب للبغدادي. قال عتيبة بن الحارث لجزء بن سعد:

أحامي عن ديار بني أبيكم ومثلي في غوائبكم قليل

فقال له جزء: نعم وفي شواهدنا. فجمع عتيبة غائبا على غوائب وجمع جزء شاهداً على شواهد

٥ — الحواج: جمع الحاج

٦ — الدواج: جمع الداج

ومن أيمانهم — كما جاء في اللسان —: أما وحواجِّ بيت الله ودواجِّه لأفعلن كذا وكذا.

والداج — كما يقول الأساس — هم الذين يمشون مع الحاج من أجير أو جمال أو نحوهم من دج دجيجاً بمعنى دب دبيباً، ومنه الدجاج، وفي التاج: الداج التباع والجمالون، والحاج أصحاب النيات[1]

وفي الفائق: رأى ابن عمر قوماً في الحج لهم هيئة أنكرها. فقال: (هؤلاء الداج وليسوا بالحاج). قالت النهاية: أي هؤلاء لا حج لهم إلا أنهم يسيرون ويدجون:

٧ — الخوارج: جمع الخارج

٨ — البواسل: جمع الباسل[2]

قال التبريزي في شرح بيت الحماسي:

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن أشبالها

«بواسل ردّه إلى الكتيبة، وفواعل في صفة الرجال قليل. يقال: فارس وفوارس، وهالك وهوالك، وناكس ونواكس، وخارج وخوارج» ...

* * *

وممن لم يذكروهم (عواذل) دعبل و(لواحي) علي بن الخليل من شعراء الأغاني. يقول الأول في قصيدة زواها أبو علي في (أماليه):

قال العوازل: أودى المال. قلت لهم:

«ما بين أجر ونخر لي ومحمدة»

أفسدت مالك. قلت: المال يفسدني:

«إذا بخلت به والجود مصلحتي»

ويقول الثاني، وعنده العوازل واللواحي:

إذا ما كنت شاربها فسرا ودع قول العواذل واللواحي[3]

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

(١) جمع نية: نيات — لا نوايا — يا كاتبين وخاطبين.

(٢) الفضل في تذكيري بالخوارج والبواسل في بيت الحماسة للشيخين: علي الجارم وراويته حسن علوان.

والفضل في إملاء هذه الجريدة التي حشدت من هـذا الجمع الشاذ ما لم يذكره إمام متقدم في كتاب — لناقدي (البواســل) من العصريين: الأمير شكيب أرسلان، وناقد في «الرسالة»

(٣) جاءت رواية الأغاني سراً، وقد يكون الأصل جهراً ...

دمعة على الصديق الراحل

فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

[دمعة على جثمان الصديق الراحل فليكس فارس المسجى بين الورود ألقيت فى الحفل الكنائسى الذى أقيم للصلاة على روحه عصر الأحد ٢ يوليه ١٩٣٩ بهو الكنيسة المارونية]

هنالك من الناس من تعرفهم فتشعر كأن لك بهم معرفة من قبل . ذلك لأنهم لا يعرفون عن طريق الصلات الزمنية ، وإنما هم يعرفون عن طريق الجو الذى يخلقونه حولهم . وما كان الصديق الراحل فليكس فارس إلا واحداً من هؤلاء : عرفته صيف عام ١٩٣٦ فسرعان ما تآلفنا وتآخينا . ولم يمض القليل من الزمن حتى أصبحنا إلفين لا ينقضى الأسبوع دون أن نتقابل فنتجاذب الحديث فى شأن من شئون الحياة التى نحياها. وكثيراً ما كان يدور هذا الحديث على عوالم الفكر والشعور. وظلت صلتى بالراحل الكريم قوية حتى آخر لحظاته . فقد كنا حوله فى الأيام الأخيرة وهو يجود بأنفاسه الأخيرة . لهذا كان نبأ نعيه لنا معشر أصحابه وخلانه صدمة أليمة . وكان قاسياً علينا أن نراه أمس حيًّا بيننا يملأ جونا بروحه حياة وأنساً ، وإذا به اليوم قد همد فيه عنصر الحياة الذى كان يطوف على شفتيه ابتسامة وعلى شغاف قلبه حنواً وعطفاً ...

إن هول فجيعتنا فى فليكس فارس كبيرة ، جعل الدموع تجمد فى أعيننا فظللنا بسحابة قاتمة أرسلت سوادها على صفحات قلوبنا فغمرتنا موجة من الكآبة، فإذا لم تظهر على صفحات وجوهنا — نحن معشر خلانه — فداحة المصاب دموعاً ... فذلك لأن مصيبتنا بموت الصديق أقوى من أن يظهرها بكاء أو دموع ...

إيه أيها الراحل الكريم ! ... إن تلك الدموع التى جرت من عينيك وتجمعت فى مآقيك ثم سالت على صفحات وجهك يوم زرتك للمرة الأخيرة ؛ وإن كلماتك التى خرجت من أعماقك مختلطة بنشيجك توصينى خيراً بفلذات كبدك ، كل هذه دخلت فى عالم ذكرياتى ولن تذهب من نفسى ، فلقد دلت كلماتك وعبراتك على أن فى الحياة عنصراً أقوى من كل القيود والسدود التى يقيمها البشر أبناء الحياة الواحدة للتفرقة فيما بينهم ، هذا العنصر يتجلى ساعة يأخذ الإنسان فى الانحدار من عالم الحيــاة ، وساعة يحس بانحسار عنصر الحياة عن جسده ؛ فى ذلك الحين يحس بشعور أقوى من كل إحساس بعوامل التفرقة بين أبناء الحياة الواحدة ، أقوى من الإحساس بالدين والوطن والجنس . وهذا الشعور يدفعه إلى أن يمد نفسه على رحاب الحياة وينسحب عليها متعلقاً بمظهرها الخالد المتأجج ناراً والمتجدد فى أبناء الحياة من جيل إلى جيل ، فيرى فى كل إنسان أباً لأولاده .

إيه يا أبا حبيب ! . إن آخر الكلمات التى تزودتها منك دارت حول الإيمان والحياة ، وهى كلمات لن تذهب معانيها وصورها من رأسى لأنها تدل على إيمانك العميق بالحياة، ومن هنا كانت رحابة اعتقادك التى تجوّز أن تكون الحقيقة حتى فى كلام خصمك ... خصمك فى الاعتقاد والرأى ، ومن هنا أيضاً فهمت سرّ اتساع أفق اعتقادك لآرائى التى كانت تقف على نقيض آرائك .

إيه يا أبا أديب ! ... لقد فقدتُ بارتحالك شيئاً من نفسى كُنتَ ترده علىّ حين ألقاك . وفقد أصدقاؤك بارتحالك إنساناً ودوداً برّاً ... وما أقل الأناسى فى هذا الزمان ! ... أنظر أيها الراحل الكريم من وراء أكفانك تجدنا جمع أصدقائك قد بلبلت أذهاننا فداحة مصابنا فيك . ها هو ذا صديقك « خليل » وأخوه « صدّيق » أنظرهما يبكيان فقدك . وها هو « أدهم » الحبيب إلى نفسك الذى كنت تداعبه باسم « الحكيم » فقد اليوم حكمته ؛ فقد تبلبل منه الذهن واختلطت فى صدره المشاعر . لقد صدم الكل بارتحالك فذرفوا الدموع سخينة من أجلك ...

إيه يا أبا سلوى ! ... لقد كنت باتساع أفق شعورك ورحابة مدى نفسك تغمرنا بروحك وترتفع بنفوسنا وتضرب لنا مثل

وفى التاج : اللواحى : العذال ، والعذال من جوع العاذل .

وفى اللسان : اللواحى : العواذل

وقال الجوهرى فى (صحاحه) : قول الراجز :

لقد علمتُ والأجلّ الباقى   أن لا تردُّ القدرَ الرواقى

كأنه جمع امرأة راقية أو رجلاً راقية بالهاء للمبالغة . أو رجلاً راقياً بغير هاء حتى ينضوى هذا الجمع إلى ذاك الجيش ...

هذه جريدة ما وجدناه ، وقد يكون هنالك ما ذهب علينا ، وهى العربية المتبحبحة[1] فى كلمها ولغاتها . قال الإمام محمد ابن ادريس الشافعى فى رسالته فى أصول الفقه : « لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً . ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى[2] » . « ... »

(١) تقول العامة : فلان متبحبح يا سيدى فى عيشته . ولفظة القوم — كما ترى — فصيحة صحيحة (٢) غير بالرفع صفة إنسان، وتنصب على الاستثناء

في بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ علي الجندي

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

كان هشام بن عبد الملك من الخلفاء الذين يُؤثرون أن يتمتعوا بالطيبات من الرزق ، ويظهروا نعمة الله عليهم ، ويوفروا الأبهة والجلال لمقام الخلافة ! فلم يكن في آل مروان من كان أسرى منه ثوباً ، ولا أعطر رائحة ، ولا أكثر زينة ، حتى إنه حين خرج حاجا حُمِلت ثيابه على ستمائة جمل !

فماذا رأى حماد حين دخل إليه ؟

رأى داراً قوراء[1] مفروشة بالرخام ، تضم مجلساً فرش كذلك بالرخام بين كل رخامتين قضيب من ذهب !

وفي بُهرة[2] المجلس فوق طِنفِسة[3] حمراء جلس هشام عليه ثياب من الخز الأحمر ، وقد تضمخ بالمسك الأحم والعنبر الأشهب ! وبين يديه آنية من ذهب فيها مسك مفتوت يقلبه بين يديه فتهيج رائحته في المكان فتفغم الأنوف !

فاستطير عقل حماد ، واعتاقت الهيبةُ جنانه ، فثقلت خُطاه وربا لسانه في فمه ! ولكنه استنجد بكل قواه ، وسلم على هشام بالخلافة ، فرد عليه السلام واستدناه منه ، فدنا حتى قبل رجله !

ثم نظر يُجَوِّخِر عينه فإذا جاريتان كأنما التمستا غرة من رضوان ، فهبطتا من فراديس الجنان ! في أذني كل منهما حَلْقتان تُطِل منهما لؤلؤتان لامعتان يَرِف سناها على تلك الوجنات البضة رفيف سقيط الطل على أكمام الورود !

فأخذ حماد يُسارقهما النظر وهو مشترك اللب موزع الفؤاد ! ولكن الخليفة لم يلبث أن هتف به : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟

فاسترجع عازبعقله، وأجاب متلعثماً: إني بخير يا أمير المؤمنين

— أتدرى لم بعثت إليك ؟

— لا يعلم الغيب إلا الله

— بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله

— ما هو يا أمير المؤمنين

— قول القائل :

ودعوا بالصَّبُوح[1] يوماً فجاءت
قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ

— هذا يقوله عَدِيّ بن زيد العِبادى من قصيدة له

— أنشِدنيها

فأنشد حماد :

بكر العاذلون في وضح الصبح (م) يقولون لي : ألا تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنةَ عبدِ الله (م) والقلبُ عندكم موثوق
لستُ أدرى إذ أكثروا العَذْلَ فيها
أعدوٌ يلومني أم صديق
زانها حُسنها وفَرعٌ[2] عميم وأثيثٌ[3] صَلْتُ الجبين أنيق
وثَنايا مُفَلَّجاتٌ عِذابٌ لا قِصارٌ تُرى ولا هنّ رُوق[4]
ودعوا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنةٌ في يمينها إبريق
قدّمتْه على عُقارٍ كعين الديك (م) صَفّى سُلافَها الرّاووق[5]
مُزّةٌ قبل مزجها فإذا ما مُزِجت لذّ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقاقيع كالدُّرّ (م) صِغارٌ يُثيرها التصفيق[6]
ثمّ كان المِزاجُ ماءَ سحابٍ لا صَرًى[7] آجنٌ ولا مطروق

فاستخف الطرب هشاماً ! فصاح بإحدى الجاريتين : اسقيه فسقته شَرْبة ذهبت بثلث عقله !

---

(١) واسعة (٢) وسطه (٣) بساط

(١) الصبوح : شرب الغداة ، والغبوق شرب العشى ، والقيل شرب نصف النهار ، والجاشرية حين يطلع الفجر (أدب الكاتب)

(٢) شعر تام (٣) الأثيث : الملتف . وجبين صلت : أملس براق مع الاستواء (٤) طوال (٥) المصفاة (٦) للزبد (٧) المتغير

الإنسان كما يجب أن يكون في هذه الحياة . ولو لم يكن لك غير هذا الأثر في نفوسنا معشر أصحابك لكفى أثراً لا تزول ذكراه.

أما عن الأثر الأدبي الذي تركته للنتك فأغنيتها بأسلوبك الحي وبيانك الرفيع فإنه باق ما بقيت العربية . وأما عن الحياة التي حييتها نموذجاً لأصحابك فإنها باقية ما بقي أصحابك . فارقد في ظلال الأبدية تحت أشجار الأرز الخالد التي كنت تتمنى أن ترقد تحتها أيها الصديق الكريم . ولتنزل على روحك السكينة فإن أصدقاءك الذين تركتهم يكونون فقدانك سوف يؤدون دينهم نحوك وسيقومون بالعمل في الميدان الذي كنت تعمل فيه لتحرير هذا الشرق النائم

اسماعيل أحمد أدهم

ثم قال هشام : أعدْ يا حماد ؛ فأعاد الأبيات . فازدهاه السرور حتى نزل عن فراشه ! وصاح بالجارية الأخرى : اسقيه !

فسقته شربة طاحت بثلث عقله الباقى ! فقال فى نفسه : إن سقتنى الثالثة حقت علىّ الفضيحة !.

ثم التفت إليه هشام قائلاً : سل حاجتك يا حماد . فأجاب : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم .

وهنا نحبُّ أن نقول : إنه كان من عادة الخلفاء والملوك إذا استطاع النديم الظريف أو المسامر البارع أن يحرّك فيهم ساكن الطرب ، ويهزّ كامن الأريحية، أن يعلنوا رضاهم عنه بالاقتراح عليه أن يسأل ما يشاء ، وهى على كل حال فلتات نادرة يسوقها الحظ لمن أراد الله أن يرزقهم من حيث لا يحتسبون !

ولهذه التمنيات آداب معروفة ُبعدٌ تجاوزها سفها وحماقة وسوء أدب تلحق أصحابها بالسوقة والأغفال ، فلا يصح لمن واتته هذه الفرصة الغالية أن يتمنى على الخليفة ما يحرج به أو يندم عليه أو يقدح فى مروءته ، فإن ذلك جرأة قد يكون من ورائها ردى النفوس واستئصال النعم ولو بعد حين !.

فمن أمثلة ذلك ما حدّثوا به : من أن الهادى[1] كان عنده يوماً ابن جامع وإبراهيم الموصلى ومعاذ بن الطيب ، فقال : مَن أطربنى منكم اليوم فله حُكمه ! فغنّاه ابن جامع غناء لم يحركه ؛ وكان الموصلى قد فهم غرضه فغناه فى هذا الشعر :

سُلَيمى أجمعتْ بَيْنا   فأين تقولها[2] أيْنا

فطرب الهادى حتى قام عن مجلسه ! ورفع صوته : أعد بالله وبحياتى . فأعاد . فقال الهادى : أنت صاحبى فاحتكم ! فقال الموصلى : حائط (بستان) عبد الملك بن مروان ، وعينه الخرارة بالمدينة ! فغضب الهادى حتى اتقدت عيناه ! وقال : ياابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنك أطربتنى وأنى حكمتك فأقطعتك ! أما والله لولا بادرة جهلك التى غلبت على صحيح عقلك وفكرك ، لضربت الذى فيه عيناك ! وعبرت فترة قال فيها الموصلى : لقد رأيت ملك الموت قائماً بينى وبينه ينتظر أمره !

ولما سكت عنه الغضب دعا بالقيم على خزائن الأموال ، فقال : خذ بيد هذا الجاهل ودعه يأخذ ما يشاء ! فلما بلغ بيت المال قال له القيم : كم تأخذ ؟ قال : مئة بدرة[3] ! قال : حتى أؤامره . قال : تسعين . قال : حتى أؤامره . قال : ثمانين . قل : لا . فعرف إبراهيم غرضه . فقال : آخذ سبعين ، ولك ثلاثون ! قال : شأنك[1] . قال الموصلى : فانصرفت بسبعمائة ألف درهم وانصرف ملك الموت عن الدار !

ومن ذلك أيضاً : أن دحمان[2] المغنى غنى الرشيد يوماً :

إذا نحن أدْلجنا وأنت أمامنا   كفى لطايانا بريّاكِ هاديا
ذكرتك بالدَّيرين يوماً فأشرفت   بنات الحشا حتى بلغن التراقيا
إذا ما طواك الدهر يا أمَّ مالك   فشأن المنايا القاضيات وشانيا

فطرب الرشيد طرباً شديداً واستعاده مرات ! ثم قال له : تمنَّ علىّ . فقال : الهنىء والمرىء ، وهما ضيعتان تُغِلان أربعين ألف دينار فى السنة . ولم تكن للرشيد شراسة الهادى[3] وشكاسة خلقه وضيق صدره ، فأمر له بهما على كره منه !

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن هاتين الضيعتين من جلالها ما يجب ألا يُسمح بمثلهما ! فقال : لاسبيل إلى استرداد ما أعطيت . فاحتالوا فى شرائهما منه بمئة ألف دينار ! فأمر الرشيد له بها . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إخراج مئة ألف دينار من بيت المال طعن . فدفعوها له منجمة خمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها

ونعود إلى حماد فنقول : لقد فتح له هشام باب التمنى على مصراعيه فهل يقع فى السفه والجهل ؟

لقد كان الرجل زنديقاً ، والزنادقة فى هذا العصر كانوا مضرب المثل فى الظرف حتى كان الرجل يتعمّل الزندقة ليوسم بهذه السمة المستملحة !

ثم هو بعد ذلك يعرف جيداً أنه لم يأت خليفة مثل هشام الأموى والمنصور العباسى فى ضبط المال وحسن القيام عليه والضن به إلا فى حقه . بل لعله لا يجهل أن هشاماً رمى بالبخل الشديد إن صدقاً وإن كذباً ، وأنه كان أبغض الأشياء إلى نفسه أن يبتدئه إنسان بمسألة ، فمن فعل ذلك فأدنى جزائه الحرمان !

أترى أيستطيع الظرف أن يعصم حماداً من الانزلاق إلى الطاعية المردية ؟

لم تخُنّا فراستنا فى الرجل ! فالحق أنه كان مهذباً وكان قنوعاً

(١) الطبرى — ج ٣ — ص ٢٩٥ — تاج ٣٦

(٢) يعني تقلها معنى وعملا

(٣) البدرة فى الأصل: جلد السخلة يوضع فيه المال ثم أطلقت على المال = تجوزاً والمستفاد من كتب اللغة أنها كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ، ورواية الجاحظ تدل على أن مقدارها زمن العباسيين عشرة آلاف درهم (تحقيق المرحوم زكى باشا)

(١) تدل هذه الحكاية على خيانة القوام على الخزائن ومقاسمتهم صلات الأدباء

(٢) مستطرف : ٢ — ١٥٢

(٣) تح : ٣٥

(٤) خزانة : ١ — ١٥٦

لقد رفع رأسه إلى الخليفة وعلى فمه ابتسامة حيية حائرة فقال: إحدى الجاريتين يا أمير المؤمنين

وكأنَّ هشاماً أُعجب بهذه القناعة التي لا تنتظر فى مثل هذه المواقف! ولعله أُعجب أكثر بهذا الذوق الرقيق الذى شاء أن يمنحه نصيباً من هذا الجمال الفريد!

فضحك وقال: هما جميعاً لك يا حماد بما لهما وما عليهما!

وأراد أن يتوّج ذلك بعطفه عليه ورضائه عنه! فهتف بالجارية الأولى: أن اسقيه! فمشت إليه الجارية بكأس دهاق، وعيناها الساجيتان تفعل بنفسه ما لا تفعل الخمر والسحر! فطار ما كان باقياً من عقله، وخر لليدين وللفم صريع الكأس والأعين النُّجل

وحُمل - وهو ما يَبِتُّ[1] سكراً - إلى دار أعدت له. فلما تنفس الصبح أفاق من غشيته الطويلة! فإذا الجاريتان عند رأسه تمسحانه وتروّحانه، فيصافح وجهه النسيم الرطب مشوباً بأنفاس الغالية والملاب!

وإذا عدة من الخدم يحمل كل واحد منهم بَدْرة وهم وقوف ينتظرون صَحْوته من خُماره!

فتقدم أكبرهم فى أدب واحتشام فقال: أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يقرأ عليك السلام! ويقول لك: خذ هذه البِدَر فأصلح بها شأنك

فبالغ حماد فى الدعاء! واستنفد الوُسْعَ فى الثناء! ثم قفل راجعاً إلى بلده بثلاث غنائم: بالأمان والجمال والمال! وقد أدركته المنية سنة خمس وخمسين ومئة، فرثاه ابن كناسة الشاعر يقول:

لو كان يُنجي من الرَّدى حذَرٌ نجّاك مما أصابك الحذرُ
يَرْحمُك الله من أخي ثقة لم يك فى صفو ودِّه كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم فيه ويدرُسُ الأثر

على الجندى

(١) لا يجزم



ضرب من الفروسية في اليابان

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يجد الباحث في فروسة اليابان وتقاليدها أفانين لذيذة تفيض بالبطولة والنبل والإباء ، تهز المرء حتى ليحسب أنها من عمل الخيال الرائع والتصوير البارع والوصف الجميل . فإذا تأملتها علمت بأن اليابانيين قوم قدسوا الشرف في مغالاة ومقتوا الذل بأنفة ، ولم يصبروا على ضيم يراد بهم أو هون يساق إليهم . وحسبك أن تعلم بأن الفروسة عندهم معناها الشرف والذود عنه والموت في سبيل بقائه طاهراً ، ودفع كل ما يشين المرء ويعيبه ؛ فلضربة بسيف في عز خير عندهم من لطمة أو شتيمة في ذل . فإذا طعن الياباني في شرفه ، فلديه أمران لا مدفع لهما : قتل من أهانه ، أو قتل نفسه

ولعل أروع مثال لذلك أمر القائد العظيم « نوجي » الذي كان له — كما يقولون — روغان الثعلب وختل الذئب ووثبة الأسد ، والذي أوتي النصر في موقعة « بور — آرثر » على الروسيين ففض حرمتهم وأوهن بأسهم وظهر عليهم ، فأدهش الغرب ورجاله ، وملك على فتيان اليابان قلوبهم ، والذي يسمونه « بصاحب الربع ساعة » لقوله : « الحرب صبر ربع ساعة »

وقصة هذا القائد طريفة غريبة فيها بطولة وشمم ، وفيها إباء وشجاعة ، فلقد استيقظت اليابان ذات يوم على تدراف الدموع وتصعيد الزفرات ، وقد وجم الناس وانتشر الأسى وأعلن الحداد لموت ابن الآلهة الميكادو « موتزو ـ هيتو » الذي دفع باليابان الحديثة إلى ذروة المجد وجعلها أمة ذات بأس وقوة، يخشاها الغرب ويفرق منها . وبينا الناس في حزنهم غارقون ، فوجئوا بنبأ آخر كان على الشباب والجنود أشد هولاً . فلقد أعلنت الصحف أن الجنرال « نوجي » منقذ اليابان من الروسيا قد قتل نفسه . . فطفق الناس يسأل بعضهم بعضاً عن سر انتحاره ، وهو ازدهار مجده وتألق سعده ، وحسبوا يومئذ أن ذلك كان حزناً على الميكادو

على أن بعضهم ما زالوا يتسقطون أسراره ويستطلعون أخباره حتى علموا بأن « نوجي » كان في ماضيات أيامه تلميذاً في مدرسة حربية ، فكلمه أستاذ له ذات يوم بما يهينه ويشينه ... وما هي إلا ساعات حتى عزم على قتل نفسه ليتقي العار وسوء المقالة ، لأن نظم المدرسة تمنع الانتقام من أساتيذها، وكان له صديق من العائلة المالكة، أخلص له وأحله من نفسه محلاً رفيعاً، فأخبره بما عزم عليه وطلب منه أن يشهد الانتحار

وللانتحار في اليابان طرائق وتقاليد . فالرجل الذي يريد قتل نفسه يطعن صدره إلى جانب القلب بخنجر حاد ، فإذا تدفق الدم تقدم منه صديق مخلص له ممن أوتوا النبل والشرف ، فيضرب عنقه أمام الذبح بين روائح البخور الشذي

وطلب « نوجي » من الأمير أن يضرب عنقه إذا طعن صدره ؛ وكان الأمير ذا شأن وسلطان فمنعه عن الانتحار . وكان مما حدثه به يومئذ : « عش لليابان يا صديقي ... فما ينبغي لك أن تقتل نفسك ووطننا بائس يعوزه الشباب . لقد أهنت وعليك أن تموت ، ولكني أقبل الإهانة ، أنا الأمير ابن الآلهة ، لنفسي وما عليك بعد ذلك . ابق يا صديقي وعش لليابان ! »

وصدع نوجي بالأمر . وتصرمت أعوام فأضحى الأمير امبراطوراً وأصبح « نوجي » أعظم قائد عرفته اليابان الفتاة ، فيشتهر بالمغامرة والبطولة ويذيع صيته ويتردد على الأفواه اسمه وتستفيض شهرته ويدحر جيوش الروسيا ويكسب المعارك ويصبح المثل الأعلى للفتيان

وظلت الإهانة عالقة بالامبراطور طوال حياته ... ولا بأس عليه منها وهو ابن الآلهة التي تغفر لمن تشاء ، وتعذب من تشاء وترضى عمن تشاء ، فلما قضى الميكادو نحبه عادت الإهانة إلى «نوجي» فلم يطق العيش ذليلاً ... فأمر أن تشعل الشموع ، وأن يحرق البخور ، وجثا تحت قدمي الإله ، وأغمد الخنجر في قلبه على مهل ، فتدفق دمه الفوار ... وتقدم صديق له فضرب عنقه ، وهو يبسم راضياً مطمئناً ؛ فقد أنقذ الشرف ، وابتعد عن العار .

ومات « نوجي » بعد أن تخطى الستين من العمر ، رضي البال مثلوج الفؤاد لأن ذلك أدعى لطيب الذكر ، وخلود الاسم

صلاح الدين المنجد

من تاريخنا القومي

عائشة والسياسة

للأستاذ سعيد الأفغاني

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

ولا يقعن في وهم أحد أن السيدة عائشة كانت تود أن يقتل عثمان ، فالصحيح أنها لم تكن تتوقع كل هذا . ولعلها كانت تقنع باعتزاله ، على رغم تصريح الكثيرين بأنها سعت في قتله . ومن هؤلاء المغيرة بن شعبة ، فإنه دخل على عائشة بعد حادثة الجمل فقالت له : « يا أبا عبد الله ، لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدي . » قال لها المغيرة : « وددت والله أن بعضها كان قتلك . » قالت : « يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ » قال : « لعلها تكون كفارة لك في سعيك على عثمان . » قالت : « أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أني أريد قتله . ولكن علم الله أني أردت أن يقاتل فقوتلت (تعرض بما وقع لها يوم الجمل) وأردت أن يرمى فرميت ، وأردت أن يعصى فعصيت ؛ ولو علم مني أني أردت قتله لقتلت . »

وهي الصادقة فيما قالت، ولعل الله أن يرضى عنها ويرضى خصومها بما ندمت وكفرت . ولئن قال سعد بن أبي وقاص وقد سئل من قتل عثمان؟ — : قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه علي » ، فما كان يريد سعد بقولته هذه إلا بيان الأثر غير المباشر لكل منهم؛ فإن من تتبع مجرى الحوادث بإمعان علم بعد الجميع عن هذه الظنة

وليس أدل على ترفع السيدة عن مثل هذه الخواطر من دعوتها على قتلة عثمان ، الدعوات البليغة الصادرة عن نفس متأثرة ملتاعة (واعلم أن في القتلة أخاها محمداً) قالت : « قتل الله مذمماً (تعني أخاها) بسعيه على عثمان ، وأهرق دم ابن بديل على ضلالته ، وساق إلى أعين بن تميم هواناً في بيته ، ورمى الأشتر بسهم من سهامه » فما منهم من أحد إلا أدركته — على رواية الطبري وابن عبد ربه — دعوة عائشة

وذكر صاحب العقد أنها لما قالت بعد مقتل عثمان: « مصصتموه موص الإناء (الموص : الغسل اللين) حتى إذا تركتموه كالثوب الرحيض (الغسيل) نقياً من الدنس ، عدوتم عليه فقتلتموه » . قال لها مروان : « هذا عملك ؛ كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت : « والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم بسواد على بياض حتى جلست في مجلسي هذا[1] » فكانوا يرون أنه كتب على لسان علي وعلى لسانها كما كتب على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً كبيراً من أسباب الفتنة

وغاية ما يؤخذ عليها عدا أقوالها السابقة الشديدة في عثمان أنها تركته (حين بلغ الحزام الطُّبْيَيْن ، وحين طمع فيه من لا يدفع عن نفسه) — كما وصف هو نفسه[2] — في أشد الحصار وأحر الظما وخلصت إلى مكة . وقد كان راسلها عثمان في أمرها وطلب نجدتها وجاءها مروان بن الحكم فقال : « يا أم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل » . فقالت : « أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعني ؛ لا والله ولا أُعيَّر ، ولا أدري : إلام يسلم أمر هؤلاء ؟ »

كان طلب مروان في محله ، وكان مقامها — لو هي أقامت — ربما نفع ورد عن عثمان ، ولكنها استسلمت رحمها الله لموجدتها ، واكتفت أن استتبعت أخاها محمداً أكبر المحرضين على عثمان فأبى

لقد وضح من كل ما تقدم أن أثرها لم يكن ضئيلاً في الحوادث التي انتهت بشهادة عثمان : هذه الفاجعة المشؤومة ، بل كان بعيداً بليغاً . وليتها وقفت عند هذا الحد فلم تؤلب الناس على علي وتنغص عليه ولايته . فإن طلحة والزبير لما آلت الخلافة إلى علي — وكانا يرجوانها كل لنفسه — وعقدا النية على المطالبة بدم عثمان وتسليم قتلته الذين انضموا إلى جند علي، وهما بما هما به؛ رأيا أن أمرهما لا يتم إلا بالسيدة عائشة فكانت فتنة ثانية أشأم على المسلمين من سابقتها

طالبت عائشة بدم عثمان واندفعت في هذه السبيل — على رغم تحذير المحذرين ، ونصح أمهات المؤمنين — اندفاع الأتي الجارف ، حتى جمعت الجموع وأحاط بها كل طامع وكل ذي ثأر من أصحاب علي وكل كاره لعلي وخلافته ، مع آخرين خرجوا معها عن عقيدة بريئة مغيرين منكراً أو مطالبين بإقامة الحدود . ثم خرجت بهذه الجماهير من الحجاز حتى وافت بها العراق . فلم يكن من محيص دون القتال ، ومؤرثوا الشر منتشرون في جماعتها وجماعة علي ، فكان ما كان مما لا نتعرض له في هذه الكلمة لأن أمره مشهور معروف . وسميت هذه الحرب حرب الجمل لأن عائشة كانت فيها في هودج على جمل ؛ وانقشعت هذه النكبة المؤلمة عن عشرة آلاف قتلوا على أقل تقدير .

---

(١) ٣ : ٨٤ (٢) زهر الآداب ١ : ٧٥

رحم الله عائشة، لقد كانت المرأة الوحيدة فى التاريخ التى قوضت مركز خليفة وحاولت نصب خليفة ، وأعلنت حرباً وقادت جموعاً ثم أرادت تحاشى القتال ؛ نخرج الأمر من يدها إلى يد غوغائها شأنها فى ذلك شأن على رضى الله عنه ، فكان ما ترتعد له فرائص كل مسلم ، كلما ذكر فتنة الجمل وما استتبعت من ويلات .

فلنطو أمر هذه الحرب ، ولنذكر أن عائشة نفسها صارت كلما ذكرتها بكت حتى تبل ثيابها ندماً وتوبة . ولننظر كيف كان معاوية الداهية الحليم يداريها ويخشى بأسها

بقى الناس ينظرون إلى السيدة عائشة وسائر أمهات المؤمنين نظرهم إلى الموئل الذى يسعهم كلما نزلت بهم نازلة . هذا إلى نظرة التقديس والإجلال التى كانت تزداد كلما امتد الزمن وبعد عهد الناس بزمن الرسول . فكانوا — زيادة على قصدهن للتعليم والاستفادة — يشكون إليهن ما يلقون من عنت الأمراء وحيف الحكام ، وكن يتوسطن لهم بما لهن من النفوذ والطاعة على جميع المسلمين : الخلفاء فمن دونهم . سألها رجل كتاباً توصى به زياداً فى العراق ، فلما قرأه زياد قضى حاجة الرجل وأكرمه ، وكان أهم ما دفعه إلى التلبية أنها نسبته فيه إلى أبى سفيان ، فجعل زياد يعرض الكتاب على كل زائر مزهواً به فرحاً . وقد حسب لها معاوية أكبر الحساب فجعل يداريها ويلاطفها ويكتب إليها يسألها مرة عن حديث ، ومرة طالباً موعظة وما به من حاجة إلى سؤال ولا طلب ، وكان جانبها أعظم ما يخشاه . أحرق قائده معاوية بن خديج جثة أخيها محمد فى مصر ؛ فبلغها فجزعت أشد الجزع ، وصارت تقنت على معاوية وعمرو بن العاص دبر كل صلاة[(١)]

ولما أراد معاوية البيعة ليزيد كان صوت أخيها عبد الرحمن أقوى صوت ارتفع بالمعارضة فجبه والى معاوية على المدينه مروان بن الحكم بقوله الصادع : « جئتم بها هرقلية كسروية كلما مات كسرى قام كسرى[(٢)] » ولما نال مروان من أخيها بالكلام لقى من السيدة ما لم يكن فى حسبانه حتى تذلل لها وخاف بأسها ثم تكفل دهاء معاوية بالباقى حتى غاب صوت الحق فى إنكار هذه البدعة التى ابتدعها معاوية فى أصول الحكم . ولم تتنح السيدة عن معالجة الشؤون العامة ، ولولا أن يوم الجمل هد منها ومن قوة نفسها لرأينا لها فى عهد معاوية صولات وجولات ومع هذا فاليك مثلاً حادثة حجر بن عدى :

كان حجر من سادات أهل العراق ذوى السطوة والمكانة ، ممن كانوا مع على وبقوا على عهده بعد مماته ، وقد تحدى سلطة الخلافة مراراً عديدة ، وعبث بالأمراء الذين يرسلهم معاوية حتى ضاق به وبرهطه ذرعاً ، فأمر بحمل حجر وأصحابه ، ثم أشهد عليهم وقتلهم ، بعد أن كثر الوسطاء فى أمره نظراً لمكانته ، ولكن ذلك لم يشف ما فى نفس معاوية من الغيظ ، وكانت عائشة أرسلت رسولاً إلى معاوية فى ذلك ، ولما وصل الرسول كان حجر قد قتل ، فقال الرسول — وهو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — لمعاوية : « أين غاب عنك حلم أبى سفيان ؟ » قال معاوية : « حين غاب عنى مثلك من حلماء قوى ، وحملنى ابن سمية (يعنى زياداً عامله) فاحتملت » وبلغ عائشة الخبر فحزنت أشد الحزن ، وليس مثلها من يسكت لمعاوية ، ولكن نكبة الجمل زعزعت عزائمها فصارت تخاف أن يجر الأمر إلى فتنة تراق فيها الدماء وهو ما لا تستطيع أن تتصوره ، وقد أشارت إلى ذلك حين قالت : « لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر . أما والله إن كان — ما علمت — لمسلماً حجاجاً معتمراً[(١)] »

ولما حج معاوية استأذن على عائشة فأذنت له ، فلما قعد قالت : «يا معاوية ، كيف أمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟» قال : داهية الامويين« بيت الأمن دخلت !» قالت : «يامعاوية ، أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه ! » قال : « لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم . »[(٢)]

وهكذا نال الخليفة العظيم ما يستحق من التأنيب فى حجرة الرسول على لسان زوجه أم المؤمنين

هذه هى المرأة فى صدر تاريخنا المجيد ولكم هو مقامها ، فلننتفع بسيرتها ولنأخذ لزماننا من كل شىء أحسنه . أما عبرة هذه الحوادث : فهى أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها فى الخلافات السياسية . وكأن الله الذى جعل النساء لتربية الرجال وتدبير البيوت أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية كلفتهم كل تلك الدماء

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٦٠

(٢) أنظر رسالة (الاجابة لزركشى) ص ١٤١ طبع دمشق والطبرى

(١) الطبرى والأغانى (٢) الطبرى والأغانى

تلك سبأ !(*)

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

هناك نحو الشرق من صنعاء عاصمة اليمن ، على بعد خمسة أيام فوق متون المطايا ؛ تمتد منطقة واسعة الأطراف ، مترامية الأكناف ، عامرة بأسرار تاريخ ، وفيرة بخبيئة ماض بعيد ، يجد فيها عالم الآثار مادة خصبة ومجالاً واسعاً فسيحاً لاختباراته وأبحاثه

في تلك البقعة الساحرة المسحورة التي فاضت عليها أنفاس الرياح الغرائب فطمرت معالمها ، وأخفت ماشخص منها ، ونسجت عليها أثواباً رقيقة شفافة من الطمى الأملس ، تلبد في ذمة التاريخ وتحت أنقاض العصور خرائب سبأ ، مدينة الملكة العظيمة بلقيس عروسة سليمان ابن داود ...

هذه بقاع منسية في جزء مهم من بلاد العرب ، لعبت أدواراً خطيرة في مجال التاريخ القديم ؛ تدل الآثار الضئيلة التي قذفتها هذه الأراضي الضنينة التي جاءت من قبيل الصدف بأن ما تحويه في أحشائها يفوق الوصف ، ويثير التاريخ !

ومعلوماتنا عن هذه البلاد السبئية ضئيلة ؛ فبالرغم من كثرة الرواد الذين اجتاحوا هذه البلاد فإن خطراتهم بين خرائبها كانت سريعة خاطفة ، فلم يعرف عنها إلا أشياء مقتضبة مشوهة لا تقوم على إسناد على ركن إليه الباحث ، وتطمئن له نفس المنقب ؛ وهذا عائد إلى طبيعة الأرض وجفوة سكانها وقساوتهم ضد الأجنبي ... وما عرفنا أحداً تغلغل في صميم هذه البقاع سوى ثلاثة من الأوربيين أتاحت لهم الظروف الوصول إلى قلب مدينة سبأ فجمعوا كتابات كثيرة جداً منقوشة على الصخر الأصم !

هؤلاء الأشخاص هم أرنود Arnaud (١٨٤٣) وهاليفي Halevy (١٨٦٠) ثم غلازر Glaser (١٨٨٨) . وبعد هؤلاء الباحثين لم يتقدم أحد من الأوربيين مطلقاً . فبقيت أرض سبأ إلى هذه الساعة محتفظة بأسرارها الرهيبة الهائلة ...

هناك في الناحية الغربية من مدينة بلقيس ؛ بنى السبئيون في أحد الأودية العظيمة سداً عظيماً ، متين البنيان ، وطيد الأركان ، مشمخر الأنف ، تتجمع فيه أمواه السيول المنحدرة من أعالي الجبال فتسقى الأرض ، وتحيي الضرع ؛ حتى غدت هذه البلاد مثلاً سائراً في خصوبة الأرض ؛ وكرم التربة !

أما أبرز المظاهر الاقتصادية التي كان يتداولها سكان هذه البلاد مع الأمم التي تناوحهم فهي تلك الأعواد العطرية الفواحة، والنباتات الكريمة التي تتفوغ بها أوديتها العميقة وشعابها المشجرة المعطرة

وبناؤهم في غاية الفخامة والجلال ؛ قصور شاهقة ، وبناء محكم ، وحيطان وسقف مموهة بالأحجار الكريمة ، مرصعة بالعاج ؛ وآنيتهم من الذهب والفضة الخالصين !...

ولكن السبئيين كانوا يعبدون الشمس(١) والقمر والوعل(٢) والعجل(٣) ؛ ولهم معابد فخمة واسعة منتشرة في كل الأنحاء ؛ ثم لما بطروا بأنعم الله عاقبهم الله بانهيار السد ، فمشى المدينة من الماء الجارف ما غشيها فجعل عاليها سافلها ، وأهلك سكانها وأباد ضرعها وزرعها فكانت مثلاً

ويعد انهيار السد حدثاً عظيماً في تاريخ الشعب العربي ؛ ذكره (القرآن الكريم) في جملة ما ذكر من القصص ؛ ومع كل هذه الحقائق التاريخية الثابتة أصلاً فإنها لم تؤثر في تفكير

(١) في القرآن حكاية عن لسان الهدهد « انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخ »

(٢) هذا الحيوان لا شك أن له أثراً عظيما في تاريخ تلك البلاد فقد جاء رسمه في بعض النقوش ؛ وصوره لا تزال محفورة في جبال حضرموت الصخرية ليوم . ويوجد بكثرة في جبال حضرموت وهو قنيص الحضارمة الوحيد !

(٣) ويجب أن نشير هنا إلى أن العجل « أبيس » معبود المصريين القدامى قد ورد ذكره في أحد النقوش الحجرية التي نشرها الأستاذ مرغليوث الانجليزى « العرب »

(*) فصل من كتاب « أسرار حياة بلاد العرب السعيدة » الذي كتبنا منه في عددي ٣٠٩ ، ٣١١ من الرسالة وقد لخصنا هذا الفصل بتصرف .

المراهقة ؛ ليعلموا : أن لو كان أمر من أمور الرجال يقوم بامرأة لقام بهذه السيدة الحصيفة التي أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والصلاح ما لم يؤته رجال كثيرون . وبقيت حرب الجمل مناراً في تاريخ المسلمين كلما نزغ بهم من الشيطان نزغ فهموا أن يخرجوا بالمرأة عما خلق لها وخلقت له ، قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة في أول تاريخنا فما بنا من حاجة إلى أن نهرق في سبيلها دماء جديدة ؛ ومن لنا مع هذا بمثل السيدة عائشة

(دمشق) سعيد الأفغاني

اليمنيين وتغير مجرى اعتقادهم فى أن يعيدوا إلى الوجود وإلى ضوء الشمس آثار ذلك الماضى اللمّاع المجسّم فى خرائب هذه المدينة ذات الجلال والإبداع ، ولم يفكروا مطلقاً فى استنطاق هذه الألواح الصخرية المنقوش عليها حرف « المسند » ليعرفوا حقيقة الماضى البعيد

أما علماء الآثار الذين مكنتهم الظروف فاخترقوا هذه الآفاق واستهدفوا لضروب من المتاعب والأخطار ، فما استطاعوا أن يقدموا لنا عن هذه البلاد إلا معلومات ضئيلة لا تشفى غلة الباحث الصادى

نعم ، إن إدوار غلازر نجح فى مهمته ، وتنكر فى شخصية مسلم واستطاع إبان وجوده بصنعاء أن يتفق مع أحد أشراف مأرب ليكون له قائداً ودليلاً إلى حيث السد

فمن صنعاء أخذ الاثنان طريقهما فى واد عميق يقع بين ذُرى بلاد نِهْم وخولان[1] ؛ ثم انحدرا إلى وادى شبوان فأخذا طريقهما إلى خرائب السد ومن هنا تابعا سيرهما فى ثلاث ساعات إلى مركز الحضارة السبئية : مدينة بلقيس !

وترامت أخبارهما بين القبائل المتعصبة المتحمّسة فعقدوا العزم على ذبحه وذبح دليله . ولكن غلازر درى بحقيقة الأمر فاحتاط لنفسه كثيراً فكان يقوم ليلاً ويختفى نهاراً ... ولما انتهى من أبحاثه وهم بالرجوع هاجمته جماعة من البدو المسلحين ولكنه نجا بأعجوبة !

وبالرغم من هذه المتاعب الكثيرة التى صادفت هذا المغامر ، وبالرغم من افتقاره للآلات العلمية المتممة لأبحاثه فقد نجح هذا العالم الأستري[2] فى طرق اختباراته فجمع ما يناهز ٨٥٠ نقشاً حِمْيرياً وبان لعلماء الآثار أن هذه المنطقة ، من أرض سبأ ، غنية بآثارها عميقة فى أسرارها !

أما الإمام يحيى فقد توعد بالعقاب الصارم كل من تحدثه نفسه ببيع هذه الحفريات للأجانب ؛ كما أنه أقفل أبواب سبأ فى وجوههم ولكن أحد[3] هؤلاء المجازفين حاول الوصول إلى مأرب من حضرموت فاكتشف أمره وقبض عليه، ودفع إلى ما وراء الحدود!

ودفعت المغامرة غيره فى وقت قريب ، فوصل هذه الأرجاء فعثر على شظايا أثرية، وتماثيل عجيبة لدى جماعات من البدو فابتاعها منهم وشحن منها صناديق ...

وكل من لاقيته فى هذه البلاد وسألته عن أسباب هذه المتاعب الجسيمة التى يلاقيها الرحالة فى أرض سبأ راح يشرح لى أسباباً كثيرة ، وأموراً غريبة !



(ش ١) رأس آدمى من نحاس

أخبرنى أحد العلماء قال : « هناك فى أرض سبأ تعيش قبائل مخيفة من البدو لا يعلمون عن العالم شيئاً ، بل يجهلون كل الجهل من حولهم ؛ يعبدون الله ولكن على صورة تخالف ما عندنا ، ويأكلون اللحم النيء ؛ وفى قبائلهم تعيش جماعات من النبلاء والأشراف يستبدّون بالضعيف ، ويسخرونه فى حرث الأرض ، والدفاع عن الحوزة ؛ لهذا ترى من الحكمة ، وسداد الرأى ، أن الإمام مصيب فى منعه الأجانب من دخول هذه الأقاليم الرهيبة التى لا تعرف من سلطة الإمام إلا القليل ... »

وتشرفت بالمثول بين يدى الإمام ، وبما أنه معروف عن جلالته الطبع السمح . والخلق اللين ؛ فقد بادهته بهذا السؤال :

---

(١) من قبائل اليمن

(٢) نسبة إلى أوستريا فى قلب أوربا

(٣) هو السائح الجرمى هانس فون هلفرتس وقد أصدر مؤلفين عن حضرموت باللغة الألمانية

— هل يأذن لى صاحب الجلالة فى زيارة بلاد سبأ ؟

ولشد ما كانت دهشتى عظيمة عند ما رأيت ابن حميد الدين يستوى فى جسته ثم يصيح بى قائلاً :

— سبأ ؟ أرى أن مشاهدتك واستكشافك هنا خير وأولى ! أمكث فى صنعاء إلى ما تشاء ! وإذا لم يعجبك هذا فدونك ما حوالينا من القرى الجميلة ، والأودية النضرة ، فانهب من الجمال ما شئت واملأ ناظريك من محاسن الطبيعة اليمنية !

— ولكن يا مولاى ، أريد سبأ ، فهل تتركنى أذهب إليها ؟

— لا ! إن سبأ بعيدة المنال ، صعبة الوصول ، فأنا لم أرها منذ سنين ، وزيادة على ذلك فما هناك طريق واضح ؛ فهل من المعقول أن أتركك تذهب حيث لا طريق معبد ؟ أنا أريد أن أراها ولكن لا سبيل إلى الوصول إليها ... هناك حتى يومنا هذا لا يزال جزء عظيم من بقايا السد قائماً فى شكل يثير الإعجاب ! تصور جيداً أنه شيد كله من الصخر الأصم ؛ وهذه الصخور تتألف من ثلاثة ألوان : خضراء وحمراء وشهلاء ... وعلى مقربة من السد تقوم نقرة عظيمة حفرت جداول توزع منها المياه إلى الحقول والبساتين التى جمع منها السبئيون كل غنائم وجاههم !

— والمدينة يا مولاى ؟

— حطمها السدّ وغزتها المياه من كل جانب فغمرتها رواسب كثيرة شفافة ، وما زالت أطرافها شاخصة فى عظمة واستكبار ... فهناك على مساحة عظيمة تطفو على وجه الأرض أعمدة وأحجار ؛ وأجل هذه الآثار شخوصاً « عرش بلقيس » ذلك المعبد العظيم الذى شيده سليمان للملكة سبأ ... واليوم عزمت على تعبيد الطريق من صنعاء إلى مأرب فتخترقها السيارات بسهولة!

* * *

إن الآثار المدهشة التى تكشفت عنها بلاد العرب الجنوبية تراها اليوم موزعة بين متاحف أوربا ؛ وليس لها أثر كبير فى بلاد اليمن اللهم إلا أشياء ضئيلة فى متحف صنعاء مجموعة فى نظام يستدر الشفقة ، ويبعث الحسرة !

ففى متحف ترمى Terme بروما يمكنك أن تتمتع بمشاهدة آثار سبأ وحمير وسائر ممالك اليمن القديمة ...

فهناك نقوش كثيرة وقطع من الفن الهندسى الرائع ، وتماثيل ضخمة منحوتة من الصخر جمعها الدكتور أنسالدى[1] أثناء رحلته إلى بلاد اليمن أخيراً واستطاع أن يأخذها إلى إيطاليا بموافقة الإمام !

أما المتحف الذى أنشأه الإمام يحيى فى العاصمة اليمنية فهو عبارة عن (غرفة !) من قصر خصص لنزول البعثات الأجنبية تتكدس فى هذه الغرفة آثار اليمن القديمة !



(ش ٢) تمثال بطل عارى الجسم

ولما كانت هذه الغرفة محرومة من المساند والمناضد فقد طرحت أرضاً هذه النقوش والقطع الأثرية ؛ وبعضها مرصوص على جوانب الجدران ؛ والجزء الأعظم من الآثار الصغيرة محشوّ فى أجواف صناديق النفط ...

(١) هو الدكتور قيصر أنسالدى ساح فى اليمن قبل السنيور آبونق وله كتاب (اليمن : فى الخرافة والتاريخ) باللغة الايطالية . وقد أخذنا منه الصورتين المنشورتين فى هذا العدد .

والزائر الذى يأتى لمشاهدة هذه الآثار لا يسمح له بدخول هذه الغرفة بل يقوم الحارس بعرض بضاعته من الداخل فيطرحها على أرض الشباك بحيث يتمكن الزائر من المشاهدة والملاحظة وهو فى الخارج ؛ وفى أغلب الأحيان تَمْلُص من يدى الحارس بعض التماثيل فتهوى إلى الأرض محطّمة ؛ وفى جلافة وعدم مبالاة ، يركلها برجليه إلى إحدى الزوايا !

إن الله وحده الذى يعرف كم تحوى هذه البقاع اليمنية من الآثار والتماثيل ذات الجلال والسموّ . وما ذلك الفن السامى الذى ازدهر فى هذه الربوع المتمثل فى هذه الخرائب الأبدية وفى هذه التماثيل العديدة للنساء والرجال المفرغة فى المرمر الحرّ والرخام المجزع ، إلا صورة حية ناطقة لذلك الفن الرفيع العريق فى هذه البلاد منذ أقدم العصور! يدلنا على هذا كله وجود تماثيل فى متحف صنعاء بلغا حد الاتقان والإبداع .

أولها (ش ١) يمثل رأساً[1] من البرنز لشاب أو شابة من أبناء تلك البلاد على وضع فنى جميل يشبه إلى حد ما أحسن التماثيل الإغريقية القديمة ، وقد وجد فى غيمان[1]

والثانى (ش ٢) تمثال عظيم مصوغ من البرنز وجد فى خرائب النخلة[2] الحمراء يمثل بطلاً عارياً منسجم الأعضاء جليل الصورة . ومما يدعو للأسف أن العمال الأغرار أثناء الحفر تناولوه بالتهشيم فذهب شىء كثير من روعته ، ولكن الآن لحسن الحظ أعيدت صورته الأولى ، وأجبرت كسراته وصقلت حواشيه ، واستقام على قدميه بقوة أسلاك معدنية

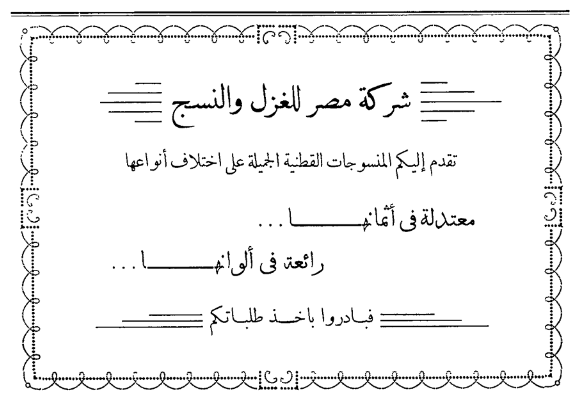
والحق أن مثل هذه الآثار كثيرة الوجود تحت الأنقاض وفى بطن الأرض ولكنها تتطلب مجهوداً عظيماً يكلف كثيراً فى بلد يقوم على هذا الوضع من الحياة والعزلة

(القاهرة) محمد عبد الله العمودى

(١) هذا التمثال موجود اليوم بمتحف لندن ، أهداه الامام لملك الانجليز بمناسبة تتويجه

(١) مدينة أثرية على بعد خمس ساعات إلى الجنوب الشرقى من صنعاء

(٢) بلدة تقع على مقربة من غيمان



كتاب الأغاني

بقلم أبي الفرج الأسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

وأطلس عسال وما كان صاحباً رأى ضوء ناري موهناً فأتاني
فقلت ادن دوني أيها الذئب إنني وإياك في زادي لمشتركان

البيتان من قصيدة للفرزدق ، والفرزدق ليس من الشعراء المعاصرين بالطبع ؛ ولكن اللحنين اللذين صنعا فيهما عصريان . أما أحدهما فللأستاذ أحمد أمين على نغمة مصرية هادئة ، وأما الآخر فللدكتور زكي مبارك على نغمة باريسية ثائرة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أو لم أقل لكم إن أفضل تقسيم للأدب أن يكون على أساس من اختلاف الثقافات ؟ فالأستاذ أحمد أمين مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الإنكليزية . والدكتور زكي مبارك مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الفرنسية؛ ومن ثم كان الفارق بينهما ؛ فهذا هادئ رصين والآخر ثائر صاخب

قال الأستاذ الشايب : وسأحدثكم عن مثل يبين اختلاف الثقافتين : قيل إنه قد طلب إلى ثلاثة من الأدباء أحدهم إنكليزي والثاني فرنسي والثالث ألماني أن يكتبوا شيئاً عن الجمل، أما الفرنسي فذهب إلى حديقة الحيوانات وكتب في ورقة ما معناه :

« يا لله! ما أعجب وما أغرب! خف لين، وصبر بين، ووسادة تحت الصدر، وسنام فوق الظهر ! يا لله ! »

وعدداً آخر من النثر المشعور أو الشعر المنثور، ثم عاد أدراجه ودفع بما كتبه ارتجالاً إلى من ألقى عليه السؤال .

وأما الإنكليزي فارتحل إلى بلاد العرب ، وأقام فيها سنين اشترى في خلالها جمالاً ونوقاً وراقبها من يوم مولدها إلى يوم موتها وأحصى مقدار ما تأكل كل يوم ، ومقدار ما يؤخذ من لبنها ، ومن وبرها ، وعدد ما تنتج . فلما انقضت الأعوام عاد فوضع كتاباً عن تاريخ الجمل .

قال الأستاذ الشايب : ولا علينا الآن أن نقول شيئاً عما فعل الألماني ، ولكنني أكتفي بهذا القدر من المثل لأن الأستاذ أحمد أمين مثقف ثقافة إنكليزية فهو يؤرخ الأدب العربي على طريقة تربية الجمال وملاحظتها وتدوين الملاحظات . والدكتور زكي مبارك يتناول الأدب العربي على طريقة « يا لله ما أعجب وما أغرب ! »

قال أبو الفرج الاسكندراني هـذا ما يقوله الأستاذ الشايب ولولا أن الشايب مثقف بالثقافة الإنكليزية دون الفرنسية ، لولا ذلك لعددناه شاهد عدل في خصومة بين هذين الأديبين الكبيرين . ولكن لا شهادة لمن له ضلع مع أحد الخصمين

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال : لقد صنعت لحناً لهذه الأبيات الرائعة من شعر الفرزدق وإن كنت أعلم موضع الضعف فيها فهي بعض الشعر الإسلامي الذي جنى عليه أدب الجاهلية

قال امرؤ القيس الجاهلي :

ووادٍ كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

فكان في وصفه هذا اللقاء للذئب معرباً عن إحساس صادق وماذا قال امرؤ القيس ؟

لقد وازن بين شروده في القفار وبؤسه وهو مطرود حائر محروم ، وبين الذئب في مثل هذه الحالات فسوى عواءه

وكثر الدخيل على اللغة بإسلام من أسلم من أهل اللغات الأخرى فكان للشعر الجاهلي أثر غير أثره الطبيعي : ذلك أنه عماد هذه اللغة التي أصبحت عماداً للدين الجديد فوقف شعراء الإسلام أمام أسلافهم من شعراء الجاهليين موقف العابد من المعبود لاقتران حاجتهم إليه بحاجتهم إلى المحافظة على اللغة واقتران محافظتهم على اللغة بحاجتهم إلى المحافظة على الدين، فمن أجل ذلك وضع الفرزدق قصيدة يصف فيها لقاء الذيب ووضع الشريف الرضي والبحتري قصيدتين في نفس الغرض ولكن وصف الثلاثة الإسلاميين للقاء الذيب كان وصفاً غير طبيعي لأن همهم الأول كان أن يفعلوا كما فعل شاعر جاهلي يقدسونه

قال الفرزدق إنه قابل الذئب ولكن بماذا أحس ؟ بماذا شعر ؟

يقول إنه أحس بأنه يريد أن يعطيه زاده فهل كذلك يشعر الناس عند لقاء الذئاب

فلما دنا قلت ادن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه   على ضوء نار مرة ودخان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني   نكن مثل من ياذئب يصطحبان

على أن مجال التفكير كان حول الطعام ، كان فى شأن العشاء والشاعر لم يتجه هذه الوجهة إلا لأنه مداح أكثر شعره فى مدح الملوك لنيل الجوائز ، أفلا يحق لى أن أصف هذا الأدب بأنه أدب معدة وبأن الشعر الجاهلى قد جنى عليه ؟

قال الأستاذ أحمد أمين بك : والبحترى مادح آخر يتناول الهبات مكافأة على المدح وقد وصف الذئب وإن لم يلقه متأثراً بامرئ القيس فماذا قال وإلى أية ناحية كان اتجاهه ؟ إنه اتجه أيضاً وجهة غير طبيعية فى الإعراب عن إحساس من يقابل الذئب فقد قال :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته   فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إلى أن قال :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته

فهل عرفت الآن ماذا فعل بالذئب لقد أكله الشاعر البحترى بعد أن شواه على الحصى !

أو ليس هذا أدب معدة ؟ أو ليس هذا مما جنى عليه الشعر الجاهلى ؟ على أننى أترك التحدث عن وصف الشريف الرضى للقاء الذئب إجلالاً للشريف

لكن فى بيتى الفرزدق مع ذلك روعة وجلالاً وقد صنعت فيهما لحناً هادئاً يضرب بالشوكة والسكين الفضيتين على طبق من أطباق الذهب قبيل الطعام

حدثنا الأستاذ عبد العزيز البشرى قال وقد سمع هذا الحديث: أما إنه للحن عذب يفتح الشهية لكن على ألا يكون الطعام من لحم الذئب الذى شواه البحترى

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال فى صخب وصحة : لقد والله ظلموا البحترى وظلموا شعراء الإسلام . أو لم يقرأوا بقية القصيدة؟ قال البحترى :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته   فلم يبق إلا اللحم والعظم والجلد

فماذا أكل البحترى وقد استبقى اللحم والعظم والجلد ؟ إنه لم يأكل إلا الرأس والأكارع ، وهل فى أكل الرأس والأكارع ما يستحق اتهام البحترى بأنه من أدباء المعدة ؟ هذا والله هو الإجحاف والجحود لمآثر الأسلاف ! ولماذا يكون الفرزدق محاكياً لامرئ القيس فى وصف الذئب ؟

إنه إنما قال ما قال فى وصف ذلك اللقاء معرباً عن شعور أصيل فى نفسه هو شعور الكرم والنخوة فهو يطعم حتى الذئاب . وهو يعنى ذئاب الإنسانية ؛ فالأمر لا يعدو المجاز

حدثنا الدكتور بشر فارس قال : هذه الأبيات من الشعر الرمزى ولا شأن للذئب فيها سوى أحرف اسمه

وحدثنا الأستاذ عبد العزيز البشرى قال : وأى كرم ونخوة فى إطعام ذئب سواء أكان ذئباً حقاً أم كان مكنياً به عن الإنسان ؟ إنه ليس فى مصر كلها رجل واحد لا يطعم الذئاب دون أن يجد فى ذلك مجالاً للفخر ، ففى كل مكان فيه ذئب يخرج مصرى معمم أو مطربش فيقول :

... أيها الذئب إننى   وإياك فى زادى لمشتركان
تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى   ....

ألا إنه لا كرم ولا نخوة فى أمر شائع بين الجميع ، وإنما الكرم والنخوة أن تفعل ما لا يفعله خاصة الخاصة من الناس

أخبار الفرزدق وشعره

حدثنا الأستاذ على الجارم بك قال : كان الفرزدق مفتشاً أول للغة العربية فى حكومة بنى مروان وكان من أصحاب العزة الجاهلية ففيه عجرفة يغتفرها له ما أفادته اللغة العربية من ثروة فى شعره . وليس وصفه للذئب محاكاة لأبيات امرئ القيس ولا الذئب الذى وصفه من ذئاب الصحراء وأنشد :

صوت

وأنا الفرزدق غير أنى   لا أسف إلى الهجاء
يا جارة الوادى   عففت فصنت أعراض النساء
لا كالفرزدق إنه   قد كان مفقود الحياء

الشعر للأستاذ على بك الجارم وقد اشترك فى تلحينه كل مدرسى اللغة العربية بوزارة المعارف .

« يتبع »   **عبد اللطيف النشار**

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولنعد إلى حديث بلنت مع عرابى ، ولما كان هذا الحديث يكشف لنا عن نواح كثيرة من تلك الشخصية التى نعنى بدراستها نرى الخير فى أن نورده على تمامه كما جاء فى مذكرات مستر بلنت قال : « وقد نفذ كثير من تلك الاصلاحات بعد أن عزى للموظفين البريطانيين فى عهد الاحتلال ، وادعى لورد كرومر أنه مبتكر كثيراً منها . فمن ذلك إلغاء السخرة التى كان يضربها الباشوات الترك على الفلاحين ، واحتكار بيع الماء فى مدة الفيضان ، وحماية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين أنشبوا فيهم الأظفار بسبب فقدان العدل فى المحاكم المختلطة . ومن هذه الاصلاحات أيضاً إنشاء بنك زراعى تشرف عليه الحكومة ، وهذا هو البنك الذى باهى به كثيراً المرحوم اللورد كرومر ...

كذلك تناقشنا فى الاصلاحات القضائية ، وكانت دوائر القضاء يعمها الفساد ؛ وكذلك تكلمنا فى نظم تربية الذكور والإناث ، وفى طريقة الانتخاب للبرلمان الجديد ومسألة الرقيق ، وقد أطال عرابى الكلام فى هذه المسألة الأخيرة ، وكان الموظفون الأجانب فى مصلحة الرقيق قد خشوا أن يتناول الاقتصاد فى المرتبات مراكزهم ، ومن ثم كانوا يزعمون أن إحياء الإسلام معناه إحياء الاسترقاق . وقد أظهر لى عرابى ضعف هذا الزعم وما فيه من الافتراء ، وبين لى أنه ليس فى مصر من يود أن يكون له عبيد غير أمراء البيت الخديو والباشوات الأتراك الذين تعودوا استعباد الفلاحين ، وأن الاصلاحات الجديدة سوف توطد المساواة بين الناس مهما اختلفوا فى الجنس واللون والدين ، وليس مع هذا الإصلاح محل للاسترقاق . أما فيما يختص بضرورة الاستعداد لحرب محتملة — ذلك الاستعداد الذى يجب أن يشغل ذهن وزير الحرب فقد تكلم عنه بصراحة وقوة فقال إن الحكومة الوطنية لا تنزع سلاحها ولا تخفضه حتى يوطد الحكم الدستورى وتعترف أوربا به . وكان يرجو ألا يتجاوز مربوط وزارة الحرب الذى اتفق عليه مع كلفن وإلا يضطر إلى زيادة عدد رجال الجيش على ثمانية عشر ألفاً . أما إذا استمر التهديد بالتدخل فلا مناص له من اتباع الطريقة البروسية أى التجنيد العام لمدة قصيرة ليتمكن من إنشاء احتياطى كبير ، وقد سأل عن رأيى فى احتمال وقوع الحرب فقلت له صراحة إنى بما علمته من اجتهاد كلفن فى إحداث التدخل وبما أراه من الهياج الذى بثه فى الصحف أعتبر أن الخطر حقيق . وإنى ذاهب إلى انجلترة لا لشيء إلا لأضع حداً لحملة الكذب التى ثارت فى الصحف ، وستكون مهمتى هناك نشر الدعوة للسلام وحسن النية ، وفى الوقت نفسه لم أستطع أن أنصح له إلا بالثبات والحزم فى موقفه وبأن أفضل وسيلة لضمان السلم إنما هى الاستعداد للدفاع . وقلت إن شر أعداء مصر ليس الحكومات الأوربية بل الماليين الأوربيين وإن هؤلاء لا بد أن يفكروا طويلاً قبل أن يعرضوا مصالحهم للخطر بالحض على إثارة حرب طويلة ذات نفقات طائلة ، وقل أن يسيء أحد إلى أمة مسلحة مستعدة للدفاع عن حقوقها . وأذكر أنى اقتبست من شعر لورد بيرون قوله : (لا تأمن الفرنج على الحرية) فوافق عرابى

على ذلك ، وكانت هذه فيما أظن آخر كلماتنا ، وقد وعدته أن أعود وأنضم إلى الوطنيين إذا شاء القضاء ووقع السوء »

وهذا الكلام من جانب ذلك الفلاح الذى تمخضت عنه مصر فى تلك السنين السود فى غنى عن كل تعليق . وما ندرى ماذا يرى فيه أولئك الذين أرادوا ألا يجعلوا لذلك الرجل مكاناً بين أبطال قومهم ، بل أولئك الذين يسلكونه فى المجرمين الخائنين لوطنهم فيرتكبون بذلك من ضروب الإجرام ما لن يزال عالقاً بأعناقهم حتى يروا الحق فيصدعوا به وهم راضون ؟

ماذا يرى فى هذا الحديث أولئك الذين تنفر أسماعهم من اسم عرابى ، وأولئك الذين يضحكون من جهله ويسخرون من تطاوله ؟ على أننا لا نعبأ بما يقولون وما يهزأون فإنا لنستشف من هذا الحديث وطنية رجل ونلمس فيه عزيمة رجل على خير ما تكون الوطنية وأحسن ما تكون العزيمة . ولئن كان لرجل من ذوى الجاه والثراء أن يفخر بصنيع أداه إلى بنى قومه ، فأجدر منه بالفخر كل الفخر رجل درج من عش الفاقة وبرز من عامة الناس ففعل ما لم يفعله غيره من أكابر الناس ! وإن هذا الرجل الذى يستشرف القلم فى غبطة ونخر إلى تاريخه ليقدم لنا بما فعل الدليل الناصع والبرهان القاطع على أن تربة هذا الوادى الذى أنبتت بالأمس الفراعين لا تزال تنبت أولى العزم والبأس من الرجال ؛ وأن بين هؤلاء الذين يجيلون الفؤوس فى غيطانها ويعملون صامتين صابرين فى الهجير والزمهرير رجالاهم كالدر المخبوء لو أزيح عنه ما يطمره من تراب لتلألأ وسطع وسحر بريقه المتوهج القلوب والأبصار .

* * *

مضت الوزارة فى سبيلها غير عابئة بصراخ أعدائها لا تتخاذل من دون غايتها ولا تستبعد الشقة، وذلك على الرغم من أنها كانت لا تجاوز عقبة إلا قام فى سبيلها عقبات

ولقد قبع الخديو فى زوايا العزلة ، وجعل الغادرون الخوانون بينه وبين وزرائه حجاباً من الأباطيل التى أحكموا نسجها . والواقع أن الخديو لم يكن على شىء مما كان يجب أن يتصف به من يضطلع بأعباء الحكم فى مثل هاتيك الظروف ، فلقد كان مستطار القلب حائر اللب مما يجرى حوله ، فهو لا يسيغ الحركة الوطنية ولا يستطيع أن يصالح عليها طبعه ؛ وهو مستريب فى نيات الحكومة العثمانية نحوه ونحو عرشه ؛ وهو فزع مما يشاع من دسائس الأمير عبد الحليم ، بل ودسائس أبيه ومساعيه فى مصر والآستانة على يد أعوانه ؛ ثم هو فضلاً عن هذا كله قد بات تحت سيطرة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز منهم فما يقطع أمراً حتى يوافقون عليه بل لا يخطو خطوة حتى يرى رأيهم فيها

ومن كان هذا شأنه فى موقف كهذا الموقف الدقيق الذى كانت تقفه مصر من أعدائها يومئذ كان مثل الراعى أحاطت الضوارى بقطيعه فما يرجو أكثر من أن ينجو هو بنفسه ولو هلك القطيع جميعاً .

وكانت الدولتان كما سلف القول تراوغ كلتاهما الأخرى ، وتنافلها بغية الظفر بالعريسة وحدها ؛ وهذه هى حقيقة السياسة الخارجية التى لا تفهم على وجهها الحق دون الانتباه إليها ، وإن كان كرومر ينفى هذا فى كتابه نفياً قاطعاً قائلاً إنه كان ذا صلة وثيقة برجال ذلك العهد جميعاً . ولو أن هذا كان موقف انجلترة ما منعه شىء عن الاعتراف به .

ولكن نفى كرومر هذا لا يغير الحقائق. وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد ما كتبه ريناخ أحد أصدقاء غمبتا عن سياسة الدولتين قال : « إن الرأى العام فى انجلترة قد وقع تحت تأثير بعض رجال حزب الشورى الذين اعتقدوا أن خير ما يعمل هو استعجال الحوادث جهد الطاقة أملاً فى إيجاد فرصة لدخول وادى النيل دون فرنسا »

حسبنا تلك العبارة التى حاول كرومر أن يفندها بما ذكرنا من نفى فلم يستطع أن يأتى بدليل أو شبه دليل على صحة رأيه فلن يكون النفى المجرد مما ينهض دليلاً يؤخذ به فى أمر من الأمور

وكان غمبتا من أشد أعداء مصر بل من أشد أعداء الإسلام قاطبة ، وكان هذا الرجل يهودياً على صلة برجال المال من الدائنين؛ وكان يحيط به فى باريس ريفرز ولسن ونوبار يوحيان إليه بما يريان؛ وكان بطبعه ممن يميلون إلى اللجوء إلى القوة فى كل ما يتعلق بالشرق والشرقيين

وكان هذا الوزير يحاول أن يدفع انجلترة لتأخذ بسياسته ولكن جرانفيل راح يراوغه مظهراً له أن خيرهما فى أن يتفقا، وفى الوقت نفسه كان يحذره عاقبة التدخل المسلح فى شؤون مصر سواء أكان ذلك من جانب إحدى الدولتين أم من جانبيهما

معاً لأن ذلك العمل كان من شأنه أن يجر فى أعقابه كثيراً من المشاكل

ولقد رأينا مبلغ تشدده فى وجوب إرسال المذكرة المشتركة المشؤومة ، ثم إصراره بعد ذلك على عدم تخفيف وقعها بأى وجه من الوجوه . ولقد كانت كل من الدولتين تحرص على ألا تنفرد فتنكشف ، لذلك كانت تجارى إحداها الأخرى وإنها لمستكرهة أشد الاستكراه وأقبحه ... وكانت انجلترة تأخذ نفسها بالصبر حتى تحين الفرصة فتقتنصها

على أن غمبتا لم يلبث فى الحكم طويلاً فسقطت وزارته فى أول فبراير عام ١٨٨٢ أى قبل تأليف وزارة البارودى بخمسة أيام وحل محله فى الوزارة دى فريسنيه . وكان هذا من أول الأمر يرى فى المسألة المصرية ما لا يتفق وسياسة غمبتا

ولكن الأمور كانت قد تحرجت فى مصر بما فعل غمبتا ، وفقدت العناصر الوطنية فى البلاد كما أشرنا كل ثقة فى الدولتين جميعاً حتى أصبح من أصعب الأمور التفاهم فى السياسة العامة

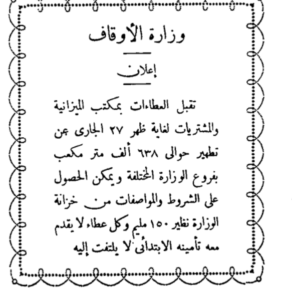
وكان الإنجليز فى مصر يعملون جهد طاقتهم لحساب دولتهم حتى إذا حانت ساعة العمل لم يكن بينهم وبين فريستهم حائل ؛ ولقد ظلوا متربصين بمصر بعد أن نجحت وزارة البارودي فى حل مسألة الميزانية ينتظرون أن تواتيهم فرصة فيعملوا على تنفيذ ما بيتوا

وأخيراً وقع فى مصر حادث ما نظن فى تاريخ الاستعمار الأوربي كله أن استغل حادث كما استغل - فى قبح ما بعده قبح - ذلك الحادث على بعد ما بينه وبين السياسة العامة للبلاد ، وذلك هو حادث المؤامرة الجركسية المشؤوم

نمى إلى عرابى وزملائه أن فريقاً من الضباط الجراكسة فى الجيش يأتمرون به وأصحابه ليقتلوهم ! فكان أن ألقت الحكومة القبض عليهم كما يقضى بذلك واجبها وساقتهم إلى المحاكمة فقضت فيهم قضاءها . وليس فى هذا الحادث فى ذاته ما يتصل بالسياسة العامة للبلاد بسبب من الأسباب . وما كانت أية وزارة تستطيع أن تسلك فيه سبيلاً غير التى سلكته وزارة البارودى ، ولكن الكائدين المفترين ما لبثوا أن ملأوا الدنيا صياحاً وتنديداً وتهديداً ووعيداً ، ونسوا كل شىء إلا تحقيق أطماعهم من وراء هذا الحادث ، فكان من أقوالهم وأفعالهم ما هو حقيق بأن يسم تاريخ أى شعب من الشعوب بميسم العار والخزى ؛ بل ما هو خليق بأن يساق بين أقوى الأدلة وأنصعها على صحة مبدأ القائلين بأن هذه المدنية المزعومة قد أفسدت بنى الإنسان فزادتهم قرباً إلى الحيوانية بقدر ما باعدت بينهم وبين ما كان يرجى للآدمية من سمو روحى ظل أمل الفلاسفة منذ أن أخذوا يحاولون التخلص من هذا الطين وينزعون بأبصارهم وأرواحهم إلى السموات

والحق لقد دل مسلك دعاة المدنية الأوربية على مبلغ ما يمكن أن يصل إليه عدر الإنسان بأخيه الإنسان فى عصرنا هذا ، وما برح مثل عملهم هذا يوحى إلى ذوى الأحلام والآمال من البشر أن الإنسان لا يزال هو الإنسان ، وأنه إذا كان ارتقى فى شىء ففى وسائل الكيد والبطش . أما غرائزه الأولى : غرائز السيطرة والأنانية وحب التملك ، لا زالت بحيث لم يطرأ عليها أى تعديل ، أو سمو على الرغم مما يتبجح به المثاليون والخياليون من حماة الإنسانية . وإنا لنجد فى بيان مدى ما وصل إليه هؤلاء الساسة من انحطاط خيراً من أن نعرض المسألة فى وضعها الطبيعى البسيط وما كان من أمرهم إزاءها مكتفين بذلك عن كل تعليق عليها ، فما كان لكلام أن يبين عما يتحرك فى الذهن ويعتلج فى أطواء النفس أو يشفى القلب مما يحس من ألم وضيق أمام مثل ذلك المدوان الشنيع .

« يتبع » الخفيف



استطلاع صحفي

جولة في مصلحة الكيمياء

معمل للأمة وللحكومة

لمندوب الرسالة

انتقلت مصلحة الكيمياء من مبناها القديم الضيق في فناء وزارة الأشغال إلى عمارتها الجديدة بشارع الملكة نازلي وبذلك فتحت أبوابها لكل ما يطلبه منها الجمهور من اختبارات كيميائية تكشف عن صلاحية المواد والمنتجات للحياة العملية ، وبهذه الخطوة يستطيع الصانع أن يختبر مواده هناك كما يستطيع أن يحصل لمنتجاته على شهادات حكومية بصلاحيتها ولن يكلفه ذلك المال الكثير فان المصلحة تشجع على ذلك ولا تأخذ عنه إلا أجراً زهيداً؛ ولذلك رأينا بعد استئذان مراقبها الدكتور أحمد زكي بك أن تقدم لقراء الرسالة صورة مما يحدث في ذلك المعهد وإن تكن صورة مقتضبة لأن عمل المصلحة متشعب والصفحات محدودة

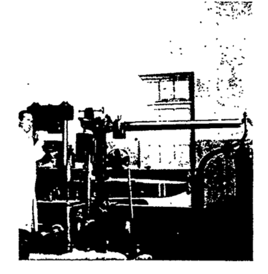
مهارة الصانع

قال الدكتور محمد سعيد سليم رئيس قسم تحليل مواد البناء في مصلحة الكيمياء :

« نقوم بتجاربنا هنا على مواد رخيصة القيمة ولكنها خطيرة المسئولية . فقد يكون ثمن مواد الأسمنت أو الجبس أو المصيص زهيداً ، ولكن الخطأ في تقدير قوة مقاومتها يؤدي إلى ضياع كثير من الأنفس والأموال . فتصور عمارة تشيد بالأسمنت المسلح لم يراع في خلط مواده النسب القانونية أو زادت على المخلوط كميات الماء حتى ذاب الأسمنت وسال وبقي الرمل وحده ليسند البناء . فلما تمت العمارة أتى الناس من كل جهات القاهرة ليجدوا فيها السكن الموافق ؛ فلما نقلوا أثاثهم ونظموا غرفهم ثقل وزنهم على قوة مقاومة تماسك الرمل وقليل الأسمنت فسقطت السقوف وقتلت البنين والبنات، وترملت الأزواج والزوجات»

ثم وضع الدكتور قالباً مصنوعاً من الأسمنت المسلح بين فكي آلة ليختبر قوة الشد الذي تتحمله البوصة المكعبة منه؛ ثم فتح صنبوراً تساقطت منه كرات من الرصاص في وعاء يقع ضغطه على ذراع يجذب أحد أطراف قالب الأسمنت إلى أعلى بينما الطرف الأسفل ثابت . وبعد برهة انكسر قالب الأسمنت وفي الوقت نفسه هبط ثقل الرصاص على يد معدنية وقفت تساقط كرات الرصاص في الوعاء . فلما وزن الوعاء ومحتوياته قال : « البوصة المكعبة من هذا المخلوط تتحمل شداً قدره ٦٢٠ رطلاً »

وأثبت في جدول أمامه رقم القالب وقوة مقاومته فلاحظت أنه القالب السادس فأوضح ذلك قائلاً : إننا نتبع في اختباراتنا عدة تجارب من نفس النوع وعلى نفس المادة ثم نأخذ متوسط النتائج ، فلا يخفى عليك ما ليد الصانع من تأثير على متانة البناء . بل يمكنك أن تلاحظ اختلاف الصناعة من هذه العينات الست التي قام بها عامل واحد وهي مخلوطة من مادة واحدة ، فأنت ترى أنها تختلف بين ٥٣٠ رطلاً و ٦٢٠ رطلاً . ويرجع هذا الاختلاف إلى عنايته ببعض النماذج ثم قلة هذه العناية في غيرها بسبب تعب يده أو سرعته . ولكن في البلاد التي تقوم بعملية صب العينات آلات حركاتها منتظمة تظهر النتائج للعينات المماثلة ثابتة



الدكتور محمد سعيد سليم وهو يضع إحدى قطع الرخام بين فكي آلة قياس الضغط

معمل الأمة والحكومة

ومصلحة الكيمياء في مقرها الجديد بشارع الملكة نازلي معمل أبحاث يختبر كل المواد من حيث مدى صلاحيتها للعمل ،

كما يقرر المواصفات التي يجب توفرها في تلك المواد حتى تكون متينة التركيب فتتحمل الاستعمال مدة طويلة . وكذلك يجب أن تكون رخيصة حرصاً على أموال الحكومة . فني معمل القاهرة (للمصلحة معامل أخرى في الإسكندرية) تختبر جميع مواد المناقصات ويوضع الحد الأدنى لقبول متانة المواد . فإذا أرادت إحدى المصالح أن تعلن عن مناقصة وضعت المبادئ المطلوبة ثم تركت لمصلحة الكيمياء مهمة بحثها وقبول العطاءات التي يتوافر فيها الرخص والمتانة معاً . فهذه المصلحة هي في الواقع معمل الدولة وقريباً تصبح معمل الأمة أيضاً . إذ أن التوسع الحديث في مبانيها أتاح لموظفيها أن يزيدوا ميدان عملهم فسمح للجمهور أن يطلب إلى المصلحة اختبار المواد التي يريدها بأجر زهيد



الأستاذ مطر يختبر قطعة قماش ليعرف كمية الصوف الموجودة بها فيضعها في وعاء به صودا كاوية بنسبة ٥ ٪ ويغليها فيذوب كل الصوف وتبقى المواد الأخرى

والعمل الأساسي لهذا المعمل هو اختبار المواد والمنتجات في أي شكل من أشكالها وتعيين مدى صلاحيتها وتركيبها الكيميائي . وهي بهذا تراقب بطريق غير مباشر تنفيذ عقود الحكومة مع مقاوليها في بناء عماراتها أو مورديها عند ما يبيعون للحكومة أو لإحدى مصالحها بعض المنتجات الصناعية أو الزراعية أو الكيميائية من أي صنف كانت؛ فعندما تطرح مناقصة في السوق يتقدم التجار بعينات وبأثمان الوحدات التي تتخذها الحكومة قاعدة لمعاملاتها فتتولى المصلحة اختبار تلك المواد وتحديد نوعها ثم تشير بقبول أحد العطاءات



الأستاذ أمين سليم يختبر عبقريت بمشاهدة معامل انكسارها داخل المجهر

فإذا بدأت العملية الثانية وورد المتعهد منتجاته فعلى المصلحة أن تختبر تلك المواد الموردة لترى إذا كانت مطابقة للعينات الأولى أم أدخل عليها تعديل أو غش . فإن الغش في المسائل الصناعية كثير وخطير ويعرض أموال الدولة وأرواح أفرادها للضياع

ثمانية معامل

ومصلحة الكيمياء ليست مجموعة من المكاتب يجلس خلفها عدد من الموظفين بل هي عدة معامل يقوم فيها الإخصائيون بمختلف التجارب العملية اللازمة لاختبار المواد التي نستعملها في حياتنا العامة . وتتكون المصلحة من ثمانية معامل أولها لاختبار مواد البناء من أحجار وملاط؛ والثاني خاص بالمنسوجات على اختلاف أنواعها وبه فرع لفحص متانة الورق ؛ وقسم ثالث لفحص الأصباغ بأنواعها؛ واختص قسم رابع بفحص الزيوت النباتية والمواد التي تدخل فيه كصناعة الصابون والشمع والجليسرين . ويمتاز معمل المعادن

بما يحتويه من أفران ترتفع حرارتها إلى درجة عالية تكفى لصهر أى معدن . وهذه الأفران مصنوعة من مواد تمنع نفوذ الحرارة إلى باقى أجزاء الحجرة . فنى استطاعتك أن تجلس إلى جوار الفرن دون أن تشعر بأن حرارته ٥٠٠ أو ٦٠٠ درجة مئوية. واختبار المعادن مسألة دقيقة فمنها الثمين ومنها الرخيص ووسائل الغش فيها كثيرة

ولمواد الوقود قسمان : أحدهما خاص باختبار المواد السائلة كالنفط والبنزين ، والثانى خاص بالمواد الصلبة كالفحم . وقد انضم إلى معمل القاهرة أخيراً معمل الدخان الذى كان فى الأسكندرية ويقوم بعمل الأبحاث اللازمة لفحص المنتجات ، سواء أكان لمعرفة جودتها وصلاحيتها أم لإجابة مصلحة الجمارك إلى طلباتها .



ليست حرارة الجحيم أشد من حرارة هذا الفرن وهى تصل إلى درجة ألف سنتيجراد لتصهر أى معدن وترى الأستاذ عبد الرحمن مسعد وهو يضع بوتقة فى الفرن

بين المخبار والمجهر

ويمكن تلخيص عمليات الفحص التى تتبع فى هـذا المعمل بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهى التحليل الكيميائى والميكرسكوبى والاختبار الطبيعى . ويكاد النوع الأول يسود جميع غرف المعمل فلم أدخل غرفة واحدة إلا شاهدت فيها أنابيب الاختبار وزجاجات المواد الكيميائية . فإن الفحص الكيميائى يبين تركيب المواد فينكشف ما فيها من مواد غريبة ضارة . فإذا قدم لنا البائع قطعة قماش وقال إنها صوف نقى يمكننا أن نعرف مقدار صحة كلامه بأن نضع قطعة من هذا القماش فى صودا بدرجة ٥ ٪ ثم نغليها على النار فيذوب كل الصوف . فإذا كان القماش يحتوى أى مادة غريبة كالقطن مثلاً فانها تبقى ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف كمية القطن الموجودة فى القماش .



مكتبة المصلحة مرتبة على أحدث وأسهل طراز وترى أمينها وهو ينظم الفيشات على الطريقة الحديثة ، و « الفيشة » هنا عبارة عن ورقة عرضها نصف سنتيمتر ويكتب عليها اسم الكتاب ومؤلفه لتوضع فى تلك اللوحة تبعاً للترتيب الأبجدى

ويستعمل التحليل الميكرسكوبى غالباً فى قسمى المنسوجات والزيوت النباتية . فالفحص تحت المجهر يمكننا أن نعرف عدد الخيوط فى البوصة المربعة فيحدد الفاحص طول البوصة على القماش ثم يضعه تحت المجهر الذى أعد لتسهيل هذه العملية الدقيقة ويقدر إخصائيو المصلحة عدد خيوط القماش الجيد بخمسين فتلة فى البوصة سواء أكان ذلك فى اللحمة أم فى السدى .

وبالمجهر أيضاً يمكننا أن نعرف نوع النسيج إذا كان قطنيًّا أو صوفيًّا أو تيليًّا فلكل فتلة مميزاتها ، ففتلة القطن معتدلة بينما فتلة التيل ملتوية إلى غير ذلك من الصفات التى درسها الإخصائيون وشاهدوها فى اختباراتهم وتجاربهم

وإذا مر الضوء فى سائل فإنه ينكسر بزاوية خاصة تسمى معامل الانكسار ولذلك تختبر الزيوت بمراقبة معامل انكسار الضوء فيها داخل مجهر خاص قسمت زواياه بطريقة خاصة تبين معامل انكساره وبالتالى توضح جودة الزيت أو رداءته

شد وضغط وتماسك

وللتحليل الطبيعى عدة طرق يختبر بواسطتها قوة مقاومة المادة للطبيعة، ويكاد هذا النوع يسيطر على كل الاختبارات فى معامل مصلحة الكيمياء . فمواد البناء مثلاً تتعرض فى الطبيعة للشد والضغط والتماسك ، ولذلك يجب أن تختبر من هذه النواحى الثلاث . وقوة التماسك من العوامل المهمة فى تقدير صلاحية مواد البناء . فالأسمنت تبعاً للمبادئ المعمول بها فى المصلحة يجب أن يبدأ تماسكه بعد نصف ساعة من بنائه، وأن يتم بعد عشر ساعات . ويقول الفنيون إن كمية الماء التى تخلط بالأسمنت لا يجوز أن تزيد على ٨ ٪ من حجم المخلوط وإلا ضعفت قوة مقاومة الأسمنت وسالت مواده فتركت المخلوط رملاً وزلطاً فقط

وتتأثر الملابس بأشعة الشمس ، ولذلك تختبر المصلحة تأثير هذه الأشعة على القماش فتعرض جزءاً منه مدة ٥ إلى ٧ أيام تبعاً لحالة الجو ثم تلاحظ ما يبدو عليها من تغيير . وتؤثر الرطوبة على المنسوجات فتقوى القماش وتزيد ثقله، ولذلك يحتفظ قسم المنسوجات بغرفة لها درجة رطوبة ثابتة . فلاختبار عينات من القماش تبيت العينة ليلة فى تلك الغرفة لتأخذ درجة رطوبتها . ووزن القماش من الاختبارات المهمة فقد يكون عدد الفتل كبيراً ولكنها رفيعة ضعيفة . وتعتبر البفتة السمراء جيدة إذا كان وزن الياردة المربعة منها ١٦٠ جراماً وقوة الشد على طولها أو عرضها ٣٥٠ رطلاً

ويعتبر زيت النفط (البترول) من أحسن أنواع الوقود ويكفى جرام واحد منه لإنتاج ١٠ آلاف كالورى وهو الوحدة المستعملة لرفع درجة حرارة جرام واحد درجة واحدة سنتيجراد . ويمكن غش النفط بإضافة المازوت أو النفط الوسخ إليه . ويمتاز البترول عن الفحم الحجرى بأن الأخير يترك رماداً . ولذلك يضع قسم الوقود أكبر كمية يمكن قبولها للرماد فى الفحم وهى ٥٪ وهو يتأثر أيضاً بالرطوبة ولذلك يجب ألا تزيد درجة رطوبته على ٥ ٪ وتختبر مواد الوقود بمعرفة القيم الحرارية الناتجة من المادة

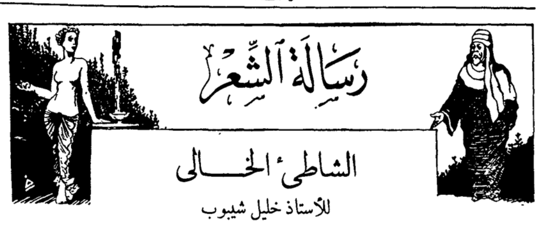
ثلاث أنابيب

ويلاحظ الزائر لهذه المعامل ثلاث أنابيب ملونة تسير فى جميع الغرف تقريباً . فأما الأنبوبة البيضاء فهى خاصة بتوصيل الهواء المضغوط إلى أجهزة خاصة تحضر فيها الغازات . فإذا أريد تنقية المكان من هذا الغاز فتحت هذه الأنبوبة فطردت الغازات الغريبة وتستطيع هذه الأنبوبة أيضاً أن تقدم لمن يشاء هواء نقياً

الأنبوبة الحمراء خاصة بغاز الاستصباح الذى يشمل فى التجارب المختلفة وقد صنع من اللون الأحمر ليكون إنذاراً للعمال على أنها أنبوبة خطرة. والأنبوبة الثالثة خضراء وهى خاصة بالماء . ويسيطر على هذه الأنابيب عدة محابس كما أن استعمال أنبوبتى الهواء أو الغاز يضاء له مصباح أحمر إلى جوارها

وللمصلحة مكتبة كبيرة فخمة على أحدث طراز يتبع أمينها أسهل الوسائل لتبسيط إجراءات البحث عن المراجع المطلوبة وصرفها . وقد استعمل لذلك تنظيم الكتب على أحدث طريقة أمريكية ، فرتب فهارس الكتب فى لوحات طويلة من الحديد مما يسهل على الباحث العثور على كتابه بسرعة . والمجلات هى أكثر المجلدات الموجودة فى المكتبة . فإن العلم سريع التجدد والتغير . ولذلك كان الاطلاع على المجلات العلمية الدورية خير من الكتب للباحث المطلع

فوزى عبد الشترى



الشاطئ الخالي

للأستاذ خليل شيبوب

الشاطئ اليوم خال لا قطين به   إلا بقايا من الأشباح ترتفق
أما الألى مرحوا فيه فإنهم   سرعان ما اجتمعوا فيه وما افترقوا
كانوا جماعات لهو جد جدهم   حيناً ولكنهم في العيش ما اتفقوا
لم يمنحوه هواهم مثلما فعلت   نفسي التي برشاش الماء تمتلق
أخليته لهمُ حتى إذا ارتحلوا   عنه إذا بي إليه الآن أنطلق
تبسط الرمل فيه اليوم وانتعشت   فيه الصخور عليها الموج يندفق
وعاد ما كان من أمن ومن دعة   إليه مذ زال عنه الطيش والنزق
العين آخذة في سمته رَتَلاً   من التعاريج تبدو ثم تنغلق
والصخر يصغى إلى الأمواج تنشده
لحن الطبيعة فيه الحب متسق
حلته مسترسلات العشب مسبلة   غدائراً تلتقي فيه وتفترق
والأفق غشته أستار وأعمدة   حمراء ماج عليها غيمه اليقق
قصر من الفتن الكبرى تيممه
شمس الأصيل بها الأكوان تأتلق
كأنما الريح لما رف ناسمها   سالت حنينا بها أرواح من عشقوا

***

حملت حبي إليه واعتزلت به   عن كل سامعة تصغي وتسترق
وفي فؤاديَ رسم ليس يبصره
سواي والكون حولي صامت فَرِق
كأنني عابد حانٍ على صنم
أخفاه بين الضلوع الحب والفرق
إني تحدثني عن مقلتيك هنا
هذي البحار وهذي الشمس والأفق
وعن جبينك مرفوعاً تضيء به   طهارة الحسن مزهواً بها الخلق
أراك في قسمات الغيب سابحة   يفج حولك فجر الحب والشفق
في واهج من هيولى النور منعكس   مني بها شهداء الحب قد صعقوا
مجلوة بنشيد السعد لحنه
معنى الرجاء الذي في الغيب يصطفق
يا جنة فقدت عيني مباهجها   وفي يدي لم يزل من نشرها عبق
هل ساعة ومضت بالسعد راجعة   أم انقضت وتقاضى نورها الغسق
صبرت لكن هذا الصمت أقلقني   حتى تناهب عمري الصبر والقلق
إن الأماني في صدري قد انتحرت   فأين أدفنها والصدر مختنق
لم يبق من مهجتي الحرى سوى رمق
ينحل فيها ولن يستمسك الرمق
فليتني لم أكن حياً وتأكلني   نار لعينيك فيها بت أحترق

***

يا أيها الشاطئ الخالي رحبت مدى   ولا أطاف به التكدير والرنق
أراك مني أدنى من عرفت لذا   عمري عليك بما لاقيت ينطبق
كم اجتنبت الورى مالي ومالهم   وكم تمنيت أن الناس ما خلقوا
إني قطعت مسافات وصلت بها   إلى مساء حياتي وهي تستبق
أرى الظلام بما فيه يهددني   وفي الظلام يطول الهم والأرق
وشاطئ النفس مهجور قد انطمست
معالم الأنس فيه وامحى الأفق
والحب بحر صفا لي برهة فإذا   وراء ذاك الصفاء التيه والغرق
يا أيها الشاطئ الخالي هنا وقفت   بي الحياة على آثار من سبقوا
ما عاد غيرك لي من أستريح له   وليس غيري قطين فيك يلتحق
محضتك الود صرفاً فاجزني مقة   فإنني بك قلبي مولع ومق

«الأسكندرية» خليل شيبوب

النسمات ...

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خبّريني يا نُسيمات الأصيل ... ما الذى نلتِ من النهر الطروب؟
قد لثمتِ الماء فى رفق الخليل ... ولثمتِ الزورق الجارى اللعوب
فارتمى الموج على الشاطئ من فَرْط الهوى
وتهادى الزورقُ السبّاقُ حيناً والتوى !

***

ومرَرْتِ الآن بالأزهار مَرّا ... فنفحْتِ الجوّ من طيبك لينَا
ولثمتِ .. كم لثمتِ الآن زهرًا ... فانثنى خجلان أو فرحان حينا
نزعَ الطيرُ لِمَا يَعْرُو الفَنَنْ
فمضى يشدو بألحــان الشجنْ

***

أنتِ ما ألطفكِ الآن ! وما أعذب لَثْمكْ !
أنْشُميها فى حنان ، ليتنى رُوحٌ لِلَثْمكْ !
تتلقّاكِ بأنفاسٍ طروبهْ
وتحيّيكِ تحياتٍ غريبهْ
وهى تصغى لحديثى فى سكون ووداعــهْ
مثل طفلٍ مطمئنٍ بين أحلام الرضاعهْ
فإذا ما حدّ تنّى فهى كالجدول فى الروض الأريضْ
والمــراعى
نغَمُ القلبِ لدى الحُلْمِ وأنغامُ القريضْ
فى سماعى

***

خبّرينى ! خبّرينى يا نُسَيْماتِ الأصيلْ
ما الذى نِلْتِ من الزهر ومنّا ؟
هل سَلَبْتِ الزهرَ شيئاً بيننا كان يميلْ
واختطفتِ يا تُرَى لما ابتسمنا
بعضَ أغراضكِ ؟ ماذا
نِلْتِه من كلّ هذا ؟

***

هزأتْ بى النسماتْ فسألتُ الموجاتْ
وسألتُ الزَّهَرات كلُّها بى هازئاتْ

***

خبّرينى أنت يا مَنْ ... سبّحَ القلبُ بحُبّكْ
ما الذى نالتْهُ هاتيك النسائمْ
منكِ ؟ ها تَغْرُكِ وشَاهٍ وباسِمْ
خبّرينى فى صــفاء خبّرينى إىْ وربّكْ !
لم تَنَلْ شيئاً ، ومَنْ منّا ينالْ ! ؟
كلُّ ما فى الحبِّ أطيافُ خيالْ ... !

حسن كامل الصيرفى

على الشـــاطئ

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

يا حبيبى أنا فى الثغر غريبُ ... قست الأيام لو تدرى عليْهِ
قلبه من حرقة الوجد يذوب ... وتوارت بَسمةٌ فى شفتيه
ذاهلٌ تلقاه كالطير الجريح ... ماتت الأنغام فى أوكارهِ
ذابلٌ كالعود يغدو ويروح ... عطّلته الريحُ من أزهارهِ

***

أين ما لاقيت من صفو الليالى ؟
فى ربيع العمر والدنيا ابتسامْ
والأمانى الزهر فى دَلّ حيالى
ضاحكات راقصــات للغرامْ
وأنا فى دوحة الحب أغنى ... أسرق الألحان من سحر العيون
بين صــفو ونعيم وتمنى ... آه . قد طال إلى الماضى حنينى

***

يا حبيبى ها هنا فوق الرمالِ ... مسرح للغيد يَسبى الناظرينْ
موقه يرتع أرباب الجمالِ ... فى ظلال الصفو فى رفقٍ ولينْ
بيد أنى لمْ أجد فيه لعيبى
فى معانى الحسن من معنى حبيبِ
طالما أنت غريب الدار عنى
فأنا الظامئ فى قفر جديبِ
أنتفى بك إذْ أنت نشيد ... تتمشى فى دمى أنغامهُ
وأمنى النفس بالماضى يعود ... أُترى تهفو لنا أيامه ؟

« الاسكندرية » مصطفى على عبد الرحمن



دراسات فى الفن

هى مرة واحـــــدة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لى صديق نحات انكسر له تمثال فحزن عليه ، فأردت أن أواسيه فقلت له : ألا تستطيع أن تعوضه بغيره ؟ فقال لى : قد أوفق إلى ما هو خير منه، ولكنى يائس من التوفيق إليه هو.

وحدثت بذلك صديقاً لى آخر شاعراً فقال لى : إنى مثل صاحبك لو فقدت قصيدة عجزت عن إعادة إرسالها . فاستطلعت الرأى عند صاحب لنا صحافى فنصحنى بالجمود عنها لأنها مسألة مغربة . فأهملتها ثم نسيتها ولم أذكرها فى جد إلا حين توكلت على الله لأعد لقراء الرسالة حديث هذا الأسبوع . فقد نادتنى إليها من جديد وهى تسألنى : أما وجدت مخرجاً لصديقك الذى وقع منه التمثال فانكسر؟ فأطرقت أبحث عن المخرج فإذا بصديق الشاعر يتهادى أمام خيالى وعلى شفتيه الساخرتين ابتسامة أعرفها وأستطيب مراقصتها بروحى التى تستجيب إلى صفائه تراحماً وحناناً . قال لى : كنت بالأمس نشوان استخفتنى وحشة ذات بهجة فانطلق لسانى بشعر طربت له بالأمس كل الطرب ولكنى لم أسجله ، ولما أصبحت وأردت أن أستعيده لم أسترجع منه إلا أشباحاً فكيف السبيل إليه ؟ أو أنت لا تزال عاجزاً مع صديقك النحات لما تجمعا حطام تمثاله ؟

وصديقاى الشاعر والنحات عزيزان على معزة كل فنان فلا أقل من الترحيب أستقبل به مسألتهما هذه فهى مما يعرض للفنانين جميعاً ، ولا ريب أن استعراضها وتفتيقها سيظهران لنا بعض ما نحب أن نقف عليه من أسرار الفن ومراحل تخلقه فى نفوس الفنانين

ولنبدأ إذن بتجديد هذه المسألة حتى لا نتيه فيها كما نتيه أحياناً فى تلافيف هذا الفن وثناياه المتكسرة أنوارها بعضها على بعض والتى قد تضل من يجوس خلالها ، ولكنه على أى حال الضلال المأمون المعجب

مسألتنا هى : هل يمكن إنتاج القطعة الفنية نفسها مرتين ؟

ولكى نقرب هذه المسألة من أذهان المتباعدين عنها ، والذين يستغربونها نطرحها هى نفسها ، ولكن من ناحية لينة لا يعسر هضمها على ذهن من الأذهان . فنقول : هل تستطيع المرأة أن تلد طفلها نفسه مرتين ؟! وسيجزع المستغربون حين يروننا قد قلبنا مسألتنا هذا القلب ، وسيستطيع واحد منهم إذا أعانه الله أن يطبق فمه الذى انفتح لتتفجر منه الدهشة منزاحة عن صدره ، وسيفتح فمه بعد ذلك ليسيل منه سؤال من أسئلة المستغربين فيقول : وما للولادة والفن ؟ وما أطيب عندنا من رد لهفته إذ نقول إن الإنتاج الفنى ليس شيئاً غير النسل الروحى كما أن الولادة إنجاب حيوانى ... وكما أن الولادة لا تكون إلا باتحاد عنصرى الجنس المختلفين وهما الذكر والأنثى ، فإن الإنتاج الفنى لا يكون إلا باتحاد عنصرى الجنس الفنى وهما نفس الفنان والحياة نفسها .

وكما أن الولادة لا تحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين فى بطن أمه ، فإن الإنتاج الفنى لا يحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين الفنى فى نفس الفنان ، وكما أن الولادة إذا حدثت قبل أن يكتمل تخليق الجنين فى بطن أمه لم تكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الوليد إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً ، فإن الإنتاج الفنى إذا حدث قبل أن يكتمل تخليق الجنين الفنى فى نفس الفنان لم يكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الفن إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً . وكما أن الطفل

بعد ولادته قد يعيش وينمو برعاية أمه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير ، فإن الفن قد يعيش وينمو برعاية صاحبه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير . وكما أن المولود إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد فى أبنائه وأحفاده ، فإن الفن إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد فى أبنائه وأحفاده . وكما أن هناك أمراضاً تناسلية تصيب الأجنة وتظهر فى المواليـد ، فإن هناك أمراضاً روحية تنحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؛ وكما أن هناك أمهات خبيثات النظر ينسلن لأزواجهن أبناء غيرهم ، فإن هناك نفوساً فنية خبيثة النظر تدل لغير الروح ودواعيها ، فتنسب للفن ما ليس من الفن وما يصرخ الفن بإنكاره صراخاً له آذان خاصة تسمعه . وكما أن فى الأمهات مزواجات ، فللواحدة منهن ولد من كل أب ، ولـكل ولد من أولادها شبه ، فإن من الفنانين من يتنقلون بين الأحاسيس والفكر فيتشـكل إنتاجهم ويتلون . وكما أن فى الأمهات ذوات عصمة وقناعة بالتجربة الواحدة ، فلأفراد نسلها ملامح مميزة متشابهة ، فإن من الفنانين من ينحصر اتجاههم إلى ناحية واحدة يضربون فيها بجُمّاع أرواحهم ، فلإنتاجهم طابع هذا الاتجاه وملامحه المميزة المتشابهة . وكما أنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن أنجبت عذراء وليداً مرتجلاً ملهماً ، فكان مسيحاً ولم يمت كما يموت الناس وإنما رفع ؛ فإنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن ارتجل نبى فناملهما فكان قرآناً وخلد . وبما أن هذه الظواهر جميعاً قد تماثلت وتعادلت فى الولادة وفى الإنتاج الفنى ، فإنها لا بد أن تتشابه وتتعادل فيهما من حيث أنها لا يمكن أن تحدث فى كل دفعة إلا مرة واحدة .

ونسكت نحن بعد أن نقول هذا كله ، وننتظر فى سكتتنا أن نرى شيئاً من علائم الفهم يتبدى على وجه صاحبنا المستغرب فإذا به مصغ إلينا فى صمتنا كما كان مصغياً إلينا أثناء كلامنا فلا نستطيع أن نعلل هـذا إلا بأنه يفهم من الصمت ما يفهمه من الـكلام . ولما كنا مؤمنين بأنه يمتنع عليه فهم الصمت امتناعاً لوجود كما يقول النحاة فهو من غير شك لم يفهم من كلامنا شيئاً … أمرنا إلى الله ! لنستفهمه مقدار إدراكه لعله يوفر علينا الإعادة من جديد ولنسأله : ما رأيك يا مولانا فيما كنا نقول ؟ ها هو ذا « يا فرحتنا » يسألنا : ماذا كنتم تقولون ؟

— استمنا عليك وعلى أنفسنا بالله … إسمع ! هل أنت فنان ؟

— نعم .

— وما فن حضرتك ؟

— الـكتابة …

— حسن . قل لنا الآن ما الذى يحدث لك قبل أن تكتب ؟ ألا تشعر بأعراض الحمل والوضع ؟..

— هه ؟ ماذا جرى لعقولـكم ؟ . إنكم مجانين

— هذا شىء لا نستطيع أن ننكره ، وإن كنت لا تستطيع أن تثبته ، وهو على أى حال ليس يعنينا الآن قدر ما تعنينا هذه الأعراض التى نسائلك عنها والتى نريد أن نعرف إذا كنت تشعر بها قبل « إحـداث » إنتاجك الفنى ، أو أنك تنتجه هكذا ، فهو إما أن يكون وحياً ، أو لا يكون فناً على الإطلاق

— أنا لا أشعر بأعراض ، ولا يمكن أن تكون للـكتابة أعراض إلا إذا كانت مرضاً

— كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى ارتجف وتصبب عرقه وغاب . فكانت هذه هى أعراض الوحى : الارتجاف وتصبب العرق عارضان بدنيان ، والغياب أو « الانخاذ » عارض روحى ، وقد كان فى هـذه الأعراض من العنف وحدة المفاجأة ما يناسب الإعجاز الذى يميز القرآن ، ولـكل فن بعد ذلك ما يناسب قدره من الأعراض ، فكم ترتجف حضرتك قبل أن تكتب وكم تتصبب عرقاً ، وكم تغيب عن هذه الدنيا ؟

— إن شيئاً من هذا لا يحدث لى .

— إذن فأنت لست فناناً ، فالفنانون يحدث لهم هذا . كلهم : الـكاتب ، والشاعر ، والموسيقى ، والرسام ، والنحات ، والممثل حين يرسم حدود دوره ، ويفصل ملامحه . فالـكاتب ، إذا رضينا به مثلاً يعيش وهو مرهف الحس مشحوذ العقل كغيره من الفنانين فيرى فى الحياة ما يؤثر فيها تأثيراً خاصاً يحدث انفعالاً نفسياً خاصاً ، فإذا توالى عليه حدوث هذا الانفعال النفسى ربى عنده ما يسميه علماء النفس بالوجدان ، وهم يعرفونه بأنه استجابة باللذة أو بالألم لما يحدث فى النفس من الشعور ، فإذا تجمعت عدة مؤثرات حول هدف نفسى واحد ولونها وجدان واحد بلون واحد فقد تخلقت

فى النفس عاطفة تحيط بهذا الهدف ، ولا تلبث هذه العاطفة تنمو فى النفس وتنمو حتى لا يعود حبسها ميسوراً فتنفجر إما فناً منظماً منسقاً ، وإما دوياً روحياً لا نظام فيه وإن كان فيه كل ما فى الفن أو ما يزيد على الفن بلاغة فى التعبير . ففصول الألم والحزن التى كتبها كتاب الأرض جميعاً تخفض الرأس أمام أى دمعة صادقة خشوعاً وإجلالاً . . . فهل كتبت يوماً يا أستاذ ما كان بعض دموعك ؟ . . .

— وماذا يصنع الموسيقى ؟

— ما يفعله الأديب ، وكل ما بينه وبين الأديب من فرق أن الأديب يعبر عن نفسه بالكلام ، والموسيقى يعبر عن نفسه بالنغم ، ولعلك سمعت أنه كان للشاعر من شعراء الماضى راوية .

— نعم . وأحسب الشعراء كانوا يختارون رواتهم ممن قويت حافظتهم .

— كلا . وإنما كان الأمر على العكس من ذلك ، فقد كان الرواة هم الذين يختارون شعراءهم ، فالرواة لهم من الاستعداد الفنى حظ كبير ، وهم هواة حقيقيون . لعل الواحد منهم كان يعين شاعره على الحياة . ولقد كان الواحد منهم يشترى صاحبه بالدنيا وما فيها ويلزمه ويتابعه لا لشىء إلا أن ينعم منه بساعات الصفاء التى يتيحها له الزمن . وهو من شدة لهفته وحبه لصاحبه يحفظ عنه ما يقول لا يدفعه إلى ذلك إلا حرصه على هذا الكنز وخشية أن يضيع أو يندثر . وقد كان يمر الوقت الطويل أو القصير فينسى الشاعر شعره ويعجز عن إعادته . أما الراوية فذاكره ومعيده كلما أراد إعادته ، فهو من الشاعر كالجارية ، ومن الشعر كالربية يصونه ويدلله . ولعلك سمعت أن من المغنين من كان لهم أيضاً رواة ، فكان المغنى يطلق ما يهتاج فى نفسه من الأحاسيس غناء لا يعبأ بأنغامه ، ولا يرتب ألحانه ، وإنما هو ينفث الزاخر فى نفسه من العواطف ، وكان الراوية يلقف منه فنه هذا ويرصده فى نفسه ويثبته تثبيتاً ، فإذا نزع المغنى بعد ذلك إلى اللحن وجده عند راويته ولم يجده عند نفسه ، ذلك أن الفن أنه لا تصدر إلا مع الموجدة ، فمتى صدرت لم يكن بد لترجيعها من موجدة جديدة ، وإلا كانت فى حرارة الذكرى ولم تكن فى استعار النازلة

— إذن فأنت تنكر على الفنانين استلهام ماضيهم

— لست أنكر هذا ولا أستقبحه ، ولكنى أحفظ للفن المرسل مكانه المتسامى على مكان الفن المختزن ، على أنى لا أستطيع أن أخفض من قدر هذا الفن المختزن فقد يكون فيه من العنف والقوة ما فى غضبة الحليم من الشدة والسمة . ومهما يكن الأمر فإن هذا خارج عن بحثنا ، ومن الخير لنا أن نعود إلى ما كنا فيه . فهل هناك شىء تريد أن تستوضحه ؟

— إنك قلت إن الفن إذا أخرج قبل أن يكتمل فى نفس الفنان تخليقه لم يكن إلا سقطاً . فماذا تقصد بهذا ؟

— لا ريب أنك قرأت لكتاب محببين إليك فصولاً أنكرتها عليهم . هذه الفصول كتبوها وهم كارهون لأنهم لم يكونوا استكملوها فى نفوسهم ولكنهم لأسباب يعلمونها هم أخرجوها فكان هذا منهم إجهاضاً ، وكذلك الأمر مع الشعراء والموسيقيين والنحاتين والرسامين وغيرهم من أصحاب الفنون

— هذا حسن . وكيف تتوالد الفنون بعد ذلك ؟

هذه الفنون مخلوقات حية لا أجسام لها ، وهى تعيش فيما بين النفوس والأرواح تتارلها وتماشقها ، فإذا طاب فن لروح تزاوجا وكان من نسلهما بعد ذلك فن ونفس جديدان فى كل منهما ملامح من الفن القديم وملامح من النفس الأولى . ألم تسمع بالمدارس الفنية والمذاهب الفنية يا أخى ؟ . . . هذه هى ولكنا نقول عنها أسر وقبائل وشعوب

— يا سلام ... وما هى هذه الأمراض الروحية التى تنحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؟

— للروح أمراض كثيرة كما أن للبدن أمراضاً كثيرة . وأقسى أمراض الروح وأشدها فتكاً والعياذ بالله المرض الأصفر

— وهل تصاب الأرواح بالكوليرا أيضاً كالأجسام ؟

— وما من فرق غير أن كوليرا الروح معنوية لا يعرفها الأطباء !

— وكيف عرفت أنت وكيف ميزت لونها ؟

— لست أدرى . ولكنى سألت نفسى يوماً عن حكمة الله فى الصفرة يلون بها الموت والذهب وما بينهما من الخبث والشر . ألم تر صفرة الذهب ؟ أولم تر صفرة الموت ؟ أولم تر مسكيناً خبيثاً



من الأدب الرمزي

ورقـــة من السماء

للقصصي الدانمركي أندرسن

بقلم السيد عارف قياسة

في أوج السماء الرفيع ، في الهواء النقي الندى ، طار ملاك بزهرة من رياض الفردوس . ولما لثمها أسقط ورقة منها على الثرى وسط الغابة ، فما لبثت أن اتخذت جذوراً ، ونمت وترعرعت بين الحشائش الأخرى . ولكن أنواع النبات لم تشأ أن تعترف بأنها واحدة منها . . . فكانت تقول : « ما أغرب هذا الغرس ..! »

وكان الحسَك والقُرّاص أول من رقص على ثغره الهزء ، ولمع في عينه السخر . كان الحسك يقول باحتقار : « من أين أتى هذا ...؟ هذه بذرة ضئيلة من البقول لم نر أسرع منها نمواً ... أمن اللائق ذلك ..؟ وهل يدور في خلدها أنا نسندها حين تلويها كف الهواء ... ؟ »

وجاء الشتاء ، وغمر الثلج محيا البسيطة ، ونفض الغرس السماوي على الثلج بهاء رائعاً ، ورواء ناسماً ، كأن شعاعاً زاهياً من الشمس رقص تحت حواشيه ، فأنارها بفيض من لألائه ...

وأتى الربيع الضحوك ، وحمل الغرس زهرة ما رأت العين أنصع منها بهجة ، ولا أبرع فتوناً ...

وسمع عنها أستاذ علم النبات الذائع الصيت في البلاد ، فخف إليها وشهادته الرفيعة تشهد بعلمه الجم واطلاعه الرحيب ومعرفته الغزيرة . وتأمل الغرس بإعجاب ، وحلله وذاق من أوراقه لم يكن ليشبه ما أبصرته عيناه من أعاشيب ؛ وما كان في مقدوره أن يرده إلى فصيلته أو نوعه . فلم يتمالك أخيراً أن قال : « هو غرس هجين . . . هو نبات فذ غريب ؛ ذلك لا يطَّرد على قاعدة ، ولا يجري على قياس » . وردد الحسَك والقُرّاص : « ذلك لا يطَّرد على قاعدة ، ولا يجري على قياس » . ورأت الأشجار الفارعة الغليظة وسمعت ما كان ، فلم تفه بخير ولا شر ، وذلك عين الحكمة حين ترين الغباوة على الأذهان

. . . ودلفت إلى الغابة فتاة فقيرة ، عفة الضمير ، طاهرة الأذيال ، نقية الفؤاد ، عامرة القلب بالإيمان ، لا تملك من دنياها غير إنجيل عتيق يخيل إليها أن الله يحدثها من خلاله . علمت منه شرور الناس ، وخبثهم السافل ، ولكنها عرفت أيضاً أن علينا — حين نتلقى جورهم وعذابهم ، ونقاسي سخطهم وسخريتهم — أن نذكر يسوع الطاهر ، وأن يكون لنا فيه أسوة حسنة ، وأن نردد معه قوله : « اللهم اغفر لهم ، فإنهم لا يعلمون ما يصنعون »

ووقفت الفتاة أمام الغرس العجيب ، وقد كانت زهرته تضمخ

خداعاً منافقاً بصفر وهو يغش الناس ويكذب عليهم ؟ أو لم تحاول يوماً أن تلمح بين كل صفرة وصفرة من هذه ... رابطة ؟

— أوه ! أنا فاهم . أنت تريد أن تقول إن بعض الفنانين تنتابهم هذه الصفرة فتنتاب فنونهم بالوراثة

— آه لو أن لي حق الإشارة بمنح النياشين !

— أشكرك وأحسبني أستطيع بعد ذلك أن أجري في الموازنة بين الفن وهو المخلوق الروحي كما قلت ، وبين الناس وهم المخلوقات المجسدة ، على هذا القياس الذي رسمته لي

— وأحسبك بعد ذلك ستقول معي إن الفن لا يمكن إنتاجه إلا مرة واحدة

وعدت إلى صديقيّ النحات والشاعر وقلت لهما : يا صاحبيّ إطلبا العوض من الله فأنتما عاجزان عن استرجاع ما ضيعتما ، فلا أنت معيد تمثالك ولا أنت معيد قصيدتك

عزيز أحمد فهمي

الهواء بأريج عذب لذيذ يترقرق في الأرواح ، وتعض في الشمس كطاقة من النيران الصناعية

وعند ما دغدغ النسيم أوراقها رنت في أذنهـا ألحان علوية ، وأنغام سماوية

وظلت الفتاة في نشوة من اللذة ، وغمرة من الذهول البهيج أمام هذه الأعجوبة . ومالت برأسها نحو الفرس ... لتتأمله عن كثب ... وتنشق أنفاسه الندية العطرة . . .

وشعرت بقلبها ينتعش ويتفتح ... وبذهنها يستضيء بنور الحكمة الإلهية . ومدت يدها ، وقطفت الزهرة ، وفؤادها خافق بالسرور . ولكنها فكرت في أن في ذلك بعض السوء ، وأن نضرة الزهرة ستذوى ، وجمالها سيمّحي . فلم تأخذ غير وريقة خضراء وضعتها بين إنجيلها ، حيث ظلت رفافة الطراوة ، بديعة الاخضرار

وتعاقبت الأسابيع ، ووضع الإنجيل والورقة تحت رأس الفتاة في تابوتها

واستراحت الفتاة فيه بسكون ، وفي قسمات محياها البديع الوديع تلوح سعادة خلاصها من الغبار الأرضى ، ودنوها من الخالق

وفي أثناء ذلك طفق الفرس ينمو ويزهر ، والعصافير العابرة تنحني أمامه بتجلة واحترام

وهمس الحسك والقراص : « أنظروا جيداً هذا الأجنبي ... وهل يدرون لماذا يسفحون عبرة أعينهم ويريقون ماء أوجههم ؟ أبداً لا نحذو حذوهم الغبي »

حتى دويبات الغابة السمجة ، فقد كانت تبصق أمام الفرس الساقط من أوج السماء .

واقتلع راعي الخنازير ، وهو يضم حزم الموسج ليشعل ناره ، عُلَّيقاً وحسكاً وقُرّاصاً ، وكذلك الفرس الوسيم بجذوره وقال في نفسه : « كل ذلك لا يصلح لغير طهي الطعام . »

وكان ملك البلاد تغشى روحه كآبة سوداء ، ما كان شيء ليقشع دياجيرها ، ويبدد ظلماتها فانطلق يلهو منهمكاً في مشاغل شعبه ، ومطالعات آيات العباقرة المؤلفين ، ثم آثار الكتاب التافهة الهزيلة . وما أجدى ذلك ولا عاد عليه بطائل .

حينذاك أحضر أحكم من في الكون ، فأجاب أن لديه وسيلة لشفاء الملك وتنفيس كربه ! ذلك أن يأتيه بزهرة سماوية نبتت في غابة من مملكته . وطفق يعرض أوصافها ، ويسرد خصائصها . وعرف الفرس الذي أثار حب الاطلاع منذ هنيهة .

وقال الراعي في نفسه : لقد اقتلعته وايم الحق منذ أمد بعيد ، ولم يبق منه هشيم . وإلى هذا يقود الجهل . »

وخجل الراعي من نفسه واحترس من أن يميط اللثام عما صنعت يداه . واختفى الفرس ، ولم يبق منـه غير ورقة ترف على رأس الفتاة الراقدة في قبرها ، ولكن أحداً لا يعلم بذلك .

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة ليتحقق من زوال الفرس . وقال: « هنا إذن قد ترعرع الفرس ، فسيقدس المكان منذ الآن »

وأحاط المكان بسياج من الذهب ، ووضع حراساً عليه .

وكتب أستاذ علم النبات النابه عن صفات الفرس الإلهي بحثاً مطولاً بين فيه كل ما فقد بفقده . وغمر المليك بالذهب كل صفحة من صفحات المؤلف . ولكن المليك مازال محزون القلب ولم يجد لشجنه دواء ، والحراس الساكين كان يلوى الألم بأفئدتهم في الغابة ...

« حماه – سوريا » عارف قباني





الفوهرر « فوزى القاوقجى »

[عن مجلة « فى VU » البارسية]

نشرت مجلة (فى VU) الباريسية عدة فصول ممتعة عن بلاد العرب والرجال الذين يقودون الحركة العربية فى هذه الأيام . وقد قدمت تلك الفصول بكلمة قالت فيها : إن هذه الحركة ذات الأثر الفعال فى مركز الإمبراطورية البريطانية يقودها سبعة أشخاص كل منهم يعد نفسه أولى بالملك والزعامة فى بلاد العرب . وقد نقلنا عنها فى عددين سابقين ما كتبته عن الملك ابن السعود بعنوان (نابليون العرب) . وما كتبته عن الأمير عبد الله بعنوان (هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين ؟) . واليوم ننقل عنها كلمة عن الثائر العربى فوزى القاوقجى حتى تكون لدى القارئ فكرة وافية عن هؤلاء الرجال الذين يتطلع إليهم العالم كلما ذكرت المشكلة العربية :

ليس فى فلسطين من يجهل اسم فوزى القاوقجى . فهذا الرجل الذى تروى عنه القصص والأخبار العجيبة يعرفه كل عربى وكل يهودى ، بل وكل بريطانى يمشى على أرض فلسطين ، بأنه ذلك البطل الوطنى والثائر العربى الذى يخشى بأسه فى تلك البلاد

وتدل الأخبار المستقاة من قسم المخابرات البريطانية على أن فوزى القاوقجى يقود جيشاً يتراوح عدده من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل . وهذا الجيش يهدد مواصلات الصحارى والجبال فى فلسطين ، ويقطع الطريق على من تحدثه نفسه بعبورها

ويعد أتباع هذا القائد من أشجع الرجال وأصبرهم على تحمل المشقات ، وهم يستميتون فى مقاومة عدوهم اللدود ما دام القاوقجى يشعل فى نفوسهم نيران الحقد ، ويتجنب كل موقعة مع القوى البريطانية من شأنها أن تؤدى إلى هزيمة

وقد استولت على نفسه عقيدة بأن القوة التى يقودها فى فلسطين سيكون لها أثر فى يوم من الأيام فى رفع شأن الأمة المحمدية ، أو إحياء مجد العرب ، لذلك لا تطاوعه نفسه على استباق الحوادث والمخاطرة بالظروف التى هى فى انتظاره يوماً من الأيام .

ويعد القاوقجى مسئولاً عن إثارة حرب العصابات فى فلسطين فيتسلل هؤلاء البدو الذين يقودهم فى ظلام الليل إلى المدن ، ويختفون كالأشباح عند ظهور الفجر تاركين وراءهم المنازل المشتعلة بالنيران والأراضى المخربة ، والجثث المضرجة بالدماء . وتعد هذه المظاهر المرعبة شاهداً صامتاً على أن القاوقجى ورجاله قد مروا بهذه المنطقة فى المساء .

والقاوقجى رجل متوسط الطول عريض الأكتاف ملتف الساعدين جميل الصورة فى كوفيته البيضاء والعقال الذى يلفه على رأسه هو وأتباعه ، ولكن الملابس الإفرنجية قد تقلل من مظهره وتمطيه صورة أخرى .

ولقد قضى القاوقجى أيام شبابه فى سوريا ، وأرسل منها إلى القسطنطينية ليتدرب على الأعمال العسكرية بها . ولقد كان نشاطه وأعماله الحربية فى إبان الحرب العالمية من الأعاجيب . ويقال إنه كان يقود فيلقاً من الجيش التركى . ويقال كذلك إنه انضم إلى الحلفاء وحارب مع الكولونيل لورنس . وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير صحيح ، فما لا شك فيه أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان زعيم ثورة فى تلك البلاد . وقد قبض عليه الفرنسيون ووضعوه فى سجن جبل الدروز وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام ، ولكنه فر بأعجوبة قبل التنفيذ بساعات معدودات .

والقاوقجى يؤلف قوة منظمة تمثل الجهة الشمالية من فلسطين. وهو يعتقد ككل فوهرر فى الشرق والغرب أنه وحده من دون ملوك العرب وأمرائها وشيوخها أحق الناس وأقدرهم على أن يكون الحاكم الأعظم للعرب بل ولعامة المسلمين

هتلر ليس نابليون

[بقلم المؤرخ الانجليزي فيليب جواديللا]

فى هتلر بعض مظاهر وصفات تدعو إلى المقارنة بينه وبين نابليون . ولكن هل تصح المقارنة بين هتلر ونابليون ؟

لقد كانت مواهب ذلك القائد الكورسيكي وانتصاراته الحربية جديرة بأن ترفعه إلى حيث يسود الأمة الفرنسية . ولم يظهر هتلر بعد شيئاً من مواهبه الحربية إذا كانت له مواهب فى هذا الشأن . وهو ولا شك سيكون القائد المسئول فى ألمانيا إذا نشبت نيران الحرب .

إن هـذا الرجل الذى يتظاهر أمام العالم بعبادة القوة ، لم يظهر كفاية حربية من أى نوع فى أيام الحرب العظمى التى يمتحن بها الرجال . وكل ما هنالك أنه ارتقى فجأة إلى رتبة جاويش

إن مواهب هتـلر ولا شك تظهر فى كثير من الشئون الاجتماعية والمدنية . ويزعم الألمان أنه خطيب لا يشق له غبار وأن لديه مقدرة عظيمة على استهواء الجماهير ، وإن كان غيرهم لا يطيق تلك الخطب التى تبدو فيها صرخاته العصبية المزعجة وهو يتكلم عن معاهدات السلم أو يتعرض للاشتراكية أو اليهود

لم يكن نابليون فرنسياً خالصاً ، وهو ولا شك من عنصر أقوى صلابة من العنصر الإيطالى ، إلا أنه عاش لاتينياً طول حياته . لقد كان سريعاً نحو غايته طموحاً مدرباً على الحروب ، منطقيا إلى أبعد حد، ميالاً إلى الانتقام، عصبيًا فى بعض الظروف ولكنه على الرغم من ذلك كان مسلحاً بدروع سميكة من الصبر وضبط النفس عند الملمات — فهل توجد فروق أكثر من هذه بينه وبين ذلك الرجل المفتون بطبيعته ، الذى يتولى زمام الأمور فى ألمانيا؟ وشتان بين خيالات العزلة والانفراد على القمم والجنون العجيب بمسألة الدم والنشأة وحياة العزوبة — وبين تلك الحياة التى أخرجت قانون نابليون الفتيد ، وقادت الجيوش المنتصرة فى شتى الميادين ، ولم يشغلها كل ذلك عن الحب والمرح فى أخطر الظروف.

إننا لا نجد وسيلة للمقارنة بين تينك الشخصيتين المتناقضتين إلا فى شيء واحد : وهو استعمال القسوة التى تفرضها الضرورة على كل مستبد يساق إلى معاداة العالم. لقد محا هتلر تشيكوسلوفاكية واجتاحها بغير رأفة ، وذلك يذكرنا بما فعله نابليون فى أسبانيا ، ولكن أسبانيا قد عاشت بعد نابليون

الحق أن نابليون أزعج العالم بمحاولته التوسع فى الامتلاك ولكنه وُقف عند حده . وهذه نتيجة تنتظر كل من تحدثه نفسه بمثل ذلك العمل . لقد كانت جميع الأمم تنظر إلى نابليون بعين الاحترام وهو امبراطور لفرنسا ؛ إلا أنه حينما أراد أن يضع يده على الأراضى الأوربية أخذت أوربا تجمع قواها شيئاً فشيئاً واستعدت لأن تقهر أكبر جيش فى العالم وأقدر جندى عرفه التاريخ . وعبر الأيام تحدثنا بأن كل من تحدثه نفسه بأن يلعب دور نابليون لا بد أن يلاقيه فى النهاية حظ نابليون .

لا جديد تحت الشمس ـ العالم منذ ألفى سنة

[عن مجلة دتش أندشو التى تصدر فى برلين]

كان للإغريق والرومان مدفعية يرجع عهدها إلى أربعمائة سنة قبل الميلاد ، وقد تقدموا فى رمى القذائف والنبال ، فأصبحت تلقى إلى مئات الأمتار ، واخترع ديونسيس آلة لرمى النبال تستطيع أن تدور باستمرار فتلقى ما فيها بغير انقطاع .

واستطاع البيرطيون أن يخترعوا طريقة لقـذف النار ، ولم يكن البارود قد اخترع بعد ، ولـكنهم استطاعوا أن يسخروا القوى والآلات الموجودة فى ذلك العهد لهذا الغرض ، وقد صنع قدماء الإغريق والرومان كل ما صـنعوه فى آماد طويلة ، إذ أن السرعة التى هى من سمات هذا العصر لم تكن معروفة فى تلك العهود . ولم يكن أهلوها يعرفون المثل القائل إن الوقت من ذهب ، ولم يكن عندهم عمال ومصالح كما هو معهود الآن

وإذا كان القدماء لم يعرفوا الساعة كما نعرفها الآن فإنه كان لديهم الذكاء الكافى لتقدير الوقت ، ومع ذلك فقد استعمل قدماء المصريين ساعة الرمل والماء ، وكان الأطباء يحملونها عند

لفحص المرضى ليقدروا دقات القلب وسرعة النبض . واستطاعوا كذلك أن يخترعوا ساعة تدق ساعات النهار جميعها مبتدئة من الساعة السادسة فى الصباح إلى السادسة بعد الظهر

وقد ألف كتاب فى الجراحة لأطباء الجيش فى مصر منذ ألفين وثمانمائة سنة قبل الميلاد . وعرف الهنود فى طب العيون عمليات القدح (إزالة الماء) ، وعرفوا خياطة المصران وإزالة الحصوة وذلك منذ سنة ألفين قبل الميلاد

وفى سنة ألفين قبل الميلاد وضع حمورابى قانوناً لتقدير أجر الأطباء وتحديد مسئولياتهم. وكانوا يعرفون كثيراً من الكلمات المألوفة الآن مثل فن تدبير الصحة والفيزيقيا والصيدلة والباثولجى والجراحة والسوداء والإسهال والروماتيزم وكثيراً غير هذه الأسماء

أما أسماء العقاقير والأدوية فقد أخذنا أكثرها عن اللاتينيين كما هو معروف

وإلى اليوم يعتبر هيبوقراط رمزاً لعلم الطب . وإذا كان القدماء لا يعرفون الميكرسكوب فقد كانوا يهتدون إلى كل شيء بفطنتهم ودقة حسهم

أما الأطعمة فقد كان ينقصهم الكثير من الأصناف المعروفة الآن كالبرتقال والليمون والموز والشاى والقهوة والسكر ، وكانوا يستعملون عسل النحل بدل السكر ويستعملون الزيت عوضاً عن الزبد. لكن قدماء المصريين كانوا يعرفون صناعة الجعة (البيرة) ويشربونها ومن العادات المألوفة عند القدماء الاهتمام بحديث المائدة ، حتى إن أغنياء روما كانوا يدعون العلماء والكتاب إلى موائدهم لتوجيه الحديث إلى ناحية الصواب

هل نحن عرب ؟

[محاضرة ألقاها السيد فؤاد مفرج فى أحد الأندية العربية بمدينة نيويورك]

الأمة مجموع من الناس مرتبطون بشعور واحد ، ويجمعهم تاريخ مشترك ، ومطمح مشترك غايته إيجاد دولة واحدة والاحتفاظ بها ليعيشوا فى ظلها ويحققوا أفضل ما ينطوون عليه ...

وهكذا فإن كل من يشعر بإخلاص أنه عربى ، وفى صدره ولاء صادق للمثل العربية العليا ، فهو عربى بقطع النظر عن الدم والعنصر ...

ثم إنه ليس فى العالم أمة لم تختلط أصولها . فانكلترا مؤلفة من النورسيين ، والأنجلو ، والسكسونيين ، والنورمنديين. ومثلها فرنسا . وناهيك بأمريكا ...

ونحن مثل هؤلاء لا فرق عندنا بين السورى والعراقى والمصرى واللبنانى والفلسطينى والنجدى

لا جدال فى أن شعوباً كثيرة مرت بسورية والعراق ومصر، وتركت فى هذه الأقطار آثارها العنصرية . ولكن جميع هذه البقايا البشرية صهرت فى بوتقة العروبة ، وذابت فى الأمة العربية الحديثة ...

فالأمة العربية — ككل أمة سواها على وجه الغبراء — أصابها الامتزاج ، ولكن هذا المزيج عربى ، لأن لسانه عربى ، وثقافته عربية ، وعنصره الغالب السائد عربى ...

وجميع أجزاء الأمة العربية مترابطة المصالح والفوائد اقتصادياً وسياسياً ، وثقافياً ، ودفاعياً : —

فاقتصادياً ، ليس كاتحاد هذه الدول ما يوفر لها التبادل الحر ، وإزالة الفواصل الجمركية ، ومنع الإنتاج الصناعى المستغنى عنه والحماية السياسية الكافية التى هى شرط جوهرى للفلاح والرخاء

وسياسياً ، فالاتحاد وحده هو الذى يمنع الاحتكاك بينها ، ويغنيها عن الإكثار من المصالح والنفقات التى لا لزوم لها ...

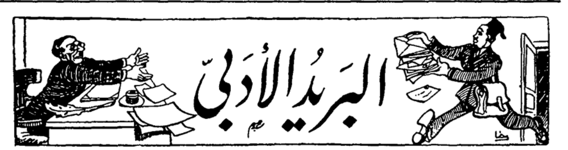
ودفاعياً ، نحن فى غنى عن القول بأن الاتحاد العربى ، على غرار الاتحاد الأمريكى ، هو وحده يحمى ويضمن بقاء الأجزاء التى تؤلفه ، والوحدات التى تكونه ، ونظرة واحدة إلى حوادث السنين — بل الشهور — الأخيرة تدلنا دلالة كافية على أنه لا أمان للأمم الصغيرة . فنعمة وجودنا أمة مؤلفة من سبعين مليوناً يجب أن تستقر فى أذهاننا ...

إن كثيرين منا لم يتح لهم الإلمام بتاريخ العرب المجيد . ألا إنه لولا ثقافة العرب العالية وتراثهم العلمى لكان وجود الحضارة الحاضرة مستحيلاً ...

إنه لشرف أن ننتمى إلى العنصر العربى

ويبدأ عمل الحركة العربية فى القلوب والأرواح ، فمتى تم اتحاد القلوب والأرواح ، أصبح الاتحاد السياسى والجغرافى نتيجة طبيعية ...

فالعروبة حركة قومية فيها الأمن والرخاء والفلاح لجميع العرب وبواسطتهم للانسانية جمعاء !



مصر والأمم العربية

أخى الأستاذ الزيات :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكّرك بما تعاهدنا عليه من أن نكون جنوداً فى جيش الأخوّة العربية إلى أن نموت

وأنا من جانبى أذكر مع الأسف أن الحكومة المصرية لن تستجيب بسرعة إلى المطالب التى اقترحتها فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

فلم يبق إلا أن ننوب عن الأمة إلى أن تستجيب الحكومة لما اقترحناه ، والأمم فى كل أرض أسبق من الحكومات إلى الخير والجميل

والذى يهمنى هو تذكيرك بما صنع إخواننا العرب هذه السنة فى تمجيد مصر : فمجلة الحديث التى تصدر فى حلب أصدرت عدداً خاصاً عن وادى النيل ، ومجلة العرفان التى تصدر فى صيدا أصدرت عدداً خاصاً عن وطن شوقى وحافظ وصبرى والبارودى ، ومجلة المكشوف التى تصدر فى بيروت أصدرت عدداً خاصاً عن الوطن الذى كابد فى سبيله الملك فؤاد ، وجريدة الهدف التى تصدر فى بغداد تستعد لإصدار عدد خاص عن جورجى زيدان وهو لبنانى احتضنه وادى النيل

فما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن سورية ولبنان والعراق ؟

وما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة فى البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ؟

تأكد ، أيها الأخ ، أنك لن تجد أية صعوبة فى تنفيذ ما أقترحه عليك، وتأكد أن هذه الخدمة الأدبية ستحفظها لك مصر ، لأن مصر يهمها أن تتعرف إلى سائر الأقطار العربية تعرف الشقيق إلى الشقيق

وفى انتظار جوابك بالقبول أرجو أن تتقبل تحية أخيك المخلص

زكى مبارك

(الرسالة) : اقتراح الصديق سديد مفيد . وسنعمل على تنفيذه بعون الله بعد شهور الصيف .

الروحيات والمعنويات فى الإسلام

أستاذنا العزيز الزيات :

تحية وبعد فقد كتب أستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد (٣١٤) من « الرسالة » الغراء مشيراً إلى ما كتبنا إليه ذاكراً ما ذكرناه من أننا نرى أن اللذات التى سينعم بها المؤمنون فى الجنة لذات روحية ، وأن اللذات التى ذكرها القرآن الكريم ليست كلها لذات حسية ، وأن القرآن الكريم عندما ذكر النعيم المادى إنما ذكره جزاء لما قدّم العباد من حسنات تتصل كلها بالروحانيات والمعنويات . فرأينا كاملاً أن أستاذنا أحمد أمين صادق كل الصدق فى نظرته إلى أن القرآن كتاب روحانيات وكتاب معنويات ، وأنه عند ذكره الأشياء المادية لا يريد بها لذات مادية ، وأنه إن أراد بها أو ببعضها أشياء حسية إنما هى نتيجة اتباع لروحانيات ، واتصال بمعنويات . هذا هو الرأى الذى يستقيم مع أصل النصوص ويستقيم مع الفكر الإسلامى السليم . وإلا لو أراد أستاذنا الدكتور زكى مبارك منا أن نفهم فهمه لأخذنا بالرأى المضحك السقيم الذى ذكره مثلاً ابن عابدين فى الجزء الثالث من حاشية « المختار » الدر المختار ص ٣١٥ فيما ذكره « من مطلب لا تكون اللواطة فى الجنة من أنه قد قيل إنها سمعية فتوجد ، وقيل يخلق الله تعالى طائفة نصفهم الأعلى كالذكور والأسفل كالأناث وأن الصحيح الأول . وفى البحر حرمتها أشد من الزنا لحرمتها عقلاً وشرعاً وطبعاً ... » . فلو أخذنا بالرأى الذى يقول به أستاذنا الدكتور لقلنا : إن المراد بالولدان أن يفهم ذكرهم

هذا الفهم السقيم ، وحاشا لله أن يكون كذلك . والأقرب إلى العقل أن يكون ذكر الولدان التمتع بالفكرة الروحية التي يمثلها الجمال الحسي ، وإنه إن جاز أن تأخذ في ذكر الحور العين باللذة الحسية ، فإنه لا يجوز أن يفهم هذا عن ذكر الولدان . على أن ما ذكره القرآن الكريم من حور عين ومن ولدان ولحم طير ورحيق وأباريق وفاكهة ، لا يجوز بحال أن نفهم أن ذكرها يؤيد أن القرآن يعنى بالحسيات ، أو أنه كتاب حسيات ، لأنه كما قلت إنما عنايته موجهه للمعنويات وذكرها يراد به اللذات المعنوية . وإن أريد من بعضها أو من ذكر بعضها اللذات الحسية فعلى أنها تابعة للذات المعنوية ويراد من ذكرها تقوية معاني الروحانيات عند المؤمنين لأنها جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى

والغريب أني عند صدور عدد «الرسالة» الأخير قابلني في الترام أحد المبشرين الأمريكان يجادلني في هذه الفكرة التي يريد دكتورنا أن يأخذ بها المسلمون . وبعد فالدكتور زكي مبارك عزيز علينا ولكن أعز منه كتاب الله والفكرة الإسلامية السليمة التي يجب أن ندافع عنها ، وهي أن الإسلام دين روحانيات ومعنويات وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات ، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذي يتصل بأن يرق بالإنسان إلى الروحانيات ، وأنه عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسي ، بل يريد بها جزاءها المعنوي الروحي ، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هي في دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر ما تتصل بالروحانيات والمعنويات ، والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود علي قراعة

جماعة الفن والحرية

قرأنا في عدد «الرسالة» رقم (٣١٤) الصادر في ١٠ يوليو سنة ٩٣٩ كلمة جاءت في صفحة البريد الأدبي تحت عنوان «الفن المنحط» وقد ورد في هذه الكلمة أنه بهذا الاسم قد تكونت جماعة من الفنانين هي اليوم في طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، وأن الفن المنحط الذي تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال عنه أنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن ، إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً في الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس ؛ ومتى توفر فيه الصدق ، فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شيء ، ولا ينقص من شأنه شيء إلا أن يكون تكلفاً فهو عندئذ ليس فناً ، وإنما هو تهريج وتجارة .

وقد جاء في هذه الكلمة أيضاً أنه إذا كانت جماعة «الفن المنحط» قد تألفت من أفراد صادقين في شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط ؛ أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشيء إلا لهذا التكلف .

وكل ما جاء في هذه الكلمة صحيح من غير شك لا في نظر كاتبها فقط بل في نظرنا أيضاً ، لأننا لا نعتقد أبداً أن جماعة من الجماعات يمكن أن تقوم باسم «الفن المنحط» لتدعو الناس إلى الانحطاط في الفن

لقد تكونت جماعتنا باسم «الفن والحرية» وأغراضها تنحصر في الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفي نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وإقامة المعارض الفنية العامة ، ثم هي تعمل في نفس الوقت على إيقاف الشباب المصري على الحركة الأدبية والاجتماعية في العالم

هذه هي أغراض جماعة «الفن والحرية» فإذا كان فيها ما يدل على أنها تدعو إلى الانحطاط في الفن فنحن نغتفر للكاتب ما ذهب إليه في أمرها . أما أن يتصدى لنقد جماعة من الجماعات كاتب لا يعرف حقيقة اسمها ولا يعرف حقيقة أغراضها معتمداً في هذا على الإشاعات والأقاويل فهذا ما ننزه كاتباً في (الرسالة) عن خطأ الوقوع فيه

أنور كامل
عن اللجنة الدائمة لجماعة
«الفن والحرية»

انحطاط الطاقة ونهاية الكون ؟

إلى عالمنا المصرى الدكتور محمد محمود غالى :

أقرأ بإعجاب المقالات العلمية العظيمة التى يجود بها يراع العالم الطبيعى المحقق الدكتور محمد محمود غالى على صفحات الرسالة فأشعر بحنين نحو السوربون لأنه يخيل إلى وأنا أطالعها أنى أستمع إلى أولئك العلماء الأعلام أساتذة تلك الجامعة الكبيرة التى تلقيت فيها العلم أيام الصبا

وتتبعت على الأخص بإمعان مقالات الدكتور الأخيرة عن موضوع انحطاط الطاقة وتدهورها المستمر المحتم من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية إلى صورتها السفلى وهى الحرارة، وكيف أن الكون سائر نحو مايسمونه « الموت الحرارى » على حد تعبير الدكتور العالم أى السكون التام الذى سينتهى إليه فى جميع أنحائه بجميع أجزائه وجزيئاته وذراته ومحتوياتها على النحو الذى شرحه الدكتور بما أوتى من علم وبلاغة ، فلا كواكب تدور ولا شموع تسطع ، ولا سيارات تضاء ، ولا حركة من أى نوع ولا كهرباء ولا جاذبية ولا ضوء ولا حرارة مرتفعة الدرجة الخ . وبطبيعة الحال لا حياة على الأرض ولا على غيرها بل إن الحياة تكون قد اندثرت من الكون قبل ذلك بملايين وملايين السنين لزوال أسبابها وعدم توفر شروطها وعواملها ، وما هى إلا حلقة من تطورات الطاقة تنتج من تحول الطاقة الكيميائية الناتجة من احتراق المواد الغذائية داخل الأنسجة إلى طاقة ميكانيكية كحركة الجسم وحركة أعضائه الداخلية وتفاعلاته الكيميائية البيولوجية وفى النهاية إلى حرارة شأن جميع صور الطاقة أثناء تحولها فى الطبيعة

فعاودنى حين قرأت هذه الصورة المقبضة لنهاية الكون اعتراض قديم قام فى ذهنى حين سمعت هذا الرأى لأول مرة فيما مضى عند درس الطاقة البيولوجية ، وقد أشار فعلاً إلى هذه النهاية المحزنة أستاذى العالم الفسيولوجى الكبير المأسوف عليه « داستر » فى دروسه بالسوربون وفى كتابه النفيس « الحياة والموت »

وإنى أطرح هنا هذا الاعتراض على الدكتور غالى لأستقى من بحر علمه الواسع راجياً منه أن يتحفنا بكلمة فى هذا الموضوع من كلماته الفياضة تروى غليلى .

أقول إنه لو كانت نهاية الكون هذه تحدث للأسباب المذكورة لحدثت من زمن . ذلك لأنه لو فرضنا أنه يلزم مثلاً مليار أو أكثر من السنين لتحول جميع صور الطاقة العليا فى الكون إلى حرارة غير مرتفعة الدرجة لتم ذلك من زمن بعيد لأن المادة (أو مجموعة المادة والطاقة) قديمة ، ولأنه مضى على الكون أضعاف أضعاف أضعاف هذه المدة . وهل يمكن أن يتصور العقل أن للكون بداية ؟ أليس هذا مخالفاً لأبسط الحقائق العلمية وللنواميس الطبيعية الأساسية ، وعلى الأخص لناموسى بقاء المادة وبقاء الطاقة وعدم تلاشيهما ؟ فكل من المادة والطاقة ثابت لا تخلق منه ولا تنعدم منه ذرة واحدة ، وإن كانت صورهما فى تحول مستمر من الواحدة إلى الأخرى. وإذا كان العلم الحديث أوشك أن يوحد بين المادة والطاقة فيمكن أن يقال إن مجموعهما ثابت لا يخلق منه شىء ، ولا ينعدم منه شىء .

وبالجملة فإنه إذا كانت تلك الأسباب (انحطاط صور الطاقة العليا وتحولها شيئاً فشيئاً إلى حرارة منخفضة الدرجة) من شأنها أن تقضى على الكون بالسكون التام المطلق لحدث ذلك من قديم الزمان

فإذا صح هذا الاعتراض ألا تكون النتيجة الطبيعية المنطقية أن هناك إذاً عوامل أخرى مجهولة الآن لم تدخل فى حساب العلماء والرياضيين قد يكشف عنها العلم فى المستقبل فتتغير وجه المسألة ويطمئن حينئذ رجال الغد على مصير الكون ؟

نصيف المنقبادى المحامى

عدد المكشوف الخاص عن مظاهر الثقافة فى مصر

أصدرت زميلتنا المكشوف البيروتية عدداً خاصاً عن مظاهر الثقافة فى مصر فى ٥٦ صفحة مزدانة بالصور المختلفة ، حافلة بالفصول الممتعة والبحوث المستفيضة فى شتى مناحى الأدب المصرى ، دبجه أكثر من ٤٠ كاتباً وشاعراً مصرياً ، وبه حديثان أحدهما لمعالى هيكل باشا ، والآخر لسعادة العشماوى بك

وقد وفق أكثر الكتاب كل التوفيق فيما عالجوه من الموضوعات ، ولكن أقلهم غلبت عليه نزعته الخاصة فلم يفطن إلى الحكمة من إصدار هذا العدد فخرج فيما كتب عن أسلوب المؤرخ المقرر الذى تقتضيه هذه الحال

والعدد يباع بمصر فى المكتبات التالية : التجارية الكبرى بأول شارع محمد على ، النهضة المصرية — ١٥ شارع المدابغ ، الهلال بشارع الفجالة ، زلزل — ٣ ميدان سليمان باشا .



على هامش كتاب

حيـــاة الرافعى

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود أبو ريه

أقبلت على قراءة كتاب (حياة الرافعى) لا كما يقبل عليها غيرى من أهل الأدب ومحبى الرافعى ، وذلك لما كان بينى وبين الرافعى رحمه الله من صداقة امتدت أكثر من ربع قرن فعرفت من أحواله وأنبائه شيئاً كثيراً ، فما فتحت عينى على هذا السفر النفيس الذى تحدث عن هذه الحياة المباركة حتى رجعت إلى ذاكرتى من ناحية ، وإلى كتب الرافعى الخاصة التى لدى من ناحية أخرى ، لأرى إن كان صديقنا سعيد العريان قد صدق فيما روى وحقق فيما أرخ ، أو هو قد سلك تلك السبل التى يتبعها أكثر المؤرخين من العناية بكثرة الحشد ، والتلفيق فى الرواية من ههنا وههنا بلا تمحيص فى ذلك ولا تحقيق ، كأن التاريخ لا حرمة له عندهم ، والحق لا رعاية لجانبه فى قولهم

جعلت ذلك همى من قراءة كتاب (حياة الرافعى) . أما البحث فى قيمته وأثره فى عالم الأدب ، وفضل صاحبه فى السبق إلى افتراع هذه الطريقة من الترجمة ، وما إلى ذلك من المزايا التى امتاز بها هذا الكتاب ، فقد تركت ذلك كله لغيرى ممن يعرضون لنقده أو تقريظه حتى لا يقال إن صديقاً يقرظ صديقه

قرأت الكتاب من ألفه إلى يائه قراءة تدبر ودرس تخلص لى منه أن أخانا الأستاذ سعيد قد فاز بالحسنيين : حسنى الوفاء للرافعى — والوفاء فى زمننا قد أصبح غريباً بل صار جريمة ومنكراً — وحسنى إحسان العمل من حيث التحقيق فى الدراسة واستيعاب كل ما يتصل بحياة الرافعى حتى خرجت هذه الشخصية الجليلة فى هذا السفر صورة حيـة . ذلك بأنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يذر شاردة ولا واردة إلا قيدها . بيد أن هناك أمرين ما أظن إلا أن اطراد البحث قد أعجله عن استكمال درسهما

ولأنى أعرف الحق فى هذين الأمرين فقد رأيت إحقاقاً للحق وإنصافاً لمن يتصل بهما أن أستعلن بما أعرف على صفحات الرسالة الغراء ليكون من علم قرائها الذين هم صفوة أهل الأدب فى العالم العربى ، ومنهم ولا ريب قراء كتاب (حياة الرافعى) لكيلا يفوتهم من أمر هذه الحياة الجليلة شىء

تحدث الأستاذ سعيد فى هامش الصفحة ١٣ من هـذا الكتاب قال : (كان للرافعى صلة روحية بالسيد البدوى ترتفع عن الجدل والمناقشة وله فيه مدائح وتوسلات شعرية كثيرة ...) وهذا القول لو أخذ على إطلاقه لبدا منه أن الرافعى رحمه الله كان من الذين يعتقدون بالتوسل بأصحاب القبور ، فيتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله يفزعون فى كل ما يهمهم إليهم ، ويستعينون بهم فى قضاء مآربهم . وإذا صح ذلك كان مغمزاً فى أعظم جانب من حياة الرافعى ، وهو الجانب الدينى ؛ لأن التوسل بأصحاب القبور عند المحققين وأهل البصر بالدين إنما هو شرك بالله يبرأ منه كل مسلم صحيح الإيمان . والرافعى رحمه الله كان إماماً فى الدين كما كان إماماً فى الأدب ؛ وكان من دعوته فى الحياة أن يعتصم

السلمون بعروة دينهم الوثقى ، وأن يرجعوا من وثنيتهم إلى الدين الخالص الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

على أن هذا الأمر الذى أشار إليه أخونا سعيد لا يعرف غيرى وجه الحق فيه ، ذلك أنى كنت فى إحدى زياراتى للرافعى بطنطا فى سنة ١٩١٨ وما كدت أجلس إليه حتى قال لى : (أبشر يا أبا رية ، لقد اقتربت ساعة شفائى من علتى إن شاء الله (وهى العلة التى كانت بأذنه). ولما سألته عن مرجع هذه البشرى قال : « لقد رأيت السيد البدوى فى المنام ليلة الأمس قد جاءنى وبشرنى بالشفاء فنهضت من نومى وأنشأت فيه هذه القصيدة » ودفعها إلىّ فقلت له إن هذه القصيدة لو نشرت لكانت فتنة للمسلمين ، لخير لك أن تطويها حتى نرى تأويلها. ولأنه رحمه الله كان يعتقد فى عالم الروح اعتقاداً غريباً وكان يأخذ بالحديث الشريف فى أن دعوة المؤمن على ظهر الغيب تنفع، وكان يحسن ظنه يستيقن من إخلاصى له حتى كان لا يكتب لى خطاباً إلا ويطلب فى آخره ألا أنساه من الدعوات الطيبة، فقد كتب لى فى ورقة صغيرة هذه العبارة[1] (أريد أن تذهب الآن إلى جامع السيد وتتوضأ وتصلى بعض ركعات ثم تقرأ ما تيسر من القرآن على نية أن يعجل الله بشفائى ثم تدعو لى بذلك فإن دعاء المؤمن لا يعدله شىء فى سرعة الإجابة مع خلوص النية . وأمس رأيت السيد البدوى فى الرؤيا وبشرنى بالشفاء ولهذا طلبت منك هذا الطلب)

وعلى أن ما طلبه منى ليس فيه شىء من التوسل بالسيد البدوى وإنما هو صلاة لله وقراءة لما تيسر من كتاب الله ودعاء خالص يَصْعَد إلى الله ليعجل بشفائه

وهذا كله عمل خالص لله وحده فقد حاك بصدرى شىء من الشك فى عقيدته ، ورأيت من أجل ذلك أن أتلطف لمعرفة حقيقة ما يعتقد فى التوسل بالمشايخ ، فسألته فى خطاب بعد ذلك بقليل عما يقوله رجال الصوفية من أنه لابد لكل مسلم أن يتخذ (واسطة) من مشايخهم يصل به إلى الله ، وهل هو قد اتخذ هذه (الواسطة) فأجابنى فى كتاب تاريخه (١٥ يولية سنة ١٩١٨) بما يلى :

(... وأنا ألتجئ دائماً إلى الاستمداد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه واسطة الجميع ، ولا أدرى إن كان فىّ استعداد للتلقى عن هذه النابة البعيدة أم لا)

وبعد أن انقضت شهور على هذه الرؤيا ولم تتحقق البشرى حدثته فى ألا ينشر ما وضعه من شعر فى السيد البدوى وأن يُبْعِدَه عن ديوانه، فقال: إن هذا ما سأفعله إن شاء الله وسأجعله مما أهمله من شعرى

هذا هو نبأ توسلات الرافعى بالسيد البدوى الذى تحدث عنه الأستاذ العريان

ومن يقرأ ما كتبه الرافعى فى الدين ووصفه لإسلام المصريين بأنه إسلام فرعوني[1] بما شابه من ذرائع الوثنية ، وما اختلط به من البدع الشركية ، يتبين له صدق ما قلنا وصحة ما روينا وأنه كان طوال حياته حرباً على الدجل والخرافات، والشعبذة والتوسلات، تلك التى لا يعرفها دين الإسلام؛ وأنه نذر كما يقول الأستاذ سعيد (أن يموت فى الجهاد وفى يده الراية ينافح بها الشرك والضلال ، ويدعو إلى الله ويواصل حملة التطهير[2])

* * *

والأمر الثانى فى قول أخينا سعيد ، من أن السيد رشيد رضا رحمه الله ، لما قرأ مقدمة النسخة الأولى من مجلة البيان المنسوبة إلى الأستاذ الإمام محمد عبده قال : (... لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ وسمعت منه هذا الحديث ، ولكن لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملنى على روايته)

وهذا القول لو ثبت على ما رواه صديقنا سعيد من أن مقدمة البيان من وضع الرافعى لكان ذلك طعناً فى خلق إمام كبير من أئمة الدين يذهب بالثقة به ويلقى الشك فى الأخذ عنه ، ولكن الذى جرى على وجه التحقيق أنه لما ظهرت مجلة البيان التى أصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى قابلها حجة الإسلام السيد رشيد رحمه الله بالترحيب والتقريظ ، وكتب عنها كلمة طيبة

(١) أطلعت أخانا سعيد على أصل هذه الورقة فى أوائل شهر مايو الماضى بالقاهرة وكنت معه بنادى دار العلوم وهى من خط الرافعى رحمه الله

(١) تراجع الصفحة العاشرة من الجزء الثانى من كتاب وحى القلم مقالة الاشراق الالهى .

(٢) تراجع الصفحة ٢٨٢ من كتاب (حياة الرافعى)

قصص العـــــرب

للأســـاتذة

جاد المولى بك ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم

للأســـتاذ أحمد التاجى

أُثِرت عن العرب قصص يرجع أقدمها إلى الزمان الأول ، كانت صدى لحياتهم ومرآة لأذهانهم ، ومُجاعاً لمعارفهم وأساطيرهم ولكنها تحتاج إلى إحياء وتجديد

أما إحياؤها فباختيارها من أسفارها ورفع الأنقاض عنها ، وجمعها فى كتاب واحد ، وبتصحيح عباراتها ، وبتحقيق حوادثها ، ثم يعرض كما قاله العرب ، ليتأدب به الناشئون وليتخذوا منه مادة لإنشائهم ، وغذاء لأفكارهم . وأما تجديدها فهو الخطوة الثانية وذلك بأن نطعّم بالأدب الحديث ، وتسقى من المعارف التى وصلت إلينا ، لتناسب أبناء جيلنا ولا تنبو عن أذواقنا

والكتاب الذى نعرض له الآن يخطو الخطوة الأولى ، فيجمع قصص العرب كما حكوه وحدثوا به ، ويفصّله فى أبواب فيضع تحت كل باب ما ورد فيه من القصص

فقصص تدل على عقلية القوم واعتقاداتهم فى الآلهة ، وقصص تستبين بها مظاهر حياتهم وأسباب مدنيتهم ، وقصص تجلو علومهم ومعارفهم ، وأخرى تظهر أخلاقهم من وفاء وكرم وحلم . وهكذا ينتقل من باب إلى باب ، والذى يربط بين القصص أغراضها ، وكنا نود أن ترتبط بعصورها ، فتنفع مؤرخ الأدب وليرى فيها أحوال كل عصر وآدابه ماثلة فى قصصه

وكنا نود أيضاً أن تبرأ من الأخبار البعيدة عن القصص فإن ذلك قد تكفلت به كتب الأدب ، وما هى بقليلة

على أن للأساتذة جهداً مشكوراً إذ أتاحوا الفرصة لمن يدرس القصة العربية وتدرجها ، وعرضوا لنا مادة زاخرة تصلح هيا كل لقصص عربى حديث

وقد لاقوا عناء شديداً فى تصحيح النصوص وتقويم الأشعار والتنقيب عن أصح الروايات ، يشهد بذلك من اطلع على ذلك السفر الجليل الذى ظهر آية فى إخراجه — عدا بعض هنات مطبعية — وهذا عمل يقدره من يكابد القراءة فى الكتب القديمة ، وطبعاتها السقيمة

فلهم ما يستحقون من الشكران — أحمد التاجى

فى مجلته (المنار) ولما تحدث عن حديث الأستاذ الإمام مع الأستاذ البرقوقى لم يقل إنه كان حاضر مجلس الشيخ ، ولا إنه سمع هذا الحديث ، وإنما قال عن الأستاذ البرقوقى إنه (نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه قطعاً[1])

وهذا لا يعنى أن الحديث من غير كلام الإمام أو أن الإمام قد تحدث به أمام السيد رشيد

هذا أهم ما رأيت أن أنشره فى الرسالة . ولقد وجدت فيما بين يدى من كتب الرافعى رسائل فى الأدب والدين واللغة تستأهل النشر لانتفاع الناس بما فيها ولعل الله يقيض لى — إذا وجدت من صدر الرسالة سعة — أن أنشر ما فيه الخير من هذه الرسائل .

ورحم الله الرافعى رحمة واسعة . — محمود أبو ريه

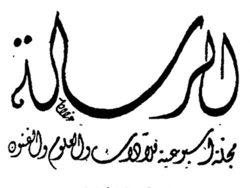
(١) يراجع الجزء الحادى عشر من المجلد الرابع عشر من مجلة المنار (صفحة ٨٧٥) الصادر فى ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٩ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

Lundi - 24 - 7 - 1939

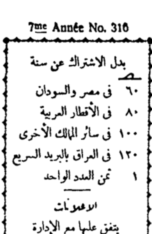
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

7me Année No. 316


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٣١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ يوليه سنة ١٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

١٠ - ١٣

حلم ليـــلة صيف

غربت الشمس فى الرمال اللوبية المرْمضة ومن ورائها فى الجو والأرض وهيج كزفير جهنم . وكان القاهريون قد احتشدوا فوق الجسور وعلى الشواطئ وفى الحدائق يَنْسِمون نَفَس الماء ونفح المساء وأرج الزهر ، فكأنما لم يبق فى البيوت والقهوات والطرقات أحد . وكنت أنا فى زحمة الناس أسير هَوْناً على جسر إسماعيل والذكريات العِذاب تنثال على خاطرى انثيال الشعاع السنمائى بالأخيلة المتحركة على الشاشة ، فأذكر فيما أذكر كيف كان ذوو السراوة والنعمة يخرجون قبل أن يعبروا أوربا إلى الجزيرة آصالَ الربيع والصيف فى زينتهم الفاخرة ووضاءتهم الباهرة ومركباتهم الفخمة تتراقص بها الجياد المطهمة العتاق ، فيكون للفقراء من مَعْرِضها منظر فتان من زَهرة العيش يشغل الهمّ عن القلوب ساعة . ثم أبصر فيما أبصر كيف أصبح الجسر والجزيرة — بعد انتجاع المترفين المرفهين فيشى وكرلسباد ، ومونت كارلو ونيس — مَرَاداً لذوى الفاقة والعاهة والكرب ، لا ترى حولهم إلا بؤساً ولا تسمع بينهم إلا شكوى ! ثم انتهى بى هذا السير البطىء الحالم إلى (كازينو الكُبْرِي) فجلست وحدى فى مكان مظلم ، وجعلت وجهى وعينى للنيل المزدان بالقوارب ؛ وللشاطئ المزدهر بالمصابيح ، وأخذتْ ذاكرتى تنوص وتطفو بين جوف الماضى ووجه الحاضر ، فلا أرى فيما خلّفه الزمان

والإنسان إلا مآسي دامية ألّفها الطمع والأثرة، ومثّلها الضعف والقوة . وكان عقلي القاصر يطلّق أحياناً على ما تعرض الحافظة من هذه الصور، فيعجب كيف عجز إلى اليوم دين السماء وعلم الأرض عن التوفيق بين القوة والضعف ما داما متلازمين في الحياة ! أليس منشأ الصراع الأزلي بين المرأة والرجل والعبد والسيد والفقير والغني والمظلوم والظالم والمستعمَر والمستعمِر إنما هو القوة في جهة ، والضعف في جهة أخرى ؟ لا يحق لنا أن نسأل لأيّة حكمةٍ كانت القوة هنا وكان الضعف هناك ، ولكن من حقنا أن نقول : لماذا أعضل على المصلحين أن يحملوا القوى على أن ينزل للضعيف عن بعض القدرة فيستقيم الأمر بالاعتدال ويتحقق السلام بالعدل ؟

* * *

كانت ساعة الحرس تعلن بدقاتها المدوية انتصاف الليل حين تهالكت على الفراش وأنا من إدمان الذكر والفكر على حال شديدة من الجهد . فلم تكد عيناي تُغفيان حتى رأيت فيما يرى النائم أن دور الفقراء وأكواخ المساكين في بولاق أمست كالتنانير الموقدة تلفح جدرانها باللهب، وتسيل سقوفها بالبق، ويختنق هواؤها بالنتن، فتركها أهلوها هاربين في عتمة الليل إلى الشوارع والميادين، فظنهم الحراس والعسس « متظاهرين » فطاردوهم بالعصيّ مطاردة الجراد، فهاموا في الشارع من الذعر هيام القطيع حتى وجدوا قصراً من قصور الأمراء ، غريقاً في الأضواء والضوضاء ، فلم يتمالكوا أن تدفقوا فيه من أبوابه ، على الرغم من دفاع حراسه وحجّابه. ثم انساب هذا الجمع الفزع في حديقة القصر الأفيح حتى أحدقوا ببؤرة الضوء، ثم أخذوا يستفيقون من الذهول والرعب على شذا العطور وسطوع النور ونغم الموسيقى ، واستطاعوا أن ينظروا فماذا رأوا ؟ رأوا حفلة راقصة تحت السماء على بركة الحديقة الواسعة، وأربابُ النعمة وربات النعيم متقابلون على الأرائك، أو متعانقون على الأعشاب، أو متخاصرون في المرقص، أو متنادمون حول المقصف؛ وشموس الكهرباء تسطع على الظهور البلورية والصدور العاجية وقد انشقت أطواق الفساتين من أمام ومن خلف إلى ما تحت الخصور فلم يمسك الثوب عن النزول إلا شريطان على الكتفين رُصعا بالماس وعُقدا بالذهب. وكان الجو

الليل مشبعاً ريّا العطر وعبَق الخمر وأنفاس الغواني وشدْو القيان وهزج المزامير وعزف الأوتار ، فلا يدخل فيه ذو حس إلا هاج واشتهى، ولا ذو وقار إلا عبث والتهى. وكانت البِركة المسجورة بماء الورد واللاونده تموج بالحور والولدان سابحين أو متشابكين ، يتواثبون من النشوة ، ويتجاذبون من الشهوة؛ وعلى حِفافيها المرمريين يتراقص القوم أزواجاً على أنغام «الجاز» والسواعد ملتفة على القدود ، والشفاه مُطبِقة فوق الخدود ، والأثداء رجراجة بين الصدور والنحور ، والأنظار جوّالة بين البطون والظهور ؛ وفوق نافورتها الوسيمة البديعة ترقص حول رشاشها الطائر الوهاج جوقة من عرائس عبقر، في غلائل عسجدية من نسج الجن ، وأوشحة مصبّغة من صنع السحرة . وكلما ماست الحوريات الرواقص تقلّب عليهن الوشي، واختلف فوقهن اللون، وانبثق عنهن شعاع من الفتنة يبهر العيون ويضل الأفئدة !

* * *

كان القوم في سورة اللهو وسكرة اللذة وحميا الطرب حين أحاط بهم مساكين بولاق في بزتهم الزرية وهيئتهم المخيفة ؛ فانفغرت أفواه هؤلاء من الدهش ، ووقفت رءوس أولئك من الخوف ، والتقى الشقاء والسعادة وجهاً لوجه !

ولكن الله لم يشأ أن يصطرع الغنى والفقر في هذه اللحظة الرهيبة فرأيت أفواجاً من البق والبراغيث لها أجنحة كالفراش وخراطيم كالبعوض قد خرجت من ثياب الفقراء وأخذت تلسع الأجسام النضة والوجوه الناضرة لسع النحل المُهاج ! فتراكض الداعون والمدعون هاربين في الحديقة وهذا الطير الأبابيل في ظهور النساء وأقفية الرجال يخزُهم بالسم حتى أخرجهم إلى الشارع . وهناك كان الجند يترقبون خروج (المتظاهرين) فلم يكادوا يرون هؤلاء حتى أعملوا فيهم العصيّ وساقوهم سوق الأنعام إلى القسم فقضوا ليلهم الباقي على الأسفلت. وخلا المقصف والمرقص والقصر لطرائد البؤس والشرطة فأكلوا مريئاً وشربوا هنيئاً وناموا ملء الجفون على الأسرة المذهبة !

ثم كربني الحر فصحوت من النوم ، قبل أن يريني الحلم في ضوء الصباح فضيحة القوم !

أحمد حسن الزيات

حول كتاب :

مستقبل الثقافة في مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

« مستقبل الثقافة في مصر »

هذا العنوان الذي عنون به الأستاذ الدكتور طه حسين الكتاب الذي نشره قبل بضعة أشهر في مجلدين ... ذكرني بعنوان « المطارحات » التي نشرها « المعهد الأممي للتعاون الفكري » التابع لعصبة الأمم بعد الاجتماع الذي عقده في مدريد سنة ١٩٣٣ : مستقبل الثقافة

وعند ما أسجل هذه المشابهة في مستهل مقالي هذا ، أرى من الواجب عليّ أن أصرح — في الوقت نفسه — بأن المشابهة بين الكتابين لا تتعدى حدود العنوان . فإذا كان من البديهي أن المؤلف الفاضل اقتبس عنوان كتابه من المطارحات المذكورة، فمن الواضح أيضاً أنه لم يستلهم شيئاً من موضوعاتها أو من مناحي التفكير المتجلية فيها ...

وأما كيفية تأليف الكتاب ، فالمؤلف يشرحها لنا بكل وضوح ، في المقدمة القصيرة التي صدّره بها :

إن « فوز مصر بجزء عظيم من أملها في تحقيق استقلالها الخارجي وسيادتها الداخلية » حمل « المفكرين المصريين » على أن يشعروا بأن « مصر تبدأ عهداً جديداً من حياتها » ... « إن كسبت فيه بعض الحقوق ، فإن عليها أن تنهض فيه بواجبات خطيرة وتبعات ثقال » . إن هذا الشعور شمل الشباب ، ودفع فريقاً منهم إلى « أن يسألوا المفكرين وقادة الرأي عما يرون في واجب مصر بعد إمضاء المعاهدة مع الإنجليز . . » وهذا قد جعل كل واحد من المفكرين المسؤولين « يتحدث إليهم في ذلك حديثاً سريعاً مرتجلاً ، بقدر ما كان يسمح له وقته وعمله وتفكيره السريع في حياة سريعة » تمر بهم أو يمرون بها « مرّ البرق » .. فقد تحدث الدكتور طه حسين نفسه إلى هؤلاء الشبان فيمن تحدث ؛ غير أنه لم يقتنع بكفاية ما تحدث إليهم به ، ولم ير أنه « قد دلهم على ما كان يجب أن يدلهم عليه ، وهداهم إلى ما كان يجب أن يهديهم إليه » . واستقر في نفسه أن واجب المصريين « في ذات الثقافة والتعليم بعد الاستقلال أعظم خطراً وأشد تعقيداً » مما تحدث به إليهم « في ساعة من ليل أو في ساعة من نهار ، أو في قاعة من قاعات الجامعة الأميركية ... وأنه يحتاج إلى جهد أشق وتفكير أعمق وبحث أكثر تفصيلاً » ووعد نفسه بأن يبذل هذا الجهد ، وأن يفرغ لهذا البحث ، وأن ينهض بهذا العبء ... ولكنه لم يفي هؤلاء الشباب بشيء مما قرره ، لأنه أشفق أن تحول ظروف الحياة بينه وبين إنجاز هذا الوعد . وليس أشق عليه من وعد يبذله للشباب ثم لا يستطيع له إنجازاً ... »

إن كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » كتب « لإنجاز ذلك الوعد الذي قدمه الأستاذ إلى الشباب الجامعيين ولم يظهرهم عليه ... »

إن هذه المقدمة تدل دلالة واضحة على أن الدكتور طه حسين قد شعر بخطورة هذه المباحث حق الشعور ، وقدّر عواقب التسرع والارتجال فيها حق التقدير . . . كما تعلن إعلاناً صريحاً أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن بذل « الجهد الأشق » الذي قال بضرورته ، وقام « بالتفكير الأعمق » الذي نوه به ، و « فرغ للبحث لينهض بالعبء » الذي أشار إليه ...

غير أن من ينعم النظر في الكتاب — بعد مطالعة هذه المقدمة — يشعر بشيء كثير من خيبة الأمل ؛ لأنه لا يجد فيه من الآراء والملاحظات ما يتناسب مع وعود العنوان وتصريحات المقدمة . فالكتاب يتألف في حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات قليلة التناسق كثيرة التداخل ، يبدو على جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال ، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات ...

فكثيراً ما يقع النظر في صفحات الكتاب على فكرة صائبة — معروضة بأسلوب جذاب — غير أنه يلاحظ في الوقت نفسه كثيراً من المآخذ في المقدمات التي سبقت تلك الفكرة والملاحظات التي تلتها فيبقى حائراً متردداً بين مواقف الاستساغة والاستنكار

إن نظرة إجمالية إلى أولى المسائل المشروحة في الكتاب تكفي للبرهنة على كل ذلك في وضوح وجلاء

— ١ —

إن المسألة التى يفتتح بها الدكتور طه حسين أبحاث كتابه تتلخص فى السؤال التالى :

هل يوجد فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ؟

والمؤلف يناقش هذه المسألة فى أكثر من ثلاثين صفحة من الكتاب مناقشة مباشرة ثم يعود إليها عدة مرات — بوسائل شتى — فى نحو ثلاثين صفحة أخرى .. وأما الحكم الذى يصل إليه من أبحاثه ومناقشاته هذه فيتلخص فى العبارات التالية :

« فكل شىء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز من هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب » (الصفحة : ٢٨)

فمهما نبحث ومهما نستقص فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل المصرى والعقل الأوربى فرقاً جوهرياً » (الصفحة : ٢٩)

إننى أشارك الدكتور طه حسين فى هذا الحكم الصريح مشاركة تامة . . . فلقد درست وناقشت هذه المسألة فيما مضى مراراً بوسائل مختلفة ؛ وانتهيت فى جميع تلك الدراسات والمناقشات إلى نتيجة مماثلة لهذه النتيجة ، لا بالنسبة إلى المصريين فحسب ، بل بالنسبة إلى أمم الشرق الأدنى بوجه عام ، والأمة العربية بوجه خاص ...

ولهذا السبب ، يسرنى كل السرور أن أتفق مع المؤلف فى هذا الحكم اتفاقاً تاماً « ومع هذا يؤلمنى جداً » ألا أستطيع موافقة على سلسلة الآراء والأحكام التى سردها حول هذه المسألة وأن أرانى مضطراً إلى مخالفته فى معظم المقدمات التى بنى عليها حكمه هذا ، وفى بعض النتائج التى استخرجها منه ...

أولاً ، يكرر الدكتور طه حسين الحكم الذى ذكرناه آنفاً عدة مرات — جرياً على عادته العامة — ويعبر عنه فى كل مرة بشكل جديد ، وكلمات جديدة — حسب أسلوبه الخاص — ؛ غير أنه لا يتقيد — خلال هذا التكرار — بمعانى الكلمات ، وحدودها « التقييد العلمى » الذى يتطلبه مثل هذه الأبحاث ... فينزلق إلى مهاوى الغلو والمبالغة انزلاقاً غريباً ، فيبتعد عن « الحقيقة » التى كان توصل إليها ابتعاداً كبيراً ...

مثلاً ، يسترسل مرة فى الحديث حتى يضيف كلمة الثقافة إلى كلمة العقل ، فيقول :

« كلا ، ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم وتأثرت به ، فرق عقلى أو ثقافى ما ... » (الصفحة : ٢٥) .

أفلا يحق لى أن أسأل الأستاذ فى هذا المقام : هل يدعى — عن جد — أنه لا يوجد « فرق ثقافى ما » بين المصرى ، والفرنسى ، والسورى ، والإيطالى ؟ إن القول بعدم وجود « فرق جوهرى » بين « العقل المصرى ، والعقل الأوربى » شىء ، والقول بأنه لا يوجد بين المصرى والأوربى « فرق ثقافى ما » شىء آخر ... فمهما آمنت بالقضية الأولى إيماناً عميقاً ، لا يمكننى أن أسلم بالقضية الثانية أبداً ... وأعتقد اعتقاداً جازماً أن إنكار وجود « الفرق الثقافى » بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم ، لا يختلف عن إنكار وجود الشمس فى رابعة النهار ...

كما أرجح أن المؤلف نفسه لم يكتب ذلك عن « تأمل واعتقاد » ، بل كتب ما كتبه فى هذا المضمار مدفوعاً بدوافع الاستعجال والارتجال — بالرغم من تصريحات المقدمة — ومجروفاً بتيار الألفاظ والكلمات . وربما كان من أبرز الأدلة على ذلك ما قاله فى أواخر الكتاب حيث يختم أبحاث الكتاب بسؤال عام : « أتوجد ثقافة مصرية ؟ » ويجيب على هذا السؤال بالعبارة التالية :

« هى موجودة ، متميزة بخصالها وأوصافها التى تنفرد بها من غيرها من الثقافات ... » (الصفحة — ٥٢٥)

ولا أرانى فى حاجة إلى البرهنة على أن مضمون هذه العبارة ، يناقض القول الذى أشرنا إليه آنفاً ، مناقضة صريحة ...

ومما يجدر بالملاحظة أن مغالاة المؤلف فى تشبيه المصريين بالأوربيين — وإنكار وجود الفروق بينهما — لا تنحصر فى هذه القضية وحدها ، بل تتعداها إلى أمور أغرب منها : إذ أننا نراه يدعى — فى محل آخر من الكتاب — عدم وجود فرق بينهما من حيث الطبع والمزاج أيضاً . فهو عند ما يصرح بأنه « لا يخاف على المصريين أن يفنوا فى الأوربيين » يبرهن على ذلك بقوله :

« ... ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى الطبع ولا فى المزاج ... » (الصفحة ٦٣)

ليس بين المصريين والأوربيين فرق لا فى الطبع ولا فى المزاج! لا أدرى كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ؟ فإن الفروق فى الطبع والمزاج من الأمور التى تشاهد على الدوام بين الأمم الأوربية نفسها ، وهى تبدو للعيان بين الانكليزى والفرنسى والألمانى والإيطالى . . . حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين ، والشرقى والغربى من الألمان ، والسهلى والجبلى من الطليان . وبين الريفى والمدنى والصانع والتاجر ، والمثقف والعامى من جميع هؤلاء . . . فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه؟

إننى أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه حسين لم يكتب هذه العبارة أيضاً عن تأمل واقتناع . بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير توارد الكلمات

إنى لا أكون من المغالين إذا قلت : إن « نزعة التسرع فى الحكم والإسراف فى الكلام » من النزعات المستولية على معظم مباحث كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، وهذه النزعة هى التى ورّطت المؤلف فى مآزق غريبة ، وأوقفته مواقف لا تخلو من التناقض فى بعض الأحيان

وللبرهنة على ذلك أود أن أستعرض — علاوة على ما ذكرته آنفاً — ما جاء عن الأزهر فى الأقسام المختلفة من الكتاب

يذكر الأستاذ الدكتور طه حسين الأزهر — فى كتابه هذا — أولاً عند ما يبحث عن اتصال مصر بالحضارة الأوربية فيتوسع كثيراً فى وصف هذا الاتصال ، لأنه يعتبره دليلاً على عدم وجود فرق جوهرى بين العقلية المصرية والعقلية الأوربية إذ يقول : « إننا لا نجد فى هذا الاتصال من المشقة والجهد ما كنا نجده لو أن العقل المصرى مخالف فى جوهره وطبيعته للعقل الأوربى » (الصفحة ٣٥)

وعند ما يتطرق المؤلف إلى حالة الأزهر ـ خلال هذا البحث ـ يعرضه لنا كمعهد مسرف فى التجديد إذ يقول حرفيا ما يلى :

« كل شىء يدل ، بل كل شىء يصيح بأن الأزهر مسرف فى الإسراع نحو الحديث ، يريد أن يتخفف من القديم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ... » (الصفحة ٣٤)

غير أننا نراه فى محل آخر من الكتاب ، يتراجع قليلاً عن تعبير « الإسراف » الذى استعمله فى هذا المقام ؛ لأنه يقول :

« أصبح الأزهر مسرعاً إلى هذه الحضارة ، يدفعه إسراعه إلى شىء يشبه الإسراف إن لم يكن هو الإسراف » (الصفحة ٦١)

كما أننا نراه فى محل آخر يتناسى كل ذلك فيقول :

« إن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم أكثر مما تمثل العهد الحديث والتفكير الحديث ... » (الصفحة ٩١)

ثم نراه يضيف إلى ذلك ما يلى :

« شىء آخر لا بد من التفكير فيه والطب له ؛ وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يحمل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربى الحديث . . . » (الصفحة ٩٢)

وفى الأخير عند ما ينتقل إلى بحث المنافسة القائمة بين الأزهر وبين الجامعة لا يتحرج المؤلف من إبداء رأى يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة إذ يقول :

« يقتضى أن يعدل الأزهر عدولاً تامًّا عما دأب عليه من الانحياز إلى نفسه والعكوف عليها والانقطاع عن الحياة العامة . وقد يقال : إن الأزهر قد أخذ يترك هذه السيرة ويتصل بالحياة العامة ويأخذ بحظوظ حسنة من الثقافات الحديثة على اختلافها . وهذا صحيح فى ظاهره ، لكنه فى حقيقة الأمر غير صحيح . فالأزهر ما زال منحازاً إلى نفسه مستمسكاً بهذا الانحياز حريصاً عليه ... » (الصفحة ٤٧٥)

أنا لا أود أن أبدى رأياً فى الأزهر فى هذا المقام ؛ غير أنى أريد أن ألفت الأنظار إلى الاختلافات الموجودة بين هذه الآراء التى صدرت من قلم واحد فى موضوع واحد فى كتاب واحد !

غير أن هناك شيئاً أغرب من كل ذلك أيضاً : فإن المؤلف لا يكتفى بالبرهنة على عدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ، بل يحاول أن يبرهن على أن مصر ليست جزءاً من الشرق ، ويسير بين سلسلة آراء وملاحظات — يكتنفها الغموض والتضارب من كل الجهات — ويلوم الأوربيين الذين

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكى مبارك

— ٧ —

يشهد الأستاذ أحمد أمين على نفسه فيقول :

« أين الشعر العراق الذى تجد فيه الشعراء يتغنون بمناظر العراق الطبيعية ، ويصفون فيه أحداثهم الاجتماعية ؟ وأين الشعر الشامى أو المصرى أو الأندلسى الذى يشيد بذكر مناظر الطبيعة وأحوال الاجتماع للشام ومصر والأندلس ؟ إنك تقرأ الشعر العربي فلا تعرف إن كان هذا الشعر لمصرى أو عراقى أو شامى إلاّ من ترجمة حياة الشاعر . أما القالب كله فشىء واحد ، والموضوع كله واحد : مديح أو رثاء أو هجاء أو نحو ذلك مما قاله الجاهليون »

ذلك كلام أحمد أمين ، نقلناه بالحرف حتى لا نُتهم بالتزيد عليه فهل رأيتم أغرب من هذا الكلام ؟

يعتقد أحمد أمين أن شعراء العراق لم يصفوا مناظر بلادهم الطبيعية ولم يصفوا أحداثهم الاجتماعية

ولو أنه كان اطلع على الشعر العراق فى عهوده الماضية ، وهى التى تمنيه ، لعرف أن شعراء العراق لم يفرطوا فى الحديث عن أنهارهم وبساتينهم ، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من شؤون المجتمع إلا أفردوها بحديث خاص ، وأخبار الفتن والثورات تشهد بذلك

لو كان أحمد أمين اطلع على الشعر العراق لعرف أن العراقيين فُتنوا بمناظر بلادهم أشد الفتون . وهل يعرف قراء العربية نهراً أسير ذكراً من الفرات ؟

ألا يكفى أن يكون فيهم الشاعر الذى قال :

يا ليت ماء الفرات يخبرنا   أين استقلت بأهلها السفنُ

وقد فُتن العراقيون بطبيعة العراق فوصفوا الحمائم السواجع وتفننوا فى وصف الليل ، وأجادوا فى وصف الأزهار والرياحين ، وأسهبوا فى وصف الملاحة والصباحة والجمال ، وكادوا يتفردون بالتفوق فى وصف مجالس الأنس والشراب

وكيف شعراء العراق بوصفهم بواديهم وحواضرهم ، ولهم أوصاف كثيرة فى الديارات وحيوات الرهبان ، وهل أقيم فى أديم العراق دير غفل عن وصفه الشعراء ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن العراقيين أحبوا الطبيعة أصدق الحب ، فهم الذين أذاعوا فى الناس معانى الشغف بالوجود ، وهم أصدق من وصف الجآذر والظباء ، وكانوا ولا يزالون أقدر الناس على تذوق ما فى الحياة من بؤس ونعيم

هل نسى أحمد أمين أن طبيعة العراق هى التى أنطقت من يقول :

عيونُ المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

إن العراق الشاعر لا ينتظر حكم أحمد أمين ، فقد رقم أمجاده الشعرية فوق جبين الزمان . وهنا أستشهد بقول الشاعر على الجارم فى خطاب دجلة :

نبت القريض على ضفا   فك بين أفنان الورودِ

وهى كلمة صدق فى شاعرية العراق

لقد وصف العراقيون كل شىء من مظاهر الطبيعة فى العراق حتى الحيات والثعابين والعقارب والزنابير والبراغيث !

وأحمد أمين هو المسئول عن إيراد الشواهد لأنه من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية .

يقولون إن مصر جزء من الشرق ، وأن المصريين فريق من الشرقيين ؛ ثم يقول :

« إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق » ... (ص ١٨) .

غيرأنه لا يلبث أن يتناسى قوله هذا، ويدخل المصريين فى عداد الشرقيين ، فى عشرات المواضع من الكتاب ... لا أرى حاجة فى هذا المقام — لتعدادها ، فأكتفى بذكر ما يقوله المؤلف فى هذا الشأن فى أواخر الكتاب، عندما يشرح اقتراحه فى صدد فتح مدارس مصرية فى الأقطار العربية . فإنه يقول إذ ذاك :

« ما أظن أن السياسة الوطنية لهذه الأقطار تكره أن تنشأ فيها مدارس مصرية ، تحمل إلى أبنائها ثقافة عربيــة شرقية ، ويحملها إليهم معلمون شرقيون مثلهم » ... (ص ٥٢٢) .

« يتبع » ساطع الحصرى

ويقول هذا الرجل إن العراقيين لم يصفوا أحداثهم الاجتماعية

وأقول إن شعراء العراق يمتازون بالجرأة فى وصف أحداث المجتمع ، وفى العراق مات مئات من الشعراء مسمومين أومقتولين بسبب الجهر بكلمة الحق فى وصف الأحداث الاجتماعية ، وماقامت فى العراق دولة أو سقطت دولة بدون أن تظفر بقصيدة أو قصائد من أولئك الشعراء الذين كانت أشعارهم موازين فى الحياة السياسية

* * *

وهنا أذكر مسألة سيحتاج إليها أحمد أمين حين يؤرخ الحياة الأدبية فى العراق لعهد بنى العباس

يجب أن يكون مفهوماً عند كل أديب أن الدواوين التى تحفظ أشعار أهل العراق لا تمثل الحياة الشعرية لأهل العراق تمثيلاً صحيحاً، فالذى بقى من أشعار أهل العراق هو الجزء الذى سمحت له السلطات السياسية أن يعيش . وأ كاد أجزم بعد أن خبرت حياة العراق أن الثروة الشعرية هناك ضاعت منها أشياء كثيرة جداً بسبب الخوف من المسيطرين على الحياة السياسية والاجتماعية

وقد اهتديت إلى ذلك ، وأنا أدرس العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى : فقد تبينتُ أن العراق فى ذلك العصر عرف لونين من الحياة : حياة السر وحياة العلانية . وتيقنت أن الشريف ضاع من حياته الشعرية نحو عشر سنين بسبب التخوف من عواقب الجهر بكلمة الحق .

وقد صح عندى أن الشريف الرضى هو شاعر الثورة على الاستبداد

ولكن شواهد هذا الجانب من حياته الشعرية قد ضاعت

وهل بقيت أشعار بشار فى الثورة على رجال السياسة وأقطاب المجتمع ؟

هل بقيت أشعار ابن الرومى فى الحقد على معاصريه من الحكام والوزراء ؟

لقد بقى منها ما جازت روايته ، وذهب شعره اللاذع إلى غير معاد ؟

وكيف غاب عن أحمد أمين أن فقهاء العراق أنفسهم قد اشتهروا فى آرائهم بإيثار الرموز والكنايات ؟

إن كان أحمد أمين ينكر أن شعراء العراق وصفوا الأحداث الاجتماعية فليشرح لنا كيف اتفق أن يموت كثير من شعراء العراق بالقتل والاغتيال

وهل يقتل الشاعر أو يغتال إلا بسبب الحرص على الجهر بكلمة الحق ؟

وهل فى آداب الأمم كلها أروع سخرية من الشاعر الذى قال :

أنفوا المؤذن من دياركم إن كان ينفى كل من صدقا

وهو شاعر قد تأدب بأدب أهل العراق

إن ديوان الشريف يصور أكثر ما وقع فى العراق من الأحداث السياسية والاجتماعية فى الشطر الأخير من القرن الرابع، ففيه نرى ما وقع لأقطاب الكتاب من الكوارث والخطوب ، وفيه نرى كيف انتهت حياة الخليفة الطائع ، وفيه نرى أخبار القتال الذى دار بين السنة والشيعة ، وفيه نرى عدوان بنى تميم على بعض أصدقاء الشاعر من الزعماء

وما يقال عن ديوان الشريف الرضى يقال عن ديوان المتنبي فهو سجلٌ لأكثر الحوادث التى وقعت فى الشطر الأول من القرن الرابع . وهو تصوير لأكثر ما عرف من الأقطار العربية والإسلامية . وهو تاريخ لأكثر من اتصل بهم من الوزراء والرؤساء والملوك

وهل يمكن أن يقال إن أشعار المتنبى وهو فى حلب تشابه أشعاره وهو فى مصر ؟

إن القول بذلك لا يقع إلا من رجل مثل أحمد أمين يستدل بوحدة القوافى والأوزان على وحدة المعانى والأغراض

وما رأى هذا الباحث المفضال فى أشعار مسلم بن الوليد ؟ هل خطر بباله أن عند هذا الشاعر قصائد تؤرخ بعض الوقائع الحربيـة ؟

وهل توجّع الناس لمصرع المتوكل إلا بفضل رائية البحترى؟

وهل عرف الناس عزيمة المعتصم يوم عمورية إلا بفضل بائية أبى تمام ؟

* * *

وبمناسبة هذين الشاعرين اللذين خدما الخلفاء فى العراق ننتقل إلى شعراء الشام : فهم عند أحمد أمين لم يصفوا بلادهم ولم يصوروا ما وقع فيها من أحداث اجتماعية

فهل يعرف أن شعراء الشام كانوا من أحرص الناس على وصف الطبيعة وأقدرهم على تعقب أحداث المجتمع ؟

هل سمع أحمد أمين باسم شاعر يقال له الصنوبرى أجاد كل الإجادة فى وصف المناظر الطبيعية ؟

هل يجهل أحمد أمين أن أبا فراس الحمدانى سجل الصراع بين العرب والروم أروع تسجيل ؟

هل ينكر أحمد أمين أن المعرى وصف أحداث زمانه وصفاً نادر المثال ؟

هل يعرف أحمد أمين أن شعراء الشام تغنّوا بمحاسن بلادهم وأسرفوا حتى قيل إن الشام جنة الأرض ؟

هل يعرف أحمد أمين أن اسم الغوطة شرّق وغرّب بفضل ما تغنّى به أولئك الشعراء ؟

هل يذكر أن الهيام بالوصف كاد يصير طبيعة شامية يشهد لها ما صنع البحترى حين وصف إيوان كسرى بالعراق ؟

وهل يذكر أن قصيدة أبى تمام فى وصف الربيع لا تقل روعة عن أعظم ما قال الأوربيون فى الربيع ؟

وهل يذكر أن مصاولة الذئاب والأسود لم توصف بأجمل مما صنع البحترى والمتنبى ؟

وما رأى أحمد أمين فى الصحراء ؟

أليست الصحراء من الطبيعة يا حضرة الأستاذ ؟

هى من الطبيعة بلا ريب . فهل تستطيع القول بأن شعراء الشام والعراق لم يصفوا الصحراء ؟

وما رأى أحمد أمين فى حيوان الصحراء ؟

أليس من الطبيعة ؟ هو من الطبيعة بلا ريب ، وقد تعقبه شعراء الشام والعراق بالوصف والتحليل

إن أحمد أمين لا يرى الطبيعة إلا فى الشجرة والزهرة ، ولو قال هذا رجل غيره لقلنا إنه ينظر إلى الوجود نظرة عامية

فهل يتفضل الأستاذ أحمد أمين فيدلنا عمن أخذ هذا التعريف ؟

إن الطبيعة لها مظاهر كثيرة جدًّا ، فهى تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وهى تشمل كل ما تراه العيون ، أو تحسه القلوب ، أو تدركه العقول

فكيف جعلها مقصورة على الشجرة والزهرة ؟

ومع ذلك هل قصر شعراء الشام والعراق فى وصف الأشجار والأزهار ؟

وكيف وهم الذين أذاعوا بين الناس أن النظر إلى الخضرة يزيد فى نور العيون ؟

هل يذكر أحمد أمين كم ألوفاً من المرات ذكرت الأشجار والأزهار والرياحين فى أشعار أهل الشام والعراق ؟

هل يستطيع أن يدلنا على شاعر واحد لم يوجه قلبه وشعوره إلى المظاهر الطبيعية ؟

وهل يصير الرجل شاعراً إلا بعد أن ينطبع إحساسه بمظاهر الوجود ؟

* * *

أترك هذه الجوانب وأنتقل إلى حكمه على الشعر المصرى ، فالشعراء المصريون فى نظره لم يكونوا إلا مقلدين لشعراء الشام والعراق ...

ولأحمد أمين فى هذا الحكم الجائر عذر مقبول ، لأنه لم يدرس الشعر المصرى دراسة تمكنه من الحكم له أو عليه ، فلو كان من المطلعين لعرف أن الشعراء المصريين وصفوا بلادهم وتحدثوا عنها بأقوى العواطف ، وتغنوا بمحاسن بلادهم أجمل غناء

وهل رأيتم شاعراً أحس الطبيعة كما أحسها ابن النبيه إذ يقول:

إذا نُشرتْ ذوائبهُ عليه حسبتَ الماء رفَّ عليه ظلُّ

وهل فى العربية شاعر صور أوهام بلده وما فيها من مختلف الأحاسيس كما صنع البها زهير ؟ وهل عرفتم شاعراً شرب من كوثر الوجود كما شرب ابن الفارض ؟

إسمع ، يا صديقى أحمد أمين ، فقد تواترت الأخبار بأنك ستدرس الأدب المصرى فى كلية الآداب ، وليس من الكثير عليك أن تسمع النصيحة من رجل مثلى ، فأنت تعرف منزلتك فى قلبى ، وتدرك جيداً أنى أتمنى أن تكون من الموفَّقين !

إن الشعر المصرى طراز خاص ، وله مزايا تفرد بها بين الأشعار المعروفة فى اللغة العربية ؛ ولو أُلقيت قصيدة مصرية بين ألوف من القصائد ، لعرف السامعون أن أزهارها تفتحت فوق شواطئ النيل . . .

وهل يستطيع — أحمد أمين — أن يقول بأن ديوان ابن نباتة المصرى تمكن إضافته إلى البحترى أو ابن الرومى أو مسلم ابن الوليد ؟

إن أحمد أمين يصرح بأن الشعر العربى لا يدل على مواطن أصحابه إلا بعد النظر فى تراجم الشعراء ؛

فهل يصح هذا القول فى أشعار ابن نباتة والبها زهير ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار تميم بن المعز ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار ابن النحاس وأشعار البوصيرى ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار عمارة اليمنى ، وقد عاش فى مصر حيناً من الزمان ؟

إن مصر قهرت من زارها من الشعراء على وصف ما فيها من طبائع وأخلاق ، ولعلها كانت السبب فى شهرة من زارها من الشعراء ، فكيف يصح القول بأنها لم تتفرد بين الأمم العربية بخصائص شعرية ؟

وهل يمكن القول بأن أغاريد صفى الدين الحلى وهو فى مصر تشبه أغاريده وهو فى العراق ، أو أن أشعار ابن سناء الملك لا تدل دلالة صريحة على الوطن الذى عاش فيه إلا بعد الاطلاع على ترجمته ؟

إن البارودى — وهو شاعر اصطنع مذاهب القدماء فى الأخيلة والتعابير — تدل على مصريته لأول نظرة ! فما بالك بالشعراء المصريين الذين استوحوا فطرتهم ولم يتابعوا شعراء بنى أمية أو شعراء بنى العباس ؟

بقيت مسألة مفصلة بهذا المقال ، ونحب أن نوفيها بعض ما تستحق من الشرح قبل أن نتكلم عن أحكامه على الأدب الأندلسى ، وهى أحكام سيحاسَب عليها أشد الحساب !

ما رأيُ حضرة الأستاذ فى الأشعار العراقية والشامية والمصرية التى صورتْ ثورة أصحابها على الدنيا والناس ؟

أيظن أن شعراء العصر الأموى والعباسى فى تلك الأقطار تحدثوا عن زمانهم ودنياهم ، كما تحدث الجاهليون ؟

لقد نشأ فى الشعر فنٌّ يسمَّى « شكوى الزمان » فهل يراه من وصف المجتمع ؟ أم يراه من الثورات النفسية ؟

إن كان من وصف المجتمع ؛ فهو ثروة عظيمة تنقض رأى أحمد أمين ، وإن كان من الثورات النفسية فهو أيضاً من وصف المجتمع لأنه شرح لأسباب الثورة على الدنيا والناس

لو كان أحمد أمين كلف نفسه عناء الاطلاع على ديوان أو ديوانين قبل أن يصدر تلك الأحكام الخواطىء ، لعرف أن من المستحيل أن تكون تلك الثروة الشعرية من لغو القول . فقد حفظ التاريخ الأدبى أكثر من مئة شاعر من الفحول فى مصر والشام والعراق ، وهؤلاء المئة — ولا نقول المئات — كانت لهم مذاهب فى وصف الطبيعة ، والتحدث عن المجتمع ، والأنس بالحياة أو التبرم بالوجود

وكانت لهم بجانب الشعر فقرات نثرية صوروا فيها آراءهم فى حياة المجتمع . وهل كانت رسائل الخوارزمى وبديع الزمان وابن وشمكير إلا صوراً للأحداث الاجتماعية والسياسية ؟

وهل يحتاج الباحث إلى النص على أن الشعراء والكتاب كانت تراجمهم فرصة لدرس مشكلات السياسة والمجتمع ؟

من الذى يقول بأن شعراء مصر والشام والعراق لم يشتركوا فى توجيه بلادهم إلى الأغراض السياسية والاجتماعية ؟ وهل كان الشعراء فى تلك العهود إلا ألسنة السياسة والمجتمع ؟

قد يقال : وأين تقع الأشياء التى تجافت عن السياسة والمجتمع ؟

وأجيب بأنه ليس من المحتم أن تكون الأشياء كلها فى السياسيات والاجتماعيات ، إن صح أن وصف الدقائق الذوقية والوجدانية لا يمس المجتمع

ومن الذى أوجب أن تكون صورة المجتمع مقصورة على الصلات بين الفقراء والأغنياء ، والحاكمين والمحكومين ؟

إن الأمر فى الشعر يرجع إلى عنصر واحد هو الصدق ، وإذا صح أن الشاعر صادق الحس والعاطفة فمن حقه أن يتكلم كيف شاء وأن يصف من الأغراض ما يريد

لقد اتفق لعمر بن أبى ربيعة أن يقف أشعاره على أهوائه الذاتية فهل يمكن القول بأن أشعار ابن ربيعة لا تمثل جوانب من المجتمع الذى عاش فيه ؟

وكيف وهى تصويرٌ لثورة العواطف فى موسم الحج ، وتسجيل لبعض أهواء الناس فى ذلك الحين ؟

واتفق لأبى نواس أن يقصر أكثر شعره على الخمر والمجون ، فهل كان ذلك إلا تمثيلاً لبعض أحوال المجتمع العراقى فى ذلك العهد ؟

واتفق لأبى العتاهية أن تكون أكثر أشعاره فى الزهديات ، فهل كان ذلك إلا تخليداً لمظاهر النزعات الروحية فى ذلك الزمان ؟

وما رأى الأستاذ أحمد أمين فى أشعار الزهاد والنساك ، وأشعار الماجنين والخلعاء ؟ وما رأيه فى أشعار الزنادقة والمرتابين ؟

أليس ذلك كله تصويراً لأحوال المجتمع ؟

وما رأيه فى الأشعار التى قيلت فى وصف الإخوان والأبناء والأزواج ؟

أيراها أجنبية عن المجتمع ؟

الحق أنى أجاهد فى غير ميدان ، وأعارك فى غير معترك ، لأنى أشرح البديهيات ، وأقيم الأدلة على أن الجزء أصغر من الكل وأن الواحد نصف الاثنين !

ولكن هل كنت أملك أن أصنع غير الذى صنعت ؟

إن جمهرة القراء لم تكن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين يخطئ ثم يصر على الخطأ ؛ ولم تكن تنتظر أن أهجم عليه وأنا الذى دافعت عنه فى مجلة الرسالة يوم تجنى عليه بعض أدباء لبنان

وقد تفضل بعض أدباء العراق فدعانى إلى أن أنبه الأستاذ أحمد أمين إلى اهتمامه فى الأيام الأخيرة بالدعوة إلى تعزيز اللغة العامية

فهل يظنون أنى موكل بتقويم الأستاذ أحمد أمين ؟

إن المهم هو تذكيره بعواقب ما يصنع فى التجنى على الأدب العربى وتخويفه من غضبة من وثقوا فيه يوم رأوه مشغولاً بالدراسات الإسلامية ، وكان يستحق الثقة قبل أن يصنع بنفسه وبماضيه ما صنع

وتفضل فريق من الباحثين فقدموا إلىّ شواهد من أغلاط أحمد أمين فى مؤلفاته ودعونى إلى عرضها فى هذه البحوث النقدية

فليعرفوا — مشكورين — أنى لا أستطيع ذلك ، لأنى لا أحب أن يسوء رأى الناس فى مؤلفات أحمد أمين ، برغم ما فيها من أغلاط ، فقد عانى مثل الذى نعانى من إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

ليس المهم أن نهدم الأستاذ أحمد أمين — فتلك غاية صغيرة — ولكن المهم أن نكف شره عن الأدب العربى وأن نزجر من يتطلع إلى مثل غرضه من عوامّ الباحثين

المهم أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تصد الجامحين ، وتهدى الحائرين ، وهو يعرف فى سريرة نفسه أنى لاأهجم عليه إلا وأنا آسف محزون ، لأنه كان مثالاً للصديق الأمين

وبعد مقال أو مقالين أو مقالات سأتركه ليتنسم هواء البحر وهو آمن بشواطئ الأسكندرية بين رفيف القدود وهدير الأمواج

« الحديث شجون » زكى مبارك

بين جنـــاية

الأدب الجاهلى والجناية عليه

للأستاذ عبد الجواد رمضان

أنا من أزهد الناس فى الكتابة وأقلهم رغبة فى المناقضات الصحفية الأدبية والعلمية ، على لذة جامحة فى مطالعتها ، ورغبة ملحّة فى تتبعها ، وشوق عنيف إلى ما يتخللها من حيلة بارعة وسرعة خاطر ، وصراحة مكشوفة ومداورة خادعة ، وحجة مصيبة أو خاطئة ... الخ

ولعل مشهداً من المشاهد لم يثر فى نفسى شهوة التدخل بين طرفيه ما أثاره موضوع الموسم بين الدكتورين : زكى مبارك وأحمد أمين ، أو الأستاذين المظيمين : أحمد أمين وزكى مبارك « على التغليب يا دكتور » . وأعوذ بالله من شهوة الكلام فقلما فصلت خطة أو حسمت موقفاً أو أصابت مقطعاً يحسن السكوت عليه وينتهى على حده الحصام ؛ ولولا ما فى أمثال هذا الحوار من استعراض الآراء واستثارة شتّى المذاهب والبحوث وجلوة القوى العلمية بين المتحاورين مما يعود بالخير على العلم والأدب ، ويفتح أغلاق النظر أمام الباحثين لكان فى إثارتها جناية أى جناية ، وإجرام أبلغ إجرام

المتحاوران فى موضوع الموسم عظيمان ما فى عظمتهما مطعن ، جليلان ما فى جلالهما مغمز ؛ ولئن اختلفت جهات الجلال والعظمة فيهما ، إنهما ليلتقيان فى أنهما قطبان ينفرج عن جهودهما فى البحث والنظر فضل كبير وخير وفير

عرفنا الأستاذ الكريم أحمد أمين رجلاً رزين المجلس ، رصين العقل ، حصيف الرأى ، بعيد الأناة ، عفّ القلم واللسان . يطالع الناسَ من آثاره سمت العلماء وجلال المتواضعين ، ونظرات المجربين وثبات المستقيمين ، لا يزهاه النجاح وإن أعجب وبهر ، ولا يثيره اللجاج وإن احتدم وزخر ، بل يمضى قدماً إلى الهدف الذى قصد ، والغاية التى نشد . ذلك أحمد أمين لمن لم يعرفه

وأما دكتورنا زكى مبارك ، فذلك الأديب الثائر الشاعر الناثر السنتريسيّ الباريسيّ ، الأزهرى الفرنجى الذى خلص له فى هذا الجيل أن يجمع بين أدب الزنادقة ، وإخلاص المتصوفة ، ويؤاخى

بين الإيمان والتمرد، ويوفق بين الأناقة والمرجلة و ...

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

ترجع معرفتى بالدكتور إلى عهد الصبا، وهو تلميذ للمغفور له الأستاذ السيد مصطفى القاياتى، يختصه بفضل عنايته، ويضفى عليه من أبراد الكرامة، والثناء والإعجاب، ما يبعد فى غور الحب بينهما، ويبالغ فى تملق كل منهما بالآخر، تملقاً يفرع به الأقران وزهى على كل إنسان؛ ولئن حالت ظروف الحياة دون اتصالى بالدكتور، إننى لأشهد فى ثورته — كلما ثار — تلك الروح الجريئة الثائرة، روح أستاذه الكريم حية تتوثب، لا يكبتها ملام، ولا ينهنهها وعيد، ولا تكبحها مخافة، فليت شعرى، على أى باقعة وقع الأستاذ أحمد أمين ؟!

لا جرم أن الأستاذ أحمد أمين كان فى جنة من نبل نفسه وكرم أخلاقه، ومن آثاره القيمة التى لا تدفع عن موارد الخلد، لو أنه جرى على سننه وأخلد إلى غيله الذى لا يقتحم واستخدم تلك الأذن الذى سكّها — قديماً — ما كتبه الدكتور زكى ناقداً به الدكتور طه حسين بك، لجعله يرسل حكمه على أولها فى حيثيته المأثورة: إن الدكتور زكى يلقى مجادله كما يلقى المصارع المصارع، لا كما يلقى العالم العالم ... أو كما قال

بيد أنى أرى الأستاذ أحمد أمين فى عهده الأخير، أغفل من خلاله، ما فتح به للدكتور ثغرة ينفذ منها إلى إدراك ثأره القديم؛ والدكتور — ولا نكران للحق — لمّاح يقظ؛ مالبث أن انتهزها فرصة سنحت، فشفى بها نفسه، بلا ثمن ولا استكراه

* * *

ما زلت أعرف للأستاذ أحمد أمين فضله ونبله منذ تصورت معنى النبل والفضل، حتى قرأت له عام أول رده على فضيلة الشيخ اللبان فى جريدة الأهرام؛ ذلك الرد الذى كان عنوانه: «أدب الخطاب» !! والجواب يقرأ من عنوانه؛ والشيخ اللبان — وإن جردناه من جميع مميزاته — لن نستطيع أن نجرده من جلال السن، ومن الشيب فى الإسلام؛ فليس مما يليق فى أدب ولا عرف أن يعلم أدب الخطاب

أضحى يمزق أثوابى ويضربنى أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟!

من حق الأستاذ ومَنْ دون الأستاذ أن يردّ على مخالفه، ولكن من حق المخالف ألا يشتم؛ ولم تكن خشونة الكلام وسيلة من وسائل الإقناع المنطق، إلا فى المواطن التى تنكرها الحجة، ولا يعترف بها العلم؛ والأستاذ فى علمه وفضله، لاتعوزه حجة، ولا يعجزه برهان

كانت هــذه عندى أول زلة للعالم الجليل . فأما الأخرى، فهى إنشاؤه لمجلة الثقافة التى أزالته عن مكانه بين العلماء، وعدلت به إلى صف الصحفيين؛ فأصبح وهدفه أن تروج مجلته وتنشر بين القراء، وتحثو فى وجه كل مجلة سبقتها أو لحقتها؛ ولا تروج المجلة إلا بجديد؛ فليجدد مولانا الأستاذ فى: أدب المعدة، وأدب الروح؛ وفى: الدين الصناعى والدين الطبيعى؛ وفى: جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى. الخ الخ الخ

لقد بدأ الأستاذ فكتب ما كتب؛ وأخذ الكتاب بعده طريقهم، بين خاذل وناصر؛ وكان أجرأ الكاتبين «بلا ريب» الدكتور زكى مبارك، ولا فخر. وكان ضرورياً أن ينافح الأستاذ عن آرائه، وأن يذود عن حياضه، وهو صاحب القلم الجوّال والرأى الصوّال؛ ولكن الأستاذ سكت؛ ولا أدرى: أسكوت مؤقت أم مؤبد، فإذا كان سكوتاً مؤقتاً، فأنا أشوق الناس إلى رده، وذلك ظنى به؛ وإن كان سكوتاً مؤبداً، فهل تراه ارتاح إلى الأثر الذى أحدثته آراؤه فى رواج مجلته، أو أنه رأى أن يعامل الدكتور زكى على سنن ما كان يعلمنا سيدنا فى الكتّاب:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمداً يموت ؟!

وإذا كان رأيه هو هــذا، فإنى أعجل له الجواب، فأقول: ذاك لو بقيت على حلمك، واحتفظت بمقامك القديم، فأما الآن، فقد تساوت الكفتان، والفلج لمن برّز ...

على أن الخبيث الدكتور زكى مبارك لن يموت قريباً، فإنما يعجل بالخيار .

* * *

أما بعد، فلقد علم الله أنى أحب الأستاذ أحمد أمين وأجلّه، أكثر مما أحب الدكتور زكى وأجلّه؛ وكنت قمينا أن أغضب للأستاذ وأتحمس له، على قدر حبى له، وإجلالى إياه؛ ولكنى — ولا أكذب الله — أشعر لعمل الدكتور معه بشىء من الارتياح. ذلك لهذه الطعنات الدوامى، التى حشا بها مقاله: الدين الطبيعى والصناعى، ليصيب بها قوماً غافلين، لم يعرضوا له إلا بكل خير، ولم تغفل عين الله عن الثأر لهم .

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

في طرســـوس

على قبر الخليفة العظيم

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه مدينة أذنة (أطنة) قدمتها البارحة وسيمر بها اليوم قطار طوروس السريع ذاهباً إلى الشام ، وهو يمر بها ثلاث مرات فى الأسبوع . فإن فاتنى قطار اليوم فلا مفر من الانتظار فى أذنة إلى السبت . إن هواء أذنة حار ، وليس فيها ما يشغل الزائر ثلاثة أيام ففيم التلبث ؟ إن لى فى طرسوس أرباً ولا بد لى أن أزور طرسوس . إنها قريبة بينك وبينها مسيرة ساعة للقطار . ولو كانت بعيدة لما ترخصت فى القعود عنها . إن لم يتيسر لى العودة منها قبل موعد القطار فليذهب قطار الأربعاء وليذهب قطار السبت فما عن زيارة طرسوس معدى. إن فى القلب لحنيناً إليها ومنيتى وقفة فيها :

وقفــة بالعقيق نطرح ثقلاً   من دموع بوقفــة بالعقيق

أأجاوز أذنة صوب الجنوب دون أن أرى طرسوس ؟ أعظم به من عقوق ، وحرمان للنفس مما تمنت سنين طوالاً

ما شأن طرسوس ؟ ما الذى يشوقنى فيها ؟ إنها مدينة صغيرة كئيبة المنظر فما حببنى إليها ؟ لله أى كنز فى طرسوس دفين ! وأى تاريخ كبير فى تراب هذه المدينة الصغيرة !

حاولت أن أبكر إليها فأعود فأدرك قطار طوروس ، ولكن فاتنى قطار ست ونصف من الصباح وكان على أن أختار إحدى النيتين : إما قطار طوروس وإما طرسوس

أخذت القطار إلى طرسوس والساعة ثمان ونصف

هذه طرسوس أحد الثغور القديمة بين المسلمين والروم . طرسوس التى فتحها الرشيد ومات فيها ابنه المأمون غازياً كما مات الرشيد فى طوس ومات ابنه فى طرسوس . لله همة أبعدت بهذين السهمين من بغداد إلى طوس وطرسوس . من كان يظن أن الرشيد والمأمون كانا مترفين من أبناء النعمة وأخدان القصور فليعلم أن الرشيد كان همة لا تفتر بين الحج والغزو :

فمن يطلب لقاءك أو يرده   فبى الحرمين أو أقصى الثغور

وأن المأمون لم يقعد عن قيادة الجيش إلى ثغور الروم ، وأنه لقى حتفه غازياً فى هذه المدينة النائية طرسوس :

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ   مون فى ظل ملكه المحروس
غادروه بعرصتى طرســـوس   مثلمـــا غادروا أباه بطوس

يقول ياقوت :

«وبينها وبين أذنة ستة فراسخ، وبين أذنة وطرسوس فندق بُغا والفندق الجديد . وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب . ويشقها نهر البردان ...

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال؛ وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ الخ »

كانت طرسوس ثغراً تتكسر عنده زفرات الروم وفى إقليمها غزا أمير العرب وشاعرهم سيف الدولة وأبو الطيب المتنبى

واستولى عليه الروم سنة ٣٥٤ حين مرض سيف الدولة فخربوا مساجدها وجلا كثير من أهلها . يقول ياقوت : « وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرب المساجد وأخذ من خزانة السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من أيام بنى أميـة إلى هذه النابة ... »

ثم دخلت فى حوزة المسلمين حينما امتد سلطانهم على بلاد الروم من بعد

وبعد الحروب الصليبية استولى عليها المصريون ، ثم استولى

ثم لهذه الدعاوى العريضة التى أصبحت ديدن كل من أحس شهرة بحق أو بباطل فى هذا البلد ، فلا يقنع الباحث منهم بما دون قلب الأوضاع ، ومحو التاريخ ، وتغيير خلق الله ؛ وهو أعجز من أن يغير وضع الزقاق الذى ولد فيه ، ودرج بين صبيانه .

* * *

ولا يسعنى أن ألقى القلم قبل أن أوجه تهنئتى إلى الأستاذ أحمد أمين بما يكون قد أصاب من نجاح صحفى، لست أدرى أمن قبيل أدب المعدة هو أم من قبيل أدب الروح ؛ لأن النوعين لا يزالان فى حاجة إلى مزيد تحديد .

فأما أنت يا دكتور زكى ، فإنى أهنيك بأن ظفرت على سفاهك هذه المرة ، ببعض رضاى . ورحم الله حكيم الشعراء :

سِفاهٌ ذاد عنك الناس حلم   وغىّ فيــه منفعة رشاد

عبد الجواد رمضان
المدرس فى كلية اللغة العربية

عليها بنو رمضان الذين حكموا أذنة وما حولها فى القرن الثامن الهجرى إلى أن أديل منهم للعثمانيين

ذكرت كثيراً من وقائع الدهر فى طرسوس وذكرت الرشيد والمأمون وسيف الدولة والمتنبى وقصيدته السينية التى مدح بها محمد بن زريق فى طرسوس :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

ورثيت للشاعر حين ذكرت أن المدوح أعطاه عشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو أم قبيح ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم

ركبت فى طرسوس عربة ومعى رفيق من اسكيشهر ، وكان الحوذى يعرف العربية ، ولا تكلم أحداً فى هذه النواحى بالعربية إلا أجابك

قلت : أين منسج راسم بك؟ فذهب إلى معامل عظيمة للنسج لمحمد بك المصرى . ولم أجد البك هناك ولكنى رأيت المناسج العظيمة وسرنى ما رأيت فيها وما سمعت

وسألت رجلاً هناك : أتعرف قبر الخليفة المأمون ؟ المأمون ابن الرشيد مات هنا ودفن ، فهل عندكم علم عن قبره ؟ قال : لا . ولكن هنا شيخاً خبيراً بالآثار، لعل عنده علماً . غاب عنى قليلاً ، وعاد يصف للحوذىّ الموضع ! إنتهى السائق إلى جامع كبير له سور عال ضخم كأنه أعد للقتال ، وعلى مقربة منه خانات كبيرة ، وبجانبه تكية مغلقة . دخلنا الجامع إلى صحن واسع يحيط به أروقة تمتد على جدار الباب ، وعن اليمين والشمال ، وفى وسطه حوض مظلّل ؛ ويفصل الصحن والمسجد جدار دخلناه من باب ، ومنه إلى مسجد مستطيل فيه ثلاثة عقود تقوم على صفين من العمد .

وفى الجدار الشرقى من المسجد كوة تطل على التكية المغلقة . نظرت منها فإذا مصلى مسقوف ، وإذا ثلاثة قبور ، أشار خادم المسجد — وهو حلبىّ الأصل — إلى أقربها إلى الكوّة . وقال: هذا قبر المأمون . قلت : أرأيت عليه كتابة ؟ قال : أجل ! وقد سألت ناساً فى طرسوس وأذنة ؛ فاتفقت كلمتهم على وصف القبر وموضعه ! وأما المؤرخون ، فقد أجمعوا على أن المأمون دفن فى طرسوس . وأخبرنى بعض علماء العرب والترك أنهم رأوا القبر وقرأوا عليه اسم الخليفة المأمون !

هنا الخليفة العظيم ! . . هنا الرجل العالم المحب للعلم والعلماء ! . . هنا الملك العفوّ الذى قال : لو علم الناس حبي للعفو لتقربوا إلىّ بالذنوب ! ... هنا عبدالله المأمون بن هرون الرشيد ! ...

« رحم الله أبا العلاء » :

أنتم بنو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

هنا أمير من أمراء المؤمنين يفتخر به تاريخ الإسلام ، وحق على الأمم الإسلامية كلها على اختلاف أجناسها أن تشيد بذكره ، وتعظمه فى قبره ! ...

لقد درست قبور الخلفاء والعباسيين فى بغداد وسامرا . فلا يُعرف لواحد منهم قبر اليوم حاشا قبر هرون الذى طمس عليه عصبة الشيعة فى طوس ؛ وحاشا قبر المأمون الذى طمس عليه النسيان فى طرسوس أو كاد .

تمنيت أن أجلس إلى قبر المأمون ساعة فأسجل ما توحيه إلى نفسى عظمة الماضى ومصائب الحاضر ، وغير الزمان ، وتقلب الأيام ، وما يبعثه فى النفس ذكر المأمون وجواره من عظمة وإعجاب ، وفخار وعبرة !

ثم جلست فى طرسوس فرأيت مساجد عتيقة ، ولكنى أصغرت كل شىء فلم أبال به بعد أن وقفت على قبر الخليفة الكبير المأمون بن الرشيد رحمهما الله ! ...

عبد الوهاب عزام

ذكريات سنى التعليم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

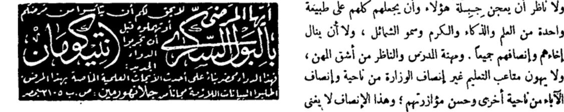
دخلت مدرسة المعلمين كطالب سنة ١٩٠٦ وطلبت الإحالة على المعاش سنة ١٩٣٨ وكانت مدة اشتغالى بالتعليم كطالب ومدرس وناظر ومفتش اثنتين وثلاثين سنة وهى ليست بالزمن القليل. وربما كان منصب الناظر أشق مناصب التعليم التى وليتها بالرغم من وجاهة مظاهره. وقد كنت ناظراً لخمس مدارس ثانوية وقبلها لثلاث مدارس ابتدائية، وكانت مدة نظارتى للمدارس الثانوية تسع سنوات وللمدارس الابتدائية ثلاثاً أى كانت نظارتى للمدارس اثنتى عشرة سنة، وهى أيضاً ليست بالزمن القليل. وقد لبثت فى نظارة المدارس الثانوية فى عهود وزارات وأحزاب مختلفة، وفى عهد كانت المدارس الثانوية فيه مضطربة جد الاضطراب بسبب قلة الاستقرار السياسى. وأعترف أن بقائى فى نظارة المدارس تلك المدة الطويلة لم يكن بحسن لباقة فى معاشرة آباء الطلبة ومخالطتهم واكتساب معونتهم، فإن ميلى الطبيعى إلى الوحدة منع من ذلك حتى أساء أناس فهم هذا الميل إلى الوحدة وعدوه تكبراً وهو ضعف فى البنية يتطلب الراحة بالانقطاع عن الحديث وعن تكاليف المجالس وأعنى ما تكلفه من تعب. ولم يكن بقائى فى النظارة بسبب مكر ودهاء وخلابة تحبب الناظر إلى تلاميذه لأن المكر إذا تكلفه الإنسان يتعبه ويكلفه جهداً ربما كان لا طاقة له به، وإنما كان بقائى بها أولاً لأنى آثرت تصريف الأمور بنفسى بدل الرجوع إلى الوزارة فى أمور كثيرة وبدل خلق مشكلات لها، ولا تكره الوزارة أمراً قدر كرهها أن يُرْجع إليها فى أمر كان لا يستطيع الناظر ألا يكبِّر أمره حتى يصير لا مناص من الرجوع إليها فيه، وثانياً لأنى اتخذت فى خطط التعليم ما اتخذه نابليون فى خطط حروبه إذ كان يعبئ أكثر قوته لمواجهة موطن الضعف فى العدو فيهزمه، وكذلك كنت أنا والأساتذة نعبئ عنايتنا وجهدنا لمعالجة التلاميذ الضعاف ولمعالجة أماكن الصعوبة فى المناهج وأماكن الخطأ والضعف فى التلاميذ الضعاف، وهذه خطة تحتاج إلى تفصيل ولكنها الخطة الوحيدة التى يستطاع بها جعل نسبة النجاح فى الامتحانات حسنة مرتفعة، وقد استطعنا فى الواقع أن نجعل بهذه الخطة نسبة النجاح حسنة، وهذا كان يسر بعض رؤسائنا عند ظهور النتائج

ومنصب ناظر مدرسة من المدارس الثانوية المصرية منصب كانت تحوطه المداوات. فإذا أراد أن يهيئ أسباب النظام قيل متشدد مرهق مجرم، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل ضعيف كسول، وإذا كان بين بين اتهم تارة بالإرهاق والإجرام، وتارة بالضعف والكسل، واتهم علاوة على ذلك بالتذبذب. وقد خرجنا والحمد لله من هذا المنصب ومن غيره من المناصب وليس فى ملف خدمتنا مؤاخذة ولا سؤال ولا تحقيق فى مؤاخذة، ولم تكن هناك حتى ولا مخاطبة شفوية فى أمر مؤاخذة مالية أو أدبية أو علمية أو خلقية إلا مؤاخذة على رفع صوتنا فى حضرة على بك حافظ رحمه الله أيام كنت مدرساً وهو ناظر، وهذا أمر ربما استثار تعجب الأساتذة المدرسين فى هذا الجيل

وقد كانت خطتى فى معاملة الأساتذة المدرسين على العموم خطة معاوية فى قوله «لو كانت بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت» وربما أفادنى ميلى الغالب إلى الوحدة من ناحية وإن أضر بى من ناحية أخرى، فإن أضر بى من ناحية جهلى بما يدبر فى الخفاء ومن ناحية إساءة بعضهم فهم ذلك الميل إلى الوحدة وعده تكبراً، فقد أفادنى من ناحية أخرى إذ لم يخلق أسباب الانقسام والتحزب والمشاحنة بين الموظفين بمناصرة بعضهم على بعض. وكانت خطتى نحو الطلبة إعزاز الطالب الكريم الأخلاق واحترامه إذا كان ممن لا يطغيه الإعزاز والاحترام، وإفهام المقصر أو الخارج على النظام أن العقاب ضرورة لا إهانة فيها وأن الشهامة تقتضى أن يرحب مستحق العقاب بالعقاب. وقد حاول بعضهم أن يذيع فى مدرسة أني أتشدد تشدداً مسيئاً فى معاملة الموظفين فلم يفلح بالرغم من الإلحاح فى هذا السعى لأن هذا السعى كان مهزلة حقيرة، ولا يقبل الموظفون فى هذا الجيل إساءة فى المعاملة لا إلى الحد الذى حدده هذا السعى ولا إلى أقل منه. وكبار رجال الوزارة يعلمون أنه ليس فى استطاعتى أن أفعل ذلك حتى لو حدثتنى نفسى بإساءة معاملة أحد. ولكنه سعى يدل القارئ على المتاعب التى يتعرض لها حتى أقل النظار طلباً للمتاعب وأبعدهم عن مظانها. وقد حاول

أيضاً أصحاب ذلك المسمى إفهام الطلبة أنى أتشدد تشدداً مرهقاً للطلبة ، وهم يعرفون أنى قلما كنت أوقع إلا العقوبات المدرسية المفروضة ولم أكن أوقعها إلا بمقدار ما يستقيم معه التدريس . وقد كنت أتعجب من الخبث والشر فى نفوس أصحاب ذلك المسمى ، ولكن مما هوّنَ الأمر علىّ أن بعض الطلبة الذين كنت أضطر إلى معالجتهم بشدة كانوا بعد نجاحهم وتخرجهم يرسلون إلىّ الخطابات ينسبون فيها نجاحهم إلى ما عالجتهم به أو كانوا يفعلون ذلك إذا قابلتهم بعد تخرجهم . وقد عَلَّمْتُ آلافاً من التلاميذ بمدارس الإسكندرية ودمنهور والمنصورة والزقازيق والقاهرة وحلوان والفيوم الأميرية . وكثير منهم قد صادفوا نجاحاً كبيراً فى حياتهم بعد أيام التلمذة ، وهم يعرفون أن الخشونة والعجرفة والقسوة أبعد الطباع عن طبعى ويعرفون أنى كنت أعامل أكثرهم معاملة الأخ الكبير للأخ الصغير . وقد كنا نتبع خطة التعبئة لمعالجة الضعف فى جميع سنى الدراسة لا فى السنة الأخيرة وحدها ، ومن أجل ذلك كانت تأتى نتائج امتحانات النقل للفرق حسنة مرضية فى جملتها إلا ما شذ بسبب ضعف شديد فى فرقة أو فصل وعجز فى الأستاذ عن معالجته مما يحدث مثله فى جميع المدارس . والوزارة إنما تأخذ بمتوسط نسبة النجاح للمدرسة كلها ، وتنظر فى أسباب تخلف الفرقة الواحدة أو الفصل الواحد . ولا أذكر أن الوزارة آخذتنا حتى ولا مرة واحدة بسبب تلك النتائج . ومما يؤسف له أن بعض كبار آباء التلاميذ كانوا إذا رسب ابن أحدهم حقد حقداً شديداً ، ولا أعرف إذا كانت هذه الصفة لا تزال فى الآباء . ولو أنهم سألوا الوزارة عن مستوى النتائج لأراحوا أنفسهم وأراحوا النظار من عواقب حقدهم الذى لا يتفق وتربيتهم العالية ومنزلتهم الكبيرة . والمدرسة دنيا مصغرة : ففيها العالم والجاهل والذكى والغبى والوديع والشرس الطبـاع والكريم والحقود ، والذى يغلب على طبعه الخير ، والآخر الذى يغلب على طبعه الخبث والشر وحب الأذى . ولا يستطيع أستاذ مدرس ولا ناظر أن يعجن جِبِـلَّةَ هؤلاء وأن يجعلهم كلهم على طبيعة واحدة من العلم والذكاء والكرم وسمو الشمائل ، ولا أن ينال إعظامهم وإنصافهم جميعاً . ومهنة المدرس والناظر من أشق المهن ، ولا يهون متاعب التعليم غير إنصاف الوزارة من ناحية وإنصاف الآباء من ناحية أخرى وحسن مؤازرتهم ؛ وهذا الإنصاف لا يغنى عنه لإنجاح التعليم تغيير الوسائل والأنظمة . ولسنا نقول هذا القول لأننا نطلب أو نرجى نفعاً فقد انتهت حياتنا العملية وانتهت مطامعنا وآمالنا إلى غير عودة ، ولكنا نقوله ونحن نعلم أن المعلم والناظر يعملان فى سذاجة الشباب أو عادات الشباب والمشيب حتى وإن لم يجدا عطفاً من بعض الآباء أو من الوزارة ؛ ولكن صعب على النفس ألا تجدهما يعينها على تحمل مشقة التعليم ، واستخراج حلاوته ، والتعليم شيِّقٌ حلو إذا انتظمت أموره ، وامتنعت عنه الأحقاد ، والمعاداة على كل أمر تافه . ولا أذكر أنى تأثرت مرة من حسن عطف ومودة قدر تأثرى عنـدما نُقِلْتُ من نظارة مدرسة المنصورة ، وجاء تلاميذ لتوديعى ، ووقف باقى الطلبة فى الفناء يحييوننى وأنا فى القطار ، وقد دمعت أعين بعض الطلبة المودعين ولم أكن أتعمد اللين معهم ، ولا التراخى ، حتى أنال عطفهم ! ولم يكتفوا بذلك بل أظهروا وفاء عندما صاروا إلى المدرسة الثانوية بالمنصورة ، وجاء إليهم تلاميذى من مدرسة الزقازيق الثانوية لمباراتهم ، وقد جعلنى وفاؤهم هذا أندم على أنى لم أكن أكثر ليناً فى معاملتهم ، وإن كنت لم أنقطع عن مشاركتهم فى سرورهم ومباسطتهم والعمل على راحتهم ولإنجاحهم ، وتعهد مرضاهم ، والسهر على صحتهم إذ لم تكن شدتى قسوة بل رحمة .

عبد الرحمن شكرى



النبوة ـ الوحى ـ المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

معذرة من طول الفترة بين مقالى الأول — فى هذا الموضوع — ومقالى هذا ؛ فان أعمال الامتحان فى المدارس وشواغل السفر من بغداد إلى القاهرة أمور لا يستقيم معها فكر ولا يصفو فيها خاطر .

كلما فكرت فى صمت الطبيعة المطبق تجاه الإنسان ، وثبات السماء والأرض أمام حواسه ، وعدم اكتراث الأشياء له ، وعدم وجود ثغرة ينحدر منها إلى أفق آخر غير هذه المناظر الهائلة الثابتة .. اعترتنى رهبة من وضع الإنسان هذا الوضع المغلق عليه فيه كل شيء ! وأقامنى الفكر بين العجز والتعب كما يقول المتنبى :

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

ولكنى أفرض فى بعض الأحيان أن الإنسان استطاع أن يرقى أسباب السماء بسلم ، وأنه طار كالريح ، وانتقل كالبرق ، وصار الكون كله مَزْوِيًّا بين عينيه . فهل يفيده ذلك شيئاً فى حل شيء ؟ كلا ! فيما أتخيل ... لأن الذى ينتقل من متحف أعاجيب صغير إلى متحف أعاجيب كبير ، لا يزيده ذلك إلا دهشة ورغبة فى معرفة الأسباب !

وهبوا الإنسان حلل كل شيء فى الطبيعة وركبه . . . فهل تذهب قدرته تلك من حيرته ودهشته فى إدراك العلاقة بين فكره . وبين الأشياء ، وفى إدراكه نفسه وقدرتها ؟ كلا ! فيما أتخيل ... فهو سوف لا يدرك من نفسه إلا أنه آلة خالقة تفعل الأعاجيب . فنحن مهما أدركنا ومهما فعلنا فسنظل حائرين فى معرفة كيف ندرك وكيف نفعل ما نفعل ... ويبقى وجود كل شيء بعد ذلك لغزاً مغلقاً كما هو !! ...

ومن هذا المدخل أدخل إلى بحث « المعجزة الحسية » ، التى هى أعظم عقبة يصطدم بها أكثر الباحثين المتشككين فى طريقهم إلى الإيمان بالنبوة . لأنهم يرون فى إيجادها خرقاً للناموس العام الذى ينتظم الطبيعة ، وخروجاً على سنن اطرادها؛ ويرون أن الإيمان بالنبوة لا يكون إلا بالإيمان أيضاً بهذا النوع من الأفعال الخارقة لسنة الطبيعة . فيقفون مترددين محجمين عن الإيمان بالنبوة والوحى، إذ يجدون فى منطقة الإيمان بهما عقبة المعجزات الحسية . فيذهبون إلى تأويل النبوة والوحى بتخريجات لا تتفق مع الإيمان الصحيح ولا مع نصوص القرآن الصريحة ، ولا مع منطق النبى نفسه ؛ ومعنى النبوة التى أدركها هو فى روحه وفكره ، وحدثنا عنها ، ووصفها لنا . فهم يحاولون أن يفهموا الوحى على أنه فيض ذاتى فى النفس الإنسانية ، وحالة إلحاح من فكرة الصلاح والحق على قلوب بعض محبى الإصلاح من البشر بعد إدراك تام للاتجاه العام فى الطبيعة . فيخيل إليهم حين يدركون ذلك أن إرادة رب الحياة معهم ومنطقه فى أفواههم وعقولهم ؛ فيصدعون بالدعوة ، وليس هناك وراء هذا اتصال بينهم وبين الله ولا حديث ولا شيء . وأما الخوارق التى كانوا يجرونها فهى أعمال ناشئة من يقظتهم وإدراكهم علماً من الطبيعة لم يدركه غيرهم . فيستخدمون ذلك فى إقناع الناس .

هذه هى خلاصة مقالة منكرى النبوة فى العصر الحديث . وقد ألححت فى مقالى الماضى فى بيان النبوة كقانون من قوانين النشأة العقلية والروحية ، وأنها أشبه بالعلاقة بين الأبوة والبنوة فى الترتيب والإرشاد ، وأنه ليس من المعقول أن تمضى الحياة الإنسانية من أول رجل إلى آخر رجل من غير سماع كلمة غير إنسانية مما وراء الطبيعة ، وإلا لزم أن تهدر قيمة الإنسان أمام نفسه لأنه لم يسمع حديثاً من الحياة يحدد له قيمته ومكانه . . .

أما المعجزات الحسية فلو لم يحدثنا عنها القرآن حديثه القاطع بوجودها لكان لنا معها موقف آخر . ولكن القرآن المعجز الدائم يحدثنا عن ناقة خرجت من صخرة ، وعصا انقلبت حية، وطير خرج من طين ، وعن كثير من الآيات بحديث صريح لا يقبل تأويلاً ولا تخريجاً غير ما يحتمله لفظه . ولم يشر القرآن بأى إشارة إلى أن الأنبياء الذين جرت على أيديهم هذه الخوارق كانوا على علم بأسرار ما يفعلون ، بل بالعكس يحدثنا أن موسى خاف وفر وولى مدبراً حين رأى عصاه تنقلب إلى ثعبان مما يدل على أنه ما كان يدرى بسر ما يجرى أمامه

إذاً فقد حبط قولهم إن تلك الخوارق ناشئة من إدراك النبى

سراً من الطبيعة لم يدركه غيره

وينبغي أن نتذكر دائماً أن كل شيء في الطبيعة معجز ومحير. وأن إضافة شيء إلى الطبيعة من أعمال الإيجاد والخلق في ظروف استثنائية تقضي الضرورة بإحداث حجة حسية دامغة فيها ، تلك الإضافة لا تزيد عجباً ولا تستحق دهشة أكثر من غيرها من الموجود قبلها

وينبغي أيضاً أن نمنع خيالنا من تصور الله تعالى خاضعاً لطرق صناعتنا . . . فهو لا يحتاج إلى مخابير ومعايير ومنافيخ وآلات ومعامل حتى يخرج شيئاً وإنما المسألة بالنسبة إليه بسيطة هينة .. وقد وهم إبراهيم عليه السلام حين قال له : « رب أرني كيف تحيي الموتى » إذ أنه ظن أن هناك كيفية وأسلوباً محسوساً لإيجاد الله للأشياء فقال له الله : « أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . قال : فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك (أي اذبحهن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادْعُهُنَّ يأتينك سعياً » فلم ير إبراهيم من كيفية الخلق أكثر من هذا . وهو هو نفسه الأسلوب الذي نراه كل يوم وكل ساعة في وجود الأشياء من نبات وحيوان ، وفي تجدد المادة والقوة والطاقة

فالأمور والأشياء من أولها إلى آخرها معجزات وآيات محيرات . ولو خلقناها بأيدينا لم يذهب ما بنا من حيرة ودهشة كما قدمت في أول هذا المقال

أقول هذا وأطيل فيه لأبين للذين تصدمهم المعجزات الحسية المنسوبة إلى الرسل السابقين قبل محمد وتصدهم عن الإيمان بالنبوة بعمناها عند جمهور الناس أن أمرها أهون في التقدير مما يتصورون وأنها لا تستلزم هذه الحيرة والدهشة لأن الله يفعل مثلها في كل دقيقة ملايين الملايين

ثم إن الله تعالى لم يضع قوانين الخلق ليتقيد بها كالأغلال والأصفاد فلا مانع أن يحطمها في جزئياتها التي يدركها الناس عن قرب في ظروف استثنائية حتى لا نتوهم — كما توهم بعض فلاسفة اليونان — أن الله لا يقدر على مخالفة سنن الطبيعة

* * *

ما قدمناه من الحديث يدور حول علاقة المعجزة بالطبيعة وسننها المطردة وحول علاقتها بالله موجد الطبيعة . ويبقى حديث حول علاقتها بالناس وعقولهم وآثارها في الدعوة

هل هناك ضرورة قاهرة على إحداث المعجزة ؟

للجواب على هذا ينبغي أن نستحضر صور المجتمع الإنساني في عصوره الأولى البدائية الجاهلة المحدودة الإدراك الواقفة عند المحسوسات الغارقة في الجهالات الموزعة عقليتها بين السحر والخرقة. كل أمة في عزلة عن الأخرى لا ترى إلا قطعة محدودة من الأرض وأفقاً ضيقاً من السماء ... ترى ظواهر الطبيعة ولا تستطيع لها تعليلاً، تأكلها الفواجع وتحصدها الأوباء ويستبد بها الكهنة والرؤساء وتسير كقطعان سائمة هائمة في بيداء الحياة ليس لها علوم وآداب إلا ما هو في نطاق ضرورة العيش والارتفاق

ثم يفاجئ أحد هذه المجتمعات رجل يحاول أن يحطم كل وثن معبود ويذهب كل شر ويحمل على كل خير ويخلع أمته من ماض وتاريخ وسيرة آباء ويقول — وهنا الهول والدهشة — أنا رسول من الله رب السماء والأرض اختصني الله من بينكم وألقى على روحاً من أمره وكلمني ! نعم كلمني ! وهذا الرجل في الغالبية المطلقة من الأحيان يكون فقيراً لا مال ولا جاه له مما يفتن العامة ويدعو إلى احترام الخاصة

فمن ذا عساه أن يؤمن مع هذا الرجل من مثل هذا المجتمع المنحط الخاضع لمنطق الطفولة ، الذي لم يدرك الحق بنفسه ؟

أظن أنه لا جدال في أن من يستجيب سريعاً لهذا الرجل هم العدد الأقل ممن يلبي كلمة الحق لأول سماعه بها ، وهؤلاء حتى في زماننا زمن العلم والحرية والديمقراطية لا يكادون يبلغون عدداً تصلح معه شئون الأرض ويستقر العمران ويتحقق نمو حركة الفكر والخلق . فلا بد لصلاح الأرض من صلاح جماهير العمال والزراع وهؤلاء هم القطيع الذي يملأ بقاع الأرض ولا يستطيع المصلحون أن يحققوا مثلهم العليا إلا إذا تسلطوا عليه وملكوا قياده، وهؤلاء هم موضع عناية الله ووصاياه لأنهم لا يستطيعون أن يتفرغوا للإدراك كماله وجلاله إذ أنهم مشغولون بالسعي إلى الرزق والضرورات المادية ويخيل إلى أن الله تعالى لاحظ في وضع النبوات الأولى منطقهم ووجدانهم أكثر من غيرهم من الخواص لأنهم هم جمهور الإنسانية لا تستقيم أمورها إلا بإرضائهم وإصلاحهم أما الفلاسفة والحكماء فقليلون كما قدمنا . ولو راعى الله منطقهم

المعقد وإدراكهم المتشعب فأرسل الرسالات بأسلوبهم وحدهم فجاءت كتب الدين ككتبهم إذاً ما استجاب للايمان غيرهم وهم في جسم الإنسانية كنسبة شعرة في جسم فيل

فلا بد أن نفهم هذا لنفهم أنه كان لا بد من وسيلة أخرى غير وسيلة المنطق والعقل لإخضاع جماهير الناس في تلك الأزمان التي كانت أغلب علومها تدور حول البحث في قلب أشياء الطبيعة كقلب الرصاص إلى ذهب وحول علوم التخييل كالسحر والسيميا وكيفية شفاء المرض بالتمائم والتعاويذ وتحضير الجن والاستهواء وراء القوى الخفية والتحايل على تزويق الأصنام وإنطاقها وخلع معاني الحياة وحركاتها عليها إمعاناً من الكهنة في بسط سلطانهم وسعياً من العامة وراء غيبوبة الأحلام وبدوات الأماني والأوهام

ولا تزال بقايا كبيرة من السحر والمثنوية راسبة في أذهان الجماهير في عصرنا هذا « فعيادات » كثير من الدجالين والشموذين أحفل بالزائرين من عيادات كثير من الأطباء الذين يعتمدون على العلم والاختبار، وقبور كثير من المشايخ تقصد للاستشارة والاستخارة أكثر مما تقصد مجالس العقلاء المجربين الذين يعطون الرأي والمشورة التي لا تخطئ. فكيف يهمل الله هذه النزعات الطفلية في نفوس أكثر القطيع الإنساني من غير أن يحملهم على الإيمان به من طريق الحس وإقامة الحجة الدامغة — في رأيهم — حسب ما يقترحون؟ وإذا علمنا أن الغاية من المعجزة غاية عظيمة بل أعظم غايات الحياة وهي حمل كثير من الناس على الإيمان بالله وإنقاذهم مما يهدر كرامتهم ويسفل بهم إلى أقل من درجة البهائم وهو السجود لصنم واللياذ به وبيع الحرية الفكرية والشخصية . . إذا علمنا ذلك تبين لنا أن المعجزة أمر محتم لتكملة السعي في سبيل إنقاذ الإنسان

وإذا لم يهتم رب الحياة بأمر الفصل بين أكبر الحق في الحياة وهو الإيمان به وأكبر الباطل فيها وهو الكفر به ففيم يهتم؟ وما هي غايته من خلقنا إذاً؟ فلقاصري الإدراك أن يطلبوا ذلك ممن يتحدث باسمه تعالى حتى تقوم الحجة الحسية أمامهم

عبد المنعم خلاف

(البقية في العدد القادم)



خليـــل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأســـتاذ جليل

— ١ —

العلامة الأستاذ خليل مردم بك (عضو المجمع العلمى العربى) كاتب وشاعر وباحث، وبراعته فى نثره ونظمه وبحثه بينة مستعلنة وأقواله المحكمة المنثورة والمنظومة فى مجلتَيه (الرابطة الأدبية والثقافة) وفى (مجلة المجمع العلمى العربى) وغيرها. ومصنفاته: شعراء الشام فى القرن الثالث، والجاحظ، وابن المقفع، وابن العميد، والصاحب بن عباد، والفرزدق، وغيرها، فيها الدليل على فضل (الخليل) وهو مُجَلٍّ فى الأدبين: أدب النفس، وأدب الدرس. ومستول على الملكتين فى الفنين المنظوم والمنثور اللذين «لا تتفق الإجادة فيهما معاً إلا للأقل» كما قال ابن خلدون.

وقد كان هــذا السرىّ المردىّ الفاطمى قدم الأسكندرية سنة (١٣٤٤) فعرفناه، وشاهدنا من فضله وعلمه ونبله ما شاهدناه. وفى بحرتنا[1] هذه نظم قصيدته (صلاة الشاعر) وقصيدته (البحر) وقد أملاها علىّ متفضلاً. وبدْء الصلاة:

هَبَّ للذكر وصَفَّ القدما ثم ولَّى وجهه شطر السما
بات فى حـــيرته مستسلما وله دمع على النحر يفيض[2]
لا يغيض

وفى (البحرية) فى البحر يقول:

السما منه استمدت غيثهــا فهو أن يفخر بالجود قمين
أترى أمواجه أنفاســــه رُددت بين شهيق وأنين
لم تكن إلا كشعب ثائر شنها حرباً على (المستعمرين)
جحفل يركب منهــا جحفلاً يتعـــادى كجنود زاحفين

وليت شعرى، ليت شعرى ماذا يقول اليوم لو زار الإسكندرية وقد ظهرت عرائس الدأماء[3]، وعم البلاء، وكاد (أبو العيون..) يبخع نفسه مما يرى ويسمع، أو ينقلب مثل المجنون

إنه «أعنى الخليل» ليقول عجباً، وينشئ صاحب القصيدة

(١) البحرة: المدينة، يقولون: هذه بحرتنا أي أرضنا وبلدتنا (العائق)

(٢) أسلم لأمر الله وسلم ـ بالتشديد ـ واستلم (الأساس)

(٣) الدأماء: البحر، عروسة البحر: ضرب من السمك ...

الرقصة (الرقص) للأدباء المتفتين الشياطين اللاعبين — طرباً[1]

اللهم، إن فى السِّيف فى الصيف فى هــذه البحرة لفتنة!

فاحفظ ـ يارب العالمين ـ عبيدك وإماءك الصالحين والصالحات، وأظهر اللهم عبديك المجاهدين: شيخ المدينة (حامداً[2]) والشيخ محموداً أبو العيون[3] على الفاتنين والفاتنات؛ إنك القوى القادر، ولا حول ولا قوة إلا بالله

أقام الأستاذ المردى، هــذا الأدب الجم والفضل المجسم فى الإسكندرية برهة، وزمن لقائه هو الذى عُدَّ من العمر. ثم عاد إلى داره، دار الإسلام دمشق

سقى دمشقَ الشامِ غيث مُمرِعٌ[4]

من مستهلٍّ ديمـــة دفاقها
مدينة ليس يُضاهى حسنها فى سائر الدنيا ولا آفاقها
فأرضها مثل السماء بهجةً وزهرها كالزهر فى إشراقها[5]
نسيم ريّا روضها متى سرى فك أخا الهموم من وثاقها
لا تسأم العيون والأنوف من رؤيتهــا يوماً ولا انتشاقها

وإن كان (أبو عدنان) لم يبرح يقول:

يا ساكنى مصر، فيكم ساكن الشام

يكابد الشوق من عام إلى عام!!

فالقوم لم يزالوا يرددون فى كل وقت بيتى مهيار

دمشق، إن فى دمشق شموس فضل وأدب، أضواؤها مشمة وباهرة، رآها الناظرون من الشرق الأنأى والمغرب الأقصى

هذه مقدمة أمام القول فى كتاب الأستاذ المردىّ الذى أتحف الناس به فى هذه الأيام، وهو فى الشاعر الإسلامى المظيم (الفرزدق) همّام بن غالب

* * *

جاء فى كتاب (الفرزدق): «قال الجاحظ: كان الفرزدق

(١) من ابن الحريرى: «فقال لقد عانيت عجباً، وسمعت ما أنشأ لى طرباً» فى المقامة المنسوبة الى بلدتنا: الاسكندرية وقد ذكر فيها الفرزدق والنوار: «غشيتنى ندامة الفرزدق حين أبان النوار»

(٢) هو صديقنا وشيخ بلدنا الأستاذ حامد الشواربى باشا الكريم العربي القح ابن الكرام العرب

(٣) قرئ: تبت يدا أبو لهب. قال الكشاف: «كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع» والشيخ أبو العيون هو شيخ علماء الاسكندرية وحرب السابحين والسابحات

(٤) الشعر لسبع بن خلف الأسدي. دفاق على وزن دعاء: المطر الواسع الكثير، وكشداد للمبالغة

(٥) كالزهر: كالنجوم الزهر أى النيرة المتلألئة

راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم . وقال ابن قتيبة : كان الفرزدق مِعَنّا مِفَنّا[١] »

وقد بيّن الأستاذ أفانين أبي فراس في القول في (كتابه) ومن فنونه في شؤونه ما أورده في سيرته : « ذكر لنا الرواة أن غالبا أبا الفرزدق دخل على عليّ بالبصرة ، ومعه ابنه الفرزدق بعد عام الجمل ، فقال : إن ابني هذا من شعراء مضر ، فاسمع منه فقال عليّ : علمه القرآن فهو خير له ، فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه في وقت ، وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن »

وهذه سنة صالحة سنها (همّام) وقد استن بها الأديب الشاعر الوشاح أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض[٢] جاء في (نفح الطيب) : « سئل الأبيض عن لفة فعجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ، ولا ينزعه حتى يحفظ (الغريب المصنّف[٣]) ؛ فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال :

ريعت عجوزى أن رأتني لابسا حلق الحديد ومثل ذاك يروع !

قالت : جننتَ ؟ ! فقلت : بل هي همة

هي عنصر العلياء والينبوع !

سنّ الفرزدق سنة فتبعتها إني لما سن الكرام تبيع

وإن أدباء هذا العصر جلهم أو كلهم لمحقوقون أن يتبعوا السنة الفرزدقية فيقيدوا أنفسهم طوعا أو يقيدوا قسراً حتى يحفظوا ما يجب حفظه ...

وكان الفرزدق على جفائه ذا دعابة ونكتة وجواب حاضر – كما يقول الأستاذ – روى له في الكتاب هذه النكتة : « مرّ الفرزدق يوماً بمجلس بني حرام فقال له عنبسة مولى عثمان بن عفان : يا أبا فراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟

قال : وما حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟

قال : أكتب معك إلى أبي ...

قال : أنا أذهب إلى حيث أبوك في النار ؟ أكتب إليه مع ربالويه واصطفانوس »

« أما هوى الفرزدق السياسي فشعره يدل على أنه مع بني أمية ولكن الواقع أنه مع القول الغالب من قريش » ثم يقول الأستاذ بعد أن أوضح ذلك : « ولعل أدنى الآراء إلى الصواب أن نقول : إن الفرزدق يقول بالعصبية العربية وبالمضرية على القحطانية »

وقد ردّ الأستاذ المردى قولاً أشار إليه بعض من كتب سيرة الفرزدق ، معتمداً — إن كان من أهل العصر — على (المرتضى عليّ بن الطاهر) في أماليه . وقد أملى الرجل كما أحب وهوى .

وبحث الأستاذ عن أبيات الحزين الكناني التي اختلطت بأبيات نُسبت إلى الفرزدق يمدح بها (الإمام علياً الأصغر[١]) أحد الأئمة عند إخواننا الإمامية في خبر ظني أنه مصوغ[٢] . وجنُ الفرزدق[٣] الملوم لا يحققه . وهل شرد الكميت طويلاً إلا مثل هذا ؟

وأبيات الحزين هي في عبدالله بن عبد الملك – كما قال الأستاذ وروى عن الأغاني – وقد أخطأ صاحب (العقد) في قوله إنها قيلت في بعض خلفاء بني أمية . ويؤيد قول الأستاذ وأبي الفرج فيمن قيلت فيه ما جاء في (معجم الشعراء) للامام المرزباني : « كان الحزين شاعراً محسناً متمكناً ، وهو القائل في عبد الله ابن عبد الملك ووفد إليه إلى مصر وهو واليها يمدحه في أبيات » أورد منها المرزباني أربعة وأبو تمام ستة منسوبة إلى الحزين الليثي ، وهو الكناني هذا ، واسمه عمرو بن عبد وهيب . وقد أخطأ ناسخ الحماسة في كتابته أنها قيلت في غير من قيلت فيه كما أخطأ التبريزي في شرحه في قوله : « ويقال إنها للفرزدق » . وهذا ما اختاره منها أبو تمام :

---

(١) بمعن مفن : مريض – بتشديد الراء – ذو فنون (الأساس) المعن الذى يعارض كل شيء يستقبله (الفائق)

(٢) في النفح : كان شاعراً وشاحا . هجا الزبير أمير قرطبة فأمر باحضاره وقرعه وقال له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : إني لم أر أحق بالهجو منك ، ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك إنصافا ولم تكلها إلى أحد ... فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته ...

(٣) الغريب المصنف، كتاب في اللغة وهو لأبي عبيد القاسم بن سلام — كما ذكر ابن خلكان والسيوطي في المزهر — وقد نسبه صاحب كشف الظنون إلى أبي عمرو إسحق بن مرار الشيباني

(١) في (نزهة الجليس) للعباس بن على المكى الحسيني الموسوي : عليّ بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام ويقال له : على الأصغر ، وليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام »

(٢) وقد تنوق الصواغ فيما صاغ ؛ ففي (الأغاني) : حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى على بن الحسين في غمار الناس في الطواف ، فقال : من هذا الشاب الذى تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي، فقالوا : هذا على بن الحسين بن على بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق : (هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ، الأبيات)

(٣) في كتاب (الفرزدق) للأستاذ المردى : وكان (الفرزدق) على تبجحه بتفليق الجماجم وحز الغلاصم من أجبن خلق الله

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم[1]
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يُمسكه عرفانَ راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]
أىّ القبائل ليست فى رقابهمِ لأولية هـذا أوله — نِعَم
بكفه خيزران ، ريحها عبِق من كف أروع فى عرنينه شمم
يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته فما يُكلم إلا حين يبتسم[3]

يقول كتاب الأستاذ فى الفرزدق : « كان الفرزدق فاسقاً ماجناً خليعاً يشرب الخمر إن وجد إليها سبيلاً » نزل على الأخطل ذات يوم فقال له : أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا ... فقال الفرزدق :

خفِّضْ عليك قليلاً وهات لى من شرابك

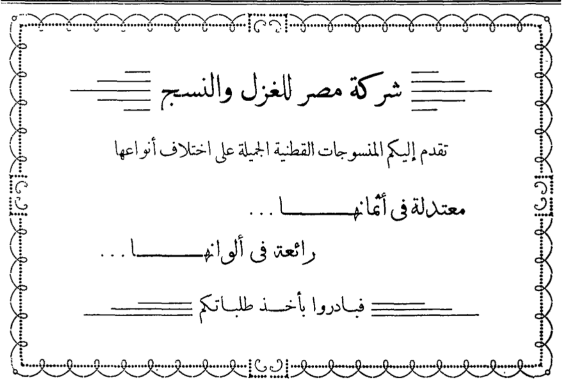
ويقول الأستاذ : « لكنه مع ذلك كان حسن الإيمان بالله يقيم الصلوات ، ويعجبه من قومه أن يتدارسو القرآن ويكثروا من تلاوته ، يقر بذنوبه ويستغفر الله لها ، ويخشى عذاب الآخرة ويهجر إبليس الذى يزين له المعاصي ويطغيه . قال المبرد فى الكامل: التقى الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : كلا! لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وخمس نجائب لا يُدركن — يعنى الصلوات الخمس — وقال : كان الفرزدق يخرج من منزله ، فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم ؛ فيسر بذلك ويجذل به . ويقول : إيهٍ فدًى لكم أبى وأمى ! كذا والله كان آباؤكم . وقال : والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله ألا يكذب ولا يشتم مسلماً :

ألم ترنى عاهدت ربى وإننى لبين رتاج قائماً ومقام
على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فىّ زور كلام[1]

« الاسكندرية » (* * *)

(١) الحل خارج المواقيت من البلاد والحرم ما بين المواقيت المعروفة وإنما أراد أهل الحل والحرم (التبريزى)
(٢) انتصب عرفان على أنه مفعول له أى يكاد يمسكه ركن الحطيم لأجل عرف راحته (التبريزى)
(٣) لم يقل أحد فى الهيبة أحسن منه (ابن قتيبة)

(١) من أبيات (الكتاب) قال الشنتمرى : الشاهد فيه قوله ولا خارجا ونصبه لوقوعه موقع المصدر الموضوع موضع العمل على مذهب سيبويه ، والتقدير عاهدت ربى لا يخرج من فى زور كلام خروجا . ويجوز أن يكون قوله ولا خارجا منصوبا على الحال والمعنى عاهدت ربى غير شاتم ولا خارج أى عاهدته صادقا . وهذا على مذهب عيسى بن عمر ، وقد ذكره سيبويه عنه ، ولا شاهد فيه على هذا التقدير



مشكلة البحر الأبيض المتوسط

مصالح بريطانيا وفرنسا فيه(*)

تلخيص مقال للسر ارشيبالد سنكلير

زعيم حزب الأحرار بمجلس العموم

نجتاز الآن مرحلة جديدة من مراحل النزاع الأبدي بين القانون والقوة، فهذه هي الدول الدكتاتورية التي لا تعترف بغير حق الأقوى، وتسخر من إيماننا بنظام دولي قائم على احترام استقلال الشعوب، وترفض كل مفاوضة مخلصة حبية لتسوية المشاكل الدولية، مفضلة عليها فرض إرادتها بالتهديد، وهذه هي الدول الديمقراطية، دول الماجنا كارتا وإعلان حقوق الإنسان التي يسود فيها الاعتقاد بأن للدول - كالأفراد - حقوقاً متساوية في الحرية، بغض النظر عن درجة قوتها، وبأن السلام قائم على احترام القانون، وأن الوسيلة الوحيدة للعمل على احترامه هي مقاومة العدوان.

وتقوم منذ سنوات علاقات متوترة أقرب إلى الحرب منها إلى السلام بين هاتين المجموعتين من الدول، فنحن في حالة حرب من الوجهة العملية في شئون الرأي والمال والاقتصاد والصناعة، والدعاية، وقد زادت أخيراً هذه الحالة سوءاً، فاستغلت الدول الدكتاتورية غفلة حكوماتنا وترددها، فلم تتوان عن اللجوء إلى العنف عند ما أحست بالقدرة على استعماله، فاستطاعت بذلك أن تستولي في أوربا الوسطى وأسبانيا على مراكز ذات أهمية عظمى لها من الوجهة الحربية والاقتصادية.

ومن الضروري، لنتجنب اليوم الذي نخير فيه بين الخضوع للمعتدين وتعجيل النكبة العالمية، أن نكون جبهة عامة من الشعوب التي تفضل القانون على العدوان، ويجب أن نكونها قوية لتستطيع تحويل هتلر الذي يبقى بعد دكتاتور ألمانيا وحدها، بل إيطاليا كذلك، عن المنحدر الذي يجذب العالم نحو الحرب

مساهمة بريطانيا في الدفاع عن السلام

يعلم الناس مساهمة بريطانيا في تدعيم السلام، وهذه المساهمة ذات وجهين، العسكرية والسياسية، ويمكن أن تعتبر أسبق الدول في الحالتين

فقد قمنا في الناحية العسكرية بما لم نفعله قط في تاريخنا من قبل: لقد أدخلنا نظام التجنيد وقت السلم، ويجدر بي أن أسوق كلمة موجزة في هذا الموضوع الذي كان محلاً لتعليقات عديدة في فرنسا، لست أقول إننا فعلنا هذا عن طيب خاطر، ولكن نفورنا لم ينشأ عن أنانية أو جهل قد يصل إلى مرتبة الغباء، فإن الرجال في انجلترا كما يجب أن تعرفوا، قد جاءوا وما زالوا، ليجودوا بأنفسهم بكثرة، ولقد بلغ عدد من قيد اسمه في البحرية أو الطيران أو الجيش ستة آلاف إلى ثمانية آلاف في اليوم، والتفسير العميق لهذا أن التجنيد في وقت السلم ضد تقليد ذي وجهين، حربي وأدبي، دام منذ مئات السنين، وليس من الهين أن نتحرر بسهولة من هيمنة القرون النفسانية. أما التقليد الأدبي فهو مذهب التطوع الساري في جميع النواحي، فانظروا مثلاً إلى مستشفياتنا التي تعيش بفضل جود الأفراد. وأما التقليد الحربي، فلأننا من سكان الجزائر قد اعتدنا أن نعتبر أن حماة أرض الوطن هم بحارتنا لا جنودنا. وأرجو أن تقدروا فيما عدا الذين سيعملون في دفاع الطيران أن مجندينا سيحاربون في بلاد أجنبية وفي مناطق بعيدة في بعض الأحيان، وأن رجل الشارع لا يرى دائماً كيف ولماذا تكون هذه المناطق الأجنبية مرتبطة بطريق غير مباشر بسلامة ونجاح الجزر البريطانية. فإذا ثبت في الأذهان هذه الاعتبارات النفسانية فهمتم ووافقتم على أن اعتناق مبدأ التجنيد هو انقلاب حقيقي عند الإنجليز، وأن سبباً واحداً استطاع أن يخرجنا عن مقتنا التقليدي للتجنيد: هو الرغبة في ألا ندع أدنى شك يتسرب إلى أصغر بقعة في أوربا عن إرادتنا في تقديم أكبر ما يمكن في المساهمة التي نستطيعها.

وليست مساهمتنا في الميدان السياسي بأقل انقلاباً من المساهمة العسكرية. ففي إعطائنا الضمانات لدول مختلفة في شرق أوروبا ارتبطت انجلترا بالقارة كما لم تفعل من قبل هذه الضمانات التي تخص غير بولونيا رومانيا واليونان وتركيا، وهذه تسوقني إلى الكلام على مشكلة البحر الأبيض:

(*) عن مجلة السياسة الخارجية الفرنسية

شرق البحر الأبيض

من الجلى أن الضمانات التى أعطيناها دول البلقان تجبرنا على الاحتفاظ بالسيادة البحرية التى للتحالف الفرنسى الإنجليزى فى البحر الأبيض ، ومن العبث أن نبين تفوق أسطول هذا الحلف الساحق على أى عدو فى كل ما يختص بالسفن ؛ ولكن هناك، وهذا صحيح، تهديد الطيارات والغواصات، وهو ما يجدر بنا أن نحسب حسابه ، ولكنى أظن أنه قد بولغ كثيراً فى تقدير هذا الخطر . ولعلكم تذكرون ما حدث فى شتاء العام الماضى عند ظهور غواصات قراصنة من جنسيات مجهولة فى البحر الأبيض فإنها لم تلبث بعد إعطاء السلطات الفرنسية والإنجليزية أوامرها إلى وحداتها بمهاجمة وإغراق كل غواصة تقابلها على بعض طرق المواصلات البحرية حتى اختفت بفعل السحر ، مما يدل على أنه توجد أميرالية فى أوربا تشاركنا يقيننا فى قوة وسائلنا الدفاعية الفعالة ضد غارة الغواصات

ومن المفهوم أن هذه الثقة المطلقة فى تفوق الأسطول الفرنسى الإنجليزى فى البحر تقوم على أمرين أساسيين : الأول هو التعاون الصادق التام بين القيادتين ، والثانى هو الاستحواذ على قواعد عظيمة القوة . ومن هنا كانت هذه الأهمية ذات الدرجة الأولى للمسألة المعقدة فى علاقاتنا بمصر وتركيا واليونان فى الشرق ، وبفرنسا وإيطاليا فى الوسط ، ثم علاقاتنا المشتركة فى الغرب ، والتعهدات التى التزمنا بها أخيراً فى البلقان تنسجم مع تعهداتنا التى تربطنا بمصر ومع ضرورة تأمين حرية المواصلات الامبراطورية فى قنال السويس

هذه الالتزامات والمصالح التى لا تحتاج إلى التنويه بأهميتها تفسر الاهتمام الذى يبديه الرأى العام الإنجليزى فى مراقبة تزايد القوات الإيطالية فى ليبيا ، كما تفسر قرار الحكومة الخاص بتكوين احتياطى جديد فى الشرق الأدنى والأوسط ، والقواعد الفرنسية فى تولون وأجاكيو وبنزرته وأوران والجزائر لا تقل شأناً فى خدمة القضية المشتركة عن القواعد الإنجليزية فى شرق البحر الأبيض ، كما أنه لا يخفى أن تفوق الأسطول الفرنسى الذى لا يمكن إنكاره فى أفريقيا الشمالية هو من أكبر الضمانات الأكيدة التى يمكن أن يرجوها الإنسان فى تدعيم السلام فى البحر الأبيض

غرب البحر الأبيض

ولنأت الآن إلى غرب البحر الأبيض ، فبريطانيا العظمى تعلق أكبر أهمية على تحالفها التقليدى مع البرتغال . هذا التحالف المكين المؤسس على المصالح المشتركة والذى حافظت عليه الأمتان بإخلاص وصدق منذ ثلاثة قرون بغير أن يمس شيئاً من كبريائهما واستقلالها الشرعى

وعلينا أن نكسب صداقة الأسبان وحيادها فى حالة الحرب إذا أمكننا . ولقد كنت من جهتى أحد الدعاة المخلصين لعدم التدخل فى شئون أسبانيا الداخليـة كما هو حالنا مع أية دولة أخرى . ويبدو لى من المحزن ـ لهذا السبب نفسه ـ أن ظنت الحكومتان الانجليزية والفرنسية أنه من الواجب ترك الحكومتين الألمانية والإيطالية تؤثران فى مستقبل الحرب الأهلية الأسبانية ، ويكاد هذا الضعف الجنونى يكلفنا غالياً

من العبث أن نضيع الوقت فى الأسف على أخطاء الماضى ، وفى عدم الاعتراف بأن الجنرال فرانكو هو سيد أسبانيا اليوم ، ولكن هذا يجب ألا ينسينا أن ألمانيا قد ضمنت مراكز اقتصادية وحربية هامة ، وأن بواخر الأسطولين الألمانى والطليانى تغشى موانى أسبانيا

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأنه لا يوجد فى انجلترا شخص واحد لا يريد العيش فى صداقة وسلام مع إيطاليا ، وإننا مستعدون للاعتراف لإيطاليا بمصلحتها بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا فى نظام البحر الأبيض وحرية المرور لتجارتها فيه ، ولكننا لا نستطيع مع ذلك ألا نلاحظ أن جميع مساعينا فى تسكين إيطاليا لم تفد إلا فى تحريض هذه الحكومة على ارتكاب أعمال شديدة الخطورة على السلام

وكما أبان إيدن فى خطبة استقالته فى البرلمان ، قد صحب اتفاق الجنتلمان فى أول يناير سنة ١٩٣٧ إرسال أول نجدة هامة من الجنود الإيطالية إلى أسبانيا ، وأن إمضاء اتفاق ١٦ أبريل

سنة ١٩٣٩ تبعه ازدياد إلقاء القنابل المدمرة من الطيارات الإيطالية التي تعمل مع فرانكو ، وأن التصديق على هذا الاتفاق قد تبعه تضاعف عدد الجنود العاملة في الجيش الايطالي في ليبيا

وتدل جميع هذه الوقائع على أن سياسة التسكين لم يكن لها من أثر إلا إهاجة شهوة موسوليني وإضعاف مراكزنا في البحر الأبيض المتوسط

كما أن وجود القوات الإيطالية في ألبانيا قد يسبب تهديداً ضد أمن وسلام البحر الأبيض أكثر خطراً من هـذه القوات في أسبانيا، فعددها مائة ألف على الأقل مزودة بالدبابات والطيارات ولا تبعد عن سالونيك إلا بمائة وخمسين كيلو متراً ، وخطر هذا التهديد هو الذي ألجأنا إلى إضافة ضمان اليونان إلى ضمان رومانيا واتفاقيتنا مع تركيا

وهناك دولة كبيرة يهمها مباشرة استقرار الأمر في شرق أوربا وجنوبها الشرقي ، وهي على استعداد لتضع تحت تصرفنا موارد لا نعرف في الواقع معلومات دقيقة عنها ، ولكنها مع ذلك محل تقدير لا يمكن إنكاره ، وموقعها يسمح بالتدخل عند الحاجة ، سواء في الأرض أو في البحر ، أسرع من فرنسا أو بريطانيا ، وهذه الدولة هي روسيا .

وإنني أوافق من جهتي مستر تشمبرلين عندما قال إن النظام الداخلي في ألمانيا أو إيطاليا يجب ألا يؤثر على سياستنا الخارجية . فكذلك يجب تطبيق هذه القاعدة الحكيمة مع روسيا . فإذا أحبت إيطاليا أو ألمانيا أو روسيا نظامها الحالي ، فليس لنا أن نحاول أن نفرض عليها نظاماً غيره ، وإنما الأمر الوحيد الذي يعنينا هو سياسة هذه الدول الخارجية ، وإذا كنت قد نهضت لمقاومة حركات ألمانيا أو إيطاليا فلأن هذه أو تلك تحاول فرض طغيانها على غيرها من البلاد ، وهذه هي مساعدة روسيا تحت تصرفنا ، وهي لا بد منها إذا أردنا أن نضع حداً للاعتداء بدون أن نلجأ إلى الحرب .

وقد تساءلوا في باريس ولوندرة أخيراً عما إذا كان من اللازم أن نطلب إلى الفرنسيين أو الإنجليز أن يموتوا في سبيل دانزيج ؟ يبدو أن الجواب الظاهر « كلا » ! ولكن إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن نظن أن البولونيين قبلوا أن يموتوا في سبيل باريس أو لوندرة، أو يقبل الفرنسيون أن يموتوا في سبيل جبل طارق ، أو يموت الإنجليز في سبيل تونس ؟ فاللهم تخطى ستار الجدل الخادع الذي يقف عند حد هذا الأمر الذي لا أهمية له في ذاته ، أو عند معرفة لمن تكون هذه المدينة أو هذه الولاية لتقدير حقائق هذه الأمور الصحيحة . فإن الأمر أكبر اتساعاً وعمقاً من هذه الحدود .

ولقد سرني أن أعدت منذ أيام قراءة خطبة بركليس في شعب أثينا في موضوع اقتراحات كان الإسبارطيون قد عرضوها عليه ، وأحد هذه الاقتراحات خاص بقانون أثينا حظر على بواخر ميجارا دخول موانى أثينا ، ولا بد أن أحداً سأل عما إذا كان يستأهل مثل هذا الأمر التافه الموت في سبيله ، فكان جوابه :

« أكرر لكم أيها الأثينيون أن انزعوا هذا الوهم بأنكم قد تدخلون الحرب في سـبيل أمر تافه ، فإن تفاهة الأمر الذي نحن بصدده لا تقل عن امتحان يقينكم ، فلو تخليتم عن هذه النقطة ، فسيسألونكم فوراً أن تتخلوا عن غيرها ، لأنكم قد خفتم .

وسواء أكان المطلوب جليلاً أم لا فإنه إذا سعى شخص إلى نيله من جاره بالقوة أو بالتهديد بالقوة لا بالاتفاق الودي ، فإن الأمر في الواقع يكون هل سنصبح أحراراً أم عبيداً »

وأقول لكم بالمثل : « لنعمل على منوال يفهم منه مواطنونا والشعبان الإيطالي والألماني أننا لن ندخل الحرب مطلقاً من أجل أمر تافه ولكن يجب أن نكون مستعدين إلى أقصى درجة لقبول امتحان يقيننا ، ولمقاومة التهديد والقوة وإنقاذ هذه القيم الأخلاقية التي تكون ثروة مدنيتنا والتي تعرف باسم التسامح والحرية والعدل »

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



اختلفت الآراء فى هذه المؤامرة الجركسية من حيث تدبيرها ومن هذه الآراء ما يذكره مستر بلنت فى كتابه حيث يعزوها إلى الخديو إسماعيل ، الذى وكل بها رجلاً عرف بعداوته القاسية للحركة الوطنية ووجوهها يدعى راتب باشا . وكان إسماعيل يطمع أن يصل بهذه المؤامرة إلى العودة إلى عرشه للقضاء على القلاقل والفتن المزعومة التى عجز توفيق عن القضاء عليها كل العجز ؛ وكان يمنى نفسه بأن توافق انجلترة على ذلك فتقنع تركيا به أو تجبرها عليه

ويؤكد مستر بلنت هذا الرأى قائلاً إنه عرفه من جلة مصادر منها إبراهيم بك المويلحى سكرتير إسماعيل ؛ ولقد أيد الشيخ محمد عبده هذا الرأى بما جاء فى خطابه إلى بلنت عن هذه المؤامرة قال : « هـذا ، وبخصوص المؤامرة الجركسية لاغتيال عرابى أخبركم أنها ليست بذات خطر فإن الخديو إسماعيل قد مضت عليه مدة طويلة وهو يضع الألغام لـكى يدمر حكومتنا وهو يعتقد أن هذا العمل يرجعه إلى مصر »

ولقد بدأت المؤامرة بتذمر الضباط الجراكسة فى الجيش مما اتخذه وزير الحربية الجديد أحمد عرابى باشا من إجراءات الترقية ، زاعمين أنها إجراءات ظالمة تنطوى على الكيد لهم والانتقام منهم ، لا عن جريرة ارتكبوها ، ولـكن لأنهم ليسوا مصريين ...

والذى يقف على أساليب السياسة الإنجليزية الماكرة فى تنكير كل جو ترى مصلحتها فى تعكيره لا يستبعد أن يكون للانجليز الذين كانوا يقيمون فى مصر يومئذ أكبر فى الإيحاء إلى هؤلاء الجراكسة بهذه الآراء لـكى تشيع فيهم الفتنة ثم تجاوزهم إلى المصريين فلا تصيب الذين ظلموا خاصة

ومما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد فى صحة هذا الذى نقول فضلاً عما نشير إليه من سوابق السياسة الإنجليزية ما رمى به الوزارة الوطنية الإنجليز على ألسنة صحفهم ومندوبيهم فى مصر من التهم وبخاصة ما ذكروه من الإفك حول الجيش وسيطرته على كل شىء

والواقع أنه لم يكن فيما فعل عرابى إلا ما يقتضيه تطبيق القوانين العسكرية الجديدة التى وافقت الحكومة السالفة عليها ، فإن تلك القوانين تنص على وجوب إحالة المرضى والذين بلغوا سناً معينة على الاستيداع . ولقد دافعت الوزارة عن عملها بهذا ولـكن الخراصين المناوئين لم يحملوا هذا العمل إلا على الكيد والانتقام ...

وإذا نحن جارينا هؤلاء الكائدين لمصر وحركتها فيما زعموه من أن الوزارة متهمة فلا تصدق فيما تقول دفاعاً عن عملها ، فإن فيما كتبه الشيخ محمد عبده إلى صديقه مستر بلنت فى خطابه السالف ذكره لأقوى دليل على براءة عرابى والوزارة السامية مما اتهمت به ، وذلك لأن الإمام رحمه الله كان رجل صدق وفطنة فلا يقول إلا ما يعتقده عن تحر وتمحيص قال : « أما عن ترقية الموظفين التى تلغط فيها الصحف الأوربية فاسمحوا لى بأن أوضح الحقائق فأقول : أولاً إن هذه الترقيات لم تعمل بناء على أمر

عرابي باشا وحده ، ولم تكن بمثابة الرشوة للضباط لا كتساب عطفهم نحو عرابي . كلا فالواقع أن هذه الترقيات عملت بنـاء على القانون الحربي الجديد الذي يأمر بإحالة الضباط الذين يبلغون سناً معينة أو يمرضون ويصابون بعاهة على الماش ؛ وقد نفذ هذا القانون في عهد شريف باشا ، وأحيل على الماش ثمانية وخمسون وخمسمائة ضابط ثم أرسل ستة وتسعون إلى حدود الحبشة وزيلع وأماكن أخرى ، بينما قد أخرج من الجيش نحو مائة ضابط توظفوا في الوظائف المدنية . فعدد جميع هؤلاء أربعة وخمسون وسبعمائة ضابط ، فكان إذاً من الطبيعي أن تحصل ترقيات لملء الوظائف الخالية . ولا يزال في الجيش خمسون وظيفة قد حفظت لخريجي المدرسة الحربية »

هذا ما ذكره الشيخ محمد عبده ، ومنه يتبين الحق في هـذه المسألة . على أننا لو فرضنا أن عرابيا قد آثر المصريين بالترقيات وتخطي بذلك الجراكسة في الجيش ، فلن يكون فيما نرى حتى في هذا العمل مخطئاً ، فحسب هؤلاء الجراكسة ما نالوه من حظوة طوال العهود السابقة وبخاصة في عهد رفقي ، وذلك على ما كانوا يضمرونه من حقد وكراهة لمصر والمصريين ، وحسب المصريين وهم أبناء البلاد الذين تجبى منهم الضرائب ما ذاقوا من هوان ومذلة على يد هؤلاء السادة الذين استنزفوا دماءهم ، واتخذوا منهم عبيداً وإماء .

وماذا كان ينتظر من عرابي غير أن يطبق القانون وهذا أقل ما يفعله رجل هو زعيم ثورة كان هذا القانون ثمرة من ثمارها ؟ ماذا كان ينتظر من ذلك الذي ظل طول عمره ناقماً على الجراكسة في الجيش ، فلم يكف عن الشغب عليهم وهو لم يزل بعد جاويشاً لا حول له ولا قوة ، ولم ين عن مقاومتهم ومصاولتهم في كل خطوة خطاها في سلك الجيش حتى انتهت إليه زعامته ؟

أجل ، ماذا كان ينتظر من ذلك الرجل ، وما كان حقده على هؤلاء في يوم ما صادرا عن أنانية أو عن صغار ، وإنما كان مبعثه ما يحس في أعماق نفسه من حماسة وطنية ، وغيرة قومية هما في مقدمة ما يتصف به ذوو الكرامة والعزة من الرجال .

ومهما يكن من الأمر فما كان عمل عرابي في أي صورة له مما يقابل بالقتل ! ولا كان تقديم المتآمرين إلى المحاكمة مما يستأهل ذلك السباب الذي راحت تنبح به جوقات الاستعمار ؛ وهل نسي هؤلاء أن عرابياً وصاحبيه قد ألقي عليهم القبض من قبل لمجرد أنهم تقدموا ليرفعوا شكواهم إلى أولي الأمر مما كانوا يحسونه من إجحاف بحقوقهم ؟ وكيف لا يستحي دعاة الاستعمار أن يلوموا ذلك الرجل بالأمس ويتهموه بالفوضى لأنه شكا أمره إلى رؤسائه حتى إذا ألقي عليه القبض عدوا ذلك من الحكومة عين الصواب ثم يعودون اليوم فينددون به ويستصرخ عليه بعضهم بعضاً لأنه يقدم إلى المحاكمة فريقاً يتآمرون على قتله ؟!

عول المتذمرون من الضباط على قتل عرابي وأصحابه من كبار رجال الحركة الوطنية ، وقد عمل الدساسون من عصابة راتب على دفعهم في هذه السبيل الوعرة وزينوا لهم الفعلة وهونوا شأنها في قلوبهم ، ولـكن ضابطاً جركسياً يدعى راشد أنور أفندي فوت على المتآمرين قصدهم إذ كان قد خالفهم لأمر ما فبادر إلى عرابي وأفضى إليه بما يعلم ...

وفي اليوم الثاني عشر من إبريل عام ١٨٨٢ قبض على تسعة عشر ضابطاً وسيقوا إلى المجلس العسكري ، وبعد ذلك بعشرة أيام بلغ عدد المقبوض عليهم ثمانية وأربعين ، وكان من بينهم عثمان رفقي باشا نفسه ؛ وقضى المجلس بإدانة أربعين رجلاً منهم رفقي هذا فحكم بتجريدهم جميعاً من ألقابهم ونفيهم إلى أعالي النيل الأبيض في ربوع السودان

وانت الفرصة كلفن وماليت وهيهات أن تواتي الإنجليز فرصـة فيضيعوها ؛ لذلك ما كان أسرعهم إلى استغلال الحادث فبدأوا أولاً يذكرون التعصب الأعمى ثم انتقلوا إلى الفوضى الحكومية واعتبروا ترقية الوطنيين مظهراً من مظاهر الرشوة التي أريد بها التأثير في رجال الجيش كي يكونوا على استعداد عند أول صيحة ؛ ثم رأوا في محاكمة الجراكسة مظهراً من مظاهر الظلم والاستبداد الغاشم قائلين في منطق عجيب إن المؤامرة وهمية لم توجد إلا في رأس عرابي ، وإن الغرض منها لم يكن سوى التخلص من الجراكسة بأية وسيلة ، وإن المحكمة العسكرية التي فصلت في الأمر كانت جلساتها سرية فكانت تعمل بما يشير عرابي ، لذلك جاء حكمها في منتهى القسوة بحيث لا يقل عن الإعدام . ولم يكفهم ذلك فبلغ من جرأتهم وإيغالهم في القحة أن ادعوا أن عرابياً كان يذهب إلى السجن فيعذب هؤلاء الجراكسة أيام المحاكمة ويشفي غليل نفسه بمنظر ذلهم وخضوعهم !

ولقد جعل المستعمرون هذه المحاكمة من أكبر سوءات ذلك العهد ومن كبائر خطيئات عرابى ؛ وحذا المؤرخون من الإنجليز حذو الساسة فى موقفهم من هذه المسألة، ومن هؤلاء كرومر ، وهو رجل كان بحكم صلته برجال ذلك العهد جيماً يعلم حقيقة الأمر ، ومع ذلك طاوعه ضميره فى أن يقول فى كتابه . « لم يظهر دليل جدير بالتصديق ولا ظل دليل على أن تهمة المؤامرة كانت تهمة حقيقية ؛ وكان حكم المحكمة العسكرية وثيقة وحشية تحمل طابع المظاهرة السياسية أكثر مما تحمل طابع الحكم القضائى ؛ وكان عرابى كثير الظن شأنه فى ذلك شأن كل جاهل من الرجال ، ولم تعش المؤامرة على قتله إلا فى خياله هو فحسب » .

وأخذ فريق من المصريين هذا الكلام كما أرسل على عواهنه وشايعوا الإنجليز وأسفاه فى رأيهم هذا فى عرابى كما شايعوهم فى غير هذا من الآراء، الأمر الذى يؤلمنا أشد الألم ! فليس يعنينا ما يقول خصوم الوطن وخصوم عرابي ، ولكننا نضيق كل الضيق أن تجوز الأباطيل على المصريين فى رجل منهم جدير بأن يفتخروا كل الفخر أن كان ينتمى إليهم ، ومن هنا ضاع تاريخ عرابى وأنكره بنو قومه ، فأضافوا إلى عيب خضوعهم للدخيل فضيحة مشايعته فيما يسبهم به فى شخص رجل من رجالاتهم .

ويجدر بنا أن نضع تحت عينى القارئ ما كتبه الشيخ محمد عبده تعليقاً على المؤامرة ليقارن بين كلامه وكلام كرومر . قال فى كتابه إلى بلنت : « وكانت الوزارة تعرف منذ زمن شيئاً عن هذه الحركات . فمنذ مجىء راتب باشا إلى مصر كان محمود سامى رئيس الوزراء الآن — وزيراً للحربية — فطلب من شريف باشا أن ينفيه إلى خارج القطر . ولكن شريف على الرغم من تحذير محمود سامى رفض أن يأمر بنفيه ، وسبب ذلك أن راتباً تزوج ابنة شريف باشا ، والبعض يظن أن الاثنين متواطئان على رجوع إسماعيل » . ثم قال : « وقد أحدثت هذه الحادثة قليلاً من التهييج بين العامة . والجميع يعرفون أن حياة عرابى مثل حياة أى إنسان آخر ، وليس بين الناس أحد مهما كان عظيماً يستطيع أن يجذب إليه قلوب الجميع دون أن يكون بينهم من يريده بسوء ، ولكننا جميعاً نضحك إذا قيل لنا إن انجلترا على وشك الفوضى لأن أحد المجانين قد حاول قتل الملكة » ...

وليت هؤلاء الكاذبين المغرضين قد اقتصر أمرهم على الكذب والاتهام ولم يخطوا بعد ذلك تلك الخطوة النكراء التى أكدت القطيعة بين الخديو والوزراء وعجلت الكارثة للبلاد ! وما كانت ادعاءاتهم إلا مقدمة بدأوا بها ما كانوا ينتوونه من المكر السيئ . يقول فى ذلك مستر بلنت : « وفى أثناء ذلك دخلت المسألة المصرية فى طور خطير وذلك بسبب المؤامرة الجركسية التى وصلت أخبارها إلى لندن فى الأسبوع الثالث من شهر ابريل ، ولم أعن العناية الكبيرة بهذه المسألة عند أول ظهور أخبارها معتقداً بأنها إحدى المفتريات التى تنشر عن مصر ، ولكن الأحوال أثبتت أنها خطيرة تستدعى الالتفات ، ولم تكن خطورتها متوقفة على حدوثها من حيث هى بل من حيث إنها كانت فرصة لحكومتنا ترقبها لكى توقع الخلاف بين الخديو ووزرائه ، وكان ماليت قد خضع تمام الخضوع لكلفن فى هذا الوقت وصار ينتصح بنصحه ويسير على هواه »

عرض قرار المحكمة العسكرية على الخديو فأسقط فى يده أيوافق على هذا الحكم فيظهر أمام الإنجليز أنه يظاهر وزراءه فيخسر الذين يظاهرونه هو ، أم يرفض التصديق عليه فيرضى الانجليز ويقضى على كل أمل فى إرضاء عواطف الوطنيين ؟

وكان ماليت قد أشار عليه برفض هذا الحكم الذى ينطوى على القسوة والظلم ؛ وللقارئ أن يقدر مبلغ ما فى هذا التدخل من تطفل وقحة ! ما شأن الانجليز وحكما كهذا مهما كان ظالماً كما يزعمون ؟ وإنهم ليعلمون أن جلسات المحاكم العسكرية كانت سرية حتى فى عهد المراقبة ، وأن الخديو لا يملك رفض أحكامها ، وكل ما له فى هذا الصدد هو تخفيف تلك الأحكام بعض الشىء بعد التصديق عليها

حار توفيق واشتدت حيرته ورأى الأمر جد خطير ؛ وأى شىء أخطر من أن يتحدى وزراءه فى غير حق وفى موقف كهذا تحيط فيه بهم الدسائس من كل جانب وتعترض طريقهم الصعاب التى يتطلب تذليلها جهوداً متواصلة . لذلك وقف الخديو أول الأمر موقفاً مبهماً ، وسرعان ما شاعت الشائعات عنه من جهة وعن الوزارة من الجهة الأخرى ، وكلما مر يوم ازدادت ريبة الوطنيين وتعاظم غيظهم وغضبهم ، ووجدت الدسائس الجو الصالح لنجاحها فنشطت نشاطاً كبيراً ، ولازم ماليت الخديو يوحى إليه ويوسوس له

« يتبع »

الخفيف

١ - عينـــاك

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

عيناكِ حوّلتا حياتى جدولاً ... تهفو إليــه حمائمُ الوديانِ
تمايل الأزهارُ عند ضفافهِ ... متجددات العطر والألوانِ
وتمرُّ بى النسماتُ تلثم صفحتى ... فى مثل همْس الوحى فى الوجدانِ
تحنو علىّ الناشراتُ غصونَها ... فأُقبِّلُ الأغصانَ وهى دَوانِ
عيناكِ حوّلتا حياتى جدولاً ... يجرى مع الأيام دون توانِ
أشدو وأشدو والحمائمُ هتّفٌ ... تتناقلُ المنشودَ من ألحانى
صورُ الوجودِ جعلتِها لى لوحةً ... فإليكِ ترجعُ تحفةُ الفنّانِ

٢ - شـــفتاك

شفتاكِ حوّلتا حياتى نغمةً ... تسرى مع النسماتِ للآذانِ
الليلُ يسمعُها فينقل لحنَها ... للفجرِ بين شواردِ الألحانِ
فأرى حياتى فوق أحلام النُّهى ... خلدتْ على رغم الزمانِ الفانى
ومضتْ(١) تجرِّرُ ثوبها فى رقصة ... منظومــةٍ ، وزمانُها مُتَوانِ
شفتاكِ قيثارُ الخلودِ ، فوقِّعى ... لحنَ الخلودِ ، وجدّدى أوزانى
إنى خلصتُ من الشجونِ برحمةٍ ... ألهمْتِها فى ساعةِ الإيمانِ
طالت علىّ ضلالتى وتحيُّرى ... فى عالمٍ آمالُه إحـــزانى

حسن كامل الصيرفى

نبرات صوتك فى المسرة

للأستاذ العوضى الوكيل

نبراتُ صوتكِ فى المسرّة جددت ... لهفى عليكِ وضاعفت أشجانى
تنسابُ فى الأسماع وانيةَ الخطى ... فتشيعُ فى نفسى وفى ألحانى
طربَ الحديدُ لها وهشَّ لوقعها ... لو كان ذا حَرَكٍ وذا وُجْدانِ
ولقد هممت بأن أجاذبه الهوى ... وأبثّه غزَلى وصفوَ حنانى
نبراتُ صوتكِ ؟ ما المزاهرُ كلها ... ما رنّةُ نشوى من العيدانِ ؟
ووهبتكِ الآمالَ ملءَ خواطرى ... وعلى سناكِ حبستُ حرَّ بيانى
وسهرتُ فيكِ وأنتِ هانئةُ الكرى ... ومنحتُ حبَّكِ غابرى وأوانى !
وأريتُكِ الإيمانَ تنطقُ مقلتى ... بدليله فسموتُ بالإيمانِ
وذخرتُ فى نفسى حديثَكِ كلّه ... ووعيته فى السرِّ والإعلانِ
وخلقتُ فيكِ جلالةً أبديّةً ... تسمو على الأزمان والأكوانِ
هذا رداؤكِ من نسيج مشاعرى ... المهجتانِ عليـه تتّفقانِ
ما كان من حُسنٍ عليكِ فإنه ... لى دون غيرى من بنى الإنسانِ

(الزقازيق) العوضى الوكيل

صلاة فى محراب النيل (*)

للشاعر السودانى المرحوم التيجانى يوسف بشير

أنت يا نيل يا سليل الفرادي ... س كريم موفق فى مسابك
ملء أوفاضك الجلال فرحى ... بالجلال المفيض من أنسابك
حرستك الأملاك فى جنة الخلا ... د ورفّت على وضيء عبابك
وأمدّت عليك أجنحة خضـ ... راً وأضفت ثيابها فى رحابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغـ ... ت على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفى كفـ ... يك تاريخه وتحت ثيابك !
مخرتك القرون تشمر عن سا ... ق بعيد الخطى قوى السنابك
يتوثبن فى الضفاف خفافاً ... ثم يركضن فى ممر شعابك
عجب أنت صاعداً فى مراقيـ ... ك امرى أو هابطاً فى انصبابك
مجتلى قوة، ومسرح أفكا ... ر، وموحى عجيبة كل ما بك
كم نبيل بمجد ماضيك مأخو ... ذ، وكم ساجد على أعتابك
عفروا نضرة الجباه بيرا ... ق سنى من لؤلؤى ترابك
سجداً ذاهلين لا روعة التا ... ج ولا زهو إمرة خلف بابك !
وصقيل فى صفحة الماء فضفا ... ض ندى منضر من إهابك
وحروف ريانة فى اسمك «النيـ ... ل» ونعمى موفورة فى جنابك
فكأن القلوب مما استمدت ... منك سكرى رقاصة من شرابك
أيها النيل فى القلوب سلام الـ ... خلد وقف على نضير شبابك
أنت فى مسلك الدماء وفى الأ ... نفاس تجرى مدوّياً فى انسيابك
إن نسبنا إليك فى عزة الوا ... ثق راضين وفرة عن نصابك
أو رفلنا فى عـــدوتيك مدليـ ... ن على أمة بما فى كتابك
أو عبدنا فيك الجلال فلما ... نقض حق النياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ ... ل بلاء الجدود فى صون غابك !

التيجانى يوسف بشير

(١) حياتى

(*) من ديوانه (إشراقة) الذى يطبع الآن



دراسات في الفن

نحو دنيا الروح

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يقول علماء التربية وعلماء النفس فيما يقولون من الحق : إنه يمكن التخفيف من حدة الغريزة الجنسية عند المراهقين بصرفهم إلى الفنون الجميلة . وهم لهذا يوصون المربين بأن يعلموا المراهقين الموسيقى والتمثيل والرسم والأدب . وقد استجاب لهم المربون فأنشأوا في المدارس الثانوية وبخاصة جمعيات الفنون الجميلة إلى جانب فرق الألعاب الرياضية التي سبق أن أثبت دعاتها أن من يمارسها من المراهقين يبذل فيها من نشاطه البدني ما يحتاج بعده إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية .

فهل أثبت دعاة الفنون الجميلة من علماء التربية وعلماء النفس دليلاً على أن من يمارسها من المراهقين يبذل فيها شيئاً من نشاطه يحتاج بعده إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية لتطمئن بهذا الدليل عقولنا . ولتؤمن بأن الذي يدعون إليه قائم على أساس من الحق يرتكز على صلة مؤكدة بين الفنون الجميلة والغريزة الجنسية، أو أنهم رأوا الفنانين أكثر الناس انصرافاً عن نزعات البدن فخطر لهم أن يتصيدوا المراهقين بالفنون يشغلونهم بها عما تتلهف إليه أبدانهم الحارة الملتهبة . فهي إذن مؤامرة من الخداع والتضليل اتفق عليها علماء التربية وعلماء النفس ، وجازت على من وقع في أيديهم من المراهقين أو جازت - في القليل - على بعضهم ؟

ولكني إذ أقول هذا أرجو علماء التربية وعلماء النفس أن يمضوا في مؤامرتهم هذه إلى أبعد حد، وأن يأخذوا بها المراهقين وغير المراهقين من كل من تسوقه إليهم الحياة ليربوه . فليس أشرف من هذه المؤامرة شيء ، وسيجيء قريباً أو بعيداً ذلك اليوم الذي توفق فيه أساليب العلم إلى كشف ما بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة من صلة حقيقية مؤكدة. ولست أريد بهذا الادعاء بأن العلم غائب عن هذه الصلة ، ولكني أريد أن أقول : إنه لا يزال يحوم حولها، ولا يجرؤ على غزوها لأنها ميدان جديد عليه ، ولأنه لما يستنبط الميزان والمقياس ، والأنبوبة والمخبر ، والأملاح والأحماض التي يستطيع أن يحول بها الغريزة الجنسية إلى الغريزة الفنية ، والغريزة الفنية إلى الغريزة الجنسية ليصدق بعد هذا عقله الثقيل المتشكك أن هناك وحدة تجمع بين الاثنتين .

وإلى أن يصل العلم إلى استنباط هذه الأدوات التي لا يفهم شيئاً إلا بها يستطيع المتحررون من أغلاله وقيوده أن يضربوا في السماء بحثاً عن هذه الصلة ، وأن يتركوه في معمله يتخبط بين الشك والخور لعله يهتد يوماً إلى تركيب « حقنة » من الشعر ، أو « برشامة » من النغم ! فليبق العلم في معمله ، وليدع العلماء المراهقين إلى الفنون الجميلة ، وليملوا دعوتهم هذه بأن الفنون الجميلة تبعث في النفس الخيال ، وتلهب فيها العاطفة ، أو فليقولوا على العكس من هذا إن الخيال والعاطفة هما اللذان يبعثان في النفس الفنون الجميلة ، أو فليقولوا ما شاءوا من أمثال هذا القول المخلخل الذي لم يضغطه الإيمان ولم تتماسك به الثقة .

لندع العلماء إذن يترددون ما طاب لهم التردد ، ويتوجسون ما حلا لهم التوجس ، ولنمض نحن مع أولئك المتحررين من الأغلال والقيود ، ولنرهم كيف يدركون الصلة بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة .

وقد عودنا هؤلاء المتحررون المتطايرون أن يلتووا على عقولنا قبل أن يهدونا إلى ما يعلمون من الحق ، كأنما يأبون إلا أن يعابثوا العقل وأن يذلوه قبل أن يقودوه إلى النور ويلهموه . ولكنهم

على أى حال أحب إلى النفس وأرحم من الأنابيب والأملاح ... فلنحتفل بمآدبهم إذن ولنسألهم :

— كيف تجدون الصلة بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة ؟

ولكنهم يسألوننا : وكيف تجدون الصلة بين الشحم والنبوة؟

— وهل هذا سؤال بالله عليكم ؟ إننا لا نجد شيئاً .

— إن هناك أشياء . فلو أنكم عدتم إلى سير الأنبياء لوجدتموهم يكثرون من الصوم ، ويخففون من الطعام . ولو أنكم عدتم إلى سيرة النبي الأكمل محمد لرأيتموه يصوم كلما اعتزم أمراً جللاً ، وكلما هم بغزوة أو حرب . وإذا اعتبرتم « غاندى » الهندوكى التقى الخارق المعجب وليًّا من أولياء الله كما نعتبره نحن فإنكم لا بد معتبرون بحرصه على الصوم كلما احتاج إلى التجلد والتمزز فى قيادة أنصاره ومقاومة خصومه . أفلا ترون فى هذا كله صلة بين الشحم والنبوة ؟ أو بين الشحم والسمو الروحى على الأقل ؟

— الآن رأينا ، وهى كما تبدو على هذا النحو صلة عكسية

— نعم . إنها صلة عكسية . فكلما غذى الإنسان بدنه شغله هذا عن غذاء روحه ، وكلما جوع بدنه سهلت عليه تغذية روحه

— إنكم إذاً تعدونه شهيداً ذلك الذى ينتحر جوعاً

— لا شهادة فى إتلاف ، وإنما الشهادة فى التقويم . فإذا استلزم التقويم الموت فإنه إذاً تخريب ما بين المتساكنين : البدن والروح . عودوا إلى ما كنا فيه ، وحدثونا عما يصحب انفجار الغريزة الجنسية عند المراهقين من شدة ميلهم إلى الإكثار من الطعام والإكثار من وجباته

— إنها أجسام يزيد نزوعها إلى النمو فهى تحتاج إلى ما يعين على بنائها وما يسعف نموها

— لا . فإن أجسام المراهقين لتنمو وتفرع ولو لم تستزد من قوتها ، فهذا النوسيل من الحياة يتدفق من غدد ظلت تجممه وتخزنه ما عاشت وواصلت العمل

— إذن فماذا تقولون ؟

— الحياة ماضية فى سبيلها . وسبيلها هو الأحياء أنفسهم ، فهى تسلكهم ، وقد تنقلت فيهم من ماضيهم حتى انتهت إلى حاضرهم ، وهى منتقلة فيهم من حاضرهم إلى مستقبلهم . وهى فى سيرها هذا تعطى أولئك الأحياء ثمن ما سمحوا لها بالمرور فيهم وتأخذ منهم ثمن ما عمرتهم . ويقول ناس مؤمنون بالعدل : إن ما تأخذه الحياة من مثقال ذرة لا تأخذه إلا بعد أن تكون أعطته مثقال ذرة

— هذا حسن . ولكن ما قصة الأخذ والعطاء عند المراهقين؟

— عند المراهقة تبدأ الحياة فى الاشتداد بمطالبة المراهق بما أعطته . وهى إذ تطالبه تستمر تعطيه . وهو إذ يستشعر نفسه فى هذا الموقف الجديد يقبل على الحياة إقبالاً جديداً فيه عنف وفيه جشع . فهو يستطعم الحياة مادتها ومعناها بنهم العائل المكلف بالنفقة يتكالب على موطن رزق . وفى سن المراهقة تصارح النفس الحياة بحقيقتها وتكشف لها القناع عن وجهها . وكل نفس تستجمع خصائصها ومقوماتها مما سبق أن أعطته الحياة إياها من طريق الوراثة ، ومن طريق البيئة ، ومن طريق التربية ومن سائر تلك الطرق التى تنفذ منها الحياة إلى الأحياء . عندئذ ترى الحياة مراهقاً مقوس الأنف يمد لها كفيه ويقول : هات ؛ ومراهقاً آخر مسحور العينين يمد لها شفتيه ويقول : هات ؛ ومراهقين آخرين ما بين هذا وذاك يريدون مما يطلبه هذا ومما يطلبه ذاك . والحياة أمام هؤلاء جميعاً تعطى وتأخذ مثلما تعطى ، مثقال ذرة بمثقال ذرة . وهى كما تكمن فى هؤلاء الأحياء ، تلبد فى غيرهم من الأحياء المتجسدة ، والأحياء المتجردة ، وهى تعرض نفسها فى مظاهرها المختلفة أمام النفوس فلكل نفس منها ما تحب وما تشاء . فمن أخذ منها مادة لم يستطع أن يعطيها إلا مادة ، ومن أخذ منها معنى أعطاها المعنى ، ومن أخذ منهما معاً أعطاها منهما معاً . والمراهق قد تكوّن مما أخذه من الحياة وهو ليس مادة فقط لأن الناس ليسوا مادة فقط فهم مادة وشىء آخر نقول عنه نحن إنه روح ويقول عنه ناس آخرون إنه نفس ، ونحن وهم نقول إنه شىء متجرد عن المادة التى تتزيا بها الكهرباء فى أزياء مختلفة . فلا بد إذن أن يأخذ المراهق « كغيره » من مادة الحياة ومعناها ليعطيها مادة ومعنى ، وأيهما أكثر الأخذ أكثر العطاء . ومن الناس من يقنعون فى هذه السوق بالضرورى اللازم لإقامة إحدى ناحيتيهم ويلحون فى طلب مكملات الناحية الأخرى ؛ ومنهم من يتوسطون فيطلبون من هذه مقدار ما يطلبون من تلك ، وهذه الأرض تستطيع أن تمد الناس بحاجتهم من المادة وزيادة ؛ وسماء المعانى تستطيع أن تهب الناس حاجتهم من المعانى وزيادة ؛ والناس فى التنازع على المادة يتخاصمون ويتعادون ، بينما هم حين يتناهبون المعانى يزدادون تقارباً وتفاهماً وتحبباً وتعاطفاً وتوحداً . فكلما اهتمت البشرية بالناحيــة المادية أمعنت فى التبعثر والتفرق والتشتت ، وكلما توغلت فى الناحية الروحية أمعنت فى التماسك

والانسجام . ونحن إذا رجعنا إلى تواريخ الأفكار والدعوات الروحية رأينا أخلصها روحاً أكثرها تعاوناً بين أنصارها ، ولم تر الاختلاف يدب إلى هؤلاء الأنصار إلا حينما تنزلق إلى فكرتهم دواع مادية فتلوثها . فالواجب إذن على البشرية إذا كانت تريد أن تستخدم عقلها في الخير أن تقنع من المادة بما يقوم الحياة البدنية فقط لا أكثر ولا أقل ، وأن تتقذف بالوافر الباقي من نشاطها إلى حيث يمكنها أن تتوحد . وهذا هو مادعا الأنبياء إليه ، وحاشا أن يكونوا مجانين ، وإنما هم أنبياء وقد أرشدوا البشرية إلى طريق الخير ومضوا ، فاتبعهم أولياء أقنعت الدعوة إحساسهم وعقلهم ، وانساق في طريقهم فنانون يتمشقون في هذا الكون جماله ، ويطلبون كماله وكمال أنفسهم معه .

— ولكن البشرية إذا اتبعتكم في هذا عادت كما كان يعيش أهل الكهوف ، أو كما يعيش أهل الغابات

— وهل تحسبون الحال اختلفت ؟ الكهوف باقية ولكنها اليوم عمارات من ناطحات السحاب . وفي الغابات يصيد الناس الحيوان ليأكلوه ، وفي هذه العمارات يصيد الناس بعضهم بعضاً ويأكل بعضهم بعضاً ، وقد عافت البشرية أن تأكل لحمها فأكلت في العمارات ضميرها وشرفها وروحها . إن أهل الكهوف كانوا أقرب منا إلى السماء ، وإن أهل الغابات لا يزالون أقرب من أهل العمارات إليها

— ولكن هذا العلم الذي علمناه ، وهذا العقل الذي نما فينا ... أنلقيهما في الفضاء لنعود إلى حياة العراء ؟

— لم يقل أحد هذا . وإنما نستطيع أن نجند علومنا وعقولنا لتنعيم أرواحنا لا للترفيه عن أجسادنا ، وسنرى عندئذ أن أكثر ما نعلمه لغو لا يغذي الروح ، وسنرى عقولنا قد اسودت من كثرة ما كذبت علينا وأضلتنا طريقنا

— وعندئذ ماذا نصنع ؟

— عندئذ ينتعش إحساسنا . عندئذ يبدو لنا الكون في آلاف الصور وكلها محببة . وقد يعيننا صوم الأنبياء على تذوق الحب واستساغته ، وقد يصرفنا هذا العشق الشفاف عن تهافت الأبدان وتجاذبها ...

— وبعد ذلك تنتهك قوى البشرية فتتخاذل وتهزل ويقل نسلها وتموت

— من أين جئتم بهذا ؟ سيأكل الناس من الأرض مايعيشون به ، والطبيعة لا تريد منهم أكثر من أن تعيش أبدانهم . فإذا أخذوا منها أكثر ما يلزم لها خالفوا قانونها وظلموها وظلموا أنفسهم ، وسينجب الناس بقدر ما يحفظون نوعهم وبقدر مايسمح للحياة المادية أن تسلك أبدانهم إلى مرحلتها الجديدة . وليست الحياة تريد أكثر من هذا . والحياة بعد ذلك تطلب الإنجاب الروحي الذي يؤديه الإحساس . الحياة تطلب الفن طلباً طبيعياً واجب الأداء ؛ فأين هو في هذه الحضارة !

— إن الحياة هي التي حبست عرائسها الروحية عن البشر في هذا العصر !

— بل هن معروضات أمام الأرواح النابهة ، ولكن ما أقل هذه الأرواح النابهة الآن ؟ لقد استغلق الناس على أنفسهم ، ختمهم العلم والعقل بخاتم أصفر من الذهب .

— ولكن ها هو ذا العلم يدعو المراهقين إلى الفنون الجميلة ليصرفهم عن شهوات أبدانهم .

— أو لا يملك العلم إلا هذه الدعوة ؟ إن الفنون الجميلة لها الذين يحبونها لا ينصرفون عنها . أما الذين يزدرونها فلا يقبلون عليها إقبالهم على نوع من العبث .

— فما الذي تطلبونه من العلم إذن ؟ إنه لا يستطيع غير هذا .

— نريد أن يزف المراهقين وغيرهم إلى العرائس من المعاني والفكر ، فإذا عشقوها عطروا لها أرواحهم ؛ فإذا ساكنوها أعقبوا فيها فنوناً تسلكها الحياة الماضية إلى الأمام في سبيلها .

— وكيف يحدث هذا ؟

— إن هذه العرائس تياهة مدللة لا تلين إلا أمام حس رهف نفسه لها ، فهل يستطيع العلم أن يرهف إحساس الناس ؟

— لا . ولذلك يعمد في هذا إلى الفن مستعيناً به .

— ولكن استعراض الفن لا يخلق فناً ، وإنما يخلق الفن الإحساس بالحياة نفسها ، ومادمنا ننزع إلى تحويل إنتاج البشرية بقدر ما نستطيع من الإنتاج البدني إلى الإنتاج الروحي فلا بد أن نعنى بخلق الفنون وإنتاجها لا دراستها واستعراضها ، وهذه العناية هي التي تنتهي مع الدأب إلى دنيا الروح

— وهل يمكن أن نقيم دنيا من الروح ؟

— نعم كما قامت دنيا من كهرباء موجبة وسالبة !

عزيز أحمد فهمي

محمود صبح

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحى



قد يحمد الفنان إذا اعتز بنتاجه وسما به عن الابتذال والعرض والمقارنة ؛ وقد يحمد إذا عرف لنفسه قدرها لأنه أدرى الناس بعبقريته وقوته ، وأشدهم إيماناً بإلهامه وتوفيقه

ولكنه لا يحمد ولا يثنى عليه إذا تدرج اعتزازه وإيمانه بقدرته إلى الأنانية التى تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع ... الجميع دون استثناء ... !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلم بفنه إلماماً تاماً ويجيد العزف على العود والناى والبيان ، وله لون خاص ينفرد به ويعجب جمهرة كبيرة ... ولكنه يعتقد بل يؤمن إيماناً عميقاً أنه مبعوث العناية الإلهية لإنهاض الرسالة الموسيقية . فعلى كل من ينتمى إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان المجاز فلا نقاش ولا جدال (لأن الذى يستطيع أن يناقشه أو يجادله لم يخلق بعد ، ولأن الله سبحانه لا يخلق رسولين فى عصر واحد وإلا فسدت الرسالة) .

هكذا يقول الرسول (محمود صبح) الذى يذكرنى (بروبسبير) الذى آمن بعصمته فكان يعدم كل من يظن فيه المعارضة لآرائه ومبادئه لا لشىء إلا لأنه كافر بالعصمة والفضيلة !

قامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر ، تشبه (شوال) الملح لوناً وشكلاً وثقلاً ، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة وإن حرمت نور البصر ، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع (بفضل الله) أن تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال ...

رأس أودع الله فيه كنزاً غنياً من الفن الأصيل المكين المقتدر المبتكر . حاجبان كثيفان لو وزع شعرهما على عشرة رؤوس (صلعاء) لأصبحت غنية بالشعر القوى . أنف كأنف الصقر يهبط فى هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل (هلب كبير) ... !!

وجه ممتلىء طالما زينته العمامة حتى ثار عليها وأبى إلا أن (يتطربش) لتكمل أناقته ورشاقته . . . فم وإن كان يذكر الله كثيراً ويجيد تلاوة كلامه ... إلا أنه لا يحب أن يغضب الشيطان فيهجر أوامره وإغراءه بل يندفع فى سبيل ترضيته فيصف (إخوانه) وزملاءه بوصف (مزخرف) مصنوع فى معامل (بولاق) وحوش بردق ...

أذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما ؛ أما غيره ... ف (صوء ... صوء أعوذ بالله ، يا ستار العيوب ، إيه ده ؟؟)

يدان قديرتان ساحرتان إذا صفا صاحبهما أسرتا وسحرتا ، وخلقتا قوة وقدرة وفناً أصيلاً نبيلاً . يدان تسجد لهما الموسيقى العربية (البحتة) ، ويخضع لهما الفن العالى الذى لا يخضع إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقدرة والقوة والعذوبة وقوة التأثير . أروع من يؤدى (الباص) وأبدع من يحسن (البريتون) ، وأرفع من يجيد (التينور) . يتكون من ديوانين ونصف تقريباً لا عيب فيه إلا خلوه من العيب ... صوت

لو استطاعت محطة الإذاعة أن تهيء له الجلسة الفنية المضبوطة أمام (الميكروفون) لكان آية، ولخلا من تلك المواصف التى تكاد تصم الآذان.

صوت يقلد القطار أدق تقليد، ويحاكى صوت (القلة) أتم محاكاة. ومن ظرف محمود أنه إذا صفا أسمعك بفمه صوت العجين عند ما (يلت) حتى لتخاله امرأة منهمكة فى (ماجورها)... أقدر من يلحن الموشحات، ويكفيه فخراً وسمواً وخلوداً أن أعظم مغن بالغاً ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه بواحد من موشحاته لتشعبها، وكثرة أنغامها، ووفرة حركاتها، ودقة تركيبها، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد...!

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع، خبير بفنه لا يحاكى ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف لأنه كما قلنا قبلاً لا يؤمن إلا برسالته. لا يعرف شيئاً فى القواعد النغمية مع أن علم «التحسيس» قد تقدم وأصبح يدرس فى كل مكان

يجيد العزف على العود، واللعب على البيان والنفخ فى الناى. إذا سألته عن (فلان) المشهور قال: (طز) وعن فلانة المعروفة قال: (طزين يا سيدى)

***

الويل لك إذا سمعته وأعلنت سرورك وتقدرك بقولك (ياسلام يا شيخ محمود! الله يزيدك) لأنه يلتفت إليك متهكماً متحفزاً صارخاً (هو لسه يا أخينا حيزيدنى ... حيخلينى إيه أكثر من كده؟) والويل لك أكثر وأكثر إذا أخذتك النشوة فنسيت أن تحييه لأنه يسكت فجأة ويخاطبك:

— حضرتك مش سامعنى يا فندى؟

— سامع يا أستاذ دى حاجة عظيمة جداً

— أمال ساكت ليه؟ ساكت ليه يافندى؟ ودانك بتوجعك؟ والله مانا قايل حاجة إلا لو خرجت من هنا. اتفضل يا فندى وخدها وهيّ حلوة ... !

***

كان فى الحسينية من خمس عشرة سنة يعزف بعوده أمام حشد من مريديه ومحبيه فلما أخذته النشوة رمى (بعوده) وصرخ متمدداً قائلاً:

— أغيثونى ... أدركونى ... !

— مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا..؟

— أغيثونى... أدركونى... أمسكونى جيداً... سدُّوا «ودانى» ... سدُّوا «ودانى» ... !

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فإذا بالشيخ محمود يقول:

الجن عاوزه تخطفنى، رئيسهم كلمنى فى (أذنى) وقال: احنا عاوزينك يامحمود عشان بنتى حتتجوز ... امسكونى ليخطفونى!

***

عصبى إلى درجة بعيدة. لا يطيق النقد. ومن ظريف أمره أيام كان يذيع فى المحطات الأهلية أنه كان يجلس فى محطة (فؤاد) قائلاً لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بما لا يحب:

يا ليل، يا ليل، سامع (يا فلان) يا ابن ... شايف الشغل ازاى ... يا ليل، يا عونى يا ليل، (فلان) نحن محمود صبح، اتائب يابن الـ يا ليل يا عينى، لاح بدر التم أمان. أمان دوس يالاللى ... يا بتوع (....) يا أولاد... اتعلموا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم يتعلم!؟

***

وبعد فمحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من بيت عريق؛ ومن أصل طيب. لا يعتمد فى معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إيراده الخاص الذى يكفل له عيشاً رغداً، ولولا مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيما نافعاً

محمد السيد المويلحي



نهـــاية الكون

تعذر الامتداد فى الظواهر وصعوبة الحكم على مستقبل الزمن

للدكتور محمد محمود غالى

اطلعت فى العدد الأخير من الرسالة على ما وجهه إلىّ الأستاذ نصيف المنقبادى وعلى أسئلته الخاصة بتطبيق نظرية بولتزمان Boltzmann فى الحكم على مستقبل الكون ، وقد تتبعت مقالاته القيمة التى نشرها هذا العام فى الرسالة ، وتتبعت منذ أكثر من عام مقالاته على صفحات الأهرام التى ناقش فيها الأستاذ الفاضل محمد فريد وجدى . ولو وصفنا الأستاذ فيمن نعرفهم من الكتاب المصريين بأنه من الذين عرفوا بالجرأة فى كتاباتهم لما ابتعدنا عن الصواب كثيراً ، إذ لا شك فى أنه من هؤلاء المطبوعين على حرية الفكر ، ولا خلاف فى أن لمثل كتاباته فائدة كبرى يجنيها النشء ويفيد منها المطلعون

***

الموضوع الذى يسألنى عنه مساس بفلسفة كل علم إذ يجب التفريق بين ما هو جائز وبين ما هو محتوم — قلنا إن التفسير البولتزمانى للمبدأ الثانى للترموديناميكا يدلنا على نوع من الموت الحرارى للكون ، ولكن لم نقل إلى أى حد يجوز لنا الامتداد والتوغل Extrapolation فى قبول هـذه النتائج فى مستقبل الأحقاب والعصور

يحدثنى عن ملايين الملايين من السنين التى خلت ويتساءل لماذا لم يحدث الاقتراب من السكون المرتقب وفق بولتزمان ، وقد مضى على الخليقة ملايين ملايين السنين . ومن ذا الذى قال إن هذه الملايين الخالية كافية للوصول بالكون إلى الحالة التى يدل عليها تفكير بولتزمان والتى تحتمها الزيادة الحتمية والمستمرة « للأنتروبى » ؟

وهب أننا وصلنا إلى نوع من السكون النسبى فمن ذا الذى قال إن هذه هى أول مرة يصل فيها الكون إلى السكون والموت ؟ ومن ذا الذى يَـقْـسِـرُ أفهامنا على أن الحركة لا تُستأنف من جديد بعوامل لا نعرفها تَمُتُّ إلى الأصل فى معرفة الخليقة ووجود الكون ؟

هنا نقطة حساسة أعتقد أن آراءنا تفترق عندها ، فإنك تميل إلى تفسير كل شيء بعلمنا الميكانيكى ومعرفتنا المحدودة لظواهر الطبيعة ، وأميل من ناحيتى إلى اعتبار ما نعرفه لا شىء بجانب المجهول . ومع ذلك فإن جُلَّ ما نعرفه من الظواهر الطبيعية ظواهر دورية ، ألا يكون الكون فى مجموعه ، الكون المحدود بحيز ريمان أو حيز لوباتشفسكى أو ما يشاء العلماء من الحيزات ، ظاهرة دورية وأننا الآن فى مرحلة من مراحل الانتقال والدوران ؟ بمعنى أنه ليس ثمة بداية للكون وليس ثمة نهاية له

***

فى نشرة للعالم « سان » S. R. Sen[1] اطلعت عليها حديثاً فى محاضر الجمعية الملكية الإنجليزية يناقش فيها هذا الرياضى الطبيعى بعض النظريات الخاصة بمبدأ الكون وما وصل إليه الحبر

(١) محاضر الجمعية الملكية الانجليزية (Proc-Roy-Soc.) ٣ مايو سنة ١٩٣٣ كذلك نشرات العالم البلجيكى المعروف لميتر (Lemaitre)

من تمدد وما يحدث الآن فيه من ابتعاد كل العوالم بعضها عن بعض — هذه النشرات وأمثالها التى يناقش العلماء فيها « كون إينشتاين » أو « كون دى ستير » وهما كونان معروفان لدى العلماء توحى إلينا بهذه الفكرة الدورية للكون

لم يقل « سان » بتغيير قوانيننا الطبيعية فى مستقبل الزمن ، ولكن كل شيء يجوز أن يتغير ما دمنا نعتبر أحقاباً طويلة من الزمن مثل الأحقاب التى نتكلم عنها

على أن الزمن نفسه يحمل فى طياته عدم التعيين عند ما نتوغل فيه إلى حد كبير . ثمة فارق كبير فى معرفة فترات الزمن التى اعتدناها ومعرفة الأحقاب الطويلة التى لا نجزم بمعرفتها أو تحديدها؛ فإذا تحدثنا عن عمر الإنسان أو عن الزمن الذى مر من الثورة الفرنسية حتى يومنا هذا ، أو عن عمر أحد الأفيال الإفريقية الكبيرة ، وبينها ما عاش بلا شك قبل الثورة الفرنسية ، فإننى أفهم لذلك معناه ، وأفهم نوع الدقة المطلوبة فيه ، حتى إذا تكلمنا عن الزمن الذى مر منذ أن كتب هومر إلياذته المشهورة أو منذ أن بنى خوفو هرمه أو نحت الأقدمون « أبو الهول » فإن هذا ، وذلك ممكن أن يكون أمره معروفاً ، أما إذا أردنا أن نتكلم عن عمر الرجل الأول أو الزمن الذى يمر لتدور المجرة دورة كاملة أو الزمن الذى خلا منذ ظهور الحياة على الأرض فإن شيئاً من الاحتمال يدخل فى تقديرنا لهذه العصور الطويلة . وما بالنا لو أردنا بعد ذلك أن نتكلم عن عمر عنصر التوريوم أو عمر النجوم أو العوالم أو التوغل حتى مبدأ الخليقة ، فإننا لا نستطيع الجزم بمقدار هذه المدد الطويلة ، ولا نستطيع أن نستوعب معنى الزمن إذا نظرنا إليها .

هذا فى ناحية الأحقاب الطويلة ، وإننا نجد نفس الصعوبة إذا نظرنا إلى الطرف الآخر واعتبرنا الفترات القصيرة . فإذا تحدثنا عن فترة الزمن التى تقدر بثانية أو فترة تردد الموجات اللاسلكية الطويلة منها والقصيرة أو فترة حياة « الراديوم C » فإن حديثنا عنها يختلف عن فترة تردد الموجات المصاحبة Ondes Associées للبروتون فى ميكانيكية « دى بروى » الموجية أو ربما عن فترات أقصر من ذلك يحدثنا عنها العلماء فى مستقبل العمر .

ومع ذلك فإن هناك عاملاً آخر يتصل بسر الوجود وما يحدث فيه من تطورات . وكنت لا أرغب أن أتعرض بالبحث عنه لولا أن أسئلة الأستاذ تحتم عليّ اللجوء إلى هذا الطريق . ولعلى أُوَفَّق فى أن أشرح هذا العامل الخارجى ، وأن أكشف عن رأيى فى المثال الآتى :

إن من الصعب أن نضع على الأرض عصا طويلة مدببة الطرف فى وضع رأسى ونتركها على طرفها هذا وفى هذا الوضع دون أن تقع العصا على الأرض . ولو أننا وفقنا بصعوبة إلى ذلك فإنه لن تمضى لحظة حتى تقع العصا على الأرض وفى اتجاه لا نستطيع تحديده . ولو أننا تساءلنا عن مساق (مصير) العصا وهى فى وضعها الرأسى لا تستند إلى شيء لقررنا أنها حتماً واقعة على الأرض . لنفترض بعد ذلك أن هناك كائناً حياً يرفع العصا طوراً وبدعها تقع على الأرض تارة أخرى

ثمة مجموعتان واحتمالان لمواضع العصا وما يخبئه لها القدر :

المجموعة الأولى تتكون من العصا والأرض . هنا نحتم أنها تقع على الأرض وأنها لن تقوم رأسية من تلقاء نفسها كما كانت

والمجموعة الثانية تتكون من العصا والأرض والإنسان اللاعب بها . هنا تقع العصا ولكنها تعود رأسية كما كانت ويصح أن يتكرر ذلك ما دام الكائن موجوداً

ولو افترضنا أننا مخلوقات نعيش على سطح العصا ، وأن فترة آجالنا محدودة جداً بنسبة الزمن الذى تقع فيه عصانا هذه فإننا الآن فى مرحلة نشاهدها وهى تقع ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأنها لا تقوم بنا كرة أخرى ، فقد يكون هناك لاعب ماهر يلعب بالعصا ولا نعرف من لعبه شيئاً ، وقد تكون هذه إحدى المرات العديدة التى وقعت العصا فيها على الأرض

فلا تخش أيها الكاتب على الكواكب انقطاع دورانها وعلى

النجوم وقوف حركتها وعلى الكهرباء انعدامها وعلى الجاذبية نهايتها وعلى الأرض فناءها وعلى الأحياء موتها، فإننا عاجزون عن أن نعرف الأصل في كل هذا وأن نستوعب للكون مبدأ وللحياة نهاية ، لهذا لا يجوز لنا دائماً أن نقول إن الذي ترك العصا تميل وتقع يستطيع أن يعيدها سيرتها الأولى ، كما نستطيع أن ندرك أن الأرض والعصا واللاعب مجموعة تختلف عن الأرض والعصا بلا لاعب

حدث القارئ فيما تحدثت به إليه عن نملة تجولت في سرادق فسيح في ليلة عزاء ، وقلت إنها فهمت أن الدنيا كلها سرادق تضيئه أنوار ونادل يسقي قهوة وفقيه يرتل الآيات ، وقلت إنها بهذا أخطأت صورة الدنيا ، كذلك نحن والكون وما يحدث له في المستقبل البعيد من تطورات ؛ فقد تعلمنا كثيراً وزادت معارفنا ولكننا فضلاً عن ذلك قد تعلمنا شيئاً أجدى وهو أننا لا نعرف عن الأصل في الكون والمستقبل في التطور أكثر من معارف النملة التي لم تفارق السرادق والتي لا تعرف ما بخارجه

فلتكن مثلي . لا تجادل في الغيب بهذه السهولة ولا تتحدث عن الحياة والمادة والروح بهذه الطريقة من التوكيد التي تحدثت بها. إن الشك أجدر بالعلماء عند ما ينزلون إلى ميدان أصل الوجود ويحاولون معرفة سر الخليقة . لذلك عند ما ذكرت أنني أفترق عن التفاحة التي نأكلها وعن المحبرة التي أملي منها هذه الأسطر كان عندي إيمان قوي بما أقول ، وإن لم يكن لدي ولا عند غيري الدليل العلمي للتدليل على ذلك بما لا يقبل الجدل

* * *

ومع ذلك وبعد الذي ذكرت أرجو ألا تنسى أيها الأخ أنني من الذين يؤمنون بالعلم التجريبي فيعيرونه كل تقدير ولا يؤمنون كثيراً بالعلم النظري فلا يولونه من الوقت إلا اليسير ، وإنني لا ألجأ إلى التعمق في العلم التخميني Sciences Speculatives إلا بالقدر الذي أعتبره طريقاً لمران الذهن والتعود على الفهم . فإذا رأيتني لجأت إلى النظريات تارة فإنما أشرح للقارئ طرائق التفكير الحديث وأستعرض بإخلاص قصة الخليقة وفق أحدث ما يقوله العلماء وما يتراءى للمفكرين

أما إذا خاطبتني كرجل تخرّج من المعامل ، ويود أن يقضي البقية من العمر فيها ، فإنني ممن لا يجيزون البت في مستقبل الكون بهذه السهولة ، وعلى هذه الصورة . وعلى ذلك فلست ممن يؤمنون بالبولتزمانية إن صح أن نعطي التفسيرات الحرارية الأخيرة هذه التسمية إلا بقدر أنها صحيحة في مرحلة انتقالية للكون هي المرحلة التي نجتازها ؛ وهذه المرحلة قد يتبعها مراحل لا تكون البولتزمانية موضوع الحديث .

وبعد فتراني أصبو إلى الطرف الإيجابي من المسائل والظواهر عامة . لقد درست على كوتون ، وتتلمذت على موتون ، وصاقبتهما عشرة أعوام أو يزيد — ولقد كانا بنائيين ينظران إلى المسائل ويسائلان أنفسهما : هل من وقائع حقيقية وراء ما نرى أو ما نقول ؟ وإني أضرب لك مثلاً :

عندما فصل مليكان[1] (Millikan) جسماً واحداً يحمل ألكتروناً حراً واحداً[2] كنا واثقين بعمله . فقد كانت نتائجه التجريبية تُحتم شحنة الألكترون بالقدر الذي أعطاه مليكان ما دام منطق الحساب البسيط صحيحاً . هذا الحساب الذي تعلمناه كلنا بالمدارس — وبالمدارس الابتدائية على الخصوص — فقد كان الحادث عند مليكان عندما استطاع أن يرى هذا الجسيم واقفاً بلا حراك بين كفتي المكثف الكهربائي حادثاً خاصاً بقاعدة حسابية بسيطة معروفة لدى طلبة المدارس الابتدائية ، وهي قاعدة القاسم المشترك الأعظم .

عندما نتساءل عن العدد الذي يقسم الأعداد : ١٤، ٢١، ٢٨،

(١) سنتحدث عن تجارب مليكان المرونة في مقال قادم

(٢) كتاب الألكترون لمليكان Millikan أستاذ الطبيعة بجامعة شيكاغو ومدير معهد نورمان بريدج بكاليفورنيا ترجمه للفرنسية أدولف لباب Adolphe Lepape الطابع فيليكس ألكان Felix Alcan باريز سنة ١٩٢٦ .

٤٢٫٣٥ ، فإن الجواب معروف . فالعدد ٧ يقسم كل هذه الأعداد .

ولقد كانت تجارب مليكان المعروفة التي عين فيها شحنة الألكترون لا تخرج في فكرتها الأساسية عن العملية السابقة بالذات . لذلك كان إعاننا بها بقدر يقيننا في جواب المسألة الحسابية السابقة[1] ولكن عندما تتحدث أيها الأخ عن ملايين ملايين السنين فإن للقوانين اعتباراً آخر ، وللظواهر تطورات نجهلها .

* * *

وبعد الذي ذكرت كم أكون سعيداً لو استوثقت يوماً أنك تنظر إلى المسائل نظرنا إليها وتعالج الأمور معالجتنا لها – قد أكون مخطئاً فيما ذهبت إليه ، ولكن هكذا تكونت وهكذا دَرَسْت . ولا تصفني إن سمحت بعد اليوم بالعالم المدقق والطبيعي المحقق ، ولا تذكرني كما تذكر علماء السوربون وأساتذتهم الأعلام فإن هذا شرف لم أنله ومرتبة لم أرتفع إليها . ولا بد من أن يتسع العمر كثيراً لنطالع عشرات ما طالعناه ، ولا بد من أن تمر سنون عديدة لنستوعب الكثير مما لا نعرف .

وفي الختام أشكر لك كلماتك السابقات التي لا أستحقها ، وأعدك وقراء الرسالة بأنني سأتم كلامي عن الذرة والألكترون وسأخص تجارب مليكان وبيران عن الألكترون بشيء من العناية . فإذا ما انتهيت من هذا فسأتناول أربعة موضوعات رئيسية تتصل كلها بالتفكير الحديث ومستقبل البشر : الكَمّ أي « الكوانتا » لمؤسسها العالم الكبير بلانك ، وربما تكلمت عن علاقتها بالقضاء والقدر . والنسبية « لاينشتاين » . والموجية للعالم الشاب « دي بروي » . والتفتت الذري لكل هؤلاء الشبان من أرجاء المعمورة الذين يعملون داخل المختبرات على تقدمنا والذين يواصلون الليل بالنهار ليضعوا حجراً جديداً وأساسياً في مستقبل المعرفة .

وتراني سعيداً لأرقب ملاحظاتك وأرد على أسئلتك وأشترك في خواطرك وأتعرف إليك مع أصدق التحيات .

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) هذا الإيمان خاص بهذا الجزء من عمل مليكان ، وليس اعتماده في بادئ الأمر على معادلات الهيدروديناميكا وعلى قانون ستوكس Stokes على الخصوص .

من هنا ومن هناك

الثالوث البريطاني في البلاد العربية

[عن مجلة (في VU) الباريسية]

منذ بدأت انجلترا تتبع سياسة الحكم غير المباشر في البلاد العربية ، لم تكتف بجنودها البواسل وطياراتها ودباباتها تذرع تلك البلاد ، فبثت في رجالاً ذوى مقدرة نادرة وكفاية عالية للسير بسياستها في طريق النجاح . وذلك أن أعمال « لورنس العرب » قد أصبحت تقليداً يتبع ومثلاً يحتذى عند الإنكليز

وقد تبدو مهمة هؤلاء الرجال على جانب من البساطة ، ولكنها في الحقيقة على خلاف ذلك . فهم في حاجة إلى التدخل بين العرب واكتساب مودة الأمراء وثقتهم فضلاً عن البدو والدهماء . فلا تمر صغيرة ولا كبيرة في العروش الشرقية إلا كان لهم شأن فيها . وهم يحاربون أعداءهم في صمت وهدوء

ويتبين مما كتبناه عن الإمبراطورية العربية — يرمى إلى المقالات التي خصتها الرسالة في أعداد سابقة — أن النضال في البلاد العربية يدور في ثلاث مناطق هي محور الدائرة في الشرق الأدنى . وهذه المناطق هي : الرياض عاصمة مملكة ابن السعود ، وعمان عاصمة الأمير عبد الله ، والقفار التي يشغلها فوزى القاوقجي ورجاله الذين لا يهابون الموت ولا تقف جرأتهم عند حد . فمن الطبيعي أن نجد خدام الامبراطورية البريطانية الصامتين في تلك البقاع

وأول «الثالوث البريطاني العربي» هو (فردريك جيرارد بيك) ويعرف في الشرق الأدنى باسم بيك باشا . وقد كان هذا المارد الذى يبلغ طوله ستة أقدام ، الذراع اليمنى للورنس مدى ثورة الصحراء

وقد كان بيك متصلاً كل الاتصال باللجنة التي نظرت في تقرير مصير الولايات العربية بعد اندحار الإمبراطورية التركية . واشتغل برهة مع الملك فيصل في العراق . ولم يلبث أن رحل إلى الرياض لمفاوضة ابن السعود ، وجاءت فترة بعد ذلك كان فيها ضيفاً كريماً على شيوخ العرب الذين يرأسون القبائل الثائرة في الصحراء ، ثم اتصل أخيراً بالأمير عبد الله أمير شرق الأردن وصار أحد مستشاريه المخلصين ، وقد عين مديراً للأمن العام في عمان حين صارت العاصمة لتلك البلاد . وهو على الرغم من وضعه أحسن النظم لاستتباب الأمن في عمان، يؤدى لدولته أعظم الخدمات

أما العضو الثاني من هذا الثالوث فهو (جون باجوت جلاب) ويعرف عند العرب باسم (أبو الحنك) لجرح كان قد أصاب ذقنه واستمر أثره إلى اليوم . وتنحصر مهمة جلاب في اجتياز الصحراء شرقاً وغرباً والاتصال بالبدو والأعراب في كل مكان . وهو يستعمل كل وسائل الانتقال وتحمله الطائرات إلى أواسط الصحراء حيث يأوى إلى أقرب الخيام . وقد تمضى أشهر عديدة لا يسمع به أحد أو يعرف له مستقرا . وهو يتكلم اللغة العربية الفصحى ويعرف لغات القبائل المختلفة وعادات العرب في كل منطقة . وهو يجيد الرماية إجادة عجيبة . وله مقدرة فائقة في معرفة النفوس . أما الغاية التي يرمى إليها فهي اكتساب ثقة الأعراب الذين يجوبون الصحراء . وقد نجح في حجزهم عن الاتصال بالثورة في فلسطين على الرغم من المجهودات التي بذلها المهيجون لإثارة هؤلاء البدو إلى حرب عامة للجهاد باسم الدين

ويقيم العضو الثالث من الثالوث البريطاني في الرياض عاصمة ابن السعود ، ويدعى سان جون فيلبي. وله فضل كبير في اكتشاف الصحراء العربية وحضرموت ووضع كتب قيمة عنها

وسان جون فيلبي فوق ذلك صديق حميم لابن السعود ، وقد اتصل به منذ وجه أول حملة ضد الأتراك . وهو جد مفتون ببلاد العرب وقد اعتنق الدين الإسلامى فيما بعد

وكان يناقض لورنس في زعمه أن بلاد العرب يجب أن تقسم إلى إقطاعيات تحت حكم الحسين وأبنائه ، ويقول : إن لورنس يستبق الحوادث ولا ينظر نظرة عميقة إلى القوة التي وراء ابن السعود والوهابيين . وقد دلت الحوادث على أن فيلبي كان على صواب . فلم تمض بضعة سنين بعد هزيمة الأتراك حتى نجح ابن السعود في التغلب على الحسين ونشر لواءه على نجد والحجاز . وقد استمر حليفاً مخلصاً للدولة البريطانية بفضل سان جون فيلبي

هؤلاء الرجال الثلاثة يقومون بخدمة بريطانيا في بلاد العرب، فإذا زالوا خلفهم آخرون وهكذا وما دام لدى بريطانيا رجال على هذا الطراز فيحق لوزارة المستعمرات في هوايت هول أن تنام ملء عينيها . وسواء بعد ذلك صبر الأمير عبد الله ، وشجاعة فوزى القاوقجي ، ودهاء الحاج أمين الحسيني ، فليس في مقدور أحد منهم أن يؤسس امبراطورية عربية

وإذا ساعدتهم الظروف على ذلك ، فلن يكون هذا إلا برضا وزارة المستعمرات ، ما دام لديها هؤلاء الرجال الذين يعرفون أغراضها ولا يجهلون الطرق التي توصلهم إليها

الطرق تحكم أوربا

[ملخصة عن تايم آند]

أصبحت الطرق تحتل المكان الأول من اهتمام الدول الأوربية حتى لقد صار من المحتمل أن تقع حرب عالمية من أجل طريق تمتد بضعة أميال في بولندا

ويرجع ذلك الاهتمام العظيم بأمر الطرق إلى إدخال السيارات في أنظمة الجيوش والاعتماد عليها في الحروب . ومن المعروف عند رجال الحروب أن النجاح فيها موكول إلى سرعة الانتقال . فالجيش الذي لديه الوسائل لنقل الرجال والأسلحة قبل غيره معقود له النجاح ، ومن هنا جاءت أهمية الطرق ، وصح القول بأن من يستولى على الطرق الحربية في أوربا هو الذي سيحكمها ولا محالة

وقد اشتد اهتمام ألمانيا في الأيام الأخيرة بتعزيز جبهتها بالطرق التي تحتاجها وقت الحروب ، فتم منذ استولى هتلر على زمامها مالا يقل عن أربعة آلاف ميل من الطرق المعبدة لسير السيارات ، وأصبح من السهل على ثلاثين ألف عربة من سيارات الانتقال ، ومليون رجل من رجال الحروب أن ينتقلوا إلى أقصى الجهات في جهة ألمانيا في وقت لا يزيد على أربعة وعشرين ساعة

وقد أصبحت برلين الآن محاطة بأنسجة من الطرق الحربية من كل الجهات وهذه الطرق توصل بين جبهتها وبين الطرق العامة في أوربا ، فلا يكاد الإنسان يتأملها حتى يتساءل ، من أى هذه الأنسجة تقفز الرتيلاء ؟ !

والطريق من برلين إلى وارسو (وموسكو) هي الطريق المؤدية إلى سهول شمال أوربا الشاسعة . وهذه السهول منبسطة في أكثر الجهات ، وقد لا يزيد ارتفاع الجهات العالية بها على ٦٠٠ قدم ، وتمتد هذه الطريق من برلين إلى جهة بولندا إلى بوربرج إلى سهل الفستيولا، ثم إلى وارسو، وقد تؤدى إلى موسكو

وقد عبر نابليون سنة ١٨١٢ هذه السهول ، فاحتل وارسو وخط الفستيولا ثم تقدم منها إلى عاصمة روسيا . ومن هنا يتبين أهمية الطريق التي تطلبها ألمانيا إلى دانزج وشمال بروسيا داخل حدود بولونيا . فدانزج وشمال بروسيا ما زالا كما كانا بالأمس المركز الممتاز الذي تتطلع إليه الأنظار لاقتحام وارسو وشرق بولندا . وكل ما تطلبه ألمانيا أن تضع يدها عليه — لا من أجل الطريق الذي تزعمه — ولكن لتصوب منه الضربة القاضية !

هتلر أو المسيح ؟

[عن ذى لترارى جايد]

تدل الحوادث التي تتكرر في ألمانيا كل يوم على أن حكومة النازى تعمل على محو أثر الكنيسة في الحياة الألمانية . وقد ظهر حديثاً كتاب بعنوان (أزمة المسيحية) بيّن مؤلفه مستر وليم تيلنج ما يحدث في الكنائس الألمانية على اختلافها في العهد الحاضر . وماذا عسى أن يحدث في الكنيسة الألمانية ؟ الجواب لا يحتاج إلى تفكير إذا ما نظرنا إلى النظام الذي يشمل ألمانيا الآن ، فما يحدث للكنيسة هو جزء من السياسة العامة التي ترى إلى محو كل نظام قائم إلى جانب النظام العام الذي وضعه النازى للبلاد

ويتبين مما جاء في هذا الكتاب أن هناك حملة مدبرة لمهاجمة آراء الكنيسة وفلسفة الكنيسة ومالية الكنيسة . والقول بأن العقيدة في هتلر تعادل العقيدة في السيد المسيح ، والثقة بأعضاء النازى كالثقة بالقديسين الأكرمين ، وهذا أمر لا يقبله رجل مسيحى بالطبع لأنه كفر وتجديف ، ولكنه هو الواقع بكل أسف ! فالطريقة التي يحيا بها هتلر غب انتصاراته تتخذ المراسم التي كان يستقبل بها رجال الدين في العصور الغابرة، ومذهبه الفلسفي الذي يلغى إلى جانبه كل تفكير وكل علم من رءوس الناس هو مذهب دينى كما يظهر لا مذهب سياسى . وقد قبلت الكنيسة تلك المظاهر خاضعة ، ولم تحاول أن تعارض هذه الديانة السياسية إلا في أحوال عارضة

ويقول مستر (تيلنج) إن شباب الجيل الحديث الذين انتزعهم النازى من أيدى القساوسة ، وأسلمهم إلى النظام السياسى الذي يسود ألمانيا الآن ، سيفقدون على التدريج عقيدتهم في كل شيء ، حتى اعتقادهم في ديانتهم الجديدة . فإذا تيقظت الكنيسة

إلى ذلك ، تسعى لها أن تضم إليها هؤلاء الشباب ، وتقودهم إلى حركة تقضى لا محالة على ذلك النظام

إن القوة التى تعارض النازى لا يمكن معرفتها الآن بجانب الضغط الذى يسود ألمانيا ، إلا أن التاريخ قد علمنا أن كل قوة تقوم على محو العقائد من النفوس ، لا بد أن تتجرع من الكأس التى تقدمها لها

حذار من الأذكياء المتعالين !

[بقلم دكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانية]

لا نقصد بهذه الكلمة أن نمس الرجل المفكر المخلص الذى يخصص علمه وكفايته وتجاربه لخدمة أمته ، فإن الفكر الألمانى يتألف من هؤلاء الرجال المفكرين ؛ ولكن مما لا شك فيه أن هناك فرقاً شاسعاً بين المفكرين الذين على هذا الطراز وغيرهم من أدعياء الفكر . فليس كل من يحظى بنصيب من التعليم ، وشىء من المقدرة على الظهور ممن يسمونهم بالمتعلمين ، هو فى الحقيقة من الأذكياء أو المفكرين . إن مثل هذا الرجل من بقايا متعلمى الجيل الماضى قد أخطىء فى توجيهه ، ونشأ على طريقة عقيمة فى التعليم ؛ فهو فى الحقيقة لم يكن سوى مجموعة من العلوم نمت فى ظل نوع من الذكاء الزائف . أما تأثير هذا الرجل فى المجتمع فهو أشد وأنكى من تأثير الجاهل البسيط ، إذ أن اكتشافه للناس ليس بالأمر اليسير .

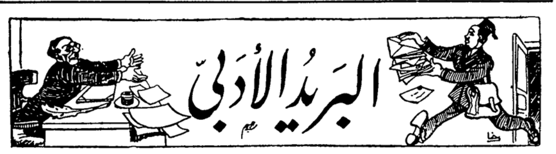
والرجل الذى على هذا الطراز يرى الجبن حكمة ، والنزق حزماً ، والكبر شجاعة ، والذبذبة قوة وثباتاً ...

فإذا عرف خطره على المجتمع ، فإن خطره على المجتمع الألمانى أشد وأعظم ؛ لأن الألمان بطبيعتهم لهم غرام خاص بتلك الفضائل فى عنصرها الأصيل . أما الرجل المفكر المتعلم الذى يعمل ويناضل لإحياء وطنه وحرية بلاده ، فهو ومن على شاكلته يتبوءون الآن مراكزهم فى الحكومة الاشتراكية الوطنية ، أو يسيرون خلفها متحمسين مزهوين

إن الفكر التقليدى الذى يصد عن المثل العليا أو يصدف عن الحكمة والمنطق ، ثم يستخف بهذا المسلك المعيب ، هو فى الحقيقة جبان قصير النظر . فلا يزال يرى أن العلم والتربية والمكانة لم تخلق جميعها إلا لما يريده هو ويراه . وكل من تحدثه نفسه بأن يسلك سبيلاً غير سبيله فهو خارج على العرف ، ومن ثم يجب أن يكافح وتعارض أعماله وتوجه إليها حملات النقد والتفنيد

ولا ضرر من هذا الرجل فى أيام السلم إلا أنه قد يكون محقق الضرر حين تشتد الأزمات السياسية ، فيجتمع هو وأمثاله زمراً تنقصها ملكة الفهم والحكم على المواقف الدقيقة ليظهروا مخاوفهم ويخاوف الآخرين باسم العلم الزائف الذى يدّعونه

إن هؤلاء المفكرين التعساء لا يزالون يقابلون كل عمل من أعمال الحكومة الاشتراكية الوطنية وأعمال الفوهرر بكلمة « لا » ومن المحتمل أن يظلوا كذلك إلى الأبد . وليس فى نيتنا أن نضم أحداً منهم إلينا لا لأننا لا نستطيع ذلك ، ولكننا لا نريد أحداً منهم على الإطلاق ، إذ أنهم حمل لا فائدة فيه



حول جناية الأدب الجاهلي

تحت هذا العنوان كتبت (الثقافة) في عددها الأخير كلة بدأتها بهذه الجملة :

« أتتنا مقالات عدة من مختلف الأقطار العربية ، بعضها في مناقشة الفكرة تأييداً أو رداً ... وبعضها في سب ناشر مقالات (الرسالة) (لعله يريد « كاتب ») والتعريض بصاحب المجلة وتحليل الأسباب الداعية إلى ذلك ... »

ولو كانت الثقافة من مواليد العام الماضي لشهدت في الرسالة معركة من أعنف المعارك الأدبية وأحاها بين الأستاذ سيد قطب وبين روح الأستاذ الرافعي . وكان الأستاذ قطب أمض أسلوباً وأشد لهجة من الدكتور زكي مبارك ؛ وكان يأبى علينا أن نخفف من حدته أو نلطف من ألفاظه ؛ ولكن الدكتور زكي يسمح لنا أن نسكن من سَوْرته بالحذف والتغيير حتى لتنخفض حرارته في بعض المقالات إلى النصف !

وكان الرافعي عضواً عاملاً في أسرة الرسالة وصديقاً حميا لصاحب المجلة إلى أن استوفى آخر أنفاسه . وكان حين شبت هذه المعركة قد انتقل إلى جوار الله فلم يعد له لسان ولا قلم ولا صحيفة ، فكان من الجائز حينئذ للذين لا يفهمون النقد إلا أنه انتقام وخصومة أن يكتبوا في « التعريض بصاحب المجلة وتحليل الأسباب الداعية إلى ذلك ... » . ولكن صديقنا الأستاذ أحمد أمين ـ متعه الله بطول العمر ـ له قلم ومجلة وأنصار ؛ وهو صاحب رأى جديد في الأدب الجاهلي لم ينشره إلا بعد أن وطن النفس على مكروهه . وناقده أستاذ معروف له استقلاله في الرأى وأسلوبه في النقد ومكانته من الصحافة ، فلا يمكن أن يوجه إلى خطة أو يحمل على رأى . إذن يكون من المجازفة والاعتساف أن يظن ظان بعد ما عرف من مثل الرافعي ورأى من نشرنا النقد والرد عليه أن هناك أسباباً دعت إلى هذه المعركة غير خدمة الأدب في ذاته . وللرسالة والحمد لله قلم يستطيع متى شاء أن يدافع ويهاجم وينقد في حدود الأدب والحق والمنطق من غير حاجة إلى استخفاء أو استعداء .

(الرسالة)

النعيم الحسي والروحي في الإسلام

قرأت في «الرسالة» كلة طيبة لحضرة الأستاذ محمود على قراعة في مراجعة ما قررت في أحد الأبحاث الماضية من اعتراف القرآن بالنعيم الحسي في الفردوس .

والظاهر أن الأستاذ قراعة يرى أن القول بالنعيم الحسي ينافي القول بالنعيم الروحي لمن يرضى الله عنهم من المؤمنين .

وأقول بصراحة جلية : إن الإسلام يقوم على أساس القول بأن الإنسان مكوَّن من جسد وروح ، وهو كذلك في الحياة الأخروية ؛ فسيكون بعد الحساب جنة أو نار ، جنة فيها أنهار وأشجار وأزهار، وقصور ، وحُورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ونار فيها جميع صنوف العذاب !

جنة حقيقية لا مجازية ، ونار حقيقية لا مجازية .

تلك هي الحال التي سيصير إليها المؤمنون أو الكافرون بعد الحساب .

أما القول بأن الجنة والنار رموز لا حقائق ، وأن الثواب والعقاب سيكونان مقصورين على الروح ، فذلك قول وصل إلى بعض الصوفية من التأثر بالمسيحية .

والنظرية الإسلامية الصحيحة التي تعترف باللذات الحسية في الآخرة لا تمنع من القول بأن سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم رضوان الله أطيب من نعيمهم بما في الجنة من ثمرات وطيبات

وليت أمثال هذا الصديق يعرفون أن اللذات الحسية من طعام وشراب وعافية هي من نعم الله ذى الجلال ، وهي مشتهاة في الدنيا والآخرة ؛ وما كانت كذلك إلا بمشيئة بارئ الأرض والسموات

أنا يا صديقى راضٍ بأن يكون حظى فى الآخرة عند الحد الذى تقول فيه الآية الكريمة :

« فمن زُحزِح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز »

أما قضاء الأبد الأبيد بالتسبيح والتكبير والتهليل ، فهو غاية سيطلبها رجل غيرى ؛ فقد قضيت حياتى فى أكدار وأشجان ، وقضاء الأبد فى الفردوس هو الواحة التى أستظل بها من هجير هذا الوجود .

إشغلنى عنك ، يا رباه ! بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم . فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج ، ولك الرأى الأعلى فى التجاوز عن ذنوبى وآثامى .

زكى مبارك

توضيح مسألة

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

تحية وسلاما ، وبعد . فقد قرأت المقال القيم الذى كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب فى عدد الرسالة (٣١٤) عن المرحوم الأستاذ فليكس فارس ، وقد وجدت فى المقال أشياء استوقفت نظرى وأرى من الواجب أن أنبه عليها بياناً للواقع .

وأول شىء استرعى بصرى أن الأستاذ كامل حبيب وضع رقماً يدل على تاريخ مولد الأستاذ فليكس فارس ، وتاريخ وفاته ، والرقم هكذا « ١٨٨٦ — ١٩٣٩ » ، ولكن الحقيقة أن الفقيد ولد عام ١٨٨٢ فى بلدة « صليما » بلبنان ، وقد أخطأ فى ذلك أيضاً الأستاذ صديق شيبوب إذ كتب فى جريدة البصير فى العدد الصادر فى يوم الجمعة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٩ أنه ولد عام ١٨٨١ فى بلدة « المريجات » ، والذى نعرفه نحن شخصياً من الأستاذ فليكس فارس أنه ولد فى ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٨٢ ، وقد أعلنت أسرة الفقيد أنه توفى عن سبع وخمسين سنة ، وعلى هذا يكون تاريخ ميلاده موافقاً للسنة التى ذكرناها .

هذا والأستاذ كامل حبيب ذكر أن الفقيد سافر إلى أمريكا عام ١٩٢٠ ، والذى نعرفه أن الفقيد لم يرحل إلى القارة الأمريكية إلا عام ١٩٢١ . ومما يؤيد هذا الكلام آخر ما كتبه الفقيد والذى جاء فى العدد الخاص من مجلة « المكشوف » عن مظاهر الثقافة فى مصر ، وكما جاء أيضاً فى أكثر من مكان فى كتابه « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » ص ٢٦ مثلاً .

هذا ومما نذكره للتاريخ عن سفره إلى أمريكا أنه اعتقل فى « لونج أيلند » مع زميله الفنان جان دبس ستة عشر يوماً لسمايات سياسية وأفرج عنه بمساعدة صديقه الأستاذ أمين الريحانى

ويذكر الأستاذ كامل حبيب أن الفقيد تعرف على جبران وعلى أعضاء الرابطة العربية فى نيويورك . والحقيقة أنها الرابطة القلمية التى كان عميدها جبران ومستشارها ميخائيل نعيمة (كتاب جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص ١٧١) . وأما الرابطة العربية فقرها فى القاهرة على ما نعلم ورئيسها هو الأستاذ محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ السابق .

ابرهيم أدهم

سؤال الى (المفكرين) من علماء المسلمين

أنا لست من الفقهاء ولا المحدثين ولكن لى من المشاركة فى هذه المباحث مايطوع لى عرض هذا السؤال وتوجيهه توجيهاً قد لا يرضى المتمسكين بحرفية النصوص الشرعية ، الواقفين عند ما جاء فى الشروح والحواشى ، معترفاً بأن مستندى فى الذى أقوله على الأحكام العامة والرأى والاجتهاد ، لا على الدليل الأصولى والحجة الشرعية ، وهذه الأحكام العامة التى أرجع إليها وأستند عليها هى :

١ — أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وأن مبادئه لا يعتريها البلى ولا تفسدها الأيام

٢ — إن الإسلام يجعل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية فى العلم والقوة والمال والحضارة

فكيف يتفق مع هذين الأصلين وجود أحكام فى الفقه لا تصلح لهذا الزمان ، وأحكام تجعل المسلمين دون الأمم الأخرى فى مرافق الحياة ؟ مثال الأولى أحكام البيع والشراء فى فقه الشافعية مثلاً ؛ فإن فيها ما يتعذر تطبيقه فى التجارات الواسعة وما يخالف كثيراً من المتعارف عليه بين التجار ، كأن يشترى التاجر المصرى بضاعة من انكلترا ويبيعها فى سوريا من غير أن يتسلمها أو يراها ، أو يشترى من المعمل أشياء لم تصنع بعد وتم العقد عليها . ومثال الثانية ما قام عليه الدليل الحسى من أن أمة متمدنة لا تستطيع اليوم الاستغناء عن المصارف (البنوك) ومعاملاتها وما قدر أن يقوم به بنك مصر من الأعمال العظيمة القائمة فى الأساس على شىء من الربا ...

أنقول للتجار إن الإسلام يحول بينكم وبين اتباع الأسلوب السهل المعروف فى التجارة ويعرقل أعمالكم ؟ أو ندع أعمال

البنوك مع ما هى عليه من اللزوم وما لها من الفوائد والمزايا ؟ وكيف يكون التوفيق حينئذ بين هـذه النتيجة التى ننتهى إليها وبين الأصلين الثابتين المتقدمين ؟

أو لا يصح القول بأن من أحكام الفقه ما هو مبنى على أصل ثابت من كتاب أو سنة فهذا ما لا سبيل (فيما أعلم) إلى تبديله أو تغييره ، ومنها ما هو مبنى على عرف كان سائداً فى عصر الفقهاء المجتهدين ، وقد تغير العرف فيجب أن تتغير الأحكام المبنية عليه . أذكر أنه مر معنا عند درس (المجلة) فى كلية الحقوق أنه إذا باع الرجل دابة له واشترط على المشترى ألا يركبها فى البلد مثلاً فالشرط لغو لا قيمة له ، وقد بنى هذا الحكم على اعتبار هذا الشرط ضاراً بالمشترى فى حين أنه لا ينفع البائع ، فألغوه على قاعدة (الضرر يزال) ... فإذا وجدنا فيه نفعاً للبائع كأن يكون البائع للسيارة سائقاً يشتغل بنقل الركاب على طريق معيّن ، وأن يكون استعمال المشترى السيارة على الطريق عينه مضراً به ... فإنه يجب فى هذه الحالة اعتبار هذا الشرط صحيحاً، فما هو قول علمائنا الأعلام؟

والربا ؟ أليس الربا المحرم هو استغلال صاحب المال حاجة المستقرض وإرهاقه بالزيادة ، وضم الزيادة إلى رأس المال عند عجزه عن الدفع (على طريقة الفائدة المركبة) حتى تستغرق الفائدة رأس المال أو تزيد ، وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب للبيوت وتنازع بين الناس وتسرب البغضاء إلى النفوس ؟ أو ليس هنالك فرق (عظيم) بين هذا الربا وبين معاملات المصارف . فأنت حين تعامل المصرف لا تستغل حاجته ، ولا ترهقه بالفائدة بل هو الذى يعرضها عليك . فهو أشبه بشركة المضاربة ولا يشترط (فيما أظن) تقسيم الربح بالتساوى بين الشريكين ، ولا مانع من أن يساهم المضارب ببعض المال . فإذا صح هذا أمكن أن نعد القائمين على أعمال البنك بمثابة الشريك المضارب ، والمساهمين بمثابة صاحب المال ، والخسارة تكون بالطبع على أصحاب رؤوس الأموال بنسبة أموالهم . بقى أن البنك لا يستعمل المال فى التجارة ولكن يستثمره بطريق الربا أيضاً ، وهى التى لا وجه لها عندى . فما هو قول علمائنا الأعلام ؟

إن الإسلام إذا كان لكل زمان ، فإنه يجب أن يكون لكل زمان فقهه ، والفقه الذى يقرؤه الطلبة فى الأزهر وغير الأزهر لم يوضع لزماننا ، وإنما وضع لأزمان مضت . وأنا معجب أشد الإعجاب بالفقهاء المتقدمين ، فإنهم لم يدرسوا وقائع أزمانهم ويضعوا لها الأحكام فقط ، وإنما فرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها . فأين فقهاؤنا الذين بحثوا فى المسائل الفقهية الناشئة عن الراديو مثلاً وحكم سجود التلاوة عند سماع القارئ فيه ، وحكم الاقتداء بالإمام الذى تسمع قراءته فى الراديو والمسائل الناشئة عن وسائط النقل الحديثة والسفر بها . والمسائل التى حدثت فى العرف التجارى وغير ذلك مما تشعر بالحاجة إلى معرفة حكم الله فيه . على أننى أذكر هنا بإكبار بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى الطلاق فإنه يعد مثلاً كاملاً فى هذا الباب . فمتى يعمد العلماء إلى الكتابة فى مشكلات المسائل على هذا النمط ، ومتى يلغى من الأزهر الفقه الموضوع للقرن التاسع والعاشر ليحل محله فقه القرن الرابع عشر . مع العلم بأن منبع الاثنين الكتاب والسنة عماد الإسلام . هذا الدين المرن الصالح لكل زمان ومكان ؟

هذا سؤال أوجهه إلى (المفكرين) لا الحافظين من علماء المسلمين !

« دمشق » **على الطنطاوى**

حول الروحيات والمعنويات فى الإسلام

أستاذنا العزيز الزيات :

وبعد فقد أساء بعضهم فهم ما ذكرناه عن ابن عابدين ج ٣ ص ٢١٥ ؛ ولذلك يجب ذكر ما قاله كاملاً : « قال السيوطى قال ابن عقيل الحنبلى جرت مسألة بين أبى على بن الوليد المعتزلى وبين أبى يوسف القزوينى فى ذلك ، فقال ابن الوليد : لا يمنع أن يجعل ذلك (يريد اللواط) من جملة اللذات فى الجنة لزوال المفسدة لأنه إنما منع فى الدنيا لما فيه من قطع النسل وكونه محلاً للأذى ، وليس فى الجنة ذلك ، ولهذا أبيح شرب الخمر لما ليس فيه من السكر وغاية العربدة وزوال العقل. فلذلك لم يمنع من الالتذاذ بها. فقال أبو يوسف الميل إلى الذكور عاهة وهو قبيح فى نفسه ... ولهذا لم يبح فى شريعة بخلاف الخمر ، وهو مخرج الحدث ، والجنة نزهت عن العاهات . فقال ابن الوليد : العاهة : هى التلويث بالأذى ؛ فإذن لم يبق إلا مجرد الالتذاذ . . . والظاهر أن المراد بالحرمة هنـا القبح إطلاقاً لاسم السبب على السبب أى قبحها عقلى بمعنى أنه يدرك بالعقل وإن لم يرد به الشرع كالظلم والكفر . لأن مذهبنا أنه لا يحرم بالعقل شىء أى لا يكون العقل حاكماً بحرمته ، وإنما ذلك لله تعالى بل العقل مدرك لحسن بعض المأمورات وقبح بعض المنهيات . فيأبى الشرع حاكماً بوفق

ذلك . فيأمر بالحسن وينهى عن القبيح ، وعنـد المنزلة يجب ما حسن عقلاً ، ويحرم ما قبح ، وإن لم يرد الشرع بوجوبه أو حرمته . فالعقل عندهم هو المثبت ، وعندنا المثبت هو الشرع والعقل آلة لإدراك الحسن والقبيح قبل الشرع . وعند الأشاعرة لاحظ للعقل قبل الشرع بل العقل تابع للشرع فما أمر به الشرع يعلم بالعقل أنه حسن ، وما نهى عنه يعلم أنه قبيح ... فلا تكون اللواطة فى الجنة على الصحيح لأنه تعالى استقبحها وسماها خبيثة والجنة منزهة عنها ، وفى الأشباه حرمتها عقلية فلا وجود لها فى الجنة ، وقيل سمعية فتوجد ... »

هذا ولقد ظن بعض القراء أن معنى وجود خلاف فى الرأى فيما يتصل بوجود هذا الفعل فى الجنة أوعدم وجوده ، أن الشريعة الإسلامية ، لم تنكر هذا الفعل لأنها لم تقرر الحد عنه ، وفاتهم أن عدم الحد عنه لا لخفته بل للتغليظ حتى رأى الجمهور تكفير مستحلها ، وأن بعضهم يرى حد الفاعل والإحراق بالنار ، وهدم الجدار والتنكيس من محل مرتفع باتباع الأحجار والجلد والتعزير والسجن حتى الموت أو يتوب ، ولو اعتاد هذا الفعل قتله الإمام سياسة .

هذا وقد قال لنا بعض العلماء إن الذين يرون رأبنا فى روحية اللذات فى الجنة يجب تكفيرهم أو على الأقل رميهم بالضلال والعياذ بالله ، لأن رأى الروحانية يتنافى فى رأيهم مع أصل النصوص ، والواقع أن هؤلاء يتجاهلون ما يجب أن يعرفوه من أن اللذة سواء أكانت حسية أم معنوية تتصل أكبر ما تتصل بالانفعالات النفسية وتقرب كل القرب من الروح ، فالسمع والبصر والشم واللمس والذوق حواس الإنسان الخمسة يمكن أن تضم إليها الحاسة الفنية التى يضمها بعض الكتاب وبذا نكاد نتفق فى إعزاز الجزء الروحى فى كل حاسة وإكبار شأنه وفهمه أنه أسمى جزئياتها . فأنت إذا رأيت منظراً جيلاً هل تستطيع أن تقدر لطربك الروحى من رؤية هذا المنظر أقل من تسعة أعشار ما يشع عليك من سرور . ولقد كان جمال يوسف الصديق شاغلاً لأهل مصر عن الإحساس بألم الجوع ، حتى أنهم كانوا إذا جاعوا (كما ذكر الغزالى فى إحياء علوم الدين الجزء الرابع) نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع ، وحتى قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك كما قص لنا القرآن الكريم . وكذلك يمكن القول عنـد ذكر الحاسات جميعاً . فليطمئن هؤلاء العلماء الذين أسرعوا فكفروا مع أن التكفير إثم عظيم لا يكفره إلا عفو من ظلموه ليطمئنوا لأننا نفهم أن الإنسان كما يمكنه أن يسمو بلذاته الحسية إلى حيث مرقاة الروح ، يستطيع أن ينزل بها إلى حيث يريد من النزول . فعند سماعك لغناء تستطيع أن ترق به وتستطيع أن تجعله ينزل بك ، فإذا سمعت غناء من ذى صوت جميل لتقديس الله بالتفكر فى جمال الحناجر التى خلقها فأنت رجل روح تتمتع بلذة السماع وهى لذة حسية وترتفع بها إلى جعلها ترقى بروحك وبنفسك ، وأما إذا كنت تسمع صوتاً جميلاً من جميل وتريد بسماعك ومن حركات المغنى تحريك شهواتك ، فأنت نازل بلذتك الحسية إلى الحضيض ، ولذا قرر السهروردى حل الغناء فى الأولى وحرمته فى الثانية

ثم ما قول هؤلاء العلماء فى لذة النظر إلى وجه الله الكريم ؟ وهى لذة روحية بحتة تفوق كل اللذات ... الحق أنهم ظنوا بجهلهم لروح الإسلام وتعاليمه الصحيحة ، أن حسية اللذات تمنع من روحانيتها ، وفاتهم أن اللذة معنى لا يحس وأنها إذا نسبت لما ينتجها فليس هذا إنزالاً لها من عالمها إلى عالم المادة أو الحس . ولـكن الذى نؤمن به كمسلمين صادقين أن فى الجنة لذات روحية وحسية ، وإنا كمؤمنين صادقين نرى أن لذات الجنة الحسية لذات راقية تسمو بالروح ، إذ لا لغو فى الجنة ولا تأثيم ، وأن أكبر لذات الجنة التى سينعم بها المؤمنون روحية . هذه عقيدتنا التى يجب أن يؤمن بها كل مؤمن صادق .

محمود على قراعة

فن منحط برغم ذلك

كتب الأستاذ أنور كامل فى بريد العدد الماضى من الرسالة كلمة عن جماعة الفن والحرية بعد أن شعر أن الكلمة المنشورة فى العدد الأسبق تحت عنوان الفن المنحط تمس الجماعة التى ينتمى إليها رغم أن الكاتب لم يشر بتاتاً إلى جماعة « الفن والحرية » وهذا التصرف من الأستاذ كامل له مغزاه ... وقد أتيح لى أن أطلع على بعض ما كتبه ورسمه بعض المنتمين إلى تلك الجماعة وأرسلت بعضه لمحرر الرسالة ، ولعله المعنى بالذات فى تلك الكلمة التى أثارت الأستاذ كامل ودفعته إلى كتابة كلمته ...

وإنى أقول للأستاذ إن الفن الذى يبشر به ويروج له فن

منحط رغم كل ما يقال فيه ، وإن الجماعة التي تتسمى باسم الفن والحرية لا تفهم الحرية إلا على أنها فوضى لا ضابط لها ولا قانون — كما أن مسايرة الفن الأوربي في تخبطاته الأخيرة ليست حرية بحال من الأحوال . بل هي عبودية عمياء ، وهذا هو ما تفعله جماعة الفن والحرية !! فليشرح لنا الأستاذ على أي أسس تقوم آراء جماعته — وإني على استعداد تام لمناقشة كل ما سيدلي به الأستاذ في الدفاع عن آراء جماعته . ولعل صفحات الرسالة تتسع لكل ما سيكتب في هذا الموضوع والكسب للفن على كل حال .

نصري عطا الله سوس

للحقيقة والتاريخ : بيان وتصحيح

لما قرأت ما نشرته الرسالة منذ أعداد من نبأ (المجلة الأدبية) التي ستصدر في دمشق ، والمحاضرة التي ألقيت في بعض النوادي عن (التأليف والمؤلفين) وأحاديث (الراديو) عن شعراء دمشق ، ورأيت ذلك كله مجتمعاً في عدد واحد، وإلى جنبه ذكر كتاب نشر حديثاً ووصفه بأنه (آية في التحقيق والتدقيق) ، ظننت أن الله قد (بعث) الحركة الأدبية في الشام ، واستخفني الطرب حتى حدا بي إلى الإسراع بالعودة إلى الديار ، لأشارك في جَنْي بواكير هذه الثمرة الطيبة ... وعدت فإذا المجلة (مشروع) من هذه المشروعات التي يطيب لبعض الشيوخ المتقاعدين وبعض الشبان المتبطلين الكلام فيها ليوهموا أنفسهم أنهم (يشتغلون) ولم يتحقق منه إلا اجتماع دعا إليه أحد الأدباء ، وخبر لا أدري من بعث به إلى الرسالة ، ذكر فيه أشخاص متماثلون متقاربون في شهاداتهم ومنازلهم زملاء في التدريس ، فرفع بعضهم إلى المنزلة العليا وقيل عن بعض إنهم (متأدبون ناشئون) فحقدوا على الرسالة ، والرسالة لا ذنب لها ... وإذا المحاضرة التي ألقيت ونشرت كاملة في صدر (الهلال) تشتمل على دعوة (قوية) إلى ترك الثناء بالباطل ، وإلى النقد الصريح . ونحن اتباعاً لهذه الدعوة ، وامتثالاً لأمر صاحبها ، نعلن أن المحاضرة أرق بقليل من كتاب (الوسيط) الذي يدرس للطلاب ، وأنها خالية من الإحاطة بالموضوع ، ومن التحقيق العلمي ، ومن (الشيء الجديد) ، وأنها عبارة عن نتف من هنا ونتف من هناك ، جمعت بأسلوب خطابي يثب فيه المؤلف من عصر إلى عصر ، فيذكر أشياء لا ندري لماذا يذكرها ، ويهمل أشياء لا ندري فيم أهملها ، ثم يختمها بكلام طويل في وصف المؤلف الذي (يريده) . أما أحاديث الراديو ، فلم تلق بعد ، وأظن أن هذا الشاب العامل المجد سيكون أدنى إلى التوفيق من سادتنا الكهول الذين أخذوا شهرة من الدهر فناموا عليها ، واطمأنوا إليها ، وأهملوا الإنتاج القيم ، وإذا الحركة الأدبية (لا تزال) ميتة أو مغشياً عليها قد صرعتها السياسة وأحداثها، فأحببت أن أنشر هذا البيان في الرسالة لا بغضاً لدمشق فما يدعي محبتها أكثر مني إلا كاذب ، ولكن حفزاً للهمم وإظهاراً للحقيقة ، ولئلا يسجل في الرسالة غير الحق . وأنا أتمنى والله أن يكون الأمر غير ما أقول ولو عدت كاذباً ...

ع . ط .

فرقة تمثيلية من المشايخ

شهدنا في دار الأستاذ علي الطنطاوي اجتماعاً تمهيدياً لتأسيس فرقة تمثيلية تضم كبار المشايخ المشتغلين بالعلم والأدب ؛ الغاية منها إرشاد الناس إلى المنهج الأخلاقي والعمل للاصلاح عن طريق التمثيل . وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي . وقد تبرع أحد الوجهاء الذين حضروا الاجتماع بأرض واسعة يبنى فيها مسرح عظيم ، وبالنفقات اللازمة للتمثيل . وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل فعلاً ، في الرواية الأولى التي يعدها الآن الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي .

« دمشق » (ص . م)

المرحوم فليكس فارس

ستقام حفلة تأبين كبرى للمرحوم الأستاذ فليكس فارس بدار المحفل الأكبر الإقليمي بشارع بونج رقم ٢ بالأسكندرية وذلك في تمام الساعة السابعة والنصف من مساء الاثنين ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٩ والدعوة عامة .

عائشة والسياسة

وقع في هذا المقال المنشور بالعدد (٣١٤) من « الرسالة » سهو ، وهو أن الحاشية (الأغاني ٥ — ١٣٠ طبع دار الكتب) موضعها آخر العمود الثاني (ص ١٣٥٠) لأنها تعين مصدر الحادثة المذكورة ثمة ، ولا علاقة لها بالعنوان .



سمو المعنى في سمو الذات
أو أشعة من حياة الحسين

تأليف الأستاذ عبد الله العلايلي

للأستاذ علي الطنطاوي

تفضل الأستاذ عبد الله العلايلي فأهدى إليّ كتابه الذى سماه (سمو المعنى فى سمو الذات)، وجعله الحلقة الأولى من سيرة الحسين بن على بن أبى طالب، فطالعت أكثره والقلم فى يدى فكنت أكتب بعض التعليقات على ما أنكر منه فاجتمع لى فى نقده مسائل (مهمة جداً) أحببت أن أنشرها، وما أشك فى أن الأستاذ يتقبلها بقبول حسن، فيقرّها إذا رآها حقاً، ويناقشنى فيها إذا رآها غير ذلك. ولست أعرض فى هذا النقد للخلاف بين السنة والشيعة، أو أثير غبار النزاع على القضايا المذهبية، وإنما أنقده من الناحية التاريخية العلميـة، للوصول إلى الحقيقة التى أنشأ الأستاذ العلايلى كتابه للبحث عنها

والملاحظة العامة على هذا الكتاب هو أنه يدرس خلافاً بين فئتين، فيسبغ على إحداهما ثوب التقديس والإجلال، ويكتب عنها بروح إكبار واحترام، وينزل بالثانية إلى حيث يتمكن من النزول بها، ويلصق بها التهم والعيوب، ويتكلم عنها بلغة لا تخلو أحياناً من كلمات وعبارات لا يليق بالمؤرخ المنصف المهذب أن يقولها. وقد تكون هذه التهم صادرة عن (الخيال ...) وحده، ليس لهـا سند من رواية أو نص؛ وقد يعترف بذلك المؤلف، ولـكنه لا يمتنع عن ذكرها. كقوله وهو يتكلم عن الأمويين صفحة (٣٣): «الحزب الأموى كاد للنبى ولدعوته، وعرفنا كيف أسلم زعيم الأموية أبو سفيان، وعرفنا كيف لم يبق للأمويين أى مقام اعتبارى فى محيط الإسلام الذى كان ظهوره فوزاً وغلبة للهاشميين ... ووجدوا فى ولاية يزيد بن أبى سفيان وولاية معاوية من بعده فرصة سانحة للقيام بعمل خطير، ففكروا فى اغتيال عمر بن الخطاب (!) وكذلك اغتالوه بيد فارسى ...» إلى أن قال: «وإنما أقول فى جملة ما أودّ إثباته إن قتل عمر لم يكن وليد فكرة فارسية مدبرة، وإنما كان وليد فكرة موضعية خالصة وأموية بحتة. هذا رأيى وعسى أن أجد (انتبه) فى منثور الروايات والأخبار ما يوضح الواقع»!

فإذا كان المؤلف يستند فى تاريخ المـاضى إلى (رأيه ...) ويضع النتيجة قبل أن يجد المقدمات، أى أنه إذا كان يرتجل التاريخ ارتجالاً فليس عجيباً أن يكون فى الـكتاب نُقول عن المسعودى فى الطعن على بنى أمية والمسعودى لا ينقل عنه (وحده) فى هذا الباب كما هو معروف، وأن يكون فيه نقول عن مثل الأب لامنس عدوّ العرب والإسلام، المتعصب الذى يضعّفه كثير من المستشرقين ولا يرون الأخذ عنه

والمؤلف يقول فى صفحة (١٣): «والحق أنا لا نزال من فهم عصر الحسين على غموض وخفاء، وذلك لأن الأقلام التى تناولته منذ أول عهد العرب بكتابة التاريخ لم تكن بريئة على إطلاق القول، بل دارت على خدمة أغراض شتى بين النزعة المذهبية، والزلفى من السلطة الغالبة». ثم يأتى فى صفحة (٤٩) فيقول فى عنوان مكتوب بحروف كبيرة: أسباب فشل سياسة على عليه السلام ونجاح السياسة المادية[1]» ويصف الأمويين بأنهم أداة

(١) كأن السياسة المادية سياسة روسى أو فارسى مجوسى!

إفساد وفى طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية صفحة (٢٨) . ويقول فى صفحة (٤٢) : « على بن أبى طالب مظهر فذ من مظاهر التكامل الإنسانى ، ونموذج بارع من نماذج التفوق البشرى ، ومثال لبلوغ الاستعداد الكامن فى النسم الخ » فى صفحة كاملة كلها خطابيات ومبالغات على هذا النمط . وحينما يتكلم عن الخلفاء الأربعة يتكلم عنهم ص (١٢) بما نصه: « الخليفة الأول والثانى والثالث ثم علىّ عليه السلام »

ولنأت الآن إلى عرض نماذج من المسائل التى أنكرتها فى الكتاب بقصد التمثيل لا الاستقصاء

١ — يقرر فى صفحة (١٠) أن نظام الحكم فى عهد الأمويين « لم يكن إلا ما نسميه فى لغة العصر بالأحكام العرفية ، هذا النظام الذى يهدر الدماء ، ويرفع التمارف على المنطق القانونى (كذا) ويهدد كل امرىء فى وجوده. وفى هذا العصر إذا كان يتخذ فى ظروف استثنائية ولحالات خاصة فقد كان فى العهد الأموى هو النظام السائد » وكان هـذا فى رأيه (وضماً احتكم فى كل التاريخ الأموى وصبغه بصبغة وبيلة ، فتنافى مع البادىء الدينية والمدنية) وكل ما أورد المؤلف من الأدلة على هذه الدعوى التى لا يدعيها أشد الغلاة من أعداء التاريخ الإسلامى وخصومه ، كل أدلته أنه أشار إلى (المرسوم الملكى أو المذكرة الإيضاحية (كذا) الصادرة فى بيان الأسباب التى بررت قتل أبى جعفر الشلمغانى) وذكر أنها فى الجزء الأول ص (٢٣٨) من معجم الأدباء — وهكذا ثبتت هذه التهمة الخطيرة ، وسوّدت صفحة من أنصع صفحات التاريخ العربى ، وانتهى الأمر بسلام ، وقيل الحمد لله رب العالمين

ورحمة الله على العدل أيام بنى أمية ، ورحمة الله على التحقيق التاريخى فى أيامنا هذه

٢ — يقرر فى ص (١٢) أن معاوية اقتبس النظام البيزنطى « وانفعل به إلى أبعد حد . فانتقل طفرة واحدة إلى نظام يبعد كثيراً عن النظام النبوى من كل الأطراف » إلى أن قال: « إلى حد نتمكن معه من القول بأنها حالت دون أزكى ثمار الإسلام ، وحالت دون حكومة القرآن ، ومسخت تعاليم النبى ، وشوهت تقاليد حكومة الخلفاء » اهـ والذى نفهمه أن موضوع اقتباس الأمويين النظام البيزنطى يحتاج إلى درس شامل لكلا النظامين ، وأدلة ثابتة ، ولا يمكن شرحه فيما دون الرسالة الكبيرة أو الكتاب المستقل . أما مجرد الادعاء وإرسال النظريات فلا يقدم فى التاريخ ولا يؤخر ولا يكون له قيمة علمية

٣ — ذكر فى صفحة (١٧) أن من الأسباب « التى يظن أنها مهدت إلى عمل الاضطراب (كذا) وإثارة الخواطر وقدمت مادة الانقلاب الكبير ، الاختلاف على البيعة يوم السقيفة وامتناع فاطمة منها وآل هاشم عموماً » وذكر أن هذا الخلاف « كان له صدى عكسى — كذا — ولد عنـد البعيدين شيئاً من الشعور بالاستهانة وجرأهم على الانتقاض والخروج والتمرد » . وجعل المؤلف هذا الخلاف من الأسباب المؤدية إلى ارتداد العرب، مع أن انتخاب الرئيس فى أى بلد من البلدان الجمهورية يتقدمه فى عصرنا نزاع وخلاف لا يقاس به اختلاف أهل السقيفة ، ولا يؤدى إلى خروج ولا تمرد . ثم إن خلافة أبى بكر كانت إجماعية فلم يشذ عن بيعته إلا رجل واحد هو سعد بن عبادة. وتأخر على ومن معه لأسباب أخرى ذكروا أن منها اشتغاله بكتابة المصحف. وعلى كل فقد بايع أخيراً . أما ارتداد من ارتد فقد كانت له أسباب معروفة (غير ما ذكر)

٤ — ويذكر فى صفحة (٢٣) أن من هـذه الأسباب : « عدم عناية حكومة الخلفاء ببث الدعوة وغرس التربية الدينية » وهذا كلام لا يقبله أحد ، لأن المؤلف لم يقم عليه الدليل العلمى أولاً، ولأن هذا الادعاء طعنة موجهة إلى صميم التاريخ الإسلامى. وإذا كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى لم يعنوا ببث الدعوة وغرس التربية الدينية ، فمن ذا الذى عنى بها ؟ ومن ذا الذى بث الدعوة إلى الدين حتى شملت مشارق الأرض ومغاربها ؟ ومن غرس التربية الدينية حتى فى صدور الفرس والروم وأهل خراسان وأرمينية حتى صاروا مسلمين يشتغلون بدرس الدين ويتبعون هديه ، وحتى نشأ فيهم علماء فحول وأئمة هادون ؟

أترد هذه الحقائق كلها بتسعة أسطر جاء بها المؤلف ، خالية من أى دليل : من نص ثابت أو لاستنتاج منطقى ؟

٥ — وذكر المؤلف أن « مسحة الحكم إلى عصر علىّ لم تزل

خاضعة للنظامات القبَلية ، وأن حكومة « تقوم على نظم البداوة لا يرجى لها بقاء ، لأنه ليس بين عناصرها وحدة حقيقية » والرد على هذا الكلام من وجهين : أولهما أن الإسلام قد محا عصبية القبيلة ودعا إلى الأخوة الإسلامية ، وفهم ذلك الصحابة ونشأ عنه وحدة عربية استطاعت أن تعمل أكبر عمل في سبيل الدعوة إلى الله . وثانيهما أنّ هـذه النزعة القبلية إذا كانت قد ظهرت بعض الظهور ، فإنما ظهرت أيام عليّ . واستثناء المؤلف عصر عليّ من الحكم الذي أطلقه وعمّمه قلبٌ للحقيقة وتبديل للواقع

٦ — ويقول في صفحة (٢٦) : « إن للأنصار حقاً أكيداً وشبهة قوية في السلطة على أنهم فهموا في آخر الأمر أنهم أنصار الدين وأنصار محمد وأنصار بيته (كذا) ولذا ظل ميلهم إلى الداعي القائم من آل البيت » ... وقرّر في حاشية الصفحة أن الأنصار : « يعتبرون وصول بني أمية إلى الحكم إنما هو انتصار لأعدائهم القدامى من مشركي مكة » .

ودليل هذا كله أن « فَلُوتَنْ » ذكره في كتاب « السيادة العربية » فانظر هذا التحقيق !

٧ — ويقرر في صفحة (٢٧) أن الأمويين أرادوا « أن يخضدوا من شوكة المدنية ويقضوا على الطبقة الدينية المحترمة » وأنهم « استأجروا طوائف من الشعراء والمغنين والمخنثين من بينهم عمر بن أبي ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتي الدين : مكة والمدينة بمسحة لا تليق بهما ...» إلى أن قال : « ويتمادى بنا الظن إلى أن الروانيين فكروا بصرف الناس عن المقدسات الإسلامية التي تنزل من الإسلام منزلة الشعيرة ، بإنشاء المسجد الأموي بأبهته العظيمة بدمشق . ولقد ظن بعض المستشرقين « كالأب لامنس اليسوعي » بأن هذه نية عبد الملك بن مروان بأناته في تشييد المسجد الأقصى . ونحن وإن كنا نظن ونوافق من يظن نرسل ما نقول في تحفظ مطلق حتى تتناصب عليه الشواهد والروايات » اهـ وما دام هذا كله ظناً من المؤلف ، وما دام قد أقر بذلك فنحن نعلن أن الظن لا يغني من الحق شيئاً ، وأن التاريخ لا يُكتب على هذا الشكل الذي عمد إليه المؤلف ، وإنما يَكتب التاريخ رجل خالي النفس من الهوى لا يبغض ولا يحب ؛ وإنما يدرس المقدمات ويسير فيها بهدى المنطق وينتهي حيث تنتهي به ، وما عدا هذا وجاوزه لم يكن تاريخاً ولا شبه تاريخ

٨ — ومن أعجب ما يأتي به هذا المؤلف الذي يرتجل التاريخ وينشئ من خياله حوادث لم تكن — أنه يجعل في صفحة (٦٦) نشأة يزيد بن معاوية ، نشأة مسيحية ! ويستدل على ذلك بأن أخواله بني كلب كانوا يدينون قبل الإسلام بالمسيحية ! وإلى أنه يعرف طرفاً من الهندسة ! ! وإلى أن يزيد أمر الأخطل (لمسألة خاصة معروفة) بهجاء الأنصار . ويقول في صفحة (٦٨) بعد سرد هذه الأدلة المضحكة : « إذن كان يقيناً أو يشبه اليقين أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة؛ أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب لتقاليدها وعاداتها أي حساب ولا يقيم له وزناً ، بل الذي يستغرب أن يكون على غير ذلك »

هذا قليل جداً من كثير جداً ، مما في هذا الكتاب العجيب من المسائل .

***

أما لغة الكتاب فلا تخلو مواضع منها كثيرة من ضعف في التأليف ، أو استعمال للكلمة على غير وجهها أو في غير معناها . قال المؤلف في الصفحة (٩) : « ثم هذه الجوانب التي نلمح إليها ليس من السهل استيعابها على وجه الدقة إلا إذا انتشرنا على مسائل الخ... » فافتتح الكلام بقوله : « ثم هذه الجوانب » وكان الأولى أن يقال : « ثم إن هذه الجوانب » ، واستعمل كلمة « انتشرنا على » بمعنى « اطلعنا على » وليس لها وجه . وقوله في ص (١١): « وكذلك يبـدو الدرس متصعباً غامضاً حتى نقفَ من تاريخ الحسين موقف الحيرة المطلقة لشدة خفاء الجانب التمليلي (؟) في كل مراحل حياته التي كانت أشبه بالبعثرات » . وقليل من يفهم ما المراد بالجانب التمليلي ، أو يقر كلمة « البعثرات » في هذا الموضع ، ولذلك أمثال في الكتاب

هذا وأنا أشكر للمؤلف الفاضل هديته، وأرجو أن يحمل نقدي على المحمل السهل ، وأن يثق بأني لولا احترامي إياه ، ما نقدته ولا عرضت لكتابه

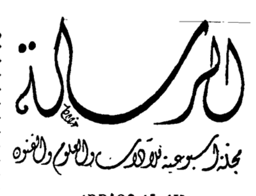
علي الطنطاوي

7me Année No. 317

Lundi - 31 - 7 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣١ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

لجنـــة التقدير

للأستاذ عباس محمود العقاد

ثم تقررت ضريبة الجمال[1]

وجاء دور اللجان التى تقدر الجمال بالخبرة والنظرة الصادقة ، وتقدر الضريبة عليه بالعدل والقسطاس المستقيم

فمن هم الخبيرون بالجمال ؟ وممن تتألف اللجنة أو اللجان التى تفرض « مقداره » ثم تفرض مقدار الضريبة الواجبة عليه ؟

* * *

زعموا أنهم ندبوا لذلك لجنة من فلاسفة « الاسطاطيقا » أو فلسفة الجمال كما عربها الأستاذ الأكبر أحمد لطفى السيد باشا

واعتقدوا أن هؤلاء الفلاسفة هم أحق الناس بعرفان المعانى الجميلة والصور الجميلة ، كما أنهم أحق الناس باستخلاص كنه الجمال فى جوهر الجواهر ولب اللباب

قالوا : فمضت برهة قبل أن يتفق هؤلاء الفلاسفة الأخيار على التعريف المختار

هل الجمال هو الحرية ؟ وهل الجمال هو التنسيق والنظام ؟ وهل الجمال هو غلبة الفكرة على المادة ؟ وهل الجمال فى تمثيل الغريزة الجنسية ؟ وهل الجمال فى تمثيل النزعة الكمالية ؟ وهل الجمال عميق عمق البشرة ، أو هو عميق عمق الروح وعمق أسرار الغيوب ؟

(١) راجع العدد ٣١٥ من الرسالة

وجىء إلى الحكومة بمحاضر الجلسات فإذا هى ألغاز ومعميات ، وشعاب ومنعرجات ، ومتاهة تلتقى فيها الخواتيم والبدايات ، وتنقضى الأعوام قبل أن تسعف الخزانة ببضعة دريهمات

* * *

وزعموا أن الحكومة تركت هذه اللجنة توغل فى متاهاتها وندبت للأمر لجنة أخرى من رجال المسارح والمراقص ومدربى اللاعبين واللاعبات والراقصين والراقصات

ثم جربتها فى مدينة واحدة ، وانتظرتها برهة أخرى فإذا هى تعود إليها بأسماء لا تتجاوز العشرات ، وأرقام لا تتعدى المئات ، لأنها قضت برهتها فى قياس الوجوه والأجياد ، وقياس الأنوف والآذان ، وقياس الصدور والظهور ، وقياس الجذوع والأطراف ، فما استحسنته من هنا عابته من هناك ، وما زادته من الساعد نقصته من الساق ، وما أضافته عادت فحذفته ، وما أوشك أن يؤول إلى ثروة تراجع فأوشك أن يؤول إلى إفلاس!

وبلغت الشكايات إلى مسامع الحكومة قبل أن يبلغ التقرير إلى مراجعها ، ثم نظرت فى التقرير بعد انتهائه إليها فإذا هو اضطراب فى الأهواء ، واضطراب فى الآراء ، واضطراب فى الأرقام والأسماء ، فقالت : عليه وعلى كاتبيه العفاء!

* * *

زعموا هذا وزعموا أن أديباً كيِّساً نصح إلى الحكومة جهد نصيحته فأشار عليها بالتعويل فى أمر الضريبة على أناس غير الفلاسفة وغير خبراء الفنون

ماذا عليها مثلاً لو عمدت إلى طائفة من هواة السهر، وعشاق الحسان فى باحات السمر ، فناطت بهم تقدير الجمال ، وتقدير جباية الأموال ؟

هؤلاء أناس من أوساط الناس ليسوا بأصحاب إمعان فى الحقائق والأسرار ، ولا بأصحاب تصميم فى القياس والاختبار ؛ وهم مع هذا يعرفون النساء، ويحبون الشمائل الحسناء، فلجنة منهم هى أصلح الأكفاء لتقويم الجمال كما يقومه عامة الرجال والنساء

وإن الحكومة لتهم بالموافقة والتصديق ، إذا بصديق يأخذ عليها الطريق، وينهاها عن هذا الفريق، لأنه أعجز فريق عن التوفيق فى هذا العمل الدقيق!

سألوه : لماذا ؟

فأجابهم : لهذا ...

وهذا عنده هو دعواه أن رواد المراقص والملاعب لا يحبون الحسناء لأنها حسناء ، ولكنهم يحبونها لأنهم يحبون الغالبة والرهان ، والمفاخرة والشنآن . . . فشأن المرأة عندهم كشأن كل علامة يتحقق بها الغلب والظهور ، وما يبذلون من مال فى هذا المجال فإنما يبذلونه بذل المراهن أو بذل المقامر أو بذل المتحدى فى أمر من أمور العناد والإصرار ، ولا يبذلونه تقويماً للحسن ولا للمتعة ولا لإرضاء الذوق السليم والفن الجميل

ويتفق كثيراً أن تغلب خلاعة المرأة جمالها فى هذا القمار أو هذا السباق

ويتفق كثيراً أن يغلب الكيد الخلاعة ، وأن تبقى بعد الخلاعة والكيد وشهوة الفوز والغلبة حصة صغيرة للجمال الصحيح

* * *

حيرك الله يا جمال كما أنت حيرة الناظرين والباحثين والمشترعين والمحصلين!

إذن لا ينفع الفلاسفة ولا ينفع خبراء الفنون ، ولا ينفع عشاق الحسان أو غير الحسان . . .

فمن الذين ينفعون ؟ ومن الذين يقدرون ؟ وكيف يقدرون ويحصلون ؟

رأى أخير ، فلعله ليس بفطير

قالوا : نمهد فى أمر التقدير والتحصيل إلى لجان من عامة خلق الله ، لا هم بأصحاب فلسفة ولا هم بأصحاب فن ولا هم بأصحاب سهر ومجون

بل زيد وعمرو وبكر وخالد وفلان من جملة بنى الإنسان

وجمعوا اللجان من عامة السكان

فعادوا قليلاً وهم بين مكسور ومجبور وولهان وغضبان

عند البيت الأول قال شيخ من ذوى الوقار بين الأعضاء : مائة دينار لا تنقص درهما واحداً على هذه الحسناء

قال فتى أنيق : وأين هى تلك الحسناء ؟

قال الشيخ : تلك التى تراها

قال الفتى : أتلك السمينة البدينة التي تشبه الغرارة ؟

فما أتمها حتى سقط تحت أربعة أو خمسة من الضاربين : أحدهم الشيخ والآخرون أو الآخرات ، ما شئت من سامعين وسامعات

وفى لجنة أخرى تغير الاقتراح فكانت الضريبة الراجحة من نصيب النحيفة العجفاء ، فلم تتفق اللجنتان فى غير الضرب والتجبيه والإيذاء

وكانت اللجنة من اللجان تشتمل على الحضرى والقروى والشيخ والشاب والجاهل والمتعلم والزوج والأعزب ومن يعرف نساء الحي ومن ليست له معرفة بهن ولا قرابة . فإذا أُخذت الآراء ، فهناك ابتداء ولا انتهاء ، ومتهمون ولا أبرياء ، ومنرضون ولا نزهاء ، فى عرف جميع الرجال وجميع النساء

وكثرت الرشوة ، وعمت الوشاية ، واستفاضت الأقاويل ، وتبدلت اللجان ، فما كان من أهل قرية فلينقل إلى غيرها لدفع المظنة ومنع الشبهة ، وهى لا تمتنع ولا تندفع بحال

* * *

قال كاتب هذه السطور : فلما علمت بهذه الورطة وعلمت أننى جنيتها وأوقعت من أوقعت فيها علمت كذلك أننى مطالب « بالتخليص » كما قد تبرعت بالتوريط ، وأننى فتحت باباً ولا مناص له من إغلاق ، وبدأت أمراً ولا بد له من ختام

قلت لمن سمع ما قلت : إياكم واللجان ، وإياكم والتقدير ، واجعلوها كما هى فى الحقيقة ضريبة فذة بين ضرائب العصور ، فلا يقدرها مقدر ولا يجبيها جاب ولا يسأل عنها سائل ، وإنما يترك الرأى فيها لمن يبذل بذله ويسوّم تسويمه ، وما على الحكومة إلا أن تعلن بالمذياع وبالصحف وبالنداء فى أرجاء البلاد أسماء كل مائة راجحات فى كل يوم من الأيام ، ولا عليها من نشر الصور والأوصاف إلا أن يشاء ذلك من يشاء

وسنرى كيف تمتلئ الخزانة ، وينقلب معنى الخيانة إلى إفراط فى الأمانة ، فيؤديها الناس أضعافاً مضاعفات ، ويبذلونها مرات بعد مرات ، كلما فاتهم الإعلان مرة فاستدركوا ما فات !

عباس محمود العقاد

حول كتاب :

مستقبل الثقافة فى مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

— ٢ —

وأما مآخذ القدمات والبراهين التى بنى عليها مؤلف الكتاب « الحكم » الذى ذكرناه آنفاً ، فهى كثيرة ومتنوعة ؛ سأكتفى بذكر ثلاثة منها ، لإعطاء فكرة عامة عنها :

١ — عند ما يسأل المؤلف : « أمصر من الشرق أم من الغرب ؟ » يوضح قصده من هذا السؤال بقوله : « أنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافى والغرب الجغرافى ، وإنما أريد الشرق الثقافى والغرب الثقافى » ثم يعقب قوله هذا بالعبارات التالية :

« فقد يظهر أن فى الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف ، ويتصل بينهما صراع بغيض ، ولا يلتقى كل منهما صاحبه إلا محارباً أو متهيئاً للحرب : أحد هذين النوعين هذا الذى نجده فى أوروبا منذ العصور القديمة ، والآخر هذا الذى نجده فى أقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضاً » ... (ص : ٧)

يصعب عليّ جداً أن أوافق المؤلف على ما جاء فى عباراته هذه : لا أدرى ما هى الثقافة التى كانت موجودة فى أوربا منذ القرون القديمة ؟ وما هو الصراع البغيض الذى اتصل بين هذه الثقافة وثقافة الشرق الأقصى المخالفة لها ؟ ومتى وكيف حدث هذا الصراع ، وبأى شكل انتهى . ما هى الحروب التى حدثت بين هاتين الثقافتين ، كلما التقتا ؟ ما هى تواريخ التقاء هاتين الثقافتين المتخاصمتين ؟ وما هى تفاصيل الحروب التى نشبت بينهما كلما حدث هذا الالتقاء ؟

إن كل ما أعرفه عن التاريخ بوجه عام ، وتاريخ الحضارة ، وتاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم بوجه خاص . . . لا يساعدنى « مع الأسف الشديد » على إعطاء أجوبة مثبتة على هذه الأسئلة . . وبعكس ذلك ، كل ما أعرفه فى هذا المضمار ، يحملنى على القول بخلاف ذلك تماماً .. كل ما أعرفه فى هذا المضمار يحملنى على القول بأن الصراع الذى حدث بين الثقافات والحضارات التى نشأت

وترعرعت حول بحر الروم نفسه ، كان أشد وأعنف وأطول من الخصام الذى حدث بين هذه الثقافات والثقافات الهندية والصينية ، بدرجات كبيرة ...

مع هذا أتساءل حائراً : ما الفائدة من هذه الأبحاث فى هذا المقام ؟ ما شأن هذه القضية بشرقية مصر أو غربيتها ؟ وهل من علاقة منطقية بين هذه القضية وبين مسألة وجود أو عدم وجود فروق جوهرية بين العقل المصرى والعقل الأوربى ؟

يتساءل المؤلف فى هذا المقام :

— أيهما أيسر على العقل المصرى : أن يفهم الرجل الصينى أو اليابانى ، أو أن يفهم الرجل الفرنسى أو الإنكليزى ؟

« هذه هى المسألة التى لا بد من توضيحها وتجليتها قبل أن نفكر فى الأسس التى ينبغى أن نقيم عليها ما ينبغى لنا من الثقافة والتعليم ؟ » (ص ٧)

وهل من مفكر يقول — فى مصر أو فى غير مصر — بوجوب إقامة الثقافة والتعليم على أسس ثقافة الصين أو اليابان ؟

إنى أعتقد أن هذه الأبحاث كلها من الأمور الاستطرادية التى لا ضرورة لها ولا فائدة منها : فلا الاتفاق فى أمرها يكون سبباً كافياً لقبول الحكم المتعلق بعدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ، ولا الاختلاف فى شأنها يكون سبباً مبرراً لرفض ذلك الحكم

كما أن الاتفاق أو الاختلاف عليها لا يستلزم الاتفاق أو الاختلاف فى تثبيت الأسس التى يجب أن تقام عليها الثقافة والتعليم ، فى مصر وفى سائر البلاد العربية

٢ — قبل أن ينتهى المؤلف من مناقشة قضية « الشرق والغرب» يتطرق إلى مسألة أخرى، فيثير قضية «تأثير وحدة الدين ووحدة اللغة فى تكوين الدول » إنه يقول فى هذا الصدد ما يلى :

« من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواماً لتكوين الدول ... » (الصفحة ١٦)

« فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى ، وأقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والأجناس ... » (الصفحة ١٨)

إن هذه الآراء تستوقف النظر ، وتستوجب المناقشة فى عدة وجوه :

أولاً — يستعمل المؤلف فى الفقرة الأولى تعبير «وحدة اللغة»، وفى الفقرة الثانية تعبير «تقارب اللغات» . ولا أرانى فى حاجة إلى الإيضاح بأن الفرق بين مفهومى التعبيرين المذكورين كبير جداً

ثانياً — يسوى المؤلف — فى كلامه هذه — بين وحدة الدين ووحدة اللغة فى وجهة التأثير السياسى ؛ ويدعى أن تأثيرهما فى السياسة كان من خصائص القرون الوسطى ، وأن أوربا تخلصت من تأثير هذين العاملين منذ عهد بعيد ...

إننى أعتقد أن كل ذلك مخالف لحقائق التاريخ وقوانين الاجتماع مخالفة صارخة : فإن عمل وحدة اللغة فى الحياة الاجتماعية والحوادث التاريخية ، يختلف عن عمل وحدة الدين اختلافاً كليًّا : يذكر التاريخ — بين حوادث القرون الوسطى والقرون التى تلتها — أمثلة كثيرة لعمل الدين فى السياسة ؛ كما يسجل وقائع عديدة تظهر تأثيرات مبدأ « حقوق الملوك » فى تكوين الدول وتوحيدها ؛ ويذكر أمثلة كثيرة لانضمام بعض الأقطار إلى أخرى ، بسبب وقائع التزاوج والتوارث التى حدثت بين الأسر المالكة . ولكنه لا يذكر — بين حوادث تلك القرون — مثالاً واحداً عن تكوين دولة على أساس « وحدة اللغة »

إن وحدة اللغة لم تصبح من القوى الفعالة فى تكوين الدول وتوجيه السياسات إلا فى القرن الأخير ، وإلا بعد أن فقدت « وحدة الدين » قوتها وتأثيرها فى هذا المضمار ... كما أن تأثير « وحدة اللغة » فى السياسة لم ينتهِ بانتهاء الفرق المذكور، بل ازداد شدة فى القرن الذى نعيش فيه ، وهو لا يزال مستمراً وشديداً...

ولهذه الأسباب أقول : إن قياس « وحدة اللغة » على « وحدة الدين » فى هذا المضمار ، والادعاء أنها فقدت تأثيرها السياسى وعملها التكوينى منذ عهد بعيد ... لا يتفق مع حقائق التاريخ ، بوجه من الوجوه ...

يقول المؤلف اثباتاً لمدعاه : إن السياسة شىء والدين شىء آخر . إنى أوافقه على قوله هذا ، ومع هذا أستغرب كيف يسوغ لنفسه أن يحشر اللغة مع الدين فى الفقرات التى تلى هذا الكلام !

فلنقل ولنصح مع المؤلف : إن السياسة شىء والدين شىء آخر ، ولكننا هل نستطيع أن نقول : إن السياسة شىء واللغة شىء آخر ؟ لا شك فى أننا نستطيع أن نقول للناس : ليحتفظ كل منكم بمعتقده الدينى لنفسه ؛ ولكن هل نستطيع أن نقول لهم : ليحتفظ كل منكم بلغته لنفسه ؟

يقول المؤلف : إن أوربا أقامت سياستها على المنافع الزمانية ؛ فهل يستطيع أن يدعى أن اللغة لا تدخل فى نطاق المنافع الزمانية ؟ إذا شك فى ذلك رجوت منه أن يتصور نفسه لحظة واحدة فرداً فى رعايا مملكة أجنبية ، لا يعرف شيئاً عن لغتها الرسمية ؛ ويستعرض أنواع المشاكل التي يقع فيها فى كل خطوة من خطوات حياته اليومية ؛ فليقل عندئذ هل اللغة خارجة عن نطاق الأمور الزمانية ؟

لننعم النظر فى سياسة الدول التى قطعت أبعد الأشواط فى فصل الدين عن السياسة ، وغالت أشد المغالاة فى حصر أعمال الدولة فى نطاق الأمور الزمانية : هل هى أقدمت على فصل اللغة أيضاً عن السياسة ؟ وهل تركت مسائل اللغة خارجة عن ساحة أعمال السلطات الزمانية ؟

إننى أعتقد اعتقاداً جازماً أن اللغة تختلف عن الدين فى وجوه الطبيعة الذاتية ، والتأثير النفسى ، والعمل الاجتماعى . إن عدم ملاحظة هذا الفرق الجوهرى — الموجود بين اللغة والدين — فى هذه الوجوه المختلفة ، قد عرّض المؤلف لأخطاء كبيرة ، وأوقفه مواقف يخالف فيها أثبت وقائع التاريخ ، وأظهر حقائق الاجتماع مخالفة صريحة

يحاول المؤلف أن يستشهد على أقواله الآنفة بتاريخ الإسلام أيضاً . غير أن محاولاته هذه لا تزيده إلا تغلغلاً فى الأغلاط وتباعداً عن حقائق التاريخ ...

٣ — يتحدث المؤلف عن اتصال مصر بأوربا ، وعن اندفاعها فى اقتباس الحضارة الأوربية معتبراً سهولة هذا الاتصال ، وسرعة هذا الاندفاع من الدلائل التى تبرهن على عدم وجود « فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربي »

غير أنه خلال ذلك يتطرق إلى « نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية » فى مصر ، ويبدى رأياً غريباً فى هذا الصدد إذ يقول :

« إن الذين أرادوا أن يستبدوا بأمور مصر فى العصر الحديث كانوا يذهبون مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ، أكثر مما كانوا يذهبون مذهب عبد الحميد وأمثاله » (الصفحة ٣٢)

فى اعتقادى أن هذا الرأى لا يستطيع أن يقاوم أبسط المناقشات

فلنفكر أولاً : ماذا يقصد المؤلف من تعبيرات « مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ومذهب عبد الحميد وأمثاله » ؟ إن ذلك يظهر بوضوح فى العبارات التى سبقت الفقرة الآنفة الذكر والتى تلتها . فقد قال المؤلف ، قبل الفقرة المذكورة : « إن نظام الحكم المطلق عندنا فى العصر الحديث كان متأثراً بنظام الحكم المطلق فى أوربا قبل انتشار النظام الديمقراطى ... وإن نظام الحكم المقيد عندنا كان متأثراً بنظم الحكم المقيد فى أوربا أيضاً ... »

كما قال بعد الفقرة المذكورة : « والذين أرادوا أن يحكموا مصر حكماً مقيداً بالعدل ، دون أن يشركوا الشعب معهم فى الحكم كانوا يتخذون لحكمهم قيوداً أوربية لا شرقية » لأنهم نقلوا نظم الإدارة والحكم من أوربا ، « ولم يستمدوه مما كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم فى القرون الوسطى ... »

بعد أن فهمنا بهذه الصورة ما يقصده المؤلف من هذه التعبيرات يقتضى أن نتوجه إليه بالأسئلة التالية :

هل يستطيع أن يدعى أن عبد الحميد لم يستند فى حكمه واستبداده إلى نظم أوروبية ؟ وهل يستطيع أن يقول بأن بلاط القاهرة لم يتأثر ببلاط الآستانة ؟

أما أنا فأستطيع أن أبرهن بكل سهولة أن حكم عبد الحميد أيضاً لم يكن من النوع الذى كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم فى القرون الوسطى » ، وعلى أن استبداده أيضاً كان متأثراً إلى حد بعيد « بنظام الحكم المطلق فى أوربا » كما أستطيع أن أبرهن على أن تأثيرات الآستانة فى القاهرة كانت واضحة جداً .

...مع هذا أرى من الضرورى أن أسأل : ما الفائدة من إثارة هذه المسائل فى هذا المقام ؟ وهل من علاقة منطقية وعلمية بينها ، وبين المسألة الأصلية التى يعالجها المؤلف فى الصفحات التى ذكرناها ؟

هذه ثلاثة نماذج واضحة على « المباحث الاستطرادية » التى كثيراً ما يحشرها المؤلف بين مباحثه الأصلية ، ويورط نفسه من جرائها فى أغلاط كبيرة . . .

من المعلوم أن « التفكير العلمى » يتطلب تحليل المسائل ، وتجزئة المشاكل ، ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة . وأما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه حسين فى أبحاثه هذه — فى أكثر الأحيان — فمعكوسة لذلك تماماً : لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فيزيدها بذلك تعقيداً وإشكالاً . . . وكثيراً ما يحاول أن يبرهن على كل قضية بمجموعة قضايا أخرى أكثر حاجة إلى البحث والبرهنة من القضية الأصلية نفسها .

— ٣ —

بعد الانتقادات التى سردتها آنفاً ، اعتراضاً على بعض الآراء

التي دونها الدكتور طه حسين في الصفحات السبعين الأولى من كتابه، خلال درسه للمسألة المبحوث عنها - أعني مسألة العقل المصري، والعقل الأوربي - لا بد لي من أن أنقل البحث إلى وجهة نظر أخرى، فأقول كلمة في بعض النقائص التي ألاحظها على بحوث المؤلف في هذا الباب، من جراء عدم التفاته إلى بعض الأمور المهمة، بالرغم من شدة علاقتها بالموضوع، وبالرغم من ضرورة ملاحظتها لإتمام بحث المسألة من جميع وجوهها.

لا شك في أن الطريقة المثلى لدرس مثل هذه المسائل درساً علمياً، وحلها حلاً منطقياً، هي طريقة الاستقراء والمقارنة: إجراء مقارنة مباشرة بين الشرق والغرب - بين مصر وأوربا -، من حيث العقل والثقافة والطبع والمزاج، واستعراض الفروق والمشابهات التي تتجلى بينهما من هذه الوجوه المختلفة؛ ثم البحث عن جوهرية وعدم جوهرية الفروق المذكورة، وذلك على أساس مقارنتها بالفروق التي تلاحظ بين الأمم الأوربية المختلفة من جهة وبين ماضي تلك الأمم وحاضرها من جهة أخرى...

إن الدكتور طه حسين بقي بعيداً عن هذه الطريقة من أول أبحاثه هذه إلى آخرها.

وقد نجم عن هذا الابتعاد نقصان خطيران:

أولاً: لم يلتفت المؤلف إلى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب، وهي التي تشاهد بينهما من وجهة نظم الأسرة وأوضاع المرأة، والأوصاف النفسية - الخلقية والعقلية - التي تتبع تلك النظم والأوضاع...

ثانياً: لم يذكر المؤلف شيئاً عن الآراء المستندة إلى الاختبارات العقلية ومقاييس الذكاء...

ومما يزيد في خطورة هذا النقص الأخير هو أن بعض هذه الآراء كانت حامت حول مصر مباشرة، واستندت إلى الاختبارات التي أجريت في مصر على جماعة من المصريين، بمساعدة جماعة من كلية الآداب المصرية نفسها، كما سيظهر للقارئ من التفاصيل التالية:

كانت الحكومة المصرية قد استدعت الدكتور كلاباريد - أستاذ علم النفس في جامعة جنيف، وأحد أساطين هذا العلم في العالم - قبل نحو عشر سنوات؛ وطلبت منه أن يدرس المدارس المصرية، ويبدي لها آراءه في بعض المسائل المتعلقة بوجوه إصلاحها. فأراد الأستاذ المشار إليه أن يستفيد من وجوده في مصر لهذا الغرض، لدرس «العقل المصري» درساً علمياً. وقام بسلسلة اختبارات عقلية بمساعدة جماعة من المعلمين والطلبة؛ وتوصل من اختباراته هذه إلى نتيجة تستلفت الأنظار: فقد لاحظ أن معادل الذكاء في مصر يكون سوياً عند الصغار؛ غير أنه يأخذ في التأخر والهبوط عن المستوى الطبيعي المعروف في أوربا بسرعة غريبة بعد سن الطفولة... اهتم الدكتور كلاباريد بهذه النتيجة وأعلم بها زملاءه في معهد جان جاك روسو في جنيف قبل أن ينتهي من مهمته في مصر؛ وهؤلاء نشروا رسالته هذه في مجلة «المربي» التي تصدر في لوزان... هذه المسألة عكست بعد مدة على الصحافة المصرية فنشرت مجلة الهلال مقالة لأحد الأساتذة يشرح فيها الاختبارات المبحوث عنها ويحاول تعليل النتيجة المذكورة بفرضية يراها (الدكتور منصور فهمي - الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩)

أفليس من الغريب ألا نجد أية إشارة كانت إلى هذه المباحث في كتاب الدكتور طه حسين بين صحائفه الكثيرة المخصصة لدرس مسألة «وجود وعدم وجود فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي»؟ يتطرف الدكتور في كتابه هذا - خلال بحث هذه المسألة - إلى أمور متنوعة جداً.. في مباحث التاريخ القديم إلى مسائل السياسة والدين.. من ثقافة الصين إلى مدرسة الاسكندرية... من حكم لويس الرابع عشر إلى استبداد عبد الحميد... من أسباب انحلال الدولة الإسلامية في القرون الوسطى إلى أساليب الحكم المقيد في مصر ... من تأثير الديانة المسيحية في تكوين العقلية الأوربية إلى نظر الإسلام إلى المسيحية ... من انقطاع التجارة بين الشرق والغرب في القرون الوسطى إلى دخول الراديو إلى الأزهر الشريف في العصر الحاضر... يتطرف الدكتور إلى مسائل لا تعد ولا تحصى... ولا يشير إلى البحث العلمي الذي ذكرناه آنفاً مع أنه يتعلق بموضوع درسه مباشرة!

إنني لا أذكر اختبارات كلاباريد وآراءه في هذا المقام اقتناعاً بها أو تصويباً لها، بل أصرح بهذه المناسبة بأنني كنت من المعترضين عليها، فقد انتقدت تلك الاختبارات في حينها، وأظهرت مواطن الخطأ فيها، واعترضت على ما نشر في الهلال في شأنها، واستندت في ذلك إلى الاختبارات العقلية المتنوعة التي قمت بها بنفسي في مدارس بغداد (مجلة التربية والتعليم الجزء ٢٤ ص ١٥٤ - نيسان ١٩٣٠ الجزء ٢٧ ص ٣٩٩ - كانون الأول ١٩٣٠)

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

مشكلة اليهود في العالم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إن الذى يدرس تاريخ اليهود من قديم الزمن يعرف أن العوامل التى تتنازع سياستهم ليست حديثة العهد، وأن مواقف الأمم الأخرى منهم فى هـذا العصر كانت لها أشباه ونظائر فى عصور التاريخ المختلفة فى عهد قدماء المصريين والبابليين والأشوريين والفرس والإغريق والرومان. فمسألة اليهود كانت موجودة حتى قبل أن يفقدوا استقلال شعبهم وقبل أن يخرب طيطوس ابن الأمبراطور الرومانى فسباسيان معبدهم وقبل أن يقضى على أورشليم، وقبل أن يتشتت اليهود فى العالم [1]. بل هى كانت موجودة قبل ذلك عند أسرهم، ونقل الكثير منهم إلى بابل وهو المعروف فى التاريخ باسم أسر بابل [2] وكانت موجودة عند ما سمح

(١) كان اليهود منتشرين فى العالم المتحضر من قديم الزمن قبل سقوط أورشليم، وأحيانا كان بعضهم يتخذ جنسية أخرى ويرقى أعظم المناصب فى الأمم الأخرى القديمة وحاولوا قديما السيطرة على الأسواق المالية كما يفعلون الآن

(٢) فى عهد بختنصر الكلدانى

كما أصرح بأن الاختبارات الأخيرة كانت أعطتنى نتائج مماثلة لنتائج الاختبارات التى جرت فى أوربا وأميركا تمام المماثلة (مجلة التربية والتعليم - الجزء ١٩ . ص ٣٠٣ . حزيران ٩٢٩)

فلم أذكر اختبارات الدكتور كلاباريد هنا، لأردّ بها على رأى الدكتور طه حسين. وإنما ذكرتها لأظهر للعيان (بمثال آخر وبوضوح أكبر) ما فى خطة البحث التى سار عليها الدكتور من الغرابة والنقص...

أعتقد أن الانتقادات التى سردتها آنفاً عن المسألة الأولى فى المسائل التى حاول الدكتور طه حسين درسها ومعالجتها فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » تكفى لإعطاء فكرة عامة عن حظ الكتاب المذكور من القيمة العلمية ..

واستناداً إلى كل ذلك، أكرر ما قلته فى مقدمة هذا المقال:

إن كتاب مستقبل الثقافة فى مصر، يتألف فى حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات، قليلة التناسق وكثيرة التداخل. يبدو على جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات...

(برمانا) **أبو خلدون**

لهم قورش ملك الفرس بالعودة وإعادة بناء أورشليم، وعندما شجعهم فى أعمالهم المالية كى ينشط التجارة فى دولته. ويتنازع نفوس اليهود من قديم الزمن عاملان: النزعة المالية، والنزعة الشعبية المصطبغة بصبغة دينية. وقد كانت متاعب اليهود قديماً وحديثاً ناشئة من استفحال النزعتين وتنازعهما نفوسهما؛ فتارة يوقعهم الغلو فى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية فى نزاع مع الدول الأخرى، وتارة يوقعهم الغلو فى النزعة المالية فى ذلك النزاع. وقد كانت النزعة المالية تظهر فى نفوسهم فى بعض الأحايين بمظهر اقتصادى مالى فيحاولون السيطرة على أسواق العالم المالية، وتارة تظهر النزعة المالية بمظهر الدعوة إلى مُثُل عليا. وكان بعضهم يريد قصر تحقيق هذه المثل العليا على اليهود، وهؤلاء هم الذين كانوا يناصرون النزعة الشعبية الدينية، وبعضهم لا يريد قصرها على اليهود بل تعميمها فى العالم. والغريب فى أمرهم أنه بالرغم من الشاحنات والاقتتال الذى كان يحدث قديماً بين اليهود من أنصار المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية وبين أنصار النزعة العالمية، وبالرغم من أن النزعة العالمية فى نفوس بعضهم كانت تتخذ مظهر الأثرة المالية والطباع الدنيوية الراغبة فى الربح المالى قبل كل شىء، وهى طباع تخالف نزعة المثل العليا وتخالف التضحية فى سبيل تحقيقها، فإن كثيراً منهم كان يحاول التوفيق فى نفسه بين النزعتين المتناقضتين أو يحن تارة إلى هذه وتارة إلى تلك، كما أن بعضهم كان يحاول الاستفادة لنفسه أو للشعب اليهودى من النزعتين المتناقضتين معاً. فاليهودى الذى يميل إلى المثل العليا أو الذى يميل إلى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية لا يرى حرجاً فى أن يلتجئ إلى صاحب النزعة العالمية المالية والطباع الدنيوية لاستخدام ماله وسلطته فى سبيل تحقيق مثله العليا أو فى سبيل المحافظة على التقاليد الشعبية الدينية الضيقة التى ترفض النزعة العالمية، كما أن صاحب الطباع الدنيوية والأثرة المالية لا يرى تناقضاً فى خطته إذا حن إلى المثل العليا التى قد تخالف نزعة أثرته الدنيوية، أو إذا ساعد فى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية الضيقة التى تخالف نزعته العالمية الدنيوية، وربما حن إلى المثل العليا ذلك الحنين الذى يدعو إلى التضحية فى سبيلها فى الوقت الذى يستثمر الدعوة إلى تلك المثل العليا لكسب المال وزيادة نفوذه الاقتصادى.

واجتماع هذه النزعات المختلفة فى النفس الواحدة ليس مقصوراً على اليهودى فهى طباع النفوس البشرية عامة، ولكن هذا التناقض

أظهر ما يكون في اليهود لتلوم في النزعتين المتناقضتين غلواً يظهر الفرق بينهما في نفوسهم أكبر منه في نفوس غيرهم. وقد ظهر اليهود قديماً وحديثاً ظهوراً كبيراً في مناصرة النزعتين المتناقضتين، وهذا أدى كما ذكرت إلى مشاحنات بين طوائفهم وإلى مشاحنات بينهم وبين الأمم. وقد ظهرت النزعة العالمية في حياة اليهود على اختلاف مظهري تلك النزعة أي المظهر المالي الاقتصادي ومظهر المثل العليا قبل أن يفقد اليهود كل سلطة سياسية في حكم فلسطين. فظهرت في دولة الفرس[1] وظهرت في دولة الرومان[2]

على أن فقدانهم كل سلطة سياسية في حكومة فلسطين لم يوهن النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم وإن كان قد ساعد على استفحال النزعة العالمية. وتحريم الكنيسة المسيحية على المسيحيين تقاضي الربح عند تسليف النقود واعتباره ربا أدى إلى ما يشبه احتكاراً من اليهود للمعاملات المالية وإلى سيطرتهم على الأسواق المالية في أوربا، وهذا قوى النزعة العالمية في نفوسهم كما أدت النزعة الشعبية الدينية إلى مناصرة بعضهم بعضاً؛ وزادت هذه المناصرة إذ وجدوا أنفسهم قلة يهودية في وسط كثرة غير يهودية من الشعوب التي هاجروا إليها. وشأن القلة من الطوائف التعاون حتى لا تغمرها الكثرة ولا سيما إذا كانت الكثرة كثرة تبغض القلة. وزاد البغض الديني في نفوس الكثرة أولاً استيلاء اليهود على الأسواق المالية بالتسليف؛ وثانياً عواقب مناصرة اليهود بعضهم لبعض من استيلائهم على كثير من المهن التي تحتاج إلى الأعمال الفكرية والاستعداد العلمي والفني. وبالرغم من أن بعض اليهود حاول معالجة هذا البغض والقضاء على الكره الذي كان غير اليهود يشعرون به نحوهم بالاندماج في الأجناس الأوربية اندماجاً تاماً، فإن الكثرة من اليهود بقيت محافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية. ولو أن النزعة العالمية غلبت على نفوسهم كل الغلبة لتمكنوا من الاندماج في الشعوب التي استوطنوا أرضها. وهذا الاندماج كان ينسى تلك الشعوب أن اليهود في أصلهم أجانب، وهذا كان يزيل البغض الذي كانت آحاد تلك الشعوب تشعر به نحوهم، وكان يستطيع اليهود أن ينموا بميزة القدرة على كسب المال، ولكن ربما كانت تلك القدرة تقل لو تم ذلك الاندماج لأنه كان ينسيهم اختلاف جنسهم عن الأجناس الأخرى؛ فكان يقضي على مناصرة بعضهم لبعض، وعلى تعاونهم للسيطرة على الأسواق المالية، وعلى المهن الفكرية والعلمية.

وبقاء النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم أدى إلى فكرة الصهيونية[1] التي تدعو إلى العودة إلى حكم فلسطين. وهذه الفكرة كانت في أول أمرها مثلاً أعلى كالمثل العليا تحلم بها الإنسانية ولا تحقق. وهذه الفكرة الصهيونية زادت اعتقاد آحاد الشعوب الأوربية أن اليهود بينهم — وإن تجنسوا بجنس غير جنسهم، وإن ضحوا في الحروب وفي غير الحروب لمناصرة الجنس الجديد الذي تجنسوا به — إنما هم أجانب بالرغم من ذلك، وأنهم يعدون أنفسهم أجانب.

وهذه الفكرة الصهيونية مخالفة لمصالح اليهود الاقتصادية؛ فإن قطراً كفلسطين ربما كان يصلح لاستيطانهم قديماً عند ما كانوا قليلين وعلى حالة قريبة من البداوة، وعند ما كانوا هم الكثرة الغالبة فيه. أما الآن فقد زاد عددهم في العالم وتعددت فوائدهم ومنافعهم العالمية، وصار في هذا القطر كثرة غير كثرتهم من العرب الذين وراء كثرتهم في فلسطين كثرة عربية أخرى في الأقطار المجاورة. ولو خلت فلسطين لليهود لما استطاعت أن تؤوي غير عدد قليل من الملايين العديدة من اليهود. وفي العالم بقاع شاسعة أكثر خصباً تحكمها انجلترة وغيرها من الأمم المناصرة لليهود. فلا يمكن أن يقال إذاً إن الضرورة والأسباب الدنيوية هي التي تقضي بإسكان المهاجرين اليهود في فلسطين ... لا، بل تشبث اليهود بفلسطين هو تشبث بتلك النزعة الشعبية الدينية التي تفضل التقاليد القديمة والتي تحاول أن تعكس دورة الزمن وأن تعيد العالم كما كان في بدايته وأن تتجاهل حقائق الحياة. وهذا من قبيل التشبث، في أمور الحياة لا في عواطف النفس وحدها، بمثل أعلى لا يمكن تحقيقه. وهذا التشبث كما قلنا

---

(١) بعد عودتهم من بابل استخدموا الثقافة التي استفادوها هناك لدواع دينية وزادتهم محنة الأسر رغبة في المثل العليا

(٢) كالمثل العليا العالمية في المسيحية وقد انتشرت أولا بين اليهود ثم انتقلت منهم إلى غيرهم. وقد ساعد هذا العامل النفساني لقبول الدعوة لرغبة في إعادة استقلالهم.

(١) من قديم الزمن كانت تتازع فكرة الصهيونية والتشبث بالمعبد الأورشليمي فكرة اعتبار المعبد في نفس كل يهودي، وظهرت هذه الفكرة للساوي واستئناف الحياة الدينية أولا عند بعض من فر إلى مصر بعد غزوة بختنصر الكلداني، وثانيا بعد تخريب طيطوس الروماني للمعبد وسقوط أورشليم.

جناية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

- ٨ -

عرف الناس ما كان من انزعاج الأستاذ أحمد أمين من كلمة الحق، وفهموا أنه تجلد وتصبَّر إلى أن عجز عن التجلد والتصبر، وللطاقة الإنسانية حدود

وما كنت أحسب أن الأيام ستقهر الأستاذ أحمد أمين على أن يهددني بأبيات فيها لوثة جاهلية، وهو الذي دعا الأمم العربية إلى وضع آثار الشعر الجاهلي في « متحف » لا يدخله الناس إلا بعد استئذان !

ويعز علي والله أن ينزعج الأستاذ أحمد أمين وأن يدّعى أنه تلقى رسائل من مختلف الأقطار العربية فيها سباب موجه إلى من هجم عليه في مجلة (الرسالة) . فهذا الادعاء يشهد بأنه يعجز عن الصدق في بعض الأحيان

لو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف عواقب ما يصنع لفهم أن الأمر كان يجب أن يكون بالعكس : فهو يجني على ماضي الأدب العربي بأحكامه الخواطئ، ويحتال لإفهام الجمهور أن أدباء العرب لم يكونوا أصحاب أرواح، وإنما كانوا أصحاب معدات . وأنا أدفع تلك التهم وأصحح ما وقع في كلامه من أغلاط

فمن الذي يستحق اللوم والسباب في هذه القضية ؟

لو فرضنا جدلاً أني أشاغب الأستاذ أحمد أمين لكان من الذوق أن يتلقى العرب هذه الشاغبة بالقبول ، لأن فيها تمجيداً لماضي الأمة العربية

ولو فرضنا جدلاً أن الأستاذ أحمد أمين على حق في السخرية من ماضي الأدب العربي لكان من الطبيعي ألا يستريح العرب إلى ذلك الحق ، لأن الأبناء الأبرار يجسّمون محاسن آبائهم ويتغاضون عما قد يكون فيهم من عيوب

والأمر ليس كذلك في هذه القضية : فالأستاذ أحمد أمين لم يكن في جانب الحق حين قال في الاستهزاء بالأدب العربي ما قال، وأنا كنت وما زلت في جانب الحق حين حكمت بأن الأدب العربي أدب أصيل ، وأنه خليقٌ بالخلود

الأستاذ أحمد أمين روّح عن نفسه بذلك الادعاء الطريف ليوهم القراء بأن أدباء العرب في مختلف الأقطار قد توجعوا له أشد التوجع ، وتعرضوا لخصمه بالشتم والسباب ، كأن أدباء العرب لم يبق لهم مأرب يحرصون عليه غير حماية أحمد أمين من كلمة الحق !

ولنفرض جدلاً أن أدباء العرب جميعاً وقفوا في صف هذا « الأديب » فهل يتوهم أنه سينجو من قلمي حين ينحرف عن الصواب ؟

لقد سرني والله أن يتطاول على صاحب « الرسالة » وأن يتهمه بسوء النية في نشر هذه المقالات ؛ فصاحب « الرسالة » قد آذاني أشد الإيذاء حين استباح أن يحذف من المقالات الماضية بعض الفقرات ، ليظل مهذَّباً مؤدَّباً كصديقه المهذَّب المؤدَّب أحمد أمين !

كم تلطفتُ وترفقتُ في موطن لا يجوز فيه لطفٌ ولا رفق، ثم كان جزائي أن يقال إن أدباء العرب غضبوا عليّ وسبُّوني لأني جهرت بكلمة الحق !

ومع ذلك فما الذي يؤذيكم مني يا أحفاد يعرُب وقحطان ؟

طالما أوقع اليهود قديماً وحديثاً في قتال ونزاع مع الأجناس المجاورة، وطالما أدى إلى ضياع فائدة اليهود الدنيوية الحقيقية . ولكن حقائق الحياة والضرورة قد تغرى اليهود بقبول الاستيطان في بقعة أخصب من فلسطين وأقل سكاناً وأوسع رقعة . ويمكن إرضاء العاطفة الشعبية بأن يسمي ذلك الوطن الجديد (فلسطين الجديدة) أو (صهيون) وأن ينشئوا فيها مدناً تسمى بأسماء المدن القديمة في فلسطين القديمة . ويمكن إرضاء النزعة الدينية بأن ينقلوا من الأحجار والآثار المقدسة ، ومن تربة أرض فلسطين القديمة إلى فلسطين الجديدة ما يقدس به الهيكل الجديد وما هو ضروري للدفن الديني المقدس . وهذا الحل يجمع بين إرضاء العاطفة وبين الفائدة الاقتصادية

عبد الرحمن شكري

أليس فى مقدوركم أن تحتملوا أديباً جنى على نفسه وعلى معاشه ليرفع راية النقد الأدبى ؟

أليس فى مقدوركم أن تحتملوا أديباً يقتل أعصابه فى أوقات القيظ ليردّ عادية العادين على اللغة العربية ؟

ألا تستطيعون أن تغفروا زلة رجل جهل أخلاق الزمان فاعتصم بالحق والعدل ؟

لقد حدثنى عنكم أحمد أمين بما لا أحب ولا تحبون

فإن كان صدق فيما حكاه فغفر الله لكم ! وإن كان تزيّد فعفا الله عنه !

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

***

أما بعد فقد كان السياق يوجب أن تكون كلمة اليوم فى نقض ما ادعاه أحمد أمين على الأدب الأندلسي من الجمود أمام الطبيعة الفاتنة فى تلك البلاد

ولكنى أحببت أن أقف وقفة قصيرة عند إحساس العرب بالطبيعة وبالوجود

يعرف كل من اطلع على كتب الأدب أن الشعراء كانوا يتواصون عند خمود القريحة بالنظر إلى المياه الجارية ، والرياض الحاليـة .

ومعنى ذلك أنهم كانوا يفهمون أن النظر إلى جمال الوجود يوقظ العواطف ويُرهف الأحاسيس

وهذا يشرح السبب فى غرام العرب بافتتاح القصائد بالنسيب لأنهم كانوا يدركون أن تأثر الشاعر بأقوى مظاهر الطبيعة وهو الجمال يوجه إحساسهم إلى مختلف الأغراض

ومَثَل الشاعر فى ذلك مَثَل المغنّى . فالمغنى يجلس فى هدوء ثم تصدح حوله الموسيقا بأصوات مختلفات ، ويظل كذلك إلى أن يستيقظ ما كان غفا من أحلام القلب والروح فينطلق فى النشيد

وكذلك كان شعراء العرب : كانوا يهيمون بالرياض الحالية، أو الديار العافية ، أو المياه الجارية ، قبل أن يشرعوا فى نظم القصائد . فإذا أخذوا فى النظم بدأوا بالجوانب الدقيقة من ذوات أنفسهم وقلوبهم ليواجهوا الأغراض المنشودة وهم فى فَوْرة من طغيان العواطف وعنفوان الأحاسيس

ألا يشهد ذلك بأن شعراء العرب كانوا يدركون قيمة الطبيعة فى إذكاء الأرواح وإرهاف القلوب ؟

وهل فكر أحمد أمين فى شىء من ذلك ؟

هل خطر فى باله أن شعراء العرب فى الأعصر الخالية كانوا تعلقوا أشد التعلق بالسياحات والرحلات حتى صار من النادر أن يقر شاعر فى بلده إلى أن يموت ؟

قد يقال إن ذلك كان سعياً فى طلب الرزق

ونجيب بأن الشعراء كانت لهم غايات أعظم من طلب الرزق ، فقد كانوا يستأنسون بالبلاد والبحار والأنهار والجبال حتى ليمكن القول بأن دواوينهم فى بعض مناحيها تشبه الخرائط الجغرافية .

وهل نسيتم قصيدة المتنبي فى شعب بوان ؟ هل نسيتم قصيدة البحترى فى إيوان كسرى ؟ هل نسيتم قصائد الأندلسيين فى أهرام مصر ؟ هل نسيتم قصائد الشريف الرضى فى أطلال الحيرة ؟ هل نسيتم قصيدة الأنطاكى فى ليالى الجزيرة والنيل ؟ هل نسيتم ألوف القصائد التى سجلت أهواء الشعراء فى الحنين إلى معاهد الأنس والوصال ؟

لقد هجر ابن زريق وطنه فى طلب الرزق ، فهل عرفتم كيف اكتوى بالتشوق إليه يوم مات ؟

إن الذى يحكم بأن شعراء العرب لم يحسوا الطبيعة ولم يتغنوا بأفانين الوجود لا يكون إلا رجلاً حرمه الله نعمة الفهم العميق لأسرار الشعر والبيان

لقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن الشعراء فى العصر الأموى والعباسى قلدوا شعراء الجاهلية فى وصف الرسوم والطلول

فهل نستطيع أن ندله على أن هيام أولئك الشعراء بوصف الرسوم الهوامد ، والطلول العافية ، ليس إلا تعلقاً بالطبيعة فى جانبها الباكى الحزين ؟

إن صديقنا أحمد أمين لم يفهم كيف وقف أبو نواس على الطلول ، بعد أن سخر ممن يقفون على الطلول وهو يرى ذلك رجعة إلى التقاليد الجاهلية . فهل يظن أن الطلول كانت انقرضت لعهد أبي نواس ولم يبق إلا العمران الباقى على الزمان ؟

فما رأيه إذا حدثته بأن صور الطلول لا تزال باقية إلى اليوم ؟

أشهد صادقاً أنى ما مررت بشارع الرملة فى مصر الجديدة إلا خفق القلب لرسم كان لى فيه صديق أضاعه القلم الجموح

أشهد صادقاً أني أتلفت من حين إلى حين وأنا أخترق شوارع مصر الجديدة عساني أرى الصديق الذي كنت أسايره لحظات أو ساعات ونحن نتعقب بالنقد اللاذع أحوال الدنيا والناس

فكيف يكون حالي لو نظمت قصيدة في التوجع لتلك الدار التي صارت رسماً بعد أن صنعتُ في تجريح صاحبها ما صنعت ؟

وهل يمكن القول بأن ابن المعتز كان يقلد شعراء الجاهلية حين قال :

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ ... يا دار جادك وابل وسقاكِ
بؤساً لدهر غيرتكِ صروفه ... لم يمح من قلبي الهوى ومحاك
لم يحل للعينين بعدك منظرٌ ... ذُمّ المنازل كلهن سواك
أي المعاهد منك أندب طيبهُ ... ممساك بالآصال أم مغداك
أم برد ظلك ذي الغصون وذي الجنى ... أم أرضك الميثاء أم رياكِ
وكأنما سُطعت مجامر عنبر ... أو فُتّ فار المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ ... وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأن درعاً مفرغاً من فضة ... ماء الغدير جرت عليه صَباك

وقد ترجمتُ هذه الأبيات إلى الفرنسية في النسخة الفرنسية من كتاب النثر الفني فعدّها الفرنسيون من أصدق ما تحدثت به القلوب

فهل يرى صديقنا أحمد أمين أن هذه القصيدة لا تمثل إحساس الشعراء بالوجود ؟

وهل يمكن الشك في قول ابن سنان الخفاجي :

ولما وقفنا بالديار وعندنا ... مدامع نسديها لكم ونثيرها
شكونا إليها ما لقينا من الضنى ... فعرّفنا كيف السقام دثورها
وقد درست إلا أمارة ذاكر ... تلوح له بعد التمادي سطورها
خليليّ قد عمّ الأسى وتقاسمتْ ... فنون البلى عشاق ليلى ودورها
فلا دار إلا دمنة ورسومها ... ولا نفس إلا لوعةٌ وزفيرها
لعمر الليالي ما حمدت قديمها ... فيوحشني ذهابها وسرورها
وقالوا عطاء الدهر يبلى جديده ... ومن لي بدنيا لا يزول سرورها

فهذا شاعر لا يكتفي بأن يقول إنه يحسّ الطبيعة ، وإنما يؤكد أن الطبيعة توجعت لمن يهواه ، وذلك غاية الغايات في الإحساس بالوجود

وكذلك صنع الشاعر الذي قال :

تعفو المنازل إن نأوا ... عنها وتغبرّ البلادُ
والحيُّ أولى بالبلى ... شوقاً إذا بليَ الجمادُ

فمن الذي يستطيع أن يحكم بعد هذه الشواهد بأن شعراء العرب لم يحسوا معاني الوجود ؟ ومن الذي ينكر صدق اللوعة على ابن الخياط إذ يقول :

وقفت أداري الوجد خوف مدامع ... تبيح من السر الممنّع ما أحمي
أغالب بالشك اليقين صبابةً ... وأدفع من صدر الحقيقة بالوهم
فلما أبى إلا البكاء ليَ الأسى ... بكيتُ فما أبقيتُ للرسم من رسم
كأني بأجزاء النقيبة مُسْلِمُ ... إلى ثأر لا يعرف الصفح عن جُرم
لقد وجدت وجدي الديار بأهلها ... ولو لم تجد وجدي لما سقمت سقمي
عليهن وسمٌ للفراق وإنما ... عليّ له ما ليس للنار من وسم
وكم قسمٌ البين الضنى بين منزل ... وبيني ولكن الهوى جائر القسم
منازلُ أدراسٌ شجاني نحولها ... فهلاّ شجاها ناحل القلب والجسم ؟

فما رأى الأستاذ أحمد أمين في هذا الشعر النفيس ؟ وهل خطر في باله أن شعراء العرب لهم أمثال هذه المعاني ؟

أنا أخاطب رجلاً من أساتذة كلية الآداب ، ولولا ذلك لشرحت ما في هذه القصيدة من شواهد الإحساس بقدرة الطبيعة على تذوق البؤس والنعيم

وهل اتفق لشاعر في شرق أو في غرب أن يصل إلى قول بعض الأعراب في توديع نجد :

أقول لصاحبي والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحي نجداً ... وأنت على زمانك غير زار
شهورٌ ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سِرار

ولكن الأستاذ أحمد أمين قد يتهمنا بالتعصب للأدب العربي ويقول إننا ننظر إليه بعين المحب ، فهل يستطيع أن يدلنا على شاعر أوربي توجع لفراق النعيم في وطنه مثل هذا التوجع ؟

إن العرب لم يسودوا من باب المصادفات ، وإنما سادوا لأن

لهم عبقرية ذاتية قضت بأن يسيطروا على العالم زمناً غير قليل . وقد دالت دولة العرب أكثر من عشرة قرون ، ومع ذلك بقيت سلطتهم الأدبية والروحية . فهم سادة لمئات من الملايين وإن لم يبق لهم عرش ولا تاج

وقد تحذلق المتحذلقون فقالوا إن الفقه الإسلامي صورة من الفقه الروماني ، فهل هذا صحيح يا بنى آدم من أدعياء العلم بأصول الشرائع ؟

إن العرب سادوا بحق ، وقد تركوا ثروة أدبية وفلسفية وتشريعية لا يغض من قدرها إلا حاقد أو جهول

فتى نرجع إلى أنفسنا لنبحث عن الميراث النبيل الذي ورثناه عن أسلافنا النبلاء ؟

لقد سمعتم وسمعنا كيف بغى الأسبانيون بعضهم على بعض ، وكيف فصل فى تلك المعارك الدامية بعد نحو ثلاث سنين

فهل تذكرون أن أسلافنا صبروا على المعارك الأسبانية نحو ثمانية قرون ؟

وهل كان ذلك إلا لأنهم شعروا بأن الأندلس قطعة من أرواحهم وقلوبهم ؟ فكيف تحكمون بأنهم لم يحسّوا الطبيعة ولم يتشبثوا بالوجود ؟

إن العرب فى أغلب أحوالهم عاشوا عيشة جافية قضت عليهم بأن يتلمسوا مساقط الغيث ، فكيف يقال إنهم لم يحسّوا الطبيعة إلا بطريق سطحية ؟

أكتب هذا وأنا أعرف أن الأستاذ أحمد أمين سيهز كتفيه ويقول : « هذه خطابيات يراد بها اكتساب عواطف الجمهور ! »

إن قال ذلك فسأحيله على تاريخ يحيى بن طالب

فهل يعرف من هو يحيى بن طالب ؟

وكيف يجهله وهو يتصدر لتدريس الأدب العربي بكلية الآداب؟

إن يحيى بن طالب أحس الطبيعة وأحس الوجود إحساساً نادر المثال ، وهو وحده كاف للزكاة عن الأدب العربي ، وقد اتهمه من لم يعرفوه بأنه خال من وصف مظاهر الطبيعة وأشكال الوجود

فهل ننتظر أن يظفر هذا الشاعر بفصل نفيس من « فصول » أحمد أمين ؟

لو كان صديقنا العزيز أحمد أمين قد اطلع على الأدب العربي لتذكر نخلتى حلوان فى شعر مطيع بن إياس ، وكان لهما فى حياة الخلفاء أحاديث يذكرها بالدمع من قرأ معجم البلدان . ولكن أين أحمد أمين من هذه الشؤون وهو مفتون بالحذلقة والإغراب ؟

إن أحمد أمين لا يجنى على الأدب العربي ، وإنما يجنى على نفسه حين يزعم أن التشبيهات ليست إلا ألاعيب

ولو كان من أهل الخبرة بدقائق الأشياء ، لعرف أن التشبيهات من أصدق الشواهد على تعلق العرب بالطبيعة وبالوجود

ولن أشرح له هذا المعنى إلا يوم يعرف أن من واجب المرء أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد . وقد تلوح فرصة قريبة فأشرح هذا المعنى لمن يهمهم أن يعرفوا كيف تغيب حقائق الأدب عن هذا « الأديب » وهل نكتم ما نعرف مكايدةً للصديق أحمد أمين ؟

* * *

لقد استطعنا بحول الله وقوته أن نبدد الشبهات التى أثارها حول الأدب العربي من يجهلونه كل الجهل أو بعض الجهل

فلنأخذ بعد ذلك فى رفع التهمة عن الأدب الأندلسي ليعرف من لم يكن يعرف أنه خليق بأن ينصب له كرسى خاص فى كلية الآداب .

والأمل كبير فى أن يغفر الأستاذ أحمد أمين جنايتنا عليه حين أفهمناه أن فى مصر ناساً يقرأون ويحكمون

فإن كان قد استمرأ العافية من سكوت النقاد بضع سنين فليعرف أن ذلك حلم تبدد ، ونعيم ضاع ، وعليه أن يستقبل المكاره بعزائم الرجال

والله وحده يعلم أنى لم أرد بهذا النقد غير وجه الحق ، ومنه وحده أنتظر حسن الجزاء

« للحديث شجون » زكى مبارك

النبوة ـ الوحى ـ المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

نعم ! إن المعجزة الحسية لا علاقة لها بالإقناع عند أكثر من لم يقتنع بالحجج الفكرية ، وأغلب ظنى أنها ما أجريت للإقناع ، بل لتعجيز المكابرين وأخذ طرق الإنكار عليهم ، حتى لا يفلتوا إلى عذر بعدها ، وحتى يحملوا حملاً على الإيمان . ولذلك كانت هى الدور الأخير من حجج الرسل بعد أن تعييهم لجاجة الناس . فموسى مثلاً كما حكى القرآن : دعا فرعون للإيمان بالله عن طريق العقل فى أول الأمر ، فلما كذبه وهدده بالسجن . قال : « أو لو جئتك بشىء مبين » وألقى عصاه . . . إلى آخر القصة . وكذلك سلك كل رسول من أصحاب المعجزات . فهى كانت آخر سهم فى كنانة الرسول أمام المتعنتين . ولم تكن ذات أثر كبير فى حمل بقية الناس على الإيمان كما حكى القرآن . قال : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » . . . والجملة الأخيرة من الآية تدل على أن المعجزة لم يكن ورودها للإقناع ، فهى إنما أجريت لإتمام الحجة وابتذال كل شىء ، حتى قوانين الفطرة فى سبيل غاية الحياة العظمى — وهى الإيمان — فالذى لا يقتنع عن طريق التفكير والمحاكمة العقلية ـ بقضية من قضايا الحق ـ لا يقنعه أن تقلب له العصا حية ، أو الصخرة ناقة ؛ وإنما هو سيتعجب فقط من فعلك ، ويبقى فى نفسه الإنكار للقضية التى سقت دليلك الحسى من أجلها .

ولذلك جعل الله الرسالة الأخيرة معتمدة على حجة عقلية دائمة — هى القرآن — الذى هو الرسالة ، وهو المعجزة المثبتة لتلك الرسالة ... وهذا أمر ذو قيمة كبرى تفرد به الإسلام !

وقد أراد مشركو مكة أن ينهجوا مع رسول الله (ص) طريقة من قبلهم من الأمم فى طلب الآيات الحسية ؛ فأبى عليهم القرآن ذلك ، وقال : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » . . . « كذلك قال الذين لا يعلمون — مثل قولهم — تشابهت قلوبهم : قد بينا الآيات لقوم يوقنون ، إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » . . . « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سُكِّرتْ أبصارنا . بل نحن قوم مسحورون » ... « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شىء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » إلى آخر الآيات التى تبين أن المعجزة الوحيدة التى تحدى بها رسول الله إنما كانت القرآن وحده . . .

وبعد هذا أقول للذين يرون المعجزات الحسية عقبة فى سبيل الإيمان بالنبوة : أليس الناس متنوعين فى التفكير وطرق الاقتناع ؟ فلا بد إذن أن تُنوع وسائل إقناعهم . فمنهم العقليون الذين يسيرون — على أسلوب الله — ويدركون كلماته فى الطبيعة ! ولو لم يتحدث إليهم بصوت ولا نبرات ، وهؤلاء قليلون جداً ! ومنهم الأطفال المحدودون الذين لا يصدرون إلا إذا رأوا تمرة أو جمرة . . . درهماً أو سوطاً . . . وهؤلاء هم الأكثرية العاملة الناصبة . . .

لماذا تنسون طرائقكم فى التدريس أيها الفلاسفة المعلمون ؟ ألا تنوعون أساليب التفسير والشرح تبعاً لعقول تلاميذكم ؟ وهذا أيضاً هو منطق الله مع الناس ! ...

وبعد فحديث « الوحى والنبوة » كان يجب أن يكون مفروغاً منه عند المتأملين بعمق فى الطبيعة ... الذين يدركون عمق الحياة وتزاحم تياراتها على القلب الإنسانى مما لا بد معه من وجود حبل للنجاة فيها ، والطمأنينة على قيمتها وقيمة الإنسان فيها .

إن وراء الحياة ربها الحكيم الذى يحتم العقل الإنسانى وجوده ولن يخلى الطبيعة منه إلا إذا جن واختلط ... وقد وُضع الإنسان فى قمة الحياة الأرضية ، وصار له اقتراحات وأعمال فى تنقيح الطبيعة والتصرف فيها تبين أنه ليس شيئاً تافهاً يعيش على هامش الحياة . فكيف بعد هذا كله يترك هذا الصنف المكرم من غير خطاب من الله من أول الحياة إلى آخرها ؟ ...

إن هذا الخطاب يحكم العقل والوجدان بأنه لا بد منه حتى ولو كان للترف والأنس الروحى بين الله والمخلصين له ... دع عنك الضرورة الاجتماعية الحادة التى تحتمه ليستطيع الإنسان الرسول أن يحمل العبء مطمئناً متشجعاً صبوراً حمولاً . . . لأنه يسمع صوت الله قائلاً له : إحمل واصبر لأنى معك ...

* * *

كتب الأستاذ العقاد فى « الرسالة » عدد ٢٨٥ أو ٢٨٦

مقالاً بعنوان « المذياع الآدمي » هو ذو قيمة كبيرة في تحليل النفس الآدمية ، وبيان آفاقها ، وعمق سريرتها ، وقدرتها على التقاط المعاني ، والسيالات من جوف الكون ! ...

وكان بودي أن يكون هذا المقال أمامي الآن لأنقل منه فقرة تقرب معنى الوحي ببيان عصري إلى العقول التي تأبى أن تصدق شيئاً خارجاً عن نطاق الحس ... ولكني آسف لأن المقال ليس في متناول يدي الآن !

ويحضرني من معانيه هذا المعنى : إن الكون ملىء زاخر بكل معنى من معاني الحياة . فهو كمصدر الإذاعة اللاسلكية ، والقلوب لها خاصة الالتقاط كآلات الراديو التي تستقبل . وبعض القلوب قوى يستطيع أن يأتي بمعان صادرة عن أفق بعيد ، كما أن بعض آلات الراديو له قوة على التقاط الموجات البعيدة ...

وهذا مدخل نستطيع أن ندخل منه إلى فهم معنى الوحي . فقلب النبي وعقله أعدا إعداداً خاصاً لسماع ما وراء الطبيعة . . . وهما في قوتهما يعتبران قمة الرقي الإنساني الذي يستطيع الإنسان أن يصل إليه في الاتصال بخفايا الكون !

وما دام المصريون يسلمون بمذهب النشوء والارتقاء في الأجسام ، فلم لا يسلمون به في العقول والأرواح ؟

وإذا كان الله لا يظهر بعض نوره للروح الإنساني الذي هو نفخة منه فلأي شيء يظهره ؟ . . .

ولا بد من باب ينفذ منه العقل الإنساني إلى ما وراء الطبيعة . وهذا الباب هو عقل النبي وروحه ؛ ولن يقنع الإنسان بانقطاع الصلة بينه وبين ما وراء الطبيعة إلى هذا الحد الذي تراه من الإغلاق في الطبيعة ، وعدم سماحها بأي ثغرة تنفذ منها .

ولو كان منكرو النبوة والوحي يتبعون الأسلوب العلمي في بحثهم حول النبوة والوحي كما يتبعونه في بحثهم في المادة ، ما أباحوا لأنفسهم أن يرفضوا شيئاً لم يقم دليل علمي على بطلانه ، بل ما أباحوا لأنفسهم أن يجادلوا فيه عارفيه من الأنبياء والأصفياء إلا على سبيل الاستفسار لا الإنكار . فكما لا يباح لرجل الشارع الجاهل أن يجادل « ملكن » أو « مركوني » أو « أديسون » وغيرهم من أساطين العلم المادي ، كذلك لو أنصفنا ما أبحنا لأنفسنا أن ننكر على الأنبياء ما رأوه في آفاق الحياة والروح إلا إذا كنا على قرب منهم في الصفاء والرياضة الروحية التي كانوا يزاولونها . فالأسلوب العلمي يحتم على من يريد الإنكار عليهم أن يقارب منهم ويزاول ما زاولون ، وهم يقولون إننا نرى أشياء ونصل إلى درجة نخاطب معها أرواح الملائكة والأنبياء

قال الغزالي أبو المعرفة ومحصل علوم زمانه في كتابه (المنقذ من الضلال) : « ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم (الصوفية) في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه . وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول . وكل ذلك خطأ . . . » إلى أن يقول « وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم . وكرامات الأنبياء على التحقيق بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه . وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها » . ثم بين الغزالي أطوار نمو العقل البشري من إدراك المحسوسات إلى إدراك المعقولات وبين أن وراء هذه المنطقة « عيناً أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأموراً أخرى العقل معزول عنها »

فعلى منكري هذا من الباحثين الشاكين أن يتبعوا الأسلوب العلمي في الإنكار والإثبات فيسلكوا سبيل أبي حامد الغزالي وأشياعه ليروا أهم على حق أم على باطل . فلقد كان أبو حامد شاكا ودرس وسلك حتى أتاه اليقين

* * *

إلى الدكتور الفاضل عمر فروخ ببيروت

إن الكاتب الفاضل الذي استعداني على مقالك « المعجزة » المنشور بمجلة الأمالي (عدد ٣٧ ص ١) أرسل إليّ العدد الذي فيه المقال ، وقد قرأته بإمعان وفهمت منه ما أشرت إليه في مقدمة مقالي الأول عن النبوة والوحي والمعجزة فأنا أصرف إلى نفسي تعريضك به في مقالك الذي علقت به على مقالي ، وإلا كنت أنا ظالماً له ومسيئاً إليه ، وأرجو أن ترتاح للذين يتحمسون في الدفاع عن عقيدتهم التي هي أثمن شيء لديهم ما دام الدفاع خالياً من السباب والمهاترة فإن هذا هو شأن الباحث الذي يقدر عقائد القلوب . فالكاتب الذي كتب إليّ من بيروت إنما صدر عن إخلاص حين

أرادنى أن أجادل رأيك فى المعجزة . أما ذكره اسمه ناقصاً فله عدة وجوه لا تقدح فيه غير ما أشرت إليه أنت

وأنا قد فهمت من تفسيرك للمعجزة أن فى ذهنك صورة عن النبوة غير ما فى أذهان الواقفين عند نصوص القرآن فى معجزات الرسل السابقين . فالقرآن يثبت أن معجزات الرسل لا دخل فيها للانسان الرسول، وهو ذاته لا يفهمها ولا يدرى سر إجرائها كما يدل على ذلك فرار موسى حين رأى عصاه حية تهتز كأنها جان ... وأنت تعرّف المعجزة فى فهم الخاصة بأنها « عمل إنسانى محض فيه إدراك بالغ لقوانين الطبيعة ووزائع الاجتماع، فكلما كان فهم الإنسان للطبيعة والبيئة أدق وأعمق كانت معجزته أجل وأعمّ » هذا كلامك بالحرف. فأنت ترى من كلامك أنه صريح فى جعل المعجزة عملاً إنسانياً ، مع أن القرآن ينعت هذا النوع بأنه آيات إلهٰية لا دخل للانسان الرسول فى إجرائها إلا ما يتعلق بتحديد مواعيدها ومواضعها

ثم إنك جعلت توحيد رسول الله محمد للعرب معجزته الكبرى وقد تم ذلك لغيره فى عصور مختلفة أحدها عصر الملك الحالى عبد العزيز بن سعود . وقد كان مثل هذا التوحيد فى غير العرب من الأمم. أفنجعل ذلك كله معجزات بالمعنى الدينى ؟

من أجل هذا فهمت أنك تريد أن تسلك محمداً فى سلك الأبطال المصلحين الذين لا يعتمدون على مدد من السماء وأنك تريد أن تجعل كل ما فاض عنه من الأفكار والأخلاق فى الإصلاح، والإرشاد والتشريع، إنما كان كله فيضاً نفسانياً بشرياً صادراً عن ذاته هو . وهذه مقالة شاعت فى هـذا الزمان وهى وفض للنبوة بمعناها عند المؤمنين .

ولـكنى بعد ماقرأت مقالك الذى تعلق به على مقالى ووجدتك تقول : إننى رجل أومن بالنبوة على ما وردت فى القرآن الـكريم لا أحيد عن رأيى فى ذلك : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهـكم إله واحد » إلى آخر الآية . أرانى مضطراً إلى تصحيح رأيى فى آرائك تلك فى النبوة فقط . أما رأيك فى المعجزة فهو بعيد عن قول القرآن فيها ؛ وفيما أوردته حولها سابقاً فى هذا المقال خلاصة رأيى فيها . ولك التحية

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

– ٢ –

أورد الأستاذ المردمي قول الفرزدق في هذه الرواية في الأغاني في أثناء بحث اجتزأ به، وقد رأيت سوق القصة بتمامها في هذا المقام:

« نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال الأحوص: ما تشتهي؟

قال: شواء وطلاء وغناء. قال: ذلك لك؛ ومضى به إلى قينة بالمدينة، فغنته

ألا حيّ الديار بسُعدَ إني أحب لحب فاطمة الديارا[1]
إذا ما حلّ أهلك يا سليمى بدارة صُلصل شحطوا مزارا[2]
أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا!

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها! قال: أوَ ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: فهو (والله) لجرير يهجوك به...

فقال: ويلُ ابنِ المراغة! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره »

وأملى أبو العباس في (كامله) الحكاية مطوّلة، وجاء في ختامها: « فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري، وأحوجني مع فسوق إلى رقة شعره »

فالفرزدق وجرير في الإسلاميين يحسبان مثل حبيب والوليد في المحدثين: « ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلين بأصناف الحلي[1] »

وهي طبيعة المرء، وهو مزاجه: « كان القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر. وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخَلْق[2] »

وقد قلت في بحث قبل: ما اختلف الطائيان الأكبر والأصغر في الطريقة، إلا لاختلاف الخليقة، فمن تشددت خليقته استفاد للجزالة ومتنت عبارته. ومن سجحت ضريبته رقت كلمه؛ فالأمر عائد إلى الطبائع. وقول الأفرنج في هذا المعنى معروف

« والفرزدق وجرير والأخطل أشعر العرب أولاً وآخراً، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه. وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون، وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب المتنبي، فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء »[3]

وللثلاثة الإسلاميين فضيلتان، وللثلاثة المحدثين الذي هو لهم. وقد تخرج الآخرون على الأولين وأمثالهم التخرج التام. وثقفتهم تلك الحضارة، ورأوا دنيا لم يرها سالفهم في الزمن، وأوثروا بما أوثروا به، فتفوقوا على غيرهم، ولم يجيء من بعدهم أشباههم

ومن الأسباب التي برع بها الإسلاميون الجاهليين: « أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما لكونها ولجت في قلوبهم، ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل

(١) سعد: موضع بنجد. في معجم البلدان: قال أبو زياد: سعد ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربي بقرقرى

(٢) دارة صلصل: موضع لعمرو بن كلاب وهو بأعلى دارها بنجد (معجم البلدان)

(١) المثل السائر لابن الأثير

(٢) الوساطة للجرجاني

(٣) ابن الأثير في المثل وفي كتابه (الوشي المرقوم) هذا الخبر الطيف غير المعروف: كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٩٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك فلم يذكروا في هذا شيئاً. ثم إني فاوضت عبد الرحيم بن علي البيساني – القاضي الفاضل – رحمه الله في هذا، فقال: (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال

الجاهلية وممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها[١] »

والفرزدق أفضل الثلاثة الإسلاميين، وقد وصفه وصاحبيه خالد بن صفوان فى خبر فى الأغانى، وفى قوله حق كثير، وأسلوبه يحكى وصف (الهمذانى) الفرزدق وجريرا فى المقامة القريضية. وهذا ما نسب إلى خالد: « أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم عللاً، الطامى إذا زخر، والحامى إذا زأر، والسامى إذا خطر، الذى إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان — فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فوتاً، الذى إن هجا وضع، وإن مدح رفع — فالأخطل. وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكهم لعدوه ستراً، الأغر الأبلق، الذى إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق — فجرير »

وقال أبو الفرج: « الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل. ومحاله فى الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول، أو يدل على مكانه بوصف؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة فى الوصف (وقد) اختلف (الناس) بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرها. فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر، ولا له مثل ما لهما من فنونه. وهما فى ذلك طبقتان: أما من يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق. وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً ».

والفرزدق عند الشعراء الحذاق الكبار والعلماء العارفين أعظم من جرير. روى الأستاذ الردى فى (الكتاب) عن (الموشح) للامام المرزبانى: « قال أبو النوث يحيى بن البحترى: كان أبى يقول: لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق، ولا أعده من العلماء بالشعر. فقيل له: وكيف؟ وكلامك أشد انتساباً

(١) ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الثامن والأربعين فى أن حصول هذه الملكة — ملكة النثر والنظم — بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ ١٤ و ١٣

إلى كلام جرير منه إلى كلام الفرزدق. فقال: كذا يقول من لا يعرف الشعر. لعمرى إن طبعى بطبع جرير أشبه، ولكن من أين لجرير معانى الفرزدق وحسن اختراعه؟ جرير يجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء: بالقين[١]، وقتل الزبير[٢] وبأخته جعثن[٣]، وامرأته النوار[٤]. والفرزدق يهجوه فى كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها »

وقد عرف الأستاذ الردى من نبوغ الفرزدق ما عرفه البحترى، بل تنبه على من لم يتنبه عليه. وظنى أن هذا ما بعث الأستاذ على أن يخص أبا فراس بكتابه، وإن كان طبعه — كطبع البحترى — لطبع جرير أشبه، وشاكلت رقَّتُهُ رقَّتَهُ

وقد نقد ضياء الدين بن الأثير رواية الموشح نقداً غير صواب، ومما قال: « إن البحترى عندى ألب من ذلك، وهو عارف بأسرار الكلام، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج الفرزدق إلا بتلك المعانى الأربعة التى ذكرها، وهو القائل:

لما وضعت على الفرزدق ميسمى[٥]

وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد.

وإعجاب ابن الأثير بمثل هذا البيت أمرٌ إمْر. وهل هذا من درجة الاجتهاد التى بلغها وذكرها فى قوله فى مقدمة كتابه: «ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وإنما هى متبعة» وقال ابن الأثير: « ولو سلمت للبحترى ما زعم من أن جريرا ليس له فى هجاء الفرزدق إلا تلك المعانى الأربعة لاعترضت عليه

(١) جرير:

هو القين وابن القين لا قين مثله ... لفطح المساحى أو لجدل الأداهم

فطح الحديدة عرضها وسواها. المسحاة كالمجرفة إلا أنها من حديد

(٢) جرير:

إن الحوارى لو نادى فوارسنا ... لاستشهدوا أو نجا والقوم أحرار

(٣) قال اليربوعى: كان جرير يقول: أستغفر الله فيما قلت لجعثن، وكانت إحدى الصالحات، امرأة صدق

(٤) كانت النوار امرأة صالحة

(٥) هذه رواية (المثل)

بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة ؛ وذلك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذى إذا أخذ معنى واحداً تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وكذلك فعل جرير فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة » وأورد ابن الأثير من « هذه الأساليب التى تصرف فيها جرير » سبعة أبيات ، منها :

قال الفرزدق : رقّعى أكيارنا ... قالت: وكيف ترقع الأكيار؟[1]
وسيف أبى الفرزدق فاعلموه ... قدوم غير ثابتة النصاب[2]

ولو لم يرو مثل هذا لكان خيراً لابن الأثير ولصاحبه جرير

« قال جرير لرجل من بنى طهية : أينا أشعر أنا أم الفرزدق ؟

فقال له : أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء .

فصاح جرير : أنا أبو حزرة ! غلبته ورب الكعبة ! والله ما فى كل مئة رجل عالم واحد »[1]

فإن أصبر قول الطهوىّ جريراً وازدهاه فهل يرضى صاحب أبرع كتاب فى العربية فى بابه أن يكون من العامة ؟

وما نقصد بهذا القول إزراء بابن الخطفىّ ، فجرير ما جرير ؟ ! وهو الثانى فى الثلاثة ، هو الابن فى الثالوث الإسلامى . . . وقد قال الفرزدق : « إنى وإياه - يعنى جريراً - لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر »[2]

وإذا كان ضياء الدين يرى « الشعر كله فى ثلاث لفظات فإذا مدحت قلت : (أنت) وإذا هجوت قلت : (لست) وإذا رثيت قلت : (كنت) »[3] فقد غمز فى نفسه ، وأقبل مقلداً من المقلدين لا مجتهداً - كما يصف نفسه - من المجتهدين

(يتبع — الاسكندرية) * * *

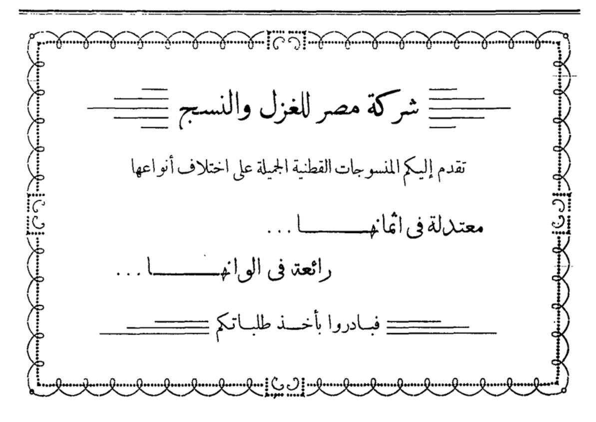
(١) أكيار : جمع كير : الزق الذى ينفخ فيه الحداد

(٢) القدوم التى ينحت بها : مخفف أبنى ، قال ابن السكيت : ولا تقل قدوم بالتشديد ، والجمع قدائم وقدم (اللسان) وفى المصباح : التشديد لغة

(١) الأغانى

(٢) طبقات الشعراء للجمحى

(٣) العمدة لابن رشيق



في بلاط الخلفاء

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ علي الجندي

فوق بسيط الصحراء المترامي الأطراف، المنضّر بتلافيف العشب الأخضر، وعلى كثَب من أخبية هذا الحيّ الذي تخصص في الحب حتى ضُربت به في ذلك الأمثال! كانت سعاد أو سعدى العذريّة ترعى البَهْم مع ابن عمٍّ لها يُدعَى سعدا في مثل سِنها أو يجاوزها قليلاً

ورعى الشاء والنَّعم — كما يعرف المولعون بالأدب العربي — أخصب مراتع الحب في البادية وأغزر ينابيعه، ففي ظل تلك الوَحدة الصافية والخلوة المطمئنة، وبين كُثْبان الرمل الأعفر ولُعاب الشمس الضاحية بنجوة من فضول الرقباء ولجَاجة العُذّال، انسكب هذا الفيض العلوي على القلوب، واتقدحت شرارته السحرية الأولى، وانفسح المجال — في كلاءة العفاف والتصوّن — للتعارف والتآلف والتشاكي والمناجاة! بل خُطّت مصارع العشاق المتيَّمين من أمثال ابن حزام وابن ذَريح وابن الملوّح، واستطارت أنّاتهم الدامية وآهاتهم الحِرار! التي يسميها — من لم يُدلّهه الهوى وتُدنفه الصبابة — أشعارَ الغزل والنسيب!

ولم يكن بدّ لسعد وسعاد أن يتحابّا جرياً على هذا العِرْق الأصيل في القبيلة. وقد يقال: إنهما في بَلَه الطفولة وغَرارة الحداثة؟ أجل، ولكن الحب كالسياسة ليس له قلب! فهو كما لا يوقر الكبير لا يرحم الصغير! بل لعل أبرحه وأشجاه ما ساور الأفئدة الغضة، وخامر الأكباد الرِّطاب!

وأخذ الهوى الطفل يتدرج في النمو بتدرج الحبيبين الصغيرين في العمر، حتى شارف المدى في الوقت الذي بلغت فيه سعاد سن القمر البدر! حيث خنقت الرابعة عشرة، فتفلك(1) ثديها وتمت أنوثتها، وتحير في محياها ماء الشباب! وإذا هي أروع مثال للجمال صاغته يد البادية العبقرية الصَّناع!

(1) استدار

كانت الفتاة فارعة القوام، مُهفهفة الأعطاف، أدناها كثيب مَهيل، وأعلاها خوط بان!

لها شعر فاحم وارد(1) تَنُوس ذوائبه على وجه أبيض مسنون مشوب بسمرة رقيقة كما يشاب الكافور بالمسك! وعينان دعجاوان مكحولتان بالسحر البابلي، يحرسهما حاجبان مُهلّلان(2) كأنهما نونان من خط ماشق! وخدان أسيلان أنضجت تفاحتيهما شمس الصحراء، نبت بينهما أنف كقصبة الدرّ أو حدّ السيف لم يخنُس به قِصَر ولم يعض به طول. شُقّ تحته خاتم عطِر كالأقحوانة النضة، يلتمع فيه سِمْطان من اللؤلؤ المنضود تجرى عليهما شُهدة العسل وسُلافة الرحيق!

وكانت تحلّى جيدها العاجي الأتلع، بعقد من الجَزْع(3) الظَّفاريّ، وسِخاب(4) من القَرَنفُل والمَحْلب، واسطته عقيقة حمراء قانية، تتوهج في ثغرة نحرها، وفوق تَرقى صدرها توهج الذهب الذائب في بوتقته

وإلى هذا الإثراء من الحسن المطبوع، أوتيت مزماراً من مزامير آل داود! فكان صوتها ندياً رخيماً، عذب الجرْس حلو الرنين! إذا حدَتْ به في أعقاب الإبل، أو تغنت وراء الغنم، أو أخذت بأطراف الحديث في التسامر، صبت في الآذان ما يشبه وسواس الحلي أو زجل الحمام!

وبرّح الحب بالفتى والفتاة، وفعلت الصبابة فيهما أفاعيلها! ولكن حياء الفتيان وخفَر العذارى المواتق في هذه الأيام، حالا دون المكاشفة بهذا الجوى الدفين! فكانا يتناجيان بلغة العيون، والعيون أقدر على أداء رسالة الغرام، وأجلى إعراباً عن لواعج الشوق الساعر من لسان المقال!

تَكلَّمُ منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت، والهوى يتكلَّم

وفي صبيحة يوم شديد القُرّ لاذع الشفيف(5)، جلس العاشقان حول نار يصطليانها التماساً للدِّفء، وقد علِق بصرهما بالشرر المتطاير هنا وهناك كأنه قُراضة الذهب، ذاهلَيْن عن كل شيء حولهما غارقين في صمت عجيب! وإذا الفتى تمتد يده — دون أن يعي — إلى حزمة من يابس العَرْفَج(6) طرحها في النار،

(1) طويل (2) مقوس كالهلال (3) خرز أسود يجلب من ظفار ببلاد اليمن (4) قلادة تلبسها الصبيات (5) البرد (6) شجر سريع الاحتراق

فذكا لهيبها واندلعت ألسنتها الحُمْر ترقّص على وجه الفتاة البضّ فتشبّ لونه ، وتجلو فتنته ، وتزيده سحراً على سحر !

وأحست سعاد – بعد لأْى – بلفح الأوار ، فصحت من ذهولها ، وازورّت عن الوقد قليلاً متّقية الوهج بإسبال جفنيها المنكسرين ، فاستقرت أهدابها الوُطف(1) على ورد خديها ، فكان منظراً أخاذاً يفرّح قلب الخليّ ، ويحثّ الناسك على الصبوة !

أخذت عينُ الفتى هذه الصورة الفاتنة ، فعيل صبرُه ، وتدلّه عقله ، وخفق قلبه خفوقاً متداركا ، وربما سَحْره(2) حتى ما يكاد يتنفس ! ثم شعر كأنّ نفسه تتنزّى من داخل إهابه ، وأن أكام عواطفه تتفتق عن نفحات عبِقة نديّة ، لم تلبث أن تخالجت فى صدره ، ثم ارتقت إلى لهاته ، ثم سالت على عذَبة لسانه ، فإذا هى هذا الشعر يهتف به أول مرة فى حياته :

بأبى ! كرهت النار لما أوقدت ... فعرفتُ ما معناك فى إبعادها
هى ضرّة لك بالتماع ضيائها ... وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها ... بسيالها وأراكها وعرادها(3)
شرِكَتْك فى كل الأمور بحسنها ... وضيائها وصلاحها وفسادها

فتظاهرت سعاد بأنها لم تسمع – وهى جدُّ سامعة – فخيل إليه أن شعره لم يند على قلبها ، ولم يقع منها بموقع ، فأمّه شطر النار يؤرثها بعود من الحطب – وهو يترنم بهذه الأبيات – :

وما عرضت لى نظرةٌ مذ عرفتها ... فأنظر، إلا مُثّلت حيث أنظرُ
أغارُ على لحظى لها فكأننى ... إذا رام لحظى غيرها ليس يبصر
وأحذر أن تُعنى إذا بُحت بالهوى ... فأكتمها جهدى هواى وأستر

فنصت إليه سعاد جيدها الناصع ، ورمته بنظرة فاترة منكسرة ملؤها عتب رفيق ! فاضطرب الفتى وصبغت وجهه حمرة الخجل ، وأطرق ينكت الأرض بعود فى يده ، وأراد أن يذهب بالحديث مذهباً آخر ، فعصب ريقه ، وانعقد لسانه ؛ فعاذ بالصمت مكرهاً كما عاذت هى به من قبل ، وظلا بقية يومهما جامدين كالأنصاب

(1) طويلة مسترخية (2) الرئة
(3) السيال والعراد : نبات

ولما كان من الغد بكر الفتى إلى المرعى تبكير ابن دأية(1) ، بعد أن قضى ليلة نابغية بجفن مؤرق ودمع مرقرق !

ولبث يرقب سعاد رقبة الهلال ليلة الشك ساعات ممضة فلم تحضر ! فساوره القلق ، ومالت به الظنون كل مميل ! وكان أخوف ما يخافه أن تكون ابنة عمه قد اعتقدت فيه أنه خضع لبعض(2) الأمر . فطفق يذرع الوادى إقبالاً وإدباراً ، ويبلل رداءه بعبرات سخينة ، حتى نال منه اللغوب ، فسقط رازحاً بين طيات الرمال ، ينشد :

مُتّ شوقاً ، وكدت أهلك وجْداً ... حين أبدى الحبيب هجراً وصدا
بأبى من إذا دنوت إليه ... زادنى القرب منه نأياً وبعدا
كيف لا كيف عن هواه سُلُوّى ... وهو شمس الضحى إذا ما تبدّى ؟ !

ولم يكن سعد مصيباً فى ظنه ، فقد كانت سعاد مطمئنة إلى حسن نيته ، وصفاء سريرته ، غير ناسية شعار العذريين (إن فى فتياتنا صباحة وفى فتياننا عفة) ، ولم تكن كذلك ناقمة منه نسيبه بها ، بل نزل على قلبها برداً وسلاماً ! وأى فتاة لا تستروح إلى حديث الحب البرىء ، ولا تهفو إلى رؤية محاسنها مفرغة فى قوالب الشعر المذهبات ؟ !

ولكن الفتاة كانت عاقلة أريبة بعيدة النظر، فخشيت أن يستحلى الشاعر هذا المرعى المؤنق ، ويتمادى فى إعلان صبوته ، وتجرى مقطعاته ورقائقه على ألسنة الرواة فتفتضح بها ، ويقف ذلك عقبة فى بلوغ أمنية تعدل عندها الحياة ! وهى زواجها من ابن العم الحبيب الذى ينزل منها فى سواد العين والفؤاد ! فأرادت أن تتخلف عن لقائه أياماً تتصنع فيها المرض عل ثورته تهدأ وشقشقته تقر ! وما درت سعاد – عفا الله عنها – أن ما حسبته دواء هو الداء الأكبر بل الموت الأحمر ! :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

وبينا كان الفتى متوحداً فى الصحراء تتوزّعه الهواجس ، ويخبط من حيرته فى مثل قطع الليل المظلم ! لمعت فى ذهنه خاطرة استنار منها وجهه وثلج لها فؤاده ، فصكّ جبهته وصاح : الحمد لله لقد اهتديت !

(1) الغراب (2) كناية عن الميل إلى مالا يحل

وما عتّم أن انكفأ بالرّاغية والثّاغية إلى مضارب الخيام ، ثم عطف على طِرَاف ممدّد فدخل إلى عمه الشيخ ، فإذا هو مُحْتَب فوق لبدة يمشّط لحيته اللّيفا نيّة[1]

حيّا الفتى عمه الشيخ فرد عليه بأحسن منها ، ودعاه إلى الجلوس فجلس قُبالته محتشما وانقضت فترة كان فيها زائغَ البصر شارد العقل جمّ البلابل ! ثم تغلب على وساوسه وقال بصوت متقطع النبرات :

— عمى وأبى بعد أبى !

— لبيك ولدى وَوَصَلتْك رَحِم !

— جئت أخطب إليك سعاد

فحل الشيخ حبوته وابتسم قائلاً : سعد يخطب سعاد ! هو الفحل لا يُقْدَع[2] أنفه !

فنكّس الفتى رأسه مستحيياً وفى منبت كل شعرة من وجهه ثغر ضاحك !

وكان لسعد صِرْمة[3] من الإبل وثلة من الضأن والمعِز ورثها عن أبيه الذى مات عنه — وهو طفل — فأصدق سعاد عشرين ناقة عُشَراء[4] .

وما هى إلا أيام قلائل حتى أُهديت الفتاة إليه فى ليلة أضحيانية قمراء ، تحف بها كوكبة من أترابها يتغنين ويضربن بالدفوف ، وأمامهن الجوارى الصغيرات يعزفن ويرقصن ، ومن حولهن فتيان الحى يتشاولون[5] بالسيوف ويتناضلون بالسهام ، ويتسابقون على صهوات الخيل العراب ! فبلغوا بجاداً من الوبر ضُرب لها خاصة على مسافة غَلْوة[6] من الحى ، فأدخلوها فيه وجلس إلى جانبها الزوج ، وأُفرغ على رأسهما نِثار التمر عملاً بسنة البدو ! وبقى أهل الحى نساء ورجالاً فى لهو وسمر حتى انفجر الفجر ، فودعوهما داعين لهما بالرّفاء والبنين !

ومضى عامان أجردان[7] نعم فيهما العروسان عما جاوز قدر الأمل ؛ من حياة لينة هنيئة وعيش ألمى[8] الظلال ، وحب على الأيام يزداد حِدّة وجدّة ! ولكن صدق من قال :

« وعند صفو الليالى يحدث الكدر » !

فإن كلَف الزوج بعِرْسه وابتغاءه مرضاتها ، جعله يبسُط يده كل البسط فى الإنفاق عليها ، فكان يرِد الحواضر وأسواق العرب يبتاع لها الطرائف : من عَصْب اليمن ورَيْط الشام ومناديل مصر وعطور الهند وزعفران البلقاء مبالغة فى ترفيهها وتدليلها ، مع نصحها له بالقصد والاعتدال ، ونفورها من هذا التّرف الذى يجرّدها من وَسْم البادية وشارتها المحبوبة

فلم يرْعو الزوج العاشق ، وسدَر فى غُلَوائه حتى أتلف ماله ، ولم يبق له سبَد ولا لبَد! فتلقّت سعاد هذه الجائحة بالصبر الجميل! وضاعفت من حبها للفتى وحدبها عليه لترُفّه عنه حرّ المصاب !

ولكن الأمر لا يعنيها وحدها ، فهناك أبوها وهو وإن كان من قوم جُبلوا من طينة العواطف ، ووسموا برقة الشعور ، وسَنّوا للناس سنن الموت فى الحبّ ! إلا أنه كان أعرابياً جافى الخليقة غليظ الكبد ! لا يفهم من الحياة غير رُغاء الإبل وثُغاء الشاء والصّرّ والحلاب ، فأنف لابنته خشونة العيش ، وتعاظمه أن تلفحها سَموم الفاقة فى طراءة السن وغضارة الشباب !

فقطع صلتها ببعلها واحتجزها عنده وسعى فى خلاصها منه ! فرفع الزوج الأمر إلى والى تلك الجهة الأموى المفتون المدل بمكانه من قريش وبمكانه من الخليفة مروان ابن الحكم ..وكانت سعاد قد وصفت له فى بعض قدماته إلى البادية ، فعشقها على السماع — والأذن كالعين تعشق — فاهتبلها فرصة يتقنص فيها هذا الشادن العذرى المربب الذى ما برح يرتمى حبة قلبه ! فأكره سعدا على مفارقة زوجه ، وضمها إليه — بعد انقضاء عدتها — وفى عينها دمعة جارية ، وفى قلبها لوعة ذاكية !

حزَب الزوج الأمر ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولا عجب فقد أصيب بطمنتين نجلاوين فى قلبه وكرامته. ولكن إذا جار الوالى أليست هناك يدٌ أعلى من يده ، هى يد الخليفة ! ومن فوقها يد الله !

لم يجد الفتى بدًّا أن يتعسف الصحراء إلى دمشق ، حيث يتربع على دست الخلافة آدم قريش ، ووارث حلوم آل حرب ، وكسرى العرب وأدهى دهاتها معاوية بن أبى سفيان ، ليستعديه على ابن عمه الحاكم المتسلّط !

[البقية فى العدد القادم]

علي الجندى

(١) تشبه الليف . (٢) لا يدفع (٣) قطعة ما بين العشرة إلى الأربعين (٤) حاملة فى الشهر العاشر (٥) يتلاعبون (٦) مسافة رمية السهم (٧) كاملان (٨) كثيف

كتـــاب الأغانى
لأبى الفرج الاسكندرانى
رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

راهنت بالروح على نهروان لو اننى أملك هــذا الرهان
هذى هى الخيــل التى تشترى لا كوكب الشرق ولا كوكبان

الشعر للأستاذ على الجارم بك وفيه لحن من نغمة «النشازكار» من صنعة الأستاذ محمود مصطفى

حدثنا الأستاذ محمد شعراوى بك قال: إن «كوكبان» و «نهروان» جوادان من جياد السباق، وإن الجواد الذى أراد الأستاذ الجارم بك أن يثنى عليه هو «كوكبان» ولكنه من أجل الجناس اللفظى بين كلمة «راهنت» وبين كلمة نهروان قد أبدل اسمى الجوادين فجعل الممدوح هو المذموم والعكس بالعكس

قال الأستاذ شعراوى بك: وأعجب من ذلك أن كوكب الشرق ليس جواداً ولكنه صحيفة كان يصدرها الأستاذ حافظ عوض بك ولكن الجناس اللفظى قد حمل الجارم بك على اعتبارها جواداً، وجواداً من جياد السباق وذلك ليقال كوكب وكوكبان

وانتهى شعراوى بك من حديثه إلى أنه لن يراهن على بيت واحد من الشعر مادام الشعراء يبدلون الحقائق من أجل تلك الكلمة المدرسية العتيقة: «بين وجوه البلاغة فيما تحته خط»

وحدثنا الأستاذ عبد الغنى جبرة قال إن فى خيول السباق جواداً اسمه شكسبير وأنه عرض على شعراوى بك بثمن مناسب ولكنه رفض شراءه لأنه باسم شاعر. قال وقد تحامل شعراوى بك على الجارم بك تحاملاً شديداً لأن الجواد كوكبان من خيول شعراوى بك وقد كان يود أن يكون هو الممدوح لا الجواد نهروان

قال أبو الفرج: وهذا القول جائز ولكن كيف استحالت جريدة كوكب الشرق إلى جواد من جياد الرهان؟

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال: وهذا الباب من أبواب الشعر أثر من آثار الجناية التى جناها الأدب الجاهلى على أدب العصر الحاضر. فقد كان الجواد عند العربى بمثابة الأسطول والطيارة فى العصور الحاضرة. فإذا وجد الآن شاعر فى انكلترا يباهى بالأسطول ويصفه ويتغنى بمحاسنه فلا غضاضة عليه فى ذلك؛ وإذا وجد شاعر فى مصر يتغنى بالدبابات الجديدة والطيارات ذات الأزيز المثير للدوافع الوطنية فهو شاعر حقاً، كما كان العربى شاعراً فى وصفه الجواد وحبه إياه وقد شاركه فى أخطار الموت ودخل وإياه الدول المفتوحة وجرح وإياه فى الميدان، ولكن ما بال الشاعر المصرى العصرى يركب السيارة ويأنف من ركوب الجواد ثم يتغنى بذكر الخيل؟ وما له يذكر الرهان والسباق وهو لم يعالجهما قط، وإنما يجعل منهما وسيلة لذكر الخيل لأن العرب كانوا يذكرونها — أليس هذا مما جناه الأدب الجاهلى على أدب العصر الحاضر؟

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: لما سمعت رأى الأستاذ أحمد أمين فى السيارة والجواد نظمت قصيدة أتغنى فيها بعربة «ناش» التى اشتريتها حديثاً وأنكرت ما كنت أنظمه عن الخيول التى لم أركبها قط. ومن قولى فى تلك القصيدة:

صوت

ألبانون سرعة «الفُرْدِ» فاذرع بىَ عرض البلاد يا ناش وثبا
أطلقت قيــدها الفرامل وانسا ب بى «الناش» ينهب الأرض نهبا

حدثنا الدكتور زكى مبارك قال: ما رأى الناس قط تعسفاً مثل هذا. فالخيل ما تزال من عدة الحروب. وما أنكر على شاعر أن يصف ما يراه من المخترعات الحديثة، ولكن كيف جاز للمؤمنين أن يحرموا على أنفسهم ما أحله الله لهم؟ وكيف يزعم الزاعمون أن الخيل قد زالت محبتها فيجب أن يزول التغنى بها؟ إن ميادين السباق فى الحواضر تستنفد من الثروة ما يكفى لبناء أسطول. هذا فى الحواضر وما يزال فى الريف من يباهون باقتناء الخيول ويعدونها من علائم الأصالة والنبالة. وقد كان عندى جواد فى سنتريس اعتدت ركوبه كلما طفت بمنازل الصبايا. وبارك الله فى صبايا سنتريس! لقد أنكرت الوجاهة منذ كففت عن

ركوب الجياد واستبدلت بها الطيارة والسيارة . ثم ما لهذا كله وما لأبيات الجارم بك ؟ إن تربية الخيل ضرب من الفروسية التي يجب الاحتفاظ بها في كل مكان وكل زمان ، وهي تقليد من تقاليد الخلفاء . وقد قال الوليد بن يزيد :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليك إن رمتك أمان

فهل قرأ هؤلاء أدب الأمويين ؟

قال الدكتور زكي مبارك : ولهذا البيت قصة ظريفة فقد أشفق أمير المؤمنين الوليد بن يزيد على « الجوكى » من ركوب الفاره من الجياد فأمر بتدريب طائفة من القرود وكون منها فرقة من « الجوكية » كما أمر بصيد عدد كبير من حمر الوحش فجعل منها فرقة من « البواني الغشيمة » وأبو قيس هذا الذي يذكره في شعره ليس إلا قرداً من هذه القرود

ليت المدنية التي يتغنون بها تبلغ من الرفاهية ما بلغته في العصر الأموي الذي لم يقرأوا شيئاً عنه

لم تحب الحياة زهد عليّ لجفته إلى بني مروان

ثم ضحك الدكتور زكي مبارك وقال : وسيأتي اليوم القريب الذي يعود شعراؤنا فيه إلى التغني بالخيول ولو غضب الأستاذ أحمد أمين وأنشد :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

هكذا قال حصان أبي الطيب فليسمعنا الأستاذ أحمد الشايب ما قالته سيارته ولو أنها من طراز « ناش »

حدثنا الأستاذ عبد الغني جبرة قال : دخلت ميدان السباق فرأيت بين المشاهدين الدكتور زكي مبارك ، ورأيت طائفة عظيمة من الوجهاء والأعيان وكلهم معقود النظر بالخيل التي تجري دون أن ينظر بعضهم إلى بعض . وسمعت الدكتور زكي مبارك ينشد في هذا المعنى أبياتاً لم يعلق بذهني منها غير هذا البيت في وصف ميدان السباق .

ويكون أغنانا وأعلمنا فيه وملء عيوننا البهم

عود الى أبيات الجارم بك

حدثنا الأستاذ محمود مصطفى قال : إنني وإن حملت على الجارم بك في شرحه لكتاب البخلاء فما أنكر فضله في الشعر فقد جدد به مفاخر العرب وتغنى بآثارهم وبعث أمجادهم ، وصان لغتهم . ومن أروع المفاخر العربية عندي العناية بالخيل فما تعنى بها إلا الأمم المحاربة ، ومهما استحدث من أدوات الدفاع فسيلجأ المحاربون في النهاية إلى إيثار الخيل بالعناية . وأنشد بيت أبي الطيب :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب

وحدثنا الشاعر جبريل دنزيو قال : حدثنا السنيور موسوليني قال : ليس في نيتي أن أثير الحرب ؛ ولكنها إن ثارت فسيكون المسئول عنها هو جوادي ، فإن رؤية الخيل تحفز إلى الرغبة في القتال وأنشد :

صوت

وأقبل بالتصهال مهري يقول لي أأبقى كذا لا في اطراد ولا طرد

علام انتظاري أنجم النحس والسعد

وحتام صمتي لا أعيد ولا أبدي

الشعر لجبريل دنزيو وفيه لحن يضرب على نغمة الترليوز من صنعة الشاعر نفسه

« يتبع » عبد اللطيف النشار

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن ماليت يسعى سعيه الأثيم ، ولندع كذلك الخديو فى حيرته وارتباكه ؛ ولنعد إلى أوربا لننظر ماذا آل إليه موقف الدولتين من المسألة المصرية .

وجدير بنا ألا ننسى ما أسلفنا الإشارة إليه أكثر من مرة، ألا وهو موقف الدولتين إحداهما من الأخرى ، موقف المراوغة والمداراة ، ذلك الذى كان طرفاه أول الأمر غمبتا وجرانفل .

ولقد تغير هذا الموقف تغيراً أساسياً من جهة فرنسا حينما حل دى فرسنيه فى الحكم محل غمبتا ؛ وذلك أن هذا الرجل قد انتهج فى المسألة المصرية نهجاً جديداً ما لبث أن بينه لانجلترة حين ولى الحكم .

وقد ألقيت إلى المسيو فرسنيه مقاليد الأحكام كما ذكرنا قبل أن يخلف البارودى شريفاً فى مصر بنحو خمسة أيام . فكتب إلى الحكومة الإنجليزية أنه لا يميل إلى أى تدخل عسكرى فى مصر سواء أكان هذا التدخل من جانب انجلترة وفرنسا مجتمعتين ، أم من جانب كل منهما على حدة ؛ وأنه كذلك يرفض كل الرفض أن يقر أى تدخل من جانب الباب العالى ...

ولعل جرانفل قد رأى فى سياسة فرسنيه ما يسهل عليه الوصول إلى غرضه مع ما قد يبدو لأول وهلة من أنها تؤدى إلى عكس ذلك ؛ وذلك لأنه يستطيع الآن أن يلزم دى فرسنيه بسياسته بينما يتلمس هو الأسباب لتدخل حكومته بمفردها ، ولن يعدم أن يجد من الحوادث تافهة كانت أم كبيرة ما يتخذ منه مبرراً لتدخله . ولئن لم تواته الحوادث فما أيسر أن يخلقها خلقاً أعوانه فى مصر ، حتى إذا سنحت الفرصة أفلت من فرنسا وانقض على الفريسة وحده ؛ وإذا بدا لتركيا أن تتدخل فى تلك الأثناء فلتستتر انجلترة خلف فرنسا لأنها هى التى تعلن أنها تمانع فى تدخل الباب العالى . وإن انجلترة لتمانع فى الواقع أكثر مما تمانع فرنسا حتى لا تعود مصر إلى حوزة صاحبها الشرعى ، فيضيع على انجلترة كل آمالها ، ولكنها تلقى ذلك على عاتق فرنسا فتزداد نياتها خفاء وتزداد فى نفس الوقت قرباً من غايتها . . .

وكان غمبتا يشير كما بينا بالالتجاء إلى القوة أبداً ضد الوطنيين فى مصر ، ومن هنا جاءت المذكرة المشتركة ؛ وكان من اقتراحاته أن تقوم الدولتان معاً بالتدخل العسكرى فى مصر؛ ولكن جرانفل لم يشايعه فى هذا الاقتراح مبيناً له ماينطوى عليه تنفيذه من أخطار، ولقد جاء كلام جرانفل هذا إلى غمبتا فى رسالة وصلته قبل سقوط وزارته بيوم واحد . وجاء فى خاتمة هذه الرسالة قوله : « إن حكومة جلالة الملكة توافق على أن للدولتين مركزاً خاصاً فى مصر وذلك بناء على الظروف القائمة والاتفاقات الدولية ؛ وإنها كذلك تعتقد أنه قد تنجم بعض المتاعب من دعوة عدة دول فى مسألة حكومية ولكن حكومة جلالة الملكة تكل إلى الحكومة الفرنسية أن تنظر ما إذا لم يكن الأمر فى حاجة إلى الاتصال بالدول الأخرى كخير وسيلة لتناول حالة من الحالات يظهر أنها ذات مساس بالفرمانات السلطانية وعلاقات مصر الدولية » ...

ولم يكن جرانفل بالضرورة متعففاً عن التدخل العسكرى فى مصر ، وإنما كان يود التخلص من مشاركة فرنسا لانجلترة فى هذا ، وقد كانت السياسة الإنجليزية تدور منذ حملة بونابرت على مقاومة نفوذ فرنسا فى وادى النيل . ثم الاستيلاء عليها متى

أمكن ذلك دون مراعاة شيء في سبيل الوصول إلى هذا الغرض

واستفهم المسيو فرسنيه الحكومة الإنجليزية ماذا أرادته بذلك الاحتياط الذي أبلغته المسيو غمبتا بعد موافقتها على المذكرة المشتركة، فكان الجواب أن الحكومة البريطانية تحتفظ لنفسها بتعيين نوع العمل إذا لم يكن من العمل بد وفي تقرير وجوب العمل أو عدم وجوبه على وجه العموم

ثم أراد جرنفل أن يخفف من وقع هـذا الكلام في نفس فريسنيه فذكر أنه ليس في مصر ما يدعو إلى القلق فإن الوزارة الجديدة تجهر برغبتها في المحافظة على تعهدات مصر الدولية؛ وإذا وقع ما يقتضي التدخل فإن الحكومة الإنجليزية تجعل أساس ذلك تضامن أوربا مع وجوب اشتراك السلطان في كل خطوة وفي مفاوضة يؤدي إليها هذا التدخل

وفي تلك الأثناء كان كلفن ومالت يحكيان دسائسهما في البلاد ويباعدان بين الخديو ووزرائه، لا يتوانيان عن خلق « الضرورة » التي تقضي بالعمل

وكانت الحكومة الإنجليزية التي تقف من فرنسا ذلك الموقف الذي أشرنا إليه تفكر في ذلك الوقت في إعداد حملة على مصر، ففي الخامس عشر من شهر مارس أي بعد استلام البارودي أزمة الحكم بأربعين يوماً زار مستر بلنت السير جارنيت ولسلي الذي سوف يكون قائد الحملة على مصر عما قريب، فدار بينهما الكلام على هذا المشروع. يقول مستر بلنت: « فبعد أن تكلمنا عن قبرص انتقلنا إلى موضوع مصر وإمكان مقاومة الوطنيين في حالة التدخل، وسألني رأيي في ذلك فقلت له: إنهم بالطبع سيقاتلون والقتال لن يقتصر على الجنود لأن الأمة ستنضم إليهم وربما استعملوا طرقاً أخرى بعد ذلك. وقد أبى أن يصدقني في قولي بأن الجنود ستقاتل، ولكني ثبت على رأيي وقلت له: إنه إذا كلف بأن يذهب لغزو مصر فعليه أن يأخذ معه على أقل تقدير ستين ألف جندي. وقد بالغت بلا شك في هذا التقدير لأني كنت أرمي إلى جعل هذه المهمة شاقة في نظرهم حتى لا تقدم عليها الحكومة إلا بعد تردد ومراجعة. وقد تطوع بإخباري بأنه قد استشير مرتين أو ثلاثاً مدة الشتاء بصدد الغارة على مصر والاحتلال. وقد أكد لي أن ليس هنا من يريد التدخل وأن احتلال مصر سيكون مكروهاً عند الجنود، وأنه هو نفسه يكون آسفاً جداً إذا اضطر إلى الذهاب إلى مصر. ومن رأيه أنه يجب على المصريين أن يسرحوا جيشهم ويثقوا بحماية أوربا. ولكني أخبرته بأنه ليس من المستطاع لي أن أنصح لهم بذلك وأن الأمة التي تنوى القتال بنية صادقة قل أن يهاجمها عدو. فقال لي: إنه ليس هناك شيء يدعى الشرف في الحروب، وإذا كانت المسألة مسألة حرب فلا يجب عليهم أن يثقوا بنا ولا بأي دولة أخرى

ثم أخذ في الكلام عن الطرق الحربية المؤدية إلى القاهرة فذكر بونابرت وطريقه على الشط الأيسر بين فرع النيل وطريق الصحراء بين قناة السويس والدلتا حتى شعر بأنه إذا ذهبت الجيوش فستتخذ هذه الطريق، ولكني احترست من أن أعطيه أي معلومات تفيده أقل فائدة، واكتفيت بالضحك عندما سألني عما إذا كنت أرافقه لأدله على الطريق عند ما ترسل الحملة

وبينما كانت الدسائس تدبر لمصر في الداخل والخارج على هذا النحو لم يكن للوزارة المصرية من وسائل الدعاية شيء ما، فكان أعداؤها يتقولون عليها ما شاءوا وما شاءت لهم أطماعهم حتى لقد صور عرابي زعيم الحركة الوطنية صوراً بلغت أقصى حدود الغرابة، فهو تارة رئيس عصابة من المتمردين الخوارج على القانون والنظام، وهو طوراً داعية اسماعيل اشتراه بالمال ليعمل على إعادته إلى مصر، وهو بالإضافة عند بعض الإنجليز فرنسي أو أسباني في زي مصري، إلى غير ذلك من الأقاويل التي لا ندري أنقابلها بالألم أم بالسخرية

وانطلقت الصحف تذيع في الناس الأكاذيب في غير حياء أو فتور وليس لمصر لسان يدافع عنها إلا لسان مستر بلنت فلقد سافر هذا الرجل الحر ليقابل كل من لهم صلة بالمسألة المصرية ليريهم وجه الحق في هذه القضية وليصحح ما جاز على عقول الساسة من خدع

ولقد قابل مستر بلنت جماعة من النواب ومن رجال المال وما زال يسعى حتى ظفر بمقابلة جرانفل فتحدث إليه بما لديه من المعلومات ودافع عن قضية الأحرار في مصر بكل ما وسعه من وسائل الدفاع. ولكن شد ما كانت دهشته عند ما انطلق جرانفل نفسه يخبره أن لديه من المعلومات الأكيدة ما يؤيد أن عرابياً ما هو إلا صنيعة اسماعيل وأن المسألة من أولها إلى آخرها ما هي إلا سلسلة من الدسائس لإرجاع الخديو السابق إلى عرشه!

وعول بلنت بعد ذلك على مقابلة غلادستون وقد كانت شهرته قائمة على أساس ميله إلى الحرية، والأخذ بيد الشرقيين جميعاً لينهضوا من سباتهم، فلما مثل بلنت بين يديه اندفع يتحدث عن

الحركة الوطنية فى مصر فى طلاقة وحماسة، وظل غلادستون صامتاً ينصت إليه كأنه مقبل عليه مؤمن بما يقول مقدره حق قدره يقول مستر بلنت : « ثم سألنى عن موقف الجيش والسبب فى ظهوره فى المسائل الوطنية ؛ فإنه توجس من هذا الظهور فأوضحت له تاريخ الحركة وأكدت له أن ما قيل عن تدخل الجنود قد بولغ فيه ، وأن تلك الرواية القائلة بأن الجنود كانوا يتوعدون النواب ويرهبونهم من الروايات المختلقة وقلت له إن الاستعدادات الحربية الحاضرة ليس لها من غرض سوى الخوف من الاعتداء والتدخل » .

ولكن ماذا كان ينتظره بلنت من جرانفل وغلادستون ، ولم تكن المسألة مسألة إقناع وحجة ؟ ماذا كان يأمل بلنت ولم تكن المسألة ماذا يجب أن يعمل، وإنما كانت متى ينفذ ما انعقدت النية عليه؟

وإنى لأحس من قراءة ما كتبه بلنت عن مقابلته لجرانفل وغلادستون أنهما كانا ينظران إليه نظرتهما إلى غر لا يفهم ما يجب أن يسير عليه الإنجليزى فى معاملة الشعوب الشرقية أو إلى ناشئ فى السياسة لا يدرى أن الكلام شىء والخطط المرسومة شىء آخر . ولقد علق كروس فى كتابه على مساعى مستر بلنت فقال : « ومن هؤلاء الذين عطفوا على القضية نرى أبرزهم هو مستر ولفرد بلنت ولقد عاش مستر بلنت زمناً بين المسلمين وكانت له لذة شديدة فى كل شىء يتصل بهم وبدينهم ؛ ويظهر أنه كان يعتقد فى إمكان إحياء الإسلام على قواعده الأصلية وقد تصادف أن كان فى مصر فى شتاء عام ١٨٨١ — ٨٢ ؛ فألقى بنفسه بكل ما تبعثه الطبيعة الشاعرية من حماسة فى جانب القضية العرابية وأصبح مرشدها وفيلسوفها كما أصبح الصديق لعرابى وأتباعه ؛ ورأى مستر بلنت أنه كان يعنى بحركة هى إلى حد معين حركة قومية بلا نزاع ؛ وفشل فى أن يفهم فهماً كافياً تلك الحقيقة وهى أن سيادة الحزب العسكرى كان فيها القضاء على العنصر المدنى فى الحركة ؛ وكان فى وقت ما يعمل وسيطاً بين السير ادوارد مالت والقوميين

ولكن هذا الاختيار لم يكن موفقاً ؛ لأنه يتبين بأجلى وضوح مما ذكره بلنت فى كتابه عن مساعيه أنه فيما عدا بعض المعرفة باللغة العربية لم يكن على شىء من الصفات اللازمة لتحقيق النجاح فى مسألة لها ما لهذه المسألة من صعوبة ودقة . ولقد نصح القوميين أن يعنوا بالجيش وإلا غالتهم أوربا ، وكان يعنى النصيحة بلا ريب ولكنها كانت فى غير وقتها كما كانت خبيثة ، فلئن كان ثمة من خطر من جهة الغزو الأوربى فإن موطن هذا الخطر كان فى انضمام الحزبين الوطنى والعسكرى أكثر مما كان فى انفصالهما ؛ ولقد كان من السهل على السياسى المجرب أن يدرك هذا، ولم يكن للمستر بلنت تجربة سياسية ذات قيمة ما وإنما كان رجلاً متحمساً يحلم أحلاماً عن يوتوبيا عربية »

هذا هو ما رآه كروس فى بلنت. وليس عجيباً أن يكون هذا رأى كروس وهو من أساطين الاستعمار فى رجل كستر بلنت كان بلا ريب من كبار الأحرار ؛ وإنما أوردنا رأى كروس هذا لأنه يكشف عن جانب من أساليب المستعمرين الانجليز فى محاولة طمس الحقائق فى سبيل الوصول إلى ما يطمعون فيه من أغراض؛ وهو من ناحية أخرى يشف عما كان يمكن أن يقابل به مسعى رجل مثل مستر بلنت فى دوننج ستريت إبان تلك الأزمة التى نحن بصددها : أزمة مقاومة الوزارة الوطنية فى مصر

ولم يكن ينتظر أن يصيب بلنت غير الفشل ، وقد رغبت وزارة جلادستون فى تعجيل الحوادث ، لتفلت من فرنسا وتنفرد فى وضع يدها على مصر حتى تخلص من الموقف الحرج الذى وضعها فيه مسلك فريسنيه . فإن هذا الوزير قد ذهب فى تجنب العدوان على مصر إلى حد أنه كتب إلى قنصل فرنسا فى القاهرة يأمره أن « يلتزم خطة التحفظ والحذر ، وإن كان ذلك لا يمنعه من أن يحسن صلته بكل حكومة فى مصر تحترم الاتفاقات الدولية وتحافظ على النظام » .

ولقد زاد فريسنيه على هذا أن استدعى المسيو بلنير العضو الفرنسى فى المراقبة لما كان يعلم من مسلكه نحو الحركة الوطنية فى مصر ، وباستدعاء بلنير خلا الجو لكلفن ومالت فراحا ينفثان سمومهما ويتعجلان الحوادث فى غير وناء ولا استحياء ...

وبعد شهرين من هذا وقع فى القاهرة حادث المؤامرة الجركسية؛ وللقارئ أن يصور لنفسه أية فرصة كانت تلك الفرصة التى أتيحت للسياسة الإنجليزية وعلى أى صورة راحا يستغلانها لصالح دولتهما دون أى وازع من ضمير أو قانون أو عرف. ولننظر بعد ذلك ماذا كان من أمرهما وأمر الخديو فى هذا الحادث العادى الذى لولا أطماع السياسة وتربص القوى بالضعيف جرياً على سنة تنازع البقاء فى هذا الوجود ما كان ليعتبر شيئاً مما أثاره من قلاقل خطيرة ، أو ليلد ما ولد من أحداث جسيمة

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧١ — المرأة

(الكلم الروحانية) : سئل الفيلسوف سيافيدس السكّيت عن المرأة فقال : همُّ الرجل ، سرٌّ لا يوصف ، سبع معاشر ، لبوة فى شمارك ، أفعى مستورة بالثياب ، حربٌ لا سِلْمَ معها ، راقدة تنبهك ، حزن دائم ، هلاك السخيف ، آلة الفحشاء ، غول إنسيَّة ، آلة لبقاء الصورة .

٤٧٢ — هذا المصير ...

حضر الفقيه الشاعر ابن أبى الصقر الواسطى عزاء صغير ، وهو يرتعش من الكبر . فتغامز عليه الحاضرون : كيف مات الصغير وبقى هذا الشيخ فى هذه السن ؟ فقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفلٌ صغير
رأيتَ اعتراضاً على الله إذْ توفى الصغير وعاش الكبير[1]
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك : هذا المصيرُ

٤٧٣ — أطعمه الكسكسون

نفح الطيب : قال القاضى محمد القرشى المقرى : حكى لى القاسم ابن محمد الجبنى مدرس دمشق ومفتيها أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل (عليه السلام) : نزل بى مغربى فرض حتى طال على أمره فدعوت الله أن يفرّج عنى وعنه بموت أو صحة . . . فرأيت النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام فقال : أطعمه الكسكسون — قال يقوله هكذا بالنون — فصنعتُه له فكأنما جعلتُ له فيه

(١) توفى الله الصغير وكل إنسان . فالله المتوفى — بكسر الفاء — والانسان المتوفى (بفتحها) . قال ابن الجوزي : حكى إسحق بن ابرهيم قال : حضرت جنازة لبعض القبط ! فقال رجل منهم من المتوفى (بكسر الفاء) . فقلت : الله ! فضربت حتى كدت أموت . وفى (الكشاف) : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً . قرئ يتوفون (بفتح الياء) أى يستوفون آجالهم ، وهى قراءة على رضى الله عنه (قلت) فعلى ذلك يقال : فلان المتوفى بكسر الفاء .

الشفاء . وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ، ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ، ويقول : لا أعدل عن لفظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووجهُ هذا من الطبّ أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له ، فرعا نبه منه شهوة ، أو رده إلى عادة .

٤٧٤ — بين خالد الكاتب ومليح فطن

— ما آن أن يرحمنى قلبك[1] ؟ !
— لا .
— حتى متى يلعب بى لبك ؟ !
— إلى آخر الدهر ...
— لا أعدم الله فؤادى الهوى[2] !
— آمين !
— يوماً ولا جربه قلبك !
— قد تقبل الله ذلك
— إن كان ربى قد قضى بالضنى !
— ماذا يكون ؟
— وشدة الحب فما ذنبك ؟
— سل نفسك ...

٤٧٥ — صدقك والله أعجب الى

(الأغانى) : قال الرشيد يوماً لأبى حفص عمر الشطرنجى : يا حبيبى ، لقد أحسنت ما شئت فى بيتين قلتهما ، قلت : ما هما يا سيدى ، فمن شرفهما استحسانُك لهما ، فقال : قولك :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذراً عليك وإننى بك واثق ألاّ ينالَ سواى منك نصيبا

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ليسا لى ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقُك (والله) أعجب إلىّ

* * *

محمد بن الجهم البرمكى : رأيت أبا حفص الشطرنجى الشاعر فرأيت منه إنساناً يلهيك حضوره عن كل غائب ، وتسليك مجالسته عن هجوم المصائب . قربه عُرس ، وحديثه أُنس ، جده

(١) حذفت همزة الاستفهام . فى المفصل : تحذف الهمزة إذا دل عليها الدليل . فى المغنى : الأخفش يقيس ذلك فى الاختيار عند أمن اللبس
(٢) أعدمه إياه : أفقده إياه

لعب ، ولعبه جد . دَيّن ماجد ، إن لبسته على ظاهره لبست مومومقاً لا تملّه ، وإن تتبعه لتستبطن خبرته ، وقفت على مروءة لا تطور[1] الفواحش بجنباتها ، وكان ما علمته أقل ما فيه الشعر

٤٧٦ — أفسر آية من القرآن

(مفاتيح الغيب) : روى أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطى[2] على عمر الأبهرى. فقال بعض الفقهاء يوماً: ما الذى تقرأونه ؟ فقال : أفسّر آية من القرآن ، وهى قوله تعالى : (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) فأنا أفسّر كيفية بنيانها ولقد صدق الأبهرى فيما قال ، فإن كل من كان أكثر توغلاً فى بحار مخلوقات الله كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته .

(١) تطور « لا تطيركما فى النسخة المطبوعة » فى الصحاح : لا أطور به أى لا أقربه ولا تطرحرانا أى لا تقرب ماحولنا . وفى الأساس : لاتطر حرانا لا تنش ساحتنا ، وأنا لا أطور بفلان لا أحوم حوله ولا أدنو منه

(٢) المجسطى (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء.) أشرف ما صنف فى الهيئة بل هو الأم ، وهو كتاب لبطليموس يذكر فيه القواعد التي يتوصل بها فى باثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بادلتها التفصيلية . وعربه حنين ابن اسحق (كشف الظنون)

٤٧٧ — النبع يقرع بعضه بعضاً

مجمع الأمثال : هذا المثل : (النبع[1] يقرع بعضه بعضاً) يروى لزياد ، قاله فى نفسه وفى معاوية ؛ وذلك أن زياداً كان على البصرة ، وكان المغيرة بن شعبة على الكوفة ، فتوفى بها . فخاف زياد أن يولى مكانه عبد الله بن عامر ، وكان زياد لذلك كارهاً . فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة ويشير عليه بتولية الضحاك ابن قيس مكانه ، ففطن له معاوية فكتب إليه : (قد فهمت كتابك فليُفرخ روعك[2] أبا المغيرة ، لسنا نستعمل ابن عامر على الكوفة وقد ضممناها إليك مع البصرة) .

فلما ورد على زياد كتابه قال : (النبع يقرع بعضه بعضا) . فذهبت كلمته مثلاً . يضرب للمتكافئين فى الدهاء والمكر .

(١) النبع من شجر الجبل وهو من أكرم العيدان .

(٢) أفرخ الروع — بفتح الراء — ذهب الفزع (الصحاح) : أفرخ روعك — بالضم — أى خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ

١ ـ لحن الذكرى

[سمع الشاعر أغنية ألفها منذ عهد مطرب لها
وبعثت له كوامن الذكريات . . .]

للأستاذ صالح على الحامد العلوى

قدكَ ياشادى ! ورفقاً يا وتر ! لستُ فولاذاً ، ولا قلبى حجر !
لستُ إلا شاعراً تهفو به نُوَبُ الشوق وأحلام الذكر
كلما رنّت بسمعى نغمةٌ فصمتْ عقدَ دموعى فانتثر !
رُبَّ لحنٍ ناطقٍ من وترٍ خاطبَ النفس فأشجاها وسر
ومُغَنٍّ صامتٍ ما لم يُطِقْ شاعرٌ إن نطق الشعرَ سحر
لغةَ الوجدانِ ، إن لم تدرِها فاسأل القلبَ يُخَبِّرْكَ الخبر !

* * *

يا لها أغنيـــةً ، فى طيّها للهوى تاريخُ أُنسٍ قد غبر !
رنَّ فى نفسي صداها مُوقظاً ذكريات رقدتْ بين الفِكَر
يالهُ لحناً ، على إيقـــاعهِ رقصَ الدمعُ بعينى وطفر !
حبذا أيامُ أُنسٍ ، كم بها من برود اللهو مِسْنا فى الحِبَر
فرصٌ جاءتْ كما شاء الصِّبا هشّ فيها الحظُّ وافترّ القدر
يا ربوع اللهو ! هل من عَوْدة ؟ يا رعى اللهُ زماناً فيكِ مر !
كم جنيْنا فيه أثمار المُنَى ! وبلغنا منه غاياتِ الوطر !

* * *

رجِّعِ الصوت ، وبلبلْ أنفُساً كم بها من لحنك السارى أثر !
مُحْيِياً منى مواتاً ، كم طغت مَوْجةُ الحبِّ عليه فازدهر
فأرانى ســـابحاً فى عالَمٍ رفّ فى غُرِّ المعاني والصور
بانِياً ما بين أنقاضِ المُنَى بُرُجاً من دونها أَوْجُ القمر !

* * *

بُلبلَ الفنِّ ! أماناً ! قد شجى صوتك الطير ، فرفقاً بالبشر !
رأفةً بالقلب لا تعبثْ به ولك السمعُ حلالاً والبصر !

٢ ـ الأوبة

ذكرَ الصِّبا ! كم صَلِينا البيْنَ أزمانا
والآن عُدتُ فهوِّنْ ما بك الآنا
إنى على العهد باق فوق عهدك بى لم أَسْلُ عنك، ولا حاولت سلوانا
لا تلحَنى فكلانا بالبِعادِ شجٍ
تُدلى بشكواكَ أمْ ندلى بشكوانا ؟
لم أنسَ فجر الصِّبا فى جانبيك ولا عهداً مضى فيك بالأفراح فَينانا
ولا ملاعبَ لهوٍ فى حماك ولا مَراحنا جانب الوادى ومغدانا
إذ ليس نفرغُ من لهوٍ ولا لعبٍ إلا حثثنا إلى لهوٍ مطايانا
ولا يهلُّ لنا شهرٌ فنُبلِيهُ إلا وزادَ صِبانا الغضُّ ريعانا

* * *

هنا نشأتُ فكمْ لاقيتُ مرفهةً وكم رضعتُ هنا بِرّاً وتحنانا
هنا هفا القلبُ حولَ الحسنِ مرتمياً
مثل الفراشِ حيال النورِ هيمانا !
هنا رشفتُ كؤوس الحبِّ طافحةً
معْ من أحبُّ وعينُ الله ترعانا ،
فى هالةٍ من شعاع الطهرِ قد جمعتْ
مُنى الهوى والصِّبا اللاهى وإيّانا
لا ينطقُ الأنسُ إلا من أسرّتنا ولا يُرى البِشرُ إلا من ثنايانا ،
وكلما ضاقَ عنا الكونُ أجمعهُ بنى الخيالُ لنا فى الحبِّ أكوانا!
فالناسُ يحيَوْنَ فى دنيا همومهمُ ونحنُ فى معزلٍ عنهم بدنيانا ،
نعيشُ كالطير وثّاباً بروضته يميتُ ساعاتِه حبّاً وألحانا
يلهو ويشدو على الأغصان مُزدهياً
مُرفرفاً فى الفضاء الرّحب نشوانا
. . . سرح قضيتُ بها فجرَ الحياةِ فيا
تُرى يعودُ بها عهدى كما كانا ؟

* * *

والآن ـ يا وطنى ـ حالتْ بنا غيرٌ :
تجاربٌ قد أرتنا الدهر ألوانا
محا الزمانُ أضاليلَ الصِّبا فمحتْ لولا بقيّاتُ حبٍّ فى حنايانا
وفى الحشا ذِكَرٌ أنسيْتها خلدى
فلا أُحيلُ بها الأفراح أشجانا
ولستَ تنقمُ إلا أننى رجلٌ أختطُّ من تلماتِ العزِّ أوطانا
ما اعتضتُ بالأهل والإخوان من بدلٍ
وإنْ أضفتُ لهمْ أهـلاً وإخوانا
عُدْ للسرورِ نَعُدْ للهو ثانيةً وزِدْ نَزِدْ بك فى اللذات إمعانا !

(حضرموت — سيوون) صالح بن على الحامد العلوى

وداع الحمراء

(من ديوان « رجع الصدى »)

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

وقف أبو عبد الله آخر ملوك العرب فى الأندلس على التلة التى أطلق عليها الاسبان (تلة الدموع) يودع غرناطة وهى تتوارى عن عينيه ، وألقى النظرة الأخيرة على قصر الحمراء مغمورة بالدمع مخنوقة بالتنهدات ، وقد ودع بهذه النظرة الدامعة والحسرة اللاذعة مجد العرب الضائع وفردوسهم المفقود . . . وكأن دموعه تنظم فى انحدارها هذه الأبيات :

وداعاً جنتى وقرار قدسى ... ومظهر عزتى وجلال أمسى
لقد طغت الخطوب على حتى ... فقدتك بين ضعضعتى ويأسى
وأسلمنى العثار إلى شقاء ... يقود الحظ من تعس لتعس
وما أنا غير مخلوق توالت ... عليه كواكب الدنيا بنحس
تغيب عرائس الدنيا أمامى ... وتغرب فى مواكبهن شمسى
وتهوى كل آمالى حطاماً ... تجر إلى الفناء حطام نفسى
وتغرق فى دموعى ذكريات ... تذوب كأنهن حباب كأس
وأعتصر الفؤاد عليك حزناً ... فلا أجد العزاء ولا التأسى
دفنت بك المظالم خالدات ... وملت أخط فى الآلام رمسى
وما أنا غير آدم هام يبكى ... على فردوسه فى دار بؤس
لقد باع الجنان بغير ذل ... وبعت أنا الجنان بخفض رأسى

حسن كامل الصيرفى

دم عجيب

للأستاذ محمد العلائى

ها هنا الجرح يا طبيب فحاذر ... أن تهيج الدفين من برحائه
وامسس الجرح يا طبيب برفق ... فدم الجرح ثائر تحت دائه
صن دم الجرح يا طبيب وأبعد ... عن عيون الجريح لون دمائه
واحتفظ يا طبيب بالدم واحذر ... أن يمس التراب بعد غلائه
ضمد الجرح يا طبيب برفق ... ضل راميه فى سبيل رجائه
رمية يا طبيب من يد رام ... عبد الظلم فى دما أبريائه
أرسل السهم يا طبيب وتمنى ... فأصاب الكمى فى كبريائه

محمد العلائى

حيرة

للأستاذ فريد عين شوكة

سأهجره وأنساه ولا أعفو لذكراه
حبيب ، كلما أفضى له قلبى بنجواه
وضج إليه بالشكوى من الحب وبلواه
تبسم ضاحكاً ! وغفا عن الشاكى وشكواه !!

***

سأهجره ! وهل أقوى على الهجر وطغواه ؟!
وهل يرتاح لى قلب سقته السحر عيناه !
وهل ترتاح لى عين ينورها محياه !!
وكيف أطيق أن تنبت (م) عن دنياى دنياه !
ويلقانى فأنكره !! ويحرمنى تحاياه !!
كأن ليست لنا كالنا س آذان وأفواه

***

أخاف عليك يا قلبى حنينك حين تلقاه
أخاف عليك أن تنسى إليه قبل مسعاه !
لكم أقسمت : لن تغدو أسيراً من أساراه
وكم جافيته لما جفاك ، وكدت تنساه
فلما جاء معتذراً غفرت ! وسامح الله

فريد عين شوكة

طفل

[من ديوان « إشراقة » تحت الطبع]

للشاعر السودانى المرحوم التيجانى يوسف بشير

تبارك الذى خلق من مضغة ومن علق
سبحانه مصوراً من حمأة الطين حدق !
شق الجفون السود واستل من الليل الفلق
واستخرج الإنسان من محض رياء وملق
مفترعاً من فمه سر البيان فنطق

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



دراسات فى الفن :

الفن علامة الانسانية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

قال جاجادير بوز العالم الهندى إن النبات يتألم ويئن وأثبت ذلك . وأغلب الظن أن جاجادير بوز لو لم يكن شرقياً لكثر عليه أن ينسب الألم والتعبير عنه بالأنين إلى النبات ، ولا كتفى بقوله إنه تبدو فيه اهتزازات واضطرابات تشبه انفعالات الألم عند الإنسان . فهذا هو نهج الغربيين من العلماء الذين يتصدون لدراسة الحياة : يؤثرون أن ينكروها أولاً ثم أن يبحثوا عنها ثانياً على خلاف ما يفعل الشرقيون الذين يشعرون بها أولاً ثم يتعرفونها ثانياً بادئين بأنفسهم غير منتهين إلى شىء ، لأنهم يؤمنون بالروح ويحبون بطبعهم أن ينسبوها إلى الأحياء جميعاً ولا يسمحون لأنفسهم أن يقولوا ماقاله بعض علماء الغرب من أن الحيوان نفسه مسلوب الروح وأن كل ما يبدو عليه من أمارات الوجدان والعاطفة ليس إلا ردود أفعال لاهتزازات عصبية مادية تعترى الحيوان فى ظروف خاصة وتبعاً لمؤثرات خاصة. وهم يذهبون فى نكرانهم هذا إلى أبعد الحدود حتى لينكرون هذا الفرح الذى يعترى الكلب فى استقبال صاحبه النائى ، وهذا الحزن الذى يعتريه لوفاة صاحبه الوفى والذى يحمله على الإضراب عن الطعام والشراب حتى يموت موتاً . ينكرون العاطفة الروحية على الحيوان ويقولون إنه لا يفرح للقاء صاحبه وإنما هو يضطرب لأن مرأى صاحبه يثير فى نفسه أو فى أعصابه صور الطعام والنعم التى يغدقها عليه ، ثم يقفون أمام الكلب المنتحر من الحزن والأسى ، وقد طأطأوا رؤوسهم يفكرون فى هذه القوة التى نقّت الحيوان من أخص خصائص حيوانيته فأهمل الطعام والشراب والحياة نفسها . . . يخفضون الرؤوس أمام هذا الكلب طويلاً يبحثون فى أذهانهم عن علة صيامه ؟ فإذا قال لهم قائل إن الحزن والأسى هما السبب انتفضوا وقالوا : لا . نحن لا نعرف . ولكننا نأبى أن يكون فى الحيوان روح وحياة . أما بقية الناس فمنهم من لا يرون فى فرح الكلب وحزنه إلا اضطرابات واهتزازات وانفعالات وردود أفعال عصبية مادية لا روح فيها ولا حياة ، وهؤلاء يقبلون أن يصدقوا هؤلاء العلماء لأنهم مثلهم ، وأن يثبتوا معهم أمام الكلب ينكرون عليه فرحه وحزنه إلى أن يقول

وجاعلاً بين حنـــايا ۰ فؤاداً تخفـــق
بث القوى فيـــه دماً ۰ أحمـــر أو عظماً يثق

***

من عدم لعـــدم ۰ ومن عنـــاء لرهق
ضج الثرى من رجم ۰ مشـــيد ومن نفق

***

سبحانه كم ألهم العقل ۰ جنـــوناً وحمـــق
يشك ما يحيا وإن ۰ أشفى على الموت فرق
وكم تعـــالى حميت ۰ عنـــه قلوب من خلق
ســـبحانه قد وضحت ۰ آثاره فينـــا ودق !

***

رى بهذا الطفل فى الأر ۰ ض ومن ثم رزق
رى به فى موكب الذ ۰ يـــا مشـــالاً للقلق
يدير عينيـــه ويستف ۰ سر عن سر الشفق
كأنه يصرخ : إن المو ۰ ت بالشمس علـــق !

التجانى يوسف بشير

لهم بلغة من اللغات الأوربية : إنى فرح وإنى حزن . ومن الناس من يحسون ويشعرون ويبادلون الحياة الشهقات والزفرات وأولئك آمنوا من هدى أنفسهم أن فى الحيوان روحاً وحياة ، وهم يسارعون إلى جاجاديز بوز يصدقونه حين يقول : إن النبات يتألم وينفعل بوجدان ، ويئن وينطلق بتعبير . ويخرجون من هذا بأن الحيوان أولى من النبات به .

ورضى الله عن جاجادير بوز الذى استطاع أن يثبت رأيه إثباتاً علمياً استخدم فيه آلات المعامل وأحماضها وأملاحها فلم يعد هناك مجال لإنكار ما أثبت، بل لقد عد صنيعه هذا من كرامات البشرية الحديثة فنحه الغرب جائزة نوبل التى يتعززبها على الشرقيين

أثبت الشرق إذن أن النبات يتألم وأنه يئن من الألم ، وقد يكون الألم علامة الروح الوحيدة فى النبات وقد يكون معه غيرها ولكنه على أى حال يكفى للتدليل على الروح، فهو يستطيع أن يشملها وهو الذى ينزع بها إلى الخلاص ! وهو - أخيراً - حسبنا من علامات الروح فى النبات

فإذا ارتفعنا من النبات إلى الحيوان فى سلسلة التطور والارتقاء الحيويين رأينا الحيوان يمتاز على النبات فى الظاهر بالحركة . ورأينا الحيوان فى حركته واحداً من اثنين : إما خسيسا يتحرك فى حياته حركات متشابهة متكررة لا تعديل فيها ولا تجديد ولا محاولة تدل على قدرة التلاؤم مع الحياة . وإما رفيعا يتحرك فى حياته حركات مختلفة يطرأ عليها التعديل كلما تغيرت الأحوال ، ويطرأ عليها التجديد كلما استدعت الظروف التجديد ، وتتحور ويتزايد وضوح المحاولة التى تدل بها على قدرة التلاؤم مع الحياة

أما خسيس الحيوان فقد يسهل تصوره محروماً من العقل إذا اعتبرنا أن العقل هو القوة التى تمكن الكائن الحى من الملاءمة بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة المتجددة . ولكن هذا إذا سهل علينا تصوره ، فإنه يتعذر علينا (بعد الذى أثبته جاجادير بوز) أن نتصوره خالياً من القوة الروحيــة التى يثور بها فى نفسه وجدان الألم على الأقل . فإذا كنا ممن يؤمنون بالتطور والارتقاء الروحيين إلى جانب التطور والارتقاء البدنيين ، فإننا من غير شك نتوقع أن يكون فى أدنى الحيوان من علامات الروح شىء إلى جانب الألم ، لأنه قد ثبت أن النبات يتألم ، والحيوان مهما كان دنيئاً فهو أرقى حياة وروحاً من النبات ، إذ أنه كلما ارتقى الكائن الحى ارتقت روحه وزاد إحساسها وزادت قدرتها على التعبير عن نفسها

أما الرفيع من الحيوان الذى تتضح مقدرته على التلاؤم مع ظروف الحياة الطارئة المتجددة ، فهذا يصعب تصوره محروماً من العقل لأن فيه من مظاهر العقل .

صحيح أننا نرى فى سلوك الحيوان ما يدل على الغباء أحياناً وما يدل على الغفلة وما يدل على الجهل ، ولكننا إذا تدبرنا هذه المواقف التى يظهر فيها غباء الحيوان وغفلته وجهله رأينا أكثرها مما تصطنعه ظروف غير طبيعية فى الحياة . ولما كان الحيوان حيواناً وليس أستاذاً من أساتذة العلم الحديث فإنه المسكين يحار ويختبل أمام هذه الظروف الطارئة التى لم يسبق لأجداده الوقوع فى مثلها وتجربتها ومعالجتها سبقاً متكرراً كان يمكن أن يهيئه للتغلب عليها ، وهو فى هذا لا يزال يشبه أساتذة العلم الحديث حينما يقفون أمام المشكلات الحديثة المستغلقة ... أليسوا هم أنفسهم يحارون ويختبلون ؟ ألا يصدر عنهم من الأعمال ما يدل على الغباء والغفلة والجهل كما تصدر عن الحيوان أعمال تدل على هذى ؟ إنهم هكذا من غير شك وإن فى الحيوان عقلاً ولو تضاءل أمام عقل الإنسان وتواضع فإنه موجود لا يمكن إنكاره

فإذا اعترفنا للحيوان الراقى بوجود العقل ، أو بوادر العقل فيه ، فإننا لا نملك إذن إلا أن نعترف له إلى جانب هذا بوجود الإحساس والمواطف فيه أيضاً ، وقد نستغنى عند هذا الحيوان الراقى عن براهين جاجادبزبوز إذا كنا ممن يرون ويشعرون ويحسون ويدركون الأشياء من غير أجهزة ومقاييس وموازين فإذا لم نكن من هؤلاء فقد قال جاجادبزبوز العالم من الهند إن النبات يتألم ويئن ، وأثبت هذا إثباتاً يقنع عقل الغرب كما رضى عقل الشرق ، وأصبح من المكابرة بعد هذا أن تنكر الأحاسيس والمواطف على الحيوان ، خصوصاً الحيوان الراقى الذى يسلك فى حياته سلوكاً يشبه سلوك الإنسان فيبحث عن طعامه بحثاً منطقياً ، ويتقى عدوه اتقاء منطقياً ، ويبنى مسكنه بهندسة منظمة بل إنه يمكر أحياناً ، ويتخابث ويحتال ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه حى يقظ يحاول أن يلائم بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة

فينجح أحياناً ، ويفشل أحياناً ، ولكنه لا يكف عن المحاولة ما دام حياً

فإذا تركنا حياة النبات والحيوان وقد ترامت لنا الروح فيها وعرجنا على حياة الإنسان رأيناها أنضج من حياتيهما في نواحيها الثلاث : النبات يحس ويعبر عن إحساسه ، والحيوان يحس ويعقل ويعبر عن إحساسه وعقله ، والإنسان يحس ويعقل ويعبر عن إحساسه وعقله

فهل يزيد الإنسان على الحيوان في شيء ... ؟

لا جاجاديزبوز ولا حتى أنا نرضى بهذا ! ولا يرضى به شرق

قد كان من الممكن أن يقال هذا لو لم نقل إن الإنسان حلقة جديدة هي أرقى الحلقات في سلسلة التطور والارتقاء في الخلائق . وما دمنا قد قلنا هذا ، وما دمنا رأينا التطور والارتقاء الماديين يلزمهما تطور وارتقاء روحيان ، فلا بد أن يكون في الإنسان ميزة روحية ترق به على الحيوان إلى جانب رقيه البدني المادي .

فما هي هذه الميزة الروحية ؟

لنعد مرة أخرى إلى النبات والحيوان نتتبع فيهما منطق التطور والارتقاء لنهتدي به فيما نريد أن نعرفه من علامة الإنسانية التي لو فقدها الإنسان لم يكن غير حيوان ، وإن نطق ! فليس النطق على أشرف صورتيه إلا محاولة عقلية ... أما الصورة الأخرى فهي التي نعرفها من الببغاء التي أنطقها الله لأمر ما ، والتي لعله سبحانه أراد حين أنطقها أن يدرك المتبصرون شيئاً من تشابه الخلائق ، وبريقاً من التوحد يسطع منها جميعاً ، وإن تفاعلت وتبدلت وتطورت وارتقت ...

النبات يرتقي حتى ليشابه الحيوان في حلقة الإسفنج ، والحيوان يرتقي حتى ليشابه الإنسان في القرد أو ما هو أرقى خلقاً من القرد وهو الحلقة المفقودة التي ذكرها العلماء . وقد رأينا الإحساس يبدأ في الحياة أولاً ومعه تعبير صامت عنه ، ثم نرى العقل ينشأ في الحيوانات المختالة ومعه تعبير غامض عنه لم يثبت بعد للعلم ، ولكننا قبل أن نترك حلقة الحيوان إلى حلقة الإنسان نرى الحيوان يعبر عن إحساسه تعبيراً فيه تدليل على ذاته ، وهو أشبه التعبير بالغناء البشري . فإذا تركنا حلقة الحيوان ومضينا إلى ما بعدها في سلسلة التطور والارتقاء وهي حلقة الإنسان رأينا هذا التعبير الذي يحاوله الحيوان في انحصار يتضح عند الإنسان وينفرج حتى ليسخر له الإنسان الأرقى حواسه جميعاً يجمع أصوله بها ويطلقه فيها ، ثم يصدره معبراً عن ذاته كما يفعل البلبل والكروان ولكن في صور أكثر من صورها ، ثم معبراً بعد ذلك عن غيره ، وهو ما لا يفعله أحد من الحيوان ، لا البلبل ولا الكروان .

ونحن إذا حاولنا أن نجد شيئاً ظاهراً يميز الإنسان مما عداه من المخلوقات في هذه الظاهرة لم نجد شيئاً . ذلك أنه إذا حسبنا النطق يميز الإنسان فالببغاء ناطقة ، وإذا حسبنا الحياة الاجتماعية تميز الإنسان فالذئب والقرد والوعل حيوانات اجتماعية ، وإذا حسبنا الإحساس يميز الإنسان فقد رأينا الحيوان بل والنبات يحسان ، وإذا حسبنا العقل فالحيوان يعقل وإن أنكر العلماء ، وهكذا فإننا نعجز في التفريق بين الحيوان والإنسان إلا باثنتين ! هذه الظاهرة التي سجلناها ، وظاهرة أخرى هي الدين ... على أنه يمكن بسهولة تامة أن نتصور النبات والحيوان والجماد معهما متدينين جميعاً إذا اعتبرنا أن الدين هو الإسلام وهو نهج النظم الطبيعية التي تؤدي إلى السلامة ، وإذا لحظنا أن الأديان لم تلزم الإنسان إلا بعد أن انحرف عن نهج النظم الطبيعية التي كان يجب عليه أن ينهجها لتسلم حياته من الأضرار وأمراض البدن والروح ، لم يبق أمامنا من شيء يميز الإنسان على سائر الكائنات غير هذه الظاهرة التي ذكرناها

فما هي هذه الظاهرة ؟

إنها الفن !

وهذه الظاهرة تسلك حين تسري في الإنسانية مسلك كل ظاهرة من ظواهر التطور والارتقاء . وقد رأينا ظواهر التطور والارتقاء تبدأ في الدنيء من الخلائق على صورة يسيرة غامضة ، ثم تزدهر وتتضح وتتضح حتى تتميز تميزاً تاماً واضحاً ملموساً فيكون هذا التميز طابعاً لهذا الفريق من الخلائق ويكون هذا الفريق أنضجها وأرقاها في هذه الناحية

وكذلك الفن . نواته موجودة في البشر جميعاً لأنهم الحلقة الحيوية التي اختصتها الطبيعة به وهيأتها له . والدليل على ذلك أن الناس جميعاً يستجيبون للفن أو هم على الأقل يطربون للموسيقى . وما كانوا يملكون إلا هذا ما دام في الحيوان ما يغني كالكروان

والبلبل ، وما دام فيه ما يستجيب للصفير « وهو ضرب من الموسيقى » كالثعبان . وليس غناء الكروان والبلبل واستجابة الثعبان وطربه للصفير إلا بشيراً بالفن أو بأنغامه على الأقل بشرت به الحياة الخلائق في الحيوان ، وحققته تحقيقاً تاماً في الإنسان ؛ غير أن الناس ليسوا سواء في تكوينهم الفني ، وليس في هذا عجب لأن الناس ليسوا سواء في شيء من الأشياء ، ولأن طبيعة الحياة أن تتشابه في العموميات ، وأن تختلف في التفصيلات ليثبت لذوي الأبصار أن هذه الخلائق لا تصنع في مصنع فيه آلات وفيه قوالب وإنما تخرجها إرادة فنان يأبى أن يتكرر حين يتوحد سبحانه من فنان !

فإذا راق لنا أن نؤمن بهذا وأن نعتبر الفن علامة الإنسانية التي تسمو بها على الحيوانية والتي لا يمكن الإنسان أن يكون إنساناً إلا إذا اتصف بها ... إذا آمنا بهذا لزم أن يكون أقرب الناس من الفن أنضجهم إنسانية . ولزم أيضاً أن نتوقع لهذه العلامة الإنسانية أن يتزايد وضوحها وتمكنها حتى تشمل البشر جميعاً، وعندئذ تبتدئ بشائر الميزة الجديدة التي يريد الله أن يطبع بها الحلقة المقبلة من حلقات التطور في الخلائق . . ومن يدري أي شيء سيكون هذا الطابع ، وأي ميزة ستكون هذه الميزة ؟! لعلها ميزة العقل الذي يطالبنا به الله لا عقل العلم الحديث

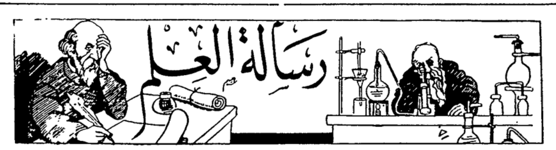
فإذا كان الأمر كذلك كان ما يسعد الفن هو ما يسعد البشرية ، وكانت كل محاولة يراد بها التقليل من شأن الفن محاولة مجرمة تعرقل التطور البشري

فهل تنهج الإنسانية في حياتها الحالية نهجاً فنياً يسعدها ويرق بها ؟ أو هي قد انحرفت عن طريق الفن إلى طريق آخر لا يمكن إلا أن يقيد بها مهما كان صالحاً ومهما كان فيه خير لنواح بشرية غير ناحية الحس الروحي ؟

إن الإنسانية قد انحرفت إلى هذه الطريق منذ أمنت بالحضارة والعلم اللذين يحتضنان المادة

وإنه من الخير لها أن تفيق وأن تعود إلى حياة الحس الروحي فينتعش فيها الفن وتنتعش فيها الروح وترق ، وهذه سنة الله لو أردنا أن نتبع سنته

عزيز أحمد فهمي



عمل أفوجادرو ونجاح ماندلييف

للدكتور محمد محمود غالى

بساطة النسب الثابتة فى التراكيب الذرية — كشف « جاى ليساك » — عدد « أفوجادرو » — معلومات عددية عن الذرة — دورية « ماندلييف » — عمل ماندلييف فى الكشف عن العناصر بشهد عمل : « ليعيريه » « وكلايد تومباوج » فى الكشف عن الكواكب الجديدة .

كان لا بد لنا ونحن نذكر قصة العلوم والطفرة التى حدثت فى العالم فى المائة والخمسين سنة الأخيرة ، تلك الطفرة التى لا يمكن أن يتكهن أحد بمدى ما تبلغه من التقدم ، أن نورد تلك الخطوة الموفقة للعالم الإنجليزى الكبير «دالتون» صاحب الفرض الذرى، ذلك الفرض الذى مهد له العالم الفرنسى « بروست » الذى لاحظ وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها(١) . ومن العدل قبل أن نعطى القارئ صورة مما أفاده العلماء من هذه الحالة الجديدة أن نذكر أن « دالتون » لم يستفد من ملاحظات « بروست » فحسب ، بل أيضاً من تجارب فريق من العلماء ، تجارب كان لها أثر كبير فى تدعيم الفكرة الذرية عنده ، ولا مشاحة فى أن لتجارب فينسل Wenzel وريشتر Richter التى لا ندخل فى تفاصيلها، أثراً عند « دالتون » للوصول إلى الفكرة الذرية التى كان من المحال بدونها أن نشهد هذا المهد من التقدم العلمى ، وأن نلحظ هذه الدعامة الكبرى التى قامت عليها العلوم الكيميائية ، فاتخذت فى جوهرها وتفاصيلها طريقاً يختلف منذ « دالتون » عن الطريق المعوج الذى انتحاه كيميائيو القرون الوسطى .

(١) مقالنا بالرسالة العدد ٣١٤ فى ١٠/٧/١٩٣٩ص ١٣٦٧ — ١٣٧٠

ومن الفائدة أن نذكر القارئ مرة أخرى بمنشأ الفكرة الذرية التى نشأت عندما أراد العلماء التفريق بين المزج الطبيعى والاتحاد الكيميائى . ففى الأول تمتزج مادتان بأية نسبة نريدها ، وفى الثانى تتحد مادتان بنسبة محددة ، وقد سبق أن قدمنا أنه للحصول على الماء من الأوكسيجين والهيدروجين لا بد من مراعاة نسبة بينهما معينة ، فإنه لا يتحد إلا وزن معين من أحدهما مع وزن معين من الآخر . هذه الحوادث وأمثالها أدت بدالتون إلى كشف قانون النسب الثابتة الذى كان الأساس فى النظرية الذرية ، وفى التعرف على شخصية الذرة .

على أن أهم ما فى قانون النسب الثابتة لدالتون هو أن هذه النسب بسيطة وواقعة بين العددين ١ و ٤ على أكثر تقدير بمعنى أن العناصر تتحد بنسب بسيطة واقعة بين ١و١ إلى ١و٤. ولا نزاع أنه كان من حسن الحظ إن كان الاتحاد الكيميائى وفق نسب محدودة لا تتجاوز أربعة أضعاف ، إذ لو كانت هذه النسب مرتفعة بأن تتحد مادتان بنسبة ١ إلى ٢٠٠ أو ١ إلى ١٠٠٠ . لاختلط الأمر على دالتون ، ولشق على هذا العالم أن يجد خلال هذا النوع من الأبحاث الفكرة الذرية .

على أن النسب المرتفعة لم تكتشف إلا بعد مدة كبيرة عندما اكتشفت فى المركبات العضوية فى زمن كانت الذرية قد تدعمت وأصبحت من الحقائق العلمية المسطورة التى يتناقلها العلماء ويتعمق فى تطبيقها الباحثون .

* * *

لم يقف التقدم العلمى الخاص بالذرة على اكتشاف «دالتون» (١٨٠٧) . فقد كشف العالمان جاى ليساك Gay-Lussac سنة ١٨٠٥ واسكندر دى هامبولت Alexandre de Humboldt

أن هذه النسب البسيطة الموجودة عند اتحاد العناصر بعضها ببعض لا تخص الأوزان فحسب ، بل إن ثمة نسباً ثابتة موجودة فى الغازات بين أحجامها أيضاً بمعنى أن غازين مختلفين لا يتحدان فقط بنسب ثابتة فى الوزن ، بل بنسب ثابتة فى الحجم — هذا القانون لجاى ليساك صادف حرباً عواناً من جانب العالم دالتون ولكنه أدى إلى كشف حقيقة جديدة إذ قرر أفوجادرو أن فى الأحجام المتساوية تحوى الغازات عدداً واحداً من الجزيئات ، حقيقة أود أن يتأملها القارئ قليلاً ويتأمل بساطتها وعظمة ما تحمله فى طياتها من أعجب ما نعرفه من حقائق الكون

هذا الكشف حدد عدد الذرات المتحدة بعضها مع بعض ، إذ عند ما ذكرنا أن جرامين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسيجين ليتكون منهما الماء ، أدرك بروست وفينزل وريشتر ودالتون وغيرهم أن ثمة عدداً معيناً من ذرات الهيدروجين اتحدت مع عدد معين من ذرات الأكسيجين ، ولكن هذه النسبة الثابتة فى الأوزان لا تكشف هل اتحدت ذرة واحدة من الأكسيجين مع ذرة واحدة من الهيدورجين أو اتحدت ذرة واحدة من الأكسيجين مع ذرتين من الهيدروجين . ولكن عند ما نعرف ما كشفه أفوجادرو من أن فى الحجم الواحد يوجد العدد ذاته من الجزيئات ، وعند ما نعرف وزنى حجمين متساويين من الغازين المتقدمين ، يمكننا أن نعرف أمراً مؤكداً اليوم وهو أن ذرتين اثنتين من الهيدروجين اتحدتا مع ذرة واحدة من الأوكسجين ليكونا ذرة من الماء . هذا التحديد الذى كان لجاى ليساك وأفوجادرو الفضل الأكبر فيه كان الخطوة الثانية بعد عمل دالتون العظيم . بعد ذلك حسب العلماء بدقة الوزن الذرى لكل العناصر معتبرين وزن ذرة الهيدروجين كوحدة ونسبوا إليها ذرات العناصر الأخرى

هنا تنوع الفن التجريبى وأبدع العلماء فى مختبراتهم بما رفع الكيمياء على حد قول ريشنباخ إلى مصاف العلوم الصحيحة ، وبهذا التنوع فى التجارب وما أحدثته الذرية من تقدم وما أحدثته معها السينيتيكية من تصحيح فى معارفنا أمكن للعلماء الحصول على معلومات عددية عن الذرات غاية فى الدقة وعظيمة الدلالة، هذه الذرات ، هذه الشموس التى كشفوها فى المادة يبلغ قطر الواحدة منها حوالى واحد على عشرة ملايين من الليمتر، ولكى نتصورها يجب أن نتصور كرة من الصلب يبلغ قطرها ٣٫٥ من السنتيمتر من تلك الكرات(١) التى يدور عليها محل السيارات ، والتى تبلغ كرويتها فى المعتاد درجة عظيمة من الدقة ، وعلى القارىء أن يتصور بعد ذلك أن النسبة بين حجم هذه الكرة الصغيرة من الصلب وبين حجم الذرة كالنسبة بين حجم الكرة الأرضية وحجم هذه الكرة من الصلب ، وبعبارة أخرى إن الأرض وما عليها من قارات ومحيطات تكبر هذه الكرة الصغيرة بقدر ما تكبر هذه الكرة الذرة(٢)

أما عن وزن الذرة فإذا اتخذنا الهيدروجين مثالاً ليصور لنا الحالة علمنا أن وزن ذرة الهيدروجين حوالى $\frac{١}{١٠^{٢٤}}$ من الجرام أى واحد على مليون مليون مليون المليون من الجرام ، وإذا علمنا أن وزن الأرض يزيد قليلاً عن ٥ × $١٠^{٢٧}$ جراماً فإن النسبة بين وزن الكوب الفارغ إلى وزن الأرض أكبر بكثير من النسبة بين وزن ذرة الهيدروجين ووزن هذا الكوب . وإذا كان يعيش فى هذا الزمن على سطح الكرة الأرضية حوالى ألفى مليون من

(١) يمكن الحصول على هذه الكرات مستديرة بدرجة عظيمة ، بحيث لا يفترق طول قطر الواحدة منها من جهة فيها إلى أخرى بأكثر من ميكرون واحد وأحياناً بأكثر من نصف الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من المليمتر)

(٢) للذين يريدون أن يلهوا قليلا بالعمليات الحسابية ويريدون أن يجدوا النسبة التى نتحدث عنها نذكر أن حجم كرة نصف قطرها نق هو $\frac{٤}{٣}$ × ٣٫١٤ × نق^{٣} حيث ٣٫١٤ هو النسبة التقريبية ، وعلى هذا فإن حجم كرة الصلب السابقة الذكر هو حوالى ٢٣٫٨ س م^{٣} ، وإذا لاحظنا أن محيط الأرض هو ٤٠ ألف كيلو متر وقطر الذرة $\frac{١}{١٠٠}$ من المليون من السنتيمتر فإن القارىء يجد أن حجم الأرض ١٫٠٨ × $١٠^{٢٧}$ س م^{٣} وحجم الذرة ٠٫٥٢٣ × $\frac{١}{١٠^{٢٤}}$ س م^{٣} كما يجد بعد ذلك أن النسبة بين حجم كرة الصلب المتقدمة وحجم الذرة كالنسبة بين حجم الأرض وحجم هذه الكرة وهى نسبة كبيرة تبلغ حوالى ٤ × $١٠^{٢٥}$ أى أربعين مرة مليون المليون المليون المليون

البشر فإنه يوجد فى الـ س م٣ من الهواء ٢٧ كانتيليون من الجزيئات أى ما يربو على ملايين المرات عدد ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان ، ومع ذلك فإن الفراغ الذى يوجد حولها يزيد بكثير عن الفراغ الذى يوجد حول إنسان فى مسكنه ، فإن المسافة بين جزيئين متجاورين (فى الحرارة والضغط العادى) تساوى مائة مرة قدر قطر الجزىء ، وبهذا يجوب الجزىء خلاله بسرعة عجيبة تبلغ فى الهيدروجين حوالى ١٫٧ كيلو متر فى الثانية الواحدة أى أنها تقطع المسافة بين مصر والإسكندرية فى دقيقتين فى الوقت الذى يقطعها فيه أسرع قطاراتنا الحديدية فى ساعتين

هذه الأرقام صحيحة . وليس المجال هنا لنذكر الطرق العديدة والمختلفة التى اتبعها العلماء توصلاً إلى النتائج ذاتها بطرق مختلفة

هذا موجز ما نعرفه عن الذرة التى تفترق عن الجزىء فى أنه بينا نستطيع بالطرق الكيميائية أن نجزئ الأخير إلى ذرات ، فإننا لا نستطيع بهذه الطرق أن نجزىء الذرة إلى جسيمات أصغر منها ، ولم يتصور العلماء حتى عهد قريب أياً من العمليات العديدة التى لا تمت للكيمياء فى شىء ، والتى يمكن بها اليوم القيام بهذه العملية الأخيرة من تجزىء الذرة .

من هنا حدد العلماء تعريف العنصر الكيميائى أنه مادة أولية لا يمكن بالطرق الكيميائية تقسيمها إلى عناصر أخرى ، ومن ثم اتضح أن معظم المواد التى تصادفنا فى الطبيعة هى مركبات كيميائية تتطلب عملية خاصة لتحليلها إلى عناصرها الأولى . فالماء وهو أكثر المواد شيوعاً على الأرض مركب من الأوكسيجين والهيدروجين ، والهواء من الأوكسجين والأزوت ، وهكذا أضمحلت فكرة القدماء الذين اكتفوا بتقسيم الكون إلى ماء ونار وأرض وهواء ، وانتهى عصر الكيمياء القديمة وبدأ عهد جديد يرجعون فيه المواد مهما تعددت إلى عناصر معروفة ، حتى المواد العضوية المكونة للأحياء ترجع إلى مركبات كيميائية معروفة يغلب فيها عنصر الكاربون حيث يمظم فعله ، وكما قدمنا[1] يعزو فريق من العلماء الحياة نفسها إلى أن مركبات هذا العنصر الأخير تتحد مع غيره من العناصر بما يجعل الجزيئات الجديدة كثيرة الذرات كثرة من الصعب إحداثها بالطرق العادية ، ورجح هؤلاء أن هذا هو الفارق بين المادة الحية والمادة عادمة الحياة ، ورجحنا من ناحيتنا أنه لا بد أن تكون ثمة أسباب أخرى نجهلها تجعل فارقاً بين النوعين فى التكوين

* * *

هذه المجموعة من العناصر الكيميائية ، المبتدئة بالهيدروجين والمنتهية بالأورانيوم ذلك العنصر المشع الذى نبه على خواصه الإشعاعية بكارل فى آخر القرن الماضى ، لا تكون مجموعة منتظمة ، بل مجموعة تحمل نظاماً مستتراً ، ففى سنة ١٨٦٠ بين الباحثان الروسى ماندلييف Mandelejeff والألمانى لوتر ماير Lothar Mayer أن العناصر مرتبة وفق نظام دائرى Systeme Periodique

والواقع أننا لو رتبنا العناصر وعددها واحد وتسعون عنصراً وفق وزنها الذرى مبتدئين بالعناصر ذات الوزن الذرى الخفيف ومنتهين بالعناصر ذات الوزن الثقيل ، فإن هناك حالة دورية Periodicité تظهر فى تتابع خواصها الكيميائية ، بحيث يتخذ الهيدروجين أول مكان فى هذه العناصر فيكون مجموعة بمفرده يليه غاز الهيليوم مكوناً طرف الدورة يتبعه الليتيوم ، والكاربون والأزوت ، والأكسيجين حتى غاز الفلور Fluor . أما الهيليوم فهو غاز ليس له أى أثر كيميائى فهو غير فعال بينا لليتيوم خواص قلوية واضحة كما أنه فعال من الناحية الكيميائية ، أما العناصر الوسطى من هذه المجموعة فلها خواص بين القلويات والحوامض ؛ فإذا وصلنا للفلور آخر المجموعة وجدناه يكوّن فى الواقع حامضاً شديداً ؛ أما الدورة الثانية فتبدأ بغاز النيون يتلوه الصوديوم كأول عنصر قلوى ذى أثر ويتلو هذا وذاك المعادن الخفيفة كالماجنزيوم والألمونيوم حتى السيليسيوم ، وبعيداً فى نفس العائلة نجد الكبريت والكلور حيث العناصر الحامضية الشديدة . ونجد التتابع ذاته فى المجموعات العليا التى تتلو ذلك بحيث تبدأ دائماً كل مجموعة بأجسام قلوية تتلوها أجسام بين القلوية والحامضية ثم أجسام حامضية ، ولقد كان

(١) راجع المقالين بالرسالة «الحياة» العدد ٢٩٣ فى ١٩٣٩/٢/١٣ ص ٣١٤ — ٣١٦ والنظام الشمسى للمادة العدد ٢٩٤ فى ١٩٣٩/٢/٢٠ ص ٣٦٩ — ٣٧١

التدرج حتمياً والدورات منتظمة للحد الذى تنبأ فيه « ماندلييف » بضرورة وجود عناصر أخرى فى المجموعة الواحدة ، عناصر غير معروف وجودها للعلماء فى ذلك الوقت ، عناصر أصر على وجودها فى الكون « ماندلييف » لا لشىء سوى انسجام مجموعة معينة من المواد ، وهذه العناصر وجدها الباحثون فيما بعد . ورأينا فى تاريخ العلم المجيد « ماندلييف » يعلن مثلاً عن عنصر يمت بعلاقة للسيليسيوم حيث يحدد هذا الباحث بدقة خواصه الكيميائية ووزنه الذرى ، وثقة منه فى وجوده ، يسميه أكاسيليسيوم ويكتشفه العلماء بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ويسمونه جرمانيوم

عند ما كشف « بكارل » أثر الأورانيوم على اللوح الفوتوغرافى وأعلن للعالم أنه مادة مشعة لم يكن الكشف عن الراديوم بعد ذلك أمراً محتوماً فقد كان عمل مدام كيرى الذى كشفته عملاً تجريبياً مضنياً يذكرنا بعمل وليم هرشل William Herchel التجريبى عند ما كشف فى سنة ١٧٨١ الكوكب إرانوس وهو الكوكب السادس فى البعد عن الشمس فى مجموعتنا الشمسية ، ولكن عند ما كشف « ماندلييف » عنصراً جديداً كالجرمانيوم كان ذلك عملاً حسابيًّا يحتمه انسجام ضرورى تراءى لهذا الباحث فى قوانين الكون

تذكرنا هذه الحوادث العلمية بعمل ليفرييه Urbain. J. J. Leverrier العالم الفرنسى وعضو المجمع العلمى عند ما استأنف فى سنة ١٨٤٦ دراسة الحركة غير المنتظمة وغير المفهومة للكوكب إرانوس المتقدم الذكر لختم وجود الكوكب نبتون الذى يعادل حجمه ٧٨ مرة قدر حجم الأرض ، بل وتذكرنا هذه الحوادث بعمل « كلايد تومباوج Cylde Tombaugh » فى سنة ١٩٣٠ عند ما حتم وجود كوكب تاسع يدور فى مجموعتنا الشمسية أسماه العلماء بعده بليتون . أذكر أن العالم الفلكى الذى حتم وجوده مات قبل أن يراه العلماء ببضعة شهور

وهكذا كان « ماندلييف » يبحث فى المادة عن شموس إذا غابت عنا شمس حتم وجودها وكان « ليفرييه » يبحث فى الكون عن كواكب إذا لم نر كوكباً حتم وجوده ، واستند كلاهما على انسجام القوانين الطبيعية ، بحيث كنا أمام احتمالين : إما أن يكون مصدر الحساب عند « ماندليف » و « ليفرييه » مشكوكاً فيه ، أو يكون الحساب عندهما صحيحاً ؛ ولقد دلت الأيام أن حسابهما صحيح وأن العناصر كانت موجودة منذ وجود الأرض وقبل ذلك وأن الكواكب الجديدة على معارفنا كانت تدور فى أفلاكها حول الشمس منذ دارت الدار التى نسكنها ...

***

وهكذا مع دالتون وبروست وفيزل وريتشر وجاى ليساك ، وافوجادرو وماندليف ولوتر مار ، كشف الإنسان عالماً هو الذرة فكشف بذلك من بادىء الأمر عن شموس طغى أثرها على كل ما عداها

ولكن كان لابد أن يكون لهذه الشموس سيارات وتوابع كالقمر تتبع الأرض ، وهذه والمريخ يتبعان الشمس . وسنرى مع القارىء أن مع مليكان الأمريكى ، وتومسون الإنجليزى ، وبيران الفرنسى كشف الإنسان أمر هذه التوابع ودخل الذرة وعرف ما فيها .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

من هنا ومن هناك

في إيران ديكتاتورية بلا أعداء

[عن « ذى أديلاد كرونيكل »]

لعل أهم ما تمتاز به الدكتاتورية أن الدكتاتور إذا مات لا يخلفه من يملأ الفراغ الذي يترك من بعده ، ولكن إيران لا خوف على مستقبلها من هذه الناحية ، فإن شعبها على ثقة دائماً بأن ولي عهده الذي تزوج أخيراً من شقيقة ملك مصر ، سوف يكون ما للملك الوالد من الصلابة والحزم في حكم البلاد

والأمير محمد رضا شاهبور في التاسعة عشرة من سنه ، وهو أكبر أبناء الشاه التسعة ، وقد ورث عن أبيه قوة الجسم وسلامة البنية ، وتدرب على الرياضة بأنواعها وعلى الأخص لعبة التنس وكرة القدم . ويعد في الطبقة الأولى في الرماية وركوب الخيل . وقد بدأ اهتمامه بالكشافة — التي أخذت تنتشر في إيران بسرعة عجيبة — في السنين الخمس التي قضاها بالمدرسة في سويسرا

فإذا دعى إلى عرش النسر الذي ادخره أبوه له بعد جهاد طويل ، فسوف يجلس للحكم في القصر الذي كان والده في يوم من الأيام حارساً على أبوابه

فقد كان الشاه رضا خان بهلوى منذ خمس وثلاثين سنة ، جندياً بسيطاً في حرس الشاه السابق . وفي سنة ١٩٢١ نزح إلى طهران العاصمة، فوجد الناس يتقاتلون فيها على الخبز، والفقر قد أنشب مخالبه في كل شيء ، بينما يقيم الشاه في باريس منذ عدة سنين ، والحكومة على أبواب انتخابات ، والدين الأجنبي يزيد ويتضخم بسبب ما ينفقه الشاه من الأموال في عاصمة فرنسا

لم يطق رضا خان صبراً على هذه الحال ووطد عزمه على تغييرها ، وكان يقتبس كثيراً من الإصلاحات عن مصطفى كمال أتاتورك . وفي سنة ١٩٢٥ كان قد أدخل كثيراً من الإصلاح في بلاده وهيأ الشعب للحكم الصالح . أما الشاه الذي ظل في باريس بين الغواني فقد فَقَدَ احترامه بين الجمهور وعلى الأخص بعد أن ورد على طهران تقرير من باريس يصف سلوكه في حانات مونمارتر . وقد وجد ليلة وسط خمس وعشرين امرأة من الراقصات ليس بينهن رجل سواه ، وقد تبلل قميصه بالنبيذ الذي تساقط من الكأس ، التي لم تقو يده على حملها لشدة السكر

فعزم رضا خان على أن يزيل هذا الشاه كما أزال حكومته منذ أربع سنوات فأعلن خلعه وولى نفسه مكانه شاهاً لبلاد العجم

ومما لا يختلف فيه اثنان أن إيران الحديثة وهي مملكة مساحتها ٦٨٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها عشرة ملايين كلها من صنع رجل واحد — هو الشاه

فالشاه يشرف على كل شيء في إيران بنفسه وله فيها الكلمة التي لا ترد ، وإن كان رضا خان لا يبت في أمر ذي بال قبل أن يوافق مجلسه النيابي عليه . أما الوزراء فهم جميعاً ملحقون بخدمة الشاه ولا يقومون بعمل قبل موافقة الشاه

هذا الحاكم الشديد في غير ظلم ، يعد من رجال الملك الجديرين بهذا اللقب على الرغم من منشئه . يحبه جنده إلى حد العبادة ؛ ويعده شباب الجيل الحديث في إيران أباً لهم . وعلى الرغم من أنه يعطى نفسه سلطة لا حد لها في حكم البلاد ، فهو يعمل لها بجد وتواضع واعتدال

هل يحل « العم سام » محل « جون بول »

[عن مجلة « باريد »]

إذا قدر لبريطانيا العظمى أن تنهزم في حرب عالمية وتتدهور قواها حقاً ، فهل تخلفها الولايات المتحدة الأمريكية في الاحتفاظ بزعامة الجنس الأبيض على العالم ؟

يقول « أندريه سيجفريه » المؤلف الفرنسي المشهور: للإجابة على ذلك يجب أن نقدر الظروف التي ارتفعت فيها بريطانيا إلى مركز الزعامة والقوة في العالم ، فقد اتجهت بريطانيا إلى التوسع والسيادة في وقت لم يكن يزاحمها فيه أحد

أما الآن فقد تغيرت الحال وأصبحت بريطانيا تشعر بتزعزع واضطراب في مركزها القديم؛ وقد زال من العالم ذلك النوع من الارتباط الدولي الذي كانت تقوم على حمايته بريطانيا العظمى على مبدأ الأخذ والإعطاء، على ما كان له من الفوائد المحققة لسائر الأمم

وقد بدأت اليابان تطالب بمنطقة لا نعلم ماذا سيكون من أمرها بعد، إلا أنه مما لا شك فيه أن ذلك الموقف المريب في الصين، يضيف أزمة خطيرة إلى أزمات أوربا العديدة

فإذا فقدت الهند من بريطانيا وفقدت إلى جانبها مستعمراتها في الشرق الأقصى، فقد زالت زعامة الجنس الأبيض من الوجود إذ أن ذلك سيتبعه ولا شك مطالب لا تحد لسائر الأجناس في أنحاء العالم، فتعانى أوربا ما تعانى من جراء ذلك، ولا يخفى أثر هذه الصدمة على الولايات المتحدة

فإذا كان للمدنية البيضاء أن تحتفظ بمكانتها في العالم، فمن الواجب أن تقوم قوة دولية عظيمة بالاضطلاع بما عليه هذا الموقف الخطير من الواجبات السياسية والحربية.

وقد قامت انجلترا بواجباتها زهاء قرن ونصف قرن. وتبعتها فرنسا في شمال وغرب أفريقيا. وها هي ذي ألمانيا تحاول السيادة الدولية منذ ١٩١٤ — ١٨، ولا يشك أحد ممن يتتبعون مجرى الحوادث في أوربا لحظة واحدة في أنها تعود ثانية إلى التفكير في تلك المحاولة.

إن عالما تسوده ألمانيا لا بد أن يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي نعيش فيه تحت نفوذ بريطانيا، وعلى ذلك يصح لنا أن نتساءل: هل الولايات المتحدة على استعداد لقبول مسئولية السيادة الدولية إذا احتاج الأمر إلى ذلك؟

وهنا يظهر موقفان: الأول أن الولايات المتحدة يجب أن تحمي القارة الأمريكية ولا تتجاوز هذا الحد. والثاني رغبتها الأكيدة في حماية الامبراطورية البريطانية من الهزيمة إذ أن سقوط بريطانيا يؤثر تأثيراً سيئاً على مركزها في العالم.

ويصر الرأي العام في الولايات المتحدة على الرأي الأول. ولكن هناك حركة يقوم بها بعض رجالها السياسيين تجعل الأمل كبيراً في ترجيح الرأي الثاني.

إن الولايات المتحدة ليست على استعداد لأن تحل محل الإمبراطورية البريطانية في السيادة الدولية، ولكنها مع ذلك لا تسمح بتحطيم القوة البريطانية.

الحب يحفظ العالم

[عن «ذى سيكولجيست»]

يقول علم النفس الحديث إن الحاجة إلى الحب هي في الحقيقة حاجة إلى حماية الآخرين ومساعدتهم

فالأسماك لا تعرف الحب. فإذا خرجت السمكة إلى عالم الوجود، لا تعرفها أمها ولا يحفل بها أبوها، وقد تفصلهما عنها أميال شاسعة. فالسمكة الصغيرة لا تعرف حماية الوالدين على الإطلاق، وحياتها معلقة على المصادفة والجهد المستقل

ولكن الطفل من بني الإنسان على نقيض ذلك. فيولد عاجزاً كل العجز، ولن يبلغ أشده إلا إذا لاقى عناية خاصة، ممن يهمهم أمره. فالطفل إما أن يجد الحب وإما أن يموت

وهذا الحب الفطري لا تقابله منفعة خاصة للغير. فالطفل يلاقي العناية الفائقة من أمه أو مربيته أو من يضطلع بأمره ولا يجازيهم على ذلك أي جزاء، ولا ينتظر أحد منه شيئاً من الجزاء لأنه لا يقدر عليه

إلا أن هذا الموقف لا يستمر على الدوام، فإذا رأينا إنساناً في سن الرجولة يأخذ من الناس ولا يعطيهم مقابل ما ينال منهم، فإننا نعده إنساناً ما زال في دور حب الطفولة. وننتظر أن ينمو بدوره ويتقدم إلى المرتبة التي يتحمل فيها مسئولية حب شخص آخر يحتاج إلى رعاية بغير أمل في جزائه

وبمعنى آخر إن كل إنسان يجب أن يعبر الطريق الذي ينال فيه كل شيء ولا يعطي مقابله أي شيء، إلى الطريق الذي يعطي فيه كل شيء ولا ينال شيئاً. ولا يعد هذا العمل فضيلة بأي حال فهو ضرورية حيوية ورثها الإنسان منذ ظهر في هذا الوجود

وليس في أنانية الطفل مأخذ عليه، فكأنه بعمله يقول: إنه عاجز وإنه عالة على محبة الآخرين وإنه يجب أن يأخذ منهم وإنه لا يستطيع الجزاء

فإذا لم يكن لدى الطفل الفرصة التي تخرجه من أحضان أمه إلى دائرة أكثر حرية واتساعاً، فقد تفوته فرصة التقدم من الرتبة

التي يتلقى فيها الحب ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فلا بد أن يتصل بإخوته وغيرهم من الأطفال المقاربين له في السن ؛ وهم مثله لم يتقدموا عن المرتبة التي يتلقون فيها حب الآباء والأمهات ، ولا تقل أنانيتهم عن الأنانية التي يستمتع بها . فإذا اجتمع لفيف من الأطفال على هذا النحو فإن الاختلاف سرعان ما يدب بينهم إذ أن كل طفل مولع بنفسه مؤثر إرادته على إرادة الآخرين . إلا أن الألعاب العديدة المنظمة التي قوامها التعاون تقضي على هذه الروح لأن الطفل في هذه الحالة يشعر بأنه ينال السرور الحق حينما ينظر إلى حقوق الآخرين بعين الاعتبار . فهو يعتبر الآخرين لا عن طريق التضحية أو عن طريق المبادئ الأخلاقية ، ولكن لأنه يجد راحته في هذه الحال .

وهذه مرتبة عظيمة من مراتب الحب ، والذين لا يعرفونها لا يعرفون العواطف السامية في طور النمو .

الصحافة بعد ستين عاما

[عن مجلة الصناعة الأمريكية]

كيف تكون الصحافة بعد ستين عاماً أي سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد ؟

هذا سؤال وجهته مجلة الصناعة الأمريكية في الأيام الأخيرة إلى بعض الصحفيين والمشتغلين بالسياسة . فورد عليها أجوبة مختلفة على هذا السؤال ، إلا أنها تجمع على أن الصحافة بعد ستين عاماً ستكون مختلفة عنها اليوم

ومن الأجوبة الطريفة على هذا السؤال ما كتبه مستر هارولد سكرتير وزارة خارجية الولايات المتحدة ، وقد مزج الحقيقة بالفكاهة فقال :

« حينما أفكر في مستقبل الصحافة بعد ستين عاماً ، تجرى على خاطرى رغبة سبقني إلى شرحها توماس جيفرسن يوماً من الأيام . اقترح جيفرسن أن تقسم كل جريدة إلى أربعة أقسام :

١ — الحقائق ٢ — الأخبار المحتملة الوقوع

٣ — الأخبار التي تنتظر الإثبات ٤ — الأكاذيب

فلو سارت الصحافة على هذا المنوال ، فمن رأيي أن يكون الباب الأول خاصاً بنتائج المباريات الرياضية ، والثاني خاصاً بتقارير الأرصاد الجوية ، والثالث بأخبار السينما ، والباب الرابع خاصاً بغالبية الأخبار السياسية

ومن رأيي أن هذه الطريقة تجعل من الصحافة هيكلا مقدساً للحقيقة ، كما تجعل منها مثالاً معلوماً للخيال فتعم السعادة ويظهر الإخلاص ويرفه عن قلوب الناس » .

وقد تناول هذا الموضوع رجال الصحافة بما يستحقه من الجد والاهتمام

ومما قاله أحد الصحفيين : إن أصحاب الصحف الذين يراعون لمنافسة الإذاعة اللاسلكية قد يجدون شيئاً من الراحة والاطمئنان إذا لاحظوا أن اليوم ، حتى سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد لا يمكن أن يزيد على أربع وعشرين ساعة .

وقد استطاعت الاذاعة أن تخترع طرقاً عجيبة للاستماع إلى الموضوعات والبرامج التي سبقت إذاعتها في الوقت الذي يشاؤه الإنسان . أما الإذاعة المصورة (تلفزيون) فسوف يتيسر لها أن تمدك بالصور والأصوات ،وسوف يتيسر لها كذلك أن تحتفظ بها لأي وقت تريد ، فتستطيع أن تستمع إلى البرنامج الذي يذاع في الساعة التاسعة وأنت بالسينما أو المسرح ، في الساعة الحادية عشرة في منزلك أنت وعائلتك وترى كذلك الصور المذاعة .

وسوف يكون من السهل الاحتفاظ بالصور الملونة للرجوع إليها في المستقبل . وفي سنة ألفين يستطيع الرجل أن يقرأ الصحف في مكتبه في الصباح بينما تتلهى زوجه بسماع برنامج الموسيقى التي أذيعت في الليلة السابقة في باريس .

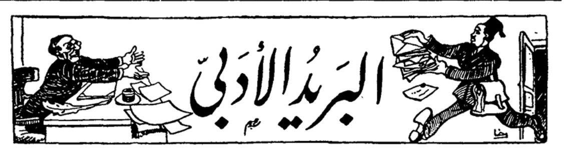
ومن المنتظر في ذلك الوقت أن يتلقى الإنسان أخبار العالم بواسطة محرك بسيط يلمسه بأصبعه ، فإذا كل شيء قد نقل إلى أذنه لتسمعه ، وإلى عينه لتراه .

وسوف ينتقل إليه بطبيعة الحال فيض من التقارير الرسمية الدقيقة من أنحاء قاصية كنيوزيلند والتبت منقولة نقلاً مطابقاً للأصل كل المطابقة

وكذلك صور الأوبرا : فيستطيع أن يلمس المحرك في أي وقت ليسمع قطعة من أوبرا تكون قد أذيعت من موسكو في الليلة السابقة واحتفظ بها ليسمعها في أي وقت يريد

وسوف يكون لديه لفافات طويلة من الأوراق المنقولة بواسطة الراديو ، تنقل إليه في أي وقت حديثاً يكون قد فاته سماعه في الليلة الماضية ...

(البقية في ذيل الصفحة التالية)



الأب أنستاس مارى الكرملى والمنضدة

قال العلامة الأستاذ الأب أنستاس مارى الكرملى فى كلمة عنوانها (مباحث عربية) فى الجزء الأخير من مجلة (المقتطف) الغراء : « وجدناه (أى صاحب مباحث عربية) استعمل (المنضدة) ص ٢٧ وقد شاعت على يراع كتبة هذا العهد ، ناقلاً إياها عن (أقرب الموارد) للشرتونى ، أو عن كاتب عثر عليها فى المعجم المذكور ، فهى لفظة لم ترد فى كلام فصيح ولا ترد على أسلة مؤلف بليغ ثقة يعتمد عليه . وصوابها (النَّضَد) كما ذكرها أرباب الدواوين اللغوية ، وهى من باب تسمية الشىء باسم المصدر »

أقول : قالت (الجمهرة) : « النضد متاع البيت وكثر فى كلامهم حتى سموا السرير الذى ينضد عليه المتاع نضداً » وفى (اللسان) : « سمى السرير نضداً لأن النضد عليه » ونحو من ذلك فى (المصباح والتاج)

وقال الإمام الزمخشرى فى (أساس البلاغة) : « المنضدة شىء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نضدهم »

فسبب التسمية قد ذكروه ، وفى اللسان العربى : النضد والمنضـدة

الأب أنستاس إذا نقَـد أفاد ، وإذا نقِـد لم تعدم الأدباء فائدة فله الفضل فى كل حالة

من هذيان الحر

تحت هذا العنوان كتبنا مقالاً فى عدد مضى من الرسالة سخرنا فيه من الأرستقراطية سخراً أوضح من الصراحة ؛ ولكن إفراط الحر على الأفهام فى هذه الأيام جعل الأستاذ محرر (همسات الأندية الأدبية) فى مجلة « زهرة الشرق » يقرأ المقال على ظاهره فظن أننا « نعرض بحكم الشعب وندعو إلى حكم الأرستقراطية ونتهكم بالعامل والزارع ونفتخر بالأمير والسيد» ثم أراد أن يدلل على صحة ما فهم فساق كلمة من المقال هى غاية التهكم فيه . ولولا رعايتنا لكرامة الكاتب لدللناه على السخرية فى الفقرات التى نقلها على الأقل ؛ ولكننا نرجو أن يعيد قراءة المقال ليعلم أنه جزء من سلسلة أولها (فلاحون وأمراء) وآخرها (حلم ليلة صيف) وكلها متساوقة الأجزاء إلى الاستهزاء بالارستقراطية . وليت شعرى إذا كان هذا مبلغ الأدباء من فهم الكلام ، فكيف يكون حال الجهلاء والعوام ؟ !

جماعة الفن والحرية

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

نحن نعلن لأسرة « الرسالة » أن كلمتىْ « الفوضى » و « الفن النحط » اللتين اتهمنا بهما لم تخرجا من وحى تفكيرنا ، وإنما جاءتا من خلق طائفة من الناس ترى فى كل حركة تجديدية خروجاً

وقد لمس أحد الصحفيين الذين كتبوا فى هذا الشأن ناحية أخلاقية فى الموضوع .

فقال : إن العبقرية الإنسانية سوف تستطيع أن تصل إلى الغاية التى تيسر لذوى العقول والكفاية أن يصدروا الصحف دون حاجة إلى رؤوس الأموال الطائلة التى يحتاجها إصدار الصحف الآن . حتى لا تكون هذه الصناعة وقفاً على أصحاب الثروات . فيتمكن الرجال ذوو الأخلاق والمواهب من إصدار الصحف بغير إرهاق

وسوف يكون من المستطاع إخراج الصحيفة الكبيرة بتكاليف زهيدة للغاية ، وتصبح الآلات الضخمة التى تستعمل الآن شيئاً لا يذكر إلا على ألسنة المؤرخين

سـوف تلقى العبقرية تلك الآلات الضخام وتجعلها موضعاً لسخرية الساخرين .

على التقاليد والأخلاق ، وجوحاً بالحرية إلى حد الفوضى ، وخطراً على الأنظمة الاجتماعية المعاصرة التي تهيء لأفراد هذه الطائفة أكبر قسط من الكسب المادي .

إن جماعة « الفن والحرية » حركة اجتماعية بقدر ما هي حركة فنية تعمل للفن من أجل الفن . ذلك أن مظاهر الفكر البشري والعواطف الإنسانية بصورها المختلفة حتى صور الفلسفة العليا منها لا تخرج في نظرنا عن حدود التعبير الناشئ عن اصطراع التيارات المتعاملة داخل الهيئة الاجتماعية .

والمجتمع المصري بحالته الراهنة مجتمع مريض مختل ، فقد الاتزان لا في مقاييسه الخلقية فحسب ، بل في أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية أيضاً . ومثل هذا المجتمع المقبل على النهوض يجب أن تترك فيه الحرية المطلقة للكتاب والمفكرين في نشر آرائهم الجديدة للانتفاع بالحلول التي يعرضونها لعلاج المشاكل المتعددة .

وجماعة « الفن والحرية » فئة من الشباب راعها ما رأت من انحلال عناصر القوة في مصر . فكرست جهودها لدراسة مسببات هـذا الانحلال ، ولإيجاد الحلول التي ترى أنها قد تعود بالخير على المجموع . فهي ليست متأثرة بحركة أجنبية ، وإنما هي حركة مصرية أكثر ما يمكن أن يقال فيها إنها ستكون مهداً لنضوج الأفكار الجديدة التي ستهيئ أسباب التطور لهذه البلاد .

أما إن كان الفن الذي تبشر به جمـاعة « الفن والحرية » منحطاً أو غير منحط فهذا أمر لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة بنقاش يثار على صفحات مجلة من المجلات . وخير من هذا الجدل أن تلبي أسرة « الرسالة » دعوة الجماعة لزيارة معرضها حتى تكون على بينة تدعمها المشاهدة من حقيقة الاتجاهات التي ترى إليها

أنور كامل

الوحدة الإسلامية

إلى الأستاذ الفاضل ساطع الحصري بك

قرأت مقالكم « حول الوحدة العربية » الذي تردّون فيه على الدكتور طه حسين ، في العدد (٣١٥) من الرسالة الغراء فلفتت نظري فيه الجملة الآتية :

« وأؤكد لكم أنني – بقدر ما أومن بفكرة العروبة ، وبقدر ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبقدر ما أقول بوجوب السعي وراء تحقيقها – أعتقد باستحالة الوحدة الإسلامية »

فهل لي أن أسألكم سيدي الأستاذ ، علام بنيتم اعتقادكم هذا ؟ وعلى أي أساس أصدرتم حكمكم باستحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟ إن من المعروف لدى الخاص والعام أن رابطة الإيمان والعقيدة أقوى من روابط اللغة والعادات والمصالح ، وأن التقارب بين الناس والتفاهم ، يقوم – مع وحدة اللغة – على وحدة المبادئ والعقائد والغايات . وها هي ذي مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس اختلفت لغاتهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم ، ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يتفاهموا ويتقاربوا ويجتمعوا على خطة واحدة ومبدأ واحد ، أفتكون مبادئ الإسلام مانعة من اتحاد المؤمنين بها واجتماعهم ؟

يعلم الأستاذ أن العرب في الجاهلية كانوا متنافرين متخاصمين مع أن لغتهم كانت واحدة ، وعنصرهم واحداً ، وأن الإسلام قد آخى بين العربي وغير العربي وجمعهم على مبادئه السامية وألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمة واحدة رغم اختلاف الأجناس واللغات ، أفتكون هذه الوحدة التي أمكن تحقيقها في عصر صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم ، مستحيلة في عصرنا هذا ؟ إن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو الياباني أو الأوربي أخ له كأخيه المسلم الذي يعيش معه جنباً إلى جنب ففيم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

أنا لا أنكر إمكان تحقق الوحدة العربية ولا أقول بمقاومتها ولكنني أعتقد – ويعتقد معي كل مسلم على وجه الأرض – أن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها ، وأن تحقيقها أسهل من تحقيق أية وحدة أخرى ، فهل لكم أن تبينوا لي خطأ اعتقادي هذا ، وأسباب استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

(دمشق) ناجي الطنطاوي

تقريب الكتب القديمة وعرضها عرضاً حديثاً

كانت لجنة تقريب الكتب العربية القديمة إلى أذهان الناشئة وعرضها عرضاً حديثاً قد اجتمعت في تمام الساعة السادسة من

مساء يوم الاثنين ١٢ يونية سنة ١٩٣٩ برياسة حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل المعارف ونظرت فى الكتب العشرة التى قررت الوزارة البدء بتقريبها كخطوة أولى لتنفيذ هذا المشروع الأدبى . ثم عرضت أسماء الأدباء الذين يختارون لهذا التقريب واستقر الرأى على أن تلحظ اللجنة فى اختيارها لكل كاتب قوة التمكن من الثقافة العربية والاختصاص فى الدراسات الأدبية واستغلال الثقافة الغربية ما أمكن ذلك عند بعض الأدباء المعاصرين للانتفاع بها فى توجيه طرائق التقريب والعرض توجيهاً فنياً حديثاً

وبعد مراجعة الأسماء والمناقشة فى كل كتاب بمفرده تقرر الاختيار وفقاً لهذا البيان . ثم رفع إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف فأقره بعد تعديل يسير . وإليك هذا البيان

١ — الكامل للمبرد

(ا) الأستاذ السباعى بيومى المدرس بدار العلوم

(ب) الأستاذ مصطفى السقا المدرس بكلية الآداب

٢ — البيان والتبيين للجاحظ

(ا) الأستاذ محمد صفوت المدرس بدار العلوم

(ب) الأستاذ عبد الوهاب حموده المدرس بكلية الحقوق

٣ — الأمالى لأبى على القالى

(ا) الأستاذ محمد شتا مدرس أول اللغة العربية بمدرسة الخديو اسماعيل الثانوية

(ب) الأستاذ ابراهيم مصطفى مدرس بكلية الآداب

(ج) الأستاذ عبد العزيز احمد بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

٤ — ديوان أبى تمام

(ا) عبده عزام افندى معيد بكلية الآداب

(ب) خليل عساكر افندى معيد بكلية الآداب

وسيضاف إليهما أستاذ من دار العلوم أو من كلية الآداب

٥ — ديوان البحترى

(ا) الأستاذ عباس محمود العقاد

(ب) الأستاذ عبد الرحمن شكرى

٦ — ديوان شوقى

(ا) الأستاذ أحمد حسن الزيات

(ب) الدكتور زكى مبارك

(ج) الأستاذ أحمد الزين بدار الكتب

٧ — تاريخ ابن خلدون

(ا) الأستاذ أحمد الشايب المدرس بكلية الآداب

(ب) « محمد مأمون نجا » بالتوفيقية الثانوية

(ج) « حسن علوان » » »

٨ — كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين

(ا) الأستاذ عبد الله عنان بالداخلية

(ب) الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ مساعد بكلية الآداب

(ج) عبد اللطيف حمزة افندى معيد بكلية الآداب

ولقد رأت اللجنة أن تعرض الكتب القصصية عرضين :

(١) عرضاً فنياً

وفيه يستلهم الكاتب روح الكتاب القديم وطريقته وفنه وينهج نهجه بطريق فنى جديد

(٢) عرضاً علمياً

وفيه تعرض دراسة علمية وافية عن الكتاب وتاريخه والترجمة لصاحبه وأثره فى الأدب والثقافة العامة وكان اختيارها فى القصص على هذا الأساس

٩ — قصة عنترة

للعرض الفنى:
(ا) الأستاذ محمد فريد أبو حديد
(ب) الأستاذ محمد سعيد العريان

للعرض العلمى:
(ا) الأستاذ حامد عبد القادر
(ب) توفيق الطويل افندى

١٠ — ألف ليلة وليلة

العرض الفنى:
(ا) الأستاذ ابراهيم المازنى
(ب) الأستاذ توفيق الحكيم

العرض العلمى:
(ا) الأستاذ محمد خلف الله المدرس بكلية الآداب
(ب) الآنسة سهير القلماوى

حول نعيم الجنة

إن للدكتور زكى مبارك أسلوبه فى الكتابة ، وله أن يتظرف فيه أو يتمجن ما شاء ما دام يكتب فى الأدب الذى هو دكتور فيه . لكن الذى ليس له والذى لا يمكن أن يقره أحد عليه هو أن يتظرف أو يتمجن حين يكتب فى الدين أو حين يدعو الله سبحانه .

لقد رأى فى مقالاته الأخيرة فى الرسالة أن يستشهد بالدين فأتى باستشهادات خطأ كلها . لكن لا لهذا نوجه اللوم إليه الآن ؛ إنما الذى نأخذه الآن به هو ما ختم به خطابه المنشور فى العدد ٣١٦ من الرسالة تحديداً لرأيه فى نعيم الجنة فى الإسلام . هو رأى وافق شطره الصواب ، ولو قد وقف عند الآية الكريمة « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » فى موضعها من خطابه نختمه بها لكان خطابه ذلك من أحسن ما كتب . لكن شيطان المجون فيه أبى إلا أن يفسد عليه ذلك الجواب حين أوحى إليه أن يكتب فقرتين بعد ذلك قال فى أخراها خطاباً لله سبحانه : « اشغلنى عنك ياربـاه ! بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم » ! فهل رؤى سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين فى دعاء زكى مبارك هذا ؟ وهل يظن زكى مبارك أن أهل الجنة حين ينعمون فيها يشغلهم عن ربهم شاغل ؟ إنهم لم يستحقوا ذلك النعيم إلا بأنهم لم ينسوا الله فى الدنيا . فهل يظن هذا الماجن أنه سبحانه ألزمهم ذكره وعبادته فى الدنيا ليأذن لهم فى نسيانه والانشغال عنه فى الآخرة ؟

لو كان زكى مبارك يفقه فى الدين شيئاً لعرف أن نعيم الجنة الحسى يصبح غير نعيم لو تجرد من رضوان الله أو شغل عن الله . ولو كان لدى زكى مبارك من روح الإسلام شىء ما اجترأ على الله فى الخطاب هذا الاجتراء المتجسم فى دعائه ذلك ، ولأدرك أنه يأتى به كبيرة توشك إن لم يتب منها مخلصاً أن تكبه على وجهه حيث لا نعيم للبدن ولا اطمئنان للروح

محمد أحمد الغمراوى

كتاب فى الدين الإسلامى

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

هنا فى قلب الجزيرة السودانية حفنة طيبة من الشباب تربطهم بأسرة الرسالة رابطة الأدب والثقافة . وقد أصبح الفرد منهم يعرف أفراد هـذه الأسرة الطيبة المباركة معرفة كلها تقدير وإعجاب والأستاذ على الطنطاوى من أولئك الشبان الذين نتخذهم قدوة حسنة لنا ، ونرى فى تتبع خطواتهم تحقيقاً لمثلنا العليا . والدافع لى إلى أن أكتب هذا هوذلك المقال الممتع الذى قرأناه فى العدد ٣١٤ من الرسالة ، والذى يقترح فيه الأستاذ الفاضل تأليف كتاب فى الدين الإسلامى على طريقة حديثة تكفل لنا الإلمام بتعاليم ديننا وتعيننا على تفهمه . والذى يهمنا هو أن يجد هذا الاقتراح كل عناية وتقدير من علمائنا وأدبائنا الأفاضل ، ما دامت « الرسالة » الغراء قد فتحت لهم الباب على مصراعيه لبحث هذا الموضوع الدينى القيم أملاً فى تنفيذ هذا المشروع ، وإبرازه إلى حيز الوجود ليكون فاتحة عهد جديد لإحياء تراثنا الأدبى والدينى إن شاء الله .

هذا — وللأستاذ على الطنطاوى ولأسرة الرسالة المباركة منا كل شكر وتقدير .

« واد مدنى » سليمان بخيت

تصويب

سقط سهواً من مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك المنشور بالعدد ٣١٥ بالصفحة ١٣٨٩ سطر فى آخر العمود الثانى ، ونعيد هنا نشر هذه الفقرة وفيها هذا السطر المنسى تحته خط :

« الوحدة العربية كما يفهمها ذووها يجب أن تتحقق بشكل امبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى » ونحن لا نرضى بهذا ولا بذاك

استدراك

نشرت رسالة الأسبوع الماضى أبياتاً لى تحت عنوان : « نبرات صوتك فى المسرة » وقد نسى بيت من أبياتها فنذكر هنا البيت المنسىّ مع سابقه ولاحقه :

نبراتُ صوتك؟ما المزاهر كلها ... مارنةٌ نشوى من العيدان ؟
روَّيتِ أحلامى وجئتِ قصائدى ... فنظمتُ فيك قلائدَ العِقْيانِ
ووهبتك الآمال ملء خواطرى ... وعلى سنائكِ حبست حرّ بيانى

العوضى الوكيل



كتاب «توفيق الحكيم»

بيني وبين الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عندما كتب الدكتور بشر فارس كلمته الأولى في «الرسالة» عن دراستي عن «توفيق الحكيم» لم أكن راغباً من ردّي عليه إلا في فتح باب المناقشة بيني وبينه في مسائل دقيقة استوقفت نظري في مقاله يتصل بعضها بصميم الأدب الحديث ومناهج البحث والتحقيق، ويتصل بعضها الآخر ببعض الدقائق في الشؤون الفلسفية التي تدور حول فكرة ارتباط الزمان بالتاريخ والرغبة بالشهوة. كذلك لم أكن قاصداً بنقدي الذي نشرته لي «الرسالة» لكتاب «مباحث عربية» الذي أخرجه للناس أخيراً الدكتور بشر إلا التمحيص العلمي لوجه الحقيقة. ومن هنا جاء ما في ردي عليه ونقدي له من «التدقيق والمراجعة في بذل الملاحظات»، كما لاحظ الجميع. وأما صديقي بشر فارس، فقد آثر أن يدير المناقشة مع حول المناحي الشكلية. ومن هنا وقف من ردّنا على كلمة، ومن نقدنا لكتابه في الخارج — كما يقول العلماء — يطوف حول كلامي دون أن ينزل إلى تفاصيله ويناقش ملاحظاتي في صميمها. ومن هنا جاء أيضاً ما عبته على الصديق بشر من «أنه لا يصلح كاتباً ناقداً إلا في المواضيع التي يديرها في ذهنه ويستقصيها على أوجهها بالبحث والتمحيص». غير أنه يظهر أن ما قلته في صاحبي لم يرضه، وجعله يظن متوهماً أننا نداوره ونحاوره فذهب يغمزنا من كل جنب. ولاعتقادي بطيبة سريرة صاحبي، فإنني غير محتاج للتعليق على هذه الفراسة التي بدرت من قلمه (إننا صفينا الحساب فيما بيننا قبل سفره) وحسبي هنا مناقشة كلامه فيما يتعلق بدراستي عن «توفيق الحكيم» على أن أعود لمناقشة ما أثاره حول نقدي لكتابه «مباحث عربية» قريباً بعد صدور مقتطف أغسطس، ومناقشة ما كتب وعلق به على نقدي.

١ — أدار الدكتور بشر فارس موضوع المناقشة في رده الذي جاء بالعدد ٣١٢ بالرسالة حول افتراض اقتباسي لبعض تعبيراته ومنها تعبير «جملة صلات اجتماعية» وما ينظر إليه في الفرنسية. وقد رددت عليه في هذا الموضوع بالنسبة لاقتباسي هذا التعبير عنه فقلت: إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه. فقد جاء في بحث لي عن «اسماعيل مظهر — الفكر المصرى» ودللت على المصدر الذي جاء فيه هذا البحث فخرج الدكتور بشر يتساءل عن العبارة التي تضمنت التعبير ليرى موضعه منها، وها نحن أولاء نسوقها للفائدة:

«هل التناحر على البقاء في سبل المعادلة الضامية ويسميها مظهر «التناحر التعديلي» وذلك أن تعدل أفراد الأحياء حالاتها بما تتطلب مطالبها. واسماعيل مظهر استناداً إلى هذه الفكرة ينجح في الإجابة على كثير من المشكلات التي تتعلق بمذهب النشوء وما يتصل بمسائل علمي الاجتماع والآداب وظاهرات الدين والعقل والأخلاق، وخصوصاً ما يتصل من هذه الأصول بنشوء المشاعر الغيرية من المشاعر الذاتية «الأنانية» التي هي الأساس عنده في خلق مجموعة أو جملة من الصلات الاجتماعية التي تربط بين الناس. وهذه الصلات بدورها تسوق عنده لإيجاد المشاعر والأخلاق الاجتماعية. وقد توسع مظهر استناداً إلى هذه الفكرات فوضع مبحثه القيم. فلسفة اللذة والألم ...)

وواضح إذن أن تعبير «جملة صلات اجتماعية» قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه «مباحث عربية»:

٢ — قلت إن عبارة Une somme de rapports sociaux الفرنسية التي ينظر إليها تعبير « جملة صلات اجتماعية » ليست للدكتور بشر فارس وإنها قد جرت على قلم دوركايم عالم الاجتماع المعروف. وقد اعترف بهذا الدكتور بشر فارس في رده فقال ما نصه: والذي في الحقيقة أن دوركايم يستعمل هذه الجملة غير مرة وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته (الرسالة ص ١٣٧٩ ع ٢ س ١١ — ١٢)، فكأنني في استعمالي هذا التعبير لم أنظر إلى ما كتبه الدكتور بشر لأن التعبير شائع من جهة ومستعمل في كتب علم الاجتماع الحديثة من جهة أخرى، وهذا الشيوع والاستعمال ينفيان مظنة الاقتباس. ولكن الدكتور بشر فارس يعرف هذا، ولكنه رأى أنه على وشك خسارة القضية التي ثار من أجلها الأخذ والرد بيننا، فماذا فعل؟ خرّج الموضوع تخريجاً يشهد له بالبراعة، ولكن أي براعة؟ براعة الرجل الشكلي فقال: إن المصدر الذي دللت عليه لم يقف عليه ولم يعثر له على أثر . . . وذهب يدير الكلام ويكرره للايهام. وكأني به في تخريجه هذا يحاول أن يشككنا في أن دوركايم أستاذ علم الاجتماع بالسربون طيلة عشرين سنة لم يلق محاضرات فيه، وأن هذه المحاضرات قد جمع بعضها في كتب أخرجت للناس. أما « المجموعة » التي قلنا إن دوركايم قد استعمل فيها تعبير Une somme de rapports sociaux فهي تلك المجموعة التي تحمل اسم Les Règles de la méthode sociologique والتي طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥ ضمن المجموعة الاجتماعية لمكتبة F. Alcan بباريس على أنها Travaux de l'année sociologique وقد طبعتها هذه المكتبة أكثر من مرة. والنسخة التي تحت أيدينا هي الترجمة الإنجليزية وفيها العبارة مترجمة sum of social reports والترجمة بقلم G. W. Swain ومكتوب عليها أنها Travaux de l'année sociologique à l'Université de Paris وقد راجعنا اليوم نسخة من طبعة عام ١٩١٢ في الفرنسية، والعبارة وجدناها ترددت أكثر من مرة

أما التعبير نفسه فقديم في الفرنسية، وهو يتألف من شقين: الشق الأول يتضمن تعبير Une somme بمعنى sum انجليزياً ومجموعة أو جملة عربياً. وهذا الشق يعود استعماله إلى أواسط القرن السادس عشر، وقد وقفنا عليه عند بسكال ومالبرانش وغيرهما؛ وعلى وجه خاص في الكتب المسيحية اللاهوتية و« على الدكتور بشر التفتيش » أما الشق الثاني فيتضمن تعبير rapports sociaux الذي ينظر إليه بالإنجليزية تعبير social reports . والتعبير الفرنسي كثير الاستعمال ورد في الكتب التي تحت أيدينا مئات المرات، وعلى سبيل المثال نذكر منها كتاب: Le rapport social, essai sur l'objet et la méthode de la sociologie من تأليف Eugéne Dupréal طبع مكتبة F. Alcan عام ١٩١٢، وقد ورد التعبير فيها أكثر من مرة في ص ١٦٠ و١٦٢ و١٦٤ و١٦٦ مثلاً حيث يقول في هذه المواضع La synthèse des rapports sociaux و Une série des rapports scciaux و Le masse des rapports sociaux و Une somme des rapports sociaux وكل هذه التعابير قريبة المدلولات في الفرنسية، وتقابل في العربية تعبير « جملة صلات اجتماعية »

٣ — تحدث الدكتور بشر في هامش بمقاله فقال إني انتزعت الفقرتين الأوليين من فاتحة مقالي الأخير عنه من الدكتور زكي مبارك! . . . والذي أعرفه أن هنالك موضع تشابه ولكن لا يحمل على محل الانتزاع لأنه شكلي. ولو كنت الدكتور بشر لجاز لي أن أقول إن الدكتور زكي مبارك هو الذي انتزع مني في كلامه عن أحمد أمين كلامنا عن صاحبه الذي جاء في نقد كتابه « فيض الخاطر » الذي نشرته لي الرسالة في العدد ٢٨٧ ص ٤٣ — ٤٤. بيان ذلك أن الدكتور زكي مبارك يتحدث عن الشكلية والتقدير عند أحمد أمين. تلك الشكلية وذلك التقدير اللذان تكلمنا عنهما من قبل في نقدنا لكتاب فيض الخاطر الذي أخرجه أحمد أمين. ولكنا نعتقد أن مثل هذا التشابه لا يحمل على محمل الانتزاع، وإنما على أن الموضوع الذي وقف منه الدكتور زكي مبارك يلي نفس الموقف الذي وقفناه من قبل إزاءه. ثم يستقل بعد ذلك كلٌّ منا بنتائج خاصة به يخلص بها من الظاهرة التي يتلمسها في آثار أحمد أمين

نقول هذا معتقدين أن صديقي بشر لو رجع اليوم وألقى نظرة على ما كتب في هذا الشأن لما رضي ما كتبه. وهو معذور — على كل حال — فيما كتبه عنا بهذا الشأن، فيظهر أنه كان يكتب كلمته

وهو فى حالة انفعالية . على أن التشابه بعد ذلك بين ما كتبناه وبين ما كتبه زكى مبارك عن صاحبه أحمد أمين شكلى محض ، لأن أحمد أمين عند زكى مبارك رجل تقديرى النظر شكلى، ومن هنا جاء عدم نجاحه فى تقييد الخطرات والسانحات التى تطوف بالنفس من حين إلى حين . وبشر عندى رجل بحاثة قدير فى الموضوعات التى يديرها سنين فى ذهنه ويستقصيها على وجوهها بالبحث والتمحيص . ومن هنا يجىء ما فى أبحاثه من التحليل وما فى الكتابات التى يرسلها من ذهنه دون أن يديرها وقتاً فى رأسه من إخفاق راجع إلى فقدان العنصر الأساسى لقيام التحليل عنده والتقدير ، وهو الزمن الذى يعطيه الفرصة على إدارة الشىء فى ذهنه حتى يزنل لفوماته وأسبابه

٤ — تهكم صاحبى بشر فى الهامش بتحقيقاتنا عن قضية ميلاد توفيق الحكيم . وعجب هو كيف أنكر على توفيق شيئاً يؤكده هو بنفسه . وكنت أظنه فاطناً إلى الأسباب الجوهرية الدافعة إلى ذلك ، وهى مبثوثة فى أكثر من موضع فى دراستى (ص ٧٩ مثلاً من الطبعة الخاصة). بيان ذلك أننا نرى طبيعة توفيق الحكيم مترددة تبعده عن الصراحة . أما الأسباب التى حدتنا إلى ذلك فبيانها موجود فى كتابنا بالإسهاب . ولهذا وقفنا موقف الحيطة مما ألقاه إلينا الأستاذ الحكيم بشأن ميلاده . وحققنا على طريقتنا تاريخ حياته ، فكان من ذلك أن رفضنا التاريخ الذى قال إنه تاريخ ميلاده ... ومن المهم أن تحقيقاتنا التى كانت للأمس عند الأستاذ بشر فارس موضع الاعتبار أصبحت فى ثورة غضبه موضع الغمز والتهكم . ومع هذا فالكل وقفوا منها موقف التدبر . وقد كان من المستطاع أن أسوق الشهادات آخذاً بعضها برقاب بعض مما يؤيد تحقيقاتى من زملاء توفيق الحكيم وأصدقائه وبعض الذين اطلعوا على ملف خدمته بوزارة المعارف وفيها شهادة ميلاده ، ولكن لأننا لم نستأذن أصحاب هذه الشهادات فى النشر فقد اكتفينا بالتنويه . والدكتور بشر نفسه يعرف بعض هؤلاء، وسمعه بنفسه منهم حينما مرّ بالإسكندرية فى طريقه إلى أوربا .

***

هذه مراجعة لما قاله الصديق بشر فارس فيما يتصل بدراستى عن « توفيق الحكيم » . أما مراجعة ما أثاره حول نقدى لكتابه « مباحث عربية » فوعدنا بها مقال تال بعد أن ننظر فيما سيجىء له فى مقتطف أغسطس من مراجعة لأقوالى . وأرجو ألا يبدر لذهن القارئ أن هنالك شيئاً بينى وبين الدكتور بشر كما ظن البعض ووهم . فهذا النقاش وهذه المساجلة مهما عنفت فى أسلوبها شىء و « الصلات الاجتماعية » شىء آخر . وما فى كتابة الدكتور بشر من الشدة إنما هو نتيجة الانفعال الذى سمح له أن يسيطر على ما يكتب ، وهذا يرجع إلى أن صاحبنا تنتابه طبيعة الفنان ، ولعل فى ذلك بعض ما يخفف شدة كلامه لتلى ويعتذر له والسلام

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم

7me Année No. 318

بدل الاشتراك عن سنة

ـصـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

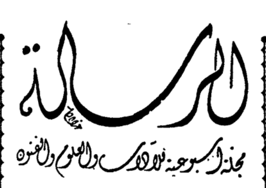
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi - 7 - 8 - 1939

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٣١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

اللغة والقوالب الموروثة

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

كنت ذات يوم أكتب رسالة إلى صديق فجرى القلم بهذه العبارة المألوفة: « ومما زاد الطين بلة . . . » وهممت بأن أمضي في الكتابة ثم رددت نفسي وألقيت القلم ونهضت إلى الشرفة ورحت أدخن وأنظر إلى الناس. ولكن النظر إلى الناس لم يكن همي ولا كان كل شغلاني؛ فقد كنت أحادث نفسي وأحاورها وأقول لها إن عبارة « زاد الطين بلة » ليست هي الوحيدة التي ورثناها في جملة ما ورثنا من لغتنا وقد صارت على الأيام « كليشيها » أو قالباً مصبوباً نستعمله في الحديث والكتابة من غير أن نفكر في الصورة التي رسمها هذا « الكليشيه » الموروث الذي يغرينا به أن الجرى على العادة أسهل وأقل عناء. وقد نبتت هذه العبارات الموروثة في زمان كان زمانها — أعني أنها كانت في الزمن الذي أخرجها وثيقة الصلة بمظاهر الحياة، وكانت تحدث في ذهن مستعملها صورة تحصل بلا عناء وترتسم بغير جهد. ولكنها الآن قد امتد بها العمر إلى زمان آخر مختلف جداً ولم تبق لها تلك الصلة القديمة بحياة العصر ولسنا نحس حين نستعملها أنها ترسم لنا صورة ما

وسألت نفسي: « وهل ثم ضرر من استعمال هذه القوالب الموروثة؟ » وهززت كتفي ومططت بوزي — فعلَ المتردد الذي

يحاول أن يهتدى أو أن يتقى التورط فى رأى يجزم به . وبدا لى — وأنا أفكر فى هذا السؤال — أن الضرر لا يجىء من استعمال هذه القوالب ، بل من الاقتصار على استعمالها ، أى دون العناية بجعل لغتنا صورة لحياتنا . وأحسب أن لا بد من اتخاذ هـذه القوالب إلى حد ما . وكل لغة قديمة — ولا سيما إذا كانت قد ركدت زمناً ما — تصبح عبارة عن مجموعة من القوالب، ولكن اللغة الحية لا تزال تتسع بما يدخل فيها ويضاف إليها من العصور التى تتعاقب عليها . وحياة اللغة مستفادة من حياة أهلها ولا ذنب لها إذا جمدت وإنما يكون الذنب لهم ؛ فإذا رأيت أناساً من أبناء عصر حديث له مظاهر حياة جديدة يكتبون بلغة قديمة فى قوالبها — أى كالتى كان يكتب بها من سبقوهم بعشرة قرون أو عشرين قرناً بلا اختلاف ومن غير أن يحدثوا فيها جديداً يدل على أنهم تأثروا بعصرهم — إذا رأيت ذلك فاعلم أن هؤلاء أناس متخلفون وأنهم أشبه بالآثار الباقيـة منهم بالأحياء ، وأن الأدب واللغة لا يكسبان شيئاً بهم سوى زيادة الجمود إذا كان هذا مكسباً

وغير منكور أننا لا نستطيع أن نفكر إلا بالألفاظ . وقد يجىء زمان يستغنى فيه المرء عن الاستعانة بالألفاظ على التفكير بل أنا أومن بأن هذا الزمان لا محالة آت وأن الإنسان سيستغنى عن الكتابة والكلام فى نقل مايدور فى نفسه من المعانى والخواطر والآراء والإحساسات إلى آخر ذلك — إلى نفس أخرى ، ويكتفى بإرسال موجات يتلقفها غيره ويترجمها كما ترسل محطات الإذاعة موجاتها فتتلقفها آلات الراديو . ولكن إلى أن يجىء ذلك الزمان الذى يتيسر فيه الاتصال اللاسلكى بين نفوس الأفراد لا يسعنا إلا أن نفكر بواسطة اللفظ . فاللغـة لا تزال أداة التفكير التى لا نعرف له سواها؛ فإذا ظلت لغة من اللغات جامدة لا تتغير قوالبها ولا تتجدد ولا يدخل عليها جديد ولا يحدث فيها طريف ولا يؤثر فيها كر العصور ولا يترك فيها مر هذه العصور آثاراً من حياتها فإن معنى هذا يكون أن أبناء هذه اللغة يفكرون على نحو ما كان يفكر أبناء زمان متوغل فى القدم فهم يعيشون بأجسامهم فى عصر ولكنهم بعقولهم يعيشون فى عصر مضى وانقضى وانقرض واندثر

وقد يكون العصر الماضى جيلاً ولعل كل ما فيه كان حميداً ولكنه زال وجاء غيره بمظاهر حيـاة وأساليب تفكير وآمال ومخاوف وآداب وعادات مختلفة، فكيف لا يظهر هذا فى لغة الكتابة والكلام ؟.. وكيف يعقل أن تظل القوالب لا تتجدد ولا تتغير ولا تطرأ عليها زيادة من العصر الحاضر المؤثر بوجوده ؟؟ أيكون ذلك من الكسل ؟ أم هو من ضعف التأثر بهذا العصر ؟ أم ترى الأحياء فيه جثث محنطة لها وجود ولكن ليس فيها حياة ؟

ورأيتنى وأنا أفكر فى هـذا أسأل نفسى سؤالاً لا يخلو من غرابة « أترانى أشبه أبى ؟ » وضحكت لما قلت ذلك ، وقلت بالطبع أشبه أبى ! . ما هذه السخافة ؟ . . وكيف أستطيع ألا أشبهه ؟ على أنى لم أكن أعنى المشابه العادية التى تكون بين الآباء والبنين فإن معمل الطبيعة لا يدعى ما تدعيه مصانع السيارات من إخراج طراز جديد فى كل عام لا شبه له ولا صلة بطراز العـام السابق؛ وإنما أعنى هل أنا أحور شيئاً فشيئاً حتى أصبح صورة طبق الأصل من هذا الأب الفاضل ؟ ؟ وناديت زوجتى وسألتها « أين صورة الوالد المحترم ؟ » فقالت: « إيه ؟ .. الوالد المحترم ؟.. أى والد؟ »

فقلت وأنا أضحك : « وهل لى غير والد واحد ؟. إن كنت تعرفين لى غيره فقولى ، ولك الأمان ، ورحم الله الوالد والوالدة جميعاً » فقالت : « لا تمرح هذا المزح ... عيب ... وإنك لتعرف أنى أسألك عمن تعنى — والدك أم والدى ؟ » فقلت : « كلا . لا حاجة لى بأبيك ... ولا بأبى أيضاً فى الحقيقة ، ولكنى أريد أن أراجع صورته أو على الأصح أن تراجعيها أنت » فجاءت بالصورة وهى غير فاهمة، فقلت: « تأمليها وتأمليني . إنهما منظران ليس فيهما سرور لأحد ، ولكن تجلدى ... فهل ترينى مثله ؟.. هل لو لبست مثل هذه السترة الاستامبولية ، وهذا الطربوش الطرى ، وتركت شاربىّ ينبتان ، ويطولان ، ويتهدلان ، ودخلت عليك فى ضوء خافت ، تظنيننى أبى ، نفض عنه كفنه وخرج من قبره ، أو تحسبيننى على الأقل عفريته ؟ »

فقالت : « لا أدرى لماذا هذه المقارنة ولكنى أقول إن فيك منه مشابهة ... كثيرة ... ولكنك مختلف .. حتى النظرة مختلفة ... نظرته نظرة رجل حليم كريم وديع أما أنت ... » فصحت بها : « احترسى !.. ليست هذه فرصة لبسط لسانك الطويل فىّ ... » فقالت : « لا ... ولكن الحقيقة أن نظرتك مختلفة ... فيها شىء آخر ... الشبه موجود ولا شك، والذى يراكما يعرف، وإن كان لا يعرفكما ، أنه لا بد أن يكون أخاً أكبر ، أو أباً أو جداً ، . على التحقيق ... ولكن هناك اختلافاً لا أدرى كيف أصفه » قلت : « لا تتعبى نفسك ... يكفى أنى مختلف ... ولو كان حياً لاستطعت أن أتبين فى أى شىء من الحقائق المطوية مختلف ،

كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقـــــافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

يثير الدكتور طه حسين (في كتابه مستقبل الثقافة في مصر) مسألة « اللاتينية واليونانية » بشكل يستلفت الأنظار ويستدعي الاهتمام:

يستهل كلامه الطويل عن هذه المسألة (ص ٢٨٥ — ٣٠٢) بقوله: « إن وزارة المعارف لا تريد أن تقف عندها ولا أن تفكر فيها، لأنها غريبة بالقياس إليها، بل هي غريبة شاذة بالقياس إلى الكثرة العظمى من المثقفين المصريين، مع أنها في نفسها، من أوضح المسائل وأجلاها ... »

ثم يستعرض الأدوار التي مرت على هذه المسألة في مصر، ويشرح بإيجاز كيف « أن صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا كان قد شعر بخطر هذه المسألة وهمّ بحلّها » عند ما كان وزيراً للمعارف. فقد بدأ بإدخال اللاتينية واليونانية في بعض المدارس الثانوية، وأقرّ تعليم هاتين اللغتين في الجامعة — بالقياس إلى كليتي الآداب والحقوق — غير أنه لم يمض زمن طويل على ذلك، حتى ألغيت اللاتينية واليونانية من المدارس الثانوية، وقام « صراع عنيف حول إقرار اللاتينية بالقياس إلى كلية الحقوق، وانتهى هذا الصراع بانتصار خصوم اللاتينية ... »

يصف الدكتور طه حسين « الحالة الحاضرة » التي نجمت عن ذلك بأشد أوصاف اللوم وأعنفها؛ فيبذل في حديثه كلمات « المضحك، المخجل، المخزي ... » ويوصل الأمر إلى درجة استعمال ألذع التعبيرات وأقرصها، من « الرضاء بالهوان » إلى « الاستخذاء أمام الأوربيين » و « الاطمئنان إلى الخزي المبين » ...

وذلك لأنه يعتقد بضرورة اللاتينية واليونانية للثقافة العالية، ويعبّر عن اعتقاده هذا بكلمات باتّة:

« أنا مؤمن أشد الإيمان وأعمقه وأقواه، بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح، ولن تفلح في تدبير مرافقها الثقافية العامة، إلا إذا عنيت بهاتين اللغتين، لا في الجامعة وحدها، بل في التعليم العام قبل كل شيء (ص ٢٨١)

لأن « اللاتينية واليونانية أساس من أسس العلم والتخصص » (ص ٢٨٥) فيجب أن تفرضا على « كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه » (ص ٢٧٦) و « لأن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التي لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها ... » (ص ٢٩٢)

ولهذا السبب، يوجه الدكتور إلى معارضيه السؤال التالي، ويجيب عليه بالملاحظات التي تليه:

« والسؤال الذي يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه في صراحة وإخلاص وفي وضوح وجلاء هو هذا السؤال: أنريد أن ننشئ في مصر بيئة للعلم الخالص تشبه أمثالها في البيئات العلمية في أي بلد من البلاد الأوربية الراقية أو المتوسطة أم لا نريد؟ فإن كانت الثانية فقد خسرت القضية، وليست مصر في حاجة إلى يونانية

ولكنه تسرّع ... على كل حال أحمد الله ... لقد كنت أخاف ... كيف أقول؟ أخاف أن أظل أرتد وأرتد، حتى أصير مثله تماماً بلا فرق » فسألتني: « ولماذا تخاف هذا؟ » قلت: « لو حدث هذا لأصبحت صورة مكررة ... نسخة معادة ... طبعة ثانية لا تختلف عن الأولى إلا في زمن الصدور ... أي زيادة لا داعي لها ولا مزية ... ولكان وجودي تكلفاً لا مسوغ له، وإسرافاً غير جائز، وعناء باطلاً لا جدوى منه ... وسبحان ربي عن ذلك ... وكنت أخاف شيئاً آخر ... أن يضطرني ما يحوجني إلى العجلة إلى ترك أسلوبي الكتابي يفسد وينحط بأن يفقد صلته بالحياة، وبأن يصبح عبارة عن قوالب قديمة مرصوصة فأكون كالمقاول الجاهل الذي لا يعرف غير طراز واحد من هندسة البناء ... أتعرفين أن عندنا في مصر « مقاولين » إخصائيين في بناء القبار؟ لو تركت أسلوبي يفسد بالإهمال والكسل لأصبحت كهذا الذي لا يبني إلا القبور وما إليها ... ولكني تنبهت والحمد لله فسأكون من هذا بعد اليوم على حذر ... ولو اتسع وقتي لراجعت ما كتبت أو كتبته من جديد، ولكن ما فات مات، والعبرة بما هو آت، وعليك يا امرأة أن تجدديني، أو على الأقل أن تحثيني على التجدد، كلما رأيتني أهم بأن أجد وأركد، وهذا خير ما تستطيعين أن تفعلي، إذا كنت تستطيعين شيئاً »

ابرهيم عبد القادر المازني

ولا إلى لاتينية ، وليست مصر فى حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها بل حسبها أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال ، وأن تسير سيرة المستعمرات وتكتفى ببعض المدارس العالية لتخريج من تحتاج إليهم من الموظفين . وإن كانت الأولى فقد ربحت القضية ، ولا بد من العناية بهاتين اللغتين لا فى الجامعة وحدها ، بل فى المدارس العامة أيضاً (١) (٢٨٨)

يظهر من هذه العبارات أن الدكتور يعتبر هاتين اللغتين من لوازم الجامعة الأساسية ، ويدعى أن عدم العناية بهما لا يختلف كثيراً عن طلب إلغاء الجامعة نفسها ، ويرى بأن ذلك لا يجوز إلا إذا طُلب من مصر أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات ...

وقد يخطر على بال القارئ أن يسأل مستغرباً : إذا كانت المسألة بهذه الدرجة من الوضوح والجلاء فكيف وجدت هذه المقاومة وهذا الازورار فى دوائر المعارف ومحافل المثقفين ؟

إن الدكتور يبدى هذا الاستغراب فيقول : « ومن أغرب الأشياء فى نفسى وأبعدها عن فهمى ألا يفطن لها ولا يهتدى إليها الذين ينهضون بشئون مصر ويقومون على تدبير الأمور فيها ، والذين يشرفون على التعليم فيها بنوع خاص ... » (ص ٢٨١)

يبحث الدكتور — مع هذا — عن أسباب هذه المقاومة عدة مرات ، فيعزوها مرة إلى عوامل عرضية مثل استياء الإنكليز من انتخاب معلمى هاتين اللغتين من الفرنسيين والبلجيكيين (ص ٢٧٥) ، أو كيد أستاذ من أساتذة كلية الحقوق للعميد الأول لكلية الآداب الحكومية (ص ٢٧٩) ، غير أنه يعزوها فى المرة الثانية إلى عوامل أساسية تتلخص — من حيث الأساس — فى نقص « ثقافة القائمين بشئون التعليم فى مصر » (ص ٢٨١)

يقول المؤلف فى هذا الصدد : « وأكبر الظن أن مصدر هذا إنما هو أن الجيل الحاكم والمرتقى إلى الحكم لا يتقن العلم بالشئون الثقافية فى أوربا ولا يكاد يعرف منها إلا ظواهرها ، وظواهرها القريبة اليسيرة التى لا يحتاج فهمها ولا العلم بها إلى جهد ولا عناء » (ص ٢٨١)

إذ أن « منهم من تعلم فى المدارس المصرية وانتهى إلى غاية التعليم العالى المصرى أيام الاحتلال ، ثم وقف عند ذلك ولم يتجاوزه فلم يعرف من حقيقة التعليم شيئاً أو لم يكد يعرف منه شيئاً .. » (ص ٢٨١) ومنهم « من اتصل بالجامعات الأوربية قبل أن يتم التعليم العالى فى مصر أو بعد أن أتمه فدرس فيها وظفر ببعض إجازاتها ، ولكنه درس فيها عجلاً وظفر بأيسر إجازاتها وأهونها وانتفع فى هذا كله بنظام المبادلات التى تقره الجامعات الأوربية لتيسر على الأجانب الاختلاف إليها وترغبهم فى الاتصال بها ... » (ص ٢٨٢) ، ولذلك عاد من أوربا دون أن يعرف « من الحياة العقلية الأوربية إلا ظواهرها وأشكالها ... » (ص ٢٨٣)

وإن « بين الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا منها وبين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بأوربا بعض الاتصال ، من ألمّ إلماماً يسيراً بل إلماماً ناقصاً مشوهاً بهذه الخصومة التى قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة ، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية . . . » (٢٨٤) « إنهم فهموا هذه الخصومة على غير وجهها الصحيح ، وظنوا أن التجديد يقتضى بغض هذه الأشياء القديمة » ... « ولم يخطر لهم أن يتعمقوا هذه الخصومة ولا أن يتبينوا موضوعها وغايتها ... » (ص ٢٨٥)

إن المقاومة التى تلقاها اللاتينية واليونانية فى مصر نشأت من هذا النقص الأساسى . فلو خطر لهؤلاء أن يتعمقوا هذه الخصومة لعرفوا أن موضوعها « لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة ، وإنما كان ضرورة فرضهما على جميع التلاميذ الذين يختلفون إلى المدارس الثانوية ويتصلون بالتعليم العالى على اختلاف فروعه وألوانه لا سيا بعد أن انتشر التعليم وطمعت فيه

(١) يستعمل الدكتور طه حسين فى الفقرات التى نقلناها آنفا — وفى سائر الأقسام فى كتابه - تعبيرات « التعليم العام والمدرسة العامة » بمعنى « التعليم الثانوى والمدرسة الثانوية » فيخرج « على المعقول والمألوف » فى وقت واحد ، باستعمال هذه التعبيرات — على هذا المنوال — استعمالا مخالفا لمعانيها اللغوية من جهة ولمعانيها الاصطلاحية من جهة أخرى . نظن أن الدكتور — أراد أن يقتدى بالانكليز الذين يسمون نوعا من مدارسهم الثانوية بمثل هذا الاسم Public school غير أننا نود أن نلفت الأنظار إلى أن هذا الاسم عندهم فى المواريث التاريخية التى لم تعد تنطبق على مسمياتها بوجه من الوجوه . لأنهم كانوا سموا التعليم فى تلك المدارس باسم « التعليم العام » تمييزاً له من « التعليم الخاص » الذى كان يجرى فى بيوت الخواص على أيدى معلمين خاصين ، وذلك قبل أن تتولد فكرة التعليم العام بالمعنى الذى نفهمه الآن

فاذا كانت التقاليد الانكليزية للمؤسسة فى هذا الباب ، تحمل القوم على الاستمرار فى استعمال هذا الاسم الموروث من سالف القرون — بالرغم من عدم مطابقته لمسماه الحاضر ، فهل يجوز لنا نحن أن نقتدي بهم فى مثل هذه التسميات الشاذة ؟

الطبقات كلها طبقات الأغنياء والفقراء وأوساط الناس .. » (ص ٢٨٥)

يحاول الدكتور أن يصحح مزاعم هؤلاء فيؤكد أن «موضوع الخصومة كان في حقيقة الأمر هذه المسألة: أيجب أن يتهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ليصبحوا جميعاً قادة للرأى ومديرين للأمور العامة، أم يجب أن يتهيأ بعضهم لحياة العلم والتخصص، وأن يتهيأ أكثرهم للحياة العاملة التي تيسر لهم الاضطراب في طلب الرزق وكسب القوت؟ فإن تكن الأولى فلا بد من اللاتينية واليونانية لأنهما أساس من أسس العلم والتخصص؛ وإن تكن الثانية فكثرة الناس محتاجة إلى التعليم الفني من جهة، وإلى التعليم العام الحديث الذي يعرض عن اللاتينية واليونانية إلى اللغات الحية والعلوم التجريبية، بشرط أن تظل اللاتينية واليونانية مفروضتين على كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه . . . » (ص ٢٨٥ — ٢٨٦)

مع هذا، يلاحظ الدكتور طه حسين ـ في محل آخر من كلامه ـ أن المقاومة التي تلقاها اللاتينية واليونانية في مصر، لا تنحصر في دوائر المعارف، بل تشمل معاشر المثقفين بأجمعها .. إنه يلاحظ ذلك أيضاً، ويعلله « بالعادة لا أكثر ولا أقل » إذ يقول: « إنهم لم يتعلموا اللاتينية ولا اليونانية، ولم يسمعوا بهما أثناء اختلافهم إلى المدارس العامة؛ وقد رأوا مصر تعيش عيشتها الحديثة من غير هاتين اللغتين، فلم يترددوا فيما انتهوا إليه من الاقتناع بأن تعليم هاتين اللغتين تزيّد لا حاجة إليه ولغو لا خير فيه . . . » (ص ٢٩١)

وبعد ذلك، يكرر المؤلف دعوته إلى العناية بهاتين اللغتين اعتباراً من الدراسة الثانوية؛ فيقترح تنويع التعليم الثانوى إلى ثلاثة أنواع، على أن يستند النوع الواحد منها إلى تعليم اللغات القديمة. يفرض فيه « على الطالب درس اللاتينية ولغة أجنبية حية، ويترك له الخيار بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » ويحتم الانتساب إلى هذا الفرع على « كل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة » بما فيها الفلسفة والتاريخ والجغرافيا . . . (ص ٣٠١)

لا يجهل المؤلف المقاومة التي ستلقاها فكرته هذه من مختلف المحافل والبيئات فيقول: « أنا أسمع في أثناء إملائي هذه الكلمات صياح الصائحين وأحس هياج الهائجين، وأشعر بما سيثور من سخط، ولكني مع ذلك مقتنع بما أقول، مذعن بصواب ما أدعو إليه، ملح في هذه الدعوة، غير حافل بالرضا ولا بالسخط، ولا معنى إلا بما أعتقد أنه يحقق النفعة الثقافية للمصريين. . . » (ص ٣٠٠)

***

إن هذه الاقتباسات التفصيلية، التي لخصت فيها آراء الدكتور طه حسين ـ دون أن أبدى شيئاً من موافقتي لها أو اعتراضي عليها ـ تبين بكل وضوح وجلاء أن مسألة « اللاتينية واليونانية في مصر » تطورت تطوراً غريباً ووصلت إلى طور حادّ يحتاج إلى قرار حاسم

هذه المسألة لم توضع على بساط البحث في محافل المعارف والتربية في سائر الأقطار العربية؛ غير أن إثارتها ومناقشتها في مصر بهذه الصورة مما يجب أن يحمل المحافل المذكورة أيضاً على التفكير في أمرها، لتكوين رأى صريح فيها، واتخاذ قرار معقول في شأنها . . .

ولهذا السبب، رأيت من واجبي أن أتدخل في هذا البحث الذي يثيره الدكتور في كتابه، وأبدى ما لدىّ من الملاحظات حول هذه المسألة . . .

إنني أعتقد أن الطريقة المثلى لحل أمثال هذه المسائل هي:

أولاً: درسها من وجوهها الأوربية البحتة درساً صحيحاً مجرداً عن كل فكرة قبلية مع ملاحظة العوامل التاريخية التي أثرت عليها في الماضي والمذاهب الفكرية التي تحوم حولها في الحاضر ..

وبعد ذلك الإقدام على التفكير في المسألة من وجهة أحوال بلادنا وحاجات أمتنا، مع الاستنارة بالاختبارات التي تكوّنت والآراء التي تبلورت حولها في أوربا

وإني عملاً بما تقتضيه هذه الطريقة أبدأ بحثي بالقاء نظرة إجمالية على تاريخ مسألة تعليم اللاتينية واليونانية في البلاد الغربية فأقول:

من المعلوم أن اللغة اللاتينية كانت لغة روما في القرون الأولى غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة المديرة والمستنيرة في جميع أنحاء أوربا الغربية عند ما دخلت تحت حكم روما، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في تلك البلاد عند ما اعتنقت الديانة المسيحية؛ وأخيراً صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عند ما تكونت

الكنيسة المذكورة وأخذت تبسط سلطتها على جميع الدول والدويلات التي تدين بها . فقد تبنَّت الكنيسة اللغة اللاتينية واتخذتها واسطة لضمان وحدتها، ولذلك عملت على نشرها في جميع البلاد التي دخلت تحت حوزتها ، حتى بعد تضاؤل سلطة الامبراطورية الرومانية وزوالها بصورة نهائية ...

وأما اليونانية فقد حافظت على كيانها في معظم البلاد التي انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها ، كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق عن الغرب، وتكوّن الامبراطورية الشرقية مستقلة عن امبراطورية روما الغربية ، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في العالم الأرثوذكسي عندما اعتنقت الامبراطورية المذكورة الديانة المسيحية ...

بهذه الصورة تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السيطرة على الحياة الدينية في أوربا المسيحية، فأصبحت الطقوس والصلوات المسيحية تحت احتكار اللاتينية في أوربا الغربية في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي ، وتحت احتكار اليونانية في أوربا الشرقية - في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الأرثوذكسي - واستمر الحال على هذا المنوال طوال القرون الوسطى حتى حلول عصر النهضة وظهور البروتستانتية ...

وأما الحياة الأدبية العلمية ، في القرون الوسطى ، فمن المعلوم أنها لم تجد من يزاولها ويهتم بها إلا من بين رجال الدين ؛ فعاشت وترعرعت تحت ظلال الكنائس وفي أروقة الأديرة ، وارتبطت لذلك - هي أيضاً - باللغة اللاتينية . فأصبحت هذه اللغة لغة العلم والأدب في جميع بلاد الغرب علاوة على كونها لغة الدين والصلاة ...

من المعلوم أن اللاتينية تغلغلت في بعض البلاد الغربية بين جميع طبقات الناس ، فأصبحت لغة العوام ، وأخذت تتطور من جراء ذلك بصورة تدريجية إلى أن ولدت اللغات التي عرفت فيما بعد بالإيطالية ، والفرنسية ، والأسبانية ، والرومانية . مع هذا ، ظلت اللاتينية الأصلية لغة الدين والصلاة ، ولغة العلم والأدب ، حتى في تلك البلاد ، وحتى بعد تكون اللغات المذكورة واستقلالها عن دوحتها الأصلية

إن الجامعات الأوربية والمعاهد التعليمية التابعة لها ، أخذت تتأسس - في القرون الوسطى - في دور سيطرة اللاتينية على الحياة الفكرية والدينية سيطرة تامة ، ولذلك اعتمدت على اللاتينية كلغة تعليم في جميع فروعها

في الواقع كانت الجامعات المذكورة أدخلت في مناهجها مدة من الزمن تعليم اللغات العربية والعبرية واليونانية أيضاً ... العربية لكونها مصدر العلوم في تلك القرون ، والعبرية لكونها لغة الكتاب المقدس القديم ، واليونانية لكونها لغة الأناجيل الأصلية ... غير أن العربية والعبرية خرجتا بعد مدة من ميدان مشاركة اللاتينية في التعليم ؛ وظلت اليونانية اللغة الوحيدة التي تساعد اللاتينية في مهمتها العلمية والتعليمية ؛ وقد رسخت قدماها في هذا الميدان - بمرور الزمن، ولاسيما بعد أن بدأ الاهتمام بخزائنها العلمية والأدبية ...

إن معاهد التعليم الثانوي التي تأسست لتهيئة الطلاب للجامعات تأثرت بهذه الحالة العامة ، فاعتبرت اللاتينية أساس كل شيء ، ولم تشرك بها لغة غير اليونانية في بادئ الأمر

إن تاريخ التعليم في فرنسا يقدم تفاصيل وافية عن أحوال تلك المدارس ومناهجها الدراسية وتعليماتها الإدارية . ونفهم من تلك التفاصيل أن المدارس الثانوية في القرن السادس عشر كانت بمثابة مدارس لاتينية بكل معنى الكلمة : لا يدرس في سنتيها الأوليين شيء غير اللاتينية ؛ ثم يضاف إليها في السنة الثالثة مبادئ اللغة اليونانية ، وفي السنة الأخيرة بعض المسائل الرياضية . وأما اللغة الفرنسية أو العلوم الأخرى ، فلم تشغل أي حيز كان في مناهج الدراسة . حتى إن التكلم باللغة المذكورة كان يعتبر من الأمور الممنوعة على المعلمين والطلاب في خلال الدرس أو بعد الدرس ، في داخل الصف أو في خارج الصف ... وهذا المنع كان مؤيداً بعقوبات عديدة وشديدة ...

« يتبع » **أبو خلدون**

جناية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

- ٩ -

كتب إلينا أحد القراء يرجونا أن نترك السخرية من الأستاذ أحمد أمين ونكتفي في الرد بشرح ما خفي عليه من الحقائق الأدبية ، ويستكثر أن نقول في السخرية من هذا الصديق :

« إن الأستاذ أحمد أمين لن يفهم الفروق بين دقائق المعاني إلا يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال »

ولكن ما الذي نصنع والأستاذ أحمد أمين هو نفسه الذي يثير غضبنا عليه ؟

ألم يحكم بأن الشعر العربي في جميع عصوره تشابه بحيث لا يمكن تمييز شاعر من شاعر إلا بعد قراءة ترجمته ؟ « ولو تأمل لعرف أن أشعار الشعراء أدل على أصحابها من الترجمات » . وهل يقع هذا الحكم من رجل إلا وهو يعتقد أن الأدب يكال بمكيال؟

إنكم نسيتم أن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب ، وهي في الصدر بين معاهدنا العالية ، وأساتذة كلية الآداب لا يجوز عليهم الظن بأن الشعر العربي تشابه في مختلف عصوره وأقطاره تشابهاً يقضي بألا نستطيع التمييز بين ديوان وديوان إلا بعد مراجعة تراجم الشعراء

وعند من نرجو تمييز العصور بعضها من بعض إذا خفي ذلك على أساتذة كلية الآداب ؟

وقد حدثتكم من قبل أن حكم الأستاذ أحمد أمين في هذه القضية محال في محال . فما يجوز أبداً أن يخفى على الناقد أن هناك فروقاً كثيرة جداً بين العصور الأدبية ؛ ولو شئت لقلت إن الشاعرين قد يعيشان في عصر واحد ، ومع ذلك يختلفان أشد الاختلاف في طرائق التعبير وفي عرض المعاني . وهل يتشابه شعر مسلم بن الوليد وشعر أبي نواس وهما متعاصران ؟ هل يتشابه شعر أبي العتاهية وشعر العباس بن الأحنف وقد نشآ في عصر واحد ؟ هل يتشابه شعر أبي تمام وشعر البحتري وهما من عصر واحد ومن قبيلة واحدة ؟ وهل يتشابه شعر الرضي وشعر مهيار وهما متعاصران وكان بينهما من الصلات ما بين الأستاذ والتلميذ ؟

ومنذ عشرين سنة كان في مصر ثلاثة من الشعراء قد ائتلفوا في المشارب والأذواق أشد الائتلاف حتى صح لبعض النقاد أن يسميهم « الثالوث » وهم ابراهيم المازني وعباس العقاد وعبد الرحمن شكري ، وكانوا قد كوّنوا جبهة أدبية لنشر لواء الأدب الحديث ، فهل يصح لناقد أن يتوهم أن هؤلاء الشعراء الثلاثة تشابهوا في الأغراض وفي تأدية المعاني ؟

وكان حافظ وشوقي وصبري ومطران وعبد المطلب متعاصرين فهل تشابهوا في الخصائص الشعرية ؟

وما يقال في الشعر يقال في النثر ؛ فما يجوز لناقد أن يتوهم أن الصاحب وابن العميد والتوحيدي يكتبون بأسلوب واحد مع أنهم متعاصرون

وما يجوز أن يقال إن المويلحي الصغير يشابه المويلحي الكبير في ألفاظه ومعانيه مع أن الأول ابنٌ للثاني وعنه أخذ ، وبأدبه تثقف ، وأفاد من صحبته ورعايته ما أفاد

وكان علي يوسف ومحمد عبده وفتحي زغلول ومصطفى كامل متعاصرين، فهل يمكن القول بأنهم متشابهون في الخصائص النثرية؟

وكان محمد الخضري ومحمد المهدي قد تخرجا في معهد واحد وصارا في التدريس زميلين في مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة المصرية ، أفيجوز أن يقال إنهما في التدريس وفي الإنشاء متماثلان ؟

وفي عصرنا كاتبان يحتفلان بالأسلوب أشد الاحتفال وهما: البشري والزيات، فهل هما متشابهان؟ وقد تأثر عباس حافظ بالسباعي فهل هو صورة من السباعي؟ هيهات، فلكل منهما أسلوب خاص

والأمر كذلك في سائر الفنون : فقد كان محمد عبد الوهاب من تلاميذ سيد درويش ، وهما مع ذلك متباعدان أشد التباعد في الاتجاهات الموسيقية والغنائية

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن شعراء العرب على اختلاف عصورهم وأقطارهم قد تشابهوا بحيث لا يمكن تمييز بعضهم من بعض إلا بعد الاطلاع على كتب التراجم ؟

إن هذا لا يقع إلا من ناقد يتوهم أن الأدب يكال بمكيال ولو كان أستاذاً في كلية الآداب

لو كان أحمد أمين قد عكف على دراسة الأدب منذ فجر حياته العلمية لعرف أن الناقد البصير يدرك جيداً أن الشاعر الواحد له في حياته الشعرية أساليب مختلفات

ألم تسمعوا أن ديوان ابن الفارض يشتمل على فنون من التعابير

ومن الأغراض بحيث يصح أن يقال هذا شعر الكهولة وذاك شعر الشباب ؟

ألم تسمعوا أن بغداد نقلت شعر ابن الجهم من حال إلى أحوال ؟

ألم تسمعوا أن أشعار المتنبي في مصر لها ألوان تخالف ألوان شعره في الشام والعراق ؟

إن صديقنا أحمد أمين يتوهم أن وحدة القوافي والأوزان توجب وحدة المعاني والأغراض ، فهو لذلك يعتقد أن ديوان ابن خفاجة صورة من ديوان ابن زيدون ، ويؤمن بأن شعراء مصر لم يكونوا إلا صورة من شعراء العراق .

ومثله في ذلك مثل من يظن أن الناس خلقوا جميعاً على طراز واحد ، لأنهم جميعاً لهم وجوه فيها أنوف وجباه وأفواه وعيون ، وآذان . وهذا والله حق : فكل إنسان له عينان وشفتان وأذنان ، وهو يمشي على اثنتين لا على أربع ، ولكن هل يمكن القول بأن بني آدم مع هذا التشابه خلقوا على طراز واحد ؟

كيف يجوز هذا القول والتوأمان قد يختلفان اختلافاً بيّناً في معارف الوجوه وفي خصائص الذاتية وفي فهم الأشياء ؟

ما كنت أظن أني سأحتاج إلى توضيح الواضحات في الرد على الأستاذ أحمد أمين ، ولكنه قهرني على سلوك هذا المسلك الشائك لأدفع أوهامه عن أذهان القراء وفيهم من يظن أنه أبعد نظراً من حزام حين يقول في أدب المعدة وأدب الروح ما يقول

المهم أن يعرف القراء أننا لا نتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، وإنما نريد أن يفهموا أن للحقائق الأدبية وجوهاً مختلفة يدركها حق الإدراك من ينظر إليها نظر الفهم والاستقراء . أما الذين يواجهون الأدب بلا تأمل ولا تثبت فقد يخفى عليهم الدقائق الفنية ولا يظهر لأعينهم غير ما يحبون أن يدنوه من الهنوات ليقال إنهم مصلحون لا يهمهم غير التنبيه على العيوب .

وما نقول بأن الأدب العربي كان في جميع أطواره منزهاً عن الضعف ، وإنما ننكر أن ينظر الرجل إلى الأدب العربي نظرة الاستخفاف ليهون من شأنه بلا بينة ولا برهان

وفي أي عصر يستبيح بعض الناس هذه الألاعيب ؟

في العصر الذي يريد فيه العرب أن يستوثقوا من أن لهم ذاتية أدبية ليقاوموا طغيان الآداب الأجنبية ، وليقيموا مجدهم الأدبي على أصول ثوابت من عظمة أسلافهم في التاريخ

ولو أن الكلام الذي قاله الأستاذ أحمد أمين وقع من رجل غيره لقلنا إنه يشايع أعداء العروبة والإسلام ، ولكن الأستاذ أحمد أمين بالتأكيد سليم الضمير من هذه الناحية ، فهو لم يخطئ عن عمد ، معاذ الله ، وإنما أخطأ عن جهل ، فكان تنبيهه من أوجب الواجبات . ولعله يراجع نفسه فيعرف أننا لم نقدّم إليه غير الجميل

وهل نحتاج إلى إقامة الدليل على حسن النية فيما صنعنا مع هذا الصديق ؟

لقد كان ناس يتوهمون أننا حاربنا الدكتور طه حسين لأغراض شخصية ، وكان الدكتور طه يلوذ بظل هذا التوهم فلم ينبر للرد علينا غير ثلاث مرات ، أو أربع مرات ، بأسلوب واضح صريح ؛ ثم شاء له الحذر والاحتراس أن يوهم قراءه وسامعيه بأننا نحاربه لغرض خاص وأنه يرى من العقل ألاّ يقدم الوقود للأغراض الشخصية . ثم دارت الأيام واعترف الدكتور طه علانية أمام جمهور من أقطاب الرجال بأن زكي مبارك من أصحاب العقائد في حياته الأدبية ويجب أن ينظر المنصف إلى مصاولاته في النقد الأدبي بعين الرفق والعطف

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يهرب من الرد علينا بحجة أننا نشتمه ونؤذيه بلا سبب معقول ، ثم يكتفي بأن يوجه إلينا أبياتاً فيها لوثة جاهلية لا تصدر عن رجل في مثل آدابه العالية ، وهو يعرف في سريرة قلبه أننا أصدقاء منذ عهد بعيد ، ويعرف أني أحفظ له من الود ما لا يحفظه إلا الأقلون ؟

وكيف جاز له أن يظن أني تآمرت مع صاحب « الرسالة » عليه ، مع أن مقالاتي في الرسالة قد تنتهي بخصومة بيني وبين الزيات ، لأن الزيات سامحه الله قد حذف من مقالاتي فقرات كثيرة رعاية لصديقه العزيز أحمد أمين ؟

أتريدون الحق أيها القراء ؟

الحق أني أعيش في غربة موحشة بين إخوان هذا الزمان

فالأستاذ أحمد أمين كان ينتظر أن أمتشق قلمي لتزكية أحكامه الخواطئ على الأدب العربي ، والأستاذ الزيات كان ينتظر أن أردّ على أحمد أمين بأسلوب رقيق شفاف يحاكي نسائم الأصائل والعشيات على ضفاف النيل !

فكيف غاب عن هذين الصديقين أني رجل له غضبات ؟

كيف غاب عن هذين الصديقين أن الأدب العربي وصل إلى دمي وروحي وأني أزدري من يستهينون به أشد الازدراء ؟

إن الأدب العربي هو الصورة الناطقة من ماضي الأمة العربية

وهو فى الواقع أدب أصيل لا يستهين به إلا حاقد أو جهول ، وهو كذلك صورة من العِرض المصون فى عهود التاريخ ، فكيف يجوز أن نسامح من يفترون عليه أقبح الافتراء ولو كانوا من كرام الأصدقاء ؟

الله يشهد أنى متوجع لما صنعت بالأستاذ أحمد أمين ، وهو رجل له ماضٍ فى خدمة الدراسات الإسلامية ، وله مواقف فى مؤازرتى سأذكرها وإن طال الزمان ؛ ولكنه فى الأعوام الأخيرة أصيب بمرض عُضال هو السخرية من ماضى الأمة العربية ، وأُغرِم بضرب من الحذلقة لا يقره عليه غير الأصحاب المتلطفين الذين لا يهمهم غير الاقتراب من روحه اللطيف !

والأدب القديم الذى يتنكر له أحمد أمين هو نفسه الأدب الذى لم يستنصر بغيره حين جاز له أن يشتمنا وهو ظلوم

الأدب القديم يقول : « أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك »

فإن توجع هذا الصديق مما أسلفنا فى الهجوم عليه فمن واجبه أن يذكر أننا أدينا لمصر خدمة عظيمة حين واجهناه باللام ، فقد كان من المنتظر أن يشرب الكأس المرة من النقاد فى الشام ولبنان والحجاز والعراق واليمن وتونس والجزائر ومراكش ، وما إلى هؤلاء من الأقطار التى تساير الآداب العربية

قد يقول قائل : وما معنى هذا الكلام ؟ أيكون معناه أنى أشفق على الأستاذ أحمد أمين بعد أن أصليته نار العذاب ؟

هو ذلك ، فما كان أحمد أمين إلا نباتاً مصريًّا وإن عرَّض مصر لأشنع ضروب المهلكات

أحمد أمين رجل فاضل وإن تردى فى هاوية العماية والجهل حين حكم بأن أدباء العرب كانوا أصحاب معدات لا أصحاب أرواح

وما كان لى أن أطيل فى شرح هذه المعانى لولا أن عرفت أن رجالاً لهم أقدار عالية دعونى إلى مسالة هذا الصديق

فليعرفوا ـ غير مأمورين ـ أنى لا أهجم عليه إلا ابتغاء وجه الحق ، ولن أتركه فى أمان حتى يعرف أن الأدب العربى أقوى وأعظم من أن يتعرض له باحث بسخرية واستخفاف ، وسوف يرى عواقب ما يصنع إن تغطرس واستطال

***

أما بعد فقد كان موضوع هذا المقال هو النص على خطأ هذا الصديق فى السخرية من الأدب الأندلسى

فهل اتفق لهذا الصديق أن يدرس أدب العرب فى الأندلس ؟

إنى لا أزال أذكر كيف أحرجنى تلاميذى بدار المعلمين العالية فى بغداد، فقد حدثتهم مرة عن قيمة أحمد أمين فانبرى أحدهم يقول: إن أحمد أمين من ذيول المستشرقين . فقلت : وكيف كان ذلك ؟ فقدموا إلىَّ مقدمة الجزء الثالث من كتاب ضحى الإسلام وفيها يصرح المؤلف بأن تصميم الكتاب كان يوجب أن يكون له جزء رابع خاص بالأندلس ، ولكن أحد المستشرقين نبهه إلى أن الأندلس فى ذلك العهد لم تكن فيه حياة عقلية تستوجب أن يفرد لها جزء من كتاب، فانصرف عن تأليف ذلك الجزء المنشود!

وفى مساء ذلك اليوم كان عندنا المشاوى بك والدمرداش محمد ، ودار الحديث حول المؤلفين المصريين فانبرى الأستاذ الدمرداش يثنى على الأستاذ أحمد أمين ، فقلت : ولكن أحمد أمين صرح فى مقدمة الجزء الثالث من ضحى الإسلام بكيت وكيت ، فقال : هذا مستحيل ، هذا مستحيل. ولولا حضور المشاوى بك لثارت معركة بينى وبين الأستاذ الدمرداش !

والحق كل الحق أن الأستاذ أحمد أمين لا يعرف الأندلس إلا معرفة سطحية . وآية ذلك أن الأدب الأندلسى لم يدرس فى كلية الآداب منذ عشر سنين

فهل نستطيع مرة ثانية أن نتلطف فندعو الأستاذ شفيق غربال إلى إنشاء كرسى للأدب الأندلسى فى كلية الآداب ؟

قد يعتذر العميد الجديد بأن الدكتور طه حسين صرح مرة بأنه لا يجوز لأستاذ أن يتصدر لتدريس الأدب الأندلسى وهو لم يطلع على غير كتاب نفح الطيب

ولكنى أؤكد للأستاذ شفيق غربال بأن مصر لا تخلو من رجال درسوا الأندلس فى المصادر العربية والمصادر الأجنبية ، ولهم قدرة على تجلية ذلك الأدب بأسلوب رائع جذاب ، وهو خليق بأن ينتفع بمواهبهم حين يشاء

وبأى حق تكون كلية الآداب أعظم معهد أدبى فى الشرق إذا عز عليها أن تحيط بتاريخ العرب فى الأندلس من نواحيه الأدبية والفلسفية والتشريعية ؟

وكيف يجوز أن يعجز علماء مصر عما قدر عليه علماء الفرنسيس والإنجليز والأسبان ؟

إن مصر هى بلا جدال أعظم الأمم الإسلامية والعربية فى الشرق . فكيف تعجز عن درس تاريخ العرب والمسلمين فى الغرب ؟ وكيف يصح لأبنائها أن يكونوا عالة على المستشرقين

فى الشؤون العربية والإسلامية حتى يجوز لأحد أساتذة كلية الآداب ألا يتقدم فى أبحاثه أو يتأخر إلا بعد أن يظفر من المستشرقين بإذن خاص ؟

قد تقولون : وهل انحصرت التبعات العربية فى كلية الآداب ؟

وأجيب بأن كلية الآداب تأخذ من أموال الدولة أعظم مما تأخذ سائر المعاهد المشغولة بالدراسات الأدبية والفلسفية ، فهى مسئولة عن درس فتوحات العرب والمسلمين فى المشرق والمغرب ، وإليها المرجع فى توجيه الشبان إلى فهم ماضيهم المجيد فى خدمة الحضارة والمدنية ، وإقناعهم بأن أسلافهم سادوا العالم بضعة قرون ، ولذلك تأثير كبير فى خلق الجيل الجديد

فهل يعترف بذلك صديقنا أحمد أمين ؟

وهل تعترف به الجامعة المصرية ؟

لقد قضيتُ نحو خمسة عشر عاماً وأنا أدعو إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى كليات الجامعة المصرية ، فكان المتخلفون من أساتذة العلوم يعتلون بأن اللغة العربية تعوزها المصطلحات فى كثير من الشئون ، وظلوا على تهاونهم إلى أن كتب معالى الدكتور هيكل باشا إلى سعادة مدير الجامعة يقول : إنه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تأدية المعانى العلمية . وكانت تلك الإشارة كافية لأن يعرف أساتذة الكليات أن تدريس العلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل ، وكانوا يرونه قبل ذلك أبعد من المستحيل !

لقد قضت الجامعة المصرية أعواماً طوالاً وهى تدرّس العلوم باللغات الأجنبية ، ولم تعرف وجه الحق فى إعزاز اللغة القومية إلا بعد أن ينبهها وزير المعارف ، أثابه الله وجزاه خير الجزاء !

فهل يعلم الذين قاوموا هذه الفكرة من قبل أن الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغة العبرية مع أن لغة بنى إسرائيل ليس لها ماض فى خدمة العلوم ، ومع أن النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عن أغراضهم بلغات أجنبية ، ولم يفكروا يوماً فى خلق عصبية للغة العبرية قبل فكرة الصهيونية ؟

اللغة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهى فى فقر مُدقع ؛ أما اللغة العربية فتعجز عن تدريس العلوم مع أنها كانت لغة دولية فى مدة دامت نحو خمسة قرون ، ومع أنهـا استطاعت أن تحفظ الذخائر مما خلّف الفرس واليونان !

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لأن اليهود أرادوا أن يخلقوا لأنفسهم ذاتية قومية ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد

أما اللغة التى يتكلمها أقوام يشارفون مئة مليون والتى أمدت بحيويتها كثيراً من اللغات الشرقية ، والتى تنزل فى أنفس الملايين منزلة التقديس ، والتى تحتل أقطاراً حملتْ أعباء المدنية فى مختلف عهود التاريخ ، والتى خُدِمتْ خدمةً لم تظفر بمثلها لغة من لغات الشرق أو لغات الغرب ، والتى عجز الدهر عن تبديد ما تملك من ذخائر ونفائس ، والتى سخّر الله لخدمتها مئات من الأجانب فى الجامعات الأوربية والأمريكية

هذه اللغة الفنية ـ لغة العرب ـ هى اللغة التى يقال إنها تعجز عن تأدية الأغراض العلمية ، بفضل حذلقة السادة الأفاضل الذين يرون فى تجريحها باباً من الشهرة والنباهة وبُعد الصيت !

وأعيذ القارئ من الاستهانة بقيمة هذا الاستطراد : فهو متصل بدفع سخرية أحمد أمين من الأدب العربى ، وإنما عبنا عليه تلك السخرية لأنها من الشواهد على أنه غير موصول الأواصر بذلك الأدب الرفيع . فلو أن أحمد أمين كان تذوّق أدب العرب لأصبح مجنون ليلاه ، ولكنه مرّ به مرور العابرين من أبناء السبيل ، وقديماً قال الحكماء : « من جهل شيئاً عاداه »

وهنا شبهة يجب تبديدها لينتهيَ أحمد أمين . فهذا الرجل ردّ علينا قائلاً : إن الأدب يُخدم بالنقد أكثر مما يُخدم بالتقريظ . وهذا حق ، ولكن هل يدرك المراد من النقد ؟

النقد هو فى الأصل تمييز الزائف من الصحيح فيدخل فيه اللوم ويدخل فيه الثناء ، ولكن أحمد أمين يتوهم أن النقد مقصور على التجريح ، ويرى الكلمة الطيبة باباً من التقريظ ، وهو عنده معيب . ونحن نقول بلا تردد إن الأدب العربى أدب أصيل والزائف منه لا يقام له وزن بجانب الصحيح ، فكيف انحرف بصره عن المحاسن ولم يشهد غير العيوب ؟

وهل فى الأدب حُسنٌ وقبح ؟

الأدب جِدُّه جِدٌّ وهزله جدٌّ ، ولا يعاب عليه إلا ما غلب عليه التكلف والافتعال ، كالذى يقع من بعض الناس حين ينشئون مقالات لم تخفق لها قلوبهم ، وإنما ينشئونها ليقال إنهم خالفوا الجمهور فى كيت وكيت ، أو ليجعلوها وسيلة لاجتلاب مقالات الكتاب بالمجان لتخفف أعباءهم فى تحرير الجرائد والمجلات

ماذا أريد أن أقول ؟

إن الترفق بالأستاذ أحمد أمين يصرفنى عن كلمة الحق ولو رزقنى الله الشجاعة لقلتُ إن هذا الرجل يتجنى على

الأدب العربي لأنه لم يعرفه معرفة صحيحة ، ولو قد عرفه حق معرفته لأدرك أنه خليق بأن تُبذل في سبيله نفائس الأعمار من أحرار الرجال

لو أن أحمد أمين كان تذوّق الأدب العربي لأيقن أنه خليق بأن يتعصب له الباحثون، ففي هذا الأدب نفائس تنفر له جميع الذنوب.

ما رأى أحمد أمين في كتاب « لسان العرب » ؟ وما رأيه في كتاب « الأغاني » ؟ وما رأيه في كتاب « نفح الطيب » ؟ وما رأيه في كتاب « عيون الأخبار » ؟ وما رأيه في كتاب « إحياء علوم الدين » ؟

إن كتاباً واحداً من هذه الكتب كاف لأن ينتهب حياة طيبة مثل حياة أحمد أمين ، وهو خليق بأن يرفع رأس العرب بين سائر الممالك والشعوب

وما رأى أحمد أمين في « ألفية ابن مالك » وهي من المنظومات النحوية والصرفية ؟

هل خطر بباله أن هذه المنظومة شغلت مئات من العلماء ؟

وهل مرّ في خاطره أنها تُرجمت إلى التركية منذ أمد بعيد ؟

وهل يعرف كيف تترجم مثل هذه المنظومة إلى اللغة التركية ؟

وهل يعرف من الذي قرظ ترجمتها من علماء الأزهر الشريف ؟

إن هذا الصديق كان يتوهم أن مصر خلتْ من المتبحّرين في الدراسات الأدبية واللغوية ، وكان ينتظر أن يشطح وينطح بلا رقيب ولا حسيب

وما كان يهمني أن أصحح ما وقع فيه من أغلاط لو لم يكن أستاذاً بكلية الآداب ، فتلك الكلية هي أول معهد فرضته الأمة على الحكومة ورفعت قواعده بما تملك من أموال وقلوب

وما أُنكر أن أحمد أمين رنّ صوته في كلية الآداب وقد زاملته فيها نحو أربع سنين ، ولكن يعزّ عليّ أن أراه يحبط أعماله بمقالات فطيرة لم تكن ثمرةً لسهر الليل وإقذاء العيون تحت أضواء المصابيح ، وإنما كانت ثمرة لنزوة وقتية أراد بها أن يخلق حركة في بعض المجلات ، والمجد كالرزق بعضه حرام وبعضه حلال

أنا أريد أن أعرف كيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن أدباء الأندلس لم يحسُّوا الطبيعة ، ولذلك حساب سيراه في المقالات الآتية ؛ ولكني أرجوه قبل أن أشرع في هذا البحث أن يدلني على مراده من التهديد الذي خصني به في مجلة الثقافة الغراء!

وإنما أهمني ذلك لأني أحب أن أعرف مصيري بعد أن استبحتُ ما استبحتُ من الحرية في النقد الأدبي

إن الشاعر الذي استنجد به أحمد أمين يقول :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمتشتّم

ولا بأس ، فأحمد أمين لا يجازي على الشتم بالشتم ، إن صح أننا شتمناه

ثم يقول ذلك الشاعر الذي استنصر به أحمد أمين :

ولكننا نأبى الظلام ونعتصي بكل رقيق الشفرتين مصمم

أعوذ بالله ! فهل أخشى أن يلقاني أحمد أمين بسيف مصمم رقيق الشفرتين ؟

وكيف وهو الذي هرب مني حين ذهبت أبحث عنه بشارب الإسكندرية ؟ وكيف يلقاني أحمد أمين بسيف رقيق الشفرتين وهو الذي لم يستطع ملاقاتي إلا بلسان معقول وقلم مفلول ؟

ثم يقول الشاعر الذي استنصر به أحمد أمين :

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

فهل أخشى أن يرميني هذا الصديق بالحجارة والطوب حين يلقاني في الإسكندرية أو في مصر الجديدة ؟

ليتني أقدر على الجهر بكلمة الحق ! ليت ثم ليت !

فلو كنت شجاعاً لقلت إن أحمد أمين لم يدرك المراد من تلك الأبيات الجاهلية . وكيف أشجُع وأنا مهدّد بالحجارة والطوب من أحمد بن أمين الجاهلي ؟ !

إن الأستاذ عبد الجواد رمضان يقول : إني لن أموت قريباً لأني من الأشرار ، وهي تهمة لا أدفعها عن نفسي لأني أحب أن أعيش ! أفي الحق أني شرِّير ؟

أنت يا ربي تعلم كيف خلقتني ، وكيف سوّيتني رجلاً لا يغضب إلا في سبيل الحق ، وقد شاء فريقٌ من عبادك أن يظلموني، فتجاوز عنهم واعفُ عني ، فإنك أنت غفّار الذنوب

ولك أن تنتظر ، ياصديقي أحمد أمين ، فسترى في الأسبوع المقبل كيف ألقاك ، وكيف أحوّلك إلى أديب يعرف كيف تكلم أدباء العرب في مصر والأندلس والشام والعراق .

وهداية رجل مثلك قد تكون كفّارة عما اقترفت في حياتي من آثام وذنوب .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

« للحديث شجون » — زكي مبارك

ذكريات سنى التعليم
الامتحانات والنتائج
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عند ما يعلل كاتب سوء نتائج الامتحان ينسبه إما إلى ضعف الطلبة وإما إلى المناهج أو نظم الامتحان وإما إلى المدرسين وإما إلى غير ذلك من الأسباب ، ولكنهم ينسون أموراً هامة قلما يذكرونها فيأتى التعليل ناقصاً . وهذا هو سبب تكرر مأساة سوء النتائج سنة بعد سنة بالرغم من استقرار حالة الطلبة نسبيًّا الآن عما كانت عليه أثناء الإضرابات المستمرة والأزمات السياسية الحادة ، وبالرغم من تخفيف المناهج وتبسيطها ، وبالرغم من تسهيل نظم الامتحان إما بجعل الامتحان فى مواد أقل أو مواد سنين أقل . وقلّ عدد تلاميذ الفصول فى المدارس الأميرية ذات الحجرات الكبيرة ، وخفض عدد الحصص التى يدرسها الأستاذ المدرس فى مواد المنهج ذاته – وإن كان قد وكل إليه عمل آخر فى النشاط المدرسى – فكان ينبغى أن تتحسن نتيجة الامتحانات تحسناً كبيراً لو كانت هذه الأمور وحدها سبب حسن النتيجة

والحقيقة أن هناك أسباباً لم ينظر إليها . ولم تكن النتائج الحسنة التى حصلنا عليها بسبب إرهاق الطلبة فى العمل ، بل كنا بالعكس نحاول منع الطلبة من إرهاق أنفسهم بالعمل ليلاً ونهاراً فى الشهر الأخير ومنعهم من إتلاف صحتهم من غير فائدة بهذه العادة العقيمة ؛ أما التشدد فى نتائج النقل فلا يعللها أيضاً ، إذ كنا نحصل على مثل هـذه النتائج فى مدارس لم نباشر امتحان النقل فيها أو فى فرق كانت نسب النجاح فى امتحان النقل فيها حسنة مرتفعة . فالتشدد فى امتحان النقل وحده لا يعللها إذاً . ومجهود المدرس أو مادته لا تعلل وحدها حسن النتيجة ، فقد تكون مادة المدرس كأحسن ما تكون المـادة ومجهوده أكبر مجهود ، وتأتى النتيجة سيئة نسبيًّا . وقد شاهدنا ذلك فى نتائج أساتذة من أحسن المدرسين عملاً ومادة ، بينما كانت نتائج مدرسين آخرين فى فصول أخرى هى عماد نتيجة المدرسة الحسنة الطيبة مع أنهم لا يمتازون عن إخوانهم فى المادة ولا فى الشرح والتفسير وإن كان تفسيرهم أقرب إلى المحاضرة منه إلى التدريس ؛ وهذا خطأ

والعامل الأول فى تحسين نتائج الامتحان فى رأيى هو أن يحصى المدرسة التلاميذ الضعاف فى كل فصل بالرجوع إلى درجات امتحان النقل فى كل مادة وأن يوجه إليهم الأستاذ المدرس جهده أثناء التدريس والشرح ، وفى الاختبارات الشفوية فى أول كل حصة وفى توزيع الأسئلة أثناء خطوات التدريس للتأكد من التفاتهم وفهمهم ومذاكرتهم وبالاختصار يكون أكثر التدريس للضعاف أثناء الحصص . قد يقال إن الطالب الذكى المجتهد أولى بالرعاية والتشجيع كى يزيد علماً وثقافة . وهذه فكرة مخطئة إذ أن المدرس غير مطالب بتخريج نوابغ قليلين ، وأكثر النوابغ يستطيعون النبوغ بقليل من التفات المدرس وعنايته ولكنه مطالب برفع مستوى الضعاف ومن أجلهم أنشئت المدارس لأن حاجتهم إلى المرشد أعظم من حاجة النوابغ ، ولا يصح أن يستزيد الطالب النابغة من العلم على حساب إخوانه الضعفاء أو الأقل ذكاء ، ويستطيع الأستاذ إذا سبق النوابغ إخوانهم فى الفهم والاستيعاب أن يعطيهم عملاً خاصاً فى أثناء الحصة أو خارجها إذا خشى الملل من جانبهم ، إذا سار على قدر فهم الضعفاء واستيعابهم، ويستطيع أن يبادر الأذكياء من حين لآخر بالسؤال للتأكد من أن سيره مع الضعفاء لم يثبط همة الأذكياء ولم يصرفهم عن الدرس ولا سيما الأذكياء الذين يعتمدون على ذكائهم فى التحصيل فى الشهر الأخير من العام الدراسى ، على أن تتبع الأستاذ للخطأ والصعوبة فى أذهان الضعفاء مما يزيد النابغة معرفة لمـا يواجه الذهن الإنسانى من الخطأ والصعوبة وإن كانت الصعوبة فى ذهنه أقل ، إذ لا شك فى أن بعض الأذكياء قد يكتفون بنصف فهم بينما لا يدّعى الضعيف الفهم إذا لم يستكمله إلا حياء وخجلاً من الظهور بمظهر ربما ظُنّ غباوة يضحك منها إخوانه الأذكياء وهو أمر ينبغى ألا يُسمح به .

ولا فائدة مطلقاً من تقديم الأستاذ المدرس تقارير لناظر المدرسة يومية أو أسبوعية عن المقصرين فى الاستذكار إلا إذا عمل على اتباع هذه الطريقة اتباعاً تاماً دائماً أى طريقة مناقشة الضعفاء أثناء الشرح للتأكد من التفاتهم ومتابعتهم إياه وفهمهم . وإذا كان فى التدريس

بطء بسبب هذه الطريقة استطاع الأستاذ أن يتلافى هذا البطء بوسائل أخرى، ويحسن بالوزارة أن تشجعه بوسائل العطف والقدر والمكافأة بهما إذا اضطرته هذه الخطة إلى الزيادة فى عمله إلى تضحية وقته الخاص

أما العامل الثانى فى تحسين النتائج فهو أن يتعرف الأستاذ أماكن الصعوبة فى المنهج ذاته والأغلاط والأخطاء الشائعة بين الطلبة عموماً سواء أكان الخطأ فى اللغات أو فى المواد الأخرى وأن يحصها بشرح أوفى وتمارين أكثر وأن يعاود الرجوع إليها حتى يقتلعها من أذهان الطلبة اقتلاعاً ليس أساسه القهر وإنما أساسه الفهم . وكنا نحصى الأغلاط الشائعة بين الطلبة المصريين فى اللغة الإنجليزية ونطبعها لهم ونعمل على استئصالها . فالعامل الأول هو التوجه بالتدريس إلى الضعفاء والسير معهم والعامل الثانى إحصاء الأغلاط الشائعة وأوجه الصعوبة وتلافيها

أما العامل الثالث فهو أن الطلبة يؤجلون الاستذكار إلى آخر السنة وقد لا يكون التأجيل ناشئاً عن الكسل والبلادة بل قد يكون عن حسن نية لأن سبب هذا التأجيل فكرة سيكولوجية مخطئة فهم يحسبون أنهم إذا استذكروا شيئاً فى أول السنة ثم نسوه لم يستفيدوا من ذلك الاستذكار بسبب النسيان، وقليل من علم النفس يبرهن على خطأ هذه الفكرة إذ أنه يثبت أن صورة الأمر المنسى راسبة فى أعماق الذهن والوعى الباطن وأنه لا يسهل استخراج المعقولات من أعماق الذهن عند مايشاء صاحبه تذكرها فى أى وقت إلا إذا انطبعت الصورة فى الذهن مرة بعد أخرى وفى كل مرة يعقب الاستذكار النسيان حتى يأتى على صاحب الذهن وقت لا ينسى بعد الحفظ، ولو فهم الطلبة هذه الحقيقة النفسية لاستطاعوا أن يفهموا السبب فى أن الواحد منهم قد يجيد مذاكرة الدروس فى الشهر الأخير من السنة فقط حتى إذا سألته فيها أجاب إجابة جيدة فإذا دخل الامتحان نسيها ولم يستطع الإجابة فإذا رسب أقسم أنه استذكرها جيداً وأنه سيئ الحظ. نعم إنه استذكرها جيداً قبيل الامتحان ولكن ينبغى أن يفهم أن محاولته تجنب النسيان فى أثناء السنة بتجنب المذاكرة طول السنة هو الذى يوقعه فى النسيان أثناء الامتحان مهما أجاد المذاكرة آخر السنة، وأن نسيانه أثناء الامتحان بعض المعقولات أو كلها أكبر دليل على انطباع المعقولات فى الذهن انطباعاً لا تُنسى معه عند الحاجة يستلزم طبع صورتها فى الذهن مرة بعد أخرى فى أوقات مختلفة . ومن الصعب أن يدرك الطلبة هذه الحقيقة كل الإدراك أو إذا أدركوها صعب عليهم التخلص من عادة تأجيل المذاكرة للشهر الأخير اعتماداً على احتمال النجاح بالرغم من هذا القانون السيكولوجى . وهذا مع أن إرهاق أنفسهم بالمذاكرة ليلاً ونهاراً فى الشهر الأخير يتلف صحتهم وإذا تلفت الصحة تأثر العقل ولو تأثراً مؤقتاً وصار أقل استعداداً للإجابة أثناء الامتحان . وحسن نتيجة المدرسة فى الامتحان يتوقف على الوسائل التى تتخذها لمنع تأجيل الاستيعاب إلى الشهر الأخير

والأساتذة المدرسون يجدون مقاومة كبيرة فى حمل الطلبة على الاستذكار من أول السنة، كما يجدون مقاومة إذا اتبعوا عامل النجاح الأول والتفتوا للطلبة الضعاف فى كل حصة، ففى الحالة الأولى يعد الطلبة مطالبتهم بالاستيعاب والمذاكرة من أول السنة تعنتاً وظلماً ومطالبة بعمل ضائع لا محالة فى نظرهم لأن نسيانهم محقق بعد أول استذكار، وقد يكرهون المدرس أو الناظر إذا حاول حملهم على خطة العمل من أول السنة ويعدون خطته ووسائله فى حملهم تقصداً ومضايقة لا مبرر لها وشدة غير معقولة . وفى حالة الالتفات للطلبة الضعاف فى كل حصة يعد الطلبة الضعاف هذا الالتفات الدائم إليهم تقصداً مكروهاً ومضايقة وإهانة لظهور عجزهم أمام إخوانهم

والآباء وأولياء أمور الطلبة لا يدركون مقدار ما يلاقيه الناظر وما يلاقيه المدرسون من عناء للتغلب على ميول الطلبة وأفكارهم المخطئة من الوجهة السيكولوجية أى اعتقادهم أن العمل من أول السنة عمل ضائع لأنه يؤدى إلى النسيان واعتقاد الضعاف فى المواد أن الالتفات لهم فى كل حصة تقصد يراد به إهانتهم. وهذا هو السبب فى أن أولياء أمور الطلبة قد يشكّون فى نية الناظر أو المدرس أو على الأقل لا يحاولون معاونتهم فترى أحياناً أحد الآباء يقول إن الناظر أو المدرس يتقصد ابنى، وقد يبلغ هذا الأمر حالة يشارك الأب فيها ابنه فى كره الناظر أو المدرس . وهذه المقاومة من الآباء والأبناء تشتد إذا كانت هناك عوامل خارجية أو داخلية فى المدرسة تزيد سوء الفهم وتشجع الطلبة أو أولياء أمورهم على كره الوسائل التى

يتخذها الناظر أو المدرس ومماذاتهما . وهى على أى حال مقاومة كبيرة، وتزيد إذا اضطر الناظر إلى رفض طالب أو إذا طلب المدرس من الناظر رفض طالب رفضاً مؤقتاً لأن بعض الطلبة قد يحرج المدرس إحراجاً كبيراً إذا حاول اتباع هذه الخطط والعوامل التى شرحناها. وينسى بعض آباء الطلبة أن حضور الطالب طول العام من غير رفض أيام قد يجعله حاضراً كغائب ولا ينتفع بحضوره وأن تضحية أيام فى الرفض قد تزيد ذهنه واستعداده حضوراً فى الأيام الأخرى . ومن أجل هذه المقاومة قد يزهد الناظر أو المدرس فى اتباع هذه الخطط التى شرحناها رغبة فى تسهيل سير الأمور ومنعاً للمشكلات، أو إذا اتبعت هذه الخطط قد تتبع اتباعاً محدوداً حسب الظروف وبقدر الاستطاعة . وهذا يقلل بلا شك من حسن نتيجة الامتحان. والمدرسة معذورة ما دامت هذه المقاومة موجودة ولا يستفيد الناظر ولا المدرس من اتباع خطط قد تجلب له عداوة شديدة وأحقاداً ربما تخطت منطقة المدرسة إلى الوزارة نفسها . والوزارة أيضاً لها بعض العذر فإنها إذا ناصرت الناظر سنة قد لا تستطيع مناصرته دائماً . فالكاتب الذى يكتب فى الجرائد ويطلب نتائج حسنة ينبغى أن يدرك المقاومة التى تمنع من الحصول على نتائج حسنة

بقى أن نفند بعض الأخطاء الشائعة فى التعليم والتى قد تؤدى إلى رسوب الطلبة ؛ فمن هذه الأخطاء مغالاة بعض أساتذة اللغة الفرنسية فى نظرية الشرح باللغة الفرنسية وحدها للطلبة المبتدئين الذين قد يستمرون أشهراً غير فاهمين لأن التفسير يحتاج إلى تفسير. نعم إنه مبدأ حميد على شرط أن يكون الشرح مفهوماً، أما إذا كان التفسير الفرنسى مجهول الكلمات غير مفهوم فالواجب استخدام أية وسيلة لإفهام الطلبة سواء أكانت بالإشارة إلى الأشياء أو فى المعقولات غير المادية باستعمال اللغة الانجليزية أو العربية . ومن الخطأ فى تدريس اللغة الإنجليزية أن يقال للطالب هذا خطأ وصوابه كذا، ويكتفى بذلك، فهذه طريقة التدريس للشبان الإنجليز الذين يسمعون الصواب كثيراً . فلا بد من أن يكون الأستاذ مدرس اللغة الإنجليزية خبيراً بفقه اللغة وقواعدها ، ولا حرج عليه مطلقاً فى شرح القاعدة أو الاصطلاح إلا إذا كان الاصطلاح غير مبنى على قاعدة ، ولكن أكثر أخطاء الطلبة المصريين فى اللغة الإنجليزية ترجع إما إلى الخطأ فى قواعد اللغة ، وإما إلى احتذاء الأساليب العربية ، وقواعد اللغة العربية ، وهذه الأخطاء يمكن شرح سبب وقوع الطالب فى الخطأ فيها ، ومثل ذلك أن الصفة تجمع فى اللغة العربية ، ولا تجمع فى اللغة الإنجليزية ؛ فإذا فهم الطالب القاعدة وسبب الخطأ أمكن تجنبه . أما أن يقال له لا تقل كذا بل قل كيت وكيت لأن الأول خطأ فهذا شبيه فى تدريس حل أسئلة الرياضة والعلوم بقول الأستاذ هذا الحل خطأ من غير تفسير سبب الخطأ ، وهو تفسير يجب أن يتعهد به كل طالب فى كل سؤال أو تمرين وإلا بقى الخطأ فى ذهنه بالرغم من معرفة حل الأستاذ للمسألة . وهذا التعهد ببيان سبب الخطأ فى كل تمرين يحتاج إلى وقت ولكنه السبيل الوحيد للنجاح . وقد رأيت بعض الأساتذة الانجليز يفضلون محاولة الطالب الأسلوب الأدبى العالى فى الإنشاء بالرغم من تخلل الأغلاط الأولية له ؛ وهذا يرجع إلى عدم التوطئة للأسلوب الادبى بشرح الأغلاط الاولية الشائعة واستئصالها بكل وسيلة لأنها تعطى فكرة سيئة عن الطالب تؤدى إلى رسوبه فى الامتحان مهما حاول المصحح إنصافه فى استعماله بعض الجمل العالية .

عبد الرحمن شكرى

من كتاب الدين الاسلامى

مقدمة لبحث الايمان

للأستاذ على الطنطاوى

معناه اللغوى

إذا قال لك قائل إن جزء الشيء يساوى مجموعه، أنكرت ذلك عليه وكذبته فيه لأنك (تؤمن) بأن الجزء أصغر من الكل ، وتقطع بذلك قطعاً ، ولا ترى عنه معدلاً . وإذا وجدت من يبذل دمه فى سبيل وطنه ، ويفديه بنفسه وماله ، ويحرص على خدمته قلت إنه من ذوى (الإيمان) الوطنى ، وإذ ألفيت المحبّ المولّه ، يعصى العذول ويعرض عن الناصح ، وصفت حبه بالإيمان وعبرت عنه ، كما يقول التراجمة الناقلون، بالعبادة . فقلت : إنه يعبد حبيبته

هـذا كله من مظاهر (الإيمان) — والإيمان — بهذا المعنى — هو العقيدة الثابتة فى النفس ، أو العاطفة القوية الراسخة التى لا تتبدل ولا تتزعزع ولا يحتاج إلى التدليل عليها ، لأنها من (البديهيات) بالنسبة لصاحبها المؤمن بها

فالإيمان (فى اللغة) التصديق وفعله آمن وأصلها أأمن بهمزتين ليّنت الثانية

أنواع الايمان

يتضح لك مما مثلنا أن للإيمان نوعين: فإيمانك بأن الرغيف أكبر من نصفه ، وأن الواحد ثلث الثلاثة (إيمان عقلى) لا أثر لك فيه ولا عمل، وإنما هو من الفطرة التى فطر الله الناس عليها. أما (الإيمان الوطنى) أو (الإيمان بالحبيبة) بالنسبة للعاشق المتيم فهو (إيمان قلبى) ، لا دخل للعقل فيه ، وهو فردى شخصى يختلف عن (الإيمان العقلى) الذى يتصف بكونه عاماً شاملاً العقلاء جميعاً . وهذا التقسيم جديد استنبطته من الأمثلة المختلفة للإيمان ورأيت فيه نفعاً ، لأنه يثبت جنس الإيمان ، ولأنه بعد ذلك يساعد على تحديد البحث . أما الإيمان بأصول الدين ، فهو من نوع الإيمان القلبى ، ولكن للعقل دخلاً فيه من حيث إنه يقبل مبدأه ويقر نتائجه ، ولا يناقضه وإن كان لا يفهمه تماماً . وبيان هذه المسألة المهمة أن العقل (يؤمن) بادئ الرأى بوجود الله ، وبأنه عادل ، ولا يناقض نتائج الإيمان بالقدر إجمالاً ولكنه لا يستطيع أن يفهمها ولا أن يعلّلها، ومنشأ ذلك أن العقل مقيد فى أحكامه بالحواس والخيال والاختبارات السابقة ، لا يستطيع أن يتخلى عنها ، أو يخرج عليها . فهو يحكم على عدل الله بما يعرف من حدود (العدل البشرى)، وما لديه من الاختبارات. فيقع فى الخطأ لاختلاف فكرة العدل البشرية النسبية ، عن فكرة العدل الإلهية المطلقة .

فالعقل إذن لا يستطيع أن ينقض نتائج الإيمان ولكنه لا يؤمن تماماً ، وإنما الذى يؤمن هو القلب

الايمان فى الدين الاسلامى

عرفنا معنى الإيمان فى اللغة . أما معناه فى الدين فهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر (وسيأتى الكلام على ذلك كله إن شاء الله) فمن صدق بها تصديقاً جازماً فهو المؤمن حقاً . وقد جعل الله هذا التصديق أصل الدين وأساسه ، وأقام الأدلة على هذه المسائل ، وخاطب بها العقل ، لكن الذى أفهمه أن العقل يقبل مبدأ الإيمان إجمالاً ، ثم يدع دقائقه للقلب ، أى أنه كالملك فى الدولة يوقع على الرسوم ولكنه يدع لغيره من الوظفين فهمه وتطبيقه ومراعاته دائماً . فالعقل يؤمن بأن الله موجود ، وأن القرآن كتابه الذى أنزله ، وأن محمداً نبيه الذى لا ينطق عن الهوى. ثم يقف ويدع للقلب (الإيمان) بكل ماجاء فى الكتاب ، وما نطق به الرسول والاطمئنان إليه والتصديق به وقبوله بلا أدنى شك ولا ريبة ... وليس فى أصول الإسلام ما يرفضه العقل ، أو يتعذر عليه قبوله لمخالفته لبديهياته الثابتة ، أو أحكامه الصحيحة ، وهذه هى ميزة الدين الإسلامى عن كل دين

العلاقة بين الايمان والاسلام

الإسلام هو (إظهار) الإيمان ، والتعبير عنه (عملياً) بالنطق بالشهادة عليه ، والقيام بالعبادات التى تنشأ عنه . وهو الأساس الذى يبنى عليه تقسيم الناس إلى متبع ومخالف ، وما يتفرع عن هذا التقسيم من أحكام مدنية وحقوقية ، لأن الناس لهم (الظواهر) ولا يستطيعون أن يشقوا عن قلوب الناس ويعرفوا سرائرهم. وهذا معنى ما جاء فى الحديث القائل (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)(١)

(١) قال السيوطى : حديث متواتر ، وهو (كما قال المناوى) أصل من أصول الاسلام وقاعدة من قواعده

فإن نطق الشهادة ، وأدى الفرائض ولكنه غير (مصدق) بها ، ولا (معتقد) وجوبها ، ولا يفهم إلا جسمها دون روحها ، وشكلها دون معناها ، فهو (غير مؤمن) وهو ما كان عليه بعض الأعراب الذين قال الله عز وجل فيهم: (قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)

وإن (أظهر) الطاعة عن تصديق وجزم ، وأدى الصلاة معتقداً وجوبها مراقباً الله فيها ، فهو المؤمن المسلم . نقل فى اللسان عن ثعلب اللغوى قال: المؤمن بالقلب والمسلم باللسان (أى وبالجوارح) وقال الزجاج : صفة المؤمن أن يكون راجياً ثوابه خاشياً عقابه

وقال الزمخشرى فى الكشاف، فى المسلم الكامل : (هو من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله. فمن أخل بالاعتقاد ، وإن شهد وعمل فهو منافق. ومن أخل بالشهادة فهو كافر . ومن أخل بالعمل أى بالعبادة من صلاة وصيام وحج فهو فاسق)

الإيمان ضرورى ومفيد

بدا لك مما تقدم ذكره أن الإيمان ضرورى لا يستطيع إنسان أن يعيش بدونه ، وأن المرء إن زعم أنه لا يؤمن بأصول الدين لم يكن له بدّ من الإيمان بمبادىء عقلية ، ومبادىء اجتماعية ، وأخلاقية ، ولا منجى له من الحب - والحب والإيمان من طبيعة واحدة فى الأصل - فليس فى الدنيا إذن إنسان إلا وهو (مؤمن) لأن (الإيمان) شيء مستقر فى طبيعة البشر ، ومن آمن بهذه الحقائق الصغيرة ، أو الأباطيل التى يتوهمها حقائق، كما يتوهم المحب العاشق ، لم يستطع الكفر بالحقيقة الكبرى ، وهى وجود الله .

وسترى بعد أن وجود الله بديهية عقلية ، وأن التأليه والتطلع إلى المجهول ، والبحث عن الخالد الباقى ، من الفطر الإنسانية .

ثم إن من مصلحة الإنسان أن يكون مؤمناً بالله ، لأن الحياة مملوءة بالآلام ، فياضة بالمكاره ، فإذا لم يكن للمرء وَزَرٌ من إيمانه يلجأ إليه كلما حاقت به الشدائد ، أو انتابته الأمراض ، كانت حياته جحيماً محرقاً لا يحتمل ، وربما أدت به إلى الانتحار كما يفعل الجاهلون ، فلا سعادة إذن إلا بالإيمان ولا أنس بالحياة إلا معه .

ومن مصلحة المجتمع أيضاً أن يكون الناس مؤمنين ، لأن القوانين والقوى التى تؤيدها ، والعقوبات التى تحميها ، كل ذلك لا يؤدى إلى إنشاء مجتمع خيّر صالح إذا نقصه الإيمان . وكيف لعمرى يصلح الرجل ويستقيم ، وهو لا يجتنب السرقة إلا خوفاً من الشرطى وهرباً من العقاب . فإذا أمن الشرطى ونجا من العقاب سرق وقتل وفعل الأفاعيل . فإذا كان (مؤمناً) بالله يخشى عقوبته ، (مؤمناً) بمبادىء الأخلاق التى أمر بها الله ووعد بالثواب عليها استقام دائماً ، لأن الله مطلع عليه مراقب له دائماً .

وشىء آخر هو أن الدافع إلى كل ما يفعله الإنسان المنفعة أو اللذة ؛ فالمؤمن يعمل الصالحات ولو لم يره أحد ولو لم يعلم به أو يشكره لاعتقاده أن الله يثيبه ويعطيه ، فلماذا يعمل الصالحات غير المؤمن إذا لم يكن من يراه أو يشكره أو يذيع فضله أو يجزيه بعمله خيراً ؟

الإيمان الكامل

والمؤمن الكامل الإيمان هو الذى يتصور فى كل لحظة أنه بِسَمْعِ الله وبصره وأن الله مطلع عليه ناظر إليه ، فإذا لم يمنعه من المعصية خوف الله منعه الحياء منه ، ولذلك جاء فى الحديث « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع (أى تاب توبة صحيحة) رجع إليه[1] » فلا يستطيع الزانى أن يزنى وهو مؤمن إيماناً حقاً ، ومتصور أن الله ناظر إليه . بل هو لا يستطيع أن يزنى إذا كان أبوه أو أستاذه يراه ويشرف عليه ، فالإيمان إذا كان على هذه الصورة يمنع صاحبه من كل فاحشة ، ويصرفه عن كل ذنب .

الصالحات بلا إيمان

فإذا عمل الرجل من الصالحات وهو غير مؤمن لم يكن له ثواب فى الآخرة . وقد يبدو ذلك غريباً لأول وهلة ولكنه نهاية العدل من الله . وهل فى العدل أكبر من أن تعطى المحسن المصلح كل ما يطلب . فإذا كان يقصد ثواب الآخرة ، وكان (مؤمناً) بها أعطاه الله ما يطلب ، وإن لم يطلب إلا الشهرة فى الناس وخلود الذكر فيهم ، أعطى الشهرة والخلود ، ولم يكن له فى الآخرة شىء (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

هذه مقدمة موجزة جداً لبحث الإيمان سيعقبها فصل فى الإيمان بالله للأستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ينشر فى العدد الآتى .

علي الطنطاوي

(١) حديث صحيح

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

من القضاء الغريب بين الفرزدق وجرير ما رواه الأستاذ المردى عن الأغانى : « تنازع فى جرير والفرزدق رجلان من عسكر المهلب . فارتفعا إليه وسألاه ، فقال : لا أقول بينهما شيئاً ثم دلهما على الخوارج . فلما تواقف الجيشان بدر أحد المتنازعين من الصف إلى عبيدة بن هلال اليشكرى الخارجى فسأله عنهما ففضل جريراً : قال من الذى يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا[١]

فقال : جرير . قال : هذا أشعر الرجلين »

فالذى يلوح لنا فى هذه الحكومة أن الخارجى رأى بيت جرير أمير شعره وأن ليس للفرزدق شبهه فقضى له ، أو أن من يقرض مثل هذا البيت حقيق بالتقديم (ونذر فى هذا المقام البحث عن قيمة هذا البيت وخطره) أو أن عبيدة التفت إلى الديانة ففضل المتقى على من فجر

وإن تفضيل قائل على قائل لمعنى من المعانى المذكورة لهو الحيف المحض ، وخروج على سلطان الحق ، ألا (لاحكم إلا لله) ولا قضاء مقبول إلا من مقسط ذى نصفة

ولولا أن يغضب أو أن يشرى[٢] صاحبنا الأستاذ أبو إسحق أطفيش نزيل القاهرة ومن علماء إخواننا الأباضية وفضلائهم — لشننا على (الشراة[٣]) غارات ، وفندنا (مقالاتهم) الخارجية بمقالات فى (الرسالة الغراء) متلاحقات ...

وممن عادل الخارجىَّ فى جنفه فى حكمه ، بل أربى على جميع الجَوَرة فى القضايا الأدبيـة الحسن بن بشر الآمدى صاحب (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) فقد ظهر فى كتابه (أجور من قاضى سذوم[١]) وأرانا كيف يكون الظلم العبقرى «استعان الرجل بالله — كما قال — على مجاهدة النفس ومجاهدة الهوى وترك التحامل » وأقبل يوازن ، فماذا صنع ؟

يأخذ بيتاً لحبيب قال فى معناه الوليد وينصب ميزانه ، وهواه الوازن

ولأبى تمـام أبيات عبقريات ، كل بيت منها بديوان ، وله قصائد باهرات مدهشات

هذه لا توضع فى الميزان ، وقد كان قال : « أنا لست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما فأقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة ثم احكم أنت ». ولكنه لم يفعل ذلك واجتزأ بإيراد أبيات لكل من الطائيين وجعل يلغو لغوه[٢]

وإذا قال أبو تمام :

إن لله فى العبـــاد منايا سلطها على القـلوب العيون

وقال البحترى :

قال بطلاً وأفال الرأى من لم يقل إن المنـايا فى الحدق

فهنا يتوارى الوازن والموازنة ويرفع الميزان . وبيت الوليد شرح طويل، مطمطة[٣] ...

وقد كان ابن الأثير أنصف[٤] من الآمدى حين قضى بين حبيب والمتنبى فى رثاء ولدين صغيرين لعبد الله بن طاهر ، وطفل لسيف الدولة ؛ وبين البحترى وأبى الطيب فى وصف الأسد . وقد شأى الكندى الطائيين فى الرثاء والوصف

وإنى لموقن أن الآمدى فارق الدنيا ولم يعرف أبا تمام وعبقريته . وممن علم ذلك وأعلن فضل ابن أوس — أبو بكر بن يحيى الصولى صاحب كتاب (أخبار أبى تمام) الذى أفضل على العربية بنشره الفضلاء : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندى — بارك الله فى الهند — وقد أعطى الكتاب بعض حقه فى مقالة فى الجزء (٢٢٥) من (الرسالة). وكانت مجلة (المقتطف) ذكرت كتاب الصولى ، وحافت على حبيب فردّ عليها وليمت

(١) يصف خيلا

(٢) يشرى : يشتد غضبه ، وفى الصحاح : شرى فلان غضبا إذا استطار غضباً

(٣) الشراة الخوارج ، سموا أنفسهم شراة لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله ، والواحد شار ، والشارى — بتشديد الياء — ليست الياء للنسب وإنما هو صفة الحق به ياء النسب تأكيداً للصفة . وأشرى وتشرى صار كالشراة فى فعلهم (اللسان التاج) ومن قول أحد الشراة وكان ينشده يوم المصاف :

أنا الوليد بن طريف الشارى قسورة لا يصطلى بنـــاري
جوركم أخرجنى من دارى

(١) سذوم بالمعجمة ، قال الطبرى : هو ملك من بقايا اليونانية غشوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين (الميدانى)

(٢) لغا يلغو لغواً : لفظ به وتكلم

(٣) المطمطة مد الكلام وتطويله كما فى المخصص والتاج

(٤) قال ابن الحريرى قولهم : (فلان أنصف من فلان) خطأ ، وقد قالته العربيـة : « وإذا هجم السباع هرب القياس » راجع شرح الدرة الصفحة (١٥٨)

في مقالة في الجزء (٢٣٥) من (الرسالة) وأغلب الظن أن الكاتب في المقتطف ما قرأ كتاب الصولي فيعرف ذلك الشاعر العظيم، فقال على المُخيَّل أو على ما خيلت كما يقولون.

* * *

ألا إن الشعر لأكثر مما يرى ذاك الخارجي وهذا الآمدي وأعظم؛ وإن فضيلة الفرزدق فيما يبينه أديبنا الكبير الأستاذ المردمي في كتابه:

« لا تجد شعراً أكثر تأثراً بالإسلام، والعصبية العربية، ولا أصح لغة، ولا أجزل أسلوباً، ولا أجمع لشوارد العربية وفصيحها، وأخبار العرب وأيامهم — من شعر الفرزدق»

« والفرزدق على جفاء طبعه له مخيلة تفيض بالحياة، وتحسن الابتكار والابتداع ووضع الأقاصيص بأسلوب حسن[1] »

« والفرزدق على أميته واسع الرواية كثير المحفوظ، ولم يقف عند حفظ أشعار العرب وأخبارهم بل حفظ القرآن، وروى الحديث النبوي. قال صاحب خزانة الأدب (البغدادي): (روى الفرزدق عن علي عليه السلام وعن غيره من الصحابة). وقال صاحب النجوم الزاهرة: (روى الفرزدق عن عليّ بن أبي طالب وغيره وكان يرسل[2]، وروى عن أبي هريرة وعن جماعة) فثقافته أعلى ثقافة يبلغها شاعر في ذاك العصر »

« ويجمع الفرزدق إلى خصب المخيلة وسعة الرواية كثرة النواحي، فشعره سجل حياته ومرآة عصره »

« ونفس الفرزدق طويل، وقصائده التي تزيد أبياتها على المئة كثيرة، وله القصائد القصار، وهو في كلا القسمين لا يسف ولا ينزل عن طبقته »

« وقد استقام للفرزدق من الأبيات الجامعة بين شرف المعنى وشرف اللفظ ما لم يستقم لغيره، فهو أكثر الشعراء الإسلاميين بيتاً مُقَلَّداً[3] »

(١) راجع الصفحة (٥٤) من كتاب الأستاذ للوقوف على بعض الأقاصيص التي وضعها

(٢) في (التاج): الأحاديث المرسلة التي يرويها المحدث إلى التابعي بأسانيده متصلة إليه، ثم يقول التابعي: قال رسول الله ولم يذكر صحابياً سمعه من رسول الله. وفي (مقدمة ابن الصلاح): صورته أي المرسل حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم إذا قال قال: (قال رسول الله) وفي (إرشاد الساري) لقسطلاني: وهو أي المرسل ضعيف لا يحتج به عند الشافعي والجمهور واحتج به أبو حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه فإن اعتضد بمجيئه من وجه آخر مسنداً أو مرسلا آخر أخذ رجاله عن غير المرسل الأول احتج به

(٣) المقلد المغنى المشهور الذي يضرب به المثل (الاغاني) المقلد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل (الجمحي) مقلدات الشعر البواقي على الدهر (اللسان)

« وشعره في جملته يدل على قدرة الشاعر وبعد نظره وإحاطته بما يرى إليه من الأغراض وسعة مخيلته وانفساح مجاله ولذلك كثرت فيه الصور »

هذه جمل من (الكتاب) في باب البحث عن شعر الفرزدق وهي تساند مقالة البحتري في « معاني الفرزدق وحسن اختراعه وبأبواب هجائه التي يخترعها ويبدع فيها » وتعلن من النبوغ الفرزدقي ما تعلن، وتقوي الظن الذي ظنناه في اختيار الأستاذ هماماً من بين الثلاثة الإسلاميين واختصاصه إياه بهذا الكتاب. وقد أوضح الأستاذ المردمي ما أوردته من أقواله أبلغ إيضاح، وأيدها بأبيات كثيرة للشاعر

يقول الأستاذ في تضاعيف البحث عن شعر همام: « وأما تمثيله العربية في فصاحتها وشواردها، وتاريخ العرب في مناقبهم ومثالبهم حتى قيل (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب[1]) وقيل (لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس) فذلك لكثرة مفرداته، وصحة تراكيبه، وجزالة أسلوبه، واشتمال شعره على الغريب، وأوجه التعابير الفصيحة، ووفرة ما تضمنه فخره وهجاؤه ومدحه من أخبار العرب وأيامها ومفاخرها، ومثالب من يهجوهم في الجاهلية والإسلام. خذ مثلاً لذلك نقيضة من نقائضه مع جرير تجد فيها صحة اللغة وفصاحة الأسلوب وجزالة التركيب ورصانة القافية وعراقة العربية مع شيء من الغريب كما تجد كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، ولو جمع باحث مفردات الفرزدق التي استعملها في شعره لكادت تكون معجماً، ولو توفر على ترتيب ما فيه من الأخبار والحوادث والمفاخر والمخازي والعادات والأساطير والخرافات لجمع تاريخاً لحوادث الجاهلية وحياتها الاجتماعية. والشواهد على ذلك أكثر من أن تذكر نكتفي بإيراد قليل منها قال: نقائض ص١٨٩» وروى الأستاذ ثمانية أبيات من القصيدة التي مطلعها:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

ثم قال: « هذه الأبيات الثمانية فيها من الأخبار والحوادث والأيام ما استغرق عشر صفحات من كتاب النقائض، ولا سبيل لتلخيصها هنا » وأشار إليها، وروى وبيّن غير ذلك مما يحق مقالته في الفرزدق

وممن يماثل هذا الشاعر من المولدين في اشتمال كلامه على أخبار كثيرة وإشارات ذات بال — حبيب « ففي شعره علم جمّ من

(١) يونس

النسب ، وجملة وافرة من أيام العرب » وأبو بكر الخوارزمى الذى يستظهر رسائله كلها العلامة الأستاذ الأمير شكيب أرسلان

والقول المتقدم فى أبى تمام هو فى (رسائل الانتقاد) لابن شرف القيروانى ، وقد نشرها العلامة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحىّ فى مجلة (المقتبس) للعلامة الأستاذ الرئيس محمد كرد علىّ

ويقول الأستاذ : « ومن التعابير العربية التى حفظها لنا شعره قوله : نقائض ص ٢٨٣

أو بين حىّ أبى نعامة هارباً
أو باللحاق بطىّ الأجيال

حىّ أبى نعامة أى وهو حىّ تقول فعلت ذاك حىّ فلان أى وفلان حىّ »

وهذا القول قد هدانا إليه بيت الفرزدق. وفى العربية شىء كثير من مثل هذا التعبير خفى معناه أو أشكل ولم يكشفه لنا شرح أو تفسير . قال ابن فارس : « إنا نرى علماء اللغة يختلفون فى كثير مما قالته العرب فلا يكاد واحد يخبر عن حقيقة ما خولف فيه بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان » ، وأورد فى كتابه (الصاحبى) طائفة من الأقوال لم تستبن حقيقتها عنده ، ومما ذكره : « روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (لا تقولوا دعدع ولا لعلع(١) ولـكن قولوا : اللهم ، ارفع وانفع) فلولا أن للـكلمتين معنى مفهوماً عند القوم ما كرههما النبى صلى الله عليه وسلم »

(الاسكندرية)

* * *

(١) فى اللسان : دع دع : كلمة يدعى بها للعاثر فى معنى قم وانتعش واسلم كما يقال له : لعا ، قال :

لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر
ولا لابن عم ناله العثر دعدعا

ودعدع بالعاثر قال له ، رؤبة :

وإن هوى العاثر قلنا دعدعا
له وعالينا بتنعيش لعا =

= وفى التاج : لع ولعلع كلاهما بمعنى لعا يقال للعاثر كما فى المحيط وتلعلعت به قلت له ذلك ، ونص المحيط لعلعت به

فهل لذلك معنى غير الذى قال اللسان والتاج ؟



في بلاط الخلفاء

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ علي الجندي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وتربص سعد أسبوعاً بين يأس يطويه ورجاء ينشره ، حتى إذا أذن معاوية للناس يوماً دخل في سرعانهم(١) وغمارهم . فلما أخذوا مجالسهم ، نهض بين السماطين وأنشد بصوت كحشرجة المحتضر :

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل
وذا البرّ والإحسان والجود والبذل
أتيتك لمّا ضاق في الأرض مذهبي
وأنكرت - مما قد أصبت به - عقلي
ففرّج - كلاك الله - عني، فإنني لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
وخذلي - هداك الله - حق من الذي
رماني بسهم كان أهونه قتلي
وكنتُ أرجّى عدله إن أتيته
فأكثر ترداي مع الحبس والكبْل
سباني سعدي وانبرى لخصومتي وجار ولم يعدل ، وغاصبني أهلي
فطلّقتُها من جهد ما قد أصابني
فهل ذا - أمير المؤمنين - من العدل

وكان معاوية متكئاً فاعتدل في مجلسه — وقد اكفهرت على وجهه سحابة من الحزن — وقال : نعوذ بالله من طوارق السّوء ! لقد أسمعت يا أعرابي ، إذن بارك الله عليك ! ما خطبك ؟ وما طرحك إلى هذه البلاد ؟ فدلف إليه شاب في شملة الأعراب ، ساكن الطائر ، رابط الجأش ؛ قد لوّحه السفر وتضمّر وجهه من الهزال ! فقال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! إنني رجل من بني عذرة . تزوجت ابنة عم لي على حبّ ومقة ، وكانت لي إبل وغنيمات فأنفقت ذلك عليها ؛ ولبثنا معاً في حياة راقهة وعيش أبله غرير . فلما كلب عليّ الزمان ، ومستني البأساء والضرّاء رغب أبوها عني ، وكانت جارية فيها حياء وكرم . فانقادت له مكرهة خشية أن توصم بالعقوق ! . . . فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستجيراً به مؤملاً نصرته ، فأحضر أباها وشكم فاه بالإتاوة(١) ؛ إذ دفع له عشرة آلاف درهم ! وقال : هذه لك ، وزوّجني بها ، وأنا زعيم بتخليتها من الأعرابي ! فمال أبوها إلى المال ، وأصبح الأمير لي خصماً وعليّ منكراً . فانتهرني وطرحني في السجن ، وأمرني بطلاقها فأبيت . فبسط عليّ العذاب وافتن في إيلامي ! فلما اشتد عليّ الضيق ، وأيقنت بالهلكة لم أجد بدًّا من طلاقها ، فطلقتها ، والعين عبرى والقلب موجع ! ... فما انقضت عدتها حتى تزوّج بها مروان ، وأمر السجان بإطلاق سراحي . وقد أتيتك - يا أمير المؤمنين — صارخاً فزعاً ، متفطياً من الدهر بظل جناحك ! وأنت غياث المكروب وسند المسلوب ! فهل من فرج ؟ ! ... ثم أجهش الأعرابي بالبكاء وأنشد :

في القلب مني نار والنار فيها استعار
والجسمُ مني نحيلٌ واللون فيه اصفرار
والعين تبكي بشجو فدمعها مدرار
والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
فليس ليلي بليل ولا نهاري نهار

وكان لمرأى هذا الزوج الواله وشدة ضراعته وعظم تفجعه ورقة شكاته ، أثر أي أثر في نفس معاوية ! ... فأطرق برهة ؛ ثم رفع رأسه وقد ازمهرّ وجهه الأبيض كأنما نُضح بالأرجوان فقال : ويلي على ابن الطريد(٢) ! كيف عزبت عنه حلوم أمية ؟ لقد تماده في طغيانه ، وتمادى في أضاليل هواه ، وطرفت عينه الدنيا . فما إن زال في طفش(٣) ورفش ، فلعمري لئن بقيت له لأقيمنّ من صعر خدّيه ! ...

ثم التفت إلى سعد فقال : طب نفساً وقرّ عيناً — يا أخا عذرة — فقد سألتنا النّصف ، وستبلغ ما رجوته إن شاء الله ؛ ودعا من فوره بدواة وقرطاس ، وكتب إلى مروان كتاباً

(١) أوائلهم

(١) الرشوة (٢) كان الرسول (صلوات الله عليه) نفى الحكم والد مروان ورده عثمان في خلافته - (٣) نساء وأكل

صدره بكلام أخشن من مسّ الحجر ، وأزّره بشعر أرق له فيه وأرعد :

ركبتَ أمراً (١) عظيماً لستُ أعرفه

أستغفر الله من جور امرئٍ زانى !

قد كنت تشبه صوفياً، له كتب ... من الفرائض أو آيات قرآن
حتى أتانا الفتى العذرى منتحباً ... يشكو إلىّ بحقٍّ غير بهتان
أُعطى الإله عهوداً لا أخيس بها ... أولاً ، فبُرّئتُ من دين وإيمان
إن أنت راجعتنى فيما كتبتُ به ... لأجعلنّك لحماً بين عقبان
طلّق سعادَ وجهّزها مُعجلة ... مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بُلّغت من عجب ... ولا فعالك حقاً فعلُ إنسان

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الكميت ونصر ابن ذبيان ، وأمرهما أن يذهبا إليه !

فجدّ الرسولان فى السير حتى بلغا مروان ، وسلّما إليه كتاب أمير المؤمنين . فلما قرأه عرته رعدة واصفرّ كأنه جرادة ذَكَر ! ثم أرسل زفرة عميقة كاد يتفسّأ لها حجاب قلبه . وقال : وددت أن — أمير المؤمنين — خلّى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف !

ولبث مدة يؤامر نفسه فى طلاقها فلا يستطيع ! فاشتد عليه الرسولان وأزعجاه ، حتى طلقها وأسلمها إليهما بعد أن أحسن جهازها !

ولكنه أراد أن يثأر لنفسه من سعد ، فلجأ إلى حيلة من حيله الشيطانية التى كانت سبباً فى قتل الخليفة الثالث ، وشق عصا المسلمين ! ... فأرسل إلى معاوية كتاباً يصف فيه مفاتن سعاد وصفاً يثير صبوة الجماد ! راجياً أن يقع الخليفة فى شرك الحسن فيستبدّ بالفتاة ويرجع الزوج بخفى حنين ! ثم تأسى بمعاوية فى قرض الشعر فختم الكتاب بأبيات من الوزن والقافية :

لا تحنثنّ ـ أمير المؤمنين ـ فقد ... أوفى بعهدك فى رفق وإحسان
وما ركبتُ حراماً حين أعجبنى ... فكيف سُمّيت باسم الخائن الزانى
أعذر ! فإنك لو أبصرتها لجرت ... منك الأمانى على تمثال إنسان
وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها ... عند البرية من إنس ومن جان

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت

أقول ذلك فى سرّ وإعلان

فلما ورد كتابه على معاوية وقرأه قال : لقد أحسن فى الطاعة ولكنه أطنب فى وصف الجارية . فإن صح أنها جمعت بين جمال الصورة وطيب النغمة فهى أكمل البرية طرًّا !

وعقد معاوية مجلساً من خاصته ، ودعا إليه سعداً . ثم تقدّم بإحضار سعاد ، فطمح الحضور بأبصارهم إلى الباب ليروا محيا البدر المنير على قامة الغصن النضير !

وبعد قليل أقبلت الفتاة تتأطّر فى مشيتها ، ساحبةً أذيال الإضريج (١) وقد حفّ وجهها إطار من شعرها الفاحم ، فبدا كأنه قمر يُطلّ من فتوق سحابة دكناء ، أو لألاء فجرٍ فى بقية من غبَش الظلام ! !

وسلّمت على الخليفة من بعيد ، فردّ عليها السلام ثم استدناها منه واستنطقها فإذا بيان عذب جلىّ فى صوت كأنه غنّة الظبى أو خفق الوتر !

فسبّح معاوية البارئَ العظيم ! وأراد أن يعجم منزلتها عند سعد فقال : يا أعرابى ، هذه سعاد ، ولكن . . . هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة ؟ فأجاب الأعرابى : نعم ! وكأن معاوية شك فيما سمع فقال متثبتاً : نعم يا أعرابى ؟ فقال : نعم . نعم ، إذا فرقت بين جسدى وروحى ! فقال معاوية : أعوّضك منها يا أعرابى ثلاث جوار أبكار حسان ـ مع كل جارية ألف دينار ـ وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك فى كل سنة ويعينك على صحبتهن !

فشهق الأعرابى شهقة ظن معاوية أنه لفظ روحه فيها ! ... فارتاع وقال له : ما بك يا أعرابى ؟ قال : شر بال وأسوأ حال ! استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فممن من أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

لا تجعلنّى ـ والأمثالُ تضربُ بى ـ

كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حيرانَ مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفّه قلَق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أى إسعار
كيف السلوّ وقد هام الفؤاد بها ؟ ... وأصبح القلب عنها غير صبّار

(١) قد يكون هذا الشعر لمعاوية ، وقد يكون وضع على لسانه ؛ وعلى كل فمؤرخو الأدب يرون أنه فى قدرة كل عربى صريح أن يقول الشعر . وهم بعد ذلك مجمعون على أن معاوية من الخلفاء الذين رويت لهم أشعار

(١) الخز الأحمر

وكأن معاوية استخشن هذا الكلام فنضب ، أو قل : إنه تظاهر بالنضب ، فما كان للنضب عليه من سبيل ! فقال : يا أعرابي الحق بيّن . أنت مقرّ بطلاقها ، ومروان مقرّ بطلاقها . ونحن نخيرها ، فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد ، وإن اختارت سواك زوجناها به ...

ماذا تقولين يا سعدى ؟ أيهم أحب إليك : أمير المؤمنين في عزه وشرفه ونعمته وترفه ، أم مروان في عسفه وجوره ، أم هذا الأعرابي في خشونة عيشه وسوء حاله ؟

ألقى معاوية هذا السؤال وهو أعرف الناس بجوابه ! فإنه لايزال يذكر قول زوجه ميسون بنت بحدل الكلبية حينما نقلت إليه من البادية :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحبّ إليّ من قصر منيف
وخرقٌ من بني عمي نحيف
أحبّ إليّ من علجٍ عنيف

فقال : ما رضيتْ حتى جعلتني علجاً ؟ !

وما أشبه الليلة بالبارحة ! فلم تكد الفتاة تسمع قوله حتى ماست كالفنن المروح ، وتخازرت[1] إلى الخليفة حتى التقت أهدابها ثم أنشدت بصوت يشبه المناغاة :

هذا ـ وإن كان في فقر وإضرار ـ
أعزّ عنديَ من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله
وكل ذي درهم عندي ودينار

وكأنها أدركت أنها في حضرة ملك العرب وخليفة المسلمين . فافترّت عن مثل وميض البرق ! وقالت وهي تغطّي وجهها بأطرافها المخضبة استحياء : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلته لحادثات الزمان وغدَرات الأيام ! وإن لي معه صحبة لا تُنسى ومحبة لا تَبلى ! وإني لأحق مَن صبر معه على الضراء ، كما نعمتُ معه في السراء !

(١) ضيقت جفنيها

فقضى العجب كل من كان حاضراً ! وضحك معاوية حتى انقلبت شفته[1] العلياوشكر لها وفاءها وإخلاصها لأبي[2] عذرتها !

ثم أمر بها فأُدخلت مقاصير الحرم ، حتى انقضت عدتها من مروان . ثم أعادها إلى ابن عمها بعقد جديد ، ووصلها بألف دينار

وأخذ سعد بيد سعاد ، ومضى يؤج في سيره أجَّة[3] الظليم وهو يترنم بقوله :

خلّوا عن الطريق للأعرابي ألم ترقّوا ويحكم لما بي ؟

علي الجندي

(١) هكذا كان معاوية (٢) زوجها الأول (٣) لسيره حفيف



الله فى علاه ! ...

للأستاذ سيد عبده

خرج الملاح والليل عاصف . . .
يتلمس رزقه بين جرجرة البحر القاصف . . .
ومياه السماء تنزل مدرارا . . .
والرغبة فى الحياة تدفعه للعمل ليلاً ونهارا . . .
وبسمة الأمل تثير فى قلبه نارا . . .
فإذا بقاربه يرتطم بالصخر . . .
وإذا ببسمة الأمل تصبح صيحة الضر . . .
والرغبة فى الحياة صرخة القبر . . .
ومع ذلك فقد نجا . . .
من أنقذه . . . ؟؟
من نجاه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . ! !

* * *

خرج الشاب فى رحلة إلى الصحراء . . .
يتلمس نزهة بين الرمال الصفراء . . .
يحمل القوت والأمل والرجاء . . .
ونسيم الربيع يهب عليلاً . . .
والشمس قد مالت فبدا الوقت أصيلا . . .
ونشوة النصر قد بدأت تدب فى قلبه قليلاً قليلا . . .
فإذا به يضل الطريق . . .
وإذا بقلبه العامر قد ملأه اليأس والضيق . . .
لأنه فقد الأمل فى الحياة . . .
وقارب من أجله منتهاه . . .
ومع ذلك فقد نجا . . .
من أنقذه . . . ؟؟
من هداه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . ؟؟

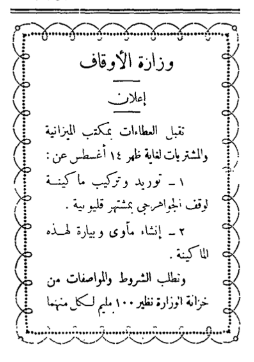
* * *

كان حاكماً غشوماً جبارا . . .
يذل قومه ويصليهم من عذابه نارا . . .
ويستعبد شعبه فلم يجدوا منقذاً منه إلا فرارا . . .
عهده قطعة من جحيم . . .
والحياة فى ظله بؤس وبلاء عظيم . . .
مضت الأيام فإذا عهده قد زال . . .
وإذا بالحال يصير غير الحال . . .
وأصبح الحاكم عبرة لسواه . . .
من أهلكه . . . ؟؟
من أفناه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . !

* * *

إنه عامل فقير انتبذ فى المجتمع مكاناً قصيا . . .
يحتقره القوم لأنه لم يك سريا . . .
ويجهله الخلق لأنه غداً نسيا منسيا . . .
يبذل الجهد ويتعب النفس كى يعيش ويحيا . . .
مضت الأيام فإذا به قد أثرى . . .
وتبدل ذله عزا . . .
وبؤسه سعدا . . .
وخموله ذكرى . . .
من أسعده . . . ؟؟
من أغناه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . !

سيد عبده
المدرس بالأورمان



كتـــاب الأغانى

لأبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

ولست بهفوف يرى رأى عرسه إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الأمر حائراً يخاطبهـا فى شأنه وتخاطبه

الشعر للأمير على بن المقرب من شعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ببلاد الأحساء فى شبه جزيرة العرب. وفى هذا الشعر لحن من صنعة قاسم بك أمين على نغمة « فقئت عيناه فأبصر »

حدثنا الأستاذ عزيز أحمد فهمى قال: ولولا دفع الله الفنون بعضها ببعض لفسد الحسن. فاللحن الموسيقى والشعر يزدوجان ليكمل أحدهما نقص الآخر. ولقد كنت أقول مرة: إن كل فن يجب أن يترجم إلى فن آخر، وهذا كلام حسن؛ ولكنى زدته حسناً لما فهمت أن التزاوج بين فنين يستدعى تشابهاً بينهما ولكنه كذلك يستدعى أن يكون أحدهما سالباً والآخر موجباً. فهذا شعر رامى تنشده أم كلثوم ليس لأن فيها كفنه ولكن لأن فنها يسد النقص فى فنه. وهذا المخرج لرواية تمثيلية يتم نقصها ويسد ثغراتها، وبين الفنين تشابه ولكن أحدهما لا يترجم الآخر بل يشرح الآخر على طريقته هو التى قد لا يدركها هذا الآخر

قال: وهذا الشعر لعلى بن المقرب قد لحنه قاسم أمين فخلق منه ما خلقت أم كلثوم من شعر رامى

قال أبو الفرج: وقد سألت الأستاذ عزيز ما الذى يعنيه بهذا الفقه الفنى فلم يزد على أن قال: لقد فقئت عيناه فأبصر

حدثنا الأستاذ خيرى سعيد قال: حدثنا العلامتان هيجل وشليجل قراءة عليهما. وحدثنا الناقدان هردر وفيخت، ولم يقل بماذا حدثوه، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشيء، أو لعله آثر ألا يروى عن هؤلاء العلماء الألمان حتى يرى الدالم ماذا ستصنعه ألمانيا فى مشكلة دانزج

وحدثتنا السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى قالت: إن هذا الشاعر الذى أصبح يتغنى بترفعه عن أن يحدث زوجته فى شئونه أو أن تحدثه زوجته فى شئونه، يعد حديث الرجل وزوجته فى الشئون المشتركة بينهما ضرباً من «الهفوفية»؛ إن هذا الشاعر وأمثاله هم الذين مكنوا لقاسم أمين من السعى فى تحرير المرأة الشرقية. ولو أن الشعراء فى القرن التاسع عشر قد قبلوا أن يكونوا بهافيف فركبوا المركب الذى تختاره لهم أزواجهم لما استطاع قاسم وأعوان قاسم أن يلحنوا هـذا الشعر تلحيناً يبدو للجاهل أنه أخرجه عن معناه، ويبدو للمتأمل أنه سد ثغره وأكمل نقصه وأنه لم يناقضه، ولا حاد به عن طبيعته، فطبيعة هذا التغنى بالترفع عن الزوجة هى بعينها مقدمة التحرر. ولقد أطرب اللحن وأشجى وكان من أثره ظهور نهضتنا الأدبية النسوية ونشر هذه الهفوفيه وأنشدت:

صوت

من أنت ماذا تكون يا رجل أظهر ما فى طباعك الهل
فى كل حين تقول يا امرأتى يا امرأتى ... ما تريد يا رجل؟

الشعر لزوجة أديب كبير من شعراء العصر الحاضر اعتاد أن ينشر كل أسبوع مقالة يقول فيها: «وقلت لزوجتى أنت يا امرأة» فقالت هذه السيدة المحترمة:

. . . . يا امرأتى . . . يا امرأتى ... ما تريد يا رجل!

ثم أتمت القصيدة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: حدثنا أحمد أمين قال: إن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى فى هذا الباب أيضاً باب العلاقة الجنسية، فلولا تقديس أدباء العربية للجاهليين لنزع كل أديب نزعة شخصية صادقة كانت تقيهم على الأقل من سخرية المتنبى منهم فى قوله:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل أديب قال شعراً متيم

ولكن الأمر لم يقتصر على استخفاف المتنبى بالأثر الذى تركه الجاهليون بتقديس العرب إياهم فى شعر العرب بعد أن وجب زوال الأثر الجاهلى

قال عروة:

فإن يأخذوا أسماء موقف ساعة فأخذ ليلى وهى عذراء أعجب

وكان هذا القول طبيعياً ممن يئدون البنات خشية الإملاق، ولكن تحدث طبيب ليلى المريضة بالعراق عن ظفره بليلى وفضيحته إياها هذه الفضيحة الشنعاء ليست إلا أثراً من أثر الشعر الجاهلى فيه

قال أحمد أمين : وهل تجد فى الشرق رجلاً ممن لم يقرأوا الشعر الجاهلى يستسيغ أن يفضح من يزعم أنه يحبها هذه الفضيحة؟ ألا رحم الله الأبيوردى حيث يقول :

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

فهذا هو الشعور الطبيعى عند رجل متمدين . أما الذى يقول فيما يقول : إن زوجتى أطال الله عمرها لن تموت بداء غير داء الغيرة ، فلا أستطيع تأدباً أن أصفه بغير التمدين ولكننى أصفه بالتأثر الشديد بالشعر الجاهلى . وهل من حق إنسان أن يتحدث عن الأدب وهو لا يقدر أثر الإيحاء الدائم المستمر فى النفس ؟

لقد نمنع أبناءنا عن الاتصال بالطبقات التى لا نرضى عن أخلاقها خشية كلمة تقال فتترك فى النفس أثرها فكيف بشعر نعجب به ونمجده ونستظهره ثم نعيده ونستعيده سنين، ثم نعلمه بعد أن نتعلمه فإذا نسيناه رسب فى عقلنا الباطن ؛ ألا يترك هذا كله أثراً فى النفس ؟ وإذا لم يكن التكرار القرون بالإعجاب ليترك أثراً فى النفس فلماذا نؤمن بالأدب ولماذا نكتب ؟ دعنا مما يقوله علماء النفس فى الإيحاء ولنتنزل إلى مرتبة العامة . ألم نسمع قول العامة : « الدوىّ فى الآذان أشد تأثيراً من السحر »

هؤلاء الجاهليون الذين يئدون البنات تركوا فى القرن التاسع عشر من يقول :

ولست بهفوف يرى رأى عرسه إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الخطب حائراً يخاطبها فى شأنه وتخاطبه

وحدثنا الأستاذ فرويد قال : . . . ولكننى لا أذكر ما قال فقد كان يتحدث عن العقد وهذه عقدة العقد

وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا قال : أما أن لغة الجاهلية لغة سليمة فما لا ريب فيه، لأنها إما أن تكون هى العربية الأصلية إن كان هناك شعر جاهلى ، وإما أن تكون لغة أعلم الناس باللغة الجاهلية إن كان علماء الأدباء فى العصر الأموىّ قد وضعوا ذلك الشعر نماذج كما ينبغى أن تكون عليه اللغة . ولكن كون الفكر الجاهلى يعرب عن الرأى الراجح فهو المحال بعينه . وكيف نستطيع التوفيق بين الإيمان بحياة محمد وبين الإيمان برأى إنما بعث محمد لكى يهدمه ؟ ولقد تلقينا الشعر الجاهلى لغة لها أسلوب يجب أن نرضاه؛ وفيها معان قصارى الرأى فيها أنها وليدة أفكار ومبادئ، وليس بالقبول ولا المعقول أن تكون هذه المعانى خالية من الفساد وإلا فلماذا نشأ الدين ؟ وما جدوى الحياة الإنسانية إن كانت هذه الآراء وتلك المبادئ لا تزال صالحة بعد خمسة عشر قرناً من الزمان ؟ إنه ينبغى على من يعلم النشء لغة الجاهلية أن يحذرهم من قبول الفكرة الجاهلية فإن التكرار مع الاستحسان يورث المادة، وليس كذلك التكرار مع الاستهجان . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية يعلم تلاميذه قول الشاعر الجاهلى

نسوق النساء عوذها وعشارها

ثم لا يقول لهم إن لغة هذا الشاعر سليمة ولكنه من حيث الأخلاق لا يمتاز شيئاً عن البهائم . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية معجزة فى فنه فإنه كان فى آرائه وشعوره نحو النساء كأى حمار فى الطريق؛ وإن غزله لا يختلف شيئاً عن النهيق وإن لنا منه اللغة . أما الشعور الإنسانى الصحيح ففى قول الشاعر

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

وقد قال الدكتور طه حسين إن إنكارنا للأدب الجاهلى لا يتنافى مع صحة الرأى الذى تحدث به هيكل باشا ، فإن الذين لفقوا الشعر الجاهلى إنما لاحظوا طبائع الجاهلية وسجاياها

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال: إن أبا الفرج الاسكندرانى رجل منافق فى علاقته النسوية ومثله فى ذلك كمثل الأبيوردى سواء بسواء . وأنا لا أقول كما يقول الأبيوردى

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

ولكننى أقول إن صبايا سنتريس سيقتل بعضهن بعضاً غيرة علىّ وأقول كما يقول أبو نواس الذى لم يكن بالجاهلى :

ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

وأقول كما يقول كشاجم وليس بالجاهلى :

خوفونى من فضيحته ليته يدنو وفتضح

صوت

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
الشعر لأبى نواس واللحن للدكتور زكى مبارك

(يتبع) عبد اللطيف النشار



الجبرية والاختيار :

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

— ١ —

... وقول الحق أمثل من السكون ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخائفة فى الصلاح .

من المسائل التى واجهت الباحثين والفلاسفة منذ زمن بعيد مسألة الجبر والاختيار ؛ تكلم فيها اليونان والفرس ، ونقلها عن اليونان السريان ، وخاض فيها النصارى حينما تفلسفت ديانتهم ، وتكلم فيها الكلاميون من المسلمين . وكانت تتلون فى مراحلها وتختلف باختلاف هذه المدارس . فإذا تكلم فيها الفلاسفة قصدوا إلى غرض فلسفى بحت: وهو تفسير الكون ومظاهره تفسيراً ما؛ وإذا تكلم فيها الأخلاقيون قصدوا إلى غرض اجتماعى : هو النظر فى المجتمع ونقده ، وإصلاحه أو محاولة ذلك ؛ وإذا تكلم فيها أهل الدين فإنما يلتمسون من بحثها تخريجات تبرر مسئولية الفرد عن أعماله ، وتقيم فكرة البعث والحساب والعقاب على أسس تختلف قوة وضعفاً .

والفلاسفة يعنيهم أن يتفهموا الكون وحركاته ، كل ما يجرى فيه أهو ضرورى ناتج عن إرادة مسيطرة متصرفة ، أم هو نتيجة اتفاق بحت لا يربطه قانون أو تقيده قواعد . وهم بعد ذلك ينتقلون إلى الإنسان مظهر هذه الشكلة ، أهو مخير فيا يفعل ، بمعنى أن لا شىء يمنعه من إتيان عمل ما ، أو يدفعه إلى فعله ، بمعنى أن أمره موكول إلى إرادته الخاضعة للمؤثرات الخارجية من ظروف وصدف . أم هو مجبر فيا يفعل بمعنى أن قوة تدفعه إلى أن يفعل ما يأتيه مجبراً ، فهو كالعالم منضبط بتلك القوة التى تسيطر عليه ، خاضع لنفس القوانين التى يخضع لها هذا الكون . والأخلاقيون يعنيهم البحث فى الأفعال الإنسانية من حيث هى صادرة عن التكوين الخلقى للإنسان فقط ولا أثر لعامل خارجى عليها ، أو أن النظم الاجتماعية والظروف الطبيعية التى يعيش الفرد تحت تأثيرها تعينان نوع الأفعال الصادرة عن الإنسان؛ وبأى معنى من المعانى يعتبر المرء حراً على هذا الأساس . وعلى أية فسواء اتفق الأخلاقيون فى وجهات نظرهم إلى تلك المسألة أم اختلفوا فهم متفقون فى الغرض ، وهو إصلاح المجتمع وتهذيبه

أما رجال الدين والكلاميون من المسلمين فقد خاضوا فيها وكان همهم الأول البرهنة على أن الإنسان إما خالق لأفعاله فهو مسئول عنها أمام الله فى القيامة ، ويحق عليه الجزاء ثواباً وعقاباً ؛ أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب؛ وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده

والكلام فى القدر لم ينشأ إلا فى الشام والبحرين على خلاف فى أسبق القطرين إلى الخوض فيه . ثم إنه نشأ دخيلاً على الإسلام : أعنى أن أول من تكلم فيه كان نصرانياً وأسلم ثم تنصر ، وأخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى . كان هذا بدء الكلام فى القدر. وقد أتاحت الخلافات السياسية حول الخلافة لهذه الأبحاث أن تروج وتتضخم ، وأن تنقسم وتتكاثر . فإن الخلافة كانت مصدر القلاقل والفتن فى أيام الخلفاء الراشدين ، وإن الفتن أنتجت شيعة وخوارج ومرجئة ومعتزلة وأزارقة وأشاعرة إلى غير هذه الفرق التى تختلف فيما بينها بالرأى فى الخلافة والخليفة غالباً . والذى يعنينا هنا فرقتان من هذه الفرق العديدة: المعتزلة، والجهمية. فقد كانت آراؤها أروج الآراء انتشاراً فى هذا الباب

أما الجهمية فقد كانت تقول بالجبرية المطلقة أى أن الإنسان كالجماد وأن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها فى الجماد ، ويجبر عليه الحساب ثواباً وعقاباً

أما المعتزلة فقد تكونت على أثر خلاف فى مرتكب الكبيرة أهو كافر خالد فى النار . وقد قالوا بأن الله لا يخلق أفعال الناس بل هم يخلقونها ، وبأن الله لا صفات له غير ذاته . فشاركوا الجهمية فى هذا الأصل ، وقد أقروا بسلطة العقل وقدرته على الحكم بالحسن والقبح العقليين

ولو كان الأمر فى هذه الفرق قاصراً على حد الكلام

والاستعانة بالفلسفة اليونانية وغيرها لما كان لها هذه الأهمية التى شغلتها . ذلك بأنها كانت تريد بسط تعاليمها على الواقع العملى . فالمعتزلة حين قرروا مبدأ حرية الإنسان كانوا يريدون من ذلك أن الناس مسئولون عما يقومون به من حروب ومنازعات ؛ وحين قرروا مبدأ السلطان العقلى كانوا يريدون القياس فى الحكم. وذلك أمر لم يقره أهل السنة وكان سبب خلاف كبير . وقد تمكنوا أن يسيطروا على الواقع السياسى مدة من العصر الأموى الأخير؛ فقد اعتنق مبادئهم يزيد الناقص ومروان بن محمد وأخوه إبراهيم

والمهم أنه ما كاد يأتى القرن الثالث والرابع ، حتى كان علم الكلام قد نضج نضجاً، وحتى ترجم إلى العربية فلسفات كثيرة، وحتى اختلط ذلك كله بالدين والعقائد . وقد عملت أحداث السياسة وفتن الرأى على إضعاف الدولة واضمحلال الملك . وكان الشام هو مرجل فتن الرأى والدين والفلسفة والسياسة جميعاً . كان هو والعراق فقط ، أما ما عدا ذلك من أنحاء الدولة الإسلامية فقد كان مستقراً نوع استقرار

فى هذا الوسط المضطرب المحتدم نشأ أبو العلاء ، وتنقل بين أرجائه ما بين المعرة وحلب وبغداد ، فشارف ما كان بعصره من الفلسفات اليونانية والإسلامية والمسيحية واليهودية والمجوسية وكانت من عناصر ثقافته ، هذا إلى نظراته الخاصة ولمحاته الشعرية المديدة

ولم يحاول أبو العلاء فى « الفصول والغايات » أن يسلك هذا المسلك الذى نراه من تقيد فنى باللفظ ولزوم ما لا يلزم ونظام الفصول والغايات والنغم والموسيقى ، إلى غير ذلك من الفنون النثرية ليدل على مقدرته الفنية ، أو يبرهن على سعة اطلاعه ومعرفته بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم ، وذكاء فؤاده اللماح ، بل أنا أوشك أن أقول بأنه قد سلك ذلك حتى يصرف الناس إلى ظواهر الأشياء ، حتى لا يصيبه أذى من السفهاء ، وحتى يأخذ كلٌّ من معانيه ما يلائمه وما يستطيعه عقله ويقبله ذهنه . فهذا أمر يوجب الحذر حين نتلقى عن المعرى آراءه . وأمر ثان هو أن المعرى كان منعزلاً لا هم له إلا تقرّى نفسه وملاحظتها ملاحظة دقيقة . وقد يحتاج أحياناً إلى الترويح والتسلية ، وكان يعمد إلى هذا النوع من اللهو بالمعانى والألفاظ ، وذلك واضح جداً فى فنه اللفظى على الأقل . فعند ما نسمع قول المعرى يجب أن نحتاط قليلاً ، فربما حمله العبث باللفظ على شىء من الاعتساف فى المعنى ، أو اندفع إلى معنى غريب غير مقصود فى سبيل أن يستقيم له فنه اللفظى الذى أخذ نفسه به أخذاً عنيفاً ، وكثيراً ما شط به المعنى عن اللفظ . يجب أن نحتاط إذن حينما نسجل على المعرى آراءه ، فنحن لا نعرف متى كان المعرى هازلاً ، ومتى كان جادًّا فى عبثه بالألفاظ والمعانى . وأمر ثالث يجب أن نلتفت إليه : فهو قد يرى آراء يحرص عليها فيدونها على أنها من فلسفته ، ويمكن أن تكون آراء لغيره دونها للتصوير والافتنان ، ويمكن أن تكون بين بين : أعنى أنها خواطر عرضت له كما تخطر الخواطر لأى شاعر سواء تعارضت مع مبادئه العامة أو اتفقت . فلا عجب إذا رأيته يحدثك بأن الإنسان مجبور فى كل أعماله وتصرفاته ، ثم يأتى فيذكر لك أن للمخلوق فى الأقدار تصريفاً ! فهذا لا مرد له إلا ما قلت من أمر عبثه بتلك الخواطر السوانح له فى خلوته ، وحرصه على تدوينها متفنناً مبتدعاً مستعيناً على ذلك بما علم من شعر الأقدمين وأخبارهم وعلومهم

وأبو العلاء يقول بالجبر المطلق فى أفعال الإنسان وأعماله ، ورتب على ذلك نتائج اجتماعية خطيرة ، وآراء فلسفية خطيرة كذلك .

ونحن إذا أردنا أن نلتمس نظرية الجبر عنده فلن نجدها مجموعة فى مكان واحد ، ولا هو يعالجها بأسلوب واحد ، وإنما أنت تقرأ الكتاب جميعاً فتجده ينطق جبريةً ، إذ لا يكاد فصل من الفصول يخلو من الجبر تلميحاً أو تصريحاً أو رمزاً . فهو ساخر مرة ، ثائر أخرى ، هادىء أحياناً ، ممجد فنوع فى أكثر الكتاب . على أن تقريره الجبر المطلق أوقعه فى حيرة وارتياب كبيرين ، فمن الناحية الدينية لا تستطيع أن تستبين رأيه فى التكليف ولا فى البعث فهو مضطرب فيهما أشد اضطراب ، ذلك لأن الجبرية إما أن الله يقدر عليك العمل ويقدر عليك الجزاء كما تقول الجهمية ، وهو عبث يأباه المعرى على الله ؛ وإما أن تقدر عليك العمل ولا جزاء ، وهو ما يلائم المعقول حالة تقدير العمل ، ولكنه يخالف الدين صراحة . والمعرى فى كل أحواله آخذ بما يرى العقل . والعقل هو الذى هداه إلى أن الجبر مسلم به ، لأن كل شىء فى هذه الحياة إنما هو نتيجة لشىء كان قبله ومقدمة لما يأتى بعده ، وإلا إذا كان

الأمر اختياراً فإما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده ، اتصال العلة بمعلولها فيكون الجبر بعينه ، أو أن يكون الأمر فوضى واضطراباً وهو ما لا يثبته الواقع الخارجي

ولست بسبيل أن أدافع عن نظرية الجبر ، أو أتكلم عنها مطلقة ، ولكني أثبت صفات الفلسفة العلائية صحت أو لم تصح . وأقرر أنه اعتمد على العقل في كل أحواله ، وعلى العقل فقط ؛ فما قام عليه دليل العقل احترمه واعتنقه ، وما لم يقم عليه دليل أو خرج عن حيز العقل وقف منه المعري موقفاً يختلف رفضاً وشكا، لا يصلان إلى درجة الإنكار المحض، ولا الإيمان المسلَّم ، وخاصة إذا كان الأمر يمس الدين والقدرة الإلهية من قريب أو بعيد .

ولكن ذلك قد يدفع المرء إلى أن يتساءل هل أخذ أبو العلاء بهذا الأصل في كل فلسفته ؟ قد يكون أخذ به في اللزوميات من بعد، ولكنه في «الفصول والغايات» يصرح بأنه «يدرك العلم بثلاثة أشياء : بالقياس الثابت ، والعيان المدرك ، والخبر المتواتر . فأما الحس فزجر طير مي خليقة بالكذب ، وإن صدقت فباتفاق ؛ والعلم لله كلاً »(1) وقد توفر للمعري اثنان من مدركات العلم ، ولكنه أهمل المتواتر حرصاً منه على الحقيقة ، واحترازاً مما قد يكون أصابها من خطأ أو تحريف . فإذا خُبِّر خبر الجرادتين اللتين غنتا لوفد عاد تساءل: « ما قالت الجرادتان لوفد عاد؟ قالتا ما الله به عليم، طال الزمن فلم يعلم القيل . . . » فعلمها عند الله وحده ؛ وسواء سلم بصحة الحادث ، ورفض المروى ، أو رفض الخبر أصلاً فهو لا يعتمده في شيء مصدراً من مصادر العلم أو اكتسابه ، فلم يبق له إلا القياس الثابت : حكم العقل ، فهو يهتدى به ويتخذه نبراسه في كل أموره وشئون فكره ، وهو مع ذلك كثير الشك كثير التساؤل كثير الحيرة ، يحس ذلك من نفسه فيعترف به اعترافاً صريحاً إذ يقول « أدلج وأدلج ، وإذا سئلت فأنا ملجلج ، والله للمنصف ظهير »(2) .. لا يجزم بشيء ولكنه مؤدب أشد الأدب ، يتساءل في عجب بدل أن يعترض أو يثور . وهو منطقي النهج في التفكير يقدم المقدمات ، ويستنتج النتائج ويقيس عليها قياساً منضبطاً . فانظر إلى هذا القياس المنطقي الدقيق « المدمن على اللهو ، خدن الغفلة والسهو ، المنتقل من بهو إلى بهو ، ملء من الكبر

(1) ص ٤٦٨ (2) ص ١١٩

والزهو ، يسبح في عيش رهو ، يسأل عن الطعام والطهو ، أخسر صفقة من شيخ مهو » هذا قياس منطق سليم ؛ فهو يؤكد أن الشاب المرح خاسر ، وهو لا يعني الشيخ من الخسر كذلك ، ولكنه لا يدرى أتؤيد الحقيقة هذا القياس فيقول « فدلني ربي على الرباح »(1)

وحين تتعارض وسيلته هذه مع الحقيقة أو الواقع يتحير فيقول : « هكذا يقول المعقول ولله نظر في العالم دقيق » . وهو يوصيك بأنك « إن سمعت أن الرقيع أمطر جندلاً ، وأنبتت البقيع حنظلاً . فقل : أما في المعقول فلا ، وأما في القدرة فبلى » فهو هنا يثبت بأن لله حكمة وقدرة أعظم من أن يتصورها العقل أو يدركها ، ويسجل أن الله قدير لا تتقيد قدرته بمعقول أو غير معقول ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يعمل عقله فينتهي به هذا إلى استحالة ذهنية . فهو يقر بهذا العجز المطلق عن إدراك أغراض القوة الخفية ؛ وهو إذا ما فكر وأطال التفكير في الجبر والاختيار والثواب والعقاب فدان بالجبر وأنكر الثواب والعقاب كما يرشده إلى ذلك عقله استدرك وكر متراجعاً في حيطة وحذر « فسُبحان الخالقِ غافراً ومُعذِّباً ، أَلرُّشدُ دفينٌ ، أمْ أنا أفينٌ ؟ قدْ عشتُ زمناً فما رِشتُ ، ارْكي يا مَطِيّة فهذا المناخ(2) »

ولعل عجزه عن أن يقيم أقضية العقل على حكمة الله قد دفعه في يسير من وقت أن يقر الخيرة للإنسان . فنجده يمجد الله تعالى « مَنْ خارَ لِعبادِهِ وهُمْ للخيرةِ كارهون » ويسائل الإنسان متعجباً أن « ما يَمْنعكَ أنْ تتَّخذَ القبسيّ وأنتَ في بِلادِ الضَّالِ »(3) ، ويمحض المرء أن « دَعْ ما ضَرَّ وصَعُبَ عَلَى ما نَفَعَ وهانَ ، وخَلِّ ما غَمَرَ إلى ما غَمَّرَ واتركْ المِضلَّة إلى المرشدة ، فإن طُرقَ الخيرِ كثيرٌ » ولكننا سنرى المعري في كل الكتاب يفر ويقرر « أنَّ رَبَّنا المُوفِّقَ لِجميعِ السَّدادِ(4) » وأنك « لَنْ تَقْضِيَ أمْرًا إلاّ بالقَضاءِ(5) »

وحيرته هذه ناشئة من طبيعة وسيلته إلى العلم . ذلك بأنه مؤمن بأن العقل وحده هو الموصل إلى العلم ، وهو واثق من أنه ما دام قد أوصله العقل إلى الطبيعة فلا بد أن يصل به إلى ما بعد الطبيعة . وهو مؤمن كذلك بأن الله خلق هذا الكون عن حكمة

(للبحث صلة) السيد محمد العزاوي

(1) ص ٣٠٣ (2) ص ٤٢٤ (3) ص ٣٨٤
(4) ص ٥٦ (5) ص ٢٧١

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧٨ — مثاقف

يتيمة الثعالبي : سمعت عونا الهمذاني يقول : أُتى الصاحب ابن عباد بغلام مثاقف[1] . فلعب بين يديه . فاستحسن صورته وأعجب بثقافته . فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً . فقال الصاحب :

ومثاقف في غاية الحـــذق فاق حسان الغـرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبـدر إذ يلعب بالـبرق

٤٧٩ — راقص

قال ابن خروف في غلام جميل الصورة راقص :

ومنزَّع الحركات يلعب بالنهى لبس المحاسن عند خلع لباسه[2]
متأوّد كالغصن وسط رياضه متلاعب كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقـدمين منه رأسه كالسيف ضُمَّ ذبابه لرياسه[3]

٤٨٠ — وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير

قال لسان الدين بن الخطيب : حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما أعتقده في إطراء ذلك العدو ، وما عرفته من فضله . فأنكر عليّ بعضُ الحاضرين ممن لا يحطب[4] إلا في حبل السلطان .

(١) ثاقفه مثاقفة لاعبه بالسلاح وهي محاولة إصابة الغرة في المسايفة ونحوها ، وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف بالكسر (الأساس) وروى صاحب التاج :

وكأن لمع بروقهـــا في الجوأسياف المثاقف

(٢) (منزع) : أصل النزع الجذب والقلع . والنزع في القوس جذب وترها .

(٣) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به (النهاية) رئاس السيف مقبضه ، قائمة كأنه أخذ من الرأس رئاس . قال ابن سيدة : وجدناه في المصنف كرياس السيف غير مهموز . فلا أدري : هل هو تخفيف ، أم الكلمة من الياء (اللسان) ؟

(٤) من المجاز : حطب في حبله : نصره وأعانه ، وإنك لتحطب في حبله وتميل إلى هواه (الأساس)

فصرفت وجهي وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء بل غير ذلك أحق ؛ فإن كان السلطان غلب عدوٌّه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للحسرة وآكد للفضيحة . فوافق — رحمه الله — على ذلك واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض .

٤٨١ — تفتضح العشاق وقت الرحيل

قال ابن السكيت : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج . فخرجت إليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر . فقال :

دمعةٌ كاللؤلؤ الرَّطــــب[1] على الخدّ الأسيل
هطلتْ في ساعة البيـــن من الطرف الكحيل

فقالت مجيزة :

حين همَّ القمرُ البـا هرُ عنّـا بالأفول
إنما تفتضحُ العشّـــاقُ في وقت الرحيل

٤٨٢ — تغافل كأنك واسطي

في (معجم البلدان وخزانة البغدادي) : شرع الحجاج في عمارة واسط سنة (٨٤) . ولما فرغ منها سنة (٨٦) كتب إلى عبد الملك : « إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبـل والمصرين وسميتها واسط » ؛ ولذلك سمي أهل واسط : « الـكرشيين » . فكان إذا مرّ أحدهم بالبصرة نادوا : يا كرشي فيتغافل ويرى أنه لا يسمع أو أن الخطاب ليس معه . فقيل : تغافل واسطي ، وتغافل كأنك واسطي[2] . ولفضل الرقاشي :

تركت عيادتي ونسيت برى وقدماً كنت بي برّاً حفيا
فما هذا التغافل يا ابن عيسى أظنك صرت بعدي واسطيا

(١) الرطب : نقل شيخنا عن أبي الريحان في كتاب الجماهر قولهم في اللؤلؤ الرطب كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ، ونعومة البشرة ، وتمام النقاء . لأن الرطوبة فصل مقدم لذات الماء ، وهي تنوب عنه في الذكر ، وليس يعني بالرطوبة ضد اليبوسة . وكذلك قولهم في المندل الرطب : (التاج) !

(٢) في (مجمع الأمثال) : أصل (المثل) أن الحجاج كان يسخر أهل واسط في البناء ؛ فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء في المسجد . فيجيء الشرطي ويقول : (يا واسطي) ! فمن رفع رأسه أخذه وحمله . فلذلك كانوا يتغافلون . (قلت) : رواية المتن أصح .

٤٨٣ — ولكن قذاها زائر لا نحبه

فى الأغانى : بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أهل البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً وبين يديه باطية شراب ، والمرأة تحدثه وهو يشرب ... إذ دخل رجل المجلس . فثقل على الأخطل وكره أن يقول له: قم، استحياء منه ! وأطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع فى الباطية فى شرابه . فقال الرجل : يا أبا مالك ، الذباب فى شرابك ! فقال :

وليس القذى بالعود يسقط فى الخمر
ولا بذباب ، نزعُه أيسرُ الأمر
ولكن قذاها زائر لا نحبه
رمتنا به الغيطان من حيث لا ندرى

فقام الرجل فانصرف :

٤٨٤ — كلب البيت

ابن قتيبة : قال عُمارة بن حمزة : يُخبز فى بيتى كل يوم ألف رغيف ، كلهم يأكله حلالاً غيرى . . . (وكان يأكل رغيفاً واحداً) . ويقولون : فلان رب البيت ، وإنما هو كلب البيت(١)

٤٨٥ — الأراجيف

فى (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبرى : قال أحمد ابن إسحق بن برصوما : لما حصر محمد (الأمين) وضغطه الأمر قال: ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ؟ فقيل : بلى ، رجل من العرب من أهل الكوفة يقال له : وضاح بن حبيب بن بديل التميمى ، وهو بقية من بقايا العرب وذو رأى أصيل . قال : فارسلوا إليه . فقدم عليه . فلما صار إليه قال له : إني قد خُبّرت بمذهبك ورأيك فأشر علينا فى أمرنا . قال له : يا أمير المؤمنين ، قد بطل الرأى اليوم وذهب ، ولكن استعمل الأراجيف؛ فإنها من آلة الحرب. فنصب رجلاً كان ينزل دجيلاً يقال له : بكير بن المعتمر فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثة هزيمة ، قال له : هات ! فقد جاءنا نازلة . فيضع له الأخبار ، فإذا مشى الناس تبينوا بطلانها

(١) كان لإسحق الموصلى غلام يسقى من فى الدار . فقال له يوما : ما حالك ؟ قال : يا مولاى ، ما فى الدار أشقى مني ومنك ! قال : وكيف ؟ قال : أنت تطعمهم ، وأنا أسقيهم ...

ابنة العار

للأستاذ فؤاد بليبل

يا ابْنةَ العارِ، والخنى، والرذيلَهْ · أنا لولاكِ ما عرَفتُ الفضيلَهْ
أنتِ كالليلِ، فيه قد كَمَنَ النُّو · رُ ومنه مدُّ الصباحِ تليلَهْ(١)
ومن السمِّ ما يعلُّ ومنهُ · ما تداوى بهِ الجسومُ العليله

* * *

إنَّ في لحظِكِ الأثيمِ بريقاً · طاهراً أخطأ الورى تأويله
هو صحوُ الضميرِ من غفلةِ الإثـ · ـمِ على مصرعِ الخلالِ النبيله
هو ومضُ الحياءِ في غيهبِ البغـ · ـيِ وفيضٌ من المعاني الجليله
هو ذوبٌ من الشعورِ رقيقٌ · لاحَ كالفجرِ في ظلامِ الرذيله
هو روحٌ ذابتْ أسىً فاستحالت · عبراتٍ بين الجفونِ الكحيله
أثقلتها الآثامُ فهي شرورٌ · وَجلتْها الآلامُ فهي صقيله
كلّما دانت الحقيقةَ ألفَتْ · دونَ إدراكِها سجوفاً سديله
ونزاعاً طيَّ الضلوعِ عنيفاً · بين قلبٍ صحا ونفسٍ ضليله
ومن العارِ ما يبرّده الجهـ · ـلُ وما يجهلُ الورى تعليله

* * *

يا ابنةَ العارِ أنتِ بالعُذْرِ أولى · منكِ بالعَذْلِ جارحاً والنميله(٢)
إنما النذلُ من حداكِ على الرجـ · ـسِ وأغراكِ بالوعودِ الجميله
زيّنَ الوزْرَ والمخازي لعينيـ · ـكِ ولم يدَّخرْ لخدعِكِ حيله
وأراكِ النبيعَ حِلاً شهيّاً · لا لشيءٍ إلا ليروي غليله
فإذا بالنكيرِ غيرُ نكيرٍ · ساغَ حتى لم تنكري تحليله
نخلعتِ العِذارَ ساعةَ لهوٍ · ونَبذْتِ الحياءَ إلا قليله
قضيَ الأمرُ، واستفقتِ على الخز · يِ تحاولتِ بالدموعِ غسيله
وأبى الشرعُ والتقاليدُ إلاّ · أن تظلّي – وإن ندمتِ – ذليله
وتنحّى عنكِ الجميعُ ولم تجـ · ـدِكِ نفعاً تلك الدموعُ الطليله
قتلوا فيكِ كلَّ روحٍ شريفٍ · وأحلّوا روحَ الفسادِ بديله
همْ أرادوكِ أن تكوني بغيّاً · وهمُ أقلموكِ ثوبَ الفضيله
فترديتِ في النقائصِ والبُطـ · ـلِ ولو أصلحوكِ كنتِ كميله

(١) التليل العنق (٢) النميلة لغة في النميمة

هفوةٌ بعد هفوةٍ بعد أُخرى · هفواتٌ كانتْ عليكِ وبيله
ليتَ شعري ماذا جنيتِ من الطيـ · ـشِ سوى الغمِّ والحياةِ الذليله
وانهيارِ الآمالِ والندمِ المرِّ (م) · وندبِ الرغائبِ المستحيله
وذبولِ الشبابِ دارتْ عليهِ · برحاها أيدي المجونِ الثقيله
وغضونٌ تزدادُ يوماً فيوماً · وعيونٌ كادتْ تكونُ كليله
وضميرٌ قد حجّرتْهُ الماصي · وحياةٌ بالموبقاتِ حفيله

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

الاسكندرية

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا فتنةً سحَرتْني · فيها الرُّؤى تتجسَّمْ!
ما أنتِ إلا خيالٌ · في رأسِ وسْنانَ يحلُمْ!
على ضفافكِ تمضي الـ · ـمعصورُ لا تتكلّمْ!
الموجُ يصخبُ هزْءاً · والشطُّ جذلانُ يبسِمْ
وأنتِ! أنتِ جلالٌ · على البسيطةِ خيَّمْ
للشعرِ قُدْسٌ ومَغنى · وللمغاني موسِمْ
يا فتنةً تتجنَّى · على الخِضَمِّ وتَنظُمْ
حمَلْتُ قيثارَ شعري · وجئتُ كي أترنَّمْ
فما تسمَّعْتُ إلا · قصيدةً لا تترجَمْ
منظومةً من حسانٍ · على الشواطئ نُوَّمْ
هُنَّ المعاني ولكن · أسرارُها ليس تُعلَمْ!
وكأسُ حسنِكِ توحي · بالمبدعاتِ وتُلهِمْ
حَبابُها سابحاتٌ · من الكواكبِ عُوَّمْ
يَهبْنَ في اليمِّ ما لا · يهبنَ في الأرضِ مُغرَمْ!
تحيّتُ للشطِّ تحمَى · به الرمالُ وتُضرَمْ
وقد ترامتْ عليهِ · هَيا كِلُ الفنِّ جُثَّمْ
حِسانُه تتعرَّى · ونجمُهُ يتحشَّمْ!
وفتنةُ الحسنِ تطغى · على القلوبِ وتحكمْ
يا فتنةَ الصيفِ هذي · مواكبُ الناسِ تَزحَمْ

فرُّوا إليـــك سِراعاً   من عالَمٍ كجهنَّمْ
ومنْ قيودٍ ثقـالٍ   ومن تقاليدَ تُسأمْ
إلى حيـاةِ مِراحٍ   ومُتْعَـةٍ وتَنَعُّمْ
على ضفافك تُبْنَى   مُنًى . وفى النَّدِ تُهدَمْ
طفولةُ العمْرِ حلمٌ   هنا . وفى الصحو تهرَمْ !

حسن كامل الصيرفي

قُبَيْـــلَ الوَدَاع ...

للأستاذ العوضي الوكيل

لا تعذليه إذا انهلّت بوادِرُهُ   فقدْ دهاهُ وشيكاً ما يحاذِرُهُ
دنا الفراقُ وفى ذكرِ اسمه ألمٌ   القلبُ قد ذَمِيَتْ منه ضمائرُهُ
وأقبلَ اليومُ لا كانت أوائلُهُ   من الزمان. ولا كانت أواخرُهُ
الصبحُ وهو بشيرُ الحسنِ قد شحبَتْ
سِمَاتُهُ فهو جهْمُ الوجْهِ باسِرُهُ
لا الشمسُ فى أفقه شمسٌ تنيرُ ولا   شعاعها باسِمُ التلماحِ ناضِرُهُ
ما إن أطالعُ فى الأكوانِ من بَهِجٍ
يوماً ومسرحُ حيي انفضَّ سامِرُهُ
هيهاتَ لا طـربٌ يوماً ولا غَزَلٌ
البشرُ فى نفسيَ اجتيحتْ مشاعرُهُ
يا غائباً ليس يدرى أن غيبتهُ   هى القضاءُ الذى تُخشَى مقادرُهُ
أدنيْتَ حيني ورَوْضُ العمرِ ذو زَهَرٍ
والهفتــاهُ إذا جفّت أزاهِرُهُ !
حِرصى عليك وقد أغريْتني زمناً   حرصُ البخيل إذا رنّتْ دنانيرُهُ
فكيف تبْعُدُ عنّي أو تطيقُ نوًى
إن لم أقلْ بكَ هجرٌ ذى مظاهِرُهُ ؟!
أزورُكم وكأنى لستُ زائرَكمْ   من لهفة الحب قد زادت سواعرُهُ
والنفسُ تزعمُ أنى حين أشهدكم   تخيّلٌ شبحاً قد شطَّ زائرُهُ
وتزعمُ النفسُ أن العَيْنَ قد كذبتْ
وكيف تكذبُ إنساناً نواظِرُهُ ؟
يا أيها الريّ قد أظمأتني زمناً   وإن يكنْ بك نهرٌ فاض هادرُهُ
أنتَ الربيعُ وكم لى فيكَ من غَزَلٍ
صاحت بلابلُهُ ... غنّتْ عصافِرُهُ
عقّ الربيعُ فأرقّت جوانحُهُ   وقد توسّل بالأنغامِ شاعِرُهُ
والغُصنُ إن أهلكَ الطيرَ الصدوحَ بِهِ
تحسبه أنه قد ماتَ طـائِرُهُ
فالنفسُ تأنسُ بالأغصانِ شاديةً
وتجتوى الروضَ إن ماتت شحارِرُهُ
ياسوسنَ الروضِ يجلوهُ امطالِعه   من قالَ ذاكَ ظلومُ الحسنِ ناكِرُهُ
بل أنتِ للعين بستانٌ به زهرٌ   قد ضمّه فى سناكِ الحلو ناثِرُهُ
لا تسأم العينُ من مرآكِ ما نظرَتْ
ولا الفؤادُ وإن طالت مزاهِرُهُ
كفاكِ أنك فى نفسى وفى أملى   كونٌ من الفن لا تُحصى مفاخرُهُ
كونٌ رحيبٌ ... رحيبٌ لا حدودَ لَهُ
تكشّفت لى — من حبٍّ — سرائرُهُ
(سعادُ) ما كان أضنانى وأتعسني
النأىُ — ويلى — جافى القلب جائرُهُ
واستمهلى القومَ أياماً نجمّلها   بالقرْب إني شرودُ اللبّ حائرُهُ
وعشتِ لى يا رجائى فى الحياة ويا   حلاوةَ العيش إن فاضت مرائرُهُ

العوضي الوكيل

جمـــال وقلب

[من ديوان « إشراقة » تحت الطبع]

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

وعبـــدناك يا جمال وصغنا   لك أنفاسنا هياماً وحبـــا
ووهبنا لك الحيـــاة وفجر   نا ينابيعها لعينيـــك قربى
وسحرنا بكل ما فيك من ضعـ   ـف جميل، حتى استفاض وأربى!
وحبـــوناك ما يزيدك يا لغـ   ـز وضوحاً، وأنت تفتأ صعبا !
وذهبنا بما يفسر معنـــا   ك بعيداً، وأنت أكثر قربا !
من ترى وزع المفاتن يا حسـ   ـن؟ ومن ذا أوحى لنا أن نحبا ؟
من ترى علم القلوب هوى الحسـ   ـن وقال: اعبدى من الحسن ربا !
من ترى وثق العرى بين مسحو   رين، أسماها : جمالاً وقلبا ؟ !

التيجاني يوسف بشير



دراسات فى الفن :

الحب والفن والله

معراج غاندى الفنان

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يصف القرآن أهل الجنة فيقول : «دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

ويعرف الإنجيل الله فيقول : « الله محبة » .

ويروى الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه عن غاندى أنه لما كان فى جنوب أفريقيا يجاهد الإنجليز فى سبيل الهنود وكرامة إنسانيتهم كان فى اجتماع ، وفيما هو يغادره مصطحباً سيدة انجليزية ألفته السيدة يتسلل من جانبها إلى ركن مظلم ، ورأته فى الركن يواجه شبحاً ورأته يمد يده إلى يد الشبح يأخذ منها شيئاً ذا نصل براق ، ورأته يخفى ذا النصل ، ثم يتأبط الشبح فيخرج به من الظلمة إلى النور يسايره ويحادثه ويباسطه ويوادعه ، ثم يعاهده ويستوثقه أمراً جللاً ثم يحييه ويفارقه فينصرف الشاب الهندى مطمئناً مؤمناً معتزاً بما فيه من كبرياء المستشهد بعد أن كان الشبح المتخفى المتلصص النازع إلى الجريمة . فراع السيدة هذا الذى رأته وسألت غاندى فقال لها : أحسست أن هندياً كامنا لى يريد القضاء على لأنه حسب فى السوء والغدر وخيانة الهنود ، فسميت إليه ، وأنا مملوء بحبه كما أحب كل الهنود ... اتجهت إليه وأنا فى هذا الحب ، فما مس حبى الغل فى نفسه حتى نوره فتألق حباً ، فتعارفنا وتفاهمنا فتآلفنا ، وتفارقنا ، ونحن إخوان فى حب الهند والذود عن الهند .

معجزة من معجزات الحب أيد الله بها غاندى ونجاه بها من كيد كان فيه الردى والهلاك ، ولم تكن معجزة كهذه لتقع بين سمع إنسان وبصره من غير أن تفعم نفسه وتشغلها باستدرا كها متحسسة متفهمة تواقة إلى تحصيلها بعد ما أعلن صاحبها أنها تيسرت له بتدريب روض عليه نفسه فكان هذا الإعلان إغراء بالمعجزات تباح لمن يريده ، فدار بين السيدة وغاندى حديث تقصت فيه السيدة الحب وتملته من أستاذه الجديد ، فكان مما علمه إياها أنه قضى زمناً ينام فى مسارح العقارب والثعابين ، وإنه كان يأمن عدوانها ، يؤمنه حب لها كان يطوى نفسه عليه ، وكانت تحسه نفاثات السم فتساله وتتجاوزه

معجزات أخر تنساب من روح غاندى فى نومه . فأى رجل هو ؟

إنه من أولئك الذين تحيتهم سلام ... وإنه من أولئك الذين يحققون فى الأرض وصية الإنجيل ودعوته إلى الحب الذى يقول إنه هو الله . فأى رجل هو ؟

ليس فى تاريخه ما يدل على أنه عبقرى العقل كما يعرف الناس العباقرة . كان فى صباه تلميذاً متأخراً متهيباً منقبضاً عن الدرس واللعب . وكان فى شبابه طالباً مجداً مثابراً شغالاً يعوض بالدأب والجهد ما تفوته عليه قلة الذكاء ، وكان بعد ذلك فى بدء اصطناعه المحاماة حيران متواضع الأمل ، راضياً كل الرضا بأيسر النجاح لو يؤاتيه من أشق العمل ، فهو يستفتى المجربين عن طرق النجاح كاليائس منه ، ثم يطرب ويسعد عند ما يبشره أحدهم بأن له التوفيق ما كد وانكب على عمله بالعناية والإخلاص

فهل كان غاندى على هذا غبياً متراجع العقل حين كان فى صباه التلميذ المتأخر المتهيب المنقبض عن الدرس واللعب ، وهل كان فى الحق قليل الذكاء حين كان فى شبابه طالباً شغالاً

لا يعرف فيه أساتذته ولا زملاؤه العقل المتألق الخطاف ويعرفون عنه الدأب والجد، وهل كان بعد ذلك المحامي الخائر الضعيف الجبان حين كان يسائل المجربين عن طرق النجاح في المحاماة وحين رضيت آماله أن تتواضع فتقعد عند تحصيل الرزق المهين والعيش التافه؟ هل كان غاندي هذا الإنسان الرخيص؟

الأدلة والدلائل من حياته تنفي عنه هـذا . بل إنها تثبت له عكسه ونقيضه، فغاندي اليوم هو الرجل الأول بين رجال الإنسانية الروحية، وليس هو الرجل الأخير بين رجال الإنسانية المادية . فلو كانه ما حسبت له انجلترة حساباً وما رهبت جانبه، فهي لا تخشى القسيسين ولا الرهبان بل إنهـا لو أمكنها أن تصرف الناس الذين تنزل بلادهم عن الاشتغال بأمور دنياهم ما ترددت في ذلك وما تأخرت عنـه، وما امتنعت عن الإنفاق على الأديرة والمعابد تحشر فيها الناس زاهدين حالمين، لتفرغ لها الأرض ترتع فيها تأكل وتشرب وتلعب وتعيث فيها تحضيراً وتمديناً ... أما وهي تخشاه، وتتقيه، وتتملقه حيناً وتقسو عليه حيناً، فلا بد أنها تعرف فيه خطراً خطيراً تخاف أن يكتفها وأن يخنقها بهذه الخيوط الدقيقة التي يغزلها من القطن والصوف بمغزله الصغير الذي لا يزيد ثقلاً ولا حجماً على لعب الأطفال ...

لا يمكن أن يكون غاندي هذا قريباً من الغباء ولا الغفلة؛ وإنما هو ذكي يتسامى ذكاؤه على ذكاء الناس، وعاقل يتعالى عقله على عقولهم . وليس في هذا عجب ولا فيه خرق لنظم الطبيعة . فنحن إذا تأملنا نفس غاندي، رأينا الرفعة والسمو متحققين فيها مؤكدين في الناحيتين اللتين تكملان النفس الإنسانية إذا أضيفتا إلى العقل، وهاتان الناحيتان هما الخلق والحس . فسيرة غاندي تثبت أنه من أرفع الناس خلقاً، ومن أشـدهم استساغة لمعاني الشرف والنبل والوفاء والبر والصدق والعطف والتضحية، وغير هذه من الفضائل ... فقد كان في الهند وفي انجلترة وفي إفريقيا الجنوبية، مثلاً سامياً للإنسان الفضيل الذي يأسر بالفضل أهله وذويه، والذي يعجز خصومه عن أن يتهموه بنقيصة خلقية، وعن أن يصفوه برذيلة . هذا على الرغم مما يرويه هو من عيوب نفسه وزلاتها . فقد اعترف على نفسه بأنه كان يسرق من أبيه ما يشتري به الدخان، كما سجل على نفسه أنه اقترف الزنا بإيحاء من صديق شقي كان يغريه بالفساد في أوائل أيام الشباب ... فهذه الخطيئات العابرة لم تكن في الحق أكثر من محاولات صبيانية أراد غاندي أن يتذوق بعض الطعوم من لذائذ البدن عن طريقها فما تذوقها حتى عافها سريعاً، لأنه رأى فيها تعبداً لغير الطلاقة والانطلاق . فعاد وصلح؛ ومنذ أن صلح وهو - فيما يعلم الله وفيما تقول حياته المكشوفة الصريحة — لا يقترف من الذنوب إلا هفوات الأولياء الصالحين .

هذه هي أخلاق غاندي! فهو بها أقرب من نعرف من الأحياء إلى الكمال، وهو إلى ذلك بإحساسه أقرب من نعرف من الأحياء إلى الكمال أيضاً . فقد مكنه الله من أن يصفي نفسه، وأن ينقيها حتى ليبلغ من صفائها ونقائها أن تعكس على النفوس أنوار إحساسها فتغمرها وتملأها بأمان النور وبهجته . وهذه مرحلة من الإضاءة الروحية يبلغها الإنسان بعد أن تتم له استضاءة نفسه هو بالإحساس الصادق والاستجابة لصدق الإحساس، وليس أدل على ما نقوله من هذا الحادث الذي طعن فيه غاندي بالحب ذلك الذي أراد أن يطعنه بذي النصل، فقتل فيه النزوع إلى الشر والعزم على الجريمة بعد أن جمع لها إحساسه وإرادته وإيمانه، وبعد أن دبر لها وقفته وخفيته وأعد لها سلاحه، وبعد أن هانت عليه فيها حياته وفرط لها في شبابه!

غاندي إذن هو أكمل من نعرف من الأحياء خلقاً وأنضجهم حساً . فإذا صدق أنه قليل الذكاء ضعيف العقل لأنه احتسب في التلاميذ من المتأخرين، ولأنه كان من الشبان الشغالين، ولأنه كان من المحامين الحيارى التائهين، فإن أكبر ما كان يمكن أن نتصوره يصل إليه من مراتب الرقي البشري هو أن يكون شيخاً لطريقة من طرق التعبد والتدين اللذين يتطلبان في الصالح من أشكالهما هذا الصفاء في الحس، وهذا الكمال في الأخلاق، وقد مهدت الحياة لغاندي أن يكون هـذا الشيخ، ولكنه أباه، وإن أنكر عليه شعبه هذا الإباء، وإن قدسه أهل ملته ورفعوه إلى ما يطاول مرتبة الأنبياء . ذلك بأن شعبه إذا لم يكن مفطوراً على تقديس المصلحين الأتقياء، فهو على الأقل مأخوذ بهذا التقديس متدرب عليه، فلو أن غاندي شاء أن يكون زعيماً من زعماء الدين لكان هذا الزعيم، ولمـا أنكر عليه الزعامة أحد، ولكنه عدل

عن هذا إلى ناحية أخرى من نواحي الحياة تستلزم الكفاح العقلي والانتصار فيه، كما يسعدها التفوق الحسي والسلطان الخلقي. ولقد تم لغاندي النصر في هذه الناحية بشهادة بعض الكبار من رجال الإنجليز الذين قارعوه في الهند والذين وصفوه فقالوا: إنه رجل يمتاز في تكوينه على غيره من الرجال ... وليست مغالبة الإنجليز الكبار بالأمر الهين، ولا الانتصار عليهم بالأمر المتاح لكل إنسان، والإنجليز حين يغالبهم الناس وحين يكافحون هم هؤلاء الغالبون لا يكافحونهم بالإحساس ولا بالأخلاق وإنما لهم في المكافحة سلاح آخر هو العقل، ويكاد العقل الإنجليزي يكون في أرقى مراتب العقل البشري، فإذا غلبهم غالب بسلاح العقل فلا يمكن أن يقال إنه قليل الذكاء أو إنه متقهقر العقل، ولقد غلبهم غاندي في مواقع كثيرة فلا بد من أن يكون أقوى منهم عقلاً وأشد ذكاء

وإنه كذلك! وعلى هذا يتم له الانسجام النفسي القائم على أساس من النسب النفسية الرفيعة المتألفة من الحس الأنضج، والخلق الأكمل، والعقل الأوفر

وهذا النوع من العقل هو الذي أردت أن ألفت إليه نظر القارئ في حديث اليوم. فقد رآني القارئ في أحاديث سابقة نافراً من الزي الأوربي الذي يتزيى به العقل الحديث، والذي ينزع إلى العلم المادي والحضارة المادية نزوعاً يكبت في الإنسان إحساسه ويخمد أخلاقه. وقد رآني القارئ في حديث الأسبوع الماضي أرجو للإنسانية أن ترقى فيتحقق لها العقل الذي يطالبنا به الله فتحله محل هذا العقل الأوربي الذي لا يصدق فيه اسمه إلا من حيث إنه غلل الحس البشري وكتف الأخلاق كتفاً لا يسمح لها بالسمو إن لم يهبط بها إلى الحضيض

عقل غاندي هو بشارة من بشائر الرقي الإنساني التي تسارع إلى الظهور في بعض مراحل التطور البشري، ولو لم تتأهب الإنسانية لإحسان استقبالها وإحسان استنباتها

فما هي ميزة هذا العقل وما هو طابعه؟

إنه العقل النافذ الهادئ المنطلق إلى هدف يناديه من السماء والذي يدرك حقائق الأشياء وما بين الأشياء من علاقات منذ أن تعرض له هذه الأشياء، والذي يلهمه الإحساس الصادق فلا يخطئ في تقديره ولا تكييفه إياها، والذي تقوده الفضيلة إلى إحسان الموازنة بين الحقائق وبين الأشياء فيعرف أيها يأخذ لنفسه وأيها يدع، وأيها جدير بالاهتمام وأيها حقيق بالإهمال، وأيها لازم لتقويم كيان الفرد، وأيها لازم لصلاح المجتمع، وأيها بعد ذلك حشو للعقل يتخمه ولا يغذيه

هذا هو العقل الذي زان الله به غاندي، وهو عقل ممتاز سام يدل على غاندي كما يدل عليه إحساسه وكما تدل عليه أخلاقه فهو عقل خاص نادر لأن غاندي رجل نادر، وهو بطبعه غريب على هذه الحياة وهذه الحضارة، غريب على علومها وعلى الأجواء التي يجول فيها عقلها، ولذلك فإنه يكاد يصعب عليه أن يصاحب العقل العادي وأن يماشيه، وإنما هو ينفر من ذلك العقل العادي بطبيعة تكوينه، والناس الذين يعتبرون الحساب، وعلوم الرياضة «المتسحلفة» مقياساً للذكاء يرون هذا الاختلاف بين عقل غاندي وبين عقلهم ويأبون أن يتلمسوا الضعف في أنفسهم، وينسبون الضعف والتأخر للعقل الخارق العجيب الذي يحيرهم والذي يرونه كالعاجز عن مجاراتهم، وهو في الحق مستقيم يتجه إلى هدف خاص ينزع إليه صاحبه بإحساسه وأخلاقه، فلا يلتوي على نفسه ولا يتعقد ولا يتعثر مثلما تتعثر العقول المتحضرة حينما تجمع علمها من المتناثرات من الحقائق لا يحدوها في هذا الجمع غرض ولا تريد من سبيله أن تصل إلى هدف ولا أن تؤدي به رسالة، ولا يهمها إذا كان هذا الذي تعلمه شيء يستحق أن يعلم أو أنه لا يستحق ذلك

وهذا هو أشرف ما يدعيه العلماء لأنفسهم فهم يقولون إنهم يطلبون العلم للعلم، وهم حين يدعون هذا يحسبون أنهم يردون به على أولئك الذين ينتقصون قيمة علمهم ويتهمونه بأنه سعي إلى خدمة المادة في الحياة، أو أنه سعي إلى خدمة الشر. فإذا صح هذا الذي يدعونه ولم نقس عليهم قسوة من يتهمونهم بمختلف التهم لم يكن علمهم إذن إلا ضرباً من الفضول أو التجسس على قوى الطبيعة. والفضول سخف، والتجسس رذيلة

أما العلم الذي يصل إليه العقل الفضيل الحساس فليس فيه من الفضول شيء ولا من سخف الفضول، وليس فيه من التجسس شيء ولا من رذيلة التجسس، وإنما هو علم يطلبه صاحبه لأنه يحبه، ويرفض ما عداه لأنه لا يريد شيئاً غيره، وهو يسعى



قوانين النشاط الحرارى
وتحول الطاقة
للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

قرأت فى عدد مضى من الرسالة ما كتبه الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ، وقد راعنى ما فيه من الخلط بين التحقيقات العلمية والنتائج التى وصل إليها العلم وبين بعض فكرات عتيقة فى الكون مستمدة من التفكير الفلسفى ، لا تجد مكاناً اليوم فى عالم العلم . وأى فكرة أدخل على العلم من القول بأن المادة (أو مجموع المادة والطاقة) قديمة والاستناد إلى مثل هذه المبادئ الفلسفية للاعتراض بها على نتائج انتهى إليها العلم فى المعمل والمختبر وحققتها التجارب على مدى طويل من الزمان . والواقع أن التفكير العلمى الحديث يرفض مثل هـذه الآراء المرتجلة « ولا يعرف من مفهوم المادة والطاقة إلا أنهما عقدتان فى عالم الزمان — المكان »

وقد سبق أن أشرت إلى بعض هذه الحقائق فى البحث الرياضى الذى نشرته لى مجلة الرسالة لأربع سنين خلت عن نظرية النسبية الخصوصية وقلنا فى ذلك الحين مانصه :

(ليست المادة كما يعبر عنها العالم الطبيعى الكلاسيكى ، بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة من نقط عالم الزمان ـ المكان ، وذلك بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات Events وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة)
(الرسالة السنة الرابعة العدد ١٤٠ . ص ٣٨٧)

ومعنى هذا الكلام أن العلم الحديث يرفض فكرة المادة فى مفهومها القديم الذى يعتبرها « الشىء الذى تتقدم به الصورة » وهذا الرفض أقرب إلى إنكار المادة إذا أخذنا المادة على هذا المفهوم وهذا الكلام يمكن شموله أيضاً الطاقة ومفهومها وبعد ذلك نجد

إليه لأنه يشعر أن فيه كماله ، وأن فى الوصول إليه راحته وأنه قبل هذا وذاك يرضى إحساسه وأخلاقه وينسجم معهما

وهذا هو العلم الذى يبدو حين يطالع الناس وفيه من نفس صاحبه إحساس صاحبه وأخلاق صاحبه ، كما يكون فيه من عقل صاحبه . فأى شىء يشبه هذا العلم ؟ إنه يشبه الفن . وهو يشبه الفن من حيث إنه تعبير عن نفس صاحبه ، ومن حيث إنه يحقق حاجة من حاجات صاحبه الروحية ، وقد تشمل هذه الحاجة مطالب مجموعة خاصة من المجموعات البشرية وقد تشمل مطالب البشرية بأسرها

هى إذن رسالة علمية عقلية ، وهى قائمة على أساسين من الحس والخلق إلى جانب ما تقوم عليه من أساس العقل . وليس كل العلم هكذا ، ولا كل العقول التى تجرى وراء العلم هكذا . وإنما هى نفوس الفنانين التى تنحرف لضرورة من ضرورات الحياة عن إنتاج ما اصطلح الناس على اعتباره من الفنون الجميلة إلى أداء رسالات هى فى ظاهرها غير هذه الفنون ، وهى فى حقيقتها فنون جميلة بل إنها أجمل الفنون . ذلك أنه إذا كان جميلاً أن ينشىء إنسان لحناً أو قصيدة أو قصة أو تمثالاً أو صورة فأجمل من ذلك أن ينشىء إنسان نفس إنسان آخر ، والأجمل الأجمل أن ينشىء إنسان جيلاً من النفوس فى جيل من الناس على صور من خياله . وليس أجمل من أن تقوم رسالة فنية على أساس من الحب يطوى المؤمنون بها نفوسهم عليه ويهبونه لأعدائهم كما يهبونه لأصدقائهم : فتحيتهم سلام وغايتهم محبة ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

عزيز أحمد فهمى

الصورة العلمية الجديدة لمادة والطاقة أقرب إلى Phenomenisns — أعنى الفلسفة التى لا ترى شيئاً وراء الظاهر Phenomens الطبيعية

وإذن فى مثل هذا التفكير لا يمكن التكلم عن القدم والحدوث، ومفهوم اللاتناهى فى القدم لا معنى له فى العلم الحديث .

أما الشيء الذى يعترض به فى الواقع على ما جاء به الدكتور محمد محمود غالى ، فهو أنه تمقيد أكثر من اللازم بمبدأ النشاط الحرارى الثامن الذى قال به العلامة سارى كارنو عام ١٨٢٤ والذى ينص على أن الطاقة فى تحولها تتنزل وأنه ليس فى المستطاع عكسها . لأنه من المعروف أنه من اليوم الذى أزاع كارنو فيه رأيه قد بذلت الجهود فى سبيل إيجاد التلاؤم بين مبدأ تنزل الطاقة وعدم عكسها ونظرية القوى المركزية التى تفترض إمكان عكس أى شيء فى الطبيعة . ومن هنا قامت جهود ماكسويل Maxwell وبولتسمان Boltzmann وجيبس Gibbs فى أن الحادثات لو كانت تقترب من حلة التجانس ، فليس ذلك نتيجته لأن العناصر المتباينة تميل لعدم التخالف والتباين ، وإنما يعود ذلك إلى الاختلاط ، فالاختلاط إذا بلغ الحدّ الأعظم اللامتناهى ، أو ما يقرب منه بدا وكأنه متجانس للنظر وهو فى الواقع غير ذلك. وفى هذا وحده عدم إمكان تصور أن الأجسام الساخنة لا ترجع لحالتها الأصلية عن طريق العكس. وكما يقدر Gibbs أننا لو فرضنا حبة من قمح أخفيت فى كومة من الشعير واختلطت بها ، فتصور هذا الحادث من السهولة بمكان، والنظر البشرى لن يميز وجود هذه الحبة ومن هنا سيحكم بأن الكومة كلها متجانسة مكونة من مادة الشعير . وهو لو عرف أن حبة قمح قد اختلطت مع الكومة وذهبت طى الكوم فإنه سيعتقد باستحالة استخلاص حبة القمح من الكوم . وفى هذا وحده كان تفسير Gibbs لعدم إمكان العكس الذى يتظاهر بمبدأ كارنو

إلا أنه من المهم أن نلاحظ أن هذه المحاولات تستند إلى قوانين الإحصاء Slatistique وهى إن كانت صحيحة فى عالم النظر ، ولكن مبدأ كارنو كان بكل قوته فى عالم الواقع كمبدأ تؤيده التجربة . ولكن الذى حدث أنه فى أواخر القرن التاسع عشر لاحظ العلامة برون Brown فى المايعات التى يستحضرها تراقصاً غير منتظم فى الجزيئات ، وعرف هذا التراقص بالحركة البرونية Brownien وقد ظن بادئ ذى بدء أن هذه الظاهرة وقف على عالم الأحياء إلا إن بعضهم لاحظ وجودها فى العالم الميكانيكى — الآلى — وافترض لتعليلها أن الضوء يتجمع ويتكاثف على هذه الجزيئات ، ولما كان الضوء لا يفترق عن موجات الحرارة ؛ فإن الحرارة تتخلف فى ذلك الوسط من مكان لآخر ويكون نتيجة ذلك مجموعة من المجارى وهى تحدث هذه الحركات . غير أن البحاثة Gowy نقض هذا الفرض بأن بين أن هذه الجزيئات كلما كانت صغيرة كانت حركاتها المشهودة تدل على أنها أسرع ، هذا إلى أن هذه الجسيمات لا تتأثر بالنور الساقط عليها ؛ فإذا صح أن هذه الحركات تحدث بدون أن تستند إلى مصدر من الطاقة خارجى ، فماذا يكون الموقف ؟

لا شك أنه لا يمكن التراجع عن مبدأ ماير Mayer فى حفظ الطاقة ؛ كما أنه لا يمكن أن ننكر أن الدلك والحركة يتحولان إلى حرارة ، وبدون أن نبذل جهداً نرى الحرارة تتحول لحركة . وهذا ينافى مبدأ كارنو

هذا ما تركنا فيه العالم فى أوائل القرن العشرين والشك يحف بمبدأ حفظ الطاقة وقوانين النشاط الحرارى وتنزل الطاقة

حقيقة أن إينشتين وبيران وغيرهما قد أعادوا الثقة إلى هذه المبادئ والقوانين وإن عدلوها وأخرجوها عن مدلولاتها الأولى ، ولكنا نعرف أن فى الإمكان فى ضوء الجهود الجديدة أخذ مبدأ كارنو من جهة حسابات الاحتمال وربطها بالنظرية الاحتمالية التى يقول بها هيزنبرج وشرودنجر ودبراك وغيرهم من الأعلام ، وإن كان لى أن أذكر هنا شيئاً لى فهو مذكرتى عن «الحركة البرونية» التى قدمتها عام ١٩٣٥ إلى أكادمية العلوم الروسية ونشرتها مبسطة مجلة — Priroda الطبيعية — الروسية عام ١٩٣١ ونقلتها عنها Herald of the Academy of Sciences فى نفس السنة أما الأصل العلمى للمذكرة فتجده فى Izveatia لأخبار الأكادمية وأعمالها العلمية وتجده فى النشرة التاسعة ١٩٣٥ ص ٤١١ — ٤١٦ ويمكن أن ينظر عنها شيئاً The Reports on the actevitées of USSR Academy of Science for 1938, by V. P. Volgin, Mosocw 1935.

من هنا نرى أن مبدأ كارنو من ناحيته النظرية لا يمكن

أن يسوق إلى فكرة الموت البطيء إلا إذا حملنا المبدأ فى الصور الجديدة التى أخذتها أكثر مما يحتمل ، وأظن أن هذه المسائل ، لأنها أدخل فى باب المسائل النظرية ، لم يولها الدكتور غالى أهمية وهو الإخصائى فى المسائل التطبيقية Applied من العلوم الطبيعية

ولنا بعد عودة لمراجعة بعض آراء الدكتور غالى العلمية وخطراته خصوصاً فيما يتعلق بمبدأ الصدفة المنظمة ونظرية النسبية

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم

دكتوراه فى العلوم الرياضية والطبيعية النظرية
وفى الفلسفة العلمية من موسكو

أجمل الكواكب

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

زحل أجمل الكواكب ، وأكثر الأجرام السماوية بهاء ! سحر الناس بمنظره وخلبهم بحلقاته . ليس كمثله كوكب ، فريد فى شكله ، وحيد فى شذوذه ... يحيط به ثلاث حلقات مستوية دائرية يختلف منظرها باختلاف موقعه ...

فمن هالات بيضوية حوله ... إلى خط منير يقطعه ويمتد على جانبيه ! ... ومن أغرب ما نرويه أن حقيقة هذه الحلقات عُرفت من المعادلات الرياضية . فلقد بيّن العالم الشهير « ماكسويل » أن هذه الحلقات تتألف من أجسام صغيرة جداً كثيرة العدد ، تدور حول الكوكب فى أفلاك دائرية تقريباً ... ولقد أثبت (مبين الأطياف) أن دوران أجزاء الحلقات البعيدة أبطأ من دوران القريبة ، كما يرجح البحث العلمى : أن تكوّن هذه الحلقات يرجع إلى اقتراب أحد أقمار زحل نشأ عنه تمزيق ذلك القمر إلى قطع صغيرة تكونت منها هذه المجموعة من الحلقات الثلاث ...

وهذا جزاء كل قمر يقترب كثيراً من أمه ! فلو اقترب قمرنا من الأرض — وهذا ما سيجرى بعد ملايين السنين — فلا بد أن يجرى عليه ما جرى على قمر زحل ، فيتمزق إلى قطع صغيرة ينشأ عنها حلقات حول الأرض على الشكل الذى نراه فى زحل . وهذا ما سيزيد فى جمال ليالى الأرض وما سيغمرها نوراً وسناء تتجلى بهما القريحة وتفيض معهما الشاعرية . ويقول جينز « ... وعلى الرغم من أن هذا سيزيد فى بهجة الحياة فلن تكون الأمور من بعض النواحى مريحة كما هى الآن إذ سيكثر تصادم بعض الأقمار ببعض وستتناثر أجزاء تقع على الأرض كالصخور الضخمة تسقط من السماء ... » وزحل من الكواكب البعيدة عن الشمس بالنسبة إلى الأرض ، يبلغ بُعده (٨٨٥٫٩٠٠٫٠٠٠) ميل ، وطول سنته ٢٩ سنة ونصف سنة من سنيننا ، أما معدل قطره فيقرب من (٧١٫٥٠٠) ميل وعلى هذا فحجمه يساوى (٧٣٤) مرة قدر حجم الأرض

وقد حسب الفلكيون كتلته بطريقة رصد أقماره وما يحدثه من تأثير جذبى على المشترى فكانت ٩٥٪ من كتلة الأرض . وما دام الأمر كذلك ، وما دام حجمه أكبر من حجم الأرض بمئات المرات فهو من أقل الكواكب كثافة إذ لا تزيد كثافته على ٧٢٪ من كثافة الماء مما يدل على أن قسماً كبيراً منه لا يزال فى حالة غازية

ويوم زحل قصير لا يزيد على ١٠ ساعات وربع ساعة ، ويحيط به جوّ ملئ بالنيوم يمتد إلى آلاف الأميال . وعلى كل حال يمكن القول بأن معلوماتنا عن سطحه وما يجرى عليه من تغيرات لا تزال فى أولى درجاتها

وهو غنى بالأقمار يحيط به تسعة أقمار تبعد كثيراً عن الحلقات ويشذ أحدها (كما يشذ اثنان من أقمار المشترى) فيسير من الشرق إلى الغرب بينما الأقمار الثمانية الباقية تسير من الغرب إلى الشرق

ومما لا شك فيه أن هذه الأقمار بحجومها المتباينة وحركاتها المتنوعة ، والحلقات بألوانها الفضية الجميلة ، من أبهى المناظر التى تقع عليها العين ، وأروع المشاهد التى يراها الإنسان

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

من هنا ومن هناك

لإنقاذ العالم من الحرب

[عن « سيرفس إن لايف آندورك »]

ظهر فى الأيام الأخيرة كتاب قيم لـكلارنس ك . سترايت بعنوان الاتحاد الآن Union Now وقدكان المؤلف يمثل جريدة « نيو يورك تايمس » فى أوربا وقضى السنين القليلة الأخيرة فى جنيف

والمؤلف من المتحمسين فى الأصل لعصبة الأمم ، وهو فى هذا الكتاب يبين العلل والأسباب التى قضت على الآمال العريضة التى بناها العالم فى سنة ١٩٢٠ لإنقاذ الديمقراطية والقضاء على فكرة الحرب ، ويقدم إلى العالم الاقتراح الذى يراه لضمان السلم وتوطيد دعائم الوفاق ومن رأيه أن الحالة التى تهدد العالم الآن لا ترجع أسبابها إلى مبادئ الاشتراكية ، أو الفاشية ، أو الاشتراكية الوطنية ، ولا ترجع أسبابها إلى مطامع الدكتاتورية وعنادها ، ولا ترجع كذلك إلى إخفاق الدول الديمقراطية . فهذه كلها نتائج لا مسببات ، ويرى أن السبب الجوهرى لموقف اليأس الذى يقفه العالم اليوم ، يرجع إلى الفوضى التى تسوق الأمم التى تضع له خطط السلام والراحة ، إلى التفكير فى أن يكون لها دون غيرها السيادة والسلطان

هذا أساس الداء كما يشخصه المؤلف ، أما العلاج الذى يراه لهذه الحالة ، فينحصر فى إيجاد نوع من السيادة الدولية على هيئة تحالف بين الخمس عشرة دولة الديمقراطية الموجودة الآن، كنواة لنظام عام تسوده حكومة عالية

وقد كتب لورد « لوثيان » سفير انجلترا فى الولايات المتحدة قبل تعيينه فى هذا المنصب بأيام قليلة مقالاً قيماً فى التعليق على ما جاء فى هذا الكتاب قال فيه :

إن الحرب ضرورة ورثتها الأمم القوية لتحديد علاقاتها . حيث يفشل الاتفاق الودى لا تجد الأمم القوية مفراً من الحرب للدفاع عن كيانها واسترداد حقوقها ، فسواء حاولت هذه الأمم أن تعمل كل منها على انفراد أو فضلت التحالف أو الاتحاد الدولى تحت نظام خاص كعصبة الأمم فهذه الحقيقة لا تتغير

إن قوة الأمم معناها أن الملجأ الأخير الذى تلجأ إليه ، إذا لم تفلح سياسة الاتفاقات الودية مع الأمم الأخرى، هى سياسة القوة أو الحرب. ويترتب على هذه السياسة أن الحكومة ترى نفسها مسوقة إلى تضحية حقوق أبنائها واستقلالهم لزيادة قوتها واستعدادها للدفاع عن كيانها كما هو ظاهر اليوم ، ومن النتائج المحققة لسياسة القوة والسيادة انتشار الفقر بين جمهور الشعب وازدياد عدد العمال العاطلين ، وانتشار الفساد واليأس بين السكان

وتقود هذه السياسة إلى الحرب الاقتصادية بين الأمم حيث تحاول كل أمة أن ترعى مصالحها الاقتصادية بصرف النظر عن مصالح الأمم الأخرى ، فترتفع الضرائب وتمتنع الهجرة ويوقف تصريف رءوس الأموال

وهذه القيود والحواجز الاصطناعية من شأنها أن تزيد فى محصول كل أمة، فيضيع التوازن بين محصول الأطعمة والخامات والقوة الصناعية ، لا فى هذه الأمم فحسب ولكن فى العالم أجمع

صوت من مقبرة تشيكوسلوفاكيا

[عن « ليدوف نوفينى » براج]

الأمم كالأفراد يقابل سقوط بعضها بالأسف كما يقابل موت البطل فى أسفار التاريخ . ويدرك بعضها الفناء ، فتنضب قواها ، وتزول نفوذها شيئاً فشيئاً كما تتلاشى المياه وتزول فى أعماق الرمال فلا يجد المؤرخ فرصة للتحدث عن مجدها وسلطانها الزائل . ومما لا شك فيه أن تاريخ بريطانيا وفرنسا منذ انتهاء الحرب العظمى ينتمى للنوع الأخير .

ففى سنة ١٩١٨ كانتا تمثلان أكبر قوة على الأرض وكانت كلمتهما هى القانون . فماذا بقى اليوم من هذه القوة ؟ كل إنسان يستطيع أن يجيب على هذا السؤال بسهولة ، وعلى الأخص إذا كان من سكان أوربا الوسطى ، فقد أصبحوا وكأنما فصلهم عن بريطانيا وفرنسا محيط مترامى الأطراف !

قال حكيم من حكماء الرومان : الإنسان لا يكون سيئاً مرة واحدة . ومما لاشك فيه ألا يكون كذلك ضعيفاً مرة واحدة

ومن الصعب علينا أن نعرف بالتحديد اللحظة التي أخذت فيها قوى الديمقراطية الغربية في الانحدار . فمن المحتمل أن نعزو ذلك إلى ظروف كثيرة وأسباب عديدة . لقد كان الفيلسوف الألماني « فردريك نيتشة » قليل الثقة بالقيم الأدبية للانتصارات . فكان يقول : إن الانتصارات كثيراً ما تحيط الأمة بسياج من البلادة وقد نكون قريبين من الصواب إذا قلنا إن الانتصارات تصيب الأمم بالكسل على الدوام

إن الهزيمة ولا شك هي التي ألهبت بسياطها نشاط الأمة الألمانية وحفزتها إلى العمل . وقد عرف زعيم ألمانيا قيمة الجيش للدولة فجعل همه إذكاء روح الرجولة والقوة بين أبنائها ودعوتهم ليكونوا على استعداد للموت في أي لحظة إذا احتاج الأمر. فهذا الموقف الجديد لم يقابل من فرنسا وبريطانيا العظمى بالاهتمام ولم تتيقظا له إلا بعد سنين من النوم والإهمال . وقد ظلت بريطانيا إلى اللحظة الأخيرة مكتفية بجيشها الصغير ولم تكن لتكلف أبناءها بشيء أكثر من دفع الضرائب . فكانت النتيجة الطبيعية أن خفت صوتها في هذا العالم الذي بدأت مظاهره من سنة ١٩٣٣ وقد أصبحنا نسمع الشباب في انجلترا يتحدثون بلسان السخر والاستهتار عن قيمة الإمبراطورية التي شادها آباؤهم وأجدادهم ، ويعلنون أنهم لا يريدون لامبراطوريتهم العظيمة إلا الهدوء والسلم. أما فرنسا فعلى الرغم من جيشها الكبير فقد وقفت جامدة إزاء الفوضى التي تعم كل مكان للمحافظة على جبهتها

إن أزمة سبتمبر الحالي تبين مقدار ماوصلت إليه عزيمة بريطانيا وفرنسا من الانحدار . فالهمة التي أبدتها الأمتان تجاه هذه الأزمة ، سرعان ما تبخرت تحت تأثير حب السلامة والكسل حينما أتيحت الفرصة إلى ذلك ! ! لن ينسى العالم هذا الموقف العجيب . ولن ينسى صورة مستر تشمبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية وهو ينحنى من عربته غب عودته من ميونخ ، ملوحاً للجماهير بوريقة كتب فيها بضع كلمات ، ليقول: لقد استخلصنا السلم للعالم

لماذا يكذب الأطفال

[عن مجلة « هيجيا » بشيكاجو]

يجب أن يعلم الأطفال أن مدنيتنا قائمة على الاحترام والثقة المتبادلين بين الناس على أساس الأمانة والشرف . ويجب أن يعرفوا أن الصدق أمر حيوى في حياة الإنسان ، وأن الكاذب لن يكسب احترام مواطنيه . ولكن هل العقاب المحض هو خير الطرق لإفهامهم ذلك ؟ إذا عرف الآباء لماذا يكذب الطفل فمن المحتمل أن يستطيعوا إبعاده عن هذه الصفة الذميمة دون أن يلجأوا إلى العقاب العنيف. والكذب نوعان : كذب مقصود وهو الذي يحاول فيه الطفل أن يغش الآخرين ، وكذب غير مقصود وهو الذي لا يدرك الطفل ما فيه من الزيف

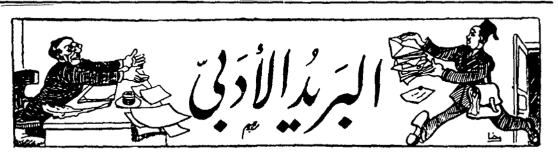
فإذا جاء إنسان لآخر وقدم إليه تفاحة حمراء وحاول أن يقنعه بأنها سمراء فإنه لا بد أن يصمه بالكذب إذا لم يثبت لديه أن هذا الإنسان مصاب في نظره بآفة الألوان . وهكذا الشأن في الطفل الصغير فمن واجب الآباء ألا يصموه بالكذب بغير روية ، يجب أن يعرفوا قبل كل شيء لماذا لا يرى الدنيا كما يرونها بالتحديد

قد يكذب الطفل لأنه لا يستطيع أن يدرك تمام الإدراك ، أو لأنه تعوزه الدقة في النقل وسلامة الفهم في الحكم على الأشياء فمن القسوة أن يعاقب على الأكاذيب التي من هذا النوع . وقد يقود العقاب الطفل إلى حالة سيئة للغاية فيفهمه معنى الكذب ويضلل لسانه البريء عند كل قول . قد لا يفهم الطفل معنى الكذب فمن واجب الآباء في هذه الحالة أن يعذروه ويبينوا له أسبابه حتى لا يعود للوقوع فيه

أما الكذب المتعمد ، وهو الكذب الذي يحاول فيه الطفل خداع الآخرين بقصد الاحتيال والغش ، ألا يوجد علاج له غير الصفع والضرب ؟

إن الأسباب التي تدعو الأطفال إلى الكذب على وجه العموم هي الخوف من العقاب فيجب على الآباء أن يحيطوا أبناءهم بجو من التفاهم والعطف والمساعدة

فحيث يتورط الطفل ولا يجد مخلصاً ، حيث يعاقب ولا يفهم تماماً السبب الذي عوقب من أجله ، حيث يعامل معاملة لا يفهمها عقله الصغير ، تضيق الدنيا في ناظره ولا يجد غير الخداع سبيلاً للدفاع عن نفسه ، والخروج من المأزق الذي وقع فيه



حول نعيم الفردوس

لبعض القراء غرام بتعقب ما أكتب فى الدين من حين إلى حين ، لأنهم يتوهمون أن الذين فى مثل حالى من المشغولين بالدراسات الفلسفية يغلب عليهم التطرف والخروج على المألوف من قواعد الدين .

وأنا أرحب بالنقد ، وأراه علامة من علائم الحيوية العقلية فلا يضايقنى أن يكون فى القراء من يراقب ما أكتب فى الشئون الدينية عساه يجد مجالاً للتعقيب أو التصحيح .

ولكن الذى أنكره على بعض القراء أن يحرّف الكلم عن مواضعه ليصح له أن يصورنى بصورة المسىء ، كالذى وقع من الفاضل الذى زعم أنى قلت :

« إشغلنى عنك ، يا رباه ، بما فى الجنة من أطايب النعيم » ليجوز له أن يقول : « فهل رؤى سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين فى دعاء زكي مبارك هذا » ؟

وأنا لم أقل ما نسبه إلىّ هذا الرجل الفاضل ، وإنما قلت :

« إشغلنى عنك ، يا رباه ، بما فى الجنة من أطايب النعيم ، فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج »

وهذه العبارة هى غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله ذى العزة والجبروت ، ولكن ذلك الفاضل حذف الشطر الأخير ليجد الفرصة لادّعاء الغيرة على الدين ، فهنيئاً له ما ظفر به من التقول على رجل أعزه الله بالإسلام الصحيح ، وعصمه من الاتجار بالدين

ألا يكفى أن نسكت عن الأوهام التى يذيعها بعض الناس من وقت إلى وقت بحجة أنهم المرجع الأول لنشر التعاليم الدينية ؟ وفى أى شرع يجوز تحريف الكلام عمداً ليتمكن من فى قلوبهم مرض من تجريح الأصحاء ؟

إن الكلمة التى قلتها لها معان لا يدركها غير صفوة المؤمنين

ولو طُلب منى توضيحها لقلتُ : إن العبادة الصحيحة هى رؤية الله فى نعمه المشكورة ، وليست فى دعوى النظر إليه ، وهى دعوى أعرض من الصحراء .

وأنا دعوت الله بما دعوت ، وأرجوه أن يتقبل ذلك الدعاء ، فإن بصرى على حدّته أضعف من أن يواجه نوره الوهاج .

أحب أن أراك فى نعمك ، يا رباه ! فى الحدود التى تساميت إليها فى كتاب « التصوف الإسلامى » ، وكن وحدك الرقيب على عبدك الحافظ لفضلك ونعمتك ، فليس له فى الوجود نصير سواك .

زكى مبارك

الوحدة العربية

سيدى الأستاذ الزيات

لقد قرأت كما قرأ غيرى ما جرى بين الأستاذ « ساطع الحصرى بك » و « الدكتور طه حسين بك » من نقاش حول « الوحدة العربية » فرغبتُ فى نشر حديث كان قد جرى بينى وبين أستاذ فرنسى يدور حول هذا الموضوع .

بدأ الأستاذ الفرنسى حديثه معى بالكلام على ما يسميه الناس بالحقائق فقال : ليس هناك حقيقة مطلقة

قلت : نعم . لأنه ليس هناك نظر مجرد ، فبقدر ما يكون امتداد النظر يكون اتساع الأفق

فشجعه ذلك على الاسترسال فقال :

أراكم تلهجون كثيراً « بالوحدة العربية » فى هذه الأيام . فهل ترى إمكانها ؟ إن مقياس كل شىء فى هذا العصر هو الفائدة منه ، فما فائدة هذه الوحدة لكم ؟ أتعتقد أنك عربى ؟ أنت مصرى قبل أن تكون عربياً ، قبل أن تكون مسلماً . أليس كذلك ؟

قلت : ألست تسأل لتعرف الحقيقة ؟

قال : بلى !

قلت : حسن إذن . قد يكون الجواب على السؤال سؤالاً آخر ، فما هي الدولة ؟ وما الفائدة من وجودها ؟

قال : إن تعريفها غير متفق عليه ، ولم يصل أحد بعدُ إلى تعريف حاسم لها . أما فائدتها فما أظن أحداً ينكر الفائدة من وجودها ؟

قلت : أمعنى ذلك أن الدولة لا توجد لأن تعريفها لم يُحدَّد ؟

قال : من ذا الذي يقول بهذا ؟ إنها موجودة رغم ذلك !

قلت : أنت تدرى أن الدولة مكونة من عناصر هي : وحدة الدين ، واللغة ، والجنس ، والتقاليد ، والتاريخ ، والأماني ، والغايات ... وكل هذه العناصر ينتظمها « روح معنوى » يسرى بين سكان الدولة — هو شعورهم — بأنهم يكوّنون دولة لها وجود ، ولها حياة ، ولها غاية تسمى إليها ... الكل المجموعى لا الجميعى لكل هذه العناصر ، تنتظمه هذه الروح ، هو ما يسمى بالدولة . فماذا ينقص الشعوب العربية من ذلك ؟ لا شيء ألبتة . بل أنا أنظر حولى ، فلا أرى شعباً فى العالم يضم من هذه العناصر ما يضمه الشعب العربى . إن ألمانيا الحديثة تقوم على أكذوبة « الجنس » فلنفرض أن « الوحدة العربية » تقوم على أكذوبة من هذا النوع ... هذا إذا أعوزنا التعلل ، وعجزنا عن التعليل !

إن الصعوبة الكبرى فى قيام الوحدة العربيــة ، تنشأ من أن العرب شعوب متعددة تخضع خضوعاً تاماً — أو ناقصاً — لدول شتى . كما أن هناك اختلافاً على مدلول هذه الكلمة وتفاصيل هذا المدلول « الوحدة العربية » يفسره كل تبعاً لما يراه أنه الأوفق لمصلحته ، أو رأيه ، أو هواه .

فلو كان العرب كلهم أحراراً ، أو لو كانوا كلهم يخضعون لسيادة دولة واحــدة لحفزهم الغرض من وجودهم إلى الاتحاد ، أو لدفعتهم الغاية المتحدة فى التخلص من نير الأجنبى إلى تكوين الوحدة المرتجاة ، كما أنهم لو تفاهموا لاتحدوا فى وجهة النظر ، وسبيل الوصول .

لو لم تكن « الوحدة العربية » حقيقةً واقعة ، لكانت أمراً واجباً . إن الوحدة العربية ليست هدماً للمزايا الجنسية للشعوب القديمة : كالمصريين ، والأشوريين ، والبابليين . ولكنها جمع لكل هذه المزايا لتكوين شعب واحد ، وحدته خير من تفرقه على كل حال . أما مزايا الجنس فلا تموت والتوحيد لها بمثابة التطعيم ، والتطعيم خير سبيل : للتجديد والتخليد والبقاء . إن الكبرياء العنصرية جهل بمزايا الوحدة ، وإذا كانت الوحدة العربية كذباً ، فكم من كذب هو أنفس من الصواب عند ذوى الركانة والبصيرة ، والكذب فى السياسة ، صدق فى النظر !

الوحدة العربية ، حقيقة واقعة ، لأنها عقيدة راسخة !

الله موجود لأنه واجب الوجود ، والوحدة العربية موجودة لأنها واجبة الوجود !

* * *

هذا رأيى فى الوحدة العربية . أما رأيى فى الدكتور طه حسين فهو أن ديدنه أن يأخذ الرأى من طريق السماع والاتباع . فهو لم ينظر فى نفسه باعتباره رجلاً موطنه الشرق ، ولغته العربية ، ودينه الإسلام ، ومأمله المروبة . بل نظر فيما سمع من كلام الأوربيين واتبع ما قالوه بلا تمحيص ، وكان خيراً له لو رجع إلى بيئته ، وسار مع طبيعته ، ونظر فى نفسه واستوحى ما يمليه النظر المجرد والمنطق السليم ؛ كما أن نظر الدكتور نظر جزئى لا يتسع للشمول والتعميم ، وما ذلك بعيب فيه ، ولكنه طبيعة مطبوعة ، وإنما العيب أن يخرج الإنسان عن طبيعته ، فيكون كمن يجرد نفسه من نفسه ، ومن هنا كان خطؤه فى فهم الأشياء . هذا إلى أنه من الأدباء وليس من العلماء .

محمد أبو الفضل حفنى مسعود

سعد وسعاد ومعاوية بن أبى سفيان

ذكر صديقى الأستاذ على الجندى فيما كتبه فى مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان أن سعداً لما قطع أبو سعاد صلتها به رفع أمره إلى والى تلك الجهة الأموى المفتون المدل بمكانه من قريش ، وبمكانه من الخليفة مروان بن الحكم

ثم ذكر ما كان من أمر ذلك الوالى مع سعاد واغتصابه لها من سعد ، وأن سعداً اعتسف الصحراء إلى دمشق عاصمة الخلافة ليشكو ذلك الوالى إلى ابن عمه الخليفة معاوية بن أبى سفيان

ولا يخفى أن فى سياق قصة سعد وسعاد على ذلك الشكل

اضطرابا ظاهراً ، لأن ما ذكره الأستاذ الجندى فى الأول من أن ذلك الوالى الأموى كان مدلاً بمكانه من الخليفة مروان بن الحكم يفيد بظاهره أن قصة سعد وسعاد كانت فى عهد مروان ابن الحكم لا فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وما ذكره فى الثانى من أن سعداً اعتسف الصحراء إلى دمشق ليشكو ذلك الوالى إلى ابن عمه الخليفة معاوية يفيد أن تلك القصة كانت فى عهده لا فى عهد مروان

ولا يخفى على الأستاذ الجندى أن عهد معاوية بن أبى سفيان غير عهد مروان بن الحكم ، لأن معاوية ولى الملك بعد أن تنازل له عنه الحسن بن على ، فمكث فيه نحو عشرين سنة ، وقد بايع من بعده لابنه يزيد ، فمكث بعده ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم بويع بعده لابنه معاوية ، فمكث فى الملك ثلاثة أشهر ، ثم رغب عنه وزهد فيه ، فتولاه بعده مروان بن الحكم ، وهو فرع آخر من بنى أمية غير فرع معاوية بن أبى سفيان

ورجائى بعد هذا إلى صديقى الأستاذ على الجندى أن يرجع إلى مصدر هذه القصة ليحقق فيه ذلك الاضطراب ، ويدلنا على العهد الذى وقعت فيه من ذينك العهدين . والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

عبد المتعال الصعيدى

هل الجزاء الأخروى حسى أم روحى ؟

أخذ الأستاذ محمود قراعة على الدكتور زكى مبارك عده الجزاء الأخروى من قبيل الحسيات . والأستاذ قراعة يريد أن يكون جزاء روحياً معنوياً ، فقد جزم فى كلمته المنشورة فى العدد ٣١٥ من الرسالة بأن الإسلام (عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسى ، بل يريد بهـا جزاءها المعنوى الروحى ، وأنه إن أراد بمضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هى فى دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر ما تتصل بالروحيات والمعنويات) ولكنه فى كلمته المنشورة فى العدد ٣١٦ من الرسالة لم يبق مصراً على هذا فقد آمن بأن (فى الجنة لذات روحية وحسية) ولكن الحسية راقية تسمو بالروح

فإذا كان كذلك فماذا أخذ على الدكتور زكى مبارك ؟ وهل أنكر الدكتور زكى مبارك أن فى الجنة لذات روحية وحسية ؟ وأن الحسية راقية تسمو بالروح ؟

الواقع أن الأستاذ قراعة لم يأت بشىء يناقش فيه أو يناقَش فيه ، اللهم إلا كلمة ليست من موضوع الجدل ستأتى ، والواقع أيضاً أنه لا سبيل إلى إنكار شىء مما ذكره الدكتور زكى ، فإنه لو لم يكن الجزاء الحسى المذكور فى القرآن الكريم حسياً على الحقيقة لا على المجاز لما كان هناك معنى للبعث والنشور . إن البعث والنشور هما مقدمة لتلقى الجزاء الحسى بالنعيم فى الجنة او العذاب فى النار لا مناص من ذلك أبداً . ولو كان الجزاء روحياً لما كان هناك حاجة للبعث والنشور لأن الأرواح خالدة فتنعم أو تعذب . وما دامت الروح قد قضى عليها أن تكون فى هذا اللباس « الجسم » فى الدنيا والآخرة ، فلا لذة هناك ولا ألم إلا عن طريق الحواس ، حتى أكبر النعيم وهو رؤية الله تعالى فى الآخرة « وإن كانت بغير كيف » حسى لأنه آت عن طريق الحواس ، فهو حسى من جهة معنوى من جهة أخرى .

وبعد فماذا يرى المبشر الأمريكانى الذى ذكره الأستاذ قراعة من مطعن فى كون نعيم الآخرة حسياً حتى ينفيه الأستاذ قراعة عن الإسلام ؟

أما الكلمة التى يناقَش فيها الأستاذ قراعة فهى قوله : (إن اللذات الحسية فى الآخرة تسمو بالروح ، فإن هـذا القول يفيد أن الروح فى الآخرة تسمو باطراد عن تذوق كل لذة « وكلها لذات » وهذا أمر لا يتصور لأن الآخرة دار جزاء ، فمتى وضع كل إنسان فى مرتبة فقد حصل على مرتبة من السمو تناسبه فيبقى فيها إلى ما شاء الله . هـذا هو المعقول . ولو كانت كل لذة تكسب الإنسان سمواً لاستحق بهذا السمو جزاء : لذة أعلى ، ثم تكسبه هذه اللذة سمواً ، وهكذا . وهذا أمر لا ينتهى فلا يكون والله أعلم .

« فلسطين » داود حمدان

ما رأى علماء اللغة

يقول ابن مالك فى ألفيته عند الكلام على النسب :

وفَعَلى فى فَعِيلة الْتزم وفُعلى فى فُعَيلة حتم

وما أردناه من هذا البيت هو الصدر وقد شرحه الصرفيون هكذا : إذا أريد النسبة إلى ما وازن فعيلة حذفت ياؤه وفتحت عينه إن لم يكن معتل العين ولا مضاعفاً وذلك مثل حنيفة فيقال فيها

حنَــيِقِىّ . أما إذا كان معتل العين كطويلة أو مضاعفاً كجليلة فلا يحذف منه شىء وعلى ذلك يقال فى النسبة إليهما طويلىّ وجليلىّ . هذا ما قرره الصرفيون فى فسيلة ، ولكنى أقول إذا تقرر هذا فكيف يسوغ لنا أن نقول فى النسبة إلى الطبيعة والبديهة طبيعىّ وبديهىّ مع أن القياس كما علمت أن يقال طَبَعىّ وبَدَهى ولذلك عدوا ما ورد مخالفاً لذلك عن العرب شاذاً لا يقاس عليه كقول الشاعر :

ولستُ بنحوى يلوك لسانُه ولكن سليقى أقول فأُعرب

وبيت القصيد هنا سليقى إذا كان القياس أن يقال كما علمت سلقىّ ولكنه قال سليقى فهو من باب الشواذ ، وما أردته من ذلك البحث هو هل يجوز لنا إحياء شواذ اللغة والقياس عليها ونهجر القياس الشائع مع عدم وجود ما يمنعنا من استعماله — عندى أن القياس مع هذا أولى إن لم يكن واجب التقديم : وما عند علماء اللغة أريد أن أعرفه !

« معهد الزقازيق » عبد الغنى جمعة

النعيم الحسى والمعنوى فى الجنة

خلقت مشكلة الجناية على الأدب مشكلة أخرى . وهى : هل نعيم الجنة حسى أم معنوى ؟

وهاتان المشكلتان وأمثالها من المشكلات الحبيبة إلى النفس لأنها فى سبيل الأدب والعلم، لذلك نرجو الله أن يكثر من أمثالها بقدر ما يريحنا من المشكلات السياسية المقيمة

ولقد قرأت ما كتبه الدكتور زكى مبارك . وما كتبه الأستاذ قراءة فى هذا الصدد فعنت لى بعض ملاحظات على رأى الأستاذ قراءة أسطرها فيما يلى :

أولاً : يتشبث الأستاذ بأن لذات الجنة لذات معنوية ، ويذهب إلى وجوب تأويل النصوص التى يدل ظاهرها على أنها حسية . وهذا فضلاً عن أنه مخالف لإجماع أهل السنة فإن كثيراً من النصوص لا يمكن تأويلها إلا بتعسف شديد لا تحتمله . وذلك كقوله تعالى

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » فقد دلت الآية الكريمة على أن أنواع الزينة والطيبات من الرزق مباحة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا ، خالصة للمؤمنين فى الآخرة لا يشركهم فيها أحد . ولا شك أن أكثر لذات الدنيا ونعيمها حسى محض . وسيكون فى الآخرة بهذا الاعتبار نفسه . . .

وقال تعالى : « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » فإن فى قوله تعالى فيها ما تشتهيه الأنفس مع ملاحظة اختلاف النفس والروح يشعر بأن النعيم الأخروى حسى فى كثير من النعم . . .

وفى الصحيح عن حذيفة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها . فإنها لهم فى الدنيا ، ولكم فى الآخرة) . أفليس المناسب أن يكون النعيم بالحرير والديباج ، والذهب الفضة فى الآخرة، نعيماً حسياً لأنه هو القريب فى استعمالها؟

ولو تتبعنا نصوص الكتاب والسنة لوجدنا الكثير منها لا يمكن تأويله وصرفه عن وجهه .

ثانياً : مثل الأستاذ برؤية المنظر الجميل ، وسماع الصوت الجميل من الجميل ، وبين أنه بإضافة الحاسة الفنية إليهما يكون فيهما جهتان من اللذة : روحية ، وحسية ، وأن البحث عن الأولى ارتفاع بالروح إلى أوج الكمال ، والبحث عن الثانية نزول بها إلى الحضيض ...! وهذا التمثيل صحيح لا غبار عليه . ولكنه لا يظهر إلا فى مثل هذين المثالين مما يمكن أن تضاف إليه الحاسة الفنية ويكون له جهتان .

ولكن ماذا يقول الأستاذ فى مثل قوله تعالى : (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ـ فيهما فاكهة ونخل ورمان) إلى غير ذلك من الآيات التى يظهر فيها أن المقصود التذوق الحسى ولا تظهر فيها اللذة الروحية إلا إذا رأى الأستاذ أننا نأكل طيبات العيش لنقوى أرواحنا لا أجسامنا .

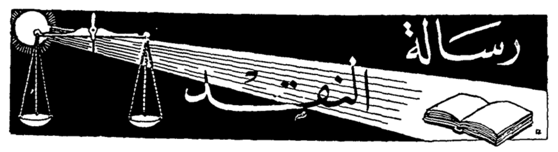
على أنى لا أنسى أن أشكر للأستاذ مجهوده القيم ، وأطمئنه على عقيدته رغم ما يرميه به الغير من الكفر أعاذنا الله منه .

محمد على حسنين حريره
كلية اللغة العربية

هل انتهت الثورة ؟

سيدى الأستاذ الجليل ...

تحية واحتراماً . وبعد فقد وردتنى رسالة من طالب فلسطينى فاضل يعلن فيها احتجاجه — والنية حسنة — على عبارتى الواردة فى كلمتى « هل فى الحيوان غريزة الغيب » (الرسالة رقم ٣١٤)



معلقة الأرز

تأليف الأستاذ نعمة قازان

بقلم الأستاذ جورج سلستي

ليس « معلقة الأرز » ديواناً شعرياً بالمعنى الذى تؤديه لفظة ديوان — أى مجموعة قصائد تتفاوت فيها المعانى والمبانى — وتتباين فيها الخلجات والنزوات ، وإنما هو رسالة فى الأدب شاء ذوق صاحبها الفنى أن يحمّلها قصيدة واحدة دعاها معلقة الأرز — والأرز رمز لبنان الخالد مسقط رأس الناظم النازح — وأردفها بمقطوعة شعرية صغيرة دعاها « أنشودة الغريب » بث فيها حنينه إلى لبنان مهوى فؤاده ، ومثار إلهامه .

وتحميل الشعر رسالة فى الأدب بادرة مستحدثة فى الشعر العربى ، فقد كنا حتى اليوم نقرأ رسالات الأدب نثراً لا شعراً ، كما أننا نعرف الشعر مستودع النزوات العاطفية والخلجات النفسانية يمتلئ بالخواطر والمرائى والصور

وسيان عندنا أحمّل الشعر رسالات أو نزوات وحمّل الفلسفة والتاريخ والعلم أم اقتصر على تصوير وبثّ خلجات الروح ، فجلّ ما يعنينا أن يحتفظ بسموّه ومكانته وأن يستوعب الفن الرفيع ، ولا يضير الشعر أن يؤدى للناس رسالات فى الأدب إن استطاع الشاعر أن يسمو فيه ويحلّق ، وإن تمكن فيه أن يقنع قارئيه بصحة رأيه وصواب فكرته

والرسالة التى شاء الأستاذ نعمه قازان أن يدفعها للناس فى معلقته يتلخص مرماها فى إيثار المعانى على الألفاظ ، وهى رسالة كثر فيها القول واشتد حولها الجدل

والأستاذ قازان على كل حال لم يأت فى قصيدته بشيء من الحجج الدامغة ليقنع قراءه بفكرته ، أو فى الأحرى بمذهبه هذا وإنما يعرض عليهم آراءه عرضاً وهو يسخر من خصوم المذهب الأدبى الذى يعتنقه سخرية لاذعة فيها التهجم الكثير والتجنى الكثير .

يقول حضرته : « لكم وزنات ولى وزنتى »

ولكن أية وزنة هى هذه التى يريد أن يتاجر بها

إنها وزنة جد راجحة عنده وقد يبلو فى سبيلها كل عناء إلا أنه لن يتخلى عنها مهما لاقى من عنت وإرهاق ، ولن يستطيع أن يثنيه عن إيمانه بها ثانٍ على حدّ قوله : « وما تحرجونى فلن تخرجونى »

وسيبقى ذلك الصابر الذى لا يتزحزح عن عقيدته ولو رجمه الناس :

لئن ترجمونى غفرت لكم وإن تتبعونى ففى ذمتى

فكأنه بطل من أبطال الإيمان الأولين يضحى فى سبيل

إذ أقول: « وها قد انتهى أمر الثورة » وهو يقول : إن سكون البلاد لا يعنى انتهاء الثورة ، وسوف لا يكون هذا إلا إذا نالت البلاد أمانيها

وأجيب الطالب الفاضل بأننى حين قلت عبارتى تلك لم أكن أقصد هذا المعنى الذى ذهب إليه ومعاذ الله أن أقصده ، وإنه من المحقق أن الثورة وإن أخمدتها القوة اليوم فليس معنى هذا أن النفوس قد هدأت وقرت ، أو أنها رضيت بالمصير الذى يوده لها « القوم » وكلنا يرى هذا ويحسه

على أننى أجىء هنا بأبيات من قصيدة لى تاتى ضوءاً على المعنى الذى ضمنته عبارتى ، والخطاب فى الأبيات موجه إلى الوطن العزيز

وعلاك لم يخضع بنوك ولا ونت همم لهم كالراسيات عظامُ
هيهات ، تأبى ذاك أخلاق لهم لا وَهْيَ فيها ، لا ولا استسلام
لكنّ من عنت القوى وكيده شُدت هناك شكيمة ولجام

هذا وإننى أشكر للطالب الفاضل حسن رأيه وأكبر فيه ذلك الروح السامى الذى يتجلى فى رسالته

« نابلس » فدوى عبد الفتاح طوقان

عقيدته حتى بالنفس ، ومثل هذا السخاء يقدّر ولكنه فى غير الأدب ، والصبر والإيمان محمودان ولكن فى غير هذا الشأن لا سيما وهو لا يعود على الأمة أو على الأدب بخير ، حتى ولا على صاحبه بشبه خير أو فائدة

فالأدب ميدان تقرع فيه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ومن قويت حجته رجحت كفته ومشى وراءه تابعوه وإلا خذل وانفرط من حوله حتى عقد القربين

وإيثار المعنى مستحب ما فى ذلك ريب ولكن الاستهتار باللفظ من أجل المعنى بحتوى مذموم ، وإننا لنلوم الأستاذ قازان لوماً شديداً عند ما نراه يلجأ فى أداء معانيه إلى اللفظ السقيم لا عن جهل أو قصور ولكن عن سابق تمعد وتصميم ، على تعبير أهل القانون ، كما يؤكد ذلك صديقه الأستاذ توفيق ضعون عضو العصبة الأندلسية فى البرازيل وواضع مقدمة « معلقة الأرز »

ونحن لسنا من المتزمتين ولا المتعنتين فى تمسكنا بقواعد اللغة وأوزان الشعر، ولسنا من دعاة التقيد ولا الجمود إن أهبنا بالأدباء أن يلزموا فى بيانهم وجه الصواب ، ولكنا من دعاة التجدد مثله إلا أن الفرق بيننا هو فى تحديد معنى التجديد . إننا من الأولى يطربهم المعنى الجميل ولكن فى اللفظ الجميل ، وتهزهم الفكرة الفذة ، ولكن إذا صيغت فى قالب مصقول، لأننا نربأ أن تصبح اللغة فوضى فى حين أن لها ضوابط وقواعد يتحتم على من يريد الإبانة فيها أن يتقنها

إننا نضن بها أن تنحدر من سمتها الرفيع إلى حضيض اللحن الوضيع .

وماذا يحل باللغة لو ترك الحبل فيها للأدباء على غاربه يصوغ كل متأدب ألفاظه على هداه ، وينظم كل شاعر أبياته على منحاه يخبط فى ألفاظه وفى قوافيه ، والألفاظ أكسية المعانى ترفل فى المنمق منها وتتيه ، وتسمج فى السخيف وتشوه .

وإن كان الأستاذ قازان يحسب أن الاستهتار باللغة من دواعى التجديد ، فقد أخطأ كل الخطأ .

إن مجال التجديد رحب ، وإنه ليستطيع أن يزاوج بين ألفاظه كما فعل البحترى من قبل ، ويأتينا ببيان مرموق فيه كل الجدة والطرافة دون أن يلجأ إلى الحوشى الغريب من الكلمات ، والبيان نفسه يستنكر استعمال اللفظ غير المأنوس .

والمزاوجة بين الألفاظ وحدها منزلة عليا من منازل البيان ومرتبة سامية من مراتبه يستطيع الأديب أن يرقى إليها إذا جشم نفسه قليلاً من التدقيق والتعمق والمران

ويستطيع الشاعر إن كان من ذوى القدرة على التوليد والابتكار ، ومن ذوى المواهب ، أن يتعدى نطاق الأوزان المعروفة ، على أن يأتينا بشعر سائغ موزون كما فعل بعض شعراء الأندلس من قبل . والشعر كالموسيقى تلزمه الأذن المرهفة ، والحس الدقيق والخيال السمح ، ومن أوتيها أوتى حظاً كبيراً ، وتمكنه من غير جهد ولا عنت أن يبهر الأدب بقصائد خالدة تبقى جدتها خالدة على الدهر

ثم ليس من التجديد فى كثير أو قليل ، ولا من رعاية حق الأدب وحرمة الأدباء فى شىء أن يطعن المعاصر أدباءنا الأقدمين وأن يقول الأستاذ قازان فى (شوقى) ومريديه مثلاً ، وقد حسب فيهم أصنام الأدب :

دعاة الأمير سلام عليكم من الخارجين على الدعوة
لقد طلع الفجر من غمده وبان اللبابُ من القشرة
ومات الأمير عليه السلام فماذا لديكم سوى الجثة ؟
عفا الله عنه عفا الله عنه فلا يستحق سوى الرحمة

فشاعر له مكانته الرفيعة فى الشعر وله أياديه البيضاء على الأدب، شاعر كان من أترابه الشعراء فى الطليعة بخياله الوثاب ، وأسلوبه الرفيع ، لا يجوز أن يقال فيه ، وهو الذى مهر التراث الأدبى بحافل من روائعه التى خلفها للأجيال من بعده تنطق عنه ، مثل هذا القول !

إننا لا نستصوب الإمارة فى الشعر ولا الملكية فى الأدب ، ولكن عدم مشايعتنا لهذا الرأى لا يمنعنا أن نثبت الحق لذويه ولا يحفزنا للطعن فيهم .

أما تحديد الشعر وكيف يجب أن نفهمه فيمرّفنا إياها الشاعر بقوله :

فلو كان معنى الحياة لمرى بخطٍّ تآلفَ فى صورةِ
وكان جمال الحسان الملاحِ بكحل العيونِ وبالزينة
وكان الشبابُ وعزمُ الشباب بحسنِ الوجوه وبالبزّة
وكنتُ وكنتم بأجسادنا لقلتُ : هو الشعرُ باللفظة
ولكنه الشعر روحٌ بنا ولكنه الشعر فى الخلجة

فما الشعر بالكأس رائقةً ... ولكنه الشعرُ فى الخمرةِ

وفى هذا بعض الحق لا الحق كله . وإننا لنسأل الشاعر : ألا يشين الجمال تستّره بالأطمار ويحطّ من قدر الغانية الرائعة الحسن ارتداؤها الرثّ الخلَق من الثياب ؟

أجل، إننا لنجاريه فى رأيه ولكن إلى حد، فليست الكأس هى التى تهزّنا وإنما الخمر التى فيها

ولكن ألا يُعرَض عن احتساء تلك الخمر إذا أديرت على الشاربين فى كؤوس لا تهفو إليها النفوس وتتأبى منها الشفاه !

إننا لنميّز الجمال حين يتشح بالأطمار ولكنه سرعان ما تصدر عن قلوبنا لدى رؤيته آهة ملؤها التحسر والتمنى ، آسفين أن تدفنه تلك الأطمار متمنين لو يُسبغ عليه كساء يلائم سناه ليبدو بما هو جدير به وأهل له ، فتنة للناظر ومتعة للخاطر

وإننا نود أن نحبس تلك الآهة ونكبت ذلك التمنى لدى مرأى الحسن، ولن نستطيع ذلك إلا إذا كان رافلاً فى حلله الزاهية القشيبة

والديباجة المشرقة لابد منها للشعر السامى ؛ والديباجة المشرقة هى التى تعوز صاحب معلقة الأرز ، وخلو القصيدة من الكبوات والهفوات هو ما يتطلبه الشعر العالى ، والهفوات وقع فيها شاعرنا كذلك

ولئن غفرنا له سناد التأسيس فى قوله :

وبت ولى مقلة الجائعين ... كأعمى يفتّش عن إبرة
فلا فى القديم ولا فى الجديد ... (مسكت؟) طريقى إلى غايتى

وسناد التأسيس من عيوب القافية . أو سناد الردف فى قوله :

فلو كان معنى الحياة لعمرى ... يخط تآلف فى صورة
وكان الشباب وعزم الشباب ... بحسن الوجوه وبالبزة

وسناد الردف من عيوب القافية أيضاً . أو الجوازات الشعرية المستهجنة كقطع همزة الوصل فى قوله :

إذا صار أمسى ويومى غدا ... فيارب اضرب على مقلتى

أو الأخطاء فى استعمال الألفاظ كقوله :

وسبحان ربى ممين العطاء ... يخصُّ النباهةَ بالنملةِ

وصوابها : يخصّ النملةَ بالنباهة

أو أخطاء اللغة كقوله :

ربيتُ طليقاً على فطرتى ... ويا ما أحيلى طفوليتى

وصوابها : طفولتى ، ومثلها ألوهيتى فى قوله :

فترتُ وثارت أمانيتى ... فضعتُ وضاعت ألوهيتى

وصوابها ألوهتى . الخ

أجل، لئن غفرنا له هذه الأخطاء وأمثالها مما قد يقع فيه كلّ متأدب ، فلن نغفر له تساهله فى استعمال الأخطاء وحشرها فى أبياته بين قوسين دلالةً على معرفته لها وتعمده استعمالها .

وتعمد استعمال الأخطاء خطيئة مضاعفة يلام عليها صاحبها أشد اللوم وأعنفه وما نحسب أنفسنا مغالين فى هذا أو مسرفين

وإنه ليعزّ علينا أن يتجنى بعض المجددين على ما يعدونه قديماً فتعمى بصائرهم لا عن جمال البيان وروعة الأداء فحسبُ ، بل عن روعة الأفكار التى يريدون حمل لوائها ؛ كما يعز علينا كذلك أن يتجنى بعض المحافظين على القائلين بالتجدد والآخذين بأسبابه .

وقول الأستاذ قاران إنه لم يعثر فى قديم الشعر على معنى طريف يستوقفه ، وإنه غاص فيه إلى أعماقه ، فلم يروِّ نفسه العطاشى :

« فكنت وبى عطش قاتلٌ ... كمن يشربُ الماءَ بالشوكة »

خطلٌ ما فى ذلك ريب بل ضلالٌ عن وجه الحق والصواب

ولقد وقع فى مثل خطأه من قام بالأمس يجرد المنفلوطى من أدبه فى إحدى المجلات الأدبية البيروتية . وصدور مثل هذه الآراء عن أدباء الجيل الطالع من الشباب تجنٍ ما بعده تجنٍ ، ولا يقل عن هذا بعداً عن الحق قول الدكتور عمر فروخ فى « جبران خليل جبران » فى العدد ٣٣ من مجلة (الآمالى) البيروتية الصادر فى ١٤ نيسان فى مقال «الخالدون فى الأدب» حيث قال فيه بعد أن عدد مزايا الأدب وعناصر أدبه :

« هذه هى العناصر الأولية التى لا يجوز لنا أن نطلق لفظة أديب على رجل إلا بها وجبران مجرد منها جميعاً »

وقوله فى المقال نفسه : « للأدب كما قدمنا مقاييس مشهورة لا يتمتع جبران بواحدة منها »

فنفى الأدب عن أديب كبير كجبران كنفيه عن أديب كبير كالمنفلوطى . وإن ما فيه من التجنى والظلم، إن وقع فيه الأدباء الناشئون فلا يصح أن يقع فيه أديب كالدكتور عمر فروخ له من ثقافته العالية وذوقه الأدبى الممتاز ما يعصمه عن مثل هذا الشطط

ومعلقة الأرز ما عدا ذلك فيها شاعرية وثابة يحق لنا أن نستبشر منها بالخير فإنّ من يقول:

إذا الشعر سُخِّر فى أمة ... فصلِّ وترحّم على الأمّة

ومن يقول :

« فلا لغني الليل في برده   إذا لم أمزق به بردتي
ولا طلعَ الفجرُ يوماً عليّ   إذا لم يلدني مع الطلعة »

ومن يستشهد بقول النبي :

« إن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء »

لشاعرٌ لن يكبّل نفسه بأوضاع المناسبات ، ولن يسخر ضميره لما لا يشعر به ولا يحس ؛ شاعر طموح نأمل أن يأتينا بالعذب المبتكر من الشعر النابض الحي ، وأن يفتتح بخياله الوثاب بعض الكنوز المغلقة تحت عرش السماء .

ومعلقة الأرز تزخر بعد هذا بالحنين ، حنين المغترب إلى وطنه الحبيب ، وله في ذلك أبيات رقيقة صادرة عن نفس صهرتها الأشواق ، آثر فيها بلاده وأمته على بلاد العلم وأممه جميعاً .

أقول بقاع الدنى حلوة   وأحلى بقاع الدنى بقعتي
فلا ، لا أريد سوى موطني   ولا ، لا أحب سوى أمتي

وقوله في « أنشودة الغريب » وفيها رقة وعاطفة ، يخاطب لبنان :

رويت من (دمي ؟!)   غذيت من لحمي
يا حاضناً أمي   يا ثرى لبنان

***

هل يرجع الغريب   للوطن الحبيب
ويهتف القلوب   مرحباً لبنان

***

الأرز والوادي   يا مهد أجدادي
يا أرض ميعادي   يا ثرى لبنان

***

ثم لا أرى بداً قبل أن أختم مقالي من أن أقول إن لشعر قازان ميزة أخرى هي الصدق في التعبير عن خلجات نفسه تعبيراً لا مداورة فيه ولا رياء وذلك عائد إلى ما يتراءى لنا من حبه الحق ولو كان عليه ولثقته بنفسه ثقة كبيرة ، ومن ثم جاء شعره خالياً من كل بهرج وكل طلاء ، وتجلت فيه مزايا النفس الجريئة الأبية كقوله عن نفسه :

وليس التملق من شيمتي   وليس التأنق من نزعتي
فإني ترعرعت بين الجبال   على البأس والفقر والشدة
ومن عاش مثلي على جرأة   فلا يستلذ سوى الجرأة
فإما نطقت نطقت بحق   وإما سكت فمن عفة

وما نخاله فيما قاله عن نفسه إلا صادقاً ، والصدق على ما نعتقد من أجل ميزات الأديب ؛ وصاحب معلقة الأرز عنده من المزايا الأدبية ما يفسح له في دولة الشعر مجالا رحباً يمشي فيه إلى غايته المثلى ، ولا يعوزه إلا صقل ديباجته وتهذيب بيانه ، وليس ذلك على مثله بعزيز . فإن له من ملكته الفنية خير مسعف ومن خياله الوثاب خير معوان

فليوطن النفس على إجادة مبانيه لتوافق معانيه إن كان يريد أن يتبوأ المنزلة الرفيعة التي تصبو إليها النفس الطموح

(بيروت)   جورج سلستي

7me Année No. 319

Lundi - 14 - 8 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

مطامع الأغنيـــــاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

مطامع الأغنياء ... ؟

لعلك تقصد مطامع الفقراء

كلا . بل مطامع الأغنياء أقصد لأنهم ، أو لأن أكثرهم ، فى حاجة إلى مطاعم يتعلمون فيها كيف يأكلون ، كاحتياج الفقراء إلى مطاعم يجدون فيها ما يأكلون

فمن البداهة فى رأيى أن الفقير يجب أن يأكل ، وأن أحداً من الناس فى هذه الدنيا لا يعجز عن عمل يساوى بضعة أرغفة وقليلاً من الأدم فى كل نهار . فإن عجز فذلك وزر الأمة بحذافيرها وليس بوزره الذى يجزى عليه بالجوع والموت ، وعلى الأمة إذن أن تكفل له قوته بعمل تتولى تدبيره له ولأمثاله ، أو بمطاعم تكفيه مؤنة الغذاء فى انتظار العمل والصناعة

ذلك شأن الفقير المحروم ، فما بال الغنى الميسر الأرزاق تدبر له المطاعم ليأكل فيها وعنده المطبخ وعنده الطاهى وعنده المآكل والمشارب ؟

* * *

فى مصر أزمة طعام سفلية وعلوية فى وقت واحد : فأما السفلية فتلك أزمة الفقير ، وأما العلوية فتلك أزمة الغنى الذى يجد الطعام ولكنه لا يجد الغذاء

إذا قيل فى مصر: «فلان يعرف يأكل» فذلك على الأرجح الأعم رجل يجهل صناعة الأكل ولا يزال على خطر مما يأكل . لأن تعريف الطعام النافع عنده أنه هو الطعام اللذيذ أو الطعام الذى يثقل على الجوف ، ويملأ الأحشاء

وقد يكون الطعام لذيذاً وهو ضار ، وثقيلاً على المعدة وهو خفيف الوزن فيما يؤول إلى صحة الجسم وانتظام الأعضاء

وقد يحسب أنه يعوض جسمه مما فقد فإذا هو يضيف إليه خسارة على خسارة ، وجهداً على جهد ، ثم كلالاً على كلال ، وفتوراً فوق فتور

سمعت أن « محدثاً » تزوج ، ثم سمعت بعد أشهر قليلة أنه أصيب بداء السكر ، ثم سمعت حكايته فعلمت أنه قد أصيب بالداء من حيث طلب السلامة ، وأنه لولا طلبه السلامة من حيث طلبها لكان أقرب إلى العافية وأبعد من الداء

ظن صاحبنا أن الزواج — أو الزواج الحديث على الأقل — عمل دائم لا يتخلله انقطاع ، فمن لم يكن متزوجاً فى الصبح وفى الظهر وفى الأصيل وفى المساء فهو أعزب أو نصف أعزب على أقل تقدير . وكيف يستطيع الإنسان أن يجمع بين الزواج وعدم الزواج فى آن ؟ هما نقيضان لا يجتمعان ؛ وقد يكون فى الجمع بينهما بعض معنى الطلاق إبان شهر العسل والعياذ بالله

فتزوج وتزوج وتزوج ، ولم ينس واجب الحيطة والوقاية لأنه رجل حازم بصير وقاك الله شر الحزم والبصر من هذا القبيل

فمع الزواج الدائم شرب دائم من السمن والعسل على الريق وبين الطعام والطعام ، وكلما وجد السمن والعسل وهما موجودان.

وهل غذاء أوفر من السمن والعسل ؟ وهل أنفع منهما للبدن وأرد منهما للعافية وأطيب منهما حلالاً معيناً على حلال ؟

هكذا قدر صاحبنا فجاءه الضرر من حيث قدر ، لأن عناء الكبد فى هضم كوب من السمن والعسل أشق عليه من عناء الزواج الدائم ، فلم يكن عوضاً ما تعوض به واستعانه على حلاله ، بل كان كما أسلفت كلالاً على كلال ، وفتوراً فوق فتور

وآخرون يبارى بعضهم بعضاً فى « كلفة » المائدة و « تسبيك » القدور واصطناع « الجيد » من الأصناف : عندهم الخفة على المعدة رديف التفاهة ، والثقل على المعدة رديف المتعة والنزارة .

ولكل منهم صنف يشتهر به ويولم عليه ؛ وهم بينهم متبادلون متعارضون ، متسابقون فى الكرم متساجلون ، حتى لا تحرم المعدات نصيبها من الكظة والنصب يوماً أو بعض يوم ، ولا يتخلف واحد منهم فى مضمار السباق : السباق إلى القبور

أفى البلد أمثال هؤلاء لا يزالون مع الأحياء ، وتستغرب عنوانى : مطاعم الأغنياء ؟

ما أعجبه مطعما يساق إليه أصحاب الضياع والكراع شهراً من كل سنة يتعلمون فيه « الأكل » وينفقون عليه من أموالهم مكرهين !

وما أعجبه ديواناً من دواوين الحكومة يهجم على المطابخ الفاخرة كما يهجم على المحظورات والمهربات ، ويصادر السم كما يصادر السم ! ! وهو السم بعينه وليس السم فى الدسم كما قال صاحب البردة رحمه الله

* * *

على أن الآفة الكبرى أن يحرم المرء الغذاء لأنه لا يجده ولأنه لا يعرفه كما هو شأن الكثرة العظمى عندنا من سواد الفقراء

فأكثر فقرائنا لا يفرقون بين التغذية وبين إسكات الجوع ، وكأنما ينظرون إلى المعدة الصارخة نظرتهم إلى الكلب النابح الذى لا يراد منه إلا السكوت ... فإن أسكتوه بعظمة فذلك حسن ، وإن أسكتوه بحجر فذلك أحسن ، ولا ضير عليهم بعد أن يسكت ويكف عن النباح

ألبطن عيار أم خيار ؟

ذلك جوابهم كلما « شبعوا » من طعام غث كثيف لا خير فيه ، وكأنهم يحسبون من الصَّغار والمجانة أن يحفلوا بالمعدة الصارخة إذا استطاعوا أن يضحكوا منها بالقليل ، فليس العجز عن خداعها والاحتيال عليها بالأمر الذى يليق بدهاء الرجال

وربما رأيت هؤلاء المسكتين للمعدات بين أناس يعلمون الناس ، ولا يعدون فى مصلحة الإحصاء من زمرة الجهلاء

كان لنا ولصديقنا صاحب الرسالة أيضاً زميل فى التدريس يقبض ثمانية جنيهات فى الشهر ، ويشترى نصف فدان فى العام ، ويضمى عليه مرة أو مرتين فى الأسبوع

وعرضه ناظر المدرسة على طبيبها فأسر هذا إليه أن الرجل

صحيح كأصح ما يكون الجسد السليم ، وأن آفته كلها قلة الغذاء قلة الغذاء ؟ كيف يكون هذا وهو يأكل ويشبع ولا يجوع ؟

وأصر الرجل على طعامه ، وخاف النــاظر على تلاميذه أن يفوتهم من الحصص بمقدار ما يعترى الأستاذ من نوبات الإغماء . . فأذن له ، بل أمره أن يأكل من طعام الغداء بغير ثمن ، وفيه على الأقل ضمان وجبة تامة فى النهار ..!

* * *

كان القديس أوغسطين يقول إذا تكلم عن جسده : أخى الحمار . لأنه فى حكمه حيوان كسائر فصائل الحيوان

أما الجسد عند هؤلاء الذين يطعمونه وهم يسقمونه ، ويَسْمُونه وهم يحسبون أنهم يسمنونه ، وينفقون المال ولا يعرفون كيف يأكلون ، ويشبعون وخير لهم لو يجوعون ، فهو الأحق بأن يقول وهو يتكلم عن صاحبه : أخى الحمار ... فهما فى الواقع حماران اثنان فى جسم إنسان

ولمثل هؤلاء تشرع مطاعم الجهلاء، من الفقراء والأغنياء !

عباس محمود العقاد

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقـــافة العامة
وتعليم اللاتينية واليونانية
للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

عند ما نبحث عن الأسباب التى تدعو إلى استمرار بعض البلاد الغربية على فرض تعليم اللاتينية ولو فى بعض الفروع من الدراسة الثانوية ، يجب علينا ألا نسهو عن تذكر هذا العهد الذى كانت تسيطر فيه اللاتينية على حياة العلم والتعليم فى جميع مرافقها سيطرة تامة ...

كان من الطبيعى ألا تستمر هــذه السيطرة المطلقة على طول الزمن ، كما كان من الطبيعى أيضاً ألا تزول هذه السيطرة المطلقة دون أن تترك أثراً عميقاً ...

كان من الطبيعى أن ترتفع أصوات الاعتراض والاحتجاج على هذه السيطرة ، مع بزوغ عصر النهضة ؛ وكان من الطبيعى أن تقوى الأصوات المطالبة بتخفيف وطأة هذا « النير اللاتينى » — حسب تعبير « لا برويير » الشهير — ؛ وكان من الطبيعى أن تصل هــذه الأصوات — أخيراً — إلى درجة الدعوة إلى الثورة ضد اللاتينية للتخلص من سلطتها المطلقة ...

إن الخروج على سلطة اللغة اللاتينية بدأ أولاً على شكل « انقلاب دينى » عند ما طالب لوثير بترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية ، ودعا إلى إقامة الصلوات باللغات التى يتكلم بها الناس .

ثم جاء دور الانقلابات الأدبية، فخرجت الآداب — فى الممالك الأوربية المختلفة — على سلطة اللغة اللاتينية المطلقة عندما تهذبت وتقدمت اللغات العاميــة ، وأنتجت من الآثار الهامة ما رفعها إلى مصاف اللغات الأدبية

وأخيراً جاء دور تخلص «العلم والتعليم» من سيطرة اللاتينية، فأخذت هــذه اللغة تفقد سلطتها المطلقة فى هذا الميدان أيضاً شيئاً فشيئاً .

إن الانقلاب الأخير لم يتمّ إلاّ بتدرج غريب، وبطء عظيم؛ فمثلاً اللغة الفرنسية لم تتمكن من دخول المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة تتلخص فيما يلى : أولاً إفساح المجال للتكلم بها فى أوقات الفرص . ثانياً : تسويغ استعمالها لتفهيم العقائد الدينية للصغار . ثالثاً : تخصيص ساعات لتعليمها كدرس خاص . رابعاً : تحميلها مهمة تعليم بعض الموضوعات الدراسية . وأخيراً زيادة هذه الموضوعات بصورة تدريجية .

كما أن «التاريخ» أيضاً لم يدخل المدارس إلا مجتازاً مراحل عديدة: أولاً على شكل «التاريخ المقدس» مرتبطاً بدروس الدين. ثانياً على شكل « تاريخ اليونان » و « تاريخ الرومان » مرتبطاً بدروس اللاتينية واليونانية .

إننى لا أرى داعياً لاستعراض جميع التطورات التى طرأت على المناهج الأساسية فى المدارس المذكورة ، حتى أواسط القرن التاسع عشر . غير أننى أود أن ألخصها بكلمة مختصرة ، وهى : إفساح المجال للعلوم المختلفة شيئاً فشيئاً، بجانب اللاتينية واليونانية، دون إخراج هاتين اللغتين من نطاق الدروس الإجبارية .

كان بعض المفكرين والمربين يدعون إلى إحداث انقلاب أساسى فى مناهج التعليم من حين إلى حين . كانوا يظهرون ارتيابهم فى فوائد تعليم اللغات القديمة ، حتى أنهم كانوا يصلون بانتقاداتهم هذه إلى درجة القول بضررها ؛ غير أن هذه الآراء قلما كانت تجد آذاناً صاغية ، فلم تستطع أن توجد تيارات فكرية قوية تؤثر على الحالة الراهنة

مع هذا اشتدت الحملات على اللاتينية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وأخذت الانتقادات تتغلغل فى محافل المفكرين ، من جراء انتشار روح الثورة واشتداد نزعة الإصلاح والتجديد من جهة ، ومن جراء تقدم العلوم وتعقد الحياة الاجتماعية من جهة أخرى

فازداد تساؤل المفكرين والمربين يوماً عن يوم : هل من ضرورة تدعو إلى الاستمرار على تعليم اللغات القديمة فى المدارس الثانوية ؟ ألم يكن هذا التعليم من آثار النظم البالية التى توارثتها المدارس المذكورة من عهد القرون الوسطى ؟ ما الفائدة من تعليم هذه اللغات بعد أن لم يبق على وجه الأرض من يتكلم بها ؟ وإذا قيل إنها لا تخلو من فوائد ، فهل تعادل هذه الفوائد الجهود العظيمة والأوقات الثمينة التى تصرف وتبذل فى هذا السبيل ؟ ألا يمكن الوصول إلى الفوائد المذكورة من طرق أخرى بوسائط أقل عقماً من تعليم اللغات الميتة ؟

إن هذه الأسئلة فتحت ميداناً فسيحاً للأبحاث والمناقشات التربوية . وهذه الأبحاث والمناقشات ، تناولت مسألة « التعليم الثانوى » من وجوهها العديدة ، حتى أنها أثارت مسألة « التدريس التثقيفى » من أسسها العميقة . . .

***

انشطر المفكرون والمربون حيال مسألة اللغتين اللاتينية واليونانية إلى معسكرين متخاصمين : معسكر الذين يقولون بوجوب المحافظة على هاتين اللغتين القديمتين فى المدارس الثانوية ، ومعسكر الذين يعتقدون بوجوب تخليص المدارس المذكورة منهما

بدأت المناقشات بين المعارضين والدافعين منذ قرن تقريباً ؛ وهى تشتد أحياناً وتفتر أحياناً ؛ وتضطر الحكومات إلى اتخاذ قرارات عملية جديدة ، تحت ضغط هذه المناقشات ، من حين إلى حين

إن النزاع حول هذه المسألة صار أشد عنفاً وأعمق أثراً فى فرنسا مما كان فى البلاد الأخرى ... ولهذا السبب ، أرى من الموافق أن نلقى نظرة عامة على الآراء التى استند إليها المعارضون والدافعون ، فى المملكة المذكورة بوجه خاص :

يقول أنصار اللغات القديمة : إن فى تعليم هذه اللغات فوائد عظيمة – مباشرة وغير مباشرة ، قريبة وبعيدة ، عملية ونظرية ، تعليمية وتثقيفية – لا تضاهيها الفوائد التى يمكن الحصول عليها من تعليم أية لغة من اللغات الحية ، وأى فرع من فروع الدراسة الأخرى ...

وأما أنواع هذه الفوائد ، فتتلخص فى الأمور التالية :

(ا) إن اللاتينية أم اللغة الفرنسية ومصدر مفرداتها ؛ فإتقان اللغة الفرنسية إتقاناً يضمن الأخذ بناصيتها ، لا يمكن أن يتم بدون معرفة اللغة اللاتينية ...

(ب) إن الآداب الفرنسية تأثرت بالآداب اللاتينية واليونانية تأثراً كبيراً . فمعرفة الآداب الفرنسية معرفة عميقة يتوقف على درس الآداب اللاتينية واليونانية دراسة كافية

(ج) إن خزائن الأدب اللاتينى واليونانى مملوءة بالآثار الخالدة التى تصور أسمى نزعات الإنسان بأجمل الأساليب ؛ فالاطلاع على هذه الآثار الخالدة من الأمور الضرورية لتكوين الثقافة السامية

(د) إن الحقوق الفرنسية مؤسسة على الحقوق الرومانية ، والتعمق فى هذه الحقوق يتطلب معرفة مصادرها ، وفهم هذه المصادر يتوقف على معرفة اللاتينية

(ه) لقد أصبحت اللاتينية واليونانية مصدر الاصطلاحات العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بالتاريخ الطبيعى والطب والكيمياء وأنواع المخترعات الحديثة ، ومعرفة معانى هذه الاصطلاحات العلمية – وصوغ أمثالها عند الحاجة – مما يتطلب معرفة هاتين اللغتين

(و) إن تعليم اليونانية واللاتينية من أحسن وأنجع الوسائل التثقيفية ؛ فإن هذا التعليم يلعب دوراً هاماً فى تكوين العقل وتقويه وتعويده على التفكير الصحيح المستقيم

ولا يوجد موضوع دراسي يضاهي هذا التعليم من وجهة هذا العمل التثقيفي . ولذلك يجب أن نعتبر تعليم اللاتينية واليونانية بمثابة حجر الزاوية في صرح التثقيف

إن جميع العظماء الذين نعرفهم ونفتخر بهم — من أساطين الأدب إلى جهابذة الفقه والعلم — قد تثقفوا بهذه الثقافة واستفادوا منها فلا يجوز لنا أن نهملها . . . ويجب أن نعلم حق العلم أن إهمال هذه الثقافة التي أثبتت جدارتها بالثمرات الثمينة التي آتتها للأمة الفرنسية يكون بمثابة تمريض مستقبل هذه الأمة إلى خطر عظيم ، خطر انحطاط الثقافة العامة التي تفتخر بها : وخطر اندراس جيل أعاظم الأدباء والعلماء الذين نعجب بهم

هكذا كان يقول أنصار اللاتينية واليونانية

وأما معارضو هؤلاء فيقولون : إن اللاتينية واليونانية من اللغات الميتة التي ترجع إلى العهود البائدة ؛ وإن الحضارات والثقافات التي تتمثل في هاتين اللغتين أصبحت مدفونة في أغوار التاريخ ولو كانت سامية وباهرة إبان حياتها . فليس من المعقول أن نصرف — في هذا العصر الذي نعيش فيه — كل هذه الأوقات ، ونستنفد كل هذه الجهود في سبيل تعلم وتعليم مثل هذه اللغات البائدة ...

وأما الفوائد الآنفة الذكر فيفندها المعارضون واحدة فواحدة كما يلي :

(ا) لا شك في أن اللاتينية هي أم الفرنسية ومصدرها الأصلي ؛ غير أن ذلك لا يدل على أن إتقان الفرنسية يتطلب معرفة اللاتينية . فالفرنسية اليوم ، أصبحت لغة مستقلة عن اللاتينية استقلالاً تاماً ؛ فيجب أن تدرس درساً مباشراً ، حسب معانيها وقواعدها وأساليبها الخاصة بها ، بقطع النظر عن مصادرها الأصلية وتطوراتها التاريخية . وأما درس تلك المصادر ، وتتبع تلك التطورات ، فما يجب أن يختص به العلماء الذين يودون أن يتبحروا في فقه اللغة ويتعمقوا في تاريخها ؛ ولم يكن من الأمور التي يجب أن تعتبر من أسس دراسة الفرنسية دراسة عامة ، حتى ولا من أسس دراستها دراسة أدبية .

(ب) إن الأدب الفرنسي أدب قائم بنفسه، وإن كان قد نشأ في أحضان الأدب اللاتيني وتأثر بالأدب اليوناني . إنه اتخذ أسلوباً خاصاً ، فاكتسب كياناً مستقلاً . فدرس هذا الأدب وإتقانه لا يتطلبان الرجوع إلى منابعه بوجه من الوجوه .

ومن أوضح البراهين على ذلك هذه الحقائق الواقعة : « إننا نعرف عدداً لا يحصى من المستنيرين الذين درسوا اللاتينية واليونانية ، ومع هذا لم يصبحوا من الكتاب المجيدين في الفرنسية . ومقابل ذلك نعرف عدداً غير قليل من الأدباء الذين أحرزوا مكانة عظمى في تاريخ الأدب الفرنسي ، مع أنهم لم يتعلموا اللاتينية ، ولم يتثقفوا بآدابها ... »

(إن لاروشفوكو، وووفرنياك، وآلكساندر دوماس، وجورج سان ... من جملة الأدباء الذين يذكرون في هذا الصدد ...)

(ج) إن الآثار الخالدة المكتوبة باليونانية واللاتينية قد ترجمها إلى الفرنسية كبار الأقلام، فيمكن الاطلاع عليها من تلك الترجمات الجيدة ، دون إضاعة الأوقات والجهود ، في تعلم اللغات التي كتبت بها

هذا . ومما يجب ألا يعزب عن البال أن معرفة اللاتينية واليونانية التي يمكن الحصول عليها خلال الحياة المدرسية لا تستطيع أن ترفع الطالب إلى درجة تمكنه من تذوق مضامين تلك الآثار الفكرية والأدبية ومزاياها — في لغاتها الأصلية — ولذلك نستطيع أن نقول : إن درس الآثار المذكورة في ترجماتها الجيدة أكثر ضماناً لتذوق مزاياها تذوقاً حقيقياً ...

وزد على ذلك أن اللغات الحية الراقية أيضاً أوجدت آثاراً خالدة لا تقل أهمية وسحراً عن الآثار التي يشير إليها دعاة اللاتينية واليونانية ، إن لم نقل بأنها تفوقها في هذا المضمار ، على الأقل من وجهة قربها إلى حياتنا العصرية ... فلا يحسن بالثقافة الإنسانية العالية أن تبقى تحت سلطان اللاتينية واليونانية القديمة ؛ بل الأجدر بها أن تستفيد من الآثار الخالدة التي أنتجتها اللغات الحية في العصور الحديثة ...

إن تعلم اللغات الحية — عوضاً عن اللاتينية الميتة واليونانية القديمة — يأتي بفوائد عظيمة ، من هذه الوجهة أيضاً

(د) لا ينكر أن الحقوق الفرنسية مستمدة من الحقوق الرومانية ، والحقوق الرومانية مدونة باللغة اللاتينية . غير أن النصوص اللاتينية المتعلقة بالحقوق والقوانين — قد ترجمت

بأجمعها إلى اللغة الفرنسية على يد أقدر العلماء والمتخصصين . فأصبح فى استطاعة كل فرنسى أن يدرس الحقوق الرومانية دون أن يتعلم اللاتينية

هذا ، ويجب ألا يعزب عن البال أن الحقوق والقوانين المصرية لم تبق تحت سيطرة الحقوق الرومانية ، وإن كانت قد استمدت — فيما مضى — أصولها منها . فأهمية الحقوق الرومانية فى الثقافة الحقوقية آخذة فى التضاؤل يوماً عن يوم ، وسائرة نحو مطاوى التاريخ بخطوات سريعة

ولهذا كله لا مجال لتبرير تعليم اللاتينية — بصورة منطقية — بحجة ضرورة ذلك لفهم الحقوق الرومانية

(ﻫ) وأما مسألة الاصطلاحات العلمية الحديثة فإنها ليست من الأهمية بدرجة تستلزم صرف الجهود الشاقة لتعلم اللاتينية واليونانية، فإن مصادر هذه الاصطلاحات وأساليبها محدودة، فليس من الصعب تعليمها مباشرة — مع ذكر وجوه اشتقاقها — دون التعمق فى أغوار اللغتين القديمتين المذكورتين

فضلاً عن أن المعانى الاصطلاحية قلما تنطبق على المعانى اللغوية؛ فمعرفة المعانى الأصلية قلما تساعد على فهم المعانى الاصطلاحية. ويمكننا أن نقول: إن عدم ضرورة التقيد بالمعانى الأصلية فى الكلمات والتعبيرات المستخرجة من اللغات الميتة ، كان من أهم العوامل التى سهلت وضع هذه الاصطلاحات الحديثة ، ونشرها بين جميع الأمم العصرية (وذلك بجانب العامل الآخر، وهو ملاءمة عواطف الأمم التى لا تقبل عادة الاصطلاحات التى تستمد عناصرها من لغات الأمم المعاصرة لها). ولا نغالى إذا قلنا: إن هذه الاصطلاحات إنما أدخلت على اليونانية واللاتينية إدخالاً ، فلو أنها عرضت على أبناء اللاتينية أو آباء اليونانية فى حياتهم، لما فهموا منها شيئاً، أو فهموا منها أشياء أخرى

وعلى كل حال نستطيع أن نقول : إن معرفة المعانى الأصلية ليست ضرورية لفهم المعانى الاصطلاحية ، كما أنها ليست مفيدة لها فى أكثر الأحيان

فمحاولة تبرير تعليم اللاتينية واليونانية بحجة ضرورة هاتين اللغتين لفهم الاصطلاحات العلمية الحديثة ، مما لا يتفق مع العقل والمنطق بوجه من الوجوه

(يتبع) أبو خلدون

جناية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

— ١٠ —

سنواجه الأدب الأندلسى فى مقال اليوم ، وهو الأدب الذى اتهمه الأستاذ أحمد أمين بالعجز عن تذوّق الطبيعة ، والإحساس بالوجود .

ولكن لا بدّ من من كلمة قصيرة نبين بها بعض الخصائص التى امتاز بها الأدب العربى ليعرف أحمد أمين ومن لفّ لفّه من المتحذلقين كيف تفرّد ذلك الأدب بالصبغة العالمية بين سائر الآداب .

أسيرُ الآداب فى العصر الحاضر هو الأدب الفرنسى والأدب الإنجليزى والأدب الألمانى ، ولكن هذه الآداب على عظمتها لا تزال محصورة فى العبقرية المحلية . ومعنى ذلك أن أقطاب الأدب الإنجليزى إنجليز ، وأقطاب الأدب الفرنسى فرنسيس ، وأقطاب الأدب الألمانى ألمان .

والأدب الإنجليزى حين ازدهر فى أمريكا لم يكن أقطابه هناك من السكان القدماء لبلاد الأمريكان ، وإنما كان أقطابه من السلالات الإنجليزية التى احتلت تلك البلاد .

والفرنسيون لا يعترفون لأهل سويسرا وبلجيكا بالتفوق فى الأدب الفرنسى ، ويقولون إن أدبهم لا هو لحمٌ ولا هو سمك ، على حد تعبيرهم الطريف Ni chair, ni poisson مع استثناء أفراد قلائل رفعتهم العبقرية إلى التفوق فى لغة هوجو وميسيه ولامرتين .

أما الأدب العربى فكان حظه من أغرب الحظوظ ، لأنه تغلغل فى كثير من البيئات الشرقية والغربية ، وانتفع بعبقريات كثيرة فى مختلف الأمم والشعوب ، فكان فيه أقطاب بين ناس لم تكن لهم قبل الإسلام صلة بعهد اللغة العربية من ناحية الجنس أو الدين .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأدب العربى هو الأدب المخضرم الذى انتفع بالأجواء المختلفة من طبائع البلاد وسرائر الرجال .

وقد ظهرت عبقريته فى لونين من ألوان التعبير : هما العلوم الشرعية والفنون الأدبية ، وما يمكن لباحث منصف أن ينكر أن الفقه الإسلامى صورة من صور التعبير الدقيق ، وهو من صميم الأدب عند من يعرفون أن شرح الشرائع فرع من الفروع الأدبية ، وهو يمثل الشعور بما فى المجتمع من معضلات ومشكلات خلقتها ظروف المعاش .

وذلك الفقه لم تختص به أرض دون أرض ، فكان من أهل الهند وأهل فارس وأهل مصر وأهل المغرب والأندلس رجال تفوقوا فى الدراسات الفقهية أشد التفوق ، وأمدوا الأدب بصور كثيرة تمثل الاتجاهات الذوقية والمعاشية .

وما يقال فى الفقه يقال فى التوحيد والتفسير والحديث، فهناك ألوف من المصنفات الجيدة التى وعت ضروباً من الحقائق الأدبية والفلسفية لا يستهين بها رجل حصيف

ولو توجهت همم الباحثين إلى شرح ما فى تلك المصنفات من مقاصد وأغراض لأتوا بالعجب العجاب . وقد نبهنى إلى ذلك المسيو مرسيه يوم كنت مشغولاً بشرح الرسالة العذراء، فاستطعت أن أجد شواهد أدبية من كتب الفقه عند المالكية . وكذلك استطعت بإرشاد المسيو ماسينيون استخراج بعض المعانى الصوفية من المؤلفات الفقهية

حيا الله أساتذتى فى باريس ، فبفضلهم عرفت من مذاهب البحث ما لم أعرف

* * *

وإنما مهدتُ لمقال اليوم بهذه الكلمات ليعرف الأستاذ أحمد أمين كيف أخطأ حين توهم أن الأدب مقصور على قصائد الشعراء، فما كان الشعر إلا صورة من صور التعبير ، وهو لتقييده بالقوافى والأوزان لا يستطيع التعبير عن جميع الأغراض

وأنا مع ذلك سأقف عند الأدب الصِّرف الذى يمثله الشعر والنثر الفنى وأنا أتحدث عن الأندلس

فهل من الحق أن الأندلسيين لم يحسّوا الطبيعة ولم يتذوقوها كما قال أحمد أمين ؟

إن المعروف عند جميع أدباء اللغة العربية أن الأندلسيين تفوقوا فى وصف الطبيعة، فكيف تفرّد أحمد أمين بنكران ذلك؟

أيكون أحمد أمين أعلم الناس بالأدب ولا نعرف ؟ ذلك والله غاية العجب !

أيكون من طبع كلية الآداب أن تروض مدرسيها على اصطناع الحذلقة والإغراب ؟

أغلب الظن أن أحمد أمين سمع أنه لم يأت بجديد منذ اتصل بكلية الآداب ، والجديد عنده هو الخروج على ما اتفق عليه جمهور أهل الأدب فى ميدان الحقائق الأدبية ، فمضى يتكلف ويتعسف ليأتى بجديد يجمله فى الطليعة بين أساتذة كلية الآداب ، فكان ذلك الجديد هو التجنى على ماضى الأدب العربى حين زعم أنه فى أكثر أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وأنه لا ينقد الحياة كما تصنع الآداب الافرنجية ، وأنه لم يصف الطبيعة ولم يتحدث عن المجتمع

وقد فندنا هذه المزاعم فيما يخص مصر والشام والعراق

وندفع اليوم ما وجّهه أحمد أمين إلى الأدب الأندلسى وهو يرى أهله قصروا أبشع التقصير فى تذوق الطبيعة وفى الإحساس بما تعرضوا له من الأحداث الاجتماعية

ويجب أن يكون مفهوماً قبل الشروع فى التفاصيل أن الأدب الأندلسى تعرض للضياع منذ أجيال ، فلو قلنا إن ذلك الأدب ضاع منه أكثر من تسعة أعشاره لما بعدنا عن الصواب ، فقد عانى ذلك الأدب فتنة حمقاء هى ثورة الأسبان على مخلفات العرب فى الأندلس وإصرارهم على تبديد ما ترك العرب والمسلمون من روائع الآداب والفنون

وكان ما صنع الأسبان بآثار العرب فى المغرب صورة مما صنع التتار بآثار العرب فى المشرق ، فكان حظ قرطبة صورة ثانية من حظ بغداد

تبدد من آثار العرب فى الأندلس ما تبدد ، وضاع منه ما ضاع ، ومع ذلك بقيت آثاره تشهد بأن العرب فى الأندلس أحسوا الطبيعة والوجود إحساساً قليل النظائر والأمثال

وهل يدرك أحمد أمين قيمة الإحساس بالطبيعة فى قول المعتمد بن عباد :

وليل بسد النهر أنساً قطعته ... بذات سوار مثل منعطف النهر
نضتْ بُردها عن غصن بان منعم ... فيا حُسن ما انشقّ الكمام عن الزهر

أيقال إن هذا لعب بالتشبيهات ، كما يتوهم أحمد أمين ؟

وما رأيه فى قول عمرو بن فرج وهو يتحدث عن شرف العفاف :

وطائعة الوصال عففت عنها ... وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت ... دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها ... إلى فتن القلوب لها دواعى
فملكت النهى جمَّاب شوقى ... لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السَّقب يظما ... فيمنعه الكعام من الرضاع (١)
كذاك الروض ما فيه لمثلى ... سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات ... فأتخذ الرياض من المراعى

أينكر أن هذا الشاعر أحس الطبيعة أدق إحساس ؟

وهل يستطيع أن يؤدى هذه الصورة بأفضل من هذا الأداء ؟

وما رأيه فى قول محمد بن سفر :

وواعدتُها والشمس تجنح للنوى ... بزورتها شمساً وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشى سنا الصبح فى الدجى ... وطوراً كما مرَّ النسيم على النهر
فعطَّرت الآفاق حولى فأشعرت ... بمقدمها والعَرف يُشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها ... كما يتقصَّى قارئ أحرف السطر
فبتُّ بها والليل قد نام والهوى ... تنبَّه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طوراً وألثم تارةً ... إلى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضَّت عقوداً للتعانق بيننا ... فيا ليلة القدر اتركى ساعة النفر

ألا يرى كيف كانت الطبيعة بأشجارها وأزهارها وأنهارها وأقمارها تداعب خيال الشاعر وهو ينظم هذا القصيد ؟

أيدرك قيمة الإحساس بالطبيعة فى هذا البيت :

فجاءت كما يمشى سنا الصبح فى الدجى ... وطوراً كما مرَّ النسيم على النهر

قد يقول إن هذا لعب بالتشبيهات !

إن قال ذلك فسيأتى يوم قريب نبين فيه قيمة التشبيهات وما فيها من الدلالة على الأنس بمعانى الوجود

وما رأيه فى قول أحد الأندلسيين :

أديراها على الروض الندّى ... وحُكم الصبح فى الظلماء ماضى
وكأس الراح تنظر عن حَباب ... ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الأفق لكن ... نُقلن من السماء إلى الرياض

أيحسب هذه الأبيات من الكلام المزخرف الذى لا يدل على شىء ؟

اتق الله فى نفسك يا صديقى أحمد أمين ، فأنت لا تجنى على الأدب ، وإنما تجنى على نفسك حين تنسب إليها الغفلة عن أقدار هذه المعانى

وما رأيه فى قول الرصافى الأندلسى فى وصف حائك جميل :

قالوا وقد أكثروا فى حبه عَذَلى ... لو لم تهم بمُذال القدر مبتذَل !
فقلت : لو كان أمرى فى الصبابة لى ... لاخترتُ ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقتُه حَبَبىَّ الثغر عاطرهُ ... حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
غُزَيِّلٌ لم تزل فى الغزل جائلةً ... بنانُه جولان الفكر فى الغزل
جذلان تلعب بالحواك أنمله ... على السدى لعب الأيام بالأجل
ضمًّا بكفيه أو فحصاً بأخمصه ... تخبُّط الظبى فى أشراك محتبل

ألا تدل هذه القطعة على أن الشاعر قوى الاحساس بالوجود ؟

وهل فكر أحمد أمين أن الأندلسيين لهم أمثال هذه المعانى ؟

وهل عرف أن منهم من قال فى وصف راقص مليح :

ومُنزَّع الحركات يلعب بالنُّهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأوِّداً كالغصن وسْط رياضه ... متلاعباً كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه ... كالسيف ضمَّ ذبابه لرياسه

ألا تعدُّ هذه القطعة من غرائب الشعر البديع الذى يمثل الإحساس بالوجود ؟

وهل عرف أن فى الأندلسيين من قال :

عاطيته والليل يسحب ذيله ... صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضمَّ الكمىِّ لسيفه ... وذؤابتاه حمائلٌ فى عاتقى
حتى إذا مالت به سِنة الكرى ... زحزحتُه شيئاً وكان معانقى
باعدتُه عن أضلع تشتاقهُ ... كيلا ينام على وسادٍ خافق

فهذا شاعرٌ حىّ العواطف ، مشبوب الأحاسيس ، يدرك

(١) السقب : ولد الناقة ، والكعام بالكسر الخيط الذي يكم به

جمال الوجود فى أوقات الصفاء ، وبواجه الطبيعة بنظر ثاقب ، وقلب خفّاق

وما رأىُ صاحبنا فى قصيدة ابن هانئ :

فمن فى مأتم على المشاق ولبسن السواد فى الأحداق

وهى قصيدة يحفظها أكثر الأدباء، وفيها من وصف الطبيعة ألوان

وما قوله فى أرجوزته القافية التى وصف فيها الساق فقال :

يحثّها بِدَله المرموقِ أرقّ من أديمه الرقيق
وبات سلطاناً على الرحيقِ يسلّط الماء على الحريق
ويغرس اللؤلؤ فى العقيق كأنّ دُرَّ ثغره الأنيق
أُلِّف من حَبابها الفريق أو زَلّ عن فيه إلى الإبريق

وهل سمع الأستاذ أحمد أمين بأخبار ابن شُهيد صاحب « الزوابع والتوابع » ولأدبه صلة شديدة بتذوّق الوجود ؟

هل قرأ أشعار ابن زيدون ورسائل ابن زيدون ليرى كيف فتن هذا الشاعر الكاتب بفهم الدنيا والناس ؟

وهل نظر فى نكبات ابن عمار الذى تذكّر نفثاته بنفثات أبى فراس ؟

وهل خطر فى باله أن ينظر كيف برع الأندلسيون فى الوشحات ، وكانت أقباساً من الأضواء ، وأنفاساً من الأزهار ؟

هل عرف أن الأندلسيين بكوا بلادهم بكاء شهد بأنها قِطَعٌ من قلوبهم الخوافق ؟

هل مرّ بخاطره أن الأدب الأندلسى ترك فى الأدب اللاتينى أخيلة وتعابير بقيتْ على الزمان ؟

هل وصل إلى علمه أن عهد العرب فى الأندلس هو أشرف ما عرفتْ أسبانيا من العهود ؟

هل اتفق له أن يعرف أن تاريخ العرب فى الأندلس كان مادة غنية سعدتْ بها حَيَوات كثير من الباحثين الذين تشرفت بهم الجامعات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ؟

هل طرق سمعه الخبر الذى يقول إن علماء الأندلس هم الذين عرّفوا أهل أوربا بمعارف اليونان ؟

فبأى حق يجوز التطاول على أهل الأندلس من رجل مثل أحمد أمين وهو يشهد على نفسه بأنه لا يكتب عن الأندلس إلا بعد أن يأذن له المستشرقون ؟

آه ، ثم آه !!

ما جزعت على وفاة الأستاذ مصطفى صادق الرافعى كما جزعت عليها اليوم !

فلو كان الرافعى حيًّا ورأى أحمد أمين يقول فى ماضى الأدب العربي ما يقول لأصلاه نار العذاب وصيره أضحوكة بين أهل الشرق والغرب

ولو كان أحمد زكى باشا حيًّا ورأى هذا العبث فى السخرية من أهل الأندلس لقدّم أحمد أمين إلى مهاوى سَقَر « وأحمد زكى باشا أول من أذاع محاسن الأندلس فى العصر الحديث ، قبل الشيخ محمد المهدى والأمير شكيب أرسلان »

ومن يدرى ، فلعل أحمد أمين يلقى من الجزاء ما هو له أهل يوم يتنبه أساتذة الأدب إلى واجبهم فى رد عادية العادين على ماضى اللغة العربية !

من يدرى ، فقد يقوم أحد المستشرقين بالانتصاف للتراث الذى غفل عن قيمته الشرقيون !

من يدرى ، فقد تستيقظ كلية الآداب فتنشئ كرسيًّا للأدب الأندلسى ليعرف شبان العصر الحاضر أن أسلافهم استطاعوا أن يروعوا الأدب اللاتينى فى حصنه الأمين !

* * *

إن الشواهد التى سلفت قد انتزع أكثرها من الشعر ، فكيف كان النثر عند أهل الأندلس وكيف دل على تذوق أصحابه؟

لا أريد أن أعيد ما قلت فى كتاب النثر الفنى حين تحدثت عن كتاب الأندلس ، لأنى أبغض الحديث المعاد ، وإنما أنبه القراء إلى خصيصة ظاهرة من خصائص النثر الأندلسى : هى الهيام بالتشبيهات رغبة منهم فى تجسيم المعانى ، والتشبيهات تنتزع فى الأغلب من صور الطبيعة والوجود ، فهى من الشواهد على إحساس الكاتب بالطبيعة والوجود

ولم تقف هذه الخصيصة عند الرسائل القصيرة أو كتب العهود ، وإنما شملت كتب التراجم وكتب التاريخ ، وغلبت على الأبحاث الصوفية

ومعاذ الأدب أن نفهم الطبيعة كما يفهمها أحمد أمين فنظنها مقصورة على الشجرة والزهرة ، هيهات ، إنما الطبيعة كتاب الوجود بما فيه من حجر ومدر ، وشجر ونبات ، وماء وجماد

والطبيعة الشاملة تظهر بعظموتها وجبروتها ممثلة ناطقة فى أكثر ما كتب الأندلسيون ، ولو شئت لقلت إنهم بالغوا فى ذلك حتى قاربوا الإسفاف ، فهل كانوا يعلمون من وراء الغيب أن سيجيء فى آخر الزمان من يتهمهم بالغفلة عن تذوق الطبيعة والوجود ؟

أمن أجل تلك التهمة المحجوبة فى ضمير الغيب كان الفتح بن خاقان يفتعل ويعتسف فى الأوصاف والتشبيهات ليقيم الدليل على أن الطبيعة كانت تطالع الأندلسيين من كل جانب ؟

أكان ابن زيدون وابن برد وابن شهيد وابن حزم يتوقعون أن سيتجنى عليهم ناس فيتهمونهم بالتبلد وضعف الإحساس فكان من احتفالهم بوصف الطبيعة ما كان ؟

***

وهنا أستأنس بكلمة قرأتها للأستاذ العقاد منذ سنين وهو يفاضل بين البحترى وشوقى ، فقد نص على أن شوقى وصف الطبيعة بعد أن صار وصفها من المذاهب الأدبية ، أما البحترى فوصفها بوحى من الفطرة . وكذلك أقول فى الحكم لأهل الأندلس : فهم لم يتعمدوا وصف الطبيعة ليقال إنهم تذوقوها وأحسوها ! وإنما وصفوها بوحى من الفطرة فكانت أوصافهم أبلغ فى الدلالة على سلامة الذوق ، وقوة الطبع ، وأصالة البيان

ويتحذلق أحمد أمين فيقول : أين الشاعر الذى رأى نفسه جزءاً من الطبيعة على حد قول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتنى وإذا أبصرتنى أبصرتنا

ونقول إن الحلاج بحمد الله شاعر عربىّ ، وشعره زكاةٌ عن العرب الذين اتهمهم أحمد أمين ، وأبيات الحلاج هى اندماج فى الطبيعة ، ولذلك تفصيل يراه من شاء فى كتاب التصوف الإسلامى عند شرح نظرية وحدة الوجود ، حتى لا يظنّ ظانٌّ أن أحمد أمين أول من التفت إلى هذه الشؤون

ولكن ما بال صاحبنا يغفل عن أبيات الشاعر الأندلسى الذى منح الطبيعة خصائص النفس الإنسانية حين قال :

وقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ سقاه مضاعَفُ الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حُنُوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأٍ زُلالاً ألذَّ من المدامة للنديم
يصدُّ الشمسَ أنى واجهتْنا فيحجبها ويأذن للنسيم

وهل يعرف أحمد أمين أن نظرية وحدة الوجود وهى أعظم تقديس للطبيعة لم يشرحها أحد بمثل ما شرحها الصوفية فى الأندلس ؟

وهل عرف أن ابن عربى له فى ذلك آيات بينات ؟

وهل فطن إلى أن ابن زيدون جمع إلى روحه أطراف الوجود حين قال :

يُدنى خيالكِ حين شطَّ به النوى وهمٌ أكاد به أُقبِّل فاكِ

***

أما بعد فقد زعم أحمد أمين أن ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة لم يجد غير الصياغة ، ولم يستطع أن ينفخ فيها الروح ، إلا فى النادر القليل .

فهل نترك هذا الزعم بلا تفنيد رعايةً لهذا « الأديب » ؟

وهل هان الأدب العربى على أهله حتى يتركوا زمامه لمن يتخيل فيختال ؟

إن من حق ابن خفاجة علينا أن نجلو صفحة من حياته الشعرية والنثرية تبين كيف كان ذلك الرجل فناناً بارعاً تجرى أنامله على أوتار الوجود ، فهو من مفاخر اللغة العربية ، وهو حجتها يوم يتطاول عليها من لا يدركون أسرار البيان .

وقبل الشروع فى الكلام عن ابن خفاجة أرجو أصحاب الجرائد والمجلات فى غير مصر أن يصححوا رأيهم فى أسباب هذه المقالات ، فليس من الصحيح أنى انتهزت فرصة الأخطاء التى وقع فيها أحمد أمين لأشفى صدرى منه أو لأشفى صدر صديق صاحب الرسالة ، فليس بيننا وبين الأستاذ أحمد أمين خصومة شخصية ، وإنما هى مصر تروض أبناءها على مخاصمة أصدقائهم فى سبيل الحق .

« للحديث شجون » زكى مبارك



حول الوحدة العربية

بين الحصري بك وطه حسين

للأستاذ عز الدين التنوخي

عدتُ مساء إلى منزلي فاستقبلتني غادة « الرسالة » بثوبها الأحمر القشيب ، وهى أبداً بين المجلات قيد ناظري ، ومهوى خاطري . ولا غرو فى ذلك ، فإن الدماشقة خاصة ، وأبناء العرب عامة ، يفضلونها لروحها العربية ، وبما تعمله على « توحيد الثقافة العربية » ، على سائر المجلات المصرية . وكلما ازداد الإيمان القوى فى العرب ، ازداد هذا الحب الطبيعي للرسالة ، وازداد معه بمقدار ذلك الهجر والإعراض عن غيرها . وأكتفى بالمثال الواقعى التالى دلالة على صحة ذلك ! فلقد شاهدت غداة أمس فتى عربياً فى الترام يحمل مجلات بينها « الرسالة » . فقلت له :

— أية مجلة تحبها مما تحمل ؟

— مجلة « الرسالة » !

— ولماذا آثرتها بالمحبة ؟

— لأن روحها المصرية تمتزج بروحنا العربيـة ، ولأنها — وهنا أشـار إلى الغلاف — تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية !

وحينما رأيت مساء مجلة « الرسالة » ، نظرت إلى فهرسها فوجدت فيه موضوعاً يهمني — وأبناء العرب جميعاً — وهو رد الأستاذ ساطع الحصري على الفصل الجوابي الذى نشره الأستاذ طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » .

أجل ! كنت أنتظر بصبر غير جميل من مثل أبي خلدون أن يعيد الكرة على صاحبه الذى أحاله فى نقض انتقاداته على الفصل الجوابي . ذلك بأننا — ولا نكتم الدكتور طه حسين — كنا قد اعتبرنا هذه الإحالة يومئذ ضرباً من الفرار من معركة المناظرة ، وقرأت اليوم كتاب الأستاذ أبي خلدون (إلى الدكتور طه) ، فلا أدرى ما ذا عسى أن يراجع به هذا الأديب العربي الكبير ناقده بعد أن استشهد عليه بكلامه ، وحصين منطقه ؟

نعتُّ الآن الدكتور طه حسين — بالأديب العربي — لا بالمصريّ ، فحسب ، لأن أدبه عربيّ بمصادره ، عربيّ بلغته وألفاظه ، عربي بمباحثه المبتكرة ، وأساليبه المستعذبة ! عربي على الرغم منه بروحه حينما يرسل نفسه على سجيتها ، ويقول ما يقول غير منتصر للفرعونية ، وغير مجامل لأنصارها !

أليس طه حسين هو الذى فضل أدبنا العربي القديم على معظم آداب أمم الحضارة القديمة فى كتابه « حديث الشعر والنثر » ؟ أليس طه حسين من أقدر العاملين على إحياء لغتنا العربية بإحياء آدابها بذلك الأسلوب العربي الرائع ببلاغته على سلاسته وبامتناعه على إطماعه ؟ أو ليس هو المنادى بتوحيد الثقافة العربية التى إن ضمنها للأستاذ أبي خلدون ، وضمنها لنا أيضاً ، ضمنّا له كل ما بقى من ضروب الوحدة ؟ !

أجل بالدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها من أن يكون فى قطر واحد أديباً ! وليته — أصلحه الله — جامل فى المكشوف أدباء العرب الذين يتنافسون فى اقتناء آثاره ، ويتباهون بأنهم من أنصاره . أو ليته — وهو مسلم مصرى — خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصرانى المصرى — وهو لذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة ذوى الأوتاد !

وليسمع الدكتور طه حسين ما يقوله الأستاذ مكرم عبيد فى عدد الهلال الممتاز « العرب والإسلام » :

« سافرت فى رحلة صيفية إلى سـورية ، وتفضل إخوانى السوريون فى الشام ولبنـان وفلسطين ، فشملونى بترحيبهم وتكريمهم ، فوقفت يومئذ وتحدثت عن الوحدة العربية وقلت : « المصريون عرب » . وأبديت رأيي فى هذه النظرية التى يؤيدها التاريخ ، فنحن معشر المصريين جئنا من آسيا [1] ، ونحن أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون واللغة والخصائص السامية والقومية » إلى أن يقول : « نحن عرب ! ويجب أن نذكر فى هذا المصر دائماً أننا عرب قد وحدت بيننا الآلام والآمال ، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان . فأحدثت منا أمماً متشابهة مماثلة فى كل ناحية من نواحى الحياة »

ثم تكلم عن الوحدة العربية بقوله : « فالوحدة العربية حقيقة قائمة ، هى موجودة لكنها فى حاجة إلى تنظيم ؛ والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار ، وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمى الموارد الاقتصادية ، وتشجع الإنتاج المحلى ، وتزيد

(١) وقد بين لنا فى موضع آخر وطن المصريين الأول بقوله ص ٣٣ : « وامتداد أصلنا القديم إلى الأصل السامى الذى هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية » .

فى تبادل المنافع وتنسيق المعاملات . فكما أن أوربا خلقت شيئاً معنوياً ترتبط به وتلتف حوله أغراض سكانها على اختلاف أممهم ، فكذلك نحن سيؤول مصيرنا إلى الالتفاف حول مثل أعلى يوفق بيننا فنصير كتلة واحدة وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة ، أو وطناً كبيراً يتفرع منه عدة أوطان ـ لكل منها شخصية لكنها فى خصائصها القومية العامة متحدة متصلة اتصالاً قوياً بالوطن الأكبر »

وفى هذا البحث الممتع للأستاذ مكرم عبيد يشير آنفاً إلى رحلته الصيفية للديار الشامية وأنه كان يتحدث إلى المرحبين به قائلاً : (المصريون عرب)

صدق والله ، فقد كنت من جملة المرحبين بأخوته العربية فى نُزل أمية بدمشق ، وسمعت هذه الكلمة الطيبة من فيه ، لا فض فوه . ولا أزال أذكر ذلك يوم سألته عن تلك النعرة الفرعونية فى مصر فقال لى ما معناه : نحن عرب فى مصر ولا نمجد الفراعنة إلا لأنهم عرب!

الأستاذ مكرم عبيد فرعونى صميم ، ومن نوابغ مصر فى ثقافته وأخلاقه ووطنيته ، والأستاذ طه حسين المسلم المصرى يحكم والناس معه بالظن على فرعونيته ، فلن يكون بذلك أصدق تفرعنا من مكرم عبيد ، وإذا ما ادعى ذلك كان أشد فرعونية من فرعون نفسه، أو ـ أشد كما قيل ـ ملكية من الملك!

والأستاذ طه حسين الذى كان ينكر الوحدة العربية بأنواعها وشرائطها ، ويعد من يقول بهذه الوحدة من أصحاب العقل القديم ، قد أصبح ولله الحمد أخيراً قديم العقل كالأستاذ مكرم عبيد لقولهما بالوحدة العربية على شكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى !

وأظن أخانا العربي الزيات قديم العقل أيضاً لقوله بالوحدة العربية ، فما أجمل ذلك العقل القديم الذى يصل بين الأرحام المتقاطعة والأرواح المتناكرة والقلوب المتنافرة ، والخير لنا ألف مرة أن يجمع شملنا العقل القديم من أن يمزق ويفرق بيننا العقل الحديث.

(دمشق) عز الدين التنوخى
عضو المجمع العلمى العربى

كتاب فى الدين الاسلامى

للأستاذ محمد بهجة البيطار

قرأت فى الرسالة الغراء مقال نابغة الشام الأستاذ على الطنطاوى فى الإسلام وفهم الأصحاب والأعراب له من النبى صلى الله عليه وسلم فى مجالس معدودة ، وصدورهم عنه معلمين ودعاة إلى الله أيام كانت أوعية العلم الصدور لا الكتب ؛ ثم وصف ما يلاقيه فى عصرنا طلاب العلوم والفنون من عَنَت فى معرفة هذا الدين السمح بعد أن صرنا نملك ألوف الألوف من كتبه ، واقترح أن يؤلف كتاب فى الإسلام — عقائده وعباداته وأخلاقه — يشرح فيه حديث جبريل عليه السلام الذى سأل فيه النبى (ص) عن الإيمان والإسلام والإحسان بأسلوب شائق مؤثر « لا هو بالأسلوب العلمى الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصى الخيالى » كما قال . ودعا الكتاب إلى البحث فى هذا الموضوع الجليل ، واقترح علىّ حفظه الله أن أكتب فى مبحث الإيمان بالله تعالى على الأساس الإسلامى لا المذهب الكلامى (المشحون بالألفاظ المبتدعة كالجوهر والجسم والأعراض والأغراض والأبعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث وغيرها) لينشر على صفحات الرسالة الغراء ، فلبيت شاكراً للأستاذ الطنطاوى غيرته ، ممهداً بوصف كتب العقائد المتداولة بين الأيدى

كتب العقائد المتداولة

لا يخفى أن الإيمان بالله تعالى هو توحيده على الوجه الذى أثبته لنفسه فى كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى فى بيانه . وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التى تداولتها أيدى الخواص والعوام فى معظم الأمصار الإسلامية ، وصارت عُمدة المدرسين والدارسين فى المدارس الحكوميّة الرسمية وفى المدارس الأهلية والمعاهد الدينية أيضاً نجدها نوعين :

١ — كتب العقائد التى وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونَفَى معانيها الوجودية الثابتة ، بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع

٢ — كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، وإثبات أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر فى كل زمان ومكان ، وقد انتشرت فى زماننا شُبَه وشكوك فى دين الحق لأقوام وأصناف ، كبعثات التبشير أو التنفير ، ومروِّجى الإلحاد والفساد ، وكتب التحريف والتخريف ؛ وفى ردود دعاة الإسلام وحماة الفضيلة دفع لباطلهم ، وكبح لجماحهم ، ولكن هذه الكتب التى تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع ، هى سلاح علمى نشهره فى وجوه أعدائنا ، لحراسة عقائدنا ، والدعوة إليها ، والنضال عنها ، لا لتلقى علم التوحيد وعقائده منها ، فهى على نفاستها وضرورة دراستها وكونها لا يستغنى عنها فى مثل هذا الزمن ، ليست كتباً موضوعة فى علم التوحيد ، ولا هى قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية عليها ، بل هى فلسفة تحوم حول التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه

وهنا لك نوع ثالث وهو الكتب التوحيدية السلفية التى أثبتت معانى النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المنقول والمعقول، وردّت كلام المعطِّلة والمؤوِّلة رداً لم يبق حاجة فى النفوس

وقد كان حوار سلفنا الصالح مفحماً للفرَق التى ظهرت فى عصورهم ، وشاعت مقالاتهم فى الناس كالقدرية والخوارج ، والجبرية والجهمية، والمرجئة والوعيدية. وكتبُ عَلَم السُّنة الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام عثمان بن سعيد الدارمى وغيرهما من أئمة السلف أجلُّ ما صنف فى العقائد الصحيحة ، وأنفعها فى النقض على هذه الفرق المنحرفة . وقد جدّد عهدهم ، وشرح مذهبهم ، وبيّن أنه الأسلم والأعلم والأحكم شيخا الإسلام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية فى كتبهما ، ثم من جاء بعدهما من أئمة الإسلام وأنصار العقيدة السلفية . ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة هى علمية تعليمية ، لأنها فى الغالب كتب حجاج ومناظرة ، وتأييد لمدلولات النصوص ، وردّ لشبهات الخصوم . فأنا أؤيد رأى أخى الطنطاوى فيما كتب ، وأقترح على حماة العقائد الصحيحة التى جاء بها القرآن أن يفتحوا باباً للتوحيد السلفى ، وأن ينشروا فصولاً ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، تكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب عصرى مدرسى ، تشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، وتطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، وتغذى عقول النشء الإسلامى بلبان التوحيد الخالص المطهر من كل ما يخالطه من أدران البدع والزوائد ، فتصح العقائد ، وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ

والغايات، فنضع هذا الاقتراح أمام أولى الكفاية والعزم من إخواننا السلفيين، لعله يجد مكاناً للاستحسان والتنفيذ إن شاء الله تعالى.

تعريف التوحيد

التوحيد فى اللغة التفريد. تقول: وحدت الشيء وأحدته إذا فصلته عما سواه، وأفردته. وفى الشرع: اعتقاد أن الله واحد أحد، فرد صمد، لا ندّ له ولا ضد. والتوحيد أساس العلوم الدينية، وهو الذى نزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وتوارثه المجددون فى كل عصر، وقاموا عليه خير قيام. وهو الذى يجب أن يكون رأس الدعوة، ويجاهد فى سبيله كل من عاداه، حتى يكون الدين كله لله، وتترك العبادة لما سواه من حجر وشجر وبشر، وشمس وقمر، وملك وجن، وسائر ما عبد من دون الله فى الملأ الأعلى أو الملأ الأدنى، وهذا هو مناط النجاة فى الآخرة، وليست الدنيا إلا دار سباق لها

أنواع التوحيد

التوحيد ثلاثة أنواع (١) توحيد الربوبية (٢) توحيد الألوهية (٣) توحيد الأسماء والصفات. (فالأول): الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الأمور. (والثانى) هو إفراده تعالى بجميع أنواع العبادة، والتوجه إليه وحده بالدعاء والطلب. (والثالث) هو أن يوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه فى كتابه، وبما وصفه به رسوله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا. فمن الأسماء: الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، ومن الصفات: الرحمن على العرش استوى، بل يداه مبسوطتان، وكلم الله موسى تكليماً.

وقد دلّ القرآن وشهد التاريخ أن العرب قبل الإسلام كانوا مؤمنين بوجود الله، مقرين له بالوحدانية فى الخلق والرزق، والتدبير والتأثير، والإحياء والإماتة، وتصريف جميع الأمور، وأن ليس لآلهتهم شيء من ذلك. والنصوص فى ذلك كثيرة وصريحة، قال تعالى: « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال: « قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمّن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون؟ » وقال: « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون الله: قل فأنى تسحرون» وهذا هو المسمى بتوحيد الربوبية الذى كان عليه أهل الجاهلية، وهو توحيد الرب بأفعاله.

إنما كان شرك المشركين الأولين بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة، ومن مظاهره الدعاء والخوف والرجاء، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التى كان يصرفها المشركون لمعبوداتهم من الصالحين وغيرهم لتقربهم إلى الله زلفى، وكانوا يقولون فى حجهم: « لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك » فهذا الشريك هو الذى كان يشرك مع الله فى العبادة فحسب، لا فى الإيجاد ولا فى الإمداد كما قال تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»

كلمة التوحيد

أساس الدين وركنه الأعظم هو كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) فهى أصل الأصول، ودين الرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ». فكلمة التوحيد هذه لا بد من فهم معناها والعمل بمقتضاها، وهو ما بعث به النبى (ص) ودعا إليه: أَلَه إلاهة وألوهة وألوهية: عَبَدَ عبادة، ومنه لفظ الجلالة وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه كما فى القاموس، فمعنى إله فى لغة العرب وفى الشرع هو المعبود بحق أو بغير حق. ولفظ الجلالة عَلَم على المعبود بحق وهو الله عز وجل فكلمة (لا إله) نفىٌ لكل معبود فى الوجود وإبطال لعبادته، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده، « ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلى الكبير » فكلمة التوحيد مسقطة لجميع آلهتهم، هادمة لأنواع عبادتهم، مثبتة العبادة كلها لله وحده الذى وحدوه بربوبيته ولم يوحدوه بإلهيته، فأقام عليهم الحجة بما أقروه عن ما أنكروه، وبين أن من تفرد بالإيجاد والإمداد يجب أن يفرد بالعبادة، وهذه الحجة القاهرة من حجج الله على العالمين إلى يوم الدين

لما كان العرب فى جاهليتهم يفهمون من كلمة (لا إله إلا الله) هذا المعنى الذى بيناه لغة وشرعاً كانوا يستكبرون عن النطق بها لأنهم علموا أن الإذعان لها كفر بالآلهة وإبطال لعبادتهم، كما قال تعالى: « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » وقال: « وإذا ذكر

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » وقال : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلى الكبير »

أما دعاة غير الله فقد سهل عليهم الأمر لأنهم فهموا من كلمة التوحيد ما يخالف الوضع والشرع وفسروها بمعنى توحيد الله بأفعاله ، وبالقدرة على الإبداع والاختراع ، وأخرجوا كل ما ذكرناه عن معناه اللغوى والشرعى ، كالدعاء والخوف والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة ، والتوكل والذبح والنذر ، والخضوع والخشوع والالتجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وأجازوا فعله كله لغير الله ، بعد أن نحلوه لقب التوسل والاستشفاع

التوسل الجاهلى

ليس الكلام فى التوسل الخلافى المشهور بين العلماء المحصور فى دعاء الله وحده مع التوسل إليه بصالحى عباده ، وإنما الكلام فى توسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء أهل القبور أنفسهم ، والاستنجاد بهم ، وطلب الغوث منهم لإنقاذ الغرق وشفاء المرضى ، ورد الغائبين وإغاثة الملهوفين ، وإعانة المستعينين ؛ وهذا لا يسمى توسلاً بهم لا دينا ولا عقلاً ولا لغة ، بل هو دعاء لهم وطلب منهم وهو خارج عن موضوع التوسل وليس منه فى شىء

فإن قلت إن الداعى لغير الله لم يرد بدعائه إلا الله ، متوسلاً إليه بمن يدعوه ، وإن قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لشهدت صحتها ، وهلا شققت عن قلبه ؟ (فالجواب) أن ما فى القلب لا يعلمه إلا علام الغيوب ، وأن الكلام منحصر فى دائرة الأقوال والأفعال التى تناقض صحة العقيدة القلبية كل المناقضة ، والشارع ناط الأحكام بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

ولا يرد حديث : (هلا شققت عن قلبه) إلا على من يدعى معرفة الباطن ، وأنه موافق أو مخالف للظاهر ، وإنما البحث فيما يبدو للحس من قول أو عمل مصادم للشرع . وقد أنكر النبى (ص) على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل ، فادعى أسامة (رضى الله عنه) أنه لم يأت بها عن عقيدة قلبية ، فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال : هلا شققت عن قلبه ؟ وأين هذا من ذاك !

وصف القرآن أهل الجاهلية وفرعون الذى ادعى الربوبية والألوهية بأنهم كانوا إذا وقعوا فى شدة كخوف الغرق فى البحر مثلاً دَعَوُا الله مخلصين له الدين ، كما قال فيهم : « فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » وقال فى فرعون : « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين » أفيكون أولئك القوم وفرعون أولى بدعاء الله وحده فى الشدائد ممن يتبجحون بالإسلام والتوحيد ؟ وبدهى من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لا يملكون لأنفسهم — ولا لغيرهم بالأولى — فى الرخاء ولا فى الشدة ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا » فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية المجمع عليها مع دعاء غير الله تعالى فى الرخاء وفى الشدة أيضاً ؟

وإذا أضيف إلى ما سبق دعوى التصرف فى الكون التى يدعيها العوام وأشباه العوام لبعض الصالحين ، أو تقسيم الدنيا إلى أربع مناطق ، وتخصيص كل قسم منها بواحد منهم ، ودعوى وجود الله تعالى بذاته — تقدست وعلت — فى كل مكان ، أودعوى أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، وما يضاف إليها من سلبه تعالى صفات كماله ، ونعوت جلاله ؛ فقد وقع الإشكال العظيم فى التوحيد بأقسامه الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . ونعوذ بالله من سوء الفهم والخذلان.

الحق يقال : إن هذه العقائد قد عظم ضررها ، وقبح أثرها ، وكان من نتائجها خروج جماهير المتعلمين على الطريقة الفنية عن دائرة دينهم ، وافتتانهم بما عند غيرهم . فما هو العلاج الشافى من هذه الأدواء الفتاكة يا ترى ؟ وكيف يعود الناس إلى عقيدة الإيمان بالله على الوجه الصحيح الذى جاء به الإسلام وجرى عليه أهل الصدر الأول علماً وعملاً واعتقاداً ؟

خاتمة

إنى والذى جعل العلماء ورثة الأنبياء — لأعجب كل العجب ممن يقفون على تاريخ الإسلام وسيرة النبى عليه الصلاة والسلام وممن يعلمونها فى المدارس ، ثم يَغفُلون عن قضية من أهم قضايا التاريخ وأشدها ارتباطاً بعلم التوحيد وتأثيراً فى تهذيب النشء

الإسلامى بل الإنسانى الحديث ، وإنشائه صحيح العقل ، سليم الفطرة ، بعيداً عن كل لوثة وثنية أو جاهلية

إن كل من أحاط بالسيرة النبوية وسيرة الصدر الأول للاسلام خبرا أنكر أشد الإنكار ما أحدث الناس من البدع والجهالات والسخف والخرافات . وإنى مورد طرفاً يسيراً من سيرة الصحب الكرام ولا سيا الخلفاء الراشدين الذين من تمسك بسنتهم نجا ، ومن شذ عنها شذ فى النار ، لتكون لنا منارا كمنار الطريق

بقى النبى – بأبى هو وأمى (ص) – قبل الدفن ثلاثة أيام والنزاع قائم بين الصحب الكرام على أمر الخلافة حتى بايعوا أبا بكر (رض) ولم يسألوا النبى (ص) عمن هو الأحق بها من بعده . وكانت وقعة الجمل بين أم المؤمنين وابن عمه أبى السبطين الشهيدين ، وسفكت دماء عزيزة عليه (ص) ولم يستفتوه قبل القتال ولا بعده وهو دفين فى بيت عائشة بين سمعهم وبصرهم . وجرت وقائع صفين بين على ومعاوية ، وكانت أعظم هولاً وأشد فتكاً ، ولم ينقل أن أحداً منهم استنجد بالنبى أو استغاث به ، أو سأله عن حكم هذه الحرب أو التى قبلها ، كما أنهم لم يسألوا شهداء أُحُد عليهم الرضوان شيئاً من ذلك وهم سادة الشهداء . وجمع القرآن فى عهد الصديق ، ووقع الخلاف أولاً فى جمعه ، ولم يستفتوه فى ذلك ، وكانوا يسألون النبى (ص) عن كل ما يعرض لهم من الأمور فصار يسأل بعضهم بعضاً ، ولم يجيئوا فيسألوه فى قبره (ص) وقال عمر : اللهم كنا إذا أجدبنا نستسقى بنبيك محمد (ص) فتسقينا؛ والآن نستسقى بعمه العباس ، فطلبوا الدعاء من عمه ولم يطلبوه منه كما كانوا يفعلون فى حياته بينهم . وقال عمر : ثلاث مسائل وددت لو أنى سألت رسول الله (ص) عنها ، ولم يسأله عنها بعد وفاته . وكانوا يضربون أكباد الإبل من الشام إلى المدينة ليسألوا عائشة عن حديث سمعته من النبى (ص) فكانت تجيبهم ولم يسألوه وهو فى بيتها . ومضت القرون الثلاثة المفضلة وكل طبقة كانت تسأل من فوقها وتستفتيهم ، ولم يسألوا سيد الأنبياء ولا سادة الشهداء الأحياء عند ربهم (شهداء أحد) عن شىء

هذه هى أعمال الصحابة (رض) حينما هاجتهم الخطوب ، واستمرت بينهم نيران الحروب ، ووقعت لهم مناظرات كالمناظرة التى جرت بين الشيخين فى قتال مانعى الزكاة ، وكالخلاف الذى وقع فى إرسال جيش أسامة بن زيد الذى عقد لواءه النبى (ص) ليسير إلى بعض جهات الشام ، ولم يسألوا النبى (ص) عن شىء من ذلك أحوج ما كانوا إلى سؤاله ، وأحرص ما كانوا على العمل بمقاله ، وكان (ص) هو الذى يقسم بينهم الأعطيات والمغانم ، ويكون فيهم فى الغزوات ويرسل منهم السرايا ، ولم يقع شىء من ذلك له بعد وفاته .

وجملة القول : أن النبى (ص) كان مرجعهم فى الدين والدنيا فى حياته ، فصاروا يرجعون إلى ما عرفوا من سنته بعد وفاته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ؛ ولكن مدرسى تاريخ المسلمين فى الأمصار الإسلامية قد قصروا فيما يجب عليهم من البيان ، وفى عدم الجمع بين حوادث التاريخ ومسائل الدين ؛ والكتب الكلامية المذهبية المتداولة لم تبن العقائد فيها على قواعد الأدلة ، ووصف ما كان عليه فى القرون المفضلة أهل هذه الملة

وأنا قد أوردت فى مقالى هذا شذرات من أعمال الصحب الكرام مقتبسة من هَدى النبى الأمين ووحيه ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها كما قال مالك إمام دار الهجرة (رض)

فإلى رجال الدين والتاريخ والعلم الصحيح أوجه مقالى هذا راجياً أن يقرنوا العقائد الدينية بالشواهد التاريخية ، رحمة بهذه الأمة ، وليكون علم العقائد لدى الطلاب كسائر العلوم التى يطبق فيها العلم على العمل ، لكيلا تضيع الثمرة المطلوبة من دروس العقائد والتاريخ التى يقضى الطالب فى دراستها زمناً غير قليل ، والله هو الموفق والمعين

(دمشق) **محمد بهجة البيطار**

خليـــــل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأســـتاذ جليل

فخر الفرزدق

فخرنا فصدَّقنا على الناس كلهم وشر مساعى الناس والفخر باطله

« وشعر الفرزدق فى هذا الباب من حر الشعر وخالصه ، ومن أحسن ما قال ؛ يفحل ويجزل ، ويقوى ويشتد ، ويطول نفسه ويتسع مداه ، ويحسن التصرف ويجيد التأويل والاعتذار[1]:

ولانقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم »

وللبيت حكاية رواها الأستاذ فى الصفحة (٢٠) من (الكتاب) ومما أورده له فى هذا الباب :

إذا مت فابكيني بمـا أنا أهله فكل جميل قلتِ فىَّ يُصدَّق

وكم قائل مات الفرزدق والندى وقائلة مات الندى والفرزدق

* * *

أولئـك آبائى فجئنى بمثلهـم إذا جمعتنا (يا جرير) المجامع

وكنا إذا الجبـار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع[2]

ورواية (المجامع) هى التى فى الديوان وفى كتب اللغة والأدب ، وذكر الزمخشرى (الجوامع) فى البيت ، قال فى الأساس : «وجمعتهم جامعة أى أمر من الأمور التى يجتمع لها ، قال الفرزدق : أولئك آبائى ... »

وأورد الأستاذ قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَّـفوا

وروى عن أبى الفرج قصة تخبر بانتحاله البيت، وهو فى شعر جميل ، والظن أن شيطان الفرزدق الذى أوحى إليه (الفائية) أعطاه إياه . وفى هذه (العبقرية) يقول ابن غالب :

(١) كل قول بين الأهلة غير معزو إلى صاحبه ، هو من كلام الأستاذ المردى .

(٢) الأخدعان عرقان فى الرقبة ، ولى الأخادع مثل تصعير الخد ، قال الأساس : لوى فلان أخدعه أعرض وتكبر ، وسوى أخدعه ترك الكبر . وقد نسب الزمخشرى البيت إلى جرير خطأ

وما حل من جهل حُبا حلمائنا ولا قائل بالعرف فينا يعنف[1]

وما قام منـا قائم فى نديِّنا فينطق إلا بالتى هى أعرف

وإنى لمن قوم بهم تتقى المدى

ورأب الثـأى والجانب المتخوف[2]

لنا العزة الغلباء والعدد الذى عليه إذا عد الحصى يتخلف[3]

ولا عزَّ إلا عزنا قاهـــر له

ويسألنا النصف الذليلُ فيُنصف[4]

ومنـا الذى لا ينطق الناس عنده

ولـكن هو المستأذن المتَنَـصِّف[5]

تراهم قعودا حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تَصرَّف

وبنيان بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى إيلياء مشرف[6]

لنـا حيث آفاق الـبرية تلتقى

عديد الحصى والقسورىّ المخندف[7]

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[8]

(١) الحبا جمع الحبوة والحاء فيهما تضم وتكسر قال اللسان : « ويروى بيت الفرزدق بالوجهين » والاحتباء معروف . وفى النهاية : الاحتباء حيطان العرب ، أى ليس فى البرارى حيطان فاذا أرادوا أن يستندوا احتبوا . والاحتباء كناية عن الحلم ونقضه كناية عن الطيش

(٢) فى (الخصائص) : أراد وبهم رأب الثأى ، حذف حرف الجر لدلالة ما قبله عليه مع مخالفته له فى الحكم

(٣) فى طبعة (الصاوى) : « الغلباء الغليظة العنق » . . . والعزة الغلباء هى الوثيقة القوية ، وفى الأساس : ومن المجاز : عزة غلباء ، وفى اللسان : حديقة غلباء أى عظيمة متكاثفة وهضبة غلباء عظيمة مشرفة وعزة غلباء كذلك على المثل

(٤) النصف : بالكسر وبثلث : الاسم من الانصاف (التاج)

(٥) تنصف خدم وتنصفه استخدمه : لازم متعد (التاج)

(٦) في (النهاية فى غريب الحديث والأثر) : « إن ابن عمر أهل بحجة من إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس » وولاتها اليوم أبناء الصليبيين يظاهرهم اليهود :

قضاء من الله العزيز أراده ألا ربما كانت إرادته شرا !

و « لله الأمر من قبل ومن بعد »

(٧) وفى رواية : عديد الحصى والحصى العدد الكثير . (المخندف) المنتسب إلى خندف فى (اللسان : خندف امرأة الياس بن مضر غلبت على نسب أولادها منه ، وسميت بها القبيلة . وفى تاريخ الطبرى : فى كتاب هشام إلى يوسف بن عمر : ولكنك تقيست على وأنا متخندف عليك

(٨) قال صاحب (ديوان المعانى) رواه لنا أبو على بن أبى حفص : أربأنا قال : والارباء الاشارة إلى خلف والايماء إلى قدام

وهـذا البيت يبدو فى أبيات الفرزدق أخاً حماً(١) لما وهو فى أبيات جميل كأنه ابن عم كلالة . وروايته فى شعر صاحب بثينة هى :

نسير أمام الناس والناس خلفنا ... فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وإنه توارد الخواطر غير المستنكر ، وإن كان قول الأخطل « نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ... » لا ينكر

ومما يُروى أفكوهة من الأفاكيه ، وأضحوكة من الأضاحيك قول أبى هلال العسكرى فى كتابه (ديوان المعانى) وهو هذا : «وعند الناس قصيدة جميل أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق»

وأنا أستعجب من أبى زيد محمد القرشى كيف لم يثبت فائية جميل مكان فائية الفرزدق فى أول (الملحمات) فى كتابه (جمهرة أشعار العرب)

الحقُّ أن الأدباء قد يلفتون كلامهم(٢) وقد يهرئون بل قد يكفرون فى الأحايين ، وما قول العسكرى هذا إلا من الكفر، والمختار من فائية جميل بثينة هو فى الجزء الثامن من الأغانى ، فليراجعه من شاء من الفضلاء ليرى كيف يجور الحكم !

إن قصيدة جميل أحسن من قصيدة الفرزدق وأعظم منها وأنخم عند النسناس(٣) لا عند الناس ...

ومن تخليط العسكرى ما قاله فى (كتاب الصناعتين) وقوله هو : « كان البحترى يفضل الفرزدق على جرير ، ويزعم أنه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه فى شعره فى كل قصيدة خلاف ما يورده فى الأخرى ، وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق الزبير وجعثن والنوار وأنه قين لا يذكر شيئاً غير هذا . وسئل بعضهم عن أبى نواس ومسلم فذكر (أن أبا نواس أشعر لتصرفه فى أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه ، ومسلم جار على وتيرة واحدة لا يتغير عنها) وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون فى قوة صائغ الكلام أن يأتى مرة بالجزل، وأخرى بالسهل، فيلين

(١) هذا أخ حم كفوك : ابن عم لح (الأساس)

(٢) يلفت الكلام : يرسله على مواهنه لا يبالى كيف جاء

(٣) فى اللسان : النسناس خلق على صورة بنى آدم أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم . وفى الحديث عن أبى هريرة : ذهب الناس وبقى النسناس ، قيل : من النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس . وروى الميدانى فى مجمع الأمثال هذا الحديث الحريرى فى أمثال المولدين

إذا شاء ، ويشتد إذا أراد . ومن هـذا الوجه فضلوا جريراً على الفرزدق ، قال جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه ... بَرَد تحدر من متون غمام

فانظر إلى رقة هذا الكلام ، وقال أيضاً :

وابن اللبون إذا ما لُزَّ فى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

فانظر إلى صلابة هذا الكلام !

ونحوى هذا الكلام أن ليس للتصرف فى القول والتفنن فيه والإبداع قدر ، وأن الشأن كله فى أن يلين القائل ويشتد أى أن ينسلخ العبقرى من طبيعته التى فطره الله عليها ويتكلف الشدة أو اللين

وقد روى ابن رشيق فى (العمدة(١)) قول البحترى الذى تهاون العسكرى بجلالة خطره ثم قال : « فإذا كان هذا فقد حكم له (أى للفرزدق) بالتصرف ، وبهذا أقول أنا وإياه أعتقد فيهما (أى فى الفرزدق وجرير) وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع

وقول أبى هلال فى لين القائل واشتداده أو فى تليين الكلام وتصليبه ذكرنا بخطب فى كتاب لا أسميه الآن كان صائغها يكد روحه وهو يصوغ كداً ، ويزفر زفيراً ، ويزحر زحير المرأة عند الولادة ، ويدور ويجول ويقوم ويقعد ... لكى تحاكى تلك الخطب المصوغة أقاويل الأولين السابقين فتجوز نسبتها إلى من عزيت إليه ، وهيهات هيهات أن تجوز ؛ إن تكلفها ، إن تعملها ، إن تصلها ، إن زخرفتها ، إن فقدان الطبيعية فيها - فإن كل ذلك ليصيح : قد صاغها صوّاغ ...

***

هجا الفرزدق :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة ... جدَّعتهم بعوارم الأمثال(٢)

(١) قال ابن خلدون فى المقـدمة فى كتاب (العمدة فى صناعة الشعر ونقده) : « وربما قالوا إن من بواعثه (أى بواعث الشعر) العشق والانتشاء . ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله »

(٢) فى طبعة الصاوى : « جدعتهم قطعت آذانهم ... » وجدعهم هنا لقاهم شرا وسخرية كأنه جدع آذانهم كما فى الأساس واللسان

وكنت إذا عاديت قوماً حملتهم على الجمر حتى يحسم الداء حاسمه

« والفرزدق فى هجائه واسع الفطن فسيح المدى كثير الفنون لا يقف عند حد فى مناضلة خصمه ، يذكر المخازى ويصرح بالمثالب ، ويفحش ويتهكم ويختلق ويذكر العورات ، ويخصب خياله فيحكم التشبيه ويجيد الاستعارة ويعرض على الأنظار صوراً شتى تمثل خساسة المهجو فى نفسه وأهله وعشيرته من غير أن يزعه دين أو يردعه حياء .

وبراعة الفرزدق فى هذا الباب وإحسانه ـ إن صح أن يسمى إحسانا — ومقدرته مجموعة فى النقائض »

وقد اقتضى البحث أن يروى (الكتاب) شيئاً من هجاء الخبيث فأورد طائفة ، منها هذه المقطوعة :

ولو تُرمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لسار

ولو يُرمى بلؤمهم نهار لدنّس لؤمهم وضح النهار

وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا بجارِ

ومن هجائه المشهور قوله فى خالد بن عبد الله القسرى حين ولى العراق ، أورده (الكتاب) فى سيرة الشاعر :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تخطى من دمشق بخالد

وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد[1]

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجل هداك الله نزعك خالدا[2]

بنى بيعـــة فيها الصليب لأمه

وهدّم من بغض الصلاة المساجدا[3]

قال الكامل : « كانت (أم خالد) نصرانية رومية . ويروى عنه فيما رُوى من عتوه أنه استعفِىَ عن بيعة بناها لأمه ، فقال للأ من المسلمين : قبح الله دينهم إن كان شراً من دينكم ... ! وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الأنصار ، وهو :

ليتنى فى المؤذنين حياتى إنهم يبصرون من فى السطوح

فيشيرون أو تشير إليهم بالهوى كل ذات دل مليح

(١) وبعده :
بنى بيعة فيها النصارى لأمه ويهدم من كفر منار المساجد

(٢) فى البيت خرم وهو كثير فى شعرهم

(٣) البيعة ـ بكسر الباء ـ متعبد النصاري ، والجمع بيع كعنب قال :
تامت فؤادى بذات الجزع (آنسة) مرت تريد بذات العذبة البيعا
وقد ضبطت البيعة بالفتح فى ثلاثة مواطن فى رغبة الآمل (الجزء ٨ ، الصفحة ٢٣٠) وكتب اللغة كلها قالت بالكسر

وفى رسالة هشام[1] إلى خالد يوبخه : « فيها زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجِبْوَةَ خراجهم وتسلطهم عليهم ؛ نزع بك إلى ذلك عرق سوء من التى قامت عنك »

ويروى أن خالدا[2] بنى البيعة فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، وكان يضرب لها الناقوس إذا أذن المؤذن ...

(يتبع — الأسكندرية) ***

***

أورت (الخطفى) ـ فى القسم الثانى ـ مشدد الياء ، وهو مثل الجزى كما ضبط ابن خلكان وكتب اللغة . وهناك (اجتزأ به) وهو : اجتزاء به . و (بحاله فى الشمر) وهو وبحله . و (لطبع جريرا شبه) وهو : بطبع جرير و (فان اصبر قول الطهوى) وهو : فان احبر

(١) رسالة بليغة مهمة ذكرها الكامل بتمامها

(٢) كان خالد من العظماء المشهورين فى الدولة المروانية . وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى أن خالداً كان من ولد شق الكاهن ، ونقل قوله صاحب (الوفيات) غير منكر ولا مغلط بل قال : « كان شق ابن خالة سطيح وكانا من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جسداً ملقى لا جوارح له وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ولا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس ... وكان شق نصف إنسان ، ولذلك قيل له : شق ، أى شق إنسان فكانت له يد واحدة ورجل واحدة ... » وفي الجزء (٢٤٩) من (الرسالة الغراء) القول الفصل فى أسطورة شق وسطيح التى قبلها الرواة والأدباء والمؤرخون كافة

قد كان لى قلب !...

للأستاذ كامل محمود حبيب

هفت الشمس إلى المغيب، وخبا هجير الحر أو كاد، وأنا جالس فى مقهى من مقاهى طنطا إلى نرجيلة أبسم لها وتبسم فى هدوء، وبين يدىّ كتاب أنبذه بين الحين والحين، لأسرح النظر فى هذا الناس، وهم يتدفقون زمراً إلى حيث يتنسمون روح الجنة بعد إذ هبت عليهم زفرات الجحيم تحبسهم فى الدور ساعات طوالاً

***

ما لهذا الفتى هنا فى غير داره يمشى وحيداً، يتّاقل فى مشيته، مطرق الرأس، مقطب الجبين، ساهم النظر؟ إنه يتراءى لى كأن وقدة الشباب التى كانت تتسعر فى قلبه قد انطفأت وهو ما زال عند الثلاثين، وكأن نزوات قلبه قد عبثت بها يد الأيام فاستحالت إلى ما أرى: إلى هم وكد، أو هو يرزح تحت عبء ثقيل ينوء به

عرفته وعرفنى منذ سنوات وسنوات، وقضينا معاً عمراً من العمر كان لذيذاً حلواً، وكان هو - كدأبه أبداً - روح الجماعة الطروب، والضحكة الخالصة الرنانة، والنكتة الحاضرة الجميلة و... فما بالى أراه اليوم فيما أرى؟ لعل حدثاً من حوادث الأيام قد انحط عليه فسلبه رواء الشباب وبهاء الحياة

وتعلق بصرى به وهو يسير إلى غايته لا يرفع رأسه ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، كأن شيئاً فى هذا الخضم المضطرب حوله لا يعنيه؛ وأنا على خطوات منه لا أستطيع أن أناديه، وفى الصوت بحّة، والنفس إلى لقياه مشوقة بعد سنوات من فراق أرغمتنا عليه دواعى العيش

يا عجبا! لقد مستنى روحه الحزينة، فوجدت لذع الأسى فى قرارة نفسى!

وناديت الندل علّه يردّ صاحبى إلىّ

***

ورآنى الفتى فتبسطت أسارير وجهه هوناً ما. وأقبل فسلّم وسلّمتُ، ثم جلسنا فى صمت أنا إلى نرجيلتى، وهو إلى خواطر نفسه... وألحّ علىّ الأسى والعطف فى وقت معاً. فاستلبانى من لذاذات كنت أجدها فى الكركرة وفى الكتاب وفى النظر إلى هذا الناس. فالتفت إليه أقول: «أهكذا أنت؟»

قال: «نعم، يا صاحبى، قد كان لى قلب فضيعته!»... وترقرقت فى محجريه عبرات مكفوفة تريد أن تجد لها منفذاً... فشملنى حزن عميق ودهشة، وأنا أعرفه زوجاً، وأعرفه فى أيام لهوه لا يحجم فى إباء، ولا يندفع فى طيش. ثم قلت فى لهفة: «وكيف... كيف»؟!

قال: «أما القصة فهى قصة قلبى... قلبى أنا، فهو قد ألقى بى فى مضلات تتقاذفنى، فلا أجد منها الخلاص». ثم سكت سكتة حزينة وكأنه يلم شعث تاريخ أيامه، أو كأنه يصارع فى نفسه أمراً فيه الشجن والألم»... ثم قال: «عرفتها فيمن عرفت، فتاة كطفلة بضة، فيها الجمال وفيها الأنوثة؛ ولمست فيها أشياء جذبتنى إليها. فاندفعت إلى جانبها فى طريق لا يثلم الشرف، ولا ينحط بالكرامة، وهى تبادلنى غراماً بغرام، وعطفاً بحنان! وذهبت ألتمس السبيل إلى دارها، بين الفينة والفينة فلا تعوزنى الحيلة. وكيف، وأخوها شاب فى مثل سنى؟!»

«وتصرمت أيام وأيام، وشيطان الهوى يشب فى قلبى وقلبها فى آن. فلا نفترق إلا على ميعاد، ولا نتلاقى إلا على شوق»! وفى ذات صباح كتبتْ إلىّ: «أفرأيت بالأمس وأنا أسير إلى جانبك فى شارع... لقد رآنا واحد من أصدقاء أخى الأكبر الذين شبوا معه منذ الطفولة، وتعلقت حبال قلبه بدارنا. فحمل إليه خبر فضيحتى فى غير تحرج... وأقبل أخى والشرر يقدح من نظراته، وهو يتوثب غضباً وحنقاً! ... وراح يفرغ لعناته على رأسى أنا، فبت بأسوأ ليلة؛ وهكذا أصبحت غرضاً يتندّر به القوم ويسخرون منه ... هذه حياة نارية ضيقة تنذرنى بويلات العيش وعار الفضيحة... لا أطيق الصبر عليها إلا أن تمدنى بيد منك قوية، أو بلفظة رشيدة! أنت وحدك تستطيع أن تتفل على هذا السعير الملتهب فيحور رماداً ...!»

«وانكشف أمامى ما أرادتْ، فرحت أقلب الأمر فما أهتدى إلى رأى»!!

وفى المساء جاءنى حديثها : « ... تلك إذن أنانية الرجل ، يلهو ما انفسحت أمامه طرق اللهو ، ويعبث فنوناً من العبث ؛ فإذا جد الجد خرج من إنسانيته ، وألقى بالتى أحبَّ فى تنور يتلظى ، وطار هو آمناً إلى حيث يلتقط الحب ... ! »

واضطرب قلبى لهذه الكلمات القاسية ! فطرت إلى أخيها — فى غير أناة ولا روية — أسر إليه بأمر ، فبدت على وجهه سمات الهدوء والطمأنينة . ثم انطلقت وفى نفسى أن الأزمة قد تفرَّجت على حين لم أخسر أنا شيئاً

وغدا أخوها إلىّ ، وفى رأيه أن آصرة أخرى قد ربطت بينى وبينه ، فدفعته فى هوادة ، وانطويت عنه فى رفق

وغبرت زماناً لا أوصد الباب دونه ، ولا ألين لكلماته ، والفتاة تستحثنى إلى أمر ، والقضاء من ورائهما يدفعنى إلى غاية

وعلى حين غفلة منى ألقيت إلى أهلها السلم ، فإذا أنا زوج للمرة الثانية !

وتناهى الخبر إلى زوجتى الأولى ، ففزعت إلى أهلها ، وفى أحشائها بضعة منى ، وخلَّفتنى ونزوات قلبى

* * *

ودخلت زوجتى الثانية دارى ترف رفيف الأمل الحلو ، تملأ الدار والقلب جمالاً وبهاء ، فسكنت إليها وسكنت هى

وسيطر على الهوى ، فران على قلبى . فلم يدعنى أفكر فيما اقترفتُ من جُرم جرَّته النزوات العمياء على زوجتى الأولى وعلى ابنى جميعاً ... فاندفعت لا ألقى السمع إلى صيحات هذا الطفل ، ولا أبالى بآلام الزوجة المسكينة ، ولا أعبأ بوخزات الضمير

وقابل أهل زوجتى الأولى حماقتى بلطف ، وجهلى بحلم ، وغوايتى بكرم ، وجنايتى بإحسان ! ... على حين كانت الزوجة الثانية تسعد إلى جانبى ، وتبذل غاية الجهد فى أن تسيطر على قلبى جميعه لتسدل بينى وبين زوجتى الأولى وابنى ستاراً كثيفاً من النسيان ، وتستحث الأيام لتغرينى بأمر

وهبَّ القلب من رقدته بعد سنوات ثلاث ، فانطلقت أريد ابنى وقد فقدته منذ زمان ، فما أبت الزوجة ولا استعصى ذووها فإذا ابنى بين يدىَّ ألمح فيه أيام طفولتى : أداعبه فيبسم ، وألاطفه فيضطرب ، وأضمه إلى صدرى فيتعلق بى . وكأنه يقول : « أين كنت يا أبى ؟ لا تذرنى هنا يتيماً » ، فأستشعر الذل والمسكنة ، وأنا ما أزال طفلاً يحبو » فخرجت من لدنه وفى رأسى عاصفة هوجاء ما تستقر !

آه ! لقد زعمتُ أن قلبى يطمئن حين أخلص إلى ابنى وزوجتى وها أنذا قد طرحت التى أحب فطرحت معها قلبى ... آه ! يا صاحبى ، لقد كان لى قلب فصيته وأنا الآن ـ كما ترى ـ أضرب فى أرجاء الأرض وحدى لا أجد القرار ولا أستمتع بالحياة . لقد خيِّل إلىّ أن المرأة سلعة فإذا هى راحة القلب وبهجة الدار وجمال الحياة ، فأين أجد السلوة يا صديقى ؟

* * *

وأردت أن أرفِّه عن صاحبى بعض ما آلم نفسه فتدفقت عبراته وهو يقول : « لا تحدثنى الحديث فتهيج من أحزانى . إن فى النفس حسرة وفى القلب جرحاً ما يندمل ، وفى ... وفى عينى عبرة ما ترقأ . ويْ كأن القدر أراد أن يقتص منى مرتين مثل ما جنيتُ مرتين ! »

كامل محمود حبيب

من الأدب الألماني

محاورة عن الألمان

لهاينرسه كلايست

بقلم الدكتور جواد علي

الشاعر الألماني كلايست Heinrich Von Kleist (١٧٧٧ ـ ١٨١١) من أشهر المجددين في عالم الأدب الابتدائي ومن أساطين (الدراما) في عصره . أدخلت معظم قطعه الأدبية إلى عالم التمثيل والأوبرا . ولعل القراء الذين أتاحت لهم الفرص زيارة (دور الأوبرا) وخصوصا الألمانية منها قد شنفوا أسماعهم واطلعوا على مغزى قطعه الخالدة مثل : أمير هومبرك (برنس فون هومبرك) و (هينا فوت بارنهايم) وعائلة شروفنشتاين (فيليه شروفنشتاين)

على أن الحروب النابليونية الألمانية (البروسية منها والنمساوية) قد حولت اتجاه أدبه إلى اتجاه آخر هو الاتجاه الوطني السياسي الحماسي فأصبح شعره منذ هذا العهد من نوع الأخذ بالثار (راخة Rache) كقصيدة كرمانيا إلى اطفالها . ومعركة هيرمان (هيرمان شلاخت) . وفي القطعة الخالدة «محاورة عن الألمان» التي ألفت على الطريقة الأسبانية للأطفال والكبار ، أمثلة محسوسة عن هذا الأدب الراقي والوطنية الألمانية . وقد ترجمت إلى لغات كثيرة لذلك رأيت ترجمتها إلى قراء الرسالة

س — تكلم أيها الطفل من أنت ؟

ج — أنا ألماني

س — ألماني ؟ أنت تهزل . ولدت في مايسن . والأرض التي تتبعها مايسن تسمى زاكسن ؟

ج — ولدت في مايسن . والأرض التي تعود إليها مايسن تسمى زاكسن . ولكنّ وطني ، الأرض التي تتبعها زاكسن هي ألمانيا وولدك يا أبت هو ألماني

س — أنت تحلم ! أنا لا أعرف أرضاً تتبعها زاكسن ، لعلك تعني حلف بلاد الراين . أين أجد ألمانيا هذه التي تتكلم عنها وأين تقع ؟

ج — هنا يا أبت لا تشوّش عليّ

س — أين ؟

ج — على الخارطة

س — نعم على الخارطة (خارطة سنة ١٨٠٥) هل تعلم ماذا حدث في سنة ١٨٠٥ حين تمّ عقد صلح برسبرك ؟

ج — نابليون ، القيصر القورسيقي ، خربه ودمره بعد الصلح بظلمه وجبروته

س — والآن ؟ ومع ذلك فهل هو موجود ؟

ج — بكل تأكيد ! ما هذا السؤال ؟

س — مذ أي وقت ؟

ج — مذ نهض فرانس الثاني قيصر الألمان القديم لبناء ما خرّب ، ومذ نادى الشعبَ قائده الشجاع للانضمام إلى الجيش الذي يقوده لإنقاذ الوطن وتحريره

عن حب الوطن

س — تحب وطنك أليس كذلك يا ولدي ؟

ج — نعم ، يا أبت ذلك ما أحسه طبعاً

س — لم تحبه ؟

ج — لأنه وطني

س — أنت تعني لأن الله بارك فيه بالأثمار الكثيرة وزينه بقطع نادرة من الفنون الجميلة ، أو لأنه أظهر أبطالاً ورجالاً وأنجب حكماء زينوه ممن ليست لأسمائهم نهاية

ج — لا يا أبت إنك تغويني .

س — أنا أغويك ؟ !

ج — إذاً فروما وريف مصر اللتان بوركتا كذلك بالأثمار وبالقطع النادرة من الفنون، وبجميع ما هو عظيم وكبير كما علمتني، أعظم بركة من ألمانيا . ولكن لو ساق القضاء والقدر ابنك إلى السكنى هناك لشعر بالانقباض وعدم الارتياح ، ولما أحس بالحب لهما كما يحس لألمانيا .

س — إذاً فلم تحب ألمانيا ؟

ج — لقد أجبتك يا أبت

س — أجبتني ؟

ج — نعم لأنها وطني

عن تربية الألمان

س — ما هي حكمة الله يا بني في صب غضب نابليون على ألمانيا وإقلاق راحة الألمان ؟

ج — لا علم لي بذلك

س — لا علم لك بذلك ؟

ج — نعم يا أبت

س — وأنا أيضاً ، ولكني أوجه سهام تفكيري نحو السماء فإن أصبت ربحت ، وإن لم أصب لم أخسر . أتعيب ذلك علي ؟

ج — كلا يا أبت

س — لعلك تقول ذلك لأنك تعتقد أن الألمان في قمة الفضيلة والمجد كما تكون الأشياء بعضها أرفع من بعض

ج — أبداً يا أبي

س — إذاً فقد كانوا على الأقل يسيرون دائماً في الطرق المستقيمة للوصول إلى ذلك ؟

ج — لا يا أبت ، ليس ذلك أيضاً .

س — عن أي الابتذال تحدثت إليك ؟

ج — عن الابتذال ؟

س — نعم عن الابتذال الذي يلتصق بأبناء هـذا الجنس .

ج — كان إدراك الشعب الألماني كما ذكرت لي قد أزهر . وكان العلماء الأذكياء يعكسون ما ينعكس عليهم ، وينتجون من ذكائهم، ولكن تلك القوة السحرية وتلك العاطفة القلبية قد ذهبتا

س — ألا تجد أن الابتذال ينطبق على أبيك الذي يجادلك أيضاً؟

ج — نعم يا والدي العزيز .

س — أين تكون الأثرة وأين تكون المحبة ؟

ج — الأثرة تكون في حب المال والمتاع ؛ أما المحبة فتكون في الاشتغال بالتجارة والحركة ، حيث يتصبب العرق من الجبين ، ويعيش المرء عيشة هادئة متزنة بلا هم ولا غم .

س — إذاً لم هذه المسكنة التي ضربها الله على هؤلاء الناس فخربت الأكواخ وتلفت المزارع ؟

ج — كي يحتقر هؤلاء متاع الدنيا ويهرعوا إلى الله فيتقربوا إلى أعظم سلطان مهيمن على العالم : وهو الله

س — ما هي أعظم مقدسات الإنسان ؟

ج — الله والوطن والقيصر والحرية والحب والإخلاص والجمال والعلم والفن

عن الخيانة

س — ما هو ذنب من خالف أوامر الأمير كارل ونداءه الذي أذاعه على الشعب أو عارضه بالقول أو الفعل ؟

ج — الخيانة العظمى يا أبت

س — لماذا ؟

ج — لأن الشعب الذي ينتمي إليه هذا الخائن سيفسد

س — وما الذي يجب أن يفعله إذاً أولئك الذين خانوا الوطن وانضموا إلى صفوف الفرنسيين لإذلال الألمان ؟

ج — يجب عليهم إلقاء السلاح حالاً والالتفاف حول الرايات النمساوية

س — وإذا لم يفعل أحد منهم ذلك بل ظل يحمل السلاح فما يكون نصيبه ؟

ج — الموت يا أبي

س — ولكن من يستطيع وحده أن ينقذه من هذا الموت ؟

ج — عفو فرانس ، قيصر النمسا وحامي الألمان

الخاتمة

س — أجبني يا ولدي . إن نهض قيصر ألمانيا النبيل إلى استعمال السلاح لينقذ حرية الألمان ، ولكن الأقدار لم تساعده على ذلك : ألا تنهال عليه اللعنات والأصوات قائلة : لم قام القيصر بذلك ؟

ج — لا يا أبي

س — لماذا ؟

ج — لأن الله هو الحاكم المهيمن على العالم لا القيصر . فليس في يد القيصر ولا في يد أخيه كارل مشيئة تمكنهما من كسب المعارك متى يشاءون

س — ودماء الآلاف من الناس ، والمدن التي هدمت، والأرض التي خربت، تذهب كل هذه عبثاً ؟

ج — نعم يا أبي مع ذلك ؟

س — ما معنى مع ذلك ؟ حتى ولو هلك جميع من في الأرض من رجال ونساء وأطفال . فهل تحبذ أنت الكفاح ؟

ج — نعم يا أبي مع ذلك

س — لماذا ؟

ج — لأن الله يريد ذلك . يريد الموت في سبيل الحرية

س — وما الذي يراه الله قبيحاً ؟

ج — حياة العبودية

عبد الرحمن صبري (?)
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

الجبر والاختيـــار
فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

– ٢ –

« وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد اتقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح »

هذه الفكرة مسيطرة عليه فى كل الكتاب . هو مؤمن بها إيماناً عميقاً جاء من تنزيهه الله عن العبث واللهو ، وهو أصل يقرره فى اللزوميات كثيراً :

أرى فلكاً ما زال بالخلق دائراً له خبرٌ عنا يُصانُ ويُخبأُ

وهو يبحث عنها بوسيلته هذه فلا يهتدى إليها ، فكل ما كان للمعرى من اضطراب أو حدّة فإنما منشؤه هذه الحكمة المعماة عليه . هو يقرر بأن الله « يقدر أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بَنانه مجاريَ دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبيه ، ويمشى إلى الغرض على هامته ... » ثم هو يعترف بأن « ... ذلك فى القدرة يسير » ولكنه يتساءل عن حكمة الله فى هذا النظام ، وهذا النوع من الخلق ، ولم كان هذا ولم يكن ذاك ؟ وهو يرى أن « مؤتى الملك ملكه قاصرُ الصعلوك على عدَمه ، وكاسِىَ الجميل حُـلّة الجمال ، هو سالبها القبيح ... ، فبيد الله العطيّة والحرمان[1] » وهو يرى « أن الفقير خص بالتوقير » ولكنه لا يدرى لماذا فيقول : « والله العالم لِمَ ذاك[2] » . فهو يتساءل على أى نظام كانت هذه العطية وذاك الحرمان ، وعلى أى اعتبار خص الفقير بالعبء الثقيل ، ما سبب هذا التفريق فى المنزلة والرزق « والناس بنور رجل وامرأة » وينتهى إلى تلك الحال من استسلام الحائر : « ومن عند الله قسمت الجدود »

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٢٤٠

تواق لمعرفة هذه الحكمة المعماة عليه ، يطلبها ويجد فى الحصول عليها ، فإذا ما ظن أنه قد أوشك أخلفت ظنونه الحكمة الإلـهية وخذلت عقله . وليس أدل على حاله تلك من وصفه نفسه : « إنما أنا كرجل بُلِىَ بالصدى ، لا يجد وِرداً ولا مورداً ، فهو ظمآن أبداً ، إن ورد غَرُوفا ، وجده مصفوفاً ، وإن صادف نَزُوعاً أعوزته الآلةُ والمعين، فبينا هو كذلك هجم على رجل ينزع بغرب، فشكا إليه فرط الكرب . فقال : ربُّك إن شاء الله قريبٌ فأعنّى على انتزاع الرويّة ، فلما كان الغرب بحيث رَيَانِ غدرت الوذم ، وخان المناح[1] »

حائر والحيرة توجب عليه الحذر والاحتياط . فهو ليس على بينة مما يراد به وبالكون ، فهو إذا قال : « ما أنشأك ربك لعبث » ، واثق أنه لم يخلق لعبث ، وإن لم يستبن وجه الحكمة فى هذا الإنشاء ، فهو يحتاط ويحذر مما قد يكون من أمر هذه الحكمة فيقول : « انأ عن القبيح والرَّفث ، وسبِّح فى النهار والملث[2] » وهو يصرح بأن : « الحازم الذى لا يأبس ، يمجِّد الله ويقدس، ويغير طاعته لا يَنبس، لعل الأجل يُدركه من أهل الصفاء[3] » . أما ما دون ذلك فهولم يجزم بشىء أبداً . فطبيعته تقتضى ألا يكون هناك يأس ، وهى كذلك تقتضى أن لا ثقة ؛ وإنما هو يقول : «أحسنوا إملاءً كم جماعة الملأ، فسوف يَنفد العدد ولو أنكم الرمال، وتخبو النار ولو هجم على لهبها النجوم ، وتخف بِكم الثُّوب ولو أنكم الجبال حلوماً ، الظالم بئس ما فعل ، والمظلوم ضعيف مُهتضمٌ . فسعد امرؤٌ لا ظالماً وجد ولا مظلوما[4] » . فهو لا يأمن لشىء ولا يثبت شيئاً ، وإنما يأمرك بالحيطة والحذر لأنه لا يدرى يقيناً مما يراد به شيئاً ، ولا يشك فيه شكاً صريحاً . فإذا ما كان الله حكيماً ، وهو ما يقرره المعرى تقريراً ، وإذا ما كانت حكمته خافية فالخير للانسان أن يحذر ويحتاط . وهذا الحذر والاحتياط لن يحصلا إلا بالعبادة والنسك والتطهر والتحلى بالفضائل؛ ولكن ما هى هذه الحكمة ؟ ما شأنها ؟ لم أجرت أموراً على وجه دون آخر ؟ لم تسخر من كفاح الإنسان وتفرض عليه ما تريد ؟ لم لا تعدل بين المخلوقات : بين الإنسان والحيوان والجماد ، بل بين

(١) ص ٣١٦ (٢) ص ٦ (٣) ص ١٩ (٤) ص ٤٣٦

الإنسان والإنسان، والإنسان والحيوان والحيوان؟ على أي أساس بنت أحكامها هذه؟ هو لا يدرى من كل ذلك شيئاً فيحار حيرة تأتيه من رفضه رفضاً شديداً أن يكون العالم ليس بذى حكمة ، وأن يسير إلى غير غاية وإلى غير غرض ، ويرمى إلى غير قصد

وأبو العلاء مؤمن بأن هذه الحكمة تنظم الكون ، وتسيطر عليه سيطرة لا تدع لقوة ما أن تمد هذه السيطرة «فرب نطيف... يعطف إلى الخير فلا ينعطف ، وكيف ولم يأذن خالقه بانعطاف» أو تحول من حكمها شيئاً «فيأيها الجامع لا يغنيك الجاح ، الالك أضبط لك من عائشة لما وقع فى النزوع ، جل عن التشبيه والقياس فى لجامك أطراب كالطراب»[1] وإنها تنظمه نظاماً آلياً قوياً لا يشذ ، ولا يحيد ؛ فإذا ما أدرك ذلك صرح : «قد فررت من قدر الله فإذا هو أخو الحياة ، هل أطأ على غير الأرض ، أو أبرز من تحت السماء ؟ ! أدلجت فأصبح إمام المدلجين ، وهجّرت وهو مع المهجرين . قال وعرس مع القالة والمعرسين . »[2] فلا يمكن للمرء أن يحيد عما يراد به ، فهو مجبور على ما يأتى من أفعال « والمرء يقدر ولغيره الأمور ، يحسب أنه يملك ويحوز ، كذب الله النفوس[3] » ، وليس أصرح من هـذا النص ولا أدل فى بيان فكرته : « إنمـا أنا فرير فى ربق . قد أعدت له المدية ، ينتظر به أمر الملك فتجرى الشفرة على الأوداج »[4] وإن ذلك ليزعجه ، ويقلق خاطره فيقول : «شغلنى عن النّسب، وقول فى النّسب ، أنى أسلك من الحمام نيسباً ، أذهب النوم وأطال الأرق وأقل رغبتى من الشرف أنى لا أجد عن ذلك مذهباً[5] « أينما تسيروا يصحبكم الله كما صحب من كان قبلكم ، وله من العلم عين عليكم ، وإن تصبحوا وراء شق الثعلب فالقـدر معكم ، لا فرار من قضاء الله[6] » فهو يوصى بعد ذلك أن « اصطبروا على ما حكم إنه واعى الكلمات » و « دع الأقدار وما تريد فإنها لا تصرّف على اختيار المخلوقين . واعلم أن رزيتك لا تهجم على أحد إلا عليك[7] » و « من عند الله سعد المجدودين[8] » و « الشّر على جبهة فاعله موسوم» و « ربك أولع بالأنفس غرامها[9] » فهو يستكين ، ويستسلم استسلاماً شديداً حين نضرب مثل القطاة التى « تنزل إلى شَرك الوليد ، وهى فرحى بما لاح لها من الرّزق ، فيؤول أمرها معه إلى أحد ثلاثة أشياء : سمط مزعف ، أو سجن حرج ، أو عذاب مبرح ، فامس بما فعل ربك راضياً[1] »

هذه الفكرة تقوم من فلسفة المعرى فى « الفصول والغايات » مقام الوزن فى القصيدة . فهو خفى ولكنه يحكم القصيدة فلا يخرج عليه بيت أو جزء من بيت . وهى قطب تدور حوله الأفكار بمعانيها المختلفة وألفاظها المتباينة . فكل تفكير المعرى إذن يدور حول هذه الفكرة أيًا ما كانت صوره ومعانيه وألفاظه . فإذا ما نظر فى المجتمع فمن وراء هذا المنظار ؛ وإذا ما شمل الكون بتفكيره فعلى هذا الهدى . وهو قد يصطنع من الأساليب الغريب ، ومن فنون الكتابة ما يصرف المرء إلى ظواهر الأشياء ؛ ولكن الأمر لا يزال عند ما قررت من قبل . فلو تخطينا حاجز الظاهر المختلف ألوانه وصوره ، ونفذنا إلى ما وراء هذا الظاهر لألفينا الأمر منضبطاً يدور على ما وصفتُ ، لا يكاد يشذ عن ذلك بشىء إلا ما أملته التقية حيناً ، وفرضته الأهواء السياسية حيناً ، وأوحى به عبث النفس حيناً آخر

وتفكير أبى العلاء فى الجبرية يتخذ صورتين غير متباعدتين إلا تباعد الشىء عن مظهره ، فهما يبحثان فى الكون وأحد مظاهره وهو الاجتماع

* * *

وأول ما يشغله فى الاجتماع الأرزاق « والأرزاقُ عجبٌ يقسومها[2] » إذ أن الرزق لو أن له « لساناً هتف بمنْ رقَدَ ، أو يداً لجذب المضطجع باليد، أو قدماً لوطىء على الجسد، لا يزال الرزق مرنّقاً على الهامة ترنيق الطير الظماء على الماء المطمع ، فإذا صَفِرَ من الروح الجثمان ، صارت تلك الطيرُ نباديد[3] » ، « فاردَ من حيث شئت ولا تُبل ، أمن واد أتاك الرّزقُ أم من جبل . فإن ألطاف الله طارقتك من كل أوْب[4] » وهو يدعوك ألا تحزن، ويؤكد لك أنه «ليأتينك رزقك ولو جمع من أشتات[5] »

(١) ص ٦١ (٢) ص ٢٥١ (٣) ص ٣٧٤ (٤) ص ٢٨٣
(٥) ص ٢٤٢ (٦) ص ١٢٦ (٧) ص ٣٦٩
(٨) ص ١٦٥ (٩) ص ٤٤٨

(١) ص ٤٧٢ (٢) ٢٧٤ (٣) ص ١٣ (٤) ص ١٥٩
(٥) ص ٢٣١

« وذلك بقدَر الله لا بسعى الساعين [1] » وهو يلاحظ إلى ذلك أن من الناس من لا يعمل ولا يجد ولكنه يظفر بما يظفر به ذلك العامل المجد « الله علم بمار خرص ، ضُيِّقَ رزقه وإن حرص ، وآخر تندو عليه منعمة بيضاء ، قطعت إليه الفضاء [2] » فهو يرى أن كثيراً منهم يبذل جهداً كبيراً فلا يظفر بشيء « فالموفق أين اتجه غانم ، والمجدود أين يقع لا يظفر بالنجاح [3] » وأنه ربما عسّ جد ، فأتاك بمنجد ، وأنت هارج الأحلام »

فهو يلحظ فى كل هذا أن الرزق ميسر لك « ما سعت فيه القدم ولا عرق الجبين » وهو يردد ذلك المعنى فى اللزوميات كثيراً

سُبب الرزق للأنام فما يُفـ طع بالمجز ذلك التسبيبُ

وهو يلحظ أن هذا التسبيب يجرى فى عسره ويسره على قواعد خفية غير مفهومة :

جدٌّ مقيمٌ وخابَ ذو سفر كأنه فى الهجير حرباء
أقضيةٌ لا تزال واردةً تحار فى كونها الألبّاء

وهو يلحظ إلى هذا إرادة علوية تسخر من محاولات البشر وتقديرهم « فالمرء يقدر ولغيره الأمور ، يحسب أنه يملك ويحوز . كذب ! لله النفوس »

ولم يقتصر بفكرته هذه على الإنسان وإنما شمل بها الحيوان من ناحية الرزق والمقدور معاً . أما من ناحية المقدور فهو كالإنسان تجرى عليه الأقدار — غامضة مبهمة — لا يد له فيها أو علم له بها فيدرأها . فالمخلوقون جميعاً « يحيدون من خطب إلى سواه والحمام ساقة جيوش الخطوب. ما ألطف صانع الظبية تنظر بمجتحى ليل، وترفع هُدَّالَ الشجر بقضيبى ظلام ، وتلبس حلة الوبر وتطأ على مثل المحار ، أغلقتها أمس الحبالة تخلصت بالجريض ، وصادفتها فى اليوم ضراء المكلب فكاد إهابها ينقد عن قلب مروع ، وسلمت بعد الشد المحيص ، وفى الغد تنتظمها بعض سهام المرتين ، فلم يغنها الفرق من الأحداث [4] » . وهو يسوى بين الحريص والأخرق من الحيوان والإنسان فى المقدور « ما خشف ذو خرق وقع فى حبالة آبق ، فنشق أشد النشق ، أعيا بخلاصه منى بالخلاص »

ومن ناحية الأرزاق كذلك تجرى عليه فى نفس الغموض الذى تجرى به على الإنسان: تيسر للظليم الحص وإن سعد فالهبيد، فينمو على الحص والهبيد ؛ وتخص الإبل بالسعدان ، فيغذو الإبل هذا السعدان ، وكذا الخيل تنمو بالبمضيض . ثم إن الحمار لا يكاد يصبر على عطش والظبى طويل صبر على العطش ، فهو يسجل هذا جميعاً ويتساءل لم خصت الطبيعة هذا بذاك ولم تخصه بغيره ، ولم لم ينتقل الظليم إلى المراعى والأرض « الغراء التألقة » فيسعد بالعشب والنبات ؟

إذن فالحيوان كذلك لا تسير عليه الأرزاق حسب قاعدة مفهومة . فنحن لا خيرة لنا إذن فى تقبل هذا ورفض ذاك ، لا خيرة لنا فى كسبه وملاءمته للطبع والانتفاع به

فهو يكل الأمر جميعاً إلى نظرية الجبرية والجبر المطلق الذى لا تقيده إلا هذه القيود التى لا يتبين أبو العلاء علام كانت وبأى حكمة بنت أحكامها فى العطاء والمنع ، فى الخفض والرفع . وعلى ذلك فهو لا يلوم المجتمع من هذه الناحية ، ما دام الناس ليس لهم بما يجرى بهم يدان ، وليس لهم فى أرزاقهم تصريف . إذن فما يكون من فروق بينهم بنيت على هذه الاقدار والأرزاق فهى تافهة وليست بذات خطر ولا أهمية

ونحن إذا وصلنا إلى هذه المرحلة من تفكير أبى العلاء نجد أنفسنا أمام رجل يثور دواماً على المجتمع ونظامه ، يعدد آثامه وأخطاءه يائساً من إصلاحه والسير به إلى الخير والعدل والأمان ، حامداً فلسفته التى ألهمته الاعتزال « فإن الوحيد فى العالم لا يلحقه عيب من سواه » ، ويدعو إلى إصلاح بالتعاطف والتراحم والمودة

وثورته على النظام الاجتماعى نتيجة مباشرة لآرائه الجبرية . فهو كما قلت لا يريد أن يبنى أحكاماً على أشياء سبق بها القدر فهى خارجة عن حدود تصريف البشر : لا يريد أن يرفعك لمال أو فضل أتاك به الجد والمقدور ، وهو لا يريد أن يحقرك لفقر لم تكن لك به يدان وأعيي الحيلة تحايلك عليه . هو لا يريد أن يسلك هذا المسلك الذى سلكه كل الناس وعليه بنى المجتمع أحكامه . فهذه المقادير تجرى على نظم لو كانت بيد الخلق لغيّرتها

(١) ص ٢٧٢ (٢) ص ٢٩٠ (٣) ص ١١ (٤) ص ١٦٩

تغيراً يقلب من هذه الأوضاع التي جعلت الفاجر مجتبي والفاضل مهضوم الحق معدماً . ثم « إن الناس بنو رجل وامرأة ، ما أدنى المُؤتَشَبِ من اللُّبابِ » . فأمّا ما كان الاختلاف بين الناس فهو لن يخرجهم عن الجنس ولن يقوم بينهم وبين أن ينتسبوا جميعاً إلى صفات مشتركة عامة ، و « النـاسُ في عدل الله سواء . هم سـواء رغم اختـلاف طبقاتهم وأوضاعهم الاجتماعيـة وتقـدير المجتمع لهـذه الاختلافات والأوضاع . فجيئنا إلى الحياة واحد ، وخروجنا من الحياة واحد كذلك . وما دمت ستنتهي إلى غاية تستوي فيهـا الناس جميعاً ، مهما تكن أوضاعهم الاجتماعيـة ، لجدير بك أن تخفف من التعالي ، وألا تسرف فيما بينك وبين غيرك من فروق حكمت بها الأقدار وقدرتها تقديراً ، وجدير بك أن تعطف على الفقير وأن ترأف به: «فمن ذَخر جيلاً وجده عنـد الله » ولا أحد « بالشحِّ أمرك وعلى الدنيا أمرك » من ؟ « أخالقك الذي صورك ؟ كلاً . وعظمته لقـد أنذرك ! »

هذا نظر أبي العلاء في ظاهرة من ظواهر الـكون ، فأما نظره في الـكون نفسه ، فهو امتداد لتلك الفكرة أو أصل لهـا على وجه أصح .

« للبحث صلة »

السيد محمد العزاوي



التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



لم تطل حيرة توفيق فإنه آثر جانب ماليت وخطا بذلك خطوة أخرى من خطواته التي كانت تعجل سير الحوادث أبداً نحو الغاية التي رسمها الإنجليز والتي كان الوصول إليها معناه التهام مصر وازدراد تلك اللقمة التي طالما منت انجلترة نفسها بازدرادها

ولعلنا نذكر من مواقف توفيق السالفة ما كان يدفع به الحوادث في طريق العنف والثورة دفعاً ، فهو الذي أدى إلى انضمام الحزبين العسكري والوطني وتضافرهما يوم تنكر للدستور وأخرج شريفاً من الوزارة وهو الذي تقع على عاتقه قبل غيره مسئولية مظاهرة عابدين ثم هو الذي قبل المذكرة المشتركة فأحبط أعمال شريف للمرة الثانية وصدم الوطنيين صدمة لم تدع لهم بعد رجاء فيه

وليس بعجيب أن تكون خطى توفيق كلها مفضية إلى الاقتراب من الكارثة فإنما كان يعمل بوحي من الإنجليز وهؤلاء قد عينوا الهدف الذي يقصدون إليه بسياستهم ؛ وكان الخديو قد دان بمبدأ يحسب أنه جرى في نفسه مجرى العقيدة، وذلك أن يؤثر جانب الانجليز في كل شيء لأن في ذلك كما توهم منجاته من الصعاب التي كانت تحيط بعرشه

رأى الخديو كما رأى ماليت أن حكم المجلس العسكري على المتآمرين من الجراكسة حكم جائر لا يسعه الموافقة عليه ، ورأت الوزارة من جانبها أنها سلكت في المسألة منذ بدايتها مسلكاً لا غميزة فيه فهي بذلك تتمسك بالحكم الذي أصدره المجلس، هذا إلى أن رفض الحكم من شأنه أن يضيع هيبتها وينتقص نفوذها ثم إنها فوق ذلك ترى التحيز واضحاً من جانب الخديو ذلك الذي كان يتشدد بالأمس أعظم التشدد يوم سيق عرابي وصاحباه إلى المحاكمة لمجرد أنهم شكوا إلى أولياء الأمر حالهم ... ومن هنا قامت أمام البلاد مشكلة من أدق المشاكل وأخطرها

وكان الذي يغضب الأمة والوزارة في الواقع أشد الغضب وآلمه تدخل الانجليز في تلك المسألة التي لا صلة لهم بها ولا شبه صلة ، وأحست الوزارة أن غرضهم هو إحراجها فحسب ، ومن هنا اتخذت المشكلة مظهراً دقيقاً غاية الدقة خطيراً كل الخطر ، فلقد وجد الوطنيون البلاد تلقاء موقف تمتحن فيه الكرامة الوطنية والعزة القومية ، ورأوا الظروف تعود من جديد فتظهر للخديو أن لا سبيل له إلا سبيل الوطنيين لأنه بانحرافه عن هذه السبيل إنما يطعن البلاد طعنة نجلاء في صميم قوميتها

ولقد فرح المستعمرون ، لا ريب ، أن تتعقد المشكلة على هذا النحو، وزاد فرحهم أنها من صنع أيديهم ، لذلك كانوا لا يألون جهداً في العمل على تفاقمها بكل ما وسعهم من مكر وخبث ، وراحت صحفهم تزيد نار الخلاف اشتعالاً ، لا تتورع ولا تتوانى ومن ورائها رجال السياسة ورجال المال يصورون مصر في أشنع حالات الفوضى والاضطراب، فلقد سيطر رجال العسكرية وسيطر زعيمهم عرابي على كل شيء حتى ما يقف في طريقه حائل من قانون أو التزامات حتمتها الديون والظروف على مصر

وكان الخديو في الواقع تلقاء آخر فرصة يستطيع أن ينقذ بها مصر مما كان يبيت لها ، ولكنه ألفى نفسه سليب الإرادة أمام إرادة الانجليز ، بل لعله فرح أن يلطم وزارة البارودي لطمة يتخلص بها منها ويتخلص بذلك من عرابي الذي بات يغار منه أشد الغيرة حتى ما يطيق أن يسمع اسمه ... وليت توفيقاً تحرك

من تلقاء نفسه، إذاً لهان الخطب وخفت وطأة البلوى على النفوس فقد كان يمكن أن يقال يومئذ إنه ارتأى رأياً ، وإنه ينتوى الخير أو ينتوى الشر حسب ما يرى ، ولكنه وا أسفاه كان يقوى على الوطنيين بضعفه فلم يك يريد شيئاً وإنما كان يراد له كل ما يأخذ أو يدع من أمر

وبدا لماليت فأوعز إلى الخديو أن يتخلص من المأزق بعرض الأمر على السلطان ، وحجته أن عثمان رفقى يحمل لقب الفريق ، فلا يجوز لأحد غير السلطان أن ينزع منه هذا اللقب . وسرعان ما فعل توفيق كما أشار به ماليت فزاد الأمور ارتباكاً وتعقيداً

ولقد أخطأ ماليت خطأ كبيراً فيما أشار به ، فإنه جر بذلك تركيا إلى الدخول في ذلك النضال، الأمر الذى كانت تحذره الدولتان أعظم الحذر وإن كانت إحداهما تخفيه ، بينما الأخرى لا تتحرج من أن تعلنه في كل مناسبة وتبديه .

أما الوطنيون فقد غضبوا لذلك أشد الغضب ، ورأوا فيه ضرباً جديداً من لؤم ماليت ، فأجمعوا أن يمنعوا تدخل تركيا مهما كلفهم ذلك من وجوه الصعاب والمشاق . وبلغ الغضب برئيس الوزراء أن يعلن في عزم مصمم « أنه إذا أرسل الباب العالى أمراً بنقض حكم المجلس العسكرى على الجراكسة السجناء ، فإنا لن نطيع هذا الأمر ، وإذا أرسل الباب العالى من قبله مندوبين ، فسوف لا نسمح لهم أن يهبطوا مصر ، وسوف نردهم بالقوة إذا لزم الأمر[1] »

وهذه لا ريب ثورة غضب من البارودى نعدها من أخطائه . فلقد أفضى بهذا التصريح إلى ماليت ، وهذا أرسله إلى حكومته وإنه لشديد الاغتباط به إذ يسوقه دليلاً على أن الأمور قد بلغت غاية التحرج ؛ ثم إنه يسوقه من الجهة الأخرى دليلاً على صحة ما ذكره مراراً وهو تسلط زعماء الجيش واستهتارهم بكل سلطة. ولم ينج عرابى من حملات الكائدين له وحمل مسئولية هذا التصريح كأنما كان هو قائله ، وأرجف المرجفون أن البارودى إنما يعمل بوحى من عرابى الذى يعتبر الحاكم الحقيقى للبلاد !

الحق أن البارودى قد أساء إلى القضية إساءة كبيرة بهذا التصريح . فهو فضلاً عما ذكرنا ، إنما يتحدى السلطان في ذلك الوقت العصيب فيضيف إلى أعدائه عدواً جديداً، وإن الذى يحيط به الأعداء من كل جانب لجدير به أن يحتال ليستل السخائم من صدورهم ، أو ليكسب من الأعوان والأصدقاء من يكونون له في الشدة قوة وسنداً

ولعل البارودى كما نفهم من المسألة المصرية يومئذ في جلتها ، كان يكره تدخل السلطان العثمانى كما يكره تدخل انجلترة وفرنسا ؛ ولم يك ذلك عن حب في استقلال مصر ورغبة في سيادتها ، وإنما كانت لهذا الرجل أطماع جليلة الخطر . فكان يتطلع ببصره إلى عرش مصر ، وكانت توسوس إليه نفسه أنه بهذا المركز جدير فني عروقه دماء الحاكمين منذ القدم . فهو كما يزعم من سلالة الأشرف (بارسباى) ، وعلى ذلك ، فقد كان جده من زمن بعيد على ذلك العرش الذى تنزع اليوم إليه نفسه ، والذى يخشى أن تشايع تركيا الأمير عبد الحليم فيتربع فوقه إذا أخلى من الجالس عليه

وكانت النتيجة المباشرة لهذا التصريح استحكام الأزمة بين الوزارة والخديو . فلقد رأى توفيق أنه أصبح في الواقع وليس له من الأمر شيء . فإذا كان البارودى يقف هذا الموقف في وجه السلطان نفسه، فكيف به إذا وقف منه هو ؟ وهذا هو المعنى الذى كان لا يفتأ ماليت وأعوانه يوحونه إلى الخديو في تلك الأزمة العصيبة

ولو أن الوزارة أصرت يومئذ على موقف العناد والصرامة لحلت قسطاً كبيراً من المسئولية عن تعقد الأمور وتحرجها ، ولكنها ما لبثت أن خطت خطوة حميدة حقاً تنطوى على كثير من الكياسة وبعد النظر ، فإنها تقدمت إلى الخديو تقترح أن يخفف هو الحكم من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى تركيا أو غيرها ، والوزارة ترضى في هذه المسألة أن ينفى المحكوم عليهم من مصر إلى أى جهة من الجهات دون أن تمس رتبهم أو ألقابهم وإنما تستبعد أسماؤهم من سجلات الجيش المصرى

وهذا المقترح لا ريب دليل صادق على حسن نية الوزارة ورغبتها في أن تنتهى تلك المسألة وتنجو البلاد من لؤم الأعداء ، وهى فيما تقدمت به متساهلة أكبر التساهل ، فما دام المجلس العسكرى قد حكم بإدانة هؤلاء وإبعادهم من البلاد يقتضى حتماً إبعادهم من الجيش . . ولكن الخديو وا أسفاه قد تنمر اليوم للوزارة وتنكر ، فرفض أن يجيبها إلى هذا المقترح

وكان ماليت من ورائه لا ينفك يوسوس له ويزين له فعل السوء ؛ وكان جرانفل قد أنكر من ماليت ما أشار به على الخديو من دعوة تركيا إلى التدخل ، فكتب إليه أن يسير على وفاق

---

(1) Cromer : — Modern Egypt

مع ممثل فرنسا ، وفى هذا تلميح إلى ما كان فى سياسته من خطأ، وكان ممثل فرنسا يسير بوحى من فرسنيه ، ولكن ماليت قد عز عليه أن يتراجع بعد هذه الخطوات فينقض ما نسجه بيده من غزل، فانظر إليه كيف يخلع النقاب على صورة قل أن يوجد مثيل لها فى سجل السياسة العام فيكتب إلى جرانفل قائلاً : « إسمحوا لى أن ألاحظ أنه عند النظر فى الخطة التى يجب أن يسلكها الخديو بإزاء حكم المجلس العسكرى يجب أن نلق نظرة عامة على الحالة كلها ، وأن نذكر أن الوزارة الحاضرة تسمى لتضييق نطاق الحماية الإنجليزية الفرنسية ، وأن نفوذنا أخذ كل يوم فى النقصان وقد يستحيل علينا أن نستعيد سلطتنا العليا حتى تخضد شوكة الحكم العسكرى الذى يرزح القطر تحته الآن . وفى اعتقادى أنه لا بد من حدوث ارتباكات شديدة قبل الوصول إلى حل مرض للمسألة المصرية ، وأن الحكمة تقضى باستعجال هذه الارتباكات لا بتأجيلها [١] »

وأى كلام يمكن أن نعلق به على هذا الذى يقول ماليت وعلى الأخص تلك الحكمة التى يشير إليها ؟ أهكذا تطغى المطامع على العقول والقلوب حتى لتجعل من الحكمة استعجال الارتباكات ! ولكن خرافة الذئب والحمل لن تزال أبداً الأساس الذى يقوم عليه المنطق فى كل ما يجرى من كلام بين الضعيف والقوى فى هذا الوجود

وأى دليل أبلغ من هذا الدليل على صحة ما ذكرناه ويذكره كل منصف عن السياسة الإنجليزية تجاه مصر منذ كان لها فى هذا الوادى أطماع ؟ ألا إنا لنقرر فى غير تردد أن هذه السياسة اللئيمة كانت خليقة بأن تقابل من جانب الوطنيين بكل مقاومة ، بل إنها سياسة كان يغتفر فى مقاومتها يومئذ كل عنف ... ولكن بعض الناس لا يزالون يأخذون على عرابى وحزبه تشددهم وعدم مصانعتهم خصومهم ويعدون حسناتهم هذه من السيئات التى لا تغتفر ولا تنسى

ورأى جرانفل أن يشايع فرسنيه فى هذه المسألة وكان يرى فرسنيه أن يخفف توفيق الحكم كما ترى الوزارة فتنتهى هذه الأزمة ؛ ولكن كيف يدع ماليت الفرصة تمر وهى من صنع يديه ؟ وكيف يطيق أن تخرج الوزارة من الأزمة ظافرة فيكون ظفرها فى الواقع هزيمة له ؟ لذلك ما زال بتوفيق حتى وقع على أوراق الحكم بنفى المتآمرين إلى خارج البلاد مع عدم استبعاد أسمائهم من سجلات الجيش !

وتلقت الوزارة اللطمة وتلقتها معها البلاد، وآلم عرابى وضباط الجيش من الوطنيين هذا الترفق بالمتآمرين وهم الذين كانوا على وشك أن يفقدوا رؤوسهم بالأمس أو ينفوا إلى أقصى السودان لأنهم شكوا من سوء ما يصنع بهم رفق ...

وأعلنت الوزارة على لسان رئيسها أن لا بد من قرار يلغى هذا القرار حتى تمحى تلك الإهانة التى وجهت إليها وإلى البلاد فى شخصها ، ولكن ماليت حذر الخديو أن يجيب وزراءه إلى ما طلبوا ؛ ويستطيع القارئ أن يدرك خطورة هذا الموقف فلقد تأكدت القطيعة بين الخديو ووزرائه وانعدمت الصلة وتفاقم البلاء

وصل كل من الطرفين إلى الموقف الذى يفسر به كل عمل حسب ما يجرى فى أطواء النفوس، ففى كل حركة ريبة وفى كل بادرة إهانة ، وكل نية لن تكون إلا نية سوء ، وكل جنوح إلى السلم لن يؤخذ إلا على أنه ضرب من الهزيمة والتسليم ، وكل كلمة نابية أو شديدة لن تفهم إلا على أنها ضرب من التحدى يراد به إعنات القلوب وإحراج الصدور ...

وفى هذا الموقف الخطير راح السير إدوارد ماليت يجنى ثمار غرسه وإنه ليطفر من الفرح كما يطفر الشيطان . كتب إلى جرانفل فى اليوم الثامن عشر من شهر مايو سنة ١٨٨٢ أى بعد قرار الخديو بتسعة أيام يقول « لقد انقطعت العلاقة بين الخديو ووزرائه ووصل الموقف إلى أقصى الخطورة »

وتقدمت الوزارة لترد على الخديو فخطت خطوة جريئة بالغة الجرأة، فدعت مجلس النواب دون الرجوع إلى الخديو لتعرض عليه الأمر ، فازدادت الأمور حرجاً على حرج ، فلقد عد أعداء البلاد هذا العمل من الوزارة بمثابة خروج على الحاكم الشرعى لا يقل فى مغزاه عن خلعه من عرشه ، ونسوا أو تناسوا أن الخديو باتباع مشورتهم هو الذى دفع الوزارة حتى أوقعها فى مأزق ضيق بحيث لم يبق أمامها إلا أن تقر الخديو على خروجه على الدستور ومشايعته أعداء البلاد أو تستقيل، وفى كلا الأمرين تفريط منها فى حقوق البلاد فضلاً عن كرامة رجالها

وانطلقت الشائعات من هنا ومن هناك ، فالبارودى يريد أن يثب إلى العرش والجيش على أهبة لأن يتحرك إلى عابدين

(١) المسألة المصرية تعريب الأستاذين بدران والعبادى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٨٦ — انو الخير

فى (الآداب الشرعية) لابن مفلح المقدسى : قال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه يوماً : أوصنى يا أبت

فقال : (يا بنىّ، انو الخيرَ، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير)

هذه وصية عظيمة سهلة على المسئول ، سهلة الفهم والامتثال على السائل ، وفاعلها ثوابه مستمر لدوامها واستمرارها ، وهى صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعاً ، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق وأنه يثاب عليها .

٤٨٧ — فإنا بها نسلو

أبو الفتح على بن محمد البستى :

يقولون : إن المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسلُ

فقلت لهم: نسلى بدائع حكمتى ... فإن فاتنا نسل فإنّا بها نسلو

٤٨٨ — السمر . . .

ياقوت فى (معجم البلدان) : مِرْباط فُرْضة[1] مدينة ظَفَارِ[1]، وهى مدينة مفردة بين حضرموت وعُمان على ساحل البحر ، وأهلها عرب ، وزيهم زى العرب القديم ، وفيهم صلاح مع شراسة فى خلقهم وتعصب ، وفيهم قلة غيرة كأنهم اكتسبوها بالعادة ؛ وذلك أنه فى كل ليلة تخرج نساؤهم إلى ظاهر مدينتهم ويسامرن الرجال الذين لا حرمة بينهم ، ويلاعبنهم ، ويجالسنهم إلى أن يذهب أكثر الليل ، فيجوز الرجل على زوجته وأخته ، وأمه وعمته، فإذا هى تلاعب آخر وتحادثه، فيعرض عنها ويمضى إلى امرأة غيره ، فيجالسها كما فعل بزوجته . وقد قلت لرجل منهم عاقل أديب : بلغنى عنكم شىء أنكرته ، ولا أعرف صحته ، فبادرنى وقال : لعلك تعنى (السمر) قلت : ما أردت غيره . فقال: الذى بلغك من ذلك صحيح ، وبالله أقسم إنه لقبيح ، ولكن عليه نشأنا ، ولو استطعنا أن نزيله لأزلناه ، ولكن لا سبيل إلى ذلك مع مر السنين واستمرار العادة به .

٤٨٩ — فلا عجب

(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة : حكى عن أبقراط أنه أقبل بالتعليم على حدَث من تلامذته ، فعاتبه الشيوخ على تقديمه إياه عليهم . فقال : ألا تعلمون ما السبب فى تقديمه عليكم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم: ما أعجبُ ما فى الدنيا؟ فقال أحدُهم ؛ السماء والأفلاك والكواكب . وقال آخر : الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الإنسان وتركيبه. ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول: لا ، فقال للصبى: ما أعجب ما فى الدنيا ؟ فقال : أيها الحكيم ، إذا كان كل ما فى الدنيا عجباً فلا عجب . فقال الحكيم : لأجل هذا قدمته لفطنته

٤٩٠ — الآية صدقت

فى (مفتاح دار السعادة) لابن الجوزى : حكى أن امرأة أتت منجماً فأعطته درهماً ، فأخذ طالعها وحكم وقال الطالع . فقالت : لم يكن شىء من ذلك . ثم أخذ الطالع وقال: يخبر بكذا. فأنكرته

(١) الفرضة . مرفأ السفن

(١) ظفار : بالبناء على الكسر وقد نقل إعرابها ، وهذه تعرف بظفار الساحل . وفى اليمن أربعة مواضع بهذا الاسم ، مدينتان وحصنان .

ليرغم توفيقاً على قبول مطالب الوطنيين كما أرغمه على مثل ذلك فى اليوم التاسع من شهر سبتمبر من العام الماضى ، والخديو بعد العدة للمقاومة إلى غير ذلك من الأراجيف التى كان من طبيعة مثل ذلك الموقف أن يخلقها

ولو كانت الروح العسكرية هى المسيطرة على الحكم يومئذ كما أرجف المرجفون لما وقف حائل أمام الجيش دون الذهاب إلى القصر وليكن بعد ذلك النصر أو الطوفان ، ولكن الوزارة رأت أن تحتكم إلى نواب البلاد ، ولما كانت واثقة أن الخديو لن يدعو المجلس دعته هى ليفصل فى الأمر ولا عبرة بالشكل فى سبيل تحقيق الجوهر .   « يتبع »   الخفيف

حتى قال : إنه ليدل على قَطْع من بيت المال

فقالت : الآن صدقت ، وهو الدرهم الذى دفعته إليك . . .

٤٩١ — وترسل فى زروعهم اذا يبست

فى (صبح الأعشى) : كان قوم من هذه المملكة (المصرية) مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على إحراق زروعهم بأن تمسك الثعالب ونحوها وتربط الخرق المغموسة فى الزيت بأذناب تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل فى زروعهم إذا يبست ، فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنابها ، فتذهب فى الزروع آخذة يميناً وشمالاً ، فما مرت بشىء إلا أحرقته ، وتواصلت النار من بعضها إلى بعض فتحرق المزرعة عن آخرها . وهذا الأمر قد بطل حكمه من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار

٤٩٢ — أرسطو ، المتنبي

فى (الرسالة الحاتمية) : قال أرسطو : إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علماً ، فهو يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله فتمقته النفوس

قال أبو الطيب :

وما التيه طبي فيهم غير أننى ... بغيض إلىّ الجاهل المتعاقل[1]

٤٩٣ — دع اسمه وأعطنا جسمه

(زهر الآداب) : قال حسن بن جنادة الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب السلطان فوقف علىّ . فقلت : من أين ؟ قال : كنت عنـد بعض الملوك فأكلنا طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وبُخِّرنا وخُلِّقنا[2] ، فخرجت هارباً من المجلس نافراً إلى التسلى ، وما فى منزلى نبيذ ، ولكن عندى خمر أريده[3] لبعض الأدوية ، فقلت : دع اسمه ، وأعطنا جسمه ، فليس يثنينا عن المدام ماجنته به من اسم الحرام .

---

(١) الطب : العادة والديدن ومنه بيت الكتاب :

وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

قال الحاتمى : وجدنا أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قد أتى فى شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية ، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق فى درس العلوم ، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ العربية ، وهو فى الحالتين على غاية من الفضل قلت : يريد الحاتمى بالغريبة البارعة الفائقة

(٢) الخلوق والخلاق كصبور وكتاب : ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره « التاج » (٣) الأعرف فى الخمر التأنيث وقد يذكر وأنكره الأصمعى « التاج » وفى « المخصص » تذكر وتؤنث

إلى دودة

للأستاذ ميخائيل نعيمه

تدبّين دبّ الوهن في جسمي الفاني
وأسعى بجدٍّ خلف نعشي وأكفاني
فأجتاز عمري راكضاً متعثراً بأنقاض آمالي وأشباح أشجاني
وأبني قصوراً من هباء وأشتكي إذا عبثت كف الزمان ببنياني
ففي كل يومٍ لي حياة جديدة وفي كل يومٍ سكرة الموت تغشاني
ولولا ضباب الشك يا دودة الثرى لكنت ألاقي في دبيبك إيماني
فأترك أفكاري تذيع غرورها وأترك أحزاني تكفّن أحزاني
وأزحف في عيشي نظيرك جاهلاً دواعي وجدي أو بواعث وجداني
ومستسلماً في كل أمرٍ وحالةٍ لحكمة ربي لا لأحكام إنسان
فما أنت عمياء يقودك مبصر وأمشي بصيراً في مسالك عميان
لك الأرض مهد والسماء مظلّة
ولي فيهما من ضيق فكريَ سجنان
لئن ضاقتا بي لم تضيقا بحاجتي ولكن بجهلي وادعائي بعرفاني
ففي داخلي ضدّان: قلب مسلّم وفكر عنيد بالتساؤل أضناني
توهّمَ أن الكونَ سرٌّ وأنه ينال ببحثٍ أو يباح ببرهان
فراح يجوب الأرض والجوّ والسما
يسائل عن قاصٍ ويبحث عن دان
وكنتُ قصيداً قبل ذلك كاملاً فضعضع ما بي من معانٍ وأوزان
وأنت التي يستصغر الكل قدرها ويحسبها بعضٌ زيادة نقصان
تدبّين في حضن الحياة طليقةً ولا همّ يضنيك بأسرار أكوان
فلا تسألين الأرضَ مَنْ مدّ طولها
ولا الشمس مَن لظّى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصدٍ لها في هبوبها ولا الوردة الحمراء في لونها القاني
وما أنتِ في عين الحياة دميمة وأصغر قدراً من نسور وعقبان
فلا التبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوّان
هل استبدلت يوماً غراباً ببلبل؟ وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان؟
وهل حقنت غدرانها من ضفادع وأوجدت الأبحار ملهى لحيتان؟
وهل أطلعت شمساً لتحرقَ عوسجاً
وتملأ سطح الأرض بالآسِ والبانُ ؟
لعمركِ يا أختاه ما في حياتنا مراتب قدرٍ أو تفاوت أثمان
مظاهرها في الكون تبدو لناظر كثيرة أشكال عديدة ألوان
وأقنومها باقٍ من البدء واحداً تجلّت بشهبٍ أم تجلت بديدان
وما ناشد أسرارها ، وهو كشفها ،
سوى مشترٍ بالماء حرقةَ عطشان

ميخائيل نعيمه

المعنى التائه

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

أنت معنًى تائهٌ في ذات نفسي يا حياتي
كلما دقّقتُ فيه طوّحتْ بي خطراتي

* * *

كان ، قبل الحب ، قلبي يتغنّى هائماً
في رياضٍ طلَعَ البدرُ عليها باسماً
وليالٍ رقدَ الكونُ عليها حالماً
تتراءى بَسْمةُ الثغرِ عليها دائماً
ثم طار القلبُ حيناً في وسيع الخلَواتِ
وصداهُ لم يزلْ يُسْمَعُ حلوَ النَّغَماتِ ...

* * *

لستُ أدري أين ولّى ، حين ولّى ومضى ؟!
هو في الأفق توارى وتلاشى في الفضا
مثل لحظٍ بعثته الغيدُ في ساعِ الرضى
أو كبرقٍ خطف الأبصارَ لما ومضا
واختفى عن مقلتي قلبي ، سريعَ النبضاتِ
وتلاشى الصوتُ في الآفاق إلاّ الهمساتِ

* * *

همساتٌ كُنّ كالوحي سريعات التّخَفي
لم تكدْ تهبط حتى أسرعتْ في مثل خوفِ
وتلاشتْ ، وأنا أبحث عنها مثل طَيْفِ
غير أن الزهر أفشى سرها في طيب عَرْفِ

فذكا . واستشمرتْ روحى حديثَ الزَّهَراتِ
فنشقتُ العطرَ حتى أسكرتْنى نَشَقاتى

***

نَمِلَتْ روحى قليلاً ، وغفتْ عيناى حينا
فتعرَّتْ ذكرياتى عن جلابيب السنينا
ومضت ترقص أحلاماً تهزُّ الحالمينا
وترامت فوق صدرى فترقَّقتُ حنونا
فى احتضانى جسمها الرطب وكانت قُبُلاتى
تستر الجسمَ المُعرَّى عن دنايا نظراتى . . .

***

مَنْ هى الحسناء ؟ . . . ذكرى حبٍّ روحى
نزلتْ من أوجها العالى لمشوقٍ جريحِ
مَنْ هو المشوقُ ؟ . . . يا أحلامُ بوحى !
لم تَبُحْ أحلامُ نوى ورنَتْ للذكرياتِ
فأفاقت ومضَتْ عنى وحَلَّتْ يقظاتى

***

وإذا بالُحلم معنًى تائهٌ فى ذات نفسى
أستمدُّ الوَحْىَ منهُ فى خيالاتى وحِسِّى
وإذا فى راحةِ النفسِ وكونُ الله مُمْسِ
هتفتْ روحى بقلبى فإذا بالقلبِ آتِ
وإذا بالُحلم يبدو مُحْيِياً لى ذكرياتى

حسن كامل الصيرفى

غرور الفنان وعقابه

للأستاذ على أحمد باكثير

« يريد الشاعر أن يصور فى هذا الغزل الفلسفى غرور الفنان فى تصوره أنه خالق فيعاقب بتمرد خلقه عليه حتى أنه ليود أن يتنازل عن ربوبيته المزعومة لمن خلقه لكي ينال رضاه وحنانه ، فإذا ما أبى عليه ذلك رجا منه أن يمسحه من لوح الوجود لأنه أصبح زوراً لا محل له فى الوجود ، وينتهى به الأمر إلى الرجوع إلى الله وأنه الخالق وحده لا خالق سواه فمن نازعه هذا الرداء لقى هذا العذاب الكبير »

فيم يا زهرةَ الجمال تنكّرْتِ لقلبى فارتدَّ عنكِ كسيرا ؟
أولستُ الذى غرستُكِ فى قلبى وأسقيتك الزلال النميرا ؟
وقضيتُ النهار والليل أرعاكِ أقيك الهجير والزمهريرا
أنت حُلمى إذا أويتُ إلى النوم وشغلى إذا برحْتُ السريرا
تتلاشى روحى عليك حناناً وارتقاباً ولوعةً وحبورا
مُوقداً ذوب مهجتى لكِ شمعاً يطرد الرَّوْعَ عنكِ والديجورا
ضارباً كلَّةً عليك من الأحلام تنفى عنكِ الأذى والشرورا
جاعلاً من شوق إليكِ صلاةً محرقاً من دمى عليك بخورا

***

فى طريق إليكِ تخطبنى الأزهار شتى يعبقن عِطراً ونورا
يتمايلن معرضاتٍ مريداتٍ ولَلثْم يتمِشْنَ ثغورا
فتكبّرتُ أن أجود عليهنّ بطرفى بَلْهَ الهوى والشعورا
وتحملتُ مِنْ ملام ضميرى فى أذاهُنّ ما يهدُّ الضميرا
لا أبالى إذا رضيتِ رضى الناس جميعاً وودهم والنفورا
ولتضع من يدى الحظوظُ فحسبى أنّ طرفى يرنو إليكِ قريرا
لا تخافى منى اقتطاماً فحسبى أن أنال الرضاء منك اليسيرا
هو رجواى فى الحياة فإن أدْركه أدرك خُلداً وملكا كبيرا

***

أنا قلّدْتكِ الجمال وصوّرْتكِ ما شاءتِ المنى تصويرا !
وبفنّى خلّدتُ حسنك فى الكون وأسجدتُ فى ثراكِ الحورا
وجعلتُ الزمان يشدو بلحْنَيكِ فيحيى الأمى ويحيى السرورا
أفترضَيْنَ بعد هذا لقلبى أن يكون المرزّأ المهجورا ؟
أنتِ خَلْقى . . . وارحمتاه لربٍّ صار يوماً بخَلْقه مستجيرا !
أرددينى خَلقاً وكونى إلٰهاً تشملى بالحنان قلبى الكسيرا !
وترىْ ما بهِ . . . فمن يكُ ربًّا يكُ طبًّا بخلقه وخبيرا
لا أبالى إذا غدوتِ لقلبى وحده كنتُ آمِراً أو أسيرا
فإذا ما أبيتِ إلا شقائى فامسحى من لوح الوجود الزورا !
أعدِمينى فلا أطيقُ عذابينِ خلوداً قدّرتِ لى وسعيرا !

***

كنتِ فى خاطرى وكنت سعيداً قبل أن تظهرى لعينى ظهورا !
آه ، يا ليتنى كتمتكِ سرًّا حيث كنتِ الدهور ثم الدهورا !
لكُفِيتُ الأسى إذاً والتباريح ودُمْتُ النعّمَ الموفورا

***

ما توقعتُ إذ جبلتُكِ طيناً فى يَدِى أن أصير هذا المصيرا !
إنّ هذا جزاء من نازع الله علاه يلقى العذاب الكبيرا !

على أحمد باكثير


هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله جهز شايا ثقيلاً ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسب ما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



دراسات فى الفن

الفن والحـــــرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

مظاهر الحياة فى الإنسان ثلاثة ، يرجع إليها كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات وسكنات . وهذه المظاهر هى الحس والعقل والخلق . والإنسان الوسط يستطيع أن يلحظ فى غيره بسهولة تامة النقص الذى يعترى ناحية أو أكثر من هذه النواحى الثلاث . فيحكم عليه بأنه بارد الحس ، أو ناقص العقل ، أو معوج الخلق . وليس يهمنا ما يقال من أن الحكم فى هذه الأحوال لا يكون إلا تقديرياً ، وإنما الذى يعنينا هو أن الحس والعقل والخلق موجودة فى كل إنسان ، وإن تفاوت وضوحها ، ووضوح اتجاهاتها فى الناس ، وإن اختلفت معاييرها فليس ينفى وجود القمح أن يكيله ناس بالأردب ، وأن يزنه ناس بالقنطار . . .

ولما كان الكمال البشرى يستدعى رقى الإنسان فى نواحيه جميعاً بحيث تنسجم هذه النواحى فيه وتتوازن وتتضافر فتخطو به خطوة جديدة فى طريق التطور والارتقاء تلبية لنداء الطبيعة التى تريدها ، لزم أن يكون كل عمل من أعمال الإنسان صادراً عن حس مرتق ، وعقل مرتق ، وخلق مرتق . فإذا اختل التوازن بين الحس والعقل والخلق فى أى عمل من أعمال الإنسان عاب هذا الاختلال العمل وأنقص قدره .

ونحن إذا نظرنا إلى هذه النواحى الثلاث رأينا لكل ناحية منها طريقاً خاصاً من طرق الرقى الإنسانى تسمى فيه . فالحس طريقه الفن ، والعقل طريقة العلم ، والخلق طريقه الفضيلة

وأكمل الناس من غير شك هو الذى يرقى فى معراج التطور بحسه وعقله وخلقه ، وأقل منه كمالاً من يرقى فى هـذا المعراج بناحيتين فقط من نواحيه الثلاث ، والأقل كمالاً من يرقى فى هذا المعراج بناحية واحدة . وأغلب الناس غير متوازنين ، بل إن أغلبهم تنصقل فى نفسه ناحية واحدة فقط من هذه النواحى فتضىء ما حوله ولكن بلون نورها هى ، بينما يتخافت إلى جانبها النوران المنبعثان من الناحيتين الأخريين . وهكذا كان فى الناس فنانون لا صلة لهم بالعقل ولا بالعلوم إلا ما يرد عنهم اتهام الناس إياهم بالجنون ، أو بعض هـذا الاتهام ، بل إن منهم من يرميه الناس بالجنون ، وفنانون لا صلة لهم بالعقل ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالفسق إلى جانب الجنون . وهكذا أيضاً كان فى الناس علماء لا صلة لهم بالحس فهم باردون، وعلماء لا صلة لهم بالحس ولا بالخلق، ومنهم من يرميه الناس بالجشع إلى جانب البرود . وهكذا أخيراً كان فى الناس فضلاء تنبعث الفضيلة من أنفسهم فينالها من يكرههم كما تصيب من يحبهم لا يحبسونها ولو أوذوا، فلاهم عقلاء يحذرون كما يحذر غيرهم من العقلاء ، ولا هم يحسون الشر فيما يحسون ، وهؤلاء من بين أصحاب الفضيلة هم الأتقياء الزاهدون المضحون المظلومون .

وكل فرد من هؤلاء الأفراد الخارقين فى نواحيهم الخاصة ، والمتسامين فيها على مستوى الجمهور يعتبر عبقريًا فى ناحية وإن أحصت عليه الإنسانية النقص فى الناحيتين الأخريين ، فما تزال العبقرية فى نظر الناس ضرباً من ضروب الشذوذ، أو هى فى الحق كذلك ما دامت تنحو إحدى نواحيه فقط

فإذا أنكرنا على الإنسان أنانيته وطالبناه بأن يرعى خير الإنسانية فى كل عمل من أعماله وعلى الخصوص فى تلك الأعمال التى تتصل بغيره وتؤثر فيه فإننا لا نملك إزاء الفنانين إلا أن نطالبهم بأن تتضافر نواحيهم الثلاث فى إنتاجهم الفنى كما نطلب

ذلك من العلماء ، وكما نطلب ذلك من أهل الفضيلة . فالفن أو أكمل الفن هو ما أرضى العقل والخلق إلى جانب ما يرضى الحس ، كما أن العلم أو أكمل العلم هو ما أرضى الحس والخلق إلى جانب ما يرضى العقل ، وكما أن الفضيلة أو أكمل الفضيلة هى ما أرضى العقل والحس إلى جانب ما يرضى الخلق

هـذا إذا راعينا أن الفنون والعلوم والفضائل هى أهداف الإنسانية التى تلح فى سبيل الوصول إلى استكمالها موحدة منسجمة متزنة . فإذا لم ندقق كل التدقيق فى هذا ؛ فإنه يجوز منا أن نبيح للفنان أن يحاول السير فى طريقه بالحس وحده ، وللعالم أن يسير بالعقل وحده ، وللرجل الفاضل أن يسير بالخلق وحده .

ولكن للانسانية مثلاً عالياً تنزع إليه وتريد أن تلحقه وإن اختلفت صوره فى أذهان الناس. ونحن إذا ما حاولنا أن نستخلص من بين هذه الصور الصورة التى نعتقد أنها أصدق صور الكمال فإننا عندئذ سنستطيع أن نتصور إلى جانبها صورة للانسانية تكون هى أقرب صور الإنسان من الكمال ، ويكون هذا تبعاً لمدى ما تحققه صورة الفرد من نواحى الكمال المطلوبة فى صورة الإنسانية الكاملة . وسنرى كيف يمكن أن يتم التوازن بين حس الإنسان وعقله وخلقه فى هذه الصورة العالية التى نكتشفها. وسنرى هل يتم هذا التوازن إذا كان للإنسان من حسه ومن عقله ومن خلقه مقادير متساوية، أو أن هذا التوازن يمكن أن يتم باختلاف فى مقاديرها لسمو فى بعضها وخفة فى بعضها أو لضرورة تستوجب بعضها ولجواز يمكن به الاستغناء عن بعضها فى بعض الأحيان .

سنختلف .

فقد اختلف الناس فى هذا منذ أحسوا ، ومنذ عقلوا ، ومنذ كانت لهم أخلاق ، وسيظلون مختلفين فى هذا إلى أن يشاء الله فيكونوا أمة واحدة ، وهم الآن أمم . ولكل أمة منهم مثل ، وكل أمة منهم تنزع إلى تحقيق مثلها جادة حيناً ومتكئة حيناً ، ومتناومة فى أغلب الأحيان .

فإذا سألنى سائل عن أمتى ، ومثلى الذى أنزع إليه مؤمناً به، فأنا من أمة محمد . الفن عندى ما يحقق المثل الأعلى الذى رسمه محمد بدينه للحياة ، والعلم عندى هو ما يحقق هذا المثل ، والخلق عندى ما يتفق وروح الإسلام .

ولست أقهر إنساناً على أن يدخل فى أمتى ، ولا على أن يتدله بمثلى الأعلى ، ولكنى أقولها بعد تأمل أعتقد أنه قد يكفى متعجلاً مثلى من أبناء هذا العصر المجول ... كلة فيها من القدم رزانة الشيخوخة ومن الأبدية عنفوان الشباب ، وهى أن المثل الأعلى الذى رسمه الإسلام للانسان والصورة النقية التى رسمها للانسانية هما صورة أرق حتى فى أرق سورة للحياة ، فما كان عبثاً ما قال الله من أن محمداً هو خاتم النبيين والمرسلين ، وأن الإسلام هو ختام الأديان . ونحن إذا أنعمنا النظر فى الإسلام رأيناه يشمل كل الأديان الساعية إلى الله ، وأنه يبرىء الله مما ألحقه به الناس من الباطل والزيف . وإذا صدق هذا صدق معه أن أسمى المثل الإنسانية العليا ليس إلا بعض المثل الإسلامى الأعلى ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نجعل الإسلام حكماً على أعمال الإنسان الروحية كلها سواء منها الحسية والعقلية والخلقية ، فإذا لم يرض بعض الناس عن الإسلام حكماً فلهم أمثلتهم العليا يحكمونها كما يشاؤون فيما يشاؤون فكل ما يملكه عاجز ضعيف مثلى فى مقام كهذا هو أن يقول لهم : قبل أن تستبعدو الإسلام تدبروه .

فإذا تدبروه فهم مى مسلمون . فإذا أسلموا فهم أمة وسط ، وما داموا أمة وسطاً فعليهم أن يراعوا العقل والخلق فى فنهم فيجعلوا لهما فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والخلق فى علمهم فيجعلوا لهما فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والعقل فى فضائلهم فيجعلوا لهما فيها نصيباً . وهـذا يحدث عفو خاطرهم بدون تدبر وبدون اختيار إذا كانوا مسلمين . فالإسلام هو دين الفطرة ، كما أن الفن الصحيح السليم هو فن الفطرة ، وكما أن العلم النافع هو علم الفطرة الذى يعلمه الله الناس سواء أكانوا أميين أم كانوا قارئين كاتبين ، وكما أن الخلق القويم هو خلق الفطرة الذى يصدر عن الإنسان عفواً من غير تدبير ومن غير اختيار

وبعد أن رأينا للفطرة هذا الجلال وهذا الخطر ، فإنه قد يعارضنا هنا سؤال له محل من التفكير ، فقد يقول لنا قائل : أليس من فطرة الإنسان أن ينزع أحياناً إلى ما تستنكره الأخلاق ، وإلى ما يزور عنه العقل ، فإذا لبى هذا النزوع بالفن كان فنه فطرياً ، ولكنه مع هـذا لم يكن متمشياً مع الإسلام الذى وإن كان دين الفطرة فهو يرسم قيوداً ، ويقيم من الأخلاق حراساً على هذه

القيود؟ وجوابنا على هذا السؤال هو أن النزوع بالفن إلى ما تنكره الأخلاق وما ينكره العقل ليس نزوعاً فطرياً ، وإنما هو نزوع فيه شيء من النقص يعترى صاحبه إذ ينسى غيره ، وإذ ينزع بالفن إلى تلبية إحساسه والتعبير عنه ، فهو بهذا الفن يرضى نفسه وحدها ، وفى ساعة عاجلة من ساعات حياته هو ، فهو لا يحس بمستقبله ولا يفكر فيه ، ولا يحس صلته بغيره ولا يفكر فيها ، ولا يحس أثره فى غيره ولا يفكر فيه

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هذا الضرب من الفن ... فن ، ولكنه فن جامح ينظمه صاحبه من حبات نفسه ليرضى به هو وحده . ونحن إذا تأملنا ألوان الفن التى ينكرها العقل لم نجد غير الخرافات الفنية ، وهى لا تؤذى الإنسانية فى شىء إلا إذا حاول فنان خَدّاع مقنع بالحيلة أن يحمل الناس على أن يؤمنوا بأنها حقيقة واقعة ، ولم يظهر فى الدنيا فنان من هؤلاء إلا وخرج بخداعه عن دائرة الفن إلى دائرة النصب والاحتيال . وإذا تأملنا ألوان الفن التى ينكرها الخلق لم نجدها إلا لمامات تعرض لنواح من الحياة يكاد يعرفها الناس جميعاً ، ويكادون يتذوقونها جميعاً ، ويكادون يستطيعون أن يعبروا عنها جميعاً تعبيراً لا يقل صدقاً ولا روعة عما يعبر به الفنانون عنها . فإن لم يتأت لجمهور الناس بالفعل التعبير عن هذه النواحى المبتذلة من الحياة التى يتعفف الفن الإسلامى عنها ، فهم يستطيعون هذا التعبير بالقوة . وهذا هو ما يغرينا بالمضى فى الحرص على اتباع الإسلام حتى فى الفن ؛ فهذا الذى نخسره من الفن بهذا الحرص تافه وهين ما دام جمهور الناس يستطيعونه ، والفنان يطلب منه شىء أكثر مما يطلب من عامة الناس ، وهو الكائن الحى الناضج الحياة الذى يتوقع منه الناس أن يكشف لهم بإحساسه المرهف من حقائق الحياة ومباهجها وجمالها ما لا يستطيعون هم أن ينتهوا إليه بحسهم ، كما أنهم يحبون من علمائهم أن يهدوهم من حقائق الحياة ومنافعها إلى ما يعجزون هُمْ عن أن يصلوا إليه ، وكما أنهم يحبون من الهداة الأتقياء ذوى الفضل أن يرسموا لهم ما ينبغى أن يكون ، وما ينبغى ألا يكون

وما أجل هذا الذى يجتمع له هذا كله فيكون هادياً بفضائله وعلمه وفنه .

فإذا لم يتيسر هذا لرجال الإنسانية عفواً فإن الإرادة كفيلة بتحقيقه . ولست أقصد بالإرادة أن يعتزم الفنان أن يحقق فى فنه الأخلاق الفاضلة ، ونفسه بعيدة عن الأخلاق الفاضلة . فيخرج فنه متكلفاً سخيفاً يشعر كل من يتصل به بأنه فقد ميزته الأساسية الأولى ، وهى أن يكون تلبية لنداء الطبيعة والفطرة ، وإنما الذى أقصده هو أن يبدأ الفنان بتحقيق الفضيلة فى نفسه هو . فإذا أبدع فناً بعد ذلك كان الفن صورة نفسه ، وكان الفن فاضلاً

وطبيعة التطور والارتقاء تطالب الفنانين بهذا ، كما أنها تطالب به العلماء ، وكما أنها تطالب به أصحاب الأخلاق والفضائل . ذلك أن الحياة الروحية للانسان تريد أن تسمو وأن تتقدم الخطى إلى الأمام ، وطريقها إلى هذا الرقى هو نفوس الناس أنفسهم ، وما دام فى الإنسان إرادة فلا بد من أن يكون لهذه الإرادة لزوم فى تحقيق التطور والارتقاء بدليل أنها لا تزال موجودة فى نفس الإنسان ، وأن الإنسان لا يزال يمارسها فى كل أعماله تقريباً ، وما دام الأمر كذلك فإنه قد حق علينا أن نريد ترقية أنفسنا ، ثم أن نعمل على هذه الترقية . أما الإرادة فأمرها بيدنا ، وأما العمل فطريقه التدريب ، وكما أن للعقل تدريباً يساعده على بلوغ العلم ، وكما أن للخلق تدريباً يساعده على بلوغ الفضيلة ، فإن للحس تدريباً يساعده على بلوغ الفن !

وقد ارتضى كل فنان لنفسه مثلاً أعلى يريد أن يرقى إليه وأنا اخترت الإسلام من هذه المثل لمن يعجبهم اختيارى .

أما أولئك الذين لا يريدون أن يرقوا فلهم أن يعربدوا بفنهم وبعلمهم ، وبأخلاقهم ما شاءت لهم حرية التائه الضال .

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

الحريم فى نظر الغرب

إن حياة الحريم فى قصور سلاطين آل عثمان لتمثل هذا الضرب من المعيشة الذى تصوره ألف ليلة وليلة ، والذى تفنن الكتاب الأوربيون فى وصفه ما وسعهم الخيال ، ففيها الأجواء المفعمة باللذة وضروب المتع والتسلية المختلفة . ولقد ظل « الحريم » من الأسرار الغامضة التى تتضارب فيها الأفكار ، حتى إذا زالت سلطة الخلفاء ، وأبيح للجميع أن يدخلوا قصورهم الفخمة ، كشف القناع عن الكثير مما كان يجرى فيه . ولا شك أن رغبة الغربيين فى تعرف أسرار « الحريم » فى القصور العثمانية كانت أعظم من أية رغبة أخرى فى إدراك أحوال الدولة إبان عهد السلاطين ، وكان ذلك مدعاة لأن يكتب الكثيرون — آنا بالحق وآنا بالباطل — حول هذه الناحية ، وتنافس الخيال والحقيقة فى تصوير الحياة داخل « الحرملك » فكان نتاجهما هذه الكتب التى تطلع علينا بها — بين حين وآخر — دور النشر فى الغرب . ومن الكتب القيمة الطريفة حول هذا الموضوع كتاب The Harem الذى وضعه المستشرق الإنجليزى بنزر ، وكان ملماً باللغة التركية ، عاش فى الآستانة ردحاً طويلا ، وخبر الحياة التركية عن كثب . وقد وصف فى كتابه هذا حياة القصور ، لا سيما قصر سيراليو الذى كان يسكنه سلاطين آل عثمان من آلاف النسوة اللائى جىء بهن — إما بيعاً أو اقتساراً — ويصف منظر « الخصيان » وهم يرفلون فى أزيائهم العجيبة ، فلا عجب إذا اجتذب الغربيين هذا الوصف لحياة تكاد تكون من بنات الخيال ، بل لقد يقصر الخيال فى كثير من الأحيان عن أن يتطاول لبلوغ ما بلغته الحقيقة الماثلة فى قصر سيراليو

يقول مستر بنزر فى وصف الحرملك « إنه دنيا صغيرة ، محكمة الإدارة ، دقيقة السياسة ، خلى إلا من النساء اللائى تعيش كل منهن من أجل واجب تؤديه ... والحرملك ، وإن كان مجتمع نسوة ، إلا أنه كثيراً ما دبرت فيه المكائد ، وشهدت جدرانه تدبير دسائس تقشعر لهولها الأبدان ، كما كان حظ الكثير من نزيلاته الجميلات القتل بلا رحمة . وكم ضمت أمواج البسفور من فتيات غضب عليهن السلطان فأصبحن طعمة لحيتان البحر وأسماكه » أما الخصيان ، فقد أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت موارد السلطان . وكانوا فى أول الأمر من البيض غير أنه سرعان ما حل محلهم السود لما طبعوا عليه من إخلاص لساداتهم ، أما البيض فكانوا أهل دس وغدر وفتنة . ومنذ القرن السادس عشر أصبح الحرملك يدبر أمور الدولة من وراء ستار . ولما نفى السلطان عبد الحميد إلى سلانيك عام ١٩٠٩ م ، أذنوا له أن يصطحب معه فى منفاه بعض المقربات إليه . أما الباقيات ويجاوزن بضع مئات فقد أصبحن بلا عائل . وقد وصف ذلك كله فرنسيس ماك كلاج فى كتابه « سقوط عبد الحميد » فقال : « لقد جمعن فى قصر (ثب كابو) فى حشد عظيم ، وإذ كان أغلب النسوة فى حريم السلطان قوقازيات ، وكن يؤثرن على غيرهن لجمالهن الرائع ، فقد أبرقت الحكومة التركية إلى مختلف القرى القوقازية تعلن إليها أن لكل عائلة الحق فى استرداد فتاتها من حريم السلطان سواء أكان أبواها قد باعاها أم اغتصبت من بين ذويها . ومن ثم وفد على القسطنطينية الكثيرون من جبلى القوقاز يخطرون فى ثيابهم العجيبة ، وحددت لهم الحكومة يوماً توافدوا فيه على قصر (ثب كابو) واستعرضوا محظيات السلطان سافرات بلا قناع . وكم كان منظر الفتيات وهن يرتمين فى أحضان آبائهن أو أخواتهن مؤثراً ، بعد أن حيل بينهم وبينهم ، ويئسن من لقائهن ... فهذا أب يقبل ابنته وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وهذا أخ يعانق أخته بعد أن ظنا أن لا تلاقى بعد . ولشد ما كان التباين عظيما بين لباس هؤلاء الجبليين ولباس بناتهم وهن يرفلن فى غالى الثياب وأبهاها . وسرعان ما جمعت كل فتاة ملابسها ،

وغادرت القصر غير آسفة عليه، فبلغ عددهن يومئذ مائتين وثلاث عشرة أنثى، أما الباقيات فقد اختار منهن الأمراء من اختاروا ...»

هذا وصف شاهد عيان لمنظر من مناظر ألف ليلة وليلة .

أما قصر سيراليو فقد خيم عليه الصمت كأنما استوحش من ساكنيه ، حتى إذا كان عام ١٩٢٤ جعلته الحكومة التركية من المنافع العامة ، وطبعت من أجله دليلاً يشرح للزائرين ما يبهم عليهم إدراكه ، وإذا كان الزائر لمصر لا بد له من مشاهدة الأهرام وأبي الهول ، فإن نزيل القسطنطينية اليوم ليهرع قبل كل شيء إلى قصر سيراليو فيتمثل صورة الحريم والترف في قصور السلاطين ويرى روعة الفن وجلاله ، وكم شهدت حجراته من مآس ومسرات!

النضوج وضبط النفس

إذا نظرنا إلى الطفل وجدناه أكثر من غيره تبرماً بالتعب . فإذا أصابه الجوع أو ناله قليل من البرد أو الحر أو شعر بتقييد حريته فلم يستطع أن يتحرك كما يشاء ، أو اعترته هزة عنيفة بعامل من العوامل ، فهو ولا شك عرضة للتهيج

وإذا كان الطفل لا يعرف الأسباب التي تدعو إلى ما يشعر به من الألم ، فإن احتجاجه عليه عادة يكون عنيفاً

فإذا جاوز سن الطفولة وتعداها إلى سن النضوج ، فإن شعوره بهذا التهيج يخف ويتغير . وليس معنى ذلك أن المراهق لا يشعر بالآلام إذا تعرض لها ، ولكن شعوره بها يتغير كل التغير ، حتى لا يبدو عليه شيء من مظاهرها

فالشخص الذي لا يحتمل المشقات ، ويضيق صدراً إذا لم ينل ما تصبو إليه نفسه ، ويهتاج لكل حادث ، هو في الحقيقة شخص لم يصل شعوره إلى درجة النضوج . وكل إنسان ولا شك يكره أن يكون ذلك الرجل . فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا من هذه الناحية يجب أن نترك الحكم عليها للآخرين ، وعلى الأخص هؤلاء الذين لا تجمعنا بهم روابط الصداقة

فما مقدار الألم الذي يستطيع أن يحتمله عادة الرجل الكامل النضوج ؟ إن نظرة بسيطة تدلنا على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأفراد من هذه الناحية . فقد رأينا أناساً يحتملون كسر العظام وقطع الأوصال ، ورأينا بعضهم يقومون بإجراء العمليات الجراحية لأنفسهم وسمعنا بأشخاص تقطع أوصالهم إرباً إرباً في بعض المحاكمات ليخونوا صديقاً أو يعترفوا عليه بما يؤذيه فلا يشكون ولا تتغير حالهم

وعلى النقيض من ذلك نرى أناساً لا يطيقون أي نوع من أنواع الألم فيلجأون إلى العقاقير السامة كالكوكايين والمورفين لتخفيف آلامهم وكثيراً ما يعتادونها

فهل هناك حد وسط بين هذين الحدين ؟ هل توجد حالة حالة طبيعية بين هاتين الحالتين ؟ من المحتمل أن لا يوجد شيء من ذلك . وكل ما نستطيع أن نقوله : أن الرجل الصحيح يتجنب الألم بقدر الإمكان ، فإذا ناله شر لا بد منه فيجب عليه أن يتجلد له ويحتمله ، ولا يفعل كما يفعل الطفل ، وقد نستطيع أن نطبق هذا المبدأ على أوجه الحياة المختلفة . فنحن كثيراً ما نفعل أعمالاً لا نريد أن نفعلها ، فبعضنا يرفعون عقيرتهم بالشكوى لأقل شأن ، وبعضنا يتركون العمل الذي يشتغلون فيه بغير مبرر ! فإذا فرضنا أنك أجبرت بحكم عملك على أن تكون مع شخص لا توده . فالرجل الناضج في هذه الحالة يحتفظ بشعوره نحو هذا الإنسان ويعامله بشيء من الحذر . أما شعور السرور الذي يتولانا في مجلس من المجالس ، أو عند مشاهدة تمثيل إحدى الروايات ، فقد يثير في نفوسنا شيئاً من الضحك أو الهياج ، وقد لا نستطيع أن نتكتم هذا الشعور ، إلا أنه من الواجب أن لا نشوش به على الآخرين كما يفعل الصبيان ، فسواء كنا في حالة من السرور أو حالة من الألم فالواجب علينا أن نتعلم ضبط النفس وكبت الشعور وإلا كنا غير ناضجين

تجنيد الكلاب في الحروب

تدرب الكلاب في جميع أنحاء العالم للخدمة في الحروب . ففي روسيا أنشئت مدرسة في موسكو للكلاب، وفي اليابان أعدت أماكن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد أعدت ميادين خاصة في بولندا وإيطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها، وفي أستنيا تلازم الكلاب طلائع الجيش ، أما في فرنسا فهي تدرب مع الجنود في كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب في حمل الرسائل إلى الفرق الطبية ، وفي توصيلها إلى الحرس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصيل رسائلها . وهي تدرك المرضين في الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع أن تحمل المؤن على ظهورها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل في الهجوم والدفاع منذ أقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب

يستخدمها في الحروب . وفي كتاب بلوتارك أن الكلاب أنجت كتيبة « كورنيثيه » من الهلاك .

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب في حروب أرجول واستخدمها الرومان لحراسة الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مهاجمة الخيل ، فتأخذها بخياشيمها وتسقطها في ميادين الحروب .

أما في القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقد كانت الفرق الأسكوتلندية تصطحبها على الدوام وكانت مدينة سان مالو تستخدم الكلاب في حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد اتخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود في مدينة الأسكندرية . واستخدم الألمان الكلاب لحماية الكتائب وحراسة الأقاليم والمعسكرات في سنة ١٨٧٠

وفي سنة ١٨٩٥ قام كلبان بامداد كتيبتين بالذخائر أثناء الحرب على أكمل وجه .

وفي سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألماني يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلافا من الكلاب الأخرى

أما فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب في سنة ١٩١٦ ، وقد اجتمع في باريس ٩٠٠٠ كلب نظمت فرقا وأرسلت إلى الميادين للتدريب . وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان ذكره موضع إعجاب المتحدثين .

آلة لقراءة الأفكار

اكتشاف عظيم سيحدث ضجة عظيمة في العالم ! ذلك هو اختراع آلة لالتقاط الأفكار والخواطر التي تجول بذهن الإنسان ! وليست هذه الآلة كالآلات المصورة التي يعرفها كل إنسان ، ولا حلماً من أحلام رجال العلم . إنها مصورة تشتغل في كل مكان وليس إلا أن يرقد الإنسان على منضدة والآلة تسجل خواطره دون أي ألم أو ارتباك !

وللحصول على هذه المعجزة يكفي أن يكون عندك سلك موصل بآلة كهربائية وقلم نظيف وتحرك آلة تسجيل الخواطر . إنك لا تستطيع عند ذلك أن تخفي أسرار نفسك بحال من الأحوال

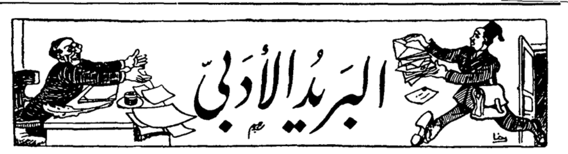
قد تكون هناك بعض صعوبات في تسجيل خواطر بعض الناس ممن يفكرون في شئون مختلفة في وقت واحد ، ولكن تلك الآلة تستطيع أن تركز ذهن الإنسان وتستخلص ما تشاء من أفكاره

غير أنك عند تسجيل بعض الأفكار الهامة والمعلومات العلمية العظيمة ، قد تصادفك خطوط مختلفة لعاطفة من العواطف الخاصة مما يستثير الضحك في بعض الأحيان

ولا يستعصى على هذه الآلة إخضاع بعض العصبيين ومرضى الصرع والشواذ مما ينتظر أن يأتي بأجل الفوائد ، ولا شك أن هذا الاختراع سيفتح أمام العلم باباً لا حد له من التفكير

أي دنيا عجيبة سيلقي بنا فيها هذا الاكتشاف ؟ وكيف نكون ؟ وكيف تصبح حياتنا إذا كانت حتى خواطرنا لم تعد ملكاً لنا في هذه الحياة ؟ !

لقد مات جيتي وهو يقول : نور ... نور ! أين كانت هذه الآلة لتربنا أي نوع من النور كان يريده الشاعر العظيم ؟ أهو نور العبقرية ونور الروح ، أم نور الشموع ؟ !



حول جناية الأدب الجاهلي حديث لأديب مصري مصطاف في لبنان

نشرت زميلتنا المكشوف البيروتية في عددها الأخير هذه الكلمة وهذا الحديث بإمضاء (جوابة) فرأينا من فائدة الأدب في ذاته أن ننقلهما عنها لا مقرين ولا منكرين ، فإن رأى الرسالة في الموضوع قد صرحت به في العدد ٣١٦ فلا تسأل إلا عنه .

قال الكاتب الفاضل :

أطالع منذ أسبوعين في مجلة « الرسالة » المصرية سلسلة من المقالات للدكتور زكي مبارك ينقد فيها آراء للأستاذ أحمد أمين أبداها في الأدب الجاهلي وجنايته على الأدب العربي ونشرها في مجلة الثقافة . وقد اختار الدكتور مبارك عنواناً لمقالاته « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » . ولا شك أن التهمتين مبالغ فيهما؛ فلا الأدب الجاهلي جنى على الأدب العربي بقدر ما يتصور الأستاذ أحمد أمين ، ولا الأستاذ أحمد أمين جنى على الأدب العربي بقدر ما يتخيل الدكتور زكي مبارك . فما هو السبب يا ترى في إثارة هذا النوع من النقاش ، بل هذه المركة الحامية الوطيس بين الرسالة والثقافة ؟

مما لا شك فيه أن هذه الأبحاث طريفة في حد ذاتها على ما يرافقها من مبالغات وعنف في العرض والرد والهجة . ومما لا شك فيه أيضاً أنها تحث قرائح الباحثين ، فيتناولون هذا الموضوع ويعالجونه في جو بعيد عن غبار المعركة . ولا بد أن يجني الأدب فائدة تذكر من درس الأدب العربي على ضوء « المعدة والروح » على أن يقارن بينه وبين آداب الأمم في عصورها المتشابهة أو المتقاربة ، وعلى أن تسلم النيات وتطيب الإرادات

وقد اتفق لي منذ يومين أن التقيت في أحد المصايف أديباً مصرياً قدم إلى لبنان ترويحاً للنفس ، فجرى بيني وبينه حديث عن المعركة التي أثارها الدكتور زكي مبارك وعن أسبابها الظاهرة والخفية ، فصارحني محدثي برأيه . ولما طلبت إليه الإذن لي بنقل هذا الرأي إلى قراء « المكشوف » أوصاني بإهمال ذكر اسمه ، معتذراً بأنه يفضل أن يتفرج على أن يدخل شخصاً ثالثاً في نقاش قد يضطره إلى الدرس والمراجعة ، وهو ما جاء لبنان إلا للراحة والسكينة ..

ونزولاً على مشيئة محدثي أكتم إسمه وأكتفي بنقل خلاصة أمينة لما قال :

— لا جدال أن النقد في مصر قد خفت صوته ، ولذلك أسباب لا مجال للخوض فيها الآن ... ومن الخير للأدب أن يعود النقد إلى سابق عهده فتروج الكتب والمجلات . وقد يسعف الحظ بعض الأدباء الناشئين فتلمع أسماؤهم في سماء الأدب وتقوم شهرتهم على جثث ضحاياهم ، وهذه سنة الحياة ... أما الدكتور زكي مبارك فلم أعرف أديباً أشد اندفاعاً منه في ميدان النقد ، فكأنه مفطور عليه يموت إن لم يتغذ به . إنه حركة دائمة ؛ وإن هو لم يجد من ينقد مال على نفسه ينقدها . ولست أشك في إخلاصه لفنه ، إلا أنني أعيب عليه ميلاً قد يكون مكتسباً ، إلى حمل خصومه على مناقشته في مواضيع دقيقة وحساسة في شرقنا العربي . أضرب مثلاً على ذلك اتهامه الأستاذ أحمد أمين بشيء من الفتور في دينه ، وإلصاقه به تحيزاً ضد الشام والعراق وغيرها من الأقطار العربية

على أن أسباب المعركة القائمة الآن بينه وبين أحمد أمين ، أو بين « الرسالة » و « الثقافة » ليست ناتجة ـ فيما أظن ـ عن الأخطاء التي ارتكبها أحمد أمين في بحثه عن جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي ، بل يرجح عندي أن هذه الأخطاء كانت فرصة اغتنمها الدكتور لشن الغارة على أحمد أمين . أما الأسباب الحقيقية

فترجع إلى المناوشات التى قامت فى وقت ما بين الزيات وأحمد أمين من أجل الكتب التى قررت وزارة المعارف وضعها بين أيدى التلاميذ ، ولم يكن بينها كتب الزيات . فاحتج صاحب « الرسالة » على هذا الاحتكار ، واتهم أحمد أمين بكونه لولبه . وكان أحمد أمين صريحاً ، فاعترف بأنه لم يوافق على إدخال مؤلفات الزيات فى قائمة الكتب المقررة لأن فيها ما يؤذى الأخلاق . . .

واستمر هذا الخصام بين الزيات وأحمد أمين تارة مستتراً ، وتارة ظاهراً ، حتى ظهرت « الثقافة » وكان هدفها الأول محاربة « الرسالة » . وفى الواقع من هم قراء الأدب فى مصر ؟ هم طلبة الجامعة فى أكثريتهم ، فلماذا لا تستغلهم لجنة التأليف والترجمة والنشر بمجلة توجه أبحاثها إليهم بعد أن استغلتهم بالكتب ؟ وأكثر أعضاء هذه اللجنة من أساتذة الجامعة ، فصدرت « الثقافة » يؤيدها خصوم الزيات من طه حسين ، إلى محمد عبد الله عنان ، إلى أحمد أمين ، إلى غيرهم ممن أغضبهم الزيات لسبب من الأسباب فى وقت من الأوقات . وهذه نوازع بشرية لا غرابة فيها ، وإنما الغرابة أن يستطيع أحمد أمين الانتقام من الزيات ولا يفعل !

وقراء الأدب فى مصر محدودون ، فكان بديهياً أن يتحول قسم كبير منهم من « الرسالة » إلى « الثقافة » وأن تحس الرسالة أنها لم تبق وحدها فى الميدان . فاشتد النزاع واشتد . . . ورأينا الزيات يدخل على مجلته تحسينات وأبواباً جديدة ، ثم لا يلبث أن يحاول اجتذاب طلبة الأزهر إليه فيجعل منهم حزباً يعضده على حزب الجامعة . ولا أدرى أنجح فى محاولته هذه أم أخفق . وكل ما أعرفه أن الثقافة راجت سوقها على ضعف مادتها ، وعلى افتقارها إلى الروح الصحفية الحديثة

فـ « المعدة » إذن كانت منشأ المعركة القائمة الآن بين أحمد أمين والدكتور زكى مبارك ، أو بين الرسالة والثقافة . فإذا كان الأدب العربى أدب معدة فى عصوره القديمة لا أدب روح ، فمعلوم أن حياة الأديب القديم لم تكن هينة الموارد ، فما بال الأستاذ أحمد أمين يتمسك فى أدبه بما يعيبه على الآخرين ؟ . . .

انتهى كلام محدثى ، وقد نقلته إلى قراء « المكشوف » بكل أمانة . (ميوايه)

بعثة عراقية إلى الأزهر

كان نورى باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية قد كتب إلى رفعة على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى فى صدد قبول الحكومة المصرية عدداً من طلبة العراق فى الأزهر للتخصص فى الوعظ والإرشاد ، فتلقى نورى باشا من رفعته الرد التالى :

« تلوت بموفور السرور والارتياح خطابكم الكريم الذى ضمنتموه عزيز أمنيتكم أن تقبل الحكومة المصرية عدداً من طلبة القطر العراقى الشقيق للتخصص فى مسائل الوعظ والإرشاد ، وقد بادرت بعرض الأمر على جلالة مولانا الملك المعظم ، ثم اتصلت بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر فى هذا الشأن ، وقد اتفق على قبول عدد من الطلبة بقدر ما يستطاع توفيره له من أماكن ، ستبلغ نحو العشرة

ولا أرانى فى حاجة إلى أن أؤكد لدولتكم أن من أحب الأشياء إلىّ العمل ما أمكن على ازدياد روابط البلدين إحكاماً وقوة ، وإننا جميعاً يسرنا أن نبذل أقصى الجهد فى تحقيق هذه الغاية الشريفة (على ماهر)

الحمد لله على نعمة الإسلام

امتاز الإسلام من بين سائر الديانات بمزية جميلة جدًّا ، هى رفع الوساطة بين الله والناس ، فلكل مسلم الحق فى أن ينظر إلى الله والوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل ، ومن حقه أن يخاطب الله بلا وسيط من الأشياخ أو الأحبار أو الرهبان

أقول هذا وقد قرأت فى « الرسالة » كلمة يقول كاتبها إن من حقى أن أتكلم فى الأدب لأنى دكتور فى الآداب ، وليس من حقى أن أتكلم فى الدين لأنى لست دكتوراً فى الدين

وهذا الكلام يدل على أن قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الإسلامية . فالرسول عليه الصلاة والسلام بُعث لرفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم ، بعد أن كانوا يتوهمون أن بينهم وبينه حجاباً لا يرفعه غير الأحبار والرهبان

ولو أنى انتظرت الإذن من رجال الدين لكان من المحتوم أن تضيع الجهود التى بذلتها فى الدراسات الإسلامية ، وهى جهود سألقى بها الله وأنا مرفوع الرأس ، لأنه عزّ شأنه لا يُضيع أجر المحسنين

والذين استكثروا أن أتكلم فى الدين فاتهم أنى صححت أشنع خطأ فى تاريخ التشريع الإسلامى حين بينت بالأدلة والبراهين أن كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعى ، وإنما ألفه البويطى المصرى ، وتصرف فيه الربيع بن سليمان

وهم كذلك ينسون أنى صاحب كتاب «التصوف الإسلامى» وهو كتاب سأدخل به الجنة وسأدخل معى على حسابه ألوفاً من الأدباء المحرومين ، كما أوحى الله إلى الزيات أن يقول ، وهو رجل صادق الإيمان ، ورجاؤه فى الله مقبول

والحق أنى أعجب من الذين يصرّون على التشكيك فى عقيدتى. فلو كانت قلوب هؤلاء عرفت معانى النور لعرفوا أن فى مؤلفاتى نفحات هى أنفاس حرار من وهج الإيمان الصحيح

وما يهمنى أن أزكى نفسى ، فالله يعلم ما بينه وبينى ، وإنما يهمنى أن يُقلع بعض الناس عن اغتيابى فى السر أو مهاجمتى فى العلانية فى أمور متصلة بالدين ، فإنى أخشى أن يغضب الله عليهم فلا يبوءوا بغير الخسران

وإنى لخليقٌ بأن أرجو لهم المغفرة متمثلاً بالقول المنسوب إلى الرسول :

« اللهم اهد قومى ، فإنهم لا يعلمون »

وإلى الله أرفع الرجاء فى أن يصيّرنى من المعفوّ عنهم ، وأن يجعلنى بفضله من عباده الصالحين، وأن يمنحنى من العافية ما أملك به الصبر على خدمة الأدب والدين

زكى مبارك

سعد وسعاد

قرأت ما كتبه الصديق العلامة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى وأبادر فأقول : إن مروان ليس بدلاً من الخليفة بل من (والى تلك الجهة) وبذا يرتفع الإشكال ، وأحسب أن طول العبارة ألقى عليها ظلاً من اللبس

ولا أكتم شيخنا الجليل أننى سررت بوقوعه فى هذا الاشتباه فقد أغضب (سعاد) حين قسا على قومها فى مقاله (بنو عذرة) وتابع الخليفة عمر بن عبد العزيز فى نظرته إليهم ، فكان من حقها أن تثأر منه لهم ! فهل يؤمن بعد هذا بأن للجمال (كرامات) ؟

أما القصة فقد وردت مختصرة فى بعض الكتب أذكر منها نهاية الأرب للنويرى . وقد تكون صحيحة أو موضوعة لا أستطيع الجزم بشىء منهما ، فوجدت فيها مجالاً واسعاً للتحدث عن البدو فى حبهم وعفتهم وزواجهم وعاداتهم ، فهى تخالف ما سبق من المقالات بأن حظها عظيم من الخيال ، ولكنه خيال يسامى الحقيقة فى الصدق لأنه يتكئ عليها وينبثق منها . بل لقد توسعت فى بعض المواقف فأنطقت سعداً بشعر لم يقله ، لأن المقام يحتم ذلك وأدب القصة يبيح هذا التوسع

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأهدى إلى فضيلة الشيخ الصديق أزكى التحيات المباركات

ملحوظة : ورد فى المقال الثانى شطر بيت هكذا : أو صاحب التاج أو مروان عامله ، وصحته عامله

على الجندى

سعد وسعاد ومعاوية بن أبى سفيان

قرأت المقال الثانى لصديقى الأستاذ على الجندى فرأيته يجعل ذلك الوالى الذى اعتصب سعاد من ابن عمها سعد، مروان بن الحكم، فزاد هذا تلك القصة اضطراباً . وقد رأيت بعد هذا أن أراجعها فى مظانها ، ولم يحملنى على هذا إلا استبعادى أن يقع مثل ذلك من مروان فى مكانته وزعامته لبنى أمية ، وأن يظهر فى تلك القصة بمظهر الوالى الذليل لمعاوية ، وهو الذى كان يساميه فى نسبه وزعامته لتلك الأسرة الحاكمة من قريش ، وقد كان معاوية يلاينه ويداريه ، ولا يعامله بتلك الخشونة التى عامله بها فى تلك القصة ، حتى إنه لما عهد لابنه يزيد كتب إلى مروان يأمره بأخذ بيعة قريش وأهل المدينة ليزيد ، فأبى ذلك وأبته معه قريش ، ثم ذهب إلى معاوية مغاضباً فى نفر من أهل بيته ، وأنكر عليه خروجه على ما سار عليه الخلفاء قبله من جعل ذلك الأمر شورى بين المسلمين ، وتأميره الصبيان عليهم ، فأهم معاوية أمره ، واشترى رضاه بالمال ، ففرض له ألف دينار فى كل هلال ، وفرض له فى أهل بيته مائة مائة

ولم تخطئ والحمد لله فراستى فى ذلك ، فقد راجعت تلك القصة فى كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ الفيلسوف داود الأنطاكى الطبيب المعروف ، فوجدته يذكر أن ابن عمها لما أملقت يده رفع أبوها أمره إلى ابن أم الحكم ، فضيق عليه السجن والقيود حتى طلقها كارهاً ، فأعطى أباها عشرة

آلاف درهم وتزوج بها . ولا شك أن ابن أم الحكم غير مروان ابن الحكم ، لأن ابن أم الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي وقد اشتهر بنسبته إلى أمه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب الأموي ، وكان خاله معاوية يوليه بعض أعماله فيسيء السيرة فيها ، وهو الذي يليق بأن ينسب إليه ما حصل في تلك القصة

على أني أرى أن تلك القصة من القصص الموضوعة الضعيفة في سبكها وشعرها ، فقد جاء فيما نسب إلى معاوية من الشعر فيها هذا البيت :

قد كنت تشبه صوفيًّا له كتبٌ من الفرائض أو آيات قرآن

ومثل هذا لا يمكن أن يقال في عصر معاوية ، لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث في ذلك العصر ، ولم يكن فيه كتب في التصوف يحملها المتصوفة أو غيرهم . وكل أشعار تلك القصة على ذلك الشكل من الضعف الذي لا يتفق مع شعر عصر بني أمية في سائر فنونه ، وإنما هي أشعار موضوعة في العصر الذي ألف فيه كتاب تزيين الأسواق ، وهو العصر الذي وصلت فيه العربية إلى حالة الضعف في أدبها وأشعارها

عبد المتعال الصعيدي

الدين والسياسة

جاء في مقال الأستاذ الجليل ساطع الحصري بك في العدد (٣١٧) من الرسالة : «من أن السياسة شيء والدين شيء آخر » وإطلاق هذا القول في بلد دين دولته الإسلام ، ودين شعبه الإسلام ، لا ينصرف معنى الدين فيه إلا إلى الإسلام

ونحن نعلم أن الأستاذ ساطع بك من أكابر علماء التربية وأساطينها ، وإنه إن قال فيها فقوله القول ، ولكننا لا نعرفه عالماً بالدين الإسلامي، ولو اطلع على الإسلام لما أخذ رأي الأوربيين في وجوب فصل الدين (المسيحي) عن السياسة ولما أطلقه على الدين الإسلامي إذ أن معنى الدين عند القائلين بهذا المبدأ ما يحدد علاقة الإنسان بربه أو ما يسمى في فقهنا بالعبادات، وهذا الذي يريدون إبعاده عن السياسة، كما أنهم يريدون الخلاص من سلطة الكنيسة وسيطرة رجال الدين . وهذان الأمران لا يردان على دعاة السياسة الإسلامية لأنهم يسلمون بأن الإسلام عبادات ومعاملات وتشريع . أما العبادات فبين المرء وربه لا تدخل في السياسة ولا تؤثر فيها ، أما المعاملات والتشريع فلا يمكن فصلهما عن السياسة أصلاً ، وفي القرآن نفسه آيات في السياسة الداخلية والخارجية وفيه سورة براءة ، أفنفصل هذه الآيات كلها عن القرآن ؟ أما سلطة رجال الدين فلا يعرفها الإسلام وليس فيه طبقات تتميز من طبقات ، أو أناس هم وكلاء عن الله

وأحسب أن الأستاذ الحصري لو اطلع على كتاب « السياسة الشرعية » مثلاً للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف أو « الشرع الدولي في الإسلام » للدكتور الأرمنازي أو كتب العلماء المتقدمين من أمثال ابن تيمية وابن القيم قبل أن يكتب ما كتب ، لكان له في الموضوع موقف آخر .

(دمشق) ناجي الطنطاوي

كشف أثري في شمال الترنسفال

تلقت جريدة (السنداي تيمس) من مراسلها ببتروسبورج كتاباً قال فيه : إنه كشف في شمال الترنسفال أخيراً صورة ملونة يعتقد أنها من صور قدماء المصريين ، فأثار هذا الكشف عناية العلماء هناك وكان موضع اهتمامهم

فإذا صح ما زعمه مراسل الجريدة ، وثبت أن الكشف مصري قديم ، فمعنى ذلك أن كل ما دون عن أفريقيا الجنوبية في عصور ما قبل التاريخ ستعاد كتابته من جديد .

وقد عثر على هذه اللوحة في مغارة تقع فوق رابية من ربى مزرعة الستر « ج . جادا » التي تبعد اثنى عشر ميلاً عن مدينة بوتجيترستراست .

وأرسل صاحب المزرعة كتاباً إلى الدكتور بروم ، العالم الأثري الشهير ، يبلغه فيه نبأ الكشف الجديد ، ويطلب إليه زيارة المزرعة ليرى تلك اللوحة التي أثارت في الأيام الأخيرة اهتماماً غير قليل ، إذ المعروف حتى الآن أنه لم تكشف صور ملونة من أصل مصري قديم في بلاد تتعدى مواقعها جنوب منابع النيل

ولا شك أن زيارة الدكتور بروم ستجلو الغموض الذي يلابس هذا الكشف الجديد ، وخاصة أن المصريين القدماء كانوا يتخذون في رسومهم قاعدة خاصة لا يخطىء معها الإنسان في أن يعرف إذا ما كانت هذه المخلفات من آثارهم أم لا .

لقد أثبتت الآثار المصرية التى أمكن العثور عليها فى مختلف السواحل الإفريقية أن قدماء المصريين تمكنوا بواسطة طرقهم الملاحية ، من أن يصلوا إلى تلك الجهات ، ولكن الكشف عن مثل هذا الأثر الجديد فى بقاع داخلية متوغلة يعد ظاهرة جديدة يحتمل معها كثيراً أن يكون قدماء المصريين قد توصلوا فى عصور ما قبل التاريخ إلى تأسيس مستعمرات لهم فى أفريقيا الجنوبية ...

اهداء أوراق خطية قبطية الى مكتبة جامعة كبردج

أعلن عميد جامعة كبردج أن السر هربرت تومبسون الأستاذ السابق بكلية ترنيتى أهدى إلى مكتبة الجامعة عدداً من الأوراق الخطية القبطية القديمة ، يتراوح بين ثمانين وتسعين ورقة

وترجع أهمية هذه الأوراق إلى أنها تمثل أشكالاً مختلفة للحركة الأدبية فى العهود التى جاءت بين القرن الخامس إلى القرن الثامن ، وقد وجدت هذه الأوراق فى الدير الأبيض المشهور فى جوار أخميم

حول الفن المنحط – كلمة أخيرة

أساء الأستاذ أنور كامل فهم الروح التى أملت علىَّ كلمتى المنشورة فى العدد ٣١٦ من الرسالة تحت عنوان « فن منحط برغم ذلك » والتى أثارت الأستاذ والجماعة التى نوضت إليه أمر الكلام عنها — ومن حقى أن أعتقد أن الأستاذ على استعداد لمناقشة الآراء التى يستهدى بهديها بعد أن قال عن جماعته : « وأغراضها تنحصر فى الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفى نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات ... » (الرسالة عدد ٣١٥ ص ١٤٢٦)

وقد أتحت له بكلمتى هذه فرصة طيبة للاعلان عن جهود جماعته فى مجلة عالية كالرسالة؛ ولكن الأستاذ تخاذل ونشر فى العدد ٣١٧ من الرسالة كلمة تختلف فى روحها اختلافاً كبيراً عما نشره فى العدد ٣١٥ ، وترك الفرصة تفلت من يده لا لشيء إلا لأنه لا يمكنه الدفاع عن الفن الذى يروج له ، لا عن طريق الفكر المنطقى المقنع ولا عن طريق البيان الذى يلهمه الإيمان الحار الذى يتدفق من القلب ويتصل بالقلوب مباشرة فتقتنع به . ومن الراجح (كما هو ظاهر لكل قارئ) أن الرسالة لم تنشر الرد الذى بعث به إليها الأستاذ كاملاً بل حذفت منه ما لا يتفق مع أدبها العالى ومستواها الرفيع . وأنا لا يهمنى أن يسبنى الأستاذ الفاضل ولن أثأر لما ينال شخصى بحال من الأحوال ، وإنى أؤكد للأستاذ ولأسرة الرسالة أنى كتبت ما كتبت مؤمناً بأن الفن الحديث متاهة يضل فيها الكثيرون وأن المناقشة فيه ودرسه خير طريق لتمحيصه ومعرفة حقه من باطله فقد يدلنى الأستاذ كامل على ما أجهل وقد أدله على ما يجهل

وأعيد هنا أنى رأيت طرفاً مما رسمه بعض أعضاء الجماعة . وإنى لأكرر بكل قواى أنه فن منحط ؛ فرسومهم تستند إلى مذهب السير ريالزم Sur realism وهذه حركة فرنسية محضة باعثها الأول نظريات العالم سيجموند فرويد . وللدلالة على طبيعة اتجاه هذه الحركة نقتبس قول أحد أقطابها وهو الأديب أندريه بريتون André Breton :

« إن نزوات الأفكار فى الأشخاص المتوهمين تتفق اتفاقاً مقرراً مع بعض افتراضاتى العزيزة . إن ظاهرة الكتابة الآلية قد تأتى بنتائج مدهشة . نحن لا نعترف بشيء مطلقاً . إننا نعتقد بقدرتنا على اختزال أو التغلب على العقل والإحساسات الجميلة . نحن نحس العطف على كل الأحزاب الثورية . نحن لا نؤمن بالتقدم الإنسانى . إننا نريد أن ندعم كل حركة معارضة بعنف مجازفين بأعمارنا . الزمن لا وجود له . إنى أفضل أن أحطم على أن أشيد . نحن نصر على مراجعة القيم الفنية مراجعة كاملة . نحن لا نؤمن بالنبوغ الأدبى؛ والصفة الأدبية literary quality ليس لها إلا قيمة ثانوية . إننا ننقم على الحقيقة الحاضرة »[١]

وأظن أن الحركات الفنية لا تنقل بمثل هذه السهولة من قطر إلى آخر ... دعك عن حديث الشخصية والإلهام ...

أما الشطر الاجتماعى من جهود الجماعة فإنى أتمنى له الازدهار والأثمار المبكر وأقدم اعتذارى للأستاذ الذى ثار وهاج لأنى وضعت فيه ثقتى ودعوته دعوة بريئة للحديث عن الفن

* * *

وكان كاتب هذه المقالات قد وعد قراء (الرسالة) بسلسلة مقالات عن الفن . وقد قاربنا الانتهاء من إعداد هذه المقالات وسننشرها فى الرسالة قريباً تحت عنوان « الفن كما أومن به » وبذلك نؤدى ما نعتقد أنه واجبنا المحتوم نصرى عطا الله سوس

(١) عن كتاب Bohemian, Literary & Social life in Paris



فرعون الصغير
وقصص أخرى
تأليف الأستاذ محمود تيمور

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يعتبر القاص محمود بك تيمور أشهر الكاتبين للأقصوصة في العالم العربي. وقد أصدر إلى اليوم نحو عشر مجاميع قصصية تحتوي على نيف ومائة أقصوصة تمتاز كل واحدة منها بطابعها المحلي، وقد ترجم بعض هذه الأقاصيص إلى الألمانية، والبعض الآخر إلى الفرنسية. كما ترجمت أقصوصة له إلى الإيطالية كنموذج من فنه القصصي. وقد نالت أقاصيص محمود تيمور شيئاً من التقدير في الدوائر الأدبية الغربية، ذلك أنه صاحب اقتدار على كتابة الأقصوصة، وهذا الاقتدار يجئ في الأصل من طبيعته الفنية التي دارت حول الحياة ومشاهدها ومجاليها، متأثرة من جهة بأجواء القصص الأوربي، ومن هنا ما في أقاصيصه من شدة الصلة بأقاصيص جي دي موباسان، وتشيكوف، وذاهبة من جهة أخرى تنقل عن المحيط المصري، ومن هنا ما في أقاصيصه من الطابع المحلي.

وتيمور بك فنان يرتبط نظره بصور الأشياء، ومن هنا ترى ما في أقاصيصه من الرجوع إلى الحياة، والنقل المباشر عن مرائيها ومظاهرها. ولهذا كان إبراز مظاهر الحياة في أقاصيصه مرتبطاً بقدرته على الوصف، والوصف عنده هادئ، ومن هنا يغلبه بعض من التدقيق، وعلى هذا الوجه فقط يمكن فهم منحى تيمور بك الفني في أقاصيصه. وربما كان ما في طبيعته من الهدوء هو الأصل في غلبة النزعة الواقعية الساذجة التي تتراءى للنظر من آثاره. فالهدوء يفسح لعقله المجال للتداخل لتصفية ألوان الشعور وضبطها في نسب دقيقة مع الفكر، بحيث يسوق إلى خلق توازن بين العقل والشاعر، وهذا التوازن يحمل الواقعية حين يتصل بموضوع أقصوصة. وهو عادة يدور من ناحية شكلية، فتجد نظرة محمود تيمور ترتبط بمظاهر الأشياء وسطوح الحياة، ومن هنا يمكن أن نقول بأن الأصل الواقعي في فن تيمور بك ساذج إذ هو نتيجة للوصف الحسي.

وخير ما يقال في أقاصيص تيمور بك أنها قطع من الحياة منتزعة في كل بساطة وصدق. فهي صفحة ساذجة من الحياة؛ إن لم تر موضوعاً فيها تدور حوله الأقصوصة، أو غرضاً ترمي إليه، فإنك تستشف من وراء أقاصيص الرجل صفحات من الحياة يعرضها عليك في دقة مشهورة بأسلوب الوصاف لا بريشة الرسام أو المصور.

وتعتبر «المجموعة» التي أصدرها في هذه الأيام من خير مجموعاته القصصية، وهي مصدرة ببحث عن المصادر التي ألهمته الكتابة. وهذا البحث في الأصل محاضرة ألقيت بقاعة يورت بالجامعة الأمريكية مساء ٥ مارس سنة ١٩٣٨. وقد وفق فيها تيمور بك إلى حد كبير في سبر غور الموضوع الذي يطرقه، كما نجح نجاحاً يذكر في الكشف عن العوامل التي اكتنفته فوجهته توجيهاً أدبياً صرفاً، وعملت على طبعه بطابع خاص. ومن رأي تيمور بك أن العوامل التي تحدد كل كاتب وتكونه هي ثلاثة أمور أساسية: وراثة وبيئة وحوادث، تتداخل فتجري مجرى الحياة الباطنية من طريق إلى آخر. ويرى هو أن عامل الوراثة يتمثل معه فيما أورثه إياه والده من حب الكتابة، وشقيقه المرحوم محمد تيمور من حب الأدب القصصي. وهذا العامل قد ساقه بتداخله مع بيئته إلى الأدب، كما أنه يرى أهم العوامل التي أثرت فيه متصلة بأسباب مطالعته. وأهم الكتب التي تركت أثراً في ذهنه: هي ألف ليلة وليلة، وأقاصيص موباسان، وتشيكوف. على أننا نلاحظ على هذا الفصل أن الكاتب وقف في بسطه للموضوع

وسبر أغوار نفسيته عند الجل . فلم ينزل به إلى التفاصيل التى تعين على رسم صورة حقيقية دقيقة عنه .

وفى هذا الفصل مطالمات تستوقف النظر : أهمها رأى الكاتب فى « ألف ليلة وليلة » ، وتفسيره لقوة الخيال فيها بأنها ترجع إلى كونها جاءت عن طريق الفرس — وهذه ملاحظة قيمة لما دلالتها القوية على بعد نظر الكاتب وعدم جريه وراء الأوهام التى يجرى وراءها بعض الذين يكتبون فى الأدب العربى من الكتاب المعاصرين .

أما المجموعة نفسها ، فتحتوى على اثنتى عشرة أقصوصة ، تستهل بأقصوصة « فرعون الصغير » . وهى أقصوصة يبرز فيها اللون التخيلى romanische من حيث يتغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالى . على أن هذه التخيلية عند الكاتب فى هذه الأقصوصة تجعل فكرة الأقصوصة غير متسقة فى أجزائها . فنى هذه الأقصوصة نجده يصور الشاب بطل الأقصوصة شاباً فى سن السابعة عشرة — مدوعاً إلى ذلك بفكرة أولية ، هو أن يخلق صلة شبه بين الشاب والفرعون الصغير توت عنخ أمون الذى مات فى السابعة عشرة ، أو الثامنة عشرة من عمره — وهذا التصور الأنيق فى بناء القصة مع الدور الذى يقوم به الشاب من أنه تخلف عن داره وبات خارجها مع الأمريكية الحسناء .

وفى الأقصوصة الثانية وهى « غريم » نجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصة على أساس من تنازع العواطف ، وهذا ما تراه واضحاً فى شخصية رشدية يسرى . وهذا اللون الباطنى وإن كان خفيفاً فى هذه الأقصوصة ، فهو يعود إلى علم النفس الحديث ، والتأثر بالفريدوية Freudism واضح فيها. على أنه فى وصفه لشخصية رشدية يسرى تتنبه فيه ملكته الواقعية الساذجة ؛ فتراه يعمد لتصور شخصيتها فى دقة وبساطة . وهى فى تصوره لشخصيتها يبدو وبيده ريشة المصور من حيث يستخدم الألوان ويمزجها لخلق الأطياف والظلال. على أنه فى تصورها يبدو لى وكأنه نظر لقصة بنت يزيد لرفيق خالد بك القصصى التركى الكبير حين عرض لتصور « زليخا » بطل قصته

وفى الأقصوصة الثالثة وهى « حزن أب » نجد تيمور بك يبرز شخصية « الشيخ عساف » فى صورة إنسان قد توزع فيه الإحساس بعد أن صدم بوفاة ابنه ، وهو ينتهى من تصوره بأن يريك الأب قد انتحر ... وبهذا تخلص من توزع مشاعره وإحساساته . وجو الأقصوصة يوحى بلون باطنى ، ولكن لا يكاد يستشف منها ، وإن أمكن إدراك لونها ، بأن تترك القصة توحى إليك بجوها ألوانها الباطنية . وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخيلية من جهة والباطنية من جهة أخرى أخذت تطغى على الواقعية الساذجة ، ولكن بدون أن تغرقها . وهذا التطور عند تيمور بك طبيعى لأنه رجل فنان وفنه يستولى عليه ، ويختار التعبير الذى يتسق مع الجو الذى يضطرب فى طوايا نفسه

والحق أن هذا التطور عند تيمور بك يعتبر تلطيفاً لجمود الواقعية . والأصل الواقعى ثابت من نفسه بعد ذلك ، ولا أدل على ذلك من ظهوره بصورة خيوط تتعارض فى نسيج أقاصيص الرجل . . .

هذه مجموعة أقاصيص « فرعون الصغير » وهى مجموعة طيبة من الأقاصيص تدل على تطور الفن القصصى عند تيمور بك ولكن مع استناده إلى الأصل الثابت من نفسه، وهى من هنا خليقة بالعناية والتدقيق والاعتبار من أدباء العربية .

اسماعيل احمد أدهم

* * *

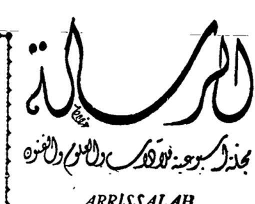
وقع خطأ فى ردى الأخير على الدكتور بشر فارس هو ورود كلة report الإنجليزية وكأنها تنظر إلى كلة rapport الفرنسية . والصحيح أن الكلمة الفرنسية تنظر إليها فى الإنجليزية كلة relation أو rapport وقد استعمل الوجه الأخير G. W. Swain فى ترجمته لكتاب دوركايم . كذلك جاء فى المقال ص ١٥٢٤ س ١ كلة النمزات مكان الفراسة كما جاءت فى أكثر من موضع كلة التقدير مكان التقرير . كما ورد ص ١٥٢٦ س ١٠ كلة التقدير زائدة . ولهذا لزم التنويه .

7me Année No. 320

Lundi - 21 - 8 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الحلف العـــــربى
وقضيتا فلسطين وسورية
للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

منذ بضعة أسابيع نشرت لى مجلة « المكشوف » البيروتية فى عددها الممتاز كلمة عن الوحدة العربية بينت فيها ما يتيسر من ذلك فى الوقت الحاضر ، وهو أن يكوّن الأمم العربية — أو التى لغتها العربية — فيما بينها حلفاً قوياً وطيد الدعائم يوحد نظم التعليم العام ، ويزيل الحواجز الجمركية ، ويلغى الجوازات ، وينظم التبادل التجارى ، ويوثق الروابط الاقتصادية ، ويوحد النظام العسكرى ، ويعين على إنصاف الأمم العربية التى لم تفز إلى الآن بحقها فى الحياة الحرة مثل : تونس والجزائر ومراكش ، ويجعل من هذه البلاد كلها كتلة واحدة وصفاً متراصاً متعاوناً للدفاع عن وجودها وصون مصالحها والذياد عن كيانها . وقلت : إن هذا مطلب ليس فيه شطط ، فإنا نرى فرنسا وبريطانيا تسعيان لمحالفة الروسيا الشيوعية على الرغم مما بين الدول الثلاث من تفاوت فى الأصـــول واللغة والنظم الاجتماعية والسياسة والأغراض والمصالح والمواقع الجغرافية

وقد نقلت جريدة البلاد البغدادية هذا المقال ، وعقبت عليه بقولها : إن الحلف الذى أدعو إليه قد فكر فيه العراق « وأوجد

١٣٠٢٢

مشروعه فعقد معاهدته مع المملكة العربية السعودية ودخلت فيه مملكة اليمن ، وبابه مفتوح لدخول كل دولة عربية أخرى »

وأنا أعرف ذلك وما نسيته ولا أنسيته يوم كتبت كلمتي إلى المكشوف . وقد كنت في بغداد لما كانت المفاوضة دائرة بين العراق والمملكة العربية السعودية لعقد هذا الحلف ، وقبيل الأوبة إلى مصر بشرنا السيد يوسف يسن مندوب الدولة السعودية ، والمرحوم يسن باشا الهاشمي رئيس الوزارة العراقية يومئذ ، بأن الاتفاق تم ولم يبق إلا التوقيع ، فكان هذا أعظم ما سرنا وخير ما عدنا به من بغداد

وما زال الحلف قائماً ولا شك في فائدته للدول الداخلة فيه ولكني لا أعلم أن الفائدة تجاوزت هذا النطاق المحدود . وإذا كانت العراق واليمن والمملكة العربية السعودية قد تعاونت على السعي لإنصاف فلسطين فقد اشتركت معها في ذلك مصر وهي غير داخلة في الحلف ، وقد كسبت هذه الدول الأربع لفلسطين العدول عن الوطن القومي وحصر الهجرة اليهودية إليها في نطاق الثلث ، وهذا فوز له قيمته ولا ريب ، ولكني أجترئ على القول بأن الفضل فيما كسبت فلسطين العربية لأبنائها الأشداء الأبطال المغاوير قبل أن يكون لهذه الدول العربية ، ولو لم يقم عرب فلسطين قومتهم الباهرة لما أجدى سعي البلاد العربية الأخرى منفردة أو مجتمعة . ومع ذلك أصبح هذا الكسب عرضة للضياع إذا اعتبرنا ما يحدث كل يوم من تهريب اليهود إلى فلسطين وإدخالهم فيها بكل وسيلة غير مشروعة لإحباط سياسة الكتاب الأبيض فيما يتعلق بتحديد الهجرة والعدول عن الوطن القومي ، وهؤلاء اليهود يجيئون من بلاد لا تضطهدهم ولا تسومهم شيئاً من العذاب أو الظلم وإنما يُجمعون ويُرسلون إلى فلسطين ليقاوموا السياسة الجديدة كما صرح زعماء اليهود بذلك

وأنا أعلم أن الجنرال نوري السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية هدد في لندن بسوء العاقبة إذا لم تعمل بريطانيا على إنصاف عرب فلسطين ، وكان لوعيده هذا أثره يومئذ في المؤتمر

ولكن على الرغم من تعاون البلاد العربية في المؤتمر ودخولها فيه وخروجها منه كتلة واحدة ، وعلى الرغم من تهديد نوري باشا لم يفز العرب بأكثر من خمسين في المائة من مطالبهم العادلة وحتى هذا القدر يمحوه التهريب اليهودي الآن

ودع فلسطين وانتقل إلى سوريا وانظر ما حل بها

هذه فرنسا عقدت معها معاهدة صداقة وتحالف على مثال المعاهدة العراقية البريطانية ، وما نظن أن أحداً سيدعي أن فرنسا أرغمت على ذلك أو أن سوريا أملتها عليها بحد السيف ، ومع ذلك راحت تماطل في إبرامها ثم نقضت سياسة المعاهدة جملة وتفصيلاً وقضت على الحكم الدستوري وقطعت البلاد إرباً ، وزادت فاقتطعت الإسكندرون وتفضلت فأهدتها إلى تركيا . وليس ما صنعته ألمانيا بتشيكوسلوفاكيا بشر مما صنعت فرنسا ، فما كانت تشيكوسلوفاكيا أمانة في عنق ألمانيا وإنما كانت شوكة في جنبها وضعتها هناك سياسة فرنسا - وليس هذا دفاعاً عن ألمانيا وإنما هو الحق . وإذا كان المرء لا يجد ما يصلح أن يكون دفاعاً عن ألمانيا في هذا الباب على الرغم من الحقائق المعروفة فأي دفاع يمكن أن يكون هناك عن فعلة فرنسا في سوريا من إهدائها الإسكندرون إلى تركيا ، وتقسيمها ما بقي من البلاد السورية إلى محافظات مستقلة إدارياً وقضائياً ومالياً وحكمها جميعاً حكماً مباشراً ، وإهمال المعاهدة التي عقدت في سنة ١٩٣٦ ؟

والشعب السوري من أسبق الشعوب إلى اعتناق الفكرة العربية والدعوة إلى الوحدة ومن أرقاها وأخلقها بالحياة الحرة . وإذا كانت سوريا لا تستحق الاستقلال فلا ندري من ذا يستحقه ؟ وإذا كانت سوريا التي احتمل رجالها أثقل أعباء الثورة العربية في إبان الحرب الكبرى والتي كانت ولا تزال إلى هذه الساعة على الرغم من محنتها أقوى مؤيد للحركات الاستقلالية في كل بلد عربي - تقابل نكبتها بمثل هذا الفتور ، ولا أحب أن أقول الجحود ، فلا أدري أية أمة أخرى أولى بالمعاونة والنجدة ؟

أنا أعرف كما قلت أن هناك حلفاً عربياً بين العراق والدولة العربية السعودية واليمن ، ولكني أستأذن صديقي الأستاذ روفائيل بطي صاحب « البلاد » البغدادية في أن أقول إن هذا الحلف لا يمكن أن يؤتي الثمرة المرجوة منه ما بقيت فلسطين وسوريا ترسفان في الأغلال ، فإن هذين البلدين هما قلب البلاد العربية

إن البلد العربي الوحيد الذي يسمه أن يدخل في الحلف العربي الآن هو مصر ولكن دخولها فيه لا يوجد معدوماً ، ولا يضيف ناقصاً ، ولا يزيد شيئاً على علاقات الود والتعاون بين مصر وبلاد الحلف (العراق والمملكة العربية السعودية واليمن)

وإنما الذى يكسب الحلف وزناً جديداً وقيمة عملية من السير أن تتيسر له الآن هو استقلال فلسطين وسوريا ودخولهما فى الحلف وبذلك تصبح البلاد العربية (إلى آخر حدود مصر الغربية) كتلة واحدة حقيقية فى وسعها أن تتعاون على مواجهة الطوارئ وملاقاة الأحداث ودفع الأخطار . وليس ذلك لأن سوريا وفلسطين أكثر عدداً أو أوفر مالاً أو أقدر أو أكفأ بل لأن بقاء هذه البلاد خاضعة لسلطان دول أجنبية يشطر البلاد العربية شطرين ويجعل التعاون العملى بين الشطرين متعذراً ويحول دون القيمة التى يسهل أن تستفاد من اتصال الحدود وزوال الفواصل والعوائق

وإلى أن يتم استقلال سوريا وفلسطين لا يجوز الاكتفاء بالقول أن الحلف العربى موجود وقائم وأن بابه مفتوح لمن يريد الدخول فيه فما يتغير شىء حقيق بدخول مصر فيه قبل استقلال سوريا وفلسطين . وإلى هذا ينبغى أن يتجه السعى قبل كل شىء . وما أظن إلا أن إخوانى فى العراق يقرون هذا الرأى .

ابرهيم عبد القادر المازنى

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقـــــافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

(تابع)

أما الفوائد التى تعزى إلى « تعليم اللاتينية واليونانية » من وجهة خدمات هذا التعليم لـ « تثقيف العقل وتقوية الحاكمة » فمن الأمور التى تحتاج إلى إنعام النظر من وجوه عديدة :

فإن نظم المعارف السائدة فى أوربا ، كانت جعلت « الدراسة الثانوية المزوجة بتعليم اللاتينية واليونانية » السبيل الوحيد الذى يؤدى بالطلاب إلى الدراسات العالية . ولا حاجة للبرهنة على أن عدم وجود سبيل آخر يؤدى إلى ميادين الفكر والثقافة الفسيحة ، لا يمكن أن يعتبر دليلاً على عدم إمكان إيجاد سبل أخرى أقصر وأحسن وأنفع من ذلك السبيل . . .

كما أن ذكر الأمثلة الكثيرة عن أعاظم العلماء الذين كانوا من النابغين والمتقدمين فى دروس اللاتينية ، لا يمكن أن يبرهن على أية قضية كانت فى هذا المضمار . لأن التفكير العلمى الصحيح يتطلب التساؤل ـ تجاه مثل هذه الأمثلة ـ عما إذا كانت اللاتينية من عوامل نمو عقول هؤلاء العلماء ، أم أن مواهبهم العقلية كانت من أسباب تقدمهم فى اللاتينية ؟

ونرى من المفيد أن نوضح هذه القضية بمثال مادى : لنفرض أننا أخذنا حفنة من الحبوب وغربلناها بغربال معين ؛ من الطبيعى أن هـذا الغربال سيسقط الحبوب الصغيرة ، وسوف لا يحتفظ إلا بالحبوب الكبيرة . فهل يجوز لأحد أن يدعى ـ عند ما يشاهد هذه الحبوب الكبيرة ـ أن الغربال سبب « تنمية الحبوب » ؟

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يجوز لأحد أن يدعى أن هذا الغربال هو الواسطة الوحيدة لانتقاء البذور ؟ أو أن الغربلة هى أحسن الوسائط لهذا الانتقاء ؟ وهل لأحـد أن ينفى احتمال سقوط بعض الأنواع من البذور الثمينة والنافعة ـ مع ما يتساقط من الغربال ؟ أو ألا يسلم باحتمال بقاء الأنواع من البذور الرديئة والمضرة ، بين ما يبقى فى الغربال ؟

إننا لا نقصد فى سوق هذا المثال وإيراد هذه الأسئلة أن ندعى أن « عمل اللاتينية فى العقول لا يختلف عن عمل الغربال فى الحبوب » بل إننا نود أن نقول : إن هـذه القضايا كثيرة التعقيد كما يظهر من المثال المادى البسيط الذى ذكرناه ؛ فلا يجوز لنا أن نبت فى مثل هذه القضايا قبل أن ندرسها من جميع وجوهها ونقوم بأبحاث دقيقة وشاملة فى شأنها . . .

فلنفكر كيف يمكن أن يؤثر « تعليم اللاتينية » على القابليات العقلية . لا شك فى أن هذا التأثير يجب أن ينجم عن ممارسة تمارين الترجمة التى تجرى خلال هذا التعليم . فإن الترجمة تحمل الطالب بطبيعتها على القيام بأعمال ذهنية هامة : إنها تمرنه على نقل الفكرة الواحدة ، أو المعنى الواحد من لغة إلى لغة أخرى ؛ وذلك يضطره إلى تحليل المعانى والعبارات إلى عناصرها المختلفة ، ويحمله على إجراء مقارنات دقيقة بين عبارات اللغتين ويعوده ملاحظة أصغر الفروق وأدق الألوان فى معانى الألفاظ والعبارات التى تعرض عليه أو تخطر بباله ... إن الفوائد التثقيفية التى ينتظر الحصول عليها من تعليم اللغة اللاتينية أو اليونانية ، لا تخرج عن نطاق فوائد هذه التمارين من وجهة التأثير على القابليات العقلية .

ولا مجال للشك فى أن جميع هذه الفوائد لم تكن من خصائص

تعليم اللاتينية أو اليونانية ؛ بل هي مما يمكن الحصول عليها خلال تعليم أية لغة من اللغات الحية الراقية أيضاً ...

إن هذه القضية كانت من أهم المسائل التي احتدم النزاع عليها ودارت المباحثات والمناقشات حولها ... وقد قام عدد غير قليل من علماء النفس ورجال التربية ، يدرس هذه المسألة علمياً وتجريبياً . فقد قاموا باختبارات واسعة النطاق ، وبرهنوا على أن اللاتينية لا تمتاز على سائر اللغات — من حيث القابلية التثقيفية — بوجه من الوجوه

فلا يجوز لنا مع ذلك أن نتوسل بتعليم لغة ميتة إلى «تثقيف العقل» ؛ بل الأجدر بنا أن نصل إلى التثقيف المذكور عن طريق تعليم لغة حية ليستطيع الطلاب أن يستفيدوا منها في الوقت نفسه طول حياتهم الفكرية والاجتماعية

وعند ما فكرت أنا في هذا الموضوع — على ضوء الآراء والأبحاث التي أشرت إليها — تذكرت قصة صغيرة كنت قرأتها في كتاب مدرسي ، بين موضوعات الإنشاء :

كان رجل يعتمد في تدبير معاشه على نتاج مزرعته . فلاحظ يوماً أن البركة أخذت تذهب عن مزرعته ، وأن النتاج أخذ يقل عن حاجته ، فشكا حاله إلى أحد أصدقائه ، فوعده صديقه هذا بسؤال أحد السحرة ، لتدبير مسألته . فأتى إليه — في اليوم التالي — بعلبة سحرية ، قال إنها كفيلة بإعادة البركة إلى مزرعته على أن يستصحبها معه كل ليلة إلى بعض أنحاء المزرعة — من الاصطبل إلى مخزن الحبوب — فأخذ الرجل يعمل بوصايا صديقه ويطوف بالعلبة السحرية في الأنحاء المذكورة . ولم تمض على ذلك مدة طويلة ، إلا وقد رأى أن العلبة عملت عملها السحرى ، وأعادت البركة إلى مزرعته. غير أن هذه العلبة ، كانت في حقيقة الأمر علبة اعتيادية فارغة ؛ وأما سحرها ، فقد نتج من اضطرار الرجل إلى الطواف بها ليلاً في مختلف أنحاء مزرعته ؛ لأن هذا الطواف ، ساعده على ملاحظة أحوال مزرعته ، ومراقبة أعمال مأجوريه ، ووضع حد لجميع الأسباب التي كانت تؤدي إلى تناقص موارده .

إنني أشبه عمل اللاتينية في حقل التفكير ، بعمل « العلبة السحرية » التي ذكرتها . فإن السحر ليس فيها ، بل في الأعمال الذهنية التي تجرى بواسطتها . ولا حاجة للبيان أن هذه الأعمال مما يمكن أن تجرى دون وساطتها ، بل بواسطة أية لغة من اللغات الحية الراقية ...

إن المناقشات التي ثارت حول مسألة تعليم اللغات القديمة لم تحمل وزارات المعارف في فرنسا على إحداث بعض الإصلاحات لمجابهة الحاجات إلا بعد انقضاء النصف الأول من القرن الأخير

وأما أول التدابير العملية التي اتخذت في هذا الباب فقد كان إحداث نوع جديد من الدراسة الثانوية في عهد وزارة (دیکتور دوروى) . عرف هذا النوع الجديد باسم « التعليم الخاص » واستغنى عن تعليم اللغات القديمة ، وجعل غايته إعداد الطلاب للمدارس العالية الاختصاصية التي تفتح أمامهم سبل الدخول إلى الحياة العملية

غير أن إحداث هذا النوع من التعليم أثار هجمات أنصار اللاتينية ، كما أنه لم يحقق رغائب المجددين . فقد احتج عليه أنصار اللاتينية واليونانية قائلين « إن هذه الدراسة الجديدة ستجذب الشبان إليها من جراء قصر المدة التي تتطلبها والفوائد العملية التي تتضمنها ، وذلك سيؤدى إلى انصراف الشبان عن سبل العلم الخالص ، وإلى انحطاط الثقافة الفرنسية العالية » . قالوا لذلك بوجوب تطويل مدة الدراسة فيها لإزالة أسباب الإغراء منها

وأما معارضو اللغات القديمة فإنهم قالوا بأن هذا الإصلاح غير واف بالمرام ، لأنه أحدث سبيلاً جديداً للدراسات المهنية العالية وحدها ، وترك سبل الدراسات الجامعية على حالها ، في حين أنهم كانوا يطالبون بإصلاح تلك السبل أيضاً ؛ كانوا يعتقدون بوجوب إحداث نوع في الدراسة الثانوية لا يقصر في أهدافه السامية عن أهداف الدراسة الكلاسيكية الراهنة ، ولا يهمل شيئاً من المرامي الثقافية التي عرفت باسم « الإنسانيات » منذ عصر النهضة. إنهم كانوا يدعون إلى إحداث «إنسانيات عصرية» تعوض اللغات القديمة باللغات الحية ، دون أن تحيد عن أهداف العلم الخالص والدراسة الجامعية ...

ولذلك ثابر هؤلاء على مطالبهم إلى أن جاءت وزارة (ليون بورجوا) وخطت خطوة جديدة في السبيل الذي كانوا يدعون إليه ؛ إذ أنها حولت « التعليم الخاص » إلى فرع ثانوي جديد عرف باسم « التعليم العصرى » . وأصبحت الدراسة الثانوية بعد ذلك متفرعة إلى فرعين متوازيين : كلاسيكي وعصرى

بدأ هذا الفرع الجديد يشق لنفسه الطريق بين أنواع شتى

من الموانع والمشاكل — من قلة الوسائط إلى خصومة المحافظين وعراقيل المارضين — إذ أن أنصار اللغات القديمة والتعليم الكلاسيكي بذلوا كل ما لديهم من قوة لتحذير أولياء الطلاب من الاعتماد على نتائج هذه البدعة ، وحرصوا حرصاً شديداً على إبقاء الجامعات موصدة الأبواب أمام متخرجي الفرع العصرى من الدراسة الثانوية

فاستمر النزاع والنقاش ، ووصل الأمر — في أواخر القرن — إلى درجة من الحدة اضطر معها مجلس الأمة إلى القيام بتحقيق برلماني خاص ؛ فألف لجنة لدرس مسألة الدراسة الثانوية من جميع وجوهها دراسة واسعة النطاق . فاستمعت اللجنة لآراء عدد كبير من رجال العلم والأدب والتربية والتعليم ، من رؤساء الكليات والجامعات إلى كبار رجال العمل في المهن المختلفة وخصصت في أبحاثها موقعاً خطيراً لدرس مسألة التعليم العصرى والتعليم الكلاسيكي

وقد أظهر هذا التحقيق الشامل عدة حقائق مهمة حول مسألة تعليم اللغات الميتة في المدارس الثانوية

إن الدراسة الكلاسيكية المستندة إلى تعليم اللغات القديمة ، كانت لا تزال تتمتع بشهرة عظيمة بين أولياء الطلاب . كان المثقفون منهم قد نشأوا نشأة كلاسيكية ، فتعودوا أن ينظروا إلى أن معرفة اللاتينية — معرفة تمكن من ترصيع الكلام ببعض عبارات منها عند الاقتضاء — من دلائل « الامتياز الفكرى » ولوازم « الأرستقراطية المنوية » ؛ ولذلك قلما كانوا يرضون لأولادهم نوعاً من الثقافة تحرمهم هذا الامتياز ، وتحط من منزلتهم الاجتماعية . وأما الذين كانوا نشأوا نشأة أبسط من ذلك — ومع هذا أخذوا يطمعون برفع منزلة أولادهم عن طريق تعليمهم تعليماً راقياً — فكانوا لا يرضون لأولادهم أن يفترقوا عن أولاد الفريق الأول في هذا الميدان ... ولهذا ظلت رغبة الأكثرية متجهة نحو التعليم الكلاسيكي القديم ...

وزد على ذلك أن معظم مديرى المدارس الثانوية ومعلميها أيضاً كانوا متشبعين بفكرة تفوّق الدراسة الكلاسيكية على العصرية ؛ ولذلك كانوا لا يفتأون يشوّقون التلاميذ الأذكياء إلى اختيارها ... حتى أن البعض منهم كان يغالى في هذا الاعتقاد أشد المغالاة ، فيظهر الفرع الجديد بمظهر « ملجأ المتأخرين » من الطلاب ، ويبذل كل ما لديه من قوة لإقناع المتفوقين منهم للرغبة عن هذا الفرع ...

وأخيراً كان في خدمة الدراسة الكلاسيكية جيش كبير من المعلمين المتمرنين المزوّدين بأحسن الاختبارات وأطول التقاليد ؛ في حين أن الدراسة العصرية كانت في حاجة شديدة إلى معلمين خبيرين ، يحسنون القيام بالمهام المطلوبة من هذه الدراسة الجديدة . . .

ومع كل ذلك قامت الدراسة العصرية بأعباء التثقيف أحسن قيام وأعطت نتائج باهرة ، لا تقل عن نتائج الدراسة الكلاسيكية

واللجنة قررت (بعد ما اقتنعت بذلك) إبقاء الفرع العصرى في الدراسة الثانوية (مع العمل لتوسيعه وترقيته) ومع هذا قررت في الوقت نفسه الاستمرار على اشتراط معرفة اللاتينية ، للقبول في كليتي الطب والحقوق . غير أنه مما يلفت الأنظار ، أن القرار الأخير لم يتخذه إلا أكثرية ضئيلة جداً لأن الأصوات التي التزمت جانب اشتراط اللاتينية للقبول في الكليتين المذكورتين لم تتغلب على مخالفيها إلا بصوت واحد فقط !

ولإظهار قوة الآراء المخالفة لذلك ، أود أن أذكر بعض الفقرات المستخرجة من التصريحات التي أدلى بها ثلاثة من رجال العلم والفكر في هذا الصدد : وهم ليون بورجوا ، وأرنست لاويس ، وريمون بوانكاريه . . .

قال الأول ما مؤداه : نحن لم نعتقد أن الذين يتثقفون بالدراسات القديمة ، هم وحدهم جديرون بتكوين الأرستوقراطية الفكرية ؛ بل اعتقدنا بإمكان « إنسانيات عصرية » ، مستقلة عن اللغات القديمة ، اعتقدنا بأننا نستطيع أن نعطى نوعاً من الثقافة العامة ، تختلف عن الثقافة الكلاسيكية ، دون أن تكون أقل سمواً منها . . . فإن الدراسات الكلاسيكية بطبيعتها « كلامية » فلا تسد حاجات عصرنا هذا ، ومطالبه الفكرية والأدبية والاجتماعية ... إن العالم قد تبدل تبدلاً أساسياً منذ عشرين قرناً ؛ فالثقافة الكلاسيكية التي توارثت مكتسبات الحضارات القديمة وقيمتها ، أصبحت بعيدة عن ملاءمة الحضارة الحالية ... »

ثم جابه مخاطبيه بالسؤال التالى : « أيها السادة ، لنستنطق أنفسنا بكل صراحة ؛ من منا يستطيع أن يقول بأنه تذوق ما في مآسى « سوفوكليس » أو محاورات أفلاطون ، من جمال فنى ، على طريف قراءة نصوصها الأصلية . . . إذا لم يكن قد أولع باللغات القديمة ولعاً شخصياً ، فتعمق في دراستها بعد

الانتهاء من الدراسة الكلاسيكية ؟ أما أنا فأعترف – من جهتي – بكل إخلاص – بأنني لم أفهم عظمة « أوديب الملك » إلا في الكوميدي فرانسيز . . . مع أنني كنت من المبرزين في دروس اللغات القديمة وآدابها ... »

وأما « أرنست لاويس » – الذي يعد من أشهر كتاب التاريخ في فرنسا ، والذي ظل مديراً لدار المعلمين العالية مدة طويلة – فقد اعترف خلال تصريحاته بأنه كان مرتاباً في نجاح تجربة الدراسة العصرية – عند إحداثها – غير أنه تخلص من هذا الريب ، بعد أن رأى النتائج الفعلية ، فأصبح يعتقد بأن قيمة الثقافة التي تكتسب خلال مثل هذه الدراسة ، لا تقل – بوجه من الوجوه – عن قيمة الثقافة التي تكتسب من الدراسة الكلاسيكية . وزيادة على ذلك فند الرأي القائل بضرورة اللاتينية لإجادة الفرنسية ؛ وصرح باعتقاده الجازم في مساواة قيمة الثقافتين ؛ وقال بأن « الحجج التي تذكر لتبرير إيصاد أبواب كليتي الحقوق والطب أمام خريجي الدراسة العصرية ، ما هي إلا من قبيل الأوهام الباطلة التي لا تستند إلى تجربة وتفكير » وأظهر استعداده لمناقشة القضية ، عند الاقتضاء .

وأما « بوانكاريه » الذي كان من كبار رجال الفكر والحقوق ، والذي قام بأعباء وزارة المعارف ، وتدرج بعد ذلك إلى رياسة الوزراء فرياسة الجمهورية – فهو أيضاً قد دافع عن الدراسة العصرية من وجهة قيمتها الثقافية دفاعاً حاراً ؛ ورد على آراء القائلين بضرورة اللاتينية للدراسات الحقوقية رداً عنيفاً : فقد قال – في هذا الصدد – ما مؤداه :

« إنني لا أستطيع أن أسلم بضرورة معرفة اللاتينية لدرس الحقوق الرومانية بل أقول بإمكان درس هذه الحقوق بأساليب جديدة غير التي تعودناها إلى الآن ، كما أعتقد بأنه لم يبق لهذه الحقوق من فائدة سوى متعتها التاريخية . فلست متأكداً من أن الاستعاضة عن دراسة الحقوق الرومانية بدراسة الشرائع المعاصرة ، لا يكون أشد موافقة وأكثر ملاءمة لمقتضيات الثقافة الحقوقية العصرية »

« هذا ، وإني سأذهب إلى أبعد من ذلك وسأزيد على قولي قولاً آخر – مع علمي بأن هذا القول سيعتبر في نظر البعض من ضروب الكفر والإلحاد – فأقول بدون تردد : إن سيطرة الحقوق الرومانية على الفكر الفرنسي المعاصر ، لا تخلو من مضار ... فإننا إذا شاهدنا محافلنا البرلمانية تسترسل في المناقشات البيزنطية إلى الحد الذي نعرفه ، يجب أن نعلم أن مصدر ذلك إنما هي الأساليب الرومانية التي تعودناها في تفهم وتصور المناقشات الحقوقية »

غير أن هذه الحجج القوية وأمثالها من التصريحات ، لم تتمكن من زعزعة الاعتقادات القديمة كلها من أذهان جميع أعضاء اللجنة البرلمانية ، ولذلك أيدت اللجنة – بأكثرية صوت واحد – النظام المتبع في اشتراط معرفة اللاتينية للدراسة الحقوقية. غير أن ضآلة الأكثرية التي أقرت ذلك كانت دليلاً واضحاً على أن الحل المذكور لم يكن من الحلول التي تطمئن إليها الأفكار ، وتستقر عندها الأمور . بل كان من الحلول المؤقتة التي تؤجل النتيجة النهائية ، دون أن تضع حداً حاسماً للاختلافات . فكان من الطبيعي ألا تقف الأمور عند هذا الحد ، فتستمر المناقشات إلى أن يتقرر «مبدأ المساواة» بين الثقافتين الكلاسيكية والعصرية

وهذا ما حدث فعلاً ، فإن مناهج الدراسة التي وضعت بعد التحقيق البرلماني الآنف الذكر ، حاولت أن توجد حلولاً متوسطة لكثير من المشاكل فأوجدت مثلاً نوعاً جديداً من الدراسة الثانوية ، يحتفظ باللغة اللاتينية ، ويضحي باليونانية لتعوضها بالعلوم أو اللغات الحية . ولا شك في أن هذا النوع كان يشغل موقعاً متوسطاً بين « الكلاسيكية القحة » التي تتمسك باللغتين القديمتين في وقت واحد و « العصرية البحتة » التي تستغني عن هاتين اللغتين مرة واحدة ...

غير أن الإصلاحات التي تقررت بعد الحرب العالمية ، انتهت (بعد شيء من الجزر والمد) بتقرير حق المساواة بين الدراسة الكلاسيكية والدراسة العصرية ، واتخذت عدة تدابير عملية لضمان هذه المساواة بصورة فعلية . . .

هذا هو ملخص الأطوار الأساسية التي مرت بها مسألة تعليم اللاتينية واليونانية في المدارس الثانوية والفرنسية .

(يتبع) أبو خلدون

الحق جاهـــــد

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إن الإنسان كلما كبر علمته التجارب أن التقاتل على أكثر الآراء عناء زائل وأمر حائل، وأن ما يدعى تقاتلاً على الحق إنما هو تقاتل على المطامع التى تدعى حقاً. قال أحد الفلاسفة: من المقرر فى علم الحساب أن جمع الاثنين والاثنين أربعة ولكن لو كانت هذه المسألة من مسائل الحياة التى تختلف فيها مطامع الناس ومطالبهم ومآربهم لكان بين الناس من يعتقد بإخلاص وحسن نية أن جمع الاثنين والاثنين خمسة أو سبعة أو تسعة حسب ما تقتضيه مطامعهم وفوائدهم. وكل منهم يعتقد بإخلاص أن جمع الاثنين والاثنين إذا كان فى رأيه خمسة أو سبعة أو تسعة غير مؤسس على ما تقتضيه المطامع والفوائد الخاصة، وإنما وصل كل منهم فى اعتقاده إلى هذه النتيجة بالتخلص من لوازم شخصه وبالفكر النظرى الخالص من كل شائب. لكن الناس اتفقوا على أن جمع الاثنين والاثنين أربعة لأن هذا الجمع ليس من الأمور التى تختلف فيها مطالبهم أو فوائدهم. على أن الناس فى الحقيقة يختلفون فى جمع الاثنين والاثنين عند ما يخرجونه من حيز المسائل الحسابية النظرية العارية وعند ما يلبسونه لباساً من مطالب الحياة وفوائدها واختلاف أوجه النظر فيها حتى تصير المسألة الحسابية البسيطة مقنعة غير ملحوظة فى أفكارهم ومطالب حياتهم وكأنها غير موجودة

أذكر أنى قابلت أثناء الحرب العظمى الماضية أحد أفاضل الأجانب ممن انصف بالعدل وصدق النظر فى الأمور والاعتدال فى الرأى، وجرى بيننا الحديث عن الحرب والأمم المتقاتلة فيها فأطرى الفرنسيين وذم الألمان، وأوضح أسباب المدح والذم. ثم انقضت الحرب وحاولت فرنسا بعدها بمحالفة الدول الأوربية السيطرة على القوى البرية فى أوربا وخشيت انجلترة أن تخل بالتعادل الدولى. وقابلت صاحبنا فذم الإنجليز ومدح الألمان وقال هم أبناء عمنا، وذكر أسباب المدح والهجاء. ولو قابلته الآن بعد أن عادت انجلترة وفرنسا إلى الوفاق وبعد أن قويت ألمانيا لعاد إلى رأيه الأول وصاحبنا هذا رجل عدل وإنصاف واعتدال فى أمور الحياة، وهو فى كل حالة كان يعتقد ما يقول، ويرى أنه الحق ولا حق غيره، وهذا الفاضل ليس ببدع، فهذه سنة الناس فيما يسمونه حقاً يحورونه ويحولونه بإخلاص وحسن نية إلى ما يناسب آمالهم ومطالبهم وأحاسيسهم، وهم لا يشعرون بذلك التحويل، وعدم فطنتهم إلى هذا التحويل هو سبب اندفاعهم فى نصرة ما يسمونه حقاً وسبب إباحة كل وسيلة فى نصرته؛ ومن هذا الطريق يدخل نفس الفاضل الحسن النية ما يدخلها من شر وقسوة ولؤم، فكل إنسان فى الحياة يدخل فى معنى الحق ما يتفق وحالات نفسه وخواطرها وآمالها ومسراتها وصداقاتها وعداواتها، وما يناسب نشأته وثقافته الخاصة وميوله، وهو يُدْخِل ما يدخله فى معنى الحق من غير أن يعمل عمل المنافق الذى يُخفى من رأيه غير ما يعرض على الناس، ولو سمينا طريقته فى تحويل الحق إلى جانبه نفاقاً لكانت نفاقاً لا يحس صاحبه أنه نفاق

فإذا أضفت إلى هذا النفاق غير المقصود الشائع فى كل نفس ما تقصده أكثر النفوس من تضليل العامد إلى النفاق الدنيء، ظهر أن محاولة معرفة الحق أمر جاهد حقا وظهر السبب فى خطأ الناس فى قدر ما يعرض عليهم من الأمور التى تسمى حقا. إذ أن السمار والضراوة فى نصرة ما يسميه كل إنسان حقا ليست مقصورة على صاحب النفاق الدنيء الذى يعرف صاحبه أنه ينافق فيما يسميه حقا، بل إن الضراوة والسمار فى نصرة الحق أمران قد يبلغيان فى نصرة صاحب النفاق غير المقصود لما ينتصر له من الأمر الذى يسميه حقا. ومن أجل ذلك قلما يعنى الناس أنفسهم بفحص ما يعرض عليهم من الأمور للوصول إلى الحق. فهم أيضاً فى حكمهم شأنهم شأن صاحب الأمر الذى يعرضه عليهم كى يقبلوه، فهم إما يقبلونه على أنه حق إذا وافق هواهم وإما يعرفون بطلانه ووجه تزييفه ويدعون أنهم انخدعوا لصاحبه. فإذا خالف هواهم قالوا إنه باطل وهم فى كل حالة قد يغالطون أنفسهم ويدعون الفحص والتمحيص ويعتقدون ما يعتقدون أو ما يتظاهرون باعتقاده بحسن نية، وقد يجتمع حسن النية والتظاهر، إذ أن النفس تستطيع أن تخادع نفسها حتى فى تظاهرها بغير ما تبطن. ومن أجل غلبة الأهواء يقول البحترى:

أخىّ إذا خاصمت نفسك فاحتشد لها وإذا حدثت نفسك فاصدق

فقال احتشد لها لأن النفس أغلب بالأهواء وأملك بميولها،

وفى البيت إرشاد إلى ثقافة ولكن الثقافة نفسها قلما تخلو من أهواء النفوس وقلما يستطيع المرء أن يحتشد لنفسه إذا خاصمها بالحق وقلما يحاول أحد تلك المخاصمة وذلك الاحتشاد للحق مادام يلون الحق كايشاء، ويصنعه صناعة أو يصطنع فى نفسه وهو لايدرى. والحق يختلف أيضاً باختلاف آراء المرء حسب حالات جسمه وأعصابه الناشئة من سقم أو صحة وقوة أو ضعف وحالات معدته ومطاعمه. ولو فكر المرء فى اختلاف الحق حسب اختلاف مطالب المرء ونشأته وثقافته وحالات نفسه وجسمه فإنه قد يستطيع مع إدمان الفكر أن يقلل من ضراوته وأكاذيبه وحقده وغيرها من الوسائل التى يناصر بها الحق، على حد قول القائل إن الغاية تبرر الواسطة، فيبرر ضراوته وأكاذيبه وحقده لأنه يستخدم هذه الوسائل فى نصرة الحق الذى هو أيضاً وليد أحاسيسه وحالات نفسه وجسمه

واستعراض هذه الأمور العديدة التى تشكل الحق فى نظره يسقط حجته فى أن الغاية الشريفة تبرر الواسطة الدنيئة إذ أن شرف الغاية معدوم أو إذا كان موجوداً فقلما يكون بقدر مايشرف الواسطة الدنيئة. بل إن الواسطة الدنيئة تقضى على بقية الشرف فى حقه الذى خالط فيه الصدق حاجات نفسه وميولها

والعصبيات تتلف الحق وتمنع المرء من الاحتشاد الذى أراده البحترى عند محاسبة النفس كعصبية المودة أو القرابة أو المصاهرة أو المنفعة المتبادلة أو عصبية الجوار والبلدة الواحدة، وهذه العصبية الأخيرة قلما تكون إلا إذا اختلف أهل البلدة التى استفحلت عصبيتهم عمن حولهم من أهل البلاد الأخرى اختلافاً فى الجسم أو النشأة، ولا عيب فى تلك العصبيات إذا التزمت جانب الشرف والإنصاف والضرورة القصوى، أما إذا تعدته إلى جانب الإسفاف والجهل والظلم بغير داع ضاع الحق فى مطالب تلك العصبيات. وعصبية المصاهرة على ما بها من عيوب قد تكون مصدر قوة لطائفة كبيرة هى قوام الأمة أو شبه قوام، ولكنها إذا دخل فيها من لا يمتاز إلا بقوة الجسم، وارتفع إلى المصاهرة أناس من السفلة وأهل الغباء نشروا عدوى خصالهم الذميمة وآرائهم المخطئة بين أناس من ذوى الأناقة فى الخُلُق والرأى، ومن ذوى الاعتدال فى الحكم، فتنقلب المصاهرة متلفة للحق ولأمور الناس

والضراوة فى مناصرة مطالب تلك العصبيات التى تسمى حقاً تشتد كلما قلت الثقافة فى أمة وزاد الشعور بالنقص فى نفوس أبنائها وكثر التهريج والمهرجون الذين يخلقون لأهل الغباء مبادئ سامية من أحط نزعات نفوسهم.

وأحقاد الناس فى الحياة ليست عبيد حاجاتهم وضروراتها بقدر ما هى عبيد هواجسهم المبهمة التى تحلق فى أذهانهم ونفوسهم كما تحلق الخفافيش تحت قبة البناء المظلم المهجور، وذلك لأن الحاجات والضرورات تنقضى وتحد، ولكن الهواجس لاحد لها ولا انقضاء.

إن الإنسان لا يدهش كثيراً إذا وصف أمامه إنسان بالشر والمكر والسوء، وهو يعرف أنه أبعد الناس عن هذه الصفات قدر ما يدهش إذا كان هو الموصوف بهذه الصفات لأن دهشته فى الحالة الثانية تعود على أمر يخصه ويؤلمه، والدهشة المزوجة بالألم أشد وقعاً فى النفس من الدهشة الخالية من الألم، ولأن كل إنسان يعرف من أسباب أقواله وأعماله مالا يعرف عن أسباب أقوال غيره وأعماله، ويعرف من حالات نفسه فى تلك الأقوال والأعمال مالا يعرف عن أحوال نفس غيره، فهو بهذه المعرفة يستطيع أن يسوغ أقواله وأعماله، وبذلك الجهل لحالات نفس غيره لا يستطيع إلا إنكار أقوال غيره وأعماله إن كانت تستدعى الإنكار أو تحتمله، وهذا بالرغم من أن كل إنسان يعرف من هواجس السوء التى تتردد فى نفسه أكثرمما يعرف من هواجس السوء فى نفس غيره. فإن الإنسان لا يستخدم ميزاناً واحداً فيما بينه وبين الناس؛ فهو مثلاً يكذب كثيراً ويعد كذبه أمراً هيناً فإذا كذب غيره فى حقه عده لؤماً ليس بعده لؤم.

كل هذه الحقائق حقيقة بأن تزهد المفكر المتأمل فى سعاره أو ضراوته فى مناصرة ما يسميه حقاً وأكثره ليس بحق، وهى حقيقة بأن تزهده فى رأى من يرى أن الغاية تبرر الواسطة، إذ أن خطأه فى قدر الغاية قد يكون عن حسن نيـة، ولكنه قد يسوقه حسن النية إلى أعمال اللؤم والإجرام فى سعار مناصرته للحق المزعوم الذى فى تلك الغاية التى أخطأ فيها وعدها نبيلة وهى ليست نبيلة، وحسن نيته فى ذلك الخطأ لا يخليه من إثم ولؤم ذلك السعار وتلك الضراوة

إن الذين يُعَنُّون أنفسهم بالبحث عن الحق قليلون

جنــــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١١ —

لا يريد الأستاذ أحمد أمين أن يفهم أن النقد من علائم الصداقة للحقائق وليس من علائم المداوة للأشخاص ، ولا يريد أن يفهم أن ما بيننا وبينه من صداقة لا يجب أن يتعرض للزوال بسبب هذه المقالات التى فرضها الضمير والواجب ، وكان حليقاً بأن يفهم وحى الضمير والواجب

ولو قد فهم هذه البديهيات لما استباح لنفسه أن يقول :

« كل الصلات بيننا مفقودة ، فلا صلة بين الأستاذ وطلبته إلا الدرس ، ولا بين الأديب وقرائه إلا صلة القراءة إن كانت ، ولا صلة بين الأدباء أنفسهم إلا صلة السباب ، فإن لم يكن سباب فرياء ... »

وهذه الكلمات تدل على أن صديقنا أحمد أمين قد ضاق ذرعاً بدنياه منذ اليوم الذى رأى فيه لأول مرة كيف توضع منزلته الأدبية فى الميزان

فالأساتذة عنده قد انقطع ما بينهم وبين تلاميذهم ، والكتاب قد انفصم ما بينهم وبين قرائهم ، أما الأدباء فيما بينهم فيتعاملون على أساسين اثنين : السباب والرياء

وكذلك يرانا من السبابين ، ويرى أصحابه من المرائين !

والأستاذ أحمد أمين متشائم إلى أبعد الحدود . ولو شئت لنبهته إلى خطأ هذا التشاؤم فأكدت له أن الأدباء عندنا أحسن حالاً مما يتوهم ، فقد كتب إلى كثير من أصدقائه وتلاميذه يرجوننى أن أترفق فى النقد ، وشهد ناس بأنه كان حسن النية فيما كتب عن الأدب العربى ، ولم يكن إلا مجتهداً خانه التوفيق ، وللمجتهد أجرٌ حين يخطئ وأجران حين يصيب

وقد هممت بالتجاوز عن جناية هـذا الصديق على الأدب العربى ليقضى بقية هذا الصيف فى هدوء وأمان ، وليجد الفرصة لمناجاة (بحر العرب) وهو يقتعد صخرة المكس ، ولكنى تذكرتُ أن هذه المقالات لا تخلو من فوائد أدبية ، وتذكرت أنه على كل حال من طلاب الحقائق ، وطالب الحقيقة قد يشرب من أجلها العلقم والصاب

* * *

وأرجع إلى حديث اليوم فأقول :

إن الأستاذ أحمد أمين يرى أن ابن خفاجة لم يتذوق الطبيعة وإن اشتهر بوصف الطبيعة

وليس من المستغرب أن يقف أحمد أمين من ابن خفاجة حيثُ وقف ، فهو على فضله لا يتذوق الشعر إلا فى النادر القليل

فكل أديب فى الدنيا حدثته نفسه بأن ينظم من الشعر بيتاً أو بيتين ، حتى الدكتور طه حسين ، فقد كان له فى مطلع حياته غرامٌ بصوغ القريض ، وسنعرض للمجهول من حياته الشعرية بعد حين أما أحمد أمين فلم يفكر يوماً فى نظم الشعر

والواقع أن عظماء الكتّاب فى جميع البلاد كانت لهم نزعات شعرية ، لأن للشعر مزية قوية فى تكوين الأسلوب ، وهو الذى يروض الكاتب على خلق الصور والإحساس بالرنين

والكاتب الحق هو الذى يعانى من المكاره ما يعانيه الشاعر ، وقد أخطأ أبو هلال حين توهم أن النثر كلام غير منظوم ، مع أن أبا هلال كان من أهل البصر بأسرار البيان

* * *

مالى ولهذا ؟

أنا أريد أن أنصف ابن خفاجة الذى ظلمه الأستاذ أحمد أمين

كان ابن خفاجة يسمّى « الجنّان » وهى تسميةٌ تشهد لأسلافنا بسلامة الذوق . وكان يسمّى « صنوبرىّ الأندلس »

كان ابن خفاجة جنّاناً ، لأنه قضى دهره فى وصف الرياض

ولا سيما البحث عن الحق فى أمور حياة الناس التى تتحكم فيها الأهواء والأوهام ، وقد يحسب الساذج أن الحق فى حياة الناس كالحق فى علم الحساب بمقدار معين لا شك فيه ولا تغير ، ولكن الساذج إذا اختبر الحياة واستطاع أن يقضى بخبرته على سذاجته علم أن أحوج الناس إلى مظاهر الحق هم أهل الباطل ، ومن هذه الحاجة نشأ سعارهم ، ولم ينشأ ذلك السعار من شدة الإخلاص للحق بل من شدة شعورهم أنهم على باطل يحتاج إلى مظاهر الحق

عبد الرحمن شكرى

والبساتين ، وكانت جنته هى الأندلس وقد فضلها على جنة الخلد ، ومن أجل ذلك اتهمه بعض معاصريه بالمروق حين قال :

يا أهل أندلس لله دركمُ ماء وظلٌ وأشجارٌ وأنهارُ
ما جنّة الخلد إلا فى دياركمُ ولو تخيرت هذى كنت أختارُ
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النارُ

والحق أن ابن خفاجة فتن بمناظر بلاده أشد الفتون ، فكان يترصد الفرص لوصف ما ترى العيون أو تحس القلوب بتلك البلاد

وكان فى شعره ونثره قيثارة تجود بأعذب الألحان فى وصف الأشجار والأزهار والأنهار والسواقى والسحائب والبروق

وقد ظل ابن خفاجة مفتوناً بوصف الطبيعة نحو خمسين سنة فهل يسوغ لإنسان أن يقول بأنه لم يتذوق الطبيعة فى كل ذلك الأمد الطويل وهو يتغنّى بها صباحَ مساء ؟

وكيف وكان ابن خفاجة مرهف الإحساس إلى حدّ الخبال ؟

إن ابن خفاجة هو الشاعر الذى تفرّد بالحنان إلى الطبيعة فى جميع المناحى الشعرية ، حتى فى قصائد الرثاء ، فكيف يجوز القول بأنه وصف الطبيعة بلا وعى ولا إحساس ؟

يضاف إلى ذلك أن ابن خفاجة عرف بين معاصريه بالزهد فى مدح الملوك والترفع عن جوائزهم السنيّة ، فى زمن كان فيه المديح مذهباً لا يغضّ من أقدار الشعراء ، ولا يعرّضهم لسفاهة القيل والقال ، فاتسع وقته لمناجاة عرائس الشعر فى هدوء وصفاء

إن ابن خفاجة صاحب مذهب فى الشعر العربى ، ومنزلته فى وصف الرياض لا تقلّ عن منزلة أبى نواس فى الخمريات والشريف الرضى فى الحجازيات

ومن الذى ينكر قيمة الشاعر الذى يقول :

لله نهرٌ سال فى بطحاء أشهى وروداً من لَمَى الحسناء
متعطفٌ مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجرُّ سماء
قد رقّ حتى ظُنّ قرصاً مفرغاً من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحفّ به الغصون كأنها هدبٌ تحفّ بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيتُ فيه مدامةً صفراء تخضب أيدىَ الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وكيف يتهم فى وصف الطبيعة من يقول :

حثّ المدامة والنسيم عليلُ والظل خفّاقُ الرواق ظليلُ
والنّور طرفٌ قد تنبه دامعٌ والماء مبتسمٌ يروق صقيل
وتطلعت من برق كل غمامة فى كل أفق رايةٌ ورعيلُ
حتى تهادى كل خوطة أيكة ريّا وغصّت تلعةٌ ومسيل
فالروض مهتز المعاطف نعمةً نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريّان فضّضه الندى ثم انجلى عنه فذهّب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر فى نقاب غمامة طرفٌ يمرّضه النعاس كليل
ساجٍ كما يرنو إلى عوّاده شاكٍ ويلتمح العزيزَ ذليلُ

وهذا شعرٌ يفسده الشرح والتفسير والتحليل

وهل تحتاج محاسن هذه الأبيات إلى من يقيم عليها الدليل ؟

ومن الذى ينكر فراهة الفتون فى الأبيات الآتية :

وأغيد فى صدر الندىّ لحسنه حُلىٌّ وفى صدر القصيد نسيبُ
من الهيف أما ردفه فمنعّمٌ خصيبٌ وأما خصره فجديب
يرفّ بروض الحسن من نور وجهه وقامته نُوّارةٌ وقضيب
جلاها وقد غنّى الحمام عشيّةً عجوزاً عليها للحَباب مشيب
وجاء بها حمراء ، أما مزاجها فماء ، وأما ملؤها فلهيب
على لجة ترتجّ ، أما حبابها فنورٌ ، وأما موجها فكثيب
تجافت بها عنا الحوادث برهةً وقد ساعدتنا قهوةٌ وحبيبُ
وغازلنا جفنٌ هناك كنرجس ومبتسمٌ للأقحوان شنيب
فلله ذيلٌ للتصابى سحبتُهُ وعيش بأطراف الشباب رطيب

أرأيت كيف فنِيَ الشاعر فى الطبيعة فجعلها أصل الحسن والفُتون ؟

أرأيت كيف غَرِق هذا الشاعر فى بحار الصباحة والملاحة ، وكيف رأى الزهر والماء أصلاً لكل مليح وجميل ؟

وما رأى الأستاذ فى الأبيات الآتية :

وصقيل إفرند الشباب بطرفه سقمٌ وللعضب الحسام ذُبابُ
يمشى الهوينا نخوةً ولربما أطَرَتْه طوراً نشوةٌ وشباب
شتى المحاسن ، للوضاءة ريطة أبداً عليه ، وللحياء نقاب
وبعطفيه للشبيبة منهلٌ قد شف عنه من القميص سراب
عَبَر الخليج سباحةً فكأنما أهوى فشقّ به السماء شهاب
لقد احتللت بشاطئيه يهزنى طرباً شباب رائقى وشراب
وانساب بى نهر يعب وزورق فتحملتنى عقرب وحُباب
وركبت دجلته يضاحكنى بها فرحاً حبيب شاقنى وحَباب

يجلو من الدنيا عروساً بيننا — حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلتُ وللسماء ذؤابةٌ — شهباء تخضب والظلام خضاب
تلوى معاطفى الصبابة والصبا — والليل دون الكاشحين حجاب
حيث استقل الجسر فوق زوارق — نسقت كما تتواكب الأحباب

فهل فكر صديقنا أحمد أمين فى وصف السباحة وقد سبقه إليها ابن خفاجة بنحو تسعة قرون ؟

إن الذى عجز عن وصف الطبيعة هو الذى يصطاف بالأسكندرية كل سنة ولم يفتح الله عليه بنير القول بأنه جلس على صخرة المكس ليأكل السمك الياس ، وليفكر فى مصير الشمس بعد الغروب ، وليقول إنه تحاور مع هيان بن بيان ! !

يقول أحمد أمين إن ابن خفاجة لم يتذوق الطبيعة ، فهل استمع إليه حين يقول :

ربما استضحك الحباب حبيبٌ — نفضتْ ثوبها عليه المدامُ
كلما مرَّ قاصراً من خُطاه — يتهادى كما يمرّ الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا — فعلى الغصن والكثيب سلامُ

وهل استمع إليه حين يقول :

أبى البرق إلا أن يحن فؤاد — ويكحل أجفان المحب سهاد
فبت ولى من قانئ الدمع قهوة — تدار ، ومن إحدى يدى وساد
تنوح لى الورقاء وهى خلية — ويهمل دمع المزن وهو جماد
وليلٍ كما مدَّ الغراب جناحه — وسال على وجه السجل مداد
به من وميض البرق والليل فحمة — شرارٌ ترامى والغمام زناد
سريتُ به أُحييه لا حيَّة السُّرى — تموت ولا ميْتُ الصباح يعاد
يقلب منى العزم إنسان مقلةٍ — لها الأفق جفنٌ والظلام سواد
بخرق لقلب البرق خفقة روعة — به ولجفن النجم فيه سهاد[1]
سحيقٌ ولا غير الرياح ركائبٌ — هنالك ولا غير الغمام مزاد
كأنى وأحشاء البلاد تجننى — سريرةُ حبٍ والظلام فؤاد
ولما تفرَّى من دجى الليل طحلبٌ — وأعرض من ماء الصباح ثماد
حننتُ وقد ناح الحمام صبابةً — وشُقَّ من الليل البهيم حداد
على حين شطَّتْ بالحبائب نيَّةٌ — وحالتْ فياف بيننا وبلاد

***

ومن مزايا ابن خفاجة أنه يتمثل الطبيعة فى حركة وحياة ، فيراها ترضى وتغضب ، وتضحك وتعبس ، كأن يقول :

عاط أخلاءك المداما — واستسق للأيكة الغماما
وراقص الغصن وهو رطبٌ — يقطرُ أو طارح الحماما
وقد تهادى بها نسيمٌ — حيَّتْ سليمى بها سلاما
فتلك أفنانها نشاوى — تشرب أكوابها قياما

وكأنْ يقول :

ألق المصافى حيث يصخَب بالحصى — نهرٌ وتعبث بالغصون شمالُ
وكأن ما بين الغصون تنازُعٌ — فيه وما بين المياه جدال

وكأنْ يقول :

أخذ الربيع عليه كل ثنيةٍ — فبكل مرقبةٍ لواء شقيق

فهو فى هذه الأشعار يمنح الطبيعة من الحياة والحركة ما يماثل شمائل الأحياء

وأريد أن أقول إن الطبيعة فى نفس ابن خفاجة لها عزيمة وإرادة وقدرة وعبقرية ، فهى تصنع ما تصنع عن نظر ناقب وقلبٍ مشبوب ، هى نفس حساسة ، تشعر وتُدرك ، وتُفيض البؤس والنعيم على الأحياء بإرادة وعزم وإحساس

وقد وقع فى كلام الشعراء ما يشابه هذه المعانى ، ولكن ابن خفاجة أكثرمنها إكثاراً ميّزه بالتفوق والتفرد ، فهو أوحد الناس فى بابه بلا جدال

وكان ابن خفاجة يُقسم بما فى الطبيعة من أنهار ورياض وأزهار وأنداء ومباسم وعيون ، فيقول :

أمَا والتفات الروض من أزرق النهر — وإشراق جيد الغصن فى حِلْية الدهر
وقد نَسَمتْ ريح النعامى فتنبَّهتْ — عيون الندامى تحت ريحانة الفجر

وهى قصيدة طويلة امتزجتْ فيها نفس الشاعر بأسرار الطبيعة أشدَّ امتزاج

والطبيعة تواجه ابن خفاجة حيثما تلفّت ، فهو يراها فى كل مكان ، وانظر كيف يقول :

يا رُبَّ ليلٍ بِتُّهُ — وكأنه من وَحفِ شَعركْ
تَهمِلُ مزنة دمعتى — فيه ويندَى نور ذكركْ
أُتبعتُ فيه وقد بكيت — عقيق خدك دُرَّ ثغركْ
وشرقْتُ فيك بعبرةٍ — قد ورَّدتها نار هجرك
فكأنما ينفضُّ عن — حَبَبٍ لها رمان صدرك
ولَرُبَّ ليلٍ قد صدعْتُ — ظلامه بجبين بدرك

(١) الخرق — بالفتح — الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح

ولموتُ فيـــه بدُرَّةٍ مكنونةٍ في حُقٍّ خِدرِك
تَنْدَى شقائق وجنتيـــك به وتَنفَحُ ريحَ نَشْرِك
وقد اســـتدار بصفحتَيْ سوسانِ جيدك طَلٌّ درُّك
حيث الجبـــابة دمعةٌ تجرى بوجنة كاس خمرك
وتهـــزُّ منك فتنثنى بقضيب قدِّك ريحُ سكرك

وهو في هذه القصيدة يخلع محاسن الطبيعة على الملاح ، وقد يخلع محاسن الملاح على الطبيعة فيقول :

وكمامة حدَّر الصباح قناعها عن صفحة تندى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعتْ ثغور أقاحه أخلاف كل غمامةٍ مدرارِ
نثرتْ بحجر الأرض فيه يد الصَّبا
دُرر النـــدى ودراهم النُّوار

وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت حَلْيَ السحاب سوالف الأنهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك جذِل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفُض بكرة لِمَم الرُّبا والطلُّ ينضحُ أوجه الأشجار
وأراكةٍ سجع الهديل بفرعها والصبحُ يسفر عن جبين نهار
هزَّت له أعطافها ولربمـا خلعتْ عليــه مُلاءة الأنوار

وهذا والله أنفس ما قيل في اتصال الأحاسيس بغرائب الوجود

وأشعار ابن خفاجة تشهد بأنه كان يحتفل بالمعاني كل الاحتفال وكان يرى شعره نفحة من نفحات الجمال ، كأنْ يقول :

تعلقتُه نشوان من خمر ريقهِ له رشفها دوني ولي دونه السكر
نزوق ماءٍ مقلتاى ووجهه ويُذْكى على قلبي ووجنته الجمر
وطبنا معاً شعراً وثغراً كأنما له منطق نثر ، ولي ثغره شِعر

وقد توجَّع ابن خفاجة لضياع الشباب أشد التوجع ورأى في ملاحة الطبيعة عزاء عما ضاع من سماحة الملاح ، فقال :

وكل امرئٍ طاشت به غرة الصِّبا
إذا ما تحلَّى بالمشيب تحلَّما

فها أنا ألقى كل ليل بليلةٍ من الهم يستجرى من الدمع أنجما
وأركب أرداف الرُّبا متأسفاً فأنشَق أنفاس الصبا متنسِّما
وأرشف ثغر الطل من كل وردةٍ مكان بياض الثغر من حوَّة اللَّمى

وهو بهذه الأبيات يجمل الجمال الإنساني أجمل ما في الطبيعة من ألوان ، وهي نظرة سليمة لا ينكرها غير الذين يرون الشجرة والزهرة أصلاً لكل جمال

وكان ابن خفاجة في أيام توجعه على صباه يتمنى لو يعرف مصير النفس بعد الموت ، كأن يقول في رثاء بعض الأصدقاء :

كنا اصطحبنا والتشا كلُ نسبةٌ
حتى كأنا عاتقٌ ونجـــادُ
ثم افترقنا لا لعودة صحبة حتى كأنا شــعلة وزناد
يا أيها النائي ولست بمسمع سَكَن القبور وبيننا أسداد
ما تفعل النفس النفيسة عندما تتهاجر الأرواح والأجساد
كُشِف الغطاء إليك عن سر الردى
فأجبْ بما تنـــدى به الأكباد

وهي لفتة فلسفية لاذ بها شاعرنا شوقي في أكثر قصائد الرثاء

أما بعد فقد كنا نحب أن نذكر شواهد من نثر ابن خفاجة تمثل هيامه بالطبيعة والوجود ، ولكنا رأينا الدكتور ضيف سبقنا إلى ذلك في كتابه « بلاغة العرب في الأندلس » ونحن نبغض الحديث المعاد

وما الذي يوجب أن نلحَّ في شرح مذهب ابن خفاجة وهو معروف لجميع الناس ؟ لقد أردنا أن ننتهز الفرصة فنمتع أنفسنا بالنظر في ديوان ابن خفاجة من جديد ، ونذكر به الشبان الذين شغلتهم عنه ملاهي العصر الحديث

ويدعوني الواجب في ختام هـذا المقال إلى الثناء على أديبين فاضلين يهتمان بديوان ابن خفاجة ويعدان له دراسة أدبية تحفظ مكانه في التاريخ . أما الأديب الأول فهو عزيز عبد السلام فهمي . وأما الأديب الثاني فهو جاسم محمد الرجب ؛ وأولهما صديق عرفته بكلية الآداب في القاهرة ، وثانيهما صديق عرفته بدار المعلمين العالية في بغداد

فمتى تظهر جهود هذين الأديبين في إحياء ذلك الديوان ؟

لقد ظهر ديوان ابن خفاجة بالقاهرة منذ اثنتين وسبعين سنة ، فكيف جاز ألا يطبع مرة ثانية بعد ذلك الأمد الطويل العريض ؟

إن اللغة العربية لغة حية وقراؤها يشارفون المئة مليون ، فكيف زهدت تلك الملايين في ذلك الشعر النفيس ؟ !

إن ديوان ابن خفاجة وصل إلى أقصى بقاع الشرق الإسلامي قبل ظهور المطابع ، فكيف يحجب اليوم بعد الانتفاع بالطبعة السريعة والبريد المضمون ؟

ومن أعجب العجب أن يتولى تزهيد العرب في آثار أسلافهم رجل تعرفه كلية الآداب التي توجب على أبنائها أن يتعرفوا إلى آثار القدماء من الرومان واليونان !

ولكن صبراً فستهتدي كلية الآداب بعد حين ، وسترجع إلى سيرتها الماضية يوم كانت مثابة القلوب والعقول .

(للحديث شجون) زكي مبارك

دمشقيات

من «الجادة الخامسة» !

للأستاذ علي الطنطاوي

آمنت بالله واستثنيت جنته (دمشق)روح وجنات وريحان[1]

اللهم ، إن كنت كتبت لي (برحمتك) الجنة ، فاجعل جنتي في الآخرة على مثال (دمشق) ، واجعل قصري فيها في « الجادة الخامسة » ! . . .

ولكن كيف لي بتصوير « الجادة الخامسة » لقراء « الرسالة » وهم منتشرون في أقطار الأرض كلها ؟ ... وكيف لي بإقناعهم ، ولكل منهم بلده ، وكلّ ببلده فخور ! . . . إن الشام درّة تاج الكون ، وإنها بيت القصيد في (معلّقة) الوجود ، وإنها اللذة الكبرى مجسّمة ، وإنها العاطفة السامية ، والحب مصوّراً هضاباً وصخوراً ومروجاً وبساتين . . . وإن « الجادة الخامسة » درة دمشق ، وبيت قصيدها ، وإن الذي تشرف عليه منظر أقلّ ما يقوله الصادق فيه وأبعده عن المبالغة وألصقه بالحق الصراح أنه أجمل منظر على ظهر الأرض ، وأن الله حين وزع الجمال على البقاع . . . نحص كل واحد منها — بنوع واحد منه — جمعه كله لدمشق ، ووضع أفضل مجموعة منه في « الجادة الخامسة » !

* * *

ولقد كنت في البادية منذ أسبوع آيباً إلى دمشق ، أحدّق في الأفق علّي أرى خيال دمشق : بلد الحب ، بلد اللطف ، بلد الكرم ، بلد الجمال . . . فلا أرى إلا الصحراء بوجهها الكالح الكئيب الصامت الرهيب ، فأفرّ من مرآها وأغمض عنها عيني ، أحاول أن أختلس من الزمان إغفاءة ، فأقطع هذا الطريق المضني على مطية الكرى . . . فلا أرى في منامي إلا طيف دمشق البلد الحبيب ، ولا أكاد أستمتع به حتى تقصيه عنى سيارة (نيرن) بهديرها الذي يطرد الأحلام ، ودويّها الذي يطيّر شياطين الشعر ، وثقلها ورزانتها التي تشبه أحلام قوم الفرزدق[2] . . . ولبثت على ذلك حتى جاوزنا (الضمير) ، واستقبلنا دمشق من طريق حمص ، وكنت في شبه غفوة ... فما أحسست إلا إخواناً لنا من أهل بغداد كانوا معنا في السيارة ينبهونني ليسألوني . فانتبهت ، فإذا أنا أرى حولي طلائع الخضرة تمتد إلى السفوح البعيدة . فقالوا : أهذه هي (الغوطة) ؟ فضحكت وقلت : هذه سهول لها نظير في كل أرض . . . فكيف تكون هي الغوطة التي ليس لها في الأرض نظير ؟ إنتظروا تروا . . . وسرنا خلال السهول ننعم فيها النظر فنرى من جمالها كل لحظة ما لم نكن رأينا . . . حتى بدت أوائل الكروم ، كروم (دوما) ... منذا الذي لم يسمع بها؟ تلك التي طارت شهرتها في الآفاق ، فأسكرت بمشهدها العشاق وذوي الأذواق ، كما أسكرت برحيقها من كان من أهل الرحيق . فقالوا : هذه هي الغوطة ؟ قلت : لا . بل هذه كرومها ، فانتظروا



طرف دمشق الشرقي وجانب من الغوطة كما يبدو من الجادة الخامسة

الغوطة التي فتنت أجدادكم من قبلكم ، وفتنت من قبلهم الروم والفرس ، وتفتن كل ذي لبّ إلى يوم القيامة ! ... وسرنا خلال (الكروم) ، وهي تمتد عن أيماننا إلى حيث لا يبلغ البصر ، و (المناظر[1]) ، قائمة على الميدان الرفيعة ، منثورة في الأرض ، ضاربة في السماء ، لا يحصيها العدّ ، كأنها أعشاش العاشقين ، أو منارات يؤذن فيها دعاة الغرام ، تبعث في النفس ذكريات الحب الدفين (وفي نفس كل إنسان منه ذكريات) ، فتعيد الحب حياً . وسرنا خلالها حتى بلغنا (الغوطة) ، فسلكنا جانباً منها يحاذي دوما وحرستا[2] . فقلت : هذه هي الغوطة ! وسكتّ فلم أعرفها

(١) شوق .

(٢) وطول هذه السيارة التي تزن الجبال حقا (٣٧) متراً ...

(١) جمع منظرة : غرفة عالية على أعواد يسكنها ناطور الكرم .

(٢) دوما قصبة الغوطة ، فيها عشرون ألفا ، وحرستا بلد صغير خرج منه الامام محمد صاحب أبي حنيفة ومدون مذهبه .

لهم ، ولم أقرظها ، بل تركتها تقرظ نفسها . . . ففعلتُ وأربتْ على ما كان في الخيال منها ؛ فذهب الإعجاب بالقوم كل مذهب ، ونال من نفوسهم كل منال ، فسكت اللسان ، ونطق القلب ، وقالت العينان ، وشحّت اللغة ، فما تبضّ إلا بقطرة ما فيها رى ولا بلل ... وهل في اللغة إلا أن تقول : جميل ولطيف ومدهش وعظيم ؟ أو ليس الجمال مائة ألف نوع ؟ أو ليس للدهشة مثلها من الأسباب ؟ فأين الكلمتان الجامدتان من هذا العالم الحيّ ؟ إننا معشر البشر ما تعلمنا النطق إلى اليوم



قسم من المهاجرين ، ومن ورائه المعسكر وجانب دمشق الغربي كما تبدو من « الجادة الخامسة »

وبلغنا دمشق ، فقلت للقوم : إن في سفر الطبيعة صفحات مختلفات ، في كل بلد صفحة منها . فسهل وجبل وواد وصحراء وبحر ونهر ... فتعالوا أشرفْ بكم على صفحة فيها كل الصفحات . تعالوا أطلعكم على دمشق ، وقد رأيتم منها سهلها وغوطتها ، لتروا جبلها وصحراءها ووادبها ! ... فأبوا عليّ ، وجنحوا إلى الهرب ، وتعللوا بالتعب ، وأصررت وأبيت . . . فرأيتهم لانوا كارهين ، فاغتنمت لينهم ، ولم أبال كراهيتهم ، لعلمي أن ما سيرون سيقع منهم موقع الرضا وفوق الرضا . . . وأخذنا سيارة من المرأب « الكاراج » الذي استودعناه حقائبنا ، إلى (الدار) التي استأجرها لنا أخي ... في « الجادة الخامسة » . فما انطلقت بنا السيارة نحو (طريق الصالحية) ، وشاهد أصحابنا البيوت ترتقي في الجبل ، وهو يجلسها في حجره ، ويحوطها بذراعيه ، وينحني عليها برأسه الهائل المتوج بالصخر ، حتى تبدّل سخطهم رضا ، وطفقوا يسألون ! ... فقلت : أما الذي إلى اليمين ، حيث البيوت الواطية المتلاصقة ، والمآذن الكثيرة السامقة ، والقباب ، فحيّا الأكراد والصالحية ؛ وقد أنشأ حي الصالحية الجد الأعلى لآل قدامة ، أو آل المقدسي حين نزح إلى دمشق منذ ثمانية قرون فراراً من فلسطين وما حاق بها يومئذ من المحنة . فأحيا الله به وبأسرته العلم في تلك الديار ، ونشروا فيها المذهب الحنبلي ، وظهر من أسرته علماء فحول كالضياء المقدسي ويوسف بن عبد الهادي قريع السيوطي وشبيهه في سعة علمه وكثرة تصانيفه . . . ولكن الله قدر للسيوطي من نشر علمه ، وطوى علم يوسف في سجلات دار الكتب الظاهرية ... ولا تزال آثار هذه النهضة العلمية العظيمة ظاهرة في المدارس الكثيرة القائمة في السفح وبين البساتين ... ثم تتالى بناء المدارس في الصالحية ، حتى أن شارعاً يدعى الآن : شارع (بين المدارس) في الشركسية يحوي أكثر من عشرين مدرسة باقية قبابها وأبوابها ، فضلاً عما اندثر منها . وآخر هذه المدارس وأعظمها المدرسة العمرية ، أنشأها الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي — في منتصف القرن السادس الهجري — ونمت حتى صارت (جامعة) ، ودعيت بالمدرسة الشيخة ؛ ثم تضاءلت حتى رجعت اليوم خراباً كأكثر مدارس الشام ، واختلس الجيران ما قدروا عليه من ساحاتها وأبهائها ، فأدخلوه بيوتهم . . . وأما الذي إلى اليسار فحيّ المهاجرين ، وقد كان قبل ثلاثين سنة جبلاً أجرد ، فأسكن فيه ناظم باشا (المهاجرين) من (كريت) بعد عدوان اليونان عليها ، وبنى لهم أكواخاً صغيرة ؛ ثم حال الحال فصارت قصوراً للأغنياء ، غير أنها لا تزال بقية من تلك الأكواخ خلال القصور ، ولا تزال قطع جرداء من الجبل أو صخور ماثلة بين الدور ...

وذهبت السيارة ترتقي في الطريق الصاعد إلى (المهاجرين) ، وكلما علونا فيه شيئاً ، بدت لنا من دمشق والغوطة أشياء ، حتى إذا بلغنا نهاية الطريق الذي يمشي عليه (الترام) انكشف لنا أعظم منظر تقع عليه عيني : من ورائنا الجبل الفتان (قاسيون) ، وهو في الجبال كالفتى الغرانق في الرجال ، قوى ولكنه وديع ، وحلو ولكنه عظيم ؛ وعن أيماننا جبل المزة ووادي الربوة ، ذاك الذي يجري فيه بردى في السبعة الأنهار : يزيد وتورا وبردى وبانياس وقنوات وعقربا والديراني ؛ تتسلسل كأنها أطواق اللؤلؤ على أحلى جيد ، تمتد من صلب هذا الجبل حيث يجري (يزيد) إلى سفحه ، حيث يمشي (تورا) من تحته ، إلى أسفل الوادي ، إلى سفح

الجبل الآخر ، إلى صلبه ؛ والأشجار على ضفاف الأنهار كلها ، والشلالات تنحدر من الأعلى إلى الأدنى تتكسر على الصخور ، وتنحط ، تخالطها أشعة الشمس فيكون لها بريق ولمان كلمان الماس ، وأين منها لمان الماس ؟ ... وعن شمائلنا الفضاء الرحب ، تعلوه الغوطة كبحر ماله آخر ، أمواجه خضر ... وتقوم في وسطه دمشق ، دمشق الجميلة ، دمشق القديمة ، دمشق الخالدة ! والجامع الأموي في وسط البيوت تظلله قبة النسر ، كأنه رجل طوال واقف بين صبية صغار ؛ ومن الدور التي شبهناها بالصبية ما فيه سبع طبقات ، ولكنه الأموي معجزة البناء الإسلامي ... ومنارته الثلاث الماثلة ... يا لدمشق ومناراتها السبعين والمائة ، وغوطتها وبرداها ! . . .



قلب دمشق وفي وسطه الجامع الأموي مع قسم من المهاجرين كما يبدو من الجادة الخامسة

قلت : هل بقى من الطبيعة لون لم تحوه دمشق؟ هذا الجبل ، وهذا الوادي ، وهذه السهول ، وهذه البساتين ، والصحراء صحراء المزة ... وأنت تجوز بهذا كله ماشياً على قدميك في نصف ساعة ... وهنالك البحيرة تبدو لكم من وراء الغوطة . فهل بقى من الطبيعة لون لم تحوه دمشق ؟

قالوا : لا والله ، إلا أن يكون البحر ، وهذا بحر من الخضرة شهدنا أنه لا إله إلا الله ، وأن دمشق أجمل بلاد الله !

قلت : شهدتم وأنتم في (الجادة الأولى) فكيف إذا صعدتم إلى (الجادة الخامسة) ؟

* * *

وبعد ... فيا أسفى على أيامي التي قضيتها ساكناً في (البلد) ويا عجبا من قوم عندهم (حيّ المهاجرين) ويقطنون في غيره ، وعندهم قاسيون وينامون (تحت) في السهل ! وكيف يؤم الناس المصايف ، ويذهبون إلى بلودان ولبنان ، وهنا (الجادة الخامسة) لو حلف رجل بأوثق الأيمان على أنها أجمل من لبنان ، وأعذب ماء ، وأطرى هواء ، لما أثم ولا حنث ؟

اللهم عفوك ! فإني والله لا أستحق هذه النعمة ، وما لي على أداء شكرها طاقة !

* * *

ينظر ساكن البلد فلا يرى حوله إلا قليلاً مما يُرى . فيحس أنه في دنيا صغيرة تافهة ، فإذا قطن (الجادة الخامسة) تكشفت له الدنيا ، وتمرت ، فرآها في زينتها وفتنتها ، فأحسّ أنه مع رفيق يؤنسه وحبيب يسليه ، حبيب تراه في الصباح كغادة جميلة في جمالها طهر ، وفي عينيها صفاء ، توحي إليك التأمل ، وتسمو بك فوق الشهوات ، وتراه في ضوء القمر كآنسة مغرية فتانة تهيّج في نفسك الحب ، وتشعل في أعصابك النار ؛ وتسمع من الجادة الخامسة : كلمة الخلود في دنيا الفناء ، تتجاوب بها مآذن الحيّ ، وتبصر المنارات تضيء في الليل من كل جانب فيسمو بك النداء حتى تحسّ أن هذه (الدنيا) قد سمت كلها ، حتى صارت هي (العليا) ...

فما أعظم (الأذان) عند من يسمعه من (الجادة الخامسة) !

ينادي في الفجر الساكن الخاشع ، لا يشغلكم سكونه وسحره عن عبادة الله والاتصال به ! ... وينادي في النهار الكادح العامل لا تصرفكم الدنيا عن صلاتكم ودعائكم ! . . . وينادي والشمس تغيب من أعالي الجبل فيدرك ذروته السناء والبلد والغوطة سابحة في نور للشمس ، وينادي حينما يعم الدنيا سحر الغروب ، وينادي حين يبدأ الليل ، وتستعد الفضيلة للنوم ، وتتهيأ الرذيلة للسهر ! . . .

في (الجادة الخامسة) يشعر الإنسان أنه يندمج بهذا الكون فيأنس به ، ويطمئن إليه ؛ ثم إذا هبط إلى البلد فكر فيه واشتاق إليه ! ...

* * *

كل شيء في (الجادة الخامسة) ساكن حالم ، أما (البلد) فكل ما فيه مضطرب متوثب ... هنا الشعر والتأمل ؛ وهناك ... هنالك تحت هذه السقوف التي تظهر خاشعة في ضباب الصباح ، ووهج الظهيرة ، وظلمة الليل ... خلاف وتنازع على الرياسة ، وانقسام وفشل ... هنالك هبطت قيم الأخلاق وامحى الإيثار ،

فالأخوان يصطرعان ، والعدو ـ عدوهما معاً ـ واقف يصفق لهما ليهيجهما ، لتخور قواهما ويسقطا من الإعياء، فيقبل ليفعل بهما ما يشاء ... هنالك التاجر المفلس من أقطاب السياسة ، والتلميذ الراسب من أقطاب السياسة ، والعامل المطرود من أقطاب السياسة، وكل الناس من أقطاب السياسة وزعماء البلاد ... لم يبق تلميذ لمدرسه ، ولا تاجر لدكانه ، ولا محام لمكتبه ، ولا طبيب لعيادته ، ولا رجل لما خلق له ، ولكنهم جميعاً للخلاف والتنازع ، كل حزب يهدم الأحزاب فتنهدم جميعاً ، ويبني العدو ما يبتغي ... أرى هذا كله من (الجادة الخامسة) فأتألم ولكني لا أتكلم ، لم يبق لمثلي مجال للكلام ...

أرى هذا فأذكر بغداد ، وما خلفت في بغداد ... خلفت فيها النظام والاتحاد والطلاب الذين جعلهم نظام الفتوة جنداً ، ونحن المدرسين الذين صرنا ضباطاً لهم شارات الضباط وحياتهم وقانونهم

خلفت الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة ، والشعب المتوثب، والجيش القوي، والاستعداد لنصرة كل قطر عربي ...

اشهدوا أني أحب بغداد ... أني أحبها ، ولكن دون حبي دمشق ...

أحب بغداد وأفخر بها ، وأحب دمشق حبًّا أكبر ولكني آسى عليها ، وأرجو لها مثل ما أعطيت بغداد على أن تتم لبغداد نعمتها

* * *

اللهم ! إن تحت كل شجرة من أشجار الغوطة جثة شهيد مات دفاعاً عن هذه الأرض الطاهرة التي سقيت بالدم ؛ ثم إنها لم تخلص لأهلها ، ولم تنج من الغاصب الدخيل ... اللهم كما جعلت دمشق درة الكون ، ومنحتها ما لم تمنح بلداً ، أكمل عليها نعمتك وهب لها الحرية والمجد ، فالحرية والمجد أجمل من كل شيء !

اللهم ! متى أطلّ من شرفة داري في (الجادة الخامسة) . فأقول :

الحمد لله ! كل هذا الجمال لنا ، هذه ديارنا لنا ، وهذه أمتنا متحدة ناهضة ، تمشي في طريق العلاء ...

متى يا ربّ ... متى ؟ ! ...

علي الطنطاوي

خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

فخر الفرزدق

مدح الفرزدق « والفرزدق سمح بألقاب المدح وصفات التقريظ ولكنه حاذق يمدح الرجل بما يليق أن يمدح به ، وينظر إلى خصائصه فيضفى عليها ثوباً من المبالغة[١] »

« ومدح الفرزدق لخلفاء بنى أمية فيه براعة ومقدرة يظهر عليها الطابع السياسى جلياً واضحاً أكثر من كل ما مدحهم به الشعراء حتى أخص أنصارهم كالأخطل وجرير وعدىّ بن الرّقاع فهو داعية لهم ولسياستهم ، يجاهر بأنهم أجدر العرب بالملك ، وأن الله اختارهم لخلافته »

وقد روى الأستاذ طائفة صالحة من أقواله المدحية منها قوله :

وجدنا بنى مروان أوتاد ديننا ... كما الأرض أوتاد عليها جبالها

وقوله فى يزيد بن عبد الملك :

وما وجد الإسلام بعد محمد ... وأصحابه للدين مثلك راعيا

ضربت بسيف كان لاقى محمد ... به أهل بدر عاقدين النواصيا

وقوله فيه ، وقد عدا الفرزدق طوره فى البيت الأول وكفر أو كاد :

لو لم يبشّر به عيسى وبيّنــــه
كنت النبى الذى يدعو إلى النور[٢]

فأنت إذ لم تكن إياه صاحبه
مع الشهيدين والصديق فى السور[٣]

(١) عاتله فى ذاك الحذق والنظر إلى خصائص الممدوح — المتنبي بعد أن برع

(٢) روى الأستاذ قوله فى هشام (وهو أهون خطأً من قوله فى يزيد):

ولو أرسل الروح الأمين إلى امرئ ... سوى الأنبياء المصطفين الأكارم

إذن لأنت كنى هشام رسالة ... من الله فيها منزلات العواصم

(٣) يريد بالسور أعلى مكان فى الجنة . والسور فى اللغة جمع سورة : وهي من البناء ما حسن وطال كما فى اللسان

فى غرف الجنة العليا التى جعلت ... لهم هناك بسعى كان مشكور

فلن تزال لكم والله أثبتها ... فيكم إلى نفخة الرحمن فى الصور

أبا فراس : « لم يلبثوا إلا عشيّةً أو ضحاها »

مَن يأمن الدهرَ مُمساه ومصبَحه
فى كل يوم له من معشر جزرُ

بعد ابن مروان أودى بعد مقدرة ... دانت لهيبتها الأمصار والكوَر

ثم الوليد فسل عنه منازله ... بالشام والشام ممسول له خيفر

تجبى إليه بلاد الله قاطبة ... أخلافها ثرّة لأمره دِرَر

وفى سليمان آيات وموعظة ... وفى هشام لأهل العقل معتبر

واذكر أبا خالد ولى بهجته ... ريب المنون وولى قبله عمر

وفى الوليد أبى العباس موعظة ... لكل من ينفع التجريب والفكر

دانت له الأرض طراً وهى داخرة ... لا يدفع الذل من أقطارها قطر

بينا له الملك ما فى صفوه كدر ... إذ عاد رنقاً وفيه الشوب والكدر

كانوا ملوكاً يجرون الجيوش بما ... يقل فى جانبيه الشوك والشجر

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
قفراً سوى الذكر والآثار إن ذكروا[١]

ويظن بعضهم أن لو استمر ملك القوم قرناً آخر لتعربت الدنيا ، وأحال[٢] أهلها

يقول الأستاذ فى باب البحث عن شعر الفرزدق : « وإذا أردت أن تقف على الأسلوب العربى الصريح بجزالته وفخامته فاسمع قوله :

أحلّ بهم يوم بابل بالقنا ... نذور نساء من تميم حلّت[٣]

فأصبحن لا يشرين نفساً بنفسه ... من الناس إن عنه المنية زلت

يكون أمام الخيل أول طاعن ... ويضرب أخراها إذا هى ولت

عشـية لا يدرى يزيد أينتحى
على السيف أم يعطى يداً حين شلّت

(١) عثمان بن الوليد بن عمارة بن عقبة القرشى يذكر فعل الدهر بملوك بني أمية

(٢) فى النهاية : من أحال دخل الجنة أى أسلم يعنى أنه تحول من الكفر إلى الاسلام

(٣) فى رواية الطبعة المصرية هريم ، ومن أصحابهم هريم وهزيم

وأصبح كالشقراء تنحر إن مضت
وتضرب ساقاها إذا ما تولت[١]

لعمرى لقد جلّى هزيم بسيفه	وجوها عليها غبرة فتجلت
وقائلة كيف القتال ولو رأت	هزيماً لدارت عينها واسمدرت[٢]
وما كر إلا كان أول طاعن	ولا عاينته الخيل إلا اشمأزت

ويزيد المذكور فى هذا الشعر هو ابن المهلب ، وكان خلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه ، وقال له مشعبذون إنه سيلي الأمر ويهدم دمشق ...

يخبرك الكهان أنك ناقض
دمشق التى كانت إذا الحرب حرّت[٣]

ولما واقعه جيش مسلمة فى العقر[٤] عقر بابل ضرب هريم ابن أبى طحمة المجاشعى يد يزيد فقطعها[٥]، وقتله القحل بن عياش وضرب يزيد القحل فماتا جميعاً . قال الطبرى : « انفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القحل بآخر رمق ، فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتلته ويومىء إلى نفسه أنه هو قتلنى »

وفى هذه الوقعة يقول الفرزدق :

كيف ترى بطشة الله التى بطشت
بابن المهلب إن الله ذو نقم
كم فرج الله عنا كرب مظلمة
بسيف مسلمة الضراب للبُهَم

ولما ثار يزيد كان الحسن البصرى يثبط الناس عنه ، قال يوماً فى مجلسه : يا عجبا لفاسق من الفاسقين ، ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ينتهك لله فى هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب لهم كل معصية ، ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال : أنا لله غضبان فاغضبوا ، ونصب قصباً عليها خرق وتبعه رِجْرِجة[١] رعاع هباء ما لهم أفئدة ، وقال أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز . فبلغ ذلك يزيد ، فأتى الحسن هو وبعض بنى عمه إلى حلقته فى المسجد متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به ، وصار الناس ينظرون إليهم فلاحاه يزيد ، فدخل فى ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن : فما أنت وذاك يا ابن اللخناء ، فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد : ما تصنع ؟ قال : أقتله ، فقال له يزيد : أغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا[٢]

يقول الأستاذ : « ومدح الفرزدق فى جملته من أبواب شعره الجيدة ، ومن أحسنه قوله :

إنى أرى يزيد عنـــد شبابه	لبس التقى ومهابة الجبـــار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار[٣]

وروى له من هذا الجيد غير ذلك

* * *

رثى الفرزدق و « رثاء الفرزدق قليل ، وهو إذا قيس ببقية أبواب شعره يقع مقصراً ، وما قاله عن اضطرار أو عن خوف ينم[٤] على قوة ومقدرة كرثائه للحجاج وأخيه وابنه »

يقول فى الحجاج :

ليبك على الحجاج من كان باكياً
على الدين أو شارٍ على الثغر واقفِ[٥] !

---

(١) فى مجمع الأمثال : « كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر . قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول : أشقر إن تتقدم تنحر ، وإن تتأخر تعقر : يقول لفرسه : يا أشقر ، إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك ، فاثبت والزم الوقار ، وانف عنى وعنك العار . يضرب المثل لما يكره من وجهين » فالفرزدق يشير إلى هذا الخبر ، وأراد أن يقول الأشقر فقال الشقراء

(٢) اسمدر ضعف البصر وقد اسمدر بصره (اللسان)

(٣) الفرزدق من قصيدته فى هريم

(٤) العقر عند الكوفة بالقرب من كربلاء

(٥) كما يدل على ذلك قول الفرزدق فيه

---

(١) الرجرجة هي بقية فى الحوض كدرة خاثرة تترجرج شبه بها الرذال من الاتباع (الفائق)

(٢) ابن خلكان ، وفى الطبرى الجزء (٨) الصفحة (١٠٣) قول له فى التثبيط والنصح

(٣) الشعر فى يزيد بن المهلب . وفى (وفيات الأعيان) : لما حل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه ، فقال له : مه ، إن يزيد طلب جسيما ، وركب عظيما ، ومات كريماً

(٤) فى الأساس : من المجاز : نمت على المسك رائحته

(٥) الشارى هنا المجاهد فى سبيل الله لا الشارى الخارجى . . .

وأيتامُ سوداء الذراعين لم يدع ... له الدهر مالاً بالسنين الجوالف!
ومهملة لما أتاها نعيه ... أراحت عليها مهمَلات التنائف
فقالت لعبديها : أريحا فعقّلا ... فقد مات راعي ذودنا بالطرائف!
ومات الذي يرعى على الناس دينهم ... ويضرب بالهندي رأس المخالف!
يقولون لما أن أتاهم نعيه ... وهم من وراء النهر جيشُ الروادفُ[1]
شفينا وماتت قوة الجيش والذي ... به تربط الأحشاء عند المخاوف!
له أشرقت أرض العراق لنوره ... وأومن إلا ذنبه كل خائف

ومقصدات الفرزدق ومقطعاته في هذا الباب تخبر بأنه يجيد حين يريد . ومن صالح رثائه أبياته في بشر بن مروان، وختامها :

وكنا ببشر قد أمنّا عدونا ... من الخوف واستغنى الفقير عن الفقر

وقد ذكر فيها أنه عقر فرسه على قبره ، وقال غير أبي عبيدة : ادعى أنه عقر فرسه ولم يعقره ...

يقول الأستاذ : « يدل على تخلفه في هذا الباب أنه لما ماتت النوار لم يفتح عليه بما يصح أن يناح به عليها ... » وقال بشار : « كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير »

وقول الأستاذ المردى فيه شيء من الحق ، وقول بشار معه البُطل . وإذا كان الفرزدق لم يحل عليه شيطانه شيئاً حين هلكت مطلقته النوار التي أشقى صلاحها طلاحه الدهرَ الأطول ... فهل يدل ذلك على أن لجرير ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ؟ وهل الشعر رثاء وبكاء ؟ على أنا إذا جمعنا مراثي الخبيثين — ولجرير اثنتان وعشرون قصيدة ومقطعة ، وللفرزدق خمسة وعشرون قصيدة ومقطعة — ووازنا بينها موازنة المقسطين ، لم نر جريراً شأى صاحبه إلا برقته في مراثيه لا ببراعة معانيه ، والأمر يؤول إلى لين العريكة وقساوة الخليقة . ثم إنه من قلة الإنصاف ألا ترى الرثاء إلا في أن يذكر الشاعر وجوهاً خمشت ، وخدوداً لطمت ، وشعوراً نفشت ، وجيوباً شقت ، ودموعاً همرت ، والتياعاً وارتماضاً وأنيناً . . .

إن للشعراء في الرثاء والهجاء والثناء لمجالاً في المقال ، وإن البارعين هم المجتهدون المتفننون لا المقلدون المبقبقون ...

يقول الأستاذ : « على أن له في رثاء بعض بنيه شعراً يدل على أن الشجى خالط نفسه ، وألان عاطفته فنفث حرقة صادقة تشجي السامع كقوله :

بني أصابهم قدر المنايا ... فهل منهن من أحد مجيري !
ولو كانوا بني جبل فماتوا ... لأصبح وهو مختشع الصخور!
إذا حنت نوار تهيج مني ... حرارة مثل ملتهب السعير !
حنين الوالهين إذا ذكرنا ... فؤادينا اللذين مع القبور !

وروى الأستاذ للفرزدق في وكيع بن أبي سود الغداني :

فلو أن ميتاً لا يموت لعزه ... على قومه ما مات صاحب ذا القبر

ودفن ابناً له فالتفت إلى الناس فقال :

ما نحن إلا مثلهم غير أننا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

(يتبع — الاسكندرية)

***

[1] جيش : في رفعه أربعة أوجه : أحدها أن يكون بدلا من الواو في يقولون ، والثاني أن يكون فاعلا والواو حرف الجمع لا اسم، ويجوز نصبه على إضمار أعني ، ومثل قول الفرزدق هذا في العربية أكثر من الكثير

قواعد النقد الأدبي في العربية

للأستاذ محمد ناجي

أتى على العصور الأدبية فى اللغة العربية أزمان قويت فيها الروح المنوية فسالت كما يسيل الماء الصافى ، فلم تكترث للفظ ، وغطّت الفكرة على كل شيء فكانت قوية قاهرة وهّاجة تعنو لها الجباه ويقدرها النقاد ، وأتى على اللغة العربية حين آخر خبا فيه بصيص هذه الأفكار ، فعمد الكتاب إلى المساحيق والطلاء ليخفوا ضعف أفكارهم بالمحسّنات اللفظية غير الطبعية . ومع أننا فى النقد الحديث نحبّذ كلّ التحبيذ الفكرة القوية الساطعة التى هى نوع من الإلهام يتصل بالخلد ، ولا يتقيد بزمان ولا بمكان ، إلا أننا - مع ذلك - نقدّر كل التقدير القالب الذى تتجلّى فيه الفكرة ، إذ أن من توافقهما يخرج الأسلوب الحسن المناسب ، ونعرف الأسلوب بأنه حسن تأدية اللفظ للفكرة التى يحتويها ، وكلما كان الأسلوب محسناً فى تأدية هذه الفكرة صمد لمعاول النقد الأدبى

وهنالك عناصر كثيرة تكوّن ذلك الأسلوب وتطبعه بطابع خاص ، فهناك شخصية الكاتب تفيض فى أسلوبه ، وهناك « ملامح » تلك الشخصية تتجلى فى استعمال ألفاظ خاصة نتوقعها كما نتوقع الدقة الموسيقية دليل الانسجام الموسيقى . ومن يقرأ أسلوب الكاتب الإنجليزى دكنز Dickens يصادف ذلك النوع من خفة الروح تداعبنا من خلال ألفاظه ونكاد ننتظرها قبل أن يقولها ، فهى تميز أسلوبه تمييزاً تاماً عما عداه .

هناك إذن عوامل شتى تتجمع فيما نسميه الأسلوب وتتألف من شخصية الكاتب ومن بيئته ، ومن الأفكار المتعارفة فى وقته ، ومن مجرى الحوادث السياسية والاجتماعية . لكن ما هى القواعد الأدبية والأقيسة التى يمكن أن نحكم بها على الأسلوب كما عرفناه ؟

لا شك أن لكل قطعة حسنة الأسلوب جيدة التعبير عن المعنى الكائن خلفها ، روحاً خاصًّا قد نفهمه ؛ وقد لا يمكن مهما حاولنا بأقيستنا أن نعرف نوع الجمال والسحر اللذين فيه ، فغاية ما يمكننا أن نقول عنه إنه جميل . ثم هناك الجثمان اللفظى الذى يحوى الفكرة المنوية ، وهذا الذى يمكن أن نطبق عليه أقيستنا الصغيرة . وقد نقف أحياناً مكتوفى الأيدى أمام القطعة الشعرية فلا يمكننا أن نعبر عن الجمال الروحى الذى بها ، إلا أننا قد نبسط هذا التأثير بأن نقول : إنه ملك علينا مشاعرنا فحسب وأنه حاز رضانا وإعجابنا . ولما كانت مشاعرنا تنحصر فى هذه الحواس الخمس وفى ذلك الشعور الباطن بالجمال الذى نملكه ، وفى تلك الأفكار التى تحوى نماذج خاصة نقيس عليها كل جمال نراه ، فيمكننا أن نقول : إن القطعة الأدبية تدخل علينا السرور عن طريقين كبيرين : أحدهما عن طريق العين والمرئيات فهى ترسم لنا صورة بارزة وأخيلة قوية ناطقة ، وثانيهما عن طريق الأذن بواسطة السحر الموسيقى . فانسجام القطعة الأدبية يعرضها لنقدنا فوق كل شيء عن طريقى البصر والسمع ، ثم عن طريق قوة العاطفة والفكرة . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نضع قواعد بسيطة للنقد الأدبى

أولاها اختيار اللفظ الذى يحسن أداء المعنى المقصود. يقولون عن الشاعر أو الناثر المجيد إنه لو انْتُزِع لفظ من كلامه لما أمكن وضع بديل منه يؤدى نفس المعنى فى نفس المكان ؛ ونتبين مقدرة الكاتب من هذا الاختيار للفظ الذى لا يمكن العبث به ولا التبديل فيه . ومن هنا نتبين قوة أسلوب الكاتب ومرونة ذلك الأسلوب ليفى بالغرض المطلوب منه فى كل قطعة على اختلافها ، ولتأدية الأغراض المختلفة فى القطعة الأدبية

يلى ذلك اختيار الكلمات وتنسيقها تنسيقاً موسيقياً ، أو كما يرتب الرسام ألوانه ليخرج لنا الصورة الفنية . ولننظر فى قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فنرى فيها الانسجام اللفظى البديع الذى لا يتأتى لأى تنسيق سواه أن يرتفع إليه . فقوله « أكملت » تراه يتردد فى لفظ « أتممت » وفى لفظ (الرضى) الإلهى ، كما يتردد النغم الطيب ، فهذا إكمال الدين من جانب البشر ، يقابله « إتمام » النعمة من جانب الله ، وينتج عنه الرضاء . ثم انظر إلى لفظ « الدين » فى الأول و « الدين » فى الآخر ، ولفظ نعمة فى الوسط وهى ترادف آخر للفظ « الدين » . ولست أجد أبدع فى ترتيب اللفظ من آى القرآن

أما الناحية الثالثة فهى الوزن والقافية فى الشعر . ولست أدرى لماذا أريد أن نتحرر من هذه القوافى التى تتحكم فى أخيلتنا بلا مبرر والتى تلزم الشاعر ترتيباً من الأفكار قد يختل فيه الانسجام ، ويضيع عنده الجمال . ولست أدرى ما الذى يحول بيننا وبين أن نخرج على هذه البحور « الأثرية » التى قيدنا بها الخليل بن أحمد . ولست أدرى لماذا نظل فى الموسيقى الفردية ولا نخرج منها إلى الموسيقى الإجماعية Orchestral Music التى يتكون فيها الجمال الفنى من تضافر أنغام مختلفة لآلات كثيرة تساهم كل منها بنصيبها فى تكوين القطعة . وليس من شك فى أن للبحور الشعرية موسيقى خاصة، ولكن موسيقى كل بحر إنما هى موسيقى فردية ، فلنجعل للقافية وللوزن مكانهما فى الشعر ولكن يكون أوسع من مكان الترجيع الممل فى الموسيقى الفردية . وهناك إلى جانب هذا تمثيل الصوت بحيث يؤدى المعنى ويسمى Onomatopœia ، وقد نظم تنيسون Tennyson مقطوعة شعرية عن البحر ، تتخال وأنت تقرأها أنك تسمع صوت جرجرة البحر وصخب الأمواج ، وقد تم لشاعر ذلك بانتخاب أحرف خاصة .

ثم المجاز والتشبيه ، وهما كنتان ينبغى أن نجعلهما يخدمان الفكرة لا أن تخدمهما، فهناك مواقف نحتاج فيها إلى التشبيه ، ولا يمكن فهمها بدونه ، خاصة إذا كان المعنى المراد تأديته إنما يقرب للذهن إن نحن ألبسناه صورة خاصة من الشبه .

أما الناحية الأخيرة من نواحى النقد فهى التأثير الفنى الإجمالى

لكن ما هو هذا التأثير الفنى ؟ وإخالنى أرى أولئك الذين ينتخبون ملكات الجمال ، فيعمدون إلى قياس التناسب الجسدى لمعرفة التناسق الجمالى ، يسألون أنفسهم نفس السؤال : ما هو الأثر الإجمالى الذى يعطيه هذا التناسق الجسدى فى مجموعه ؟ وفى اعتقادى أن الإجابة على هذا السؤال تتوقف فى النهاية على تمييز هذا المجموع عن ذلك . إن لكل قوم ولكل زمان نماذج خاصة للجمال ، وقد يفهم كل من الجمال بقدر ما توارثه من صور الجمال فى ذهنه أو بقدر ما يصبو إليه فى زمنه .

قد يقرأ القارئ قطعة ثم يعود إليها فيفهم منها غير ما فهمه فى المرة السالفة . ولشكسبير بعض قطع كلما قرأتها تبين لك معنى جديد ، فكأنما الكاتب قد ملك ناصية المعانى وهو يكتب إليك من علياء بيانه فتقرأ تعبيره يوماً ما ثم يذهب بك الزمن فتقع فى نفس الظروف والملابسات التى عرضت لذلك الكاتب فتتذكر اللفظ الذى كتبه وترى معنى جديداً

حقاً ما أشق مهمة الناقد وما أوهن قواعد النقد !

محمد ناجى

كتـــاب الأغاني

لأبي الفرج الأسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أصلحتُ ما قال سيبويه — بما رآه « أوركومبي »
قد أصبحت مصر في لغاها — مصباح شرق وزيت غرب
وصرت في أمتي زعيماً — كأنني طلعت بن حرب

الشعر للأستاذ أحمد الشايب ، وفيه لحن لما يضربْ لصغر سنه

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : لما وضعت كتابي « الأسلوب » عمدت فيه إلى تهذيب المنهج القديم في تعليم البلاغة . فراجعت كتاب المستر أوركومبي ، ومزجت ما يسميه الإنكليز بال « روتاريك » بما يسميه العرب « بالبلاغة » ، وأخرجت من ذلك كتاباً في الأسلوب على طريقة كتاب Art of expression

قال أبو الفرج : ولقد طالعت هذا الكتاب فوجدته بديعاً ولا عيب فيه غير أسلوبه

قال : واعتذر الأستاذ الشايب عن ذلك بالقاعدة الانكليزية في أجرومية تلك اللغة A preposition is a bad word to be endid with قال وهذه القاعدة عند علماء البلاغة في كل اللغات أن يكون الحد اللفظي لما مخالفاً للمعنى الذي تضمنته كما يقال في البلاغة العربية : « قبيح أن تبدأ الجملة بلفظ قبيح » . قال وهذه القاعدة تصلح ترجمة للقاعدة الإنكليزية التي ذكرتها

قال أبو الفرج : والحق أن المركَّب الذي استحدثه الأستاذ الشايب للبلاغة مركب بديع ، وقد خرج فيه عن الطريقة العربية للمركب المزجي وقارب الطريقة التي ذكرها الأستاذ فرويد لمركباته المختلفة .

حدثنا الأستاذ سلامة موسى قال : إن مركب النقص ومشتقاته ليست هي كل المركبات وإنما ذكرت منها ما ذكرت في المجلة الجديدة على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ؛ فهناك مركب مثلاً اسمه مركب الدعاية العلمية وهو يتعلق بالدعاية دون غيرها ومرده بالطبع إلى أشياء أخرى غير الغريزة . ومن أمثلة هذا المركب أن في الأسكندرية شاعراً جهيراً اسمه الدكتور زكي أبو شادي وناقداً كبيراً اسمه الأستاذ اسماعيل أدهم ، وهما يشتركان في تأليف كتب باللغة الإنكليزية ويوقعانها معاً بأسماء مستعارة ، ولكن الدكتور زكي أبوشادي يوقع بلقبه العلمي فقط : « الدكتور » ويوقع الأستاذ أدهم باسم « ليونارد هاركر » ويرى الناس التوقيع هكذا : « الدكتور ليونارد هاركر » ويحسبونهما رجلاً واحداً بهذا الاسم والواقع أنهما اثنان أحدهما دكتور شاعر والثاني ناقد

قال الأستاذ سلامة موسى : « ولما عرفت هذه الحقيقة ، وجدتني أنطق الشعر على الرغم من كراهيتي له ، وقلت أهجوهما :

كم ناقد أبسط من شاعر — وشاعر أمكر من ناقد
فكيف بالله ترى خلة — قد ضمت الوصفين في واحد

قال : وواحد هنا لا تشير إلى فرد منهما وإنما تشير إلى المركب الذي مزجهما معاً .

حدثنا الأستاذ اسماعيل مظهر قال : إن نظرية فرويد مردها إلى النسيان . ولقد بوب كتابه عن الحياة اليومية على أساس من ألوان النسيات ، فباب عن نسيان الأرقام ، وآخر عن نسيان الوجوه ، وثالث عن نسيان الأخبار وهكذا . وفي الحق أن الأستاذين اسماعيل أدهم أو الدكتور زكي أبوشادي لم يتجها قط إلى المزج ، وإنما أرادا التوقيع بكامل اسميهما ولقبيهما ، ولكن أحدهما نسي اسمه بعد أن كتب كلمة الدكتور ، والثاني نسي لقبه قبل أن يكتب اسمه ليونارد هاركر ، ولقبه هو البروفسور

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أما المركب الذي استحدثته بمزج البلاغتين العربية والإنكليزية فليس من هذا النوع وليس منشؤه النسيان ، وإنما وقع لي هذا الخاطر المبارك أيام كنت موظفاً في حكومة السودان وكان الحكم فيها ثنائياً فأنشأت كتابي « الأنجلو اجبشيان أسلوب » لمدارس الأنجلو اجبشيان سودان . أليس كذلك ؟ أوريت ! وفي رواية أخرى أنه لم يقل : أوريت ، وإنما قال : أوكيه

حدثنا الدكتور زكي مبارك قال : هذه والله بدعة قبيحة من

المثقفين بالثقافة الإنكليزية . ولقد سمعت منذ أسابيع محاضرة أذاعها الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني من محطة لندن فنعى علينا نحن الفرنسيين المصريين أننا أدخلنا على الأدب المصري عنصر المغالاة وأننا بعد أن بشرنا بالرومانيكية سكتنا . سامحه الله ! ومن الذي زعم أني سكت أو أني سأسكت ؟ على أن الأستاذ المازني قد فاته أن يتحدث عن بدعة الأستاذ الشايب

وحدثنا الأستاذ المازني قال : لقد أذعت محاضرتي قبل أن يصدر كتاب الأسلوب وأنا الآن أتحدث قبل أن أقرأ الأسلوب فما للدكتور زكي يتعجلني قبل الأوان ؟ أيحسب أنه يطيق مهاجمتي كما هاجم غيري من قبل ؟

حدثنا الدكتور زكي مبارك قال : ما لهؤلاء يتهمونني جميعاً بالشغب؟ أتراني أفعل كما فعل قرقوش فأصدقهم وأكذب عيني ! وحقهم جميعاً لا أشاغب ولا أحب من يشاغب ولولا أن الرهبنة ليست في الإسلام لودعت الناس جميعاً وقضيت بقية العمر راهباً في مسجد نوتردام دي سنتريس !

ليت الصبايا يترهبن ويدخلن مع الدير ! إذن لكنت أشهر من أحدب فكتور هيجو صاحب كنيسة نوتردام دي باريس ! آه لو ترهبت الصبايا !

قال أبو الفرج : والحق أن أصدقاء الثقافة الفرنسية كانوا أقدر على الاختراع والابتكار حتى ظهر كتاب الأسلوب مازجاً بين البلاغتين فتم الانتصار في الابتكار لأصدقاء الثقافة الانكليزية

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : وهل يحسب أحد أن التقريب بين مصر وبين حليفتها من حيث البلاغة ليس إلا ضرباً سامياً من ضروب الوطنية ! أليس ذلك مؤدياً إلى حسن التفاهم بين الأمتين في المستقبل ؟

قال أبو الفرج : أما وقد أشار الأستاذ الشايب إلى الوطنية فما سمعت في الشعر المصري أروع وطنية من شعره ، ولا رأيت في النقد المصري أقوى من تلك الوطنية في نقده .

قال: لقد قرأت نقد الأستاذ الشايب لبهاء الدين زهير فرأيته يهزه هزاً عنيفاً ويسأله : أين شعره في الحروب الصليبية ، وأين وطنياته المصرية ؟

ولقد قرأت نقده للمتنبي فرأيته يهزه كذلك هزاً عنيفاً ويسأله أين شعره في النيل ؟

وهو على الرغم من سمو مكانته يلجأ بدافع الوطنية إلى التضحية ليكون قدوة ومثلاً لغيره من الناس ، فكان أول أستاذ جامعي تطوع في فرقة الإنقاذ من الغارات الجوية .

قال : ولقد كنت وإياه وجماعة من المصطافين القاهريين بالإسكندرية عندما أطلقت صفارة الخطر على سبيل التجربة . فقام الأستاذ الشايب من فوره وارتجل هذه القصيدة ، وليس أدل منها على وطنيته وإنسانيته :

صوت

صفير كصوت البوم ينعق ناعيا — ثكلت من المدعو ويحك داعيا
فودعت أهلي واتخذت كمامتي — وبذلتي الصفراء وانسقت باكيا

والبذلة الصفراء هي ثوب من المطاط يرتديه المتطوعون في فرق الإنقاذ

أفتش بالأذنين عن صوت معول — ولا معول إلا المنون المناديا
أزيز نسور ترسل الموت ملهباً — وروحاً بلا جسم وصلباً وجاريا
تخضت الردى جواً وماءً وخضته — لهيباً وأحسست الردى في كيانيا
وفوق يساري شارة تستحثني — وتهتف بي أن لست وحدك فانيا
وتهتف بي من مات لم يعد عمره — ومن مات لم يلق المنية ثانياً
وفي عضلي المفتول محمل خائر — فإن لم يجدني منقذاً فمواسيا
وفاضت على صدري نفوس كثيرة — ووكلت بالأخرى الطبيب المداويا
فيا غارة ما كان أبشع خضها — وهون منها أنها في مناميا

الشعر للأستاذ أحمد الشايب وفيه لحن من صنعة الأستاذ حمدي باشا الديب تضرب على نغمة صفارة الخطر .

« يتبع »

عبد اللطيف النشار

الجبر والاختيار
في كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتي]

للأديب السيد محمد العزاوي

— ٣ —

« ... وقول الحق أمثل من السكون ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلي إلا أنه قد لقي ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة في الصلاح ... »

ومن مظاهر هذا التفكير ما انتهى إليه من نظرته في الجبر . وأول ما يمكن أن نصادفه من هذا التفكير مشكلة خلق الأعمال ومشكلة التكليف وأمر البعث . فإن المسألتين الأخيرتين نتيجتان مباشرتان لمشكلة خلق الأعمال تتأثران بها سلباً وإيجاباً . فإذا ما أثبت للانسان خلق الأعمال صحت إذن تعاليم الأديان بشأن القيامة والحساب ، وإذا أثبت ذلك لله سقط التكليف عن البشر وانهدمت في رأى العقل والعدل فكرة الحساب والعقاب . ويبدو أن هذا ما يميل إليه أبو العلاء ، وإن لم يصرح به تصريحاً . وهو كما نعلم قد أسلم قياده للعقل ، وعقله أدان بالجبر المطلق فلم يكن من الحق في شيء أن يثبت بعثاً ولا تكليفاً ما دام قد أثبت الجبر في الأعمال . بل كان العقل يقضي صراحة بالرفض إلا إذا كان البعث والحساب جبراً كذلك ، وهذا ما لم يفعله أبو العلاء منزهاً الله عما يراه من عبث

يرى المعري نفسه مجبوراً على أن يفعل ما يأتيه لا خيرة له والقدر من حوله « أخو الحياة » فيقول : « كذبتْ النحاةُ أنها تعلم لم رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما القوم مرجون ، والعلم لعالم الغيوب ، خالق الأدب والآداب[1] » فهو لا يرى أن القائم بالفعل هو الفاعل الظاهر ، وإنما الفاعل شيء آخر « بيده نواصي العبـاد ، لا يخرج بما يقضيه الجد ولا الحيوان ، ولا يفعل إلا ما رضي وشاء ، وغير متعلق به الزيغ والخطأ ، ولا شيء من الدنيات » هذا الشيء يخشى أن يصفه بصفة ما[1] « وإن فعلت خشيت التشبيه ، وأشركتُ الضعفة العاجزين ، مع القوي القادر في بعض المقال إذا قلت فعل الأول وفعل النعمان ، وهيهات ما أبعد بين الفعلين[2] » وقد يبدو هنا أنه أسند إلى النعمان فعلاً قام به ابتداء منفصلاً عن الأول كما يشعر بذلك قوله : « ما أبعد بين الفعلين » ولكن ما الرأي وهو يرى عكس هذا ، ويصرح به في نصوص صريحة لا تحتمل الشك ولا التأويل نحو قوله : «وعملي مكتوب مكلوء ، مقتري بالحفظ ثم مقروء ، وثوب الحياة عني مسروء ، وغير القدر هو المدروء ، لا يبعد عني السوء ، أَهُمُّ بالخير وأهوء ، والأقدار دونه معترِضات[3] » فهل رأيت إلى ذلك المكتوب ؟ ومحاولته فعل الخير فلا تمكنه من ذلك الأقدار لأن الذي قدرها لم يقدر له أن يفعلها ؟ فيغضب أبو العلاء لذلك ويصيح أن « لو كانت المناقشة في غير عالم المستودعات لتمنيت أن تُلقى إليّ صحيفة العمل فأضرب على ما ضمنته رُجاة الإضراب[4] » ولكنه يائس من ذلك ؟ « هل يعصمني الاجتهاد وقد سبق حكمه أني من أهل الخسار ، أم يضرني التقصير وقد نفذ علمه أني في درجة الأبرار[5] »

وقد يعترض على ذلك بأن أبا العلاء نصح بأن « اترك المضلة إلى المرشدة ؛ فإن طرق الخير كثير » وقال: « ما يمنعك أن تخيَّر القسي وأنت في بلاد الضال ؟ » ولكنه رد فيما أوردت على ما يمنع المرء أن يترك هذا إلى ذاك أو أن يتخير القسي .

فالأعمال إذن حكم مقدر على المرء ، لا يستطيع أن يحيد عنه ، ولا أن يعدل إلى غيره . وما معنى أن يعدل المرء عن « حكم » إلى « حكم » ؟ وهو يذهب إلى ما ذهب إليه في مسألة الأرزاق من أن الأحكام تجري على نهج غامض كذلك ، لا يدرك أو يعلل ، كما جرت الأرزاق على نفس الغموض والإبهام .

ولا يمكن أن تجد عند أبي العلاء علة يقنعك بها أو يقنع نفسه . وإنما العلة لديه أن « الناس أربعة نفر : مسعود نحس فهو المرحوم ، ومنحوس سعد فهو المحسود ، ومولود بالسعادة إلى أن يموت فذلك المكرم المرموق ، وثابت على الشقوة فذلك المُطَّرَح المرفوض . »

(١) ص ٧٨

(١) ص ٣٣١ (٢) ص ٨٨ (٣) ص ١٤٩ (٤) ص ٥٩ (٥) ص ٣٣١

وهو يمضى بعد ذلك إلى استخلاص الحكم فى هذه القضية، وينظر ما يشير به العقل ، فهو يتساءل ما دام كل شيء بحكم الله وقدره « فهل أثم قَيْنٌ فتق خشبة مشرفى كأنما درجت عليه بنات الجثل والدعاع . . . فلما تم وكساه الأديم ورواه بمثل ذؤابة الوليد وذلك بعلم الله . . . . مرت رفقة من التجر فى أعقابهم طالب رزق بقوم الليل ويصوم النهار ، فوثب الداعر فضرب عنق جارمة عيال فما تطعم عيونهم من جثاث ؟[1] » وهو يمرض إلى تلك الفكرة فى بيان جلى يزيدها تفصيلاً حين يقول : « وليس للسان ذنب إنما الذنب لمحرك اللسان ، كفارس طعن برمح فقتل غير مستحق للقتل ، فالجانى الفارس ، والرمح غنى عن الاعتذار . وإذا سمت القدم إلى قبيح فالجريمة لناقلها . مثل رجل ركب فرساً فأخاف سبيلاً فاستوجب العقوبة الرجل دون الجواد . . . وإذا خانت اليد فالباسط لها الخب الخئون ... » ومن هو محرك اللسان ومن مسير الفارس ؟ وهل كان فى إمكان محرك اللسان ألا يحركه ، والفارس ألا يطعن برمحه ، وناقل القدم ألا ينقلها ؟ كلا، لم يكن ليستطيع ، إذن فلا لوم عليـه ولا تثريب . ولكن ماذا نقول وأبو العلاء يأبى أن يقول ذلك صراحة ؟ فهو لا يعرض لها فى بيان أكثر مما نرى . فهو حذر يود ألا يتعرض صراحة لأمر ليس على علم به . ذلك هو أمر الموت وما بعده من الحياة الآخرة . فهو يجهل أمرها جهلاً يتمنى معه أن يعثر « بمخبر يعتام نفائس ما أقدر عليه يعلمنى بعد الموت كيف أكون[2] » وهو نفسه يصرح تصريحاً بهذا الخوف والجهل ويلوم نفسه أنه لم يتخذ الحيطة والحذر حيال هـذا الأمر الغامض « وقد سئمت الحياة « وأخاف » أن أنقل فأقدم على ما حزن وساء وأنا أغفلت الحزم : ملت عن الجدد ومشيت فى الخبار[3] »

ولـكن ما دام المرء لا يأتى أفعاله مختاراً فلم البعث والحساب ؟ الواجب ألا يكون بعث ولا حساب إلا إذا كان جبراً هو أيضاً وهو عبث ينزه عنه الله. على أنه يرى أموراً مادية تحول عقلاً دون حدوثه إذ يصرح أن : « لو غبرتُ ألف حقبة ما ورد على منهم كتاب ولا رسول ، وعندى خبر خبرنيه المعقول : إن جلود القـوم تمزقت ، واللحوم بليت وتهالكت ، وصارت الأعظم

(١) ص ١٧٠ (٢) ص ٢٧٨ (٣) ص ٢٣١

رماماً[1] » . وهو يسخر من أهل الدار الآخرة سخرية هادئة لاذعة فى وقت معاً « سلم الله عليكم أهل ديار لا يشعرون بتبلج الصبح ، ولا ترجل النهار ، أشتاق إليكم وإلى من أشتاق ؟ الأرواح متكلمة ، ولا الأجساد ملتئمة ، ولا المنازل رحاب[2] » على أنه يؤمن الإيمان كله أن مصيره هو نفس هـذا المصير ، « أما اللحاق بالقوم فقريب ولست من لقائهم على يقين فالقلب لذلك آسف حزين ، أفترانى أوجر على ذلك وأثاب ؟ ![3] » فهو حزين كما ترى لأنه لا يستطيع أن يتبين حال الأموات فى الدار الأخرى ، ولأنه لا يستطيع أن يؤمن بلقائهم . وهو يميل إلى أنه لن يلتقى بهم لما قدم من أسباب ، فإذا ما أراد بعد ذلك أن يحيى أباه حياه « تحية رجل للقيا ليس براج[4] » وغيرهذا من النصوص كثير يدل على وجهة نظره فى البعث . وقد يقال بأنه يؤمن ببعث الأرواح دون الأجساد فقد قال: « عززت باعث الأرواح» ولكنه قال : « والله باعث الأرمام » وقال: « ولا يمتنع أن يكون (جسد) الصالح إذا قبر فى نعيم ، و (جسد) الكافر فى عذاب أليم » فهو لم يجزم بشيء . فالأمر لديه أمر لا يمتنع . ثم هو يتساءل لماذا يعذب الله المسيء ويثيب المحسن وكل الفعلين قد صنع ؟ ولكنه يتراجع منهما نفسه « فسبحان الله غافراً ومعذباً . أأرشد دفين أم أنا أفين ؟ » لا يركن إلى حال من الطمأنينة والثبات كما قلت : « فالدنيا فانية ، والنفس لا تأمن التبعات[5] » « ولى ينذر أن الحازم حـذر وقد أمنت وأنا مسيء[6] » لذلك فهو يرى أن « الحازم الذى لا يأبس ، يمجد الله ويقدس ، وبغير طاعته لا ينبس « لعل » الأجل يدركه من أهل الصفاء . »

وكل ما يمكن أن نأخذه عن أبى العلاء فى أمر التكليف وشأن البعث إنما هو جهل وتوقف لا يثبت شيئاً ولا ينفى شيئاً ، ولعلنا لو قرأنا الكتاب جميعاً لن نجد ما يمثل آراءه فى صراحة أحسن من قوله : « وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة . وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح[7] »

وأبو العلاء حين يتعرض « للفاسق » ومرتكب الكبيرة

(١) ص ٤٤١ (٢) ص ٢٢ (٣) ص ٤٧ (٤) ص ٢٥٩
(٥) ص ١٤٨ (٦) ص ٣٥٥ (٧) ص ٣٥٨

أهو خالد فى النار ، نجده يميل إلى التفاؤل تارة فيعتقد أن « غفران إلهنا مأمول[1] ولكنك أيتها الحشاشة فرطت فأوبقت ، فانظرى هل لك من متاب » « إن لقيتِ شراً فما أجدرك ، وإن لقيتِ خيراً فإن الله صفوح لا يعجز ولا يشبه العاجزين » وهو يتفاءل حين يقرر أنه « ما جنت السيئة فالحسنة تديه[2] والله غافر ذنوب المنيبين[3] » بل هو يذهب إلى أبعد حدود التفاؤل : « لا آيسُ من رحمة الله ولو نظمت ذنوباً مثل الجبال سوداً كأنهن بنات جير ووضعتهن فى عنق الضعيفة كما ينظم صغار اللؤلؤ فيما طال من العقود ، ولو سفكت دم الأبرار حتى أستنَّ فيه كاستنان الحوت فى معظم البحر ، وثوباى من النجيع كالشقيقتين ، والتربة منه مثل الصربة ؛ لرجوت المغفرة إن أدركنى وقت للتوبة قصير ما لم يحل الغصص دون القصص ، والجريض دون التعريض ، ولو بنيت بيتاً من الجرائم أسود كبيت الشعر يلحق بأعنان السماء ويستقل عموده كاستقلال عمود الوضح ، وتمتد أطنابه فى السهل والجبل كامتداد حبال الشمس ، لهدمه عفو الله حتى لا يوجد له ظل من غير كباث[4] » فانظر إلى أى حد يطمع فى عفو الله ، ويؤمل مغفرته . على أن ذلك لا يمنعه ألا يسأل « هل من راق ، لذى إيراق ، بات شاكياً من الخيفة باكيا ، يسأل ربه غفران الكبائر ، والله القابل توبة التائبين ؟[5] » « ما أحسنت فأطلب الجزاء ولكن أسأت فرادى الغفران . ومن لى بالوقفة بين المنزلتين لا أكرم ولا أهان[6] وقد يؤديه هذا السؤال إلى اليأس أحياناً : « كيف أغسل الذنوب وقد صار لونها كسواد اللابة والغداف كلما غسل حجر هذه وريش ذلك ازداد سواداً بإذن الله » . فهو يصف مجهوده فى محاولة غسل الذنوب ، ولكن هذا المجهود يذهب عبثاً لأن الله لا يريد : « ولو شاء لبعث مطراً تبيض تحته اللوب ، وطيراً مثل النوب ، ولكنه أجرى العادة بما تراه .. ولكن ما هذا الذى تراه ويعتقد أبو العلاء أنك تراه معه ؟ لا شيء إلا أن الله قدره يحث المنية لتجتث وأنا جاثم » أو جاث فانظر إلى أى شيء اتجه ذهن أبى العلاء ؟ اتجه إلى الآخرة كذلك والمنية ، وهو يخشاها لأنه يجهلها ويفزع منها فزعاً يقرب من فزع الأطفال : فأينما ولى وجهه لم يجد إلا هذه

(١) ص ٤٦ (٢) ص ٢١٤ (٣) ص ١٩٨
(٤) ص ١٧٩ (٥) ص ١٩٩ (٦) ص ١٧٣

المنية التى تجتث الناس ، وهذا الميت ذو الحال المبهم ، وتلك الحياة الأخرى الغامضة المرعبة ، التى تجد فى أمرها . أيثبت ما قالت به الأديان ، أم يثبت ما أوحى به عقله ؟

فى تلك المسألة أيضاً — مسألة الخلود فى النار — لا نجد أبا العلاء يثبت شيئاً ، وإنما هو متزعزع مضطرب متفائل حيناً ، متسائل حيناً ، شاك متشائم حيناً آخر !

غير أننا لو تأثرنا شبح الكلام فى ذات الله لديه فى فصوله والغايات لوجدنا صدى الكلاميين وغيرهم . على أنه يقول : « لا أعلم كيف أعبر عن صفات الله وكلام الناس عادةٌ واصطلاح، وإن فعلت ذلك خشيت التشبيه . . . . ، . . . . كيف يوصف بشيء خالق الصفات[1] » فهذا نص صريح لا يحتمل الشك فى أنه لا يثبت لله غير ذاته ، فليس هو من الصفاتيين فى شىء وإنما هو من المعطلة . وقد أثبت أنه « لا أعلم كنهك ولا أهوء[2] » وأن « الله القديم الأعظم ، وبحكمه جرى القلم ، ألا يخلد عالم ولا علم[3] » ولكنه إن اعترف بكون الله « شاهداً ما غاب ولن يغيب ، وقديماً ليس لابتدائه وجود ، تقاصر لأوليته طوال الأعمار ، كالأخيلة إذا حدثتك عنها النظرة الأولى كذبتها الثانية[4] » فإنه يقرر شيئاً خطيراً إلى ذلك . هو لا يتصور أن الله خلق المادة من العدم أو أنه وجد قبل الزمان والمكان وإنما هو « رأى ما يحدث فى هرم الدهر ، والزمان فى شرخ شبيبته أيام نمام الكواكب وضائع فى الأدحى ، ونسورها فراخ فى الوكر ، وأسدها شبل فى الغابة . . . إن كان ذلك فقد علمه ، وإن امتنع فالله مؤقت الميقات » .

(للبحث بقية) السيد محمد العزاوى

(١) ص ٨٠ (٢) ص ٣٧٤ (٣) ص ٢٥٨ (٤) ص ٩٢

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وسئل رئيس الوزراء عن وجهة نظره في دعوة المجلس دون الرجوع إلى الخديو، فكان جوابه أن الخديو قد نشأ الخلاف بينه وبين وزرائه بحيث لا يمكن الاتفاق بينه وبينهم، ولذلك فقد دعى المجلس دون مراعاة سلطته في هذا، ثم قال: « إن شكوانا من سموه هي أنه سلك مسلكاً يقضي على استقلال مصر وكثيراً ما فعل ذلك دون مشاورة وزرائه »[١]

والحق أن توفيقا كان يود التخلص من هذه الوزارة بأي ثمن وفيها البارودي الطامع في عرشه، وعرابي زعيم الحركة القومية الذي يسير بطبيعة حركته في طريق تعتبر عند الخديو طريق الضلال والعصيان وتعد كل خطوة فيها ثورة وتكبر، وأي شيء آلم في نفسه من أن يرى فلاحاً من أبناء هؤلاء الذين ما خلقوا إلا للفأس والطاعة العمياء يتربع في كرسي الوزارة ويتكلم إذ يتكلم باسم الأمة ويقبل ما يقبل أو يرفض ما يرفض باسم الأمة ؟

ولقد عاب كثير من الناس على البارودي وعرابي مسلكهما تجاه الخديو في تلك الأزمة، وحجتهم أن الواجب كان يقضي على البارودي أن يترك الحكم ما دام قد استحكم الخلاف بينه وبين الخديو، ولقد يبدو هذا الكلام وجيهاً لمن ينظرون في النتائج دون تمحيص المقدمات، أما الذين لا يصدرون حكماً إلا عن تفقه وفهم فلا يذهبون مذهب هؤلاء، ولا يقيسون قياسهم

وليست المسألة دقيقة على الأفهام حتى تتشعب فيها وجوه الرأي، فحسب هؤلاء العائبين على الوزارة مسلكها أن يذكروا أن الخديو كان يعمل بوحي من الإنجليز وعلى ذلك فإجابته إلى مبتغاه لن تكون إلا تسليماً لأعداء البلاد، الأمر الذي لن يقبله وطني ؛ ولو أن الأمر كان خلافاً بين الخديو ووزرائه، وكان الخديو يريد وجه الوطن لكان من السهل جداً أن يحتكم إلى الأمة ممثلة في مجلسها النيابي ويجعل له، عن طيب خاطر، القول الفصل في الخلاف

وهل كان يحمد من الوزارة أن يكون قصارى جهدها الاستقالة من الحكم وإنها لفي موقف جهاد ومقاومة لدسائس الدساسين ومطامع الطامعين ؟ كلا . بل إنا لنرى استقالتها في تلك الظروف ضرباً من الفرار ومثلاً من أبلغ أمثلة الضعف، وعلى الأخص إذا سلمنا بموقف الخديو من القضية كلها على النحو الذي نذكره، والذي لن نجد دليلاً على صحته أبلغ مما ذكره لورد كرومر في كتابه حيث يقول : « إنه بين للسير أدوارد ماليت في يوم ٦ مايو أنه يؤثر أن تفقد مصر بعض امتيازاتها على يد الباب العالي وتعود إليها السلطة المنظمة على أن تبقى في مثل تلك الفوضى » ومعنى هذا أنه كان يريد أن تطلق يده في مصر فيحكمها كما يشاء ولا عبرة في سبيل الوصول إلى هذا الغرض بمبلغ ما تفقد مصر مما حصلت عليه من امتيازات خطت بها خطوات واسعة نحو الاستقلال

وإن الذي يرى هذا الرأي لن يكون احتكامه إلى قواعد الدستور إلا ضرباً من المغالطة، فإذا كان الدستور يقضي باستقالة الوزارة إذا تعذر التفاهم بينها وبين الخديو فلن يكون ذلك إلا على أساس احترام الخديو لذلك الدستور في جملته وتفصيله . . . وما أخطر أن يتخذ الدستور أداة لطرف منهما بالتحايل عليه بما ليس فيه ...

وقفت وزارة البارودي لا تتحول ولا تلين فكان موقفها هذا ثورة لا شبهة فيها، ثورة قومية كأروع وأجل ما تكون الثورات القومية، وهو موقف نراه جديراً بالإعجاب والتقدير، وما نحسبه

(١) Cromer — Modern Egypt

لو كان فى بلد غير بلدنا إلا كان يعد من المواقف المشهودة التى تذكر فى مواطن الفخر والمباهاة

وكانت الوزارة قوية بادئ الأمر لأنها كانت معتزة بالنواب وإجماعهم على الأخذ بناصرها ، ولكنها نظرت فإذا بينهم تهامس وفى صفوفهم إسرار وإعلان ، وإذا كبيرهم سلطان يدعوهم إلى الحكمة والروية ... وكم تحمل على الحكمة والروية أعمال ليست منها بسبب من الأسباب ... قال سلطان باشا يومئذ للسير أدوارد ماليت : « لقد أسقط المجلس شريفاً تحت ضغط عرابى ، وإن نفس الأعضاء الذين ألحوا فى ذلك أكثر من غيرهم – وقد استبان لهم أنهم خدعوا – يتوقون اليوم إلى إسقاط الوزارة » ... ولو اطلع عرابى على الغيب يومذاك لرأى أن هذه أخف ضربة من ضربات سلطان هذا ، تلك الضربات التى سوف يسددها إلى قلب الحركة الوطنية فى ضجيج الجهاد وسكرات الاستشهاد

وانحاز فريق كبير من النواب إلى جانب الخديو ، وإن كانوا ليتظاهرون أنهم يظاهرون الوزارة ... كتب فى ذلك ماليت إلى حكومته فى اليوم الثالث عشر من شهر مايو يصف الحال فى مصر أو على الأصح يصف مبلغ ما أصابته من نجاح دسائسه الإجرامية، قال : يظهر أن رئيس المجلس والنواب يميلون إلى جانب الخديو ، ولقد سألوا سموه أن يأخذ بالعفو فيصالح وزراءه ، ولكن الخديو رفض ذلك . . . ويصر سموه على رأيه ، فلن يصالح وزارة تحدته صراحة ، وتهددته هو وأسرته ، واعتدت على القانون بدعوة المجلس إلى الانعقاد دون الرجوع إليه ، وفى القاهرة قدر غير قليل من القلق ، وكثير من الناس يتادرونها . . .

إزاء ذلك انخلع عن رئيس الوزارة عزمه ، وتزايل إصراره شيئاً فشيئاً ، حتى رأت البلاد البارودى يرفع إلى الخديو استقالته فيرتكب بذلك إثماً نعيبه عليه أشد العيب . فقد كان عليه أن يستطلع رأى النواب صراحة فى جلسة يعقدونها . فإذا ناصروه كان عليه أن يبقى فى مكانه حتى يقال ، فيحظى بشرف الإقالة ، أو ينتصر ، فيكون له فخر الانتصار . . .

لقد رفض النواب أن يجتمعوا فى مجلسهم — أى أنهم رفضوا أن يشايعوا الوزارة فى تحديها الخديو ، واجتمعوا فى منزل رئيسهم وهذه حقائق نسلم بها ، ولكنها أمور شكلية لا تمس جوهر الموضوع . فالأمر الذى كان يهم الوزارة ، هو معرفة رأى ممثلى البلاد ، وسواء لديها اجتمعوا فى مجلسهم أو فى أى مكان .

فليس ثمة من فرق بين الاجتماعين ، إلا أن هذا رسمى وذاك غير رسمى ؛ ولم يكن المجال يومئذ مجال شكليات ، وقد جرى الخديو فى مضماره الذى اختاره رغم إرادة البلاد . وهل كان نواب الشعب الفرنسى الذين التقوا فى ملعب التنس فى مستهل ثورتهم الكبرى لا يعبرون عن رأى الشعب لأنهم لم يجتمعوا فى قاعة مجلسهم؟

الحق أن البارودى قد هدم ما فعل جميعاً باستقالته هذه ، ولو أنه نال شرف الإقالة ، لكان منطقه متسقاً ، ولأضاف بذلك إلى نفسه وإلى وزارته معنى من معانى البطولة وحمل الخديو والموحين إليه وزراً جديداً يضاف إلى سابق أوزارهم !

وعجز الخديو أن يقيم فى الحكم وزارة ، فقد أشفق منها الرجال يومئذ ، وأشفق منها مصطفى فهمى باشا حين عرضت عليه رياستها عملاً باقتراح ممثلى انجلترة وفرنسا اللذين صار لهما الآن حق إسناد الوزارة إلى من يرضيان عنهم فى مصر .

وصرح الوزراء على الرغم من استقالة رئيسهم أنهم لا يستقيلون إلا إذا كان ذلك بأمر من مجلس النواب ، وهنا يعود عرابى فيثب إلى الطليعة ، وقد ضاق البارودى بالأمر ذرعاً ؛ فهو الذى أوحى إلى الوزراء بما فعلوا ، وقد عز عليه أن يبعد الوزراء عن مناصبهم بمشيئة غير مشيئة الأمة ، وتلك خطوة أخرى نضيفها فى غبطة وفخر إلى سالف خطواته .

ووقف عرابى فى مكانه لا يتزعزع وما كان أصلبه وأشد مراسه إذا وقف فى أمر يرى أنه الحق؛ ولقد صور المبطلون وقفته هذه أنها عودة إلى الثورة المسلحة وأنه يوشك أن يفاجئ البلاد بيوم آخر كيوم عابدين ، فما حفل كلامهم ولا خشى تهديدهم ؛ وكتبت الحكومات إلى ممثليها فى مصر أن « يرسلوا إلى عرابى فيبلغوه أنه إذا أصاب النظام خلل فسوف يجد أوربا وتركيا كما يجد انجلترة وفرنسا ضده ، وأنهم يحملونه تبعة ذلك »

وأصر ذلك الفلاح الذى لولا ما هيأته الأقدار لكان يومئذ يجيل فأسه فى حقل من حقول هرية رزنة ولا يدرى من أمر الحكم والسلطان شيئاً ؛ وظل على عناده يكشف عن طيب عنصره وكرم معدنه فيفهم من يريد أن يفهم أن ذلك الفلاح الذى يجيل الفأس فى صبر وصمت فى أنحاء هذا الوادى لا ينقصه إلا العلم والحرية ليبهر العالم بعبقريته وبطولته ...

وصرح سلطان وقد أخـذ يكيد للبارودى وعرابى معاً « أنه ليس من الممكن تغيير الوزارة ما دامت القوة الحربية مجتمعة فى عرابى باشا » ولم يك يبدر سلطان أن وراء تلك القوة الحربية قوة أخرى لولاها ما قام غيرها . لم يك يدرى سلطان باشا أن هذه

القوة الحربية التى يشير إليها كانت قائمة فى مصر من قبل فما ظهر أثرها إلا فى يد عرابى وأنه بذلك يمتاز عن غيره من الرجال

وانتهت الأزمة بأن أشار ممثلا انجلترة وفرنسا على الخديو بأن يطرح المسائل الشخصية جانباً، وبما أن سموه لم يستطع أن يقيم وزارة جديدة فإنهم يطلبون إليه أن يجدد علاقته بالوزارة القائمة »

وبقيت الوزارة فى كراسيها وانتصرت كلمة الأمة من جديد على يد ذلك الذى خرج من هرية رزنة وتلقى قسطاً من العلم فى الأزهر، ثم درج بعد فى مدارج الرقى فكان فى نموه كالشجرة الطيبة فى سموها لا كالعليق الذى لا ينمو إلا على غيره من النبات

ولولا ذوو الأطماع من المتربصين بمصر وحرية مصر لجنت البلاد من هذا الانتصار أطيب الثمرات ولعزت بذلك كلمة الأمة حتى ما تذل بعدها ؛ ولكن مصر وا أسفاه جنت من انتصارها هذا العلقم والحنظل

وكيف كان يتسنى لمصر السلامة ووراء الخديو الإنجليز يتربصون ويكيدون ؟ لقد حق لماليت الآن أن يدعو حكومته إلى التدخل المسلح فقد حانت الساعة وواتت الحجة، ولن يهم انجلترة أن تكون هى الدبرة لكل ما حدث فلن يكون احتجاج الضعفاء إلا صرخة ضائعة، ولن يكون منطقهم إلا ثورة وشكواهم إلا تبجحاً

لم تكن فى البلاد ثورة ولا خاف فيها أجنبى على حياته أو متاعه ولكن أعوان السوء صوروها يومئذ صورة منكرة انزعجت منها أوربا أشد الانزعاج، مع أن هؤلاء الكاذبين كانوا يعلمون حقيقة الأمر ويوقنون أن المسألة لا تعدو خلافاً بين الوزارة والخديو ما كان ليبلغ ما بلغه من الشدة لولا تدخلهم على ذلك النحو الأثيم

ولم تكن البلاد فى مثل تلك الحال من الفوضى التى ذكرها المبطلون. وحسبنا أن نورد هنا بعض ما جاء فى خطابين كتبهما عرابى باشا إلى مستر بلنت وكان ذلك فى أوائل شهر ابريل أى قبل الأزمة التى نحن بصددها بنحو شهر. قال عرابى: « ونحن نرجو لانجلترة أن تكون أقوى الأصدقاء لمساعدتنا فى إيجاد نظام حسن على أساس الحرية فنسير عندئذ على غرار الأمم المتمدينة الحرة. ونحمد الله فإننا سنرى قريباً نجاحك فى جهودك ولهذا نعتبر وصولك سالماً لبلادك فألاً حسناً للنجاح المنتظر ... أما بخصوص النصيحة التى زودتنا بها فنحن نشكرك ونخبرك بأننا لا نقصر فى حفظ النظام والهدوء لأننا نعتبر هذا من أهم واجباتنا ونؤكد لك أن كل شىء هنا هادىء ؛ فالهدوء والسلام يسودان البلاد ونحن وإخواننا الوطنيون ندافع بأقصى ما يمكننا عن حقوق جميع السكان بصرف النظر عن الأمة التى ينتمون إليها ؛ ونحن نحترم جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ولن نسمح لأحد بمساسها ما دامت أوربا تحفظ وترعى علاقاتها الودية معنا. أما عن تهديدات الماليين وأصحاب المصارف فى أوربا فإننا نتقبلها بالحكمة والثبات واعتقادنا أن هذه التهديدات تعود عليهم وحدهم بالأذى وتغر الدول التى تنخدع بأقاويلهم. وغايتنا الوحيدة هى تخليص البلاد من العبودية والظلم والجهل وأن نرفع السكان إلى مركز لا يمكن فيه الاستبداد أن يعود كما كان فى الأزمنة الماضية بنشر الخراب والدمار فى مصر. وإن هذا الذى أكتبه إليك هو ما يفكر فيه كل مصرى عاقل يحب حرية بلاده »

هذا ما يقوله عرابى وهذا ما كان يرجوه المصريون من انجلترة من عهد يرجع إلى قبيل الاحتلال. وكم تكرر فى مصر من أشباه ونظائر لهذا الموقف ! وكم جاء مثل هذا الكلام على ألسن غير لسان عرابى ولكنا نحجز القلم عن الاتجاه إلى غير ما نحن فيه فالسياسة الانجليزية فى مصر هى هى وإن تغير الزمن واختلفت فى موضع الزعامة الرجال

وقد أكد عرابى هذه النيات فى كتابه الثانى، ومما جاء فيه: « ونحن ميالون أشد الميل إلى التفاهم عن المصالح المتبادلة بيننا وبين الدول المرتبطة بنا. وليس للدول ذوات المصالح فى بلادنا من سبيل للانتفاع بعقودهم ومعاهداتهم إلا إذا كانت الصداقة التى بيننا وبينهم وثيقة. فإذا قطعت هذه الصداقة فالضرر لن يعود علينا وحدنا بل يعود على الدول أيضاً وبخاصة انجلترة. وليس هناك سياسى كبير الإدراك إلا ويفهم قيمة المنافع التى تعود على انجلترة من صداقتها لنا ومعاونتها إيانا فى كفاحنا » ... وقال: « إننا قد نوينا نية صادقة على أن يكون لأمتنا مركز بين الأمم المتمدينة بنشر المعارف فى البلاد والمحافظة على الاتحاد والنظام والقضاء بالعدل بين الناس أجمعين. ولا يمكن لشىء فى العالم أن يردنا عن قصدنا قيد شعرة فلن نخشى الوعيد أو التهديد ولن نخضع إلا لحكم الصداقة التى نقدرها ونكبرها — أما عن الهدوء فى مصر فنخبرك أنه ليس هناك أى قلق ، ونحن الآن نحاول أن نمحو الآثار السيئة التى تركتها لنا الحكومة السالفة »

ويذكر مستر بلنت أن الشيخ محمد عبده كتب إليه فى ذلك الوقت مثل ما كتب عرابى يؤكد له قيام النظام والسلام فى مصر يقول: « وإن الخلق العظيم الذى يمتاز به الشيخ محمد عبده ثم هذا المركز السامى الذى يملأه الآن فى مصر وهو منصب الإفتاء

هتافات حب

من دموعى الضائعة !

[إلى التى ضيعت عمرى على أقدامها
ومازال يحجب نورها ظلام القصور]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ — أحزان الحيرة

أعاشقٌ أنا ! أمْ فانٍ ... على جسدى
من صرعة الحبِّ أكفانُ الأسى الأبدى ؟
وشاعرٌ أنا ! أمْ شادٍ على وترٍ
من الفجائع مشدودٍ على كبِدى ؟ !
وبائسٌ أنا ! أمْ نعشُ المُنى حملتْ
تابوته لتُرابِ المالكينَ يدِى ؟ !
وبائسٌ أنا ! أمْ دُنيا مُلفَّفــةٌ
من العذابات والأرزاء والنَّكَد ؟ !
إذا بكيتُ فلا دمعٌ يُعينُ .. ولا
إذا تصابَرْتُ نامتْ جذوة الكمَد ..
هنا جفونٌ كأحلام اليتيم بها
خريفُ دمعٍ طواهُ الحبُّ فى خَلدى
أهدابُها للهوَى أحبارُ صومعــةٍ
طافَ المسيحُ بهم فى ليلة « الأحد »
صلَّت لنورِكِ ، فاهتزَّتْ لِمَنْبَتِــه
فى ذائبٍ كَطَهُور المُحْرِمينَ نَدِ
وَرَفْرفتْ وَجثتْ حتى يُخال بها
من الكَرَى غفوةٌ فى شاطئ الأبَدِ ..

الشرعى ، كل هذا يجعل لشهادته قيمة تاريخية لا يبالغ الإنسان مهما قال فى مدحها ، وهذه الشهادة يصح وضعها بجانب الكتب الزرق لإدحاض أكاذيبها المختلفة ، وكان فى ذلك الوقت رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية ومديراً لقلم المراقبة الصحفية فكان مركزه هذا يجعله على علم بما يدور فى الوزارة الوطنية بحيث لم يكن ماليت أو كلفن أو أى أوربى آخر ليدعى مثل معرفته بهذه الشؤون »

(يتبع) الخفيف

٢ — عُقدة الله لن تُحلَّ

[إن العقدة التى تربطها يد الله
لا تستطيع حلها يد المخلوق*]
« بنجامان كونستان »

سَيشْقَى لنا الحبُّ حتى نموتَ وتَشْدُوَ أنشودةً للْفَنا
فلا تجزعى فى ظلام الخُدور غداً من يديكِ يَهلُّ السَّنا
غداً تسكُبين كزهرِ الحُقول على الحبِّ عطرَ الهوَى والمُنى
غداً نلتقى ... لا الصَّبا نائمٌ ولا زَوْرَقُ الدَّمع يَجرى بنا
ولانحنُ جرْحَيْنِ طِبُّ الهوى جفانا ، وزَفَّ المآسى لنا
وخلَّفَنا صرْخةً فى الزمانِ وتأويهةً فى شِعاب الدُّنَى
غداً نلتقى .. لاضباب السِّنين ولا لغَطُ الدهْرِ فى دهْرِنا
فلا تذْرُفى بعدنا دمْعةً ولا تندُبى فى الهوَى حظَّنا
فكم دوَّخَ الحبُّ أبطالَهُ وسقَّاهُمُ كأسه قبلَنا ...
لقد عصمَ اللهُ أحـــلامَنا وأترعَ من قُدسه كأسنا
وألْهَمَنا كيف نَرْعى الهوى ونَبْنِى على نارِهِ عُشَّنا
ونسخر من هوله كلَّما ترامَى بأرزائه حولنـــا
نَعِشْنا على الطُّهــرِ أيامهُ ونوَّرَ فى ظِلِّه عهدُنا
وأبصرْتُ نبعَ المُنى فى القتام فهاتى لى الكأسَ وامضى بنا..

٣ — لتحترق الأمهات

إذا كنَّ مثل التى أشعلَتْ ظلالَكِ فى الحبِّ دنيا هَجيرْ
وظَنَّتكِ أنثى تسيغُ الهوانَ وما أنتِ إلا صفاءٌ ونور
وترْنيمةٌ من شفاء السماء شداها ولم يدْرِ نايُ الدُّهور
وسحرى وشعرى ودنياهوايَ وسُلوانُ روحى ، وخمرُ الشُّعور
فكيف تُنسِّيكِ أهوالُها عباداتِ قلبى الوفىِّ الكبير !
وكيف التى من ترابٍ وطينٍ تُذِلُّ التى من صَفاءِ العبير !
عفاءٌ على الحبِّ إن أوقفتْ تسابيحَهُ أُمّهاتُ الشرور
مُذِلٌّ الجبابرِ بين الورَى وصولجهم بالَّليالى يَدُور
أُتُوقِفُ إعصارَهُ صخْرَةٌ من الشرِّ بين ظلام القصور !

محمود حسن اسماعيل

(*) من رواية « أدولف » للكاتب الفرنسى « بنجامان كونستان » تعريب الدكتور « حسن صادق »

في يوم رحيـــل

للأستاذ العوضي الوكيل

«يا راحلاً وضميرُ القلبِ مثواهُ»   لقد قضى بشقائى بعدكَ اللهُ

قد كنت من هذه الساعات فى حذر   حتى أصابَ فؤادى ما توقّاه

أطعنةٌ فى شغافِ القلبِ موغلةٌ   أم ذلك الموتُ يبدو لى محيّاه

العيشُ بعدك بؤسٌ لا نعيمَ بهِ   والبعدُ والبؤسُ أمثالٌ وأشباه

إن كان قد سرّنى فى القربِ من رَغَدٍ
فسوف يحزننى فى البعدِ ذكراه

قلبى – وليس كقلبى فى القلوب – غداً
وخفقُهُ بعدَ هذا البُعْدِ أوّاه

أوّاهُ لو تنفعُ المحزونَ أوّاهُ   القول بعدك هانت ثم جدْواه

إنى وإن كنتُ فى أهلى وفى وطنى   أنا الغريبُ الذى آدتْهُ بلْواه

سأمانُ ينكرُ دنياهُ ويشنؤها   بغضاً كما نكرته اليوم دنياه

صُمّت مسامعه عن كل هاتفةٍ   كما خلت من سوى النائى حناياه

فأين رنّةُ صوتٍ ليس يُشبهها   شىءٌ من الصوتِ: أعلاه وأدناه؟

وأين لمحةُ عينٍ جدٌّ ساحرةٍ   أحيتْ من الوجد ما كنا نسيناه؟

وأين لفتةُ جيدٍ زانَهُ جَيَدٌ   وأين فرْعٌ كغصن البان تيّاه؟

وأين ما يُفحمُ الأشعارَ واصفةً   أكلُّ ذاك نعيمٌ قد حرِمناه؟!

يومُ الرحيل وكم تؤذيك ذكرتُهُ   يا قلبُ قد جاء كالأغوالِ مرآه

ما إن تفيد الرّقى فيه ولو كثُرَتْ   وليس تنفع من ذى البثّ شكواه

الأربعاء . . . اذكروه واذكروا أملاً
أصــيله كانَ مثواهُ ومأواه

مازلتُ أذكره عمرى وأكبرُه   وكيف لى – وأنا المشتاق – أنساه؟

هذى سويعاته فى النفس خالدةٌ   طوباهُ من يومِ أنسٍ كانَ، طوباه

اليوم مازال يدعوكم.. ولو نطقتْ   أيامُ دهرى ... لقد قالت ثناياه

أهلاً بكم ما حللتمْ فيه آونةً   ومرحباً ما أظلّتْكمُ عشاياه

يا راحلين .. فؤادى فى ركابِكمُ   فما له بعدكمُ عزٌّ ولا جاه

آليتُ مالِىَ فى الأيامِ بعدَكمُ   من مأملٍ كان قلبى قد تمنّاه

فإن ذكرتم فؤاداً باتَ يذكرُكمُ   أرضيتُمُ حبّهُ الغالى ونجواهُ

العوضي الوكيل

رجعــــة

للأستاذ فريد عين شوكه

ألقيتُ أعباء النوى عن كاهلى   ورحمت نفسى من جواها القاتلِ

وسميتُ شطركِ والحنين يدعّنى   دعّاً إليك، وماله من خاذل!

وحملتُ آلامى وكنتُ حفظتُها   لأذيعها لك فى اللقاء العاجل

حتى لقيتُك فامّحى من خاطرى   ما كنتُ فيه من العذاب الهائل

وجمدْتُ وانعقد اللسانُ، كأنما   أنا فى لقائك صورة من (باقل)

* * *

يا مستريح البال ليت لمهجتى   بعض الذى بك من قرار شاملِ

هبْنى شذذت أليس عذرى أننى   نهبٌ لثوراتى وجمٌّ بلابلى ؟!

مالى عصيتُك يائساً فهجرْتنى   عجْلانَ غير معاتِب أو سائل

غفراً فقد أخطأتُ فيما خلْته   يشفى فؤادىَ من هواك الواغل

إنى حسبتُ القلبَ يطّرح الهوى   ويُفيق من خبل الغرام الخابل

فإذا فؤادىَ جذوة مشبوبة   طول النوى وإذا لقاؤك شاغلى

وإذا أنا هيمانُ حتى أهتدى   بالبدر فى ليل البعادِ اللائل

* * *

شهرٌ حرمتك فيه ذقت به الجوى   ناراً تلظّى فى حشاىَ الذابل

ونزَتْ على قلبى جراحاتُ النوى   كالموج ثار على سفينٍ جافل

شهر كأن اليوم من أيامه   إن مرّ يرجع فهو ليس براحل

يا طالما سألتُك فيه رسائلى   وصْلَ المحب فلم تصخْ لرسائلى

وغفلتَ عن حزَنى وشدة لهفتى   ويلُ الشجىّ من الخلىّ الغافل!

* * *

سجلْتُ حالك فى الخصام وفى الرضى
فوقفتُ منك على سجلٍّ حافل

ترضى فتعرض لى الحياة بهيجة   تهفو لفتنتها عيونُ الثاكل

وتذيقنى نِعمَ الوصال هنية   يا طيب منهلها لقلبى الناهل

فإذا غضبْتَ لقيتُ منك معانداً   يُعيِى بنفرته جميع وسائلى

ومضيتَ لا تُبقِى على ما بيننا   وقطعتَ من دنياك كل حبائلى

* * *

يا من أرى فى وصله كل المنى   حققْ وصالك للمحب الآمل

لا شىء فى دنيا الصبابة يُشتهى   مثلَ التمتع بالحبيب الواصل

فريد عين شوكه



دراسات فى الفن

الفن هو الانتاج الروحى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يقول علماء البلاغة والتربية والمنطق وغيرهم من العلماء الذين يتصدون لدراسة العلوم المتصلة بالفنون أو العلوم التى من فوقها فنون : إن الفن هو التطبيق العملى للقوانين الخاصة بموضوع ما. فإذا كان موضوع البلاغة هو جمال الكلام فإن فن البلاغة هو التطبيق العملى للقوانين التى يحصل الجمال للكلام باتباعها . وإذا كان موضوع التربية هو تنشئة الأحداث على وجه من الصلاح أو على أوجه الصلاح كلها فإن فن التربية هو التطبيق العملى للقوانين التى يتم صلاح الأحداث باتباعها على وجه من الوجوه أو على أوجه الصلاح كلها ؛ وإذا كان موضوع المنطق هو ربط الكلام على الحق الصادق حتى يطابقه فلا تزيد عليه ولا ينقص عنه ففن المنطق هو التطبيق العملى للقوانين التى يتحقق باتباعها هذا الربط وهذه المطابقة

وبهذا التفصيل وبهذا التيسير أباح العلماء لأنفسهم ولتلاميذهم أن يستضعفوا الفنون وأن يستسهلوها وأن يمدوها ، ما داموا قد وجدوا هذا التعريف الذى استنبطوه لها شيئاً ، يمكن أن يحققه كل إنسان، وأن يمضى فى تحقيقه ما شاء له تهاون هذا التعريف الذى يمنع عن الفن ما يلزم لحدوثه ، اللهم إلا أن يكون تطبيقاً عمليًّا للقوانين ... وبهذه الإباحة كثر الكتاب الذين يطبقون فى كتاباتهم قوانين البلاغة ، وكثر المربون الذين يطبقون قوانين التربية ، وكثر المجادلون وتفاقم عدد المحامين الذين يطبقون قوانين المنطق . ومع هذه الكثرة فلا يزال الكتاب المبدعون قليلين ، ولا يزال المربون المثقفون نادرين ، ولا يزال المجادلون والمحامون الساطعون يعدون فى الجيل على أصابع اليد أو على أصابع اليدين

فلو كان الفن حقاً هو التطبيق العملى للقوانين لكان كل من يعرف الطريق إلى هذا التطبيق فناناً كما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بالأعداد حاسباً ، وكما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بعناصر المادة كيميائياً .

ولكن الأمر ليس كذلك . فبعض ما يدس على الناس فى ثوب الفن ليس فناً ، وبعض ما يساق إلى الناس مجرداً من ثوب الفن هو فى الحقيقة فن . ولا بد أن يكون القارىء قد سمع لحناً من الألحان قال عنه صاحبه ومن يروجون له ، إنه موسيقى وجعلوا دليلهم على قولهم أن فيه تطبيقاً عملياً لقوانين الأصوات والأنغام فى الوقت الذى لم يستشعر فيه حين سمعه إلا هذا التطبيق العملى وحده لهذه القوانين دون أن يدفع هذا اللحن إلى نفسه عاطفة ينقلها من نفس صائغه ، أو خيالاً ينبعث من روحه ، ويعبر عن إحساسه وذوقه وذاته . هذا بينما لا بد أن يكون القارىء قد راعه يوماً شراب أو عطر ألفه كيميائى ممن تنفذ نفوسهم وأذواقهم إلى تطبيقهم العملى لقوانين المادة وعناصرها . وكما أنه لا بد أن يكون قد سمع عن نسبية أينشتين ، فأحس من كثرة ما قيل عن غموضها وتعقيدها وتساميها أنها ليست تطبيقاً مجرداً لقوانين الأعداد وإنما هى حسبة فيها شىء من روح أينشتين نفسه لم يصل إليها إلا لأنه يتجه فى تطبيقه لقوانين الأعداد اتجاهاً خاصاً به هو، مرجعه إحساسه الذى قاد تفكيره .

فإذا سلمنا بهذا استدعى الإنصاف أن نحكم على ذلك الموسيقى الذى لا يضع فى لحنه إلا التطبيق العملى لقوانين الصوت والأنغام

بأنه غير فنان . وعلى هذا القياس كان غير فنان كذلك كل من يتصدى لأى فن من الفنون وليس معه إلا ما اكتسبه من معرفة القوانين الخاصة بهذا الفن ، ومعرفة طرق تطبيقها . كما أن الإنصاف يستدعى إلى جانب هــذا أن نصف بالفن كل من ينتج إنتاجاً فيه من نفسه وذوقه كأينشتين الذى ابتدع النسبية وككل كيميائى يبتدع شراباً أو عطراً فيه من ذوقه .

والنتيجة اللازمة لهذا هى أن ينهار هذا التعريف الذى وضعه علماء البلاغة والتربية والمنطق وأمثالهم للفن . فهو تعريف غير جامع مانع كما يقولون هم ، لأنه يسمح للأدعياء بالدخول فى زمرة الفنانين ، كما أنه يحرم فنانين صادقين من الاستمتاع بحقهم الطبيعى فى الانصاف بالفن بينما هم جديرون بأن يتصفوا به

وما دام هذا التعريف قد انهار فقد لزم أن نبحث عن تعريف آخر نقيمه مقامه ويكون فيــه الجمع والمنع اللذان تتطلبهما صحة التعريف

أما أنا فأحب أن يكون تعريف الفن هو هذا العنوان الذى رصدته على رأس هذا الحديث وهو أن الفن هو الإنتاج الروحى . ولست أرى من عيب لهذا التعريف إلا أنه يسمح لكثير من الأعمال البشرية التى اعتاد الناس ألا يحسبوها بين الفنون بأن تكون فنوناً . فهو يسمح للنجارة إذا كان فيها من روح النجار وذوقه الخاص أن تكون فنــاً ، كما يسمح لصيد السمك إذا كان فيه مــن وسيلة خاصة ترجع إلى ذوق الصياد وتلهمه إياها روحه أن يكون فناً . وهكذا فليس من عيب فى هذا التعريف إلا إمكان تعميمه على الأعمال البشرية جميعاً

وقد لا يكره هذا التعميم إلا الفئة الخاصة من الفنانين الذين يدعون تلك الفنون التى اصطلح الناس على تسميتها فنوناً جميلة . فهؤلاء وحدهم أو بعضهم هم الذين يحبون أن يقتصر الانصاف بالفن عليهم فلا يكون النجار فناناً، ولا يكون صياد السمك فناناً، ولا يكون أحــد من الناس فناناً إلا من كان أديباً أو موسيقياً أو ممثلاً ، أو رساماً ، أو واحداً من هؤلاء الذين يسبحون فى « السموات العلى » لا لشىء إلا أنهم اعتادوا التعالى على البشرية بأدبهم وموسيقاهم وتمثيلهم ورسمهم

غير أن هــذا فى الواقع نوع من الأرستقراطية القاصرة ، أو المقصورة يكرهه الفن الصحيح . والفن لا يكرهه لأنه ديمقراطى بطبعه أولأنه بلشفى ، وإنما يكرهه لأنه دون الأرستقراطية التى يحبهــا لنفسه . فالفن متعصب كل التعصب لأرستقراطية الروح ، وهو يفخر بأن ينسب إلى نفسه كل ما انتسب إلى الروح من أعمال البشر ، حتى ولو كان نجارة أو صيد سمك ، ولــكنه يأبى أن ينسب إلى نفسه كل ما خلا من الروح حتى ولو كان لحناً أو شعراً أو رسماً .

والفن فى هذا لا يحيد عن الحق . وأشرف للفن أن يحتضن النجارة وصيد السمك متى جمعنا الروح والذوق ، من أن يحنو على كلام سخيف منظوم ولــكنه ميت ، ومن أن يدخل إلى حظيرته ألحاناً روعى فيها أن تكون تطبيقاً عملياً لقوانين الصوت والنغم ، ولــكنها ما تزال جامدة كأنها الصوت ضغط وتركز حتى تحجر ! . . .

ولا أظن أهل الفنون الجميلة إلا مقتنعين بهذا الرأى ، وما أظنهم بعد اليوم إلا آخذين به ، فهم مقربون إليهم كل من تنفذ روحه إلى عمله ، وكل من يسرى من نفسه إلى عمله لونه الخاص بطبعه ويلونه ، فيكون عمله تعبيراً عنه يعرف به . وهم مبعدون عنهم كل أجرد النفس ، قاحل الحس ، مجدب الروح والشعور ، وإن قضى حياته يعزف على الأوتار ، أو يسود الصحائف بالحبر .

وقد يعنينا أن يؤمن الفنانون بهذا الرأى مثلما يعنينا أن يؤمن به الجمهور ، وأن يأخذ به النقاد أخذاً شديداً ، وأن يعدلوا عن قياس الفنــون إلا بمقياسه ، وأن يشيع قياسهم لبقية الأعمال البشرية بهذا المقياس . فإنهم إذا فعلوا هذا فإنهم سيبرئون الفنون من طفيليات كثيرة تلتصق بها وتدعى النسبة إليها ، كما أنهم سيعودون بالحق فيعترفون لــكثير من الأعمال البشرية الفياضة بالروح بأنها فنون .

صحيح أنه مقياس قاس ، ولكنه فى الوقت نفسه مقياس عادل ، إذ يرد إلى كثيرين من أصحاب الجهاد الروحى اعتبارهم الإنسانى بعد ما ظلوا الأحقاب الطويلة وهم لا يحصون بين الناس إلا على أنهم صناع أو عمال . زد على ذلك أنه سيكشف

لنا الأقنعة عن وجوه كثيرة متنكرة : لها أرواح ولها فنون ولكنها تتكلف فى الحياة فنوناً غير فنونها فتعيش فيها ميتة بدون أرواح لأن أرواحها منصرفة إلى ما تصبو إليه

وكى يتصور القارئ قسوة هذا المقياس فليطبقه على بعض الأعلام من الذين يقال عنهم فى مصر إنهم فنانون

فلنأخذ فى الأدب مثلاً الأستاذ أحمد أمين ، ولنأخذ فى الموسيقى مثلاً الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ولنأخذ فى التمثيل مثلاً الأستاذ جورج أبيض ، ولنأخذ فى الرسم مثلاً الأستاذ محمد ناجى الذى كان ناظراً لمدرسة الفنون الجميلة العليا إلى عهد قريب

أما الأستاذ أحمد أمين فقد أثبت عليه الدكتور زكى مبارك فى مقالاته الأخيرة بالرسالة أنه أستاذ يكتب ولكنه لا يسرى من روحه شىء فى كتابته ، فأنت لا تعرفه حين تقرؤه إذا كان راضياً أو كان غاضباً ، وأنت لا تشعر به إلا هادئاً دائماً وفاتراً . وحسبه هدوءاً وفتوراً ما سجل عليه الدكتور زكى مبارك مظهره وهو أنه عاش وقتاً طويلاً فى الواحات فلم يعرف الناس أنه عاش فى الواحات إلا يوم أعلنت هـذه الحقيقة الغريبة على صفحات الرسالة فى الجدال الأخير . بل حسبه هدوءاً وفتوراً وبعداً بفنه عن الروح أنه كان قاضياً ومع هذا فإنه لم يكتب قصة واحدة من قصص الحياة التى عرضت له وهو فى القضاء . وهذا دليل على أنه يعيش فى دنيا ، ويكتب فى دنيا أخرى . وهذا يستدعى واحدة من اثنتين : فإما أن يكون الأستاذ أحمد أمين بروحين يعيش بواحدة ويكتب بالأخرى ولا صلة مطلقاً بين الواحدة والأخرى ، وإما أن يكون كما هو الآن متنكراً يعيش ويكتب فلا تعرفه على حقيقته ما عاش أو كتب

والأستاذ محمد عبد الوهاب لا يخلو له لحن من نص موسيقى يستحسنه فى موسيقى سيد درويش أو فى الموسيقى الغربية ؛ ولا معنى لهذا إلا أن يكون الأستاذ عبد الوهاب عاجزاً عن إطلاق روحه بالتعبير الموسيقى ذى العاطفة أو الخيال على وجه من الحسن يرضيه، أو أنه عاجز عن التعبير الموسيقى أصلاً . فإذا أضفنا إلى اضطرابنا هذا فى أمره أنه كثيراً ما يخطئ فى التصور الموسيقى فيصور الفرح بأنغام الحزن ، والحماسة بأنغام الخلاعة ، والأنين بأنغام الطرب، عزز هذا لدينا سوء الظن به وقادنا هذا إلى الحكم على فنه بأنه مقطوع الصلة بالروح ، وإلا كانت روحه مجنونة مختلطة الأحاسيس تضطرب إذ تشعر وإذ تعبر عن شعورها وهو ليس كذلك ، وإنما روحه هى المنصرفة إلى شىء آخر غير الإبداع الموسيقى لأنها لم تخلق له . فالأستاذ محمد عبد الوهاب فنان متنكر مثل الأستاذ أحمد أمين

والأستاذ محمد ناجى الذى يقنع فى فنه بأن يرسم خطوطاً تشبه ما يراه من الخطوط فى الخارج ، وأن يصبغها بألوان تشبه ما يراه من الألوان فى الخارج — لا يمكن أن يزيد فى اعتبار الفن « الرسم » على أنه نقاش أمين — إذا كان أميناً — يغنى الفنان الذى يحتاج إلى نسخ كثيرة من الصورة الواحدة على آلة من آلات الطباعة ، زد على ذلك أنه يحتاج دائماً إلى شرح صوره بكلام وإشارات يتقنها أكثر مما يتقن التصوير ، ويصل بها إلى إقناع جمهوره الذى يدعوه إلى مشاهدة صوره أو الذى يبيع له صوره، بجمال هذه الصور وروعتها، إذ يقعد هذا الجمهور عن إدراك هذا الجمال إذا اكتفى بالنظر إلى هذه الصور . فالأستاذ ناجى هو أيضاً مثل صاحبيه فنان متنكر : يحترف شيئاً لا يتقنه ، ويتقن شيئاً لا يحترفه

أما الأستاذ جورج أبيض الذى لم يتقن إلى اليوم إلا الأدوار الثلاثة أو الأربعة التى تعلمها أيام كان طالب بعثة التمثيل المصرية فى باريس وهى عطيل ولويس الحادى عشر والملك لير ومضحك الملك فيما أظن، وقد أتقنها جميعاً بالأسلوب الفرنسى التلحينى الذى تعلمه فى فرنسا والذى يصرخ فى مشاهديه بين كل كلمة وأخرى، وبين كل حرف وآخر بأنه تمثيل ليس فيه من الطبيعة ولا حتى من التطبع شىء . . . الأستاذ جورج أبيض الذى انحصر فنه فى هذا وحده يحرجنا كثيراً إذا طالبنا بأن نعترف له بأنه فنان فيه روح نافذة معبرة ... تظهر فى تمثيله ...

وقد يسألنا سائل كيف نجح هؤلاء الأساتذة فى حياتهم على الرغم مما تنكره عليهم جميعاً من صلة فنونهم بأرواحهم . ونحن نجيب عن هذا بأن ثلاثتهم: أحمد أمين ومحمد عبدالوهاب ومحمد ناجى قد نجحوا لأن لهم أرواحاً تسرى فى أعمالهم ولكن من طريق



من الذرة إلى الألكترون

الكهرباء كالمادة ظاهرة ذرية

للدكتور محمد محمود غالى

تتبع الكهرباء التطورات ذاتها التى تتبعها المادة – الكهرباء تركيب ذرى شبيه بالتركيب الذرى للمادة – التحليل الكهربائى وقانونه لكاشفه « فراداى » أول دليل على التركيب الذرى أو الحبيبى للكهرباء – الأشعة الكاثودية دليل ثان على هذا التركيب الحبيبى – نظرة للألكترونات المهاجرة والمكونة للأشعة الكاثودية – تكبر ذرة الهيدروجين الألكترون الذى يدور فيها أكثر ما تكبر الشمس المشترى الذى يدور حولها .

تُرى هذه الرمال الفسيحة ، وهذا الخلاء الشاسع والسكون الرهيب ، تُرى هذا القمر الساطع والمُشترى يتألق فى الفضاء ، والمرّيخ تراه فى هذه الليلة من السنة فى أقرب مكان لجارته الأرض – تُرى فى هذه الصحراء المجاورة لمصيف « سيدى بشر » بعيداً عن الضوضاء نستطيع أن نطلع القارىء على موضوع يُعد من أهم ما قدمه العلماء فى السنين الأخيرة ؟ – هذا الموضوع خاص بالتعرف على الألكترون بعد أن تعرفنا على الذرة وهو من المكونات الأساسية فى الذرة ومنه يتكون التيار الكهربائى .

كانت السنون تتتابع والاختراعات تتوالى ، والاكتشافات آخذة طريقها فى الازدياد ، ولا يدرى أحد ما يخبئه الغد من مفاجآت علمية ، وما يحمله القدر فى طياته من تطورات يتوقف عليها مستقبل الإنسان – تُرى ما بداخل الذرة ؟ – هذا العالم الصغير الذى حدثنا القارئ أنه من الضآلة بحيث أن النسبة بينه وبين كرة من الصلب يبلغ قطرها حوالى ٣ر٥ سنتيمترات كالنسبة بين حجم هذه الكرة والكرة الأرضية

أو يَسْبَحُ فى هذا العالم المتناهى فى الصغر عوالم أصغر منه ، عوالم يسميها العلماء اليوم الكترونات ؟ – أو تسبح هذه الألكترونات تارة حرة طليقة فى المادة أو فى الفضاء بسرعة عجيبة هى سرعة الضوء[1] وطوراً تسبح دائرة ومقيدة حول نواة وسطى فى الذرة وتكون مع النواة الذرات السابقة الذكر ، وهل توجد ظواهر طبيعية تدلنا على هذه العوالم الجديدة المتناهية فى الصغر – كل هذا نود لو نعرفه ونود أن نعرف المناسبات التى استدل بها العلماء على هذا التحليل الجديد للمادة . هذا التحليل الذى يذهب بنا بعيداً عن حدود الذرة ويدخل بنا فيها

* * *

لقد تكلمنا عن الزمن الذى يمر علينا وتتعين بمروره الحوادث وتكلمنا عن الحيز أى الفضاء الذى تحدث فيه هذه الحوادث ، وشرحنا ما يفهمه العلماء من المادة وكيف تنقسم إلى عناصر وكيف تتكون العناصر من الذرات المختلفة ، وحسبى أن الشخص العادى يدرك أن هناك ظواهر عجيبة تختلف عن المادة، من بينها

(١) لقد قاس العلماء سرعة الضوء بطرق مختلفة وهي تساوي ثلاثمائة ألف كيلو متراً فى الثانية تقريباً

التجارة والإعلان لا من طريق الفن ، وعلى هذا الأساس يتحقق رأينا ويصبح هؤلاء السادة الأفاضل فنانين تجاراً معلنين ، وإن كانوا غير فنانين فى هذه الفنون الجميلة التى تصدوا لها ، والتى عرفهم بها الناس

أما سر نجاح الأستاذ جورج أبيض فلا شك أنه رضاء الله عنه ، فهو رجل طيب ما كان الله إلا ليجبر خاطره .

وأخيراً ، فهكذا يقسو مقياسنا ، ولكنه هكذا يرحم حتى هؤلاء إذ يعتبر كلا منهم فناناً فيما يسر له . . .

عزيز أحمد فهمى

ظاهرة الكهرباء ، ويدرك أن ثمة فارقاً كبيراً بين أسلاك الترام المرفوعة على الأعمدة فى شوارع العاصمة معتبرة مادة مصنوعة من النحاس وبين الأسلاك ذاتها بعد مرور التيار الكهربائى فيها — كلنا يسمع عن ظاهرة الكهرباء ولا يراها ، كلنا يعرف أنه يكفى مرور هذا التيار الذى لا نراه فى الأسلاك المرفوعة لتسير مركبات الترام من محطة إلى أخرى — كلنا يعرف أن الكهرباء ظاهرة تختلف عن المادة وإن ظهرت فيها

ومن العجيب أن تتبع الكهرباء فى تطوراتها الطريق ذاته الذى تبعته المادة ، إذ تنتهى هى أيضاً بالذرية الكهربائية كما تنتهى المادة بالذرية المادية ، وقد استترت الكهرباء بادئ الأمر وراء نوع من الظواهر المستمرة والمنتظمة ، وهو الوضع الظاهر الذى يبدو لنا فى مختلف الظواهر الكهربائية ، ومع ذلك فقد انتصرت فى نهاية الأمر فكرة التركيب الذرى أى الذرى للكهرباء كما انتصرت قبل ذلك الفكرة ذاتها فى كل ما يُكَوِّن المادة فى الكون

على أنه كان من الصعب تصور هذا التركيب الذرى فى حالة الكهرباء إذ لو جاز لنا أن نتصور للمادة تركيباً حبيبياً ، كل حبة مستقلة ومماثلة للأخرى فإنه لا يجوز لنا بسهولة أن نذهب إلى تعميم هذه الحالة ذاتها فى الكهرباء فنفرض لها تركيباً حبيبياً مماثلاً للتركيب المادى ونفرض بذلك ذرة كهربائية لا يمكن تجزئتها فإن الأمر الأخير يبدو غريباً ويتطلب منا براهين قوية على وجوده . ذلك لأننا نتصور الكهرباء فى المادة حالة طارئة على الجسم أكثر ما نتصورها جسيمات تجرى فى أنحائه ، بل إننا نتصورها مجموعة من القوى أكثر مما نتصورها مادة فى الوجود ، ومع كل ما تقدم ومع مخالفة حقيقة الكهرباء لخيالنا وتصوراتنا فإن الفكرة المادية للكهرباء قد ثبتت أخيراً ونجحت نجاحاً لا يمكن أن يضعها أحد العلماء اليوم بسهولة محل الشك ولا يمكن أن يبعدها عن حظيرة اليقين .

***

لننتقل بالقارئ إلى إثبات الفكرة الذرية للكهرباء :

لقد كان الدليل الأول على وجود الذرة الكهربائية التى أسماها العلماء الألكترون فى قوانين « الألكتروليس »[1] وهى القوانين التى تخص انتقال الكهرباء فى السوائل ، هذا الانتقال المرتبط بتحليل كيميائى يقع فى هذه المواد الموضوعة فى السائل

نذكر أن فاراداى Faraday الإنجليزى هو الذى كشف القانون الأساسى فى هذا الموضوع والذى يتلخص فى أن كمية من أى مادة تتحلل كهربائياً ترتبط بعلاقة بسيطة مع قدر التيار الكهربائى ومع الوزن الذرى للجسم الموضوع فى السائل ، بحيث إذا أرسلنا تياراً كهربائياً معيناً فى محاليل مختلفة فنرسل التيار مرة لنحصل على عنصر معين ، ونرسل التيار ذاته مرة أخرى للحصول على عنصر آخر فإننا نحصل على التوالى على العنصرين بواسطة هذا التيار الكهربائى بكميات مختلفة ولكنها بالنسب التى تعينها المعادلات الكيميائية لهذه العناصر فى جزيئات المحاليل الموجودة فيها

ولم يكن ثمة تفسير لهذه الحالة ولارتباط التحليل الكهربائى بالوزن الذرى إلا أن كل ذرة من ذرات العناصر المختلفة تحوى عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية وأن الكهرباء وحدات مستقلة غير متصلة كما أن المادة وحدات مستقلة ومنفصلة

وعلى هذا لا تتوزع الكهرباء بكميات اختيارية فى الأجسام بل إن كل ذرة مادية تحوى عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية فهى تحوى واحدة أو اثنتين أو خمسين مثلاً أى عدداً كاملاً ليس

(١) يكون موضوع التحليل الكهربائى و « الألكتروليس » إحدى المواد المتعددة فى علم الطبيعة العامة ، هذا العلم الذى يتكون من الضوء الموجى والمناطيسية والكهرباء بنوعيها والذبذبات و « الترموديناميكا » والصوت « والألكتروليس » والأجهزة الكهربائية ، ويدرس الطبيعة العامة فى السوربون بباريز عدة أساتذة من أعلام العلم فى العالم المتمدن لا شك أنه ليس لدينا مثيل لهم فى مصر والشرق القريب وهم معروفون بأعمال علمية خالدة أذكر منهم « كوتون » رئيس المجمع العلمى الفرنسى وتكلمنا عن بعض اكتشافاته ، وفابرى عضو المجمع العلمى ، وكروز ، ودارموا المعروفين بأبحاثهم العديدة ، والأستاذ الكبير « جيبه » المعروف بدراسته للذبذبات وظاهرة « الستروبوسكوبى » والمعروف باختراعه لعدة أجهزة — أعتقد أنه أول من اخترع السينماتوغراف وكان ذلك قبل لويس لميير المعروف أنه مخترعه ، وقد أرانى الأستاذ « جيبه » أول جهاز سينماتوغراف فى العالم من صنعه . ومما هو جدير بالذكر أن كل أستاذ تتغير مادته من عام إلى عام ويسمح هذا للباحثين بسماع نفس الموضوع على أستاذين كبيرين — أذكر أن درس « دارموا » موضوع الألكتروليس فى عام ١٩٢٧ وقد أصبح من المواضيع اللازمة اليوم لمن يريد أن يتتبع العلوم الطبيعية .

به كسور الوحدة المعتبرة شخصية لا تستطيع الوجود فى المكان والزمان إلا كاملة . إنك تستطيع أن تدعو عدداً معيناً من الأصدقاء لتناول الغداء فتستطيع أن تجمع على مائدتك سبعة منهم أو ثمانية أو أكثر ، بحيث إذا أردت أن تزيد عدد المدعوين فإن أقل ما تستطيعه أن تزيدهم فرداً واحداً ما دمنا نتكلم عن أصدقاء أحياء يسمون إليك بدعوة منك؛ وليس لك أن تفكر أن تدعو من الأصدقاء أكثر من السبعة وأقل من الثمانية فإن هذا غير موجود فالأصدقاء لا توجد إلا بالواحد وليس بجزء منه. كذلك اتجهت الفكرة فى الكهرباء أنها لا توجد أو تزيد إلا بالوحدة الكهربائية التى لا تتجزأ بحيث اتجهت الفكرة فى بادئ الأمر بأنه ليس هناك حالة كهربائية بل أن ثمة ذرات كهربائية تشبه الذرات المادية موجودة فى الذرات المادية أو عليها . ولقد لفت النظر إلى هذه الحقيقة (هلمولتز) Helmholtz فى سنة ١٨٨١ وهو الطبيب الفيسيولوجى الألمانى الذى منحته جامعة برلين كرسياً فى الطبيعة فى سنة ١٨٧١ والذى رفعته أعماله فى الضوء والكهرباء والصوت إلى مصاف علماء القرن التاسع عشر. ويسمون « يون » وفق النطق الفرنسى أو « أيون » وفق النطق الإنجليزى وتكتب فى اللغتين Ion ، الذرة محملة بالكهرباء أو مجموعة معقدة من الذرات مجتمعة ومحملة أيضاً بعدد من الوحدات الكهربائية ويتكون « اليون » بانقسام أو تقطيع أوصال جزىء غير مشحون بالكهرباء Molecule neutre فمثلاً تتحلل سلفات النحاس Sulfate de cuivre إلى ذرات من النحاس محملة بالكهربائية الموجبة وبقايا من الكبريت والأكسيجين محملة بالكهربائية السالبة وتسمى الأولى باليونات الموجبة والثانية بالسالبة ، ويحمل اليون الواحد ذرة واحدة أو أكثر من الذرات الكهربائية

وقد درس « لانجفان » Langevin العالم الفرنسى الذى انتخب أخيراً عضواً فى المجمع العلمى الفرنسى ما نسميه اليونات الكبيرة واليونات الصغيرة وأتم فى هذا دراسة معروفة قام بها منذ أعوام فى أعلى برج « إيفيل » فى باريس حيث نعرف أن هذا العالم الدائب اليوم فى العمل للاشتراكية والمسائل الاجتماعية العامة، قضى نحو ستة أشهر فى أعلى البرج للقيام بهذا البحث الذى يحمل اليوم اسمه والذى يذكرنا بدراسة « مارسيل بريلوان » Marcel Brillouin لدراسة كروية الأرض بطرق ضوئية مدى أشهر طويلة فى ست غرف موزعة فى نفق سامبلون المعروف

وشأن الكثير من مجموع المعارف التى تكون ميراثنا العلمى اليوم لم يقف البرهان على هذه الحالة الذرية للكهرباء عند قوانين « الألكتروليس » المتقدمة والعلاقة بين الوزن الذرى للعناصر وبين شحنتها الكهربائية عند ما نعمد إلى تحليلها كهربائياً ، وإنما وجدت الفكرة الذرية الكهربائية برهاناً جديداً من طريق يختلف كل الاختلاف عن طريق التحليل الكهربائى المتقدم الذكر ، ذلك أنه أمكن للباحثين فصل الكهرباء عن المادة التى تحملها ، وبهذا أمكن البرهنة على أن الكهرباء مادة مستقلة فى الحيز وأن لها صوراً منفردة فى الفضاء . وإلى القارئ كيف توصل العلماء إلى ذلك :

عند ما يحدث تفريغ كهربائى داخل « أمبول » مفرغ من الهواء وهو غلاف زجاجى كالغلاف المكون للمصابيح الكهربائية فإنه يتكون داخل « الأمبول » بثق من الضوء ضعيف وملون، وهذا الضوء ناتج من تصادم الألكترونات مع جزيئات الهواء المتبقى داخل « الأمبول » بعد تفريغها عند انتقال الألكترونات السريعة من القطب الموجب داخل « الأمبول » إلى القطب السالب ، بحيث يظهر أثر هذا التصادم القوى بهذه الإضاءة . ولو أننا عمدنا إلى زيادة تفريغ ما بداخل الغلاف الزجاجى من هواء فإن هذا الضوء يتضاءل لقلة عدد جزيئات الهواء التى تتصادم مع الألكترونات المقذوفة ويبدأ أن يكون للغلاف الزجاجى لون أخضر تحت تأثير هذا القذف الألكترونى، وهذا اللون الأخضر حادث من تصادم هذه الألكترونات مع جزيئات الزجاج . وتتضح هذه الحقيقة بأننا لو وضعنا أى جسم داخل الغلاف الزجاجى فى طريق هذه الألكترونات وليكن حلقة معدنية مثلاً فإن صورة هذه الحلقة ترتسم على الزجاج وسط اللون الأخضر . وتمين الصورة المواضع التى غابت عنها الصدمات بحكم الجسم الذى وضعناه فى الطريق ، ويمكن الاستدلال أيضاً على اتجاه هذه الألكترونات ومسار هذه الأشعة الألكترونية التى ثبت أنها تسير من القطب السالب إلى القطب الموجب ، وقد أسمى العلماء هذا السيل من الألكترونات الأشعة الكاثودية Rayons Cathodiques نسبة إلى القطب السالب الذى يسمى الكاثود

هنا تساءل العلماء عما إذا كانت هذه الأشعة داخل (الأمبول) أشعة موجية Ondulatoires أو أشعة حبيبية Corpusculaires

ولقد ثبت أنها أشعة حُبَيْبِيَّة أى جُسَيْمِيَّة، إذا قربنا مغناطيساً من الأمبول فإن هذه الأشعة تنحرف عن طريقها تبع وضع المغناطيس. ويبدو لنا ذلك من انتقال البقعة الخضراء على الغلاف الزجاجى، وفى هذا دليل على أن الأشعة مكونة من جسيمات صغيرة يتجاذبها المغناطيس فى مواضعه المختلفة الذى نعلم أنه لا يؤثر إطلاقاً على الموجات الكهربائية. ويقول ريشنباخ Hans Reichenbach فى كتابه «الأتوم» الذى ترجم للفرنسية موريس ليكا Maurice Lecat : إن هذه الكهرباء المادية جسيمات مهاجرة وإن التيار الكهربائى يُمثل مجموعة من الأفراد المهاجرين من قطب إلى قطب

وبالطريقة ذاتها التى يؤثر بها المجال المغناطيسى على هذه الأجسام المهاجرة يؤثر أيضاً المجال الكهربائى على طريقها، وقد وضع الباحثون كفتين معدنيتين فى طرفى «الأمبول» بينهما فارق فى الضغط الكهربائى، ولاحظوا انحراف الأشعة الكاثودية بنفس الطريقة التى تنحرف فيها عند وجود مجال مغناطيسى ويزداد هذا الانحراف مع القوة الكهربائية المستعملة

ولقد وجد العلماء فى قياس درجة هذا الانحراف طريقة لقياس كتلة الألكترون أى كتلة واحدة من بلايين البلايين الأفراد المهاجرة، ذلك أنه يمكن معرفة القوة الجاذبية من معرفة شدة المجال الكهربائى أو المجال المغناطيسى كما أنه يمكن معرفة الشحنة الكهربائية لأحد هذه الألكترونات، وذلك بالالتجاء إلى تجارب أخرى وعدنا القارئ بشرحها قريباً عند ما نتحدث عن تجارب «بيران» الفرنسى «ومليكان» الأمريكى، ومن الجلى أن يدرك القارئ أن بهذه المعارف يمكن التوصل لمعرفة كتلة الألكترون، لأن ثمة علاقة سهلة بين كتلة الجسيم وبين الدرجة التى ينحرف بها فى مجال معروفة قوته.

وقد توصل الباحثون لحساب هذه الكتلة فوجدوا أنها حوالى $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من كتلة أخف ما نعرفه من الذرات، وهى ذرة الهيدروجين. وبناء على ما تقدم فالألكترونات جسيمات تصغر كثيراً جميع الذرات الكيميائية المعروفة، وقد توصل العلماء أيضاً إلى معرفة شحنة الألكترون وهى تمثل كمية الكهرباء التى يحملها تيار مقداره واحد على عشرة آلاف مليون من الملى أمبير يستمر مروره مدة واحد على مليون من الثانية.

وتذكرنا النسبة الخاصة بكتلة الألكترون وكتلة نواة ذرة الهيدروجين النسبة بين كتلة الشمس وكتلة الكواكب الكبيرة التى تسير حولها، إذ تبلغ كتلة الشمس ١٠٥٠[١] مرة تقريباً كتلة المشترى[٢] Jupiter أما النسبة بين كتلة الشمس وكتلة إرانوس وهو الكوكب التالى فى الكبر للمشترى فتبلغ ٣٥٠٠[٣] تقريباً، وعليه فإن كوكباً فرضياً يكون أصغر كتلة من المشترى وأكبر من إرانوس، وتوازى كتلته كتلة الأرض ١٦٧ مرة تقريباً، تمثل النسبة بين كتلته وبين كتلة الشمس النسبة بين كتلة الألكترون الحائر داخل ذرة الهيدروجين وكتلة هذه الذرة

ولا شك عندى أن ثمة شموساً أخرى غير شمسنا وكواكب أخرى غير كواكبها توجد فيها هذه النسبة صحيحة فإن قوانين المصادفة وتمدد الشموس وإمكان اقتراب بعضها من بعض وطول الزمن يحتم علينا أن نقبل وجود هذه النسبة فى الكون. ومن يدرى فربما يكون لهذه النسبة علاقة بالخليقة والوجود...

هذا الألكترون الحائر، هذا الكوكب الصغير بالنسبة إلى الذرة لا يكفى فى الكلام عنه هذه الأسطر التى نعتبرها مقدمة لموضوعه ودليلاً على وجوده. هذا الموضوع سنتناوله مع القارئ، ونأمل أن يساعدنا هذا السكون بعيداً عن الضوضاء على تتبعه

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

---

(١) النسبة المضبوطة ١٠٤٨

(٢) المشترى أكبر الكواكب السيارة التى تدور حول الشمس إذ يبلغ حجمه حوالى ١٢٩٥ من قدر حجم الأرض وتبلغ كتلته ٣١٨و٣٦ كتلة الأرض — أما حجم الشمس فيبلغ ١٣٠١٢٠٠ مرة حجم الأرض وكتلتها تبلغ حوالى ٣٣٣٤٠٠ كتلة الأرض

(٣) النسبة المضبوطة تساوى ٣٥٠٢

من هنا ومن هناك

هل تقضى الحرب القادمة على المدنية؟

[عن مقال الكاتب العالمى « ج . ب بريستلى »]

طالما تردد على أسماعنا أن العالم إذا ابتلى بحرب عالية جديدة فمعنى هذه الحرب القضاء على المدنية . وقد يبدو هذا الكلام صحيحاً ، وقد يدفعنا لتذكير بعض الناس بأن الحرب لم تمد ذلك الحادث الخيالى الذى يسمعون به من بعيد . ولكن هذا القول فى الحقيقة لا يحمل نصيباً من الصحة . وهو فى نظرى قول بعيد كل البعد عن الصواب ، فأنا لا أستطيع أن أتصور أن العالم أجمع يتفانى فى هذه الحرب

فمن المحتمل كثيراً إذا وقعت الحرب أن تترك ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا للخراب والإفلاس . ولكن من الخطأ أن نظن المدنية متاعاً موروثاً لتلك الدول فيقضى عليها إذا حل بها الدمار . فهذا قول ظاهر البطلان

إننى أرى مجرى المدنية يتحول عن أوربا الغربية . وأتوقع أنه إذا جاء مؤرخ بعد بضع مئات من السنين ليؤرخ هذه الفترة من الزمن ، ويسجل التقدم الذى أحرزه العالم فيها سوف لا يقول إذن ماذا كانت تفعل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا

إننى أعتقد أنه سوف يرى بغير غموض أن حركة التقدم التى شملت العالم الحديث فى هذا القرن ، قد انتقلت من الأمم المعروفة بالأمم الصغيرة فى هذا العصر إلى الأمم العظمى ، ومن سكان الجزر الصغيرة إلى سكان القارات والممالك الكبيرة

ولمعرفة ذلك يجب ألا ننظر إلى ما تم وانتهى ولكن إلى ما يتم . ومما لا شك فيه أن انتشار التعليم من أقوى الدلائل على هذه المدنية الجديدة. فحيثما يحل العلم محل الجهل، تقوم دعائم المدنية

إننى حينما أسمع كلمة انتهاء المدنية يتجه نظرى حول العالم أجمع فأتذكر تلك الجامعات والكليات التى عمرت بها أوربا الوسطى وقد كنت أحاضر بها فى الخريف الخالى . كم من أمثال هذه الجامعات فى العالم ؟!

قد يكون من السهل نقد نظام التعليم فى تلك الجامعات التى أشير إليها . وقد نستطيع أن نقول إنه سيمضى زمن طويل حتى تكون كجامعات كبردج واكسفورد وقد نجد الحجة أمامنا فى ضعف المواد التى تدرس بها وعدم وصول طلابها إلى الدرجات العليا فى التعليم

ولكننا إذا نظرنا إلى ماضيها المجدب وقسناه على تقدمها المحسوس نحو المدنية والرقى عرفنا كيف تأتى هذه الأمم بالمعجزات

إننى أجيل النظر حول العالم كما قدمت فأذكر الصين مثلاً وقد أنشئت فيها الجامعات وانتشرت فى بلاد لا يكاد يسمع باسمها الإنسان . وإذا كانت اليابان قد دمرت بعضها فى غزوها فإن تلك الجامعات تشاد فى أماكن أخرى بعيدة عن أماكنها السابقة ولو أدى الأمر إلى بنائها وسط الكهوف والأحراج

وهكذا أصم أذنى حينما أسمع كلمة الحرب وانتهاء المدنية . فهذا تشاؤم لا مبرر له ووهم لا أساس له من الحقيقة . إن المدنية تسير فى طريقها . وهو على كل حال طريق ليس من السهل على القذائف والمدمرات أن تناله بسوء

الهند الطموح

[عن مقال الزعيم الهندى « جوهر لال نهرو »]

إذا كانت الوطنية هى التى خلقت الأمم الأوربية منذ مائة سنة أو أكثر ، وهى التى أقامت الدعائم للمدنية التى يكاد بناؤها أن ينهار فى السنين الأخيرة ، فما لا شك فيه أن الوطنية هى القوة التى تحفز الأمم الشرقية التى تئن تحت نير الحكم الأجنبى للسعى وراء الحرية فى هذه الأيام فألفت بين قلوب أبنائها وشدت من عزائمها وأطلقت روحها الحبيسة من عقالها ، وتلك ناحية سامية فى حياة تلك الأمم ، تضيف نجاحاً جديداً إلى النجاح الذى نالته الحرية فى تاريخ الإنسانية . إلا أنها على الرغم من ذلك لم تستطع الخروج بها عن تلك الدائرة الضيقة ، إذ أن انشغال الأمم بالسعى وراء حريتها لا يترك لديها مجالاً للتفكير فى شىء آخر، ولم تستثن

الهند من هذه القاعدة . فالهند في كفاحها قد نسيت العالم برهة من الزمن ولم تفكر في غير شأنها . إلا أن القوة التي أحرزتها ، والثقة التي أحياها النجاح في نفوس أبنائها ، قد جعلتاها تفكر في دائرة أوسع وأعم

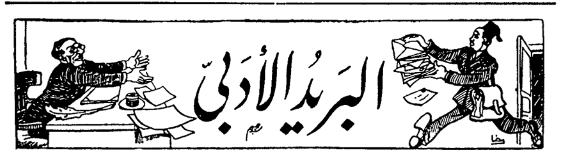
إن غزو اليابان لمنشوريا قد أوجد شيئاً من العطف على الصين ، كما أن اغتصاب إيطاليا للحبشة قوبل باستياء شديد ، وكذلك المأساة التي حلت بوسط أوربا قد قابلها العالم بالأسف العميق ، ونحن لطول تجاربنا للأمبراطورية البريطانية ، لم نصدق شيئاً من وعودها للأمم الضعيفة ، ولم نثق بمعاونتها في عصبة الأمم ، لذلك كنا نتتبع سياستها الخارجية باهتمام ، وقد أصبحت معارضتنا لنفوذ الأمبراطورية البريطانية جزءاً من سياستنا التي تعارض كل نفوذ إمبراطوري أو فاشي في أنحاء العالم

لذلك كانت بعثتنا الطبية إلى الصين ، والمؤونة التي أرسلناها إلى أسبانيا باسم الهند ، من الطرق التي اتخذناها لنبين سياستنا الخارجية ، واستقلالنا بها عن بريطانيا . وأكثر من ذلك فقد اطرحنا جانب التفكير في أي مساعدة حربية إذا ثارت الحرب . إن الشعب الهندي وحده هو الذي سيقول إذا كانت الهند تدخل الحرب أولا تدخلها. وأي إرادة تملى عليه من الحكومة البريطانية ستقابل بالرفض . يجب علينا أن نقرر سياستنا الخارجية بأنفسنا ، وكذلك سياستنا المالية والحربية ، ولنا الحرية التامة في الارتباط بالأمم الأخرى

إن سلطان الإمبراطورية البريطانية يتلاشى أمام أعيننا ، وليس لديها إزاء الهند غير طريقين: الطريق الطبيعي والمنطقي الذي يلزمها بالتنازل للهند عن حقها في تقرر مصيرها على قاعدة الحرية التامة وإلغاء المجلس الذي أقيم لتمثل إرادتها المطلقة

والطريق الآخر هو الذي تستطيع الهند أن تملى فيه أحكامها القاسية عليها حيث تصطدم بالوطنية الهندية . وإذا كانت هذه الطريق ستؤخر حريتنا قليلاً إلا أنه مما لا شك فيه أنها ستؤدي إليها وتظهرنا على أمور لم تكن في الحسبان . من أجل ذلك نرى الحكومة البريطانية تتجنب مع الهند أي حركة من شأنها أن تدعو إلى العنف

إنهـا قد ترحب باتفاق ودي مع الوطنيـة الهندية يكون نتيجة إقامة المجلس الوطني، ولكن ذلك سيؤدي بلا شك إلى الطريق الذي ابتدأت منه ، وذلك ما نخشاه



حماية الملكية الأدبية

عنيت وزارة التجارة والصناعة بوضع تشريع لحماية الملكية الأدبية فى مصر ، إلى جانب ما أخذت فى وضعه من تشريعات أخرى لحماية براءات الاختراع ، وحماية الملكيات الفنية والموسيقية وغير ذلك مما تنتظم معه حياة استغلال المواهب ، وتستقر به حقوق المؤلفين والمبتكرين .

وقد انتهت إدارة التشريع بوزارة التجارة من وضع أساس هـذا التشريع وعرضته على معالى وزير التجارة توطئة لاتخاذ الاجراءات الخاصة بإصداره

وقد رؤى أن يشتمل هـذا القانون على مادة خاصة بحماية حقوق المؤلفين الأجانب ، أملاً فى أن يمهد ذلك لاشتراك مصر فى الجمعية الدولية لحماية حقوق المؤلفين، فيحفظ للمؤلفين المصريين عن طريقها حقوقهم فى مؤلفاتهم فى البلدان الأخرى .

مغالطة

قلت فى الرسالة (العدد ٣١٤ ، باب رسالة النقد) إن هذا الكتاب : « مجموعة محاضرات دُرْكايم » لا وجود له . وهى « المجموعة » التى استند إليها الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم فذكر عدداً من صفحاتها (أجل !) رجاوة أن يدل على أنه قرأ فيها هذا التعبير Une somme de rapports sociaux ثم عاد الأستاذ أدهم (الرسالة العدد ٣١٧) يقول — غير هيّاب — : إن هذه المجموعة موجودة وهى تحمل اسم Les Règles de la méthode Sociologique التى طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥ ، فمن المجموعة (كذا !) الاجتماعية لمكتبة F. Alcan بباريس على أنها Travaux de l'Année Sociologique ثم زاد فقال: «والنسخة التى تحت (يريد : بين) أيدينا (يريد : يدينا) هى الترجمة الانجليزية وفيها العبارة مترجمة sum of social rapports والترجمة بقلم G. W. Swain ... وراجعنا اليوم نسخة من طبعة عام ١٩١٢ فى الفرنسية ، والعبارة وجدناها (يريد : ووجدنا العبارة) ترددت أكثر من مرة (يريد : غير مرّة) » . اهـ كلام أدهم

والرد الواضح على هـذا أن ترجمة عنوان الكتاب الفرنسى Les Règles de la méthode Sociologique (وما هو بمجموعة كما يدعى الأستاذ أدهم ، فقد قرأته على أساتذتى فى السربون غير مرة) هى : قواعد (أو أصول) المنهج الاجتماعى (أى منهج علم الاجتماع) . فأين تعبير « مجموعة محاضرات » ؟ وترجمة هذا التعبير الأخير : Recueil de Conférences

وإن زاغ الأستاذ أدهم فذهب إلى أنه ترجم العنوان الشامل وهو Travaux de l'Année Sociologique (وما هو بعنوان الكتاب المذكور قبلُ) فترجمة هذا العنوان الأخير هى : أعمال « السنة الاجتماعية » (وهى مجلة) . فأين تعبير : « مجموعة محاضرات ... » ؟

وهـذا يدل على أحد أمرين كما قلت فى مقالى السابق : فإما أن الأستاذ أدهم لا يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية لرقة معرفته باللغة الفرنسية ، وإما أنه يبتدع المصادر على سبيل التهويل . وله أن يختار أحد الأمرين ، وأنصح له أن يختار الأول فهو أهون شراً (١)

(١) يورد الأستاذ أدهم ترجمة الجملة الفرنسية باللغة الانجليزية هكذا sum of social repports ثم ينسبها إلى G. W. Swain فأين اسم الكتاب فى الانجليزية وتاريخ طبعه ولا سيا رقم الصفحة حتى يراجع المراجع الترجمة وينظر فى كلمة repports ومعناها مغاير لمعنى كلمة rapports الفرنسية ؟

ثم إن الأستاذ أدهم يقول : إن التعبير الفرنسى ...une somme (وهو ليس من خلقى كما أكدت من قبل دفعا لاتهام واهم) ترددت « أكثر من مرة » فى كتاب « قواعد المنهج الاجتماعى » . فأين الصفحات ؟ إنى أحب أن يرشدنى الأستاذ أدهم إلى مظان لا تغيب عنى !

ومن ذلك كله يتبين أن الأستاذ أدهم يحسن الإبهام من طريق المغالطة . وهو ممن لا يخشى أن يستكره الحجج على مواضعها فيجتلبها اجتلاباً . ثم إنه ممن ينحرف إلى ارتجال المصادر ارتجالاً ؛ وقد بينت ذلك في المقال السابق من الرسالة وفي مقتطف أغسطس . ولن أنسى أن الأستاذ أدهم استند إلى الإصحاح الرابع عشر من سفر دانيال « العهد القديم » وكل السفر اثناعشر إصحاحاً ، وأنه استند إلى الجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، على حين أنه يقع في جزء واحد ؛ ولعل القارىء لم ينس ذلك (راجع الرسالة العدد ٣١٤) .

وبعد ، فإني لم أكتب هذه الكلمة ، متعقباً فيها قولاً للأستاذ أدهم (وقد والله سئمتُ تعقب أقواله كلها) ، إلا ليعلمَ أني لا أزال أعده أجنبياً عن العلم الصرف ، بعيداً عن مطارح الثقة والدقة . فليتروَّ وليتحرَّز قبل الكتابة وليفطن إلى أن في مصر وفيمن غاب عنها لأجلٍ من له بالمرصاد ، مهما لوَّى قلمه وكابر .

ولعله يقول إن هذا التعقب « شكلي » ، وهو قول طالما يفزع إليه ويستغيث به . فالذي أعرفه أن الدقة والأمانة في تدوين المصادر مما يعظم شأنه في جامعات فرنسة وانجلترة وألمانية وإيطالية ومصر ! وأما علمي بما يجري في جامعة موسكو — حيث تلقى الأستاذ أدهم صنوف العلوم ، كما جاء في مجلة الحديث الحلبية — فجدُّ قليل .

(تلال الفوج — فرنسة) بشر فارس

حول نعيم الجنة

شددنا النكير على الدكتور زكي مبارك لقوله : « اشغلني عنك يارباه ، بما سيكون في الجنة من أطايب النعيم » فكتب يقول : إنه لم يقل هذا وإنما قال : « اشغلني عنك ، يا رباه ، بما في الجنة من أطايب النعيم فإن بصري أضعف من أن يواجه نورك الوهاج » وزعم أننا حذفنا شطراً من كلامه ليجوز أن نقول عن شطر (فهل رؤي سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين في دعاء زكي مبارك هذا ؟) ، في حين أن عبارته بشطريها (غاية الغايات في الإيمان بعظمة الله ذي العزة والجبروت) ؛ هذا هو دفاع زكي مبارك . فهل يجدُّ الدكتور زكي مبارك حين يقول هذا ؟ وهل في الحق أن للجملة التي لم نذكرها ذلك الأثر الإكسيري في الجملة التي ذكرناها فتقلبها من غاية الغايات في سوء الأدب وسوء الفهم للدين إلى غاية الغايات في الإيمان بعظمة الله ذي العزة والجبروت ؟

لننظر أولاً إلى غاية غايات زكي مبارك في تعظيم الله والثناء عليه : إن بصر زكي مبارك (على حدِّه) — كما يقول في رده — أضعف من أن يواجه نور الله (الوهاج) أهذا ثناء على الله أم على بصر زكي مبارك ؟ وتعظيم لله أم تعظيم لزكي مبارك ؟ إن بصر زكي مبارك أضعف من أن يواجه نور بعض ما خلق الله . فلو أطال التحديق في الشمس لعمي ؛ بل لو حدق في القوس الكهربائي لَكلّ . فهل بلغت الغفلة بزكي مبارك أن يرى ثناء على الله ما لو أثنى به على بعض مخلوقاته لكان تقصيراً في الثناء ، فضلاً عن أن يراه غاية الغايات في الإيمان بعظمة الله ؟

ثم وصْف (الوهاج) في دعاء هذا الصوفي الذي لا يدرك معاني دعائه غير صفوة المؤمنين ، ما معناه وما مغزاه حين يصف به نور الله سبحانه ؟ إن الكلمة في اللغة توصف بها الأجسام المتألقة اشتعالاً ، وقد وصف الله بها الشمس في سورة النبأ كما يعرف كل إنسان . فكيف غاب عن الدكتور المتصوف أن وصفاً كهذا — فيه من التكييف ما فيه — لا يليق أن يوصف به نور الله سبحانه ؟ سيلجأ الدكتور إلى المجاز يلتمس فيه محملاً . فليلجأ ، وليخبرنا على أي محمل يمكن أن يحمل هذا اللفظ حين يصف به نور الله رجل يرى أن دعوى النظر إلى الله أعرض من الصحراء

الواقع أننا هممنا حين كتبنا أول مرة أن نجمل هذه الجملة التي بدَّرِيءُ بها الدكتور الآن هي أيضاً موضع نقد ولوم لولا أننا آثرنا أن ندع ما جاء منه على أي حال في صيغة ثناء ، وأن نقصر الكتابة على ما لا يمكن أن يتصور فيه عذر مما جاء في صدر ذلك الدعاء

على أننا سنفرض أن ليس في ثناء زكي مبارك هذا ما يمكن أن يكون موضع مؤاخذة أو استدراك ، فما علاقة كلال بصره عن نور الله بما جاء في صدر دعائه من طلب الانشغال عن الله ؟ أبلغت الدراسات الفلسفية بالدكتور زكي مبارك أن يرى أن ليس لما وراء البصر في عبادة الله مذهب ، فإذا لم يستطع أن يبصر فلينصرفْ عن الله وليشتغل عنه بنعيم الجنة ؟ أهذا هو حاله الذي تسامى إليه في (التصوف الإسلامي) ؟ وهل معنى رؤية الله عنده في نعمه المشكورة الاشتغال بتلك النعم عن الله ؟ أم هل في منطق فلسفته أن المؤمن بعظمة الله وجبروته يستطيع أن يجترئ على

الله ذى العزة والجبروت فيسأله أن يشغله عن نفسه سبحانه بنعيم الجنة لأى سبب من الأسباب ؟

لا . ليس من الممكن أن يكون الدكتور زكى مبارك جاداً حين يزعم للناس أن عبارته تلك قد بلغت غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله لمجرد ذكره فيها أن بصره أضعف من أن يواجه نور الله . إنه يسخر وهو يصطنع الجد كبعض من قرأ لهم من أدباء العرب أو أدباء الفرنسيين . إنه يسخر من نفسه أو يسخر من الناس ؛ لكنه يسخر فى مجال لا ينبغى لمؤمن أن يسمح للسخرية أن تحوم حوله ولو من بعيد . وقد أهبنا بزكى مبارك مخلصين أن يتوب إلى الله من اجترائه عليه وأن يخلص التوبة . فلئن أصر ليوشكن أن يسخر منه الله .

محمد أحمد الغمراوى

سعد وسعاد

فى أول كلمة كتبها شيخنا الجليل عبد المتعال الصعيدى ، كان مثار الاضطراب عنده فى القصة أن سعداً ذهب يبث شكواه إلى الخليفة مروان والخليفة معاوية فى وقت واحد . وإنما سبق ذلك إلى ذهنه لأنه مر بالقصة مراً خفيفاً فجعل (مروان) بدلاً من الخليفة فى هذه الجملة (والى تلك الجهة الأموى المفتون الدل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة ، مروان بن الحكم) مع أن سياقة القصة وما تقدم هذه الجملة من كلام لا يجعل مجالاً للشك فى أن المراد بالخليفة : معاوية وبالوالى : مروان . هـذا إلى أنى أعتقد أن مكانتى عند العلامة الصديق لا تتدلى إلى قرار أجهل الفرق معه بين عهد مروان وعهد معاوية وهو ما لا يسع أن يجهله تلاميذنا فى المدارس الابتدائية

وقد أردت أن أمهد العذر للأستاذ الكبير فيما ذهب إليه ، لأن إغضاب جملة فى مرضاة صديق ليس بالشىء الجلل ، فقلت لعل طول الجملة ألقى عليها ظلاً من الغموض ، قلت ذلك وأنا أعتقد أنى ظالم لها ، فليس فيها غموض ولا إبهام ولا تحتمل غير ما أراده منها كاتبها وغير ما فهمه القراء

ثم كان أن ظهر الشطر الثانى من القصة ووضح منه (أن الدل بمكانه من الخليفة) ليس إلا الوالى مروان بن الحكم ، وكان ذلك جديراً أن يرفع هذا الاضطراب — إن صح وجوده — لأن الاضطراب كما يعرف العالم لم يتعد منطقة (دائزيج) إلى الآن ، ولكن العلامة الصديق عاد فقرر فى كلمته الثانية أن الاضطراب لم يرتفع بل ازداد ، ومعنى ذلك : أنه لا بد من وجود الاضطراب سواء أكان مروان مشكواً منه أو مشكواً إليه ! غير أن شيخنا وقد ظهرت له براءة الجملة مما رميت به رأى أن ينقل الاضطراب — بزكائبه التى أعرفها له — إلى القصة نفسها ، فرماها بالوضع كأن كل قصة موضوعة يجب أن تكون مضطربة ! ولو أخذنا بهذا المنطق لحق العفاء على كل ثمرات الخيال

أما إن القصة موضوعة فقد أبنت رأيى فيها مع الحذر والحيطة ، ولا يسعنى إلا أن أحمد الله على أن فراستى لم تخن كما حدها الأستاذ الصديق ، فقد ألقى فى روعى أنه سيتدرج من رمى الجملة بالاضطراب إلى رمى القصة بالوضع ، فبادرت بإعلان رأيى مقدماً لأوفر عليه العناء ، ولكنه كما لم ينتظر الشطر الثانى من القصة ليتثبت من وجود الاضطراب ، لم يتريث حتى يقرأ ردى على كلمته ليعرف رأيى فى القصة

والآن أود أن يتسع صدره للنقاش فيما يلى :

١ — رجح أن الوالى الظالم ابن أم الحكم ، لا مروان ابن الحكم أخذاً برواية داود الأنطاكى فى تزيين الأسواق . ويظهر أن أستاذنا الفاضل يقيم لهذا الكتاب وزناً كبيراً ، بدليل استقائه منه جل ما كتبه عن (بنى عذرة) وأنا مثله كثيراً ما أعتمد عليه بل أنى أحفظ أغلب أشعاره ؛ ولكن رأيى أن الشيخ داود الأنطاكى كان فى تصنيفه لهذا الكتاب كحاطب ليل ، وقد يكون ثقة ثبتاً عند الشيخ الفاضل ، ولكنه ليس أوثق عندى من شهاب الدين النويرى ولا من الإمام ابن الجوزى راوى قصة سعاد كما فصلتها

٢ — يستبعد شيخنا أن يقع هذا الظلم من مروان بن الحكم وهو يعرف أنه كان مستشاراً لعثمان (رضى الله عنه) ففرق جماعة المسلمين ! وكتب عن لسان الخليفة كتاباً مزوراً إلى والى مصر لولا انكشاف أمره لأريقت دماء بريئة ! ويعرف أنه فى موقعة الجمل تنفل طلحة وهو من أنصاره فرماه بسهم فى أكحله أودى بحياته ! فأين يقع اغتصاب سعاد من هذه الأفاعيل ؟! ثم أين هو الاغتصاب ؟ ألم يُمْلِق سعد ، وعجز أن يَمُون زوجته ؟ والفتيا على أن إعسار الزوج سبب من أسباب الفرقة . ثم ألم يطلقها سعد على كل حال (وإن كان مكرهاً) وإذا صح أن الخلافة تثبت بالتغلب أفلا تثبت الزوجية ؟ ثم ألم يتزوجها مروان بعد انقضاء العدة واستبراء الرحم على سنة الله ورسوله ؟ فهذا الزواج لا ينافى الحِلّ وإن باين التدين والورع ومكارم الأخلاق ، ومروان ليس بمعصوم من النزوات

٣ – لست أنكر أن (مروان) من زعماء بنى أمية، ولكن أيظن شيخنا أن معاوية يغمض عن هفواته رعاية لهذه القرابة؟ وهو عاهل العرب الذى كان يتألفهم بسياسته الحازمة الرفيقة الصارمة، وهو خليفة المسلمين المسئول عن أبشارهم وأعراضهم وأموالهم. أيخشى معاوية أن يحاسب (مروان) على ذنب اجترحه وهو الذى بلغ من شكيمته أن ينازع عليًا الخلافة – على قرابته وسابقته وفضله – ومن مروان إذا قيس بمعاوية؟ ألم يَعِدْه أن يعهد إليه بالخلافة بعد يزيد فلم يف له بذلك ولم يقف عند هذا الحد فعزله عن ولاية المدينة؟ ثم ما هى الذلة التى ضربت على مروان فى هذه القضية؟ أيكون ذليلاً لأنه ثاب إلى رشده واستجاب لداعى الحق ونزل على حكم الخليفة؟ وهل كان ينتظر منه أن يبسط لساناً أو يسل سيفاً والذنوب تخرس الألسنة وتغمد السيوف؟

٤ – حكم شيخنا بأن القصة ضعيفة فى سبكها وشعرها، وأنا أوافقه فى ذلك وأخالفه، أوافقه على أن بعض الشعر ضعيف بل سخيف، وقد أشرت فى الهامش إلى أنه قد يكون وضع على لسان معاوية. وأخالفه فى أن سائره جزل قوى محكم، وهو ما قاله سعد وسعاد أو قيل على لسانهما

أما سبك القصة فهو عمل خالص لى، وليست القصة إلا هيكلا عظميا كسوته اللحم وأجريت فيه الدم، فإن كان لا يزال مصرا على أن هـذا السبك ضعيف، فلا يسعنى إلا أن أحترم رأيه، ولكن ذلك لا يمنعنى أن أقول: إن أدباء القصة لا يتفقون معه فى ذلك، وهم بحمد الله كثير فى هذا البلد الأمين

٥ – بقى أنه يرى أن هذه القصة موضوعة، وأقول: إن هذا ظن لا يغنى من الحق شيئاً! وأبرأ للذمة، وأبعد من الزلل أن يتابع صديقه الصغير فى عدم الجزم بذلك، فراويها الإمام ابن الجوزى ومنزلتـه معروفة، ووقائعها ليس فيها ما يهول ويستغرب. أليست زبدتها أن والياً – وإن كان مروان – أكره زوجاً معسراً على طلاق امرأته الجميلة ليتزوج بها، وأن الخليفة رد الحق إلى نصابه، وأى عجب عاجب فى أن يحدث هذا؟

هذا ما عنّ لى فيما كتبه شيخنا الفاضل ... والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

على الجندى

أين علماء الأزهر؟

الأستاذ العالم على الطنطاوى رجل مؤمن الروح، مشرق القلب، نير البصيرة. وهو بعد من أولئك الشبان الأخيار الذين يحرقون أنفسهم مداداً وبخوراً فى سبيل حياة الإسلام وعزته، فى عصر مزور أصبح فيه كل من يتكلم فى الدين يرمى بالرجعية والجمود والغفلة وعدم مسايرة تيار الحضارة الحديثة والتطورات العلمية الجديدة

أقول هذا بمناسبة نداء الأستاذ الأخير الذى وجهه لعلماء المسلمين على صفحات الرسالة يحثهم على معاونته فى تأليف كتاب فى (الدين الإسلامى) «يضم بين دفتيه الإسلام الذى جاء به النبى محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخرافات، يقرأه الشاب المسلم الذى يعرف الدين فلا يحتاج بعده إلى شىء، ويقرأه العامى فيفهم منه دينه، ويقرأه الغربى (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة»

ويعلم الله أن نفسى انطلقت لهذه الفكرة النبيلة وانتظرت ماذا سيكون من أمر علمائنا، وخصوصاً سادتنا علماء الأزهر الشريف فهم أحق الناس بتلبيتها والنهوض لها والاهتمام بها ... ولـكن ماذا كان؟ كان أن ذهبت دعوة الرجل هباء، فلا حس ولا حركة ولا حياة!

فى الحقيقة أن أساتذتى علماء الأزهر مقصرون. وفى الحقيقة أنهم قوم لا يهمهم من الحياة إلا صفو أنفسهم وتخفختها، وإن تظاهروا بالرهبنة والزهادة، وضجوا بالحوقلة والحسبلة؛ أما رفعة الإسلام ومجده، فذلك شىء منسى على هامش حياتهم!

أين الدجوى والجبالى واللبان وأبو العيون والأودن والجزيرى وأبو دقيقة؟ أين هؤلاء؟ وأين غيرهم وغيرهم من علماء الأزهر الذين لهم قلم وفكر وبيان! أنا لا أستطيع أن أفهم!

يا إلـهى ...! متى يستكمل شباب المراغى الحي عدته فيحمل المشعل ويتقدم القافلة؟!

عبد العليم عيسى

القومية العربية والوحدة الإسلامية

إلى الأستاذ ناجى الطنطاوى

خاطبتم الأستاذ العلامة (ساطع الحصرى بك) فى العدد ٣١٧ من الرسالة الغراء فى قوله: (أعتقد باستحالة الوحدة الإسلامية) وقلتم: (أفتكون هذه الوحدة التى أمكن تحقيقها فى عصر صـدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم مستحيلة فى عصرنا هذا؟) تقولون هذا وأنتم تعلمون أن الدين الإسلامى الحنيف لم تصن مبادئه وتحفظ قوانينه كما أمر الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) إلا فى زمن صدر الإسلام. وفى عصر الأمويين إذ كان الدين الحنيف يسهر على مصالحه العرب الذين جالدوا ومنعوا دخول العناصر الغريبة عن العرب



فوزى المعلوف وآثاره

للأستاذ فائز . ج . عوده

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه دراسة جديدة عن علم من أعلام الأدب الحديث تظفر به المكتبة الاستشراقية فى اللغة الفرنسية من أديب شرقى تقدم بها كأطروحة إلى جامعة باريس لينال عليها إجازة الدكتوراه فى الآداب . والدراسة تمتاز بطابعها المدرسى فى العموم وكونها أقرب إلى التثبت العلمى منها إلى التخيل والنظر فى المنهج ، ففيها رجوع إلى المصادر واستقصاء لها ، ودلالة على مناحى أهميتها مما تجده مبذولاً فى قائمة المصادر والمراجع ، وبعد ذلك ترى الضم للعناصر المتفرقة من المراجع بلا تعديل ومناقشتها بأحكام ، ثم بعد ذلك الرجوع إلى ما يتصل بها من آثار فوزى المعلوف ، والخلوص من ذلك بأحكام تغلبها نزعة التقدير

تستهل الدراسة بمقدمة عن الشعر العربى الحديث فى طليعة القرن العشرين ، يتناول فيها صاحب الأطروحة بالبحث انبعاث روح النهضة فى الشرق العربى وخاصة لبنان ، مبيناً الأسباب التى كانت تعوقه عن أن يدور فى آفاق الحياة الجديدة ، التى أخذت منها سوريا بطرف ، وهذه الأسباب تعود إلى نظام الحكم — عنده — وهو لهذا يرى أن الشعر العربى السورى لم ينهض إلا فى المهجر سواء كان مصر أم أمريكا . وهو يرى فقدان زعيم المدرسة اللبنانية فى الشعر ، وقد تخرج على مذهبه الإبداعى جل المجددين فى الشعر

فى صميم الحكم والقضاء ، فلما أن جاء العصر العباسى وكثر فيه الغرباء عن العرب وانتصر السفاح بمساعدة الخراسانى وهو فارسى أصبح الفرس يتدخلون فى الحكم مجاهرين (أن الدولة لم تقم إلا على سواعدهم وازدادت هذه التدخلات بعد أن انتصر المأمون على أخيه الأمين بقوة جيش خراسان أيضاً . ولم تزل هذه العناصر الغريبة تلح على الأمة الإسلامية حتى انحطت إلى ما هى عليه الآن . ولو قدر الله أن يبقى الحكم فى يد العرب لازدهرت الأمة الإسلامية ولما انحطت إلى ما هى عليه اليوم

إن المسلمين العرب اليوم فى حاجة قصوى إلى الاتحاد والاتفاق مع المسيحيين العرب الذين يشاركونهم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم . وليس من العقل فى شىء أن نترك أخانا وجارنا المسيحى العربى من أجل هندى بعيد لا تربطنا به عادات ولا لغة ولا تقاليد ! تقولون بعد : (إن كل مسلم فى سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندى أو اليابانى أو الأوربى أخ له الخ)

وهذا صحيح ، ولكن هل تعتقدون أن المسلم الهندى يفيد المسلم المصرى أو السورى أكثر مما يفيده المسيحى المصرى أو السورى ؟ ها هى ذى فلسطين الذبيحة تكوى بالحديد وبالنار فهل رأيتم هندياً أو يابانياً مسلماً تطوع للدفاع عنها حيث يتعانق الهلال والصليب وحيث يقف المسيحى إلى جانب المسلم يدفعان معاً شر المستعمر المغتصب؟

إن حلول الأمم الأجنبية فى بلاد المسلمين العرب أكثره مسبب عما يسمونه (حماية الأقليات) وحين يأتى يوم تنطق فيه العقيدة العربية على لسان المسيحيين العرب المخلصين (إننا لسنا أقليات بل نحن من صميم الأمة) حين يأتى ذلك اليوم فإن الأمم المستعمرة لا تجد أمامها من هو محتاج إلى حماية فتنسحب

لقد أعطتنا (فلسطين) درساً وافياً فى القومية وفى العقيدة فها هى ذى تكاد تتلاشى (لا سمح الله) والدولة التركية المسلمة لم ترفع صوتها باحتجاج واحد . قد تستطيع الأمم الإسلامية أن تعقد اتفاقاً تشكل منه دولة واحدة لها سيادة ولكن معنى ذلك هو ذوبان العرب فى بقية الدول المسلمة القوية

فى مقدور المسلم أن يوثق علائقه بإخوانه المسلمين أين كانوا وهو جاد فى حقل (القومية العربية) ومخلص للقضايا الوطنية المشرفة

(طرابلس) **محمد على هنارى**

العربي ، يذكر منهم جبران ورشيد أيوب ، ويرى فوزي المعلوف منهم . على أنه يخطئ حين يقدر أن مطران هاجر إلى مصر عام ١٨٨٤ ، والصحيح أنه نزلها صيف عام ١٨٩٢ كما جاء في البحث السابع من دراساتنا عن مطران بمقتطف يوليه سنة ١٩٣٩ ، كذلك لم يلاحظ الكاتب أن مطران وإن أثر على جبران ورشيد أيوب وفوزي المعلوف ، فقد كان تأثيره على جبران من جهة الطلاقة الفنية ، ولجبران بعد طبيعته الخاصة وأخيلته وأجواؤه. أما رشيد أيوب وفوزي المعلوف فقد وقفا من مطران موقف التأثر التام بمعنى سوق أغراضه الشعرية ، يظهر ذلك في وحدة القصيد وسلسلة المعاني وبث فكرة مطردة في القصيدة ، وهذا ما فطن إليه الكاتب بالنسبة لفوزي المعلوف في أكثر من موضع من الدراسة . على أنه يعود في المقدمة فيشير إلى تأثر أحمد شوقي بمطران في بدء شبابه ، وما بدا من أثر مطران في النثر التوقيعي prose rythmée (الشعر المنثور) . ويلج المؤلف في غمام هذه المقدمة المحيط المائي والاجتماعي بالنسبة لفوزي المعلوف ، وهو يقف من هذا المحيط عند المجمل منه دون أن ينزل إلى تفاصيله ، أو يدل على روحه ، الشيء الذي تأثر به فوزي المعلوف فجاءت شخصية متأثرة بأربابه

والفصل الأول — من القسم الأول وهو عن الشاعر في لبنان — وقف على مولد الشاعر ونشأته . وفي هذا الفصل يقف المؤلف من طفولة الشاعر ونشأته عند حد النسيج الخارجي المربوط للزمان دون أن يحاول النزول إلى أعماق الطفل فيظهر بدرات روحه وخلجات نفسه ، ومن هنا جاء عيب ملحوظ على الدراسة تكاد تراه في كل الفصول التي ترتبط بالترجمة عن حياة الشاعر . والفصل الثاني من هذا القسم وقف على الكلام عن آثار الشاعر الشعرية في الفترة الأولى من حياته ويجيء بعد ذلك الكلام عن المسترسلات Essai التي تذهب منحى الفن المسرحي

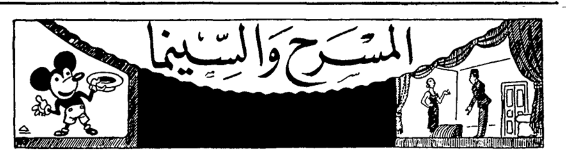
أما القسم الثاني فيجيء عن الشاعر في البرازيل . الفصل الأول عن قصائده التي تذهب مذهب المقطوعات ؛ أما الفصل الثاني فوقف على الكلام عن بساط الريح والفصل الثالث عن أسئلة الأدب ، ويجيء بعد ذلك فصلان : الأول عن فكرة الشاعر والثاني عن فنه وفي ختامهما ملخص يتألف من مجموعها القسم الثالث من الكتاب ، وفي نهاية الكتاب ملحقان الأول يحصر آثار المعلوف والثاني يحمل النص العربي للشعر الذي استشهد به في الدراسة ، ففهرس لأسماء الأعلام ، فقائمة بمواد الدراسة

وهذا العرض السريع لترتيب فصول البحث يبين مقدار تمكن المؤلف من الروح المنهجية في البحث التي جملته يقسم بحثه تقسيماً معقولاً ، على أن في الكتاب بعض هنات بسيطة جاءت في العموم في المواقف التي عرض فيها لفوزي المعلوف بالنسبة لشعراء آخرين ، ويظهر أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكاتب وقف في دراسته عند آثار المعلوف فلم يعدها إلى آثار الآخرين الذين تتصل شخصياتهم أو آثارهم بشخص المعلوف أو فنه الشعري. من ذلك كلامه عن مطران ومقارنة فوزي المعلوف به ، فهذه المقارنة خطأ من جهة المنحى الذي ذهب إليه المؤلف ، فقد قرر أن مطران وقف عند حد التعبير عن إحساسات الحب (عاطفيا) sentiments d'amoureux في حكاية عاشقين بعكس فوزي المعلوف الذي ارتفع في ملحق على بساط الريح إلى آفاق فلسفية تتصل بعالم ما وراء الطبيعة ، ومن هنا جاء ما عند فوزي المعلوف في بساط الريح — في نظر المؤلف — من الصراع بين الروح والجسد . وهذه الملاحظة وإن كانت صادقة ولكن إطلاقها بعد ذلك على الشاعرين فيه شيء من الخطأ لأن المسألة ترجع في ذلك الحين إلى كل آثار الشاعرين والطابع العام لشعرهما ، وفي ذلك الوقت لا أظن أن هذا الحكم يتسق خصوصاً وما يعرف عن شعر الخليل في ملحمته « نيرون » أو قصيدته «رعمسيس» أو قصة « الجنين الشهيد » مثلاً

على أننا بعد ذلك لا ننكر ما قد أظهره المؤلف في دراسته من النظر ، خصوصاً فيما أخذه على الناقد المعروف الأستاذ صديق شيبوب وما أبداه من مقارنة بين الشاعر موضوع الأطروحة ، وبين ردیارد كبلنج .

والدراسة في العموم غنم عظيم للمكتبة العربية ، وللأدب العربي الحديث

اسماعيل أحمد ادهم



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

على هذه الصفحات سنكتب تاريخاً موجزاً للنهضة المسرحية فى مصر ، تلك النهضة التى قامت على أكتاف أبطال وبطلات « فرقة رمسيس » منذ سبعة عشر عاماً حتى الآن . سنكتب تاريخاً لهذه النهضة على غير الطريقة التى يكتب بها التاريخ . هو ليس تاريخاً بالمعنى المفهوم والطابع المعلوم ، بل مجرد خواطر وآراء علقت بالذهن ووعتها الذاكرة مدى هذه الأعوام الطويلة . وكان لا بد يوماً من إخراجها للناس ، وفى وقتها المناسب ، وليس أنسب من هذه الظروف ، وقد تهيأت لنا أسباب النهوض بالمسرح ، ثم لا نجد من ينهض به ، أو يعمل مخلصاً فى سبيله !

أليس محزناً للنفس وموجعاً للقلب أن تمنح الفرقة القومية خمسة عشر ألفاً من الجنيهات فى كل عام ، ثم لا يكون من عملها وإنتاجها إلا أن تسىء إخراج بضع روايات قديمة سبق أن أخرجت للناس فى أبهى حلة وأتم نظام وأكمل ترتيب ، وأن تسىء كذلك إخراج بضع روايات جديدة هزيلة : هى عناوين للتفاهة والغثاثة ، ومفسدة للأخلاق ، وموحية بأحط التعاليم وأقبح الآراء ؟ ؟

مما يؤسف له حقاً أن يجد الكاتب لزاماً على نفسه أن يتحدث عن الفرقة القومية كلما تحدث عن المسرح فى مصر ، مع أنه لو أسقطها من حسابه ، وأغفل ذكرها ، لما خسر شيئاً يذكر فى تقديره للأمور وفى حسابه للأرقام . أما المؤرخ فلن يستطيع هرباً من الحقيقة ، وسيجد نفسه مضطراً لتدوين هذه الفترة المحزنة فى حياة المسرح المصرى . فمنذ كان المسرح فى مصر لم ينعم أبناؤه بعهد ذهبى كهذا العهد ، ولم تيسر الأمور مثلما يسرت لهم الآن ومع ذلك فإنهم لم يصيبوا من أعمالهم غير الفشل والخسران المبين !

ومن العجيب أن يحدث هذا بعد سبعة عشر عاماً من وثبة المسرح المصرى على يد فرقة رمسيس التى أنشئت لحساب فرد واحد ، ومن غير معونة من هنا أو من هناك ، وفى وقت خسر المسرح فيه سمعته ، وكان لأهله حينذاك مسبة وعاراً .

يذكر الذاكرون أن المرحوم عبدالله باشا وهبى كان عزيزاً عليه أن يرى ابنه يوسف وهبى ممثلاً ، وكان عزيزاً على أى رجل آخر أن يرى ابنه (مشخصاً) على المسرح ؛ فلم يكن التشخيص فى نظر الناس سوى مهنة وضيعة للذين فقدوا كل أمل فى الحياة وكل أمل فى الكرامة ، وكل أمل فى العمل الشريف . ولم تكن الحكومة لتعترف بوجود هذه الفئة من المهرجين أو تقيم لهم وزناً

أنشئت فرقة رمسيس وسط هذه العوامل وبين هذه الآراء ؛ ومع ذلك فإنها سرعان ما اكتسبت ثقة الجميع : الأمير قبل الفقير والعظيم قبل الصغير . وأصبح مسرح رمسيس محط الطبقة الممتازة فى مصر وملتقى الكبراء والعظماء وذوى الرأى والخطر فى البلاد ؛ ولم ينفض عنها جمهور ما ، ولم ينصرف عن تشجيعها إلا منذ حادت عن طريقها المرسوم وتنكبت السبيل السوى !

أما الفرقة القومية التى ترعاها الحكومة بعنايتها ، وتمنحها مالاً ومسرحاً ، وتجلب لها جمهوراً راقياً ، ويشرف حفلاتها ملك البلاد وكبار رجال الدولة وعظماؤها . أما هذه الفرقة التى تهيأت لها كل أسباب النجاح والفلاح فإنها لم تحظ حتى الآن بما حظيت به فرقة رمسيس من مجد ، ولم تخط خطوة واحدة نحو مثل المكانة التى نالتها تلك الفرقة ، ولم تكتب سطراً واحداً فى تاريخها تستطيع أن تفخر به أو تطمئن إليه ، وحتى أصحاب الشأن فيها يهزون رؤوسهم أسفاً وحسرة ، ويقفون حيارى لا يدرون أين المفر من هذا المصير المحتوم الذى يطل عليهم من بعيد بعيونه البشعة ويقترب منهم رويداً رويداً .

وقد أردنا بكتابة هذا التاريخ الموجز ، وسرد هذه الخواطر والآراء أن نضع أمام الرجال المسئولين جميع العوامل التى كانت من أسباب نهضة المسرح ، وكذلك جميع العوامل التى كانت

من أسباب سقوطه وانهيار بنيانه، ليكون لهم في النهاية مجموعة من الحقائق التي يسترشدون بها في تنظيم الفرقة القومية ووضع برنامج لها تسير عليه ولا تحيد عنه إلا في سبيل الكمال. والواقع أن الفرقة القومية لا تحتاج بعد الذي تهيأ لها من أسباب إلا النظام والتنظيم والخطط المرسومة التي تسير بمقتضاها وتسترشد بهديها. أما هذه الطرق الارتجالية التي تأتي عفو الخاطر، وأما هذا العبث المحض في اختيار الروايات وإعدادها وإخراجها وتوزيع أدوارها وفق الأهواء والخواطر. أما كل هذا وغير هذا مما فعلته الفرقة القومية، أو أتاه أصحابها، فقد قضى على سمعتها، وهو وشيك أن يقضي على الفرقة نفسها القضاء الأخير.

ولا يتوهمن أحد أننا من أعداء الفرقة القومية إذ نحكم عليها هذا الحكم؛ فالحقيقة أننا من أنصارها والمتحمسين لها والداعين إليها، وما عداوتنا إلا للنظام، أو قل الفوضى التي تسير عليها؛ وما نبغي إلا الإصلاح، ولا بغية لنا سوى هذا.

وكاتب هذه السطور بعيد عن التحيز كل البعد. وسيرى القراء أنه كما سيعطي فرقة رمسيس حقها من التمجيد ونصيبها من الفخار، كذلك سيخصها بنصيب من النقد اللاذع، لأنها كما نهضت بالمسرح، فإنها كذلك هبطت به إلى الحضيض. فحساب الجميع عندنا بالعدل المطلق، وهدفنا الأسمى المصلحة العامة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد الذي كان، ومخافة ما سوف يكون

صناعة السينما في مصر

إن الجهود الفردية التي وجدت الشجاعة لديها لتمزق الحجاب عن ذلك الفن الرفيع في وقت كان فيه الفن السينمائي في مصر لغزاً غامضاً يراود أحلامنا في كل صباح وكل مساء — إن هذه الجهود الفردية التي أدت مهمتها وراحت ضحية جرأتها لتستحق منا اليوم كل تمجيد وثناء. إنها تشبه في كثير طلائع الجيوش التي تعرض صدورها لرصاص العدو وتكشف أجسادها لسهامه، فتروح ضحية جهلها وعدم خبرتها... بيد أن من يأتي بعدها لا يقع في أخطائها، ويعرف كيف يحمي نفسه ويعبر على أشلائها إلى النصر والمجد!...

فإذا كنا ندين اليوم لطلعت حرب باشا بهذه النهضة السينمائية الشاملة، فيجب أن نذكر أولئك الذين سقطوا في الميدان منذ أعوام فكانوا الشهداء، والذين ألهموا من أتى بعدهم وحفزوهم لنشدان الكمال وجعلوهم يرفعون عيونهم إلى أسمى الغايات. أما «ستديو مصر» فقد أصبح بفضل طلعت حرب باشا يضارع أمثاله في أوربا وأمريكا، إذ فيه كل المعدات الحديثة، وفيه الرعاية وكمال الاستعداد ونخبة ممتازة من الفنيين الذين في استطاعتهم إخراج أية رواية من أي نوع. وقد دل إخراج «لاشين» التي نجحت إلى حد ما، أن في مقدور هذا الاستديو أن يخرج روايات ممتازة ترضي أطماع أمثال سيسيل دي ميل...

وليس يعيب الجهود الفردية اليوم إلا قصورها عن أن يشمل عملها كل العناصر المؤدية إلى النجاح الكامل. لهذا فإنا وإن كنا نؤيد حرية العمل وندعو إلى المنافسة الشريفة، إلا أننا ننصح بعض الأفراد أن يضموا جهودهم بعضها إلى بعض ليصلوا مجتمعين إلى ما تصل إليه الشركات الكبيرة والمؤسسات الضخمة

ونحن يسرنا أن يكثر عدد المنتجين السينمائيين، وبالتالي يكثر عدد الشركات. وحينئذ تصبح مصر هوليود الشرق وتطرد منتجاتها الفلم الأجنبي من أسواق الشرق جميعاً، وهذا غاية ما نرجوه

(زهير الصغير)

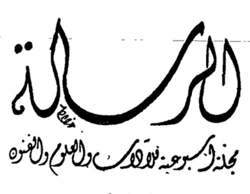


(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

7me Année No. 321 — Lundi - 28 - 8 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

١٣ ، ٢٥

ما رأيهــــا ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم ما رأيها ، والضمير إلى الفتاة المصرية ؟

ما رأيها فى تعدد الزوجات وفى أن تكون شريكة لفتاتين أو لثلاث فتيات فى زوج واحد ؟

إننى أبدأ فأثير نخوتها فأقول : إنها أعجز من أن تمثل دور الضرة ، لأنها لا تفقه من كيد النساء ومآخذ الرجال ما كانت تفقهه جدتها التى كانت تتزود للضر بسلاحه ، وتصلح للضر بمقدار صلاحه

ثم أثنى فأشهد لها فأقول : إنها أكرم على نفسها وأعرف بالأواصر النفسية بين المرء وزوجه من أن تقبل زواجاً تنقطع فيه الآصرة النفسية وتهبط فيه الكرامة

ثم أعقب على هذا وذاك قائلاً : إننى ما نويت فى هذا المقال أن أحتكم معها إلى حكم الدين ، فقد عرفنا أن الإسلام يجيز تعدد الزوجات ولكنه لا يوجبه، بل يكاد أن يمنعه بحضه على العدل واستكثاره أن يعدل الرجل بين امرأتين ولو حرص عليه

إنما أحتكم معها إلى آراء الساسة المحدثين والقادة المعاصرين ، فربما كان من العبرة أن نعلم أن هؤلاء القادة لم يجدوا أنفسهم قط فى حالة كالتى كانت عليها الأمة العربية صدر الإسلام إلا خطر

لهم تعدد الزوجات وأجازوا ما أجازه القرآن ، بل أوشكوا أن يوجبوه ، وربما كان هذا العلم من دواعى تصحيح النظر إلى أصول الشرائع والأخلاق التى عابها أناس ونسوا ما كان لها من بواعث وأسباب

* * *

أقطاب « النازية » فى ألمانيا الحديثة ينصحون بتعدد الزوجات لأنهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتأهبون لليوم الذى يملأون فيه بطاح أوربا الشرقية فاتحين ومقيمين

فالأستاذ أرنست برجمان عميد قسم الفلسفة بجامعة ليبزج ينمى فى كتابه : « روح الأمومة » زواج الفرد ، ويوجب تعدد الزوجات فى سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج الفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيضمحل حيثما فرضت الزوجة الواحدة على الرجل . وإنما مثال الدولة الصالحة تلك الدولة التى تكون فيها المرأة بغير عقب وصمة عار . ولن يزال فى الأمم عدد من الرجال كاف وقابل لإيلاد جميع الإناث . وما علينا إلا أن ننبذ سخافة الزواج الفرد فنعلم أن الطبيعة قد جعلت كل فحل كافياً لعشر أو لعشرين من البنات اللواتى لم يقتلن فى نفوسهن غريزة الأمومة »

والدكتور روزنبرج فيلسوف المذهب ومقرر « نظرياته » ومبادئه يوصى بالرجعة إلى آداب القبيلة الجرمانية فى مسائل الزواج ، ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما زخرت الشعوب الجرمانية فى القرون الماضية ؛ « ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء فى بعض الأزمان ربى كثيراً على عدد الرجال كما يوشك أن يكون الأمر فى الزمن الحاضر ... فهل يقضى على هؤلاء النساء أن يذهبن خلال أيام الحياة محرومات حقوقهن الطبيعية مستهدفات للسخرية المزرية التى يلقاها العانسات ؟ وهل يؤذن للمجتمع النافق القانع بما هو فيه أن يسلم هؤلاء البائسات لأضاحيكه ؟ »

ثم يتمادى فيبيح إنجاب الأبناء من غير الزوجات الشرعيات ، تكثيراً للنوع وتعزيزاً لقوة الأمة الجرمانية !

ورأى المفكرات الألمانيات قريب من رأى المفكرين الألمانيين فى هذا الباب . فإحداهن وهى السيدة « شولتز كلنك » تقول فى خطاب لها بين الصحفيات : « إن البنات الألمانيات يرجعن فى عصرنا الحاضر إلى غرائزهن الأصيلة ويصدعن بحكمها فى خضوع واغتباط عارفات أن هذه الغرائز إن هى إلا عطية سماوية يملكن بها الدم والأرض ويصبحن بها نماذج للمرأة الألمانية الحديثة » .

* * *

وقبل الفلسفة النازية بقرن كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليهم النازيون الآن ، وكان يغرى الأمة الفرنسية بالتناسل كما يغرى النازيون أمم الجرمان ، وكان يقول مثل ما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء فى ازدياد وعدد الرجال فى نقصان

فمن قوله فى هذا الصدد : « إننى صنعت كل ما استطعت لإصلاح حال اللقطاء المساكين الذين يساقون للعار والمهانة ، ولكن المرء لا يستطيع أن يغلو فى هذه الناحية مخافة على نظام الزواج ، وإلا لم تجد أحداً يقدم عليه »

« وقد كان للرجل فى الزمن القديم سريات إلى جانب الزوجة فلم يكن أبناء الزنى محتقرين يومئذ كاحتقارهم فى أيامنا . ومن المضحك ألا يباح للرجل أكثر من زوجة فإذا هو كالأعزب كلما حملت أو مرضت »

« إن الرجل لا يتسرى فى العصر الحديث ، ولكنه يخادن الخليلات وهن خراب لهن كلفة أفدح من كلفة الزوجات . ولقد درج الفرنسيون على إكبار المرأة وما ينبغى لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا آلة لإخراج الذرية . . . »

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه أثر ذلك . أما المرأة ، فإذا اقترنت مرة بعد مرة فلا محالة يدركها الذبول ! »

ويقول نابليون عن المساواة بين الجنسين : « لا مناص من سيادة أحد الجنسين على الآخر ... فقد يختل نظام الأمة إذا اعتزلت المرأة مكانها المطبوع ، وهو مكان الطاعة والخضوع ! »

* * *

والآن لا أدرى . هل أكسبت نابليون وخلفاءه الألمانيين نصيرات بين الجنس اللطيف ، أو عصفت بمن لهم بينهن من النصيرات ؟

لكن الحرب قادمة ، أو يخشى أن تنفجر هنا وهناك من

كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقـــافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

[تتمة]

قد يخطر على بال الإنسان أن يتساءل عند ما يلقى نظرة عامة على هذه الأطوار المتتالية : هل تقف يا ترى سلسلة هذه التطورات عند الحد الذي وصلت إليه أخيراً ؟ أم ستستمر بعد الآن أيضاً ؟ هل يجوز لنا أن نقول إن التطور الأخير سيكون خاتمة الأطوار ؟ أم يجب علينا أن نتوقع حدوث تطورات أخرى بعد الآن أيضاً ؟..

أنا لا أرى لزوماً للتنبؤ عن مستقبل هذه التطورات ، لأنني أعتقد أن ما عرفناه عن التي حدثت إلى الآن كاف لتوضيح وحل المسألة التي من أجلها خضنا غمار هذا البحث ... مع هذا أرى من المفيد أن أنقل بعض الكلمات التي قرأتها أخيراً — في هذا الصدد — في إحدى المجلات التربوية :

« لقد فرّقت بين الإنسانيات القديمة والمجتمعات الحالية هوّة خطيرة لا تزال تزداد عمقاً وعرضاً ، يوماً فيوماً ... إن دور الإنسانيات المذكورة قد انتهى ، ولم يعد في استطاعتها أن تدعي حق البقاء كنبع للثقافة العصرية ... إنها لا تعيش الآن إلا عيشة اصطناعية ؛ فقد فقدت كل ما كان لها من قوة وحياة ...»

كذلك أرى من الممتع أن أذكر ما كان قاله « لا بيه دوسان بيير » في هذا الصدد :

« سيأتي يوم نفهم فيه : أن حاجتنا (يعني حاجة الفرنسيين) إلى تعلم اللغة اللاتينية ، أقل من حاجتنا إلى تعلم اللغة الملائية أو تعلم اللغة العربية ... »

إنني أعتقد أن الحقائق والوقائع التي سردتها آنفاً ، حول مسألة تعليم اللاتينية واليونانية في الدراسة الثانوية في أوربا بوجه عام وفي فرنسا بوجه خاص ، تعين لنا بكل وضوح الموقف الذي يجب أن يقفه مفكرو العرب حيال هذه المسألة بالنسبة إلى معارف البلاد العربية : لا شك في أن هذا الموقف يجب أن يكون موقف الرفض والإعراض ...

يجب علينا أن نتذكر — في هذا الصدد — الحقائق التالية على الدوام :

إن تعليم اللاتينية واليونانية في أوروبا لم يشغل الموقع الذي شغله في نظم الدراسة بناء على تأملات وملاحظات تربوية ؛ إنما شغل هذا الموقع تحت تأثير عوامل ووقائع تاريخية كلها خارجة عن نطاق الفوائد التربوية ... وأما الفوائد التعليمية والتربوية التي ذكرت فيما بعد لتبرير الحالة الراهنة — بنية إبقاء ما كان على ما كان — فلم تستطع أن تقاوم المحاكمات المنطقية والأبحاث العلمية مدة طويلة ... ولهذا أخذ نطاق هذا التعليم يتقلص من جميع الجهات تقلصاً مستمراً ؛ ولم يعد يمتد الآن إلا على جزء صغير من ساحة الدراسة الثانوية ... كما أن بقاء هذا التعليم في هذه الساحة الأخيرة أيضاً لا يمكن أن يعلل ويبرر إلا بقوة الاعتياد والاستمرار من جهة ورابطة الأدب واللغة من جهة أخرى

وأما فكرة اعتبار اللاتينيـة « واسطة ضرورية لتثقيف

حيث لا نتوقع قدومها . فماذا يكون الرأي إذا خرجنا من الحرب وعندنا ثمانية ملايين امرأة ، وليس عندنا من الرجال إلا سبعة ملايين أو سبعة ونصف مليون ؟ !

اليوم يتكفل الماء المعفن بحصد الرجال وتلقيحهم بلقاح : « الأنكلستوما والبلهارسيا » حيثما انتشر ماء الري في إقليم جديد فيصاب الفتيان ولا يصاب الفتيات ، ويضعف الرجال ولا يضعف النساء .

فإذا جاءت الحرب ، فأتمت هذه البداية ، فماذا يبقى من أناقة الجنس اللطيف ؟ ومن ترف المتعاليات على الضر أمام هذه الضرورة التي لا تحسن الكلام بلغة « الندىّ » ، ولا تنحني في رقة وابتسام كما ينحني رواد الصالون ؟

نسوق النساء إلى الزراعة ؟ نقسرهن على العمل ؟ نستبدلهن بالرجال في مشاق الأشغال ؟

على كل حال ذهبت الأناقة والترف ، وذهبت معهما مزايا الجنس اللطيف ، ولو كان المشتغلات بتلك المرهقات من بنات الكوخ والبيت الوضيع ، ولم يكن من بنات الندىّ والصالون

ثم هو حل لمشكلة العمل ، فأين الحل لمشكلة النوع ومشكلة الأسرة ومشكلة الأخلاق ؟ !

عمل عظيم بين يدي « وزارة الشئون الاجتماعية » أعانها الله عليه ! ...

عباس محمود العقاد

المعقول » فهى من النظريات التى ثبت خطؤها كل الثبوت : إذ قد أصبح من المسلم فى علم التربية أنه لا يوجد موضوع مدرسى « مثقِّف » فى حد ذاته كما أنه لا يوجد موضوع مدرسى يحتكر قابلية التثقيف لنفسه ... وأما « التأثير التثقيق » الذى يحصل من الدروس فلا يتبع الموضوع الذى يُدرَّس ، وإنما يتبع الطريقة التى يتم بها التدريس ... فعندما نود أن نجعل « الثقافة » هدفنا الأسمى فى الدراسة الثانوية يجب علينا أن نعلم حق العلم أن الوصول إلى هذا الهدف ، لا يتم إلا بالبحث عن أوفق « طرق التدريس » لضمان التثقيف والسير على تلك الطرق على الدوام . وأما إضافة لغة أو لغتين من اللغات الميتة إلى مناهج الدراسة ، فلا يمكن أن يضمن لنا شيئاً من أهداف التثقيف بوجه من الوجوه

فليس من المعقول ـ والحالة هذه ـ أن نضيع أوقات طلابنا فى المدارس الثانوية فى سبيل تعليم اللاتينية واليونانية

هذا ... ولا بد لنا من ملاحظة الحقائق الهامة التالية أيضاً فى هذا الصدد :

(ا) إن تعليم اللغة العربية يستنفد من أوقات وجهود أبنائها أكثر من الأوقات والجهود التى تتطلبها اللغات الأخرى من أبناء الناطقين بها ؛ وذلك لزيادة تعقيد قواعد العربية من جهة وللنقائص السائدة على أساليب تدوينها من جهة أخرى

(ب) إن حاجة أبناء العربية إلى تعلم اللغات الحية أشد من حاجة الأمم الأوربية الراقية إلى تعلم تلك اللغات ؛ وذلك لفقر خزانة الكتب العربية من جهة المؤلفات العلمية والأدبية

(ج) إن تعليم اللغات الأوربية الحية يتطلب من الناطقين بالضاد جهوداً أكبر من الجهود التى يتطلبها من سائر الطلاب الأوربيين ؛ وذلك لاختلاف الحروف من جهة وتباعد الأصول والقواعد والأساليب من جهة أخرى

ولهذه الأسباب إذا جاز للأوربيين أن يسرقوا قسما من أوقات بعض أبنائهم فى سبيل تعليم اللغة اللاتينية ـ بأمل الحصول على بعض الفوائد ولو كانت ضئيلة ـ فلا يجوز لنا نحن أن نقتدى بهم فى هذا الباب

وإذا جاز للأوربيين أن يخيّروا أولادهم بين دراسة اللغات الميتة ودراسة اللغات الحية ، فلا يجوز لنا نحن أن نفكر فى مثل هذا التخيير

إذاً يجب علينا أن نتذكر دائماً أننا فى حاجة قصوى للاقتصاد فى أوقات طلابنا وجهودهم لكثرة الأشياء التى يحتاجون إلى تعلمها ولزيادة الأوقات التى يحتاجون إليها لأجل هذا التعلم

هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب علينا أن نفكر فى أمر آخر أهم من ذلك أيضاً : هذا الأمر هو ضرورة الاهتمام بمعالجة النزعة الكلامية المستولية على أفكارنا . . . إننا كثيراً ما نهتم بالألفاظ اهتماماً كبيراً ، وقلما نسعى لتحديد معانيها تحديداً كافياً . . . وكثيراً ما ننخدع بالكلمات الفارغة ، ونترك مجالاً واسعاً لتغلب الكلاميات على مناحى تفكيرنا .. فلا نغالى إذا قلنا بأننا مصابون — على الأكثر — بداء الكلاميات ... إن أوربا أيضاً كانت مبتلاة بمثل هـذا الداء ؛ وقد صرف مفكروها ومربوها جهوداً عظيمة لمحاربة هذه النزعات الكلامية ، وتغليب روح التفكير الحقيقى ونزعة البحث العلمى عليها ... ونحن الآن فى حاجة شديدة إلى الاقتداء بهؤلاء فى هـذا المضمار . وأعتقد أن هذه الحقيقة يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام عند ما نفكر فى وسائل ترقية ثقافتنا ...

إننى أعتبر فكرة إدخال اللاتينية واليونانية فى مناهج الدراسة الثانوية من الأفكار الخاطئة والمضرة من هذه الوجهة أيضاً لأنها تؤدى — بطبيعتها — إلى زيادة حصص اللغات فى دراساتنا زيادة كبيرة ، وذلك يزيدنا استغراقاً فى الكلاميات ويبعدنا عن مناحى التفكير الصحيحة ...

ولهذه الأسباب كلها أعارض هذه الفكرة معارضة شديدة

هذا ولا أرانى فى حاجة إلى إيضاح أننى لا أقصد من هذه المعارضة أن أعترض على كل من يود أن يتعلم اليونانية أو اللاتينية بل بعكس ذلك أتمنى أن يظهر بيننا من يولع باليونانية ويتخصص فى آدابها ويسعى لترجمة مخلداتها؛ كما أتمنى أن يظهر من يتعلم اللاتينية ومن يتعلم الروسية وحتى من يتعلم اليابانية ، ليتسنى لنا الاستفادة من نتاج تفكير جميع الأمم على اختلاف ثقافاتها .. غير أن إبداء التمنى لظهور بعض الاختصاصيين من أبناء العرب فى الآداب اللاتينية واليونانية شىء واعتبار تعلم هاتين اللغتين من ضرورات الدراسة العالية فى الحقوق والتاريخ والجغرافيا شىء آخر ...

فأقول لذلك : إننا إذا أدخلنا اللاتينية واليونانية إلى مدارسنا الثانوية يكون مثلنا كمثل الخياط الغبىّ الذى تناقلت قصته بعض الأقلام : بذل الخياط المذكور جهوداً كبيرة فى خياطة « بنطلون » لبحار انكليزى شبيهاً « ببنطلونه » القديم الذى

كان سلمه إياه. وأتقن الخياطة إلى درجة تقليد الترقيع الذى به أيضاً!

بعد أن شرحت رأيى فى مسألة تعلم اللاتينية واليونانية شرحاً عاماً أرجع إلى آراء الدكتور طه حسين فيها ، وأبين ما أعتقده فى هذه الآراء على ضوء المعلومات التى سردتها :

إن أول ما يلفت الأنظار فى ملاحظات الدكتور فى هذا الباب ، هو خلوّها من الأدلة والبراهين ، وتكوّنها من سلسلة دعاوى معروضة على شكل نصوص قاطعة يجب الاعتماد عليها بدون طلب برهان . كأن لسان حاله يقول على الدوام : « آمنت أنا ، فعليكم أن تؤمنوا أنتم أيضاً »

فإنه عند ما يذكر إيمانه العميق بضرورة اللاتينية واليونانية للثقافة المصرية يقول : « والأدلة على ذلك تظهر لى يسيرة هينة وجلية واضحة » (ص ٢٨١) ولكنه لا يذكر شيئاً عن تلك الأدلة . فكل ما يكتبه بعد العبارة المذكورة لا يخرج عن نطاق بيان « جهل » معارضيه و « نقص دراساتهم » و « عدم إتقانهم الشؤون الثقافية فى أوربا » و « عدم نظرهم إلى التعليم نظر التعمق والجد... » وما أشبه ذلك من تعبيرات التجهيل والازدراء

إنه عند ما يتطرق إلى مسألة « تأثير هاتين اللغتين فى تكوين العقل » تلك المسألة الهامة التى تكوّن حجر الزاوية فى دعاوى أنصار اللغات القديمة لا يكلف نفسه مشقة شرح المسألة ، لأنه يعتقد أن ذلك فوق مستوى فهم معارضيه ! ويسجل اعتقاده هذا بصراحة كبيرة إذ يقول : « كل هذا ولم أتحدث ولن أتحدث عن أثر هاتين اللغتين فى تكوين العقل وتقويمه وتثقيفه وإعداده للتفكير المستقيم فإن هذا الحديث إن ذهبت إليه لم يفهم عنى ، لأن فهمه يقتضى معرفة هاتين اللغتين وممارستهما وابتلاء آثار هذه المعرفة والممارسة ، والذين يعرفون هاتين اللغتين فى مصر يمكن إحصاؤهم على أصابع اليد الواحدة أو على أصابع اليدين » (ص٢٩٧)

وأخيراً عند ما يتطرق الدكتور إلى الحالة الراهنة فى أوربا ويشير إلى الخصومة القائمة بين أنصار اللغات القديمة وخصومها ، يتهم معارضيه « بالإلمام اليسير ، بل بالإلمام الناقص المشوّه » بهذه الخصومة (ص ٢٨٥) ثم يحاول أن يصف هذه الخصومة «على وجهها الصحيح» . غير أن من يقارن بين ما يقوله الدكتور فى هذا الباب وبين التفصيلات التى سردناها آنفاً ، يرى أن « الوجه » المذكور بعيد عن الصحة بعداً كبيراً . . .

يقول الدكتور طه حسين : « إن موضوع هذه الخصومة لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة » (ص ٢٨٥) فى حين أن المؤلفات والمجلات التربيوية مملوءة بمباحث ومناقشات طويلة عن ضرورة أو عدم ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة

يقول الدكتور : « كان موضوع الخصومة فى حقيقة الأمر هذه المسألة : أيجب أن يتهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ، أم يجب أن يهيأ بعضهم لحياة العلم والتخصص ويهيأ أكثرهم للحياة العاملة ؟ » (ص ٢٨٥) فى حين أن ذلك أيضاً بعيد عن حقائق الأمور بعداً كبيراً . . .

يقول الدكتور : « إن الخصومة حول تعلم اللاتينية واليونانية قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة ، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى » (ص ٢٨٤) فى حين أن الخصومة كانت قائمة فى عالم الفكر والتربية قبل أن تنتقل إلى ساحة السياسة بمدة طويلة . . .

وقد أسهبت آنفاً فى تلخيص المناقشات التى دارت فى أوربا حول هذه المسألة ، فلا أرى حاجة للتوسع فى تفنيد مدعيات الدكتور طه حسين فى هذا الباب

أود أن أختم انتقاداتى هذه بملاحظة صغيرة : عند ما يشرح الدكتور النظام الذى يقترحه لترقية الدراسة الثانوية يقول : « وكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الخالصة لإحدى اللغات فرضت عليه اللغة اللاتينية ولغة أجنبية حيّة وخيّرته بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » (ص ٣٠١) وإذا لاحظنا أن الطالب المذكور سيدرس — بطبيعة الحال — اللغة العربية وآدابها أيضاً ؛ نجد أنه سيتحتم عليه درس أربع لغات مختلفة على أن تكون الواحدة منها اللاتينية على كل حال . .

إننى أعتقد بأن إشغال الطلاب — خلال دراستهم الثانوية — بهذا القدر من اللغويات لا يهيئهم إلى الدراسات المذكورة ، بل يجعلهم أقل قابلية لاستساغتها بالمعنى الذى يفهم الآن فى دراسة الفلسفة والتاريخ والجغرافيا

أبو خلدون

جنــــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك
— ١٢ —

لا يعرف أحد كيف استباح الأستاذ أحمد أمين ما استباح فصنع بنفسه ما صنع !

وهل كان في مقدور ناقد مهما اعتسف أن يسيء إلى الأستاذ أحمد أمين بمثل ما أساء إلى نفسه بلا ترفق ولا استبقاء ؟

كنت أدعو الأستاذ أحمد أمين إلى رعاية ماضيه فأصبحت أدعوه إلى رعاية مستقبله ، فإني أخشى أن تضيع الثقة بكفايته العلمية فيصبح معدوم النصير والمعين ، وهو لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة الأصحاب والأصدقاء ، والمرء بنفسه قليل

أقول هذا وقد كشف الأستاذ أحمد أمين عن دفائنه المطوية فصرح بأنه يحتقر العقلية العربية في عهد الجاهلية ليتخذ من هذا الاحتقار وسيلة لتأييد دعواه في جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي

والجاهليون قوم كانت لهم حسنات وهنوات ، وكلمة الحق فيهم لا تؤذي أحداً من الناس ، وقد قال فيهم القرآن ما قال فلم يتأذَّ أحد من أخلافهم ، لأنه لم يقل فيهم غير الحق

أما التحامل على عرب الجاهلية ، وتجسيم مساويهم وتضخيم عيوبهم ، والتشهير بوثنيتهم ، والقول بأنها كانت وثنية أرضية وضيعة — كما يعبر أحمد أمين — فذلك إثم منكر يراد به تحقير الأرومة العربية وتسويء سمعتها في التاريخ ، وذلك لا يقع إلا من رجل يمشي في الوعر من عقوق الآباء والأجداد

نحن لا ننكر أن العرب القدماء كان فيهم وثنيون ، فقد كان الحال كذلك عند قدماء المصريين والفرس والروم والهنود ، وإنما ننكر أن تكون وثنية العرب وصلت إلى الانحطاط الذي تصوره أحمد أمين حين ارتضى السخف الذي تنطق به العبارة الآتية منسوبة إلى أحد الأعراب :

« كنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ، ثم طفنا به »

أو العبارة المنسوبة إلى أعرابي آخر :

« كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نرميه »

كذلك روى أحمد أمين، وهو في غاية من الطمأنينة عن بعض الكتب القديمة ليؤكد لقرائه أن العرب أهلٌ لأن يقول فيهم من الإفك ما يقول

وتصديقُ هذه الأخبار شاهدٌ جديد على العقلية العامية التي يعيش بها بعض الناس ، فليس من الصحيح أن العرب وقعوا في مثل هذا السخف ، وليس من الصحيح أن العرب كانوا يعبدون الشاة البيضاء فإذا أكلها الذئب أخذوا شاة أخرى وعبدوها، كما حدث الفقيه الذي نقل عنه أحمد أمين

* * *

أيها القراء اسمعوا ، وعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

أيها القراء اسمعوا تاريخ الوثنية الجاهليـة ، اسمعوها مني لا من أحمد أمين

كان في العرب وثنيون ، بشهادة القرآن ، ولكن أحمد أمين نسي حقيقة تاريخية ما كان ينبغي أن تغيب عن رجل يتصدر لتأريخ الحياة العربية . نسي هذا الرجل أن عصر النبوة شهد معركة عنيفة بين الوثنية والتوحيد ، وفي تلك المعركة جاز لرجال الدين أن يلطِّخوا تاريخ الوثنية بالسواد لينـدحر الوثنيون ولتنشرح صدور المؤمنين . فكل ما تقرأونه في الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالغفلة والحمق ، والطيش والخبال ، وسوء الفهم ، وبشاعة التصور ، وخمود العقل ، وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات الذميمة وُضِعَتْ لغرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد

وكان من حق رجال الدين أن يصنعوا في تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون ، لأنهم كانوا يرونها زيغاً في زيغ وضلالاً في ضلال

أما أحمد أمين فلا يملك هذا الحق ، لأن الإسلام قد استغنى نهائيًا عن حرب الوثنية الجاهلية بالنصر المؤزر الذي ظفرتْ به عقيدة التوحيد

والموقف اليوم قد تغير بلا جدال ، فهو ليس موقف الموازنة بين الجاهلية والإسلام حتى يستبيح ما يستبيح من تحقير الجاهليين ، وإنما هو موقف المفاضلة بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية ، وهو موقف لا نخترعه اختراعاً ، فقد صرح به الرجل الذى هداه فكره إلى القول بأن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة وأن وثنية اليونان كانت سماوية رفيعة !

إن أحمد أمين يقول بأن الوثنية العربية وثنية أرضية وضيعة، على حد تعبيره المهذب الجميل !

فهل يستطيع أن يقول من أين عرف أن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة ؟

إنه يجهل - وأنا أيضاً أجهل وسائر الناس يجهلون - كيف كانت الوثنية العربية ، لأن تلك الوثنية طمست آثارها منذ أزمان طوال ولم تذكر فى أى كتاب إلا بالتحقير والتصغير والتقبيح

وأنا أتحدى الأستاذ أحمد أمين أن يذكر كتاباً واحداً عنى مؤلفه بشرح الوثنية الجاهلية شرحاً بين ما لها وما عليها بلا تزيد ولا بهتان

إن العرب ألفوا كتباً كثيرة عن الأصنام ، ولكن الغرض من تلك الكتب كان غرضاً دينيا ، وهو غرض شريف أرادوا به أن يجعلوا رجعة العرب إلى وثنيتهم من المستحيلات . ولو كانوا يعرفون أن تلك الكتب ستكون حجة يعتمد عليها من يشاء له هواه تحقير الأرومة العربية وتمجيد الأرومة اليونانية لحفظوا لأسلافهم بعض ما كان لهم من حسنات فى عهد الجاهلية .

والحق أن الخلفاء الراشدين كانوا فى غاية من الحزم الصارم العنيف الشريف فى حرب الوثنية الجاهلية، لأنهم كانوا يريدون أن يكونوا أمثلة عالية فى رعاية الميراث الذى خلفه الرسول الكريم ، وهو ميراث التوحيد ، فلم يسمحوا لأحد برواية الأشعار التى تمثل الوثنية الجاهلية ، وخاف المسلمون على دينهم فهجروا ما خلفت الوثنية من أسماء وأحاديث ، وبالغوا فى التصون من تلك الآثار لئلا يقال إن فيهم نزعة وثنية

كان للعرب صنم اسمه يغوث ، فهل يعرف أحمد أمين مبلغ الأساطير التى صيغت حول يغوث ؟ وهل يعرف ما صيغ حول اللات والعزى من أقاصيص ؟ وهل يستطيع أن يقول بأن الوثنية العربية بقيت سليمة من التحريف والتبديل ؟

لو بقيت الأساطير الجاهلية لاستطعنا أن نعرف شيئاً عن الوثنية العربية ، ولكن تلك الأساطير ضاعت إلى الأبد ، لأن روايتها كانت محرمة على المسلمين ، والحكم على الغائب لا يخلو من تعسف واستبداد

لو أن الأستاذ أحمد أمين حين تحدث عن وثنية العرب بالتقبيح كان يريد إظهار فضل الإسلام على العرب لتلقينا كلامه بالقبول . فالإسلام نقل العرب من الظلمات إلى النور ، ولكن أحمد أمين يحقر الوثنية العربية لغرض آخر هو قوله الصريح بسماوية الوثنية اليونانية وأرضية الوثنية العربية

* * *

كنت أحب أن أنقض كلام أحمد أمين بشواهد من التاريخ؛ ولكن أين أجد تلك الشواهد وقد تقرب العرب إلى الله بوأد الوثنية الجاهلية ؟

وهل أملك اختراع الحجج والبراهين وقد تلقيت عن أساتذتى فى الجامعة المصرية وجامعة باريس دروساً كثيرة فى تكوين عناصر الحجج والبراهين ؟

الحق أنى لا أملك إسكات أحمد أمين لأنه يعتمد فى تحقير الوثنية العربية على ما رواه القصاص وأنا لا أقيم لتلك الروايات أى ميزان

فالعجز من جانبى تقضى به العقلية العلمية — ولا فخر — والقدرة من جانبه تقضى بها العقلية العامية من غير شك

إن العرب خلعوا وثنيتهم عامدين متعمدين طاعة لله الذى نهاهم عن التملق بالوثنية ، ولم يحفظوا من صور تلك الوثنية غير الصور التى قبحها القرآن ليروضهم على التوحيد ، فمن حدثكم أن العرب فى جاهليتهم كانوا يعيشون بعقلية أرضية وضيعة فاعلموا أنه يحكم على الغائب بلا بينة ولا برهان

* * *

وهنا مسألة دقيقة لا يمكن أن تخطر فى بال الأستاذ أحمد أمين ، لأنه على فضله بعيد كل البعد عن التعمق والاستقصاء

قلت لكم إن الحرب بين الوثنية والتوحيد قضت بإندحار الوثنية وتلطيخ سمعتها بالسواد ، وأقول الآن إن هناك حرباً ثانية عانتها الوثنية العربية أيام فتنة الشعوبية ، فقد أراد الشعوبيون

أن يجعلوا العرب فى جاهليتهم مثلاً فى السخف والحمق والخبال ، ولذلك تفاصيل يعرفها من يقرأ كتب الأدب والتاريخ بعقلية المؤرخ ...

وكذلك نعرف أن الوثنية العربية عوديتْ مرتين : مرة بسبب العصبية الدينية ، ومرة بسبب العصبية الجنسية . وقد خفيت أسباب المداوة الثانية على كثير من الناس

وخلاصة القول أن الوثنية العربية حوربتْ بلا هوادة ولا رفق ، ولم يبق من أصولها السليمة مايعين الباحث على تصحيح العقلية العربية فى العصر الذى نسخه الدين الحنيف ، فمن حق أحمد أمين أن يتزيد على العرب كيف شاء ، ومن حقنا أن نقول : إن إصراره على تحقير العرب فى جاهليتهم « وهو لا يعرف شيئاً صحيحاً عن وثنيتهم » هو إصرار الرجل المحروم من نور المعرفة بأصول المباحث العلمية فى العصر الحديث

* * *

بقيتْ فتنة أحمد أمين بالوثنية اليونانية التى ابتدعتْ أفروديت وأدونيس وإيروس ، فهل يعرف كيف عاشت الوثنية اليونانية ؟

لو أن اليونان كانوا أسلموا كما أسلم العرب لوُجد فى اليونان من يبدّل آثار الوثنية اليونانية بحيث تُصبح وتمسى وهى مثلٌ فى الرقاعة والسخف

ولكن اليونان عاشوا فى جاهليتهم بعد ظهور الإسلام بأجيال طوال ، وظلوا يتوارثون أوهام أسلافهم من عصر إلى عصر إلى أن جاء المتظرفون من شعراء الفرنسيس والإنجليز فعكفوا على تلك الوثنية يعبدونها من جديد لأنها قامت على أساس برّاق هو التقديس لجموح الأهواء وطغيان الأحاسيس

وهنا تُحلّ المشكلة التى حار فى فهمها أحمد أمين ، فهذا الرجل يعجب من سكوت العرب عن ترجمة ما كان عند اليونان من أشعار وأقاصيص

وأنا أتصدق عليه بحل هذا الإشكال فأقول : إن المسلمين الذين نهاهم دينهم عن إحياء الوثنية العربية قد انتهوا بفضل الدين عن إحياء الوثنية اليونانية

وهل يعرف صاحبنا متى استفحلت حماسة الأوربيين لوثنية اليونان ؟

إنهم انتصروا لتلك الوثنية يوم استحكمت المداوة بين اليونان والأتراك ؟ وهل كان يمكن لشاعر مثل بيرون أن يشايع اليونان لوجه الحق ؟

إن الغافلين يجهلون السر فى تغنّى شعراء فرنسا وانجلترا وإيطاليا بقلعة الأكروبول ، فهذا التغنّى كان له غاية أصيلة هى تمجيد الأمة التى جعلت عبادة الشهوات من الشرائع . ولو كانوا يريدون وجه الحق لوقفوا على « الكعبة » العربية التى يتوجه إليها الملايين من أهل الشرق والمغرب فى أوقات الصلوات ، والتى كانت مثابةً للألوف من أقطاب التشريع

ولكن الكعبة ليست من هوامم : لأنها لم تمجد الشهوات ولأنها خلتْ من عبادة أفروديت وأدونيس وإيروس !

إن الشهوة من أهم العناصر فى الحياة الإنسانية ، وهى تستهوى الناس فى كل عصر وفى كل أرض ، ولكن العرب امتازوا بين الأمم بالتخوف من عواقب الشهوات ، فكانوا لذلك موضع الغضب والسخرية من الشعراء الظرفاء الذين بكوا دماً على مصير اليونان أيام حرب الاستقلال

وهل يمكن القول بأن اليونان خدموا الشهامة والفتوة والرجولة كما خدمها العرب ؟

هيهات ! هيهات !

إنما هى وشائج من الشهوة والعصبية السياسية قضت بأن يقول الأوربيون إن وثنية اليونان كانت وثنية سماوية لتقوم لهم دولة تضايق بعض العرب والمسلمين فى الشرق

وأحب أن أبين أوجه الحق فى هذه القضية فأقول :

إن هيام الشعراء الأوربيين بالوثنية اليونانية له صلة وثيقة بما كان يكربهم من مصاعب وأهوال . ذلك بأن الوثنية اليونانية تقوم على عبادة المرح والبهجة والإيناس ، فأهواء الآلهة عندهم أهواء حادة من الوجهة الحسية بحيث يمثلون ما فى الطبيعة الحية من غضب وبطش وجبروت ؛ وأذواق الآلهة عندهم أذواق مترفة ناعمة تمثل ما فى الطبيعة الحية من مرح وجذل وفتون

والشاعر الذى يعيش فى رحاب الوثنية اليونانية يعيش عيش السعادة والنعيم ، فهو محروس بقوات خفية فى جميع الشؤون : فله عند الغضب إلـه ينصره هو إلـه الحرب ، وله فى أوقات السرور إلـه يرعاه هو إلـه الخمر ، وله عند الصبوة إلـه يفتح له قلوب الملاح هو إلـه الحب

وهذا هو السر فى أن شعراء أوربا وجدوا فى الوثنية اليونانية مالم يجدوه فى الشريعة الإسلامية ، مع أن الشريعة الإسلامية محلاة بالطرائف من أصول الآداب والفنون

وتوضيح ذلك سهل : فالذى ينظر فى الوثنية اليونانية يواجه اصطخاب الأهواء والأذواق والأحاسيس ، أما الذى ينظر فى الشريعة الإسلامية فيواجه بحراً هائجاً من الواجبات والتكاليف ، ويشعر بأنه مسئول عن كل شىء حتى خطرات القلوب

وهذه الخصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية كان لها دخل فى عدم ظفر الإسلام بنزو الشاعر فى الممالك الأوربية ، فالإسلام دين صارم عنيف لا ينظر للأهواء والشهوات إلا بعين الغضب والمقت ، وهو ينذر المسرفين على أنفسهم بالويل والهلاك

وقد استطاع الإسلام أن يؤثر فى المسيحية فخلق منها مذهب البروتستانت ، ولكن ذلك المذهب حول المسيحية إلى ميادين عقلية لا يتذوقها الجمهور الأوربى إلا بمشقة وعَنَت ، وما عاش ذلك المذهب إلا لأن الذين اعتنقوه كانوا أصحاء وسيعودون إلى الكثلكة يوم يغلب عليهم الضعف

واليونان تنصروا بعد الوثنية ، ولكن نصرانية اليونان نصرانية شعرية هى مذهب الأورثودكس ، وهو مذهب جذاب براق ترف أجنحته بأرواح الشعر والخيال . وهو نفسه مذهب النصارى فى مصر ، لأن الوثنية المصرية لا تقل ألواناً وتهاويل عن الوثنية اليونانية

والاسلام الصحيح لم يعرفه العرب إلا فى عهد الصحة والعافية ، فلما ضعفوا خلعوا على إسلامهم أردية جديدة من أردية الوثنية . ولو قام باحث بتدوين الأساطير التى صيغت حول الأولياء والصالحين لأمد الأدب بثروة تفوق الثورة التى عرفها اليونان أيام الوثنية

قد يقول قائل : وما محصول هذا الاستطراد ؟

وأجيب بأنه يفسر تلك الظاهرة الغريبة التى لم يقع مثلها فى التاريخ : فظهور الإسلام فى بلاد العرب يشهد بأن العرب لعهد ظهوره كانوا فى عافية روحية وعقلية ، ولذلك استطاع الإسلام أن ينسخ وثنية العرب إلى غير رجعة ، ليحولهم إلى رجال يفكرون فى عجائب الأرض قبل أن يفكروا فى غرائب السماء ، والأرض هى المزدرع الأصيل لطلاب السيطرة والجبروت من أصحاب العزائم الشداد

وأحمد أمين لا يفكر فى هذه الحقائق لأنه رجل محترم ، والرجال المحترمون يكتفون بما رضيه الناس من المنقولات والمرويات

ولكن أين نحن من جوهر هذا البحث ؟

أنا أخشى أن يكون فيما عرضته من الحجج والبيانات شىء من الغموض ، لأنى احترست فى عرض بعض المشكلات احتراس من يمشى على الشوك لأسلم من تقول المرجفين

فما هو جوهر البحث بطريقة واضحة صريحة تؤكد صدق ما ذهبنا إليه ؟

خلاصة القول أن أحمد أمين حكم بأن وثنية العرب كانت « أرضية وضيعة » وأن وثنية اليونان كانت « سماوية رفيعة »

وقد أثبتنا بالبرهان القاطع أن وثنية العرب محاها الإسلام ، ولم تبق لها رسوم ولا أطلال ، فالحكم لها أو عليها حكم على مجهول ونحن نتساجل بطريقة علمية لا تغنى فيها الأحكام على المجهولات أى غناء

وقد تحدث الإسلام عن وثنية العرب فى مواطن كثيرة من القرآن ، ولكنه لم يشر إلى ما كان فى تلك الوثنية من نفحات الشعر والخيال ، لأن الإسلام لا يرى الخير والحق والجمال فى عقيدة غير عقيدة التوحيد

وما كان ينتظر أن يصنع الإسلام غير الذى صنع ، فحكمه قام على أساس الصدق فى تطهير العقلية العربية من أوضار الأساطير والأباطيل

أما أحمد أمين فموقفه مختلف كل الاختلاف ، فهو يعيّر العرب بوثنيتهم ، وهى عنده أرضية وضيعة ، مع أنه لم يعرف من تلك الوثنية غير وجهها الدميم ، وذلك الوجه الدميم موضع شك وارتياب ، لأنه لُوّن بأصباغ جديدة خلقتها العصبية الدينية والعصبية الجنسية

وأحمد أمين ينظر إلى الوثنية اليونانية بعين الإعجاب ويراها سماوية رفيعة

ومن المؤكد أنه لا ينظر إليها تلك النظرة إلا وقد جرد نفسه من النزعة الدينية ، لأن الإسلام لا يرضى عن الوثنية فى أى شكل من الأشكال

فلم يبق إلا أن يكون نظر إليها من الوجهة الأدبية ، وعندئذ نقول إنه على حق فى الإعجاب بتلك الوثنية ، لأنها وثنية حية ولأنها لوّنت الأخيلة والأذواق فى كثير من الممالك والشعوب

ولكن تلك الوثنية ظفرت بحظ لم تظفر بمثله الوثنية العربية فقد ظفرت بالإعزاز والتبجيل على حين لم تظفر وثنية العرب بغير التحقير والتقبيح

فالجميل من الوثنية العربية تناساه المؤمنون ، والقبيح من الوثنية اليونانية تناساه المشركون . وكانت النتيجة أن لم يبق من وثنية العرب غير القُبح ، ولم يبق من وثنية اليونان غير الجمال

قولوا الحق أيها القراء !

ألا ترون أن الأستاذ أحمد أمين يجني على المنطق وعلى التاريخ حين يستبيح ما يستبيح في تحقير الجاهلية العربية وتمجيد الجاهلية اليونانية ؟

أنا أحتكم إليكم أيها القراء لتفصلوا بيني وبين هذا الزميل

إن الوثنية العربية قد انقرضت تمام الانقراض ، ولن تعود مصدر خوف على العقيدة الإسلامية ، فلا حرج على الرجل المسلم من القول بأن العرب في جاهليتهم كانت لهم أوهام وأضاليل قد لا تقل جمالاً عما كان عند الفرس والروم والهنود من أوهام وأضاليل

إن الأساطير تُخلَق لغاية معروفة هي ملء فراغ الأفئدة والعقول ، وكان العرب في جاهليتهم كاليونان في جاهليتهم يحتاجون إلى تزجية أوقات الفراغ بطرائف الأسمار والأحاديث ، فلم يكن بدٌّ من أن يبتدعوا ألواناً من الأقاصيص تصوِّر أهواء الأصنام والأوثان ، كما ابتدع اليونان ألواناً من الأقاصيص تصور ما كان عند آلهتهم من نزوات وشهوات وأهواء

ولكن أين الأساطير العربية ؟ أين ؟ أين ؟

لقد محاها الإسلام ليخلو الجوّ للعقيدة السليمة عقيدة التوحيد. وأنا مع ذلك قادر على وضع خطوط للوثنية العربية إن سمح الزمن بأن أعيش في بلاد العرب عامين اثنين أدرس فيهما ما بقي في أذهان العرب من أساطير الأولين ، ويومئذ نعرف بعض الفروق بين أحلام العرب وأوهام اليونان . فإن لم تُتَح هذه الفرصة فقد وجهتُ الأذهان إلى درس هذا الموضوع الطريف ، وهو موضوع حاولتُ درسه منذ سنين لأقدم عنه رسالة إلى جامعة باريس تحت عنوان :

La Mentalité des Arabes d'après le Coran

وقد صدَّني عنه رجالٌ ثلاثة : أولهم الدكتور طه حسين وكانت حجته أن هذا البحث قد ينتهي إلى « الكفر الموبق » وثانيهم لطفي باشا السيد وكانت حجته أنه لا يحسن تعريض الجمهور لفتن جديدة ، وثالثهم المسيو فييتْ وكانت حجته أنه لا يمكن لباحث أن يسْبُر أغوار هذا البحث إلا بعد أن يقيم في جزيرة العرب بضع سنين

ولو أن القادر كانت سمحت بالمضيّ في هذا البحث (وكنت شرعتُ فيه سنة ١٩٢٧) لكان من المستحيل أن أعجز عن تقديم صورة من الوثنية العربية أُقاوم بها السِّحر الذي تتمتع به وثنية اليونان . فهل أنتظر أن يكون بين طلبة كلية الآداب من يوجه همته إلى هذا البحث الطريف ؟

هل أنتظر أن يكون فيهم من يؤرخ المدة التي غفل عنها مؤلف كتاب « فجر الإسلام » ؟

إن من القراء من يذكر أني نبهت الأستاذ أحمد أمين إلى هذه النقطة بمقال نشرته في جريدة البلاغ ، ومنهم من يذكر أن بعض تلاميذ الأستاذ أحمد أمين دافع عنه يوم ذاك

والمشكلة مع ذلك باقية ، وقد فصلتها في كتاب النثر الفني بعبارات تعجب منها الأستاذ أحمد أمين ، ودهش من سكوت الجمهور عما فيها من صراحة جريئة ، وأشار إلى أنه تلطف بالسكوت عنها يوم نقد كتاب النثر الفني في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٤

أيها المولعون بالمباحث الأدبية والتاريخية

أنا أوجهكم إلى موضوع صدني عنه ظروف الحياة ، وهو درس ما بقي في أذهان العرب من أساطير الأولين لتعرفوا شيئاً من رسوم الوثنية العربية التي حاربها القرآن

فإن وفقتم إلى شيء فسنعرف كيف كان العرب يتصورون الدنيا والوجود قبل أن تظلهم راية الدين الحنيف ، ويومئذ نعرف كيف كانت جاهلية العرب بالقياس إلى ما عرفنا من جاهلية اليونان

(للحديث شجون) زكي مبارك

حول نعيم الجنة

بين الحسية والروحية

للدكتور محمود على قراعة

نحن لم ننكر ما فى وجوه أهل الجنة من نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل واللبن ، محفوفة بالغلمان والولدان ، مزينة بالحور العين ، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكننا إن آمنا بهذا كله ، فإننا أكثر إيماناً بأن لذة النظر إلى وجه الله تعالى تفوق كل اللذات ، وأن لذة اللقاء والرضى أسمى نعيم . وإننا نرى أن اللذات الأخرى الثانوية لذات حسية تسمو بالروح أو لذات روحية معنوية تطربها ، لذلك قال مجاهد فى قوله تعالى « وأزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد ، فارتفع بلذة الأكل والشرب والنكاح من المستوى البهيمى إلى مرقاة الروح . وأنت فى هذه الدنيا إذا جلست إلى مائدة فخمة ، فتحركت فيك شهوة الطعام وسررت بألوانه المختلفة أمام ناظريك ، تستطيع أن تضع على المائدة الأزهار والرياحين الجميلة ، ووجودها لا يلهب الرغبة فى الطعام ، بل يجعلها شريفة ويوجد حولها جواً روحياً يسمو بها بعض السمو . ولذلك نرى الغزالى وهو حجة فى الاسلام يجعل للأكل صفة اجتماعية منظمة ، فيرى أن من آدابه أن يكثر الإنسان الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده ، وأن يغسل اليد لأن اليد لا تخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ، ولان الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة ، وأن يبدأ بيسم الله فى أوله ويحمده فى آخره . ولا ريب فى أن القصد من هذا السمو بلذة الأكل وإحاطتها بأجواء روحية تخرجها بقدر الإمكان عن ماديتها . فإذا قلنا بروحية اللذات فى الجنة وبأن الحسى منها يعززه الإشعاع الروحى ، فإننا إنما نعبر أصدق تعبير عن روح الإسلام (ولو كره الأستاذان جوبق وحمدان) . وكذلك يمكن القول عن الصلة بين المرء وزوجه ، هل يمكن قصرها على الصلة البهيمية وإبعاد الصلة القلبية الروحية ، أم أن الصلة القلبية الروحية هى الأصل ، وما عداها تابع ؟ ! ثم لماذا ننكر خطر الإشعاع الروحى ؟ أما القول بأن السمو الروحى للذات الحسية يعترضه أن كل شخص لا يمكن أن يتعدى درجته من النعيم ، فمردود بأنه لن يتعدى درجته لأن ما حوله من نعيم يهيئ له السمو الروحى للدرجة المقدرة له . هذا إذا جاريناهم لنستدرجهم ، لأنه لم يقل أحد بتحديد اللذة وإن كنا نختلف فى درجات النعيم ، فكما أنك فى الدنيا لك أن تستعمل ملكك فى كل أوجه الاستعمال إلا الاستعمال المنافى للقانون أو الذى فيه إساءة لاستعمال الحق أو التعدى على الغير ، فأقل ما يتصور أن تكون كذلك فى الآخرة لا يحد من استعمالك إلا بعد هذا الاستعمال عن جو السمو الروحى الذى يشع على المؤمنين . ثم إن تحديد الدرجات لا يمنع أن أتمتع بكل ما أستطيع من النشوة الروحية ، لأن الممنوع ليس الصعود فى نشوتى بل الرقى عن درجتى . ثم إن الذى يحدد هذه الدرجة هو معرفة الله ، فبقدر معرفته سبحانه ستكون درجات النعيم ، وبقدر معرفته سبحانه ستكون اللذة . ولعل الذين ينكرون هذه الفكرة ، يفهمون قول التلمسانى إن من شئون النفس أنها كلما قل اشتغالها بالبدن انبسطت وأعطت قواها ، وأنها كلما ازدادت علماً فعلمت به ، ازدادت قوة على ما هو أغمض وأرفع ، فلا هى تنحصر ولا الأمر ينتهى . ولذا رأى المناوى أنه على من أراد أن ينزع عن عالم الحس ويرجع إلى ذاته ، أن يعمل على ركود حواسه الظاهرة ليقوى على أن يحس بما لا يقع عليه الحس . فإذا فهموا معنا أن النفس الإنسانية كما قال الغزالى ليست جسماً ولا جسمانية بل هى جوهر مجرد (أى ليست قوة جسمانية حالة فى المادة ولا جسماً بل ولا مكانية لا تقبل الإشارة) متصرف فى البدن تصرف التدبير من غير أن تكون داخلة فيه بالجزئية والحلول ، استطاعوا أن يعرجوا مثل فيثا غورس إلى العالم العلوى (إذا سما جوهرهم) وأن يسموا مع أرسطو وأفلاطون إلى درجة الخروج عن البدن كأنهم مجردون لا أبدان لهم ، فيروا أنفسهم داخلين فى ذواتهم خارجين عن سائر الأشياء ، ويروا فى نفوسهم المتجردة من أثقال البدن أنواعاً من الحسن والبهاء ، ما تعجب وتريهم أنهم من الجوهر الأعلى الأفضل

الشريف وأنهم ذوو حياة فعالة كما قال العلامة مسعود التفتازانى فيفهمون مع الصوفيين أن كل المخلوقات بأسرها مظاهر صفات الله وطريق إلى القرب منه وزيادة معرفته . فإذا ما فهموا معنى هذا فإنا لا نبخل عليهم فى أن نضرب لهم مثلاً لحسيات تسمو بأرواحهم، وأسمى مثل هو مثل الصور الجميلة الآدمية وهى حسيات تدعو الكثيرين إلى أحط أنواع اللذات الحسية ، ولكنهم إذا اتبعوا السمو الذى ذكرنا ، فإنهم واصلون إلى فهم أن هذه الصور موصلة إلى معرفة معانيها ، وما معانيها إلا إدراك قدرة الله تعالى وعظيم شأنه وجليل جماله ، فإذا ناجى المخلوق صورة آدمية جميلة فهو لا يناجيها هى بالذات وإنما يناجى خالقها البادى جماله ومظاهر قوته فى معانيها . ولذا نجد ابن الفارض يقرر فى تائيته الكبرى أن حسن كل مليح ومليحة معار من حسن الذات الإلهية ، وأن قيساً حينما هام بلبنى، وأن مجنون ليلى حين هام بليلى، وأن كثير عزة حين هام بعزة ، وأن كل العشاق حين يهيمون بمعشوقيهم لا يهيمون بهم على الحقيقة ، وإنما هم يهيمون بالذات الإلهية التى صورت تلك الصور فأحسنت خلقها ، وأن الله مرئى وأن تلك الصور الجميلة المختلفة وإن تعددت إنما تعبر عن معنى واحد وهو الجمال الإلهى ، وأن العشاق جميعاً ينضوون تحت لواء لأنهم جميعاً يعشقون معنى واحداً . وبعد أن ذكر فى شعره شوقه للذات الإلهية كلما رأى حسناً وكلما هاجه حب ، فيشاهدها فكره بطرف تخيله ، ويسمعها ذكره بمسمع فطنته ، فينتشى فى ظاهره ويطرب فى باطنه ، ويرقص قلبه وتشدو روحه ، ويراها ماثلة فى معانى الحسن والجلال — خرج من ذلك إلى أن الإنسان يمثل الله على أرضه لأن فيه معنى من معانى جلال الرب . وكما أن من شاهد نفسه فى المرآة بدت له صورتها ، وأن من تكلم بأكناف القصور سمع صوت نداه ، فكذلك كل مظاهر القوة والجمال فى هذا العالم ليست غير المعنى الإلهى الذى أودعه فيها . فالعبد على هذا إذا ناجى ربه فإنما يناجى علة وجوده ، والرب إذا ناجى عبده فإنما يناجى خلقه وصنعه ، فالصلة بين العبد وربه إذن صلة موجود وموجِد ، وما دام الموجِد أصل الموجود ، والموجود لا يوجد إلا بهذا الموجِد فالعبد عند معرفته نفسه ووقوفه على سموها ورفعتها إنما يعرف فى ذلك ربه . والصورة الجميلة على ذلك إذا توجبت وإذا عشقت

وإذا هيم بها ، فإنما يهام بها وتناجى وتعشق لهذا المعنى . هذا مثل نضربه للسادة الحسيين. وإذا أرادوا أمثلة أخرى فليرجعوا لكتابينا مملكة الجمال والحق والخير، ومناجاة الجمال ، ليجدوا أنا نرى أن الذى يشوق هو الحياة فى العيون ، حياة بريقها وحياة سحرها، والحياة فى الحديث والحياة فى الابتسامة ، وأن خفة الروح هى التى تحبب إلينا الجميل ، تحبب إلينا حديثه فتجعله مغناطيساً جاذباً لقلوبنا، وتبعث إلينا فتنته فتور عينيه، وترسل إلينا تحيته ابتسامته وأنها صلة روحية يعوزنا لتذوقها أن نتفهمها لتحول بيننا وبين البهيمية ولنقدس بها النعم علينا بها . وأحب بعد ذلك من هؤلاء الحسيين أن يجولوا معنا فى كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه جولة قصيرة ليقفوا أمام قوله : « وقد ظن قوم أن كمال الإنسان وغايته هما فى اللذات الحسية ، وأنها هى الخير المطلوب والسعادة القصوى . وظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه من أجل هذه اللذات والتوصل إليها ، وأن النفس الشريفة التى سميناها ناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها ويوجهها نحو هذه اللذات لتكون الغاية الأخيرة هى حصولها على النهاية والغاية الجسمانية . وظنوا أيضاً أن قوى النفس الناطقة أعنى الذكر ، والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية ، قالوا وذلك أن الإنسان إذا تذكر اللذات التى حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، فقد صارت منفعة الذكر والحفظ إنما هى اللذات وتحصيلها ، ولأجل هذه الظنون التى وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد المهين وكالأجير المستعمل فى خدمة النفس الشهوية ، لتخدمها فى المآكل والمشارب والمناكح وترتبها لها وتعدلها إعدالاً كاملاً موافقاً . وهذا هو رأى الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس السقاط . وإلى هذه الخيرات التى جعلوها غايتهم ، تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل وهى التى يسألونها ربهم تبارك وتعالى فى دعواتهم وصلواتهم ، وإذا خلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها ، فإنما ذلك منهم على سبيل التجر والمرابحة فى هذه بعينها ، كأنهم تركوا قليلها ليصلوا إلى كثيرها ، وأعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا إلى الباقيات ، إلا أنك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الأفعال إذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الأعلى الأشرف وما نزههم الله عنه من هذه

القاذورات ، علموا بالجملة أنهم أقرب إلى الله تعالى وأعلى رتبة من الناس وأنهم غير محتاجين إلى شيء من حاجات البشر ، بل يعلمون أن خالقهم وخالق كل شيء الذي تولى إبداع الكل هو منزه عن هذه الأشياء متعال عنها غير موصوف باللذة والتمتع مع التمكن من إيجادها ، وأن الناس يشاركون في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات والهمج من الحيوان ، وإنما يناسبون الملائكة بالعقل والتمييز ... » وبذا نراه وضع لنا أساساً سامياً نبيلاً في تقدير اللذات ، وأن أسماها ما كان ربانيا . ثم جل معنا إلى أن نصل إلى قوله : « إن الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة ، وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام لأنه مركب منها ، فهو بالخير الجسماني الذي يناسب به الأنعام مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى إذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي وأقام فيه دائما سرمداً في صحبة الملائكة والأرواح الطيبة » . ثم نراه يقرر أنه ليس يعني بالعلوي المكان الأعلى في الحس، ولا بالسفلي المكان الأسفل في الحس ، بل كل محسوس فهو أسفل وإن كان محسوساً في المكان الأعلى ، وكل معقول فهو أعلى وإن كان معقولاً في المكان الأسفل . ثم نراه يذكر لنا أن للحس لذة عرضية على حدة ، وأن للعقل لذة ذاتية على حدة ، وأن من لا يعرف اللذة الذاتية لا يعرف اللذة بالحقيقة ولا يلتذ بها . وهو يسمى اللذة الناقصة التي تشاركنا فيها الحيوانات لذة انفعالية، ويسمى التامة التي يختص بها الحيوان الناطق لذة فعلية أي فاعلة ، وسمى اللذات الحسية المقترنة بالشهوات عرضية لأنها تزول سريعاً وتنقضي وشيكاً بل تنقلب لذاتها فتصير غير لذات بل تصير آلاماً كثيرة أو مكروهة بشعة مستقبحة ، أما اللذة الذاتية فتسمى كذلك لأنها لا تصير في وقت آخر غير لذة ولا تنتقل عن حالها بل هي ثابتة أبداً . وخرج من هذا الحكم بأن السعيد تكون لذاته ذاتية لا عرضية، وعقلية لا حسية، وفعلية لا انفعالية، وإلٰهية لا بهيمية. ثم يحدثنا بعد ذلك عن الجوهر الإلٰهي الذي في الإنسان وأنه إذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم تجذبه أنواع الشهوات وأصناف محبات الكرامات ، اشتاق إلى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذي لا تشوبه مادة؛ فأسرع إليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه، فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة، ويصير إلى معنى الاتحاد، استعمل الطبيعة البدنية أم لم يستعملها، إلا أنه بعد مفارقته الطبيعة بالكلية أحق بهذه المرتبة العالية ، لأنه ليس يصفو الصفاء التام إلا بعد مفارقته الحياة الدنيوية . فترى من هذا كله إعزاز الجانب الروحي في الدنيا ، وهو بلا ريب في الآخرة أعز ، وفي الجنة أوفى ، فأحب أنا إذا ذكرنا الحور العين مثلاً وأنهن كما ذكر الغزالي غنجات عاطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام، وإذا ذكرنا أنه يطاف على المؤمنين وحورهم بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين وأن الذين يطوفون خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر (كما جاء في القرآن في سورة الرحمن والواقعة ، وغيرهما) أحب أن يكون فهم لذة هذا كله ما ذكرنا من تقديس خالق هذه الصور وهذه الجنات وهذه الأنهار ، وفهم أن اللذة الروحية التي يتمتع بها المؤمنون من كل هذا هي أسمى مما يصوره بعضهم من أن المقصود هو أن يباضع المؤمن كل هذه الحور وأنه يؤتى قوة عجيبة إذ ذاك على الجماع. ولا أنكر أن يكون هذا في الجنة لأنه لذة وإن كانت لذة حسية إلا أنها لذة لصاحبها والرغبة فيها . ولكن الذي أنكره وأنكره بكل قواي أن يكون هذا الأمر الثانوي هم أهل الجنة أو أن يفهم بعضهم من ذكر الولدان الفهم السقيم الذي سبق أن ذكرناه وعارضنا فيه بعض العلماء ، وأرى أن أسمى جزء في التمتع هو التمتع بالفكرة الروحية ، وأن يكون المؤمنون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الله الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لهم فيها كل ما يشتهون، وأنهم كل يوم بفناء العرش يحضرون، وأنهم ينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان . هذا وقد ذكر الأستاذ داود حمدان البعث والنشور ، والرأي أنه سواء أخذنا بإعادة المعدوم في الكل أو جمع ما تفرق من الأجزاء أو إعادة ما انعدم بذاته من الأجزاء وتأليف ما تفرق منه ، فإنها إذا أعيدت في الآخرة فلا بد أن يجعلها الله تعالى في نشأة أخرى مستعدة للبقاء غير قابلة للفناء مهيأة لما تلقاه من النعيم أو العذاب، وتكون الأرواح فيها قوالب الأبدان والأبدان من جنس أرواحها كما ذكره ابن القيم، وإن جميع الإدراكات من

سمع وبصر ولذة وألم لا تكون متفرقة فى مواضع البدن كما هى فى نشأة الدنيا بل يوصف كل جزء بأنه سميع بصير متلذذ متألم كما تقتضيه نشأته « وننشئكم فيما لا تعلمون » ومعنى « كما بدأنا أول خلق نعيده » أنا نعيد أول خلق مماثلاً للذى بدأناه؛ والتشبيه يقتضى المغايرة (كما ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى فى كتابه أحكام الروح ص ٩٨) فهذا لا ينافى إعزاز اللذة الروحية . وكذلك ذكر الأستاذ جويق رؤية الله تعالى، والرأى أنه جل شأنه لا يرى ولا يحس إلا بعيون مخلوقة له ومجلى لائق باستعداد الرائى كما نقله الألوسى عن بعض المحققين فى تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » أنه إذا رفع الحجاب بينه تعالى وبينهم ينظرون إليه وينظر إليهم عز وجل . وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية فيرونه سبحانه لكن لا من حيث ذاته البحت ولا من حيث كل تجـلٍ حتى تجليه بنوره الشعاعى الذى لا يطاق ، بل بتجل مطاق لهم وملائم لاستعدادهم، وأن هذا الحجاب (كما ذكر أستاذنا مخلوف فى أحكام الروح ص ١٠٢) غير الحجاب المشار إليه فى حديث « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه (أنواره وجلاله وعظمته التى منها خر موسى صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى عليه) كل شىء أدركه بصره ، فلا معنى لرؤية ذاته تعالى عنـد المحققين إلا رؤية حجابه (حجاب التنزل والتجلى) كما أنه لا معنى لرؤية ذواتنا إلا رؤية ألوانها وأضوائها ، وهذه لذة روحية عند من يفهمون الروحانيات . جعلنا الله رجال روح ، ومتعنا فى الجنة بحسياتها ومعنوياتها نعيم روح أبدى سرمدى .

محمود على قراعه

خليـــل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

وصف الفرزدق و « الفرزدق واسع المخيلة ، حسن الملاحظة ، جيد القصص ؛ وهذه المزايا أهم عناصر الوصف في الشاعر ، وهو أميـل إلى الأسلوب القصصي في الوصف . ولو توسع فيما كان يتناوله من المعاني على سبيل التشبيه أو التمثيل أو الإشارة، لو توسع أوخصص ، لخلف للأدب العربي صوراً من أروع الصور الشعرية »

ذلك مما قال الأستاذ في الشعر الوصفي الفرزدق ، وقد روى له في هذا الباب أشياء محكمة ، وأشار إلى غيرها ذاكراً أماكنها في الديوان . ومما رَوى له قوله في سفينة :

وراحلةٍ قد عودوني ركوبها ... وما كنتَ ركاباً لها حين تُرحل

قوائمها أيدي الرجال إذا انتحت ... وتَحمل من فيها قعوداً وتُحمل

إذا ما تلقّتها الأواذيّ شقها ... لها جؤجؤ لا يستريح وكلكل

إذا رفعوا فيها الشراع كأنها ... قَلوص نعام أو ظليم شمردل(١)

وقوله في أسد :

وردُ السراة ترى سودا ملاغمه ... مجاهر القرن لا يكتن بالخمر(٢)

كأن عينيـه والظلماء مسدفة ... على فريسته ناران في حجر

كأن عطارة باتت تَعلّ له ... بالزعفران ذراعى مخدرهصر(٣)

(١) القلوص : الشابة من الابل ، وفي الأساس « من المجاز : رأيت ظليما وقلوصه وهي أنثاه » . والقلوص بفتح القاف كما ضُبط الأستاذ المردمي لا بالضم كما جاء في طبعة الصاوي . الشمردل : القوى الفتى الجلد (اللسان)

(٢) اللاغم : ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه (اللسان) . وفي الأساس : تلغمت المرأة بالطيب جعلته على ملاغمها .

(٣) تعل — بكسر العين وضمها — : تصبغ (هصر) بفتح فكسر ، وضم ففتح. هصر الفريسة يهصرها هصراً إذا كسرها ، وأمالها إليه (مخدر) : المخدر الأسد الذي قد اتخذ الأجمة خدرا مثل المخدرات في الزمان الأول . . .

وقوله في شجّة يهدد بها جريراً — روى الأستاذ منـه تسعة أبيات — :

بعيـدة أطراف الصـدوع كأنها ... ركيّة لقمان الشبيهة بالدّحل(١) ... !

إذا نظر الآسون فيها تقلبت ... حماليقهم من هول أنيابها الثُّعل(٢) !

إذا ما رأتها الشمس ظل طبيبها ... كمن مات تحت الليل مختلس العقل !

يود لك الأدنون لو مت قبلها ... يرون بها شراً عليك من القتل !

وقوله في الشيب :

تفاريق شيب في السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم ؟

وأبياته في الذئب مشهورة مستأسدة .

* * *

تغزل الفرزدق و « غزل الفرزدق على ما فيه من جفاء أصدق ما قال من الشعر . فهو الذي يكشف عن طبع الفرزدق الجافي ونفسه الماجنة الشرهة إلى اللذة . وهو غزل شهواني غير عفيف فيه فجور ومجون ، وعاطفة الفرزدق فيه خشنة . وله غزل يقص فيه حوادثه الغرامية ، وقد يصف الحوار الذي يدور بين أشخاص تلك الحوادث ، ولا سيما النساء ؛ وقصصه الغزلى أشبه بالقصص المروى لامرئ القيس » .

وقد أورد الأستاذ أمثلة كثيرة من أقوال الفرزدق تبين أسلوبه في غزله — من ذلك خمسة وعشرون بيتاً — من القصيدة التي مطلعها :

ألا من لشوق أنت بالليل ذاكره ... وإنسان عين مايغمض عائره ؟!

والختام فيما أورده (الكتاب) هو :

فيارب ، إن تغفر لنا ليلة النقا ... فكل ذنوبى أنت (يارب) غافره

ومما روى الأستاذ :

يا أخت ناجية بن سامة ، إننى ... أخشى عليك بنىّ إن طلبوا دمى

(١) ركية لقمان : بئر لقمان بن عاد بين البحرين واليمامة . الدحل : نقب ضيق فمه ، ثم يتسع حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر (اللسان)

(٢) ثعل : إختلفت منابت أسنانه وتراكب بعضها على بعض (المصباح) الآسون : الأطباء

لو كنت فى كبد السماء لحاولت كفاى مطلّماً إليك بسلم
هل تذكرين إذ الركاب مناخة برحالها لرواح أهل الموسم ؟
إذ نحن نخبر بالحواجب بيننا ما فى النفوس ونحن لم نتكلم
ولقد رأيتك فى المنام ضجيعتى ولثمت من شفتيك أطيب ملثم !

منع الحياةَ من الرجال وطيبها حدقٌ تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لنبلها أغراض !

وفى (ديوان المعانى) فى (ما قيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال) : فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا مامضى عشرون يوماً تحركت أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيد بيننا لكى يلتقى مظلوم قوم وظالمه
فإن شال شوال نُشل فى أكفنا كؤوس تمادى العقل حين تساله

ومعانى هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وإذا لم تكن هذه الأبيات لمن نسبت إليه فمن قائلها ؟

وروى البحترى له أبياتاً فى الشيب والشباب فى حماسته منها :

فلم أر كالشباب متاع دنيا ولم أر مثل جدته ثيابا !
ولو أن الشباب يذاب يوماً به حجر من الجبلين ذابا !

***

قال الفرزدق فى الأدب والحكمة و « للفرزدق فى الأدب والحكمة مقدار من الأبيات يشتمل بعضها على رأى صحيح أو حكمة حسنة ، أو قول يتمثل به ، وهذا الضرب يمثل الروح العربية فى أدبها وحكمتها » .

وروى الأستاذ للفرزدق جميع الأبيات الآتية :

لا يعجبنك دنيا أنت تاركها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا
يفنى أخوك ، فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ألم تعلموا يا آل طوعة أنما يهيج جليلات الأمور دقيقها

قوارص تأتينى وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

والإناء فى طبعات الأغانى والكامل ، وطبقات الشعراء للجمحى ، والإيجاز والإعجاز للثعالبى . ورواية (الأتى)[1] أقرب إلى الفرزدقية :

---

(١) الأصمعى : كل جدول ماء أتى (اللسان)

فكان كعنز السَّوء قامت بظلفها إلى مدية وسط التراب تثيرها[1]
وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

من هنا أخذ صاحب (اللزوميات) القائل :

وافعلْ بغيرك ما تهواه يفعله وأسمع الناسَ ما تختار مُسمعه
وأكثرُ الأنس مثل الذئب تصحبه إذا تبيّن منك الضعفَ أطعمه

وبيت الفرزدق من شواهد الصحاح واللسان والتاج وغيرها .

وفى اللسان : « تقول هذا رجل سَوء بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هذا رجل السوء . قال الفرزدق[2] ... »

فقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى كثيراً ، ولكن لا تلاقى الخلائق

هذا البيت فى ثلاثة أبيات ذكر البغدادى منها اثنين : « قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ؛ وذلك كما قال صديق مولانا القريب ، وابن عمه النسيب الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : إنزل على أبى قطن قبيصة فحسبه ابن مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ماسرت من ليلها ثم وافقت أبا قطن ليس الذى لمخارق

وقد تلتقى ... و (تلاق) إما فعل حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، وفى البيت — والحالة هذه — إكفاء أو إقواء ، وإما مصدر سكنت الياء فيه ضرورة ، وفى (شرح النهج) لابن أبى الحديد : « ولكن ميزوا فى الخلائق » . ورواية الأستاذ المردمى والبغدادى أصح .

وروى الأستاذ لأبى فراس من مقلداته :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جناً إذا ما نجهل !

---

(١) فى شرح الشريشى : كالعنز تبحث عن المدية . هذا مثل العرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فاستخرجت منها شفرة . فذبحوها بها وقالوا : بحث عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلاً . وقال الشاعر : وكانت كعنز السوء . . .

(٢) ولا يقال : هذا رجل السوء أو رجل سوء بالضم لأن السوء اسم للضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن . فيقوم مقام قولك ضراب وطعان (اللسان)

قال الآمدى فى (الموازنة) — وإنى لأنقل قوله على ما بيننا من خصومة قديمة ... — : « أنكر أبو العباس قول أبى تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه برد

وقال : هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت .

والخطأ فى هذا ظاهر ، لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والرزانة ، كما قال الأخطل :

شُمس العـــداوة حتى يستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[(١)]

وكما قال الفرزدق : أحلامنا ... ومثل هذا كثير فى أشعارهم.
ألا ترى أنهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خف حلمه .

ونسب أبو تمام فى الحماسة إلى الفرزدق هذين البيتين :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخـرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وهما للعلاء بن قرظة خال الفرزدق : « قيل للفرزدق مالك وللشعر فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعة شاعراً . فمن أين لك هذا ؟ قال : من قبل خالى . قيل : أى أخوالك ؟ قال : خالى العـلاء بن قرظة الذى يقول : « إذا ما الدهر ... ؟ »

وفى (ديوان الحماسة) فى باب الحماسة مقطوعة — ثمـانية أبيات — للفرزدق ، واختير له فى باب المديح والأضياف : ستة أبيات جيدات . يقول فيها واصفاً قِدره التى بعث بها إلى ضيفه :

غضـوباً كحـيزوم النعامـة أُحمشت
بأجواز خشب زال عنها هشيمها[(٢)]

وروى الأستاذ المردى للفرزدق هذا البيت :

أترجو ربيع أن تجىُ صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

ونسـبه أبو تمام فى الحماسة إلى شميث بن عبد الله ، والبيت من مقلدات الفرزدق .

وروى أبو تمام فى باب الهجاء لفرعان بن الأعرف فى ابنه منازل مقطوعة ، فيها هذان البيتان :

وربيتـه حـتى إذا ما تركـته
أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت
يداك يدا ليث فإنـك ضـاربه

والبيت الثانى للفرزدق فى مقطوعة فى ابنه لبطة ، وكان من المقفة (واستغنى عن المسح شاربه) من بيت فى القطوعة .
قالوا : كان فرعان من اللصوص ، فهل سرق المقال سرقته المال أو لص[(١)] الفرزدق اللص[(٢)] ...

ولم يرو أبو تمام فى الحماسة للأخطل شيئاً ، وروى لجرير ثلاثة أبيات فى رثاء ابنه سـوارة ، ولا يدل ذلك على أن ليس جرير جريراً ولا الأخطلُ الأخطلَ

يقول الأستاذ : « وللفرزدق ضرب آخر ، فيه زهد ونسك وتوبة ووعظ وإقرار بالذنب وزجر للنفس ؛ وهذا الضرب يمثل الروح المتأثرة بالدين ، وهو فى كلا الضربين — فى هـذا وفى شعره فى الأدب والحكمة — يمثل الشاعر الإسلامى فى عصر بنى أمية عصر العروبة المتأثرة بالإسلام ، من ذلك قوله :

ألا كل شىء فى يد الله بالغ له أجل عن يومه لا يحوّل
وإن الذى يغتر بالله ضـائع ولـكن سينجى الله من يتوكل
تبين ما يخفى على الناس غيبه ليالٍ وأيامٌ على الناس دوّل
يبين لك الشىء الذى أنت جاهل بذلك علام به حين تسأل

وروى الأستاذ لأبى فراس أربعة عشراً بيتاً من قصيدته

(١) يقول الثعالبي فى (الايجاز والاعجاز) : الأخطل أمير شـعره قوله : شمس ... وفى الأغانى : قيل لأبي العباس أمير المؤمنين : إن رجلا شاعراً قد مدحك فتسمع شعره . قال : وما عسى أن يقول فى بعد قول ابن النصرانية فى بنى أمية : شمس العداوة ...

(٢) جعـل غليانها غضباً لها ، حيزومها : صدرها . إحماش النار : إلهابها (التبريزى) ، وفى الأساس : « وسمع به — بالبيت — ميسرة فقال : وما حيزوم النعامة ؟ والله ما يشبع الفرزدق . ولـكنى أقول :
وقدر بجوف المبـل أحمشت غليها ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل ...

(١) أو لص ، ولك أن تقول أم لص ، على كلامين كما قال سيبويه . وقال ابن هشام فى شرح الشذور : « ولا يجوز بناء شىء منها — من فعال — من نحو اللصوصية لأنها لا فعل لها » ، والصحيح أن لها فعلا

(٢) مثلث

التى أعلن فيها توبته وهجا إبليس ، منها قوله :

وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى رضاه ولا يقتادنى بزمام[1]

سأجزيك من سوءات ما كنت سقتنى إليه جروحاً فيك ذات كلام !

تعيرها فى النار والنار تلتقى عليك بزقوم لها وضرام !

وقد اغتبط أبو فراس بهذا الهجاء فغدا إلى الأمام الحسن البصرى فقال له : إنى هجوت إبليس فاسمع . قال : لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس ...

قال : اسكت ، فإنك بلسانه تنطق ...

قال الأستاذ : « وللفرزدق ممان لا تدخل تحت باب من هذه الأبواب ولكنها ذات بال لأنها تلقى نوراً على حياة الفرزدق الخاصة وحياة محيطه » وأشار إلى أشياء من هذه المعانى وروى أبياتاً للفرزدق يشكو فيها إلى الوليد بن عبد الملك جور عامل ، منها قوله :

أمير المؤمنين وأنت تشفى بعدل يديك أدواء الصدور !

فكيف بعامل يسعى علينا يكلفنا الدراهم فى البدور !

وأنى بالدراهم وهى منا كرافع راحتيه إلى العبور[1] !

فلو سمع الخليفة صوت داع ينادى الله هل لى من مجير !

وأصوات النساء مقرنات وصبيان لهن على الحجور !

إذن لأجابهن لسان داع لدين الله مغضاب نصور !

(يتبع — الأسكندرية) ***

***

جاء فى القسم فى الجزء ٣١٩ : «الحق أن الأدباء» بضم الحق وهى (الحق أن) بنصب الحق ونصب الحق على الظرف ، والرفع وجه . وجاء «عليه إذا عد الحصى يتخلف» وهى (يتحلف) أى يتحالف الأقوام عليه ، تجتمع عليه حلفاء وجاء فى الجزء ٣٢٠ : والفرزدق خمسة وعشرون قصيدة والصواب خمس كما هو ظاهر .

(١) إبليس لم يصرف لأنه أعجمى معرفة . فى تاريخ بغداد الجزء (١٣) الصفحة (٤٢٨) : « ما وضعه — يعنى كتاب الحيل — إلا إبليس » قال الذى وضعه عندى إبليس من إبليس » وقد أوردت هذا البناء (وإن لم تذكره كتب اللغة) كلمة مولدة حسنة يحتاج إليها كثيراً .

(١) الشعرى العبور

كتــــاب الأغانى

لأبى الفرج الإسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أنا الفنان لبيكِ   منادبتى وسعديكِ
إذا لامست مصباحى   أتى بى لمس كفيكِ
كأسرع خاطر يسرى

الشعر للأستاذ توفيق الحكيم وفيه لحن من صنعة علاء الدين أحد أبطال قصة ألف ليلة وليلة

حدثنا أبو الفرج قال : الخطاب فى هذا الصوت موجه إلى وزارة المعارف ، وكانت قد عهدت إلى طائفة من كبار الأدباء بتلخيص الكتب العشرة المختارة ، فلما كان موعد بحثها عن الأديب الذى يصلح لتلخيص ألف ليلة ، رأت أن الكتاب ذو جانبين : جانب يفتقر إلى تحقيق علمى وجانب إلى روح فنية . فلم تزل تبحث عمن تتوفر فيه روح الفن حتى وقع نظر وزيرها السابق هيكل باشا على المصباح الأخضر

قال : والمصباح الأخضر هذا هو المصباح المسحور الذى كان علاء الدين قد وجده فى كنز مرصود قاده إليه الساحر المصرى . وكان علاء الدين لا يزال طفلاً يتيماً ، وقد عرف الساحر أن الكنز لا يفتح إلا على يديه فادعى أنه عمه وقاده إلى الخلاء ثم أطلق البخور وقرأ التعاويذ ففتح الكنز . ودخل علاء الدين وأخذ المصباح ، وكان الساحر يريد أن يأخذ المصباح منه وهو بداخل الكنز ولكن الصغير كان موفقاً فى الرأى فأبى تسليمه حتى يخرجه ، وغضب الساحر فأغلق باب الكنز وترك علاء الدين

وكان مع علاء الدين خاتم أعطاه إياه الساحر من قبل، فلما مسحه جاء خادم من الجن موكل بطاعة من يحوز الخاتم . فطلب إليه علاء الدين أن يفتح الكنز ففعل ، ثم نقله إلى منزله ومعه المصباح

ومسحت أم علاء الدين ذلك المصباح لتجلو الصدأ عنه ، وكان المسح رمزاً لخادم المصباح وهى لا تعلم ذلك فجاءها الخادم ولم يزل يأتمر بأمرها ويفعل المستحيلات من أجلها ومن أجل علاء الدين حتى فقدا المصباح فحازه آخرون

قال أبو الفرج : وكان آخر مطاف هذا المصباح أن أخذه أهل الكهف فبقى فى كهفهم ثلاث مائة سنين وتسعاً ، وكان لونه من قبل ذهبياً فملاه الصدأ واستحال على مدى العصور إلى مصباح أخضر

قال : ويظهر أن أهل الكهف كانوا قد طلبوا إلى خادم المصباح أن يوقظهم بعد ثلاثمائة سنين وتسع ولكن هذه مسألة لا ينبغى أن نمارى فيها إلا مراء ظاهراً ولا نستفتى فيها منهم أحداً

قال أبو الفرج : فلما وضع الأستاذ توفيق الحكيم قصة « أهل الكهف » زار المكان الذى دفنوا فيه قبل بعثهم كما يفعل كبار الكتاب والمحققين من نشدان الحقائق فى جوها وبيئتها ، وكما فعل هيكل باشا لما حج قبل أن يكتب السيرة . قال : فوجد الأستاذ توفيق الحكيم ذلك المصباح فى الكهف وأراد أن يجلو الصدأ عنه فجاءه خادم المصباح فإذا هو فنان يضع السرحيات البارعة ويكتب ما يكتب تحت ضوء المصباح الأخضر

ولما وقع نظر الوزير الأديب هيكل باشا على المصباح مسحه هو أيضاً ، ولكن لم يظهر له المفريت خادم الطلسم بل ظهر له الأستاذ توفيق الحكيم ، فعهد معاليه إليه أن يراجع كتاب ألف ليلة وليلة ، فأنشد بين يدى معاليه هذا الصوت :

أنا الفنان لا أبدو   لعين ما لها قلب
أنا الفنان لا أبدو   لقلب ما به حب
يشق الغيب مصباحى   وتسقط دونه الحجب
ومر الغيب فى المصبا   ح والمصباح لا يخبو
بكف أدركت سرى

تولى إمرتى حيناً   سليمان بن داود
فهل جددت الدنيا   كإنشائى وتجديدى
بنيت الصرح من ماء   كريم غير مورود
وسخرت له الريح   بتذليلى وتعبيدى
وعلمى منطق الطير

وجئت إليه من سبأ   بأخبار وأنباء
فلما استعظم الجهد   أتيت له بأحياء
نقلت العرش والتاج   إليه وبنت حواء
ولم يتحرك الجفنا   ن منه غير إعياء
أهذى قدرة السحر

فلما ضاع مصباحى　　تحطم كل ما شدت
مضى فى رحمة الله　　وعفت الكون أو كدت
وخال الجاهل الغر　　بأنى بعده مت
ولو خلد مخلوق　　على الدنيا لخلدت
فوق آخر الدهر

أنا الفنان لا أبدو　　إذا ما ضاع مصباحى
فآمالى وأشجانى　　وأحزانى وأفراحى
وما أخشى وما أرجو　　معلقة بأرواح
بأرواح خفيات　　تضاء بضوء مصباحى
فذلك كله سرى

قال : وهى قصيدة طويلة جداً ، ويزعم الزاعمون أنها منقوشة على مصباح علاء الدين وأنها تفسر سر المردة والشياطين بأنهم أسماء مترادفة لكلمة الفن فهو الذى جعل الناس

. . . . كلا　　رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

قال الأستاذ توفيق الحكيم : ولقد راجعت اشتقاق كلمة الجن فى جميع اللغات فوجدت الذكاء الخارق

والجن بمعنى واحد فى كل لغة ، فالعرب يقولون عبقرى ومكان الجن عبقر . والأوربيون يقولون « جنى » « وجنيس » . وليس من الصفات المنافية للذكاء أن يبدو المرء كأنه نائم ، فلعله يكون قد قضى حيناً من الدهر مع أهل الكهف . وليست زيارة الكهوف بالأمر الذى يسهل احتماله ولا بالذى لا يترك على الهوية العامة طابع النوم العام

وحدثنا الدكتور حسين فوزى قال : لقد أخطأ الكثير من النقاد فى فهم كتاب أهل الكهف للأستاذ توفيق الحكيم فعده البعض عربى الأصل لأن القصة وردت فى القرآن الحكيم . وعده البعض مسيحى الأصل لأن القصة مروية من قبل فى أساطير المسيحية ؛ وهى فى كتاب الله العزيز ذات مغزى يشير إلى قدرة الله على البعث ، وهى فى الأسطورة المسيحية ذات مغزى يشير إلى معنى آخر . قال : ولكن القصة كما يرويها الأستاذ توفيق الحكيم ذات لون فنى آخر ، فهى غير منظور فيها إلى هذين المصدرين العظيمين وإنما مصدرها كتاب الموتى الفرعونى

قال الدكتور حسين فوزى : وإن قصة أهل الكهف للأستاذ الحكيم ليست إلا لحناً جنائزياً رائعاً لحياة الفنان المحروم من نصفه الآخر . هى تنعى الحياة بغير أصدقاء لأنهم فقدوا، وإنما مبعث هذا الألم فقدان الصديقة التى لم توجد . قال ولقد غبن الناس صديقى حين سموه عدو المرأة ، وما كان الفنان ليكون عدواً لها إلا على تفسير العامة : « من جهل أمراً عاداه »

وحدثنا الأستاذ اسماعيل أدهم قال : « لقد ناقشنى الدكتور بشر فارس فى تحقيق العلمى على طريقتى الخاصة لتاريخ مولد الأستاذ توفيق الحكيم وزعم أن التاريخ الصحيح هو الذى ذكره الحكيم نفسه والذى أجمع عليه الناس ، ودلت عليه الأوراق الرسمية . ولقد شهد الدكتور بشر فارس بذلك على نفسه أنه غير جدير بالمكانة التى هو فيها من الشعر الرمزى . إننى ما حددت لمولده تاريخاً غير تاريخ مولده إلا إشارة رمزية منى لأنه من أهل الكهف

وحدثنا الأستاذ بشر فارس قال : أما وقد اعترف الأستاذ المعروف بالدكتور بهذه الحقيقة فإن تاريخ مولد الأستاذ الحكيم يرجع إلى القرن الثانى من ميلاد المسيح

قال الأستاذ توفيق الحكيم : لقد وهم كل هؤلاء فإن تاريخ مولدى سابق على تاريخ الكون . أليس أفلاطون يقول إن الفكرة وجدت أولاً ثم وجد الكون على غرارها؟ وبالله ماذا تكون الفكرة « الأديال » غير الفن ؟ ألم يكن يقول شوبنهور إن الطبيعة محاكاة للفن وليس الفن هو الذى يحاكى الطبيعة ؟ وهل يرى الناقد فارقاً فى المعنى وإن اختلف اللفظ بين نظرية أفلاطون ونظرة شوبنهور ... وهل ثمت فارق بين الأديال وبين الفن .

ثم التفت إلى وزارة المعارف وأنشد :

صوت

أنا الصوت الذى دوى　　بقلبك دون أذنيك
أنا الطيف الذى يبدو　　لروحك قبل عينيك
وكل ممرد عال　　وكل مظلل رحب
وكل محبب غال　　وكل مقطر عذب
وما يعزى إلى المجد　　وما يبنى على الحب
وما يخشى وما يرجى　　وما يهوى وما يصبى
جميع الكون من أمرى

الصوت للأستاذ توفيق الحكيم . وفيه لحن لعفريت فى شاطى الأسكندرية محبوس فى قمقم .

« يتبع »　　عبد اللطيف النشار



اطمئنوا على ودائعكم
في
بنك مصر
استأجروا خزائنه الحديدية

الجـــبر والاختيار
فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

(تتمة)

« ... وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا متقطعة ، وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح ... »

أريد الآن أن أتبين جبرية المعرى من أى نوع هى ؟ أهى ميتافيزيقية حقاً؟ هل نظر أبو العلاء فى الكون فقرر فى أحد نصوصه حينما أنكر الاختيار إنكاراً شديداً ما قرره اسبينوزا من أن شعورنا بالحرية فى أفعالنا ما هو إلا نتيجة تقدم معرفتنا للأسباب التى تدفعنا، وأن سلوك أى كائن ينتج ضرورة عن طبيعته ، كما أن صفات المثلث تنتج ضرورة عن طبيعته كما يقول ليبنتز . وهل نظر أبو العلاء فيما يوجب علينا الجبر ؟ أهو هذا النسيج القوى المتلاحم من السبب والنتيجة ؟ أم هى قوة تفرض علينا هذا فرضاً مبهماً غامضاً ؟ وهل ميز فى الجبرية بين اضطرار ميكانيكى يدفع ، ولا محيص عما يدفع إليه ، وبين دوافع ميكانيكية إن دفعت إلى فعل فلا توجب حدوثه ؟

وهل كانت نظرته فلسفية حقاً ؟ هل تكلف لهـا التجريد والارتقاء والقياس والحصر واستنباط الأحكام ؟ وهل هو انتهى إلى أحكام ثابتة يمكن أن تضاف إلى الآراء الفلسفية القويمة ؟

هل نظر فى تقريره الجبرية إلى الناحية النفسية فقال بأن الإرادة تنفصل تماماً عن الشعور والآراء، وإذا كانت الإرادة جبرية لا تعدم شعوراً موجهاً نحو غاية فتقتضى لذلك فكرة ، والفكرة من أمر آلة حرة العمل ؟ هل قرر أن أعمال المرء وليدة مجموعة من الظروف معقدة غاية التعقيد تمين نوع الأفعال الصادرة عن الإنسان ؟؟

أو من الناحية الأخلاقية ، فقرر على أية أسس إذن يمكن أن تنبنى الأخلاق ؟ وما هو القول الفصل فى التبعات الأخلاقية بأنواعها ؟ وما هو الرأى الواضح البين فى البعث والحساب والعقاب؟

الواقع أن أبا العلاء لم يتبع البحث العلمى ولا طرقه ، بل إن بيئته قد أثرت عليه تأثيراً كان من نتائجه أن تكيفت نظرة أبى العلاء تكيفاً إن لم يكن كلامياً محضاً فقد شابته الشوائب الكلامية ؛ فاهتم بخلق الأفعال : أهى من صنع الله أم من صنع الإنسان . واهتم لمرتكب الكبيرة أهو خالد فى النار أم مجرم يرجى غفران الله . واهتم بصفات الله أهى خارجة عن ذاته أم هى منها ؟ وهذا هو السبب الذى حدا بى أن أفصل جبرية أبى العلاء على منهاج الكلاميين

الحق أنه من الظلم أن نقارن بين أبى العلاء وبين الفلاسفة . فأبو العلاء لم يقصد إلى الفلسفة قصداً فنأمل أن يتحدث عن الجبرية كما يتكلم سبينوزا أو ليبنتز أو عمرو بن عبيد وغيرهم من الفلاسفة وعلماء الكلام ، وأن يتحدث عن الكون كما يفعل أرسطو أو أفلاطون

ولم يقصد إلى الأخلاق وإصلاح المجتمع فيحدثنا عنهما كستيوارت ، وإنما هو أديب قبل كل شىء ، وأديب يعنى بالصناعة الأدبية : يحفل للفظ ويعنى به عناية الجوهرى ، ويحرص على الغريب منـه ويتلمبه ويتقفاه ، ويستطرد له استطراداً ربما أضاع المعنى أو أضعفه . وهو كذلك يحفل للمعنى الطريف فيبحث عن أى ثوب يلبسه ، وبأى شكل يعرضه ، ومبلغ ما يكون فيه من حسن إذا كان على هذه الصورة أو تلك . وهو أديب كذلك يأخذ شواهده وأمثلته مما يرى وما يسمع وما يحس . فهو إذا فكر فى أقدار الإنسان ضرب لنا مُثلاً مما حوله وانتزع مواد تفكيره ووسائل تسجيله مما حوله كذلك

فهو لم يحاول أو قل لم يستطع أن يجرد العالم من ظواهره وينفذ إليه حقيقة عارية متحدة ، وإنما هو كان يريده رافلاً فى تلك الصور والمعانى التى درج الشعراء على أن يخلعوها عليه . ولعل حرص أبى العلاء على المعانى المبتكرة ، والأفكار الخفية ، واللفظ

القوى الغريب ، والسبك المتين كان أشد من حرصه على النظرات الفلسفية العريضة الشاملة . ولعل ميله إلى إظهار آثار ذاكرته الأدبية القوية التي تعي أخبار الأقدمين وأشعارهم وعلمهم ، ومقدرته اللغوية البيانية التي تسمو به إلى محاولة تقليد القرآن ، ومزاجه الشاعري الذي يهفو إلى كل خاطر عابر ، ويرنو إلى كل معنى بديع ، لعل ذلك صرفه عن أن ينشئ فلسفة خاصة به بينة المعالم واضحة الحدود ، أو أن يردد ما قال به معاصروه من الفلاسفة الإسلاميين وغير الإسلاميين . فأنت تستطيع — إن شئت — أن ترى صورة أدبية حقيقية لعصره ، وأنت تستطيع إن شئت أن ترى صورة اجتماعية لعصره ، ولكنك تكلف نفسك الجهد إذا حاولت أن تظفر بصورة صادقة كاملة للفلسفة في عصره أو بصورة لفلسفة له متكاملة متساوية

ولست أريد بهذا أن أنكر أن له فلسفة ، وفلسفة جبرية خاصة ، كلا ، إن الرجل كما رأيت كان يدين بالجبرية ويؤمن بها إيماناً عميقاً قوياً . وكل شيء حوله يدفعه إلى هذا الإيمان العميق القوي . هو بالطبع كان مؤمناً بالله مسلماً ولكن إلهه كان مختلفاً عن إله الناس ، كان ذلك الاضطرار الميكانيكي الذي يهيمن على الناس والعالم بجبروته المنضبط وحكمته الخفية ، فلا سبيل إلى الشك في أن أبا العلاء له في هذه الناحية تفكير ، ولن يستطيع أحد أن ينكر عليه ذلك التفكير

وإن جاز لنا بعد كل هذا أن نعد أبا العلاء متكلما أو فيلسوفاً بمعنى دقيق فلا أقل من أن نثبت له ما يمكن أن يكون من أدوات الفيلسوف أو المتكلم ونظره ، وأن نتبين أثره في الفلسفة حوله ومنزلته بين غيره . لقد كان يعتمد على العقل اعتماداً أهمل معه المتواتر ، وفضله على الشرع ، فهو قد خالف بهذا الأصل أهل السنة لأنهم يقدمون الشرع على العقل ، وخالف المعتزلة لأنه يحترم العقل أكثر من احترامه الشرع مع اتفاقهما في تقديمه . فهو قرر مع المعتزلة قوة العقل على إدراك الحسن العقلي والقبح كذلك ولكنه قدم العقل على الشرع حين كان المعتزلة يضنون بذلك على العقل .

* * *

وأما قوله بأن الأفعال حكم مقدور ، فهذا الرأي يوافق الجهمية فهم الذين قالوا بأن الله هو الذي خلق الأفعال وفرضها على المخلوق فرضاً . على حين أن المعتزلة تقول بأن المرء هو خالق أفعاله وأن للانسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه

* * *

وإذا ما نظرنا إلى ما يقول في المنزلة بين المنزلتين لا يبدو لنا أنه تأثر بتلك الحدود التي وضعتها المعتزلة من أن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن لكنه فاسق يستحق النار بفسقه . فهو كثير الرجاء لغفران الله لكل ذنب ، شديد الأمل في رحمته كما رأيت لكل عاص ، والشواهد على ذلك كثيرة جدا في الكتاب . أما لفظة (فاسق) فقد حاولت أن أجد لها عنده هذا المعنى الاصطلاحي فلم أوفق ، ولعله كان يقصد بها (المذنب) دون أشراط الفسق الفقهية المعتزلية . أحصيت ورود الكلمة فإذا هو قد ذكرها اسماً وفعلاً نيفاً وعشر مرات في مواضع في الكتاب مختلفة لم يقصد بها إلا مجرد المعصية والخروج عن الطاعة

* * *

وفي مسألة البعث لا يوافق أبو العلاء الجهمية ولا المعتزلة . إذ أن كلا الفرقتين تجمعان على البعث . الأولى تقول بأن ذلك جبر والحساب والعقاب جبر كذلك . والثانية تقول به نتيجة إسنادها الأفعال للانسان . وأما أبو العلاء فلا ينفي شيئاً ولا يثبت شيئاً كما رأينا

* * *

ونجده حين يتعرض لذات الله يذهب مذهب المعتزلة والمعطلين؛ فهو لا يثبت لله صفة « وكيف يوصف بشيء خالق الصفات » . وهذا نص واضح صريح . وأما قوله بأن الله حده الزمان وبأن المادة أزلية فلا يعنينا هنا كثيراً فليس هذا مقام البحث في فلسفة أبي العلاء الإلهية على وجه عام ، وإنما الذي يعنينا هو إثبات الصفات للذات أو تجريدها عنها

* * *

استعرضنا أفكار أبي العلاء الجبرية في كل ما تقدم ورأينا

ما كان من اضطرابه وتنقله بين المذاهب المختلفة تنقلاً هو أقرب إلى تنقل الشاعر الذى يؤمن بالفكرة لحظة طروقها ، ويؤمن بها حين يسجلها إيماناً يجعلها قطعة من نفسه فى لحظة ما ، أقرب إلى ذلك من تفكير الفيلسوف ينظر فى الكون بنظر خاص به ، وبه وحده . ونحن لا يمكن أن نقبل هذا الاضطراب من مفكر نحاول أن نقيم له فلسفة ذات أصول وفروع . هذا الاضطراب ليس ناتجاً عن ضعف فى التفكير ، ولا عن اتهام فى العقل وشك فى قوته على استكشاف الحقائق واستنباط الأحكام ، بل عن تلاشى الشخصية فى ذلك المجتمع الإسلامى الذى شاع فيه الحكم بالمروق عن الدين وما يتبع ذلك من إيذاء لم يكن المعرى يحب أن يتعرض له؛ فكان إن اضطر إلى التقية والمصانعة بصرف الناس إلى الظاهر من الأمر . بل لعله اضطر إلى هذا الشك وتلك الحيرة لأنه درج على إثبات إله قادر حكيم فلم يستطع — أو قل لم يحب — أن يعطله مما يقعد به عن الحكمة والعدل والكمال

وهو كان يدعو بعد كل هذا إلى الزهد ؛ ولكن على أى أساس بنى هذا القانون الأخلاقى ؟ وما الباعث ؟ أكان ثقة منه وإيماناً بأن هذه الدنيا مظهر من المظاهر الزائفة وظل للرغبات والأهواء على النفس الإنسانية والعقل البشرى ، فليس لها كيان واقعى خارج تلك النفوس والعقول؟ فهو يدعو إلى الزهد مبصراً الناس بهذه الحقيقة التى اكتشفها وفطن إليها ؟ وهل هو استطاع أن يتبين فى وضوح صلة الإنسان بهذا الكون ؟ وهل أمكنه أن يدرك حقائق ثابتة وراء هذه الصور الزائلة الخادعة نسبته إليها كنسبة أى فرد من أفراد البشر إليها فدعا إلى الفضيلة والتراحم باعتبار أن آلام الآخرين هى آلام الشخص وآلام الشخص هى آلام الآخرين لتلك الصلة التى أدركها ؟

أغلب الظن أن باعث هذه الدعوة لم يكن شيئاً من هذا ، وإنما كان باعثاً سلبياً محضاً نتج عن جهله بما وراء الموت وخوفه من ذلك ورهبته وعدم تبينه ما يراد به من عقاب وثواب . فهو إن أوصى بالصلاح والزهد فذلك حتى لا يكون المرء — إذا صح البعث والحساب — من الخاسرين . من هنا نرى أن قانونه الأخلاقى الذى استنه قد بنى على قاعدة سلبية محضة ليس فيها من الفلسفة قدر ما فيها من الحيطة والحذر اللذين يوجبهما الجهل والتوقف . وكان الباعث كذلك نوعاً من الضيق القوى لظروفه الاجتماعية والشخصية جميعاً . فلذلك دعا إلى الوحدة والزهد فى الناس : « فإن الوحيد فى العالم لا يلحقه عيب من سواه » . فهو كذلك يتقى المجتمع بطريقته السلبية . هو لا يحاول إصلاحه ، فهو يائس من ذلك ؛ ولكنه يتجنبه ويتقيه ، وكان الدافع كذلك سخطاً شديداً على تحول الدنيا وعدم بقائها على حال : « فالدنيا حية عرماء ، لمة بيضاء ، ولمة دهماء ، والأيام عوارم لا تترك لحى عراماً[(1)] » . إذن « ما البقاء إلا طول شقاء ، والحياة ظلمة ليس فيها إياة ، ومن السعادة أن يموت القوم كراماً[(2)] » . ولكن « أولع الولد بالرغاث » . وهو يهيب لذلك أن يا راغب رع ، والخشية فادرع ، نحن على الدنيا نقترع ، نتسايف ونصطرع ، والقدر لنا مضرع[(3)]

وهو يخاطب الدنيا معبراً عما يسخطه منها: «أيتها الدنيا البالية ، ما أحسن ما حلتك الحالية ، أين أممك الخالية ، إن لذبك المتوالية والنفس عنك غير سالية ، تتبع أولاك التالية ، والله أستنجد على تلك الصمدات[(4)] » وحزنه على الدنيا ناتج عن أنها تخلط بين الفرح والسرور . فقد يكون الرجل كاسياً بمثل ريش الأخيل ، وشبابه كروضة الوسمى ، وعيشه أوسع من الموماة ، وعروسه الصالحة الحسناء ، فلا يخلو فى ذلك من الكدر . إن داء الدنيا عرف قديماً ، لا بد له من انتقال ، إما بالموت وإما بالحياة يمكن أن تكون عيشته زاردة مثل الزردة ، ويلبس أخلاق ثياب كلباس الرأى ، ويفارق العروس إما أن تهلك ، وإما أن تختار سواه ، وتكون روضة شبابه هشيما[(5)] »

والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا تكاد تحصى . وكل ما يمكن أن نستخلصه منها أسباباً لاعتزال أبى العلاء للدنيا ونصحه الناس بالزهد فيها لا يعدو أنها متقلبة لا تدوم ، وأن خيرها يختلط بالشر وسرورها يختلط بالكدر، إلى غير ذلك من معانى الشعراء . فهل لو كانت ظروف أبى العلاء غير ما كانت ، وهل لو كانت الدنيا على

(١) ص ٤٢٢ (٢) ص ٤٢٣ (٣) ص ٤٢٥ (٤) ص ١٤٩
(٥) ص ٤٣٠

غير ما وصف أترى كان دعا إلى الزهد ؟ ربما كان رأى فى الكون ما رأى ولكنه لم يكن يبنى الزهد فى الدنيا على الأساس الذى بنى عليه دعوته التى رددها فى الكتاب كثيراً

ولماذا حرص أبو العلاء على أن يثبت حكمة لتلك القوة التى تصرف أمور الناس ، مع شقائه بهذه الحكمة لعدم الاهتداء إلى مراميها ؟ تلك الإرادة التى بحث أبو العلاء عن حكمتها فلم يوفق والتى كانت مثار قلقه واضطرابه ، والتى يخشى أن يتهمها بالظلم ، لما يراه من متناقضاتها ومفارقاتها ؟ كان مذهبه يستقيم ، وعقله يطمئن إلى ما وصل إليه من تفكير لو أنه قال بإرادة غير عاقلة غاشمة ، فإذا ما جردها من العقل والحكمة فلا جناح عليها أن تأتى من المفارقات ما يشاهد أبو العلاء وأكثر مما يشاهد . ولكنه مفكر « شاعر » فى « وسط إسلامى » أنشأ الكتاب ليمجد الله ويعظ .

* * *

وقد حاول الأستاذ على أدهم أن يعقد صلة بين أبى العلاء وبين شوبنهاور . ولست بصدد أن أتحدث عن نصيبها من الصحة . وإنما أقول إن أوجه الشبه إن صدقت فى وجهات متعددة من نظر الرجلين إلى العالم والمجتمع بحكم ما بينهما من مزاج التشاؤم ، فإنها لن تصدق فى تلك الناحية الخاصة . حقاً إن كلا الرجلين قد أثبت الجبر وقال به . ولكننا إن تجاوزنا عن اختلاف الوسائل التى سلكاها فإنا لن نتجاوز عن فرق دقيق بين الجبريتين

أبو العلاء ردد كثيراً أن القوة المسيّرة للكون « عاقلة » يصدر عنها الأفعال ، والأقدار ، والأرزاق ، عن حكمة خفية لا يدرك كنهها وإن أجهد نفسه الجهد كله ؛ وهو كذلك لم يستطع أن ينظر إلى العالم نظرة تجريدية فلسفية ، ولكنه قرر على أى تقدير بأن الدنيا شر ، والطريقة المثلى للتخلص من شرورها وآلامها هى الزهد فيها وكبح الشهوات ، وكبت الغرائز ، والخلوص إلى العبادة والتفكير

وشوبنهاور قد اعتبر الحقيقة المطلقة إرادة عامة « لا تعقل » وذهب إلى أن ليس ثمة إرادة فردية ، فالفردية مجرد وهم لأنها قائمة على فرق الزمان والمكان . وقد قرر أن الإرادة شر فى أساسها ، وهى شبق حافز إلى الوجود ، وحرص على اللذة والتمتع ؛ فالحياة إرادة ورغبة تفضيان إلى الشقاء لأن الإرادة لا يمكن أن تروى غلتها أبداً من الرغبة فى الحياة . وهو يعتبر غاية الحياة لذلك هى « الشقاء » وأفضل السبل فيها أن يخترق الإنسان حجب الوهم الفردية ويرى عقم مطلب إشباع الرغبة ويتحرى العفة ، فيصل إلى هدوء صوفى يشبه الهدوء البوذى ، واعتبار الحياة قطعة من الفن ...

فهما ينتهيان إلى غاية واحدة ويقرران مبدأ أخلاقياً واحداً ولكن بنظرين فى الكون مختلفين ، وإنك لترى قانون شوبنهاور قد بنى على أسباب فلسفية محضة ، فما أبعد بين المفكرين .

« تم البحث »

السيد محمد العزاوى

من نار الفراق

سأسخر بالأقدار بعدك !...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[إنى أقدس فيك قلبا ما وهب الله مثله لبشر، وعواطف ملائكية طاهرة ، وإخلاصا ما شابه زور أو خيانة ، وما أنا إلا زهرة شاء حظى السعيد أن أتفتح على نور حبك وسحر أنغامك . فأى قوة فى العالم تستطيع أن تنتزع هذه الزهرة إلى غير أرضها دون أن يلحقها الفناء ، أو تفصل روحى عن جسدها !...] « من رسائلها إلى »

تُريدينَ منى الصبرَ هاتِى رحيقَهُ ... وإلا تَخلِّينى ونيرانَ ثَوْرتى !

نفختِ لَظاها فى دمى ، وتركتِها ... تؤجّجُ أحلامى وتكربُ حيرتى

وتَنسَخُ أيّامى عليكِ قصيدةً ... مشوشةَ الأنغام تَهذى بلوعتى

وتنتظرينَ الصبرَ ؟ إنى نشدتُهُ ... فأقبلَ بُركاناً يُزلزِلُ هدأتى !

أيصبرُ من سوّى جمالَكِ عُمرَهُ ... ينابيعَ تقديسٍ وحبٍّ ورحمةِ ؟

وأسكرتِه بالحسنِ والطهرِ والهوى ... وكنتِ له فى اللهِ أقدسَ تَوْبَةِ !

وعلّمتِه إنْ هزَّ للفنِّ رُوحَهُ ... تُكبِّرُ للإلهامِ أطهرُ كعبةِ

ونشّأتِه فى الدمعِ حتى أذابهُ ... أناشيدَ أحزانٍ وبؤسٍ وحسرةِ

أنا الساخرُ الجبارُ لا الدهرُ هزّنى ... ولا النكباتُ السودُ هيَّجنَ عزلتى

أمُرُّ بأرزاءِ الزّمانِ كأننى ... خُطا العاصفِ العربيدِ فى ظلِّ زهرةِ

وأبصرُ حشدَ الناسِ أسرابَ هاجسٍ

من الإثمِ زحّافٍ بأرجسِ مُهجةِ

وأسمعُ لا من زيفِهم وبيانِهم ... ترانيمَ عزّافٍ بأمنعِ قِمَّةِ...

فمالى على كفّيكِ طرّحتُ أدمُعى

وسُخرِى من الدُّنيا وعزّى وكبرتى ؟

ومَيّلْتُ أنّى سرْتِ فى التُّربِ خاشعاً

وطهّرْتُ من أوراكِ البيضِ سجْدتى ؟

وضيّعتُ أيامى ـ وما ضمن ـ إنما ... ذهبْنَ قرابينَ الهُدى لحبيبتى !

فيا زهرتى مالى أناديكِ فانياً ... فتصرُخُ أصداءُ النداءِ بخيْبتى

ويرتدُّ لى شجوى كأردّتِ البِلى ... بقيّاتِ آهاتِ الثّكالى لميّتِ !

(القاهرة) محمود حسن إسماعيل

الأمواج والشاطئ

للأستاذ حسن كامل الصيرفى



سألَ الشاطئُ يوماً بحرَهُ : ... أيها البحرُ أجبنى كم حوَيْتا !

ودَّ لو يكشفُ عنهُ سِرَّهُ ... بيدَ أنَّ البحرَ قد حاولَ صمْتا

قالت الأمواجُ للشاطئِ ماذا تبتغى
من سؤالكْ ؟
قال : إنى أبتغى ما غابَ عنى
من مداركْ
فانثنتْ عنهُ بجزْرٍ ساخرهْ

ثم عادت باندفاعٍ نحوهُ
فى اصطخابٍ مثلِ رعدِ
عالياتٍ ، هابطاتٍ ترتمى
فوقَ صخرٍ منه صلْدِ
وعلى الشاطئِ جاءت ثائرهْ :
قال : إنى رابضٌ منذ وُجِدْتُ
ووُجِدْتِ
جاهلاً سرَّكِ ، إنى لستُ أدرى
ما احتوَيْتِ !!
فانثنتْ عنهُ بجزْرٍ ساخرهْ
ثم عادت ثانياً وهى تقول :
أنتَ سرّى أنتَ سرّى

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

الطائر والشمس

للأستاذ خليل شيبوب

عندى أحاديث هوى جمّة   تجرى كما يجرى بها الخاطر
سطّرها حبىَ فى مهجتى   ثم رواها جفنىَ الماطر
لكنما أغربها قصة   مأثورة شاهدها حاضر
عن طائر هام بشمس الضحى   وأين من شمس الضحى طائر
فرخ ضعيف ريشه ، قابع   فى وكره ، مرتجف حائر
يدرج منه بعض شىء إلى   حيث شعاع باسم باهر
يصيب دفئاً عنده كلما   فاض عليه نوره الغامر
يجر ذيلاً ، فهو طوراً به   طول ، وطوراً ذيله قاصر
ما شك فيه أن ما يقتلى   به حشاه والدم الفائر
صنعة هذا النور فى أصله   وأنه من فوقه صادر
وإذ رأى وجه السماء انجلى   له هناك الحدثُ الكابر
أتون نار جاش من صدره   دفقُ ضياء خاطفٌ حاسر
قطب من الجمر ولكنما   عليه قام الفلك الدائر
وجه يفيض النور منه كما   يفيض نبع الروضة الفائر
لكن هذا النور روحٌ ولا   جسمَ ، ولكن لهبٌ ثائر
فى الشرق مرجان فإمّا ارتقت   فى الأوج مار الذهب المائر
والورد مفروش متى غرّبت   والأرجوان البهج الفاخر
هذى هى الشمس التى نورها   بحر حياة ما له سابر
الكائنات الغرّ من حولها   أبدعها ناظمُها الناثر
فاتنة الدنيا ولكنها   ليس إليها مسلك ظاهر

ترعرع الطائر لكنه   من كل ما يؤنسه نافر
يسير فى الروض وعيناه فى   السماء والعمر به سائر
واشتدّ حتى طاز مستشرفاً   ما حولَهُ فهو له حاصرُ
إذا اعتلى جوّاً فسرعان ما   يحطه إعياؤه القاهر
وهو لجوج النفس فى صدره   منها جوى ملتهب ثائر
يذهبُ فيها يومَهُ هائماً   وقلبُه تحت الدجى ساهر
مرتقب فى الدوح أن ينقضى   الليل ويأتى السحَر الباكر
حتى يراها وجهها مشرق   كما يطل الملك الظافر
ومرت الأيام لا تأتلى   والحب نبت مخصب كاثر
فاستشعر اليأس ألا إنه   مستضعف ليس له ناصر
لا الروض يسليه ولا حوله   من الطيور الصادح الصافر
ولا نجوم الليل إما رنت   ولا النسيم الخافق العاطر
ما الروض والطير وما زهرة   بها تحلّى الغصُن الزاهر
سوى مثيرات الجوى فالذى   هناك نور فاتن سافر
ذاك حياة النفس معبودها   وجهها الأول والآخر

جاء إلى الجدول يوماً لكى   يطفئ ظمأً وقدُهُ ساعر
إذا به فى الماء يجلى له   وجه نقى وادع طاهر
الشمس جاءته بلا موعد   زائرة يا حبذا الزائر
فاختلط المفتون فى عقله   كأنما طالعه ساحر
وكاد أن يخذله قلبه   وطاش مما أبصر الناظر
حتى إذا ثاب إلى رشده   والحسن ناه والهوى آمر
خالسها القبلة فى نشوة   أسكره معسولها القاطر
لكنها غابت سريعاً وقد   قام سحاب دونها ساتر
تحجّبت عنه ولمّا قضى   ما ينتويه قلبه الشاكر
كأنها غضبى زوت وجهها   عنه فأودى جدُّه العاثر
هل قصّر العاشق فى عشقه   فكل تقصير له عاذر
إن كان ضعفاً فله راحم   أو كان ذنباً فله غافر
وحينما طاح به بؤسه   والجسم منهوك القوى خائر
خفّ إلى الدوح وفى صدره   طعنة يأس جرحها غائر
خاب فلم يصبر وحكم الهوى   ألا يعيش الخائب الصابر
ومات فى الدوح فأكفانه   أغصانها والورق الناضر
... ...

يا زينة الدنيا ويا فتنة الـ   عمر ويا من حبها جائر
إليك منى صورةً فى الهوى   صوّرها عاشقك الشاعر
حسب المنى دمعة حزن على   صب شهيد ما له ذاكر
فأنت تلك الشمس معبودة   حباً وقلبى ذلك الطائر

(الاسكندرية)   **خليل شيبوب**

سوف يحـويكَ ضميرى !!
لا تَسلنى . أنت سرّى
ولأسرارىَ إنى مُضمِرَهْ ...

واستمرَّ البحرُ يمتدُّ امتدادا   وكذاك الموجُ يشتدُّ اشتدادا
ثم ردَّ الأفْقُ عينى حاسِرَهْ

حسن كامل الصيرفى



دراسات في الفن

الزعامـــة فن

على ذكرى الزعيم سعد

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ما دام الفن هو التعبير عن الإحساس ، وما دامت الزعامة هى التعبير عن إحساس الجمهور ، فالزعامة إذن فن ، بل إنها فن عريض .

فكيف كانت الزعامة تعبيراً عن إحساس الجمهور ؟

إذا نظرنا إلى المجتمعات البدائية رأينا هذه المجتمعات تحس الخوف من الطبيعة ؛ فهي تستعد للحرب في كل لحظة ، وهى إما أن تعد لهذه الحرب سلاحاً ، وإما أن تعتمد فيها على القوة البدنية وحدها . ولكنها على أى حال من الحالين تأخذ أهبتها المادية لتقاوم بها أحداث الحياة . فإذا نظرنا إلى الزعماء في هذه البيئات رأيناهم أشد الناس تعبيراً عن هـذا الإحساس المركب الذى يبدأ بالخوف وينتهى بيقظة القوة البدنية . فهم أشد الذين فى هذه المجتمعات حذراً على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم ، وهم أشدهم انتباهاً للخطر إذا ادلهم ، وهم أشدهم مقاومة لهذا الخطر ، وهم أشدهم قدرة على قهره ، وهم إلى هذا أشد الذين فى هذه المجتمعات استكمالاً لميزاتها الملحوظة فيها حتى لايكون الزعيم منهم عرضة لهجوم عاص من شعبه قادر على وخزه فى إحدى نواحيه الضعيفة فيه بينما يكره الواحد من جمهوره أن تكون ضعيفة فيه . فإذا كان من مميزات جهور أحدهم السرعة فى الجرى إلى جانب ما يهتم به الجمهور من تنمية القوة البدنية وجب على الزعيم أن يكون سريع الجرى إلى جانب الذى امتاز به على الجمهورمن قوته البدنية ، وإذا كان من مميزات جمهور أحدهم الخفة فى تسلق الأشجار ، وجب على الزعيم أن يكون خفيفاً فى تسلق الأشجار إلى جانب الذى امتاز به على الجمهور من قوته البدنية . وهكذا .

فإذا تركنا البيئات البدائية رأينا نظرتنا هذه تصدق فى كل الحالات : فى البيئات الزراعية ، وفى البيئات الصناعية ، وفى البيئات الاجتماعية المختلفة ، وبقدر ما تتسع هذه البيئات وتضيق تتسع الزعامة فيها وتضيق . فهناك زعامة للجنس البشرى كله هى زعامة الأنبياء والرسل الذين فاضوا بالهـدى على الخلق جميعاً ، وهؤلاء زعامتهم تخلد بعد ذهابهم عن هذه الحياة الدنيا ، وفى هذا تعويض للحصر الذى تلقاه زعامتهم فى حياتهم . وهناك زعامة لجنس من الأجناس البشرية كزعامة مومى الذى يريد هتلر أن يرد عليها اليوم بزعامته الآرية . وقد تدوم هذه الزعامة بدوام الجنس إذا ظل الجنس متشبثاً بأنانية الطفولة وغرورها . وهناك زعامة لجماعة من جنس بشرى يسكنون أرضاً ما ، وهى الزعامة الوطنية كزعامة سعد زغلول ، وهى تدوم ما دامت دواعيهـا وما ذكرها الذاكرون بعد زوال هذه الدواعى ، وكثيراً ما تزول هذه الدواعى ، لأن مشكلات الوطن كثيرة التقلب

ونحن إذا حسبنا عدد المرات التى استدعت فيها طبيعة التطور والارتقاء الروحيين وجود رسالات إنسانية عامة وجدناه أقل من من عدد المرات التى استدعت فيها هذه الطبيعة وجود رسالات خاصة بحيث نستطيع أن نتصور التطور والارتقاء جاريين فى موجات صغيرة، وهذه تجرى فى موجات كبيرة . وكأن الموجات الصغيرة هى موجات التطور ، وكأن الموجات الكبيرة هى موجات الارتقاء ...

وهذا شيء لا يستغرب؛ فنحن إذا تسللنا إلى نهاية التخصيص

في البيئات الاجتماعية الإنسانية حتى نذهب إلى مجتمعات الصبيان في الحوارى والفصول ، وإلى مجتمعات الشبان في النوادى والحقول ، وإلى مجتمعات النساء في الشوارع والبيوت ، وإلى مجتمعات الرجال في الأكواخ وفي القصور ، وجدنا لكل جماعة من هذه الجماعات زعيما ، فإذا أحصينا عدد هؤلاء الزعماء استطعنا أن نؤلف منهم في كل وطن ألف برلمان تؤيد الزعيم

وعلى هذا كانت أغلى الزعامات هي أندرها ، ولا بد أن تكون أشدها تطابقاً على نظم الطبيعة ، لأن نظم الطبيعة هي العامة وهي الثابتة ، ومراعاة تطورها وارتقائها يجب أن تلحظ في هذا التطابق . وهذه الزعامة لم تتحقق على أشمل الوجوه إلا في حالة واحدة هي زعامة النبي الرسول محمد (ص)

وإذا استسغنا بعد هذا القول بأن الزعامة فن تخلقه الطبيعة في نفس الزعيم كما تخلق الألحان والأنغام في نفس الموسيقى ، وكما تخلق المعاني والأخيلة في نفس الشاعر ، فإننا لن نستبعد أن تكون قد تعرضت للصناعة مثلما تعرض لها غيرها من الفنون. وقد تجمل الصناعة الزعيم إذا كان رائدها التحسين والتجديد . وقد تتلف الصناعة الزعامة إذا حادت بها عن اتجاهها الطبيعي إلى اتجاه آخر كالرغبة في الجاه ، أو الرغبة في المنفعة ، وهذا هو ما يحدث للفنون جميعاً من موسيقى وشعر وتمثيل ورقص وتصوير وغير ذلك

ولما كان أغلب المجتمعات البشرية اليوم قد تعلم القراءة والكتابة ، ولما كان من المحتم أن يكون الزعيم في كل مجتمع من هذه المجتمعات قارئاً كاتباً ، فإن الزعماء في هذه الأيام يقرأون ويكتبون : الزعماء السياسيون ، والزعماء الفنانون — أى الذين يمارسون الفنون الجميلة — والزعماء المادبون ، والزعماء جميعاً . وهم يقرأون فيما يقرأون تواريخ الزعماء السابقين ، وبهذه القراءة يستطيع الزعيم الضعيف في ناحية من النواحى أن يقويها ، أو أن يغطيها أو أن يدعيها . . . وما دام باب الادعاء قد فتح مع غيره من أبواب التصنع ، فقد أصبح من الميسور في هذه الأيام أن يدعى الزعامة في أى ناحية من نواحى الحياة مدع ليس بزعيم .

فكيف يستطيع الإنسان في هذا العصر إذن أن يحكم على الزعيم بأنه زعيم حقاً ، أو أنه قد استطاع أن يجعل نفسه زعيماً لأنه زعيم ، ولكن في نوع من أنواع التفكير ، وقد كان المجتمع في حاجة إلى زعيم في الإحساس والتعبير عن هذا الإحساس ، وما يصحب هذا التعبير من جهاد ؟

نستطيع أن نصل إلى هذا الحكم العادل إذا نحن راجعنا إحساس المجتمع ، وراجعنا ما يجب أن يكون التعبير به عن هذا الإحساس ، وراجعنا إلى جانب هذا إحساس الزعيم وتعبيره عنه وطابقنا هذا على ذاك ... فإذا انطبقا وكان الزعيم بعد ذلك سائراً بشعبه إلى ما يؤمله فهو زعيم ، وإلا فهو ذاك المفكر الذى ذكرناه

وهذا هو ما يسمى في الفن بالطابع . فأشد الفنانين تمكناً من الفن عند جمهور من الجماهير هو أشد الفنانين تمكناً من طابع هذا الجمهور الذى يطبعه ويميزه من غيره من الجماهير

وقد اتفقنا في أحاديث سابقة على أن الفنون تسمى بالبشرية متجمعة أو متجزئة في طريق التطور والارتقاء ، والزعامة كذلك مادامت فناً ، وأشرفها إذن ما كان أكثرها تقريباً للمستقبل من الحاضر

ومن الزعامة ما تكون لحالة طارئة ، تزول بزوال هذا الحادث أو تدوم — إذا دامت — حتى يسحب ذيوله . وقد يحدث أن ينزع جمهور من الجماهير إلى أن يتناسى زعيماً من زعمائه في حياته بينما هو لم ينحرف عن جادته فيستغرب الزعيم هذا ويستغربه معه آخرون ، ولا يكون لهذا من سبب إلا أن زعامة الزعيم كانت طارئة استدعاها حادث طارئ . ومثال هذى زعامة هندنبرج التي أبقاها عليه هتلر في السنوات الأخيرة من حياته بينما كان الشعب يريد أن يحل زعامة هتلر محلها لأنه رأى نفسه يحس شيئاً جديداً زيادة على النزعة الحربية التي كانت تعبر عنها زعامة هندنبرج ، ولأنه رأى هتلر يعبر عن هذا الإحساس. ولم يقل أحد إن هندنبرج كان قد فقد شيئاً من مميزاته الشخصية إلى آخر يوم من أيام صحته ، وإنما الذى حدث هو أن الحادث الذى تزعم له هندنبرج ألمانيا لم يصبر حتى تنتهى حياة هندنبرج ليسحب بعدها ذيوله ... وذلك

الحادث هو الحرب الماضية وآخر ذيولها الذى سحبته عن ألمانيا هو الرضى الذى خنعت به السنوات الطويلة أمام شروط الصلح وما كان فيها من روح التشفى والانتقام . وهناك زعامات ماتت فى حياة أصحابها ولم تجد من يحفظها عليهم

ومن الزعامة ما يكون قريباً يلحقه جمهوره بسهولة فلا يسود يحفل به إلا كما يحفل المرء بهدف قريب وأصابه . وقد يتقى الزعيم من هؤلاء الزعماء كما يتقى الزعيم من السابقين زعماء الطوارئ شرّ هذا الركود الذى يصيب زعامته لزوال الطارئ أو لضآلة الزعامة ، وهو يتقى هذا الركود باختلاق الحوادث فى الحالة الأولى وبفلسفة الزعامة وتعقيدها فى الحالة الثانية حتى يظن الجمهور أن وراء قبة الزعيم شيخاً فيتابعه ويظل يتابعه وهو لا يدرى إلى أين يسير به زعيمه . ولعل المثل الصالح للزعيم الذى ينطبق عليه هذان الوصفان معاً هو نابليون ، فقد ظل يأكل عقول الفرنسيين ويسحرهم حتى نفى ونفيت معه فرنسا من مجتمع الدول ذوات الحول والرأى النافذ ، وقد يكون موسولينى من بين الزعماء الأحياء الذين يشبهون نابليون فى هذا

وإذا كنا نحن اليوم وعلى البعد نستطيع بغير تحرج وبغير تهيب أن نقرر هذه الحقائق وأن نصف هؤلاء الزعماء بهذه الأوصاف فإن أحداً ممن كانوا فى متناول أيديهم لم يكن ليجرؤ على شيء من هذا، لا خشية من هؤلاء الزعماء أنفسهم، فالأرجح أن فيهم من الحكمة ما يوسع صدورهم للنقد الحق على الأقل ، بل خوفاً من جماهير هؤلاء الزعماء . فإنهم يكرهون أشد الكراهية أن ينقد زعماؤهم بالباطل أو بالحق ، لأنهم فى العادة يقيمون من هؤلاء الزعماء أوثاناً تمثل أعز أمانيهم فى الحياة ، وهم لهذا لا يحبون أن يخدش أحد زعماءهم ما دام هذا الخدش يصيب أمانيهم العزيزة الغالية فى أجسادها . وهذا واضح اليوم فى الترك الذين يتعصبون لمصطفى كمال تعصباً أعمى لا روية فيه ، كما أنه واضح فى شعبى هتلر وموسولينى ، وكما أنه واضح فى جماهير المعجبين بالفنانين المشهورين ، فقد يقبل الفنان النقد يوجه إليه من ناقد صادق ، بينما جمهور هذا الفنان لا يحب أن يلتفت إلى عيب فيه

هذا إذا كان الزعيم فناناً من هواة الحق ولم يكن مهرجاً . أما إذا لم يكن من أصحاب الحق فهو كأدنى فرد من أفراد الجمهور الأعمى يحب الشقشقة ويحب الطنطنة

والزعيم الفنان « يتكون » كما تقدم فى أول هذا الحديث بطريقة طبيعية هى طريقة الانتخاب ، ولكنه ليس انتخاب الأصوات ، وإنما هو انتخاب الضمائر ، بحيث لو نزع من مكانه وأحل محله غيره لظهر هذا الجديد وفيه النقص والشذوذ والتكلف

وتستطيع المجتمعات أن تساعد الطبيعة فى تكوين الزعماء : كما أنها تستطيع أن تعرقل هذا التكوين ؛ وهى تساعد على تكوينه بأن تتزود من الإحساس الداعى إلى التعبير عنه أو الذى تريد أن تعبر عنه ، وبكثرة المحاولة فى التعبير عنه ، وهى تساعد على عرقلته بإهمال هذا الإحساس ، وإهمال التعبير عنه

والأصل أن يحدث هذا بدافع من الطبيعة وحدها . ولكن إذا مست حاجة الشعب إلى الزعيم القائد وانتبه عقله إلى هذا ، فإنه يستطيع أن ينتج زعيماً باصطناع هذه الطريقة التى رسمتها الطبيعة لإنتاج الزعيم ما دام بين أفراده من يصلح بطبعه لأن يكون زعيماً . ولعل هذا هو الذى تحاوله مصر الآن ، فلا ريب أن فيها حركة يقوم بها بعض الأفراد يريدون من ورائها أن يتيقظ الجمهور المصرى فيرهف حسه للحياة ، فيرجح بعد ذلك أن يعبر الجمهور عن إحساسه بلسان زعيم لا نزال ننتظره منذ مات سعد زغلول

ولا ريب أن الزعيم المصرى المنتظر يختلف اختلافاً كبيراً عن سعد زغلول ، فقد كانت حال المصريين التى استدعت زعامة سعد حالاً لا تملك إلا أن تهتف أو أن تثور متخبطة فى ثورتها ، ثم أن تهدأ بعد ذلك حتى تستجمع قوتها لتهتف وتثور من جديد. وقد كانت زعامة سعد تصور هذه الحال فى خطبه الرنانة ، وفى بياناته الطنانة ، وفى نكاته اللاذعة القاسية التى كان يلقى بها تلطما يعترض زعامته أو ما يقاوم اتجاهها الذى تقود فيه جمهورها .

أما الزعيم المنتظر فهو الذى سيكون إحساسه أشد من إحساس المصريين بالحال الذى نحن فيه ، الذى سيكون أشد المصريين تعبيراً عن هـذا الإحساس ، وأشدهم مقاومة لدواعى الشر

فيه ، وأشدهم إلهاباً لدواعى الخير فيه .

والحال الذى نحن فيه الآن يغلب عليه الجهل والجوع والضعف والحيرة ، فزعيم المستقبل إذن هو الذى سينقذنا من هذا كله، والذى سيعيد إلينا مصريتنا ناصعة معتزة بكل مفاخر الفراعنة والعرب والإسلام ، وهو الذى تحاول الأزمات المتعاقبة على الوطن فى هذه الحقبة من الزمن أن تتمخض عنه .

وإننا نرجو الله أن توفق مصر فى زعيمها الجديد كما وفقت فى زعيمها الراحل . فالحق أنه لم يكن من الممكن أن يكون لمصر زعيم أفضل فى صفاته الشعبية من سعد زغلول فى ظروف زعامته . وقد أثمرت هذه الزعامة ثمرتها الطبيعية وهى هذه الحال التى نحن فيها الآن ، والتى زاد فيها إحساسنا بالحياة ، وزادت فيها قوة تعبيرنا عن هذا الإحساس ، وزادت فيها محاولتنا إلى بلوغ أمانينا ...

فمن هو الزعيم الذى سينبعث منا ؟ . . . لا ندرى

ومتى ينبعث ؟ ... لا ندرى أيضاً ... فقد يتدرج الزعيم فى الظهور إذا لم تتحرج الحياة فيظهر فجأة

ومهما قيل إننا ارتقينا على يدىْ سعد ، فإننا لا نزال على مقربة من عهده ، فالزعيم الجديد ستكون فيه من سعد صفات هى ترديد ما لا يزال مضمراً فى نفس الشعب المصرى من الإحساس منذ أيام سعد ، وهى صدى هذا الإحساس المضمر وترجمته . فلا بد أن يكون الزعيم المقبل خطيباً إذا جاء قريباً لأن الخطابة هى التى يجمع بها الزعيم أشتات الأحاديث والأمانى التى يرددها الجمهور فيما بين أفراده ، وإن شعبنا لما يصل من الرقى إلى حيث يمكن أن يظهر فيه زعيم صامت أو قليل الكلام

فإذا كان هناك زعيم فى الخفاء اليوم ولم يكن خطيباً لأنه أرقى من مستوى الشعب ، فإنه يستطيع أن يتدرب على الخطابة فإن لها صنعة ، وصنعتها تجوز على الجماهير

وعند ما يهون أمر الخطابة فلا تكون من عماد الزعامة فى الشعب المصرى فإنه سيكون قد بلغ من الرقى مبلغاً يقف به إلى جانب الإنجليز الذين يقودهم المجربون والنافعون .

عزيز أحمد فهمى

حـــول الفن المنحط

للأستاذ كامل التلمسانى

قرأنا بالعدد ٣١٩ من الرسالة الغراء كلمة بعنوان « حول الفن المنحط – كلمة أخيرة » رداً على ما كان قد كتبه أديب فاضل عن جماعة « الفن والحرية » ، وما كان من نقاشه مع الأديب أنور كامل عضو الجماعة فى رده عليه من ناحية توخى فيها أنور كامل البعد عن التفاصيل الفنية وذكر الأسماء والتواريخ . أما وقد ذكر الأستاذ الفاضل فى كلمته هذه اسم الأديب الشاعر أندريه بريتون André Breton وترجم كلمة قديمة له عن السير يالزم Surrealism ثم تكلم بعد ذلك معقباً بكلام من عنده ؛ فلهذا فقط أجد نفسى مضطراً لتصحيح ما أورده من الأخطاء فى حق هذا الكاتب وحركته . ولكيلا أتيح الفرصة للقراء الأفاضل بأن يروا صورة مشوهة ممسوخة لهذه الحركة العالمية التى تعبر عن أسمى وأنبل المشاعر الإنسانية فى القرن الحاضر ، والتى وصلت عن طريقها الحضارة الفنية سواء فى الشعر أو التصوير الحديث إلى الدرجة العليا واضعة بذلك قاعدة المدرسة المعاصرة فى الشعر الحر والتصوير المبنى على الفكر الشاعرى والتحليل النفسانى الحديث . ولعل الزملاء من المعارضين قد يتحرون الدقة بعد ذلك فى إيراد ما يريدون من مصادره الأخيرة الموثوق بها بشأن هذه الحركة التجديدية التى ما زالت تتسع وتتجدد حتى اليوم ولا يقف أمام نشاطها ركود الفكر أو خمول البحث والتنقيب .

والظاهر أن الأديب الفاضل قد اكتسب معلوماته عن السير يالزم « الفن البعيد عن الحقيقة الظاهرة » كما يتضح من كتابته عن طريق تلك الفقرات التى أتت إجمالاً فى كتاب : « Bohemian, Literary & Social Life in Paris » ونحن نعتقد أن مجرد قراءة فقرات كهذه كتبت منذ عدة سنوات لا تخول له الحق فى التحدث بمثل ما تحدث به، وأن فى هذا جناية على الفكر والكاتب الذى تحدث عنه ، و « للرسالة » بما لها من

تأثير وانتشار لا يقف مداه عند مصر ، بل يتعداه إلى الشرق العربي أجمع ! ولذا وجب أن نذكر هنا هذه «الكلمة الأخيرة» رداً على كلته وليس لنا رجعة بعد ذلك الهم إلا فى نشرات تحليلية مفصلة أومعارض ومحاضرات عامة يتسع لها الموسم الشتوى المقبل وهو قريب

لقد تطور السيريالزم فى السنوات الخمس الأخيرة تطورات عدة بعيدة المدى فى جوهرها ، ونشر أندريه بريتون فى هذه المدة عدة بيانات متتابعة عن الحركة وما تجدد فيها وما اكتسبت من آراء وفكر ؛ وكان آخر هذه التطورات مقالته الرائعة فى العدد الأخير من مجلته : مينوتور Minotaur والتى لا بد للأستاذ من الاطلاع عليها وعلى ما سبقها من مقالات ، إذ بحثت بجلاء الاتجاهات الأخيرة فى التصوير السيرياليستى ، كذلك ما كتبه أقطاب الحركة من النقاد والشعراء والكتاب الفرنسيين والإنجليز

والسيريالزم ليست « حركة فرنسية محضة » كما يقول الأستاذ بل هى حركة أول مميزاتها أنها عالية فى التفكير والأداء ، وليس لها من الطابع المحلى أدنى نصيب قل أو أكثر . وإنه لمن المدهش العجيب حقاً أن يسمح الأستاذ لنفسه أن يقع فى مثل ما كتب من الخطأ الفاحش ، وإنى لأنصحه فى هذا الموضع بقراءة ما كتبه الناقد الإنجليزى الكبير هربرت ريد Herbert Read فى كتابه عن الحركة السيرياليستية Surrealism وما أورده بشأن العالمية وهذه الحركة الحرة وبعدها كل البعد أن تتهم بأنها فرنسية محضة كما قال الأستاذ . بل إنى أخبره أنه ليس بين قادة التصوير فرنسى واحد، فالمصور جورجيو دى كريكو Chirico إيطالى يونانى، وسلفادور دالى Dali أسبانى وكذلك بيكاسو Picasso نفسه، وبول كلى Klee، وماكس أرنست Ernist من ألمانيا، وبنروز Rose Pen إنجليزى، وكذلك هنرى مور Henry Moore؛ وأما بول دلفو Poul Delveaux فهو بلجيكى ، وشجال Chagale روسى الجنسية وهكذا... هؤلاء يا سيدى الفاضل هم قادة الحركة. ومن السخرية أنه لا يوجد بينهم فرنسى واحد !! وليس للفن بلد يا صديقى. فلقد أخطأت عندما قلت فيما قلته : « وأظن أن الحركات الفنية لا تنتقل بمثل هذه السهولة من قطر إلى آخر ... دعك من حديث الشخصية والإلهام ... »

وعلى ذلك فهناك حركة مماثلة فى كل من انجلترا والمكسيك وبلجيكا والولايات المتحدة وهولاندا الخ. فهل ترى يا سيدى أنه من العيب أن تقوم بمض الصور المصرية مستندة أو متأثرة بمثل هذه المدرسة !. إننا نريد حضارة تسير مع العالم ولا نريد أن نقف حين يسير الجميع . ثم إنى أنصحك أيضاً أن تقرأ فى هـذا الموضوع نفسه افتتاحية عدد يناير ١٩٣٩ من مجلة Clé لتعرف بنفسك فى صمت أنك بعيد عن فهم هذه المدرسة

هل رأيت ياسيدى (عروسة المولد الحلاوة) ذات الأيدى الأربع؟

هل رأيت عرائس القراقوز الصغيرة ؟ وهل سمعت قصص أم الشعور والشاطر حسن وغيرها من الأدب الشعبى المحلى ... كل ذلك يا سيدى سيريا لزم

هل رأيت المتحف المصرى . . . كثير من الفن الفرعونى سيريا لزم

هل رأيت المتحف القبطى . . . كثير من الفن القبطى سيريا لزم. إننا لا نقلد المدارس الأجنبية بل نخلق فناً نشأ من تربة هذه البلاد السمراء وتمشى فى الدماء من يوم كنا نعيش بتفكيرنا المطلق حتى هذه الساعة يا صديقى

تقول يا سيدى إن هذه الحركة الفرنسية كما زعمت « باعثها الأول نظريات العالم سيجموند فرويد » . هذا كلام عام فيه كثير من التهويل واستدرار التصفيق من أيدى الجمهور — إن كان الجمهور عماده الجهل — بدون حق . هذا كلام بعيد عن التحليل الدقيق ، ففرويد له قيمته عنـدهم وعند كل العالم الحر الطلق الديمقراطى النظيف فى فكره وتفكيره . وهل هى جريمة يا سيدى أن يدخل التحليل المبنى على أساس نظريات فرويد Freudism فى التصوير كما هو كائن فى الأدب والشعر فى بلدنا هذا وهو بلد حر ديمقراطى؟ وليست مصر حتى الآن قطعة من ألمانيا ولم تستعمر إيطاليا بلدنا بعد حتى تحرق مؤلفات فرويد فى الميادين العامة بين صيحات الفرح والوحشية ... ! لا يا سـيدى ما زالت مصر ديمقراطية وتأثرك بالفكر الفاشى والنازى بنظرتك هذه إلى فنتنا يجب أن تكبتها وترى لنفسك الطريق القويم ... هل تعلم يا سيدى أن صور محمود بك سعيد كبير المصورين كلها فرويدية

Freudism وأن معظم كتابات الأستاذ محمود تيمور بك وتوفيق الحكيم وغيرهما كذلك

ليس لمجرد استنادنا إلى نظريات فرويد — لو كان فى ذلك بعض الصواب عند بعضنا — ما يدعوك لدعوة مثل هذا الفن بالانحطاط بأعلى صوتك ؛ أنصحك هنا يا سيدى أن تعرف قبل أن تكتب هذا علاقة هذه الصور بالعلامة سيجموند فرويد . إنى أدلك على هـذه العلاقة فى فصل ممتع بكتاب Art & Society للنقادة Herbert Read أو ارجع إلى ما كتبه السير باليست الإنجليزى فى أعداد London Bulletin عن ذلك أخيراً

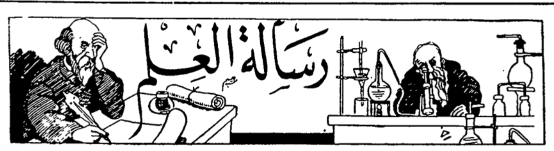
لقد ذكرت فيما نقلت من مقالك لتستشهد به كلمة « الكتابة الآلية » فهل تدرى يا سيدى أن هذه الكتابة الآلية Automatic writing قد ولت وذهب زمانها الآن . إن الشيء الحى يتجدد دائماً من تلقاء نفسه . ولا داعى للاستشهاد اليوم يا صديق بشىء عرفت عنه شيئاً الآن فقط بعـد أن تركه أصحابه بالصورة التى عرفته عليها . هل قرأت يا سيدى الأستاذ ما هو السيريالزم ؟ What is Surrealism ! by André Breton إنى واثق أنك لم تقرأه وإلا لـما استشهدت بقوله الذى ذكرته اليوم وإن كان قد قاله منذ سنوات عدة والذى لم تذكر ما قدم له به وما ذكره بعـد ذلك . ربما تجد إحدى الصور التى قد تسرك يا سيدى فى محاضرة قالها الشاعر المصرى بالفرنسية جورج حنين عضو الجماعة نشرتها له مجلة Revue des conférences Françaises en Orient التى تصدر بالقاهرة عدد أكتوبر ١٩٣٧

وأخيراً هل تعلم يا سيدى أن زعيم النقد فى مصر أحمد بك راسم وهو رجل له رأيه فى الفن منذ كتب للفن أن يظهر فى مصر قد تكلم عن ثلاثة من أعضاء هذه الجماعة من المصورين فى عدة مقالات ذكر فى آخرها بالأهرام ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٨ وبالبلاغ ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨ تأثير الفن الشعبى والفن الشرقى فى فنون هؤلاء الفنانين وهم الأستاذان كامل ولبم وفتحى البكرى وكاتب هذه السطور . إن بعض الأعضاء فى هذه الجماعة مثل أبو خليل لطفى وحسين يوسف أمين قد بلغوا بفنهم درجة ثقافية عالية بالفن الشعبى المحلى فى فنهم خيال وفكر شخصى لا دخل للسيريالزم فيه وإن كان به ما بالسيريالزم من بعض الصلات والأصول خصوصاً فى الصور الحفرية التى يعملها المثال أبو خليل لطفى . أما صور الأستاذ يوسف العفيفى وفؤاد كامل فهى تخرج من القلب تواً ومن أعصابهما ودمائهما تتكون خطوطهما، وفن كليهما شخصي محض ليس لغيرهما صلة مباشرة به عن قرب أو عن بعد . إنى أحب أن أجيبك هنا بما أجاب به أستاذنا يوسف العفيفى أحد النقاد المعارضين لنظريته يوماً إذ قال له : « إن السيريالزم ما هو إلا الاسم العلمى الحديث لـما نسميه نحن : الخيال . حرية التعبير . حرية الأسلوب ، والشرق منذ الأزل موطن كل هذا »

وليس لنا عودة بعد هذا. ولعل فيما ذكرت وأوردت فى إيجاز ما يدعو قراء الرسالة الأفاضل لقراءة بعض هؤلاء الكتاب والنقاد

كامل التلمسانى

عضو جماعة الفن والحرية



الشقيقـــان

الإلكترون والبوزيترون أو السالب والموجب

للدكتور محمد محمود غالى

ذكرنا أن المادة مجموعة من الذرات ، وأن الكهرباء مجموعة من الذرات الكهربائية ، أسماها العلماء « ألكترونات » ، كتلة الواحدة منها حوالى $\frac{1}{2000}$ من كتلة أخف الذرات (ذرة الهيدروجين) ، وذكرنا أدلة حسية على وجود هذه الألكترونات أو الجسيمات المتناهية فى الصغر . من ذلك أن المجال المغناطيسى يجذبها كما تجذبنا الكرة الأرضية ، وذكرنا أن مسار هذه الجسيمات يدل على أن كهربائيتها سالبة . والآن نخطو بالقارئ خطوة أخرى لنحدثه فى نوعى الجسيمات الكهربائية . فكما أن العناصر المادية تبدو لنا مختلفة وفق اختلاف الذرات ، كذلك الكهرباء تبدو لنا مختلفة وفق نوع الذرات الكهربائية ، ففى المادة - ترى مثلاً - الماء المكون الأعظم لسطح الكرة الأرضية ، هذا الماء الذى يروى النبات الذى عليه نعيش ، وفى المادة نرى المعادن نكوّن بتكييفها أعظم معالم المدنية .

وفى الكهرباء نرى نوعين مختلفين من الذرات ، الذرات السالبة والذرات الموجبة ، والأولى تكوّن التيار الكهربائى وقد عرفنا أنها مكونة من جسيمات صغيرة جداً تتدفق فى المادة كما يتدفق النيل فى بلادنا حاملاً أمطار الحبشة سر رخائنا وأصل ثروتنا ، والثانية مكونة من جسيمات صغيرة جداً تساوى كتلة الواحدة منها كتلة الأولى تقريباً وشحنتها موجبة . ولقد عكف العلماء على البحث عن ماهية هذه الكهرباء الموجبة دون أن يجدوا وسيلة واحدة لفصل جسيماتها عن المادة التى تحملها كما حدث أن استطاع الباحثون التعرف على الجسيمات السالبة بعيداً عن المادة

حقيقة أمكن الحصول داخل أنابيب التفريغ الكهربائى على تيارات موجبة نعنى تيارات تسير من القطب الموجب إلى القطب السالب ، ويصح تسميتها الأشعة الموجبة Rayons Canaux ، ولكن اتضح من تعيين كتلة وحدات هذه الأشعة أنها كتلة ذرات الغاز المتبقى فى هذه الأنابيب ، بحيث أن هذه الذرات تتكون من ذرات الغازبذاته ، ولا تمثل الذرات الكهربائية الموجبة ، وهكذا اعتقد الكثير أن الكهربائية السالبة هى وحدها التى تظهر على شكل ألكترونات حرة، بيد أن الكهربائية الموجبة لا تنفصل عن المادة وتكون جزءاً منها .

وعند ما أمكن لميكان العالم الأمريكى المعروف أن يحصل فى سنة ١٩٠٧ على ألكترون حر واحد وبتأكد العلماء كلهم معه كما سيعرف قريباً قارئ الرسالة أن هذا الذى حصل عليه هو الكترون حر واحد ليس باثنين أو بثلاثة - زاد تعطش العلماء إلى العثور على أثر جسيمات الكهربائية الموجبة حرة طليقة ، ومرت السنون طويلة منذ حادث « مليكان » دون أن توجد مناسبة علمية واحدة استطاع الباحثون فيها أن يحصلوا على شقيق الألكترون التائه كأنه لم يكن من أبناء هذا العالم الذى نعيش فيه

وشاءت الظروف أن يكون كشف الذرة الموجبة فى المعهد ذاته الذى أحرز فيه « مليكان » نجاحه المنقطع النظير[1] ،

(١) سنتكلم فى مقال قادم عن كيف استطاع «مليكان» أن يحصل على الكترون حر واحد وكيف أثبت الحساب وجود هذا الألكترون

وفى المعهد الشهير الذى يديره « مليكان » فى باسادينا بكاليفورنيا كشف « أندرسون » Anderson حديثاً الذرة الكهربائية الموجبة ، هذه الذرة التى أسماها العلماء فى بادئ الأمر (البوزيترون) أى الذرة الموجبة والتى فضّل « بيران » شيخ علماء السوربون أن يحذف الراء من هذه التسمية ويطلق على الذرة الموجبة (بوزيتون) وذلك فى كتاب[1] « حبيبات المادة والضوء » Grains de Matière et de Lumière ولقد كان هذا الكشف من ناحية أندرسون نتيجة لدراسة خاصة بالأشعة الكونية التى كتبنا عنها أربع مقالات بالرسالة وألقينا محاضرتين عنها هذا العام إحداها فى الجمعية الطبية العلمية بكلية الطب ، والأخرى فى جمعية المهندسين الملكية . والظاهر أن جزءاً هاماً من هذه الأشعة الجديدة على معارفنا يتكون من الذرات الكهربائية الموجبة كما أن لهذه الأشعة قوة اختراق عجيبة بحيث تستطيع عندما تتصادم مع المادة أن تخرج منها الذرات الموجبة التى اتضح أن كتلتها تعادل كتلة الألكترونات ذرات الكهربائية السالبة .

ولقد استطاع الباحثون باستعمال أشعة جما الرادومية أن يحصلوا على البوزيتون . وهكذا اتضح أن عملية إخراج الذرات الموجبة من المادة أصعب بكثير من إخراج الذرات السالبة ، هذه الذرات الأخيرة تظهر فى الأحوال العادية كجسيمات حرة ، فهى التى تحدث كل الظواهر الكهربائية المعروفة بالظواهر الألكترونية التى تمد من بينها الأشعة الكاثودية وتمد من بينها كل هذه الألكترونات المهاجرة والسريعة التى تكون الأساس فى فن الراديو حيث تمد هجرة الألكترونات فى الفراغ من سلك « الأمبول » حتى « الأنود » العمل الأساسى فى نجاح هذا الفن

على أن معرفة هذه الحالة الذرية للكهرباء التى ابتدأت بمعرفة الألكترون وانتهت بمعرفة شقيقه « البوزيتون » وفصلهما عن المادة وقياس كتلة كل منهما ، كل هذا صحح فى الأذهان الصورة الحقيقية التى عليها ظاهرة الكهرباء ، وبعد أن كانت التيارات الكاثودية معتبرة عند العلماء حالة خاصة لظاهرة الكهرباء ، فهم الباحثون أن الهجرة الحرة للجسيمات الكهربائية هى الحالة العامة الطبيعية ، فالألكترون مهاجر حر يسافر فى كل مكان وفى أى اتجاه بسرعة كبيرة تعادل سرعة الضوء ، وما المادة عند ما تجرى الكهرباء فيها إلا وسطٌ مقاوم لطبيعتها الحرة ، وسواء اعتبرنا «الأمبول» للفرغة مكاناً تسبح فيه الكهرباء أو اعتبرنا الأسلاك النحاسية مكاناً تروح وتغدو فيه ، فالكهرباء فى الحالتين ظاهرة واحدة ... الكهرباء شخصيات مهاجرة وعوالم متنقلة ، وليس ثمة فارق بين هجرتها فى الأنابيب المفرغة وهجرتها فى الأسلاك إلا أنها فى الأخيرة تعمل لها طريقاً بين ذرات المادة المتراصة وتعانى فى هذا السبيل ما نسميه المقاومة الكهربائية

* * *

عند ما تحادث من القاهرة صديقاً لك بالاسكندرية وتستمر المحادثة بينكما ست دقائق فى المساء كما هو المتاد ، فإن كل لفظة تسمعها تُترجم فى الواقع من بلايين البلايين من الشخصيات المهاجرة فى السلك النحاسى الذى مَدَّه المال بين العاصمتين . عند ما تقول لصديقك فى التليفون « كيف حالك » فقد حدث فى هذه اللحظة من جراء صوتك بضع مئات الآلاف من الذبذبات التى تمثل صوتك والتى يمكن تسجيلها والتى كان لها أثر على التيار الكهربائى بينكما ، وفى كل حرف نطقت به وقعت حرب عوان لا تقارن بها مواقع فردان والمارن ، فإن ملايين الملايين من المهاجرين كانت تدفع طريقها بصعوبة وسط ملايين ملايين الذرات المادية كجيش محارب اضطر أن يجتاز صفوف العدو أو أن يخترق مدينة مزدحمة بالسكان وكان لا بد له فى الحالين من مجهود مضن قبل أن يكون قد اخترق كل ما أمامه

هذه العلاقة بين عدد المهاجرين وشكل الذبذبة ثابتة لدرجة

(١) كتاب حديث لجان بيران أستاذ السوربون الحائز على جائزة نوبل وهو الذى عينه « ليون بلوم » زعيم الحزب الاشتراكى فى فرنسا وكيلا لوزارة الأبحاث العلمية فى وزارته السابقة كما عين بنت مدام كيرى المعروفة فى مثل هذا المنصب ، وفى هذا الكتاب نرى فى الفصل الرابع وفى الصحيفة ١٩ هذه التسمية الجديدة . ونطالع فى الأسطر الأخيرة من هذا الكتاب القيم كلمات الشكر التى يتقدم بها العالم الشيخ لابنه العالم الشاب « فرانسيس بيران » Francis Perrin على ما بذله معه من مجهود

أنه أمكن التوسع أخيراً فى طريقة نقل المكالمات التليفونية ، بحيث أنه يمكن الآن على سلك واحد أن يتكلم حوالى ٣٥٠ متكلما فى وقت واحد بحيث يمكن فى الحال تحليل الأصوات أو بالأحرى الذبذبات عند خروجها من السلك الذى يضمها جيماً فيسمع كل متكلم صاحبه فى الوقت ذاته الذى حدثت فيه المكالمات جيعاً ، وقد تمت مثل هذه الخطوط بين كثير من البلاد الكبيرة نذكر منها على سبيل المثال الخط الرئيسى بين لندرة وبرمنجهام وبين هذه ومانشستر . وقد قدر العلماء أنه فى الأحوال العادية يهاجر فى واحد على الألف من الثانية حوالى كانتيليون من الألكترونات

* * *

ولقد درس العلماء ما يحدث فى التوصيل الكهربائى وكشفوا ظواهر غاية فى الأهمية ، وعرفوا ما ينتج من ضعف المقاومة الكهربائية عند تبريد الأسلاك الموصلة تبريداً بلغ فى هذه التجارب درجة الهواء السائل ، وقد وجدوا أن التيار الكهربائى يستمر عند هذه الحالة عدة ساعات دون أن يُغذّى الأسلاك التى يولد التيار فيها أى منبع كهربائى ، طيلة هذه المدة ، وفى حلقة معدنية محاطة بهيدروجين سائل كون الباحثون بطريق التأثير Induction تياراً كهربائياً ، وذلك بتقريب مغناطيس من الحلقة ؛ ومن جامعة ليد Leyde الشهيرة نقل الباحثون بالسكك الحديدية الوعاء المحتوى على الحلقة إلى جامعة أيترخت Utrecht حيث اتضح بواسطة الجالفانومتر أن التيار المتكون بالتأثير لازال موجوداً وأن الألكترونات لا زالت تدور دورانها فى الحلقة[1] ولعل ذلك راجع إلى هدوء نسبى فى التهيج الحرى المستديم والواقع فى الحلقة المعدنية بحيث وجدت الألكترونات طريقاً سهلاً بين هذه الذرات التى اقتربت بهذا التبريد من السكون

وعليه فثمة ثلاثة أنواع رئيسية من الجسيمات :

(ا) الجزيئات وهى المكونة للحوادث الطبيعية

(ب) والذرات وهى المكونة للتغييرات الكيميائية

(ج) والألكترونات ومعها البوزيتونات المكونة للظواهر الكهربائية

أما أن يكون الجزىء مركباً من ذرات فهذا لا جدال اليوم فيه إلا إذا أزلنا من العلوم علم الكيمياء . وأما أن تكون الذرة مركبة من مكونات أصغر منها أهمها الألكترون والبوزيتون فهذا أيضاً أمر لا شك فيه وإلا جاز لنا أن نستغنى عن كل معارفنا فى الكهرباء

هذان الشقيقان يلعبان دوراً هاماً فى معارفنا ، وسنحاول مع القراء أن نتعرف عليهما أكثر من ذلك .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) يمكن الاطلاع على هذه الأبحاث فى مذكرات الجمعيات العلمية الهولندية ويذكر ريشنباخ هذه الأبحاث فى كتابه الأتوم المترجم للفرنسيه فى مجموعة فلاماريون ص ١٧٥



لو كنت يهودياً

[ملخصة من مقال « للمهاتما غاندى »]

كل عواطفى تتجه نحو اليهود ، فقد توشجت بينى وبينهم أواصر المودة أيام إقامتى بجنوب أفريقيا ، وصار لى بعضهم أصدقاء مدى العمر ، فأتيح لى أن أعرف كثيراً عن هذا الاضطهاد الأبدى الذى يعانيه اليهود عن طريق هؤلاء الأصدقاء . إنهم المنبوذون فى المسيحية . ولقد أرى وجه الشبه يتقارب كثيراً بين المعاملة التى يعاملهم بها المسيحيون ، والمعاملة التى يعامل بها الهندوس طائفة المنبوذين . فقد كان الدين هو الذريعة التى ارتكبت باسمها تلك المعاملات الهمجية التى تعانيها الطائفتان . فإذا وضعت تلك الصداقة جانباً ، ونظرت إلى الأمر من ناحيته العامة وجدت عواطفى جميعها تتجه نحو اليهود

إن المبادئ السامية تقضى بأن يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله أينما ولدوا وحيثما نشأوا فاليهود الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون ولا شك ، كما أن المسيحيين الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون . فإذا اتخذ اليهود فلسطين وطناً لهم ، هل معنى ذلك أنهم يستمرئون فكرة إخراجهم مقهورين من ديارهم ؟ أو أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة فى طلب الوطن القومى تمطى الألمان حجة براقة اللون لطرد اليهود

إن اضطهاد الألمان لليهود على أى وجه نظرنا إليه ، يلوح لنا أنه منقطع النظير فى تاريخ العالم . إن المظالم الغابرة لم تصل فى يوم من الأيام إلى ذلك الجنون الذى اندفع هتلر إليه ! وإنه ليندفع إليه بعامل دينى ، إذ أنه يدعو إلى دين جديد من الوطنية قوامه الطرد والمحاربة . فباسم الدين تعد هذا الأعمال المنافية للإنسانية ، من الأعمال الإنسانية التى يجازى مرتكبوها فى الدنيا والآخرة خير الجزاء

إذا كانت فى الحياة حرب عادلة تقوم باسم الإنسانية ، فالحرب ضد ألمانيا واجبة لمنعها من اضطهاد عنصر بحاله من بنى الإنسان . ولكننى لا أعتقد فى الحرب بحال من الأحوال ، إن ألمانيا تلبس الباطل ثوب الحق ، والهمجية ثوب الإنسانية . فهل يحتمل اليهود هذا الاضطهاد الغريب ؟ ألا يوجد سبيل للاحتفاظ بالكرامة والشعور بشىء غير الضعف والإهمال والخذلان ؟ إننى أقر هنا بأنهم لا يعدمون هذا السبيل . إن إنساناً يعتقد فى وجود الله يجب ألا يشعر بالعجز والخذلان . إن اليهود كالمسيحيين والمسلمين والهنود فى اعتقادهم بوحدانية الله ، إلا أنهم يشخصونه ويعتقدون أنه يتولى جميع أعمالهم فما أجدرهم بألا يشعروا بأنهم بغير نصير

لو كنت يهودياً مولوداً فى ألمانيا وكنت أحصل رزقى بها ، لصرخت فى وجه أقوى رجالها : « إن ألمانيا وطنى ولا أخرج منها ولو قطعت أوصالى ، أو ألقى بى من حالق » . ولرفضت أن أطرد منها أو أخضع لأى نوع من أنواع الاضطهاد بها ، ولا أنتظر رفقائى اليهود ليصحبونى إلى عصيان مدنى ، ولكنى سأكون على ثقة بأنهم سيحذون حذوى فى النهاية

لقد نجح الهنود فى حركة العصيان المدنى فى جنوب أفريقيا ، وكانوا يقفون ذلك الموقف الذى يقفه اليهود الآن . بل إن مركز اليهود فى ألمانيا خير من مركز الهنود فى جنوب أفريقيا . إنهم أكثر ذكاء وأقوى استعداداً من هنود جنوب أفريقيا ، وفضلاً

عن ذلك ، فقد أوجدوا خلفهم سنداً من الرأى العام فى أنحاء العالم

إنهم إذن جديرون أن يقفوا رجالاً ونساء ذلك الموقف الحازم معتمدين على قوة الله الذى سيعينهم ولا شك على احتمال الشدائد ، وإنهم بذلك ليرفعون من شأن ألمانيا ويبرهنون على أنهم أبناؤها الجديرون بهذا الاسم ، لا هؤلاء الذين يسيرون باسمها وسمتها نحو الهاوية . . .

ولايات متحدة عالمية

[من مقال « للمركيز أوف لوثيان »]

جرب العالم فى ربع القرن الأخير كل رأى فى سبيل منع الحروب . ففى عام ١٩١٨ بدأت محاولات جدية لإنقاذ العالم من الأوتقراطية ونشر مبادئ السلم والحرية . ثم أعقب ذلك محاولة عصبة الأمم ، ثم ميثاق كلوج فاتفاق عدم التسلح . فلما انتهت تلك الآراء بالخيبة وأخذ شبح الحرب يلوح ثانية للعالم ، أقبلت بعض الأمم تفكر فى حماية نفسها من الحرب ، فعاد بعضها إلى التسلح ، وتذرع بعضها بالتحالف ، وآثر بعضها الوحدة ونظام الحياد الدقيق . ولكن شيئاً من ذلك لم يفلح لوقاية العالم من الحرب ، وإن كانت كل أمة من هذه الأمم تعتقد تمام الاعتقاد بأن الحرب إذا اندلع لهيبها — ولا يستطيع أحد أن يقول إن هذا أمر بعيد الوقوع — فسوف لا تنتهى إلا وهى على حافة الدمار

إن فكرة السيادة الدولية هى أهم أسباب الحرب . فمن أجل السيادة يقضى على العالم الإنساني بأن يعيش تحت عوامل الفوضى وإذا كانت هناك أسباب أخرى لاشك فيها لإثارة نيران الحرب كالخوف والطمع والزهد والتعصب للعنصر، إلا أن هذه الفوضى. هى التى تشعل نيران تلك الشرور ، وتجعلها أمراً لا مفر منه ، فلا تلبث أن تؤدى إلى الحرب عاجلاً أو آجلاً ، كما هو الشأن منذ سقوط آخر نظام عالمى وهو نظام الأمبراطورية الرومانية .

لذلك تقع الحرب بين الأمم ذات السيادة فحسب ، أو الأمم التى تسعى وراء السيادة . والسيادة تجعل المنافسة على التسليح أمراً لا معدى عنه، وتضحي بالأخلاق فى سبيل النفوذ السياسى، وتسوق الأمم القوية إلى الاستعمار والضعيفة إلى طلب الاستقلال، وتقضى على فكرة التعاون التجارى بين الدول ، وتزيد فى عدد العمال المتعطلين بزيادة التعريفة الجمركية وغيرها من العوائق ، وتزعزع الحالة المالية والاقتصادية ، وتقضى على حقوق الفرد ، وتحيل الأمم وهى فى طريقها الذى لا آخر له فى طلب الأمن بالقوى الحربية — إلى مجرد ولايات للرق والاستعباد

إن العلاج الوحيد للحرب هو الاتحاد الذى ينطوى على القضاء التام على فكرة السيادة الدولية ، سواء اتخذت مظهر القوة كما يرى الاشتراكيون والفاشست، أو اتخذت صفة التحالف الديمقراطى. فكل اتفاق يؤول فى النهاية إلى السيادة سيكون نصيبه أن يفشل تماماً كما فشل فى الولايات المتحدة ما بين سنة (١٨٨١ — ١٨٨٩)

إذ أن الداء الكمين الذى يسبب الحرب لم تستأصل جذوره

يجب أن نختار بين الحرب ، والسعى المتواصل وراء السيادة الدولية ، مع ما فى ذلك من القضاء على السلم وحرية الفرد ، وبين الرجوع إلى فكرة حقوق الإنسان القائمة على اتحاد الشعوب تحت نظام إقطاعى كالذى تسير عليه أميركا الآن إذا كان للحرية أن تعيش ، وللسلم أن يقوم على دعائم ثابتة .

الله وشقاء الإنسان

[من مجلة « ساينس أوف ثوت »]

قد يتساءل الإنسان وهو يعرض لفكرة الحرب ، ويفكر فى الشقاء والبلايا التى تعترض الإنسانية فى هذه الحياة : « كيف يرضى الله لعبيده هذه الحال ؟ » هذا السؤال وأمثاله يخطر ببال الكثيرين من الناس . وهم إذ يفكرون هذا التفكير لا يريدون أن ينظروا إلى الحياة على وجوهها المختلفة المتعددة الجوانب ، مسوقين إلى آراء واهية الأساس لا تنتج عادة غير الزيف . فنحن نظن أن عقيدتنا فى الله والمسيح كافية لإصلاح كل شأن وقضاء كل مأرب مع ما نراه من البؤس الذى يعانيه كثير من المؤمنين

المخلصين فى إيمانهم ، لا فرق بينهم وبين غيرهم ممن لا يؤمنون بشىء . ومثل بسيط كاف لحل هذا اللغز ، وإفهامنا الحقيقة التى توجب ذلك

إن مجرد الإيمان بالفن لا يجعلنا من رجال الفن . فمن الواجب إذن أن نصبح فنانين . وعند ذلك يخلق فى نفوسنا ذلك الشعور الداخلى الذى يخالط حياتنا ويجعلنا نعيش للتعبير عن الفن

وكذلك نستطيع أن نقول إن مجرد الاعتقاد فى الله والمسيح لا يؤدى إلى ما تنشده نفوسنا ، ما لم نكن مسيحيين كالمسيح ، فيخلق فى نفوسنا ذلك الشعور الداخلى الذى يمازجها ويجعلنا نحيا للتعبير عن قدسية هذا الشعور

فكما يعبر الموسيقى عن الأعمال الخالدة التى يضعها كبار الموسيقيين ، نعبر عن الله العظيم ونترجم عن روحه

لقد وهبنا الله الحرية . وإن شقاء الحياة لمن الدلائل القائمة على ذلك . والحياة تسيرها حركة باطنة ، وكل منا يملك فى نفسه تلك القوة الخالقة التى تسير الحياة . فهذه القوة وذلك النشاط هما المادة التى تخلق فينا أسمى مظاهر الحياة

* * *

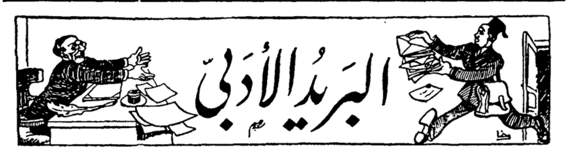
إن كل ما يحرزه الإنسان من التقدم فى الحياة ، يرجع الفضل فيه إلى القوة الباطنة : فهى التى تسمو بطبيعته وتهبها العمق والاتساع .

والفرق بين الناس يرجع إلى الباطن دائماً ، فقد كان السيد المسيح لحماً ودماً فى ظاهره ، ولكنه فى الباطن كان متصلاً بالسموات والأرض . لقد خلقنا الله لنعيش كما يعيش الفنان المعبر عن الفن ، وأمدنا بالروح والقوة والنشاط والحركة ، ووهبنا القدرة على الاختيار ، والحرية ، وخلق فينا حياتنا الباطنة ، فلسنا إذن آلات متحركة . إلا أن الحرية لا تسير بغير نظام . وإطاعة هذا النظام لا تفقدنا الحرية . فالحركة والنشاط والمادة والعمل والنجاح يجب أن تسير جميعها على نظام خاص .

والفرق بين الخضوع لقانون الفنان المبتز ، والخضوع لقانون الإله ، هو حرية الاختيار فى الحالة الأولى — بمعنى وعى حقائق الأمور — والإجبار الذى لا اختيار فيه فى الحالة الثانية.

وما دام الله قد خلقنا لنكون الفنانين المعبرين عن جلاله ، وجعلنا أحراراً فى الحياة ، فالحرية إذن سنة الله ، وهو بقدرته يحمى هذه الحرية . فإذا خضعنا للقانون حمى نفوسنا وحفظ حريتنا . وإذا عارضنا ذلك القانون ، عارضنا حريتنا ، وخضعنا لقانون الآلة الصماء

فعدم تنفيذ إرادة الخالق يقضى على حريتنا ، إذ يساء استعمال الحركة والنشاط والمادة والتقدم ، وينحدر العالم إلى مهاوى الشقاء . . .



تاريخ الأمم والبلدان الإسلامية

هذا عنوان الكتاب الضخم الذي أخرجه من أسابيع المستشرق العلامة الأستاذ كارل بروكلن ، وقد نشره R. Oldenbourg في مدينة مونيخ من مدن ألمانية . وعنوان الكتاب في اللغة الألمانية : Geschichte der islamischen Vœlker und Staaten

والحق أني لم أقرأ الكتاب بعدُ ، وذلك لأني على سفر ولأني أستريح ههنا من عناء الطالعة العلمية . غير أني رأيت ألا أهمل إخبار قراء «البريد الأدبي» بخروج ذلك الكتاب المفيد وحسى اليوم أن أجمل لهم مشتمله على أن أعود إلى النظر فيه بعد زمن

١ — العرب والدولة العربية : الجزيرة قبل الإسلام . النبي محمد . الخلفاء الراشدون . الأمويون

٢ — الدولة الإسلامية: العباسيون سقوط الخلافة وقيام الدول الصغيرة . الفرس والترك . الإسلام في الأندلس وشمال أفريقية . الشرق الأدنى أيام الحروب الصليبية. الماليك في مصر. الترك والمغول

٣ — العثمانيون والإسلام : قيام الدولة العثمانية واتساعها في عهد سليمان . حضارة العثمانيين في أوج ملكهم . قيام الدولة الفارسية الثانية ومنافستها للدولة العثمانية . انحلال الدولة العثمانية حتى نهاية المائة الثامنة عشرة

٤ — الإسلام في القرن التاسع عشر: الدولة العثمانية ومصر. الحياة العقلية في تركية ومصر . شمال أفريقية والسودان وإيران والأفغان

٥ — حال الدول الإسلامية بعد الحرب الكبرى : تركية . مصر الجزيرة . الشام . فلسطين . شرق الأردن . العراق . إيران . الأفغان[1]

(تلال الفوج . فرنسة) بشر فارس

(١) وصلني من يومين الجزء الرابع من المجلد الثالث من « تاريخ الآداب العربية » للمستشرق بروكلن ، وسأكتب فيه فصلا في هذا الباب كما صنعت للأجزاء السابقة

أهداف الفتوة العراقية

كان يجب أن يكون مفهوماً أن في مصر رجالاً أكرمهم العراق من أمثال الزيات والسنهوري وعزام ، وهؤلاء تُقْبَل شهاداتهم الكريمة في العراق بتحفظ واحتراس ، لأنهم ينظرون إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

وأنا عشت في العراق ونعمت بكرم أهل العراق ، ومن السهل أن يقال إني أنظر إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

ولكنني أبعدت عن نفسي شبهة التلطف فلم أقل في أهل العراق غير كلمات سجلت فيها ما يملكون من محاسن وعيوب

واليوم أراني مقهوراً على إعلان ما أضمر لإخواني في العراق من الحب والإعجاب بعد ظهور المجموعة النفيسة التي أصدرتها مجلة المعلم الجديد بوزارة المعارف العراقية ، وهي مجموعة مقالات وأحاديث نشرها سعادة الدكتور سامي شوكة في مناسبات مختلفات ، وهي تدور حول محور واحد هو تقوية الفتوة في النفس العربية

ولا يمكن أن يتصور قيمة تلك المجموعة إلا أحد رجلين : رجل قرأها وعرف ما فيها من معانٍ سامية ، أو رجل عرف الدكتور سامي شوكة وطالع ما في روحه الوثاب من قوة وحماسة

والدكتور سامي شوكة معروف لأهل مصر ، فقد زارها منذ أشهر أيام المؤتمر الطبي العربي وشاء له كرمه أن يودعها بهذه الكلمات الحرار :

« أودِّع مصر القاعدة الحربية لجيوش أمتي العربية التي استندت إليها في فتح أفريقية وأوربا الغربية يوم كانت تقود العالم نحو الحق والفضيلة والعدل . أودع مصر أكبر كوكب في سماء بلادي العربية ، مصر التي تضيء لنا بعلومها وثقافتها سبيل الرقي والتقدم . أودع مصر عاصمة لغة القرآن في القرن العشرين »

ومما يجب النص عليه أن الدكتور سامى شوكة وهو مدير المعارف العام بالعراق يحتّم على جميع التلاميذ والمدرسين أن يلبسوا ملابس الفتوّة لترتفع بينهم فوارق الترف فى الملابس وليشعروا بأنهم جنود مستعدون لتلبية نداء الوطن حين يفزع إلى أبنائه الأبطال

فيا صديقى الذى لم أشهد فيه غير الشهامة والصدق ، أعزك الله ونصرك ، وجعلك قدوة لمن يخدمون المعارف بسائر الأقطار العربية

زكى مبارك

مداعبات النشار

سيدى محرر « الرسالة »

وجّه نظرى أحدُ الأصدقاء إلى الداعبات التى ينشرها حضرة الشاعر الفاضل عبد اللطيف النشار ، وقد أبى لطفه إلا أن تشملنى . وهو حرٌّ فى ذلك لولا أن بعض ما يكتبه أتاح فرصة لسوء التفاهم مع بعض الأدباء . وحسبى أن أقول إن آرائى من أدبية واجتماعية وغيرها صريحة معروفة ، ولم أحتج مرةً لستر أبى الفرج ولا غيره فى التعبير الملفوف عنها . وعلى هذا فلست مسؤولاً عما يقوله زيد أو عبيد من معارفى أو أصدقائى ولا أشاطر أحداً منهم خفيةً ، كما أن أحداً منهم لا يتحمل مسؤولية كتابتى . وأما عن خلطه الآخر وذكره رجلاً من أعلام النحالة المشهورين وهو المستر « ليونارد هاركر » فغفورٌ أيضاً لمثل حضرته ما دام ذلك من مظاهر لطفه . وقد ينتفع حضرته لهذه المناسبة بالاطلاع على مجلة The American Bee Journal وإن لم يُرضه أن يجد أبناء العالم الجديد يفهمون العلم والأدب والتأريخ لها على غير ما يفهم

وبعد . فلما كنت قد نفضت يدى من الأدب العربى منذ زمن فإنى أعدُّ نسيانى تفضلاً كريماً من أبى الفرج الاسكندرانى وأدعو له بالهناءة والتوفيق .

أحمد زكى أبو شادى

فى الفصول والغايات

قال أبو العلاء فى كتابه العبقرى (الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ) :

« الجسد بعد فراق الروح كما قُصّ من يدك ، وقُصّر من فودك[1] : إذا أُلقىَ فسيط[2] فى النار لم تباله ، وإذا غُرّق فليل فى الثَّج[3] فكذاك ؛ هكذا يقول المقول ، ولله نظر فى العالم دقيق . لا يمتنع أن يكون جسد الصالح إذا قبر فى نعيم ، وجسد الكافر فى عذاب أليم ، لا يعلم به الزائرون ، وعابد الله ليس بغبين . ليت أنفاسى أعطين تمثلاً ، فتمثل كل نفَس رجلاً قائماً يدعو الله تبتلاً ، يمنع جفنَه لذيذَ الإغفاء »

رويتُ الفصل كله ليُعلم أن الشيخ قد فَنّن فى الكتاب فنيناً ، ونوّع فصوله تنويعاً ، فلم يقتصر على أشياء ما تعداها . وما أقصد بما أملى أن أبحث بحثاً فلسفياً ولا (دينياً) . الخطب ضئيل : فى الفصل : (فليل) وقد قال محقق الكتاب فى التفسير : « الفليل : ناب البعير المنكسر ، أو ما ندر عن الشيء كسحالة الذهب وبرادة الحديد وشرار النار » وعندى أن الفليل هنا هو الشعر ، و « ما قص من يدك » تشرح (الفسيط) و « ما قصر من فودك » توضح (الفليل) . وفى اللسان : « الفليلة والفليل الشعر المجتمع » وفى فقه اللغة : « سبيخة من قطن ، عميتة من صوف ، فليلة من شعر ، سليلة من غزْل »

وإن استقل أديب نقد لفظة واحدة فى هذا الكتاب فلا يلمنى ، وليلم إمعان العلامة محققه فى التدقيق ومبالغته فى الضبط فهو الذى قد حرمه نقداً كثيراً يشتهيه . . .

إن (الفصول والغايات) كتاب عجيب ما أخرج عالم فى هذا الوقت من معادن الأدب القديم عديله ، ولم يُحقق مصنَّف تحقيقه[4] . ولن يشينه أبداً أن الطبعة الأولى لم تنفد حتى اليوم ، وإنما يعرُّ ذلك القاهرة ومصر وبلاد العرب ، ويخبر أن القوم (إلا أقلهم) لم يبرحوا فى الشط .

***

مصارحة وتصحيح

لا ندرى ما الذى يحمل الدكتور زكى مبارك على أن يحرف كلام الناس ثم يتهمهم بأنهم يحرفون كلامه ! لقد اتهمنا حين

(١) الفود : واحد الفودين وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن (الأستاذ زناتى)

(٢) الفسيط : قلامة الظفر

(٣) الثج معظم الماء (التاج) لج البحر الماء الكثير الذى لا يرى طرفاه (اللسان)

(٤) راجع (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) فى الجزء ٢٥٠ من الرسالة الغراء

أنكرنا عليه قوله : « اشغلنى عنك يارباه بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم » بأننا حذفنا قوله عقبه : « فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج » ليجوز لنا أن نصفه بسوء الأدب فى الدعاء، وسوء الفهم للدين . والجملة التى أخذناه بها لا يمكن أن يصلحها أية جملة أوجمل يمكن أن تضاف إليها، فضلاً عن جملة يصح فى نفسها أن تكون موضع مؤاخذة لأنها تثنى على الله سبحانه بما لا يكاد يصلح ثناء على الشمس التى خلقها . فلو أننا ذكرناها لآخذناكاتبها مؤاخذة أخرى، لكننا اكتفينا بمحاسبته على أشنع غلطتيه، كما سبق أن نبهنا

والآن يأتى الدكتور فى خطابه فى العـدد ٣١٩ من الرسالة فينسب إلى كاتب فيها أنه قال : إن من حق الدكتور أن يتكلم فى الأدب لأنه دكتور فيه، وليس من حقه أن يتكلم فى الدين لأنه ليس دكتوراً فيه ! والذى نعرفه أن الكاتب الذى يعنيه الدكتور لم يقل هذا، وإنما قال إن للدكتور أن يتظرف أو يتمجن فى أسلوبه حين يكتب فى الأدب الذى هو دكتور فيه، وليس له أن يتظرف أو يتمجن حين يكتب فى الدين أو حين يدعو الله . فهو ينكر على الدكتور لا مجرد الكتابة فى الدين، ولكن إساءة الأدب فى الكتابة، سواء أكان دكتوراً فى الدين أم غيردكتور فيه . وأظن نعمة الإسلام التى يحمد الدكتورالله عليها من شأنها أن تجعل الدكتور يوافق الكاتب على ما قال، سواء أقر بما سماه الكاتب تمجنا فى دعاء زكى مبارك الذى دعا أم لم يقر .

على أننا مع هذا نحب أن نصارح الدكتور زكى مبارك أن خيراً له وللناس ألا يكتب فى الدين، لا لأنه غير دكتور فى الدين ولكن لأنه غيرمتمكن فيه . وفرق بين الاثنين . فلو كان متمكنا فى الدين لجاز له أن يكتب فيه ولو لم يحمل فيه شهادة أو لقباً ما . لكنه للأسف غير متمكن، ودليل ذلك أخطاؤه الكثيرة التى وقع فيها، والأخطاء التى لا يزال يقع فيها كلما كتب فى الدين أو فيما يتصل به .

والخطأ فى الدين ليس كالخطأ فى الأدب، كما أن الحال فى الدين ليس كالحال فى الأدب فوضى لا يهتدى فيها بمعيار يميز الخطأ من الصواب . فمعيار الحق والصواب فى الدين موجود لا يخطئ، ألا وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ما وافقهما كان هدى وصواباً، وما خالفهما كان خطأ وضلالاً . والعقل بعد أن ثبت عنده أن القرآن من عند الله، وأن محمداً رسول الله، ملزم — ملزم بمنطقه هو — أن يسمع ويطيع من غير تردد ولا ريبة سواء فهم الحكمة أم لم يفهم، كما يقبل النظريات الرياضية مهما بدت معقدة غريبة . إن للعقل طبعاً أن يحاول الفهم ما استطاع، بل هـذا هو واجبه، لكن ليس له أن يوقف السمع والطاعة فى الدين على الفهم و « المعقولية » وإلا أصبح الدين رأياً يتغير، أى أصبح غير دين

فقول الدكتور زكى مبارك إن لكل مسلم الحق فى أن ينظر إلى الله وإلى الوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل، قول يحتاج إلى تكملة، تكملة الاهتداء بالكتاب والسنة، لأن العقل قوة لا تستطيع تفكيراً صحيحاً إلا من مقدمات صحيحة . والمقدمات الصحيحة فى الدين — بعد الدخول فيه بالعقل — لا توجد إلا فى كتاب الله وسنة رسوله . فإذا لم يهتد العقل بهما فقـد ضل سواء السبيل

والدكتور زكى مبارك فى تطبيقه ما يسميه المنطق والعقل كثيراً ما يخالف الكتاب والسنة كما فهمهما أولو العلم من المسلمين من لدن زمن الرسول إلى يوم الناس هذا . ومن هنا كانت أخطاء الدكتور، ومن هنا كان ما يشكو منه من سوء الظن به . فلو أنه اهتـدى بالكتاب والسنة فى تفكيره لقلت أخطاؤه كثيراً، ولجاءت حين تجيء من نوع لا يضره ولا يضر الناس . إذن لما قال — مثلاً — « اشغلنى عنك يا رباه » بأى شيء لأى سبب؛ ولما جزم بأنه سيدخل الجنة بكتابه « التصوف الإسلامى » فضلاً عن أن يدخل معه « على حسابه » ألوفاً من الأدباء كما يقول، لأن الزيات — فى زعمه — قال قولاً كهذا « والزيات رجل صادق الإيمان ورجاؤه عند الله مقبول » فإن هذا النوع من الكلام حابط باطل فى الدين، فقد شهدت بالجنة من هى خير من الزيات لمن هو خير من زكى مبارك فأنكر النبى ذلك عليها وقال : من أدراك؟

ويجب أن يذكر الدكتور أن الإسلام ليس مجرد إقرار، ولكنه أيضاً عمل . والكتابة عمل، بل هى من الأديب من أهم الأعمال . فليراقب الدكتور الله فى كتابته فلا يأتى فيها بما ينكره الإسلام، فإن فعل فلن يجد فى المسلمين إلا من يحسن الظن به، فإن الذى حمل على سوء الظن به إنما هو ما وجد فيما كتب إلى الآن من مخالفة الكتاب والسنة حتى فيما يتعلق بالأساسى من الأمور

« بور سعيد » محمد أحمد الغمراوى

فتوى الأزهر في أسباب الرق وأحكامه

أرسل بعض علماء جاوة إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي :

«رجل باع ولده الحر لمسلم أو غيره ، فهل يصح هذا البيع ؟ وهل يصير هذا الولد ملكاً للمشترى ؟ وإذا لم يصح البيع فما حكم عقده؟ وهل يجب استرداد الثمن ؟ وما هي أسباب الرق بالضبط؟»

وقد أجابت لجنة الفتوى على هذا الاستفتاء بما يأتي :

الاسترقاق ظاهرة اجتماعية نشأت منذ ابتدأ الاجتماع الإنساني. وترجع هذه الظاهرة إلى تغلب القوى على الضعيف وتسلطه عليه واستخدامه إياه

وقد كان الرق شائعاً قبل الإسلام في جزيرة العرب ، فكان الناس يتخطفون الغلمان والفتيات من بين أهلهم ويذهبون بهم إلى الأسواق حيث يوجد النخاسون وسماسرة الرقيق ؛ وكذلك كان شائعاً قبل الإسلام في أمتى الفرس والرومان على ما كان في جزيرة العرب وأشد

وكانت معاملة الأرقاء في هذه الأمم تختلف في القسوة واللين تبعاً لاختلاف دياناتها وتقاليدها ، إلا أن هذه المعاملة على العموم كانت قاسية جداً يظهر فيها سلطان القوى على الضعيف بأجلى معانيه ، بل إن الديانة الهندية القديمة المؤسسة على رعاية الطبقات البشرية كانت تعتبر الأرقاء من الطبقة الدنيا التي تلازمها الخسة لذاتها ، ولا يمكن أن ترق يوماً إلى ذروة الطهارة الإنسانية

فجاء الإسلام وسوى بين الناس جميعاً وأعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ولكنه وجد نظام الاسترقاق قائماً بين الأمم ومعتبراً فيها من النظم الاجتماعية المتغلغلة في صميم الحياة إذ ذاك ، فلم ير من الحكمة في التشريع أن يلغى هذا النظام إلغاء تاماً ، بل عمد إلى تقرير المبادئ الآتية التي تخفف من آثار الرق وتنظم العلاقة بين المالك والمملوك لا على أساس القوة والضعف كما كان في الأمم السابقة ، بل على أساس المحبة والإخوة وتبادل المنافع والتعاون في شؤون الحياة. ولا نبالغ إذا قلنا إن مبادئ الإسلام التي شرعها في الاسترقاق تعتبر بمثابة إلغاء الرقيق . وإليك بعضاً من هذه المبادئ

أولاً : ضيق الإسلام في أسباب الرق حتى حصرها في سبب واحد هو محاربة المشركين للإسلام وصدهم الناس عن سبيل الله ، فأذن للمسلمين الذين يدافعون عن دينهم ويردون عنه عادية المشركين أن يضربوا الرق على من يقع بين أيديهم من أسرى هؤلاء المشركين المحاربين

ثانياً : لم يجعل هذا الاسترقاق ضربة لازب ولا نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم ، بل جعل ذلك من قبيل نظم السياسة الحربية ، فخير الإمام في أن يلجأ إلى الاسترقاق إذا رآه وسيلة من وسائل الإعزاز لدين الله وكسر شوكة المعتدين ، وفي أن يمن على الأسرى فيطلق سراحهم بفداء أو من غير فداء

ثالثاً : إذا رأى الإمام أن في الاسترقاق وسيلة حربية لإعزاز الدين ودفع اعتداء المعتدين فلجأ إليه فإن الإسلام لم يترك الحبل على الغارب ولا ترك الرقيق لمشيئة مالكه ورحمته يحمله من عناء الأعمال ما شاء كما كان في زمن الجاهلية ، ولا جعل حظيرة الرق حظيرة أبدية لا يتسنى للرقيق الخروج منها بحال ، بل عنى بأمر الرقيق وأوصى المسلمين به خيراً ، قال تعالى : «وبالوالدين إحساناً، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وبلبسه مما يلبس » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها كان له أجران »

ثم رغب في العتق ودعا إلى تحرير الرقاب ، وجعل لمن أعتق رقبة ثواباً عند الله يعدل ثواب كثير من الطاعات ، بل أوجب الإسلام ببعض المعاصى تحرير رقبة كمن قتل نفساً خطأ أو أفسد صيامه عامداً أو حنث في يمينه التي عقد عليها قلبه

وآيات القرآن العظيم وأقوال الرسول الكريم في الرفق بالرقيق والإحسان إليه في المعاملة كثيرة مشهورة . من هذا يتبين أن ليس للرق في الإسلام إلا سبب واحد هو ما أسلفنا الإشارة إليه من محاربة المشركين واعتدائهم على المسلمين ، وأن الاستيلاء على المشركين بأى وسيلة كانت زمن السلم ، ومن غير محاربة، وخطف الأولاد من أهليهم كما كان يعمل في الماضى ، كل ذلك لا يترتب عليه أن يكون المستولى عليهم أرقاء ولا يسوغ التصرف فيهم بحال

وإن بيع الرجل ولده يكون بيعاً باطلاً يجب منعه ، ويجب رد الثمن للمشترى ، ورد الولد إلى أبيه والله أعلم

محمد عبد اللطيف الفحام
رئيس لجنة الفتوى

سعد وسعاد ومعاوية بن أبي سفيان

ذكر صديق الأستاذ علي الجندي أني مررت على قوله (والى تلك الجهة الأموي المدل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة مروان ابن الحكم) مراً خفيفاً . ففهمت أن مروان بدل من الخليفة مع أنه ليس بدلاً منه . ولو أنصفني صديق لذكر أني حين لم أستسغ ذلك مررت به مراً دقيقاً ، وأن هذه الدقة كانت سبباً في ظهور أمر لم يكن أحد ليتنبه إليه لولا أني لم أستسغ ذلك، وذلك الأمر هو أن الذي فعل ذلك مع سعد وسعاد هو ابن أم الحكم لا مروان بن الحكم ، كما جاء في بعض الروايات . ولا شك أن منشأ ذلك الخلاف بين الروايتين هو اشتباه الاسمين ، والمعقول في هذا أن يشتبه اسم ابن أم الحكم باسم مروان بن الحكم ، لأن الثاني أشهر من الأول ، فمن القريب جداً أن يكون بعض النساخ أبدله به ، لأنه لم يسمع إلا باسم مروان بن الحكم

وقد ذكرت لصديقي الأستاذ الجندي أني لم أستسغ ذلك لمروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً يطمح إلى ما يطمح إليه كبار الرجال ، ولا تدنو نفسه إلى مثل تلك الصغائر ، ولم يكن كما قال الأستاذ رجلاً مفتوناً مدلاً ، بل كان رجلاً عاقلاً ذا دهاء وسياسة ، وقد اشتغل بالسياسة العالية وهو شاب صغير في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فكان فيها مشيره ووزيره ، وقارع في ذلك أمثال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعاوية بن أبي سفيان ، وما زال يطمح إلى أبعد الغايات ويعمل ليظفر بملك المسلمين حتى ظفر به وأسس دولة بني مروان الكبيرة فكان لها ما كان من الملك الكبير في الشام وغيره من البلاد الإسلامية ، ثم بالأندلس التي نافست الدولة العباسية ، فمثل هذا الرجل لا يستسيغ العقل أن يقع في تلك الصغيرة التي جاءت في تلك القصة ، وإنما يستسيغ وقوع ذلك من أمثال ابن أم الحكم

وهذا إلى ما ذكرته في كلمتي الأولى هو منشأ اضطراب تلك القصة عندي ، لا أنها موضوعة أو غير موضوعة كما نسب إليَّ الأستاذ الجندي ، فإني لم أذكر ذلك أصلاً ، ولا يمكن أن يقع فيه رجل يفهم شيئاً في الأدب . ولا زلت أرى أن تلك القصة موضوعة ، وأنه لا فرق فيها بعد ذلك بين أن تكون واردة في كتاب تزيين الأسواق أو في غيره من الكتب التي يحتفل الأستاذ الجندي بروايتها ، مع أن احتفاله بروايتها يناقض تردده في أنها موضوعة أو غير موضوعة ، كما يناقض جزمه بوضع ما جاء فيها من الأشعار على لسان معاوية

وقد سكت الأستاذ الجندي عن دليلي على وضعها من هذا البيت الذي جاء فيها :

قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن

وهو دليل على وضعها لا يمكن نقضه ، ولا أدري لماذا سكت الأستاذ الجندي عنه

أما ما ذكره الأستاذ الجندي عن مروان في تلك الفتن التي فرقت كلمة المسلمين ، فهو من الأمور التي اختلف العلماء قديماً فيها ، ومقام مروان في تلك الفتن كمقام معاوية رضي الله عنه . على أن ذلك خروج عن موضوعنا ، لأني نفيت ما ورد في تلك القصة عن مروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً لا يقع في تلك الصغائر ، لا لأنه كان رجلاً عادلاً يتنزه عن الظلم

ولا أحب بعد هذا أن أطيل النقاش في كل ما جاء في كلمة صديقي الأستاذ الجندي ، لأن القصة لا تستحق طول النقاش ، ولأني لا أحب أن أشغله عن المضي فيما ينشره بمجلة الرسالة الغراء . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

عبد المتعال الصعيدي

العثور على أبيات من الشعر وقطعة نثرية في آثار الفيوم

أذاعت مصلحة الآثار بياناً عما قامت به بعثة جامعة ميلانو الملكية من أعمال البحث والتنقيب عن الآثار في منطقة مدينة ماضي بالفيوم . ومن أهم ما عثرت عليه عدد من المستندات معظمها أدبي ، وقد عثر عليها في أحد أركان حجرة صغيرة ، وقد تحولت كلها إلى قطع متناثرة من تأثير الطبيعة .

ومن الأنظمة التي تتبعها البعثة دراسة النصوص وجمع أجزاء الآثار بعضها إلى بعض. وقد أمكن معرفة ثماني فقرات من الإلياذة، وكذا أوائل سبعة عشر سطراً من الشعر لا تمت بصلة إلى هزيود ولا إلى أبوللنيوس بردس

ووجدت أيضاً أجزاء صغيرة من أناشيد ، ونص قطعة نثرية يرجح أنها لخطيب أكثر من أن تكون لمؤرخ ، وفيما عدا القطعة النثرية المكتوبة بحروف صغيرة فإن الباقي مكتوب بحروف جميلة كبيرة الحجم يرجع تاريخها إلى أوائل عصر المسيح أو قبل ذلك بقليل .

كتاب الجماهر

مما أتحفنا به الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبي في (نقل الأديب) العدد ٣١٨، قول عن (التاج) جاء فيه : « نقل شيخنا عن أبي الريحان في كتاب الجماهير قولهم ...

لأن الرطوبة فصل مقدم لذات الماء ... الخ » (رقم ٤٨٢ حاشية١) والكتاب إنما هو (الجماهر) لا الجماهير ، واسمه الكامل (الجماهر في معرفة الجواهر) لمؤلفه أبي الريحان البيروني نشره المستشرق العلامة الدكتور سالم الكرنكوي (ف . كرنكو) وطبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ ، والعبارة المنقولة في التاج هي في ص ١٢٠ من كتاب الجماهر كما يلي :

« لأن الرطوبة فضل يقوم لذات الماء . . . الخ » وهذا هو الصواب . « دمشق » س . أ

على منهج الأغاني

للأستاذ النشار منزلة رفيعة في نفسي ولكتابته الأخيرة عن شعرائنا قدر كبير من اهتمامي وعنايتي وإعجابي وهو صديقي وأستاذي من زمن بعيد، ولكن ذلك لا يمنعني أن أقول كلمة عن أشياء عنّت لي في مقالاته

لم أجد اتفاقاً بين الأغاني ومنهجه غير وضع لفظة (الصوت) على بعض الشعر وغير (حدثنا فلان عن فلان) وقد قال الأستاذ في مقاله الأول « ولن نخترع ولن نلفق إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة » ومع هذا فيكاد يكون ٨٠٪ من مقالاته تلفيقاً على طريقة « إن لم يكن فقد كان يجب أن يكون »

وقد كان صاحب الأغاني يذكر الصوت فيترجم لصاحبه ويذكر آراء النقاد والعلماء فيه ثم يقص شيئاً من أخباره . والأستاذ النشار لم يفعل شيئاً من ذلك فهو يكتب شعراً لغير الشاعر ونقداً لغير الناقد ثم يقول : « إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذي يجب أن يقولوه » ولعله لجأ إلى هذا ليتسنّى له تصريف القول كما يريد . وكان الأجدى لو عمد إلى أبيات من شعر من يريد أن يترجم له يتميز فيها مذهبه وطريقته ثم يكتب ما قد قيل فيه من رأي ثم يعقب برأيه . وقد يذكر الأستاذ الاسكندراني ما لا داعية إليه مثل أن يقول : « حدثنا الأستاذ خيري سعيد قال : حدثنا العلامتان هيجل وشليجل قراءة عليهما . وحدثنا الناقدان هردر وفيخت ولم يقل بماذا حدثوه ، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشيء ، أو لعله آثر ألا يروى عن هؤلاء العلماء الألمان حتى نرى ماذا ستصنع ألمانيا في مشكلة دانزج »

فما نرى في مثل هذه العبارة ما يفيد الأدب أو التاريخ !

وقد ترجم أبو الفرج إلى الآن لشاعرين نراه خالف ما اتفق عليه الرأي في أحدهما ، فمثلاً إذا جاء في القرن الخامس والعشرين من يريد أن يعرف زعيم المدرسة الحديثة في القرن العشرين لا يستطيع أن يعتمد على رأي الأستاذ ، لأن المعروف والحق أن الذي فتح باب الحديث إنما هو (مطران) ومن خلفه (أبو شادي) أما ناجي فلم يكن له — فيما نعلم — تأثير بالغ في هذا الاتجاه . وقد يحجنا الأستاذ بأن هذا رأيه ، فكان عليه — وقد خالف المشهور والمعروف — أن يعزز رأيه بالحجة والدليل

وكذلك نراه يقول عن صالح جودت (الموسيقار الكبير) وقد نفهم أنه يريد من ذلك السخرية ولكنا نرى أن في هذا مضلة لمن يأتي بعدنا

ومسألة رابعة أريد عنها جواباً . من المأخوذ بالرأي المتحدّث أو المتحدَّث على لسانه ؟ وبعبارة أوضح من نأخذ بما قال الأستاذ في امرئ القيس ، الدكتور هيكل أم صاحب الأغاني ؟

يقول الأستاذ على لسان هيكل : (وإني لأعجب من معلم اللغة العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية فذة في فنه فإنه كان في آرائه وشعره نحو النساء كأي حمار في الطريق وإن غزله لا يختلف شيئاً عن النهيق ؟) أهذا يقال ؟ !

والأستاذ النشار قد أجاد في ابتكار طريقة خاصة يدون بها التاريخ الأدبي لعصرنا الحاضر ، فيها خفة وفيها ترويح عن نفوس القراء ، ولكن ذلك قد يضطره إلى ما لا حاجة إليه كأن يقول : (واللحن لجوبلز على نغمة الترليوز)

وبعد ، فرجائي إلى الأستاذ ألا يحوج الزمن إلى من يهذب (المنهج) كما أحوجه إلى من يهذب (الأغاني)

ودعوتي إلى الله أن ينسأ له في الأجل حتى يتم كتابه وحتى يتمتع قراء العربية بكتابته

علي محمد حسن
كلية اللغة العربية

المسرح والسينما

من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرق القومية منها ودواعيها وعوامل

كيف قامت النهضة المسرحية على يد فرقة رمسيس ؟

لكي نجيب على هذا السؤال يجب أن نعود خطوة أو خطوتين إلى ما قبل بدء هذه النهضة ، كيا نرسم تلك الفترة الغريبة التي مر بها المسرح وقتذاك لنرى فى أية بيئة نشأت فرقة رمسيس ، وفى أى ظروف أنشئت ؟

نحن فى عام ١٩١٧ ، والحرب الكبرى ما تزال فى أيامها العصيبة ، والناس هنا يسمعون بها ، وتصل إليهم أخبار أهوالها ويعانون الأزمات الناشئة عنها . بيد أن أكثرهم كان بعيداً عن الاصطلاء بنارها ، وعلى كل حال لم يكن بهم من حاجة لقليل أو كثير من المآسى يضيفونها إلى مآسى الحرب وآلامها . كان بهم حاجة فى الواقع إلى ما يفرج عن نفوسهم ويخفف عن صدورهم وقر الحياة والأيام العصيبة التى كانت تجتازها الدنيا حينذاك .

ومن ثم ، فإنهم كانوا أقرب إلى تناول الأشياء المرحة منهم إلى تقبل ما يفجع أو يخلق الأحزان ويثير كوامن الذكريات الأليمة

وقامت السينما ودور اللهو بنصيبها فى هذا السبيل ، وقام أبناء المسرح بنصيبهم أيضاً ؛ وبدأت الفرق الهزلية تنتعش وتزجى بضاعتها ، فيقبل عليها الناس !

كان بربرى مصر الوحيد يعمل فى : (كازينو دى بارى) عند مدام مارسل ، بين عشرات من الفتيات الجميلات !

وكان عزيز عيد ، وروز اليوسف ، ونجيب الريحانى وغيرهم يعملون حيناً فى (الأبيه دى روز) ، وحيناً آخر فى (مسرح رنتانيا القديم) ، أو على غير ذلك من مسارح كانت قائمة وقتذاك

كان هؤلاء جميعاً يعملون ليضحكوا الناس وليدخلوا المسرة إلى قلوبهم والنشوة إلى نفوسهم . حتى خرج إليهم نجيب الريحانى بشخصيته الطريفة : « كشكش بك » عمدة كفر البلاص . فأحدث بها ثورة فى دنيا الهزل ! وراح يلقى بنصائحه الغالية من على منبر (الأجبسيانة) : فيتحدث عن النساء اللائى سلبن لبه وشغلن باله ، وجملنه يبيع الأطيان ، ويرهن الضياع ليستمتع بهن فى مصر أم الدنيا ! ووضع أمين صدقى رواية (حمار وحلاوة) وأخرجها نجيب الريحانى على مسرح (الأجبسيانة) فنالت نجاحاً منقطع النظير ، وكانت بدء عهد جديد للمسرح الهزلى فى مصر ، ولأول مرة فى تاريخ المسرح المصرى لاقت رواية كل هذا الإقبال من الجمهور ، حتى ظلت تعرض حوالى أربعة شهور !

وكانت بمثابة إعلان ضخم عن هذا النوع الاستعراضى من الروايات المرحة الصاخبة بألحانها وموسيقاها ، وراح الناس يتغنون أغانيها وينشدونها فى الطرقات والبيوت ؛ وراح أهل المسرح ينسجون على منوالها ! وبينا بربرى مصر الوحيد يقول لمن حوله من الفتيات : « اللى فى الدست تطلعه المغرفة » ! ومصطفى أمين يطربهم بصوته البلدى الممتع ... يجد أمين صدقى أن من الخير له أن يترك نجيب ليغترف من ذهب مدام مارسل ، ويبقى فى ظلالها ويجد نجيب فى بديع خيرى من يقوم بمهمته عنده فيحسن القيام بها

ويمضى كل فى سبيله . فلا تنقضى بضعة شهور حتى لا يكون فى مصر غير : « كشكش بك » و « بربرى مصر الوحيد » ! وحتى لا يكون فيها غير شارع واحد بلغ صيته الآفاق هو شارع عماد الدين !

ويتضاءل شأن المسرح الأدبى وينزوى أبطاله حيارى لا يدرون ما يفعلون . ولقد وصل الحال بجورج أبيض بطل التراجيدى أن يستعين باسم « كشكش بك » وروايته « حمار وحلاوة » ويتخذ منهما شفيعاً لدى الجمهور ليقبلوا على شهود روايته العظيمة (أوديب الملك) ، وعرضت (أوديب) إلى جانب الفصل الأول من (حمار وحلاوة) على مسرح الأجبسيانة ، وسمع الناس (تجميرة)

أوديب إلى جانب صوت أبو الكشاكش البخوخ !

إلى هـذا الحد من المهانة انحدر التمثيل الجدى ، أو قل — فى تعبير لطيف — إنه ما عاد يشغل عقول الناس بعد الذى كان من شأن المسرح الهزلى .

فى هذه الظروف ، وفى تلك البيئة ، نبتت شخصية كانت مجهولة ؛ وظلت مجهولة إلى حد ما حوالى خمسة أعوام بعد ذاك . هذه الشخصية هى التى تزعمت نهضة المسرح فى فرقة ومسرح رمسيس عام ١٩٢٣ .

كان يوسف وهبى بن عبدالله باشا وهبى طالباً من طراز طريف ، كان أخوه محمد بك وهبى صاحب مدرسة وادى النيل الثانوية ، وكان اسم يوسف وهبى الطالب الفخرى مدرجاً بين أسماء الطلبة العاملين ! وما كانوا يشهدونه إلا لماماً ، إذ يجدونه كل بضعة أسابيع إلى جوار زميله وصديق الصبا مختار عثمان يتحدثان فى غير الدرس ويصغيان لغير وحى العلم ، كان كل منهما موجوداً بجسمه ، غائباً بعقله فى ملكوت الفن الجميل .

وفى نهاية العام شهد الطلبة زميلهم يوسف وهبى على مسرح المدرسة فى مونولوج ظريف ، صور فيه صاحبه جندياً جباناً يدعى « هنشكو » ، يصارع الخوف فيصرعه ، ويدعى الشجاعة ، وهى منه براء !

وطاف يوسف بمونولوجه بعض الحفلات المدرسية وغيرها . فرأى الناس فيه شيئاً فذاً عجيباً إلى جانب « مونولوجست » ذلك الزمان من أمثال : عبدالله شداد ، ومحمد عبد القدوس ، وحسن فائق ، وحسنى رحمى ، وأحمد عسكر . . . وغيرهم ، كان يوسف شيئاً آخر سواهم ، كان يعنى أشد عناية بشخصية الجندى الجبان ويمثلها أبرع تمثيل ، ويغالى فيها بعض الشيء . فيسترعى الانتباه وينال الإعجاب !

ودارت الأيام سراعاً ، ووضعت الحرب أوزارها ، واشتعلت نيران الثورة فى مصر ، وتطور فن المونولوج ، وكل فن ، وكل شيء فى مصر . واتجه المسرح اتجاهاً وطنياً شعبياً فى الحدود التى سمح له بها ، وبينما يشهد الناس مصرع « العشرة الطيبة » على مسرح الكازينو دى بارى لتدخلها فى السياسة من قريب أو بعيد ، إذ بهم يشهدون مصرع (حنجل بوبو) من بعدها لنفس السبب ولأسباب أخرى تتصل بالأديان !

بيد أنهم شهدوا فى الرواية الأخيرة شخصية يوسف وهبى — لأول مرة — فى دور (أستاذ) بجبته وقفطانه وعمامته ، ورأوا فيه شيئاً جديداً يسترعى انتباههم ، لكنه سرعان ما توارى فلم يسمعوا باسمه ، ولم يعلموا بخبره إلا فى عام ١٩٢٢ حينما ظهرت الإعلانات المضيئة على باب مسرح رمسيس تعلن عن أسماء أبطال وبطلات فرقة رمسيس بطريقة مبتكرة هى إحدى تفانين يوسف وهبى بطل الاعلان فى الشرق وكان الناس ينظرون ويسخرون من هذه الجماعة التى تورط نفسها فى هذا العمل المعظم ، وتحاول بجرءة أن تحمل أعباء النهضة المسرحية عن أكتاف من ناءوا بحملها من جبابرة المسرح ، وفى وقت لم يكن يرجى فيه للمسرح الأدبى أى نصيب من الحظوة عند الجمهور

الإنتاج السينمائى فى مصر وعلة ضعفه

الإنتاج السينمائى فى مصر ما زال ضعيفاً رغم بعض الروايات الناجحة ، أو التى يصح اعتبارها ناجحة بالقياس إلى غيرها ، وعلة الضعف فيما نرى هو عدم وجود الرواية السينمائية الكاملة . أما أوجه النقص الأخرى فقد أمكن تداركها ، فكل الأعمال الفنية الآلية قد تهيأت لبعض الاستديوات فى مصر مجلوبة من مصانعها فى الخارج ، وكذلك بعض الرجال الفنيين الذين تحتاجهم هذه الآلات وهذه الأعمال ؛ وإذا كانت التربة المصرية قد أنبتت وأثمرت بعض المخرجين المصريين من الشباب ، فإن استخدام بعض الأجانب قد عوّض عن النقص الموجود. وقد أثبتت التجارب أن ممثلينا وممثلاتنا يصلحون إلى حد ما للعمل السينمائى كما أن بعض الوجوه الجديدة قد برزت فى الميدان وأثبتت وجودها !

أما التأليف السينمائى فقد دلت الأيام على أنه الشيء الوحيد الذى ينقص إنتاجنا السينمائى ويشل حركته أو يؤخرها

سمعت مخرجاً يقول : إن الرواية السينمائية تعتمد فى نجاحها على الإخراج ، أما الموضوع فهو آخر ما يعتد به ، لأن المخرج النابه يستطيع أن يأتى بالمعجزات من لا شيء . وهذا لا يعدو أن يكون كلام مخرجين يطبلون لأنفسهم ويزمرون . أما الواقع فهو أن الرواية القوية هى أول ما يعتد به فى صناعة السينما وكل ما عدا ذلك إن هو إلا (رتوش) للصورة وتجميل لها .

لذلك ننصح منتجينا أن يفتشوا أولاً عن (الرواية) فإذا وجدوها فإن الباقى سهل وميسور ، ومهما بذلوا فى سبيل الحصول على الرواية الكاملة فإن النصر الأكيد الذى يأتيهم عن طريقها سيجعلهم بعد ذلك يضاعفون البذل والعطاء شاكرين لنا هذه النصيحة التى نقدمها إليهم بلا ثمن

(فرعون الصغير)

أخبـــار سينمائيـــة



أنا نيجل

بطلة (فيكتوريا العظيمة) و (ستون عاماً مجيداً) ، وقد نالت بهما شهرة طبقت الآفاق كما نالت تقديراً ملكياً سامياً .



بربارا ستانويك

زوجة روبرت تايلور ، وإحدى فاتنات هوليود ، ومن أبرز نجومها وأدمثهن خلقاً

السينما والصيف

تطور الحال ، وصار للسينما فى الصيف موسم يعمل له حساب بعد أن كان الأمر غير ذلك منذ سنوات قليلة ، حين كانت أغلب دور السينما لا تعمل إلا شتاء . فإذا عملت صيفاً ، فإنها لا تلقى إلا إقبالاً قليلاً . أما اليوم وبعد أن أنشئت دور السينما الصيفية ، وزاد الإقبال عليها زيادة هائلة ، وأصبحت تدر ربحاً وفيراً ، إلى جانب تكاليفها الزهيدة . فقد بدأت الشركات تعمل حسابها للموسم الصيفى ، وتعد له العدة كالموسم الشتوى على السواء ، وسيكون لهذا أثر ملحوظ فى صناعة السينما ، وسيكون من شأنه زيادة الإنتاج ووفرة الأرباح وشدة التنافس ؛ وبالتالى ازدهار صناعة السينما وتقدم شأنها عند الأمم

بعض روايات الموسم القادم

* انتهى العمل من روايتى (العزيمة) و (حياة الظلام)
* تم إخراج (يوم سعيد) ولم يبق إلا بعض الأعمال الفنية الأخيرة
* يعمل الأستاذ جلال فى إخراج « إرمانوسه » لسيدة آسيا والآنسة مارى كوينى .
* يخرج إخوان لاما « قيس وليلى » على طريقتهم المعروفة .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 322

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 4 - 9 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

مجمعنـــا اللغوى

ماذا يصنع ... وماذا أثمر ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

عرفت الدكتور أحمد عيسى بك لا من طبه — لا حُجلت حاجتى إليه ، على حذقه وأستاذيته فيه — بل من أدبه وعلمه . وقد كانت له مشاركة في سياسة الأحزاب جنت عليه فيا أعلم ولم يستفد منها إلا العناء الباطل ، وإلا الاضطهاد بعد أن دالت دولة الحزب الذى دخل فيه . وما كان له قط عمل في السياسة وإن كان قد حسب من رجالها — وحوسب على ذلك — في وقت من الأوقات . وإنما كان همه العلم والبحث في اللغة ، وما زال هذا همه ووكده. وقد زارنى مرة منذ بضعة شهور أيام كان الكلام يدور في تخليد ذكرى المرحوم الملك فؤاد ، وقال لى : إنه يرى غير ما يرى الناس في وسيلة هذا التخليد ، فإنهم يرومون إقامة تمثال هنا وهناك ، ولكن الملك فؤاداً كان عالماً محباً للعلم والعلماء، فالأولى أن يخصصوا المال الذى يجمع لنشر الكنوز العربية التى لا تجد لها ناشراً كما فعلت أم المستشرق جيب الكبير . وأرانى ديوان شعر عربى طبع في أوربا وعلى الصفحة الأولى منه أنه مطبوع من المال المجمول لتخليد ذكرى هذا العالم المستشرق. وهذا الاقتراح من الدكتور عيسى بك يريك نزعته

ومن أغرب ما سمعت منه فى ذلك اليوم أنه رد نحو ألفى كلمة من اللغة العامية إلى أصولها العربية ، ورتبها وبوبها وعرضها على مجمعنا اللغوى ليطلع عليها ويطبعها وينشرها إذا وافق . ولكن المجمع آثر أن يهمل الأمر ولم ير أن يصنع شيئاً — على عادته —

وقد عنيت بهذا الخبر لأنى أنا أيضاً جمعت طائفة من الألفاظ التى يظنها الكثيرون عامية وهى صحيحة وردت فى كتب اللغة وكتب الأدب . وكان الباعث لى على العناية بهذا أنى أوثر أن أستعمل اللفظ المأنوس وأستثقل الحوشى والمهجور ، فغايتى شخصية وغايته علمية بحت . وأتيحت لى فرصة فأذعت حديثاً عن العامية والفصحى أشرت فيه إلى بحث الدكتور عيسى بك ورجوت أن ينفض المجمع عنه هذا الغبار الكثيف وأن يولى بحث الدكتور عيسى بك شيئاً من العناية التى يستحقها ، ولكنى أحسبنى ناديت غير سميع فما عبأ المجمع بالرجل أو كتابه شيئاً

وقد دافعت مرات عن هذا المجمع بمقالات شتى لى فى «البلاغ» وفى المجالس وفى لجان شهدت اجتماعها وسمعت فيها حملات شديدة عليه، فلست أتهم باللدد فى خصومته حين أتساءل عن هذا المجمع ماذا تراه يصنع ... إن كل ما أراه يصنعه هو إجازة صيغ لا يحتاج جوازها إلى إذن خاص منه ، ووضع ألفاظ لمصطلحات العلوم والفنون سبقه الكتاب والمترجمون والمعلمون إلى خيرها ولا خير فى باقيها ، ونشر مجلة لا انتفاع لأحد بها ، وطبع معجم الدكتور فيشر أوهو يطبعه ولا فضل للمجمع فى هذا . وقد سألت مرة أحد أعضاء المجمع عن هذا المعجم هل اطلعتم عليه وراجعتموه واقتنعتم بصحته فكان الجواب السريع : « لا »

قلت ولكن المجمع ينشره فهو يعد مسئولاً عما فيه ، وعسى أن يكون فيه خطأ أو اعتساف أو شطط فمن يحمل تبعة هذا غير المجمع الذى ينشره والذى يعتقد الناس — ولهم العذر — أنه أقره . فكان جواب عضو المجمع أن ترحم على الأستاذ السكندرى لأنه كان هو الوحيد الذى اجترأ على الاعتراض على نشر هذا المعجم بغير مراجعة أو بحث كاف

ولست أحاول أن أغض من قدر الدكتور فيشر أو أن أنتقص من قيمة معجمه الذى يقال إنه قضى أربعين عاماً فى وضعه فما اطلعت عليه — كما لم يطلع المجمع — وإنما قرأت وصفاً له فى الصحف ورأيت أمثلة لما يقال إنه فيه وهى أقل وأضأل من أن تجيز لى الحكم عليه أو الذهاب فيه إلى رأى معين . وإنما ذكرت هذا الحديث على سبيل التمثيل لطريقة المجمع فى العمل ومبلغ تقديره لتبعته

وقد قيل لى إن خير ما ينتظر من المجمع هو وضع معجم حديث لهذه اللغة وإن هذا عمله الأكبر ؛ وقال لى غير واحد من أعضائه ومن غيرهم إنه معنى بدرس اللهجات العامية فى أقطار العربية مثل عنايته بوضع الألفاظ لما لا لفظ له فى العربية وإن هذا وذاك بسبيل مما يجب أن يضطلع به من وضع المعجم العربى . ولكنى لا أراه يضع معجماً بل أراه يطبع معجماً تاريخياً للألفاظ وضعه الدكتور فيشر المستشرق . ولا أراه يصنع شيئاً يذكر فى وضع الألفاظ للجديد من المعانى والتعابير ؛ ولو أراد كاتب أو مترجم أو مؤلف فى علم أو فن أو أدب أن ينتظر حتى يمد له المجمع ما عسى أن يحتاج إليه لما جنى سوى طول الرياضة على الصبر . ولا أراه يدرس اللهجات العامية بل أراه رفض أن ينشر بحثاً للدكتور عيسى بك فى العامية رد به آلافاً من ألفاظها إلى أصولها ؛ فهل كان ينبغى أن يكون الدكتور عيسى بك مستشرقاً أولاً وعضواً فى المجمع ثانياً ليجامله الأعضاء بنشر كتابه بلا بحث أو نظر أو تفلية . . .

ورحم الله الفيروزبادى وابن منظور وابن سيدة وأمثالهم ، فما كان أحدهم مجمعاً طويلاً عريضاً ذا أعضاء من الغرب والشرق ومال تكفله له الدولة

وعسى أن يتوهم البعض أنى أحاول أن أحمل المجمع على نشر هذا البحث للدكتور عيسى بك ، ولهذا أقول إن هذا ظن لا محل له فقد نشر الدكتور كتابه وانتهى الأمر ولا حاجة به إلى معونة المجمع . وأقول أيضاً إن الدكتور الفاضل ما كان يبغى أجراً على عمله أو منفعة أخرى يصيبها من وراء ذلك وإنما رأى أن المجمع أليق جهة بنشر كتابه لأن بحثه يعد بعض عمله

سمعت مرة من رجل مسئول — أو كان من المسئولين يومئذ — وقد قال لمسئول آخر إنه يرى إنشاء مجمع أدبى لخدمة الأدب لا اللغة وحدها كما يصنع المجمع القائم، فقيل له إن التريث واجب فى إنشاء هذه المجامع فقد أنشأت الدولة مجمعاً للغة العربية

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٣ —

كتب إلىّ أحدُ المتخرجين فى كلية الآداب يقول : « ألا ترى أن إصرارك على تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين فيه تجريحٌ لكلية الآداب ، وأنت أقسمتَ على الوفاء لكلية الآداب » ؟

وأقول إنى ما نسيتُ ذلك القَسم العظيم ، وسأظل طول دهرى وفيًّا لكلية الآداب

ولكن كيف يصح القول بأن تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين ينافى الوفاء لكلية الآداب ؟

إن كلية الآداب لها رسالة أدبية وفلسفية ، وهى تروض أبناءها على الفناء فى الحق ، وتنكر عليهم أن يكونوا أبواقاً تذيع أهواء الجاهلين ، فمن الوفاء لتلك الكلية أن نراقب ما ينشر باسمها من المباحث والآراء ، وأن نتعقب أساتذتها بالنقد حين يقضى الواجب بلا ظلم ولا إسراف

وقد استبحتُ قبل اليوم نقد آراء الدكتور طه حسين وكان عميداً لكلية الآداب ، فلم يقل أحدٌ إن ذلك النقد كان تجريحاً لتلك الكلية وخروجاً على يمين الوفاء

وهل خرج الدكتور عبد الوهاب عزام على كلية الآداب حين أنكر آراء الأستاذ أحمد أمين ؟

وماذا تريد منا كلية الآداب ؟

أتريد أن نطوف بأحجارها طواف الخشوع فنرى كل صدًى يرنّ فى حُجُراتها وغُرُفاتها وحياً نزل من السماء ؟

إن تقاليد تلك الكلية قامت على أساس الفتوّة ، وقد شرعت النضال والعراك حول المذاهب والآراء ، فليعرف بعض الأساتذة هناك أن الوشائج الصحيحة بيننا وبينهم ترجع إلى أصل أصيل من تقاليد تلك الكلية، هو الثورة على الأخطاء والأغلاط والجهالات

ونحن ماضون فى سبيل النقد الأدبى بجرأة وصراحة رعايةً للحق ، ورعاية لتقاليد تلك الكلية الغالية ، جعلها الله إلى الأبد مثابةً لحرية الرأى والعقل ، ونجّاها من عادية الأهواء !

* * *

وأرجع إلى الموضوع فأقول :

رأى القارىء كيف أخطأ أحمد أمين حين وازنَ بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية ، لأن الموازنة لا تصح إلا بين أثرَين ، وقد وُئِدت الوثنية العربية وعاشت الوثنية اليونانية ، فالموازنة بينهما لا تجوز إلا فى ذهن من يستجيز الحكم على المجهول

وأنا مع ذلك أعترف بأن الوثنية العربية بقيت منها أشياء ، فقد صح أن بعض العرب عبدوا الأصنام وعبدوا الشمس وعبدوا بعض النجوم

هذا صحيح ؛ وقد شهد به القرآن ؛ وشهادة القرآن لا يمكن إنكارها على الإطلاق ، فهو عند المؤمنين وحى من عند الله ، وهو عند الملحدين صورة صحيحة لأحوال العرب فى عهد النبوة . وكذلك يستوى المؤمن والملحد فى تصديق ما شهد به القرآن

ولكن كيف كانت تلك الوثنية من الوجهة العقلية والروحية ؟

وكان الأمل فيه كبيراً فمضت سنوات طويلات وهو لا يصنع شيئاً يستحق الذكر أو يستحق به ما أنفق عليه من مال الدولة وهذه تجربة لا تشجع على المضى فى إنشاء المجامع

فأما إنشاء مجمع حكومى للأدب فقد كنت لا أرى رأى صاحب الاقتراح فيه لأنى على شعورى بحاجة الأدب إلى التشجيع وحاجة الأدباء إلى التفرغ للانتاج أكره أن يكون للحكومة دخل فى ذلك وأخشى أن يجنى دخولها فى هذا الأمر على الأدب . فما يرجى للأدب خير إلا فى ظل الحرية ، والحكومات بطبيعتها نزاعة إلى السيطرة والتحكم وتسخير الأقلام لها

كان هذا هو اعتراضى على ما اقترح من إنشاء مجمع أدبى على مثال المجمع اللغوى . أما المسئولون فكانوا ينظرون إلى الأمر من ناحية التجربة المخفقة وما تشير به من ضرورة التريث اتقاء لبعثرة المال فى غير غرض صالح ، ولست أروى هذا إلا ليعرف المجمع رأى الحكومة نفسها فيه لعل هذا يستحثه قليلاً إذا كان رأى غير الحكوميين من أمثالى لا يعنيه

ابرهيم عبد القادر المازنى

هل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب صنماً فى صورة أسد ؟

لا يكفى أن يكون الصنم نحت من حجر ليقال إن عبادته أرضية وضيعة ، كما يعبر أحمد أمين ، وإنما يجب أن نعرف لأية غاية روحية أو عقلية عبد بعض العرب صنماً من حجر على صورة أسد ، فقد يكون الغرض من تلك العبادة تمجيد الأنفة والقوة والكبرياء ، وهو غرض نبيل رأينا له أشباهاً فى وثنية الفرس والمصريين واليونان

وقد عبد العرب أسافاً ونائلة ، وهما صنمان لامرأة مليحة ورجل جميل

فهل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب هاتين الصورتين ؟

لقد تحدث الأخباريون بأنهما صورة لرجل وامرأة فجرا فى الكعبة فسخهما الله حجرين ، وهنا يتحذلق أحمد أمين فيقول : « ولست أدرى ما حملهم على عبادتهما مع شنيع فعلهما ، وهما إن استحقا شيئاً فالرجم لا العبادة »

فالقول بأن أسافاً ونائلة فجرا فى الكعبة فسخهما الله حجرين هو التأويل الذى اهتدى إليه بعض العوام بعد اندحار الوثنية العربية

أما أهل البصر بأسرار الوثنيات القديمة فيعرفون أن أسافاً ونائلة عند العرب قد يشبهان إيروس وأفروديت عند اليونان ، فهما تمثالان لعبادة الجمال والحب ، وليسا تمثالين لعبادة الفجور والفسق(١)

وعرض الأستاذ لتصور العرب فى الزهرة فلم يدرك ما فيه من جمال ، فالزهرة فى الوثنية العربية كانت امرأة حسناء فصعدت إلى السماء ومسخت كوكباً ، فهل رأى الناس تقديساً للجمال أروع من هذا التقديس ؟

ألا يكفى أن تكون تلك الحسناء نُقِلت من الأرض إلى السماء ، ومن عالم الفناء إلى عالم الخلود ؟

قلت لكم إن أسرار الوثنية العربية ضاعت ضيعة أبدية بفضل الدين الحنيف ، ونحن غير آسفين على ضياع تلك الأسرار ولكنا لا نستسيغ القول بأن عقلية العرب كانت أرضية وضيعة ونحن نجهل كيف كانوا يتصورون شؤون الدنيا وأحوال الوجود

والعرب قد اعتذروا عن عبادة الأصنام فقالوا : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى » وهذه العبارة القرآنية الكريمة تشهد بأن وثنية العرب كانت تحريفاً لدين صحيح قام على أساس التوحيد .

فمن الخطل أن يقول قائل بأن عبادة الأصنام كانت عبادة أرضية على حين يشهد القرآن بأنها كانت موصولة الأواصر بالمعانى السماوية

ويشهد القرآن أيضاً بأن وثنية العرب كانت لها أحكام متصلة بسكان السماء فقد « جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » ومعنى ذلك أن أوهامهم تجاوزت الأرض إلى السماء

إن العرب فى جاهليتهم قد عرفوا المصريين واليونانيين والفُرس والهنود ، فكيف جاز أن تخلو وثنيتهم من السموّ الذى عُرِفتْ به وثنيات أولئك الناس ؟

كيف يكون ذلك والوثنيات ينقل بعضها عن بعض ، كما تنقل بعض الديانات عن بعض ؟

ثم ماذا ؟

ثم يحكم الأستاذ أحمد أمين بأن العرب لم تكن لهم طبيعة فنية وأن ما كان عندهم من تماثيل فجلوب من مصر أو من اليونان ، وأن « يغوث » إله مصرى اسمه « يغنوت »

ونحب أن نعرف من هم العرب فى ذهن أحمد أمين

يظهر أن للعرب فى ذهنه هم سكان البادية العربية ، وسكان البادية لا يحسنون صناعة التماثيل

والقول بأن العرب فى جاهليتهم لم يكونوا إلا سكان البوادى قولٌ أذاعه المستشرقون الذين يهمهم أن يثبتوا أن الحضارة العربية أُخذت عن مصر وفارس واليونان وليس فيها أثر عربيٌّ أصيل .

والتاريخ الصحيح يقول بغير ذلك ، فالعرب فى الجاهلية كانت لهم حواضر فى الحجاز واليمن والشام والعراق ، وكان لهم فى تلك البلاد آداب وفنون ، ولو عاش قصر غُمدان وقصر الخورنق لاستطعنا أن نعرف كيف فهموا قواعد النحت والتصوير وكيف برعوا فى تسجيل حوادث التاريخ

---

(١) سمعت أن الأستاذ إسعاف النشاشيبي تحدث عن هذه المسألة فى بعض مقالاته ، وقد ضاق الوقت عن مراجعة رأيه فيها ، فما أدرى أمتفقون نحن أم مختلفون .

ولنفرض أن العرب جهلوا النحت والتصوير كل الجهل ، فكيف جاز مع هـذا الفرض أن ينهاهم الإسلام عن النحت والتصوير ؟ وهل ينهى الإسلام عن شيء غير موجود ؟

قل كلاماً غير هذا الكلام يا أستاذ أمين ليصدّق الناس دعواك !

قد يقال : وأين آثار النحت والتصوير في البلاد العربية ؟

ونجيب بأن ذلك كله بدّده الإسلام عامداً متعمداً ليُذهب آثار الشِّرك والوثنية !

وهل تعرفون كم أثراً فنيّاً حطمه المسلمون بمكة يوم الفتح ؟

لقد كانت مصر مملوءة بغرائب التماثيل لحطمها المسلمون ليمحوا شواهد الوثنية الفرعونية . والذين قرأوا التاريخ يذكرون ما فعل الشيخ محمد صائم الدهر : فقد طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب ليهشم ما ترك المصريون القدماء من الأصنام والأوثان ، وهو الذي جدع أنف أبي الهول ، ولو استطاع لحوّله إلى رماد

وبعد إسلام أهل مصر بقيت فيهم بقايا من احترام تماثيل الأسود فكانوا يقيمونها فوق قناطر النيل ، وكان الشيخ محمد صائم الدهر يسطو عليها من وقت إلى وقت فيهشم منها ما يستطيع

فإن مررتم على جسر إسماعيل بقصر النيل ورأيتموه محروساً بأسدين فتذكّروا أن تلك الصور الأسدية ليست إلا رجعة إلى ما كان يصنع المسلمون في تزيين قناطر النيل بصور الأسود . وإن زرتم أطلال الكرنك ورأيتم مداخل القصر محروسة بعشرات الأسود فاعرفوا أن هذا من ذاك

* * *

توهّم أحمد أمين أن دين العرب في الجاهلية كان أرضياً وضيعاً ، فكان ذلك التوهم سناداً يركن إليه في تحقير التشبيهات الجاهلية ، فهي عنده لاصقة بالأرض ، وشاهد ذلك أن الجاهليين يشبهون الحيوان بحيوان مثله كتشبيه الناقة بالظّليم أو بالثور الوحشيّ أو بالنعامة أو بالأتان

وأحسب أن لو قال هذا الكلام تلميذ بالسنة التوجيهية لسقط في الامتحان أبشع سقوط

فتشبيه الناقة بالظليم أو بالثور الوحشي تشبيهٌ مقبولٌ جداً ، وليس ماديًا لاصقاً بالأرض ، لأن وجه الشبه هو السرعة لا الشكل ، والسرعة صورة معنوية

أحمد أمين يريد في الواقع أن يقول إن الناقة شبهت بحيوان يعيش في الأرض لا في السماء ، وآية ذلك أنه عاب على امرئ القيس أن يشبّه الفرس بجلمود صخر حطّه السيل من عَلٍ ، وقال :

« إن غير العرب شبهوا سرعة الفرس بالبرق »

ذلك كلام أحمد أمين ، وما نفترى عليه

فهل رأيتم كلاماً أغرب من هذا الكلام ؟

أنا أنتظر رأى أساتذة البلاغة بكلية الآداب والأزهر ودار العلوم

هل من الصحيح أن تشبيه سرعة الفرس بالبرق أدق من تشبيه سرعته بجلمود صخر حطه السيل من شواهق الجبال ؟

إن تشبيه سرعة الفرس بالصخرة التي حطها السيل من شاهق لا يقف عند السرعة وإنما يتعداها إلى الثِّقل . فالفرس عند العدْو ثقيلٌ جداً بحيث لا يملك مراعاة ما قد يعترض الطريق من شجرة أو جدار ، وكذلك لا تملك الصخرة الانحراف من جانب إلى جانب حين تنحطُّ من شاهق

أما تشبيه سرعة الفرس بسرعة البرق فهو تشبيه لا يُقبل إلا عند من يرحّب بالأخيلة البهلوانية

وأين الفرس من البرق ؟

إن ما يقطعه البرق في لمحة واحدة قد يعجز عنه الفرس في الأعوام الطوال

والغرض من التشبيه هو تقريب بعض الصور من بعض ، أما الإغراب في التشبيهات والاستعارات فهو سخف مرذول

وأحمد أمين الذي تعجبه الصور السماوية كصورة البرق هو نفسه أحمد أمين الذي عاب على العرب أن يتصوروا مصير الغُميصاء بعد فراق سهيل

« زعموا أن الغميصاء وسُهَيلاً كانا مجتمعين فانحدر سهيل فصار يمانيًا ، وتبعتْه العبور فعبرت المجرة ، وأقامت الغميصاء فبكتْ لفقد سهيل حتى غمصتْ »

تلك هي الأسطورة العربية التي استسخفها أحمد أمين ،

ولو كان يعرف تاريخ الأساطير لأدرك أن هذه الأسطورة فيها ملامح يونانية ، فالنجم الذى يهوى من موضع إلى موضع هو إلهة عاشقة تنحدر لموعد غرام مع إله معشوق

وكانت الغميصاء المسكينة على موعد مع معشوقها سُهَيل ، ولكنها عجزت عن عبور المجرة فظلت تبكى حتى أصابها الغَمَص

ولو كانت هذه الأسطورة يونانية لا عربية لعدَّها أحمد أمين من غرائب الخيال ، وعدَّ أصحابها من الزاهدين فى الأرض والمفتونين بالسماء !

وأنتِ كذاكِ قد غُيِّرتِ بعدى وكنتِ كأنك الشعرى العبورُ

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم رأى أحمد أمين أن دين العرب فى الجاهلية قد ظهر أثره فى وصفهم للمرأة ، فهم « لم ينظروا فى المرأة إلا إلى جسمها . لقد أدركوا تمام الإدراك جمالها الحسى ، ولكنهم لم يدركوا جمالها الروحى . أولعوا بقدها المشوق، وعيونها الدُّعج ، ووجهها الوردىّ ، وخصرها النحيل ، وردفها الثقيل ، وما شئت من أعضائها وأجزائها . فأما روحها السماوى وجمالها الروحى ، وتمشق روح الشاعر لروحها والشعور بأنها مصدر وحيه وإلهامه فشىء لم يستطع إدراكه الشاعر الجاهلى »

ثم يصرح بأن الوقوف عند هذه المعانى فى النظر إلى المرأة شىء مخجل (؟)

أما أنا فأقول بأن نظرة الشاعر الجاهلى إلى المرأة نظرة سليمة تدل على الفحولة والفتوّة ، فجال المرأة ، جمالها الصحيح ، هو فى نواحيها الحسية ، وليس من العيب أن يقول الرجل إنه يشتهى المرأة شهوة حسية ، وإنما يعيب الرجلَ ألا يملك من المرأة غير أنس الروح بالروح

إن أحمد أمين يحب أن يكون روحاً لطيفاً شفَّافاً يؤذيه أن يتحدث الناس عن العيون الدُّعج ، والقد المشوق ، والخصر النحيل .

هو يحب أن يضاف إلى رجال الأخلاق !

أما أنا فأبغض أشد البغض أن أضاف إلى هذا الطراز من رجال الأخلاق

أنا أفهم جيداً أن المرأة لا تُهمّ الرجل إلا إن كانت أنثى فيها جميع خصائص الأنوثة ، الخصائص التى تُشعر بأنها متاعٌ جميل ، والتى تحمله على أن ينظر إليها نظر الأسد المصور إلى الرشأ الربيب

ولا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحى وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسِّيَّة ، ومن قال بغير ذلك فهو رجلٌ ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء

إن الأستاذ أحمد أمين يستقبح قول امرىء القيس :

وبيضةِ خِدرٍ لا يرام خباؤها تمتعتُ من لهوبها غير مُعْجَلِ

فأين هو من الفحولة التى يهدر بها هذا البيت ؟

قد يقول : وكيف يجوز للرجل الفحل أن يبكى وهو يستعطف المرأة ؟

وأجيب بأن بكاء الرجل أمام معشوقته ليس علامة ضعف ، وإنما هو علامة قوة، فالدمع فى عين العاشق كالسم فى ناب الثعبان؛ فالثعبان يخدِّر فريسته بالسم ، والعاشق يخدِّر فريسته بالدمع

وهنا أستأنس بكلمة قرأتها للأستاذ المازنى فى جريدة السياسة سنة ١٩٣٢ وهو ينقد قول شوقى

« ما الحب إلا التضحية »

فقد عد هذه الكلمة باباً من الضعف ، ومن عمى البصيرة ، لأن الحب فى حقيقة أمره ضربٌ من الأثرة والافتراس

قولوا الحق يا بنى آدم ، فالنفاق خُلُق بغيض

قولوا الحق ، واعترفوا بأن المرأة لا تهم الرجل إلا بوصف أنها مخلوق جميل له عينان دعجاوان ، وجبينٌ مُشرق ، وجيدٌ كجيد الريم ، وقوامٌ كالغصن الرطيب

ولعل أحمد أمين يريد امرأة فيلسوفة لها عرقوب كشهر الصوم فى الطول ، ولها عين كعين الغميصاء تعينه على سهر الليل إلى أن يبزغ « فجر الإسلام » !

والعجيب أن تصدر هذه الأحكام عن رجلٍ يكتب فى الفلسفة

من وقت إلى وقت ، وقد غاب عنه أن فى فلاسفة هـذا العصر رجل اسمه فرويد ، وهذا الفيلسوف يرجع أعمال الرجال إلى أصول شهوانية قد تسوق الناس من حيث لايحتسبون . وما كان فرويد أول من نظر هذه النظرة فقد رأيت لها أصولاً فى مؤلفات الشعراني ، ومن قبل ذلك رأيت لها أطيافاً عند فقهاء الشريعة الإسلامية ، وهم رجال أمعنوا فى درس أسرار الطبائع

فممن أخذ أحمد أمين هذه الحذلقة فى فهم الأدب النسوى ؟

أغلب الظن أنه نقلها عن الكاتب المتحذلق توفيق الحكيم الذى زعم أن كل عبقرى محروس بروح نسائية تفيض عليه الوحى من وراء الغيب !

وكيف تستطيع المرأة أن تسيطر على الرجل عند اليأس من طيباتها الحسية ؟

إن الرجل قد يذكر المرأة بالشوق بعد أن تموت ، ولكن ذلك لا يمنع من أن الأخيلة الحسية لها دخل فى تسعير ذلك الشوق

أقول هذا وأنا أعرف أن فى بنى آدم من يوحى إليه الرياء بتكذيب هذه البينات ، ولكن ماذا يهمنى وأنا حريص كل الحرص على الجهر بكلمة الحق ؟

إن الوثنية اليونانية التى يمجدها أحمد أمين قد جعلت للآلهة شهوات ولذات ، فكيف يستنكر أن تكون لشعراء الجاهلية شهوات ولذات ؟

إن أفروديت وهى من الآلهة فى الوثنية اليونانية قد صهرها الغيظ حين سمعت بأن فى الأرض إنسانة جميلة تستهوى قلوب الرجال ، وكان من آثار ذلك الغيظ أن قامت بدسائس خبيثة للفتك بتلك الإنسانة التى وصلت أخبارها إلى سكان السماء

الحق كل الحق أن الجمال الحسى هو كل شىء فى المرأة ، وهى تصل إلى الكمال حين يؤيد جمالها الحسى بالجمال الروحى ، كأن تكون على جمالها ذات عقل وأدب وعفاف

وهل تعرفون كيف كان العفاف فضيلة ؟

كان العفاف فضيلة لأنه تمكين للرجل من السيطرة المطلقة على مواقع هواه ، فهو فضيلة لوحظت فيها الأثرة الرُجلية

ما هذا الذى أقول ؟

أرانى أهيىء الفرصة لثرثرة من لايفهمون دقائق علم الأخلاق ، وأنا أحب أن أسلم من ثرثرة أولئك الناس

الذى يهمنى هو النص على أن شعراء الجاهلية صوروا الفطرة السليمة حين جعلوا الأنس بالمرأة الجميلة من النعيم المحسوس ولم يجعلوه من النعيم المعقول

ولو رزقنى الله شيئاً من الصراحة لقلت : إن الشهوات هى فى الأصل من أجلّ نِعم الله على عباده ، وما استنكرها رجال الأخلاق إلا بسبب الإسراف . أما الشهوات فى حد ذاتها فهى من دلائل العافية : والعافية نعمة جزيلة ينعم بها الله على من يشاء

وفضيلة العفاف ، وهى فضيلة نبيلة لا يقام لها وزن إلا حين تصدر عن رجال مزوّدين بحيوية الشهوات ، فطغيان الشهوة ملحوظ عنـد النظر فى فضيلة العفاف . أما عفاف العاجزين عن الفجور فهو لايستحق أى ثناء ، ولايضاف صاحبه إلى أهل الكمال وإن لبس مسوح الرهبان

ويجب أن يكون مفهوماً أن الشهوة الحسية لها صلة بتفوق الرجال فى الميادين العقلية ، فالرجل الآمن من طغيان الشهوات محروم من نعمتين : نعمة القدرة على فهم الجمال ، ونعمة القدرة على مجاهدة الأهواء

وكذلك يصح القول بأن الرجل العاجز لا يستطيع أبداً أن يتسامى إلى منزلة أصحاب الأخلاق

فهل ترونى وصلت إلى إقناعكم بأن أحمد أمين أخطأ حين عاب على شعراء الجاهلية أن يجعلوا المرأة من المتاع الجميل ؟

أنا أعرف أنى أوذى نفسى بهذه التحليلات ، وأعرف أنها قد تصورنى بصورة الرجل الفاتك ، ولكن ماذا أصنع وأنا أريد أن أصدق كل الصدق وأنا أحادث القراء ؟

وهل كُتِب على الدراسات الأدبية والفلسفية فى مصر أن تقوم على قواعد الرياء ؟

إسمعوا منى كلمة الحق فى هذه الشؤون قبل أن تسمعوها من باحث يعيش فى لندن أو باريس ، فمن العار أن نعجز فى عصر النور عما قدر على شرحه الأسلاف فى عصور الظلمات

* * *

في سبيل الإصلاح

علماؤنا والإصلاح

للأستاذ علي الطنطاوي

لعل في القراء من يذكر السؤال الذي وجهته منذ أسابيع إلى المفكرين من علمائنا وعرضت فيه إلى بعض المشكلات الدينية وسألتهم حكم الله فيها ، وحكم الله لا يخالف مصلحة الناس ، ولا ينافي حاجة العصر . وقد مرت هذه الأسابيع ولم أتلق من أحد جواباً ، ولم أجد فيمن لقيت من علمائنا في هذه المدة إلا أحد رجلين : رجل لم يقرأ السؤال ، ولم يدر بأن في الدنيا مجلة اسمها الرسالة ، ولم يدخل بيته إلى اليوم كتاب واحد أو مجلة أو رسالة صغيرة مما تفيض به المطابع كل يوم ، لأن ذلك كله لغو لا يليق بالعالم أن يلقي إليه بالاً أو يقف عنده أو يعرج عليه ، وفي كتب الفقه والأصول والحديث الكفاية ، وإن كانت العناية بالحديث والتفسير — أعني بالكتاب والسنة — لمجرد التبرك والاطلاع ، لا للاستنباط والاجتهاد ، لأن الاجتهاد سد بابه والفقهاء لم يتركوا شيئاً إلا قالوه ، وإن هو احتاج بعد ذلك إلى شيء من الأدب فحسبه المستطرف ، والكشكول ، والمخلاة ، ومسامرات الشيخ محي الدين بن عربي مؤلف الفصوص الذي تجد الكلام على دينه وتقواه في الصفحة ١٥٩ من كتاب الإسلام الصحيح للنشاشيبي

ورجل آخر ، حلت إليه الرسالة ، فقرأ السؤال فكان جوابه عليه لعنة حامية على هؤلاء الملحدين الذين يحلون ما حرم الله ، ويدعون إلى الربا الذي نهى عنه الله ، وكان له مادة لإعلان غيرته على الدين ، وتثبيت منزلته بين العامة ...

على حين أن المشاكل الدينية من نحو مشكلة الربا قائمة ، والناس يتعاملون بألوان من الربا منها الربا الفاحش البين ، ومنها الربا الخفيف أو ما يشبه الربا ، ولا تجد تاجراً (أعني تجار الجملة لا البقالين) يستغني عن مثل معاملات الحسم (السقونطو) أو عن الاتصال بالمصارف على نحو ما ... فإذا كان هذا كله من الربا المحرم الممنوع شرعاً ، وكان هذا كله مما لا يستغنى عنه كانت النتيجة (المنطقية) أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان ... وهذا محال ، فلم يبق إلا إبطال إحدى المقدمتين ، فإما أن يقال بالاستغناء عن معاملات المصرف ، وإما أن يقال بأن هذه الأحكام الفقهية ليست هي كل الشريعة ، وأن من الممكن استنباط أحكام أخرى شرعية تصلح لهذا الزمان . وإذا نحن نظرنا في تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ الفقه نجد أن المجتهدين لبثوا متوافرين في كل عصر ، لم يخل منهم زمان ، وإن كان منهم من هو (مجتهد في المذهب) على حد تعبيرهم ، ولبث ذلك إلى القرن التاسع حيث غلب الأتراك على البلدان العربية وضعفت العناية باللغة العربية ، واستغلقت على القوم آيات الكتاب البينات ، وخفي عنهم ما وضح للعلماء الأولين من السنة ، فأعلنوا سد باب الاجتهاد !! على أن هذا العصر أيضاً لم يعدم جماعة من أهل الترجيح والتخريج ، وهم أنصاف مجتهدين (إن صح التعبير) . ونشأ عن وقوف الاجتهاد وسير الدنيا (بل سيرها سيراً) أن كان في الفقه اليوم أحكام تخالف ما يراه الناس صالحاً لزمانهم ، مع أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، لا شك في ذلك أبداً

أما بعد فهناك مكاره سيصلاها أحمد أمين في المقالات الآتية وسيعرف أن التجني على ماضي الأدب العربي لا يمر بلا حساب

وأنا أرجوه أن يترفق بنفسه فلا يصر على تحقير الأرومة العربية وتمجيد الأرومة اليونانية ، فقد أستطيع أن أحدثه بأن العرب الذين غلبت عليهم شهوات الحواس هم الذين استطاعوا بفضل فحولتهم أن يدحروا اليونان وأن يحولوهم إلى أحلاس في حوانيت الزيتون والسردين

وقد حدثنا أحمد أمين بأن العرب انحطوا في جاهليتهم بسبب تلك الوثنية الأرضية الوضيعة ، ثم حدثنا بأن القرآن لم يرفع عقليتهم ، مع أنه وحي سماوي رفيع ، فهل يتأثر العرب بالوثنية ولا يتأثرون بالإسلام ؟ سنعرف وجه الحق في هذه القضية ، في الأسبوع المقبل ، وإنه لقريب .

(مصر الجديدة) زكي مبارك

فكيف يكون التوفيق بين الأصل الثابت وبين هذه النتيجة ؟

* * *

يستطيع العلماء أن يفتوا بأن هـذه المعاملات (المصرفية) كلها ربا ، وأن الربا كله حرام ، ولكن التجار يستطيعون أيضاً أن يثابروا على التعامل بها ، والإقامة عليها ، وتبقى المشكلة بل تزداد إشكالاً .

فالإصلاح إذن لا يكون بالإصرار على هذه الحواشي الفقهية والدفاع عنها، بل بالبحث عن أدلتها، فما كان منها قطعياً ثابتاً بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، فهو الذي لا سبيل إلى تبديله ، وما كان منها مبنياً على عرف أو دليل فيه احتمال ، وكان إلى تعديله سبيل من الشرع عدل[١]

وهذه المسألة على وضوحها تحملنا جهداً ، وتكلفنا عناء ، لأن من العلماء من لا يريد أن يفهمها ، ولا يقدر أولا يحب أن يفرق بين قول الفقيه واجتهـاده وبين النص — ومن يحسب الخروج على المذاهب الأربعة خروجاً على الدين ، وأكثرهم لا يبالى بعد ذلك هل سارت الحياة شرقاً أم اتجهت غرباً ...

* * *

ولم يبق أحد جاهلاً بأن المدنية الأوربيـة قد طغت علينا ، وأننا انغمسنا فيها واقتبسنا منها فبدلت حياتنا تبديلاً ، وغيرت طرائق معيشتنا فى دورنا ومدارسنا وأسواقنا ، فأصبحنا أقرب فى طراز حياتنا إلى أهل باريز اليوم منا إلى أهل دمشق والقاهرة فى القرن التاسع الهجرى ، وأصبح من المستحيل علينا العمل بأحكام استنبطها المجتهدون لأهل القاهرة ودمشق فى القرن التاسع . وإذا نحن وقفنا عند هذه الأحكام والحياة تمشى أصبح بيننا وبين الدين مسافة هائلة لا يمكن قطعها ، وأهملنا أكبر مزية لديننا وهو أنه دين البشرية الراقية فى كل عصورها ، وعطلنا أصلاً مهماً من أصول ديننا وهو الإجماع ، مع أن الوصول إلى الإجماع فى هذا الزمان أسهل منه فى كل زمان مضى لسهولة المواصلات وسرعتها ، فلماذا لا ننظم مسألة الإجماع ؟

الإجماع هو اتفاق المجتهدين فى عصر من العصور على حكم من الأحكام ، فلا يمكن تنظيمه إلا بتعيين المجتهدين ، والاتفاق على الشروط التى يجب اجتماعها فى العالم حتى يعد مجتهداً

وأنا أرى أنه لا مانع من الشرع ولا من الطبع يمنع من إحداث تشكيلات للعلماء ، ودرجات وسمات لهم معروفة ، حتى لا يختلط الأمر ، ويستفتى الناس مفتين جهالاً فيضلوا ويضلوا . ولقد خطونا الخطوة الأولى من عهد بعيد حين جعلنا فى كل بلد مفتين رسميين لهم مرجع أعلى ، هو شيخ الإسلام ، ولكن نسينا أن العالم لا يسمى مفتياً إلا إذا كان مجتهداً ، وليس كل من عرف الدر وحواشيه والفتاوى الهندية يصح أن يتصدر للإفتاء . فإذا وسمنا هذه الدائرة ، وجعلنا للعلماء درجات متعددة تخلصنا من هذه الفوضى العجيبة التى نراها اليوم حين أصبح كل صاحب عمة قد كورها وجبة قد وسعها من العلماء ، وحين رأينا فى جمعيات العلماء أناساً لا يمتازون من العامة إلا بالزى . وليت شعرى لماذا يكون لكل فرع من فروع العلم درجات وشهادات ، فلا يستطيع أن يدعى الطب أو يمارس المحاماة إلا من حصل شهاداتها ودرس علومها ، ويبقى أمر الدين مهملاً يدعيه كل ذى لحية طويلة ؟ إن الطبيب إذا أخطأ قتل نفساً ، ولكن العالم الدينى إذا أخطأ قتل أمة ، وأذهب عليها دينها ودنياها ...

إذا وضع قانون الدرجات العلمية عرف به العلماء الذين بلغوا درجة الاجتهاد — فدعوا من كافة الأقطار الإسلامية — وعرضت عليهم هذه المشكلات وسئلوا حكم الله فيها ، فإن اتفقوا على أمر عد مجمعاً عليه وصار من الأصول الثابتة ، وإن اختلفوا استؤنس برأى الأكثر منهم ، هـذا إذا لم يكن فى المسألة دليل شرعى ، أما إذا وجد فالحكم حيث يوجد الدليل

* * *

وربما أنكر منكر هذا الاقتراح ورآه حدثاً فى الدين ، وتقليداً للنصارى فى درجات قسوسهم ، وأنا أرد سلفاً بأن هذا التنظيم من قبيل جمع القرآن ، وتدوين العلوم ، لم يرد ما يمنعه ، والمصلحة تقتضيه ، وليس من شك بعد بأن (هذا) الإجماع أقوى وأظهر من كل إجماع إلا إجماع الصحابة . لأن استقراء المجتهدين وجمعهم والوقوف على رأيهم أهون فى هذا العصر منه فى العصور الأولى

أما المسائل التى تعد أساس الإصلاح الدينى وركنه ، فقد

(١) وحينما يجمع العلماء ، أو يثبت الدليل على أن معاملات المصارف كلها حرام — لا يبقى للكلام فيها مجال

لخصها أستاذنا المغربي في (البينات) في مقالة له نشرها منذ ثلاثين سنة ، وأنا أنقلها عنه بتصرف فيها :

١ — وضع مناهج المدارس الدينية على شكل يمدّ الطلاب للاجتهاد ويهيئ لهم أسبابه

٢ — إصلاح أساليب الكتب القديمة وعرضها بشكل جديد ، وقد بدأ بذلك الأستاذ محي الدين عبد الحميد من أساتذة الأزهر فأصلح بعض كتب النحو ، ولكن بمقياس ضيّق

٣ — أن يكون ادعاء العلم ، واتخاذ زيّه بإذن من لجنة علمية خاصة ، وبعد ثبوت أهلية الطالب وكفايته

٤ — أن يكون الاجتهاد إجماعياً لا فردياً ، لئلا يكون للخلاف مجال

٥ — ألا نلزم أقوال إمام بعينه ، وإنما نأخذ من كل مذهب ما يوافق العصر ، وأقول : إن ذلك لا بأس به في العبادات . أما المعاملات فلا بدّ من وضع قانون لها مقتبس من الدين يختار فيه قول واحد ويوقف عنده ليكون العمل به

٦ — أن نبتعد عن البدع والأحداث وأن نقف عند الكتاب والسنة

٧ — تمييز العقائد الثابتة من التقاليد الموروثة ، فلا ندخل في باب العقائد إلا ما كلفنا الله به ، ولا نكفر مؤمناً إلا إذا أنكر عقيدة ثابتة

٨ — أن يكون تصحيح الحديث اعتماداً على متنه وسنده ، لا على صحة سنده فقط ، فإن خالف متنه أصول الدين أو الشاهد المحسوس ردّ مهما كان سنده ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثله

٩ — أن يعمد في العقائد والعبادات والشعائر ظاهر النص وأن يكون القياس في المعاملات وما يتعلق بالقضاء ويختلف باختلاف الزمان والمكان

١٠ — أن نرفع من شأن العمل قليلاً ، فلا نزعم أن المسلم ينجو بمجرد أقوال يردّدها ، بل نقرر أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وعمل الأعمال التي حث عليها الإسلام ، وتخلق بالأخلاق التي أمر بها

١١ — وأن نرفع من شأن الأسباب قليلاً ، ونعتبرها مظاهر لإرادة الله وقدرته ، فلا نهملها إلى حدّ أن نقول أن السم لا دخل له في موت من تناوله فمات به ، ولكنه مات لأن ذلك مقدر عليه

١٢ — ألا يبحث الفقهاء فيما ليس من شأنهم ، وإنما يدعون كل أمر إلى أهله ويرجعون فيه إلى أربابه . فإذا كان البحث عن اختلاف مطالع الهلال مثلاً لم يرجع إلى قول ابن عباس ولكن إلى قول الفلكيين الفنيين ، وفي الطب يرجع إلى أطباء العصر لا إلى داود الأنطاكي ومن روى عنه

* * *

عندنا اليوم مشكلات كثيرة كمشكلة الربا والطلاق وثبوت الهلال والسفور ، وعندنا الاختلاف على التوسل بالصالحين ، ورفع القباب ، وعبادة القبور ، وكرامات الأولياء ، وكل ذلك لا يحلّ إلا بهذا المؤتمر الإسلامي أو هذا (الإجماع) المنظم ، لأن كل فرد من العلماء يؤثر السلامة ، فلا يجب أن يجابه الناس بما لا يألفون فيخسر منزلته فيهم ولا يجد الجرأة على ذلك

فهل يتلطف بعض من له صلة بشيخ الإسلام الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي فيحمل إليه هذه المقالة ؟ وهل يتفضل إذا حملت إليه فينظر فيها ويولي هذه المسألة شيئاً من عنايته ؟

علي الطنطاوي



ذكرى

ســـــــوداء !...

للأستاذ أديب عباسي

أطلَّ صاحبي بعد أن نقر على الباب نقرتين أو ثلاثاً ونادى :

— ماذا تنوى أن تصنع بيومك ؟ أتريد أن تبقى حيث أنت أمام هذا الركام من الهذر والغُثاء ، أم تريد أن ترى الشمس قليلاً ؟

فقلت : ولكن متى نستطيع أن ننظر فى كل هـذا الذى ترى إذا لم ننتفع بيوم عطلتنا هذا ؟ أليس الأولى والأحزم أن ننقل الحمل مجزءاً بدل أن ندعه يربو ويتراكم فنعود غير قادرين على زحزحته بله نقله ؟

هذه كانت حجتى فى إيثار البقاء فى المنزل ؛ ولكن صاحبى أدرك أننى أقول بلسانى خلاف ما تقوله عيناى، وأدرك أننى أودُّ النجاة مما بين يدى على أى حال ، ولهذا لم يزد على أن قال :

— إننى أنتظرك فى أدنى الشارع ، فهو يوم من أيام الربيع التى لا تفوَّت . والوادى اليوم متحف من متاحف الطبيعة للزهر والمطر والخضرة والظل ، ولا يفوِّت هذا اليوم إلا كل خامد الحسِّ كافر بالسحر والجمال .

* * *

سرنا ساعة وبعض الساعة فى خلال الوادى لا أستمع إلى حديث صاحبى ولا يستمع إلى حديثى إلا بعض سمعنا ؛ فلقد كادت روعة الوادى فى ذلك اليوم من أيام الربيع تعطل كل اتصال بين نفسينا وبين العالم الخارجى ، إلا ما كان بينهما وبين هذه المائدة المثقلة بصنوف الفتنة وألوان الجمال . ولم نثب إلى أنفسنا ، مما سحرنا الوادى وشدهنا عن كل شىء سواه ، إلا حينما رأينا نخلف الوادى الخضيل وراءنا وننتهى إلى العراء . وعندها شعرنا بالتعب والعطش ينحطان علينا فجأة وفى غير إنذار . وقال أحدنا : هيا إلى تلك الدوحة نتفيأ ظلها إلى أن ينكسر سم النهار(١) فنعود

ومكثنا فى ظل تلك الدوحة ساعة ألح علينا بها العطش إلحاحاً شديداً ، فقلت :

— ألا نقوم فنسير إلى النبع نزيل هذا العطش الذى يكاد ينسينا كل ما نلناه من لذة ومتاع ؟

فأجاب صاحبى :

— لا تنس أن بيننا وبين الماء ساعة كاملة من السير وفى خلال هذه الساعة سيخف وهج النهار ويخف معه ما بنا من أوام ، ولكن انظر : ألا ترى هـذه السوداء ؟ إنها قذرة ، ولكن حبذا نهلة من جرتها الصغيرة !

أننزل إلى الطريق نلاقيها ونطلب أن تسقينا أم ندعوها إلينا وننفحها بقليل من القروش ؟

فقلت : أعتقد أن من الأريحية ألا نكلفها الصعود إلينا ، فلنقم نلاقيها ونكون أقل أنانية وخور عزيمة

وهممنا أن نقوم ، وأخذ كل منا يعيِّث فى جيوبه ليقدم للفتاة شيئاً مقابل ما سيشرب من جرتها ويضطرها إلى الرجوع وملئها من جديد . بيد أن الفتاة أبدت حركة اضطرتنا إلى البقاء ، فقد أشارت إلينا بيدها أن امكثا ، وأقبلت نحونا . فالتفت إلى صاحبى وقلت :

— ما معنى هذا ؟ أتكون قد سمعت كلمتك القاسية فجاءت تعاقبك العقاب الذى أنت أهله ؟

فقال : لا أدرى ، وإنما يجب أن نكون على حذر ، وعلى كل فأنا لا أرى فى وجهها شيئاً من الشر . وهبها أرادت أن تعاقبنا ، فليس ثمة أكثر من أن تسكب على رأسى هذا الماء الذى تحمل ، وهو كل ما أتمناه

فقلت : قد تسكب الفتاة الماء كما تتمنى ، وقد تسكب الماء والجرة معاً ... ولست أدرى عندها أى الجرتين تكسر الأخرى ، جرتك الفارغة هذه ، أم جرتها الملأى ؟

دنت الفتاة حتى غدت على قيد خطوات منا ، وابتسمت ابتسامة خفيفة أزالت من نفس صاحبى ما ساوره من قلق ، ثم حيت تحية طيبة وأنزلت جرتها عن رأسها وقالت بلطف : تفضلا.

وتناول صاحبى الجرة وبدأ يشرب ، وقبل أن ينتهى من شربه أمسكت الفتاة بالجرة وأزالتها عن فمه ، فدمدم محتجاً وقال : دعينى أشرب ، إننى سأدفع ثمن الماء !

وابتسمت الفتاة مرة ثانية وقالت فى شىء من المرارة والأسف :

— كم يخطئ الناس الحكم ! إننى لم أضن عليك بالماء ،

(١) هذه من استعارات العامة ، ولا أرى بأساً فى استعمالها

ولكن لعلك لا تعلم أن الإسراف فى الشرب فى مثل حالتك من العطش الشديد يأتى بأوخم العواقب ... هيا يا أخى اشرب (وأشارت إلى) ، ولكن يحسن أن ترش يديك ووجهك بقليل من الماء قبل الشرب : إننى لم أكن أعلم أنكما بهذا القدار من العطش وإلا لما سمحت لصاحبك أن يشرب قبل أن يغسل يديه ووجهه ...

وبعد أن ارتوينا وغسلنا أيدينا ووجوهنا طلبت إلى الفتاة أن تجلس وتستريح ، فاعتذرت بأدب ولطف وقالت : إن أخوىّ الصغيرين فى مثل حالكما من العطش . فأرجو أن تسمحا لى بالرجوع لأملأ الجرة وأعود إليهما

فقلت بأسف : يؤلمنا أن نكون قد شربنا الماء الذى كان يجب أن يبرّد عطش أخويك فلا تضطرين إلى الرجوع ومضاعفة الأمد الذى سيرتوى عنده أخواك

فأجابت الفتاة : لا بأس ، إن أبناء الصحراء أكثر احتمالاً للعطش من أبناء المدينة ولو كانوا صغاراً كأخوىّ

وهنا سأل صاحبى وهو يدارى أن تقع عين الفتاة فى عينه : ولكن كيف عرفت أننا على هذا الحال من العطش فحدت عن الطريق وأتيت تسقيننا ؟

فأجابت الفتاة ببساطة : سمعتك تتمنّى لو تتاح لك شربة من جرتى فجئت !

فقال صاحبى بجزع ظاهر : أو سمعتِ ما قلته إذاً ؟ فأجابت : نعم ، سمعته . فقال : أسمعته كلّه ؟ فردّت : نعم ، كلّه . فقال : وكيف جئتِ إذاً ؟ ! فحدجته الفتاة بنظرة قاسية ولم تجب . وعندها أدخل صاحبى يده فى جيبه وأخرجها ثم مدها إلى الفتاة . وعندها نظرت الفتاة إلىّ وفى عينيها دموع وقالت : ألا سامحكما الله . ثم حيت وانصرفت

***

كان إحساساً أليماً حقاً ، شعرنا عنده أننا صغرنا وصغرنا إلى حد الضؤولة . وقلت لصاحبى : لقد كنت قاسياً أشد القسوة

فأجاب : أتقول إننى كنت قاسياً ؟ لم لا تقول إننى لم أكن إنساناً ؟ لعلك تستحيى أن تقولها !

وعدنا إلى الصمت ، وفى صدر كل منا نشيج من المواطف الفائرة والأحاسيس المتهدّجة الثائرة . ولم نر بدًّا من ترك المكان فى الحال ، فقد غدا فى نظرى بقعة قبيحة أشد ما يكون القبح . مؤلمة أشد ما يكون الألم . وظللت - فيما بعد - كلما سرت فى ذلك الطريق أشيح عنه بوجهى كما يشيح كل إنسان عن الموطن الذى حدثت له فيه حوادث مؤلمة مخزية

عدنا أدراجنا ، وأحببت أن أصرف صاحبى عن التفكير المؤلم فيما جرى له فسألته : متى تبدأ الامتحانات الفصلية ؟

فأجاب فى شبه ذهول : إنما نحن العبيد وهم الأحرار !

فقلت مستغرباً : من تعنى ؟

فأجاب : هؤلاء السود الذين نسميهم زنوجاً وعبيداً

فأدركت أن صاحبى لن يتحوّل عن التفكير فى الفتاة وما أساء إليها إلا متى شعر أنه نال من إيلام نفسه مثل ما نال من إيلام الفتاة . وعاد يقول :

تباً لهذه المتقدات التقليدية التى نتلقاها من بطون الكتب وأفواه الناس فى الحكم على الأجناس . لقد تآمرت الكتب والخطب والصحف والأحاديث وكل وسيلة من وسائل الإيحاء على أن هذا الجنس الأسود جنس منحط وأن خلاص البشرية ، إن قُدِّر لها الخلاص ، لن يجيء إلا عن طريق الرجل الأبيض وما فى رأسه من علم وصدره من أريحية وأعماله من نبل وتضحية! لقد أوحى إلينا بذلك إيحاء مستمراً حتى حسبناه من القضايا التى لا تناقش ولا يطولها باطل ، وحتى غدا سواد البشرة عندنا مقروناً بظلام الباطن وحلوكة النفس وفساد السريرة

فقلت وقد أعدانى صاحبى بحماسته :

— إن أجساماً تمتص النور ، كما تمتصه أجسام هؤلاء السود لا يمكن أن تضم نفوساً مظلمة . إنه حيث ينفذ النور تذهب الظلمة . لقد أخطأوا خطأً فاحشاً فيما سموا أفريقيا القارة السوداء ، لقد كان الأولى والأصوب أن يدعوها القارة البيضاء قارة الشمس والنور . فهل يعودون يوماً إلى الحق ويعطونها اسمها الحقيقى ؟ إن فى الآفاق البعيدة والقريبة ما يكاد يشير إلى ذلك

فقال صاحبى بغبطة : صدقت ، لا ظلام حيث ينفذ النور ولتكن كنية صاحبتنا وجنسها عندنا من الآن « أصحاب النور »

وأدركت أن قد سُرِّى عن صاحبى وزال أكثر ما كان يحزّ فى صدره من ألم ، فودعته وانصرف هو إلى منزله وعدت أنا إلى منزلى وقد نقشت الحادثة فى صدرى نقشاً لم تزله سبع سنوات كاملات مرت عليها

أديب عباسى

كتاب البخلاء

الطبعة الدمشقية بعد الطبعة المصرية

للأستاذ عبد القادر المغربي

جاءنى كتاب من بعض الفضلاء يقول فيه : إنه بعد أن قرأ فى (الرسالة) ما كتبه الأستاذ « محمود مصطفى » فى نقد الطبعة المصرية لكتاب البخلاء اطلع على طبعته الدمشقية التى صدرت حديثاً . فإذا هى تعلن عن نفسها بأن أعضاء المجمع العلمى الدمشقى حققوها ونشروها بالاشتراك مع مؤسسى (مكتب النشر العربى) بدمشق ولم يصرح المؤسسون بأسمائهم على الكتاب وإنما هم صرحوا بأسماء أعضاء المجمع واحداً واحداً ثم قال : « وقد رأيت فى تصحيحات هذه الطبعة الدمشقية ما لا تصح نسبته إلى المجمع، لذلك حاولت نقده ثم رأيت أن أتثبت فى الأمر من قبلكم أولا » .

فحفزنى قول هذا الفاضل إلى نشر كلمتى هذه فى (الرسالة) فتكون جواباً له ولكل من حاك فى نفسه مثل الذى حاك فى نفسه هو :

أنشأ السيد ظافر ابن العلامة الشيخ جمال القاسمى (رحمه الله) ورفاق له منذ بضع سنين بدمشق مكتباً لطبع الكتب ونشرها دعوه (مكتب النشر العربى) . وقد أحبوا أن يطبعوا (كتاب البخلاء) للجاحظ فرغبوا إلىّ أن أعدهم بالمشاركة فى تصحيحه مع من وعدهم بذلك من أعضاء المجمع العلمى . فاعتذرت عن المشاركة فى مباشرة التصحيح . وإنما أنا أقدم إليهم نسختى المطبوعة التى كنت طالعتها منذ سنين، وعلقت تصحيحاً على بعض أغلاطها . وقلت لهم استعينوا على طبع نسختكم بما فى نسختى من هذه التصحيحات ، فقبلوا شاكرين

ثم انقضت سنتان لم أجتمع بهم خلالها لأنظر فى كيفية تصدير النسخة المراد طبعها وفى طريقة ذكر اسمى فى ذلك التصدير

وإذا هم أخيراً يهدون إلىّ نسختهم الجديدة . وإذا على غلافها الظاهر (أن مكتب النشر حققها ونشرها بمشاركة لجنة من أعضاء المجمع) وعكسوا فى الغلاف الباطن فكتبوا عليه (عبد القادر المغربى وفلان وفلان من أعضاء المجمع حققوا ونشروا هذه النسخة بالاشتراك مع مكتب النشر) . ثم قالوا فى مقدمة الكتاب ما نصه :

« لم نجد بداً من أن نفزع إلى علماء العربية بدمشق نسألهم المونة ونشركهم بالمسؤولية فلبّى دعوتنا نفر منهم »

هذا ما قاله مكتب النشر العربى فى هذا الشأن . أما أنا فلا أعلم أن فى دمشق لجنة ألفها مجمعنا العلمى أو مرجع آخر من اختصاصه تأليف اللجان لأجل تصحيح كتاب البخلاء . ولا أعلم أننى عضو فى لجنة ألفت لهذا الغرض . ولا أعلم أننى جلست مع مصححى الكتاب أو واحد منهم جلسة واحدة تبادلنا الرأى فى تصحيح غلطة واحدة منه . ولا أعلم من نفسى أنها ترضى أن تكون مسؤولة أمام (تاريخ الأدب العربى) عما يقع فى هذه الطبعة الدمشقية من الأغلاط بمجرد مساعدتى لمكتب النشر فى تقديمى له نسخة مطبوعة كنت منذ سنين صححت بعض أغلاطها تصحيح مطالع لا تصحيح ناشر طابع . بل لا أعد نفسى مسؤولاً عن تصحيحات نسختى نفسها ما دامت لم تعرض علىّ للتثبت منها ولم أطلع على شىء من (بروفاتها) قبل طبعها . ومن الغريب أنه وقع نظرى على عبارة فى نسختى المذكورة قلت فى التعليق عليها : (إن وصلية) وإذا مكانها فى النسخة المطبوعة (إن شرطية) !

وكل ما أعلمه أننى أعطيت نسختى إلى شبان (مكتب النشر) لتصحيح نسختهم عليها بشرط أن تكون تصحيحاتى صواباً فى نظر إخوانى الآخرين الذين سيتولون بأنفسهم أمر التصحيح والتحقيق ...

كما أن كل ما كنت أتوقعه من حضرات الناشرين الحقيقيين أن تسمح نفوسهم بالإشارة إلى هذا فى مقدمة طبعتهم الجديدة . ولم يدر فى خلدى قط أن تسمح نفوسهم بجعلى شريكاً لهم فى مقاساة عناء تصحيح الكتاب ، وفى تحمل متاعب نشره . وزادوا فى السماح فجعلونى مسؤولاً عن الأغلاط التى تقع فيه !

وقد كنت أرجو أن ينصفونى بذكر نوع مساعدتى لهم ، وتحديد مقدارها . كما أنصفوا زميلى الأستاذ (النعسانى) مذ صرحوا فى آخر الكتاب بأنه انقطع عن الاشتراك فى التحقيق

عودة إلى الشيخ الخالدى

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

حدثت قراء « الرسالة » قبلاً عن الشيخ الجليل العلامة خليل الخالدى ، وذكرت طرفاً من علمه بالكتب العربية ومؤلفيها ومواضعها من دور الكتب فى البلاد الإسلامية كلها وفى أسبانيا

وقد سعدت بلقاء الشيخ مراراً من بعد فى مصر والشام ووجدت معرفته بآثار دمشق مساجدها ومدارسها ومزاراتها ليست دون علمه بالكتب والمؤلفين

وقد شرّف الشيخ حلوان منذ حين فساق الحديث إلى الكتب فأفاد وأمتع . فجنيت من حديثه هذه الثمرات :

قال إنى فى حيرة من أمر هذا الشريف الإدريسى مؤلف نزهة المشتاق . أعجب من رجل شريف يدخل فى خدمة ملك صقلية والحروب الصليبية مستعرة ، ويكتب للافرنج عن البلاد الإسلامية فيصف لهم ثروتها وطرقها ومياهها ، ويقول عن كنيسة المسيح : القبة الشريفة ، وعن صخرة بيت المقدس : الصخرة التى يعتقد فيها المسلمون

ولولا أنى قرأت هذا الكلام فى نسخة صحيحة نقلت عن نسخة بخط المؤلف وكانت فى خزائن الوحدين — وهى اليوم فى كتب السلطان محمود فى استانبول — ما آخذت الرجل بهذا الكلام خشية أن يكون ربيتاً منه

والإدريسى فى كتابه عالة على الإصطخرى وابن خرداذبة ، والهمذانى ، وابن حوقل ، وابن واضح

ومررنا فى شعاب الحديث حتى ذكرنا ابن الأثير صاحب المثل السائر فقال : أديب كبير ولكنه ليس ثقة — والشيخ ينقد المؤلفين على طريقة المحدثين — قال : وقد طعن فيه الوزير القفطى وهو وزير عالم ثبت ، ومن المؤلفين غير الثقات الفتح ابن خاقان صاحب قلائد العقبان . طعن فى ابن باّجة بغير حق ، وابن باّجة من أجل علماء الأندلس وفلاسفته ، وكان الفتح رجلاً يعيش فى الحانات ، وقد جلده القاضى عياض فى الخمر ؛ وقد مدح هو عياضاً قليلاً خوفاً منه

وعياض عالم كبير له كتاب المشارق الذى أثنى عليه ابن الصلاح فى أبيات منها :

مشارق أنوار تجلّت بسبتة وذا عجب كون المشارق فى الغرب

قلت : كان ابن الأثير معجباً بنفسه ولكن أدبه يشفع لهذا الإعجاب عندى

قال : ومن العلماء المعجَبين بأنفسهم الأتقانى الفقيه مؤلف غاية البيان شرح الهداية ، وله شروح على أصول الأخصيكثى . ومنهم الصغناقى، وله شرح على أصول فخر الإسلام البزدوى وعلى الجامع الكبير . ومنهم عصام الدين وكتبه معروفة ولا سيما فى بلاد الترك ، ولعل سبب هذا أن حفيده قدم إلى استنبول وأقام بها . وقد أهدى عصام الدين إلى السلطان سليمان القانونى حاشيته على تفسير البيضاوى المسماة « أنوار التنزيل »

وقد رأيت فى مكتبة بنى قرمان فى قونية خط الأتقانى على كتاب الأصول للدبوسى، وهو نسخة قديمة كتبت سنة ٤٧٥ ، ومن هذا الكتاب نسخة بخط الأتقانى فى استنبول . ورأيت فى هذه المكتبة من نفائس الكتب كتاب غريب الحديث لابن قتيبة الدينورى ، ما رأيته قط إلا فيها . والجزء الرابع من البخارى عليه خط الحافظ أبى الوقت السّجزى ، وإليه وإلى أبى زيد المروزى تنتهى روايات البخارى

ورأيت فى مكتبة جلال الدين الرومى فى قونية كتاب التمهيد لعبد الشكور السالمىّ فى العقائد ، وهو إمام كالماتريدى ونجم الدين النسفى . ورأيت فى مكتبة صدر الدين القونوى كتاب الفتوحات المكية بخط المؤلف فى سبعة وثلاثين جزءاً ، وفوائد ابن حبّان فى الحديث بخط ابن العربى ، ونصوص الحكم بخط صدر الدين . ورأيت هناك كتاب روح القدس لابن العربى عليه سماعات بخطه

من بعد الصفحة الرابعة والستين. فيكون المنى أننى أنا ورفاقى بقينا عاكفين على التحقيق إلى النهاية

لو أنصفونى كما قلت لكفونى مؤونة كتابة هذا التعليق الذى اضطررت إلى نشره فى (الرسالة) خدمة للأدب العربى وتاريخه ومؤلفاته ، وتفادياً من أن يقوم (محمود مصطفى نان) فيناقش الطبعة الدمشقية الحساب . ويحملنى تبعة أغلاطها من الباب إلى المحراب

(دمشق) المغربى

وكتباً أخرى عليها خطه ، منها الأحكام الكبرى والصغرى لعبد الحق الأشبيلي وهما في فقه الحديث ، وقد أهداه محيي الدين للصدر القونوي . ورأيت فيها تفسير ابن برّجان الأندلسي .

ورأيت من مؤلفات الصدر الأجوبة النصيرية كتبها إجابة لخمسين سؤالاً سأله عنها نصير الدين الطوسي ، وهي تشهد بتمكن الصدر من العلوم والفلسفة

ورأيت في مكتبة السلطان سليم في قونية كتاب ابن ولاد بخط أحد علماء صقلّية كتب سنة ٣٠٨ . اه

وعرضت على الشيخ العلاّمة نسخة عنـدي من كتاب المثنوي عليها أبيات كتب تحتها أنها بخط عبد الرحمن الجامي . فقال : لا شك أن هذا خط الجامي، أنا أعرف خطه ، رأيته على كتب كثيرة وخطه جيّد . ومن العلماء حسني الخطّ الخيـالي صاحب حاشية العقائد ، وملاّ خسرو صاحب الدرر . وقد رأيت له كتاب المرآة في الأصول بخطه ، وعضدُ الدين ، والنووي ، وقد رأيت قطعة من شرح البخاري بخطه . وأنا أقلد خط النووي

ومن أحسن الناس خطاً الحافظ الصـدفي المرسي مُسند الأندلس على الإطلاق ، وابن عاصم صاحب العاصمية التي كان يحكم بها عامة قضاة الأندلس والمغرب .

ثم انساق الحديث إلى الملك المعظم الأموي فقال إنه كان أعلم بني أيوب له شرح على الجامع الكبير كان أعلم من صلاح الدين مع مكانة صلاح الدين في العلم ، وإنه كان يعد في درجة النووي أو فوقه . يقال إنه كان يحفظ التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي في فقه الشافعي . وأبو اسحاق شيخ مذهب الشافعية في العراق وإمام الحرمين شيخه في خراسان

وكان المعظم يُجل ابن قدامة ويقوم له إن أدخل عليه وما كان يقوم لسيف الدين الأموي صاحب الأحكام لاشتغاله بالفلسفة ، وكان من درجة فخر الدين الرازي — ثم قال :

وكان الفخر ذا مكانة عظيمة عند خوارزم شاه وبسببه رحل بها، الدين والد جلال الدين الرومي عن خراسان

قلت : أرأيت لابن تيمية طعناً في جلال الدين ؟ قال : نعم طعن فيه وفي الفخر وقال لو أدركت الفخر لضربته بهذا القضيب

قلت : قال ابن بطوطة إنه حضر ابن تيمية في دمشق وهو على المنبر يتكلم في نزول الله تعالى إلى السماء وقال : نزل كنزولي هـذا (ونزل درجة من المنبر) .

قال : إن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية . والتحريف في الكتب كثير ولا يعوّل التثبّت إلا على النسخ الصحيحة . إن أكمل الدين البابردي وعليّا القاريء شرحا الفقه الأكبر لأبي حنيفة . واعتمدا على نسخة محرّفة جاء فيها : « وأبواه صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر » . والعبارة الصحيحة : « ماتا على الفطرة » . والبابردي هذا شيخ السيد الشريف الجرجاني وتلميذ شمس الأئمة الأصفهاني الذي يقول بجواز الدور والتسلسل في الأمور العقلية

وكثيراً ما يقع العلماء في الأوهام . ألا ترى صاحب الكشاف كيف يروي خرافات إرَم ذات العماد ؟ ...

ثم قال : إن الزمخشري أكثر الأخذ من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وكتاب الزجّاج في القراءات ومن تهذيب الأزهري وقد عكف عليه ثماني سنين في مدينة مرو ، ومنه أخذ كتابه الفائق ولم يصرح بهذا

ثم تكلم الشيخ على المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء، وذكر الطحاوي من فقهاء الحنفية وأثنى عليـه كثيراً وقال : إن قبر الطحاوي في القرافة وعليه قبة . وذكر قاضيخان وقال : رأيت إجازة بخطه دلت على ضعفه في العربية . ثم ذكر من المتأخرين ابن نجيم صاحب البحر وتلميذه الحصكفي والشرنبلالي تلميذ الحصكفي وقال: إن سبب شهرتهم أن قضاة العسكر كانوا يستفتونهم كثيراً ، وكان خاتمة هؤلاء المفتين الرملي صاحب الفتاوى

ثم تكلم عن كتب المتقدمين فذكر شرح القدوري ؛ قال : رأيت نسخة منه عليها خط الحصكفي . وتكلم عن كتاب المبسوط لمحمد بن الحسن صـاحب أبي حنيفة وقال : هو ثلاث روايات : رواية أبي بكر خواهر زاده ويسمى المبسوط البكري ، ورواية الجوزجاني ورواية الحلواني . قال : وأما مبسوط السرخسي فهو شرح كافي الحاكم الشهيد الجامع لكتب محمد بن الحسن . قلت : يقال إن السرخسي أملى المبسوط وهو في السجن . قال : الذي أعرفه أن السرخسي ألف كتاب الأصول في قلعة أوزجَند ، وقد رأيت نسخة منه بخط العلامة الكردلي شيخ البزاز أولها : قال السرخسي في زاوية من حصار أوزجند . اهـ

« للكلام صلة » عبد الوهاب عزام

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

يقول الأستاذ : « وقد يداخل (الفرزدق) في كلامه ويماظل في تراكيبه ، ويقدم ويؤخر ويتجوز في استعمال الوحشي والغريب والإقواء ، وما هو أشبه باللحن ؛ وذلك لثقته بنفسه واعتماده على سليقته ولقساوة في طبعه . قال كردين : (سقطُ الفرزدق شيء يمتحن الرجال فيه عقولهم حتى يستخرجوه) . سمعه ابن أبي إسحق الحضرمي مرة ينشد :

وعضُّ زمان يا ابن مروان لم يدع — من المال إلا مسحتا أو مجلف

فقال له ابن أبي إسحق : « على أي شيء ترفع أو مجلف ؟ قال : على ما يسوءك وينوءك[1] ... »

والبيت (المجلف) من شواهد الكشاف في مكانين : « فشربوا منه إلا قليلاً منهم . وقرأ أُبيّ والأعمش إلا قليل بالرفع ، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً ، وهو باب جليل من علم العربية ؛ فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ، ونحوه قول الفرزدق (لم يدع من المال إلا مسحت[2] أو مجلف) كأنه قال : « لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف » وقال في سورة طه : « قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز ، والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ، ومنه قول الفرزدق (إلا مسحتا أو مجلف) في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه ... »

(١) أصله من المثل : (ترك ما يسوءه وينوءه) قال الميداني : « كان المحبوبي ذا يسار فلما حضرته الوفاة أراد أن يوصي فقيل له : ما نكتب ؟ فقال : اكتبوا : ترك فلان يعني نفسه ما يسوءه وينوءه ما لا يأ كله ورثته ويبقى عليه وزره » أراد يسوءه وينيئه أي يثقله وقال ينوءه لأجل يسوءه قال الصحاح : ليزدوج الكلام كما يقال إني لآتيه الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على غدايا

(٢) يروى مسحت بالرفع والنصب

وفي (الخصائص) : « قولهم ودع الشيء يدع إذا سكن فاتدع متبوع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع — من المال إلا مسحت أو مجلف

فمعنى لم يدع بكسر الدال لم يثبت ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه وتقديره لم يدع فيه ، وهذا أمر ظاهر »

وأورد الأستاذ أمثلة مما أشار إليه كردين ، وشغلت به الأئمة في القديم ، وقد اجتزأنا نحن من تلك الدواهي بواحدة ...

* * *

الفرزدق هو — كما قال الأستاذ — في « صحة اللغة وفصاحة الأسلوب » وقد رويت القول من قبل . وأشعار أبي فراس مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ ، وأبياته في المصنفات اللغوية هي من أوائل الشواهد . فلو رجع إليها الفاضل عبد الله الصاوي الذي (عني بجمع ديوان الفرزدق وطبعه والتعليق عليه) في شرح (الأوابد) في بيت الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم — وأوابدي بتنحل الأشعار

ما كان قال : « شبه القصائد بأوابد الوحش » . وأوابد الوحش نُفّرها ، ومثل هذا الشرح يذل البيت ويزيغ القارئ — فلو رجع إلى اللسان والأساس لوجد الأول يقول : « يقال للشوارد من القوافي أوابد . قال الفرزدق : لن تدركوا ... وقافية شرود عائرة سائرة في البلاد » ووجد الثاني يقول : « أوابد الشعر التي لا تُشاكل جودة قال الفرزدق : لن تدركوا ... » وفي الصحاح : « يقال للشوارد من القوافي أوابد قال الفرزدق : لن تدركوا ... » وفي التاج : « الأوابد القوافي الشرد مجاز . قال الفرزدق : لن تدركوا ... »

ولو رجع العلامة اللغوي المشهور الشيخ إبرهيم اليازجي إلى كتب الأدب واللغة ما كان قال في مجلته (الضياء) السنة (٣) الصفحة ٤٨٥ — : « قال الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه — ليل يصيح بجانبيه نهارا

أراد بقوله يصيح صيغة المتعدي من قولهم انصاح القمر ، فنقل المعنى إلى النهار كما قال البديع : فلما انصاح النهار بجانب ليلي ، ثم

استعمل منه متعدياً بتجريده من الزيادة ، وهو غير منقول فى هذا المعنى »

فلو رجع الشيخ إلى (إعجاز القرآن) للباقلانى و (ديوان المعانى) للعسكرى و (حماسة البحترى) و (الأغانى) و (ثمار الأزهار) لابن منظور صاحب اللسان ، و (الكامل) للمبرد و (أساس البلاغة) و (لسان العرب) و (تاج العروس) لوجد فى هذه الكتب كلها رواية البيت الصحيحة :

والشيب ينهض فى السواد كأنه ... ليـــل يصيح بجانبيه نهار

ووجد فى اللسان والتاج هذه الفائدة : « ... عن أبى عبيدة أن جعفر بن سليمان قدم من عند المهدى فبعث إلى يونس بن حبيب فقال : إنى وأمير المؤمنين اختلفنا فى بيت الفرزدق وهو (والشيب) ما الليل والنهار ؟ فقال الليل هو الليل المعروف وكذلك النهار[١] فقال جعفر : زعم المهدى أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى . قال أبو عبيدة القول ما قال يونس؛ وأما الذى ذكره المهدى فهو معروف فى الغريب ولكن ليس هذا موضعه . قال ابن برّى : قد ذكر أهل المعانى أن المعنى على ما قال يونس وإن كان لم يفسره تفسيراً شافياً ، وإنه لما قال : (ليل يصيح بجانبيه نهار) فاستعار للنهار الصياح لأن النهار لما كان آخذاً فى الإقبال والإقدام، والليل آخذ فى الإدبار صار النهار كأنه هازم والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم. ألا ترى إلى قول الشماخ :

وألقتْ بأرجاء البسيطة ساطعاً ... من الصبح لما صاح بالليل نفّرا

فقال : « صاح بالليل حتى نفر وانهزم »

وبيت الفرزدق فى قصـــيدة مشهورة ناقض بها قصيدة لجرير مطلعها :

لولا الحيـاء لهاجنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

وفى قصيدة الفرزدق هذه الأبيات :

إن اللامة مثل ما بكرت به ... من تحت ليلتها عليك نوار

وتقول: كيف يميل مثلك للصبا ... وعليك من سمة الحليم عذار ؟!

والشيب ينهض فى السواد كأنه ... ليـل يصيح بجانبيه نهار[١]

إن الشباب لرابح من باعه ... والشيب ليس لبائعيــه تجار

فالفعل (يصيح) وماضيه (صاح) أى صات ، و (نهار) مرفوع فاعل يصيح . وللشيخ اليازجى عجائب فى نقد متقدمين وسنعود إلى تبيينها فى وقت

* * *

فى شعر الفرزدق ألفاظ كثيرة فاتت المعجمات التى نعرفها مثل اللسان والتاج وغيرهما . من ذلك (التظاليل والوُهون) وقد وردت الأولى فى قوله :

وهاجرة دوّية ما أقيلهـــا ... وظلماء من جرّا نوار سريتها

تظاليل حتى زال عنها أصيلها ... جعلنا عليها دوننا من ثيابنا

وجاءت الثانية فى قوله :

وحبْل الله حبلك من ينـله ... فما لعُرى إليه من انفصام

فإنى حامل رجلى ورحلى ... إليك على الوهون من العظام

والوهون من مصادر وهن وقد ذكروا الوهن بالسكون والحركة . وإنى لأستبعد قصده الوهون بفتح الواو بمعنى الضعيف

وفى العربية ألوف من الألفاظ الجاهلية والإسلامية لم تجلبها كتب اللغة . وقد بينت هذا الأمر المهم فى جريدة (البلاغ) المشهورة منذ خمسة أحوال فى مقال عنوانه : (العربية ، أحاديث فيها) حين أقمت فى القاهرة — قبل المرابطة فى هذا الثغر — وكنت أكتب (أحرر) فى تلك الجريدة

* * *

لما تقدم الغربيون ونجم فيهم العربانيون وأراد هؤلاء أن يخبروا الأمم العربية والإسلامية الخبرة البليغة ليخدموا دولاتهم فى سياساتها أو لمآرب أخرى ذهبوا إلى مثل (الفرزدق) يستنطقونه ويستهدونه ، والعالم العاقل لا يضل سبيله ، ولا يخطئ حين يختار دليله . وأعمال العربانيين فى هـذا المعنى ، شهرتها تغنى عن الإفاضة فيها[٢]

(١) روى اللسان البيت فى مكان آخر وجاءت فيه هذه الرواية : الليل ليلكم والنهار نهاركم هذا

(١) روى الكامل البيت ثم قال: فهذا أوضح معنى ، وأعرب لفظ ، وأقرب مأخذ

(٢) خبط عربانيين من خدام السياسة والتضليل المسمى عند المضللين بالتبشير فى مباحث كثيرة لهم ، لا يجرد القوم من فضيلة ذلك الاهتداء والاختيار

ولما كانت المدنية العربية وهمْ عمرو بن بحر (الجاحظ) وعلى بن عبيدة (الريحانى[١]) وعلى بن محمد (أبو حيان التوحيدى) وحبيب بن أوس الطائى (أبو تمام) والوليد بن عبيد (البحترى) واحمد بن الحسين الكندى (المتنبي) ونظراؤهم ، فلما عزم هؤلاء النابغون أن يحذقوا لغتهم ، ويرصنوا أدبهم ، بادروا إلى مدرسة (الفرزدق) ، وجثوا بين يديه ، وتأدبوا فى العربية عليه ، ومن صار إلى الينبوع العِدّ ذى النمير السلسال وكرع فيه ارتوى ، ومن سعى إلى منجم الألماس[٢] ومعدن الذهب رجع جذلان غنياً

وإني لموقن الإيقان التام أن الأمم العربية يوم ترتقى بعد ثلاث مئة سنة (إن شاء الله تعالى) ستحرث الجاهلية والإسلامية (الأموية) حرثاً ، وستأصلها علماً أصلاً فلا تذر لفظة من ألفاظها — وإنها لكثيرة — شردت عن أصحاب المعجمات إلا اصطادتها ، ولاخبراً مستعجماً إلا ابتحثته ووضحته ، ولاديواناً لكبير وصغير من الشعراء والشواعر إلا أظهرته . وستكرم دواوين لؤمت طبعاتها ، وسوّد التجار الفجار (أو السماسرة[٣]) وجوههم عند الله بتشويه صفحاتها .

وستفتن[٤] علماءذاك الزمان الآتى فى التأليف فى أدب الجاهلية والإسلامية افتتاناً . وسيفضُلون العربانيين والأئمة من العربيين السابقين (بذوق) حرّمه الله الأفرنجى المستعرب أى حرمان ، وبذرائع من الطباعة وغير الطباعة لم يحظ بها[١] العالم العربى من قبل . وسيفهم أولئك المرتقون المتقدمون من مثل قول المأمون : « خير الكلام ما شاكل الزمان » مالم يبد للمنتمين إلى الأدب العربى من المصريين ، والمفقحون يجتلون ما لا يبصره المصأصئون[٢]

* * *

لقد بعث الأستاذ المردى (همام بن غالب) فى هذا الوقت و (البعث) حق ، و (الرجعة) عند قوم

إنه اليوم فى القاهرة (الحاضرة اللغوية للأمم العربية) إنه الساعة فى دار (الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول) — رحمة الله على الملك العالم[٣] — وها هو ذا يخطب (الدكاترة) والأساتذة والتلامذة وهم حافون به . إنه ليهدِر بصوت ذى نَهيم كنهيم الأسد ، صيّت صَهصلقٍ ، وإنا لنسمعه يقول :

أنا همام بن غالب . أنا الفرزدق

أنا أستاذ (الخليل[٤]) و (الريحانى[٥]) وحبيب

وإنها العربية الجاهلية الإسلامية الأموية خادمة (الكتاب) والتى قد كونت هذا اللسان

إن الناطقين بالضاد فى كل زمان ومكان إلينا لمفتقرون

---

(١) كان أحد البلغاء الفصحاء ، وافر الأدب ، كثير الفضل ، مليح اللفظ ، حسن العبارة ، كاتبا بارعا ، يسلك فى تصنيفاته وتأليفاته طريق الحكمة ، وكان له اختصاص بالمأمون . من الناس من يفضله على الجاحظ فى البلاغة وحسن التأليف . اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمى العالم ثلاثة : الجاحظ وعلى بن عبيدة الريحانى وأبو زيد البلخى ، فنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو الريحانى، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد (الفهرست ، تاريخ بغداد ، إرشاد الأريب)

(٢) الهمزة واللام فيه أصليتان ، وصاحب القاموس يقول : (ولا تقل ألماس فانه لحن) وفى التاج : قال ابن الأثير أظن الهمزة واللام فيه أصليتين مثلهما فى إلياس وليست — يعني اللفظة — بعربية

(٣) فى (الفائق) : « قال قيس بن أبى غرزة (رضى الله عنه) . كنا نسمى السماسرة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتانا ونحن بالبقيع ، فسمانا باسم هو أحسن منه ، فقال : يا معشر التجار ، فاستمعنا إليه فقال: إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشوبوه بالصدقة » وطائفة من التجار لا تستأهل تلك التسمية النبوية الكريمة ، فسمهم بالأول

(٤) افتن مثل تفنن ، والافتنان مثل التفنن

---

(١) حظى بالشىء ظفر به . وقد أخطأ الشيخ اليازجى فى تخطئة ذلك وفى الجزء (٢٦٧) من الرسالة الغراء الأقوال الكافية والشافية في شأن هذا الفعل

(٢) من المجاز : فقحوا وصأصأتم أى أبصروا الحق ولم تبصروه . ففقح فتح عينيه ، وصأصأ الجرو : حرك عينيه ولما يفقح

(٣) مثلت ذات يوم — سنة ١٣٤٥ — بين يدى الملك العالم فؤاد، فرحب بعلم هذا الضعيف وأدبه أكرم ترحيب رضوان الله عليه، وقد أنجدني (السلامى) وقتئذ بعد التحية الاسلامية بقوله فى الملك عضد الدولة :

وبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا، ويوم هو الدهر

(٤) الخليل بن أحمد والخليل بن مردم

(٥) على الريحاني وأمين الريحانى

أنا همام بن غالب وزميلاى جرير بن عطية[١] وغياث بن غوث فالعلم كل العلم فى أن تعرفونا وتعرفوا الإسلاميين والجاهليين ، والجهل كل الجهل فى أن تنكرونا

أنا الفرزدق ! !

(تصفيق مشتد بدأ به الصديقان الأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام ، وتبعهما الأستاذ إبراهيم مصطفى وسائر الأساتذة والتلامذة)

(١) قال جرير حين نعى إليه الفرزدق :

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلت !
هو الوافد الميمون والراتق الثأى إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

وفى ديوان جرير :

لعمرى لقد أشجى تميما وهدها على نكبات الدهر موت الفرزدق !
عماد تميم كلها ولسانها وناطقها البذاخ فى كل منطق
تفتح أبواب الملوك لوجهه بغير حجاب دونه أو تملق
فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى

حيّا الله أديبنا الكبير الأستاذ المردى وبيّاه بما أحيا لنا (الفرزدق) فى هذا الزمان حتى يخطب فى (الجامعة) خطبته ، ويقول فى الجاهلية والإسلامية مقالته ، ويصدع بالحق . وقيلُ (الفرزدق) هو القيل :

إذا قالت حذامِ فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام[١]

* * *

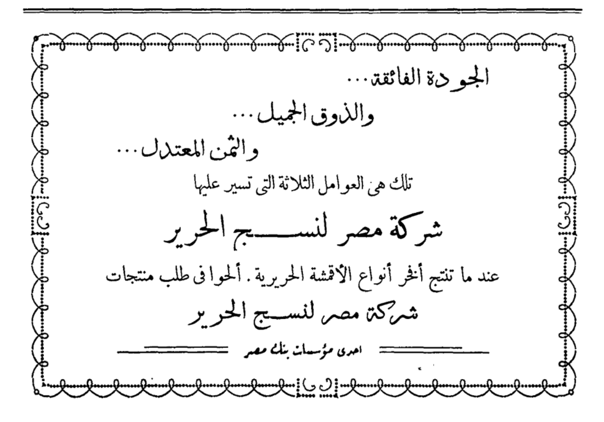
هذه كلمات اقتبست من فضل الأستاذ المردى ، وطاقات اجتنيت من روض أدبه ، أقدمها إليه إعجاباً وإجلالاً وتحية .

(الاسكندرية) (***)

* * *

فى الجزء (٣٢٠) : (إنى أرى يزيد عند شبابه) وهو إنى رأيت...)

(١) أنصته وأنصت له . وفى حديث طلحة : أنصتونى أنصتونى



أوراق مبعثرة . . .

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ها هي ذي نسمات الصيف تهوى إلى هذا الوادي الضاحك . . . قافزة كالفتاة اللعوب ؟ تلهو بين العشب وترف فوق الزهر ، وتتيه وراء النهر . . . ثم تناغيني ، فتهمس في أذني بحياء ، وتدغدغ وجهي بدلال . . . فأغمض عيني نشوان . . . فاذا بأوراقي تتبعثر . . . وبذكرياتي تهيج ! . . .

يا عجباً لهـذه الأوراق ! ! إن فيها نفحة الشباب المستعير والحب الطروب . . . ولكن ما أجدر بعضها بالقراءة . فان فيها كثيراً من تهاويل الفن ، وفرائد الشعر ، ونوادر الفكر ، وأهازيج الشعب ، وأضاحيك الناس . . . أيضاً . . . فلتجمعها « الرسالة » نعي روضة الأدب الزاهر . . . وقيثاره الناغم . . . وبحثه الشرود . . .

— ١ —

قرأت اليوم كتاب « طاغور » عن الشاعر ودينه . إنه يجنح إلى الدقة حتى ليصعب عليك فهمه ، ويميل أحايين إلى السهولة حتى ما تجد أحلى ولا أملى منه . إن له آراء طريفة . . . هو يرى أن دين الشاعر ليس كدين الناس « لأن دين الناس عقيدة تهون بها المعضلات . . . فينقلب فيها الشك إلى يقين ، والتمرد إلى إذعان » . أما دين الشاعر فرقيق رجراج لا يخضع لشيء ولا يُقيّـده شيء . هو كالفضاء الذي يحيط بالأرض تتلاعب في جنباته الظلال والأنوار ، ويبدو الهواء فيه كالراعي الجميل ينفخ في مزماره ويغني بين قطائع الغيوم . إنه لا يقودنا إلى هدف ولا يجرى بنا إلى غاية ، لأنه مطلق لا تحيط به الجدران فتقيّده؛ ولا الحدود الضيقة فتحدّده ؛ ولأنه واسع تتراءى لك فيه عوالم بعيدة وقريبة ، تسمع منها زفرات اليائسين ، وأنين البائسين ، وأغاريد العصافير ؛ وتحس بها لغب العاملين ، وحمّى الضعفاء ، واضطراب الوالهين ؛ وتستنشق عطر الورد وأريج الياسمين ، وترنو إلى دموع العذارى ، وعبرات الثكالى ، وحزن البنفسج ، ورفيف النـدى ، وضحك الربيع . استمع معي إلى هذا النشيد :

« أبريل يا أبريل . . . ! إضحك كالفتاة الخلوب . . . ثم اذرف الدمع مثلها ! »

« أبريل يا أبريل . . . ! يا من له أذناى ، غن كالحبيب عند ما تسمع أنيني وترى نحيبي ، ثم . . . ثم اضحك ضحكة فيها الذهب . . . وازرف الدمع المذوّب في الذهب ! . . . »

فماذا وجدت ؟ أليس هذا نوعاً من « الترف في الشعور ؟ » واستمع أيضاً إلى شاعر بنغالي قديم :

« استيقظت عند الصباح على خفق شراع القارب يا عروسي الجميلة ، فتركت الشاطئ لأتبع الموج الصارخ . . . ثم سألتك : هل آن يا فتاتي حصاد الأحلام في تلك الجزيرة النائمة وراء الأفق الأزرق الجميل . . . ؟ فسقط صمت ابتسامتك على سؤالي كما يسّاقط صمت الأشعة على الأمواج . . . وانقضى النهار مملوءاً بالأعاصير ، وهبت ريح عاتية دفعت بالقارب السكران إلى بعيد ، فسألتك : أفي هذه الربوع ، تحت رماد هذا النهار الميت . . . الذي ينطفئ على رود . . . شيّدت برج أحلامك ؟! فلم أسمع جواباً ؛ ولكن ومضت عيناك كما تمض حفافي الغمام تحت شمس الطّفل . وأقبل الليل . . . فغمرك الظلام ، وداعب الهواء شعرك ، وداعب شعرك خدي ففاح منك العطر ، وهاج مني الأسى ، وتاهت يداى تفتشان عن رفارف ثوبك ، وسألتك : أوراء النجوم جعلت يا عروس رحلتي قبرك الذي ستدفنين فيه بين الورد والزهر ؟ . . . هناك . . . حيث ينقلب صمتك إلى نغمات ، وحزنك إلى ضحكات . . . ؟! فرفّ ثغرك . . . في الظلام كما ترف نجمة الليل . . . وراء الضباب ! » فما هذه إلا نغمات حلوة تذهلنا عن الناس كلما طربنا لها وملأنا نفوسنا بها وهذا هو الشعر الجميل . . .

« دمشق » صلاح الدين المنجد

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الإسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

إصرفوا عنى طبيبى   واتركونى وحبيبى
جسدى راض بسقمى   وفؤادى بالنحيب
فاصرفوا عنى طبيبى

الشعر « لليلى المريضة فى العراق » ، وفيه لحن للجاحظ لم تدون نغمته

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال : إن « ليلى المريضة بالعراق » ليست إلا كناية عن الآداب العربية . فهى شخصية خيالية : كماريانا الفرنسية ، وجون بول الإنكليزى . وقد تملق بها فى كل جيل كبار أدبائه ، وإنما أمرضها كثرة العشاق .

قال : وقد كثرت هداياهم إليها ، وكان معظم الهدايا من الأدب الجاهلى ، وهو كما تعلمون ثقيل على المعدات الرقيقة ، فأصيبت بعسر الهضم ، وما يتلوه من ضعف الكبد ومرض السكر وسائر الأمراض التى تحدث عنها الأستاذ العقاد فى مقاله عن « مطاعم الأغنياء » .

قال : وكان ممن افتتنوا بها العلامة الجاحظ الذى كاد يشفيها بطبه الناجع ، وما طبه إلا العلاج بنبات الأرض التى نشأ فيها المريض، وبالإقامة مدة ما فى الجو الذى كانت فيه النشأة، فاستحدث لها من ملابسات الحياة الحاضرة إلى عهده أدباً غير مخزون ولا غريب فأبلَّت وكادت تعود إلى عهدها من النضارة والنضارة ، حتى ابتلاها الله بطبيب اسمه خلف الأحمر فأعاد لها هدايا الجاهلية ، وعاودها المرض من أجل ذلك . فلم تزل مريضة إلى اليوم .

قال : وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى دواء ناجع فاعتزمت الجامعة أن تنشئ فيها كرسياً للأدب المصرى ، وليلانا المريضة فى العراق مصرية بلا ريب . فأعددت لها دواء من أعشاب الحياة المصرية ، وبعثت إلى أخوالها فى بغداد أن يرسلوها .

قال : لكن الرسول الذى بعثت به إليها تطبب وكان كرسول المتنبى الذى يقول فيه :

مالنا كلنا جوٍ يا رسول   أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما قد بعثت طيفاً إليها   غار منى وخان فيما يقول

قال : وهذا الطيف المتطبب لما لقيها فى بغداد استبقاها هنالك وأهدى إليها هدية من الأدب الأندلسى . ففى ذلك تقول :

إصرفوا عنى طبيبى   واتركونى وحبيبى
جسدى راض بسقمى   وفؤادى بالنحيب
فاصرفوا عنى طبيبى

وهذا اللحن قديم ، كانت تقوله من عهد الجاحظ الأول ، وأعادته فى عهد الجاحظ الثانى ؛ وكل الفارق بين الجاحظين أن أحدهما ذو لون حائل ، وشق مائل ، ولعاب سائل ؛ وأن الثانى ذو يراع صائل ، ولسان جائل . . . وقد نسيت السجعة الثالثة !

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال : « هذا اللحن لليلى المريضة فى العراق ، ما فى ذلك شك ، وأنا الطبيب ، وأنا الحبيب ؛ وإنما أرادت صرفى من الباب لكى آتى من النافذة بعد قليل ، وهى القائلة على لسان عمر بن أبى ربيعة :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

ولكننى لا أنظر إلا إليها ، ولا أنظر إلا وعيناى مفتوحتان إلى أقصى حد تستطيعان . وماذا علىّ فى ذلك :

يقولون لا تنظر وتلك بلية   وما فتحت عيناى إلا لتنظرا

وفى الحق أنى أهديت إليها هدية من الأدب الأندلسى وهى موشح من موشحات الهجاء فيمن يتعرضون للأدب الجاهلى . وها أنذا أرشح نفسى لكرسى فى الجامعة للأدب الأندلسى بأن أسرف فى مدح الأدب الجاهلى . وماذا علىّ فى ذلك ؟ أليست الأندلس قد تأثرت بالأدب الجاهلى أكثر مما تأثرت به بقعة أخرى من بقاع العروبة؟ صحيح أن أهل الأندلس كانوا مزيجاً من البربر والأوربيين والعرب ؛ وصحيح أنهم كانوا يستقون أدبهم من خيالهم فى مناخ بعيد عن المناخ الجاهلى ، ولكن ، هل الأدب أدب لغة أم الأدب

أدب قوم ؟ هذه هى المسألة كما يقول الشيخ عبد العزيز البشرى نقلاً عن شكسبير ؟

اللغة الإنكليزية فى أمريكا قد طبعت العقلية الأمريكية بطابع انكليزى . من ذا الذى يشك فى ذلك ؟ ولكن هل يجرؤ أمريكى أن يقول إنه أمريكى ؟ أليس عليه أن يقول إنه انكليزى وانكليزى قبل كل شىء ، وانكليزى ثم لا شىء ؟ !

قال الدكتور زكى : ثم إن اللغة العربية لغة عالية ، والصفة العالية هى أبجدية الإنسانية . فلا يكون الإنسان وطنياً إلا وفيه من الصفات الإنسانية العالية الشىء الكثير . ثم تتفرع عن الصفات العالية الأبجدية فى حياتنا صفات القومية . فلماذا لا نقف عند الأبجدية ؟ ولماذا ندرس الأدب المصرى كفرع من فروع الأدب العربى ولا ندرس معه الأدب الأندلسى ؟

صحيح أن الأدب الأندلسى قد ضاع معظمه إحراقاً وإغراقاً ولكن لماذا لا ندرس الأدب الذى ضاع ؟ ألم أقل إن هناك نثراً جاهلياً ، وإن هذا النثر الجاهلى قد ضاع ، وإن علينا أن ندرس هذا النثر الجاهلى وإن كان قد ضاع ؟ ألا نستطيع دراسته على طريقة المتصوفة بالتسبيح بآلائه والاكتفاء عنه بأسمائه ؟

على أنى سألزمهم الحجة الدامغة . . . أليس الأدب المصرى هو العصر الثانى من الأدب الأندلسى ؟ ألم يبدأ الأدب المصرى بالأندلسيين الذين هاجروا إلى الأسكندرية ، وأقام أكبرهم شأناً فيها عشرين عاماً أنشأ فيها أولى المدارس الأدبية ؟ ألم يقرأوا شيئاً عن ابن زهر ومقامه فى الأسكندرية أميناً لمكتبتها فى نفس الوظيفة التى يشغلها الآن الشيخ بشير الشندى ، والتى شغلها السيوطى مدة من الزمن ؟

أوليس ابن زهر هو أستاذ ابن قلاقس وابن الحداد والوجيه ؟ ثم أليس ابن الحداد نفسه أندلسياً ... والمدارس الدينية كمدرسة أبى الحسن الشاذلى ومدرسة أبى العباس الرسى ومدرسة الشاطبى ؟ ألم يكن هذا كله هو الأساس الأندلسى الذى بنى عليه الأدب المصرى ، وشعراء الاسكندرية الناصرون ؟ أليسوا من نسل أندلسى ؟ أليس لقب أحدهم آخر شعراء بنى الأحمر ؟ وأنشد :

صوت

عجباً يا قوم قولوا عجباً   جحدوا الفن وخانوا الأدبا
جعلوا جِدّىَ فيهم لعبا   بلغوا الذروة فى الصيت وما
أنصفوا الآداب فى الأندلس
يا أبا العباس يا مرسى ويا   شاطبىُّ باركا نقـدى ويا
سيدى موسى بن ميمون ويا   أوليـاء الثغـر بالله أما
تسممون القدح فى الأندلس

قال : وسيدى موسى بن ميمون كان عالماً عربياً فى الأندلس، ثم صار الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية فى الاسكندرية . فكيف يبدأ أستاذ الأدب المصرى بتعليم الأدب المصرى قبل أن أنتهى أنا من تعليم الأدب الأندلسى !

حدثنا الأستاذ ساطع الحصرى بك قال: فيم يختصم هؤلاء ؟ أفى دواء لمريضة عندى ولن أبعث بها إليهم ؟ إن ليلى هنا وستظل ليلى هنا ، فلا دواء من الأدب الأندلسى ولا من الأدب المصرى ولكن من المركب العربى بمقادير ونسب . أما لهؤلاء المتخاصمين من ينشدهم شعر العقاد؟

صوت

ما فى يدى منه لا عين ولا أثر   ولى عليه مغاليق وأعيان

قال أبو الفرج : وقد انتهت الخصومة فى شأن كرسى الأدب المصرى وكرسى الأدب الأندلسى إلى صلح عقده الأستاذان المتخاصمان ، وأهم شرائطه أن يشتركا فى نشر كتاب الأطباء لابن أبى أصيبعة، ففيه سير الأطباء الشعراء من الأندلسيين الذين كانوا نواة للأدب المصرى فى القرن السادس الهجرى ثم يضيفانه إلى قائمة الكتب العشرة المختارة .

قال : ولقد نشأت عن هذه الخصومة ذيول تمت هى أيضاً زيادة القائمة زيادة عظيمة !

بارك الله فى هذه الخصومات، حتى تستمر أمثال هذه الزيادات

عبد اللطيف النشار

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٩٤ — أقبل على سوقك

دخل أبو العتاهية على ابنه محمد ، وقد تصوّف[١] فقال : ألم أكن قد نهيتك عن هذا ؟

فقال : وما عليك أن أتعوّد الخير ، وأنشأ عليه ؟

فقال : يابني ، يحتاج التصوف[٢] إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى . وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين . فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعود عليك . وكان بزازا

٤٩٥ — نزيل الجبال بالريش

قال ياقوت ، قال أبو الرملي : حضرت مجلس أبي القاسم المرتضى[٣] وأنا إذ ذاك صبيٌّ ، فدخل عليه بعض أكابر الديلم ، فتزحزح له ، وأجلسه معه على سريره ، وأقبل عليه مسائلاً، فساره الديلمي بشيء لم نعلم ما هو . فقال له متضجراً : نعم . وأخذ معه في كلام كأنه يدافعه . فنهض الديلمي ، فقال المرتضى بعد نهوضه : هؤلاء يريدون منّا أن نزيل الجبال بالريش ... وأقبل على من في مجلسه . فقال : أتدرون ما قال هذا الديلمي ؟ فقالوا : لا

فقال : قال : بين لي هل صح إسلام أبي بكر وعمر ؟ !

(١) تصوف : تنسك أو ادعاه (التاج)

(٢) الزمخشري وابن خلدون وصاحب التاج وغيرهم أقوال في اشتقاق التصوف والتصوف والصوفي ، والقشيري في رسالته يقول : « لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب » ومما قيل في التصوف — كما في التعريفات — : « بذل المجهود والأنس بالمعبود » وقيل : الاعراض عن الاعتراض . وقيل : خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف . وقيل : الأخذ بالحقائق ، والكلام بالدقائق ، والاياس مما في أيدي الخلائق

(٣) علي بن الطاهر من رجال الشيعة الامامية وهو أخو الرضي . قال ابن خلكان : كان إماما في علم الكلام والأدب والشعر

٥٩٦ — معوشكة ! ! !

في (تاريخ بغداد) : إشترى السري بن المغلّس السقطي كرّ[١] لوز بستين ديناراً ، وكتب في رُوزْنامجه[٢] : ثلاثة دنانير ربحه . فصار اللوز بتسعين ديناراً . فأتاه الدلال وقال : إن ذاك اللوز أريده . فقال له : خذه ! قال : بكم ؟ قال : بثلاثة وستين ديناراً . قال الدلال : إن اللوز قد صار الكر بتسعين . قال له : قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله . ليس[٣] أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إني عقدت بيني وبين الله ألا أغشّ مسلماً[٤] لست آخذه منك إلا بتسعين . فلا الدلال اشترى منه ، ولا السري باعه !

٥٩٧ — وشاهدي فيما ادعيت القمط والتمريخ

في (وفيات الأعيان) : كان المبارك بن أبي الفتح الملقب شرف الدين ، قد خرج من مسجد بجواره ليلاً ليجيء إلى داره . فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصداً فؤاده . فالتقى الضربة بعضده فجرحته جرحة متسعة . فأحضر في الحال المزين فخاطها ومرخها[٥] وقمطها[٦] باللفائف . فكتب إلى الملك المعظم (مظفر الدين صاحب اربل) يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات :

يا أيها الملك الذي سطواته ... من فعلها يتعجب المرِّيخ[٧]
آيات جودك محكمٌ تنزيلها ... لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو إليك (وما بُليت بمثلها) ... شنعاء ذكرُ حديثها تاريخُ
هي ليلةٌ فيها وُلدتُ وشاهدي ... فيما ادعيت القمط والتمريخُ

وهذا معنى بديع جداً .

(١) الكر (بالضم) والجمع أكرار : هو عند أهل العراق ستون قفيزاً وأربعون أردباً بحساب أهل مصر : اثنا عشر وسقا كل وسق ستون صاعا (التاج)

(٢) الروزنامج : تعريب روزنامه ، وهو ما يكتب فيه ما يجري كل يوم (الزمخشري)

(٣) اسمها ضمير الشان

(٤) أي لا أغش أحداً فانه لا يسوغ لمسلم أن يغش غير المسلم ومن أجاز لنفسه ما لا يجوز فقد عادي الاسلامية ، وإن حلت نحل لتحليلها غش غيرهم وإضرارهم فدين محمد لا يحلل

(٥) مرخ جسده ومرخه بتشديد الراء . دهنه بالمروخ (بفتح الميم) وهو ما يمرخ به البدن من دهن وغيره

(٦) (القمط) : شد كشد الصبي في المهد ، وفي غير المهد

(٧) المريخ : نجم من الخنس وهو بهرام

٥٩٨ — ورد تفتح فى فنن

قالوا : أحسن ما قيل فى الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شق الصفوف بسيفه وشفى حزازات الإحن
دامى الجراح ، كأنه وردٌ تفتح فى فنن

٥٩٩ — لقاء الله . . .

فى (طبقات الشافعية) : قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : سمعت أبا بكر بن فورك يقول : سئل الأستاذ أبو سهل محمد ابن سليمان الصعلوكى (شيخ عصره) عن جواز رؤية الله (تعالى) من طريق العقل . فقال : الدليل عليه شوق المؤمنين إلى لقائه ، والشوق إرادة مُفرطة ، والإرادة لا تتعلق بالمحال

فقال السائل : ومن الذى يشتاق إلى لقائه . . . ؟

فقال الأستاذ أبو سهل : يشتاق إليه كل حر مؤمن ، فأما من كان مثلك فلا يشتاق ...

٦٠٠ — الطيف . . .

فى (مفاتيح الغيب) : قال أبو على الحسن النورى : كنت فى بعض المواضع فرأيت زورقاً فيه دِنان مكتوب عليها : لطيف . فقلت للملاح : إيش هذا ؟ فقال : أنت صوفى فضولى ، وهذه خمور المعتضد . فقلت له : أعطنى ذلك المدرى[1] . فقال لغلامه : أعطه حتى نبصر إيش يعمل . فأخذت المدرى وصعدت الزورق فكنت أكسر دنّاً دنّا ، والملاح يصيح حتى بقى واحد فأمسكت فجاء صاحب السفينة فأخذنى وحملنى إلى المعتضد ، وكان سيفه قبل كلامه . فلما وقع بصره على قال: من أنت ؟ قلت : المحتسب . قال: من ولاك الحسبة[2] ؟ قلت : الذى ولاك الخلافة . قال : لم كسرت هذه الدنان ؟ قلت : شفقة عليك . قال : فلم أبقيت هذا الواحد . قلت : إنى لما كسرت هذه الدنان كسرتها حميةً فى دين الله . فلما وصلت إلى هذا أُعجبت بنفسى فأمسكت ولو بقيت كما كنت لكسرته . فقال : اخرج يا شيخ ، فقد وليتك الحسبة فقلت : كنت أفعله لله (تعالى) ، فلا أحب أن أكون شرطياً

٦٠١ — . . . لا يلزم باب السلطان

فى (مسالك الأبصار ومروج الذهب) : كتب على باب (النوبهار[1]) بالفارسية : قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال . ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ كُتِب تحت هذه الكتابة بالعربية : كذب سوراشف ؛ الواجب على الحرّ إذا كان معه واحدة من هذه الخصال ألاّ يلزمَ بابَ السلطان

---

(١) المدرى القرن ، فى (النهاية) المدري والمدراة شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه

(٢) الحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله (الأحكام السلطانية) والمحتسب له الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم (الحسبة فى الاسلام) وفى الكتابين تفصيل هذا العمل

(١) النوبهار : بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه ، وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك ، وكان ينصب على أعلاه شقاق الحرير الخضر (مروج الذهب)

بائعة «الكازوزة» الحسناء

للأستاذ على الجندى

تتردد على جسر الخديو إسماعيل وما جاوره من شواطئ النيل ، فتاة في زى القرويات سمعت من يدعوها « هند » يجلس بجوارها فى أغلب الأحيان رجل أحسبه يمت إليها بصلة القرابة ، ولعل مهمته الأولى أن يحرسها من ذئاب البشر الضارية

هذه الفتاة على حظ عظيم من جمال الفطرة البرىء من الصنعة . وقد اعتادت إذا مر بها المتنزهون فى ذهابهم وجيئهم أن تعرض عليهم بضاعتها فى بشاشة ورقة وأدب

وحدث أنى كنت أرتاد هذه البقعة متفرجا فى بعض الليالى المقمرة ، فررت بها مصادفة — مصادفة يا وزارة المعارف — فابتسمت لى وقالت بصوت يقطر لينا : تعال يا أمر (قمر) اشرب كازوزة . وقد منعنى ما أصطنعه من وقار المربين من تناول شرابها المشمشم بالثلج ، ولكننى استطعت أن أرد على التحية بأحسن منها !

وحاولت جاهداً أن أتخلص من تأثير كلمتها (يا أمر) فلم أستطع ! فقد خالطت منى اللحم والدم ، وفعلت بى فعل السحر ! كنت أظن — وبعض الظن إثم — أنى جاوزت مرحلة الشباب ، فأعادت لى هذه الكلمة الثقة بنفسى وقلبى ! وتركتنى ألتفت إلى الماضى أستحضر صوره المحببة ! ناثراً الدمع فى دمن الأنس العافية ، وأطلاله الدوارس !

ومخضوبةِ الأطراف ، مُخْطَفةِ الحشا
على الشطِّ تخطو فى دلال وفى خَفَرْ
يميس بها سُكْرُ الشباب فتنثنى
كغصنٍ زهته الريحُ أو شادنٍ خطَر
تكاد السباع[1] القمِيات حيالَه تخفُّ إليها صابيات مع البشر
جَلاها الجمال النضر فى ثوب فاقةٍ وما حاجة الغيد الغوانى إلى الحبر؟
وهل عابها أن تَعْدَم الوَشْىَ والحلَى
وقد أطلعت من وجهها بُلجة[2] السَّحر؟
إذا هتفتْ بالظامئين تهافتوا عليها كنحلٍ هاجها مونق الزهر
وما بهمو بردُ الشراب ، وإنما
نفوسٌ توافتْ من رداها على قدَر
إذا هى هشَّتْ للورود ، فإنها
— وإن نعمتْ بالرِّىِّ — لا تحمَدُ الصَّدَر
عفا الله عنهم ! إن شفَوْا غُلَّة الصَّدى
فمَن لجَوًى بين الجوانح يستَعِر ؟
ترى الشرب حول الوِرد شتَّى ، فلافظٌ
حُشاشته وجْداً ، وآخرُ ينتظِر
ومنْ صادرٍ عنه بمهجة والهٍ تكاد من الشوق المبرِّح تنفطر

* * *

مررتُ بها — كالطَّيف — أسترق الخطا
أحاذِرُ أنْ أصبو ، وهل ينفع الحذَر ؟
فما راع سمعى غيرُ صوت مُنَغَّمٍ
يُخالُ — لفرْطِ اللين — ترنيمةَ الوتَر
تقول — وبدرُ التِّمِّ فى الأفْق سافرٌ
يُفضِّض تبرَ النيل — : أيكما القمر ؟
هَلُمَّ إلى راح كطهورٍ تُديرُها
عليك رَداحٌ[1] زان أجفانَها الحوَر
ستشربها صِرْفاً ، وإن شئت مزْجها
فدونك صفْوَ الشهد من ثغرى العَطِر
تألفتِ اللذاتُ : ماءٌ وخُضْرةٌ
ووجهٌ كصبحٍ تحت جُنْحٍ من الشَّعَر
وهذا النسيم الرَّطْبُ ينفَح بالشَّذا
فيفعَل بالألباب ما يفعَل السَّكَر[2]
فخذْ بنصيب من هناءٍ مُعجَّلٍ فإن الليالى غيرُ مأمونة الغِيَر
فقلتُ لها : خلِّى التَّصابى لأهله
فما لِلمُربِّى فى جنَى الحسن من وطر
إليكِ ، فلى « بالضاد » شُغلٌ عن الصبا
وفى الدين عن وصل الكواعب مُزدجرْ
دعينى ، فمالى والهوى — قُتِلَ الهوى — !
ألم يكفِ ما حُمِّلتُ فى زمن غبَر ؟
أرِقتُ ونام الناس مِلءَ جفونهم
أبكِّى لظبى صدَّ ، أو جؤذرٍ نفَر
فمن ذاق منه الأعذبَيْن فإننى لقيتُ به التبريح والهم والسهر
فلا تنكئى قرحاً بقلب دملته[3] على لوعة حرى ، ووجد قد استتر
ألم تبصرى فودى تنفس صبحه وكان حبيباً — للدمى — ليله العكر

---

(١) المراد بها تماثيل السباع بالجسر والضمير في (حياله) للشط
(٢) إسفار الفجر

(١) سمين نصفها الأسفل (٢) نبيذ التمر (٣) طويته

وما ذاك مِن مَرّ السنين ، وإنما
لبستُ بياض الشيب فى مَيْعة العُمُر
جناه على رأسى زمانٌ مُذمَّم يشوب لنا صفو اللذائذ بالكدر
ربيع ولا خصب، وظل ولا ندًى وماء ولا رىٌّ ، وروض ولا ثمر
شقائىَ أنى بين قومٍ دُرّةٌ وقد خلقوا تعشى عيونهم الدرر
ولو أنهم هانوا علىَّ ، وتمثّمهم
على الأنف ، لكنْ مَن له شيمتى غفَر
أشيد لهم مجـداً ويأبى سِفاههم
سوى هدمه ! هل يستوى النفع والضرر؟
تَواصَوْا على أكلى — وفى لحى الردى —
وما فى التُّهى أن تُؤكلَ الحيّةُ الذكر

***

تولّى زمانُ اللهو « يا هند » فاعذرى
وأقصرَ عما كان من غَيّه « عُمَرْ »(١)
كفتنا — على بَرْح الجوى — منك نظرة
وفى دين أهل الشعر لا يَحْرُم النظر
سقى الغيثُ عهداً كم دعانى به الهوى
فلبيتُ ، لا أُعنى بمن لامَ ، أو عذَر
زمانَ فؤادى بالحسان مُوكّلٌ إليهن أسعى بالأصائل والبُكر
شفيعى إليهن الصبا ، ووسيلتى رقائقُ أشعارٍ يلين لها الحجر
مرابع غِزلان تمقَّت ، ولم تكن
سـوى مُتعة الآذان والقلب والبصر
نديمى بها « سُعْدَى » وريقتها الطلى(٢)
وروْحى وريحانى الأحاديث والسَّمَر
كأنّ فؤادى يُسْعَر الجرُ فوقهُ
— إذا عادت الذكرى — ويُوخز بالإبر

***

وحيّاك عنّا الله يا « هنـد » كلما
تخطرتِ بالشطّين ، فاستضحك النهَر
ودام لك الوجهُ الصبيح ، ولا ذَوَى
عليك شبابٌ من صِبا « الخلد » مختصر
نظمنا لك الشعر النضير قلادةً ترف على رمانتىْ غصنك النضر
إذا ظفرتْ حسناء منه بحلية فأضر أن يغرى بها البدو والحضر

على الجندى

(١) المراد به : ابن أبى ربيعة ، وهنـد يراد بها صاحبته أو صاحبتنا والتورية لطيفة هنا (٢) عصير العنب المطبوخ

ترنيمة الرياح ...

للأستاذ ميخائيل نعيمة

هلّلى ، هللى يا رياحْ وانسجى حول نوى وشاح
مِن خرير الغديرْ واهـتزاز الأثير
واختـلاج البير فى دموع الصباحْ
هلّلى ، هلّلى يا رياح !

طوّقينى بنور النجومْ وافتحى لى قصور الغيومْ
واتركينى هنـاك فَـوراء السماك
قد تحت مـلاك باسطاً لى الجناحْ
هلّلى ، هلّلى يا رياح !

ها أنا يا مـلاك النعيمْ يا رسـول الإله الرحيم
ما عساك تشـاء مِن تراب وماء
فيهما ألف داء ما لها مِن براحْ ؟
صفّقى ، صفقى يا رياح !

ما أنا يا ملاكى السعيـد غـير طيف شريد طريد
علّمَتْهُ الحنينْ عاديات السنين
فاستطاب الأنين واستـرقّ النواحْ
صفقى ، صفقى يا رياح !

أترَدّى رداء المنون وأداوى الأسى بالظنون
كل فكرى عناد كل قلبى سـواد
كل دربى قتـاد كل عيشى كفاحْ
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

كانَ لى فى قديم الزمان مرتع فى رياض الجنـان
بِمتُه بالوعـود هـل تراه يعود
لو نكثتُ العهود والتمستُ السماحْ
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

يا ملاكى ، ألا من مآب لطريد براه العـذاب ؟
إنْ يعزّ الرجوع أفَلاَ من هجوع
لغـريب الربوع يا ملاك الصلاح ؟
ولولى ، ولولى يا رياح !

قل ، لماذا اعتراكَ الذبول هل تراك نظيرى تجول
فى رحاب الفضـا نادباً ما مضى

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]



دراسات فى الفن :

... والفن زعامـــة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

هؤلاء جماعة من أبناء الصعيد العمال فى عمارة ، وهذان زعيمان متقدمان عليهم . أحدهما هذا الذى استجلبهم من الصعيد ووصلهم بهذا العمل الذى خبره ووقف على سره فهو مرشدهم فيه وقائدهم ، والآخر هذا الذى يغنى لهم أثناء العمل ما اشتد بهم العمل وما هان عليهم ؛ فهو أكثرهم شعوراً بوحشة الغربة ، وهو أشدهم شعوراً بوجوب الكفاح فى سبيل الرزق ، وهو أشدهم تفاؤلاً ورضا

طالبـــا عوضاً عن ديار الفلاح ؟
ولولى ، ولولى يا رياح !
عجبـــا بالدموع تجيبْ فإذن أنت مثلى غريب
أنت مثلى طـــريدْ هائم تستعيـــد
ذكر ماض بعيد كان حلماً وراح
هوّى ، هوّى يا رياح !
أنت مثلى ضللت الطريق فيكَ سرٌّ كسرِّى عميق
لا تنُحْ يا ملاكْ ما دهـــانى دهاك
إن نكن للهلاك فالهلاك ارتيـــاح
هوى ، هوّى يا رياح !
قم بنـــا فالرياح تكادْ تجعل الدمع منّا جمـــاد
وتمـــالَ نَنَمْ فى سرير النـــدمْ
علَّ شهر الظُّلَمْ فى المنـــام يزاحْ
أسكتى ، أسكتى يا رياح

ميخائيل نعيمة

بقضاء الله ، وهو أشدهم نزوعاً إلى التعبير عن هـذا كله ، وهو أقدرهم على هذا التعبير ، وأحلاهم فيه

فإذا وازنا بين زعامة المقاول ، وزعامة المنشد ، رأينا أن زعامة العيش تتستر وراء زعامة الروح والفن استحياء وتخاذلاً ماشبعت البطون ، وما جرت الأرزاق فى نهجها الطبيعى ، وما سار العمل على نمطه المرسوم . فهؤلاء الجماعة من العمال لا يذكرون أن لهم إماماً يتبعونه فى الحياة غير منشدهم إلا عند ما يطلبون الأجر أو العمل ، وهم فيما عدا ذلك هائمون وراء شاديهم الذى يغنيهم ، والذى يستدرج إلى نفوسهم ذكريات الماضى ، ويقرب منهـا آمال المستقبل .

وفى ساعة من الساعات يفيض الشادى بالسحر والحنان والبهجة ، فيرشف منها شعبه وينهل ، وإذا بجمهور آخر من أبناء الصعيد أيضاً كانوا يمرون فى فراغهم بهذا الحشد السكران ، فيتجمعون حول الشادين يشدون معهم ، لأنهم حنوا إلى الصعيد مثلهم ، واستوحشوا الغربة ، وذكروا الأحبة وهاجت فى نفوسهم الآمال ، وطاب لهم هـذا الترويح الذى وجدوه فأقبلوا عليه يستروحون . وإن منهم من يقف كالمسحور يهزه الطرب ولكنه يعجز عن ترديد ما يسمع .

وفى ساعة أخرى يمر بهؤلاء الشادين جماعة آخرون شادون ولهم هم أيضاً زعيم يغنى على ليلاه وأتباعه يرددون ؛ فإذا صادف الغناء الطارئ هوى عند الماكثين فهم أصدقاء وأحباء ، فإذا رأوا فى الغناء الطارئ تعريضاً بمفخرة من مفاخرهم فهى معركة حامية قد تذهب فيها الأرواح

هذه صورة بسيطة من صور الزعامة الفنية وهى من الصور القليلة التى لا تزال قريبـة من الطبيعة فى صدقها وانحصارها . وإن لها شبيهاً عند أبناء البلد من القاهريين ، فهم لا يزالون يقيمون حفلات الغناء فى مشاربهم العامة ، يقيم الحفلة منها مغنيان لكل منهما شعب يتبعه أينما حل ، فإما يجد ما يصبو إليه من

احترام وتوقير ، وإما يحمى زعامته وكرامته بالعمى ...

وثمة صور أخرى لهذه الزعامة التى تفرضها الطبيعة فرضاً ، والتى لم تستطع الحضارة معها إلا أن تممها فكان ذلك من حسناتها القلائل التى نجت من الصاحبات السيئات . من ذلك تلك الزعامات الفنية التى تقوم المطبعة والسيما والمسرح بالترويج لها ، وبالطواف بها فى بيئات العالم المختلفة . فأدوات النشر هذه تذيع آثاراً فنية بين الناس ، فتجد هذه الآثار الفنية من يطرب لها ، ومن يرى فيها ترديداً لشىء كان يجول فى نفسه ويريد أن ينفثه منها ، أو من يرى فيها شبيهاً لشىء رآه وأحسه ، ولكنه لم يستغرق فى تأمله ، أو من يرى فيها إمكان الحدوث على هذه الصورة من صور الجمال التى حققها له الفنان ... وهؤلاء جميعاً عند ما يرون هذا يشهدون للفنان الذى أسعدهم به أنه زعيم عليهم فيه ، فنهم من يتقرب إلى زعامته بفن فيه من روح فن الزعيم ويذهب مذهبه ، ومن هؤلاء من يأبى إلا أن ينافس الزعيم حتى يتزعم هو ، ومنهم من يرضى بالمتابعة ، وأكثر الناس يرضون بالمتعة يصيبونها عند الزعيم الأصيل وعند المتزعمين وراءه ، ومنهم من يهم الاهتمام الكبير بالمناوشات التى تدور حول الزعامة . بل إن منهم من يثيرها ويشعل نيرانها رغبة منه فى التلذذ بشهود الصراع الروحى الذى لا يكون من ثمرته إلا الرقى والذى لا ينبت على جوانبه الغل ولا الحقد إلا حيث يكون النقص والعجز

وتتسع الزعامة الفنية كثيرها من الزعامات كلما اتجهت إلى العموميات التى يشعر كل الناس بأن لهم صلة بها . فالأديب الذى يذكر الرحمة يجد فى الناس عدداً يطرب لذكرها أكثر من العدد الذى يجده أديب آخر يذكر منظراً خاصاً من مناظر الطبيعة لا يعرفه إلا القليلون من الناس هم الذين يعيشون عنده ، وهم الذين يطربون لذكره إذا جرى على لسان الأديب . ذلك أن الرحمة عاطفة تدركها النفوس الإنسانية جميعاً ، ولكن هذا المنظر الطبيعى الخاص لا يدركه إلا أهله فقط

وليس معنى هذا أن زعامة الفنان صاحب الجمهور الكبير أفضل من زعامة الفنان صاحب الجمهور الصغير . فقد يحدث أن يستشعر فنان بمشكلات تزحف نحو الإنسانية من بعيد فيراها ، ولا يراها معه من الناس أحد غيره ، وعند ما تمتلئ نفس هذا الفنان شعوراً بهذه البشائر أو النذر ، وعند ما يعبر عنها بفنه ، فإنه قليلاً ما يجد الناس الذين يتذوقون تعبيره ويوافقون عليه ويطمئنون إليه ، وإنما يغلب أن تثور عليه الجماهير ، ويغلب أن يتصدى له من زعماء الفن فى عصره من تقاعد بهم الحس فيزمونه بالعجز أو الخبل ، أو الالتواء أو شتى هذه التهم التى يتقاذف بها المتقاطعون الذين لا يتفاهمون ، والذين لا يريدون أن يتفاهموا . وكثيراً ما ينكمش الفنان السباق فى حنايا فنه وتلافيفه فيقضى ما يقضى من العمر وهو غريب عن عصره ، حتى إذا ولى عن الحياة ، وولى معه جيله وجاء بعده أناس قربتهم الحياة مما كان يراه ويتحدث عنه آمن هؤلاء به ، واستعادوا فنه واسترجعوه ، وأقاموه من أنفسهم فى مقامه الحق ... وجعلوه هو الزعيم ، فهم أحياء وزعيمهم ميت ... وفى هذا ما فيه من عدل الثأر الذى له عند آبائهم الذين أنكروه ، فهم كلما ذكروا زعيمهم وطلبوا له الرحمة لعنوا آباءهم لأنهم كانوا كافرين .

ويقابل هؤلاء الزعماء السباقين زعماء آخرون زعامتهم معكوسة فهم لا يقودون الجماهير ، وإنما يجرون وراء الجماهير ، وقد يجد هؤلاء من وفرة التابعين ما لا يجده الواثبون الصاعدون . وهؤلاء الزعماء الأذناب لونان ، منهم من تسوقه نفسه إلى استرضاء الجماعات لأنه يحب رضا الجماعات ولأنه بطبعه فرد من أفراد الجماعات لا يزيد عنهم حساً ، ولا يزيد عنهم قدرة على التعبير ، وإنما كل ما يميزه هو الجرأة على التعبير والانطلاق به . ومنهم من يتسقط هذا الرضا عند الجماعات ليتسقط معه الربح المادى والجاه والشهرة ، وهذا أدنأ من صاحبه وأقرب إلى التجارة منه إلى غيرها . فالفنان فى غير التجارة لا يعبأ « بالزبائن » ولا يحسب حساباً لأذواقهم . أما التاجر وحده فهو الذى يستقصى طبائع الأسواق مستعرفاً أى البضائع يروج فيها وأيها يبور

وليس هذا من طبع الزعامة فى شىء ، وإنما هو من ملق العبيد الذى تضيق عنه أخلاق الفن . وإنما أمانة الزعامة تقتضى الإرشاد والإصلاح والتحسين . فإذا كان الجمهور متردياً فى رذيلة من الرذائل فليس زعيماً ولا هادياً من لم ينقذه منه . وكما أن الجماهير تتردى فى رذائل خلقية ، وفى رذائل عقلية ، وفى رذائل اجتماعية ، فإنها تتردى كذلك فى رذائل حسية يجب على من يحمل لواء الزعامة الفنية فيها أن ينقذهم منها أو أن يحاول إنقاذهم على أقل تقدير ما دامت هذه الزعامة سبقاً فى الحس ، وسبقاً فى التعبير ... وإلا نهى

لا شيء ... أو هي تلك الأنانية الفنية الضيقة التي ليس لها شأن إلا بصاحبها فقط

أما الرذائل الخلقية والاجتماعية والعقلية فهي الأغلاط الإنسانية التي يعالجها أصحاب الفضيلة والإصلاح الاجتماعي والناهضون بالعقل المؤدي إلى العلم النافع ... وأما الرذائل الحسية فهي التي ينفضها الفنانون عن أنفسهم بالسليقة أو بالتدريب الحسي فيزيحونها كذلك عن نفوس الذين يتابعونهم في إحساسهم ويتلذذون عليهم فيه ، والذين يشابهونهم في طريق التعبير عنه . ومن أمثلة هذه الرذائل الحسية ما تعانيه البشرية اليوم من استمار التعصب للقومية المادية، فهو وإن كان مما تلزم إثارته عند الشعوب الضعيفة حفظاً لكيانها بين الشعوب القوية المتعصبة ؛ فإنه مما يجب أن يكافح وأن يقاوم بكل وسائل الكفاح والمقاومة عند الشعوب القوية، لأنه لا معنى له إلا الانحطاط بالمثل البشرية العليا ، إلى حيث تكون أدنأ المثل وأضيقها رحاباً وأقذرها أهدافاً .

والفنانون الذين ينتظرهم العالم اليوم لينقذوه من هذه الرذيلة هم الفنانون الذين يحسون القبح في هذا الإحساس ويشمئزون منه ويدعون إلى فض هذا النزاع المادي المتستر تحت قناع القومية ولا بد أن تبدأ دعوتهم بأن يشعروا شعوراً صادقاً بأن الإنسانية حين تقدمت بعقلها وعلمها في طريق الحضارة الماثلة الآن تلكأت أو انتكست في سمها الحسي ، فلم توازن بين هذا التقدم في الحضارة وبين ما كان يجب أن يصاحبه من الإحساس الذي يشمل البشرية كلها كما استطاعت الحضارة أن تربط أطراف العالم بعضها ببعض وأن تخلط الشعوب بعضها ببعض ، وأن تصل العقول بعضها ببعض ، بحيث أصبح الياباني يعرف كل ما يعرفه الإنجليزي من المعلومات ، وبحيث أصبح الأمريكي يقرأ ما يقرأه الاسترالي من الكتب وبحيث أصبح التركي يدرك ما يدركه النرويجي من الحقائق العلمية . . .

ولكن إحساس اليوناني لا يزال بعيداً كل البعد عن إحساس الإنجليزي ، وشعور الأمريكي لا يزال بعيداً كل البعد عن شعور الأسترالي ، والمثل العليا التي يجري التركي وراء تحقيقها لا تزال مختلفة كل الاختلاف عن تلك المثل العليا التي يسعى النرويجي إليها؛ وليس ذلك إلا لأن الفنون قصرت حيث نشطت العلوم ، ولأن إحساس البشرية تبلد حيث التهب عقلها . وما كان عقل البشرية ليهديها إلى الخير وحده ، فلا بد له من إحساس وأخلاق يسير في مصاحبتها إلى هدف الهدى

على أن هذا لا يصح أن يدفع اليأس إلى نفوسنا من صلاح الناس ، فإن بذرة النجاة موجودة ، وطريق السعادة ممهد قد رسمه الإسلام. وليس ينقص الإنسانية اليوم إلا فنانون مسلمون يضربون بالحاح على ذلك الوتر الشجي الذي عزف عليه القرآن أول مرة فرتل قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . فمتى شاع هذا الإحساس في الناس شاعت فيهم السعادة . وقد كاد هذا الإحساس يشيع لولا أن انقسم العرب على أنفسهم فأصبحوا مشارقة ومغاربة، ولولا أن استعصمت أوربا بتعصبها، فألحت في محاربة المسلمين الذين نزلوا الأندلس ومضت في الحرب إلى أوائل هذا القرن حتى احتل اللورد اللعين فلسطين فقال: اليوم فقط وضعت الحرب الصليبية أوزارها .

على أن الإنسانية قد بدأت تحس هذا الإحساس النبيل ، وإن كان يداخل نفسها في هدوء وفي بطء، وإن كان عقلها ولسانها لا يزالان ينكرانه . ولولا هذا الإحساس لاشتبكت الدول في الحرب منذ عام أو منذ عامين، ولكن هذا الإحساس هو الذي يكتف القادة من غير أهل الفن ، ويمنعهم من توريط أنفسهم باعلان الحرب لأنهم يكادون يكونون مؤمنين بأن الشعوب أصبحت لا تتناضب ولا تتقاتل جرياً وراء فكرة القومية المكذوبة ؛ ولأنهم أصبحوا يرون أن الأفراد اليوم يعتزون بحياتهم ، وبمتعة الدعة أكثر مما يعتزون بالرغيف .

وليست الشهادة الحرفية بتوحيد الله ، والاعتراف الحرفي برسالة محمد هي كل ما نطلبه ، وإنما نطلب لسعادة البشرية الإيمان بوحدانية الله إيماناً يتطرق إلى كل عمل وكل قول مما يعمل المؤمنون ويقولون ، والإيمان برسالة محمد إيماناً ينفي كل ما يراد به تفضيل طائفة من طوائف البشر ورفعها على الطوائف الأخرى ؛ فإن محمداً لم يكن يرى فضلاً لعربي على عجمي إلا بالتقوى

هذا هو الفن الجديد الذي تريده الإنسانية اليوم . وقد يجود به عليها مسلم ، وقد يجود به نصراني ، وقد يجود به يهودي ممن تتسع أذهانهم وتصفو نفوسهم فتحب إلى جانب المادة ما هو خير من المادة ، بل قد يجود به وثني مثل غاندي

وقد كان طبيعياً أن ينعقد اللواء للزعامات القومية فيما مضى وأن تصطبغ حتى الزعامات الفنية بألوانها فى أقتم درجاتها لأن البشرية لم تكن قد التحمت هذا الالتحام الذى تشابكت به اليوم؛ فلم يكن عجباً أن يكون زعيم القبيلة هو فارسها وهو شاعرها كما كان عنترة العبسى فى قومه مفخرة لهم، له اليد الطولى فى مجدهم الحربى ومجدهم الفنى أيضاً ... ولكن منذ بدأت الآفاق تتفتح أمام المجموعات البشرية حق عليها أن ينفتح إحساسها حتى يحيط بكل ما تضرب فيه الحياة وحتى يلم بكل ما يضطرب فيها

ولا ريب أن الإنسانية قد انتهت إلى هذا الآن، فقد قضت وقتاً طويلاً وهى تجرب هـذه الدعوات التى تهتف بالقوميات والعصبيات المادية فتبين لها أنها دعوات ضعيفة عاجزة متناقضة

أما ضيقها فتابع لضيق البيئات التى تصلح لانتشار كل منها، وأما عجزها فتابع لما تستدعيه من التنفير الذى ينفث الكراهية فى نفوس الناس فيرجم بعضهم بعضاً، وأما نفاقها فظاهر فى أتباعها كما أنه ظاهر فى ميوعتها وحيرتها وتناقضها مع نفسها، فقد كانت للإنجليز قومية يدعون إليها ويفخرون بها، وكان منهم من أسرع إلى أمريكا فاستوطنها ثم أبى أن يخضع لسلطان وطنه الأول فانقلب على قوميته وأنشأ مكانها قومية أخرى يحبها ويناضل فى سبيلها لأنها تتصل بالأرض التى يعيش عليها ويأكل منها، ولا أكثر. وهذا ما حدث للأسبان الذين نزلوا أمريكا الجنوبية فقد انقلبوا على أسبانيا أمهم الأولى؛ ثم انقلبوا على أنفسهم واستأثر كل جماعة منهم بقطعة من الأرض ... وهذا يثبت أن فكرة القومية والوطنية المادية ليست من الشرف فى مكان يعلو على المادة ويتسامى عليها، وما من شك فى أن « قومية الفكر » أو « قومية الفن » خير منها. ويتضح فضل الروحانية بمراقبة هذه القوميات المـادية عند ما يحتك بعضها ببعض فإننا نرى أن المادة والشغف بها يزيدان الصراع بين الناس استعاراً بينما المذاهب الروحية كلما توغلت فى نفوس الناس على أساس من الصحة والسلامة ومجاراة الطبيعة والبعد عن التكلف كان ذلك أدعى إلى تقارب البشر، وزيادة تفاهمهم وتعاونهم

فالفن إذن ليس زعامة فقط، وإنما هو أرق الزعامات

ليت الداعين إليه يزيدون فى الناس، وليت دعوتهم تذيع!

عزيز أحمد فهمى

حركة السـيرريالزم

للأستاذ رمسيس يونان

« يجب أن نحقق لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر ... » تروتسكى

يخطئ من يظن أن حركة السيرريالزم هى حركة أدبية أو فنية خالصة، وإن كانت تستخدم الشعر والقصة والرسم والسينما ... ويخطئ من يظن أنها حركة سياسية بحتة، وإن كان القائمون بها يدينون بمذهب سياسى معين. وليست هى أيضاً مزيجاً من الفن والسياسة، فقد صرح « أندريه بريتون » زعيم الحركة مراراً وتكراراً بأنه لا يوافق على أن يتخذ الفن وسيلة للدعاية السياسية. وقد فُصل « أراجون » من جماعة السيرياليين لأنه خالفهم فى هذا الرأى. فما هى إذن حركة السيرريالزم هذه؟ وما غايتها؟

يصعب علينا أن نضع تعريفاً للسيرريالزم فى كلمات قليلة. فإذا كان لا بد من ذلك فعلينا أن نقول: إنها حركة اجتماعية فنية، سياسية، فلسفية، سيكولوجية ... ولا بأس أن نضيف أيضاً أنها حركة دينية. فهى تستلهم شعر « رمبو » و « بودلير » و « لوتريامون » وتأخذ عنهم حب الخيال الثورى البعيد عن المنطق وأساليبهم الغريبة فى الشعور والتعبير. وتستلهم فلسفة « هيجل » فى إيمانها بالحرية؛ وتدين مع « كارل ماركس » بالتفسير المـادى للتاريخ؛ وتأخذ عن « فرويد » نظرياته فى العقل الباطن؛ ثم هى فوق ذلك تحاول أن تعتمد على هـذه العناصر جميعاً فى خلق ميثولوجيا جماعية جديدة mythe collectif تناظر الميثولوجيات التى خلقتها الديانات القديمة

ومهما قالوا عن كارل ماركس، ومهما قالوا عن فرويد فلا شك فى أنهما الرجلان اللذان استطاعا أن يؤثرا فى الفكر الأوربى الحديث أكبر التأثير. فإلى كارل ماركس يرجع الفضل فى تفسير التاريخ على أساس من حروب الطبقات وفى التنبؤ بثورة العمال وبدكتاتورية العمال، ثم بالعصر المقبل (الموعود!) الذى تزول منه الطبقات وتكتمل فيه المساواة الاقتصادية. وقد تأثر العمال بالمذهب الماركسى فنشطت حركاتهم ونمت أحزابهم حتى أصبح الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية أساس السياسة الأوربية فى السنين الأخيرة؟ كما تأثر بهذا المذهب عدد كبير من رجال

الفكر والأدب ... وها نحن أولاء نرى أعلاماً مثل « برنارد شو » و « ولز » و « أندريه جيد » و « مالرو » و « توماس مان » يدينون به وينافحون عنه

والسيرياليون كما قلنا يؤمنون بالمذهب الماركسي ، ولكنهم يرون في نفس الوقت أن الدعوة إلى التحرر الاجتماعي يجب أن ترافقها دعوة إلى التحرر النفسي ، فالنفس الإنسانية مكونة أيضاً من طبقات يتحكم بعضها في رقاب بعض . ولا سبيل إلى الوصول إلى التحرر النفسي ما لم نستطع أن نزيل الحدود التي تفصل بين العناصر المتنازعة في باطن النفس

ولقد أقنعنا « فرويد » بأن الشخص « السليم » من الأمراض النفسية هو نموذج مثالي لا وجود له . وما الفارق بين « العاقل » و « المجنون » إلا اختلاف في الدرجة ولا في النوع . والسبب الأساسي لهذه الأمراض جميعاً هو أن للنفس الإنسانية رغبات ، كثير منها لا يتحقق بالنسبة للعقبات التي تقابلها من الوسط الخارجي ، والطفل الصغير لا يدرك هذه العقبات ولذا كان خياله لا يعرف الحدود ، فهو إذ يرغب في سيارة فخمة ، أو في حصان مطهم، أو في قصر باذخ، لا يشعر بأن هناك عائقاً من العوائق يمكن أن يحول دون ما يبتغيه ، ولكن رويداً رويداً يتعلم الطفل خلال ممارسته للحياة بأن رغباته جميعها لا يمكن تحقيقها ، فيضطر إلى كبح هـذه الرغبات ويتعود التسليم بالأمر الواقع . وكلما كبر في السن نمت فيه هذه العادة — عادة التسليم بالأمر الواقع . على أن الصراع بين الرغبات وبين الواقع يستمر طوال الحياة، فحتى الكهل وهو على أبواب القبر لا يستغني عن الأحلام

وعادة التسليم بالأمر الواقع بين الناس هي الأساس الذي ترتكن إليه دعوات المحافظين ، وهي العقبة الكأداء التي تقف في سبيل كل تجديد وإصلاح . ولما كان السيرياليون يؤمنون بضرورة تغيير النظام الاجتماعي الحاضر فإنهم يثيرون حرباً شعواء على هذه العادة

والأساليب التي يتبعونها في ذلك متعددة : منها ما يسمونه « تغريب » الأشياء dépaysement des objets أي نقلها من وسطها المألوف إلى وسط غريب عنها (المثل الكلاسيكي لذلك كلمة لوتريامون: belle comme la rencontre fortuite d'un parapluice et d'une machine à coudre sur une tables de dissection) فمن المألوف أن نرى الأسرة في غرف النوم فإذا هي تفاجئنا في رسم سيريالي على شاطئ البحر ، وقد تعودنا أن نرى السحاب في السماء فإذا هو يباغتنا داخل الجدران ... وهكذا نشاهد في الرسوم السيريالية شجرة تنبثق منها ذراعان ، وسمكة مضطجعة بجانب فتاة عارية ، وعيناً تطل من وسط ثدي ، وأجزاء من جسم الإنسان طائرة في الهواء ، وهيكلاً عظمياً يرقص لأن سمكة بجانبه تغرد ...

وللسيرياليين أسلوب آخر في مقاومة عادة التسليم بالأمر الواقع هو اللجوء إلى إثارة الرغبات المكبوتة وتنشيطها وحفزها على التمرد . ومن هنا كلمة « سلفادور دالي » المشهورة : « يجب أن يكون الفن مغرياً بالأكل L'art doit être comestible أي مغرياً بتحقيق الرغبة واجتلاب اللذة . وكلمة « نيكولا كالاس »: « الفن معمل بارود L'art est une poudrière » أي وسيلة لهدم عاداتنا في التفكير والسلوك .

وهناك أسلوب ثالث هام من أساليب السيرياليين هو ما يسمونه الأسلوب « الأتوماتيكي » في الكتابة والرسم . وهنا يحاول الشاعر أو الرسام منهم أن يتجرد من رقابة عقله الواعي تاركاً لخياله العنان ، حتى يصل إلى حالة تقرب من الغيبوبة ، ثم يسجل كل ما يهب ويدب في نفسه من الخواطر أو يتراءى له من الأشكال

وقد استعار السيرياليون هذا الأسلوب الأخير عن فرويد . ففرويد يجلس مريضه على مقعد وثير مريح ، ويوحي إليه بأن يرخي عضلاته ويرسل نفسه على سجيتها ، ثم يبوح دون تحوط أو تحفظ بكل ما يخطر بذهنه من أفكار، وبكل ما يختلج في قلبه من عواطف. وبهذا يكتشف فرويد « العقد » التي تكونت من الرغبات المكبوتة في نفس المريض ، فيصارحه بهذه الرغبات ، ويحاول أن يقنعه بالتفكير فيها بعقله المنطقي الواعي وبالتنازل عنها إذا تعارضت مع حقائق الوسط الخارجي : يعني التسليم بالأمر الواقع. وهنا نقطة الاختلاف الجوهري بين فرويد وبين السيرياليين : فهؤلاء لا يريدون بحال من الأحوال سيطرة العقل الواعي على العقل الباطن، بل هم يريدون مواجهة العقل الواعي بالعقل الباطن ، والمنطق بالخيال، والواقع بالحلم ، والحقيقة بالخرافة ، والحكمة بالجنون ... محاولين أن يؤلفوا من هذه العناصر جميعاً أداة جديدة للتفكير والمعرفة والنظر إلى الأشياء

لهـذا يتهم السيرياليون فرويد بأنه « قد اشترى جرأته في البحث العلمي على حساب التحفظ والتسليم بالأمر الواقع في الناحية الاجتماعية » .

[البقية في ذيل الصفحة التالية]



ألغاز الكون وأسراره
وتطور مخ الانسان
للأستاذ نصيف المنقبادى

شرفنى عالمنا المصرى المحقق الدكتور محمد محمود غالى بالرد على ما قام فى ذهنى من الحيرة بين ما يقرره العلم من أن الكون سائر لا محالة نحو السكون التام أو « الموت الحرارى » بسبب تحول الطاقة كلها فى العالم بأسره من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية الخ ، إلى صورتها السفلى وهى الحرارة المنخفضة الدرجة فلا تستطيع أن تتحول من جديد إلى صور أخرى منها ، وبين ما يدل عليه العقل من استبعاد بل استحالة أن يكون للكون نهاية ، لأنه لو كان هذا سيحدث لكان قد حدث من قديم الزمان . ومن البديهى أن ما لا بداية له لا يمكن أن تكون له نهاية

وإنى أشكر للدكتور الفاضل النصائح الثمينة التى أسداها إلىّ من وجوب عدم الجزم بشىء خارج ما يثبته العلم التجريبى . وقد دل حضرته بهذا على أنه عالم بطبيعته يتحلى بالروح العلمية الحق . وأقول هذا على رغم تواضعه الذى جعله يرى عدم استحقاقه بعدُ لهذا الوصف . وهذه فضيلة أخرى للدكتور تدل على أنه على جانب كبير من أخلاق العلماء الحقيقيين وسُعة عقولهم . وإنى أقول جازماً ومؤكداً — برغم نصيحة الدكتور لى — بأنه سيكون مفخرة مصر فى البيئات العلمية العالمية فى القريب العاجل

* * *

والذى فهمته من مجموع رد الدكتور أن الموضوع الذى أثرته لغز من ألغاز الكون وسر من أسراره لا يستطيع العلم أن يحله الآن

وهذا قول حق وهو ما أعتقده من جهتى . أما العامل الغريب عن العلم الذى افترضه الدكتور افتراضاً ورمز إليه بلاعب العصا فإنه خارج عن نطاق البحث العلمى ؛ وإنى لا أرى له أى أثر فى الطبيعة ، ولا أجد فى الكون ما يؤيده أو يدل على شىء منه ولو عن بعد . وهذه نواميس الطبيعة العمياء تسير على الدوام فى طريقها لا تحيد عنه قيد شعرة ، بدليل أن الإنسان يقيسها بالأرقام ويعرف نتائجها مقدماً قبل أن تقع ، إذا عرفت أسبابها ومقدماتها ، ويدخلها فى معادلاته وحساباته . فيحسب مثلاً مقدماً تواريخ كسوف الشمس وخسوف القمر والسيارات الأخرى وغيرها ، بالثانية وكسور الثانية فى كل نقطة من بقاع الأرض . أوليست أساس جميع العلوم — العلوم الحقيقية اليقينية — القاعدة المنطقية البديهية القائلة بأن نفس الأسباب تنتج حتماً نفس النتائج : Les même causes produisent, fatalement, les mêmes effets. وبالجملة فإن أحوال الظواهر الطبيعية لا تدل على تدخل

ثم إن السيرياليين لرغبتهم فى نشر مذهبهم حتى يصبح « فلسفة عامة » بين الناس يصرحون بأن النبوغ الفنى والكفايات الأدبية لا تهمهم . فجميعنا نشترك فى الصراع النفسى بين الأحلام وبين الواقع ؛ وعلى ذلك فكل منا يستطيع أن يأخذ بنصيب من مجهوداتهم ، إذ الغاية المرجوة عندهم هى إشاعة « جو سيريالى » فى الحياة

والخلاصة أن السيرياليزم وإن كانت تعتمد كثيراً على المذهب الماركسى وعلى أبحاث فرويد، إلا أنها مع ذلك حركة مميزة مستقلة. وقد أشرنا إلى خلاف جوهرى بين السيرياليين وبين فرويد ، كما أشرنا إلى اختلافهم مع الاشتراكيين الذين يعتقدون — ونحن على رأيهم فى مرحلة انتقال سريع — بضرورة توجيه المجهودات الأدبية والفنية جميعاً فى سبيل الدعاية السياسية المباشرة .

رمسيس يونان

عوامل أخرى فى سيرها، وإلا لظهر تغير من وقت إلى آخر فى نظام النواميس التى يدبرها ، فتسير الأرض اليوم مثلاً بسرعة كذا فى اتجاه معين، وتسير غداً بسرعة أخرى فى اتجاه آخر، ويتصرف الراديوم تارة على وجه معين طبقاً لنواميس محدودة ، وطوراً تراه يتبع طريقاً آخر ويجرى على قواعد أخرى

***

وأظن أن الدكتور يذكر أكثر منى ما حدث لأحد العلماء الرياضيين الفلكيين — ولعله اسحق نيوتن — من أنه افترض نفس العامل الذى نحن بصدده لتصحيح ظاهرة فلكية تحدث فى فترات بعيدة ، تخالف ما تدل عليه الحسابات وتعجز عن تفسيرها النواميس المعروفة فى ذلك الحين أو التى اكتشفها هو . ولم تلبث الأبحاث والاكتشافات التى جاءت بعد ذلك أن نفت ذلك الفرض وفسرت تلك الظاهرة التفسير العلمى الصحيح . فهذه سابقة لمحاولة فاشلة من هذا القبيل يجب أن تجعلنا على حذر من تعليل الظواهر الطبيعية بمثل ذلك العامل . وإن العلم حافل بمثل هذه السابقة ، بل إن تاريخ العلم إنما هو تاريخ انتصاراته على تلك النزعة القديمة

وبالجملة فإن العلم يجب أن يكون محصوراً فى تفسير ظواهر الطبيعة بالنواميس الطبيعية التى تقع تحت المشاهدة والاختبار ، والتى يمكن قياسها أو قياس بعض نواحيها .

***

أما لماذا تجرى النواميس الطبيعية هكذا، ولماذا هى تدير ظواهر الطبيعة على هذا النحو ، وما الغرض من ذلك كله ، فهذا لغز آخر من ألغاز الكون؛ بل إنه اللغز الأول وهو ما سماه هربرت سبنسر L'inconnaissable أى ما لا يمكن معرفته . ويتصل بهذا الموضوع ويتفرع منه المسألة التى نحن بصددها الخاصة بنهاية الكون طبقاً لآراء بولتزمان وقواعد علوم الميكانيكا والطبيعة أو علم الطاقة الجديد العام الشامل L'energétique الذى يتوقع العلماء أن يندمج فيه عاجلاً أو آجلاً جميع العلوم الأخرى الطبيعية والبيولوجية

لى رأى خاص فى هذا الموضوع عنّ لى أثناء دراستى للعلوم البيولوجية ، وهو أن عجزنا الحالى عن إدراك أمثال هذه (الألغاز) التى تشمل أيضاً الأمور الأخرى المستعصية الآن على العلم مثل الوراثة وأسبابها وكيفية حدوثها فى الحيوانات والنباتات ، ومثل الشعور فى الأحياء وفى الحيوانات على الأخص (بما فيها الإنسان) وكيف أن مواد كيميائية ، أى جمادات محضة ، مشتقة من الأرض والهواء بفعل العوامل الطبيعية ، وعلى الأخص طاقة الشمس تشعر بوجودها وتحس بما يحدث لها — أقول إن عجزنا الحالى عن إدراك حقيقة هذه الأمور التى نسميها ألغازاً وأسراراً لا يدل على أنه من المحال معرفتها ، وإنما يرجع ذلك إلى نقص فى تكوين مخنا وعدم نموه بعد إلى الدرجة التى تجعله يستوعبها ويلم بخفاياها ويفسرها التفسير العلمى الصحيح

لا يخفى أن الحيوانات العليا الممتازة بشىء من الذكاء مثل الكلاب والفيلة والقرود الشبيهة بالإنسان المسماة Anthropoïdes (الشامبانزيه ، والغوريلا ، والأورنجوتانج ، والجيبون) تعجز عن إدراك معظم الأمور التى نعرفها نحن ونعدها من البديهيات . هى ألغاز وأسرار بالنسبة لها ، ولو كان فى وسعها أن تتكلم أو تكتب لوصفتها بأنها الأمور المجهولة التى لا يمكن معرفتها L'inconnaissable على حد تعبير هربرت سبنسر

ولا شك فى أن هذا كان حالنا فيما مضى من الزمن قبل أن يتم تطورنا الإنسانى بفعل العوامل الطبيعية . فلما تم هذا النمو ونما على الأخص مخنا بسبب الظرف الطبيعى الذى طرأ علينا فى ذلك الماضى البعيد وهو اضطرارنا إلى الوقوف على الدوام على قدمينا الخلفيتين لتسلق الأشجار لنقتات ثمارها بسبب ما حدث فى ذلك العهد من نقص الغذاء على الأرض من جهة ، ونمو الحيوانات المفترسة من جهة أخرى . واستعمال أيدينا فى القبض على فروع الأشجار وقطف ثمارها ، ثم فى تناول الأشياء والأجسام المادية الأخرى وفحصها والتأمل فيها ، وذلك مدة مئات الألوف من السنين — أقول إنه حين تم هذا النمو فى مخنا أدركنا شيئاً فشيئاً كثيراً من الأمور التى ظلت غامضة على أجدادنا ، وأخذت معلوماتنا تتسع بالتدريج إلى أن قام العلم وازدهى وساد العالم فى عصرنا الحالى

وبطبيعة الحال لا يمكن القول بأن التطور الإنسانى قد تم ووقف عند هذا الحد وهو لم يمض عليه أكثر من ثلاثمائة ألف سنة (متوسط تقدير العلماء) منذ أن تميز عن النوع الذى تفرع منه . ومعلوم أن حياة الأنواع الحيوانية والنباتية تعد بملايين السنين

والمرجح أن يستمر التطور فى المستقبل ، غير أنه لا يمكننا أن نعرف من الآن الاتجاه الذى سيسلكه لأن هذا متوقف على العوامل الطبيعية والاجتماعية المختلفة التى تطرأ وتستجد من وقت إلى آخر لأسباب محلية لا يمكن التنبؤ بها، ومن باب أولى لا يمكن حصرها مقدماً وتحليلها ومعرفة نتائجها

ولكن الظواهر كلها تدل على أن المخ سيواصل نموه على ممر الزمن فى نفس الاتجاه الذى بدأ فيه بدليل اضطراد رقى الأمم المتحضرة عقلياً وتفوقها على الأمم المتوحشة تفوقاً تدريجياً مستمراً

فإذا استمر التطور فى هذا الاتجاه فإن الفكر الإنسانى يصل حينئذ إلى درجة من القوة تجعله يحل بسهولة المسائل المغلقة فى العلم وفى الفلسفة ويسمونها الآن ألغازاً أو أسراراً ويكشف عن أسبابها ونواميسها الطبيعية ، ويتحول الإنسان إذ ذاك إلى نوع جديد من الـ Superman الذى يتكلم عنه نيتشه

وعلى الجملة فنحن الآن فيما يتعلق بتلك المسائل الغامضة المستعصية على عقولنا على ما كان عليه أجدادنا البعيدون بالنسبة للأمور التى لا تدركها عقولهم البسيطة ونعدها نحن من البديهيات نظراً إلى النمو الكبير الذى طرأ على مخنا أثناء تطورنا

وهناك بعض شواهد تؤيد هذا الرأى . فكلنا سمع بذلك الشخص المدهش الذى يقوم بأعمال كالمعجزات فى الحساب دون أن يستعين بأية ورقة لأنه أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة . وقد اختبرته أنا وعدد من المعارف فكنا نكلفه بعمليات طويلة عويصة بأن نطلب منه مثلاً أن يجمع خمسة أو ستة أو عشرة أعداد كبيرة مكون كل منها من أرقام عديدة ، أو أن يضرب عددين ضخمين الواحد منهما فى الآخر ، أو أن يقسم أحدهما على الثانى ، أو أن يستخرج الجذر المربع أو المكعب لعدد من سبعة أو ثمانية أرقام الخ، وكنا بطبيعة الحال نحتاط بإجراء هذه العمليات على الورق مقدماً قبل أن نضعها له لنطابق إجاباته على نتائجها . وليتصور القارئ ما كنا نعانيه من التعب وبذل الوقت الطويل فى ذلك . وكم كانت دهشتنا عظيمة كل مرة حين كان يفوه بالرد فإذا به مطابق تمام المطابقة لما وصلنا إليه بعد تسويد الأوراق الكثيرة . وإذا وقع خلاف فكان يتضح لنا من مراجعة حساباتنا أنه لم يخطئ هو فى شيء بل إن الخطأ جاء منا

ويمتاز هذا الشخص بذاكرة للأرقام مدهشة خارقة للعادة ، فإننا كنا نتلو عليه من أوراقنا الأعداد الضخمة الكثيرة المكون كل منها من ثمانية أو عشرة أرقام طالبين منه جمعها أو ضربها أو قسمتها فكان يعيد علينا سردها دون أن يخطئ فى رقم واحد منها . وأغرب من هذا مقدرته الغريبة على أن يجرى معنويًا فى الحال العمليات الحسابية الكبيرة المعقدة التى تطلب منه دون أن يستعين بالكتابة وهو يجهلها كما تقدم لنا القول . فلا شك فى أن جزءاً من مخ هذا الشخص نما نمواً استثنائيًا أكثر من المعتاد جعله يذكر الأعداد الضخمة التى تتلى عليه ويحسبها بتلك السهولة المدهشة ، الأمر الذى يعجز عنه باقى الناس . وقد شاهد كاتب هذه السطور شخصاً آخر من هذا القبيل من سنين فى باريس بولونى الجنسية

ومثل أولئك الحسابين الشواذ الأشخاص الذين نبغوا فى الموسيقى من حداثة سنهم نبوغاً فوق الطبيعى ، فترى الواحد منهم وهو فى سن الطفولة يلتقط أية نغمة يسمعها لأول مرة ويعزفها على الآلات الموسيقية التى يجيدها لدرجة الإعجاب الكبير ويؤلف الأدوار التى يعجز عنها كبار رجال الموسيقى العاديين ، ويقود الجوقات الموسيقية وقد لا يزيد عمره على العاشرة أو الثانية عشرة . والأمثلة عديدة من هذا القبيل وهى معروفة للجميع . فلا شك فى أن مخ هؤلاء النوابغ الخارقين للعادة نما فى ناحية منه نمواً أكثر من الحالة الطبيعية جعلهم يمتازون بتلك القدرة التى يعجز عنها باقى الناس

* * *

وكذلك الحال بالنسبة لعظماء الرجال الذين نبغوا فى العلم أو الأدب أو الفنون الجميلة أو الفنون العسكرية . فهذا بسكال العالم الرياضى الكبير استنبط من تلقاء نفسه وهو فى سن الثانية عشرة النظريات الهندسية القديمة الأساسية قبل أن يدرسها. وهذا نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية . وهذا جوت أوجيته العبقرى الألمانى الكبير مؤلف رواية فوست الخالدة فإنه لم ينبغ فقط

فى الشعر والأدب بل وأيضاً فى العلوم البيولوجية وله اكتشافات جليلة فى علوم الحيوان والنبات وتكوين الجنين تؤيد ناموس التطور والتسلسل الذى قال به وبحث فيه قبل داروين بخمسين سنة ، لمناسبة ظهور نظرية لامرك سنة ١٨٠٩ . وهذا نابليون عبر بجيشه جبال الألب وفتح إيطاليا وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين؛ ثم غزا مصر ، ثم انتصر على أكبر قواد أوربا ودخل جميع عواصمها ظافراً وهو فى مقتبل سن الشباب . وهذا فكتور هيجو المعظم . وهذا أينشتين ، وغيرهم . ولا شك فى أن مخ هؤلاء العظماء نما نمواً فوق المستوى الطبيعى لباقى البشر . والنمو المقصود هنا ليس فى حجم المخ ولكن فى تكوين خلاياه وصفاتها الطبيعية والكيميائية وتشعب فروعها واتصالها (أى اتصال الخلايا) بعضها ببعض بواسطة هذه الفروع الخ . وبالجملة فإن النبوغ والعبقرية وقوة التفكير ترجع إلى نمو المخ

فلا يبعد أن يصل مخ الإنسان أثناء تطوره فى المستقبل البعيد إلى درجة من النمو تجعله يحل بسهولة المسائل المستعصية عليه الآن وردها إلى أسبابها الطبيعية فلا تعد ألغازاً وأسراراً

كما أنه يجوز مع شديد الأسف أن يتجه تطورنا اتجاهاً آخر بفعل عوامل جديدة وظروف تطرأ علينا نجهلها الآن فتتحول تحولاً يختلف كل الاختلاف عما نتوقعه فنصبح نوعاً مغايراً للنوع الإنسانى الحالى ولنوع الـ Superman الذى نصبو إليه بل قد نتحول إلى أنواع مختلفة قد يرتقى بعضها إلى تلك المرتبة العليا ويتأخر بعضها بالمعنى الذى نفهمه من الارتقاء والانحطاط ، ذلك لأن الطبيعة لا تعرف هذه الفوارق التى لا توجد إلا فى تفكيرنا

ومن الخطأ تسمية ناموس التطور بناموس أو مذهب « النشوء والارتقاء » على الطريقة القديمة

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

لحظات الالهـــام

فى تاريخ العلوم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

مقدمة

العلم هو الذى وصل بالعالم إلى ما هو عليه اليوم ، فهو الذى ابتكر كل أداة فى الحياة العصرية ؛ ولكن العلم الذى نركن إليه فى كل وسائل راحتنا ومتعتنا ليس بالقوة الجامدة النائية التى تمثل عملها بيننا وهى عن نفوسنا بمعزل . إنما العلم معرفة إنسانية أفادها فى بطء ، واحتمل فى سبيلها الآلام رجال مثلنا وقد استخدموها لصالح النوع الإنساني

وهذا الكتاب يقدمنا إلى زعماء النهضات العلمية الذين خلقوا الدنيا الحاضرة . وفى الأقاصيص التى تضمنها هذا الكتاب نراهم فى أسمى اللحظات التى أدوا فيها مهماتهم ، وقد تضمنت كل العصور لحظات هى التى نُسج منها التاريخ . وإنه ليبدو لنا أحد هذه المخترعات كأنه بداية لعهد جديد فى حياة الإنسان مع أنه كان فى العصر الذى وجد فيه يكاد لا يكون موضماً للملاحظة إلا من القليلين البعيدى النظر الذين أنجزوه

ومن أمثلة الكشوف التي غيرت اتجاه العالم اختراع آلة الطباعة والآلات المتحركة بذاتها وآلات التخاطب على مسافات متباعدة سواء منها السلكى واللاسلكى . ووراء كل كشف من هذه الكشوف رجل أو طائفة من الرجال ميزتهم الجرأة أو المخاطرة والمهارة وحب الإفادة . وفى الصفحات التالية سير رجال ألفنا سماع أسماء بعضهم ؛ والبعض لمّا نألفه ، ولكننا مدينون لهم جيعاً بدين ضخم . وسنرى سيرهم فى لحظات انتصارهم المثيرة . نحن جيعاً نعيأ بأنفسنا وبعالمنا . وكل مجموعة من السير تتعقب آثار الفكر الإنسانى فى أحد اتجاهاته فإنما يراد بها إشباع حياتنا العصرية بمجهود ذلك الفكر ، وفى كل ترتيب موفق لكل مجموعة من هذه السير ما يمكننا من الإفادة منها . فاستكشاف النار مثلاً يبدو لنا أقل استغراقاً فى النار عند ما نتبين أننا لا نزال نعيش فى عصر النار وإن كان بيننا من يتنبأ بأن أبناءنا وأحفادنا سيعيشون فى « عصر الكهرباء » الذى بزغ فجره الآن

لقد اخترع أهل العصور الأولى العجلة ، واخترع الرجل العصرى الآلة التى تدير عجلات العالم، واستكشف كيف يستعمل الوقود وقوة الماء والكهرباء فى تسيير هذه الآلة

لقد كان الرجل يريد دائماً أن يطير ولكن الآلة التى يديرها النفط هى التى جعلت هذه الرغبة فى حيز الإمكان

ولقد كان الزمان والمكان مشكلتين أمام أهل العصور الأولى، فكان الإنسان مضطراً إلى لزوم دنيا مزدحمة ضيقة هى دنيا وجوده الحاضر ، فتمكن من السيطرة على اعتبار المكان بواسطة الكتابة والطباعة والتصوير الشمسى والآلة الناطقة ، وتمكن من السيطرة على اعتبار الزمان بواسطة الساعة والمنظار المقرب وآلة البرقية والمسرة واللاسلكية والآلة البخارية والسيارة ، وتمكن بواسطة الطيارة من انتصارات جديدة على اعتبارى الزمان والمكان

يجد الصغار من البنين والبنات أنفسهم فى هذه الدنيا العجيبة ويتوقون إلى استئناف النصر فيها ويَطَّبيهم منها كل ما كان فى الإمكان، فما يساعدهم على تفهم الدنيا أن يعرفوا كيف شيد بناء المدنية الحديثة

وإن دراسة زعماء النهضات وتقدير ما نحن مدينون به لهؤلاء الزعماء بمثابة تقديم الشكر على الصنوف التى نتناولها من صنع أيديهم

وفى تلك الدراسة وفى ذلك التقدير ما يجعل الشبان أكثر زهواً بتراثهم الإنسانى عند ما يتبينون أن معارك العالم قد خاضها فى كل العصور رجال ونساء مثلنا

وعند ما يسطع على لوحة إدراكهم وميض اللحظات العظيمة فى حياة العلم سيرون لمحات لا من الماضى والحاضر فحسب ، بل من اللحظات العظمى فى حياة الإنسان، لحظات الإلهام التى استمتع بها المخترعون والمستكشفون فكانت إيذاناً من الله بظهور هذه الاختراعات وتلك الاستكشافات

عصر النار

سر صنع النار . العنز المذاب . الحديد

النار أنفس ما كان فى حيازة الإنسان فتخيل كيف تكون الدنيا إذا انطفأ كل ما فيها من النيران ، ولم يبق فيها من يستطيع إيقادها !

إن منازلنا تصبح باردة لا تطاق فيها الحياة، ويصبح طعامنا غير قابل للنضج، وتقف قطاراتنا وبواخرنا، وتمتنع عن العمل مصانعنا، ولا يمكن صنع الكثير مما نأكله أو نشربه أو نلبسه أو نتولى إدارته بأيدينا

إننا نعيش فى عصر جدير بأن يسمى حقاً « عصر النار » .

ولقد بدا عصر النار منذ آلاف كثيرة من السنين . وليس على وجه الأرض قبيلة ليس لديها أسطورة عن نشوء النار للمرة الأولى وصيرورتها فى حوزة الإنسان. ذلك بأنه ليس فى وسع مخلوق غير الإنسان أن يصنع النار ، وأن مقدرته على صنعها جعلته فى مستوى أرفع كثيراً من مستوى الحيوان . وكل أسطورة من هذه الأساطير تنص على أن النار كانت عند الآلهة ، ويختلف بعضها عن بعض فى بيان الطريق الذى حصل به الإنسان على النار، فيروى اليونان أن بروميثيوس صعد إلى السماء وأوقد شعلته من عربة الشمس ، وسرق النار فنزل بها إلى الأرض . وقد كان الآلهة لا يريدون أن يحصل الإنسان على النار ، لأنهم يعلمون أنه بعد حصوله عليها سيصبح كأنه واحد منهم ، فهو بواسطتها يستطيع تعرف أسرار الأرض والانتفاع بكنوزها ، وكانوا لا يرون أن يحبوه هذه المعجزة

ولا يعرف أحد حق المعرفة كيف عرف الإنسان سر صنع النار . وربما كان السر رؤيته البرق يصيب الغابات الجافة فيحرقها . وربما كان فيمن رأوا ذلك المشهد رجل أجرأ ممن عداه فاحتفظ بجزء من النار السماوية عندما وجدها تحرق الغابة بتعهده إياها وبتغذيتها بالوقود . فإن كان أحد قد فعل ذلك فما لا ريب فيه أن قبيلته تعده مخوفاً محترماً لأنه عرف أسرار الآلهة . وقد كان فى كل قبيلة أناس من مهمتهم أن يتولوا حراسة النار ، فكانوا يتناوبون حراستها آناء الليل وأطراف النهار ويغذونها ويتعهدونها كيلا تخمد فيخسر الناس هذه الهبة الغالية من هبات الآلهة ويموت الإنسان برداً . والأرجح أن مئات من السنين منذ اليوم الذى عرف فيه الإنسان كيف يحتفظ بالنار قد مضت والإنسان منتفع بالنار دون أن يعرف كيف يحدثها . وكان كل ما فى وسعه أن يبحث عنها حيث توقدها آلهة البرق أو إله الغابة ، فيحمل منها قبساً إلى كهفه وينعم به . ثم جاء يوم صنع فيه الإنسان النار لنفسه ، إما بسنه قطعة الخشب محددة على لوحة صلبة من البلاط، وإما بدق حجرين من الصوان. وعلى أى الفرضين فإن اللحظة التى استطاع فيها الإنسان صنع النار كانت أعظم لحظة فى حياة الإنسان فى عهده الأول ، فإن وجود هذه القوة فى يده مكنه من المفتاح الذى يستطيع به استخراج ما فى الأرض التى يسكنها من كنوز .

ولما كنا لا نعرف حقيقة الأسطورة التى تنبىء عن استكشاف الإنسان النار لأول مرة ، لأن هذا الاستكشاف أسبق كثيراً من العهد التاريخى وعهد الأساطير فإننا سنروى القصة التى يعتقدها أهل جزائر بولونيزيا عن رجل مخاطر جرىء تمكن من معرفة أسرار العصى النارية وكيفية استعمالها فى مأوى إله النار .

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

إلى أي طريق يتجه الشباب الألماني ؟

[من مجلة « باريد »]

هل يستطيع هتلر أن يعتمد كل الاعتماد على الملايين التي حشدها لأجل الحرب ؟

هذا سؤال جدير بالعناية والتفكير. ولقد كتبت مسز نورا والن المؤلفة المشهورة مقالاً في « الأفننج بوست » عن روح الشباب الألماني يلقي ضوءاً جديداً على هذا الموضوع .

يقول كثير من الألمان : « إننا لم نكسب الشباب » . وتقول مسز والن : إنني لم أصدق هذا القول حتى شاهدت بنفسي كثيراً من الحوادث التي تؤيده .

إن الحالة في ألمانيا كما تبدو للعيان تدل على الانسجام والتوافق بين حزب النازي وبين الشباب في ألمانيا . فهم ينتظمون في الصفوف ، وينشدون الأناشيد ، ويهتفون ملء حناجرهم ، ويرفعون أيديهم اليمنى للتحية ، ويرتدون الملابس الحربية التي يؤمرون بارتدائها ، وتبدو عليهم مظاهر الطاعة في كل شيء .

إلا أن كثيراً من هذه المظاهر تخفي وراءها المقت والاحتقار. وقد سمعت بعض الآباء يقول : « من يدري ماذا يفكر أبناؤنا ؟ إن قليلاً منهم الذين يستطيعون أن يصرحوا لأمهاتهم أو آبائهم بذات نفوسهم . إنهم على ما يظهر يضمرون لنا الكراهية والاحتقار، وإننا لم نكن كذلك في شبابنا »

ولقد سمعت بعض أساتذة المدارس يصف الجيل الحاضر في حذر واحتراس فيقول : « إن الشباب الذي يعيش في ألمانيا اليوم جيل عجيب ؛ فهم في ظاهرهم خاضعون للنظام والقوانين ، وفي باطنهم على خلاف ذلك . فكل ما يمنعون منه لا يلبث أن يصير موضع بحثهم ومثار شهوتهم ؛ فهم يبحثون عن الكتب المحرمة ، ويسعون وراء الحصول عليها بهمة لا تعرف الملل . وكم تكون دهشة المعلم حين تنكشف له الحقيقة ، ويجد تلاميذ فصله ملمين بهذه الكتب أكثر من إلمامهم بدروسهم المدرسية . إن لنا تراثاً عظيماً وذخيرة كبيرة من الآراء والأفكار الألمانية التي تناقض نظرية النازي . وعلى الرغم من الضغط الشديد الذي يلاقيه أطفالنا فإنهم لا يشبون على جهل بهذا التراث . فحرق بعض الكتب لم يكن ليخلي المكتبات منها . ففي ألمانيا عدد لا يحصى من الكتب الممنوعة التي يستطيع الشباب أن يحصلوا عليها . إن الفكر الألماني وإن كان بطيئاً ، إلا أنه ليس بليداً على الإطلاق . فهو سريع الانفعال ، ومن السهل استثارته ، ولكنه يكتشف المزاعم الخاطئة كيفما كانت » .

وتقول مسز والن في مقالها هذا إنها سمعت بعض أعضاء النازي يقولون : (من يدري ماذا يكون إذا قامت الحرب ؟ لقد جندنا جيشاً جراراً من أبناء ألمانيا ، ولكننا لا ندري إلى أي ناحية سيتجه ذلك الجيش)

لقد زعزع حزب النازي الثقة التي وضعها فيه أبناء ألمانيا ، فقد كانت مزاعمه الأولى التي اجتذب بها قلوب الشباب ، مبنية على أساس من المثل الأعلى ، فزعموا أنهم يعملون على ترقية الجنس وليست لهم رغبة في غزو بلاد أخرى أو إزعاج أهلها بأي حال . ولكنهم نقضوا العهد فساقوا الجيش لاحتلال بلاد غير بلادهم . وهذا أمر لا يرتاح إليه الشباب ، فقليل بين الشباب الألماني الذين يميلون إلى روح الاستعمار البغيض

مذهب التعقيم

[عن « داي بروك » الألمانية]

كثير من المذاهب والأنظمة التي ظهرت في ألمانيا هذه الأيام وضعت للأجيال القادمة . وقد كان قانون التعقيم الذي يرمي إلى منع النسل العاجز أو المصاب بالأمراض المتوارثة ، عن الظهور على مسرح الحياة ، من القوانين التي قابلها العالم بالاهتمام ، وعالجها بكثير من النقد والتمحيص

وقد أعلن الكثير من العلماء والمفكرين من مختلف الأمم ، أن هذا المذهب سيكون له شأن كبير في تحويل وجهة التاريخ الإنساني ، وعده آخرون رجعة إلى الهمجية والوثنية الأولى .

ولم يكن هذا القانون وليد الفكر الألماني وحده ، فقد نبتت بذوره في الولايات المتحدة ، وكثير من الأقاليم السويسرية ، والولايات الاسكاندينافية ، وما زال الصوت يرتفع في كثير

من الممالك ومنها بريطانيا العظمى ، بتنفيذ مثل هذا القانون .

أما الأسباب التى أدت إلى ظهور هذا القانون فهى بسيطة يدركها الطفل الصغير ، ولكن السبب الجوهرى هو التكاليف الباهظة التى تتحملها الحكومة من جراء هذا النسل ؟

فالطفل الصحيح الذى يتعلم فى المدارس يكلف ألمانيا ٧٥ ماركا فى السنة ، بينما يكلفها الطفل المصاب بنقص فى قواه المدركة أضعاف هذا المبلغ . وتبلغ المصاريف التى تنفقها الحكومة من أجل الشخص المتوه من ٦ إلى ٨ ماركات فى اليوم . أما الأشخاص المصابون بالميول الإجرامية الذين يحتاجون إلى حراسة خاصة ورعاية صحيحة لتقويمهم ، فيتكلف كل شخص منهم ٢٠ ماركاً فى اليوم

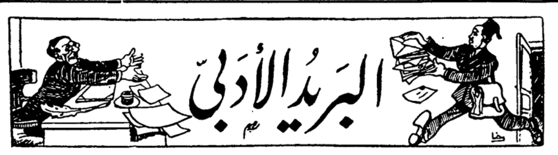
وقد ثبت أن العامل الألمانى لا يكتسب فى الغالب ما يعادل ما تنفقه الحكومة على الضعفاء والمتوهين وأصحاب الآفات والمجرمين . فهل تسمح ألمانيا التى تكافح جهدها للاحتفاظ بكيانها بأن يستمر هذا التيار الجارف من النسل العاجز بغير انقطاع ، فتضع على كاهل المال عبئاً لا قبل لهم باحتماله ، أو تخطو خطوتها المباركة لقطع هذا النسل . . .

وقد شمل قانون التعقيم الصم والبكم والعمى الذين خلقوا بهذه الآفات وإن كان الكثيرون منهم لا يكونون عالة على الحكومة بعد تعليمهم ، فهناك سبب آخر ساعد على تنفيذ هذا القانون عليهم قد يكون أكثر أهمية من أى سبب آخر . ذلك أن عدد ذوى العاهات قد يتجاوز عدد الأصحاء إذا ترك على ما هو عليه

وقد أصبح الرجال ذوو المكانة والعقول الراجحة فى ألمانيا يكتفون من النسل بطفل أو طفلين ، وأصبحت العائلات الصحيحة تتجنب كثرة الأطفال ، هذا فضلاً عن الوقت الذى يصرفه أبناء الطبقات الممتازة فى التعليم والتخصص فى الدراسات العالية مما لا يمكنهم من الزواج قبل سن الثلاثين . بينما يتزوج ذوو العقول الضعيفة فى سن تتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين

وعلى هذا القياس لا يمضى مئة عام حتى تكون نسبة النسل الضعيف قد تجاوزت نسبة النسل الصحيح عشرات المرات

وقد أخذت الحكومة الألمانية تراقب هذه الأحوال بيقظة ودقة وتبذل غاية جهدها لإخراج جيل قوى صحيح



بحر العرب لا بحر الروم

كثير من الكتاب يسمون البحر الأبيض المتوسط « بحر الروم » حين يحلو لهم أن يذكروا التسمية القديمة لذلك المحيط

وأنا أقترح أن نسميه « بحر العرب »

وهذا الاقتراح له أساس من التاريخ . فقد كان من أسلافنا من يسميه « البحر الشامى » وذلك اسمه فى أكثر كتابات ابن فضل الله العمرى صاحب « مسالك الأبصار »

والواقع أن الشوام هم أقدم من انتفع بذلك البحر: بحر العرب، وهم أقدم من عرف أنه موطن استغلال ، حتى جاز القول بأن الفينيقيين القدماء هم الذين أسسوا مدينة مرسيليا منذ نحو خمسة وعشرين قرناً . ومرسيليا هى عروس الشاطئ الفرنسى من بحر العرب ، ولا يفوقها فى الحسن غير الاسكندرية وهى عروس الشاطئ المصرى من بحر العرب ، وربما كانت الاسكندرية أجمل مدن الشواطئ على الإطلاق ، ولذلك تفصيل سنطالع به القراء بعد حين

فما رأى الأستاذ إسعاف النشاشيبى فى هذا الاقتراح ؟

أنا أظن أن عنده شواهد كثيرة تؤيد القول بأن البحر الأبيض المتوسط هو بحر العرب لا بحر الروم ، وأنتظر أن يتسع وقته لتعريف القراء بما كان يملك العرب من السيطرة على هذا البحر أيام ازدهار الحضارة العربية

وصدق بدوىّ الجبل حين قال :

أيها البحر أنت مهما افترقنا ملك آبائنا وملك الجدود

زكى مبارك

الجبر والاختيار

جاء فى المقال الأول للأديب السيد محمد المزاوى المنشور فى العدد ٣١٨ من الرسالة ما يأتى :

(أما رجال الدين والكلاميون من المسلمين فقد خاضوا فيها (أى مسألة الجبر والاختيار) وكان همهم الأول البرهنة على أن الإنسان إما خالق لأفعاله فهو مسئول عنها أمام الله فى القيامة ، ويحق عليه الجزاء ثواباً وعقاباً ، أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله ، فلا يكون ثمة حساب أو عقاب . وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده)

ونحن نرجو من الأديب الفاضل أن يصحح هذا القول ، فإن المسلمين ، القائلين منهم بأن الإنسان خالق لأفعاله وغير القائلين ، متفقون على أنه مسئول عنها أمام الله ، وعلى أنه يجزى بها ؛ فإن أهل السنة لا يقولون بأن الإنسان خالق لأفعاله ، ولكنهم لم يجعلوا خلقه لأفعاله أساساً لاستحقاق الجزاء ، ولا عدمه لعدمه . فقوله (أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب) بعيد كل البعد عن الحق . وكذلك قوله (وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده) فى غير محله أيضاً ، فإن المسلمين لا يختلفون فى أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ، إلا أنهم قالوا : (إن علمه بالمتجددات على وجهين : علم غير مقيد بالزمان ، وهو باق أزلاً وأبداً لا يتغير ولا يتبدل ؛ وعلم مقيد بالزمان وهو علمه تعالى بالتجدد أو التغير ، وهذا العلم متناه بالفعل بحسب المتجددات ، وغير متناه بالقوة كالمتجددات الأبدية . والعلم لا يتغير بحسب الذات ، ويتغير من حيث الإضافة ، ولا فساد فيه ، وإنما الفساد فى تغير نفس العلم[1]) نعم قالت فرقة من القدرية : (إن الله لم يقدر الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها[2]) ولكن هذه الفرقة قد خرجت بهذا القول عن الإسلام (فقد كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعى ، والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة[3])

(١) حاشية ملا احمد على العقائد النسفية ص ١١٤ ج ١ من مجموعة حواشى العقائد النسفية (مطبعة كروستان العلمية)

(٢) و (٣) شرح عقيدة السفارينى ص ٢٠٢ ج

على أن هذه الفرقة لو عدت من الإسلام لا يصح أن يجعل قولها — وهو من الضعف ما هو — مقابلاً لقول سائر المسلمين ، أو على الأقل لا يصح الادعاء بأن هم رجال الدين والمتكلمين هو البحث في هذه المسألة على هذا النحو

وجاء في هذا المقال أن المعتزلة قالوا : (بأن الله لا صفات له غير ذاته ، فشاركوا الجهمية في هذا الأصل)

وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح ، أولاً من جهة عدم توضيح قول المعتزلة ، فإن تركه بلا توضيح يوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير حميد كما يدل عليه اعتبارهم شركاء للجهمية فيه . وهم إنما يقولون: إن صفاته عين ذاته ، أي إن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، وبالمقدورات قادراً إلى غير ذلك ، أي بمعنى أنه عالم بذاته لا بأمر زائد على ذاته[1] (العقائد النسفية وحواشيها ص ١٠٦) . وثانياً يحتاج الكلام إلى تصحيح من جهة ادعاء مشاركتهم للجهمية في هذا الأصل ، أي أصل إنكار الصفات ؛ فإن (الجهمية وطوائف أخرى ملحدة يبطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات المقدسة[2]) .

هذا ما نريد من الأديب الفاضل السيد محمد العزاوي تصحيحه وله الشكر سلفاً ، كما أننا نرجوه أن يبالغ في التأني كيلا يقع في مثل هذا . وأسأل الله له ولي التوفيق ،

« فلسطين » داود حمدان

اللغة العربية والجامعة المصرية

في مقال الدكتور زكي مبارك المنشور في العدد ٣١٨ ، كلام طيب في مؤاخذة القائمين على التدريس بكليات الجامعة . إنهم زعموا أن بالعربية قصوراً عن حاجة العلم ، كأنهم يريدون أن يجدوا للمخترعات الحديثة (دون تعب منهم ولا سعي) أسماء في معاجمنا القديمة ، فإذا لم يجدوا وصموا خير اللغات بالعجز والقصور ، وما العجز في الواقع إلا عجزنا ، وما العيب إلا فينا وفي هممنا . والكنز لا ننتفع به حتى ننبش فوقه بالمعاول

ونحن (في الشام) ما ينقضي عجبنا من قيام كليات في الجامعة المصرية على عقوق العربية إلى اليوم ، بينما أثبتت الجامعة السورية منذ عشرين عاماً (في عمل صامت) صلاح العربية لتكون لغة علم . قام أساتذتها (وهم خريجو أرقى معاهد الغرب) يدرسون العلوم بالعربية ولاقوا في هذا السبيل عناء جاهداً . ولا ريب أن الأمر شاق لا يحمله إلا بطل يبذل له ما يبذل المجاهد الشجاع في الميدان

وخير برهان على اتساع لغتنا هذه المؤلفات العلمية الجامعية الضخام التي ألفها لسد حاجة الجامعة الدكاترة الأساتذة : الخياط . سبح . الشطي . الخاني . خاطر . . . وغيرهم ؛ بل إن بعضهم طبع معجماً خاصاً بالمصطلحات التي وضعها لفنه ، وما أظن أن ذوي الشأن في مصر علموا بهذا

وحبذا لو تبادلت الجامعتان العربيتان في مصر والشام نشراتهما وأنظمتهما ومطبوعات أساتذتهما ومعاجمهم ومصطلحاتهم . ثم تداولتا الرأي بما ينهض التأليف العلمي بلغة العرب . والوطن يشكر الذين رفعوا اسمه بأعمالهم كما يشكر غيرة وزير معارف مصر وجهد الدكتور زكي مبارك .

« دمشق » س . أ

حول الوحدة العربية

قرأت في العدد (٣١٩) من الرسالة مقالاً للأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق تأييداً لما يكتبه الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري بك نقداً لكتاب « مستقبل الثقافة في مصر »

وقد عرض في هذا المقال لبحث طريف حين طلب إلى الدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها أولى من أن يكون في قطر واحد أديباً ! ثم قال : « ... أوليته — وهو مسلم مصري — خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصراني المصري — وهو لذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة ذوي الأوتاد ! »

وبهذه المناسبة اقتبس شيئاً من مقال للأستاذ مكرم عبيد في هذا الموضوع يجنح إلى تحليل فكرة الوحدة العربية وتأييدها وذكر أنه قابل الأستاذ مكرماً في دمشق وسأله عن تلك النعرة الفرعونية في مصر وأنه لا يزال يذكر أن الأستاذ أجابه بما معناه: نحن عرب في مصر ولا نمجد الفراعنة إلا لأنهم عرب !

(١) قال ملا أحمد : لا خفاء في أن هذا معنى معقول لا ينقبض العقل عن قبوله ، ولا ينافي صدور الأعمال المتقنة .

(٢) شرح عقيدة السفاريني ص ١١٠ ج ١

وأنا أقول إن الأستاذ مكرم عبيد وإن كان أديباً كبيراً « ومن نوابغ مصر فى ثقافته وأخلاقه ووطنيته » إلا أنه سياسى عتيد ، ولا يخفى ما فى جوابه السابق من أساليب السياسيين ، ولعل ذلك لم يغب عن الأستاذ التنوخى ! فإن فكرة رد الفراعنة إلى أصل عربى بطول مداها ، وتصل بنا إلى غور التاريخ مما لسنا فى حاجة إليه اليوم . خصوصاً وإنى أعلم أن فكرة كراهية الفرعونية فى مصر ترجع إلى سببين: أحدهما سياسى والآخر دينى؛ أما السياسى فهو أنها تقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة العربية كما يراها أنصارها . وأما الدينى فيرجع إلى فكرة خاطئة هى أن فرعون قد ذكر فى « القرآن الكريم » بأنه حاكم باطش مستبد بالرسل ... وهذه الفكرة خاطئة لأن فرعون الباطش الفرد لا يعنى فراعنة ثلاثين أسرة حاكمة توالت على عرش مصر فى مدى ثلاثة آلاف سنة أو يزيد . وإذا كان موسى عليه السلام قد لقى من عنت فرعون ما دفعه إلى الخروج بقومه من مصر ، فإن يوسف عليه السلام قد لقى عند فرعون إكراماً وتقديراً لمواهبه واستغلالاً لتلك المواهب فى حكم البلاد . قال تعالى : (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين)

هذه هى نقطة الضعف فى السبب الدينى الذى يدعو إلى كراهية الفرعونية فى مصر . أما السبب السياسى وهو أن الفرعونية تقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة العربية ، فذلك أنهم يريدون أن تقوم هذه الوحدة على أساس الاشتراك الجنسى دون العنصرى أو القوى ، فهم لذلك يريدون أن يفرضوا العربية على جميع الذين يدخلونهم فى نطاق هذا « الحلف العربى » أو « الاتحاد العربى » ويستعظمون أن يتسمى أحدهم بغير هذا الاسم . فأنا آخذ عليهم هذا . وذلك أن العرب خرجوا من جزيرتهم — التى هى وطنهم الأول الخاص بهم — يحملون مشعل الإسلام فى أيمانهم فنزلوا على الشعوب الأخرى واختلطوا بها اختلاطين : اختلاطاً ثقافياً واختلاطاً جنسياً . . . فأما الثقافى فبنى على أساس الإسلام والقرآن والأدب العربى ، وأما الجنسى فعلى أساس المزاوجة والمصاهرة . ولا شك أن الاختلاط الأول كان أفعل من الثانى ؛ فإن الجنسيات الأصيلة فى البلاد المفتوحة لم تمح محواً إن لم تكن قد حافظت على تنلُّبها فى أكثر تلك البلاد ، بينما غلبت الثقافة العربية على جميعها وإن كانت المؤثرات الجديدة التى صحبت التوسع العربى قد استدعت منذ انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، أن يعترف بانتهاء تسميتها « بالدولة العربية » فأصبح المؤرخون يسمونها بعد هذا التاريخ « بالدولة الإسلامية » !

وإنى أرجو ألا يفهم من هذا أننى لا أؤيد وجود وحدة بأى نوع من الاتحاد وتحت أى اسم من الأسماء ، ولكنى أوجِّهُ إلى أقرب الطرق إلى تحقيق حلم من هذا النوع ... إن مباحث الأدب والتاريخ لا تنتهى ، ولكنها تصبح عظيمة الجدوى إذا اصطحبها النظر إلى واقع الظروف القومية والاجتماعية الملابسة ، وقد تتحقق الوحدة المنشودة بإرشاد المخالفين لها أكثر مما تتحقق بإرشاد المؤيدين ، فإن الناظر إلى حالة كل دولة شرقية على حدة يدرك طول الأمد المطلوب لتحقيق شىء من هذا القبيل للانحلال الظاهر فى كل عضو من أعضاء هذا الجسم على انفراد ، فليكن العلاج علاجاً لكل عضو مستقلاً عما سواه ، حتى يصح الجسم بصحة جميع أعضائه !

وبعد ذلك ، أفلا يرى معى كل منصف أن الدعاة إلى القومية قد يكونون هم أصلح الدعاة إلى وحدة عربية أو إسلامية قوية منيعة فى وقت ليس قريباً جداً ، وأن من يراد له أن يكون أديب الأقطار العربية كلها لا أن يكون فى قطر واحد أديباً ، قد يكون هو أديب الأقطار العربية الحق ، الذى يمهد السبيل القويم — وإن كان بطيئاً — لوحدة هذه الشعوب التى تدين بدين واحد فى أغلبها ، وبأمانى وطنية واقتصادية واحدة فى مجموعها ؟ !

(شبرا — مصر) عامر محمد بحيرى

العربية والإسلامية

دفعنى إلى معاودة الكتابة فى هذا الموضوع الردّ الذى قرأته موجّهاً إلىّ فى العدد (٣٢٠) من « الرسالة » ، على أن مثل هذا

الموضوع لا يُعتذر من كثرة الكلام فيه ، وإنما يَعتذر (ولا يُعذر) من قِصَر الكلام فيه ، ولم يبن حقيقته

والمسألة هي أن هناك أخوة إسلامية دينية ، وهنالك وحدة إسلامية سياسية ، وهنالك إسلام وهنالك مسلمون ، ولا بدّ من فصل كل واحدة من هذه المسائل عن الأخرى

فكون المؤمنين إخوة ، وكون المسلم أخاً للمسلم ولو اختلفت الديار وتباينت اللغات أمر مسلّم به ديناً ، ولا يكون مسلماً من ينكره لأن الآثار القطعية تواردت عليه ، ولأنه أصل من أصول الدين ، ولأن شعائر الدين كلها من نحو الصلاة والزكاة والحجّ والأحكام الفقهية تدور كلها على اعتبار الناس أصنافاً : مسلمين وذميّين ومحاربين ، فني إبطال الأخوة الإسلامية واتخاذ الأخوة العربية أو الوطنية خروج صريح على الدين الإسلامي

هذا من ناحية الدين ، وليس معنى هذا أن الإسلام ينظر إلى المواطنين غير المسلمين نظر العدوان أو يسقط حقوقهم أو يعاملهم على نحو ما يدّعي من ينادي بحماية الأقلّيات ، بل الحقيقة التي يعرفها كل من له أقلّ اطلاع على الإسلام ، أن الإسلام يحفظ للمواطنين غير المسلمين كل حقوقهم ويضمن لهم حرّياتهم ، فليفهم هذا

أما الوحدة الإسلامية وتحقيقها عملياً فشيء آخر لا بحث فيه الآن ، ولكننا نعتقد أن له مائة طريق إلى تحقيقه ، وحسبك علماً بنظام الامبراطورية الإنكليزية الذي استطاع أن يضمّ ممالك منثورة في كل آفاق الأرض لتعلم أن الفكر البشري لا يعجزه حين استكمال هذه الشعوب قوتها وحريتها ، إيجاد نظام صالح للوحدة

أما الاحتجاج بعمل بعض المسلمين اليوم وموقفهم من فلسطين فلا يقوم حجّة على الإسلام ، لأنه فرع منه ولأن الدين مبدأ ثابت لا يُعد عدم اتباع فئة من المنتمين إليه لأوامره وأحكامه نقصاً فيه . وأما نفي مساعدة المسلمين في الهند لثورة فلسطين فباطل ، والأموال الكثيرة التي انهالت من الهند على مجاهدي فلسطين لا يستطيع نكرانها أحد

(دمشق) **ناجي الطنطاوي**

حول معنى بيت

قال الأستاذ الصعيدي في العدد (٣١٩) من الرسالة تعقيباً على هذا البيت المنسوب إلى معاوية

قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن

مقالته الآتية : (ومثل هذا لا يمكن أن يقال في عصر معاوية لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث في ذلك العصر ولم يكن فيه كتب في التصوف يحملها المتصوفة وغيرهم) .

أما إنه لم يكن هناك كتب في التصوف في ذلك العصر فهذا صحيح ، لأن أول كتاب وضع للناس في التصوف هو كتاب « اللمع » لواضعه الشيخ أبي نصر عبد الله بن السراج الطوسي المتوفى سنة ٦٤٠هـ . وقد قام المستشرق الإنكليزي نيكلسون بنسخه وتصحيحه وطبع في مدينة ليدن ١٩١٤ . بيد أن هذا البيت لا ينهض دليلاً للأستاذ الصعيدي على أن قصة سعدوسعاد موضوعة فقد فهم كلمة « كتب » في البيت على ظاهرها

والذي أراه في تفسير هذا البيت أن أسلوبه مقتبس من أسلوب الذكر الحكيم : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي مكتوباً موقوتاً ، والمكتوب هو المفروض: أعني مفروضاً محدداً بوقت لا يتعداه. فكلمة (كتب) ليس المراد منها في البيت هذه الدفّفات من مخطوطات أو مطبوعات ، وإلا فما معنى من الفرائض ؟ بل هي جمع كتاب بمعنى المكتوب عليه أي المفروض فيكون الأسلوب هكذا : له مفروضات من الفرائض، كما تقول أقمنا بها عمراً من العمر. ومعنى البيت إذن: (قد كنت يا مروان في مبلغ يقيني بك تشبه الصوفي الذي جعل لنفسه مفروضات من الفرائض يتعبد بها أو آيات قرآن يرتفع بها فلا يسف إلى وهدة الآثام)

وبهذا يسلم البيت من الاعتراض التاريخي الذي يوجه إليه على تفسير الأستاذ الصعيدي . أما أن القصة موضوعة أو واقعة فهذا منحى آخر

أحمد عبد الرحمن عيسى



نظرات فى كتاب

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

للأديب خليل أحمد جلو

الكتاب — كما يحدثنا المؤلف — عدة فصول من كتابه « الأدب العربي قبل الإسلام » الذى نقله إلى الفرنسية وعرضه بشكل أطروحة فى السوربون. فأخفق لأن المستشرقين لا يرحبون بكتاب يشيد بالأدب العربي ويحيي ما اندثر منه، فاضطر إلى تأليف كتاب فى الأدب الفرنسي البحت فاطمأنوا إليه وأجازوه الدكتوراه!

والكتاب — بتعريف آخر — هو مجموع المحاضرات التى ألقاها صاحبه على طلاب دار المعلمين العالية ببغداد

والكتاب إذا أردتُ أن يفطن إليه أهل العراق ، قلت هو كل ما ألقاه الدكتور من أحاديث فى دار الإذاعة اللاسلكية فى الصيف المنصرم

ولا تحسبنى أيها القارئُ الكريم من الكاذبين إذا تفقدته فى الأسواق فلم تجده ، فإن وزارة المعارف قد اشترته وهو فى المطبعة بثمن يدل على عطف وتشجيع ، فأنقذت صاحبه من عناء التصريف وحسرة البوار ، وأخذت بما روى : « إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وهل أحد من الناس أولى من الأديب بالرحمة والإنعام فى هذا الزمان ! ؟

إن الدكتور كان بخيلاً على أصحاب المكتبات أن يرتزقوا منه، وكان ضنيناً على القراء أن ينتفعوا به . فهل أمن النقد حين استخفى كتابه عن السوق ؟ وهل اطمأنت نفسه حين فرضه على طلابه فى دار المعلمين العالية فرضاً ألا تذيع نواقصه وتنشر عيوبه ؟ وهل نجحت حيلته حين أذاعه فى المذياع العراقى ارتجالاً ولم يسمح للصحف والمجلات أن تنشره ؟

لقد خابت ظنون الدكتور ، ولم يفت النقاد المترصدين أن يصمدوا له ويتناوشوه . فاليوم عليه « البعث » وعلينا « الحساب »

ولأكن عند حسن ظن الدكتور ! فلست أبغى التعريض بشخصه ولا المسَّ بذاته وهو من ذوى الماضى المجيد ، ومن دعاة الحركة الوطنية ، وممن صاول وقارع البغاة المستعمرين ، وممن لهم كرسى رفيع فى دار المعلمين العالية

اقتضى هذا الإطراء ما أعرفه عن الدكتور من ضيق الصدر بالنقد واحتباس نفسه منه سواء أكان موجهاً إليه أم إلى غيره . واقتضاء أيضاً سوء الظن بالنقاد والارتياب بما يؤاخذون به المخطئين. ألم تلاحظوا الدكتور زكى مبارك لا يفتأ يعلن صداقته وحبه لأحمد أمين فى رده عليه ، وبعض الناس لا يفتأون يتهمونه بالأغراض والمقاصد ، بل وأشركوا معه صاحب الرسالة ؟

فليعلم الدكتور ـ غير معلم ـ أني لا أضمر له كرهاً وليس لى معه مآرب ، وأن الأدباء من حسناتهم النقد النزيه ، ولعل ربك يريد أن يسبغ عليَّ بعض حسناته حين قيض لى نقد كتاب « بعث الشعر الجاهلى »

أما بعد فإن كتابك يا سيدى ناقص من عدة وجوه لزم علينا تبيانها واستقصاؤها

أولاً: إنك اقتصرت فى بحثك على خمسة شعراء هم امرؤ القيس، وزهير ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث ، وعنترة ، وتركت الآخرين مقبورين لم تبعثهم . فهل أنكرتهم وشككت فى تراثهم ؟ وإذا كان ذلك فأين الدليل والبرهان ؟ وإذا لم يكونوا من صلب بحثك فلم سميت الكتاب « بعث الشعر الجاهلى » الذى يقتضى ألا تدع ارتياباً فى شاعر جاهلى ولا شكاً فيما روى عنه من قريض . هل تعتقد أن ما أغفلته حقيقة مسلم بها لا تحتاج إلى التنويه والإشارة على الأقل ؟

إن الذى يطمع أن يبعث الشعر الجاهلى يجب ألا يدع شاردة ولا واردة منه إلا استقصاها وامتحنها ، وإن من النقص الفظيع أن تكتفى فى بحثك بخمسة شعراء . وهل تناولت غير شرح معلقاتهم كأن لم يكن لهم من دون المعلقات قصائد وأبيات أخر تحتاج إلى التدقيق والتحقيق ؟ !

ثانياً : لم يخطر على بالك أن تستعرض رأياً من آراء المستشرقين واستدلالات المنقبين الأثريين مثل « نولدكه » و « جويدى » وغيرهما من الذين كانوا الأساس الذى اعتمد عليه الدكتور « طه حسين » والنبع الذى أخذ منه فى إنكار الشعر الجاهلى أو الإغراق فى الشك فيه . وركنت إلى المصادر العربية القديمة دون ترو واحتراس ودون جدال ولا مناقشة . ولخصت حياة الشعراء متجنباً كل ما يدعو إلى الشك والارتياب ويعوزه التدليل والبرهان . وشرحت المعلقات ولم تر حاجة أن تستهلها ببحث يقرر أنها جاهلية وأنها ليست فى مجموعها أو بعضها من انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب ، أو صنعة النحاة ، أو تكلف القصاص ، أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين . وهل يصح لكاتب يريد أن يبعث الشعر الجاهلى بعد أن حامت حوله الشكوك والأوهام أن يغفل عن ذلك ؟ وهل يبعث الشعر الجاهلى بسرد حياة الشعراء وشرح معلقاتهم كما يدرسها طلاب المتوسطات

ولا بد أن أروى لك نماذج من بحثه لتستدل على صدق ما أقول ولتؤمن أن البحث العلمى الصحيح يمقت ذلك

يقول الدكتور البصير مقرراً وجود عمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة اليشكرى : « إن منابع التاريخ العربية فى القرون الوسطى تذكرهما وتروى لهما . إذن فلا سبيل إلى إنكار وجودهما ولا إلى الشك فى شاعريتهما » (ص ٤٨ — ٤٩) . ويعتقد أن القارئ قد أقنعه هذا البرهان ، وأنه لا يمكن أن يقال أكثر من ذلك فى إثبات الشاعرين ، فيصدر أمراً عسكرياً « بالشروع بالبحث حالاً » عن شرح معلقتيهما

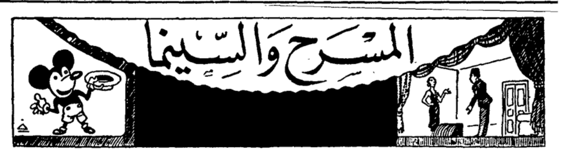
مهلاً يا دكتور ! إن قولك لا يطمئن إليه أشد الناس سذاجة حتى تنفى عن ذهنه ما أحيط به عمرو بن كلثوم من أساطير جملته أقرب إلى أبطال القصص منه إلى أشخاص التاريخ . وحتى تقنعه بالنص التاريخى أو الأدلة المنطقية التى تقرب إلى عقله صحة ما وقع بين آل المنذر وبنى تغلب من ناحية ، وبين ملوك الفرس وأهل البادية من ناحية أخرى . وحتى تدحض شكوك الرواة فى بعض المعلقة واختلافهم فى الأبيات الأولى : أقائلها عمرو بن كلثوم ، أم قالها عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش . وأنت مضطر أيضاً ، إذا أردت أن تفهم أشد الناس سذاجة، أن تعلل ما فى قصيدته من تكرار فى الأبيات والحروف ، وشذوذ عن سلامة الطبع البدوى

وجدير بك وأنت تبحث فى قصيدة الحارث التى آمنت بصحتها أن تقنع القارئ بأنها ارتجلت ارتجالاً ، ولم يفكر فيها الشاعر تفكيراً طويلاً ويرتب أجزاءها ترتيباً دقيقاً .

تراني أيها القارئ الكريم أطيل عليك فيما يجب أن يتناوله الدكتور مهدى البصير فى بحثه عن الشاعرين : عمرو والحارث ومعلقتيهما . ولكن الحق معى فإن كتابه يدعى (بعث الشعر الجاهلى) لا « بحث فى الشعر الجاهلى » ، وإن الكتاب ألقى على طلاب دار المعلمين العالية ولم يلق على طلاب المتوسطات . وإنى منتقد يجدر به أن يدلى إلى الدكتور بما لاحظه من نقص وإغفال ويرشده إلى طريقة البحث العلمى الصحيح لعله ينتصح ويتلافى هذه الأغلاط

ولندع ابن كلثوم والحارث ولننتقل إلى زهير وامرئ القيس

أما زهير بن أبي سُلمى فإن الدكتور لا يجد صعوبة ولا مشقة فى إقرار شخصيته التى تتناقلها المصادر العربية القديمة وأشعاره التى ترويها، فيحدثنا فى مستهل حديثه عن زهير: « إننا لسنا بحاجة إلى إقامة الأدلة التاريخية على أن زهير بن أبى سلمى قد وجد حقيقةً وقرض الشعر » (ص ٣١) ثم يقتصر « على درس معلقة زهير » ويقصد بالدرس هنا تفسير الغريب من ألفاظ المعلقة وشرح بعض المعانى فقط . ولا أظنك ترميني بالغلو إذا قلت إن الذى يريد أن يبعث الشعر الجاهلى ملزم فى كلامه عن زهير أن يبحث عن نسبته إلى مزينة ، وإقامته فى غطفان ، وكونه من أسرة معروفة بقرض الشعر ؛ وحظوته عند هرم ، ورأى النقاد الحديثين والرواة الأقدمين فيه ، وعلاقته بالإسلام مع ذكر الأدلة والشواهد التى تقنع القارئ بصحة ما يقول . وهل يُثبت ما ذكره فى مستهل حديثه أن قصيدة الشاعر جاهلية وأنها لزهير وأنْ ليس للمنتحلين يد فيها ؟ وهل يصح له أن يغفل ما يتحدث به الرواة عن زهير : أنه تنبأ بالإسلام قبل البعثة، وأنه أوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما، وأن له شعراً فيه أصول دينية إسلامية ، وأن النبى رآه فاستعاذ بالله من شيطانه فانقطع زهير عن الشعر حتى مات ؟ [البقية فى ذيل الصفحة التالية]



من التاريخ

٣ـ النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

فرقة رمسيس

جمع يوسف وهبي حوله بطلات وأبطال المسرح فى ذلك الحين إلا من أبطرتهم الشهرة وأفسدهم المجد ، أو خاف منهم على نفسه ، وهو فى مستهل حياته الفنية التي يرجى منها الخير . . . وليوسف بعض العذر فيما فعل ، فما معنى أن يستظل باسم كبير لامع يتضاءل اسمه إلى جانبه ولا يفيد منه شيئاً يذكر ، ويكون مصدر خطر على مشروعه الكبير الذى أرصد له ثلاثة عشر ألفاً من الجنيهات من ماله الخاص ، فينسب إليه الفضل فى النجاح إذا كان مقدراً له ولا يكون ليوسف إلا فضل صاحب المال ، وما أتعسه من فضل لا يرتضيه فنان لنفسه ! ويوسف إنسان ذكى له كل المميزات التى تجعل منه زعيماً فى وسطه ، وله كل عيوب الأذكياء التى تفقدهم عطف الكثيرين ، وتذكى فى نفوسهم الغيرة منهم والحقد عليهم . وقد شق طريقه بجرأة لا مثيل لها ، وتزعم جماعة المسرحيين ، وأقصى من لا يستطيع الزعامة عليهم ، واحتضن من وطأوا أكنافهم له ، وارتضوا بقيادته لهم على حين أن ماضيهم الطويل وخبرتهم بالمسرح ودرايتهم به كانت تجعلهم فى أنفسهم ينظرون إليه ويبتسمون !

وترقب الناس ما ستخرجه لهم « فرقة رمسيس » من جديد يقبلون عليه . أما القديم فقد عرفوه وشبعوا منه وارتووا . وعلى أى حال ، فهل تستطيع « فرقة رمسيس » أن تخرج أوديب أو عطيل أو مدام سان جين ؟ ... إن جورج أبيض الذى تزعم التراجيدى لم يكن قد فقد مكانته فيه ، وما كان أحد يعتقد أن يوسف أو سواه يحسن القيام بأدواره ، وأن تستطيع فرقة رمسيس أن تخرج للناس (الموت المدنى) أو (النائب هالير) ولم يكن أحد قد تصور مدى لحظة من الزمان أن عبد الرحمن رشدى يمكن أن يبزه آخر فى هذه الأدوار التى اشتهر بها وأتقنها كل الإتقان .

ترقب الناس ما ستأتى لهم به فرقة رمسيس الجديدة من جديد — كما ترقبوا حين أنشئت الفرقة القومية ما ستأتى به لهم هذه الفرقة الجديدة من جديد — والناس عادة لا يرحبون بالقديم لعرفانهم به وللملهم إياه . ثم إنهم كانوا قليلى الثقة بغير جورج أبيض وعبد الرحمن رشدى !

وقد كانت هذه الفكرة التى تخامر أذهان الجماهير ، والتى تحدث بها بعض النقاد والكتاب عند تكوين فرقة رمسيس من الدوافع الهامة التى حدت بيوسف لأن يعمل على هدمها نظرياً وعملياً ، وتقويضها من أساسها بطرقه المعروفة — وسنفصل ذلك فيما بعد — على أن هذه المجهودات الهدامة كانت من العوامل التى أثرت تأثيراً عكسياً فى النهضة المسرحية فى مصر ، وأساءت إلى يوسف وفرقته إساءة عظيمة ، وأفقدته عطف الجماهير وتقديرها

أما يوسف من جانبه فإنه كان راغباً فى عدم التحكك بمجد الآخرين ، كان يريد أن يبتنى المجد لنفسه وبنفسه ، وكان يريد

أما حديثه عن امرئ القيس فهو غاية فى الظرف والفكاهة وجهل أفهام الناس . فهو يلخص تاريخ امرئ القيس تلخيصاً خالياً من كل ما ترويه الكتب العربية من أساطير وأعاجيب لينجو من عناء المناقشة ومشقة الدحض والإثبات . ثم يستجهل القارئ معرفة غير ما روى عن الشاعر، ثم يقول : « ولا نزاع أنه (أى تلخيصه) منسجم مطرد . . وظاهر أنه لم يكن أكذوبة من أكاذيب القصاص » (ص ١٠)

(يتبع) خليل أحمد جاد

أن يظهر فى ثوب جديد خلاب ، حتى لا يجد الجمهور وجهاً للمقارنة بينه وبين الآخرين فيه . ومن ثم فقد أعلن أنه تلميذ (كياتونى) الإيطالى ، ووضع فى برنامجه روايات جديدة لم يعرفها الجمهور من قبل ، ولم يسمع بها ، ولو أنه كان فى أعماقه يحلم بأوديب وعطيل ولويس ، وكل الروايات التى اشتهر بها غيره من الأبطال ونالوا بها المجد . وكان يعتقد فى نفسه القدرة ، أو يرى فى نفسه أنه مستطيع التأثير فى الجمهور بطريقته الخاصة . فينتزع الإعجاب منه وينتزع راية المجد من الآخرين ، وقد أخرج فعلاً فيما تلا من سنين بعض الروايات القديمة المعروفة ، كما قام بمشهد صغير من عطيل ضمن مشاهد إحدى الروايات المصرية ، لكنه لم يظهر فى عطيل نفسها أو أوديب أو سواها من الروايات الضخمة التى أصبحت ملكاً لجورج أبيض طوال عمره !

***

وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء اليوم العاشر من شهر مارس عام ١٩٢٣ رفع الستار فى مسرح رمسيس عن رواية المجنون التى قيل يومئذ إنها من تأليف يوسف وهبى . (للكلام بقية)

اختيار الروايات فى الفرقة القومية

يخطئ من يظن أن الفرقة القومية أو أصحاب الشأن فيها يعرفون السبب الحقيقى الذى من أجله أنشئت الفرقة ، وإلا فما هذا العبث المحض الذى نراه فى اختيار الروايات ، وما هذه السياسة المضحكة التى يسيرون عليها ، وكأنما هم موكلون بالتنكيل بفن التمثيل لقاء ما تكافئهم به الحكومة من أجر ؟ !

ولنضع أمام القارئ أمثلة يسيرة من هذه السياسة العجيبة .

(الخطاب) و (جنون الشرف)

فى الموسم الأسبق أخرجت الفرقة القومية رواية الخطاب « لسومرست موغام » ، وهى رواية أقل ما يقال فيها أنها تحض على الرذيلة ، وتشجع عليها ، وتكافئ الخاطئين ، وتجزى الأبرياء شر الجزاء !

ومعرب هذه الرواية هو الأستاذ سليم سعده وقد خيل إليه أنه فهم رسالة الفرقة القومية فى هذا الزمان فعرض على مديرها رواية (جنون الشرف) لبيرانديللو ، وهى رواية أقل ما يقال فيها أنها تصور الشرف فى أجل الصور ، وتحض على حبه والتعلق به .

ولكن المدير الفاضل رفضها وطلب إلى المعرب أن يختار سواها من الروايات الشعبية التى هى أقرب إلى متناول هذا الشعب الذى لم يرق إلى درجة بيرانديللو . فاختار المترجم رواية (الخطاب) فقبلت فى الحال وكانت سبة للفرقة أبد الدهر !

الروايات التاريخية فى السينما

تقول الأنباء : إن إخوان لاما يخرجون رواية تاريخية عن المجنون وأن الثالوث المعروف (آسيا . مارى . جلال) يخرجون رواية تاريخية تحت اسم أرمانوسة أو شىء كهذا — فمن الضرورى أن نقول لهؤلاء وهؤلاء ولغيرهم كلمة ، أو نسدى إليهم نصيحة .

منذ أعوام أخرجت السيدة آسيا رواية تاريخية عن (شجرة الدر) ، وأخرجت السيدة بهيجة حافظ رواية عن (ليلى بنت الصحراء) ، وأخرج إخوان لاما بضع روايات كانت مزيجاً من التاريخ وصور الصحراء ، وأخرجت السيدة عزيزة أمير وغيرها روايات فيها تاريخ وفيها صور من أهل البدو ، وكيف يعيشون ، وكيف يملأون الدنيا غراماً !

وكانت هذه الروايات جميعاً تنقصها الطلاوة والحبكة مع أن أصحابها قصدوا فيما قصدوا من لياذهم بالتاريخ والصحراء والملابس المألوفة أن يستروا بها أشياء كثيرة من عدم كفاية الاستعداد ، وعدم حبكة الموضوع ، بعد أن جربوا التعرض للموضوعات المصرية ، فأخفقوا بعض الأخفاق ، أى أنهم لجأوا إلى الروايات التاريخية ليداروا بعض العيوب وليفيدوا من الضخامة والمناظر الطبيعية الساحرة ، وصور التاريخ الخلابة . مع أن الروايات التاريخية أو ذات المناظر الخارجية ، تحتاج لعناية أدق واستعداد أوفى . وتحتاج فيما تحتاج إلى براعة فائقة فى الإخراج لا يفهمها إلا الراسخون فى العلم . فمن العدل أن نقول لهؤلاء جميعاً من البداية إن تعرضهم للروايات التاريخية لن يفيدهم شيئاً إذا قصدوا إلى ستر بعض العيوب أو الإفادة من الطبيعة ومناظرها . من الحق أن نقول لهم إن إخراج رواية تاريخية معناه البذل المعظم والتضحية الكبرى . ولينظروا كيف تفعل الشركات الأمريكية والانجليزية على الخصوص . بل ليتأملوا كيف فعل استديو مصر فى إخراج (لاشين) . وليتريثوا قليلاً وليفكروا كثيراً قبل الإقدام على هذه المجازفات .

ونحن على أى حال ندعو لهم بالنجاح والسداد والتوفيق .

(فرعون الصغير)

أخبـــار سينمائيـــة

جريتا جاربو وميلفين دوجلاس

استقر الرأى أخيراً على أن يكون ميلفين دوجلاس زميل جريتا جاربو فى رواية نينوتشكا ، وهذه ليست أول مرة يظهر فيها ميلفين إلى جانب جريتا فمنذ أعوام ظهر معها فى رواية (إنك فى حاجة إلىّ) ولم يكن وقتها قد نال إلا قليلاً من الشهرة .

جارى كوبر

أمضى جارى عقداً مع ساموبل جولدوين وستكون أولى رواياته (النصر الحقيقى) مع أندريه ليدز فى دور القيادة .

تيرون باوار

منذ عامين لم يكن تيرون باوار شيئاً مذكوراً ، ومع ذلك فإنه فى العام الأخير قد ظهر فى خمس روايات كل منها تكلفت أكثر من مليونين من الدولارات ، وإحداها كما يذكر القراء رواية (قنال السويس) التى منع عرضها فى مصر لتعرضها بغير حق لشخصيات تاريخية معروفة . أما (حريق شيكاغو) فقد نالت نصراً عظيماً وقوبلت بعاصفة من النجاح فى كل مكان. وهكذا ارتفع تيرون فى لمح البرق تسنده الملايين وتحوطه قلوب الفتيات فى العالم !



جودى جارلاند وفريدى بارثولميو
وهما فى طريقهما إلى إحدى دور السينما



مارلين ديتريش

وقد عرفت فى رواية (الملاك الأزرق) مع (أميل جاننجز) وسطع نجمها فى رواية (مراكش) أو (قلوب محترقة) مع (جارى كوبر).
واليوم تفخر بها شركة (بارامونت) وتعتز بمكانتها فى هوليود
وقد دعاها الهر هتلر أن تعود إلى بلادها فرفضت وفضلت الخروج من جنسيتها لتعيش حرة طليقة من كل قيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 323 | Lundi - 11 - 9 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

من ذكريات الحرب الماضية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثير على إنسان واحد أن يشهد الحرب العالمية في حياته مرتين ، فقد كانت الدنيا كلها لا تشهد حرباً عالية إلا مرة في كل خمسة قرون أو ستة قرون ، وكانت على أوسع ما تتسع له آفاقها تنحصر في دولتين أو ثلاث دول هي كل ما يُسمى « العالم » في تلك العصور

أما اليوم فقد شهدنا الحرب العظمى قبل ربع قرن؛ وها نحن أولاء نشهد العالم كله متحفزاً لحرب عالية أخرى تستغرق كل من على ظهر البسيطة من كبار الشعوب وصغارها ولو لم يشتركوا جميعاً في قتال

ماذا وراء ذلك ؟ خير أو شر ؟ ونجاة أو هلاك ؟ وخطوة إلى حضارة أعلى أو نكوص إلى همجية الكهوف ؟

بشر ولا تنفر !

وعلى هذه السنة نقول : إن تتابع الحروب العالمية دليل على وجود المشكلة العالمية بعد أن لم يكن لهذه المشكلة وجود ، وبعد أن لم يكن للعالم نفسه شعور بوجوده مستقلاً عن عصبيات الدول والأوطان

ومتى ظهرت المشكلة فتلك بداية الحل ، ومتى تفاقم الخطر فتلك علامة النهاية

أي نهاية ؟

نهاية الخطر أو نهاية العالم ؟

الفهـــرس

١٣ - ٣١

بل نهاية الخطر إن شاء الله

***

وذكريات الحرب الماضية تفوق الحصر والإحاطة ، فهي أربع سنوات لم ينقض يوم واحد منها على غير تجربة جديدة من تجارب الفكر أو من تجارب المعيشة أو من تجارب الحياة

تاريخ أربعة آلاف سنة مجتمع فى أربع سنوات ، لأن الحرب العظمى قد عرضت على الناس فى مدى سنواتها الأربع كل ماعرفه بنو الإنسان من خبرة السياسة وأطوار التاريخ ، وقد أرتهم مصائر ملوك ودولات لم يرها الأقدمون إلا من قراءة الأسفار الطوال ، وهى قبس صغير مما يراه الناظر رؤية العيان

لكننى أقتصر فى هذا المقال على ذكريات تمس الأدب والصحافة لأننى أكتبه فى صحيفة أدبية ، وفى استذكاره على ما أرجو عبرة للمعتبرين

كانت الرقابة شديدة على كل مايطبع ولاسيا الصحف السياسية. وكنا نحن الذين ننشر فى الصحف بعض المقالات أو القصائد من حين إلى حين نعرف مبلغ تلك الرقابة ، ونسمي « الرقيب » بالمكتوبجى تشبيهاً له بالرقباء على الصحافة فى تركيا العتيقة ، أيام السلطان عبد الحميد

كان المكتوبجى التركى يلمح كلمة « المراد » فيحذفها مخافة أن يكون الكاتب مشيراً بها إلى حبس السلطان مراد

وكان يلمح كلمة « الرشاد » فيحذفها مخافة أن يكون المقصود بها ولى العهد محمد رشاد

وكانت تأتى الأنباء بقتل عظيم من العظماء فتعلم الدنيا كلها جلية النبأ إلا قراء الصحافة التركية فهم لا يعلمون إلا أنه قد مات بالحمى أو مات بالسكتة القلبية . . . وقس على ذلك سائر الأنباء

وعلى هذا النحو — أو على قريب من هذا النحو — سار بعض الرقباء فى قلم المطبوعات الموكول إليه أن يراجع الصحف قبل نشرها ، وأن يحذف منها ما يثير الخواطر ولا راد لقضائه ، فكانوا يندسون بين السطور بل يندسون فى ألفاف مخ الكاتب حتى لا يقع فى خلده أنه قد غلبهم بالدهاء وقد « فوّت » عليهم كناية من الكنايات ، وهم الأذكياء الألباء !

ويحضرنى من نوادرهم أنهم حرموا عليّ ذكر الاستقلال فى قصيدة شعرية فغلبوا القائد العام لدولة الحماية ! لأنه لم ينكر استقلال مصر عند إعلان الحماية عليها ، بل وعد برعايته والمحافظة عليه

أرسلت إلى « الأهرام » قصيدة فى وصف « هيكل أدفو » ختمتها بالأبيات الآتية وتبدو فيها أخيلة الحرب وأطيافها :

الناس يغتال القوى ضعيفهم والدهر يغتال الفتى المغتالا
قهار كل القاهرين تقاصرت عنه مكائد من طغى واحتالا
ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم أسفاً وما نقص الثرى مثقالا
ملكَ الفراعنةُ الحماةُ وخلفوا للملك أعلاماً بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البناة كأنهم عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهى كدأبها من عهد نوح تربة ورجالا
عهد على الله القدير وذمة ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا قسط البنين معارفاً وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ما كان يوماً لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها حمد الهوان بها فلا استقلالا

فظهرت القصيدة وليس فيها البيت الأخير ، وسألت عنه أين ذهب ؟ فقال لى رئيس التحرير ضاحكاً : فى بطن المكتوبجى هذه المرة لا فى بطن الشاعر ! أيهمك أن تذهب إلى حيث ذهب هذا البيت العزيز من القصيدة ؟ !

وشاءت المقادير أن أعمل فى قلم المطبوعات، لأننى خلوت من العمل واحتجت إلى الإقامة بالعاصمة بضعة أشهر فى جو رفيق وفى عمل يناسب ما كنت أعانيه من السقم

فلم أشأ أن أكون « مكتوبجياً » وأنا أعلم نصيب المكتوبجى من السخرية فى مجالس الأدباء والصحفيين

فلم يمض أسبوع واحد حتى دعانى مستر « هورنبلور » مدير المطبوعات إليه فى مكتبه ، وكان رجلاً متحذلقاً يدعى المعرفة بجميع الأشياء وفى مقدمتها اللغة العربية الفصحى التى لا يحسن نطقها ، وبدهنى قائلاً :

— إذا لم يكن عطفك معنا فلماذا تعمل فى هذه الوظيفة ؟

قلت : إننى لا أفهم ما تعنيه

قال : إنك لا تتوخى الدقة فى مراجعة الصحف . وأرانى أخباراً تركتها فى بعض الصحف وكان من حقها أن تحذف محافظة على « أمن الخواطر »

قلت: إننى لا أجد فى هذه الأخبار ما يمتنع نشره بين المصريين، وإنى أقرأ فى الصحف الإنجليزية نفسها ما هو أهم من هذه الأخبار. فلماذا ينبغى أن يجهل المصريون ما يعلمه الإنجليز وهم محاربون ؟ !

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

– ١٤ –

أبدأ حديث اليوم بالاعتذار لفريق من القراء يريدون أن نكثر من الشواهد كما صنعنا عند الكلام عن إحساس ابن خفاجة بالطبيعة والوجود ، فالنضال بيني وبين حضرة الأستاذ أحمد أمين يمس شؤوناً لا تهمّ غير الخواصّ ، وهم في غنى عن سوق الشواهد وضرب الأمثال

أما الأديب الذي كتب من القدس ولم يذكر اسمه ولا عنوانه فأنا أرجوه أن يعفيني من إثبات رأيه في الأستاذ أحمد أمين لما فيه من إيذاء . وأما رأيه فيّ فلا يحتاج إلى إثبات ؛ ولعله استقاه من كتاب « ليلى المريضة في العراق » وأنا راض عما شهدت به على نفسي في أكثر مؤلفاتي . وكنت أستطيع أن أقول إن العيوب التي أضفتها إلى نفسي ليست صحيحة ، وإنما جعلت نفسي صورة إنسانية أدرس على حسابها ما في الناس من محاسن وعيوب ، ولكني في الواقع لا أهتم بأقاويل الناس ولا أقيم وزناً للأراجيف ، لأني مؤمن أصدق الإيمان بأن الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، فهم أعجز من أن ينفعوني أو يضروني ؛ وأنا فوق ذلك أعرف أن الأساس السليم هو خلوص النية ، وسلامة ما بيني وبين فاطر الأرض والسموات ، وهو عزّ شأنه يعلم ما بينه وبيني ، ولولا فضله ورحمته وستره لكنت اليوم من الهالكين

كم تمنيت لو استطعت شكر الله على نعمه وآلائه ، ولكن هيهات ، فلله نعم تجلّ عن الحمد والثناء ، ومن تلك النعم نعمة الرضا المطلق بما كتبه وقضاه ، فما أذكر أبداً أني جزعت أو ضجرت من مكروه يُلمّ بي . وهنالك نعمة أعظم تفضل بها عليّ الله ، وهي الإيمان بأنه تباركت أسماؤه هو وحده القادر على الضر والنفع ، فما خشيت غيره ولا رجوت سواه

فإن كنت صادقاً فعند الله جزاء الصدق ؛ وإن كنت كاذباً فالله وحده هو الذي يملك ستر العيوب ، وغفر الذنوب ، وعليه أعتمد في نجاتي من شر نفسي

مولاي ! أنا أحب أن أكثر من الثناء عليك ، ولكني أخشى الوقوع في مزالق الرياء ، فارض مني بالقليل يا من لا يعرف القليل في الإحسان إلى العاصين والطائعين

إن الكافرين بنعمتك لم يفتهم برك وإحسانك ، فكيف يفوتني لطفك وعفوك وسترك وأنا في سريرة نفسي من أخلص عبادك !

مولاي ، إليك الأمر كله فافعل ما تشاء ، ولن تراني إلا حيث تحبُّ في جميع الأحوال

* * *

أرجع كارهاً إلى محاسبة الأستاذ أحمد أمين :

صرح الأستاذ بأن الدين له أثر كبير في الأدب « لأنه من ناحية مصدر كبير من مصادر الإلهام الأدبي ، ومن ناحية أخرى إذا كان الأديب ذا دين وثني جامد تأثر أدبه بعقليته فخرج مثله

والواقع أننا كنا نقرأ الصحف الإنجليزية يومئذ فنطلع فيها على أخطر الأخبار وأعنف الهجمات في انتقاد تقصير الحكومة . وكانت هذه الصحف كثيرة الانتشار في مصر لانتشار الضباط والجنود الإنجليز فيها ، فإذا وصل بها البريد بعد تقطع وروده فترة من الزمن علمنا منها ما لا سبيل إلى العلم به من غيرها ، وعجبنا لشدة الحجر على الصحف المصرية بالقياس إلى تلك الحرية البالغة وتلك الصراحة الجريئة

فلما ذكرت الصحف الإنجليزية للمستر « هورنبلور » نظر إليّ طويلاً ثم قال : هل أنت من الحزب الوطني ؟

قلت : كلا . ولكني من المصريين

قال : حسن . نحن لا نتفق ، وأومأ إلى بالتحية . . . وانصرفت وأنا برىء من المكتوبجية وخلو من العمل في عالم الحرب الذي لا متسع فيه لصناعة الأدب ولا لصناعة الصحافة !

* * *

إلا أن الرقابة بغير غرض أهون كثيراً من رقابة يفرضها على الصحف رجل ينطوي على غرض خفي لا علاقة له بواجب الوظيفة

فقد كان من الرقباء من يطمع في المكافأة ، وكان منهم من يتعمد حذف الأخبار من بعض الصحف لكي تنفرد بنشرها صحيفة أخرى بينه وبين أصحابها لحمة قرابة أو مصاهرة

وقى الله الصحافة المصرية شر الرقابة « بغرض » والرقابة المنزهة عن الأغراض على السواء !

عباس محمود العقاد

مادياً جامداً ، وإذا كان دينه ضيق الخيال لاصقاً بالحجارة والأرض كان خياله فى أدبه غالباً كذلك ، لأن نفسية الإنسان وعقليته وحدة لا تتجزأ ، وإن اختلفت مناحيها ومظاهرها . من أجل هذا نرى الأدب الجاهلى فى الكثير الأغلب مادياً لا معنوياً ، ولا روحياً »

ذلك كلام أحمد أمين . وهو بهذا الكلام يضع قاعدة أدبية : هى تأثر الأدب بالدين

فدين الجاهلية فى رأيه دين أرضى وضيع ، وكذلك كان أدبهم ، لأن الأدب من صور الدين

ولكن العرب لم يطل عهدهم بالوثنية ، فقد أنعم الله عليهم بالإسلام ، وهو دينٌ سماويٌ رفيع ، فكان الواجب أن يتأثر أدبهم بذلك الدين فيسلم من تلك الصبغة الأرضية الوضيعة

منطق الأستاذ أحمد أمين يقضى بذلك

ولكن الرجل يصر على رأيه فى تحقير العقلية العربية فيجزم بأن الشعر العربى لم يتغير بعد الإسلام ، وإنما ظل فى أسر العقلية الجاهلية

فهل يكون معنى ذلك أنه كان مخطئاً حين قال بتأثر الأدب بالدين ؟

أم يكون معنى ذلك أن الإسلام لم يستطع أن يمحو تلك العقلية الجاهلية ؟

لا هذا ولا ذاك

فالعرب فى جاهليتهم تأثروا بالوثنية ، وتأثروا فى إسلامهم بالإسلام ، ولكن أحمد أمين يمزح فى مواطن لا يقبل فيها المزاح

وإلا فمن الذى يقول بأن الشعر العربى لم يتغير ولم يتطور بعد ظهور الإسلام ؟

هل كان فى الجاهلية شاعر كأبى العتاهية فى الزهديات ؟

هل كان فيهم شاعر كالشريف الرضى فى الحجازيات ؟

هل كان فيهم شاعر كأبى نواس فى الخمريات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن المعتز فى التشبيهات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن الفارض فى الوجدانيات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن خفاجة فى الورديات ؟

هل كان فيهم شاعر كشوقى فى التاريخيات ؟

هل كان فيهم شاعر كحافظ فى الاجتماعيات ؟

وهل استطاع الشعراء الجاهليون أن يصنعوا ما صنع الشعراء الإسلاميون فى تنويع القوافى والأوزان ؟

هل عرفوا الابتكار الذى ابتدعه الأندلسيون والمصريون والعراقيون ؟

هل عرفوا تسجيل التاريخ بالشعر كالذى صنعه بعض شعراء مصر والأندلس ؟

إن أحمد أمين يشهد على نفسه بما لا أدرى حين يحكم بأن الشعر الإسلامى صورة من الشعر الجاهلى ؛ وإلا فإن ضاق ذرعاً بهذا الوصف فليدلنا على باحث يؤيده فى هذا الرأى الغريب

وهل فى الدنيا كلها رجل يجرؤ على القول بأن الشعر الإسلامى فى مختلف عصوره ليس إلا نسخة ثانية من الشعر الجاهلى ؟

إن أحمد أمين افتتح مقالاته فى مجلة الثقافة بتلخيص كتاب الوشى ، وهو كتاب يشرح أفانين الشعراء فى وصف حياة القصور وملاعب الترف واللين

فهل كان فى شعراء الجاهلية من يعرف تلك الأفانين ؟

ومن هم العرب بعد الإسلام فى ذهن أحمد أمين ؟

يجب أن نعرف أولاً من هم العرب فى ذهن هذا « الأديب »

فظاهر كلامه يدل على أنهم سكان البوادى العربية ، وسكان البوادى يتطورون تطوراً بطيئاً جدا ، وقد تظل أحوالهم متقاربة الأشكال والأوضاع ألوفاً من السنين . ومع ذلك لا يمكن القول بأن الإسلام لم يتير سكان البوادى ولم ينقلهم من حال إلى أحوال فى العقائد والتصورات ، لأن الإسلام رجّ البوادى العربية رجة عنيفة وحول سكانها إلى رجال مؤمنين يتابعون ما فى القرآن من صور النعيم والعذاب . ولو أن أشعار سكان البوادى دُوّنت وعرفت مغازيها ومراميها لاستطعنا أن نعرف إلى أى حد أثر الإسلام فى تلوين الصور الشعرية عند سكان البوادى العربية .

ولكن أحمد أمين قد لا يرضى بظاهر كلامه فيقول إن العرب بعد الإسلام هم الأمم التى تكلمت لغة القرآن فى الشرق والغرب بعد ازدهار الحضارة الاسلامية

إن قال ذلك فقد حق عليه الخطأ فيما ادعاه من ضعف سيطرة القرآن على الأخيلة الشعرية فى تلك الشعوب

إن أحمد أمين لم يدرس الشعر الإسلامى دراسة جدية ، وماضيه العلمى يشهد بذلك ، فأعماله كلها كانت محصورة فى الدراسات الشرعية والأخلاقية ، ولو شئت لذكّرته بالأساس الذى أقيم عليه كتاب فجر الإسلام ، فقد كان مفروضاً أن يدرس أحمد أمين

تطور التأليف ، وأن يدرس طه حسين تطور الأدب ، وأن يدرس عبد الحميد العبادى تحوّل السياسة . فالرجل فى نفسه وفى أنفُس زملائه مؤلف لا أديب

وما يعيب أحمد أمين ألاّ يكون أديباً ، فله مواهب فى شؤون غير شؤون الأدب تعوّض عليه هذا النقص . ولو وقف حياته على دراسة الفقه والتوحيد لظفر بنصيب من التفرد والتفوق

ولكن يعيب أحمد أمين أن يحاول فهم سرائر الشعراء والكتاب والخطباء ، وهو ليس بالشاعر أو الكاتب أو الخطيب

وشاهد ذلك موجود : فهو يحكم بأن الشعراء لم يتأثروا بالقرآن ، مع أنه لو نظر فى كتب البلاغة وكتب الأدب لعرف أن تضمين آيات القرآن كان من الأغراض الملحوظة عند الشعراء ، ولعرف أيضاً أن حفظ القرآن كان من الفرائض التى يتواصى بها الشعراء

لو درس أحمد أمين تاريخ الأدب لعرف أن فى الشعراء من كان يقيّد نفسه حتى يحفظ القرآن ، ولعرف أن أبا إسحاق الصابى وهو على غير الملة الإسلامية كان يقرأ سوراً من القرآن قبل أن يشرع فى النظم أو الإنشاء ، حتى صح القول بأن بلاغة القرآن كانت تجرى على سنان قلم أبى إسحاق

ولما اتُّهم أبو تمام بأنه يشبه ممدوحه بأجلاف العرب ارتجل فقال :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

وهذه البديهة تشهد بأن أخيلة القرآن كانت تلاحق ذلك الذهن الفنان

واتفق مرة أن اعترض أحد الأدباء على الاستعارة فى قول حبيب :

لا تسـقنى ماء الملام فإننى صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

وأرسل خادمه يقول : إن مولاى يرجوك أن تملأ هذه الكأس من ماء الملام ! فقال حبيب : قل لمولاك يتفضل أولاً بإرسال ريشة من جناح الذل !

فهل هناك أبلغ من هذه الشواهد فى الدلالة على أن الشعراء كانوا يتأثرون أشد التأثر بأخيلة القرآن ؟

* * *

وهنا مسألة دقيقة قد ينتفع بها الأستاذ أحمد أمين، وهى مسألة لم تُدرس قبل اليوم ، وسيكون لها صدًى فى البيئات التى تهتم بدراسة الشعر الجاهلى

وتلك المسألة هى تأثير القرآن فى الشعر الجاهلى نفسه

ولكن كيف ؟ إن هذا لو صح لكان من الغرائب . وهل يؤثر القرآن فى الشعر الجاهلى مع أن الشعر الجاهلى أسبق ؟

نعم ، القرآن أثر فى الشعر الجاهلى تأثيراً شديداً فقد وضعه فى الغربال ولم يستبق منه غير ما كان بلغة قريش ، وهى لغة القرآن

فالأشعار الجاهلية التى شرّقت وغرّبت بعد الإسلام هى الأشعار التى تساير القرآن من الوجهة اللغوية والنحوية ، بغض النظر عما أُثِر من الشذوذ القليل الذى احتاج إليه اللغويون والنحويون والصرفيون

وهذا «التوجيه» الذى صنعه القرآن كانت له يد فى «توحيد» اللغة العربية . فلولا القرآن لظل الشعر الجاهلى مختلف الصيغ والأوزان والأشكال ، ولكان باباً إلى « بلبلة » الذوق العربى باختلاف اللهجات والأذواق

فالقرآن هو الذى ساق العرب على اختلاف قبائلهم ومواطنهم ولهجاتهم فى تيار واحد . وهو الذى جعل من الشعر الجاهلى سناداً لما فيه من ألفاظ وتعابير ، بحيث لم يبق من ماضى الجاهلية غير ما أراد به القرآن أن يعيش

فلا تقل يا أحمد أمين إن الشعر الجاهلى قد استبد بالعقلية الإسلامية ، ولكن قل إن الإسلام هو الذى استبد بالأشعار الجاهلية وصيرها من شواهد القرآن

* * *

وهناك مسألة أدقّ ، وقد ينتفع بها من يؤرخون الأدب العربى ، وهى سبق القرآن إلى غزو الأذواق والقلوب فى البلاد التى فتحها المسلمون . فالمعروف عند المؤرخين أن الحياة الدينية كانت تسبق الحياة الأدبية فى كل بلد يدخله الإسلام ، لأن الإسلام شريعة مدنية واجتماعية ، قبل أن يكون شريعة أدبية وذوقية . فالفرس والهنود والمصريون والأندلسيون سمعوا القرآن قبل أن يسمعوا الشعر الجاهلى . وكذلك كان القرآن أسبق إلى تلوين ما صار عند تلك الأمم من شمائل وأذواق

وأحمد أمين صرّح بأن الأدب يتأثر بالدين فكيف جاز عنده ألا يتأثر المسلمون بأدب القرآن وهم يقرأون سوره فى الصلوات ويتدارسونه صباحَ مساء ؟

إن البيت الواحد من الشعر قد يؤثر فى نقل الذوق من وضع إلى وضع ، فكيف يجوز أن يُحرَم القرآن هذه المزية وهو يحمل مئات من الأخيلة والتعابير والمعانى ؟

إن القرآن هو أساس ماعرف المسلمون من المذاهب التشريعية والفلسفية ، وهو عندهم المرجع فى الشواهد اللغوية والنحوية والبلاغية ، فكيف يمرّ سحره القاهر بدون أن يؤثر فى أذواقهم الأدبية ؟

أليس من العجيب أن يقع هذا القول من أحمد أمين وهو يعرف أن وزارة المعارف المصرية توجب على معلم اللغة العربية أن يحفظ القرآن ؟

إن كلية الآداب التى يتشرف بالانتساب إليها أحمد أمين قد اعترفتْ بخطر حفظ القرآن ، ورضيتْ بألا يكون لخرّيجيها حظ فى تدريس اللغة العربية بالمدارس الأميرية إلا إن كانوا فى الأصل من طلبة الأزهر الشريف

فما معنى ذلك ؟

أليس معناه أن الأمم الإسلامية قد توارثت الاعتقاد من جيل إلى جيل بأن القرآن له تأثير شديد فى تكوين الذوق اللغوى والأدبى ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الأستاذ مكرم باشا حفظ القرآن ليروض لسانه وذوقه على الفصاحة العربية ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الدكتور يعقوب صرّوف كان يملك خمس نسخ من القرآن ليستطيع الأنس بالبلاغة القرآنية فى كل وقت ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن من المبشرين من عاش متنكراً فى الأزهر بضع سنين ليتذوق بلاغة القرآن لكى يتسنى له أن يواجه الجماهير بلسان عربىّ مبين ؟

ما معنى ذلك أيها الناس ؟

معناه أنه صار مفهوماً عند كل مخلوق أن القرآن أسٌّ متين من أساس الفصاحة العربية ، فكيف يجوز القول بأنه لم يؤثر فى أخيلة الكتاب والشعراء والخطباء ؟

أقول هذا وذهنى خالٍ خلوًّا تامًّا من العصبية الدينية ، فليس من همى أن أخلق أصدقاء للقرآن ، وإن كان ذلك مما يشرفنى لو تساميت إليه ، وإنما أنا رجل أشتغل بتدريس اللغة العربية ، وفى تلاميذى مسلمون ونصارى ويهود ، ومن واجبى أن أرشدهم جميعاً إلى الحرص على تذوق البلاغة القرآنية ، لأنها بلغت الغاية فى الدقة والعذوبة والجمال

* * *

وأريد أن أستقصى هذا الموضوع بعض الاستقصاء ، فقد تضيق الفرص عن درسه بالتفصيل فيما بعد

إن أحمد أمين يقف عند الشعر فى درس تأثير القرآن ، لأن الوقوف عند الشعر ينجيه قليلاً من المعاطب ، إن كان من الممكن أن يعرف سبيل النجاة بعد أن وقع منه ما وقع وهو لنفسه ظلوم

وللأستاذ أحمد أمين أن يسلك من مذاهب النجاة ما يشاء ، أما أنا فسأطوقه بطوق من حديد فلا يعرف سبيل الخلاص وإن بالغ فى التشكي والتوجع ، واستعدى علينا بفلانة وفلان

لا بد أن يكون أحمد أمين قد سمع بتأثير الإنجيل فى الأدب الفرنسى ، ولا بد أن يكون سمع بأن شاتوبريان تأثر فى أدبه بأخيلة الإنجيل

فهل يمكن القول بأن أثر القرآن فى اللغة العربية أقل من أثر الإنجيل فى اللغة الفرنسية ؟

إن أحمد أمين يقتل نفسه عامداً متعمداً ، إن قال بذلك ؟

وآحمداه أن يقول ، أحمداه ، آحمداه ، إن وجد السلامة فى غير الصمت !

اسمع أيها الصديق

إن القرآن قص على الناس أخبار الأنبياء ، فهل تعرف ما ابتدع المسلمون من الأقاصيص حول الأنبياء ؟

وهل تعرف كم مرة تعرض المسلمون لشرح ما فى القرآن من أخبار وأقاصيص ؟

وهل تعرف عدد التفاسير التى ظفر بها القرآن المجيد ؟

حدثنا القرآن عن بعض أخبار يوسف مع فرعون ، فهل تعرف أن هذا الحديث كان له مئات أو ألوف من الحواشى والذيول

ألا تصدق أن هذه الثروة القصصية أثر من آثار القرآن ؟

وهل يعرف أحمد أمين أن جميع العلوم التى عرفها المسلمون كان لها ثمرة هى تأييد القرآن

لقد استطاع القرآن أن يؤثر فى كل شيء حتى العلوم الرياضية فهى عند أهلها تأييد لآيات القرآن المجيد

والذى يراجع أحوال العرب والمسلمين فى حياتهم العلمية والأدبية يراهم يدورون حول القرآن فى أكثر الشؤون

وفى مطلع كل علم نرى الأبيات التى تقول :

إن مبادى كلّ فنّ عشرة الحدّ والموضوع ثم الثمرة

و « الثمرة » فى أغلب العلوم ترجع إلى تأييد القرآن من الوجهات التشريعية واللغوية والعقلية . فعلوم الفقه والتوحيد والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع يراد بها جميعاً فهم ما يشتمل عليه القرآن من أغراض علمية أو أدبية

وقد نقدت ذلك فى كتاب النثر الفنى حين تكلمت عن مذاهب كتّاب النقد الأدبى ، ولكن ذلك النقد لم ينسنى خطر الحرص البادى من المتقدمين على فهم دقائق القرآن

ومعنى هذا الكلام بطريقة صريحة أنى كنت أحب أن تكون العلوم اللغوية والأدبية مقصودة لذاتها ، بغض النظر عن جعلها وسيلة لفهم أسرار الإعجاز فى القرآن المجيد ، ولكنى ما كنت أعلم أن سيجىء رجل كالأستاذ أحمد أمين يحكم بأن القرآن لم يؤثر فى الحياة الشعرية ، ويقول إن ما وقع من العرب لا يصح وقوعه إلا « فى الطبيعة القاصرة ، والملكات المحدودة » مع أن العرب قد استوحوا القرآن فى جميع الشؤون وجعلوا الأدب كله وسيلة لفهم ذلك القرآن

وخلاصة القول أن حفظ القرآن وفهمه كان من الوسائل التى يتذرع بها الشعراء والكتاب والخطباء للتفوق فى البيان ، فكيف يجوز القول بأن الشعراء لم ينتفعوا به فى تطور التعابير والأغراض ؟

ولنذكر دائماً أن العرب بعد الإسلام لم يكونوا أمة واحدة ، فقد انتشرت اللغة العربية فى أقطار كثيرة مختلفة المشارب والأذواق، وكان المتعلمون بها يشارفون المئين من الملايين ، فهل يمكن الحكم بأن تلك الأمم جميعاً أصابها العقم فلم تنتفع واحدة منها بأسلوب القرآن ؟

وهل هذا يعقل إلا عند من يسارعون إلى ارتجال الأحكام بلا مراجعة ولا استقصاء ؟

إن مؤرخى الأدب الفارسى ومؤرخى الأدب التركى نصوا على أن القرآن أثر فى هذين الأدبين تأثيراً بليناً ، فكيف يجوز ألا يتأثر الأدب العربى بالقرآن وهو به ألصق ، وإليه أقرب ، ومن أخيلته وألفاظه وتعابيره يستمد القوة والحيوية ؟

أنا لا أستسيغ القول بأن الأدب العربى وصل إلى ذلك الحد من الجمود فى الاستفادة من القرآن مع أنه استفاد من كل ما وصل إليه من ثمرات الآداب الأجنبية ، وقد استطاع بالفعل أن يؤرخ الحضارة التى عرفها فى الشرق والغرب ، بحيث صار مرآة لما رآه العرب فى الممالك الأسيوية والإفريقية والأوربية

ولا ينكر ذلك إلا رجل يكابر فيما تلمسه الأيدى وتراه العيون

* * *

وأختم كلة اليوم بعرض فكرة لا يختلف فيها اثنان

وتلك الفكرة هى تأثير القرآن فى وحدة اللغة العربية ، فبفضل القرآن امتدت الحياة فى لغة قريش نحو خمسة عشر قرناً . ولو أن العرب خلت حياتهم من الدعوة الإسلامية لكان من المستحيل أن يكون فى الدنيا إنسان يفهم ما أثر من لغة قريش قبل الإسلام بقرن أو قرنين

وإنما استطاع القرآن أن يحفظ وحدة اللغة القرشية ، لأنه كان مفهوماً فى كل أرض أنه نموذج عال للبلاغة العربية ، فكانت البلاد الإسلامية ترجع إليه فى صيانة لسان العرب من البلبلة والانحراف .

والكتاب الذى تسود لغته فيما اختلف وائتلف من الأقطار الإسلامية لا يبقى بينه وبين أذواق الشعراء حجاب

وماذا يريد هذا الأستاذ الفضال ؟

أيريد أن يُلغى الناس عقولهم ليصدّقوا أحكامه الخواطىء على ماضى الأدب العربى ؟

إن جميع القراء قد اتفقوا على أن قدمه زلت وهو يحاول تزهيد الجمهور فيما ورثناه عن الآباء والأجداد من الثروة اللغوية والأدبية . ولو أننى استبحت نشر ما سمعت من أصدقائه الأوفياء فى نقد ما انزلق إليه ، لمادت الأرض تحت قدميه ، وعرف أنه يتعلق بخيوط الأوهام حين يظن أن فى القراء من ينظر إلى أحكامه الأدبية بعين الاستحسان

إن الأستاذ أحمد أمين يعانى اليوم أزمة أخلاقية ، لأنه يعرف أن الاعتراف بالخطأ من مكارم الأخلاق . فإن لم يعترف بخطئه طائعاً فسيتولى القراء هدايته إلى الحق . وهو يجنى على نفسه إن كان يتوهم أن قراءه ليس فيهم من ينصب الميزان للتمييز بين الحقائق والأباطيل

وسنرى فى المقال المقبل شواهد جديدة من أحكام ذلك الرجل الفضال .

زكى مبارك

المعاملات في الاسلام

للأستاذ محمد بهجة البيطار

طالعت فى الرسالة الغراء سؤال الأستاذ الطنطاوى الذى وجهه إلى (المفكرين) من علماء المسلمين ، ودعاهم فيه إلى النظر فى مطالب هذا الزمن المنوعة ، ومشاكل المسلمين الكثيرة التى أوقعتهم فى بحران من الاضطراب عظيم ، وسلكت بهم فى سبيل النجاة منه طرائق قِددا . وقد بنى سؤاله على أصلين ثابتين ، (أولهما) أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، (وثانيهما) أنه يجمل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية فى العلم والقوة والمال والحضارة ، (قال) : فكيف يتفق مع هذين الأصلين وجود أحكام فى الفقه لا تصلح لهذا الزمن ، وأحكام تجعل المسلمين دون الأمم الأخرى فى مرافق الحياة ؟ وضرب لذلك الأمثال من كتب الفقهاء المتأخرين ، ومما وضعوه من شروط وقيود ، لبعض البيوع والعقود ، يتعذر تطبيقها على كثير من المعاملات فى هذا العصر ، وعلى ما جرى عليه عرف الناس فى التجارات الواسعة ؛ وأبدى إعجابه بالفقهاء المتقدمين الذين درسوا وقائع أزمانهم ، وطبقوا عليها الأحكام ، وفرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها (وهذا مما عابه السلف الذين كانوا يفتون بالواقع ، ويمسكون عن القول بما لم يقع إلى زمان وقوعه ، لتكون الفتاوى مطبقة على الزمان والمكان والأحوال والأشخاص) ونعى على بعض المتفقهة المتأخرين جمودهم على الفقه الموضوع للقرن التاسع والعاشر ، وأثنى على الأستاذ المحدث المحقق الشيخ أحمد شاكر فيما كتبه فى مسائل الطلاق ، وقال : فمتى يمدد العلماء إلى الكتابة

أقول : لا شك أن واجب العلماء هو مواجهة الحقائق التى ظهرت فى هذا العصر وبيان الحكم فى استعمال جميع ما استحدث من المخترعات إلى اليوم ، على قاعدة جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها ، أى أن تكون فتاوى العلماء الواقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن ، وحاجة الأمة — هادية إلى حفظ وحدتها وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادى الشر عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذى يقتضيه هدى الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، وأن المسلمين هم أولى بالمسابقة والسبق فى هذا المضمار ، فاستثارة دفائن الأرض مثلاً ، واستخراج كنوزها ومعادنها ، وعلم الزراعة ، وفن الرى ، وإقامة الجسور والمعابر ، وتشييد الدور والقصور ، وإنشاء السكك الحديدية ، والحصون والقلاع ، هو عين ما يذكره الفقهاء فى أبواب الركاز والمعادن وإحياء الموات ، ومطابق لنصوص الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك ، وصنع المصفحات والدبابات ، والمناطيد والطيارات ، والمدرعات والنواصات ، والكهرباء وسائر ما ظهر فى الوجود من المخترعات والمكتشفات النافعة هو مما أرشد إليه الإسلام ، ودل عليه مثل قوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لأحكامه . وهذا هو الفقه العام فى الإسلام ، وفقه الفروع والأحكام منبثق عنه أو هو جزء منه . فالفقه بإطلاقه سداد فى العلم ، ودقة فى الفهم ، وإصابة فى الحكم . وهو الذى دعا به الرسول (ص) لابن عمه عبد الله بن عباس بقوله : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، فكان فقيه الأمة وترجمان القرآن

وهذه الطريقة فى فهم الدين والفقه فيه هى التى جرى عليها فى هذا العصر إمامه السيد محمد رشيد رضا (تغمده المولى برضوانه) فقد أخذ منذ نحو نصف قرن يحل فى مناره وتفسيره عقد المشكلات الدينية الدنيوية ، ويبين لأمته وجه الحق فيها ، وطريق الخلاص منها ، مستهدياً بهدى السنة والتنزيل ، وهما خير هاد ودليل ، مسترشداً بسنن الوجود التى لا تبديل فيها ولا تحويل ، وكانت فتاويه تبحث فى أدق المسائل الإسلامية ، وتحل أعقد المشاكل الاجتماعية حلاً يفى بحاجة العصر ، ويتمشى مع قواعد النصوص الشاملة ، والمصلحة العامة الراجحة . وقد تكلم عن بعض المسائل الفقهية التى عرض لها الأستاذ الطنطاوى فى مقاله كسجدة التلاوة عند سماع القارئ فى المذياع ، وكالمصارف المالية ومعاملاتها ، وأفاض القول فى تحريم ما حرم الله من الربا ، وتوعد عليه بأشد الوعيد ، فبين وجه تحريمه ، وعقد فصلاً مستقلاً فى حكمته وانطباقه على مصلحة البشر ، وموافقته لرحمة الله بعباده ، بما لم تره لغيره من المفسرين . وقد ختم هذا الفصل بقوله : « من تدبر ما قاله الإمامان (أى الغزالى والشيخ محمد عبده) علم أن تحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة ، الموافق لمصلحة البشر ، المنطبق على قواعد الفلسفة ، وأن إباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشئون الاجتماع ، زادت فى أطماع الناس وجعلتهم ماديين لا هم لهم إلا الاستكثار من المال ،

وكادت تحصر ثروة البشر فى أفراد منهم ، وتجعل بقية الناس عالة عليهم . فإذا كان المفتونون من المسلمين بهذه المدنية ينكرون من دينهم تحريم الربا بغير فهم ولا عقل ، فسيجيء يوم يقر فيه المفتونون بأن ما جاء به الإسلام هو النظام الذى لا تتم سعادة البشر فى دنياهم فضلاً عن آخرتهم إلا به ، يوم يفوز الاشتراكيون فى الممالك الأوربية ، ويهدمون أكثر دعائم هذه الأثرة المادية ، ويرغمون أنوف المحتكرين للأموال ، ويلزمونهم برعاية حقوق المساكين والعمال » (٣ : ١١٣)

إن غرض السيد الإمام (كما صرح به فى مواضع من تفسيره) أن البلاد التى أحلت قوانينها الربا قد عفت فيها رسوم الدين ، وقل فيها التعاطف والتراحم ، وحلت القسوة محل الرحمة ، حتى أن الفقير فيها ليموت ولا يجد من يجود عليه بما يسد رمقه ، فنيت من جراء ذلك بمصائب أعظمها ما يسمونه المسألة الاجتماعية ، وهى مسألة تألب الفعلة والعمال على أصحاب الأموال ، واعتصابهم المرة بعد المرة لترك العمل ، وتعطيل المعامل والمصانع لأن أصحابها لا يقدرون عملهم قدره ، بل يعطونهم أقل مما يستحقون ، وهم يتوقعون من عاقبة ذلك انقلاباً كبيراً فى العالم ، ولا علاج لهذا الداء إلا رجوع الناس لما دعاهم إليه الدين . ولكن من الناس من يظن اليوم أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه. (قال)، وهذا باطل فى نفسه، إذ لو فرضنا أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون العادمين قرضاً حسناً ، ويتصدقون على البائسين والموزين ويكتفون بالكسب من موارده الطبيعية ، كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء بينائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون الذى يحبب الغنى إلى الفقير ، ولما وجد فيها الاشتراكيون الغالون ، والفوضويون المغتالون

وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها ، فكانت خير مدنية فى زمنها ؛ فما شرعه الإسلام من منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة ، وهو أفضل هداية للبشر فى حياتهم الدنيا

الشركة الاقتصادية الكبرى

قامت فى مصر أكبر شركة زراعية صناعية تجارية أسست بأموال المصريين ، وأثبتت فوائد الشركات المالية والتعاون الاقتصادى ، وأقامت هذه الشركة لها بيت مال كبير أنشأ المزارع والمصانع والمتاجر ، وآوى إليه ألوف العمال ، ونجاهم من شرور البطالة ومفاسدها ، وزاحم الشركات الأجنبية فى البر والبحر والجو ، فأشعر مصر بعزة الاستقلال الاقتصادى الذى لا يتم الاستقلال السياسى بدونه ، فهذا التعاون الاقتصادى الذى نهض بمصر هو نموذج من مدنية الإسلام الأولى التى قامت على أساس استثمار الموارد الطبيعية ، وتنمية الثروة العامة ، لا على نصب شباك المعاملات الربوية لسلب نقود الأمة وإفقارها ، ثم الاستيلاء على مواردها وممالكها ، بحجة المحافظة على المصالح والأموال ، كما فعل الأجانب بملكنا وحكوماتنا . فنحن معشر المسلمين لو كنا متمسكين بقرآننا الذى حرم الربا المفضى إلى إضاعة الثروة والملك ، وأعددنا رجالاً لاستخراج كنوز أرضنا ، وتعمير بلادنا ، وتعزيز شأننا ، لكنا بقينا مستقلين بأنفسنا ، أحراراً فى ملكنا ، فكيف يكون الربا الذى كان السبب فى استعبادنا وسيلة لإنقاذنا وإسعادنا ؟

وقول الأستاذ الطنطاوى : بقى أن البنك لا يستعمل المال فى التجارة ، ولكن يستثمره بطريق الربا أيضاً ، وهى التى لا وجه لها عندى . أقول قد أوضح هو أيضاً الفرق فى مقاله أو سؤاله بين الربا المرهق (على طريق الفائدة المركبة) أى الربا الجاهلى ، وبين معاملات المصارف ، فقال عن الأول على طريق الاستفهام التقريرى : وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب للبيوت ، وتنازع بين الناس ، وتسرب البغضاء إلى النفوس ؟ وقال عن الثانى : فأنت حين تعامل المصرف لا تستغل حاجته ، ولا ترهقه بالفائدة بل هو الذى يعرضها عليك ، فهو أشبه بشركة المضاربة (قلت) : وهذا يعود إلى الفرق بين ربا النسيئة الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية مثل أن يُنسىء الدائن (أى يؤخر) دَينه ويزيده الدين فى المال، وكلما أنسأه أى أخر الدَّين فى المدة زاد فى المال ، حتى تصير المائة عنده آلافاً مؤلفة ؛ وربا الفضل الذى كان تحريمه وسيلة لا قصداً ودلَّ عليه حديث أبى سعيد الخدرى (رض) عن النبى (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإنى أخاف عليكم الرَّماء (أى الربا) . فربا النسيئة الجاهلى محرم لذاته ، وفى الصحيحين : إنما الربا فى النسيئة. وفى رواية : لا ربا إلا فى النسيئة . وربا الفضل محرم لسدّ الذريعة أى لكيلا يكون وسيلة إلى ربا النسيئة ، وما حرم لذاته لا يباح إلا للضرورة كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وما حُرِّمَ سدًّا للذريعة

أبيح للحاجة وللمصلحة الراجحة ، وبنى على ذلك الإمام ابن القيم فى أعلام الموقعين جواز بيع الحلية من الذهب والفضة بنقود منهما تزيد على وزنها فى مقابلة ما فيها من الصنعة . واستدل على هذا الجواز بأدلة منقولة ومعقولة أيضاً ، واستشهد على جواز ربا الفضل للمصلحة الراجحة بإباحة النبى (ص) بيع العرايا ، وهو من بيع المتماثلين فى الجنس مع عدم القبض والمساواة . فالعرايا جمع عرية كقضية وقضايا ، وهى بيع ما على النخل من الرطب بما يخرص ويقدر به من التمر لحاجة من يملكه إلى أكل الرطب ، فيشتريه به . فالتمر يدفع مرة واحدة ، والرطب يجنى بالتدريج ، وقد رخص النبى فى بيعها . وذكر ابن القيم من نظائره أيضاً إباحة نظر الخاطب والشاهد والطبيب والمعامل إلى المرأة الأجنبية وإباحة لبس الحرير للرجال لمنع الحكة أو القمل ، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك كله . (قال رحمه الله) : وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصناعة بحظها من الثمن ، من مفسدة الحيل الربوية ، التى هى أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . وإذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ما شاء وبالله التوفيق (٢ : ٢٧٥) وقال أيضاً : فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ، ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو بالحيل ، والحيل باطلة فى الشرع . اه

تفسير المنار لآيات الربا وعمل المصارف

من العجيب الغريب أن يتهم السيد صاحب المنار (رحمه الله تعالى) بتحليل ما حرم الله من الربا ، وما أثرناه عنه من مفاسد الربا ومضاره ، هو قليل من كثير مما كتبه فى تفسيره ومناره ، وآخره ما جاء فى المجلد الرابع والثلاثين من المنار وهو ختامها ، فقد سئل عن أخذ الربا من البنوك لإنفاقه على الفقراء ، فقال : من المعلوم من الدين بالضرورة أن الربا القطعى لا يجوز أخذه للتصدق به ولا لغيره ، لأن التقرب إلى الله لا يكون بما حرمه الله ، فإن هذا تناقض بديهى البطلان ، ولكن لاستغلال المال فى الشركات المالية من المصارف وغيرها أعمالاً ليست من الحرام القطعى قد بيناها من قبل ، وسيكون كتابنا الذى وعدنا بإكماله خير مفصل لها إن شاء الله تعالى . وقد نقل عن ابن جرير ما قاله أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى الفرق بين هذا الربا الجاهلى المحرم لذاته ، وربا الفضل المحرم لغيره ، وتقدم بيان ذلك . أما الكتاب الذى وعد بإكماله ونشره (رحمه الله) فهو فى مباحث الربا والأحكام المالية التى اشتدت الحاجة إليها فى هذا العصر ، وفى الأصول والقواعد العامة للحلال والحرام ، وقد رأى أن جمهور المسلمين فى حرج شديد من هذه المعاملات المالية المصرية ، وكلهم يتمنون لو يجدون لهم مخرجاً منه مع المحافظة على دينهم فنبى على الذين توسعوا باجتهادهم فى أحكام المعاملات المالية حتى أدخلوا فى معنى الربا كثيراً من صور البيوع والقروض والشركات التى لا تدخل فى ربا القرآن الأصلى (النسيئة) ، ولا فى ربا الحديث الاحتياطى من باب ولا منفذ إلا بالتأويلات المستنبطة من التعاريف والأقيسة والضوابط المذهبية الاجتهادية كما قال . وليت هذا الكتاب تم وأخرج للناس قبل وفاته ليرى الناس سبل النجاة من هذا التخبط والاضطراب

ولقد علمنا الآن من هذه الأقوال اليسيرة التى أثرناها عنه أن غرضه الأول أن يجتنب المسلمون الربا الذى حرمه الله ورسوله ، وأن تجرى بيوع المسلمين وقروضهم وشركاتهم على نحو ما سارت عليه فى خير عصور هذه الملة وأهداها ، مع وضع حدود وضوابط للاضطرار وللحاجة إلى المحظور فى القواعد المستنبطة من الأدلة كقاعدة اليسر ورفع الحرج والعسر ، وككون الضرورات تبيح المحظورات ، وكون المحظور لسد الذريعة يباح للحاجة إليه ، ولرجحان المصلحة على المفسدة ، ولم يقدر هو ضرورة الأفراد ولا حاجتهم ، بل وكل أهل البصيرة منهم إلى معرفتهم بأنفسهم (قال) : وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها فهو الذى فيه التنازع . وعندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما رد هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة ، أى أصحاب الرأى والشأن فيها والعلم بمصالحها عملاً بقوله تعالى فى مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، (قال) : فالرأى عندى أن يجتمع أولو الأمر من مسلمى هذه البلاد (بلاد مصر) وهم كبار العلماء المدرسين والقضاة ورجال الشورى والمهندسون والأطباء وكبار الزارعين والتجار ويتشاوروا بينهم فى المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه قد مست إليه الضرورة أو ألجأت إليه حاجة الأمة . فقوله: وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها وقوله: عندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما رد مثل هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة ، هو فى معنى قول الأخ الطنطاوى: وهى التى لا وجه لها عندى، فما هو قول علمائنا الأعلام ؟

فهذا علم الأعلام لم يجزم بشيء ، بل صرح بأن أولى الأمر من المسلمين — وهم أصناف الأمة الذين ذكرهم مجتمعين — هم الذين يقدرون ضرورتها . فأين قول المفتانين بأنه أباح الربا هو وشيخه الشيخ محمد عبده ؟ وإنما تكلم عن مسلمي مصر لأن البحث فيهم. ولو كان الكلام عن ضرورة الإسلام لصرح بوجوب اجتماع أو إجماع أولى الأمر من المسلمين فى أقطار الأرض على تحديد ضرورة الأمة . إذاً فرد الأمر إلى (المفكرين) من علماء المسلمين كما قال الأستاذ الطنطاوى ليبحثوا فى وسائل هذا الأمر ومقاصده ويبنوا المعاملات المالية على أسس الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان ، والتى يستبين معها للموافق والمخالف أن قواعد الاقتصاد فى الإسلام هى أبر ببنى الإنسان ، وأحق بتثبيت دعائم الحضارة والعمران

البيوع والمعاملات

أما ما وضعه بعض الفقهاء من شروط وقيود لبعض البيوع والعقود ، مما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، إذ أن لكل زمن عرفه وأهله ومصالحه ، وإنما نهى الرسول (ص) عن أنواع من المعاقدات والبيوع كانت فى الجاهلية لما فيها من غبن وغش وغرر وضرر ، وأمثلتها معروفة فى كتب السنة . والمعاملات تفترق عن العبادات فى كون الأصل فيها الإباحة والصحة ، حتى يقوم الدليل على التحريم والبطلان . وأما العبادات فلا تكون صحيحة ما لم تكن قائمة على أمر الله ، وعلى الوجه الذى شرعه وارتضاه . وفى الأعلام للإمام ابن القيم مباحث ضافية فى ذلك أكتفى منها بقوله (رحمه الله) :

(الخطأ الرابع) اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فإذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط أو عقد أو معاملة استصحبوا بطلانه ، فأفسدوا بذلك كثيراً من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله بناء على هذا الأصل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الأصل فى العقود والشروط الصحة إلا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح ، فإن الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه (إلى أن قال) : فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإنه سكت عنها رحمةً منه من غير نسيان وإهمال . وقد صرحت النصوص بأنها على الإباحة فيما عدا ما حرمه ؛ وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود والعهود كلها ، فقال تعالى : وأوفوا بالعهد » وقال : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقال تعالى : والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » (٢ : ٣٤ من أعلام الموقعين)

وقال الإمام نجم الدين الطوفى المتوفى سنة (٧١٦) فى بحث المصالح : وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزماناً ومكاناً إلا من جهته ، بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول ا هـ باختصار ، وتمام البحث فى رسالة يسر الإسلام ، وأصول التشريع العام للسيد الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى

انشاء مجلة للأحكام الشرعية (العصرية)

إن من أفضل ما يقوم به المفكرون من رجال الإسلام العناية بوضع مجلة الأحكام ، تسير على نهج (مجلة الأحكام المدلية) التى وضعت فى عهد الدولة العثمانية ، عام (١٢٩٧) على ألا تكون مقيدة مثلها بمذهب واحد، تبحث فى المسائل الشرعية العصرية ، وتضع لها ما يناسبها من الأحكام ؛ وإنما يضطلع بهذا العبء ، ويقوم على تحرير مثل هذه المجلة . لجنة مؤلفة من أكبر علماء هذا العصر ، ممن تضلعوا من مورد الكتاب والسنة ، وعرفوا مذاهب الأئمة ، ووقفوا على كنه الزمن ونواميس العمران ، ودرسوا قوانين الدول وحقوق الأمم ، ومارسوا الشؤون القضائية والإدارية . ألا وإن عملهم هذا سيكون له فوائد عظيمة جداً ، منها أنه يتبين به أن الإسلام دين السماحة والتيسير ، توافق أحكامه مصالح البشر فى كل زمان ومكان ، ولا يخفى أن من قواعده المأخوذة من نصوصه الكثيرة اليسر ، ودفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، فاستنباط الأحكام التى يدعو إليها الزمان من مآخذها وأدلتها يكون مبنياً على أساس حفظ مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها ، وقد تكرر هذا المعنى . (ومنها) أن اعتماد ما كان أقرب دليلاً وأكثر ملاءمة لحاجة العصر وطبيعة الأمة، من مذاهب الأئمة ،

يتبين به سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة

(ومنها) ردّ الزاعم القائلة بأن الإسلام لا يلتقي مع حاجة البشر ، ولا يبحث فيما يتجدّد من شؤون الزمن . على أن الواقع أن بعض فقهائنا قد بحثوا في بعض ما ظهر في عصرنا من الشؤون؛ فهذا الفقيه الكبير الأستاذ الشيخ محمد بخيت قد ألف كتاباً أجاز فيه العمل بخبر البرق (التلغراف) سماه (إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة) ومثله الأستاذ الشهير الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه (إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق) وقد أثبت أستاذنا القاسمي فتاوى لاثنى عشر عالماً من أشهر علماء العصر بجواز قبول خبر البرق في إثبات الأهلة وغيرها ، والمذياع والهاتف (الراديو والتلفون) كلاهما أوضح في الدلالة وأوثق من خبر البرق ، لأن التلغراف يستفاد مضمونه من تلك النَّقَرات التي ينقرها العامل فيفهم خبره ويترجم المراد منه ، بخلاف الكلام بالراديو والهاتف فهو كلام صحيح صريح ، وإنما يسمع من يلقى إليه الخبر بهما كلام المتكلم نفسه لا صداه ، وما أظن أحداً ممن أجاز العمل بخبر البرق في الديانات والمعاملات يتردد في جواز العمل بالمذياع والهاتف فيهما لما قدمنا ؛ وهو أقوى من خبر الكتاب الموثوق الذي قبله العلماء ، وأبعد عن التزوير بكثير . وقد كتب النبي (ص) كتبه إلى الآفاق ، وبلغ بها دعوته إلى الملوك . وقامت الحجة عليهم وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ، والملوك العادلون ، فقد أرسلوا كتبهم ، وقلدوا القضاة والنواب والأمراء عنهم بالكتابة . وعلى ذلك جرت سنة التابعين وأئمة الشرع وفقهاء الأمة ، وما أجدر العلماء الآن بإذاعة القرآن والدعوة الإسلامية بالراديو – كما يفعل الإمام المراغي شيخ الجامع الأزهر – لتعم الكرة الأرضية ، وتقوم حجة الله على العالمين

فإلى إنشاء هذه المجلة الكبرى الشاملة لكل ما حدث إلى الآن من الوسائل التي تعامل بها العالم أجمع في كافة أنحاء المعمور ، وإلى تفصيل ما نشأ عن هذه الوسائل من مسائل وأحكام فقهية ، ندعو أعلام الأمة ، وفقهاء العصر ، وبالله التوفيق .

(دمشق) محمد بهجة البيطار

ابن حوقل

للأستاذ ميخائيل عواد

يجد المتوغل في تاريخ العرب حركةً علميةً واسعة النطاق ، امتدّت أحقاباً من الزمن ، وهي كلها جديرة بالعناية والدرس ، وحَرِيّة بأن تتناولها الأقلام في وقتنا لتجلو مختلف صفحاتها التي كانت إحداها السياحة في البلدان والضرب في مختلف الأصقاع

لقد امتهن بعض العرب هذا النوع من الحياة، فكان منهم من نسميه بالتاجر الرحالة ... بل إن فريقاً آخر منهم اتخذها عِلماً، يعلو به ويكتب فيه ، وينشر لواءه شرقاً وغرباً . . . ذاك هو الجغرافيّ المخطط للبلدان . وليس بين الفريقين من مدًى واسع ، فإن كليهما يستكشف مجاهل الأمكنة والبقاع ، ويتولى البحث في أحوال الأمم التي يتردد إلى مواطنها ، فيدرس طباعها ويتعرف خواصها ويتصل بأسباب ثروتها ، فيصف تربتها وغلاتها وطرقها ، إلى ما هنالك من مرافق عامة وخاصة .

هذه كلمةٌ نمهّد بها لكلامنا على الرّحالة العربي الشهير : « ابن حوقل » الذي ذاع صيته في القرن الرابع للهجرة ، والذي بالرغم من ذلك لم يَخلُ مجال البحث عنه من مصاعب وغموض ، نظراً إلى أن ما بين أيدينا اليوم من المصادر القديمة لم يورد بشأن منشأه وحياته ووفاته إلا النزر اليسير .

حياته

هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ، ولد ببغداد[1] ، ونشأ بها على اتفاق أغلب المؤرخين ، وذلك في أواسط القرن الرابع للهجرة ، وأقبل على التجول في البلاد الإسلامية ، متعاطياً التجارة ، لمكانتها الخاصة في الكسب ، ولما تقتضيه من التنقل والتجوّل ، وهي الناحية التي شُغف بها فتملَّكته . وصادف عند ابتدائه في تجواله عام ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) ، أن انقطع المسعودي الرحالة الشهير عن

(١) إختلف المؤرخون في تعيين محل ولادته ، فنهم من قال إنه بغداد وآخر الموصل ، وثالث نصيبين .

الارتحال ولزم داره ، وعلى هذا فإن ابن حوقل قد خلف المسعودى فى هذا المضمار ... وانتهى رحالتنا من رحلته الواسعة سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) . فيكون بهذا قد أمضى ثمانية وعشرين عاماً فى حل وارتحال، زار خلالها أقاصى البلدان، فساح فى العالم الإسلامى شرقاً وغرباً من نهر السند إلى المحيط الأطلنطى ، ووصف بلاد البربر وصفاً جيلاً ، كما أنه جال فى بلاد الأندلس متنقلاً بين كثير من مدنها المشهورة . دخل صقلية وأسهب فى الكلام عليها ، وجاب ربوع مصر وسورية والعراق وفارس ... ودوّن أخبار رحلته سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) ، ضمن كتابه المسمى بـ « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك » .

قال فيه عن نفسه : « ... بدأتُ سفرى هـذا من مدينة السلام — يوم الخميس — لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ... وأنا من حداثة السن وغرّته ، وفى عنفوان الشباب وسكرته ، قوىّ البضاعة ، ظاهر الاستطاعة ... (١) »

إلى أن يقول : « ... وقد ذكرتُ فى آخر كتابى هذا كيف تعاورتنى الأسفار ، واقتطعتنى فى البر دون ركوب البحار ، إلى أن سلكتُ وجه الأرض بأجمعه فى طولها ، وقطعتُ وتر الشمس على ظهرها ... (٢) » .

ثم يصف لنـا خطته فى تأليف كتابه فيقول : « ... وقد حررتُ ذكر المسافات ، واستوفيتُ صور المدن وسائر ما وجب ذكره ... وقد فصّلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً وكورةً كورةً لكل عمل . وبدأت بذكر ديار العرب ، فجعلتها إقليماً واحداً ، لأن الكعبة فيها ومكة أم القرى ، وهى واسطة هذه الأقاليم عندى ... (٣) » .

ويتضح لنا من دراسة مصنّفه أنه اقتصر على ذكر صفات الممالك الإسلامية ، ولم يتعرض لغيرها متنصلاً من ذلك بقوله فى كتابه المذكور : « ... أما بلاد النصارى والحبشة ، فلم أتكلم عليها إلا يسيراً ، لأن تولى بالحكمة والدين والعدل واستظام الأحكام يأبى أن أثنى عليهم بشىء من ذلك (١) » .

ابن حوقل يتعاطى التجسس

ذكر العلامة دوزى فى كتابه : « تاريخ إسلام أسبانيا » أن ابن حوقل كان عيناً للفاطميين يتعاطى التجسس لمصلحتهم . ولا شك أن يكون قد نال حظوتهم والتفاتهم أثنـاء نزوله بين ظهرانيهم ، فسهلوا له شؤون رحلته وتجارته ؛ وقد تمخضت هذه العلاقة عن تبادل الثقة ، فوجدوا فيه خير مثال للدعاية ، وهو ذاك الرحالة الشهير الذى يجوب بلدان الأرض فينشر دعوتهم على أحسن ما يُرام !

كتاب « المسالك والممالك »

جاء فى مقدمة الطبعة الأولى « للمسالك والممالك » ما نصه : « هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك ، وذكر الأقاليم والبلدان ، على مرّ الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها ، وخواص البلاد فى نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ، ومسافة ما بين البـلدان للسفارة والتجار ، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار ، تأليف أبى القسم بن حوقل ... مُعوّل فيما جمعه على كتاب الإمام العـالم أبى القاسم محمد بن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر الكاتب ... (٢) » .

وقد قدم كتابه هذا إلى أبى السرىّ الحسن بن الفضل بن أبى السرى الأصبهانى . قال ابن حوقل : « . . . وقد عملتُ له كتابى هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها فى الطول والعرض وأقاليم البلدان ، ومحل الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها . . . وكان مما حضنى على تأليفه ، وحثنى على تصنيفه ، وجذبنى إلى رسمه ، أنى لم أزل فى حال الصبوة شغفاً

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة كريمرز فى ليدن سنة ١٩٣٨ : المقدمة ص ٣ — ٤ ،

(٢) المسالك والممالك ، المقدمة : ص ٤ ،

(٣) المسالك والممالك ، ص ٥ — ٦ ،

(١) المسالك والممالك ، ص ١٠ ،

(٢) مقدمة « المسالك والممالك » طبعة دى غويه فى ليدن سنة ١٨٧٣ ، وطبعة كريمرز (حاشية الصفحة ١) .

بقراءة كتب المسالك ، متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك . . . وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة ... فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيت فيها رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب ... وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر والشهوة لبلوغ الوطر ...(١) » .

شُغف ابن حوقل أثناء تجواله بدرس مؤلفات المتقدمين كالجيهاني وابن خرداذبة وقدامة . وكان لدى إحدى عوداته إلى بغداد عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) قد التقى الاصطخري (صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذي صنفه نحو تلك السنة أيضاً) . فاطلع ابن حوقل على كتاب الاصطخري ، وانكشفت له مواطن الضعف فيه ، وكان الاصطخري قد طلب إليه أن يُراجع مصنفه ويهذب بعض خرائطه الجغرافية ، لكن ابن حوقل أبى ذلك ، واعتزم كتابة هذا المصنف « المسالك والممالك » من جديد ، فأتمه على ما أراد ، حيث ضمنه مشاهداته ودراساته الخاصة وجعله باسمه

وهـذا ما حدا بالكثير من المؤرخين إلى أن يقولوا كلهم في مصنف ابن حوقل ويعتبروه صورة ثانية لكتاب الاصطخري مع زيادات آتية من دراساته ومشاهداته الخاصة التي اكتسبها أثناء رحلته ، فأضافها إليه حينما عدل عن تصحيح كتاب الاصطخري .

وقد أضاف أبو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان أن « كتاب ابن حوقل مطول ، ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال ولا العروض وصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ...(٢) »

وجاراه في هذا القول الحاج خليفة صاحب كشف الظنون(٣)

ومهما يكن من أمر فإن هذا السفر الجليل عظيم الفائدة جدير بالدرس والاستقصاء ، لاختصاصه في الجغرافية دون سواها فهو يحوي وصفاً دقيقاً لأغلب الأقطار . ولقد أفادنا بصورة خاصة عن مصر وسورية والعراق ، وتُعدّ بحوثه في المغرب وأسبانية وصقلية من المصادر الرئيسية ، ناهيك بالمعلومات القيمة عن بقية الأصقاع والبلدان والمسافات ، كما أنه لم ينس أن يُعطينا فكرة عن ثروة البلاد وتجارة أهاليها ، وجباية الضرائب إلى غير ذلك .

طبعات الكتاب

نالَ هذا المصنَّف اهتماماً حسناً ، فظهرت له عدّة طبعات قام بها طائفة من المستشرقين ، والفضل الأوفر في ذلك يعود إلى المستشرق الكبير دي غويه ، وسنأتي على ذكر هذه الطبعات فيما يلي :

أولاً : الطبعات الكاملة

١ — الطبعة الأولى : نشرها المستشرق دي غويه De Gœje الهولندي سنة ١٨٧٣ في ليدن ، معتمداً في ذلك على نسختي خزانتي ليدن وأكسفورد ، كما أنه اعتمد على النسخة العربية المرقومة ٢٢١٤ في خزانة كتب باريس الأهلية ، تلك التي أطلَقَ عليها في طبعته اسم الموجز الباريسي Epitome parisiemsis وهو نص النسخة الاستنبولية . وتعتبر هذه الطبعة الحلقة الثانية من مجموعة « المكتبة الجغرافية العربية » Bibliotheca Géographorum Arabicorum والمعلوم أن هذه الطبعة قد نفدت منذ سنين عديدة وأضحت نسخها من نوادر الكتب

٢ — الطبعة الثانية : اعتنى بنشرها المستشرق كريمرز Kramers بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٩٣٨ ، وقد اعتمد بصورة خاصة على نص النسخة المرقومة ٣٣٤٦ ، المحفوظة في خزانة السراي العتيق في استنبول ، وعلى صورها ، كما أنه قابل نص الطبعة الأولى المذكورة آنفاً ، وبعض المصادر الأخرى ، فجاءت بنتيجة هذه التدقيقات والمقابلات طبعة متقنة فيها وافر التحقيق، وتحتوي على كل ما هو موجود الآن من مادة كتاب ابن حوقل فأصبحت متكافئة مع الطبعة الأولى ، كما أنها زينت بالخرائط ذات الشروح والتعاليق . وقد ظهر من هذه الطبعة حتى الآن : القسم الأول الذي يتقوم من ٢٤٧ صفحة ، وسيليه الثاني والثالث وعنونها الناشر بـ « كتاب صورة الأرض » تأليف أبي القسم ابن حوقل النصيبي

(١) المسالك والممالك (المقدمة ص ٢ — ٣)

(٢) تقويم البلدان لأبي الفداء (طبعة باريس سنة ١٨٤٠ ، ص ١)

(٣) كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحاج خليفة (طبعة فلوجل في ليبسك ، ٥ : ٥١٠) .

٣ — وكان هذا الكتاب قد تُرجم إلى اللغة الفارسية ، وعن هذه اللغة ترجمه إلى الإنجليزية السير ويلم أوزيلى Ouseley وطبعه سنة ١٨٠٠ فى لندن بعنوان « الجغرافية الشرقية لابن حوقل » Kitab al Mesalek wal Memalek : The Oriental Géography of Ebn Haukal

وهى تقع فى ٣٦ + ٣٢٧ ص ، وخريطة

ثانياً : الطبعات الجزئية

١ — القسم المختص بالعراق العجمى ، اعتنى بنشره المستشرق هماكر[1] Hamaker فى ليدن سنة ١٨٢٢ ، ويقع هذا القسم فى ست صفحات وترجمته اللاتينية فى ثمان ، وعنونتْ بـ « خلاصة أخبار المسافر والعجم فى معرفة بلاد عراق العجم »

٢ — القسم المختص ببلاد السند ، طبع فى بون سنة ١٨٣٨ مع ترجمة لاتينية

٣ — القسم المختص بإفريقية ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٢

٤ — القسم المختص بمدينة بَلَرْم (عاصمة جزيرة صقلية) ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٥ ، مع ترجمة فرنسية ، بعناية المستشرق الإيطالى أمارى Amari

٥ — القسم المختص بسجستان نشره المستشرق بلاشر Blachère فى مجموعه المسمى « منتخبات من آثار الجغرافيين العرب فى القرون الوسطى » Extraits des principaux Géographes Arabes : du Moyen Age ، المطبوع بالعربية مع حواش وملاحظات بالفرنسية ، سنة ١٩٣٢ فى بيروت (ص ١٣٦ــ١٤٨)

٦ — ولعل هنالك بعض الترجمات أو الطبعات الجزئية مما لم نتوفق إلى الوقوف عليها لندورتها ، فضربنا عنها صفحاً .

(بغداد) ميخائيل عواد



(١) قام المستشرق هماكر بجمع كل ما كتبه جغرافيو العرب عن البلاد المعروفة بعراق العجم ، ونشر ذلك فى مجلد كبير مع ترجمة وتعاليق وشروح باللاتينية

الشيخ الخالدي أيضاً

للدكتور عبد الوهاب عزام

نقلت فى المجلس السابق حديث الشيخ عن العلماء أصحاب الخطوط الجيدة . وقد لقيت الشيخ من بعد فقال :

ومن جيدى الخط صدر الدين القونوى وتلميذه سعد الدين الفرغاني شارح التائية — تائية ابن الفارض — وأبو منصور الجواليقى ، رأيت بخطه نصف كتاب المحكم لابن سيده ؛ والملك المعظم الأيوبى ؛ وابن الأثير المؤرخ رأيت بخطه المؤتلف والمختلف لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى ، وهو محدث كبير يُعدّ من أقران ابن عبد البر والحافظ النيسابورى . ومن أصحاب الخطوط الجيدة من علماء الأندلس أبو حيان النحوى وأبو الربيع سليمان الكلاعى صاحب السيرة الكلاعية أجل كتاب فى سيرة الرسول

ثم قال : ومن أردأ العلماء خطاً نجم الدين النسفى صاحب العقائد ، والإمام الحصيرى أستاذ الملك المعظم ، وهو شارح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن ، والعلامة التفتازانى وابن حجر . ومن علماء الأندلس ثم الاسكندرية الطرطوسى

وأما السيوطى والسيد الشريف الجرجانى والقطب الشيرازى والزمخشرى وابن الأثير المحدث وابن مالك وابن هشام وابن عقيل النحويون فخطوطهم وسط بين الجيد والردىء

ولقيت الشيخ مرة أخرى فقال :

الشيء بالشيء يذكر : ومن أصحاب الخطوط الجيدة أبو الريحان البيرونى وعبد الملك بن مسرة اليحصبي أستاذ ابن رشد الفيلسوف؛ رأيت بخطه مدونة الإمام مالك وفى آخر كل جزء :

بالله ياقارئ استغفر لمن كتبا فقد كفتك يداه النسخ والتعبا

ومنهم الحافظ المنذرى صاحب الترغيب والترهيب وكان مدرس دار الحديث الكاملية

ومن أصحاب الخطوط الرديئة شمس الدين الفنري صاحب فصول البدائع فى أصول الشرائع ، وهو مجلدان كبيران وشارح مفتاح الغيب لصدر الدين القونوى

وحسبُ كتابَ البدائع أن الفنرى ألفه فى اثنتين وثلاثين سنة مع أنه شرح إيساغوجى فى يوم واحد فيما يقال .

ومن ذوى الخط الردىء أيضاً ابن منظور المصرى ؛ رأيت بخطه جزءين من مختصر تاريخ دمشق والدارقطنى المحدث ؛ رأيت بخطه كتاب الكنى والأسماء للإمام مسلم، ومنهم ابن الصلاح ، وابن خلدون . ومن متوسطى الخط الحافظ السلفى

قلت : ولا تنس العبد الفقير فهو من أصحاب الخطوط الرديئة

— ٢ —

ولقيت شيخنا بعد أن نشرت فى الرسالة مقالى عن طرسوس وقبر الخليفة المأمون فتحدثنا عن هذه البلدة ، وما كان لها من مكانة فى الشعوب الإسلامية ، فقال الشيخ :

كنت أعجب حين أقرأ فى تاريخ كثير من علمائنا أنهم أقاموا فى طرسوس ، ولا أدرى لماذا عُنى هؤلاء العلماء بالرحيل إلى هذا الثغر القصىّ ، حتى قرأت فى تاريخ أحدهم أنه سافر لأداء فريضة الحج ثم رحل إلى طرسوس للمرابطة ، فعرفت أن علماءنا الذين رحلوا إلى طرسوس كانوا يؤدّون سنّة من سنن الإسلام فى مرابطة العدوّ على الحدود الإسلامية

ممن رحل إلى طرسوس أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ، أقام هناك زهاء اثنين وعشرين عاماً ، وأبو داود المحدّث صاحب السنن أقام بها إحدى وعشرين سنة وألف « السنن » هناك ، وعبد الله بن المبارك كان يتردد على طرسوس ويطيل الإقامة بها ، والثانى أقام وحدّث فيها طويلاً . وممن رابط هناك أيضاً أبو زيد المروزى صاحب أعلى إسناد للبخارى ، والإمام أحمد ، ويوسف ابن أسباط وهو محدّث عظيم أجلّ من ابن المبارك ، أقام بطرسوس أكثر من عشرين سنة ، وإبرهيم بن أدهم أقام بها ما لا يقلّ عن عشرين سنة . ولابن المبارك كتاب فى مدح طرسوس وأهلها المجاهدين

وكان طرسوس والمصيصة وأذنه والهارونية من مواضع الرباط يكثر العلماء الإقامة فيها

قلت : هذا سر من أسرار عظمة الإسلام وعلوه ، وتمكن المسلمين في الأرض . كان علماؤنا لا يرون العبادة اعتكافاً واعتزالاً ولكن جهاداً ورباطاً ، كانوا يرجعون إلى الثغور القاصية على بعد الشقة ليجاهدوا أو يرابطوا فسيطروا على الدنيا بالدين ولم ينبذوها من أجله . كانوا كما كان الخليفة الرشيد عُبّاداً حجاجاً غزاة مرابطين :

فمن يقصد لقـــاءك أو يرده فني الحرمين أو أقصى الثغور

— ٣ —

وحادثت الشيخ في الكتب والمؤلفين فقال :

أربعة كتب يجب عليكم أن تنشروها

١ — كتاب العين ، النسخة التي هذبها أبو بكر الزبيدي الأندلسي . رأيتها في مدريد بخط أندلسي جميل

٢ — كتاب الأفعال لابن القطّاع . منه نسخة كاملة في مكتبة واحدة في استانبول

٣ — وكتاب الأفعال للسرقسطي ألفه للمنصور بن أبي عامر ومنه نسخة في استامبول وقد نقلت مقدمته كلها

٤ — والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم . رأيت نسخة منه منقولة عن الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين وهي نسخة صحيحة

قال : وليت عملكم يتسع لنشر كتب أخرى مثل شرح كتاب سيبويه للسيرافي والتهذيب للأزهري والاشتقاق الكبير لابن دريد وشرح التسهيل لابن حيان الأندلسي

ومن نوادر الدهر نسخة ابن القطاع من صحاح الجوهري عليه حواش بخطه واستدراكات . قلت : كم لأسلافنا من كتب مفيدة لم تنل حقها من العناية . وعسى أن يوفقنا الله إلى نشرها والاستفادة منها وهو ولي التوفيق

١٣ . ٣٢ عبد الوهاب عزام

فنرى بوردو يتحدث عن

هتــــلر

للأستاذ ناجي الطنطاوي

إن فيليب باريس — في اعتقادي — أولُ صحفي بل أول كاتب فرنسيّ استطاع أن يجلوَ للناس مدى تأثير هتلر في شعبه ، وبيّن لهم أن استيلاء هتلر على نفوس سامعيه وعمق أثر كلامه فيها ناتج عن أنه يشارك شعبه بؤسه وضيقه . يخطب في قدماء المحاربين الذين ذاقوا ويلات الحرب وأصلوا سعيرها ، ويخطب في النساء اللواتي صبرن طويلاً على البؤس والشقاء في دورهنّ التي أقفرت من كل شيء ، ويخطب في جميع أولئك الذين مسّهم الفقر بنابه وتاقت نفوسهم إلى الخلاص منه ، كان صوته الصاحل يدوّي في الجموع المحتشدة دويّ الجرس الناعي ، ولكن وعود الخلاص والإنقاذ كانت تظهر على كل نبرة من نبراته . كان يُعلمهم بما سيحدث في المستقبل القريب واثقاً مما يقول ، لا يُجهد نفسه بوضع النظريات والفروض ، بل يستعيض عنها بخطّة سهلة قريبة المنال ، توصل إلى السعادة التي يحلم بها الرجال العاملون والنساء السُّذّج

ولقد رأيت النساء الألمانيات يخضعن ، وتذل نفوسهن أمام جاذبيته القوية . ولما رأيتهن وافرات الصراحة ، رحت أحادثهن وأسائلهن عنه ، وانبرت واحدة منهن وافرة الجمال والذكاء من مدينة كولونية قدمت من برلين ، وأخبرتني أنها حادثته على انفراد بعد « الأسبوع الأخضر » الذي جمع فيه الزعيم رجال الصناعات في كافة أنحاء البلاد الألمانية ، ليبين لهم سبيل الاتفاق والتفاهم ، وراحت تحدثني عنه قائلة :

— إنه دمث لين الجانب . لقد مثلت أمامه ، وكان باستطاعتي أن أكلمه وأحادثه ، ولـكن الحياء عقد لساني ؛ ولم أكن قد زورت في نفسي من قبل كلاماً ألقيه إليه .

سألتها :

— كيف بدا لك شخصه ؟

فأجابتني قائلة :

— إن له عينين ساحرتين !

أجل ! له عينان ساحرتان ... هذا هو الجواب الذي أجبنني به جميعاً كيلا يعترفن بقبحه ودمامته . واجتمعت في هامبورغ بامرأة أخرى كانت تطيل الحديث عنه، وهي امرأة مسنة كثيراً ما تضطرها أعمال زوجها للرحيل إلى برلين ؛ وكانت أوثق صلةً بهتلر من سواها ، فكانت تضيف إلى جمال عينيه الحزن والكآبة اللذين يبدوان عليه دائماً . وبدأت أعير الأسطورة القائمة في ألمانية انتباهي واهتمامي ، تلك أنه لا يهدأ ولا يسر إلا بالعزلة . ولقد شاد في بافاريا داراً في الجبل كثيراً ما يأوي إليها ليخلوَ إلى تأملاته ، وينتظر إلهاماته . وحدثتني المرأة قائلة :

— ذهبت إليه في أحد أيام عيد الميلاد، ودعوته للتفضل بزيارتنا مؤكدة له أنه لن يستطيع قضاء ليلة العيد هذه إلا بين أطفال إحدى العائلات ، فما كان منه إلا أن هزّ رأسه وأجابني بقوله :

« كلا ، كلا ، إنني سأمتطي سيارتي مساء اليوم وسأتغلغل في الغاب تحت الثلج فأكون بعيداً عن الناس معتزلاً بنفسي » فخضرتني الجرءة إلى أن أتقدم إليها بالسؤال عن صلته بالنساء، فكان جوابها أنه لا أثر لهن في حياته قط . ومضت في حديثها قائلة :

— وسألته في يوم آخر عن السبب الذي أفضى به للجنوح عن الزواج، فأجابني : « أوه ، كلا ، إنني ذو شعور مرهف وحس دقيق ، ووقوع طفل واحد لي في المرض يحول بيني وبين المضي في أعمالي السياسية

وذكرت — لدى سماع هذا — أن هـذا الرجل الحساس قد قتل يوم الثلاثين من يونية عام ١٩٣٥ ريهم فون كار ، وأوبرفورن ، وأوتوستراسر ، والجنرال فون شليخر وامرأته ، وكثيراً غيرهم ، يبلغ عددهم زهاء سبع وسبعين نفساً . ولكنني ظللت مصغياً لحديثها اعتقاداً مني أنه من الواجب علينا أن نساير النساء في تفكيرهن إذا وددنا أن نقف على أسلوب التفكير لدى إحدى الأمم ... قالت المرأة :

— ولما سألته هل يعتقد أن الحكم السائد بيننا هو الحكم الصالح ، أجابني بقوله : « كلا ، إننا نرفض كل حكم وراثي ، إذ أن البنات لا الأبنـاء هن اللواتي يرثن عادة عبقرية الأب . إن التوريث هو خطأ الملكية »

فتذكرت فجأة هذا التعبير الجميل لمؤرخنا ألبير سوريل : « إن حياة أسرة المرء امتداد لحياته بعد موته، وحياة الأمة امتداد لحياة الأسرة بعد فنائها » وأنا أقول إن حياة الأمم التي يخلفها الملوك هي امتداد لحياتهم إن ماتوا

هذا ما حدثتني به المرأة . أما الرجال فإن كلامهم عن هتلر لا يرافقه حماس كحماسها ، إذ أن الناحية العاطفية تختفي لديهم ويقدرون في الزعيم براعته في الإنشاء والبناء ، براعة الرجل الذي أعاد للنظام حرمته بعد أن شوهته الاشتراكية ، والذي قضى على البطالة بتمجيده العمل والنظام ، والذي أعاد لألمانية كبرياءها وعزتها ومجدها ، فماشت مرفوعة الرأس بين الأمم ، ولكن هل ترك الأمم الأخرى تحيا كذلك ؟

إن هذه الإشارة الخفية إلى النمسا وتشيكوسلوفاكيا لا تترك أثراً ، ذلك لأن المنطق الألماني لا يدخلهما في عداد الأمم

إن صاحب جريدة (دوتش فرازوزيش غيزيلشاف) وهو الكونت آرنيم ، هو من كبار الملاك ، وتبلغ مساحة ملكه ستمائة هكتار. وليست هذه المساحة الشاسعة نادرة الوجود في ألمانيا الشمالية إذ أن الأرض هناك مجدبة وغير مقسمة كثيراً ، وعدد الزراع هناك قليل ، فيضطر المالكون للالتجاء إلى البولونيين ، ففكرت — ولم أظهر ذلك — في فلاحنا الذي تحنو عليه الأرض حنوّ المرضعات على المظيم ، وتقدم إليه الغذاء وفق اعتنائه بها ، ورغم هذا نراه يذهب إلى المدينة ، إلى الضجيج والنور

لقد تنبه الزعيم لهذه الهجرة ، ورأى أن وقفها لا يتم إلا برفع منزلة الفلاح : فالبور (الفلاح) هو عنوان فخريّ موقوف على تلك الأسر الألمانية ذات الدم الصافي التي تحرث الأربوف ، والأربوف هذا هو الحقل الموروث الذي لا تقل مساحته عن مائة وخمسة وعشرين هكتاراً ليس من الجائز تقسيمها ، وينتقل هذا الحقل بالإرث إلى الابن الذي يسميه الأب ، وليس لديهم قانون الابن البكر ، فالأب يختار وريثه بنفسه

إنني أتمنى وأرجو لبلادي قانوناً نيراً يربط الأسرة بالأرض

ويثبتها بها كيلا تضطر للهجرة عنها ، فالأرض التي تقسمها قوة القانون ليس باستطاعتها أن تؤمن حياة أسرة ، وتضطر تلك الأسرة للهجرة والرحيل . وإن باب التوريث في القانون الذي يقضي على زراعة فرنسة ، فيفقد فرنسة عقيدتها وإيمانها . يجب علينا حتماً أن نعيد النظر في القانون ، وبعض الأنظمة الجديدة تراعي هذه الناحية ، ولكنها مراعاة غير كافية

احتفلت ألمانية احتفالاً فخماً بذكرى بلوغ هتلر سن الخمسين فهو قد ولد إذن يوم العشرين من نيسان عام ١٨٨٩ في بلدة باسو؛ فلنحفظ هذا التاريخ لأنه من الممكن أن يجلو لنا تكوّنه العقلي . كان في العاشرة من عمره عند ما حدثت في النمسا — وطنه الأول — فاجعة دينية يظن أن أثرها كان قوياً في خياله الطفلي وأن صورتها ظلت منقوشة في ذاكرته ، وعلى الأخص لأن أستاذه اشترك فيها كما يغلب على الظن ، ولقد ذكرها دون ريب لما دخل فينا التي فتحها ، وبراغ التي غلبها وأذلها . ولقد اطلعت على فصل جيد واف مكتوب بقلم جورج غويو عن الحياة الألمانية العقلية يكشف لنا عن هذه الناحية :

صدر في نيسان عام ١٨٩٧ أمر الإمبراطور فرانسوا جوزيف باعتبار اللغة التشيكية في المحاكم والدوائر والكنائس لغة رسمية ، وكانت اللغة الألمانية قبل صدور هذا الأمر هي اللغة الرسمية السائدة فثارت ثائرة الشعب ، وقامت ثورة مسلحة كان أبطالها جرمانيو النمسا الذين ألقوا المسئولية على عاتق الكنيسة الكاثوليكية . وكتب أحد المحرضين إذ ذاك ويدعى شونيرير يوم ١٦ نوفمبر عام ١٨٩٨ يقول :

« ألا فلنحطم القيود التي تربطنا بكنيسة معادية لألمانيا ، لا نريد أن يسود التفكير المسيحي الأرض الألمانية . إن التفكير الجرماني هو وحده صاحب الحق بالسيادة فيها »

ومذ ذلك الحين بدت نظرية التوسع الجرماني في النمسا ، بشكل جديد : أنت بروتستانتي ... معنى هذا أنك ألماني ، وكان يذهب المتطرفون إلى أبعد من هذا ، حتى أن صحيفة شونيرير راحت تنادي صائحة : « لقد صهرنا بفلسطين كما صهرنا بروما لنشيد فيها قبة الجرمانية » وراح شونيرير يهيب بمواطنيه إلى رفض قبول الدين المسيحي والعودة إلى حظيرة الوطنية الحق قائلاً : « يجب على كل فرد من مواطنيّ أن يكون وطنياً ألمانياً لا بروتستانتياً مسيحياً . وسيؤرخ العصر الحديث منذ الآن موقعة « نوريا » بين الرومان والتوتيين قبل المسيح بمئة وثلاث عشرة سنة . ثم يقول جورج غويو : « يقول تاريخ ألمانيا الوطني بالحرف الواحد : إن اليوم الذي أدخل فيه القديس بونيفاس الدين المسيحي إلى ألمانية كان يوم حداد على جرمانية ؛ وإن الأخلاق الألمانية الوطنية تعلمنا أن العقيدة السكندينافية القديمة التي تأمر بمقابلة اللطمة بلطمة مثلها كانت أرفع وأشرف من العقيدة المسيحية التي تذل الإنسان وتفسد خلقه عندما تأمره بتقديم خده الأيسر ؛ وإن التربية الألمانية الوطنية التي تتخذ من الأبطال الجرمانيين القدامى مثلاً أعلى لها يجب احتذاؤه لاتفتأ تفخر بأسلوبها في التربية حتى يكاد يعتقد الإنسان أنها توافق طبيعته . وتفضل هذه التربية عبادة « ووتان » الآله الوطني على عبادة المسيح الدخيل . وبعد كل ذلك نرى الطقوس الألمانية الوطنية تحيي التقاليد الدينية التي كانت سائدة في الغابات القديمة ، وذلك بعودتها إلى عادة تقديم الضحايا للشمس في زمني الانقلابين الصيفي والشتوي وحرقهم على ذرى الجبال . ومع هذا ، إذا كان الجرمانيون أفضل شعوب الأرض ألا يكون إله المسيحيين قد استهان بهم وانتقص من أقدارهم باختياره شعباً غيرهم ؟

وتملكت نفوس الألمانيين إذ ذاك رغبة صادقة في إنشاء دولة ألمانية موحدة يدين أفرادها بدين واحدهو دين « ووتان » وانقلبت الحركة الدينية إلى حركة سياسية .

« دمشق » ترجمة
ناجي الطنطاري



التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



لم تكن مصر إذاً في حالة تدعو إلى القلق إلا إذا كان الخلاف بين الخديو ووزرائه مشكلة تستدعي حتما تدخل الدول الأوربية لحسمها ، إذ لا يتسنى علاجها إلا على هذه الصورة

لم يكن هذا الخلاف الذي نشير إليه سوى الذريعة التي باتت انجلترة تتحينها لتخطو الخطوة التي كانت سياستها في مصر طوال القرن التاسع عشر متجهة إليها ، وكانت انجلترة قد عولت أن تقطع العقدة إذا لم يتيسر لها حلها ، فبقطع تلك العقدة أو حلها تصيب في الواقع غرضين : السيطرة على مصر وهذا قصارى آمالها في الشرق ، والتخلص من مشاركة فرنسا لها فيما هي فيه من شؤون مصر وهذا ما كانت مصلحتها تقضي بوجوب الإسراع فيه

والإنجليز قوم نبغوا في أن يأخذوا كل شيء وألا يعطوا شيئاً ، وأن يستبطنوا دخيلة كل عدو أو حليف دون أن يكشفوا له عن شيء تنطوي عليه نفوسهم ، ولهم في ذلك أساليب يعد نجاحهم في إنفاذها أحد أسباب تفوقهم الكبرى

لذلك تقدم هؤلاء ليلعبوا إحدى لعباتهم السياسية وقد سهلت عليهم سياسة فرسنيه الأمر ، فقد رأى هذا أن تبتعد انجلترة وفرنسا عن التدخل المسلح في شؤون مصر ، وفاته أنه إن استطاع أن يوجه سياسة بلاده نحو هذا الهدف فما له حيلة في انجلترة إن استعصت عليه أو انسحبت منه

وتقدم فرسنيه يعرض على انجلترة مقترحات لحل المشكلة ، فطلب على لسان سفيره أن ترسل الدولتان سفناً من أسطوليهما إلى مياه الاسكندرية وأن تطلب الحكومتان إلى تركيا ألا تتدخل في شؤون مصر في ذلك الوقت ، ولكن فرنسا لا تعارض إذا حضرت قوة عثمانية إلى مصر بدعوة من الدولتين على أن يكون عملها محدوداً وأن تكون تحت مراقبتهما

ورأى فرسنيه أن تحاط روسيا والنمسا وألمانيا وإيطاليا بما تتخذه انجلترة وفرنسا حيال المسألة المصرية على أن تكون تعليمات تلك الدول إلى سفرائها في الآستانة عين تعليمات الدولتين

أما عن مركز الخديو فقد رجعت فرنسا عن رأيها في خلعه ذلك الرأي الذي كانت تراه لو اتبع قبل ذلك يقضي على كثير من الصعاب

وكان فرسنيه يريد من المظاهرة البحرية أن يلقي الرعب في قلوب الوزراء ليقلعوا عن مقاومة الخديو فتنتهي الأزمة التي كانت قائمة بينه وبينهم ، ولقد وافق جرانفل على مقترحات فرسنيه في جملتها ورأى أن يبلغ الباب العالي مع الاحتياط في القول أنه قد تعرض عليه في المستقبل مقترحات أخرى ، ولكن فرسنيه لم ير هذا الرأي لأنه كان يرغب عن التقرب من تركيا ولذلك رفضه بادئ الأمر ولكنه عاد فقبله بعد إلحاف جرانفل عليه وكتب إلى سفيره بالآستانة أن يبلغ السلطان أنه « ليس من المستبعد أن تقدم اقتراحات أخرى إلى تركيا فيما بعد »

وأراد جرانفل أن يبعد عن نفسه وعن حكومته تهمة الرغبة في التدخل في شؤون مصر فاقترح أن تدعى الدول الأوربية إلى إرسال سفن إلى الأسكندرية تقف إلى جانب السفن الإنجليزية الفرنسية ؛ وما كان جرانفل جاداً فيما يقول فإنه كان على يقين أنه

سيقابل من فرنسا بالرفض ولو كانت لديه شبهة أن ستقبله فرنسا لما تقدم به ، بل لو كان هذا الاقتراح من جانب فرنسا لعارضت فيه انجلترة أشد المعارضة ؛ ولو أن انجلترة كانت جادة فى مقترحها هذا لبذلت قصارى جهدها لتحمل فرنسا على قبوله ولكنها اكتفت أن تبلغ فرنسيه على لسان وزيرها أنها تأسف ألا تقرها فرنسا على وجهة نظرها وأنها تعد من الخطأ عدم دعوة الدول إلى الاشتراك فى تلك المظاهرة ، ولكن بما أن فرنسا قد ذهبت فى الموافقة على السياسة البريطانية إلى مثل هذا الحد فإن انجلترة لا يسعها إلا أن توافق فرنسا على ما ترى

وآمن فرسنيه بنزاهة السياسة الإنجليزية ، ولو كان غير فرسنيه فى موضعه لآمن بها كما آمن هذا ، فلم يكن يدور بخلد أحد يومئذ أن انجلترة كانت تترقب الفرص لتنقض على الفريسة دون فرنسا ولا كان فى عملها ما يستراب منه ؛ ولكن الإنجليز فى هذا العالم خير من انتصح بنصائح مكيافلى وخير من حذقها ولو قد تأخر الزمن بهذا الرجل لأخذ عنهم مبادئه ولوجد فى أساليبهم وخططهم أبلغ أمثلة كتابه

الحق أن هذا المكر كان يدق على فرسنيه وغير فرسنيه من أولى الخبرة والدهاء من الرجال ؛ وما كان ليفطن إلى هذا إلا من يسيء الظن بانجلترة فيكون مبعث فطنته سوء الظن لا حسن الفهم وبعد النظر ، ونحن إنما نفطن إلى هذه السياسة بعد أن تكشفت وتعاقبت عليها السنون ، ولقد فطن إليها فرسنيه ورجال حكومته وشعبه لا ريب يوم وقعت الواقعة وانفردت انجلترة بضرب الأسكندرية غير حاسبة لأى شيء من حولها حساباً

وكانت انجلترة تبنى من سياستها هذه أن تصرف الدول عن مصر فإن دعوة تلك الدول إلى مشاركتها فى المظاهرة البحرية يظهرها بمظهر من لا غرض له إلا الصالح العام فى حين أن انفرادها هى وفرنسا بالأمر يغضب الدول ويجعلها تميل إلى التدخل لتنال حظًّا من الغنيمة فى مصر أو فى غير مصر يوم يقوم الحساب وتوزع الأسلاب

وفضلاً عن ذلك فقد كانت انجلترة تحذر أشد الحذر أن تغضب السلطان فينحاز إلى عرابى وحزبه ضد توفيق فيظهر هؤلاء بمظهر المحافظين على حقوق السلطان صاحب الحق الشرعى ضد الخديو ومشايعيه من الطامعين ، وهنالك فكل تهمة بالعصيان ضد عرابى أمام الشعب المصرى إنما تذهب أدراج الرياح

ولقد فطن ماليت إلى خطورة هذا الأمر وكتب إلى حكومته ينذرها أن إغفال تركيا من شأنه أن يضم النواب إلى العسكريين فيقفوا جميعاً صفاً واحداً ضد أوربا أو على الأقل إنه يقوى جانب عرابى وأشياعه

وودت انجلترة لو طاوعتها فرنسا فيما أشارت به، ولما وجدت إصرارها على استبعاد تركيا والدول جميعاً لم تر بدا من أن ترسل إلى الدول قراراً ينفى أى نية فى احتلال مصر ويؤكد أن إنجلترة لم ترد بالمظاهرة البحرية إلا إقرار السلام داخل مصر وأنها سوف تترك مصر وشأنها إذا قضى على ما فيها من القلاقل ؛ وإذا لم تنجح تلك الوسائل السلمية فسوف تتفق انجلترة والدول على ما تراه هى وفرنسا خير سياسة تتبع

وتحدث اللورد دوفرين سفير انجلترة بالآستانة إلى وزير الخارجية العثماني فى لهجة شديدة قائلاً : إنه إذا لم تعمل تركيا ما من شأنه أن يسهل على انجلترة خطتها فسوف تزيد انجلترة عدد القطع فى الإسكندرية وتطيل أمد بقائها جميعاً هناك

ولكن السلطان آلمه وأغضبه أن توجد السفن الفرنسية الانجليزية أمام الاسكندرية فلم يكف عن احتجاجه وإعلان سخطه مما زاد الموقف العام حرجاً وتعقيداً

وبينما كانت فرنسا وانجلترة تتبادلان الرأى على النحو الذى نذكر ، كان الحنق فى مصر على الخديو يتزايد يوماً عن يوم ، وما زال الناس فى قلق وخوف من موقفه ومشايعته الانجليز على هذه الصورة حتى وصلت السفن إلى الاسكندرية

ولقد أخذ بعض الناس على الوطنيين أنهم لم يخلعوا الخديو فى ذلك الوقت ويتصلوا بتركيا طالبين تعيين غيره ؛ والواقع أنها مسألة دقيقة ، فمن الناحية الوطنية كان الوطنيون يرون ضرورة خلعه ، وحجتهم أن السكوت معناه التفريط فى جانب الوطن ، ولكنهم من الوجهة الأخرى كانوا يرون أن عملهم هذا ينقلب وبالاً عليهم فى ظروف كتلك الظروف التى أذاعت فيها أوربا عنهم المزعجات من الشائعات

وفى هذه الآونة حدث فى صفوف النواب ما نخجل أشد

الخجل من ذكره ، فقد انحاز كبيرهم سلطان إلى الإنجليز وشايعه عدد منهم ليس بالقليل ولم يكن للوطنيين من عاصم فى تلك المحنة إلا الاتحاد والثبات فكأنما تأبى الأيام إلا أن تجعل من أبناء مصر بعضهم لبعض عدوا ، وكأن ذلك لكثرة ما تكرر من طباعهم التى فطروا عليها ؛ ولطالما نكب هذا الشرق المسكين بتخاذله وانقسام أبنائه بعضهم على بعض مع أنهم يرون الظالمين الطامعين فيهم من أهل الغرب بعضهم فى الكيد لهم أولياء بعض !

وكان انحياز سلطان والمستضعفين من النواب معه إلى الخديو أولى ثمرات المظاهرة البحرية ؛ فإن سلطانا حينما علم بها من الخديو فكر وتدبر ورأى أن المستقبل للخديو؛ فلما حضرت السفن اطمأن إلى الخديو وآثر أن يبادر بالانضمام إليه لتكون له الحظوة والمكانة عنده وعند الإنجليز أولى الجاه والبأس ؛ وأمثال سلطان هـذا إنما يعملون لأشخاصهم فحسب ، وعلى ذلك فهم عبيد القوة وإن تعاظموا، وهم أضعف الناس وإن تطاولوا، وهم أحرص الناس على المادة وإن تظاهروا بالنبل والعفة ، وهم إنما يدلون بجاه من يستكينون إليهم إدلال الخادم بسيف سيده

ونشط ماليت وأعوانه من جديد يذيعون أسوأ الأنباء عن مصر وعن عرابى وحزبه على وجه الخصوص ، حتى لقد وقف جرانفل فى مجلس اللوردات فى يوم ١٥ مايو يتوعد مصر ويتهدد ويصرح فى غير تردد ولا استحياء أن النواب والأمة جميعاً فى صف الخديو

وكان مستر بلنت لا يزال يسعى سعيه فى انجلترة لصالح الوطنيين وكانت بينه وبين عرابى مراسلات برقية قبل تصريح جرنفل يؤكد فيها عرابى الهدوء والسلام فى مصر ، فلما أعلن جرنفل تصريحه أرسل بلنت إلى عرابى رسالة برقية بتاريخ ١٦ مايو يقول فيها : « قال لورد جرانفل فى البرلمان إن سلطان باشا والنواب قد انضموا إلى الخديو ضدك ، فإن كان هذا القول غير صحيح فاطلب إلى سلطان باشا أن يرسل إلى تكذيباً ، وإذا اتحدتم فلا تخشوا شيئاً . . . ألا يمكنكم أن تؤلفوا وزارة يكون سلطان رئيساً لها ؟ وعلى كل حال عليكم بالثبات »

وأرسل هذا الرجل الحر إلى سلطان باشا فى نفس الوقت برقية هذا نصها : « أعتقد أن جميع أولئك الذين يحبون مصر يجب أن يتحدوا فلا تتشاجر مع عرابى . إن الخطر عظيم » كما أرسل إلى كل من بطرس باشا وأبو يوسف ومحمد باشا الفلكى هذه البرقية « هل الحزب الوطنى مع عرابى الآن ؟ الحكومة الإنجليزية تدعى أنه ليس كذلك . إذا ذهب اتحادكم ضحتكم أوربا إلى أملاكها » ووصلت هذه البرقية أيضاً إلى الشيخ محمد عبده والشيخ الهجرسى وعبد الله أفندى نديم

وجاء بلنت رد سلطان فإذا به يقول : « لقد زال الخلاف الذى كان بين الخديو وبين الوزارة ولم يبق له أثر . وكلنا متفق على المحافظة على الأمن والسلام وعلى مناصرة الوزارة الحاضرة »

وتلقى كذلك مستر بلنت برقية من الشيخ الأمبابى شيخ الجامع الأزهر نصها : « من الشيخ الانبابى شيخ الإسلام . سوى الخلاف بين الوزارة والخديو، والحزب الوطنى راض بعرابى، والأمة والجيش متحدان »

وكتب الشيخ محمد عبده إليه أيضاً مثل هذا المعنى .

(يتبع) الخفيف

من نار الفراق

قبلما يتمرد القلب !

«سأغضب، فاخشى غضبتى، إن نارها
بقلبى بركان خفى معربد»

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ – الغضب المناع . . .

سأغضبُ . . . لا أجفو ، ولا أتمرّدُ
ولكنْ ضبابٌ سوف يبكى له الغدُ !
سأغضبُ . . . لا أسلو ! وكيفَ ؟ ! وإنما
حبيبُك تضنيه الجراحُ فيزهدُ
ويزهدُ لا عنْ نور عينَيْك . . . إنما
أغانى الهوى للقصر تبلى وتنفدُ
ويُصبِحُ شاديك المُعذَّبُ غنوةً
مكبَّلةَ الأنغام لا تتنهَّدُ
خريفيَّةَ الأحلام ، قبريَّةَ الصَّدى
بها الحبُّ مخنوقُ الشُّعاع مقيَّدُ
تُولوِلُ فى صمتِ الدُّموعِ كأنها
عزيفُ الليالى . . . لا ربابٌ ، ولا يَدُ !
سأغضبُ . . . فاخشىْ غضبتى ! إنَّ نارها
بقلبى بُركانٌ خفىٌّ معربِدُ
إذا ثارَ . . . يا ويْل الهوى ! ويْلَ صفوهِ
إذا هبَّ إعصارُ الملالِ المبدِّدُ
ويا ويْل ما غنَّت لك الرُّوح شعرَها !
سيَصمُتُ بى هذا العذابُ المغرِّدُ
وتشمَلُ أوتارى بخمرٍ شقيَّةٍ
على كأسِها جِنُّ الأسى متمرِّدُ
سقَى كرْمَها دمعُ الثَّكالَى ، وهزَّها
أنينٌ على ليْلِ الحزانَى مُردَّدُ
فإنْ رُمْتُ تغريداً لحُسنك لفَّنى
جنوني ، وأعيانى السُّكون المشرَّدُ
ويغدُو إلهُ الحسنِ فى عزلةِ الهوى
فلا الحُسن معبودٌ ، ولا الصبُّ يعبُدُ . .
سأغضبُ . . . لكنْ غضبةَ الزَّهرِ حينما
يُجافيهِ ظِلٌّ فى الهجيرِ ممدَّدُ
سأغضب . . لكن غضبةَ اللَّحْنِ حينما
يدفُّ به فى قفرةِ السمعِ منشِدُ
سأغضب يا نبْعَ الرِّضا وظِلالَهُ
ويا منْ إليها جذوتى تتوقَّدُ
زِفِّى إلى أيَّامِىَ السُّودِ ، وامسحى
جبيناً على كفَّيكِ كم راحَ يسجدُ !
وزُفِّى خطاكِ البيضَ إلى نورها
إلى واحتى الكبرى أسيرُ وأرشَدُ . .

٢ – النوبة الكبرى

[القبلة ! . .]

. . . وأبْعَدُ آفاقِ الهوى منك قُبلةٌ
هِىَ الخُلْدُ أوْ فى حبِّنا هِىَ أخلَدُ
بقيَّةُ آمالى من الكونِ طيفُها
أبيتُ لهُ مِنْ لوعتى أتهجَّدُ
نشيدةُ أحلامِى من الحبِّ ، دونَها
وعُمرِى كمعصفِ السَّافياتِ يبدَّدُ
فهاتِى لرُوحى خمرَها وجنونَها
فما بِسِواها مُهجتى تتعبَّدُ
هِىَ النَّوبةُ الكبرى لِجسمى إذا غدتْ
بِهِ نشوةُ الآلامِ ترْغى وترْبِدُ
فلا تحبِسيها فى الشِّفاهِ ... وأقبِلى
بِثوْرتِها . . . فالعمْرُ أوشكَ ينفدُ !

* * *

« سأغضب . . . لا أجفُو ! ولا أتمرَّدُ
ولكنْ ضبابٌ سوف يبكى له الغدُ »
« زِفِّى إلى أيامِىَ السُّود ، وامسَحى
جبيناً على كفَّيك كم راحَ يسْجُدُ ! »

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

كلمة ولوع

للأستاذ خليل شيبوب

غريبة هذه الحياةُ وكل ما في الورى غريبُ

يا هند ما بال مقلتيك ملؤُهما الدمع والصفاء
كأنما تحت حاجبيك من الدجى النجم والضياء
فكفكفي الدمع لا عليك تبتسم الأرض والسماء
هذا فؤادي يجثو لديك عبادة والهوى ضروب
غريبة هذه الحياة وكل ما في الورى غريب

لما سكرنا من التصابي صرنا بأمنٍ من الوجلْ
نحن حسبنا الهوى يحابي قلباً بقلبٍ قد اتصل
فضاع ما كان من حساب وخاب ما كان من أمل
الموت أشفى من بعض ما بي لو أنه حاضر قريب
غريبة هذه الحياة وكل ما في الورى غريب

نحن اجتمعنا ثم افترقنا وهكذا العمر ينقضي
الحب نار بها احترقنا والنار تفنى وإن تُفنى
بنا اشتفى من لو اتفقنا ما كان يرضى فلا رضى
راقب النَّجم قد شرقنا به ولا يشعر الرقيب
غريبة هذه الحياةُ وكل ما في الورى غريب

ما قيمة الكون والبرايا في عالم بارز الرؤى
لعلها هيِّئَتْ ضحايا لما لَمْ آخر نأى
وإنما هذه الرزايا أوجعُها الحب خطئنا
حسبت في نوره هدايا إذا ضلالي فيه مريب
غريبة هذه الحياةُ وكل ما في الورى غريب

يا هند إني فقدت رشدي سامحك الله في رشادي
أضعته فيك وهو عندي أعز في العين من رقادي
يا حبها ما نقضت عهدي لها ولا حلت عن ودادي
أدعوكِ هنداً وأي هند أدعو ولا سامع مجيب
غريبة هذه الحياةُ وكل ما في الورى غريب

نحن ضيوفٌ على الزمان منزلنا الليل والنهار
وما لنا فيه من أمان ولا لنا فيهما قرار
من تحتنا لُجَّةُ المكان وفوقنا لُجَّةٌ تُدار
وعمرنا شرُّ ما نعاني فداؤنا ما له طبيب
غريبة هذه الحياة وكل ما في الورى غريب

(الاسكندرية) خليل شيبوب

العودة ...

للأستاذ العوضي الوكيل

تَعودين لي... حبَّذا أن تعودي وأن تصِليني بعَيْشٍ جديدِ
تَعُودينَ أروعَ ما عادَ لي ربيعٌ تحلَّى بزاهي الورود
تعودينَ مُشْرقةً في الضمير ورائعةً كمعاني القَصيد ...
وفاتنةً كبنات الخيالِ وآخذةً ببنانِ النَّشيد
تعودينَ لمحةَ طَرْفٍ الهيف ونبضةَ قلبِ الشُّوقِ العميد
تعودين أنساً لذي نُفْرَةٍ يَقَرُّ به بعد طول الشُّرُود
وراحةَ ذي سفرٍ مُجهَدٍ يميل لها بعدَ مُضنِي الجهود
كأنَّ النوى سَفرٌ في الهجيرِ بصحراء ما إن لها من حدودِ !

تعودينَ ... رُبَّتَمَا عودةٍ تَبُثُّ بشعرى معاني الخُلودِ
فكم قَبْسةٍ منك في طَيِّهِ وأخرى بروحيَ عندَ الوَصيد
أَمُرُّ لألقَيَها في الحروفِ فَتمْشِيا بها لَمجاتُ الوُجود
فأحيِسها في دِمى نَشوَةٍ وروحي تهتف: هل من مزيد؟

تعودينَ ... رُبَّتَمَا عودةٍ تُضاعف إحساس قلبٍ رشيد
فيخلُقُ فيك المعاني العِذاب وينظمها في النُّضار النَّضيد
ويُخصِبُ في القولِ إخصابَهُ ويرفعُ فيه رفيعَ البُنود ...
ويُنهِلُ منْ شاءَ منْ وِرْدِهِ ولا من ورودٍ كهذا الوُرودِ !

تعودين... يا حُسنَ أُنسِ اللقاء حُفَّ بِشَفرِ ذَوِيّ وجِيدِ
ألا فأطيلي الزمانَ القَصيرَ (م) تَغْنَمُهُ بعدَ يأسٍ شديدِ
ومُدِّيهِ مَدًّا ولا تَبْخَلي على ذلكَ الطامعِ المستزيدِ !

(دماص — دقهلية) العوضي الوكيل



دراسات فى الفن :

الحـــــرب والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

الشعوب المحاربة بطبعها هى الشعوب التى تسكن الصحارى والمراعى ، وما يشبه الصحارى والمراعى من الأرض القاسية على أبنائها التى لا تجود عليهم برزق كاف أو رزق منتظم ، فيحملهم الفقر على هجرة أرضهم والإغارة على أرض غيرهم لينهبوها ويعودوا إلى أرضهم، أو ليغتصبوها ويستوطنوها سادة لأهلها. فإذا اطمأنوا فى أرضهم الجديدة فإنهم على مر الزمن قالمون عن طبعهم داخلون فى طبعها فلا يبقى لهم من نزوعهم إلى المحاربة إلا ما سمحت به

أما وهم على طبعهم الميال إلى الحرب فإن فنونهم تكون مما يلائم حياتهم . وهم فى حياتهم رحالة ، فقراء ، مقاتلون ؛ وقلقهم الدائم الذى يضطرهم إلى الهجرات المتتابعة لا يخلق عنـدهم الفنون التى تحتاج إلى أدوات ثقيلة ، وإلى مكان تسكنه . لهذا لم يكن عند القوقاز تماثيل ولا صور ، ولهذا لم يكن عند العرب موسيقى مما يستلزم عزفها الأدوات الثقيلة التى تزحم المحارب فى المحارب . ولهذا لم يكد يكون عند الشعوب المحاربة من الفنون إلا الشعر والغناء والرقص

أما فقرهم فيصبغ روح الفن نفسها ، فهو يخلق فيهم حباً للمال كما يخلق فيهم زهداً فيه . فهم يحبونه لأنه دليل على البطولة الواجبة للحصول عليه لأنه لا يستخلص إلا بالحرب والمجاهدة؛ وهم يزهدون فيه لأنه ليس دليلاً على شىء من هـذا ، فقد يبذل الكريم ماله للمحتاج حتى يفتقر فلا يأسف على ضياعه ولا يمكنه أن يعلن حسرته عليه إلا إذا أراد أن يعرض بأهله وأن يتهمهم بالتخلى عنه حتى ليستشعر الذل ، أو إذا كان هذا الفقر نتيجة لكارثة لم يكن للإنسان يد فى صدها كالطوفان أو الحريق

ودأبهم على المقاتلة يشارك هـذا الفقر فى صبغة روح الفن كذلك ، إذ يخلق لهم مُثلاً عليا من البطولة ، والشجاعة، والكرم والسماحة ، والمروءة ، والعزة ، واحترام الكبير صاحب التجارب مهما هرم وضعف ، واحترام الصغير الضعيف ، واحترام المرأة العاجزة ، إلى غير ذلك من أخلاق الفتوة والفروسية .

ومن أبرز ما تخلقه الطبيعة فى نفوس هؤلاء المحاربين : شدة الإيمان بالقضاء والقدر، وبإسراع هذه الحياة إلى الذهاب ، وبهوان شأن هذه الحياة نفسها ؛ فيخلق هذا فى فنونهم إلى جانب عنفها الأصيل ، روحاً من المرح والمجون والاستخفاف الذى يشبه الطيش أحياناً ، تشجيعاً لهم على الحرب ، وتعزية لهم بين الحرب والحرب .

ويظهر هذا فى الشعر ، كما يظهر فى الغناء، وكما يظهر فى الرقص

أما الشعر ، فتكاد لا تخلو قصيدة جاهلية مما يدل على طبيعة العرب الأولى من ذكر النساء والخمر ، والعبث ... فوق أساسها القائم على الفخر وتعداد المآثر ، ودلائل البطولة ، وأيام النصر

وأما الغناء فلم تجد به الطبيعة على العرب إلا لينفس به أفراد عن خوالج ذواتهم . وذلك أن الطبيعة فى بلاد العرب تكاد تكون بكماء لا تملأ الآذان إلا حسن الإصغاء إلى الصمت ، وذلك على خلاف أوطان القوقاز التى تشارف البحور من بعض أطرافها ، وللبحور أصوات ، والتى تنطوى على الجنات الصغار فى بعض أنحائها ، وفى هذه الجنات مياه وأطيار وأشجار ودواب ، ولكل هذه أصوات ، والتى قد تهب فيها على هذه الجنات نسائم ، وقد تهب رياح ، وللنسائم همسات ، وللزوابع صرخات ؛ وقد تملأ

القوقاز من شدو الطبيعة هذا غناء أوفر مما تمله العرب ، فكان لغنائهم ألوان للأفراد ، وألوان للجماعات ، وألوان أخرى لشتى المباهج والأحزان ، وألوان طاوعتهم فى التعبير عن أنفسهم وما فى أنفسهم من الحماسة والفخر والبطولة ... وإلى جانب هذا ، فإن فى غناء القوقاز ما يقوم دليلاً على حبهم للنساء والخمر والعبث

وأما الرقص ففيه هذا كله أيضاً ... فهو رقص بالخناجر والسيوف . وهو ليس إلا تمثيلاً للحرب، فيه من عنفها وحدتها كل عنفها وحدتها ، لا يخففها شيء إلا ما يذكره المحاربون دائماً وهم فى « أوقات الفراغ » من جمال النساء ، وحلاوة الخمر ، وبهجة العبث .

فالراقص العربي والراقص القوقازي يكران ويفران ، ويضربان ويطعنان ، ولكنهما مع هـذا يتثنيان ويتخلعان رشاقة وتلطفاً إرضاء للمرأة ، كما يرتشفان الهواء وهما يرقصان ثم يترنحان سكراً أو تمثيلاً للسكر ، كما يهزلان ويخلطان عبثاً ومزحاً ومجوناً

هذه هى فنون الحرب فى الشعوب المطبوعة على الحرب وهى منطلقة بفطرتها فى براح الأرض .

وعند ما تستقر هذه الشعوب تبدأ فيها فنون الاستقرار ، فينشأ الرسم والنحت والخط والعمارة والتمثيل ... ولعل أقرب مثل لهذه الشعوب هو الشعب التركى ، فإنه لم تنشأ عنده هذه الفنون الأخرى إلا عند ما اطمأن فى أوربا ، أما قبل ذلك فقد كان الشعب كله جيشاً ، والجيش لا يملك أن يستقر لفن ما . ولم يظهر النحت فى الحضارة التركية العثمانية لأنها كانت حضارة إسلامية ، ولأن المسلمين ظلوا زمناً طويلاً وهم يكرهون النحت لصلته القديمة بالوثنية الجاهلية التى أقام العرب فيها الأصنام ليعبدوها محاكاة لما كانت تفعله المدنيات التى كانت تطوق جزيرتهم . فالنحت ليس من فنون المحاربين ، ولذلك فإننا لا نراه عند القوقاز الذين لم يتسرب إليهم مثلما تسرب إلى العرب من رشح المدنيات

وعند ما تحارب الشعوب المستقرة بعضها بعضاً ، أو عند ما تصد هذه الشعوب غارة الثائرين عليها ، تكف العمارة ، ويكف النحت. وقد كان للرسم أن ينام أيضاً لولا أن الطباعة تمهد له الانتقال الذى يلائم الحرب. وقد كان للتمثيل أن يهدأ كذلك لولا أنه ينقلب دعايات حربية . أما الشعر والغناء والرقص فهى فنون الحرب التى تستطيع مصاحبتها ومناشرتها فى كل حين .

والعمارة تكف لأن الحرب تهدم القائم المبنى فيما مضى ، وهذا لا يشجع على البناء الجديد ما دام البناء عرضة للهدم ، والنحت يكف لأن صاحبه لن يجد عند ما ينشغل الناس بالحرب من يزوره ليقرأ السلام على تمثاله ، والرسم ليس من فنون الحرب الطبيعية لاستلزامه السكان والأدوات الثقيلة ، وكذلك التمثيل ، بل إن التمثيل يزيد على الرسم امتناعاً فى الحرب لأنه يستلزم بطبعه كثيراً من الهدوء والاستسلام إلى حادثات الزمان ليستخلص منها موضوعات ، والهدوء فى الحرب منعدم ، ولا حوادث فى الحرب إلا هذه المآسى ذات اللون الواحد والطابع الواحد ، وهى مما يحسه الأفراد العادون إحساساً لا يمتاز عليه إحساس الفنانين امتيازاً كبيراً ، وهى مما يعبر عنه الناس فى كل ساعة بأقوالهم وأفعالهم فهم فى غنى عن ترديده وترجيعه فى رحاب الفن

ولكن الرسم أنقذته الطبعة فمكنته من الحياة فى الحرب ، والتمثيل استعانته الدعاية فأعانها وإنه لقدير على نجدتها

والرسم والتمثيل فنان ، وهما لا يستطيعان متى تيقظا أن يستعصيا على دوافع الحياة ومؤثراتها فلا بد أن يخضعا لما تخضع له فنون الحرب من هذه الدوافع وهذه المؤثرات . ولا بد أن تدب إليهما ما تخلقه الحرب فى الأحياء من الحماسة والفخر بالبطولة والفتوة وسائر فضائل الحرب ، كما يجب أن يشيع فيها الميل إلى النساء والخمر والعبث . فهذا الموكب من الأحاسيس هو الذى تتجند له البشرية فى الحرب

والعالم اليوم فى حرب ، فهل ستنطبع الفنون بهذا الطابع الذى تبصمها به الحرب ؟

قد كان العالم فى حرب منذ ربع قرن . ولقـد حدث أن تأثرت الفنون بالحرب ، فتوقفت العمارة والنحت ، وانتعش الشعر بروح الحماسة التى استطاعت بقدرة الله أن تصل حتى إلى مصر وإلى أمير شعرائها المترف المرحوم أحمد شوقى بك فقال :

بنى مصر مكانكمو تهيا فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حلياً ألم تك تاج أولكم مليا ؟

... ومع أن الشعب لم يكن يفهم هذا الكلام « النحوى » فقد أساغه فى لحن صاغه له فرد من أفراده كان فقيهاً يقرأ القرآن فى المقابر ، وكان فقيراً يستعين على الحياة فى محنته بدهن الجدران وطلائها ، وكان يغنى فى المواخير حيث كان يستطيع أن يجد من لا يتكبرون على الاستماع إليه وهو المرحوم الشيخ سيد درويش الذى غنى هذا النشيد بين عشرات الأغانى الملتهبة الأخرى

وكما انتعش الشعر بهذه الروح الحماسية : سواء منه العربي والمصري الدارج ، فقد انتعش الغناء بها في العالم كله وفي مصر أيضاً بفضل سيد درويش كذلك ، ولم يبرأ الغناء في العالم كله ، ومصر محسوبة في العالم ، من الإسراف في ذكر النساء والخمر والعبث

أما الرقص فقد جن جنونه في الدنيا ، وكف الراقصون عن التانجو والفالس والفوكس تروت ، وعفرتهم الشارلستون وأمثالها من الرقصات المجنونة المكهربة التي انتشرت في العالم على أثر هدأة الحرب ، والتي أخذها العالم عن الجنود الذين اقتبسوها من زملائهم المحاربين الزنوج الذين كانوا يجممون من المستعمرات ، فرأوا فيها ما كانت تنزع إليه أجسامهم من الترنح والنزق . وقد مهد لهذه الرقصات الشعواء عند الناس حال النشاط الخارق وتوتر الأعصاب الذي استولى عليهم في الحرب

أما الرسم فقـد سخرته الحرب ، فكان من أقوى وسائل الدعاية فيها ، وازدهر منه الكاريكاتير الذي يحتمل سخرية الخصوم بالخصوم ، والذي ينفسح لكل خيال يحلق إليه الرسام

ومع هذا فلم يخل رسم الحرب من النساء والخمر والعبث ، فقد انتشرت في الحرب العالمية الماضية صور النساء العاريات ، والرجال العراة ، كما ذاعت نكات السكارى المصورة وغيرها من النكات...

وكذلك التمثيل فقد احتضنت منه الدعاية جانباً كما احتضن منه المجون جانباً ، فشارلي شابلن ، وريجيدان ، وكشكش بك ، والبربري عثمان ، كلهم من مواليد الحرب ، وقد كانوا جميعاً في تمثيلهم يؤدون واجب الدعاية لأوطانهم وجيوشهم ، كما كانوا جميعاً يروحون عن الناس بتهريجهم . وإذا كانوا قد مثلوا شيئاً بعد الحرب فإن طابع الحرب ظاهر فيه إلى مدى بعيد ، فالعالم لم يستطع أن يتحول بشعوره عن حالة الحرب إلا بعد وقت طويل من خمودها .

والذي يتابع روايات شارلي شابلن يرى أنها أخذت تتخلص شيئاً فشيئاً من التهريج المناسب للحرب ، وتذهب شيئاً فشيئاً إلى نقد الحياة الإنسانية في جوهر نفسها وفي مظاهر اجتماعها حتى كانت روايته الأخيرة « العصر الحديث » نقداً عاماً للانسانية عامة .

ولـكن شارلي لا بد أن يعود إلى فن الحرب منذ اليوم . بل لقد أعلن العالم روايته « الديكتاتورية » التي سيقارع بها ألمانيا وهتلر والتي أعتقد أن أثرها في النيل منهما سكون أعظم بكثير من حملة تجردها جيوش كثيرة عليهما ... فإن هذه الرواية ستكون حملة يقود فيها شارلي شعبه الهائل الذي يكاد يشتمل أفراد الإنسانية جميعاً .

وكذلك من يتابع روايات نجيب الريحاني يرى أنها كانت في أيام الحرب دعاية وبهجة وتهريجاً وعرضاً موسيقياً اتسع لثلاث زعامات فنية : هي زعامة نجيب الريحاني ، وزعامة بديع خيري ، وزعامة سيد درويش ... ثم أخذ مسرح الريحاني بعد ذلك يهدأ قليلاً قليلاً ، حتى مثل الريحاني في السنوات الأخيرة كوميديات تكاد تكون درامات من كثرة ما فيها من الجد إلى جانب الهزل ، ومن وضوح الهـدف الخلقي الذي كانت تنطلق إليه . فقد كان الريحاني أخيراً زعيماً مصرياً اجتماعياً مصلحاً ، هو وشريكه بديع

وأجد الحق يجبرني على أن أشهد بها لله أن مسرح الريحاني هو البيئة الفنية التي تماشي الحياة الطبيعية في مصر أكثر من غيرها

ولا بد أن يتغير الريحاني في الحرب . ولكنه في هـذه المرة لا بد أن يرتقي عما كان عليه في الحرب السابقة ، ولا بد أن ينثر الدعاية والتهريج الأصيلين بين درر من موسيقى زكريا احمد وفن الجد ، وإن له في شارلي شابلن أستاذه أو زميله الكبير أسوة

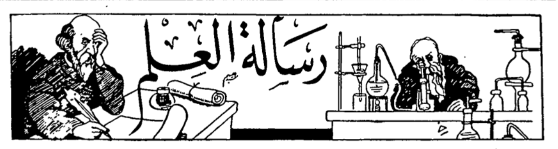
فإذا كان حال الفنون في الحرب العالمية الماضية هو هذا الحال الذي رأيناه فسيكون إذن حال الفنون هو هذا الحال نفسه في هذه الحرب العالمية القائمة إذا طال أمدها وتمكنت مؤثراتها من النفوس؛ وستكون هذه هي الحال في فنون الدنيا كلها ، فإذا لم تظهر مثل هذه الفنون في مصر فإن مصر إذن خالية من الفنانين ..

وكل هؤلاء الذين يقولون نحن ونحن ... عليهم أن يقروا في المخابئ وعلى أفواههم الكمامات ... فهذا هو مجال الفن إذا كانوا يحسون أثر الحرب

— فإذا لم يكونوا يحسون الحرب ؟ !

— فقد يحسون القيامة ... فصبراً إلى يوم يبعثون !

عزيز أحمد فهمي



لحظات الالهام

فى تاريخ العلوم

تأليف مريون فلورنس لانسنغ

٢ - عصر النار

منذ عصور طويلة أدرك الإنسان وجوده فى هذه الدنيا . ومع أنها وطنه ووطن أبنائه وأحفاده إلى مدى أجيال لا عداد لها فإنه كان غريباً فيها ، وكان عليه أن يتعرف على كل شيء بها .

وكل طفل يولد فى هذه الدنيا يولد غريباً ، حتى فى داره . فالوليد يتعرف فى بطء على الحجرة التى يقيم فيها ، ثم على الطريق الذى به مسكنه ، وعلى أبيه ، وأمه ، وإخوته ، وأخواته ؛ ويتبين فيما بعد أنه يستطيع المشى ، وأنه يستطيع الكلام !

وفى يوم ما ينتقل من هذا العالم الصغير عالم الدار إلى المدرسة فيجد دنيا أوسع من التى عرفها من قبل . وربما سافر بعد ذلك فعرف عن دنياه أكثر وأكثر

ومهما يؤد المرء من عمل فإن غيره قد هيأ له سبيله فسهل عليه تناوله ، فعند ما يتقدم الصغير فى السن ويريد أن يشيد لنفسه منزلاً فإنه لا يحتاج إلى تعلم صناعة ابتناء المنازل فإن تلك الصناعة معدة متهيئة لما يقع عليه اختياره، وليس على من يريد التخاطب بالمسرة أن يخترعها ، بل يدعو الإخصائيين فيضمون الأسلاك فى منزله . وتنقل إليه الصحف واللاسلكية والصور المتحركة أخبار العالم وتخبره الكتب عن جغرافيته وتاريخه ويتهيأ العالم بسائر الوسائل العلمية

ومن بواعث السرور لنا نحن الذين وجدنا حياتنا مريحة ميسرة ممتعة أن نتعرف على الرجال والنساء الذين هيأوا لنا العالم هذه الهيئة إنهم أناس عاشوا فى هذه الدنيا قبل أن نوجد بها ، وعاشوا فيها فى عصور بعيدة مظلمة . وليس فى وسعنا أن نعرف شيئاً عن فريق منهم إلا بواسطة ما تركوه لنا من الأشياء كالأسلحة الحجرية والنقوش المرسومة على الكهوف ومعابد الآلهة . ومن هؤلاء الرجال فريق آخر عاش فى عصر الأقاصيص والسير حين كانت أعمال الإنسان تنقل أخبارها إلى بقاع الأرض بالحديث الشائع الذى لا يدرون كتابته

ومنهم فريق ثالث عاش فى بداية العصر التاريخى ، وفريق عاش فى القرون الوسطى، وآخر عاش فى بضع المئين الأخيرة من السنين ، ولا يزال فريق غير هؤلاء يعيش بين ظهرانينا إلى الآن

لم يصل إلى الناس أى جزء من المعرفة إلا بواسطة استكشافه على يد إنسان . وقد كانت الأرض التى وجد الإنسان الأسبق نفسه فوق ظهرها حافلة بالكنوز كما هى اليوم ، ولكنه لم يستطع استكشاف كنوزها لنفسه فلم تفض إليه بأسرارها ، وكان عليه أن يتعلم إيقاد النار وإذابة الحديد الواشج بالصخور ، وكان عليه أن يعرف مقاييس الزمن وأن يستخدم البوصلة فى تسيير السفن، وكان البخار والكهرباء ينتظران استكشافهما على يده ، والفحم والنفط لا يزالان مدفونين فى باطن الأرض قبل أن يستخدمهما فى إدارة الآلات

وكان إنسان العصور السابقة يستطيع لكل هذه العناصر أن يأتى بالعجائب ولكن كان لا بد له قبل ذلك أن يستكشفها ، وأن يعرف مزاياها .

وبسبب الحذق الذى أبداه الإنسان فى أعماله أصبح اليوم غير غريب عن دنياه ، وليس ذلك فقط ، ولكنه أصبح السيد المنتصر فى الدنيا

لقد اجتاب على مدى قرون طريقاً طويلاً جبلياً فأصبح هذا الطريق مهيعه إلى النصر

وكما أنه لا بد أن يوجد دائماً رجل مشغوف بالمخاطر منتج من شأنه أن يضيف جزءاً من المعرفة إلى كنوز المعرفة وإلى الذهن الإنساني، فكذلك توجد دائماً لحظة في حياة كل رجل من هؤلاء الرجال هي التي يتبين فيها حقيقة جديدة تدفع إلى عمل شيء يجعله ويجعل جيرته أحكم أو أرغد أو أغنى أو أسعد. هذه هي اللحظات التي تدور حولها قصصنا هذه

إن العلم معرفة من المعارف الإنسانية وقد نمت المعرفة الإنسانية بما في الأنفس من نزعات ونابة جوالة جوابة، ومثل اللحظات العظيمة في حياة العلم على مدى العصور كمثل لحظات الإلهام والنصر في حياة الفرد، وفي هذه اللحظات يظهر الإنسان وهو المخلوق الذي ميزته الروح والعقل بمظهر الانتصار على دنيا المادة

سر صنع النار

كما يرويه أهل الجزر في المحيط الهادي

منذ أجيال طويلة، كان أبناء الفناء لا يزالون حديثي العهد بسكنى الأرض، ولم يكن أحد منهم ليعرف سر صناعة النار، ولم يكن يعرف ذلك السر إلا آلهة العالم السفلي.

وكانوا يتولون حراستها دائبين خشية أن يعلم الإنسان ذلك السر، فيصبح من الحكمة في مستواهم. وقد كان موطن النار في العالم السفلي كما يعرف ذلك كل من رأى دخانها المتصاعد من فوهات البراكين. ولكن كان من الصعب تعرف الطريق إلى ذلك العالم، لأن الرقباء كان كثيراً عددهم على أبوابها.

وحدث مرة أن أقام بين الفانين في العالم العلوي شاب اسمه ماوي؛ ومع أنه فان كسائر من على ظهر الأرض، فإن أبويه كانا يعيشان في العالم السفلي بين آلهته، وكانوا يترددون إلى الأرض للقيام بمهام الآلهة.

وكانت أم ماوي واسمها «بوراتا تنجا» إذا أتت لزيارته أبت أن تؤاكله، وكانت في ذهابها ومجيئها تحمل سلة أتت بها من العالم السفلي، وهي تتناول الطعام على انفراد مما في تلك السلة. وفي أثناء نومها يوماً نظر ماوي إلى ما في السلة، وأخذ منها طعاماً، فذاقه، فوجده أفضل من كل ما ذاقه إلى الآن. ومع أنه كان من نوع سائر الطعام، فإن به شيئاً يجعله أفضل منه.

وعلم ماوي شيئاً عن النار وعرف أن الآلهة يطبخون الطعام على النار التي يصنعونها، فأصر على أن يملك النار ما دامت تجعل الطعام من الجودة كما رآه. وأصر على مراقبة أمه سراً عند عودتها، وعلى أن يخاطر بالذهاب إلى العالم السفلي ليحظى بهذه الهبة التالية

واقتفى ماوي أثر أمه وأفلت من الحراس عند الأبواب الأولى؛ أما عند بعض الأبواب الداخلية فقد كان عليه أن ينتظر طويلاً حتى يتبدل الحراس ليتمكن من الدخول أثناء اشتغالهم بالكلام

لكنه وصل بعد مخاطرات كثيرة إلى منزل أمه وقال لها: إنه غير راغب في العودة إلى العالم الأرضي حتى يعلم سر صناعة النار

قالت الأم: «ولكنني لا أعلم هذا السر ولا يعلمه أحد غير إله النار وهو لا يفشيه. ومتى احتجت إلى نار جديدة فإني أذهب إلى أبيك «بو» وهو يذهب إلى إله النار ويطلب إليه منحه جزءاً من الخشب المحترق

قال ماوي: «إذن فسأذهب إلى إله النار وأطلب إليه تعليمي سرها»

فبذلت بوراتانتجا كل ما في وسعها لتبعد ابنها عن إله النار لخشيتها أن يصاب ابنها الفاني في العالم السفلي. ولكن ماوي أصر على الذهاب وسأل عن موطن إله النار فدلته أمه على الطريق وكان اسم مسكنه «بيت شجر الموز»

وقالت له حين هم بالذهاب: «احترس يا ماوي فإن إله النار قوي جداً وقد يشتد به الغضب»

وذهب ماوي إلى بيت إله النار وعرفه للحال عند ما رآه لكثرة الدخان المتصاعد فوق سطحه

وكان إله النار مشغولاً بطبخ طعامه، ولكنه وقف وسأل ماوي عما يريد

قال ماوي: «أريد جذوة من النار». فكان جواب إله النار - وهو يعود إلى الطبخ -: «لن ينال أحد الفانين جذوة من النار»

قال ماوي: «إن الفانين في حاجة إلى النار، وإنه قطع كل هذه المسافة أملاً في الحصول عليها» فقال الإله وقد ولاه ظهره: «لقد علم الفانون ما فيه الكفاية، ولو عرفوا النار أيضاً لصاروا آلهة»...

وعاد ماوى حزيناً لأنه رأى إله النار لن يعلمه هذا السر . ولكنه عزم على البقاء مختبئاً بالقرب من منزل إله النار ليرى هل سيكون فى وسعه أن يعرف بنفسه سرها . ومع أنه طلب جذوة من النار — كما أخبرته أمه أن أباه يفعل — فإنه أدرك أثناء نظره إليها أن جذوة لن تكفيه لأنه لا يستطيع أن يستبقيها مشتعلة أثناء رحلته إلى الدنيا

واختبأ ماوى بين أشجار الموز وراقب إله النار وهو ينفسها فلما تعب وجاع أسعده الحظ وهو يكاد ييأس ويعود إلى بيت أمه، فمن خلال الفوهة الجبلية التى كان إله النار يرسل منها دخان ناره إلى العالم (حيث لا يزال الناس يرونه إلى هـذا اليوم) — من خلال هذه الفوهة انصب وابل من المطر ، وكانت نار هذا الإله تحت هذه الفوهة مباشرة . وكان اندفاع الماء شديداً فلم يجد الإله فرصة حتى ولا لأخذ جذوة منها فانطفأت النار قبل أن يجد متسعاً من الوقت للالتفات .

وكان إله النار فى البداية حاد الغضب فلم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أنه لعن المطر الذى أطفأ ناره قبل أن ينضج طعامه أو يكاد . ثم التفت ليستوثق من أن أحداً ليس قيد النظر . ولكنه لم ير ماوى الذى كان على شجرة مشرفة على المنزل، ثم دخل حجرة أخرى وأغلق الباب ، وأخذ من بعض أركانها قدراً من ألياف مجففة من الـكاكاو وأخذ قدراً من ركن آخر نحو خمسة أو ستة من فروع الموز . وكان فى وسط الغرفة كتلة صغيرة من خشب صلب بوسطها تجويف

وكان ماوى يراقب باهتمام ما يفعله إله النار فوجده ينتقى فرعاً خفيفاً من فروع الموز ويفتله فتلاً محكماً ويمسك بقوة أطرافه المفتولة ويحكها بقاع الفجوة التى بالكتلة الخشبية

وكان فى أثناء ذلك ينشد :

شجر الموز يا شجر أعطنى منك ما استتر
جذوة منك تختفى خلف غصن من الثمر
أعطنى منك جذوة حية تبعث الشرر

وفى هذه الأثناء رأى ماوى الدخان وقد بدأ يتصاعد من الفرع المفتول فى الفجوة ، ثم زاد تصاعد الدخان ، فلما رأى الإله تصاعد الدخان ألقى فى النار بألياف الـكاكاو . ودهش ماوى إذ رأى ناراً محرقة ساطعة

لم يضيع ماوى وقته سدى بل أسرع بالعودة إلى العالم وأخذ ألياف الـكاكاو وفروع الموز وكتلة من الخشب الصلب وبدأ يجرب العمل بذلك ليعرف هل يستطيع الحصول على النار

وقد استغرقت منه التجربة وقتاً طويلاً لأن صنع النار ليس بالعمل السهل . وستدرك ذلك إذا حاولته . ولكنه استفاد من تجاربه علمه كيف يمسك بورقة الموز الجافة وكيف يفتلها وكيف يشتد فى حكا كها بالخشب

ولما وثق ماوى من أن النار تعيش فى شجر الموز وأن فى وسع أى إنسان أن يحصل على جذواتها — ذهب إلى رؤساء القبيلة فأخبرهم بذلك فجاءوا إليه خلسة وراقبوا صنعه النار

ومع أن بعضهم خافوا أن يحل بهم غضب الآلهة لأنهم تعلموا هذا السر غير المباح للفانين فإن أجرأ هؤلاء الزعماء طربوا لحصولهم على هذه القوة

بعد ذلك علم الناس أن النار تكمن فى الخشب ، وأنها تخرج منه طوع الإرادة ، وأن أحدهم يستطيع أن يصنع النار كلما أراد فينضج طعامه ويدفئ نفسه

وكان يوماً عظيماً فى عمر الإنسان ذلك اليوم الذى عرف فيه كيف يصنع النار

(يتبع) ع ٠ ١

من هنا ومن هناك

لغة الشفر وأثرها فى الحروب الحديثة

[عن « فيلادفيا انكوايرار »]

من الوسائل الهامة فى أيام الحروب فن كتابة الرسائل السرية. وقد ألف مستر فلتشر برات كتاباً جديداً بين فيه أصول هذا الفن منذ نشأ إلى أن ترقى وعم استعماله بين سائر الأمم .

ويقول مستر برات فى كتابه سالف الذكر : « إن سائر اللغات المكتوبة « شفر » وليس لرموزها معنى فى ذاتها ، إلا أنها تكون ذات معنى حينما تترجم بطريقة يعرف سرها الكاتب والقارئ ؛ وإذا كان هذا قد غاب عن أذهان الناس ، فذلك لأننا نتعلم القراءة ونحن على أبواب الحياة »

ولكى نفهم ذلك تمام الفهم ، يجب أن نرجع بأذهاننا إلى العصور الوسطى ، فقد كان الذين يعرفون القراءة ندرة فى تلك العصور ؛ فإذا تسلم أحدهم رسالة ، ذهب بها إلى شخص يعرف القراءة ليحل رموزها ، كما نفعل حينما ترد علينا رسالة مكتوبة بالشفر فى هذه الأيام .

وكان طبيعياً بعد انتشار القراءة أن تظهر الحاجة إلى لغة الشفر . أما لغة الأسرار الحربية فى العصر الحديث فقد ظهرت الحاجة إليها متأخرة ، ولم يصل فن الكتابة السرية إلى الدرجة القصوى من الأهمية إلا بعد نشوب الحرب العظمى . حتى أن كبار الضباط البريطانيين فى حرب البوير كانوا يجدون سهولة فى تبادل الرسائل باللغة اللاتينية التى تعد شفراً بالنسبة للبوير

وانتهى دور اللغة اللاتينية وبدأت محاولات كثيرة لوضع لغة سرية للميدان منذ سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٤ روعى فيها البساطة وسرعة التلقين ، وقد قامت كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا بدورها فى هذا الشأن

فلما أعلنت الحرب العظمى فى ذلك اليوم من شهر أغسطس أذاعت ألمانيا فى جميع أنحائها كلمة (ولد اليوم مولود) وكانت هذه الجملة هى الرمز الذى وضعته لكلمة الحرب ، ومنذ ذلك اليوم والنصر والهزيمة معلقان بصدى كلمة تسمع من وراء الحجرات لمعرفة شىء من تلك الرموز

ومما يرويه مستر برات على سبيل المثال أن « فون كلوك » كان يقود جيشاً ألمانياً فى مساء ٢ من سبتمبر ١٩١٤ ، فأصدرت إليه تعليمات بالمذياع ليحول وجهته بعيداً عن باريس ، متجهاً إلى جنوب شرقى فرنسا ، فلم تصل إليه هذه الرسالة ، ولكنها وصلت إلى الفرنسيين ، حيث استطاعوا حل رموزها ، وقد بادر الجنرال جوفر بتغيير الخطة التى كان قد وضعها ، وتقدم الجيش الفرنسى من باريس إلى المارن حيث تم له النصر على الألمان

إن فن الشفر على جانب عظيم من الخطورة ، وله المكان الأول من اهتمام الدول وقت الحروب . فالنصر والوقيعة بالأعداء حيث تكون أسرار الكتابة فى طى الكتمان ، وفناء الأمم وضياع العروش والممالك ، حيث تفشى هذه الأسرار

ستالين يفضل الاتجاه نحو آسيا

[عن مجلة « باريد »]

لم توضح بالكلمات الخطة التى وضعها ستالين ورفقاؤه لروسيا إلى الآن . ولكنها قد تتبين بالحركات والأعمال . ونستطيع أن نحكم بناء على ما نراه من حركات ستالين ، أنه يصور روسيا دائماً كإمبراطورية شرقية عظيمة، يبزغ نجمها من آسيا

وكثيراً ما يعتقد فى نفسه أنه مبعوث لبناء إمبراطورية اسيوية كبيرة ، تعيد الحياة إلى الأصقاع المهجورة فى سبيريا ، وأواسط آسيا ؛ وقد سار بخطى واسعة لتحقيق أمله هذا فى عشر السنوات الأخيرة

وقد يرى ستالين أنه مرسل لخلق جيل جديد من الشرقيين ، يجمع بين العنصر الأسيوى والعنصر الأوربى على تخوم روسيا وسياسة روسيا الخارجية كسياسة أميركا كلاهما مرتبط

بمجرى الحوادث فى أوربا وآسيا معاً . إلا أننا فى الوقت الذى نرى فيه سياسة أميركا تتحول شيئاً فشيئاً على يد الرئيس روزفلت من الناحية الأسيوية إلى الناحية الأوربية ، نرى مقاصد روسيا تتجه على النقيض : من الناحية الأوربية إلى الناحية الأسيوية

إن نظرة واحدة إلى الحالة فى أوربا تجعلنا ننذر ستالين فى اتجاهه نحو آسيا، أو على الأقل اتجاهه إلى ذلك الجزء من آسيا الذى يقع على تخوم روسيا : إذ أن المساحة الشاسعة التى ستشغلها روسيا الأسيوية ، وما تحوى من الموارد العظيمة لم يعرف تقديرها بصفة عامة

إن مطامع ستالين وعزيمته القوية لا تذهب إلى الاستيلاء عاجلاً على روسيا الأسيوية فحسب ، ولكنها تمتد إلى الأصقاع والأقاليم المتفرقة فى أواسط آسيا ، خارج تخوم روسيا الحالية ، حتى يكون للأجيال القادمة أرض جديدة يستغلونها بغير ثمن ، بعيداً عن منازعات الدول

ويملأ الدنيا رجال الدعاية الروسية بأن روسيا السوفيتية لا تميل إلى التوسع ، لأنها من الأمم الراضية القانعة . وهذا قول قد يبدو صحيحاً إذا أريد به أوربا، فحكومة السوفييت تبدو قليلة الاهتمام باسترداد أملاكها المغتصبة فى أوربا، وإن كثيراً منها أخذ فى ظروف قد تكون بعيدة عن الإنصاف . فإذا اتجهنا إلى آسيا وجدنا الموقف يختلف كل الاختلاف

فستالين لا ينوى استرداد الأراضى التى كانت يوماً ما فى حوزة روسيا فى الشرق الأقصى فحسب ، ولكنه يعمل للاستيلاء على المواطن الهامة بعيداً عن الحدود الروسية الحالية أو تخومها السابقة

وقد أعلن أن الجيش الأحمر على استعداد لحماية أراضى منغوليا من أى اعتداء ، والسوفييت يستغلون تلك البلاد منذ ١٩٢٤ ، كما تفعل اليابان فى منشوريا منذ ١٩٣١ على حد سواء

دخل الدكتاتورين

[من « ذى برسبان تلغراف »]

كان يتقاضى هتلر وهو مستشار الريخ ٤٠٠٠٠ جنيه فى العام، فلما آل الأمر إليه فى ألمانيا تنازل عن هذا المبلغ وقرر أن يكتفى بما ينال من أرباح كتابه « كفاحى »

أما ثروة الدكتاتور الألمانى فهى فى حيز الكتمان ، إلا أنه مما لا شك فيه أن مجموع ما حصله من كتابه لا يقل عن مليون جنيه بحال من الأحوال

والمال – حتى فى ألمانيا الحديثة – يعود على صاحبه بالمال ، فمن الطبيعى أن تبذل المجهودات اللازمة لتنمية الثروة التى جمعها هتلر من حقوق طبع هذا الكتاب ومضاعفتها

وإذا عرفنا أن الذين يديرون أمر هذه الثروة ، يمتازون فى عالم الاقتصاد بمعرفة الأحوال والظروف الاقتصادية قبل غيرهم تبين لنا مقدار ما يستفيدونه من استغلال هذه الثروة

ولم يستطع دكتاتور مدى التاريخ أن يجمع ثروته من مثل هذا المورد العجيب ، فقد كانوا يجمعون المال من الأبواب التى يعتقدون صلاحها ، وقد بذل هتلر كثيراً من نفوذه فى نشر كتابه وترويجه . ومن الطرق التى يتبعها فى ذلك – على سبيل المثال – أن كتاب كفاحى وإن كان القانون لا يمنع أن يباع منه نسخة مقروءة ، إذا وجدت مثل هذه النسخة منه عند بائع الكتب ، تعرضه لتهمة اليهودية بغير تردد

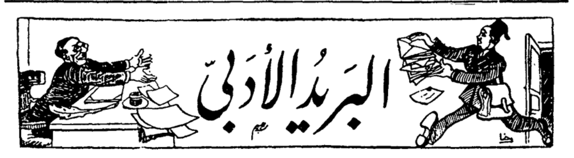
ولا يجهل أحد القانون الذى صدر فى ألمانيا بإلزام كل شخص يريد الزواج باقتناء نسخة من كتاب « كفاحى » ، ولكن الذى لا يعرفه الأكثرون أن هذه النسخة يجب أن تدفع ثمنها الحكومة. وبهذه الوسائل تتمشى الدعاية والمنفعة جنباً إلى جنب . فبينما لا يكلف الفوهرر رعاياه بنساً واحداً نظير خدماته بطريق مباشرة يتقاضاهم مبلغاً يتراوح بين ١٥٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ بطريق غير مباشرة

على أن للفوهرر امتيازات أخرى غير هذه؛ فمن البديهى أن كل ما يحتاجه أو يستعمله فى حياته الخاصة تلزم بدفعه الحكومة

أما موسلينى فيتقاضى من الحكومة ١٥٠٠ جنيه فى السنة ، ولكنه يربح من الصحافة أضعاف هذا المبلغ ؛ فهو يستغل باسمه صحيفة « بوبولو ديتاليا » وقد أصبح كل إيطالى يقرأ هذه الصحيفة لعلمه بأنها صحيفة الدتشى . وتقوم الحكومة بدفع مصاريفه الخاصة — كهتلر — فهو لا يحتاج إلى إنفاق شىء من ماله الخاص

ولعل أفقر الدكتاتورين هو ستالين . ويقال إنه يتقاضى ٨٠ جنيهاً فى العام . أما المبلغ الحقيقى الذى يتقاضاه فمن المحتمل أن يكون ٥٠٠ جنيه على وجه التقريب

على أنه ليس لديه ما ينفق فيه هذا المبلغ ، فالحكومة تقوم بدفع الثمن لكل ما يحتاج إليه



جواب عن أسئلة الأستاذ الطنطاوي

جاءنا من علامة حضرموت ومفتيها الأستاذ عبد الرحمن عبد الله هذا الجواب من سؤال الأستاذ (الطنطاوي) المنشور في العدد ٣١٦ وقد أملاه على أحد تلاميذه قال :

يتعاظل الكلام من ازدحامه في الجواب عن هذا السؤال الخليق باللسان النضناض، والإفراد بالتأليف الفضفاض، حتى تبرد القلوب وتطمئن النفوس باتساع صدر الإسلام وضمانه للفوائد وقبول مبادئه للمصالح العامة إلى الأبد ، وحتى تتأكد بأن الفقه الشافعي مبني على الأسس الثابتة من الكتاب والسنة . وخذ من عفو الخاطر ولسان البديهة ما يكون لهفة معجلة وتعلة للسائل إلى سنوح الفرصة للافاضة فيما يشفي أوامه بالأدلة الناصعة والبراهين القاطعة .

أما أولاً فلأن في الاستعانة بالتوكيل في الرؤية والتسلم ما تندفع به المشاق في المتعارف بين التجار

وأما ثانياً فلأن مقابل الأظهر في المنهاج صحة بيع الغائب وإن لم يره البائع ولا المشترى، وبه يقول الأئمة الثلاثة . وقد جاء في فتاوى ابن حجر وأبي مخرمة أنه متى أمر السلطان باتباع مذهب معتبر في قضية وجب اتباعه، فما على الحكومة إلا أن تصدر أمرها بالعمل بذلك وينحل الإشكال

وأما ثالثاً فلأن الإمام النووي اختار انعقاد العقود بالمعاطاة ، وتسامح في القول بها الإمام الغزالي وهو ممن لا يجهل مكانه من التصلب والورع في الدين. وقال في التحفة: وعلى الأصح لا مطالبة بالمعاطاة في الآخرة للرضا

وأما رابعاً فلأنه يسن للمقترض أن يزيد في الدفع على ما اقترضه لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحسنكم قضاء. وإذا انضم إلى ذلك الأمر من السلطان بدفع الزيادة تحتم دفعها وصار واجباً كما بينت ذلك في كتابي (صوب الركام) فمن إمكان البنك المصري وأمثاله مع هذه النسادح الواسعة أن يتبسط في معاملاته ويفتن في مكاسبه بنجوة عما حرمه الله وأذن عليه بحربه من الربا

وأما خامساً فلأن القول بالمصالح المرسلة يمهد السبيل لكل مصلحة ، ويفتح الباب لكل منفعة .

وأول من فتحه على مصراعيه الخليفة الثاني رضوان الله عليه. أوليس هو القائل: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحرمهما. وجاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة، ثم قال عمر إن الناس قد استعجلوا ما كانوا فيه على إناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم .

وقد أجمع الفقهاء الأربعة على نفوذ الثلاث باللفظ الواحد ، وإنما أمضاه عمر لما ظهر له في إمضائه من المصلحة كما قاله النووي وتبعه السبكي. فهو إذن قريب من القول بالمصالح الذي عليه الأكثر من المالكية ، وبه يقول كثير من الشافعية ، منهم علامة اليمن ابن زياد . وتوسع فيه الحبر البدل شيخ مشايخنا الإمام عبد الرحمن ابن سليمان الأهدل ، حتى لقد نقل عن العلامة الحشيبري الحكم بالمادة في القضية التي تخشى فيها الفتنة من الحكم بالنصوص الفقهية . فليهدأ بال السائل وليفرخ روعه ، وليعلم أن من أرسخ القواعد لدى فقهاء الشافعية وأصولهم أنه إذا ضاق الأمر اتسع . وأن الفقه ليس إلا الخير العام الموافق لتيسير الإسلام، الضامن لمصالح الأمم على مرور الأيام. وإنما قد يؤتى من جمود بعض منتحليه فيظن به ما هو منه براء، وبينه وبينه سبل وعرة وأرض عراء . هذا ما سنح ، والعذر ممهد للضعف والزيادة والنقص ، لأنه كما قلنا بلا إعمال روية ولا إتعاب خاطر ولا مراجعة صحيفة ، ومن ورائه تفصيل ، أنا به عند الحاجة كفيل ، إن شاء الله تعالى .

« حضرموت »

عبد الرحمن عبد الله
مفتي حضرموت

الى الدكتور زكى مبارك

هل تسمح لى يا دكتور أن أسألك عن معنى جملة جاءت فى مقالك الأخير ؟

إنك تقول : « ... فكل ما تقرءونه فى الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالغفلة والحمق والطيش والخبال وسوء الفهم وبشاعة التصور وخمود العقل وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات الذميمة وضعت لغرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية ، لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة ، عقيدة التوحيد »

« وكان من حق رجال الدين أن يضعوا فى تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون لأنهم كانوا يرونها زيغاً فى زيغ ... »

وقد عرض لى عند قراءتها إشكالات :

١ — أن التاريخ هو العلم الذى ينبئنا بأخبار من مضى ، وكتبه هى مادة هذا العلم ؛ فإذا كان فى كتب التاريخ وصف للعرب بهذا الذى تقول أو بعضه أو ما يشبهه ، فإنه يبقى صحيحاً معتبراً حتى يجيء من ينقضه بالأدلة العلمية المستندة إلى النص الصحيح . أما حكمك عليه بالوضع بلا دليل فلا يصنع فى رده شيئاً ، فهل لك عليه من دليل ؟

٢ — وردك لما روته الكتب الدينية ، أو يفهم من كلامك أنها روته ، وحكمك عليه بالوضع أشد ، لأن هذه الكتب الدينية ، من دواوين الحديث أو مجموعات التفسير أو تصانيف الأئمة ، حجة المسلمين فى دينهم ، ومصدر يأخذون منه شريعتهم ، فإذا صح لكل أديب تكذيب شيء منها بلا دليل صارت كلها عرضة للتكذيب ، وبطل الدين . وإذا كانت مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين ، فإنها تجرحها إلى ما ليس بالهين وتكون سنة فى الناس سيئة — أعيذ الدكتور زكى مبارك أن يكون صاحبها الذى سيحمل وزرها ووزر من عمل بها

٣ — ما الدليل على أن الرواة اختلقوا الأخبار لتحقير الوثنية أو أنهم منعوا من رواية أنبائها ؟

٤ — ليس فى الإسلام طبقة خاصة تعرف برجال الدين ، وإنما فيها العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين ، وطبقاتهم طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين ومقلديهم ، فأى أولئك الذين حكم عليهم الدكتور بصنع هذه الأخبار التى تشوه الوثنية ووضعها ؟ وهل من الكذابين الصحابة والتابعون الذين نقل عنهم الشيء الكثير فى ذم شرك الجاهلية وقبيح أحوالها ؟

٥ — وما معنى قول الدكتور بأن ما جاء فى الكتب التاريخية والدينية من الأخبار الموضوعة (بزعمه) إنما أريد منها تحقير الوثنية لتقوم على أنقاضها عقيدة التوحيد ، مع أن المعروف الثابت أن الوثنية هدمت منذ هدم الله أصنامها ، ومحيت أنقاضها ، وقامت عقيدة التوحيد قبل انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ورست دعائمها ؟

هذا وليثق الدكتور أن هذه أسئلة مستفهم ، يجب أن يعرف جوابه عليها .

على الطنطاوى

حول نعيم الجنة

قرأت فى العدد (٣١٦) من الرسالة رد أستاذنا الدكتور زكى مبارك ، فأجيب بالآتى : ذكر الدكتور ما يفيد أن هناك من يرى أن الجنة رمز ومجاز ، ولكن لما كانت اللذات الأخروية هى لذات لا تدرك إلا بالعقل المحض ، فقد قال مثل العلامة الأصفهانى : إنه لما أراد الله أن يقرب معرفة تلك اللذات من أفهام الكافة شبهها ومثلها لهم بأنواع ما تدركها حواسهم ، فقال تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » ليبين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم ، وقال : « مثل الجنة التى وعد المتقون » ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل ، وأن الإنسان إن اجتهد ما اجتهد أن يطلع على تلك السعادة فلا سبيل له إليها إلا على أحد وجهين : أحدهما أن يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك . والثانى أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأمراض النفسانية فيطلع من وراء ستر رقيق على ما أعد له[1]

ولكنا لا نستطيع الأخذ بنظرية التصوير هذه ، لسبق وجود جنة بها أشياء مادية ، وخرج منها أبوانا آدم وحواء لأكلهما من الشجرة المحرمة ، ولا نريد أن ندخل فى الخلاف الذى ذكره ابن قيم الجوزى فى الجنة التى سبق لآدم السكنى فيها هل كانت جنة الخلد أم جنة أخرى[2] ؟ لأنه على أى حال يجب استبعاد النظرية

(١) راجع ص ٥٩ — ٦٢ من كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للأصفهانى

(٢) راجع مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزى ص ٢ — ٣٤

التصويرية لمارضتها لكثير من النصوص . إذن لم يبق إلا قول الدكتور زكي مبارك : « إن الإنسان مكون من جسد وروح ، وهو كذلك في الحياة الأخروية » . ولا أدرى لماذا تشبث أستاذنا الدكتور بذكر هذا الشيء البديهي ، ولكني أطمئن دكتورنا على أن الثواب والعقاب سيكونان للروح مع البدن. أذكر خلاصة ماذكره الخوارزمي من أدلة على هذا من أن الأفعال والتدابير والآراء كلها تصدر من الجسد الحي، وأن الطاعة والمعصية حصلتا منهما جميعاً، وأن الثواب بالطاعة والعقاب بالمعصية إنما صدر من الجسد بواسطة الروح فيجب أن يكون العقاب والثواب لهما[1] وأن كلاً منهما محتاج لصاحبه، لولا الروح لكان القالب خشباً مسندة، ولولا القالب لما كان روح. فكل راض فاعل وعامل من وجه فيكون الخطاب والثواب والعقاب لهما جميعاً ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه : لم تزل الخصومة قائمة إلى يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فيقول الجسد: أي رب خلقتني كالجثة ولم تجعل لي يداً أبطش بها ولا رجلاً أمشي بها ولا عيناً أبصر بها حتى دخل هذا عليّ كالشهاب، فبه نطق لساني وسمعت أذني وأبصرت عيني وبطشت يدي، فأحل عليه العذاب ونجني من النار . فتقول الروح: يارب خلقتني كالريح ولم تجعل لي يداً ورجلاً وعيناً وسمعاً فلم أتحرك إلا بحركته ولم أسكن إلا بسكونه، فما ذنبي وما جرى يارب؟ أحل عليه العذاب ونجني . قال : فيضرب الله تعالى لهما مثلاً كالأعمى والمقعد يصطحبان ، أما الأعمى فلا يبصر، والمقعد لا يقدر على المشي، فبلغا إلى بستان فجلسا وتشاورا وطلبا حيلة ، فقال الأعمى : أنا لا أبصر فر أنت وأت بالعنب ، وقال المقعد : بل مر أنت فإني لا أقدر على المشي ، ثم تناظرا وتناصفا وقالا : هذا أمر لا يتم بأمر دون الآخر ، يا أعمى قم أنت فارفعني حتى أتسلق الحائط وأقطف العنب . فلما توافقا قطفا العنب وأكلاه . وقال المقعد : لولا أنت يا أعمى لما أكلت. وقال الأعمى: لولا أنت يا مقعد لما أكلت. ونحن لم ننكر تمتع الروح والجسد فقد قلنا في كلمتنا الأولى في العدد ٣١٥ : « إن الإسلام دين روحانيات ومعنويات ، وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات ، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذي يتصل بأن يرقى بالإنسان إلى الروحانيات ... وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هي في دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر مما تتصل بالروحانيات والمعنويات » ، فالذي يحتمل الجدال ليس ذكر أن النعيم سيلحق الجسم والروح أم لا لأنا أجمعنا على ذلك، بل هل أغلب اللذات سيكون حسياً أم روحياً؟ أو بمعنى آخر هل تغليب اللذة سيصف لذات الجنة بأنها روحية أم بأنها حسية؟

على أنه يطربني أن أرى أستاذنا الدكتور زكي مبارك ينزع نزعة روحية من غير أن يشعر، إذ يقول في كلمته في العدد ٣١٦ : « سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم برضوان الله أطيب بنعيمهم بما في الجنة من ثمرات وطيبات » وإن كنت لا أفهم كيف يرى عدم تعميم أن الرضى بالنعيم أطيب مما في الجنة من ثمرات مهما كانت درجة المرضى عنه . ولعل المخرج من هذا قول الدكتور في العدد ٣١٨ في الرد على الأستاذ النمراوي: « إن العبادة الصحيحة هي رؤية الله في نعمه المشكورة » فإني أرى أنه بهذين قد زحزح نفسه كثيراً عن رأي حسية لذات الجنة ، لولا ذكره ما ذكر من دعاء ناقشه فيه الأستاذ النمراوي مناقشة عنيفة في كلتين ، فكتب أستاذنا الدكتور زكي كلمة يحمد الله تعالى فيها على نعمة الإسلام

على أن وجود الأشياء الحسية في الجنة لا يعني أن التمتع سيكون حسياً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب ملاحظة تغيير ما في طبيعة الإنسان في الدنيا عنها في الآخرة لوجود قوى نفسية نازعة للبهيمية وعدم إمكان تصور هذا في الآخرة ، على فهم أن أصحاب الجنة لم يصلوا إليها إلا لأنهم فهموا خصائص الروح وتمتعوا كثيراً كل حسب درجته بلذتها ، فلا يعقل أن يكون حبهم للذة الروحية في العالم الثاني أقل من حبهم لها في عالمهم الدنيوي . ثم إن للجو حكمة ، فجو الجنة جو روحي لا يمكن أن يممد إنسان إلى الخروج عنه ؛ على أن الحسيات لها بعض العناية بها، وللذاتها بعض الرغبة فيها، على أن تكون ثانوية وتابعة ، وعلى أن تنحو نحو الفكرة الروحية . وإذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى ـ كما في الحديث القدسي ـ : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ويكفي أستاذنا الدكتور زكي مبارك من علامات روحية اللذات في الجنة أن أصحاب الجنة سيكونون ولا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية ، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

محمود علي قراعة

(١) ص ٦٠ و ١٢٩ من مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي

المغرب الأقصى وفكرة الخلافة

قرأت متأخراً فى العدد الممتاز من مجلة « الهلال » الأغر مقالاً للأستاذ عبد القادر حمزة باشا عن الخلافة الإسلامية وعدم إمكان قيامها فى الوقت الحاضر ، جاء فيه ما يلى :

« وإذا قيل إنه من الميسور أن تقوم الخلافة بين الأمم الإسلامية المستقلة ، وأن مصر أولى هذه الأمم بتلك الإمامة لأنها قلب العالم الإسلامى ؛ إذا قيل هذا ، فيجب ألا ينسى أن هناك من يعارض فى الخلافة ، ولا يعترف بها كتركيا والمغرب الأقصى وغيرهما ، وما من فائدة فى قيام نظام لا يعترف به الجميع »

أريد أن أسأل حضرة الكاتب عمن أخبره بأن المغرب يعترض على فكرة الخلافة .

فإذا كان هذا الفهم وصله عن طريق الصحف الاستعمارية ، أو عن تصريحات الرجال الرسميين ، وهو لن يصله إلا عن هذين الطريقين ، فأريد أن أقول لسعادته : إن القول فى مثل هذا الأمر ليس هو من حق هؤلاء ولا من أولئك . القول الفيصل فى هذا إنما هو لإرادة الشعب المغربى ؛ والشعب المغربى لن يعارض مطلقاً فى كل فكرة يستمد منها الإسلام والعرب القوة والمجد ، كفكرة الخلافة الإسلامية ، أو الوحدة العربية .

وإذا كانت وضعية المغرب لا تسمح له فى الوقت الحاضر أن يساهم فى مثل هذه الأعمال الكبيرة ، فهو يرجو أن تتحقق لأنه يعلم أن مثل هذه المشروعات العظمى ستعود عليه وعلى باقى الأقطار العربية التى تحت الاستعمار بأكبر المنافع ، وسترفع عن كاهله كثيراً من القيود والسدود

على أن موضوع كلام الكاتب إنما كان فى الأمم المستقلة ، والمغرب ليس كذلك ، فهل نسى سعادته أن المغرب تحت حماية فرنسا ؟ وما وجه قران المغرب بتركيا ؟ إن المغرب يختلف تمام الاختلاف من حيث الأوضاع والنظم عن تركيا . والمغرب يمسك على دينه بأيد من حديد ، ويريد اقتضاء قواعد الإسلام حذواً بحذو ، كما سنها الرسول ، وكما نزل بها القرآن

وأعود فأقول : إن الحركة القومية بالمغرب التى يترأسها الزعيم الأكبر محمد بن الحسن الوزانى — أطلق الله سراحه — كانت صرحت فى جريدتها « الدفاع » : أن من الأسس التى ترتكز عليها « القومية المغربية » « الامتثال لواجب الرابطة العربية ، والجامعة الإسلامية » ، وهى ما كانت لتقول مثل هذه الكلمة لو لم تكن شاعرة بما يختلج فى ضمائر الشعب المغربى من حب الوحدة الإسلامية ، والتضحية بكل غال فى سبيلها

وهل كتب علينا الشقاء إلا يوم كتب على الخلافة الإسلامية بالعدم !

« فاس » « أبو الوفاء »

حول معنى بيت

ذكر الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فى العدد (٣٢٢) من مجلة « الرسالة » الغراء أن هذا البيت المنسوب إلى معاوية فى قصة سعد وسعاد :

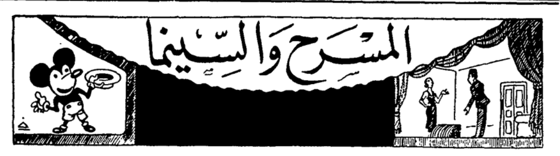
قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن

لا يحتمل ما فهمته فيه من حمل كلمة — كتب — على ظاهرها ، وإنما هى جمع كتاب بمعنى مكتوب ، والمكتوب هو المفروض ، فيكون المعنى له مفروضات من الفرائض ، وإذا كان هذا هو معنى البيت فإنه لا يكون فيه دلالة على أن قصة سعد وسعاد موضوعة

وإنى أرى أن هذا المعنى الذى ذكره الأستاذ يزيد فى ضعف هذا البيت وسخافته ويجعله متهافت اللفظ والمعنى ، وتهافته اللفظى ظاهر لاخفاء فيه ؛ وأما تهافته المعنوى فلأن الصوفى لايمتاز عن غيره بمفروضات مكتوبة يقوم بها ، لأن المكتوبات واجبة على سائر الناس ، وإنما يمتاز الصوفى بالخلوة ومداومة العبادة وغير ذلك مما اخترعه المتصوفة . وقد فهم الأستاذ أحمد عيسى الفرائض فى البيت على ظاهرها فخفى عليه المعنى الذى فهمته فيه ، مع أن الفرائض هى الأوراد ونحوها مما يفرضه الصوفى على نفسه ، وهو إطلاق سائغ لا شىء فيه ، ومعنى البيت عليه: له كتب من كتب الأوراد ونحوها

وأرى أيضاً أن البيت يدل على أن القصة موضوعة ولو حمل على المعنى الذى ذكره الأستاذ أحمد عيسى ، لأن نظام التصوف الذى يشير إليه لم يكن حدث فى ذلك العصر ، وقد بنيت وضع القصة على هذا ، كما بنيته على أنه لم يكن فى ذلك العصر كتب تصوف ، وكل منهما كاف فى الدلالة على وضعها ، وكذلك سخافة البيت وتفاهته ، وما كان للأستاذ أحمد عيسى أن يهتم بعد هذا به .

عبد المتعال الصعيدى



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

النقاد وفرقة رمسيس

أحسن يوسف وهبي صنعاً بما ادعى لنفسه من صفة المؤلف فوق ما حظى به في الواقع من صفة الممثل. وقد كان من جميل حظه أن ظلت حقيقة رواية (المجنون) — التي افتتح بها مسرحه — خافية على الجميع من جمهور ونقاد أعواماً طويلة حتى عرضت رواية (وثيقة الطلاق) التي ظهر فيها جون باريمور في دور المجنون، وكاترين هيبورن لأول مرة في دور ابنته، وحينئذ فقط عرف أن (مجنون) يوسف ليس إلا مجنون (وثيقة الطلاق)!

على أن يوسف كان قد ربح الكثير من هذه الصفة التي ادعاها لنفسه، والتي جملته في نظر قومه مؤلفاً وممثلاً في عصر عز فيه المؤلف، ومع أن (المجنون) لم تكن الرواية القوية بالمعنى المفهوم إلا أنها كانت شيئاً جديداً وغريباً، وكما استرعى يوسف الأنظار في منولوج الجندي الجبان (هتشكو) كذلك كان شأنه في دور المجنون، وهو ينجح في هذه الأدوار الشاذة التي تتطلب غرابة في الأطوار وشذوذاً في الطباع.

وليس من غرضنا أن نتحدث عن رواية المجنون أو عن غيرها من الروايات حديثاً مستفيضاً، وإنما أردنا بالحديث عنها أن نطلع القارئ على جانب من جوانب شخصية يوسف، وعلى سبب من الأسباب التي جعلت النقاد يهاجمونه بشدة ويعملون للقضاء عليه، ذلك أنهم استبعدوا أن يكون يوسف مؤلفاً، ولروايات أجنبية على الخصوص! ومع أنهم لم يستطيعوا في الوقت الناسب استكشاف حقيقة (المجنون)، إلا أن غريزتهم السليمة حملتهم على إنكار ما ادعاه يوسف لنفسه، وعلى إساءة الظن بزعيم النهضة المسرحية منذ البداية.

ومن بعد المجنون أخرجت (الشياطين السود)، وعلى ما أذكر حضر هذه الرواية بعض الوزراء والعظماء، ولما كانت النهاية فيها محزنة، فقد خطر ليوسف أن يقوم بتعديلها وجعلها نهاية أمريكية، حتى لا يدخل الحزن على قلوب ضيوفه العظماء. وأما في الليلة التالية، وفيما تلاها من ليال، فقد عاد يوسف إلى النهاية المحزنة!

وهذه الحادثة أيضاً ترفع الستر عن جانب من جوانب هذه الشخصية العجيبة، وتلقى ضوءاً على سبب آخر من الأسباب التي ألبت النقاد على يوسف، وأعطتهم سلاحاً لحربه. وفي الواقع مضى يوسف في السخرية بالناس، ومهما يكن من شأن النجاح الذي ناله وحظيت به فرقة رمسيس، فقد كانت هذه المعاول الهدامة شديدة الوطأة على ذلك البنيان الحديث، ولم يقدر يوسف برغم ذكائه أثرها فيه، وتمالى على النقاد، وشمخ بأنفه، وصعر خده للصحافة، واعتبر نفسه قوة هائلة لا تتأثر بحملات كان يراها طائشة يقوم بها جماعة من الجهلاء في زعمه. ولم يرد الإفادة من هذه الأغلاط التي ارتكبها، أو العدول عن الخطة العرجاء التي سار عليها؛ وقد كان دوام النجاح، وإقبال الجماهير على مسرحه دليلاً عنده على أن حملات النقاد لا أثر لها حتى لو كانت على حق، فالحق عنده هو الواقع. ولعل الفرقة القومية لم تأخذ بنصيبها من الموعظة بعد ذلك، ولعلها إن غلقت أبوابها يوماً تذكر أننا نبهناها إليه وحذرناها منه.

كان من أغلاط يوسف إذن أن ادعى لنفسه ما ليس له وأن قام عامداً بتعديل الروايات التي أخرجها في مسرحه لتوافق مزاجه

وما يراه خضوعاً لأهواء الجماهير أو الخاصة حتى لو كان ذلك حرباً على الحقيقة وقتلاً للفن، ثم استهتاره من بعد ذلك بالنقد والنقاد. ورغم خطورة هذه الأخطاء وغيرها فقد كانت حملات النقاد فى بدايتها كأنها إعلانات ضخمة عن فرقة رمسيس ودعاية بلا أجر عنها، وبينما أخطأ النقاد فهم قلة أثر النقد بسبب إقبال الجماهير على مسرح رمسيس فإن يوسف أخطأ الفهم كذلك فأكثر من أغلاطه وأصر عليها وزاد فى استهتاره بالنقاد

وحينئذ شحذ هؤلاء أسلحة جديدة وتدخلوا فى حياة الممثل والممثلة الخاصة وأعنفوا فى حملاتهم حتى خرج الأمر عن حدوده والنفوس عن أطوارها. وسرعان ما انتفت الصلة الوثيقة التى كانت، والتى يجب أن تكون، بين المؤلف والمترجم والمخرج والممثل من جهة، والناقد من جهة أخرى، وأصبح بعض الصحف ميداناً للسباب وفحش القول على حين كان يوسف ماضياً فى سخريته وازدرائه — غير حاسب للعواقب حساباً — حتى يصل به الأمر أن يرى فى حرمان الناقد من المقعد الذى يهديه إليه انتقاماً منه أى انتقام. ولم يكن غريباً إذن أن نسمع بألوان من الخصومات تدعو إلى الأسى والأسف حتى انقطعت الصلة تماماً بين فرقة رمسيس والنقاد. أو قل أصبحت هى الصلة بين المتحاربين فى ميدان القتال . (للكلام بقية)

السينما والحرب

السينما كالصحافة تجد من واجبها أن تسجل الأحداث التى تقع على النحو الذى تراه كفيلاً بفائدتها، وأصحاب الشأن فى عالم السينما يرقبون الحوادث الجارية ويأخذون منها ما ينفعهم، فإذا وقع حادث فذ فى الأوساط الاجتماعية أو الفنية أو الاقتصادية أو غير ذلك فإنهم يسرعون بتسجيله ويسرع الجمهور بالإقبال عليه . والحروب بلا ريب أعظم الحوادث التى تقع وأوسعها مدى وأقواها أثراً، ولهذا فإن السينما تسجل أحداثها وتستغل وقائعها أعظم استغلال. ومن رأى (كل شىء هادئ فى الميدان الغربى) يعرف إلى أى مدى تفيد السينما من الحروب . ولقد رأينا كيف كانت السينما إبان الحرب الكبرى وسيلة فعالة من وسائل الدعاية . وقد استغلها الحلفاء فى تصوير أعدائهم أقبح تصوير وأفادوا من ذلك كثيراً، وإلى جانب هذا الاستغلال فإن السينما كانت وسيلة من وسائل التسرية عن الجنود فى الميادين؛ وقام شارلى شابلن ملك المضحكين بنصيب وافر من هذا الواجب وقابل الجنود رصاص العدو وفى أفواههم بسمات استطاع شارلى أن يطبعها على شفاههم رغم الموت

وفى الأعوام الأخيرة شغلت الحرب أذهان الجماهير، ومن ثم بدأت مدينة السينما فى إخراج روايات عن الحرب، وحينئذ واجهتها مصاعب كثيرة، فالوقت سلم وتصوير الحروب واصطراع المبادئ قد يرضى قوماً لكنه يغضب آخرين، ومعنى ذلك أن الرواية السينمائية التى ترضى الجبهة الديمقراطية تغضب حتماً الجبهة الفاشية أو النازية . والنتيجة أن الرواية السينمائية تخسر ميادين تباع فيها، وهذا ما حدث لرواية (كل شىء هادئ فى الميدان الغربى) التى تناهض فكرة الحروب . فقد قوطعت ومنعت فى البلاد التى تعيش على فكرة الحرب وتنشئ أبناءها جنوداً منذ طفولتهم . وكانت ألمانيا أشد البلاد حرباً لها رغم أن مؤلفها ألمانى!

بيد أن مدينة السينما وجدت حلاً للمشكلة، ومن رأى روايتى «حصار» و«آخر قطار من مدريد» عرف كيف وفقت إلى هذا الحل العجيب . وسبيل ذلك أن وقفت الرواية نفسها على الحياد لا هى مع هؤلاء ولا هى مع هؤلاء، إنما هى مجرد استغلال لحوادث الحروب، مثل (آخر قطار من مدريد) التى طبقت عليها هذه الفكرة أتم تطبيق فكانت سلسلة من الحوادث الغريبة والوقائع المثيرة التى لا تقع إلا فى الحروب . وأما (حصار) فكانت مناهضة لفكرة الحرب من الوجهة الإنسانية المحضة فى الميدان الأسبانى حيث يقتل الأخ أخاه واحتاطت الشركة التى أخرجت الرواية فلم تدع الملابس تميز الفريقين بعضهما عن بعض إلا بقدر يسير وكل مارمت إليه هو استصراخ الضمير الإنسانى أن يقف هذه المجازر البشرية

واليوم، والعالم يخوض غمار حرب ضروس، فإن السينما لن تتوانى عن القيام بواجبها . ويقيننا أنها ستكون وسيلة فعالة من وسائل الدعاية، وكذلك من وسائل التسلية والترفية عن المقاتلين وغير المقاتلين فى هذه الأيام العصيبة التى يجتازها العالم

(فرعون الصغير)

أخبـــار سينمائيـــة

(لوسيل بال) وقد اشتركت فى تمثيل رواية «باب المسرح» مع لويس ريترو جنجر روجرز . وقد اهتمت بأمرها شركة ركو راديو واعتزمت أن تجعل منها واحدة ممن تعتمد عليهن

جنجر روجرز وكانت تعرف باسم زميلة فريد استير، أما اليوم فإنها أصبحت حرة تعمل مع من تشاء وكانت تجربتها الأولى فى رواية (سأهذبها بنفسى) مع جورج برنت ، وفى هذه الرواية لم ترقص سوى رقصة فردية



كلارك جابل

هل تعرف كيف أصبح كلارك جابل فلاحاً ؟ إن لذلك قصة طريفة ...

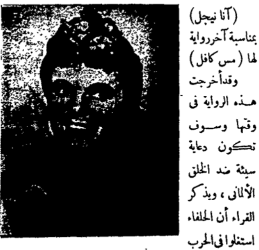
لقد أهدت إليه زوجته كارول لومبارد بغلاً فاشترى محراثاً . وأهدت إليه آندى ديفين خمسة فراريج فاشترى خمسمائة . وأهداه بوب كوب جردلاً لحلب اللبن فاشترى بقرة . وهكذا أصبح كلارك جابل فلاحاً يفلح الأرض ويحلب البقرة ويربى الفراريج .

فريد ماك موراى

يحب فريد ماك موراى صيد السمك حتى أنه ينتهز فرصة الفراغ من العمل فى رواية (هل من ضرورة للأزواج) التى يظهر فيها مع مادلين كارول ويقضى وقته فى صيد السمك . وهو ماهر جداً فى الصيد حتى أنه يعود دائماً خالى الوفاض ! وإذا ما سأله أحد فى ذلك قال : إنه يلقى بالسمك إلى البحر مرة أخرى رحمة به وشفقة عليه !

كاى فرنسيس وقد سطع نجمها فى رواية (المرء الوحيد) مع وليم باول ثم فى (ثورة فى الجنة) مع هربرت مارشال، وقد ظلت منذ البداية نجمة شركة وارنر ولم تنتقل إلى غيرها من الشركات ؛ وأخيراً أعلنت أنها آثرت الزواج واعتزال الأعمال الفنية ، وحتى الآن لم تنفذ عزيمتها

(آنا نيجل) بمناسبة آخر رواية لها (مس كافل) وقد أخرجت هذه الرواية فى وقتها وسوف تكون دعاية سيئة ضد الخلق الألمانى ، ويذكر القراء أن الحلفاء استغلوا فى الحرب العظمى حادث «مس كافل» أعظم استغلال واكتسبوا عطف العالم باسمها



7me Année No. 324

Lundi - 31 - 9 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

حربان عظميـــان

تثيرها ألمانيا على نمط واحد

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

شهدت الحرب العظمى — أو التى كنا نظنها العظمى — وهى التى قامت فى سنة ١٩١٤، وهأنذا أشهد حرباً عظمى أخرى بعد خمس وعشرين سنة ؛ فأنا فى هذا من المخضرمين . ويبدو لى أن ألمانيا الهتلرية هى ألمانيا القيصرية ، لم تتغير روحها ولا نزعاتها ولا وسائلها ولا أساليبها . فليس البوربون — ملوك فرنسا الذين عصفت بهم ثورتها هم وحدهم الذين لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً. وعجيب أن يكون هذا هو طراز الحكام فى بلد من أرقى بلاد العالم وشعب من خير الشعوب ثقافة وأدباً وفناً وعلماً وفلسفة . ولا بد — كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد — أن يكون فى هذا الشعب عيب يسمح بأن يكون هذا طراز حكامه الذى لا يكاد يختلف

وقد عانت ألمانيا أقسى ما يمكن أن تعانيه أمة من جراء ما حملت من تبعة الحرب العالمية السابقة وبقيت عشرين سنة تنوء تحت هذا العبء وتجاهد أن تطرحه ، فكان المنتظر أن تتقى أن تحمل عبئاً آخر مثله، فإن العائد إلى الجريمة لا يحق له أن يتوقع العطف أو يعول على ما فى قلوب الناس من الرحمة ، ولكن حكام ألمانيا فى هذا الزمان لا يحملون بالهم إلى النزوات بل يقدمون

على إثارة حرب عالمية بعد أن أعدوا عدتهم لها غير عابئين برأى العالم أو مبالين بما يجره عليهم من السخط والنقمة . وما من شك فى أن الهر هتلر ينهج نهجه هذا عن « عمد وسبق إصرار » كما يقول رجال القانون، ومراميه كلها معروفة من كتابه « كفاحى » . وخطته هى أن يمد لبلاده أقصى ما يستطيع من قوة، ثم يتجه إلى الشرق فيبسط سلطانه عليه، حتى إذا تم له ذلك ارتد إلى الغرب فرى عليه ظله وأذله . ومع أن هذا معروف ولا خفاء به، نراه يتعجب لبريطانيا وفرنسا ماذا يمنعهما من شرق أوربا ولماذا تحاولان صده عن غايته فيه كأنهما لا تعلمان أنه منقلب عليهما بعد أن يفرغ من هذا الشرق .

وكما تجنت النمسا بتشجيع ألمانيا على الصرب فى سنة ١٩١٤ تجنى هتلر فى هذه الأيام على بولندة. فقد ادعت النمسا أن ولى عهدها إنما قتل فى سراجيفو بتدبير الصربيين وإن كان قد قتل فى أرض نمسوية وبأيدى رعايا نمسويين . ولم يظهر أي دليل على وجود أية صلة بين الصرب وهذه الجريمة ؛ ولكن الكونت برختولد رئيس وزارة النمسا كان غبياً قصير النظر ، وكان همه أن يسحق الصرب ، وقد حذره تيزا رئيس وزارة المجر وحذر الأمبراطور أيضاً ولكن الامبراطور كان متهدماً وكان زمامه فى يد وزيره الأعمى ، فكانت الحرب التى ألوت بالنمسا وأذلت ألمانيا

واليوم يقلد هتلر هذا السلف الطالح فيتجنى على بولندة ويزعمها تهدده لأنها لا تذعن لمشيئته ولا تهدى إليه دانتزيج والممر البولندى والأرض التى فيها من الألمان نفر قليل أو كثير . والفرنسيون يقولون فى بعض أمثالهم : « إن هذا الحيوان خطر لأنه يدافع عن نفسه حين يهاجم » وكذلك يقول هتلر عن بولندة فذنبها أنها لا تريد أن تخنق

وقد رسم هتلر خطته ببراعة فأعد فى الغرب خط سيجفريد ليحول دون زحف فرنسا على ألمانيا من الغرب وليتسنى له أن يضع فى هذا الخط أقل عدد يكفى للدفاع عنه ، ثم يرى بمعظم قوته على الشرق فيكتسحه فى أوجز وقت ، ويروع العالم بسرعة القضاء على الأمم فى أيام معدودات ، وبعد أن يفعل ذلك ويترك دول البلقان مرتعدة الفرائص ويفتح لنفسه الطريق إلى كل سوق ويكفل لبلاده كل ما عسى أن تحتاج إليه من أقوات وبترول وخامات وغير ذلك ، وبهذا يحبط الحصر الذى عسى أن تضربه بريطانيا بحراً عليه- يرتد إلى خط سيجفريد بقواته الأخرى ويقول لفرنسا وبريطانيا : الآن نستطيع أن نظل نقتتل نصف قرن إذا شئتما ، أفلا ترون أن الصلح خير وأن التسليم بالأمر الواقع أجدى من هذه الحرب المقيمة ...

وكذلك كان القيصر غليوم يعتمد على النصر « البرق » أو « الخاطف » وكان همه يوم شن الغارة أن يحمل جيشه على جناحى نعامة ويطير به إلى باريس ويستولى عليها فإذا الحرب قد انتهت ... واليوم يقلد هتلر سلفه ويزيد عليه الهجوم بغير إنذار وعلى حين غرة وفى مأموله أن يقضى على بولنده ويمحو وجودها قبل أن تستطيع أن تجمع جيشها كله وتقذف به إلى ميادين القتال . فالنصر « البرق » هو الذى عليه معول هتلر الآن كما كان عليه معول القيصر غليوم، وكما أخطأ حساب القيصر يخطئ الآن حساب خلفه هتلر، فإن بولندة تأبى أن تزول فيما « بين غمضة عين وانتباهتها » ولا عبرة بالاستيلاء على بلد هنا وبلد هناك فما دام الجيش المدافع سليماً فالحرب دائرة والهاجم لم ينتصر ، وإنما يكون النصر بالقضاء على القوة المدافعة لا بأخذ المدن . وخط سيجفريد قوى متين ولكنه أنشئ على عجل — فى أقل من سنتين — وقد ظهرت فيه مواطن ضعف غير مأمونة، والجيش الفرنسى يختبره الآن ويتلمس هذه المواطن الضعيفة فيه ويحمل عليها ، ويضطر ألمانيا إلى إرسال النجدات إليه « على جناحى نعامة » وبتوالى ورود هذه النجدات يخف الضغط الواقع على بولندة فتطول مقاومتها على خلاف ما حسب هتلر. ويجب أن يدخل فى حساب الحاسب أن الجيش الألمانى ليس كما يهولون به فقد كان جيش القيصر خيراً منه . ذلك أنه هو أيضاً أنشئ على عجل بعد أن ظلت ألمانيا عشرين سنة محرومة من جيش بالمعنى الصحيح بمقتضى معاهدة فرساى. ومن السهل أن تجند ملايين الرجال كما فعل هتلر ولكنه ليس من السهل أن تخرج العدد الكافى من الضباط الأكفاء فى هذا العصر لهؤلاء الملايين من الجنود فى أربع سنوات . فالجيش الألمانى لا تنقصه الضخامة فى العدد ولا فى العدة ولكن ينقصه الضباط الأكفاء من الطراز الحديث بسبب هذه السرعة « البرقية » فى تكوينهم

وقد كنا نظن من الواضح أن من العسير فى هذا الزمان أن تسيطر أمة على العالم على نحو ما كان يحدث فى العصور الماضية ؛ فليس من الممكن فى هذا الزمن أن تكون فى العالم أمة واحدة لها شأن كما كان الحال فى أيام الرومان والعرب وغيرهم . فما بين أكثر الأمم تفاوت يذكر إلا فيما يحدثه اختلاف الخصائص القومية؛ أما فى العلوم والمعارف والمقدرة على الابتكار والاختراع وما إلى ذلك

فالطبقة واحدة أو متقاربة . وقد رأينا الألمان فى الحرب العظمى الماضية يفاجئون الحلفاء بالغازات السامة أو الخانقة أو الكاوية وما أشبه ذلك ، ورأينا الحلفاء يسرعون إلى اختراع الكمامات الواقية ثم يصنعون هذه الغازات ويطلقونها على الألمان ، وبذلك يضيعون عليهم هذه المزية . وأمثلة ذلك كثيرة وكلها شواهد على أن ألمانيا تكرر خطأها القديم ولا تعتبر بما كان فى الحرب الماضية التى كان الظن أن عبرها ستظل ماثلة

ولعل هذه أول حرب تقدم أمة على إثارتها وهى جائعة ، أو على الأقل وهى تعانى نقصاً شديداً فى الأقوات والمواد الأخرى التى لا غنى عنها لا فى سلم ولا فى حرب . فلا عجب إذا كانت بريطانيا وفرنسا تشنان على ألمانيا حرباً اقتصادية فإنهما تعلمان ما تصنعان وتعرفان ما تكابده ألمانيا وما تظن أن فى وسعها أن تعالجه وتتقى شره بسرعة القضاء على بولندة وهو حساب بدأ يظهر أنه يخطئ . فالعجب لألمانيا التى تجعل حياتها كلها ومصيرها رهناً بحساب قد يخطئ أو يصيب . الحق أن هذه مقامرة فذة فى تاريخ الأمم

ابرهيم عبد القادر المازنى

جنـــــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٥ —

كنت حدثت القراء فيما سلف أنى لم أهجم على الأستاذ أحمد أمين إلا بعد أن صح عندى أنه يسىء إلى نفسه وإلى الأدب العربى إساءة خطرة تستوجب المسارعة إلى تعريفه بخطر ما يصنع عساه يثوب إلى رشده فيرجع إلى الصواب

وفى مطلع حديث اليوم أثير مشكلة تحدث بها إلى تلاميذه فى كلية الآداب وكان لها صدًى ، هو حيرة بعض الشبان الذين كانوا يثقون برجاحة العقل عند ذلك الأستاذ الفضال

وما الذى حدّث به تلاميذه فى تلك الكلية ؟

حدثهم أن من رأيه ألا يدرس الأدب العربى فى المدارس الثانوية ولا المدارس العالية ، وأن الواجب أن يُقتَصر درس الأدب العربى على المتخصصين فى دراسة اللغات (؟!)

هذا كلام نقله إلينا كثير من طلبة كلية الآداب ، فهل هو صحيح ؟

يجب على الأستاذ أحمد أمين أن يسارع إلى تكذيب هذا الكلام ، إن كان من المفتريات ، ويجب عليه أن يحدد الغرض منه إن كانت نسبته إليه صحيحة ، لأنا نحب ألا يعرّض مركزه لأخطار الإشاعات والأقاويل

والواقع أن الكلام المنسوب إلى الأستاذ أحمد أمين يتفق فى روحه مع الآراء التى أذاعها فى الأسابيع الأخيرة ، فهو يقول صراحة بأن الأدب العربى فى أغلب أحواله أدب معدات لا أدب أرواح ، وأنه لم يصور البلاد العربية والإسلامية ، ولم يصف ما وقع فيها من أحداث اجتماعية ، ولم يشهد بأن أهله أحسوا الطبيعة وتأثروا بألوان الوجود

ومن الواضح أن الرجل يحترس فى مقالاته أكثر مما يحترس فى محاضراته ، فما قاله أحمد أمين فى مجلة الثقافة ليس إلا صورة مهذبة لما أذاعه فى كلية الآداب

نحن إذن أمام فتنة جديدة ، هى فتنة القول بأن الأدب العربى لا يصلح لتربية الأذواق فى الجيل الجديد . وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحمد أمين ، فقد نجمتْ قرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون أن يوهموا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم وحاضرهم لم يبق لها مكان ، وأن المصلحة تقضى بأن يوضع الأدب القديم فى المتاحف ، وألا يدرسه غير المتخصصين على نحو ما يصنع الأوربيون فى الآداب اليونانية واللاتينية ، ثم تُقبِل كل أمة على لهجتها المحلية فتجعلها لغة التخاطب والتأليف ، وبذلك تكون اللغة الفصيحة أُمّاً أو جدةً للغات الشعوب العربية ، كما صارت اللاتينية أُمّاً أو جدةً للغات الشعوب اللاتينية . وقد صرح بذلك المسيو ماسينيون فى خطبة ألقاها فى بيروت سنة ١٩٣١ ونقدتُها يومذاك بمقال أرسلته إلى جريدة « البلاغ » من باريس

والحق أن الفتنة التى أذاعها المستعمرون والمبشرون كانت فتنة برّاقة خدّاعة تُزيغ البصائر والعقول ، وقد انخدع بها من

انخدع فى الأعوام الماضية ، فكانت المفاضلة بين الفصيحة والعامية من المشكلات التى تقام لها المناظرات فى بعض المعاهد والأندية الأدبية . وقد وصل صدى هذه الفتنة إلى المجمع اللغوى بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة اللهجات المحلية وفريق يقول بأن الأفضل إنفاق المال فى إحياء الأدب القديم ، وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمى والدكتور طه حسين

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء اللهجات المحلية، فهو يدرس على صفحات مجلة الراديو المصرى ألفاظ اللهجة المصرية باهتمام يدل على تأصل تلك الفتنة فى نفسه الواعية !

فهل تكون مقالاته فى مجلة الراديو المصرى نواة لمحاضراته عن الأدب العربى المصرى بكلية الآداب فى الأعوام المقبلات ؟

نحن فهمنا أن الغرض من إنشاء كرسىّ للأدب المصرى بكلية الآداب هو درس الآثار الأدبية العظيمة التى أبدعها المصريون باللغة الفصيحة منذ فتح العرب مصر إلى اليوم لأن مصر تفردت بمزايا كثيرة بين الأمم العربية ، فأعظم مكتبة عربية فى العالم هى دار الكتب المصرية ، وأعظم جامعة عربية فى العالم هى الجامعة المصرية ، وأعظم معهد إسلامى فى العالم هو الأزهر الشريف ، وأعظم صحافة عربية فى العالم هى الصحافة المصرية ، وأعظم معجم عربى وهو لسان العرب ألف فى القاهرة ، وأعظم كتاب فى السيرة النبوية وهو سيرة ابن هشام أُلّف فى مصر ، وأعظم كتاب فى تاريخ الإنشاء وهو صبح الأعشى ألفه أديب مصرى هو القلقشندى ، وأعظم موسوعة عربية وهى نهاية الأرب ألفها أديب مصرى هو النويرى ، وأعظم شارح لمذاهب التصوف ، وهو الشعرانى ، مصرى من أبناء المنوفية ... ومصر كانت الملاذ لعلماء العرب بعد أن اعتدى التتار الهمجيون على بغداد ؛ ومصر كانت الملجأ لأحرار التفكير من العرب حين اضطهدهم الأتراك فى سورية ولبنان ؛ ومصر كانت ولا تزال صلة الوصل بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ؛ وبفضل سواعد المصريين اندحر الصليبيون ؛ وبفضل مصر حبطت دسائس المبشرين فى الشرق وهم أعوان المستعمرين فى تقويض دعائم الحضارة العربية

فما الذى سيصنع أحمد أمين حين يدرّس الأدب المصرى بكلية الآداب ؟

أترونه يفهم الغرض الأصيل من الأدب المصرى فيرفع آصار الخمول عن مآثر المصريين فى خدمة الأدب واللغة والتاريخ والتشريع ؟ أم ترونه يتخذ مادة الدرس من الكلام عن أحاديث الحاجة خدُوجة والمعلّم مشحوت ؟

إن كلية الآداب لن تعيش بمنجاة من رقابة النقد الأدبى ، ولن يهمس أحمد أمين بكلمة أو فكرة بدون أن تصل إلى من يهمهم معرفة جوهر الرسالة الأدبية التى تذيعها كلية الآداب ، ولن يرنّ فى أبهاء تلك الكلية صوت ينطق بالحق أو بالباطل إلا وحوله أرصاد من عقول الشبان الأذكياء الذين توجّههم عزائمهم وقلوبهم إلى أن يكونوا أبطال الفكر العربى الصحيح فى العصر الحديث !

وإنى لموقن بأن أصدقاءنا من أساتذة كلية الآداب يعرفون جيداً أن الأمة تنتظر أن يكون ذلك المعهد المعظم أهلاً فى كل وقت للأمانة العظيمة التى عهدتْ بها إليه ، فلا يكون مسرحاً للآراء الفطيرة التى يذيعها بعض الناس فى إحدى المجلات

لقد رجونا ألف مرة أن تكون كلية الآداب بالقاهرة هى النبراس الذى تستضىء به العقول فى الشرق ، وقد استطاعت تلك الكلية بفضل المتفوقين من أساتذتها وخرّيجيها أن ترفع لواء الدراسات الأدبية والفلسفية ، فمن المجازفة بسمعتها العلمية أن تصفح عمن يقفون عند الحدود السطحية فى فهم الأدب والتاريخ

* * *

أقول هذا وقد كتب إلىّ أحدُ المتخرجين فى تلك الكلية خطاباً يقول فيه : إن اللغة العربية ليست لغة المصريين . ولو شئت لصرحت باسم صاحب ذلك الخطاب ، ولكنه صديق عزيز لا أحب أن أعرّضه للاتسام بسمة الخطأ الذى وقع فيه أستاذه أحمد أمين

وإنما يهمنى نقض هذا الرأى لأنه على ضعفه يرفع رأسه من وقت إلى وقت ، ويخيّل للناس أنه قادر على الحياة وأنه يستطيع أن يمشى على رجلين أو على أربع ، وأنه خليق بأن تُنْصَب له الموازين !

وهذه الشبهة لها صورة من صور الحق :

فاللغة العربية ليست لغة مصرية ، وإنما هى فى الأصل لغة أجنبية حملتها إلينا العقيدة الإسلامية

هذه الشبهة تحمل وجهاً جيلاً من وجوه الحق ، ولكنها تذكر بحكاية اللص الذى رأى صاحب الدار يجول فى أرجاء داره فصاح : من الذى هناك ؟ !

أيها القراء

إسمعوا الحجج الآتية ، ثم كذبونى إن استطعتم، ولن تستطيعوا أبداً . أنتم تعرفون أن أهل مصر تكلموا اللغة العربية نحو ثلاثة عشر قرناً ، فهل تعرفون أن المصريين تكلموا لغة واحدة ثلاثة عشر قرناً قبل أن يتكلموا اللغة العربية ؟

هل يستطيع رجل من علماء الآثار المصرية أن يثبت أن أهل مصر كانت لهم لغة واحدة فى أى عهد من العهود قبل أن يعرفوا اللغة العربية ؟

إن التاريخ يؤكد أن المصريين قبل الإسلام كانت لهم لغة فى الشمال ولغة فى الجنوب ، ويؤكد أنهم عرفوا لغة ثالثة هى اللغة اليونانية ، وكانت لغة رسمية فى بعض العهود ، وربما استطاع التاريخ أن يقول إن مصر كان فيها ثلاث لغات : لغة لأهل مصر الوسطى ولغة لأهل الجنوب ولغة لأهل الشمال

وقد يستطيع التاريخ أن يؤكد أن بعض الأقاليم المصرية عرفت اللغة العربية قبل الإسلام. والتشابه بين اللغة المصرية واللغة العربية أثبته كثير من الباحثين منهم المرحوم أحمد باشا كمال

وأحدّد الغرض فأقول :

إن اللغة التى تسود سيادة تامة فى قطر من الأقطار ثلاثة عشر قرناً لا تكون لغة أجنبية وإنما تكون لغة قومية . وسيأتى يوم تسمى فيه اللغة العربية باسم آخر هو اللغة المصرية ، لأن العرب الأصليين فى حواضرهم وبواديهم لا يتذوقون اللغة الفصيحة كما يتذوقها المصريون ، ولولا مصر لانقرضت لغة العرب منذ أجيال طوال

يا بنى آدم من أهل مصر ، إسمعوا وعُوا

إن مصر — لحكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين — هى البلد الوحيد الذى انقرضت لغاته القديمة لتحل محلها اللغة العربية، وهذا حظ لم تظفر بمثله أمة عربية : فالأقطار الشامية تحيا فيها اللغة السريانية واللغة العبرانية ؛ والبلاد العراقية تحيا فيها اللغة البابلية واللغة الكردية ، ولغات أخر يعرفها أهل تلك البلاد ؛ والجزيرة العربية تحيا فيها لهجات مختلفات ؛ والبلاد المغربية فيها ما تعرفون من لغات متنافرة بعضها قديم وبعضها حديث ، والرجل العربى قد يحتاج فى تلك البلاد إلى ترجمان

وقد عصفت عصور الظلمات بلغة القرآن فى كثير من الممالك العربية ، فاضطُرت بغداد وكانت عروس العروبة إلى أن تتكلم اللغة الفارسية بضعة قرون ، ثم قهرها الظلم بعد ذلك على أن تتكلم اللغة التركية زمناً غير قليل؛والشام فى مختلف أقطاره تعرّض كارهاً لأمثال تلك الخطوب . ومع هذا لطف الله بمصر فظلت موئل اللغة العربية ، وكانت المساجد فى القاهرة وفى سائر الحواضر المصرية مدارس جامعة لنشر علوم اللغة والدين ، وما زال الناس يذكرون كيف حفظ الأزهر الشريف مخلفات الفُرس والهنود والعراقيين والشوام والمغاربة والأندلسيين فى ميادين المعقول والمنقول

فالذين يهمسون بأن اللغة العربية فى مصر لغة أجنبية هم قوم مجرمون يستأهلون التأديب وكيف تكون لغة أجنبية وقد تغلغلت فى دمائنا وأرواحنا نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكنا الدّرع التى تصد ما يوجه إليها من سهام ونبال ؟

إن اللغة العربية فى مصر أرسخ من اللغة الفرنسية فى فرنسا ومن اللغة الإنجليزية فى انجلترا ومن اللغة الألمانية فى ألمانيا، لأن تلك اللغات بصورتها الراهنة لم تعش فى بلادها رُبع المدة التى عاشتها اللغة العربية فى بلادنا ، والفرق بيننا وبينهم أنهم سلموا من الدسائس وابتُلينا نحن بالدسائس

وهل يستطيع شاعر مثل فكتور هوجو أن يجد فى أجداده من تكلم اللغة الفرنسية كما يجد حافظ ابراهيم من أجداده من تكلم اللغة العربية ؟

وأين كانت اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية فى الوقت الذى ظهرت فيه أشعار أبى تمام والبحترى ، وابن الرومى ، والشريف الرضى باللغة العربيه ؟

وهل فى الدنيا لغة عاصرت القرآن وبقيت مفهومة لأهلها على نحو ما يفهم القرآن فى جميع البيئات العربية ؟

إن مصر هى التى حفظت لغة القرآن بلا جدال ولا نزاع ، فن العار أن يوجد فى أبنائها من يقول إنها لغة أجنبية

ومن أعجب العجب أن تحفظ لنا الأمم العربية هذا الفضل ، ثم نتنكر نحن لهذا الفضل !

من أعجب العجب أن تذكرنا الأمم العربية بماضينا فى خدمة اللغة العربية ، ثم يكون فينا من يقول بأن اللغة العربية فى مصر لغة أجنبية

فما هى لغتنا إذن ؟

إن اللغات المصرية القديمة لن تعود أبداً ، ولو أنفقنا فى سبيلها غاليات الأنفس والأموال ، فهل ترون أن نتكلم بعض اللغات الأوربية ، وهى أجنبية أجنبية أجنبية ؟

وهل يدعو إلى هـذا الرأى غير مخلوق جهول لا يعرف ما تعيش به الأمم من المقوّمات الذاتية ؟

إن مصر ستحتفل بعد قليل بالعيد الألفى للقاهرة ، فهل تستطيع مدينة فى الشرق أن تقول إنها أدت للدراسات العربية والإسلامية ما أدت القاهرة ؟

هل تستطيع مكة وهى مهد اللغة العربية أن تقول إنها تنافس القاهرة فى ماضيها اللغوى والأدبى ؟

وهل طبع المصحف فى مكة بقدر ما طبع فى القاهرة ؟

وهل أذيعت تفاسير القرآن فى أى بلد عربى بقدر ما أذيعت فى القاهرة ؟

وهل نشرت عيون المؤلفات العربية إلا بفضل مطابع القاهرة؟

وهل عرف التسامح فى درس المذاهب الإسلامية كما عرف فى القاهرة ؟

إحفظوا نعمة الله عليكم ، يا أهل مصر ، وكونوا عند ظن الأمم العربية بوطنكم المحبوب

***

ولنفرض أن العامية هى لغة المصريين وأنها ترجع إلى عهد سبق الإسلام هو عهد الهكسوس كما قال بعض المبشرين ، فما عسى أن تكون تلك العامية المصرية ؟ أليست لغة عربية فصيحة المفردات لا ينقصها غير الإعراب وهو ليس شرطاً أساسيًّا فى الإفصاح ؟

أنا لا أسمى هذه اللغة عامية ، وإنما أسميها لغة التخاطب La langue parlée ولكل أمة فى الدنيا لغتان : لغة تخاطب ولغة إنشاء

ومن حدثكم أن أمثال الإنجليز والفرنسيس والطليان والألمان يتكلمون كما يكتبون فاعرفوا أنه غافل جهول

وكيف تصح تلك الدعوى المريضة وقد عرف كل من عاش فى البلاد الأوربية أن العوام لهم لغة سهلة بسيطة لا تقاس إلى لغة من يحيون فى البيئات العلمية والأدبية ؟

فمن كان فى ريب من ذلك فليشهد بعض الأفلام الفرنسية التى تمثل لهجات الصناع والعمال أو تصور مناحى التعبير عند أهل الشمال أو أهل الجنوب ، فإن فعل فسيعرف أن لغة التخاطب تختلف قليلاً أو كثيراً عن لغة الخطابة ولغة الإنشاء

إننا نعرف أن العصر العباسى كان عصر ازدهار اللغة العربية فى العصور الماضية، فهل تظنون أن عامة الناس فى البصرة والكوفة وبغداد كانوا يتكلمون كما يتكلم المبرد والجاحظ ومسلم بن الوليد؟

إن فى أدباء فرنسا لهذا العهد من يشكك فى قدرة جمهور الأدباء هناك على التعبير الأصيل باللغة الفرنسية ، ولأحد مؤلفيهم كتاب سماه : Comment on massacre le français

فهل يكون معنى ذلك أن اللغة الفرنسية خفيتْ أصولها على أدباء باريس وليون ؟

أم يكون معناه أن الغيرة على اللغة تثور فى صدور الأدباء من حين إلى حين بسبب التسامح الذى يشهدونه فى تعابير بعض الكتاب كما فعل عبد القاهر الجرجانى فى مقدمة دلائل الإعجاز حين رأى ما يشبه ذلك عند كتاب القرن الخامس ؟

إن الناس عندنا لا يفرقون بين الحالات التى يختلف فيها بعض الكتاب عن بعض ، وهم يظنون أن كل إنشاء يخالف إنشاء الجاحظ أو ابن العميد هو من شواهد انحطاط اللغة العربية؟ وهم يتوهمون أننا تفردنا بين الأمم بالحيرة بين لغتين : إحداها لغة التخاطب والثانية لغة الإنشاء

ولو كان ذلك المتخرج في كلية الآداب قد تخرّج في قسم اللغة العربية لا في قسم التاريخ لعرف أن الجاحظ على فضله نص على أن هناك مواطن لا يجوز فيها التعبير بغير اللغة العامية ، وهذا يشهد بأن حياة اللغة العامية ليست نذيراً للغة الفصيحة بالهلاك ، فالذوق يوجب أن يكون لكل مقام مقال وألا تحدّث العوامّ كما تحدث الخواصّ

وهل كان أهل مكة والمدينة يتكلمون فيما بينهم بنفس الأسلوب المعروف في القرآن والحديث ؟

إن القرآن نزل على العرب بلسان عربي مبين ، ومع ذلك لا يمكن القول بأن العرب لذلك العهد كانوا يعبرون عن ذوات أنفسهم في شؤونهم اليومية والماشية بنفس الأسلوب الذي عبَّر به القرآن عن الشؤون الدينية والدنيوية

فكيف يُطلب منا أن نتكلم كما يتكلم شعراؤنا وخطباؤنا في جميع الشؤون ، وإلا قيل إننا خوارج على اللغة العربية ؟

وهل يُطلب من تجار النورية بالقاهرة أو تجار الشورجة في بغداد أو تجار الحميدية في دمشق أن يتكلموا كما يتكلم علماء مصر والشام والعراق ؟

وهل يتكلم سكان محلة بِلْ قيل في باريس كما يتكلم أساتذة السوربون ؟

أنا أعرف أن أستاذنا برونو كان يوصينا بأن نستمع إلى محاورات العوام في الترو ، ولكن لهذه الوصية مدلول آخر ، فهو كان يريد النص على أن لغة التخاطب فيها مرونة قد لا توجد في لغة الإنشاء ، وأن من العقل أن ننتفع بتلك المرونة في بعض المقامات لأن انصراف العوام عن الزخرف والتنميق أعطى لغتهم خصائص من السهولة والوضوح ، وهما من أهم عناصر البيان

وأؤكد للقراء أن الفرنسي الذي ينتقل من الشمال إلى الجنوب قد يجد من اختلاف الألفاظ والتعابير ما لا يجده العربي حين ينتقل من مصر إلى العراق

فكيف يجوز لبعض الناس أن يوهم القراء بأن العرب تبلبلت ألسنتهم وأن التفاهم بين خواصّهم وعوامّهم صار من المعضلات ؟

إنه لا مفر من الاعتراف بأن اللغات العامية لها مكان في كل أرض ، لأنها لغات بسيطة سهلة تؤدي الأغراض اليومية في المعاملات . ولو فرضنا اللغة الفصيحة على جميع الناس لكان ذلك ضرباً من الإرهاق ... ولا خطر على العرب من أن تكون لهم لهجات عامية تقترب أو تبتعد وفقاً للظروف الجغرافية ، ولكن الخطر كل الخطر هو في جعل اللهجات المحلية أصولاً ثابتة يتدارسها العلماء ليعطوها من السلطة الأدبية ما يمكنها من الانفصال عن اللغة الفصيحة بعد جيل أوجيلين ، كما يصنع الأستاذ فلان الذي يعد نفسه ليكون « أصمعي » اللهجة المصرية في هذا الزمان !

وماذا يقول فلان وفلان وفلان إذا حدثتهم بأن اللهجات المحلية في البلاد العربية أصبحت تقترب من اللغة الفصيحة بسرعة عجيبة لم تكن تخطر في البال بسبب انتشار الصحافة والتأليف ؟

إن العوامّ في جميع البلاد العربية يقرأون الجرائد والمجلات ويفهمون مغازيها ومراميها بلا صعوبة ، وشاهد ذلك يعرفه أصحاب المجلات المصرية الذين يشهدون بأن قراءهم في خارج مصر يعدّون بالألوف

فهل يمرّ ذلك بلا تأثير في تطور اللهجات المحلية ؟

شرّقوا قليلاً أيها المصريون لتدركوا فضل اللغة الفصيحة في نشر معارفكم بأقطار الشرق ، ولتروا كيف يعتزّ الرجل المصري حين يرى له إخواناً يفهمون عنه في أقطار تفصلها عنه البحار والصحارى والجبال

أنتم لا تعرفون قيمة الحرص على وحدة اللغة العربية ، ولا تدركون قيمة النعمة التي خصكم بها الله حين جعلكم حَفظَةَ التراث العربي ، ولو عرفتم ذلك لأضفيتم حلل الثناء على من يَنشُدون أخوّتكم من أهل الشرق ، ويذكّرونكم في كل يوم بأنهم إخوانكم الأقربون وإن بعُدت الدار ، وشطّ المزار

إن الأديب الذي طويتُ اسمه حفظاً لسمعته ينسى أن المزية الصحيحة التي رفعته مكاناً عليًّا بين زملائه هي قدرته على مخاطبة الجماهير بلغة مصونة من اللحن والتحريف ، فإن أصرّ على معاداة اللغة الفصيحة فليجرّب حظه بطريقة عملية ، ثم لينظر كيف تميد الأرض تحت قدميه

أما بعد فهل ينتهي صديقنا الأستاذ أحمد أمين ؟

هل يدرك أن شبان اليوم يعانون أزمة خطيرة بسبب الدسائس التي يصوبها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وأن واجب الأساتذة بكلية الآداب هو حماية أولئك الشبان من تلك السموم الفواتك ؟ هل يعرف أن فرنسا على عظمة إيمانها بسيطرة

لغتها الفصيحة سيطرة قاهرة تحسب ألف حساب لخطر اللهجات المحلية وتتخوف من انتقاض « البروفانس » وإنها لذلك أعلنت غضبتها الأدبية على الشاعر ميسترال ؟

من حق السيد فلان أن يتحذلق كيف شاء فيدّعى أن الأدب العربى لا يستحق الدرس فى المدارس الثانوية والعالية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن اللغة العربية لغة أجنبية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن المصريين ليسوا من العرب ؛ من حق هؤلاء أن يقولوا ما يشاءون ما دام القانون لا يحرم الاعتداء على اللغة كما يحرم الاعتداء على الدين ... ولكنا سنريهم أن سيف القلم أمضى من سيف القانون

« لحديث شجون » زكى مبارك

دمشقيات

ليلة على سفح قاسيون !

للأستاذ على الطنطاوى

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية — سقى زمانك هطال من الديم
لم أقض منك لبانات ظفرت بها — فهل لى اليوم إلا زفرة الندم ؟
« الشريف »

يا ليلة ما كان أجلها وأقصرها ... وكذلك تكون ليالى الأنس فاتنات قصيرات الأعمار !

يا ليلة ستمر الليالى ولا تمحو من نفسى ذكراها ولا أستطيع أن أنساها ...

يا ليلة ... سكرت فيها بلا كأس ولا قدح ... لقد علمتنى السكر فسأسكر الليالى الآتيات بذكراك ... ولكن ثمالة السرور لا يكون فيها إلا رحيق الألم ...

صدق دانتى : إن ذكرى اللذائذ الماضية تؤلمنا !

* * *

تلك هى ليلتنا على سفح قاسيون ، فى قهوة « حسن آغا » نظم فيهـا قلادةَ الأصحاب والأحباب ، شفاءُ الطفل المحبوب « إبراهيم الرواف » فاجتمع الشمل وتم الأنس وألفت الحلقة بين العلم والأدب والشعر والفن والنكتة والغناء ، وجمعت القهوة بين العراق والشآم ، ودمشق وبيروت ، فكان فى المجلس كرام أهل كل بلد وكبار أهل كل فن ... وشاركت الطبيعة الناس فى فرحة الشفاء فتزينت بحلة الأصيل المنسوجة بخيوط الذهب ، وماست أشجار الغوطة دلالاً ، وهمست الأوراق بترتيلة المساء ، وكان مشهد لا يفيد فيه الوصف ، لأن مثله لا يرى إلا فى دمشق أو فى جنان الخلد ، ودمشق جنة المستعجل ...

وتحدث الأستاذ البيطار ، وتطارح الأستاذان الأثرى والتنوخى الأشعار ، ثم تسلم المجلس الأستاذ سعدى ياسين خطيب بيروت فلم يبق لأحد مجال لمقال ، وطفق يلقى النكتة إثر النكتة والنادرة تلو النادرة ، ونحن نمسك بخواصرنا ، ونضرب من الضحك بأرجلنا ونمسح دموعنا ، وهو لا يكف ولا يقف ، ففكرت كم يضيع بيننا من الآداب التى لو دوناها كما دون المتقدمون لكانت لنا ثروة هائلة . وحسبك من هولها أن ما رواه صاحبنا تلك الليلة وارتجله يملأ كتاباً كبيراً ... حتى إذا انطفأ مصباح الكون ، ولبثت عروس الطبيعة ثوبها الأسود ، ووجب حق الله علينا ، قمنا إلى الصلاة ، فأذن مؤذن منا ، فلم نفرغ من الصلاة حتى أذن مؤذن آخر أن حى على الطعام ...

ولما فرغنا وامتلأت بطوننا ، حسبت المجلسَ سينفض ، وأن القوم قد طعموا فلا بد أن يتسرروا ، فإذا المجلس يبدأ ، وإذا الشيخ سعدى يقدم المقدمات ... ويتحدث عن الغناء والطرب ، فما ظننت والله إلا أنه سيغنى . ولقد سمعته حين أذّن فسمعت صوتاً حلواً ورنة عذبة ، ولكنى وجدته يشير إلى شاب ما فتح منذ الليلة فمه ولا تكلم بكلمة ، فظننته يمزح وقلت إحدى هناته والله ؛ غير أنه بالغ فى إطراء الشـاب وشاركه فى ذلك من اعتمد ذوقه واطمأن إلى حكمه وارتضى فهمه ، فشككت ولم أصدق أن يكون فى دمشق مغن مجود لا أعرفه ، على ولعى بأهل هذا الفن، وعلى صلتى بالأديب الموسيقى الأستاذ حسنى كنعان لولب أهل الموسيقى... وكان أشد ما أخشى منه أن يردد علينا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ويحسبها علينا ليـلة طرب ، وتمنيت لو ارتجل ارتجالاً ولم يجاوز أنغامنا العربية إلى أنغام لا نألفها ولا نحبها ، ولا يدعى محبتها إلا قوم يراءون بالطرب منها حتى يقال إنهم متمدنون وأن لهم بموسيقى أوربة بصراً ، ولست بحمد الله من هؤلاء ...

* * *

وما لبث الشاب أن غنى ، فإذا صوت تمنيت والله أن يكون لى علم الأستاذ محمد السيد المويلحى لأصفه لقراء الرسالة كما يصف هو ،

فأقيسه بـ « الكونترالتو » الذى لا أعرف أهو شىء مأكول أم ملموس ، وبـ « الميزو سبرانو » الذى لا أدرى أهو حيوان أم نبات أم جماد أم هو اسم شيطان من شياطين الموسيقى؟ ولكنى واحسرتا جاهل بهذا الفن ، وليس عندنا فى دمشق مويلحى آخر يخلد ذكر هؤلاء النابغين المغمورين الساكنين فى الرسالة !

أفيصح أن أصفه كما أعرف ؟

بدأ بـ « ياليل » بصوت ناعم حلو ، فأطربنى صوته ، وأعجبتنى نغمته، ولم أعب عليه إلا خفوته ونعومته؛ وصحت وأنا رجل طروب ، وصفقت ، فقال لى القوم: انتظر إنك لم تسمع شيئاً . وانتظرت فإذا هو يدور بالنغمة دورة ، فإذا له صوت قوى ضخم ولكنه واطئ كقرار عبد الوهاب ؛ وإن كانت له قوة صوت صالح عبد الحى أو الشيخ صبحى الإمام فى الشام ، ثم يعلو به ويعلو ، حتى يرتفع ارتفاعاً هائلاً ، وهو لا يزال على قوته وجولته ، فبالغت فى الإعجاب وهزنى الطرب ، فقالوا انتظر ، إن بعد هذا لشيئاً ، فسكت أنتظر وما أظن أن بعد هذا شيئاً يكون ، فإذا الشاب (عادل القربى) يقفز من هذا العلو إلى طبقة أعلى وأرفع ، وإذا له صوت صبىّ برقته وحدته وصفائه ، فاستخفنى والله الطرب ، حتى هممت لولا الحياء أن أقوم له فالتزمه وأقبله ، وتركنا فى هذا الأفق السامى ، وهبط بآهة من آهاته إلى القرار ، ثم تهاوت آهته واختفت حتى لقد سمعت الماء الساكنة ينطق بها قلبه ... ثم سكت سكتة ، فلا والله ما ظننا إلا أن الدنيا قد دارت بنا ، وثارت فى نفوسنا عواصف من العواطف الدفينة ، والذكر الكامنة لا يعلمها إلا الله ، وكانت لحظة صمت وخشوع ، آمنت فيها بما تفعل الموسيقى ... ثم انتبه القوم فزلزل المكان بالتصفيق والهتاف ...

ثم عاد ينادى هذا الليل الأصم : (ياليل — ياليل) والليل يصغى ويطرب ، ولكنه لا ينطق فيجيب . (يا ليل — ياليل) كم ذا يهتفون باسمك وأنت صامت ! (ياليل — يا ليل) يا ملجأ البائسين، يا سمير العاشقين، يا حبيب المتعبد الناسك، يا عدوّ المريض المتألم الحزين! (ياليل) كم يخفى ظلامك من مشاهد البؤس ومظاهر النعيم! (ياليل) كم تضم أحشاؤك من آلام وآمال ! كم تشهد من أفراح وأتراح! (ياليل) كم يتمنى بقاءك سعيد جذلان ، وكم يرقب فجرك ضائق حزنان(١) (ياليل — ياليل) كم بين جوانبك من ساهر يراقب النجم يرقب حبيباً لن يعود أبداً . أو يناجى ميتاً لا يسمع ، أو يحنو على مريض لا يشفى ، أو يشكو والحياة لا تسمع شكاة (ياليل) يا رمز السرمدية ، يا حليف المسرات ، يا قرين الآلام !

* * *

امتلأت نفسى شجناً ، وأحييت هذه (الليالى) ليالىّ الخاليات وملك نفسى شعور أعهده منها كلما سمعت الصبا يا لسحر الصبا ... ومضى الشاب يقلب الأنغام فيتلاعب بالقلوب والمشاعر . ثم كرّ كرّة فجاء بنغمة متقطعة مرقصة ... وأتى بدور يترع النفوس فرحاً، واضطر القوم كلهم أن يردّدوا كلمات منه بصوت منخفض يخالطه صوته الدقيق العالى فيكون منه اتساق (آرمونى) موسيقى عجيب ، وعاد المرح إلى المجلس ، وسقط الوقار عن أوقر أهله ، فعلمت أن موسيقانا ليست كلها بكاء وألماً ولكن فيها المرقص المطرب ، وكان الشيخ سعدى لا يدخر سكتة بين نغمتين إلا أحكم المرمى وقذف بنكتة من نكته التى لا ينفد معينها . وزلزل المجلس بأهله من الضحك والغناء ، حتى لقد حسبت الدنيا ترقص معنا . ثم حط الغناء على أنشودتنا الشعبية الخالدة (ياميجنا — ياميجنا) تلك التى تصور بمعانيها النفس الشامية ، وتمثل بصورها طبيعة بلادنا وجمال ديارنا ، وهى رمز عبقريتنا الشعبية ومجال الابتكار ، ومحكّ القريحة ؛ فهى ترتجل أبداً ارتجالاً وتعقد لها المجالس ، ويقوم الشاعران يتقارضان المدح أو الهجاء ، وأهل المجلس يرددون اللازمة ... (الميجنا) أنشودتنا الأزلية التى لا يعلم أحد من نظم أول مقطع منها ولا متى ينظم آخر مقطع ... ثم أخذنا فى الأغانى البلدية (هيهات يابو الزلوف) :

منْ هون لَ أرض الدير   منْ هون لَ أرض الدير
والسرّ اللى بيننا   إيش وصّلو لِلغير
وان كان ما فى ورق   لَ أكتب عَ جناح الطير
وان كان ما فى حبر   بدموع عينىّ ....

تلك الأغانى التى ولدت فى أودية الشام المختبئة فى سر الغيب لا يعلم بها إلا أهلوها والله العالم بكل شىء ، وذراه التى لا يسكنها إلا أهلوها والنور

... فيا أيها المصطافون بالله عليكم ، لا تقفوا عند صوفر وبحمدون وبلودان ، بل تغلغلوا إذا أردتم أن تشاهدوا الجمال جمال الفطرة ، واهبطوا أودية ، وارتقوا ذرى ، واركبوا الدواب ، وسيروا على الأقدام ، ولكن لا ... لا يا أيها المصطافون بالله عليكم ،

(١) حزنان من العامى الفصيح

انسوا ما قلت لكم ، ودعوا الجبل على فطرته ، أتركوه يعيش على جهله الفاضل ، وفقره السعيد . لا تحملوا إليه الحضارة التى أفسدت بلودان وصوفر وبحمدون ...

هذه الحضارة ، ويل لنا من هذه الحضارة !

لقد سلبتنا كل شىء ! فهل تسلبنا موسيقانا ؟ إنا لا نجد ساعة الضيق إلا أغانينا وأنغامنا ، نصب فيها آلامنا ونستوحيها الأمل ، ونمسح بها دموعنا . أفتريدون ألا يبقى لنا وزر نلجأ إليه ساعة الضيق ؟

إن الموسيقى غذاء الروح ، فشأنكم ، قلدوا أوربة فى كل شىء لكن دعوا لنا غذاء أرواحنا . أفتحبون ألا نجد لأرواحنا غذاء فنتركها تذوى وتموت ؟

هذه صرخة قلوبنا ، فهل يصغى إليها هؤلاء الذين وهبهم الله نعمة الفن ليحفظوا علينا فننا ، فذهبوا يضيعون بهذه النعمة فننا ؟ هل يصغى عبد الوهاب نابغة العصر ؟

إنى والله لأسمع فى السينما أغانى القوم من أهل أوربة ، فلا أحس طرباً ولا أرى فيها إلا اختلاطاً فى الأنغام من باب ...

سقياً ورعياً وزيتوناً ومغفرة قتلتم الشيخ عثمان بن عفانا

وليقل عنى من شاء ما شاء ، ثم أسمع عبد الوهاب فأعجب ، ولكنى لا أطرب ، فإذا سمعت علياً الكردىّ فى الشام أو القبانجى فى بغداد عرفت ما هو الطرب .

هكذا أنا ، وهكذا الناس ، فدعوا لنا أغانينا ...

وضرب الشاب فى كل فنّ من الغناء ، ثم غنّى فى أبيات أبى صخر الهذلى :

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها ... فلما انقضى مابيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بى المدى ... وزدت على ماليس يبلغه الهجر
وإنى لتعرونى لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذعر

فنقلنى إلى مجالس الخلفاء التى صوّرها أبو الفرج ، ونال منى الطرب ؛ فعرفت أن لقد كان حقاً ما ذكر الأصبهانى وأن المرء قد يمزّق ثوبه من الطرب ، أو يحرق لحيته بالسراج وينادى النار يا أولاد الـ . . ومن يضع الوسادة على رأسه ويصيح « زلابية بعسل » . . .

ولكن ماذا ينفع الشاب إعجابى ، وماذا تفيده هذه العبقرية وهو مضطر إلى العمل فى سوق الحيدية ليعيش ؟ أفليس حراماً أن يدفن هذا النبوغ فى دكان ؟ أليس حراماً أن صبحى الحوى يعيش متنقلاً بين القرى يراقب إصلاح الطرق المخربة وهو من أقدر من أمسك بمضراب العود ؟ أليس حراماً أن يكون علىّ الكردى شيخ الفن القديم فى الشام دلال بيوت ؟ أليس حراماً أن يشتغل تحسين بك سيّد أهل الناى فى البلاد كلها بإصلاح أنابيب المياه فى البيوت وهو فى الثمانين من عمره ؟

وفى بغداد، أليس الشيخ حيدر الجوادى عاملاً فى دار لتجليد الكتب ؟ وفى مصر ، أما فيها كثير من أهل الفن لا يعبأ بهم أحد؟

ولكن لا بأس

لقد عهدتك بعد الموت تندبنى ... وفى حياتى ما زودتنى زادى

لا بأس أن يموت الفنان جوعاً ، فسينصب له بثمن خبزه تمثال ، ورحمك الله يا سيد درويش . . .

(دمشق) **على الطنطاوى**

حديث فى القرن التاسع عشر

للأستاذ خليل هنـــداوى

إلتفت إلى محـدثى — وهو شيخ وقور(١) — وقال لى : إننى محدثك حديثاً عجباً !

قلت : هات !

قال :

كنت فى نهاية القرن التاسع عشر فى وظيفة إفتاء للأسطول العثمانى . وألزمتُ أن أركب البحر من الدار العلية إلى شاطئ المغرب لمشاغل دينية ، على باخرة يونانية صغيرة تميل كلما مال عليها الموج . كنت فى عزلة موحشة ، لأنى غريب لا تميل سحنة إلى سحنتى ، ولا ينحنى زى على زيى . وصدفة جلس إزائى على المائدة رجل قد تجاوز الأربعين ، ولـكن ملامح الأسفار على وجهه ، وقد استبد الشيب بأكثر مساحة رأسه . أما همته ، فلا تزال فى صعود : يمشى فلا ينحنى ، ويتكلم فلا يتتعتع ...

بادرنى قائلاً بالألمانية :

— هل تحسن الألمانية ؟

— لا .

سكت ريثما فرغت جفنة من الطعام وعاد سائلاً :

— هل تحسن الفرنسية ؟

— لا .

— هل تحسن الإنجليزية ؟

— لا .

ثم قال لى بلسان فصيح طلق كأنه أحد البداة :

— وهل تحسن اللغة العربية ؟

— أنا ابنها !

— ما اسمك ، وما وسمك ، ومن أين ، وإلى أين ؟

أجبته على سؤاله ، وعجبت من أمر هذا الرجل الذى كان ينبغى له لمـا صادفه من زيى أن يسألنى بالعربية . وقدم إلى نفسه بأنه مستشرق ألمانى من هامبورج ، قضى فى الشرق زمناً طويلاً يبلو به الأخلاق ، ويدرس العادات . وكانت صحبتنا خلال هذه الأيام المعدودة ، صحبة متينة وثيقة ، تجاذبنا فيها ما اختلفت ألوانه من الأحاديث . وقبل أن يغادرنى إلى بلده قال لى :

— والآن أريد أن أسألك عن مسألتين ، ولـكنى رجل لا أحب النقاش الممل ، والجدل القائم على المكابرة .

قال :

— إننى أطلب إلى الله أن يميتنى على دين عمر بن الخطاب !

قلت له :

— يا هذا ! إن الدين دين محمد ، فكيف تسنده إلى عمر ؟!

أجاب :

— نعم . إن الدين دين محمد ، ولـكنى أدعو الله أن يميتنى على دين عمر . . . إن محمداً جاء بالدين ودعا إليه ، وأبو بكر شد أزره ، وثبت أمره . وجاء عمر ينشره ويؤيده وينفذه ... ومات عمر والمسلمون من بعده لا يزالون يتخبطون فى فتنة عمياء ، عرفت أوائلها ، ولا تعرف خواتمها ! المسلمون اليوم على دين غير دين عمر . وماذا — لعمر الله — يرعون من هذا الدين إلا رسومه ؟

دين عمر يأمر بالصلاح وهم فاسدون . دين عمر يأمر بالأمانة وهم خائنون ، ويأمر بالصـدق وهم كاذبون ، ويأمر بالوفاء وهم غادرون . . .

سمعتُ هـذا من محدثى ، وبرقت لنفسى خاطرة أحببت أن أوضحها ، وأحببت أن ألفت إليها أنظار المصلحين من رجال الدين : إن الأخلاق التى حث عليها الدين تنحصر فى نوعين : الأخلاق الحسية ، والأخلاق المعنوية . أما الأولى فهى تتناول الظاهر وتجمل من الرجل الذى يتمسك بها رجلاً فاضلاً محترماً . وإلى هذا النوع من الأخلاق يميل المصلحون ، وعلى ممارسته يحثون. على أن المسلمين فى الحقيقة لم يترددوا فى هذا الدرك الأسفل من الذل ، لأن بعضهم يشرب الخمر أو يفسق أو يقامر ، وإنا لنرى أكثر الأمم المتسلطة علينا غارقة فى خمرها وفسقها وقمارها . . . فلم يضرها ذلك شيئاً . أما الجانب الأكثر خطراً فى الأخلاق ، فهو الجانب المعنوى الذى تقاس به حيوية الأمم . ولعل هذا الجانب هو ما قصد إليه المستشرق ، لأنه وجد أخلاقنا المعنوية ، ومقاييسنا الروحية هزيلة جداً : فتاجرنا مثلاً يثرى بالخيانة والحيلة ، وفقيهنا يرنع بالـكذب ، ومصلحنا يقصد جيبه قبل أن يقصد ربه . ومثل هذا الجانب هو ما ينبغى للمصلحين أن يعالجوه ! وقد عرف رجال الدين كيف نعت الرسول (ص) الـكفر بالشرك الأكبر والرياء

(١) وهو الأستاذ الطرابلسى الشيخ على شيخ العرب

فى الأخلاق بإشراك الأصفر. ومن ذا الذى لا يذكر ذلك الأعرابى الذى قدم على الرسول والرذائل حشو ثيابه، فقال له: إنه لا يستطيع أن يقعد عن الخمر، وعن الفسق، وعن القمار. فما عالجه الرسول الحكيم إلا من الناحية المعنوية التى تقوى الشخصية وتنق النفس قال له:

— لا تكذب، وافعل بعد هذا كل شىء!

لكن الأعرابى بعد يومين ترك كل رذيلة.

وها هنا روعة الفهم وروعة الحكمة!

ولكن كيف يعمل مصلحون يتاجرون بالأخلاق الحسية على حساب الأخلاق المعنوية؟

إلتفت المستشرق إلى محدثى وسأله عن المسألة الثانية:

— وما هو الفارق بين الشرقيين والغربيين؟

فاعتذر صاحبى بأنه لا يعرف الغرب معرفة صحيحة، كما اعتذر الشيخ محمد عبده حين سأله الفيلسوف سبنسر عن أخلاق الإنجليز فأجاب المستشرق:

— إن الشرقى كفرد له قيمته وطيبة قلبه، بعكس الغربى الذى فسدت ذاتيته، وتعطلت محاسن نفسه. ولكن الشرق حين يندمج ويتكتل مع غيره لا يلد إلا كتلة فاسدة متفسخة، يسوقها الطمع، وتقتلها الأنانية. بعكس الكتلة الغربية التى يسودها النظام، وتذوب فيها المصالح الفردية. ولهذا يرجع سر نجاح الجمعية الغربية، وفشل الجمعية الشرقية!

ولقد أصاب المستشرق الهدف إلى حد بعيد، لأن تربية الشرق تربية ذاتية أنانية تدور حول نفسها، لا تعمل الخير ولا تطلب الإحسان فى العمل إلا إذا عملت لنفسها. بينا تربية الغربى تكاد تصبح تربية جماعية اجتماعية، كأنما أدركت هذه التربية قول الرسول (ص): يد الله مع الجماعة.

ولكن ما عسى يقول هذا المستشرق لو عرف أن الشرق الذى كان يعرفه قد مات، وأن الشرق اليوم قد أضاع طيبة القلب وأمانة النفس كفرد، وبهذا أصبح لا يصلح للحياة كفرد فى نفسه ولا فى مجتمعه!

وهنا افترقا...

***

لكن القدر هيأ لهما اجتماعاً ثانياً بعد أربعة أعوام فى مدينة المستشرق — هامبورج — فاستقبل المستشرق صاحبنا وأحله فى مثواه، لأنه عربى له عليه حق الضيافة. وفى اليوم الثانى عرَّج به إلى الجامعة، وقدمه إلى رئيسها، وهو شيخ مفكر، لكنه غير محلول اللسان

قال الرئيس لمحدثى بالعربية:

— كيف رأيت بلادنا؟

— البلاد جميلة!

— جميلة! الظواهر جميلة فى انتظام، أما البواطن ففى انقلاب! ولكن إذا حكم الإنسان العقل أدرك الأمور بحقائقها

فالتفت محدثى إلى الرئيس وقال:

— على ذكر العقل وإدراكه للحقائق، أود أن أذكر هذه الفقرة من كتاب مخطوط قرأته فى مكتبة — أيا صوفيا — وهو فى التصوف، واسمه «نور الأبصار» لمؤلفه الشيخ بهاء الدين اليانيلى من منطقة الألبان (صدر فى سنة ١١٦٠ هـ). قال عن الشيخ العارف الأكبر السيد محى الدين بن عربى: «ما عرفت رجلاً عرف الله عن طريق العقل مثل أفلاطون... وأفلاطون فيلسوف يونانى تفتحت له الحكمة، وانزاحت عن عينيه الحجب. وقد أوصى بأن ينقش على قبره: «الحكمة سلم العالم الأعلى، من علمها فقد علم القرب إلى بارئه، من تدبر نظر، ومن نظر عرف، ومن عرف عمل، ومن عمل انفتح ذهنه وعقله، ومن انفتح ذهنه وعقله صفت نفسه، ومن صفت نفسه وصل إلى خالقه بدون واسطة!»

وهنا طلب الرئيس إلى محدثى اسم الكتاب واسم مصنفه ومكانه. وطلب إلى أستاذ فى الجامعة أن يسافر لغده إلى — الدار العلية — لاستنساخ الكتاب. ويضيف محدثى إلى ما قاله: وبعد شهرين علمت من قيم المكتبة أن أستاذاً ألمانياً نقل الكتاب، وأعطى القيم مكافأة حسنة...

خليل هنداوى

يا رســـــول الله !

لأستاذ جليـــل

إن الدهر قد جار على قوم عرب ! ! !

روى المسعودى فى (التنبيه والإشراف) أخبار طائفة من الأفدية بين العرب والروم ، منها خبر هذا الفداء :

« الفداء الأول فداء أبى سليم ، كان أول فداء جرى فى أيام ولد العباس فى خلافة الرشيد باللامس[1] من ساحل البحر الرومى على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس[2] سنة ١٨٩ — والملك على الروم نقفور — وذلك على يد القاسم بن الرشيد وباسمه ، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنّسرين من أعمال الحلب . حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولى له بناء طرسوس فى سنة ١٧١ للهجرة ، وسالم البربرى مولى بنى العباس فى ثلاثين ألفاً من المرتزقة ، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار نحو من خمس مئة ألف ، (وقيل أكثر من ذلك) بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة . قد أخذوا السهل والجبل ، وضاق بهم الفضاء . وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى ، ومعهم أسارى المسلمين وكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوماً — ثلاثة آلاف وسبع مئة — (وقيل أكثر من ذلك) . والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التى وقع الفداء فيها وبعدها » .

وذكر المسعودى فى ذلك الكتاب هذا الخبر :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية فغير ذلك نقفور[3] ، وكتب (ملك الروم) ، وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب

(١) اللامس : قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس ، كان فيها الفزاة بين المسلمين والروم . يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم والمسلمون فى البر ، وتقم الفزاة (معجم البلدان)

(٢) طرسوس مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون ، جاءها غازياً فأدركته منيته (معجم البلدان)

(٣) فى تاريخ الطبرى : الروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان . وفى التنبيه والاشراف : قيل : بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا فى أرض الروم من بلاد الجزيرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وأنكر على الروم تسميتهم العرب : (ساراقينوس) تفسير ذلك عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها اسمعيل . وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت ـ يعنى سنة ٣٤٥ ـ تسمى العرب ساراقينوس » .

* * *

قرأت ما روى المؤرخ المسعودى فرددت :

تذكرتُ والذكرى تهيج لذى الهوى
ومن حاجة المحزون أن يتذكرا[1] !

وخط القلم هذا المكتوب : أقمنا وجيراننا الروم — بضعة قرون — نتغاور ونتمارك ونتناحر : تصبح أجنادنا وبعوثنا : (الصوائف ، والشواتى ، والربيعيات) دروبهم ومدائنهم وتمسيها

لما حللتَ الثغر أصبح عالياً
للروم من ذاك الجوار جوار[2]

أبقت بنى الأصفر المراض كاسمهم
صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب[3]

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول[4]

وكيف ترجّى الروم والروس هدمها
وذا الطعن آساس لها ودعائم[5]

وتطلع على ربوعنا والعواصم[6] بنودُ الروم[7] يقاتلون مستبسلين .

كنا نتحارب ، وكنا نتهادن ، ونفادى أسرانا عندهم ، ويفادون أسارام عندنا والحرب سجال

وكان تنابز بالألقاب ، فكنا نقول لذوى القرون[8] : يا أعلاج يا علوج !

ويقولون لنا ساخرين : سراقينوس ! .

فلما وهنوا ووهنا وهلكوا وهلكنا أقبل قبيل كنا هدبناه

(١) النابغة الجعدى فى مثوبة فى الجمهرة ومطلعها :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

(٢) أبو تمام فى أبى سعيد الثغرى (جوار) جؤار ، وقد خفف الذى ولع حبيب به ...

(٣) أبو تمام فى المعتصم فى فتح عمورية وفى هذه القصيدة الخالدة يقول :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت منك المنى حفلا معسولة الحلب
جرى لها الفال برحا يوم أنقرة إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

قال المسعودي : خرج المعتصم إلى أرض الروم غازيا فافتتح انقرة ومدينة عمورية فى شهر رمضان سنة ٢٢٣ .

(٤) ، (٥) المتنبي فى سيف الدولة

(٦) العواصم : قلاع وحصون وبلاد قصبتها إنطاكية

(٧) البنود أعلام الروم تحت كل بند عشرة آلاف

(٨) خريج إلى بلاد ذات القرون ، وهم الروم لطول ذوائبهم (الأساس)

وعلمناه وهذبناه ومدناه — كما مدنا سواه[١] — وقربناه ، وإن شئت فقل : أنشأناه خلقاً آخر ، وما كان بمد من الناس ، وامتلك دار الروم و « رب ساع لقاعد » . وقد كافأنا لئيم شر مكافأة :

جزتنا بنو (مُغل) بحسن فعالنا جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب !

خرب لنا حضارة فى مصر ، ونهب الناهب كنوزنا ، وتمالأ هو والإفرنجى علينا فى هذا الوقت ، وابتزّ المختلس الظالم حقاً هولنا

فإن الماء ماء أبي وجدى وبئرى ذو حفرت وذو طويت !

وضام — غير راحم ولا كريم — فى الربع المحروب كل عربى نصرانى أو حنيف ! وشرّد العرب البائسين فى البلاد تشريداً ! وحقر لوغادته لغة (الكتاب) المبين — الله أكبر ، الله أكبر ! — وهى التى كوّنت لسانه ؛ فنطق الأعجم مثل الناطقين

ألا إن المربيين لمستأهلون[٢] — بما شقوا ليسعد غيرهم — أن يقول لهم الروم : « سراقينوس » مستهزئين وشامتين

***

يا محمد ! يا محمد !

لقد ضامنا فى هذا الزمان الإفرنجى والترك حتى ذاك الذى ضربت عليه الذلة — جهلاً بك يا منيّةُ جيهلْ — وكان ضعفنا ولؤمنا وتعادينا وصَدَعاتنا[١] وغضبك علينا ، غضبك على الخلْف الخالف من أجل ذلك — أقوى معين للضائمين !

فإن لم تمنّ على المنتمين إلى عربية (قرآنك) العربى بشىء من عطف ورضا هلك — يا سيدى أبا القاسم — أتباعك ، خدام (كتابك) خدام (لسانك) خدامك — فى الهالكين

ياسيِّد الوجود يا رسول الله! يا أبا بكر الصديق! ياعمر الفاروق! ياذا النورين ! يا أبا الحسنين ! إن الدهر قد جار على قوم عرب !

(...)

(١) نحن الحفاة والعراة ورعاة الابل ، نحن الذين بلغوا الرسالة ، رسالة محمد ، رسالة الحق والعدل والتفكير والحرية والمساواة ، وهدوا الناس ومدنوا أوربة . قال صاحب كتاب La civilisation des Arabe فى ختام كتابه فى الصفحة ٦٧٧ :

Au point de vue intellectuel et moral ils ont civilisé l'Europe

(٢) اللسان: الأزهرى : خطأ بعضهم قول من يقول فلان يستأهل = أن يكرم أو يهان بمعنى يستحق ، وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله واستحسن الزمخشرى الكلمة استحسان الأزهرى

(١) الصدعات : التفرق فى الرأى والهوى . وفى الأساس : أصلحوا ما فيكم من الصدعات .

إلى صديقي ...

حول زيارة لضريح ابن عربي

للأستاذ صديق شيبوب

هنيئاً لك يا أخي تنقلك بين مصايف لبنان المرتفعة منها والمنخفضة، بين الجبال الشاهقة والأودية السحيقة، بعيداً عما نعانيه من حر مضن ورطوبة قاتلة ونزلة وافدة. ولعلك بعد أن تتم طوافك في لبنان لا تنسي أن تزور دمشق لأنه لا بد لكل من يصطاف بلبنان من أن ينتهي بزيارة الفيحاء، أو كما قال شاعرنا العربي

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

ولدمشق سحر خاص تتميز به عن غيرها من البلدان العربية الكبرى. ولا أصف لك الحدائق الغناء التي تحيط بها، وهي نفحة من نفحات الجنان، ولا الآثار البديعة القائمة فيها وبعضها من الروعة بمكان. فإنك ستزورها وستشهد هذا جميعه وتعجب به

وزائرو دمشق يكتفون عادة من آثارها بالجامع الأموي ودار المجمع العلمي والمكتبة وبعض القصور القديمة وبعض المصانع الوطنية؛ وقليل منهم من يفكر في زيارة ضريح الشيخ محي الدين ابن عربي، أو يفطن إلى أن « بحر المعارف الإلهية، وترجمان العلوم الربانية، الشيخ الأكبر، والقطب الأنخر » كما يلقبه الشيخ عبد الغني النابلسي، مدفون فيها

ولقد زرت دمشق أكثر من مرة، وكنت في كل مرة أتردد على الأماكن التي تعود الناس زيارتها. ولم أفطن مرة إلى ضريح « الشيخ الأكبر » كما يلقب علماء الصوفية ابن العربي بالرغم من أني ركبت أكثر من مرة (تراماً) يعرف خطه باسم « الشيخ محي الدين » في غدوي ورواحي إلى حي الصالحية حيث كنت أقيم

ولم يخطر ببالي في زيارتي الأولى أن أسأل من هو محي الدين هذا. ولا أخفي عنك أني لو سألت يومئذ عنه وقيل لي إنه ابن العربي لما نبه في ذهني خاطراً بعيداً، أو بعث في نفسي شوقاً مزيداً إلى زيارة ضريحه، لأني لم أكن أعرف عنه أكثر من أنه إمام من أئمة الصوفية وأنه صاحب هذه الأبيات الجميلة التي كنت أحفظها من غير أن ألتفت إلى مبناها الصوفي وهي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لنيران ومعبد طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت ... ركائبه، فالحب ديني وإيماني

ولم أكن أعرف ابن العربي، كما وصفه الشيخ صفي الدين ابن أبي منصور في تعابير صوفية رائقة، فقال إنه « الشيخ الإمام المحقق، رأس أجلاء العارفين والمقربين، صاحب الإشارات الملكوتية، والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية، والفتح الموثق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، والمحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس، والمورد العذب في مناهل الوصل، والطول الأعلى في معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية، والباع الطويل في التصريف في أحكام الولاية. وهو أحد أركان هذا الطريق »

أو كما وصفه الذهبي: « وله توسيع في الكلام، وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق في التصوف، وتآليف جمة في العرفان. ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس. ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته »

أو كما وصفه السدي: « كان ابن العربي ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، خاض بحار تلك العبادات، وتحقق بمحيا تلك الإشارات، وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والإقدام، ومواقف الغايات في مزالق الأقدام »

أو كما قال أيضاً: « وكان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق »

أجل لم أكن أعرف هذا جميعه عن ابن العربي، بل لم أكن أعرف كثيراً أو قليلاً عن أئمة المتصوفين لأني وصلت إلى دراسة

التصوف متأخراً ... بل إنى لم أكن أتذوق كما يجب أشعار ابن الفارض لأنى لم أكن أفطن إلى كل معانيها الصوفية .

وأذكر اليوم فى شىء من الخزى أن كبيرة أديباتنا العربيات زارت منذ سنين ضريح ابن الفارض بالقاهرة بسفح المقطم، أو كما قال حفيده الشيخ على فى ديوانه المعروف «بالقرافة تحت ذيل العارض» ثم كتبت عنه مقالاً كله إطراء وثناء ؛ وكان أن لقيتها بعد ذلك بالأسكندرية حيث كانت تصطاف وقلت لها : إنى لا أشاطرها إعجابها به . فأجابتنى بأنه يجب أن أحاول فهم شعر ابن الفارض من الناحية الصوفية قبل أن أتحدث عنه كشاعر

ولعل هذا كان أول حافز لى لدرس الصوفية على قدر اجتهادى

ولا شك أن لابن الفارض مكانة خاصة فى شعرنا العربى لأنه يكاد يكون الوحيد الذى عالج شعر الصوفية على النحو الذى نحاه شعراء الفرس والترك الصوفيون المبتدعون أمثال العطار وجلال الدين الرومى وسعدى وحافظ . ولا يدانيه فى هذا الباب غير ابن العربى ، وإن يكن قد قصر عنه . فابن الفارض إذن فارس هذه الحلبة فى لغتنا العربية وبطلها الفرد ، وقد قال فيه نيكلسون : « إن أشعار ابن الفارض غاية فى اللطف » . ولا أذكر الآن من قال فى وصف ديوانه إنه «معجزة فى عالم الأدب»

والصوفية فى شعر ابن الفارض مراتب من حيث الوضوح والغموض . ولعل « خمريته » تحسب وسطاً بين شعره الغنائى الغزلى وبين « التائية الكبرى » المعروفة بنظم السلوك

وهل أروى لك للدلالة على تشعب معانى هذه القصيدة الأخيرة ما ذكروا من أن أحدهم قصد ابن الفارض يستأذنه فى شرحها ، فسأله عن مقدار الشرح ، فقال : إنه سيقع فى مجلدين . فضحك الشاعر الصوفى وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين تفسيراً لكل بيت فيها »

على أن القريزى ذكر فى ترجمة عمر بن الفارض أن محيى الدين ابن العربى بعث إليه فى شرح التائية الكبرى فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » إشارة إلى كتاب ابن العربى « الفتوحات المكية » الذى جمع فيه شتات العلوم الصوفية فى خمسمائة وستين باباً

وبين ابن العربى وابن الفارض بعض الشبه . كانا متعاصرين فكلاهما من رجال القرن السابع للهجرة ، أى القرن الثالث عشر للمسيح ، فقد توفى ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وتوفى ابن العربى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) . وكان ابن الفارض يصاب بدورة إغماء وغيبوبة فإذا أفاق منها أملى أشعاره ؛ وكان ابن العربى يعتقد أن ما يكتبه يتحول إليه بطريق الوحى فى حالة الغيبوبة والمجاهدة . وكلاهما من أئمة الصوفية ، ولكن بينما هى غامضة بعض الغموض عند ابن الفارض لأنه يرمز إليها فى صور شعرية، نجدها واضحة عند ابن العربى لأنه يبحثها نثراً . وكان ابن الفارض ينظم غزلاً يرمز به إلى الله فى غير حبيب مجهول ، ويكثر فيه من أنواع البديع بينما نجد ابن العربى ينظم شعره من غير أن يتعمد أنواع البديع فى فتاة مكية

أما من حيث المحسنات البديعية فلعل الفرق ناجم عن المحيط الذى نشأ فيه كل واحد من الشاعرين . فقد ولد ابن الفارض فى القاهرة ونشأ فى محيط شرقى فاكتسب شعره المميزات التى كانت بارزة فى بيئته بين معاصريه . أما ابن العربى فقد ولد بمرسية (فى ١٧ رمضان سنة ٦٥٠ هـ . أى ٢٨ يوليو سنة ١١٦٥ م .) ونشأ وتأدب فى بلدان الأندلس بين أشبيلية وسبتة ، وقد استقر فى الأولى ما يقارب الثلاثين عاماً ، ولم ينزح إلى المشرق إلا عندما شارف الأربعين سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ — ١٢٠٢) فاكتسب شعره مميزات مواطنيه ، وكانوا أقل عناية بالمحسنات اللفظية من شعراء مصر والشام والعراق

أما معشوقته ففتاة مكية تسمى « نظاماً » وتعرف بلقب « عين الشمس » . وكان والدها من علماء فارس الذين نزحوا من بلادهم وأقاموا فى مكة . وكانت لما عرفها ابن العربى فى الرابعة عشرة من عمرها على كثير من العلم والمعرفة ، بليغة الخطابة ، جيدة الكلام ، بارعة الجمال . وقد لقيها أثناء إقامته بمكة عام ٥٩٨ أى غب رحلته من بلاد الأندلس. ثم نأى عن مكة زمناً حتى إذا عاد إليها سنة ٦١١ نظم فيها بعض القصائد فوصف جمالها الفتان وعلمها الواسع وذكر ما كان بينه وبينها من حب . ثم رأى بعد ذلك

أن يتبع هذا الديوان الصغير بشرح صوفى

***

بعد بنا هذا جيمه عن ضريح ابن العربي وزيارته

وهنا يجب أن أذكر شيخنا التفتازانى رحمه الله . سألته مرة أين قبر ابن العربى؟ فقال بأسلوبه العذب الذى تذكره : كيف لا تعرف ضريح ابن العربى ؟ وكيف تزور دمشق ولا تزوره ؟ إنه فيها بعد « الجسر » وتصل إليه بخط ترام معروف باسمه « الشيخ محيى الدين » . ألم تقرأ فى الشعرانى قوله : « وقبر ابن عربي(١) فى الشام ، وقد بنيت عليه قبة عظيمة وتكية وفيها طعام وخيرات » قلت ولكنى أعرف أنه توفى بدمشق ولكنه نقل إلى جبل قاسيون ودفن بسفحه . قال : وقاسيون هو الجبل المطل على دمشق والذى بنيت فى سفحه فى شكل مدرج المدينة الجديدة والحى الذى يعرفونه اليوم باسم المهاجرين

وكان أنى زرت دمشق بعد ذلك ولآخر مرة فى صيف سنة ١٩٣٥ ، وأقمت فيها أياماً ضيفاً على أحد أقاربى ، ولما كان يقيم بالصالحية ، وهى فى أول مرقى الجبل قبل المهاجرين ، كنا نركب الترام فى الغدو والرواح . وهناك خطان أحدهما يعرف باسم « المهاجرين » ، والآخر باسم « الشيخ محيى الدين » . والحق أنى كنت نسيت ابن العربى ووصية الشيخ التفتازانى . وساقنى الفضول مرة فسألت قريبى من يكون الشيخ محيى الدين هذا . فقال : إنه عالم صوفى يعرف بابن العربى ، وأن له ضريحاً ومسجداً فى آخر خط الترام فدعوه باسمه . وهنا تذكرت الماضى وقلت : أجل يجب أن نزوره

وبعد ظهر ذلك اليوم أقلتنا عربة أخذت ترقى بنا الجبل حتى وصلنا إلى حيث المسجد بعد أن اجتزنا حياً وسوقاً تختلف أبنيتهما جدة وقدماً ، وأكثرها قديم . وكان جماعة من الفقراء يزدحمون بباب المسجد ؛ فإذا تجاوزت الباب استقبلك بهو واسع تتوسطه بركة ماء كبيرة ، وفى آخر البهو إلى الشمال الضريح ، وهى غرفة حسنة الاتساع طفت بها فإذا على حائطها كثير من الشعر المنقوش على رخام قائم فى الحائط . وحاولت أن أقرأ بعض الشعر فوجدته باللغة التركية . وقبل أن أستطيع الإلمام ببقيته تقدم إلينا شيخ وقال : قد أزفت صلاة العصر فهلما نصلى ثم تتابعان زيارتكما بعد ذلك

ولا أذكر الآن كيف تخلصت من الشيخ ودعوته إلى الصلاة، ولكنى وجدت وقتئذ أننا فى موقف حرج لأنى أجهل ماذا يكون شعوره لو عرف أننا مسيحيان . وأشرت إلى صاحبى أن من الخير أن نغادر المكان على أن نعود فى فرصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه ، فخرجنا . ولم تتح لى فرصة أخرى للعودة

***

كانت العربة تهبط من الجبل ، ونحن نستشرف تارة الحقول المنبسطة ، وأخرى دمشق بقبابها اللامعة ومآذنها العالية تتخللها الأشجار الباسقة وتكتنفها الرياض والبساتين ، ونستجلى هذا المنتشر فى الأفق الحانى والطبيعة الساهمة والمدينة المنبسطة . وكنت لا أزل تحت تأثير زيارة الضريح أفكر فى الأندلسى الذى طاف البلاد العربية فكان فى كل مكان يحله كأنه بين أهله وإخوانه يتقرب إليه الناس ويجرى عليه الحكام الأرزاق فيوزعها على الفقراء والمعوزين . أليس دينه الحب كما قال فى أبياته التى ذكرها .

وهذا الجمال الذى نشرف عليه ونستجليه فى هذه المناظر الخلابة ، أليس من صنع الله ، وما دام من صنعه فهل هو قائم فيه حقاً . وهل صحيح ما قاله ابن العربى « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » أو ما نظمه شعراً :

يا خالق الأشياء فى نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه فيك فأنت الضيق الواسع

وذكرت هذه الفلسفة الشمولية التى نادى بها العربى والقائمة على مذهب وحدة الوجود . ولا عجب فقد كنت « مسافراً » على حد تعبير ابن العربى الذى قال إن « السفر » عبارة عن القلب إذا أخذ فى التوجه إلى الحق تعالى . ولاشىء أدعى إلى هذا التوجه مثل التأمل بجمال الطبيعة .

(١) كانوا فى الغرب يلقبون الشيخ محيى الدين بابن « العربى » لأنه كان من أصل عربى قح ينتسب إلى حاتم الطائى ، وعند ما نزح إلى الشرق عرفوه فيه بابن « عربى » من غير أداة التعريف ، تمييزاً له من القاضى أبى بكر بن العربى

وفهمت وقتئذ كيف شذ ابن العربي عن أشياع نظرية وحدة الوجود المادية فتوجه بها إلى عبادة الخالق والشعور بالافتقار إليه تعالى ، وهي عبادة الضعيف للقوى والفقير للغنى . وفهمت كيف أنه بالرغم من شعوره الديني الإسلامي العميق قال بوحدة الأديان لأنها جميعاً تدعو إلى عبادة الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات

والحق أنني اليوم وأنا أكتب إليك بين جدران حجرتي أجد من الصعب أن أذكر كل هذه الخواطر التي مرت بذهني بينما كنت أنحدر من جبل « قاسيون » إلى دمشق .

***

وبعد فإني أرجو ألا تجد في هذه الرسالة صورة كاملة لابن العربي ، ولكنها خواطر جالت بفكري عند ما أردت أن أنبهك إلى ضرورة زيارة ضريحه . وأنت تجد أني لم أحدثك عن حياته وآرائه ومؤلفاته وما قام حول مذهبه من جدل حمل بعضهم على رميه بالكفر وما كان من أثره بين أهل الشرق والغرب وخاصة ما وجده المستشرق الإسباني « ميجل اسين » من شبه بينه وبين « دانتي » فألف كتاباً قرر فيه أن الشاعر الإيطالي أخذ كثيراً عن التصوف العربي وتأثر به في نظم قصيدته الخالدة « الكوميديا الإلهية » أو كما قال البحاثة الإنكليزي « ألفريد جيوم » إن ابن العربي كان من الذين « أخرجوا للناس النماذج المدهشة الأولى للكوميديا الإلهية »

على أنني لا أريد أن أختم رسالتي إليك قبل أن أروى لك قصة ذات دلالة كبيرة على طريقة هؤلاء الصوفيين ومنازعهم الفكرية والتأملية . فقد رووا أن ابن العربي اجتمع بالشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام . فقيل لابن العربي ما تقول في السهروردي ؟ فقال : « مملوء سنة من قرنه إلى قدمه » وقيل للسهروردي ما تقول في الشيخ محيي الدين ؟ فأجاب: « بحر حقائق »

ولعلك تكون يا أخي أكثر توفيقاً مني عند زيارة ضريح ابن العربي وأعمق شعوراً بما يطوف بك من جمال .

(الأسكندرية) صديق شيبوب

بطـــــاقة ...

للدكتور محمد ناجي

بطاقة تحمل على صدرها اسم صاحبها مجرداً من أي لقب ، وخلوا من أي عنوان أو رقم تلفون ؛ وكأني به لا يحمل لقباً ، ولا يعرف لنفسه عنواناً ، ولا يملك رقم تلفون ، ولم يمن الله عليه إلا ببضعة قروش ثمن بطاقته

مرت تلك البطاقة على ناظري ، ثم جالت بخاطري ، حتى شغلتني عن أمري ، فعجبت لها أيما عجب !

بطاقة فريدة في نظمها ، عجيبة في نثرها ، قليلة في لفظها ، فخرت في أمرها ، وضاق بي تفسيرها ، ولم أدر ما شأنها ومن يكون حاملها ؟

إنها تخالف بطاقات العصر ، هي في واد والعصر في واد . بطاقات العصر تحمل من الألقاب والعنوانات والأرقام ما ليس لها ومالها، كأن الشيطان أوحى لها، حتى لا تدع موضعاً للقب جديد، أو زيادة لمستزيد ...

فمن يكون هذا الذي يخالف العصر في بطاقاته، ويبز أبا العجب في نزعاته ؟ إنه محمد طلعت حرب . ذلك الرجل المتواضع حتى في بطاقته ، ولو شاء أن يسطر اسمه وألقابه وعنواناته وتلفوناته لكانت بطاقته كتاباً

إن بطاقته تحمل في نفسها أدب الإعلان عن النفس ، إنها لحكمة بالغة ، تسيطر على الحس والنظر والفؤاد ، إذ لها في كل قلب مستقر وفي كل واد أثر . هذه هي البطاقة التي بزت الزمن وعلمت المصري ما لم يكن يعلم . إنها تذكرة القدر ، وإنها لإحدى العبر ، فطوبى لمن قرأ وادكر ، وعرف قدر نفسه واعتبر ...

محمد ناجي
عضو القومسيون الطبي العام

عقيدة الزعامة في النازية

للدكتور جواد علي

لا تفهم وجهة نظر الوطنية الاشتراكية للعالم إلا إذا اطلع المرء على عقيدة الزعامة Füherrers chaft التي هي الأصل الأول من أصول المذهب النازي والعمود الذي ترتكز عليه جميع تعاليم الحزب ونظرياته . فلا تتساهل المؤسسات المتـارية أبداً أمام المتساهل بهذه العقيدة أو الكافر بها . لذلك سخرت جميع ما تمتلكه من وسائل في سبيل تأييدها وحض الناس على الاعتقاد بها . وطهرت السياسة والعلم والفن والصناعة — على حد تعبير الوطنية الاشتراكية — من جميع الأدران التي تراها تصطدم مع هذا الإيمان المطلق . ولم تتساهل حتى مع أكبر الأساتذة الذين لم تجد منهم ميلاً أو تأييداً في القول أو الفعل

وعقيدة الزعامة هذه تنحصر في زعامتين : الزعامة الفردية ، والزعامة العنصرية ، أو الأممية . ومتى عرفت هاتين الزعامتين انضح لك سبب تهجم هتلر على الماركسية والماسونية واليهودية ، وكل فكرة أو نظرية علمية أممية . أما الزعامة الفردية فتستند إلى قاعدة أن الأفراد ليسوا في الاستعداد على حد سواء . وكذلك في المؤهلات العقلية والإنتاجية . فهنالك درجات كل درجة أرقى من التي تحتها ؛ وهكذا ترتقي الدرجات حتى تصل إلى درجة زعيم فوهرر Führer ، وهوزعيم الزعماء، إذ أن كل فرد بالنظر إلى من هو أدنى منه عقلاً أو جسماً أو أضعف منه إرادة زعيم مفترض الطاعة. وعلى حسب هذه الدرجات تتوزع كذلك المسئولية والوظيفة والواجب . وهذه المواهب والقابليات موهوبة فطرية لا تكتسب بعلم ولا يحصل عليها بتهذيب أو درس Angeboren[1] . والزعيم الأكبر الذي يتولى قيادة الشعب العامة هو الذي يكيف الشعب حسب إرادته وروحه Geist und wille ويضع الخطط العامة . ولا بد لهذا الزعيم من مؤهلات روحية تميزه عن أفراد شعبه ، وقوى خارقة ممتازة من أهم صفاتها الإرادة والشجاعة والخيال والتفكير والخطابة والقدرة السياسية والتضحية والإنتاج[1]

هذه الصفات كما ذكرنا فطرية مجبولة في الشخص ، فالزعيم يولد زعيماً وتظهر عليه المؤهلات ، ولكي تنمو فيه هذه المؤهلات وتينع وتمنع من الانحطاط لابد من العناية بتربية الأفراد خصوصاً الطبقة الصالحة منها للقيادة التي تمتاز بميزات جسمية كطول القامة والاتزان وحدة النظر مع الهدوء وتحمل المشقات؛ ولا يسمح لذلك بالزواج إلا بعد الفحص الطبي والتحقق من سلامة الزوج والزوجة من الأمراض الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية كالإدمان على الشرب واللصوصية وغيرها . وهنالك مدارس صارمة للزعامة يدخلها من يريد الانخراط في سلك الزعماء على اختلاف درجاته لها أنظمة شديدة ، ومن هذه الطبقة تنشأ طبقة خاصة هي طبقة الأشراف، أشراف المستقبل الذين يقودون الجيل الجديد على طريقة فرسان الجرمان القدماء[2]

أما الزعامة العنصرية أو الأممية فتتلخص في أن الأمم ليست متساوية كذلك في القابليات والإنتاج؛ وهي فطرية كذلك كما هي في الأفراد. والشعوب الآرية في نظر الوطنية الاشتراكية هي الشعوب المنتجة وحدها، وكل حضارة في العالم أو مدنية هي من صنعة هذا الجنس ، وهذا ما يدعو طبعاً إلى قلب التاريخ ظهراً على عقب وإلى كتابة تاريخ عالمي جديد . لذلك حاربت النظرية المادية في التاريخ وهي نظرية كارل ماركس Karl Marx وزميله أنكلز Fr. Engels و A Bebel ببيل وهي النظرية المعروفة بـ Äkonomische Materialismus القائلة بأن التاريخ أو التطور البشري نتيجة من نتائج التطور الاقتصادي ، وكذلك نظرية Oswald Spengler الناصة على وجود حضارات بشرية مختلفة ، فهنا لك حضارة بابلية وهناك حضارة مصرية، وهناك حضارة صينية، وهنا لك حضارة عربية . كما أن هناك حضارة ألمانية أو حضارة انكليزية ، ولكل حضارة من هذه الحضارات نفسية خاصة (أنظر كتابه المشهور سقوط الغرب) وكذلك نظريات الكتاب الأحرار الذين يرون

---

(١) أنظر كتاب Helmut Nicolai, Der Staat im Nationalsozialistischen Weltbild ص ٣٧.

---

(١) أنظر لزيادة الاطلاع كتاب كفاحي Mein Kampf ص ٦٥٠ وكذلك ص ٦٦١ ص ٨٩ وغيرها Hitlers Wollen, Werner Siebarth ص٢٦٤ و٢٦٧ Dietrich Klagges, Geschichts Unterricht ص١٤٢ A. Rosenberg. Der mythus ١٩٣٠ في مختلف فصوله

(٢) لقد جمع الوزير والتر داريه Walter Darre في كتابه Neuodd aus Blut Und Boden جميع الآراء الجديدة حول إنشاء هذا الجيل الجديد .

العالم ككتلة واحدة والمبادئ التي نشأت من الثورة الفرنسية

إن فكرة الزعامة المنصرية هذه ليست فكرة هتلر بمعنى أنه هو الذي ابتدعها وكوّنها ، بل هي فكرة عالية قديمة كانت لدى اليونان إذ كانوا يحتقرون الشعوب الأخرى ولا يعترفون لها بالإنتاج؛ وكانت كذلك لدى الرومان والعرب، وظهرت في العصر الإسلامي باسم الشعوبية وهي حركة كانت ضد العرب؛ وكانت لدى الأمم الأخرى، والحركة المعادية للسامية قديمة أيضاً حتى أن لوثر المصلح الديني العظيم في ألمانيا كان من الذين يكرهون اليهود . ولكن تلك الفكرة لم تطبع بالطابع العلمي وتصبح عقيدة كما أصبحت في ألمانيا اليوم . وأشهر الذين نادوا بالزعامة المنصرية قبل هتلر هم الألماني Klemm (١٨٠٢ — ١٨٦٧) الذي بحث عن الشعوب الفعالة وانتشارها على الكرة الأرضية واعتقد بأن الشعوب المندو آرية هي الشعوب المنتجة وحدها . وكذلك الفرنسي الشهير Graf Gobineau كراف كوبينو (١٨١٦ — ١٨٨٢) في كتابه Essai sur L'inégalité des races humaines وقد توصل إلى نتيجة تفوّق العنصر الجرماني على جميع العناصر؛ ثم الكاتب الفيلسوف الشهير هوستن شامبرلن Houston Stewart Chamberlin (١٨٥٥ — ١٩٢٨) في كتابه Grumdlagen des 19 Iahrhunderts وهو إنكليزي الأصل ألماني الثقافة صديق الموسيقي الشهير ريشارد واكنر المعروف بكرهه لليهود أيضاً. وكان شامبرلن هذا يكره اليهود وحاول في كتابه بعث ألمانيا من جديد إثبات أن العنصر السامي هو عنصر غير منتج. ولأفكاره أعظم أثر في شخصية هتلر وآرائه. وقد زاره مراراً، وتعتبر كتبه من أهم الكتب التي كونت الوطنية الاشتراكية بجنب كتاب كفاحي Mein Kampf ويرى من خلال دراسته المصبوغة بطابعه الجرماني الخاص أن الشعب الجرماني وحده له حق القيادة والزعامة إذ هو الشعب المنتج على الإطلاق، وأن اليهودية والشعوب السامية لم تنتج شيئاً وما أنتجته هو نتيجة العقلية الآرية فقط

كانت فكرة المنصرية قد توسعت منذ عهد بسمارك إذ أطلقت لليهود، لأسباب سياسية، الحرية المدنية وسمح لهم بالتوظف في الدولة من دون قيد ولا شرط . فازداد بذلك العداء وتوسعت الفكرة المنصرية ولا سيما بعد الحرب العظمى، وظهر مختلف الكتاب الذين شنوا الغارة على اليهود كالأستاذ أدولف بارتلز المشهور بكتابه « تاريخ الأدب الألماني » على الطريقة المنصرية ، والبروفسور لدويك شيمان Prof. Luduig Schemann والبروفسور كنتر Prof. Hans Güntter وغيرهم ، وأخذوا في دراسة المنصرية من جميع أوجهها متخذين للموضوع قواعد وأسسا وأدوات ، وقد ساعدتهم الوطنية الاشتراكية طبعاً بكل قواها ، وأسست معاهد للمنصرية في الجامعات والمستشفيات وجميع المؤسسات الشعبية . وظهر في عالم الدروس الجامعية فرع خاص يسمى باسم مبحث الأجناس Rassenkunde . وقد كيفت النازية السياسة والعلم والفن والرأي العام على هذا الاتجاه، إذ يرى هتلر أن مصدر كل بلاء نزل على ألمانيا هو إهمالها المنصرية وتصاهرها مع اليهود الذين أضروا بالأخلاق والتقاليد الجرمانية الموروثة ، وكذلك المسيحية اليهودية التي لا تمثل إلا أخلاق اليهود . وهذه كانت نظرية الفيلسوف نيتشه الذي كان يصف الأخلاق المسيحية بأخلاق العبيد، وكذلك شامبرلن وغيرهما. لذلك أكره هتلر جميع العلماء والمؤسسات العلمية على تطبيق هذه النظرية ، وقاوم كل نظرية تدعو إلى الأممية وإلى المساواة بين الشعوب . ومثله في ذلك عقيدة الزعامة حيث صور الشعوب كالهرم أيضاً ، قاعدته متسمة يضم في أسفله الشعوب الزنجية والأقوام الابتدائية، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة حيث هناك الشعوب الجرمانية الألمان والسكاندناويين والدانمارك، وفي قمة هذا الهرم تماماً تكون ألمانيا. (أنظر كتاب Dietrich Klagges Geschicbts Unterricht ص ١٤٠) وهكذا طبق هتلر عقيدة الزعامة الفردية على الزعامة الأممية، فكما أن هتلر هو زعيم الألمان الذي يجب أن يطاع لما له من مواهب الزعامة الموهوبة الفطرية[1] فكذلك يريد أن يجعل شعبه في قمة الزعامة الأممية التي لا يرتقي إلى مصافها شعب

كان من الطبيعي أن يعاني العلم والفن من جراء هذه النظرية مصاعب شتى ولا سيما العلوم العقلية منها كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم التربية والسياسة والاقتصاد وخصوصاً التاريخ الذي يعتني به هتلر عناية خاصة، وخصص له عدة صحائف في كتابه كفاحي لأنه يرى في التاريخ خير درس وعبرة للأفراد والشعوب على الطريقة التاريخية القديمة التي تنسب إلى المؤرخ اليوناني توكيديدس Thukydides (٤٦٠ — ٤٠٠ ق . م) والمعروفة في التاريخ باسم Pragmatische Geschichte أو التاريخ التعليمي . وبما أن الطريقة العلمية في مثل

(١) يذكر Heinry Marr في كتابه Die massenwelt ص 452 وما بعدها بعض المعجزات التي كانت لهتلر منذ ابتداء أمره منها، إعادة البصر إلى امرأة عمياء بمجرد مرور هتلر أمامها

هذه الموضوعات حرة وآراء الأساتذة مختلفة طليقة تكره التحيز والتعصب، لذلك كانت مهمة العلماء في مثل هذه الموضوعات صعبة جداً. والنتيجة المنطقية لذلك كانت إحجام الكثير منهم عن التأليف وتبيان آرائهم بصراحة، وإجهاد الفكر لإيجاد براهين جديدة لتحقيق نظرية الزعامة وقلب العلم رأساً على عقب. ولو تصور القارئ مثلاً أن علم التاريخ حسب هذه النظرية يجب أن يقلب رأساً على عقب تماماً عرف صعوبة المهمة الشاقة ونظر العلماء الأجانب إلى أمثال هذه الآراء. فالنظرية النازية الجديدة في التاريخ ترى أنه من الكفر الابتداء منذ اليوم بالتاريخ القديم بممالك الشرق الأدنى كالمصريين والبابليين والأشوريين، بل ترى في ذلك الخطأ الفادح لأن من عقيدتها أن الحضارة الجرمانية أساس الحضارات، ومن الجرمان أخذت الشعوب الشرقية حضارتها مستدلة بذلك على نظريات الهجرة، وتوسع السكان الذي جرى ولا يزال يجري إلى الآن، وعلى حفريات تقوم بها المؤسسات الألمانية ثم تحكم هي بنفسها على تقدير أعمار المكتشفات الأثرية وقدمها. ولا شك أن ذلك مما يسخر منه علماء الأقطار الأوربية الأخرى ولا يدينون به، وكذلك علماء ألمانيا أنفسهم، ولكن السياسة طبعاً هي التي تتغلب الآن على العلم[1]

يقسم علماء التاريخ اليوم في ألمانيا العالم إلى قسمين: شعوب سياسية تنشئ التاريخ وتكونه وهي الشعوب الجرمانية طبعاً، وشعوب غير سياسية وهي التي لا تلعب دوراً في التاريخ ولا في السياسة بل يلعب بها وهي الشعوب السامية والزنجية وغيرها[2]. ويصرح هتلر بهذه الفكرة في كتابه كفاحي، ويرى فضلاً عن ذلك أن التاريخ هو محصول الأفراد لا الشعوب، أي أن الزعماء هم الذين يكونون التاريخ لا الجماعة، إذ الجماعة تساق فتنساق وتؤمر فتطيع[3] ومن أجل ذلك أمر بكتابة تاريخ جديد، وأنشأ تاريخاً عاماً للعالم يستند إلى أساس المنصرية فيبدأ بالجرمان وبالشعوب الأوربية السياسية المكونة للتاريخ وينتهي بالشعوب التي لم تلعب دوراً في السياسة، فتفحص فحصاً من جديد، وكل ما وجد فيها من حضارة يسند إلى الآرية كما فعل الفريد دوزنبرك في كتابه « خرافة القرن العشرين Der Myttus des 20 Iahrhunderts » في الفصل الذي كتبه عن الحضارة العربية الإسلامية

وكان من جراء هذه النظرية تعديل الكتب التاريخية ومناهج البحث ووضع قواعد ثابتة للتأريخ وفق القيم النازية، ولقد لخصها الوزير الألماني ديترش كلاكس في كتابه تعليم التأريخ Geschichts Unterricht بما يأتي:

إن الحياة كفاح، والشعوب ليست بشيء أبداً دون زعيم، والشعب هو مستقبل الفرد، والمواطنين ترتبط بعضهم ببعض في السراء والضراء على قاعدة المنصرية والدم، وكل خائن عقابه القتل. يموت الفرد ويبقى الشعب، ولكن الشعب يجب أن يكون خالصاً نقياً كما أن الدولة يجب أن تكون نقية ذات عنصر واحد. ولكي تعيش هذه الشعوب تحتاج إلى قوى وجهاد وأسلحة وعتاد إذ بدونها لا تعيش الأمم. وبين هذه الأمم اختلاف في العقل والجسم، وفي مقدمة هذه الأمم الأمة الألمانية؛ لذلك فإن كل من ينادي بالأممية وبالتطور البشري وبحقوق الشعوب يجب عقابه عقاب مفتر كذاب، إذ أن الطبيعة البشرية تناقض ذلك. والشعب السعيد هو الذي يخضع لزعيم مطاع. والمنصرية هي مفتاح تاريخ العالم. (أنظر ص ١٤١ — ١٤٣).

هذه هي نظرية الوطنية الاشتراكية وعقيدتها التي تتمسك بها وكل ما يتعارض مع هذه العقيدة ينظر إليه نظر المسلم إلى الكفر والإلحاد. لذلك فالماسونية والشيوعية والديمقراطية والأديان العالمية التي تساوي بين الشعوب والأفكار الأممية كلها آراء فاسدة تتعارض حسب نظرها مع الطبيعة البشرية والتأريخ. هذه هي فلسفة النازية، من أدرك شكل هذا الهرم الذي يمثل الزعامتين عرف المذهب تماماً وأدرك سبب كره هتلر للمبادئ المذكورة. ولعل في نفسية هتلر وقسوة العالم الخارجي بعد الحرب العظمى على ألمانيا هي الباعث على تطرف الألمانية الوطنية هذه

مراد علي
خريج جامعة هامبرج بألمانيا

---

(١) لمعرفة التفاصيل أنظر كتاب Geschichts Unterricht لمؤلفه Dietrich Klagges
(٢) أنظر كذلك نفس الكتاب وكتاب كفاحي وكتاب خرافة القرن العشرين لروزنبرك وكتاب ماريده هتلر لمؤلفه Werner Siebarth
(٣) أنظر كتاب أدولف هتلر مربي الألمان لمؤلفه هوبر Höper

من نار الفراق

أنا ... وأنت ! ...

[لم يبق لي بعد اليوم في الدنيا أمل ، فاذا لاحت
في أفقك شعاعة من رجاء فأتني بها قبل الصبر !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جُرْحانِ ظَلاَّ في سَمِيرِ الزَّمانْ
لا يَهدآنْ !
وغُنْوتَا حبٍّ بنَايِ الهوَانْ
مَذْبوحتانْ !
وقطرتَا دَمْعٍ بوادي الحنانْ
عِرْبيدَتانْ !
أذْراهُما في تَوبَةٍ عابِدانْ
مُسْتَغفِرانْ !
يا ربِّ أنَّى لِشَرِيدِ الجِنانْ
طَيْفُ الأمانْ !

***

بيْتانِ مِنْ شِعْرٍ سَقَاهُ الحنينْ
كأسَ العذابْ !
مَلاَّ صَدَى الدُّنيا ونَجْوَى السّنينْ
فوق التُّرابْ !
وحِينَ لاحَ الشَّطُّ غابَ السَّفِينْ
خَلْفَ الضَّبابْ !
فلَمْ تزَلْ كفُّ الأسَى والجنُونْ
تَسْرِقُ الرَّبابْ !
ولَمْ نَزَلْ نَشْدُو ... وشَدْوُ الحزِين
رُؤيا خَرابْ !!

***

فَرْخانِ في أُفُقِ الهوَى حائِرَانْ
حَوْلَ الرِّياحْ !
ماتَتْ أغانِينَا بِظِلِّ الجِنانْ
قبْلَ الصَّباحْ !
وحَطَّم السَّاقِي بَقايا الدِّنانْ
فوْقَ الجِراحْ !
لَقَدْ سَقَيْنَا حُبَّنا يا زَمانْ
نارَ الكِفاحْ !
فخَلِّنا ... إنَّا لِطُولِ الهوَانْ
عِفْنا النُّواحْ !!

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

أنشودة وفاء النيل

للأستاذ محمد فتح الباب

البحْرُ زادْ عَمَّ البِلادْ
والخيْرُ جادْ كلَّ العِبادْ
إلى الحَصادْ البَحْرُ زادْ

***

مِصْرُ يا مِصرَنا افْرحي فَرْحةَ الطَّيْرِ بالرِّياضْ
أنتِ يا كلَّ مطمحي هِبَةُ النِّيلِ يومَ فاضْ
اسرحي اليوم وامرحي نيلنا يَمْلأ الحِياضْ
البحر زاد ...
مِصرُنا زينةُ الأُمَمْ حَسْبُها النيل والهَرَمْ
أُمَّةُ السيف والقَلَمْ رَبَّةُ المجد مِنْ قِدَمْ
نِيلُها كلُّهُ عَجَبْ يَجْمَعُ الأُنسَ والطرَبْ
ماؤه يَحْمِلُ الذَّهبْ وشِفاءٌ لِمَنْ شَرِبْ
البحر زاد ...
نِيلُ وَفَى لَيْلةَ الصَّفاءْ والنيل مِنْ دَأْبِهِ الوَفاءْ
والغِيدُ في خُضرةٍ وماءْ كالحُورِ في جنَّةِ السَّماءْ
فَيضٌ غَزِيرْ عذبُ النَّميرْ
لَهُ خَرِيرْ مِثلُ الزَّئيرْ
نِيلٌ جميلْ كالسلْسبيلْ
لَمَّا يَسِيلْ بينَ النخيلْ
البحر زاد ...
يا نيلُ عن مجدنا الأثيلْ خَبِّرْ وعن بَأسِنا الطويلْ
آثارُنا تعجزُ العقولْ شهودُ حَقٍّ لنا عُدُولْ
زهرٌ من «اللوتس» البليل في حُسْنِهِ ما لهُ مثيلْ

يرنو إلى الشمس كالخليل ... يرنو إلى الخلد في الرحيل
يطفو على سطحك الجليل ... تاجاً على مفرق نبيل

البحر زاد ...

يا نيل أسلوبك الحكيم ... يسمو على القول والكلام
بفيضك المصلح العميم ... يا نيل زر مصر كل عام
فإنها جنة النعيم ... لولاك لم يسقها غمام
وحيّ فاروقها العظيم ... وانشر على أهلها السلام

البحر زاد ...

آمنت بالله والكتاب ... وأن في خلقه عبر
الحب بالماء في التراب ... أضحى نباتاً له ثمر
أحلى من الشهد والرضاب ... والحب من قبل كان مر
الحب بالماء في التراب ... يصير من أكرم الزهر
أنى له ذلك الخضاب ... ونفحه الطيب العطر
آمنت بالله والكتاب ... النيل من روح مقتدر

(القناطر الخيرية) — محمد فتح الباب

ظمئت ...

للأستاذ صالح الحامد العلوي

ظمئت إلى الجداول حيث تجري ... مدردرة كألواح اللجين
عليها الطير تمرح شاديات ... على إيقاعها في الشاطئين!
ظمئت إلى الخمائل زاهرات ... يراها الله بهجة كل عين
بها الأزهار تضحك لاهيات ... تهدهدها النسائم باليدين!
ظمئت إلى النسيم يهب رهواً ... كوصل الخل وافى بعد بين
يداعبني فيلثمني دلالاً ... وينشر فوق وجهي خصلتين!
ظمئت لمن أراه حياة روحي ... وحبة مهجتي وسواد عيني!
ومن رقت معاني الحسن فيه ... فكاد يطير من لطف وزين!
ومن في كل لحظ منه سر ... أموت به وأحيا مرتين!
ومن هو من مزايا الحسن كون ... حوى من كل لون جنتين!
ظمئت إلى الجمال بكل معنى ... عرى عن كل بهرجة ومين!
ظمئت - وما عسى تجدي فتيلاً ... «ظمئت»؟ ولو لقيت بذاك حيني
أما من حاكم أشكو إليه ... فينصف بين أيامي وبيني
فكم زادت على ظمأ - فؤادي ... كأن لدي ثارات الحسين!

(حضرموت — سيئون) — صالح الحامد العلوي

وحي الحرمان

لا تقولي نسيت ...

[إلى الحالمة في أحضان النعيم ... إليها في رأس البر ...]

للأديب عبد العليم عيسى

صرخ النّاي في يدي .. فتعالى ... قبل أن تنهب الليالي لحونه
ويح قلبي إذا غضبت عليه ... وتجاهلت صوته وأنينه
من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبّت الليالي شجونه
أسعديه على الحياة .. وردّي ... نغماتي إلى حياتي الحزينه
لا تقولي نسيت يا أخت روحي ... أنت تدرين ما مضى وتمينه
كيف تنسين يوم سرنا إلى النيـ ... ـل وهمنا على الضفاف الأمينه ؟!
والدجى مسبل علينا ستاراً ... كشفته لحوننا المكنونه
رقص البحر حين سرنا على الشـ ... ـط وغنت أمواجه المفتونه
وهفت حولنا العصافير نشوى ... طربات ... سعيدة ... مجنونه
فتمليت فتنة الحسن والنو ... ر وهوّمت كالطيور الحنونه
واحتضنت العود الحبيب إلى النفس وأسكرتني بما تنشدينه :

صلواتي أنت في الدنيا وأعراسي وفني
وسعاداتي وصفوي ، وتسابيحي ولحني
أنت في قلبي ينبوع من الخلد يغني
تجر الله على وجهك ما يمسح حزني
فتغنيت مع الأطيار ما يسعد كوني
ليتنا نحيا على الشط ... تغني وأغني

وشجاك الهوى فنمت على صد ... رى المدمّى في خشعة وسكينه
وعلى وجهك الجميل شعا ... عات أثارت مستوره ودفينه
فبعثت الأنغام تسري مع اللي ... ل فتروي أشباحه المسجونه
ثم لما أفاق من نومه الفجـ ... ر وأهوى عن راحتيه دجونه
قلت : يا شاعري الحبيب ترفق ... بفؤاد أهجت فيه حنينه
خذ ذراعي إلى ذراعك وانهض ... قبل أن يفتح الصباح عيونه

لا تقولي نسيت يا أخت روحي ... أنت تدرين ما مضى وتمينه
أسرعي قبل أن تموت ألا حيـ ... ـني وتردّي قيثارتي المحزونه
فتصيري حكاية القدر في الدنـ ... ـيا وأقصوصة الغرام الخئونه

(دمياط) — عبد العليم عيسى



دراسات في الفن :

«ضيعت مستقبل حياتي !»

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ مات

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

مات ولم يمكث في الأرض إلا واحداً وثلاثين عاماً . ولكنه قضاها كلها حياً ، بل لقد كان يستعير مما له في الخلد ليالي وأياماً فأنهكته الحياة : أضنت منه الروح والبدن فانطفأ وهو في أشد اشتعاله وسطوعه

١ — بين الربوة والبحر

طفل ، والطفولة صفاء . وفقير ، والفقر نقاء . وعزيز ، والعزة وفاء كان هكذا منذ عرفته الحياة ، وظل هكذا إلى أن غادر الحياة : طفلاً ، فقيراً ، عزيزاً لم يذل إلا لله في الحب والغناء

ويا طول ماذل ! فقد غنى منذ أحب ، وقد أحب منذ أحس ، وقد أحس منذ أمنت أمه أن تطلقه في ربوة « كوم الدكة » يرتع ويلعب مع الصبيان والبنات . فكان يجمعهم ويقوم بينهم على حجر يقرأ القرآن ويرتل الألحان ، فإذا أخلصوا له الإصغاء أخلص لهم الإنشاد ... ولم يكن أحد من هذا الجمع الحالم يدري لمن كان يغني هذا النشوان الضاحك إلا هو وتلك الصغيرة الطاهرة التي كانت تهفو إليه بروحها متلمسة فيه ما لم تكن تجده عند غيره من آيات الصدق ومن آيات الذكاء

وكان إذا افتقدها استوحش ربوته وأهلها ، وفر إلى شاطئ البحر يكمن عند صخرة من صخور « السلسلة » يأخذ عن اليم معنى اللين إذا هدأ ، ومعنى الثورة إذا اهتاج ، ومعنى الكفاح إذا تصارعت فيه الأمواج ، ويسرح بالطرف في آفاقه التي من بعدها آفاق ، كأنه يستدرج الغيب من ورائها أن يستشفه لعله يرى في إطار منه الصورتين اللتين كان يحب أن ترتبطا ... فكان يرى ما يشاء ، أو لم يكن يرى شيئاً ... ولكنه كان يسمع ، وكان إذا عاد إلى ربوته تغنى بما سمع ...

وكان يكره أن يعود من حجته إلى البحر خالي اليد ، فكان يحمل « إليها » من البحر محارة أو صدفة يرفعها إليها في صمت كأنما يؤكد لها أنه ما نسيها ولا غفل عنها إذ نأت وغابت . وكانت هي تقبل منه هديته الفقيرة الرخيصة والله وحده يعلم أ كانت تقبلها حباً ، أم كانت تقبلها إغراء

٢ — الطعنة الأولى

وفي يوم طار إليها بمحارة عجب ، فإذا هي تصده ، بل وتحمل إليه ما جمعته من محاره وصدفه وتمد إليه به يدها وهي تقول : « منعتني أمي من قبول هدايا الصبيان ! ... »

ولو لم يكن يرى أمها تستميل إليها من أبناء الجيران صبياً مات أبوه عن ثروة ، ما أحزنه هذا الصد وما أشقاه ... ولكن الذي أدمى قلبه هو أن أدرك للمرة الأولى أن هناك فرقاً بين الأغنياء والفقراء . وأن هذا الفرق ملحوظ مرعي دون غيره من الفروق .

لحمل محاره وصدفه ، وغسل بدمعه آيات غروره وجهله ، ودفن المحار والصدف تحت عتبة مسجد سيدي « حذيفة » ... ثم دخل المسجد وتوضأ وصلى صلاة الجنازة على أمله

٣ — الشيخ ...

وحسبوه من كثرة لزومه للمسجد ولياً من أولياء الله . وقد كان ولياً من أولياء الله . فوهبوه لكتاب الله . وألبسوه عمامة وجبة وقفطاناً ، وأرسلوه إلى معهد الأسكندرية وعرفته « كوم الدكة » منذ ذلك الحين باسم الشيخ السيسي ... لأنه كان

صغيراً ، وكان عجيباً فى عمامته وجبته وقفطانه ...

ولم يتأب هو على هذه «الشيخوخة» التى عاجلته ، وإنما كان يجد فيها متعة ولهواً محببين ، فقد يسرت له الحفظ والتجويد ، والقراءة والغناء ... وظل فى « شيخوخته » هذه طفلاً كما كان يجمع حوله الفتيان والفتيات ويقوم بينهم على حجر أو كرسى عريض من خشب يمدح النبى ، ويرثى الحسين !

٤ — مبيض الجدران

وقد كان على أهل الحى أن يطلبوه فى أفراحهم ومآتمهم ، ولكنهم كانوا يطلبون غيره كلما اعتزموا أن يدفعوا أجراً ؛ أما هو فكانوا يتزاحمون حوله كلما قرأ أو غنى فى الطريق ، أو فى المقهى ، أو فى المسجد أو على الربوة ... يسمعونه ويحيونه ، ويتحدون به القراء والمغنين ، ولكنهم لم يكونوا يملكون أن يستأجروه ، لأنه لم يكن ينطلق إلا بإرادته ، وبوحى من مزاجه ، فإذا أكره على الشدو ثقل الشدو على نفسه وعلى نفوس مستمعيه . . .

ولهذا كان إذا أراد أن يرتزق بيَّض الجدران مع النقاشين والبنائين . . . وأعجب ما كان منه أنه كان ينطلق عندئذ بالغناء أنيناً وشكاية ، أو بهجة واستبشاراً ، وكان من زملائه من يحمل عنه عمله راضياً مسروراً

٥ — فى الأوحال

ترعرع وترعرعت . وكانا يلتقيان . وقد كان يغنيها وكانت تستمع إليه . ولكنه كان قد طوى نفسه على عزمة ملكته : ألا يدنس الحب ، وأن يسلم أمره لله ...

وتزوجت مى ... وانهار هو ...

فهجر « كوم الدكة » إلى حى الرجس . وأدمن النساء ، وانكب على الخمر والمخدرات يتعجل الموت فلم يعد له فى الدنيا رجاء

وقيل إنه أحب ، وما أحب وإنما كان يبحث عن حب ، ولم يكن المحروق القلب ليحب بعد ما أكلت قلبه النار

ومن أعماق هذه الأقذار كان يتعالى صوت السيسى بألحان من وحى الطهر والعفة . كان يرسلها مع الدمع ونفحات الجحيم المتأجج بين جنبيه فكان فيها تطهير نفسه ونفوس هؤلاء الذين كانوا يترددون فى الخطيئة حوله ، ويترددون عليه كأنه التوبة أو الصلاة .

٦ — وهج الروح

وإلى جانب هذا الحب ، وإلى جانب هذا اليأس ، كانت حرب وكانت ثورة ، واندلعت فى هذا الأتون المستعر روح الشيخ السيسى

وكان قد عاد من الشام بعد رحلة بائسة اصطحب فيها ممثلاً سوريًا أراد أن يتحف به أهل وطنه ولكنهما أخفقا معا .

وكان السيسى قد جرب نفسه مرة فى القاهرة فى مسرح الشيخ سلامة حجازى فثار عليه الجمهور وأرغمه على أن يتوارى خلف الستار قبل أن يتم غناءه فواساه الشيخ سلامة بأن خرج للناس وقال لهم : أحسنوا الاستماع إليه فهو الذى سيخلفنى

ولكن الناس لم يحسنوا الاستماع إليه لأن غناءه لم يكن يشبه ما اعتادوه ، وإنما كانت روح طلقة هبت من الشمال

وكان كل فشل مما لاقاه يزيده إيماناً بنفسه ومقدرته حتى واتاه الفشل الأخير ، إذ لحن « فيروز شاه » لجورج أبيض فاندك جورج أبيض وبرز سيد درويش

وعرفه عندئذ نجيب الريحانى ، فأفسح له مسرحه منبراً يلقى من فوقه ما شاء من آيات فنه

وأخذ بعدئذ نجمه يصعد ، ويصعد ، ويصعد . . . حتى جاء وقت لم يتغن فيه مصرى بلحن إلا كان من غناء سيد درويش

كان ربحه يصل أحياناً إلى ألف جنيه فى الشهر ، وفى هذه الأحيان كان يقترض القروش والملاليم

قل إنه مجنون ! قل إنه سخيف ! قل ما شئت ؛ أما هو فكان محروماً من شىء لا يمكن أن يشترى بالمال وكان هو يحاول أن يستعيض عنه بما يشترى ويباع .

٧ — شاعر

ولم يكن سيد مغنياً فقط ، وإنما كان شاعراً أيضاً . . . وما كان فى وسعه إلا أن يكون كذلك . فإن الذى يبثه على الغناء إحساس كان يخالجه ولم يكن يستطيع أن يعبر عنه إلا بالغناء ، ولم يكن يستطيع أن ينتظر معه أن يبحث عن شاعر من الشعراء أو نظام من النظامين ليقول له إنى أحسست الحب على وجه من الوجوه ، أو أحسست اللوعة على نحو من الأنحاء ، فصور لى هذا الإحساس بالكلام لأغنيه . . . لم يكن يملك أن ينتظر كل هذا الانتظار وإنما كان يغنى ما يريد عند ما يحس أية عاطفة أو أية نزعة هو سكران مترنح ... وقد حددت له صاحبته موعداً ،

وذهب إليها فتصدى له من يمنعه عنها ، وهى معركة بينه وبين عذاله ، فإذا حال بينه وبينهم أصدقاء له وأبعدوه عن الوقعة ، ثم بدأوا يلومونه على سكره وعربدته غناهم :

وانا مالى هى اللى قالت لى رُوح اسكر وتعالَ ع الْبهلى

وهو جالس عند صديق له صائغ وتهبط عليهما غانيته مسرفة فى التزين والتبرج ، وتراه ممسكا بعوده فتعابثه وتطلب منه «غنوة» فما أسرعه إلى إنشاده ...

الأستيك على صدركْ يِضوى وانا قلبى مِتْعلّقْ ساعة

ويصطدم بذات المحار والصدف فيتقارآن السلام ويتماتبان وأعصابه ترتج وأنفاسه تضطرب فما تبرحه وما تنقضى ليلة أو ليلتان حتى تسمع البلد كلها تغنى من لحن سيد :

زرونى كل سنه مرّه حرام تنسونى بالمره

ويناضب إحدى صويحباته فيكيدها بغنائه :

يومْ تركت الحب كانْ لى فى مجال الأنس جانب
والتقيت المجد عادْ لى بعد ما كانْ عنى غايب

ولم يكن سيد يعبأ بأن يكون كلامه موزوناً أو مستوفياً لشروط الشعر وشروط صحته ، فما كان يعرف إلا أنه يغنى ، وكان غناؤه سليما !

٨ — تلحينه

وعلى الرغم من المجد العظيم الذى أتيح له ، فقد كان يرى نفسه جاهلاً بالفن وأصوله . ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يتعلم الموسيقى على أحد ، فقد خرج إلى الحياة وألفى نفسه يغنى ، ثم عرف أن للغناء قواعد وأصولاً ، فراح يحصل منها ما يتاح له ، ولكنه لم يتح له أن يروى غليله من علومها وفنونها ، فكانت أمنيته الكبرى أن يتيسر له السفر إلى إيطاليا ليتعلم الموسيقى ...

ولست أدرى ما الذى كان يريد أن يتعلم سيد ؟

ربما كان يريد أن يدرس أسلوب الغرب فى صناعة الموسيقى . أما الفن ، فأنا مؤمن بأن سيداً لم يتكب بزه أسود من نسبته إلى مصر ، فلو قد كان إيطالياً ، أو من شعب متقدم ، لكنا نسمع اليوم ألحانه عن طريق السينما ، وعلى اعتبار أنها معجزات من الغرب !

وهنا فى مصر يحال بين ألحانه وبين المعهد الملكى للموسيقى الشرقية ... لأن هذا المعهد لا يعترف بموسيقى المسرح ، أو لأن حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا الموظف فى وزارة الأوقاف ومدير معهد الموسيقى والمنصوب له تمثال على حياة عينيه فى حوش المعهد ، والذى لم يسمع له إنسان لحناً أو أغنية — قال له الأستاذ عزيز عثمان : إن ألحان سيد درويش « هلس » . . .

والحق أنه صراع بين ذوقين فنيين : ذوق القاهرة القديمة ، وذوق الإسكندرية الحديثة . أما ذوق القاهرة فيمثله مصطفى بك رضا وأبناء محمد عثمان . وألحان القاهرة كما يعرف الجمهور هى هذه الألحان الصابرة الناعسة الناعمة الخامنة ، التى كان يقصد بها قصداً أن تغنى فى الأفراح والليالى الملاح التى يقيمها البيكوات والباشاوات ، وقد كان محمد عثمان أبرز الملحنين فى هذا النوع ، وكانت موسيقاه المخمورة هى الرائجة فى عصر النوم والسهر . . .

أما ذوق الإسكندرية فغير هذا ... ذوقها هو الظاهر فى موسيقى سيد ، هو هذه الحياة المنغمة ، وهذه العواطف الملحنة التى نفثها سيد درويش فى مصر ، والتى أخذها عنه من بعده زكريا أحمد فوفق ، ومحمد عبد الوهاب فانحرف بها إلى تقليد الموسيقى الغربية لأنه حسبها تقليداً واقتباساً كما قرأ فى المجلات ، وهى بعد ذلك أساس المذهب الحديث الذى يقلده ملحنو اليوم !

واليوم ووزير المعارف هو معالى النقراشى باشا الإسكندرانى ووكيلها هو صاحب العزة السنهورى بك الإسكندرانى . . . ألا نستطيع أن نأمل فى إحياء موسيقى سيد درويش على أيديهما ؟ إننا نرجو هذا ما دام لهما ذوق فنى ناضج حى ، وإن لهما هذا الذوق

عزيز أحمد فهمى



لحظات الإلهام

في تاريخ العلم

تأليف مريون فلورنس لانسنغ

٣ – عصر النار

فى الأيام الخالية وكانت الدنيا لا تزال فى شبابها كان – كما علمنا – يقيم فى واد شرقى عدن شاب اسمه « توبال قابيل » وهو حفيد ذلك الرجل الذى عاش على الأرض أكثر مما عمر أى رجل آخر وهو متوشالح

ذهب توبال قابيل إلى الجبال ليكون صياد قبيلته لأنه أوفر رجالها جسماً وأوفاها قوة . وكان يستطيع لقوته أن يرى الرمية فيصيب بسنانه المصنوع من الحجر المنحوت أى وحش يريد قتله . وكان كذلك حاد البصر سريع الحركة فنى وسعه أن يرى أى مخلوق يختبئ فى الغابة ويتبعه فى سرعة مطارداً إياه عند الهرب

وقد عرف توبال قابيل سر النار وصنع النار وكان ذلك السر مجهولاً من قبيلته منذ أجيال . وكان رجل من أهل الشمال لقنه سرها ، وكان هذا الرجل وقبيلته قد قبسوا من نار البرق الذى مصدره السماء فاحتفظوا بذلك القبس حتى عرفوا فى النهاية كيف يصنعونها بأنفسهم ، وذلك باستدعاء روح النار الكامنة فى أخشاب الغابة التى يقيمون بها . وكان توبال قابيل يصنع بالنار ما يصنع بالسحر فهو فى الليلة الباردة يعيد الدفء باستخراج الألهوب الأحمر من الخشب وبتغذيته بالهشيم الذى يجمعه أثناء النهار، وقد وجد أن الوحوش المفترسة تخاف من روح النار فتهرب وأن الوحوش لا تزعج نومه ما دامت النار بالقرب منه ترعاه

وفى يوم شديد البرد جمع توبال قابيل مقداراً عظيما من الغصون الجافة والخشب الجزل وسلط عليها الروح الحمراء لتأكلها لأنه كان شديد التألم من البرد فقد كان طول هذا اليوم فى الجبال يطارد نمراً عظيما ، وكانت الريح شمالية عنيفة باردة فاستشعر البرد حتى كاد يسرى فى عظامه

حبس من أجل ذلك بجانب النار ، ولما تأمل فى قرارها رأى منظراً أعجب من كل ما رآه من قبل : رأى صخرة كانت فى وسط الألهوب ، قد تحول لونها إلى الاحمرار ، وبدأت على حين فجأة تذوب . وكانت كلما اشتدت حرارة النار خرج من الصخرة الذائبة سائل ذائب كالماء الملوث بالطين حين يهم بالتدفق ، ثم التفت أثناء جريها ، وتحولت إلى ما يشبه حية سوداء هاربة من النار التى أخرجت من الصخر هذه المادة الغريبة .



إشعال النار بغير ثقاب كما كان يشعلها الماويون من عهد بعيد

لم يعرف توبال قابيل ما هو هذا السائل ، ولكن هذه أول مرة رأى فيها الحديد أى إنسان على الأرض ، فإن هذا السائل النارى لما جرى واستبرد أصبح معدناً ثميناً كان من قبل مختبئاً فى الخام الصخرى .

وانقضت أسابيع وشهور بعد رؤية هذا السائل المتدفق من الصخرة ، وقد قضى هذه المدة فى جمع الصخور المماثلة لما رآه من جوانب الجبل ، وكان يجلب لها ناره ليرى هل هذه الصخور ستذوب أيضاً ؟ فوجد أن بعضها الآخر أخرج نقاطاً لامعة متوهجة تتحول فيما بعد إلى معدن أرق هو الذى نعرفه باسم النحاس وكان يجرى تجربته فى كل قطعة من الحجر الذى جربه أولاً

وراقب ما يصير إليه أمرها حين تبترد ليعرف إلى أى شكل تتحول

وفى أحد الأيام ، حاول أن يصوغ المعدن فى أثناء حرارته وابترادة ، فطاوعه المعدن وتمكن من طرقه وتحديد طرفه كالسنان الذى يصنعه من الحجر .

وعند خروجه للصيد للمرة التالية رأى وحشاً يقبل نحو كهف فى الجبل الذى يقيم فيــه فرماه بسنانه الحديدى الجديد وأصابه السنان فى جبهته وقتله للحال

وكان هذا أول سلاح معدنى صنع فى العالم؛ ورأى توبال قابيل أن فى وسعه صنع أسلحة أخرى من هذه المادة الجديدة التى يمكن طرقها عند الحد أ كثر مما تطرق الأحجار والفلزات التى يقضى فى نحتها ساعات طويلة متعبة

ولم يقل شيئاً عن هذا السر للصيادين الآخرين الذين كانوا يأتون أحياناً إلى موطنه فى الجبال ولا لسكان الوادى ؛ ولكن الجميع دهشوا من وفرة قوته ومن حذقه الصيد لأنه كان يأتى بصيد أ كثر مما يأتى به أى اثنين مجتمعين فى هذه الجهة الجبلية . وكان أجدى على سكان الوادى من اثنين كذلك لحمايته إياهم من غارة الوحوش الضارية ؛ ولكنه أفضى إلى جده متوشالح باستكشافه الغريب وأراه كل أنواع الأسنة والأسلحة المحددة والآلات الحادة التى صنعها وصاغها بإحمائها وسكبها فى حفر وأخاديد فى الصخر أثناء خروجها حارة من النار وتركها حتى تبرد فتتجمد ويمكن عند ذلك طرقها

وكان متوشالح فى نهاية حياته عندما أقبل عليه توبال ؛ ولكن حكمته كانت تزداد على مدى الأيام . وكان ثاقب الفكر سريع الخاطر كحفيده الأصغر فأخذ القطع الغريبة من الحديد الأسود الذى جاء به توبال قابيل والقطع الســاطعة من النحاس ووازن بين ثقليهما فى يده وحاول اختبارهما بكل الأساليب، وأخبر توبال بأن هذا سر عجيب جداً مكتوم عن سائر العالم وأنه يجب أن يدرس هذه الصخور وأن يستمر فى العمل بها وأن يتعلم كل الذى يستطيع تعلمه وأن يستعد لإشراك إخوانه الصيادين جميعاً وأهل قرابته هذه المعرفة ونشرها فى أرجاء العالم

وعاد توبال قابيل إلى الجبال وأنشأ لنفسه مكاناً للنار أو فرناً ليحبس فيه روح النار ويستبقيها فى خدمته ، وأرسل كل الصيادين ليأتوا إليه بالأحجار من النوع الذى يذوب . وتعلم صنع قوالب من الطين يصنع فيها المعادن الحارة . وليتمكن من إدخال الهواء تحت القدر صنع نوعاً من المنافيخ وصنع أسلحة لكل الصيادين وللذين يتولون حراسة أهل الوادى

وكان الرجال يأتون من الأماكن البعيدة ومن الأماكن القريبة ليتعلموا فن توبال قابيل فى صنع المعادن . وعلمهم وهو مسرور كل ما عرفه من الأسرار وكل الفنون التى كان يستفيدها من يوم إلى يوم

وكان الذى تعلمه خدمة لكل الناس لأنه كيف يمكن أن يعيش أهل الأرض وأن يفتنوا ما لم يتشاركوا ـ لمصلحة الجميع ـ فيما يستكشفه أى رجل أو فيما تصنعه أية قبيلة ؟

تعلم كيف يحذق صنع الحديد ولم يكتف بأن يصنع الأسلحة للحرب بل صنع نصلاً ثقيلاً معقوفاً يستطيع الإنسان أن يحفر به الأرض اللينة قبل أن يلقى بها البذور ، وأن يصنع نصلاً طويلاً وهو الذى نسميه الآن باسم المحراث . وبه استطاع أن يخط على الأرض خطوطاً طويلة يغرس فيها الحب

وصنع آلات أخرى كثيرة ، واشتهر أمره فى جهات بعيدة عن واديه، وعن الوديان المجاورة للجبال التى يقيم بينها، لا بل ذاع صيته عبر الأنهار وعلى حدود البحر الكبير، وذاع اسم توبال قابيل صانع كل سلاح قاطع أو منته بذبابة حادة ، وأستاذ كل رجل يعنى العمل فى النحاس أو الحديد أو أية مادة تسيل من الصخور . وكذلك دُوِّن فى الكتب القديمة كما يستطيع أن يتبين من يريد

وكذلك أصبح عصر النار عصراً للمعدن أيضاً . ولا نزال نعيش فى هذا العصر إلى اليوم

ومهما تكن الطريقة التى عرف بهــا الناس سر النار للمرة الأولى ، فإننا نعلم أنهم عرفوها قبل أن يكون للعالم تاريخ مكتوب وأنهم عرفوا أيضاً سر المعدن المخبوء فى الأرض .

ولما عرف كيف يصنعه ، وكيف يصوغه بواسطة النار فإنه بذلك قد بدأ يسير فى طريق المدنية ، وسنظل متتبعين رحلته فى هذا الطريق على مدى القرون .

(يتبع) ع . ا



ألمانيا بعد سقوط هتلر

[عن « جوتيبرج هاندل » السويدية]

لا يستطيع الباحث المدقق فى حالة ألمانيا أن يحكم إذا كان ذلك النظام الذى أقامه هتلر سينهار بقيام حرب عالمية ، أو أن سيدركه الفناء تحت تأثير عوامل وأزمات داخلية ، يثيرها تدهور الحالة المالية والاقتصادية بها ومهما تكن الأحوال . فإن الدوائر السياسية العليمة فى أوربا ، أصبحت تعتقد أن سقوط النظام الهتلرى سيكون فى خلال سنة ١٩٤٠ . فإذا كان الأمر كذلك فيحق للانسان أن يسأل كيف تكون ألمانيا بعد هتلر ؟

لقد احتاطت الدعاية الألمانية لهذا السؤال ، ونشرت ما شاء لها الهوى من الأقاويل بين العامة والخاصة معلنة أن سقوط هتلر يتبعه قيام البلشفية فى ألمانيا . وهذا خطر تهون إلى جانبه كل الأخطار . وقد تمسك بعض الناس بالنظام القائم فى ألمانيا الآن باعتباره أخف الضررين . على أن الدوائر الاقتصادية المطلعة والأوساط الدينية تقرر أن نظام ستالين ونظام هتلر لا يختلفان

والنازية لا تجد لها سنداً فى خارج ألمانيا إلا فى بعض الدوائر التى ترى أن البلشفية تعم ألمانيا بعد هتلر ، ومن ثم يختل النظام وتنهار المدنية فى غرب أوربا تحت تأثير هذه الكارثة الخطيرة .

ولكن هل فى الحق أن ألمانيا مهددة بخطر الاشتراكية ؟

إننا نستطيع أن نقرر فى غير تردد أن ألمانيا على وجه العموم أقل انخداعاً بالماركسية من أى دولة من دول أوربا . وإن كان بعض قصيرى النظر يعتقدون أن الماركسية قد تنتشر فى ألمانيا كرد فعل للنظام النازى

إن ألمانيا ولا شك ستكون عرضة لانقلاب قوى شديد كرد فعل للنظام الذى تحكم به الآن فتلك سنة الطبيعة ، ولكن هذا الانقلاب سينحو ولا شك ناحية مناقضة لهذا النظام . ولكن الاشتراكية ليست الناحية المناقضة للنازية بحال من الأحوال ... إن ألمانيا التى تتبرم بالهتلرية السمراء ، لا تشوقها دكتاتورية البلشفية الحمراء . فالألمان يعرفون ما هو الضغط على حرية الفكر والاعتقاد تحت ظل الحكومة الآرية ، ويبغضون من أعماق قلوبهم ضياع الحرية ومصادرة العقائد والأفكار فى ظل نظام محو الطبقات

فماذا تكون إذن بعد سقوط هتلر ؟ ستكون هناك أمة ألمانية يستمتع شعبها بحريته وحقوقه الاجتماعية ، وتندمج روحه والروح الأوربية . وسيكون قوامها العمال والفلاحون والأعيان والموظفون والضباط وأساتذة الجامعات

ستكون ألمانيا بعد هتلر أمة يسوسها خيرة من رجال الجيش والعمال والفلاحين والمدنيين وفى مقدمة هؤلاء جميعاً الشباب الناهض

ستكون إذن ألمانيا التى قهرت الفاشية والبلشفية

وستكون وتظل جزءاً مسئولاً فى أوربا الحديثة

أين يسكن هتلر ؟

[عن مجلة « تورنتو ستار »]

منذ اثنى عشر عاماً كتب هتلر مؤلفاً عن الأعمال التى يقوم بها وكيف تنى له أن يقوم بها ، وأسمى هذا الكتاب « كفاحى » بيع منه ١١٠٠٠٠٠٠ نسخة بلغت أرباحها مليوناً من الجنيهات . وقد بنى هتلر من هذه الأموال مساكنه الجديدة ، وإنها لمساكن على جانب من الأبهة والعظمة

ومن المأثور عن هتلر أنه قال فى حديث له : « ليس من العار أن يقتات الألمان بالعشب ما دامت ألمانيا تعانى ما تعانى من الشقاء » ولكن هتلر لم يأكل العشب ولم يسكن فى بيوت من القصب ، فبنى القصور الفاخرة على قمم الجبال ، وشاد لنفسه الدور المؤثثة بأفخر الرياش

ومن غريب ما جاء على لسانه وهو يفتتح دار المستشارية الجديدة منذ أسابيع : « إنى ما زلت كما كنت فيما مضى ولا أريد

أن أكون غير ذلك . إن منزلى يماثل بالضبط المنزل الذى كنت أسكنه من قبل وسيظل كذلك »

إنه فى هذا يتكلم عن مسكنه الخاص فى ميونيخ ، ولكنه لم يقل شيئاً عن القصور التى بناها فوق قمم الجبال حيث يخلو إلى نفسه

فعلى ناحية من جبال الألب الباقارية على بعد بضعة أميال مما كنا نسميه النمسا تقع قرية برختسجادن الجميلة ، وعلى جانب من الجبل يرى قصر برجوف — مسكن هتلر — المحبوب . وقد كان هذا القصر مسكناً جبلياً بسيطاً فأعاد بناءه هتلر على طراز لا يحلم به أصحاب الملايين . وهو يقضى فى هذا المنزل فسحة آخر الأسبوع فى غالب الأحيان ، فينتقل بالطيارة من برلين إلى ميونخ ومن ميونخ تقله سيارة سوداء سريعة السير إلى مسكنه الفاخر

ويقوم على حراسة هذا القصر قوة كبيرة وأسلحة واستعدادات عظيمة لا يقوم مثلها على حراسة بنك انجلترا ، وهو محاط فى الليل والنهار بحصار شديد من الجند الأشداء .

وقد أقيم فى الصخرة الصماء التى شيد عليها هذا القصر خندق حصين تحيط به قوة من الدفعية المضادة للطيارات تحميه وقت الهجوم . على أنه محاط بأبواب عظيمة من الفولاذ تجعله محجوباً عن الأنظار ولا يتثنى لأى زائر أن يقترب من هذه الأبواب دون إذن كتابى من البوليس السرى

ولا يسمح لصحيفة ألمانية أن تذكر ما طرأ على هذا القصر من التجديد فهو لا زال فى نظر الألمانيين ذلك الكوخ الجبلى الصغير .

ويقال إن حجرة الجلوس فى هذا القصر من أفخر الحجر التى رأتها العيون . وهى تحتوى على نافذة واحدة ولهذه النافذة صفحة من الزجاج ارتفاعها عشرة أقدام وطولها ٢٨ قدماً ولعلها أكبر نافذة فى العالم . ومن هذه النافذة يطل هتلر ومن عسى أن يكون معه من الضيوف على مناظر جبال الألب الخلابة

ولعل أكبر متعة تصبو إليها نفس الفوهرر ، هى أن يجلس إلى هذه النافذة ويمتع النظر فيما حوله من الوديان المخضلة النبات ، بينما يعزف أحد أصدقائه بعض مقطوعات من موسيقى واجنر على البيانو على بضعة أمتار



المجمع والدكتور أحمد بك عيسى

كتبت فى العدد الأسبق من الرسالة كلمة عن المجمع اللغوى قلت فيها – اعتماداً على ما رواه لى الدكتور أحمد بك عيسى – أن المجمع أهمل كتابه « المحكم فى أصول الألفاظ العامية » ولمته على هذا

وقد بين لى صديقى الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبدالعزيز البشرى (مراقب المجمع) أن اللوم فى غير محله ، وأن لجنة اللهجات العامية راجعت الكتاب وفحصته ، وأن الدكتور عيسى بك نفسه حضر بعض اجتماعاتها ، ووافق على ما اقترحته من زيادة « فى مصر » على اسم الكتاب

وقرأ لى الأستاذ البشرى كتابين بعث بهما باسم المجمع إلى وزارة المعارف يطلب فى أولهما من الوزارة طبع الكتاب لتعميم فائدته ، ويطلب فى الثانى توزيعه على مكتبات المدارس

ويتضح من هذا أن المجمع لم يقصر ولم يهمل ، وإذا كان لم يطبع الكتاب فذلك لأن المجمع لا مال له لطبع الكتب ، ومطبوعاته هو تتولاها وزارة المعارف

ومن الإنصاف للمجمع أن أعلن هذه الحقائق التى تفضل الأستاذ البشرى بإطلاعى عليها . ومن واجبى أن أشكر الصديق وأن أعتذر للمجمع وإن كان الذنب لغيرى .

ابرهيم عبد القادر المازنى

صححوا هذين البيتين

يكثر استشهاد الخطباء والكتاب بقول شوق :

فى العلم تطَّـغن العقو ل وليس تطَّـغن الصدور

وكذلك ينطقون « تطغن » بالغين المعجمة فى الصدر والعجز وهو صحيح فى العجز ومحرف فى الصدر . والصواب :

فى العلم تطَّعِنُ العقو ل وليس تطَّـغن الصدور

فنقرأ « تطعن » فى صدر البيت بالعين المهملة من الطعن ، ونقرأ « تطغن » فى عجز البيت بالغين المعجمة من الضغن وهو الحقد

ومعنى البيت أن العلماء قد يتحاربون ولكنهم لايتباغضون وشوقى لا يريد غير ذلك ، وإنما نُشر البيت محرفاً ولم يفطن من يستشهدون به إلى ما وقع فيه من تحريف .

والقصيدة التى فيها « يا جارة الوادى » مطلعها هذا البيت :

شـيعتُ أحلامى بطرف باك ولحت من طرق الملاح شباكى

والناس يقرأون « لحت » ، وهى كذلك فى الجزء الثانى من الشوقيات ، وقد نُشر فى حياة شوقى ، ونقلها بعض المؤلفين عن نسخة الديوان بدون تصحيح ، وأنشدها بعض الأدباء فى محطة الإذاعة بدون تصحيح !

و « لحتُ » فيها تحريف ، والصواب « لممتُ » بلام وميمين من اللمّ وهو الطي ، وما أحسب شوقى يريد غير ذلك .

فأرجو القراء أن يصححوا هذين البيتين إن راقهم هـذا التصحيح .

زكى مبارك

سؤال عن الربا

ذكرنى السؤال الذى وجهه الأستاذ على الطنطاوى إلى (المفكرين) من علماء المسلمين بسؤال كنت بعثت به إلى فقيد الإسلام المرحوم الأستاذ الإمام رشيد رضا فى موضوع الربا بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ ، وقد أجابنى بجواب مختصر أحالنى فيه – كعادته – على مجلة المنار . فإذا كان فى الرسالة الغراء متسع لنشر هذا السؤال ، تمضيداً لسؤال الأستاذ على الطنطاوى فها هو ذا :

حضرة الأستاذ العلامة ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وهنا قدمت بمقدمة شرحت فيها سوء حالة فلسطين الاقتصادية التى أوقعت فيها قسراً ثم قلت)

فرأى المخلصون من رجال الاقتصاد أن خير وسيلة لإنقاذ الفلاحين من هذا الشقاء، ولتخليص البلاد من شره اليهود، هي إنشاء بنك زراعي عربي بأموال العرب يعقد قروضاً زراعية للفلاحين بربا قليل إلى وقت طويل. ويقدم إليهم آلات زراعية حديثة، إلى غير ذلك من الوسائل التي تخلصهم من ظلم المرابين، وتوسع عليهم، وتحفزهم للعمل والتثمير حسب الأصول الحديثة، فتجلب الخير والمنفعة، وتغنيهم عن بيع أراضيهم لليهود

والمسئول عنه الآن: هل يكون ديننا الحنيف في هذه المعضلة الاجتماعية كشأنه في سائر المعضلات سمحاً سهلاً يتمشى مع المصلحة، وينطبق على ما تقتضيه نظم العصر الحاضر، فيجد الناظر فيه رأياً لا يخالف القرآن الكريم، ولا يصادم السنة الشريفة، يجيز أمثال هذه المعاملات (المصرفية) من عقد قروض بربا قليل لا يضر بمصلحة الآخذ ويفيد المعطي، لا سيما أنه يؤخذ من ظاهر بعض الآيات، ويؤخذ من حالة العرب قبل الإسلام في مداينتهم بالربا، أن المقصود بالنهي الربا الفاحش الذي يؤدي إلى خراب بيت المدين كما حصل ويحصل مع كثير ممن لو تداينوا بربا قليل لوفوا ديونهم وعادوا سيرتهم الأولى من السعة والغنى. وهــذا الربا الفاحش هو ربا الجاهلية (وربا الجاهلية موضوع) وهو (الأضعاف المضاعفة) وبه يحصــل التقاطع والتباغض بين الناس. أما الربا الخفيف فلعله يكون من أسباب المودة بين المتداينين

ثم ألا يجد الناظر في الدين حرجاً بناء على هذا — إذا صح — أن يحمل الآيات الشريفة المحرمة للربا على الربا المعهود (أي ربا الجاهلية، وهو الربا الفاحش) ويحمل الأحاديث على هذا المحمل. وتبقى الحكمة في عدم التحديد حث الناس على التعامل بالقروض المجانية تنزهاً عن شبهة الربا، ليكون ذلك أدعى للتآلف والتعارف؟ وإذا أبى نص حديث — والنص من الراوي — هذا المحمل، أفلا نتركه؟ إذ لا يصح أن تقف أحاديث الآحاد في وجه المنفعة والعمران وتقدم المسلمين؛ والعمران وتقدم المسلمين وقوتهم يغلب على الظن أنها مقصد من مقاصد الدين حتى يكون الدين كله لله

أقول: هل يجد الناظر في الدين رأياً كذلك؟ فإن كان فالرجا أن تفصلوا علله وأسبابه وأدلته، وإن لم يكن هناك ما يساعد على هذا الرأي فأرجو بيان ذلك مع الحكمة أيضاً وهل هناك إجماع يكون خرقه كفراً على تحريم الربا مطلقاً قليله وكثيره؟ أم لا يكفر المتأول، ومن يأخذ بالظاهر؟ أفتونا ...

وهذا جواب الإمام رشيد رضا رحمه الله بحروفه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إن من الأرهاق لي أن أكلف أن أجيب عن الأسئلة التي تأتيني من أنحاء العالم في مكتوبات خاصة مع أن ما ينشر منها في المنار لإفادة الجميع قد عجزنا عن الإجابة عنه كله. ومن المعلوم لكل مسلم أن البنوك كلها فيها ربا وأن الربا محرم ولكن في بعض أعمالها وشركاتها ما ليس كذلك. ونحن ننشر في المنار بحثاً طويلاً سيصدر بعد إتمامه في كتاب مستقل والسلام. رشيد

ولم أطلع على ما نشر في المنار، كما لم أعلم أتم البحث وصدر في كتاب مستقل أم لا؟

فعلى من يستطيع الحصول على المنار أن يرشدنا إلى ذلك.

(سائل)

كلمة أخيرة في نعيم الآخرة

أطال الأستاذ محمود علي قراعة في الاستشهاد بأقوال بعض العلماء والصوفية وفلاسفة الأخلاق، وملأ أربع صفحات من الرسالة الغراء (العدد ٣٢١) ليثبت أن لذة الروح أرقى من لذة الجسم حتى يتسنى أن يثبت أن نعيم الآخرة روحي. وأنا لا أنكر أن لذة الروح أرقى من لذة الجسم، ولا أحتاج عليــه إلى دليل من كلام أحد، وأرى الأمر أهون من أن يحتفل به هذا الاحتفال ما دام الله تعالى لم يكلفنا — بعد الإيمان بالآخرة والجزاء فيها — أن نعلم نوع هذا الجزاء أهو حسي أم روحي

على أن جميع ما أتى به الأستاذ — ومثله معه، إن كان من نوعه طبعاً — لا يجدي شيئاً في تأييد دعواه. وأما دعوانا فهي واضحة جلية أعجب كيف يكابر فيها وهي تستند إلى هذه الأمور المسلمات:

١ — إن جميع النعم الحسية التي ذكرت في القرآن الكريم كالمأكولات والمشروبات والأزواج[1] ورؤية الله تعالى، هي

(١) مسألة الولدان التي ذكرها الأستاذ قراعة، ونقل فيها أقوالا من رد المحتار في العدد ٣١٥ وأشار إليها في العدد ٣٢١ من الرسالة، لم تذكر في القرآن الكريم للمعنى الذي فهمه منها أصحاب الأقوال المشار إليها في رد المحتار، بل صريح القرآن أن هؤلاء الولدان للخدمة (يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين. الآيات) فيقتصر على ما ورد في كتاب الله ولا سيما في الأمور السمعية.

حسية حقيقة لا مجازاً ، وإن كانت على غير ما نتصوره فى الدنيا؛ فالتفاح والرمان مثلاً هو تفاح ورمان ، وإن كان من الجودة بحيث لا نعلم .

٢ — أجسامنا فى الآخرة — كيفما كان الرأى فى إعادتها — هى أجسام ، وإن كانت على نشأة أخرى كما تقتضى إرادة ربنا تعالى

٣ — ما دامت النعم الحسية لا تتغير أسماؤها هناك ، وما دامت الأجسام لا تصير أرواحاً هناك ، فإدراك الأجسام لتلك النعم إدراك حسى ، وإن كانت حسيته بحسب قابلية الجسم فى ذلك الوقت

فإذا سُلّم هذا — وهو مسلم — يُبرهن على دعوانا بقياس منطق اقترانى من الضرب الأول من الشكل الأول ، تؤخذ مقدمتاه من هذه المسلمات ، فيقال :

(النعم فى الآخرة تدرك بالحواس الجسمية ؛ وكل ما يدرك بالحواس الجسمية فهو حسى ؛ فالنعم فى الآخرة حسية) . ونتيجة هذا القياس لا تنقضُ حتى تنقضَ المقدمات ، وهيهات .

وبعد فلا أظن الأستاذ قراءة يفهم من هذا أننا ننكر أن النعيم الحسى لا يتصل بالروح ، ولكن اتصاله بالروح لا يمنع أنه نعيم حسى . والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

(فلسطين) داود حمدان

حول الوحدة الإسلامية والقومية العربية

كتب إلى فلسطينى فاضل يلومنى فى بعض فقرات من كلمتى المنشورة فى الرسالة الغراء عدد (٣٢٠) فقال : « إن قولى : (يقف المسيحى فى فلسطين فى جانب المسلم يدفعان معاً شر المتعصب المستعمر) يخالفه الواقع » وقال الفاضل : « وإن كانت تركيا وهى المسلمة لم تتحرك من أجل فلسطين فما ذاك إلا لأننا لا نعرف وحدة إسلامية اليوم ولا ندعو بها » . وقال أيضاً : « إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقليات بأنها من صميم الأمة » . ثم يختم كتابه إلىّ بقوله : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

فأود — قبل كل شيء — أن ألفت نظر الفاضل إلى أننى لم أزعم أن المسيحى السورى أو العراقى مثلاً هب يحمل السلاح للدفاع عن القضية العربية فى فلسطين ، وإنما قلت إن مسيحى فلسطين يدافعون مع المسلمين ويحاربون عدوهم القوى ، وهو واجبهم فى الذود عن أرضهم وفى حماية أهليهم . ولعل الفاضل يعلم أن كثيراً من المسيحيين العرب وقفوا ألسنتهم وأقلامهم للدفاع عن فلسطين المجاهدة كالأساتذة الشعراء بشاره الخورى وحليم دموس والشاعر القروى : اللبنانيين ؛ والكتّاب أمين الغريب وكرم ملحم كرم ولبيب الرياشى ، وهم لبنانيون أيضاً . كما أن فى سورية وفى مصر وفى العراق مسيحيين عرباً خلصا خدموا القضية الفلسطينية خدمات لا تنكر ولا تجحد

وأحب أن أناقش الفاضل فى قوله : « إن تركيا لم تحجم عن مساعدة فلسطين إلا لأننا لا نعرف الوحدة الإسلامية » فهل يريد الفاضل بالوحدة أن تتفق تركيا وإيران الدولتان المسلمتان القويتان مع العرب المسلمين المشتتين فى كل صقع والمحكوم أكثرهم من قبل الدول الأجنبية ؟ وهل هذا ممكن ؟ ثم لنفرض إمكان التحاق المسلمين العرب بهاتين الدولتين أو بإحداهما فهل يقبل العرب وهم كثيرو العدد ووافرو الثقافة أن ينضووا تحت لواء دولة صغيرة؟ ثم هل يقبل الأتراك هذه المحالفة وهم يعرفون قوة العرب ووفرة عددهم ؟ وإذا قبلوا أفلا نعتقد أن العرب لا تكون كلمتهم هى العليا فى جانب تلك الدول القوية التى تخشى سيادة العرب وحكمها ؟ وهل من المنطق أو المعقول أن يكون العرب تبعاً لغيرهم وأين نذهب بقوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمرِ منكم» وقد قال بعض جهابذة المفسرين: المراد بقوله تعالى « منكم » تخصيص الأمة العربية . . .

أما قوله: «إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقلية بأنها من صميم الأمة إلا إذا كانت قوية عزيزة الجانب » فيرده أن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى درجة من القوة والمنعة إذا وقف مسلمها فى جانب ومسيحيها فى جانب آخر

وكنت أحب ألا يفهم الفاضل عكس ما أردته فقد قال : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

ولو كان الفاضل يعلم أننى كنت ولا أزال بحمد الله من مؤسسى القضايا الدفاعية عن فلسطين المقدسة وأننى نشرت عشرات المقالات وألقيت مئات الخطب فى سبيل هذه القضية الشريفة وأننى كدت أسجن مراراً من أجل هذا الواجب ، أقول لو علم الفاضل شيئاً من هذا لكتب بلسان العقل لا بوحى العاطفة

فليطمئن الفلسطينى الفاضل وليعلم أننا أشد منه غيرة على الإسلام ولكننا نحكم العقل فنجازى المحسن بما فعل ونقابل المسيء بما قدم . (طرابلس) محمد على عطارى

جيرون وربوة فى كتاب هبة الأيام

أورد البديعى فى كتابه « هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمـام » قصيدة للعماد الأصبهانى يجاوب بها أبا الفتح التعاويذى فى الصفحة ٢٧٧ وهى قصيدة طويلة مطلعها :

بأبى معتـــدل القا مة فى عطفيـه نشوه

ومن أبياتها :

ما تسليني عن دجـــلة جيرون و « بروه »

هكذا أورده ناشر الكتاب الأستاذ الفاضل محمود مصطفى وعلق عليه بقوله : « لعل جيروناً وروة اسما نهرين بدمشق » . وهذا عدم تحقيق من الأستاذ الفاضل

فإن بروة تحريف ظاهر لا يخفى على أديب باحث فى اللغة العربية ، ولا يوجد نهر أوموضع بدمشق بهذا الاسم . وإنما هى ربوة وهو منتزه جيل وجنة غناء قرب دمشق ... قال ياقوت فى معجم البلدان : ربوة بضم أوله وفتحه وكسره . إلى أن قال : بدمشق فى لحف جبل على فرسخ منها موضع ليس فى الدنيا أنزه منه لأنه فى لحف جبل تحته سواء نهر بردى وهو مبنى على نهر تورى وهو مسجد عال جداً وفى رأسه نهر يزيد الخ اه . وقيل : إنها دمشق نفسها ، ولكن المعروف إلى اليوم هو المكان المنتزه الجيل . وقد تغنى به أمير الشعراء المرحوم شوقى بك فى قصيدة : « قم ناد جلق ... » فقال :

وربوة الواد فى جلباب راقصة ألساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو أصباغ وألوان

أما جيرون فقد قيل إنها دمشق نفسها ، وقيل إنها حصن بدمشق أو بناء عظيم لبعض الكواكب الخ. قال فى معجم البلدان هذا قولهم . والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقى يقال له باب جيرون، وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كثيرة فى حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح الخ

وجاء فى الصفحة ٢٨٠ من القصيدة نفسها

وهو فى الشعر وفى العلـ م كحسان وعروه

فعلق عليه الأستاذ بقوله : « حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله وأمره مشهور ، وعروة من شعراء العرب كثيرون ، فمنهم عروة بن حزام ومن شعره قوله فى عفراء :

متى تكشفا عنى القميص تبينا بى الضر من عفراء يا فتيان
إذاً ترَيا لحماً قليلاً وأعظماً بلين وقلباً دائم الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى .الخ

ومنهم عروة بن الورد الذى يسمى عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم. مع أن المراد هنا بمروة عروة بن الزبير بن العوام أحد فقهاء المدينة السبعة العالم المشهور، والمحدث الكبير تلميذ خالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها المتخرج فى مدرستها وهومشهورغنى عن التعريف .

وبيت العماد يقول : وهو فى الشعر كحسان ، وفى العلم كعروة ، وهذا فى البديع يا سيدى الأستاذ لف ونشر مرتب. وهذا الذى جعلنا نحمله هذا المحمل، والمعروف أن عروة بن حزام وعروة بن الورد وغيرهما من شعراء العرب لم يشتهر أحدهم بالعلم .

وإن الأستاذ محمود مصطفى ليشكر على مجهوده فى هذا الكتاب وعلى إخراجه فى هذا الثوب القشيب ، وأرجو أن يتقبل منى هذا التعليق بقبول حسن .

ابراهيم بسن القطانه

الشطر المسروق

سيدى صاحب الرسالة :

لقد قرأت فى العدد (٣٢٠) من الرسالة الغراء قصيدة الأستاذ « العوضى الوكيل » فأعجبت بما فيها من المعانى الدقيقة والخيالات الرائعة ولكنا استوقف نظرى هذا الشطر :

« أواه لو تنفع المحزون أواه »

فرجعت بالذاكرة إلى الماضى فتذكرت أنه مرّ علىّ منذ أربع سنوات فى قصيدة للأستاذ « محمود غنيم » فى العدد الممتاز من الرسالة من السنة الثالثة ص (٥٩١) تحت عنوان (مجد الإسلام — وقفة على طلل) وها هو ذا البيت بأكمله :

« لى فيك يا ليل آهات أرددها أواه لو أجدت المحزون أواه »

فرأيت الأستاذ (العوضى الوكيل) لم يغير فى الشطر غير كلمة (أجدت) وأبدلها بكلمة (تنفع)

محمد ابراهيم شلتوت



نظرات فى كتاب :

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

للأديب خليل أحمد جلو

— ٢ —

لا شك أن ما روى الدكتور عن حياة امرىء القيس منسجم مطرد ، وهو حجة دامغة معقولة ، لو أن ما كتبه (وهو عين ما يدرسه طلاب الصف الثالث الثانوى) ، هو كل ما روى فى الكتب ويُستنتج بعد المحاكمة ، ولو أنه صحيح ثابت ، ولكنه ناقص سقيم حين سمع الناس أن امرأ القيس شخصية خيالية ، وحين يعلم أن الرواة اختلفوا فى اسمه وكنيته وذريته: فهو حندج وهو قيس ، واسم أبيه عمرو واسم أبيه حجر ، واسم أمه فاطمة واسم أمه تملك ، وكنيته أبو لهب وكنيته أبو الحارث ، وأنه لم يكن له ولد ذكر ، وأنه يئد بناته جميعاً ، وأن له بنتاً يقال لها هند ، وأنها لم تكن بنته ، وإنما كانت بنت أبيه ، وأنه يعرف بالملك الضليل ، وأنه يعرف بذى القروح .

فكان عليك يا دكتور أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه « منسجم مطرد » ، وما تستطيع أن تسميه حقاً أو شيئاً يشبه الحق ليجوز لك أن تسلم بوجود امرىء القيس وأن تقول : « إن ما روى عنه « لم يكن أكذوبة » من أكاذيب القصاص » .

أليس جديراً بكتاب يسمى « بعث الشعر الجاهلى » أن يستعرض ما ذكرت ، وزيادة عليه مما يشم منه رائحة الأساطير والأكاذيب ، ثم يعرض لها بالبحث والتحليل ، والاستقراء والاستنتاج ، والتعقل والمحاكمة ، لينسج منه المؤلف بحثاً يستطيع بعده أن يقول : قد بعثت امرأ القيس حقاً ؟ ولكن الدكتور أغرق فى تجنب الآراء المتضاربة والاختلافات المتناقضة ، وما جرب أن يشطح وينطح ، وابتعد عن كل أناة وتثبت فيما نقض وأبرم . فهو يجحد جحوداً مطلقاً ، وينكر بغير حق شأنه فى التصديق ، ويروى ما يدعم مزاعمه ، ويغفل عما يدحضها ، وهذه خصال يتبرأ منها الباحث العلمى .

إذا أردت أن أنتهى من نقد طريقته السقيمة فى البحث فاسمح لى أن أحدثك يا قارئى عن برهانه على حقيقة نسبة « قفانبك » . وما هو برهانه ؟ لا يتجاوز ما يذكره فى ص ١٠ « أن القصيدة رويت فى القرن الثانى ، وأن كبار الرواة وثقاتهم كالمفضل الضبى وأبى عمرو بن العلاء والأصمعى أحياء لم يطعنوا فيها » . . . يظهر من هذا أن الدكتور مطمئن إلى ما يرويه هؤلاء كل الاطمئنان ، ولم ير حاجة فى الإطالة ، فقد جاء بالبرهان الناصع والدليل القاطع

هل يستطيع الدكتور أن يقول إن كل ما رواه هؤلاء صحيح سالم من التجريح ؟

لا شك أن هؤلاء ممن لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية ، والعجب أنهم قد كذبوا أيضاً وانتحلوا .

فأبو عمرو بن العلاء يعترف بأنه وضع على الأعشى بيتاً هو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويعترف الأصمعى بشىء من ذلك . ويقول اللاحقى إن سيبويه سأله عن إعمال العرب « فَعِلا » فوضع له هذا البيت :

حذرٌ أموراً لا تضير وآمن ما ليس ينجيه من الأقدار

وهل من صفة البحاثة العلمى أن يقف جامد العقل إزاء ما يروى عمن عاشوا فى القرن الثانى مهما ابتعدوا عن السذاجة وفساد الذمة ؟

وإذا سلمنا جدلاً أن القصيدة من ناحية السند صحيحة، أليس يحسن به أن يمتحن صحة متنها؟ إنه لم يتكلف عناء ذلك فى جميع ما روى من الملقات

يادكتور أن أكاذيب كثيرة حملت على الجاهليين ونسبت أحاديث خرافة لا تحصى إليهم فى عهد الإسلام، وأضيفت مقادير وافرة من الأباطيل إلى تاريخ كل شعب وكل جيل، وحاشاك أن تجهل الافتعالات التى يمليها تضارب المصالح والأهواء ويقتضيها تطاحن الأفراد والجماعات، مما يجب ألا نتواطأ عليها بالسكوت والتسليم، فلا تحسب أنك حين نزهت بعض الرواة عن الاختلاق والكذب يحق لك أن تقول بكلام المنتصر الغالب: « إذن لنفرغ لدرس هذه القصيدة (ص ١٩)، فإن الباحث المنصف من شأنه أن يحتاط ويحترس من كل ما يروى، وليس من الصحيح أن تقول إن فلاناً مشهور بالصدق فيجب أن نأخذ عنه كل شىء على علاته مطمئنين راضين

هل تعرف عن « مدرسة الرأى » التى انتشرت فى القرن الأول والثانى للهجرة التى كانت تشترط فيما يؤخذ به من حديث شروطاً لا يسلم معها إلا القليل، حتى غالى قوم فرأوا عدم الأخذ بالحديث بتاتاً؟

أليس جديراً بك يا دكتور أن تقف موقف « اللاأدريين » الذين شكوا فى صحة الأحاديث ولم يكن بينهم وبين قائلها صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين؟ تذكر أنك فى القرن الرابع عشر للهجرة، وأن الذى نرويه شعر وليس حديثاً لا يختلقه إلا من عرض نفسه لغضب الله وناره

يقول الدكتور (ص٩٢) « إنى أحاول فى هذا الفصل أن أثبت جاهلية الملقات أو ــ المطولات السبع ــ ومتى تم لنا القول بأن هذه القصائد السبع جاهلية حقاً، فإننا نكون قد أنقذنا أمجد صفحات الشعر الجاهلى من الجحود والإنكار. ذلك لأن هذه المطولات أقوى وأجمل وأمتع ما وصل لنا من الشعر الجاهلى على الإطلاق »

إن الدكتور يريد أن يثبت « بالجملة »

هل تعلم ما هو السلاح الذى دافع به عن الملقات حتى خيل إليه « أن القصائد السبع جاهلية حقاً؟ » إنك لا تعلم حتى أقول لك! إنه اقتصر على تبرئة حماد الراوية عن قولها لاغير!

ولكن كيف برأه ودافع عنه دفاع المحامى المحرج البرهان والدامغ الحجة؟

إنه يقول (ص ٩٣) « إن حماداً يستطيع أن يقول البيت أو الأبيات القليلة من الشعر المبتذل وأن يدسها فى شعر أحد الجاهليين ليدل بذلك على أنه أغزر علماً وأصدق رواية من غيره من الرواة، ولكنه لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية » ثم يقول إن شاعرية حماد لا تساعده « على وضع الشعر البليغ وإضافته إلى فحول الشعراء »

لا تطلب منى أن أضايق الرسالة بما يروى عن حماد وبما يؤثر عنه من شعر جيد رصين، وفن فى النظم فريد، وشيطنة فى الانتحال عجيبة، وتقليد للشعراء يعجز عنه أعظم شاعر فحل؛ ويكفى أن أذكر أن أهل الكوفة مجمعون على أن أستاذهم فى الرواية حماد: عنه أخذوا شعر العرب، وأنه شاعر مجيد يصل من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما روى وينتحل

ويقول المفضل الضبى ــ والدكتور يثق به كل الثقة ــ إن حماداً قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً. فلما سئل عن ذلك: ألحن أم أخطأ؟ قال: ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟

ويحدثنا عنه محمد بن سلام ــ والدكتور لا يشك فى روايته أيضاً ــ أنه دخل على بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فقال له بلال: ما أطرفتنى شيئاً؟ فعاد إليه حماد فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة فى مديح أبى موسى. قال بلال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة! والرواة أنفسهم يختلفون فى قائلها فنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً

وكان يونس بن حبيب يقول: العجب لمن يروى لحماد، كان يكسر ويلحن ويكذب

وثبت كذب حماد الراوية للمهدى فأمر حاجبه فأعلن فى الناس أن يبطل رواية حماد

فهل صحيح يا دكتور ما تقوله من أنك قد « أحصيت ما عرف لحماد من الشعر، على أنه له، أو على أنه محمول على بعض

الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً » ، وأن حماداً لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية ، وأنه لم يدس في الشعر غير البيت أو الأبيات القلائل ؟

وما لنا والإطالة ؟ فهل يشك أحد — غير الدكتور مهدي البصير — في أن حماداً كان يسرف في الرواية والتكثر منها، وأن له في ذلك أخباراً لا يكاد يصدقها أحد ؟ فلم يكن يسأل عن شيء إلا عرفه ! وقد زعم للوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروي على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة لمن لم يعرفهم من الشعراء . قالوا: وامتحنه الوليد حتى ضجر فوكل به من أتم امتحانه ثم أجازه

لا تظنوا مما حدثتكم به أني أربد أو أحاول أن أبدي رأياً في الشعر الجاهلي ، وإنما كل ما طمعت فيه أن أبين لكم أن الكتاب الذي بعث الشعر الجاهلي ، كما يخيل إلى صاحبه ، بريء مما يدعي أو يتخيل، وأنه خال من العمق، وهو سطحي كما يقولون. أو قولوا إنه شرح لمعاني المعلقات على أنها آيات منزلات أكثر منه محاولة لبعث الشعر الجاهلي ، وهو قائم على الإبهام والتضليل لمن لم يؤت نصيباً من الأدب ، وعلى الغفلة والانخداع . والباحث يخيل للقراء أو قل يخيل إليه أنه قد أحاط بالأدب والأدباء الجاهليين مع أنه لم يحط من ذلك بشيء . وإنما عرف صياغة بعض الجمل ، وعلماً عامياً اقتطفه من الكتب اقتطافاً .. وآية ذلك أنه في بحثه الجديد الذي سماه « بعث الشعر الجاهلي » لم يكشف للناس عن شيء جديد في أمر هؤلاء الشعراء الجاهليين وشعرهم ، وإنما ظل هؤلاء عند من يشك كما كانوا ، بل زادوا شكاً وارتياباً .

هذا النحو من البحث السطحي شر، لأنه قاصر وعقيم، ولأنه لم يأت بالثمرة المطلوبة أو بما يشبهها ، ولأنه لا يمت إلى العلم بصلة، ولأنه لا يصلح إلا للمتوسطات من المدارس .

لقد حدثتك عن الوجه الأول والثاني ، وقد كدت أن أنسى الوجه الثالث وفيه اقترف المؤلف من الأحكام الخواطئ والتفسيرات السقيمة والآراء الفطيرة ما جعلنا نتذكره ونشمر بضرورة الهداية والإصلاح والجهاد في سبيل الأدب والأدباء .

يشرح الدكتور معنى البيت :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

قائلا : إن الشاعر « يعلن أنه يعرف ماضي الحياة وحاضرها لأنه رآهما ، ولكنه يجهل مستقبلها » (ص ٤١) وهذا الشرح معقول مقبول لا يختلف فيه اثنان ، ولكن مما يدعو إلى النظر والتروي ما يستنتجه الدكتور من قول الشاعر : « ولكنني عن علم ما في غد عم » إذ يزعم « أنه لا يؤمن بالبعث » (ص ٤١) . إن هذا الادعاء باطل ؛ فإن الرواة يتحدثون أنه تنبأ بظهور الإسلام وأوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما . وهم يروون له أشعاراً كثيرة فيها أصول دينية . وذكر أبو عبيدة عن قتيبة ابن شبيب بن العوام بن زهير عن آبائه الذين أدركوا بجيراً وكعباً ابني زهير قال : كان أبي من مترهبة العرب وكان يقول : « لولا أن تفندوني لسجدت للذي يحيي بعد الموت ! قال : ثم إن زهيراً رأى قبل موته بسنة في نومه كأنه رفع إلى السماء حتى كاد يمس السماء بيده ثم انقطعت به الحبال ، فدعا بنيه فقال : يا بني ، رأيت كذا وكذا وإنه سيكون بعدي أمر يعلو من اتبعه ويفلح، فخذوا بحظكم منه، ثم لم يعش إلا يسيراً حتى هلك فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولنسلم أن هذه الروايات مُفتعلة محمولة على زهير ولندعها جانباً، ولنرجع إلى الشاعر نفسه نسأله عن رأيه في البعث فسيقول لنا دون تردد :

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

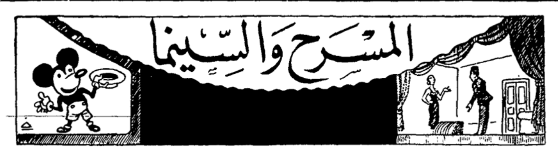
فاتق الله يا دكتور في دين الناس ، ولا تضلك ظواهر الكلم ، فإن الشاعر يريد أن يقول في بيته الذي آخذته عليه : وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وأنها لا تعلم الغيب

عفا الله عنك يا دكتور! فلولا أنك كنت تلبس العمة وترتدي القباء وكنت شيخاً في الظاهر والباطن، كما هو معروف عنك قبل أن تقصد باريس ، لاتهمناك بنكران الحساب ورأينا زهيراً ! ألست أنت الذي تقول في قصيدة وجدانية قلتها في نهر الليس (ص ١٥١)

لا تحسبن لماض ولا لآت حسابا

من يدري ! لعل الدكتور قد زاغ قلبه حين أحس بجلال طبيعة فرنسا وحين تضاءل جلال الله أمام جلال نهر الليس !؟ سبحانك يا رب !

(يتبع) الأعظمية خليل أحمد جلو



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

غادة الكاميليا

لا يعدو الحقيقة من يقول إن رواية غادة الكاميليا قد أفاد منها المسرح المصرى أضعاف ما أفاده من رواية بل من روايات عديدة غيرها ، وإن النهضة المسرحية تدين لها بالشىء الكثير . ويمكن أن ينسب جزء كبير من النجاح الذى لاقته فرقة رمسيس إلى هذه الرواية التى فتنت الجماهير ولعبت بألبابهم . وكما كانت (أوديب) الرواية التى جملت لجورج أبيض شأناً أى شأن ؛ وكما كانت (الموت المدنى) الرواية التى نال بها عبد الرحمن رشدى تقدير الجماهير ، كذلك كانت (غادة الكاميليا) الرواية التى بلغت بها فرقة رمسيس أوج المجد ، ومهدت الطريق لانتصارات كثيرة بعدها ، وإن كان شأن يوسف وهبى فيها غير ذى خطر إلى جانب السيدة روز اليوسف التى قامت بدور الغادة الفاتنة فوفقت فيه أعظم توفيق ووضعت اسمها به فى ثبت الخالدين . إلا أن يوسف استطاع أن يفيد منها كما يفيد الأذكياء من توافه الأمور . وهكذا جعل من دور «أرمان» شيئاً يذكر وبطلاً يشار إليه بالبنان . بيد أن النقاد كانوا له بالمرصاد ، وكان لأنفه — أنف يوسف لا أنف أرمان — قصص وحكايات كانت موضع تندر النقاد وسخريتهم على غير طائل ، فقد ارتفع شأن فرقة رمسيس أيما ارتفاع ، وصار جمهور الخاصة ينظر إلى الفرقة بعين الاعتبار ، ويقدر مجهودها ونشاطها ، وبذلك أصبح مسرح رمسيس وصالة التدخين التى جملها يوسف إلى خلف المقاصير منتدى الطبقة الراقية فى مصر ، ومكان لقيام المفضل فى الليالى الساهرة ، وكانت الفرقة تخرج كل أسبوع رواية ، وكان لكل يوم من أيام الأسبوع طبقة خاصة أو طائفة خاصة من الناس ، كما هو الشأن فى بعض دور السينما اليوم .

وهكذا فى أسابيع معدودة احتلت فرقة رمسيس مكاناً سامياً وغدا اسمها وأسماء أبطالها على كل لسان .

وللتاريخ نضع ثبتاً بأسماء هؤلاء الممثلات والممثلين الذين ارتفع عنهم ستار رمسيس فى عام ١٩٢٣ وهم :

يوسف وهبى — عزيز عيد — حسين رياض — أحمد علام — مختار عثمان — إستفان روستى — أدمون تويما — حسن البارودى — على هلال — أحمد عسكر — عبد العزيز محبوب — توفيق صادق — صادق عارف — محمد ابراهيم — حسن شلبى

ثم السيدات : روز اليوسف — زينب صدقى — فاطمه رشدى — سرينا ابراهيم — مارى حداد — نعمت كمال

وكان مخرج الفرقة هو عزيز عيد ، وحسن شلبى ملقنها . وكان أحمد عسكر أحد الممثلين ، بيد أنه أصبح بعد قليل الداعى الأكبر للفرقة وصوتها المسموع فى كل مكان إذ احتل من الفرقة المكان الذى يحتله اليوم من الفرقة القومية ، وهو جدير بالمكان الذى يشغله ما دام يلتزم حدوده فيه ؛ وكان على هلال (ريجسير) الفرقة ؛ أما أدمون تويما فلم يكن طوال عمره الممثل الذى يعتمد عليه ، بيد أنه كان دائماً البطل الذى يعمل من وراء ستار كما هو شأنه اليوم فى الفرقة القومية أيضاً ، فلهذا الفنان خبرة تامة بشئون المسرح وتستطيع أن تضمه فى مصاف المخرجين وإن تكن ثقافته ومعارفه ودرايته تفوق بعضهم بكثير .

(الكلام بقية)

ملاحظات

البعثات الفنية

من المفارقات العجيبة التي لا تحدث في غير مصر أن اللوم يقع شديداً على الحكومة لأنها تعنى أكثر العناية ببعوثها ماداموا في بعثاتها فإذا عادوا أهملتهم كل الإهمال ولم تستفد منهم وكأنما أرسلتهم لغير غرض وبلا أدنى تفكير في مصيرهم

بيد أن الفرقة القومية، وصلتها بالحكومة غير بعيدة، قد خالفت هذه القاعدة الذهبية وعنيت ببعوثها في الخارج وزادت عنايتها بهم عند عودتهم . على أن أغلبهم لم يذكر يدها عنده وأنكر فضلها وآثر التمرد والعصيان . فمنذ بضعة شهور عاد أحد المبعوثين رافعاً راية العصيان قبل أن يصعد ظهر الباخرة وظل رافعاً الراية الحمراء حتى وصل وحتى استقال أو أقيل ساخطاً متبرماً في غير داع للسخط أو التبرم إلا أنه شعر بضعفه وعدم قدرته على الاضطلاع بالمهمة التي بعث من أجلها ...

ومنذ أسابيع عاد آخر بعد أن تسلم الراية الحمراء من زميله وأعلن في غير حياء أن مرتبه ضئيل طالباً رفعه ومساواته بكبار المخرجين !

أما الذي عاد آخرهم فقد تذرع بالصمت وراح يعمل أو ينتظر أن يعمل في هدوء راضياً قانعاً بنصيبه المتواضع . وإنها لمعجزة !

ترى هل يعرف المتمردون أنهم يجرمون في حق الفن وفي حق أنفسهم وأن عقابهم يجب أن يكون شديداً ؟

إن الفرقة القومية لم تبذل في سبيلهم هذه الآلاف من أجل أن يعودوا فينتقضوا عليها ! إنها لسرقة علنية ، فإما أن يكلف هؤلاء برد الآلاف التي صرفت عليهم ، وإما أن يجلدوا أو يسجنوا وفاء لديونهم

اختيار الروايات في الفرقة القومية

تحدثنا في عدد مضى عن السياسة العجيبة التي تسير عليها الفرقة القومية في اختيار الروايات ، وذكرنا قصة (جنون الشرف) التي رفضت و (الخطاب) التي قبلت

وقد ضاق المقام عن إيراد بعض الأمثلة التي وعدنا بها القراء الكرام ، واليوم نعود إلى مواصلة الكلام

ويجرنا الحديث عن اختيار الروايات ، إلى الحديث عن لجنة القراءة التي تختار هذه الروايات ، أو التي يقولون إنها تختارها .

منذ عامين تقدم الأستاذ حسين عفيف بروايته : (وحيد) إلى الفرقة القومية ، وعرضت الرواية على لجنة القراءة فقبلتها وهنأت صاحبها ، وقدرت إدارة الفرقة ثمنها وصرفته له .

ثم تبين بعد ذلك أن الرواية لم تعرض على قلم المراقبة بوزارة الداخلية ، فأرسلت إليه فرفض إجازة تمثيلها ، لأن فيها أموراً تخدش الشرف والعرف العام

ومن العجيب أن يكون هذا رأي موظف في الدرجة الثامنة أو السابعة ، على حين أن في لجنة القراءة شيوخاً معممين وعلماء جهابذة ، وزعماء في الأدب والفن والأخلاق ، ومن العجيب أيضاً أن ينتصر رأي هذا الموظف ولا تمثل الرواية .

ولنا أن نتساءل إذن عن وقع هذه اللطمة على لجنة القراءة ؟

على أن هذه اللجنة تستأهل ما جرى لها . فقد ترجم بعضهم رواية (البيت المهدم) لأميل فابر ، وعرضت على اللجنة فرفضتها . وترجم آخر الرواية بعينها ، بيد أنه كان ماكراً خبيثاً فأبدل اسم جورج بمحمد ، وغير اسم ماري بزينب ؛ أما اسم الرواية فقد جعله (الأفاعي) وزعم أنها من تأليفه

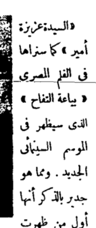
وعرضت الرواية في نفس الوقت على اللجنة الموقرة ، فقبلتها ودفعت لصاحبها الثمن ، ولم تفطن إلى أن هذه من تلك !

فلما قرئت الرواية على الممثلين عرفوها وقرعوا أجراس الفضيحة غير نادمين ؟

وبعد فقد أدى إهمال اللجنة إلى خسارة أكثر من مائة جنيه أو يزيد ، وفي نفس الوقت كان دليلاً رائعاً على أنها لا تصلح للمهمة التي وكلت إليها ! وهل بعد ذلك من دليل ؟

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



«جوان بلوندل» زوجة ديك باول وإحدى فاتنات هوليود وبطلة عدة روايات موسيقية ناجحة ومن أظرف رواياتها (الملك والراقصة) التي عرضت منذ عامين في دار سينما ستوديو مصر. وكان يقوم بدور القيادة أمامها الممثل البارع «فرنان جرافيه» بطل (الفالس الكبير)

شارلز لوفتون

يظهر أن هذا الممثل الإنجليزي البارع يحب البحر أو أن البحر هو الذي يميل إليه. كانت أول رواياته في هوليود (الشيطان في الأعماق) مع «تالولا بانكهيد» وكان يقوم فيها بدور ضابط بحري في غواصة. وهل يمكن أن ينسى القراء دوره المعظم (كابتن بلاي) في رواية «الثورة على السفينة بونتي» ثم دوره في رواية «سفينة الغضب» وأخيراً فإنه في رواية «خان جامايكا» يعود إلى البحر مرة أخرى!



«بيتي ديفز» نجمة شركة وارنر وقد سطع نجمها في وقت كان يظن فيه أن حياتها الفنية قد انتهت، وذلك أنها قبلت القيام بالدور المكروه في رواية (الاستعباد) مع لسلي هوارد فنجحت فيه نجاحاً رفعها دفعة واحدة إلى مرتبة النجوم. ثم توالت انتصاراتها من بعد ذلك.

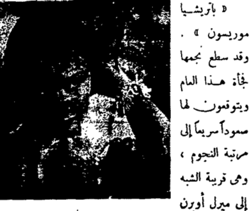
«السيدة عزيزة أمير» كما ستراها في الفلم المصري «بياعة التفاح» الذي سيظهر في الموسم السينمائي الجديد. ومما هو جدير بالذكر أنها أول من ظهرت على الشاشة من الممثلات المصريات، وكان لها فضل إدخال الفن السينمائي في مصر، وهي إلى جانب ذلك ممثلة مسرحية مجيدة

سيجريد كوري

يخرجون الآن في شركة يونيفرسال رواية «النساء المنسيات» للنجمة البارعة «سيجريد كوري»

الطفل سابو

يتمرن الآن الطفل سابو على صناعة النشل ليقوم بدوره في رواية «لص بغداد». وقد أمكنه أثناء مدة التمرن أن ينشل بضعة أشياء ثمينة من رجال الأستديو مما دعاهم إلى الثناء عليه. وهذه أول مرة يثنى فيها على فرد لأنه قام بمهمة النشل خير قيام!



«باتريشيا موريسون». وقد سطع نجمها فجأة هذا العام ويتوقعون لها صعوداً سريعاً إلى مرتبة النجوم، وهي قريبة الشبه إلى ميرل أوبرن كثيرة التشبه بها. وقد بدأوا يحيكون حولها شبكة من الحكايات والأقاصيص ليملأوا الأفواه باسمها كما تجري الألسنة بذكرها

7me Année No. 325

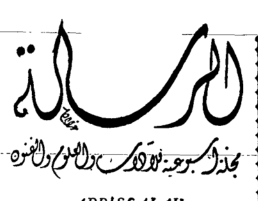
Lundi - 25 - 9 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العـــــدد ٣٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

١٣٠٣٦

سيجفريد فى الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أصبح خط سيجفريد مشهوراً فى السنوات الأخيرة، وقد كان معروفاً فى الحرب الماضية على غير الوصف الذى اشتهر به الآن، لأنهم كانوا يطلقونه يومئذ على مواقع الجيوش الألمانية خلف « السوم » ما بين سان كنتان ولاون، ولم يكن فيه حصون ولا أنفاق ولا مكامن كالتى بنوها فى هذه السنوات محاكاة لخط « ماجينو » المعروف

وليس للتسمية مصدر من التاريخ ولا من فنون الحرب، وإنما مصدرها كله أساطير وأناشيد وخيال

خرافة شمالية قديمة نقلها الألمان عن أمم « الاسكندناف » ما بين أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر، وجاء « فاجنر » فأدار عليها بعض رواياته الموسيقية ومنها واحدة باسم البطل سيجفريد سليل ملوك البلاد الواطئة وسليل الأرباب العلويين من قبل ذلك

وقد سمى الخط بهذا الاسم لأن نشأة سيجفريد وتربيته كانت بين البلاد الواطئة ووادى الرين حيث يقوم الخط الآن وهناك مشابه تجمع بين البطل والخط فى مجاز الأساطير

فقد كان سيجفريد يملك طيلسان الإخفاء فيلبسه فيصبح في قوة اثني عشر بطلاً ولا تراه عين ناظر من أبناء الفناء

وكان جلده منيعاً على طعن الحراب والسيوف ، لأنه قتل التنين الحارس لذخائر الرين وسبح في دمه فنشأ له جلد خشن سميك في صلابة القرون التي كانت على التنين

وكان له سيف صاغه بيديه من سيف أبيه المكسور ، يقصم كل شيء ولا يقصمه شيء من الأشياء

لكن الأسطورة لا تقف عند هذه المشابه بل تعدد صفات أخرى لسيجفريد ليست مما يرتضيه هتلر وتابعوه

فقد كان النحس مظلاً للبطل المحبوب من مولده إلى مماته

مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه بعد ولادته بقليل ، ورباه قزم بغيض كان هو أول الماقين له المبغضين لمرآه

وسبح في دم التنين فلصقت بين كتفيه ورقة من شجر الزيزفون فحالت بين الدم وجلده فبقي موضعها مقتلاً يعرف سره بعض شانئيه . وقد طعنه منافس له في هذا الموضع وهو يميل إلى نبع ليشفي غلته ، فقضى عليه !

فهل في خط سيجفريد موضع مثل موضع هذه الورقة ؟ وهل يهتدي إليه خصم فينفذ فيه ويقضي على البطل المنيع من كل مكان ، إلا من ذلك المكان ؟

وهل يلازم النحس هذا الخط كما لازم سميه في الأساطير ؟

لقد وصف برنارد شو سيجفريد كما مثلته الأساطير وكما مثله « فاجنر » في روايته فقال في كتابه « الفاجنري الكامل » :

« كان لا يعرف قانوناً ولا شريعة غير هواه ، وكان يمقت القزم الدميم الذي رباه ، ويتميز من الغيظ كلما تقاضاه حق الوفاء . وكان على الجملة مخلوقاً براء من الأخلاق ومن قيود العرف والآداب »

أليست هذه هي النازية بعينها ، أو الآرية كما يصفها فلاسفة هتلر المسخرون للأوامر العسكرية ؟

أليس سيجفريد الحديث خليقاً بمصير سيجفريد القديم ؟

* * *

على أننا لا ننسى نصيب سيجفريد من الفكاهة وقد أجملنا نصيبه من القصص والخيال

فالإنجليز يقولون فيما شاع من « قفشات » الحرب أن خط سيجفريد « ارساتز » Ersatz كسائر ما يصنعه الألمان

وما « ارساتز » هذه يا ترى ؟

كلمة تحتاج إلى تفسير في عرفنا الدارج . وأقرب تفسير لها في هذا العرف أنها تقابل كلمة «التقليد» أو الصناعي التي نقصدها ~~حين نقول في معرض التهكم : « هذا إنسان تقليد ! »~~ . . .
أو نقصدها حين نقول في معرض الجد: « هذه زبدة صناعية ! »

ويروى « قفاشو » الإنجليز والعهدة عليهم أن رجلاً ألمانياً ضاقت به الدنيا فعمد إلى بخع نفسه، واستخف الموت شنقاً فاشترى حبلاً ووضع فيه عنقه وضرب الكرسي الذي يقف عليه بقدر ولكن الحبل كان « ارساتز » فانقطع ولم يصبه شيء

وفكر في السم فذهب إلى صيدلية فاشترى مقداراً من السم يكفي لقتل خمسة وتجرعه مرة واحدة ثم انتظر فإذا هو كأصح ما كان ، لأن السم كان أيضاً « ارساتز » فأفاد من حيث أريد به الإضرار ، وانقلب إلى نوع من الدواء

واشترى من فرط يأسه رصاصاً فوجده بعد التجربة « ارساتز » لا ينطلق ولا تنقدح فيه نار

قال الرجل : لقد خلقت للحياة إذن ، ولم أخلق للموت، وفي العمر بقية لا محالة

ومضى وهو ينوي أن يستمتع بالحياة جهد ما وسعته المتعة من طعام وشراب وسرور

وانحرف في طريقه إلى مطعم كبير فأمر بأصناف كثيرة وصحاف متعددة وأكواب مترعة، ومنادمة مشبعة، وأفرط ما شاء، وهو يحسب أنه قد امتلأ بالغذاء

ولكن ذلك كله كان أيضاً « ارساتز » ...

فمات !

* * *

قال القفاشون : وإن بين سيجفريد وماجينو من المشابهة لنظير ما بين زبدة الكيمياء وزبدة البقر والشاء ، أو نظير ما بين الجلد « التقليد » والجلد الصحيح ، أو نظير ما بين « الصولة » الكذابة والصولة الصادقة في لغة الآكلين !

عباس محمود العقاد

للتاريخ السياسي

قنبـــلة سياسية

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ انفجرت قنبلة سياسية في برلين سمع دويها في جميع أنحاء العالم ، دهاه الأمر وناله الفزع . ولما لم يكن يعلم ما تحتويه من مواد ، أخذ يرجو أن تكون محتوياتها غير مبيدة ولا قتالة ، وكانت تلك القنبلة إعلان اتفاق ألمانيا وروسيا على توقيع ميثاق عدم الاعتداء بينهما

فوجئ العالم بهذا النبأ واستغرب وقوعه ، لما بين ألمانيا وروسيا من عداء مستحكم ، وما لهتلر من مطامع في البلاد السوفيتية كان يعمل على تحقيقها تحت ستار مكافحة الشيوعية. ومما زاد الصدمة شدة وخطورة ، انقطاع الأمل في انضمام الروسيا إلى « جبهة السلام » ليتحقق بذلك إيقاف دولتي المحور عند حدهما ، ولتتم سلامة دول أوربا من اعتداءاتهما . على أن العالم فوجئ بنتيجة معاكسة التي كان ينتظرها ، فوجئ بانضمام الروسيا إلى ألمانيا تحت ستار ميثاق عدم الاعتداء ، فكيف تم هذا الميثاق ؟ وما هي محتوياته ؟ وما هي الدواعي التي حدت بألمانيا إلى مصافاة عدوتها اللدود روسيا ، وما الذي دفع السوفييت إلى مد يد المساعدة لمنشئ « جبهة مكافحة الشيوعية ؟ » وما هي نتائج هذا الانقلاب الخطير في الحالة الدولية ؟

لم تصب الدول الديمقراطية في اتفاق مونيخ الهدف الذي كانت ترمي إليه من تهدئة الخواطر وتحقيق السلام بإنالة الهر هتلر ما دعاه « آخر مطالبه في أوربا » . وسبب ذلك سوء نية زعيم ألمانيا ، وعزمه على استعمال التهديد والقوة لنيله مطلباً بعد آخر. فالدول الديمقراطية لم تنل السلام في مونيخ ، بل سبب لها ذلك الاتفاق مشاكل ومصاعب جساماً ، كنا قد نوهنا عنها حينئذ على صفحات « الرسالة » الغراء . وما الميثاق الألماني — الروسي الذي هز أركان العالم وزج بأعظم أممه في حرب ضروس ، إلا نتيجة طبيعية لتسامح الدول الديمقراطية في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨ . وهذا الميثاق الذي نظر إليه العالم نظرة الدهشة والغرابة لم يكن ابن ساعته ، بل كان نتيجة لمفاوضات بين برلين وموسكو بدأت منذ استقالة الرفيق ليتفينوف من وزارة الخارجية الروسية وأدت إلى توقيع الاتفاق الألماني الروسي الاقتصادي في برلين في التاسع عشر من أغسطس هذا العام ، ثم إلى توقيع ميثاق عدم الاعتداء الذي نحن بصدده

ولما تم التفاهم والاتفاق بين الدولتين ولم يبق عليهما غير توقيع الوثائق ، أعلن النبأ في برلين في ٢٢ أغسطس . وفي صباح اليوم التالي سافر الهر فون ريبنتروب ، وزير خارجية ألمانيا إلى موسكو بطريق الجو يصحبه اثنان وثلاثون من كبار الموظفين في وزارة الخارجية الألمانية . وعلى أثر وصوله العاصمة السوفيتية بساعتين اجتمع بالرفيق مولوتوف رئيس وزارة الروسيا ووزير خارجيتها . وفي مساء اليوم نفسه وقع الوزيران ميثاق عدم الاعتداء بين الدولتين ، وكان التوقيع بحضور الرفيق ستالين رئيس الدولة السوفييتية . وفي ظهر ٢٤ أغسطس عاد الهر ريبنتروب إلى العاصمة الألمانية .

* * *

لم يكن ميثاق موسكو قليل الأهمية ، كمواثيق عدم الاعتداء التي اعتادت بعض الدول إبرامها بسهولة والتخلص منها في أي وقت أرادت ، كما أنه لم يكن تجديداً لميثاق « رابالو » الذي عقد عام ١٩٢٢ وتجدد عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٣ . بل كان ميثاقاً أقرب إلى معاهدة حربية منه إلى ميثاق عدم اعتداء . فبهذا الميثاق ضمنت كل من ألمانيا وروسيا عدم اعتداء إحداهما على الأخرى منفردة أو مشتركة ، كما أن ألمانيا أزالت عنها خطر اشتراك الروسيا في أي حركة ترمي إلى تطويقها مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وبذلك أزالت ألمانيا مفعول المعاهدة الفرنسية الروسية لعام ١٩٣٥ ، تلك المعاهدة التي أثارت ثائر هتلر ، ودفعت به إلى عمل كل ما في وسعه لحمل فرنسا على إلغائها ، ولم يوفق حينذاك . وقد تمكنت ألمانيا في هذا الميثاق أيضاً من منع كل مساعدة روسية للدولة التي يكون معها الرايخ مشتبكاً في حرب ، وخصت نفسها بالمساعدة الروسية الواسعة في الحرب وفي السلم . وفي الوقت نفسه هدمت السوفييت جبهة مقاومة الشيوعية ، وباعدت ما بين ألمانيا واليابان

ومما هو جدير بالذكر أن الروسيا لم تضمن ميثاق موسكو المادة التي كانت حريصة عليها في المواثيق السابقة ، والتي تخولها حق نقض الميثاق عند اعتداء المتعاقد معها على دولة ثالثة

ومن الأكيد أن مباحثات الهر ريبنتروب مع الرفيق مولوتوف

لم تكن قاصرة على مضمون ميثاق عدم الاعتداء بل تعدتها إلى تحديد وضمية كل من الدولتين فى أوربا وآسيا . وتقول الدوائر السياسية فى بعض العواصم إن الدولتين اقتسمتا بولندا ، وتعهدت ألمانيا بالتنازل عن مطامعها فى التوسع فى أكرانيا ، كما أن الروسيا تعهدت بالضغط على رومانيا وعلى تركيا لحلهما على الوقوف موقف الحياد حين نشوب الحرب

فميثاق موسكو لم يكن بعامل جديد على توطيد السلام، بل كان عاملاً مشجعاً للهر هتلر على المغامرة فى إشعال نيران الحرب ، باعتدائه العسكرى على بولندا تلك البلاد التى كانت صديقته بالأمس والتى عقدت معه ميثاق عدم الاعتداء لمدة عشر سنوات .

* * *

إن التقرب بين برلين وموسكو من الأحداث الدولية الخطيرة. ولهذا الحادث أسباب هى فى برلين تختلف عنها فى موسكو. أما العوامل التى دعت الروس إلى قبول فكرة التقرب من ألمانيا فقد ذر قرنها منذ عقد مؤتمر مونيخ فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨

أصرت ألمانيا فى أزمة سبتمبر من العام الفائت على إبعاد السوفيت من المجتمع السياسى الأوربى، ورفضت حينئذ الجلوس مع ممثليها رفضاً باتاً ، وآثرت فشل المفاوضات وتعقيد حلها على أن تشترك فى مؤتمر تكون السوفيت أحد أعضائه ولما رأت بريطانيا وفرنسا أن الهر هتلر جادٌ فى ذلك ، وأن إصرارها على وجوب اشتراك السوفيت فى مؤتمر مونيخ قد يؤدى إلى الحرب، رضيتا بالنزول على إرادة دكتاتور ألمانيا ، وقبلتا ما طلبه حفظاً للسلام .

رأت الروسيا فى تصرف دول مونيخ ضربة لنفوذها السياسى فى أوربا ، وسبباً فى عزلتها ، فنزذلك عليها وأخذت تنتهز الفرص للتعويض عما أضاعه عليها مؤتمر مونيخ من نفوذ وأعوان .

لم يحافظ الهر هتلر على اتفاق مونيخ الذى ما تم إلا لإرضائه، ولم يعمل بتصريحاته الرسمية المديدة القائلة بأن ليس له مطالب إقليمية فى أوربا بعد السوديت، بل برهن على أن لا قيمة لتوقيعاته ولا أقواله بضمه بلاد التشك والسلوفاك وميمل إلى الريخ .

عندئذ أيقنت بريطانيا وفرنسا بأن لا فائدة ترجى من سياسة تهدئة الخواطر ، إذ أن زعيم ألمانيا يعتبر النيات السلمية والإنسانية ضعفاً ، ويتخذ من حسن النية عاملاً مشجعاً على الاعتداء على الدول المجاورة للوصول إلى هدفه فى السيادة على أوربا أولاً وعلى العالم أخيراً. أمام هذه النفسية الألمانية التى لا تعرف حداً لمطامعها عزمت بريطانيا وفرنسا على إيقاف العدوان ، فأمنتا سلامة بولندا ورومانيا ضد الاعتداء . وكان هذا التأمين واسع المدى حتى أنه ترك لبولندا الحكم فيما إذا كان استقلالها ومصالحها الحيوية فى خطر . وعملتا على إيجاد « جبهة سلام » قوية لايستطيع العدوان أن يجد أمامها متسعاً . وكانت الغاية من هذه الجبهة المحافظة على السلام والتوكيد لهتلر أن بريطانيا وحليفاتها عازمات على إيقاف اعتداءاته عزماً صحيحاً لا محيد عنه .

ومن الطبيعى أن تفكر بريطانيا وفرنسا فى ضم روسيا إلى « جبهة السلام » إذ أن الروسيا حليفة فرنسا ، والنازية عدوة الشيوعية اللدود . يضاف إلى ذلك أن روسيا لها مكانتها فى أوربا الشرقية . فبدأت المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، والروسيا من جهة أخرى . غير أن هذه المفاوضات تعقدت وطالت لأسباب لا مجال لبحثها هنا . وقد أصرت بولندا على رفض مرور الجيوش الروسية فى بلادها حين وقوع الاعتداء عليها والاكتفاء بمساعدة الروس لها بالأدوات الحربية . غير أن السوفيت رأت فى رفض بولندا عدم ثقة بها وبجيشها

هذه الأسباب وغيرها أثرت فى الحكومة السوفيتية وجعلتها تنشد سلامة بلادها عن طريق غير طريق التحالف مع بريطانيا وفرنسا ، أى عن طريق التفاهم مع عدوها اللدود الذى يهدد بلادها ويؤلب عليها الدول تحت لواء « ميثاق مكافحة الشيوعية » وبذلك تكون أيضاً قد خرجت من العزلة الدولية التى فرضها عليها مؤتمر مونيخ ، وأزالت خطر مطامع هتلر والتحارب معه

أما من الناحية الألمانية فإن الهر هتلر وجد بريطانيا وفرنسا عازمتين على وقف عدوانه ، وأن سياستهما آخذة فى النجاح شيئاً فشيئاً . ورأى فى جبهتهما جبهة حصار لبلاده ، إن تمت بدخول الروسيا فيها حيل بينه وبين ما يطمع من تحقيق مشروعاته فى السيطرة على أوربا ... أمام هذا الخطر ، وأمام الصعوبات

الداخلية من سياسية واقتصادية ، رأى الهر هتلر أن يخرج من المأزق بعمل يزيده ثقة بتحقيق أطماعه من جهة ، ويضعف القوى المقاومة لتلك المطامع من جهة ثانية . فتقدم إلى عدوته السوفيت وعرض عليها المصافاة والصداقة . فصادف ذلك هوى فى نفسها ولم تتردد فى قبول ما عرض عليها . وبذلك تم ما أسموه « ميثاق عدم الاعتداء » بين موسكو وبرلين

* * *

وكان لهذا الميثاق نتائج هامة غير الحرب التى تدور رحاها الآن فى أوربا ، فى ميادين القتال الثلاثة ، البر والبحر والجو

كانت النازية تعتمد فى توحيد الصفوف الألمانية وفى إيجاد الحلفاء والأصدقاء على مبدأ « عداء الشيوعية » . ولم يخل كتاب هتلر « كفاحى » ولا أية خطبة من خطبه من التنديد بالشيوعية وذكر أخطارها . وكان هـذا السلاح الذى استعمله الفوهرر مفيداً ومساعداً له على الوصول إلى ما وصل إليه من توحيد الصفوف فى ألمانيا وإيجاد حلفاء وأصدقاء له وقعوا على ميثاق « مكافحة الشيوعية » . ولكن تغيير هتلر لاتجاه سياسته الخارجية تغييراً كليا أذهل الشعب الألمانى وجعله يرى فى تصرفات زعيمه ما يناقض المبادئ التى كان يحمله على الإيمان بها

وكان لتغيير سياسة هتلر الخارجية أسوأ الأثر فى اليابان . فاجتاحتها موجة بغض شديد للألمان، كان من نتيجته استقالة الوزارة فى طوكيو وتغير سياسة اليابان الخارجية . وبدأ التقرب بين اليابان وصديقتها القديمة بريطانيا العظمى .

أما فى إيطاليا فلم تكن الحكومة والشعب راضيين عما قام به الهر هتلر . وليس ذلك بغريب ، لأن للحكومة الإيطالية كرامة عزيزة عليها . وهـذه الكرامة تحول بين ألمانيا وبين مرادها فى أن تكون إيطاليا أداة لتحقيق مطامعها ، حتى على حسابها .

إزاء هذا التأثير السيء ، حاول الهر هتلر إقناع أصدقائه بأن « ميثاق عدم الاعتداء » بين ألمانيا وروسيا لا تأثير له قط على مفعول « ميثاق مكافحة الشيوعية » . فكان ذلك مهزلة قبيحة فى وسط مأساة مؤلمة .

وكما أن ميثاق موسكو أثر فى وضعية ألمانيا الدولية ، فقد أثر أيضاً فى وضعية الروسيا ومبادئها الشيوعية . من موسكو تتلقى الأحزاب الشيوعية فى البلدان الأخرى تعاليمها وروحها ؛ وكانت هذه الأحزاب آخذة فى الانتشار استناداً إلى الصراع المستمر بين الشيوعية والاشتراكية من جهـة ، والنازية والرأسمالية من جهة ثانية . ولما رأت الأحزاب الشيوعية فى الدول المختلفة أن موسكو مصدر الشيوعية قد حالفت أكبر عدو لها داخلها الريبة فى حسن نية السوفيت ، وغاض لديها التشيع لها والدعوة إليها . ولعل أبرز مثال لذلك موقف الحزب الشيوعى فى فرنسا ، وما استهدف له من فقدان نفوذه على الجماعات الفقيرة وطبقات العمال

على أن أهم نتيجة كانت للتقرب بين موسكو وبرلين ، هى نشوب الحرب الحالية باعتداء هتلر الجنونى على بولندا واقتحامه لبلادها دون داع ولا مبرر إلا طمعه فى بسط سيادته عليها وعلى أوربا أولاً والعالم أخيراً ، ذلك الاعتداء الذى قام به زعيم ألمانيا رغم الجهود العديدة الجبارة التى بذلت من كل جانب لصون السلام والإبقاء على المدنية . فما هى تلك الجهود ، وماذا كان رد هتلر عليها وما هى الفصول التى مثلتها الدبلوماسية الألمانية لتبرر تعديها على بولندا ؟ هذا ما سنعرضه فى مقال آخر .

يوسف هيكل



جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ١٦ -

كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شرع فى الرد على الأستاذ أحمد أمين ، فقلت فى نفسى : يحسن ترك المسائل التى نقدها الدكتور عزام حتى لا يكون فى هذه المقالات حديث معاد . وهل كان الغرض من هذه المقالات إيذاء الأستاذ أحمد أمين بالذات حتى نعيد القول فيما نقده الدكتور عزام ؟ إن الغرض هو التنبيه على أغلاط الأستاذ أحمد أمين حتى لا يفتن بها من يثقون بكفايته العلمية من طلبة الآداب فى مختلف المعاهد العالية ، وقد حمل الدكتور عزام بعض تلك الأعباء

كذلك حدثت نفسى حين قرأت ما كتب الدكتور عبد الوهاب عزام فى كشف أغلاط الأستاذ أحمد أمين

ولكنى رجعت عن هذه النية فيما بعد حين رأيت أن لى مسالك فى النقد تغاير مسالك الدكتور عزام وتجعل القراء فى أمان من ضجر الحديث المعاد

زعم الأستاذ أحمد أمين أن علماء العرب « رفعوا من قيمة كل شىء جاهلى وغلوا فى تقديره : فالماء الحقير فى مستنقع جاهلى خير من دجلة والفرات والنيل وكل أنهار الدنيا ، والجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء ، ودوسر كتيبة النعمان بن المنذر أقوى جيش عرفه التاريخ ، وأيام العرب فى الجاهلية ووقائعها الحربية لا يعادلها أى يوم من أيام المسلمين ، وجبلا طيء خير جبال الدنيا ، وحاتم الطائى لا يساوى كرمه كرم . حتى الرذائل لا يصح أن يساوَى برذيلتهم رذيلة ، فليس أبخل من مادر ، ولا أشأم من البسوس ، ولا أسرق من شظاظ »

أتدرون ما الذى قال الدكتور عزام فى نقد هذا الكلام الأجوف ؟

قال إنه يقوم على أساس المبالغة والإغراق

وهذا نقد جارح : لأن اتهام أستاذ من أساتذة الجامعة بالمبالغة والإغراق له عواقب سود . وما الذى يبقى لأساتذة الجامعات إذا حُرِموا مزية التحديد فى شرح المقاصد والأغراض ؟

وهناك كلمة طواها الدكتور عزام وهى كلمة « الافتراء » ، فقد افترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون أن أى يوم من أيام المسلمين يعادل أى يوم من أيام الجاهلية ، ونحن نتحداه أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأى فى أى مكان من كتب الأدب أو التاريخ . نتحداه ، نتحداه ، فلينطق إن كان من كلامه على يقين

وهل شغل المؤلفون بتدوين أخبار الحروب فى الجاهلية كما شغلوا بتدوين أخبار الغزوات والفتوحات ؟

وما هو النص الذى يشهد بأن الماء الحقير فى مستنقع جاهلى كان عندهم خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا ؟ وما هى العبارة التى تنص على أن جبلى طيء كانا عندهم خير جبال الأرض ؟

وإذا كانت الجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء فكيف استجاز أدباء العرب أن يشغلوا أنفسهم بتقييد أخبار الأغانى والمغنين فى عصر بنى أمية وعهد بنى العباس ؟

إن أحمد أمين قد يستطيع النهوض من كبواته الكثيرة ، ولكنه لن ينهض أبداً من هذه الكبوة . وستظل شاهداً على أنه يكيل الأدب والذوق بمكيال ، مع أنه بحكم منصبه مسئول عن إدراك دقائق الفروق بين الألفاظ والمعانى

* * *

أترونني أقف عند الحد الذى اكتفى به الدكتور عزام حين قال : إن كلام الأستاذ أحمد أمين فى هذه النقطة يقوم على أساس المبالغة والإغراق ؟

هيهات ، هيهات !!

سأقول إن كلام أحمد أمين صدق فى صدق ، وسأرجوه أن يتحمل الصدمة برباطة جأش

أفى الحق أن العرب يرون الماء الحقير فى مستنقع جاهلى خيراً من دجلة والفرات والنيل ؟

وهو كذلك ...

ولكن ما رأيك إذا صارحتك بأن كلامك هذا هو الحجة عليك ... ؟

ألم تقل بأن العرب لم يحسوا الطبيعة فى بلادهم ؟

فكيف يصح هذا وكان الرجل منهم يتعلق بما يراه إلى الحد الذى عبته أنت على أولئك الرجال

المسألة تحتمل وجهين : الوجه الأول أن يكون العرب فى كلامك هم أهل الجاهلية ، والثانى أن يكون العرب فى كلامك هم المسلمين[1]

ولا صحة للوجه الثانى لأن العرب بعد الإسلام تغنوا بأنهار مصر والشام والعراق والأندلس غناء يشهد بأنهم فتنوا أشد الفتون بأنهار تلك البلاد حتى صح لعمر بن أبى ربيعة أن يضرب المثل بعذوبة ماء الفرات فيقول :

أسُكَيْنَ ما ماء الفرات وطيبهُ ... منى على ظمأ وبَرد شراب
بألذَّ منك وإن نأيت وقلما ... يرعى النساء أمانة الغُيَّاب

وحسان فى جاهليته جعل ماء بَرَدَى يصفق بالرحيق . واتفق لبعض المسلمين أن يقول بأن بردى أنزه بقاع الأرض ، فكيف يجوز مع هذا أن يحكموا بأن الماء الحقير فى المستنقع الجاهلى أعذب من سائر المياه فى الأرض ؟

واتفق لأحد شعراء الأندلس ، وهو ابن خفاجة أن يحكم بأن الأندلس هى جنة الخلد ، ولذلك أنهم بالمروق من الدين ، فهل يصح فى ذهن ابن خفاجة أن تكون المستنقعات الجاهلية أطيب من المياه الأندلسية وهى تجرى فى رعاية الرياض والبساتين ؟

وتحدث النورى والعمرى عما عرف العرب من بحار وأنهار وغدران حديثاً يشهد بأن العرب بعد إسلامهم فتنوا بما رأوا من طيبات الوجود كل الفتون

يبقى الوجه الأول وهو أن يكون العرب فى كلام أحمد أمين هم أهل الجاهلية

وأعترف بأن الجاهليين فضلوا مياههم على سائر مياه الأرض

ولكن هل يدرك أحمد أمين سر هذا التفضيل ؟

(١) المسلمين فى هذه العبارة أصح من المسلمون ، لأن الضمير فى مثل هذه العبارة ضمير فصل لا محل له من الاعراب على أرجح الأقوال

إن العربى فى جاهليته كان يرى ماءه خير المياه ، لأن كلمة « ماء » عند أهل الجاهلية ترادف كلمة « الوطن » ومن حق الرجل الكريم أن يرى وطنه خير الأوطان

وأتصدق على الأستاذ الناقد فأقول إن الكتب المؤلفة فى « مياه العرب » لم يكن يراد بها وصف تلك المياه من وجهة طبيعية كأن يقال هذا ماء عذبٌ وذاك ماء أجاج ، وإنما كان يراد بالحديث عن « مياه العرب » وصف المواطن التى تجمَّع فيها العرب أيام الجاهلية ، فهى دراسةٌ لطبائع السكان فى تلك البقاع ، وتعريف بقوامهم الماشية

وإذا صح للشاعر الحضرى أن يفضل أروند على بغداد فيقول :

وقالت نساء الحى أين ابن أختنا ... ألا خبِّرونا عنه حيِّيتُمُ وفدا
رعاه ضمان الله هل فى بلادكم ... أخو كرم يرعى لذى حسب عهدا
فإن الذى خلفتموه بأرضكم ... فتًى ملأ الأحشاء هجرانه وجدا
أببغدادكم تُنسيه أَرْوَنْدَ مربعاً ... ألا خاب من يشرى ببغداد أروندا
فدتهن نفسى لو سمعن بما أرى ... رمى كل جيدٍ من تنهده عقدا

فقد صح للشاعر البدوى أن يفضل ماء « الوشل » على جميع المياه فيقول :

إقرأْ على (الوشل) السلام وقل له ... كل المشارب مذ هُجِرت ذميمُ
سقياً لظلك بالعشىّ وبالضحى ... ولبرد مائك والمياه حميم
لو كنت أملك منع مائك لم يذق ... ما فى قِلاتك ما حييتُ لئيم[1]

وهذه الأبيات تبلغ الغاية من المعانى الوطنية ، وفيها تتوقد جذوة الصدق

وقد أُغرِم العرب بعد الإسلام بتقديس ما عرفوا من المياه والأنهار فزعموا أن النيل ينبع من الجنة ، ولهم فى ذلك أساطير يعرفها قراء كتب الأدب والتاريخ . وأروند التى ذكرناها آنفاً عرفت الأسطورة التى تقول بأن فى جبلها عيناً تتفجر من الفردوس .

وما دخل العرب بلداً إلا رأوه خير البلاد : فمصر عند أهلها أطيب البلاد وهى كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصم الله ظهره . والعراق عند أهله أجمل بقاع الأرض وفى رحابه تنبت عرائس الشعر وتسيطر العيون السود . والشام عند أهله جنة

(١) القلات هى النقرات فى الجبل

الأرض وفى عرصاته يقوم الناس يوم الحساب . وهضاب فارس كانت فى أنفس شعرائها ملاعب الأفئدة والقلوب . وتونس والجزائر ومراكش كانت مراكز الجيش المرابط الذى صدّ التارات الأوربية حيناً من الزمان

ولو أردنا أن نستقصى أشعار العرب فى وصف ما عرف المسلمون من البلاد لجمعنا من ذلك مجلدات ضخاماً تصور غرام العرب بما شهدوا من أطايب الوجود

فمن أين عرف أحمد أمين أن الماء الحقير فى مستنقع جاهلى كان عند العرب خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا ؟

من أين استقى مصدر هذا الحكم الخاطئ الأثيم ؟

إن أحمد أمين يمزح فى مواطن لا يُقبَل فيها المزاح . ولو كان ينتظر أن يتناول الناقدون كلامه وأحكامه بالتجريح والتزييف لأقلع عما تورط فيه من مبالغة وإغراق ، فليلق جزاء ما صنع ، وكان لنفسه من الظالمين

ثم ماذا ؟

ثم نسوق القول فى أيام الجاهلية التى ندد بها أحمد أمين

إن أيام الجاهلية كان لها فى الواقع صدى رنان فى أسماع العرب بعد الإسلام ، وقد شُغِل بها كثير من المؤرخين ، ولكن هل تدرون لأية غاية شُغِل العرب بذلك التاريخ ؟

إن وقائع العرب فى الجاهلية لها ألوان مختلفات ، فبعضها يصور ما كان بين قبائل العرب من نزاع وشقاق قضت بهما منافع المعاش أو مطالب المجد ، وبعضها يصوّر مغالبة العرب لطغيان الأحباش والفُرس والروم

أما التاريخ الذى يصور ما كان بين القبائل من حروب فكان الحرص عليه يرجع إلى غاية سياسية ، ولتلك الغاية صورة هى اشتباك الأرومات العربيــة فى الخصومات حول المناصب الرئيسية بعد أن مكّن لهم الإسلام من نواصى المجد والمعاش ، وكذلك كانت القبائل تحيي وقائع الجاهلية لتأخذ منها وقوداً لأتون المنازعات حول الرياسة والملك ... ولا يعاب على أمة أن تحيي ماضيها لتنتفع به فى إذكاء العزائم والقلوب

وأما التاريخ الذى يصور وقائع العرب مع الأحباش والفُرس والروم فكانت له غاية قومية ، هى تكذيب ما ادعاه الشعوبيون من أن العرب لم تكن لهم ذاتية قبـل الإسلام وأنهم لم يذوقوا طعم المجد إلا بفضل الدين الحنيف

وما كان يؤذى العرب أن يعترفوا بنعمة الإسلام عليهم ، ولـكنهم كانوا يكرهون أن يقال إنهم كانوا فى كل عهود الجاهلية أذلاء

ومن هنا رأينا ببنائهم يبدئون ويعيدون فى عدّ أيامهم الغُرّ حين أُتيح لأسلافهم أن ينتصروا فى بعض المواقع التى نازلوا فيها أعداءهم الأشداء

وهذا يفسّر إكثارهم من الطنطنة فى أشعارهم بيوم ذى قار الذى انتصر فيه العرب على الفُرس انتصاراً أشعرهم بما فى قلوبهم وعزائمهم من صلابة ومتانة وحيوية . ويوم ذى قار فى الجاهلية كان له فضل فى إذكاء حمية العرب يوم القادسية ، وهو اليوم الذى عرف فيه العرب أنهم قادرون على امتلاك ناصية الشرق . وقد ظل يوم ذى قار يذكر فى الأشعار بعد الإسلام بأجيال طوال ، وأظنه سيُذكر بعد هذه الأيام ، فإن وقائع التاريخ لهـا رجعات ، والأحقاد الدفينة تنشرها الحوادث من زمان إلى زمان

فإن زعم أحمد أمين أن دوسر كتيبة النعمان بن المنذر كانت عند العرب أقوى جيش عرفه التاريخ فليعرف إن شاء أن تلك الـكتيبة تستحق ذلك التهويل لأنها كانت نواة الجيش الذى :

به علمتْ صُهبُ الأعاجم أنه
به أعربتْ عن ذات أنفسها العربُ

***

وليس يهمنى بعد ذلك أن أنقض قول أحمد أمين إن العرب يرون فضائل الجاهليين خير الفضائل ورذائلهم شر الرذائل ، لأن هذا الـكلام لا يحتاج إلى نقض فهو أوهى من بيت العنكبوت .

ولو صح أن العرب كانوا يرون حاتماً أكرم الناس جميعاً ، ويعتقدون أن مادراً أبخل الناس جميعاً لما كان فى ذلك بأس من الوجهة الذهنية ، لأن تجسيم الصفات وتضخيمها من الأمور التى استساغها العُرف فى جميع البلاد . وهل يعتقد أحمد أمين حقيقة أن العرب كانوا يريدون القول بأن حاتماً أكرم من جميع الناس فى سائر بقاع الأرض ، وأن مادراً أبخل من كان ومن سيكون فى المشرق والمغرب ؟ ذلك غير معقول

لا يهمني أن أنقض هذا الجانب من كلام أحمد أمين فهو إغراق في التوهم والتخمين ، وإنما يهمني أن أشرح مسألة نقدها الدكتور عزام بصورة تنافر الصورة التي عرضها بلطف ورفق مراعاة لمزاج الأستاذ أحمد أمين الذي يتأدّب في معاملة الأحياء ويتمرّد في محاسبة من أصبحوا في غيابة التاريخ !

إن أحمد أمين حكم بأن العرب في جاهليتهم انتزعوا صور التعبيرات والتشبيهات والمجازات والاستعارات من البيئة التي عاشوا فيها ، فما يجوز لنا نحن أن نجاريهم في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم لأننا نواجه بيئة غير بيئتهم

وهذا الحكم صحيح ، ولكن يجب أن يفهم أحمد أمين الحقيقة الآتية :

في اللغة العربية تعابير كثيرة نشأت في الأصل مصبوغة بالصبغة البدوية ، ولكنها صارت على الزمن ميراثاً حلالاً يملكه أبناء العرب من جيل إلى جيل ، وقد نُسيَ معناها الأول أو كاد بحيث لا يفطن الكاتب أو القارئ إلى أنها منقولة عن صورة بدوية

فالذي يقول : « دون ذلك خرط القتاد » لا يتصور الخرط ولا القتاد حين ينطق بهذا التعبير . والذي يقول : « هذه مشكلة أعقد من ذَنَب الضّب » لا يتصور العُقَد في ذيل ذلك الحيوان، وإنما يأخذ هذا التعبير قوته من الصورة المرسومة في أذهان من تداولوه على اختلاف الأحوال ، وذلك معروف في اللغات الأجنبية ففيها تعابير منسيّة الأصول وهي تؤدي المراد منها بلا عناء

وهنا يزعم أحمد أمين أن الشاميين والعراقيين لم يروا الضب ولم يعرفوا عنه شيئاً ؟

وأعتقد أن الصواب غير ما قال ، فالشاميون والعراقيون عرفوا الصحراء وما فيها من ضباب ويرابيع

واستنكر أحمد أمين أن يقول المصريون والعراقيون والشاميون « عيون المها وجيد الغزلان » وتعجب من أن يقول ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري(١)

(١) المها واحدها مهاة ، وهي البقرة الوحشية ، وقد يراد بها الظبية ، وهي كذلك في أكثر أخيلة الشعراء ، والعرب يسمون الشمس مهاة كما يسمونها غزالة

ثم قال : وأين المها في بغداد أمام عليّ بن الجهم وأين المها في مصر والأندلس ؟

وأنا لم أزر الأندلس حتى أقرّ أو أنكر كلام أحمد أمين ، فقد لا يكون فيها غير الظباء الإنسية ، وإنما أستطيع أن أحكم بأن أحمد أمين ينكر الواقع المحسوس حين يقول بأن أهل بغداد لا يرون الظباء ، فقد رأيتها بعيني تباع وتشترى في شارع الرشيد ولا يزال البغداديون يذهبون لصيد الغزال في نواح كثيرة منها سامرّاء . وعفا الله عن السيد حسين النقيب الذي مناني بالخروج لصيد الغزال ثم اعتذر بشواغل مجلس النواب

ومن تقاليد أهل بغداد أن يربّوا الظباء في دورهم كالذي رأيت في دار الشاعر ناجي القشطيني ، أراني الله وجهه الأصبح في خير وعافية !

ومن أطعمة أهل بغداد لحم الغزال ، وقد أكلته بشهية في دار ظمياء أعزها الحب !

والبصريون يرون الغزلان حين يشاءون ، فنها أسراب تمرح وتلعب بالقرب من بلادهم الجميل

والشاميون يعرفون الغزلان معرفة أكيدة لأنها تجاورهم في الصحراء الشامية

أما المصريون فهم يعرفون الظباء ، وهي كثيرة جداً في الصحراء الغربية ، وهم يطاردونها من وقت إلى وقت ، وقد حدثنا الأستاذ محمد خالد بأنه اشترك في مطاردة غزال ، وتلك إحدى الأعاجيب ، فقد كنت أحسبه من طراز الأستاذ أحمد أمين

وكلمة « طراز » تدخل في الموضوع ، فهي في الأصل عَلَم الثوب ، كما يعبر صاحب القاموس ، ثم نُسي ذلك الأصل وصار الغرض هو المماثلة في الشمائل والخصال

ومن حقنا أن نقول : إن أحمد أمين ينسج على منوال طه حسين في نكران الحقائق

وليس لأحد أن يعترض بأن المنوال لا تراه العيون إلا في قليل من الأحايين ، لأننا حين نعبر بمثل هذه العبارة لا نفكر في ثوب ولا منوال ، وإنما نسوق التعبير حيث وقع في كلام الأسلاف ونفهم المراد منه بلا عناء

وفي اللغة العربية تعابير لا نكاد نفهم الغرض منها بالتحديد ، ولكنها في غاية من الانسياغ

ومن شواهد ذلك ما وقع بين الأستاذ سعد اللبان والدكتور هيكل باشا في مجلس النواب . فقد هجم الأستاذ سعد اللبان على إحدى كليات الجامعة المصرية هجوماً عنيفاً ، فقال الدكتور هيكل باشا : هذا كلام يلقى على عواهنه !

ومن المؤكد أن أكثر النواب لم يفهموا المراد بالعواهن ، ولكن هذه العبارة وقعت منهم موقع القبول ، لأنها خير عبارة تقال في ذلك المقام الدقيق ، وهي على عنفها لا تجرح الذوق

واعترض الأستاذ أحمد أمين على قولهم : « فلان يعرف من أين تؤكل الكتف » وعدها عبارة بدوية لا يجوز لحضري أن يدونها في مقال أو ينطق بها في حديث

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين يظن أن أهل الحضر لا يأكلون الحملان إلا مقطَّعة بأيدي القصابين فهو لذلك يتوهم أنهم لا يحتاجون إلى الاحتراس عند أكل الكتف

فليعرف (إن شاء) أن الناس لا يزالون يدركون هذه العبارة في أصلها الأصيل ، وقد رأيت الرجل البدوي الحضري عبد الستار بك الباسل يداعب أحد ضيوفه بتسليط تيار الكتف عليه ، وهو تيار قد يسلَّط مرة على الأستاذ أحمد أمين فيعرف من أين تؤكل الكتف !

من حق أحمد أمين أن يرى الناس جميعاً مقلدين في الأخيلة والتعابير ، لأنه من أبعد الناس عن مواجهة الحياة ، وأكاد أجزم بأنه لا يساير الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية إلا عن طريق القراءة أو السماع ، وإلا فمن الذي رآه مرة يشهد رواية سينمائية أو يشهد حفلة من حفلات التمثيل ؟

وأعيذكم أن تظنوا أني أتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، فهذا الرجل على فضله قليل الخبرة بألوان الوجود ، وقد تقع منه أحياناً عبارات تضحك الحزين . أليس هو الذي يقترح أن « نميت الصَّرار ونحيي الزنبق ، ونميت الكمأة ونحيي المانجو ، ونميت القوس ونحيي القنابل ، ونميت الخرثي ونحيي ما يدل على الموبليا » ؟ ذلك كلامه بالحرف ، وهو يدعو إلى النظر في الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة ، لنميت القديم ونحيي الجديد ، ومن كلامه هذا تفهمون أن « الكمأة » نوع من الفاكهة ، بدليل أنه يقابلها بالمانجو !

فهل سمعتم أن الكمأة اسم فاكهة قبل أن يحدثكم بذلك الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الكمأة معروفة لأهل الشام والعراق ، ومعروفة لبعض أهل مصر من الذين يتصلون بالأسر السورية واللبنانية والفلسطينية. وقد عرفتها في القاهرة قبل أن أعرفها في بغداد ، فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يظنها من الفواكه ؟ تلك والله إحدى الغرائب !

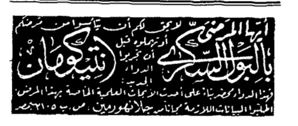
***

أما بعد ، فقد كنت أرجو أن يترفق الأستاذ أحمد أمين بسمعته الأدبية فلا يعرِّضها لهذه المزالق ، وكنت أتمنى أن يكف عن السخرية من ماضي الأمة العربية ، ولكنه أراد أن يمضي في العناد وفي اللجاجة إلى آخر الشوط فيزعم أن شعراء العرب وكتابهم لم يعرفوا الثورة على الظالم ، ولم يعرفوا تحليل المقاصد والأغراض في الشعر والإنشاء

وذلك كله ظنٌّ وترجيم ، وسنحاسبه أشد الحساب ، عساه ينتهي عن اللجاجة والعناد

وإني لواثق بأنه يطرب لهذه المباحث التي تكشف له آفاقاً من الحقائق الأدبية ، وتعينه على فهم ما خفي عليه من مكانة العرب في التاريخ .

(للحديث شجون) زكي مبارك



صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة*

للأستاذ إدريس الكتاني

كان فتى شهياً نا كله العين ، قوياً في ميعة الشباب ، أرسله الوالد الزعيم من ساحة الثورة والزعامة إلى معهد العلم والثقافة ، ليربي الفكر الناشئ ، والعقل الطرى ، ويعلم النفس المستكينة سبيل المجد ، وطريق الحياة .

سار الفتى يقطع الفيافى والقفار على متن الأفراس العربية إلى حيث الجامعة المغربية « القرويين » بفاس ، ليكون طالباً من طلابها ، يسكن إلى مدارسها ، ويتعيش من هبات أوقافها ، ويغمر فكره بهدى علمائها .

قال الراوى : وكان فى المدرسة التى حط الفتى رحله بها شيخ زاهد ، قالوا : إنه من الأبدال[1] ، فكان يقوم بخدمة طلبة العلم هناك ، ويتعيش من فتات موائدهم وفضلات مآكلهم . واتفق ذات يوم أن أقام فريق من الطلبة مأدبة لعموم من بالمدرسة من الطلاب ، فكان من الذوق أن يتصدر الشيخ الوقور مائدتهم ، كوالد عطوف أو كخادم أمين .

ونصبت موائد الطعام ، فكان الشيخ يتوسط واحدةً منها . وعلى فجأة من القوم أرسل الزاهد بصره ، فما حطه إلا على وجه ذلك الفتى الناعم ، وهو ما زال حديث العهد بهذه العالم ، وأرسلها الشيخ نظرات متعاقبة كأنما كانت شعاعاً كشافاً أرسله إلى مجهول من الغيب ليعرف !

قال الراوى : وأخذ الارتياب يُداخل نفوس الحاضرين من الطلاب فى أمر الشيخ الزاهد ، فتراشقوا بنظرات حادة فيها كثير من الكلام ، كان الشيخ البرئ يصاب منها فى الصميم ، ثم قطع هذه الحيرة واحد من أولئك كان له فى الشيخ وثوق واعتقاد ، إذ صاح به قائلاً : هل من نبأ وراء هذه النظرات يا عماه ؟ ورفع الشيخ بصره ببطء يتفرس فى هذا الذى قطع عليه إلهاماً كان يتلقاه من السماء . وقال فى شيء من التأفف والبغتة : نعم يا ولدى ، ألهمت الساعة أن هذا الطالب سيكون بعد حين ملكاً على المغرب من أقصاه لأقصاه ، وسيؤسس دولة لها سلطان وأعوان ، ورايات خافقات ! . . .

ضجّ الطلبة وتصايحوا لهذا الخبر الباغت ، وتعالت أصواتهم من هنا ومن هناك يصححون النبأ المجيب عن زاهد المدرسة . أما الشيخ فكان يتكلم فى هدوء ووداعة مؤمناً بقوله متأكداً منه ، كأنما يخبر عن شيء يدرك بالبداهة من غير أن يكون للعقل فيه نقاش ، وكان الفتى مأخوذاً بشيء من الدهشة والاستغراب كأنما يحاول ألا يصدق هذا الخبر الذى ما مر له بخاطر من قبل ، ولكن نفسه كانت تميل إلى تصديقه مقتنعةً بصلاح الشيخ وتقواه ، ذاكرةً أنه لا شيء يدعوه إلى اختلاق فرية كهذه . وحدثته نفسه أن يقطع هذا الحديث عن الأفواه ، فصاح فى الطلبة يقول : إن صدق الشيخ فى دعواه ، فسأبنى لكم مدرسة تفوق هذه[1] روعةً وجمالاً ، وسأغمركم بهبات وعطايا لا ينضب معينها ، وسأجعل لكم فوق ذلك سلطنة منكم تقوم دعائمها على كواهلكم فى ربيع كل عام ؛ وكأن الفتى النابه أراد بهذا كبح الغيرة التى رأى ملامحها تتسرب إلى نفوس بعض الطلبة ، وفى الناس من تركبه الغيرة بمجرد الوهم والخيال .

كان هذا الطالب من أسرة شريفة نبيلة ، وردت من الحجاز منذ أمد بعيد ، وأقامت فى جنوب المغرب ببلاد سجلماسة ، وكان يدعى الرشيد بن الشريف بن على ، وأبوه هذا كان له وقتئذ مقام محمود ومنزل محترم بين أهالى البلاد ، بفضل انتسابه للبيت النبوى ودعوته المخلصة للاصلاح والإرشاد .

قال الراوى : وجاء الزمن فطوى من التاريخ مراحل ، وجعل فى الأحوال الاجتماعية مشاكل ، ومهد للساسة والعظماء سبلاً

(*) أنظر العدد ٣١٠ من « الرسالة »

(١) الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم . قال ابن دريد : الواحد بديل .

(١) الاشارة هنا إلى المدرسة التى هم فيها ، وكان موضعها بمكان البنك المخزنى المغربى من شارع القطانين بفاس .

وطرائق ، ولم يشعر القوم حتى كان الجالس على عرش المغرب ، والمسيطر على دولته هو الرشيد ، ذلك الفتى الذى كان طالباً فى جامعة القرويين وتنبأ له الشيخ الصالح بالملك وهو فى مطلع الشباب .

***

لم ينس السلطان مولاى الرشيد وعداً كان قطعه على نفسه للطلاب ، وهو حول مائدة المشاء يوم كان طالباً عادياً لا أقل ولا أكثر . فلقد وفى بوعده خير وفاء ، ولم تُنسه مشاغل الملك حياةَ الجامعة وملاهى الصبا .

فأما المدرسة ، فالتاريخ نفسه يؤكد بناء الرشيد للمدرسة التى بحى الشراطين ، والتى تدعى اليوم بمدرسة الشراطين ، وكان الشروع فى بنائها عام ١٠٨١ ، إلا أنها لم تتم إلا فى عهد أخيه إسماعيل من بعـده سنة ١٠٨٩[1] ، وهذه المدرسة — كباقى المدارس الأخرى — كانت فى القديم لدراسة العلم وسكنى طلابه فى آن معاً ، أما اليوم فهى للأوامم ليس غير .

وقد جعل الرشيد لمدرسته هذه طبقات ثلاثاً تشتمل على ٢٣٢ بيتاً وعلى قبة للصلاة ، وكان قد صرف لها عنايته فجاءت آية من آيات الفن المعمارى الجميل الذى ورثه المغرب فيما ورث عن الفردوس المفقود .

وأجمعت الأساطير وغير الأساطير على أن الرشيد هو أول من ابتكر « سلطنة الطلبة » بالمغرب وجعلها سنّة قائمة بفاس ومراكش .

فهذه الأطروفة التى قصصناها تستند فى النتائج إلى شىء من الحقائق التاريخية ، وقد كان حدثنى بها واحد من أشـياخى الطاعنين فى السن قائلاً : إنه رواها عن بعض شيوخه الثقات ، وهى عندى رغم ذلك أسطورة تمتُّ فى الأغلب إلى عقلية الشعب وقتئذ بسبب من الأسباب ، ولـكيلا أكون متجنياً على رواة هذه القصة أو على القصة نفسها أرانى مضطراً لأن أبين سخرية التاريخ من حوادثها .

***

قامت الدولة العلوية المالـكة اليـوم إثر الدولة السعدية التى تضعضعت أركانها وانحلت عراها بعد وفاة المنصور السعدى وتنازع أولاده من بعده على الملك ، وتطاحنهم عليه ، وكان طبيعياً أن ينقسم المغرب بين هؤلاء وغيرهم من الزعماء والرؤساء على شكل مقاطعات مستقلة يحكمونها كما شاءوا وكيف شاءوا من غير أن يكونوا مسؤولين أمام سلطان أعلى .

وعلى هذا النحو قصد أهل سجلماسة — قاعدة الصحراء — مولاى الشريف بن على (والد الرشيد) ، وسبق أنه كان لأسرته منزل محترم فى قلوب هؤلاء — فطلبوا إليـه أن يتولى أمورهم بكل حزم وعزم ، وبايعوه ملـكاً على الصحراء عام ١٠٤١ لـكى يتأهب للذب عن بلادهم وصد هجمات المتعدين عليها ، وكان الباعث لهم على هذا قيامُ محمد الحاج الدلائى واستيلاؤه على تادلة وسلا وجبل درن ، ووصوله لنهر ملوية حيث امتدت أطماعه إلى بلاد الصحراء ، والسلطان عبد الملك بن زيدان بمراكش على لهوه ، ورأسه من حوادث البلاد فارغ أو هو كالفارغ ، إذ لا مطمح له فى القضاء على كل مناوئيه بالقوة وهى منه براء .

والشريف بن على هذا يعتبر أول ملوك الدولة العلوية وإليه يرجع انتسابها ؛ أما الرشيد فكانت ولادته سنة ١٠٤٠ أى قبل بيعـة أهل الصحراء لوالده بعام فقط ، ثم وقعت حوادث بين الشريف بن على وبين أبى حسون السملالى الذى كان مستولياً على سوس ودرعة أدت إلى أسر الشريف وبقائه سجيناً بسوس سنة ١٠٤٥ ، ولـكن سرعان ما بلغ الخبر إلى ولده البطل المقدام محمد ، فنهض هذا وتقدم إلى شيعته من أهل سجلماسة يستحثهم على إنقاذ والده والدفاع عن كرامتهم المهانة ، ولم يلبث أن جمع جموعاً غفيرة ، قادها بعد ذلك إلى معارك كثيرة ، كان له النصر فى أغلبها ؛ ثم اجتمعت كلمة أهل الصحراء على مبايعته ، فبايعوه بسجلماسة سنة ١٠٥٠ .

وحدث فى سنة ١٠٦٩ أن مات الشريف بن على ، وكان ابنه الرشيد يومئذ شاباً متوقداً يبلغ من العمر ٢٩ سنة ، فخرج هذا من سجلماسة فاراً بنفسه إلى تدغة خوفاً من أخيه محمد الذى أصبح ينظر إليه بعين مرتابة ، خشية أن يطمع فى السلطان

---

(١) الدرر الفاخرة ص ١٣ لنقيب العائلة المالـكة المؤرخ ابن زيدان

أو يصبح شريكاً له فى الأمر . والحق أنه كان فى نفس الرشيد ما كان يتوقعه أخوه محمد ويخشاه ؛ فمنذ أن خرج الرشيد من حكومة أخيه وهو يجمع الجموع عليه ، ويقوم بدعاوة واسعة لنفسه فى طول البلاد وعرضها ؛ متنقلاً بين الحواضر والبوادى ، وأخوه فى كل ذلك يراقبه عن كثب لا يستطيع أن يناله بسوء وهو عنه بعيد

فلما أحس الرشيد من نفسه القدرة على الحرب وشعر بتمكن مركزه من الناس ، قام فى سنة ١٠٧٥ بأنقاد ودعا لنفسه بها ، فاجتمع عليه عرب المعقل وأحلافهم من بنى يزناتن وبايعوه ثم دخلوا مدينة وجدة . فلما وصلت هذه الأنباء إلى أخيه محمد توقع الشر منه ، فخرج إليه من سجلماسة بمن معه من العرب والبربر وقصده بأنقاد فخرج الرشيد لملاقاته ، والتقى الجمعان فى حرب شعواء كان محمد أول ضحاياها بعد أن دخلت الهزيمة إلى جيشه . وخرج الرشيد منتصراً من المعركة يحمل جثة أخيه إلى مضجعها الأخير

ثم سار الرشيد إلى سجلماسة فحاصر ابن أخيه محمد تسعة أشهر حتى غلبه عليها ، فدخلها ومهد أطرافها ، ثم رجع لمدينة تازة . وتطايرت أنباء انتصاراته إلى فاس فتأهب أهلها لقتاله ولكنهم انهزموا أخيراً . وفى عام ١٠٧٧ زحف إلى فاس فاتحاً ودخلها منتصراً بعد أن فر ولاتها ، ثم عقدت له البيعة من رجال الحل والعقد بها[1]

وبدخول الرشيد إلى فاس ومبايعة أهلها له أصبح السلطان الرسمى للبلاد المغربية وكل من عداه من رؤساء المقاطعات المستبدين ثوار فى اعتبار الشريعة والأعراف . لهذا كان لزاماً على الرشيد أن يتتبع أعقاب الثائرين ويستأصل كل إمارة تريد الاستبداد بمقاطعتها . ولقد فعل الرشيد كل هذا حتى أصبح سيد البلاد المطلق لا ينازعه فى سلطانه ثائر أو أمير

ثم بعد أن ساد نفوذ الرشيد فى عموم البلاد المغربية باستثناء بعض الشواطئ[2] أخذ يهتم بالإصلاح الداخلى

(١) الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبى القاسم الزيانى مخطوط (٢) كان الأنجليز وقتئذ مستولين على طنجة ، والبرتقال على المهدية والجديدة ، والأسبان على سبتة والعرائش وأصيلا ، وأغلب هذه الشواطئ استرده السلطان العظيم اسماعيل أخو الرشيد

فعمر المساجد وبنى الجسور ومهد الطرق وأسس معاهد العلم وكان إذا دخل بلدة تعاهد جوامعها ومدارسها ، وسأل عن مجالس العلم بها وعمن يحضرها ، وكان إلى هذا محباً للعلماء مولعاً بمجالستهم ، محسناً إليهم ، يفيض عليهم من عطاياه ، ويغمرهم بعطفه وإحسانه ، وفى أيامه كثر العلم ، واعتز العلماء والأدباء على السواء[1]

وأخيراً ، وبعد كل هذا ، كان الرشيد بمراكش يشم النسيم فى بستان المسرة ، وأبت ثقته بقوته إلا أن يركب فرساً جموحاً فطار الفرس به بين الأشجار المتعانقة وإذا بغصن من شجرة نارنج يهشم رأسه فيخر إلى الأرض صريعاً ؛ وشاهد الناس مصرع هـذا الملك العصامى آسفين فى ١١ من ذى الحجة سنة ١٠٨٢ ، ودفن بمراكش إلى أن نقل منها إلى فاس وأقبر بروضة أبى الحسن على ابن حرزهم بوصية منه بذلك[2]

« للكلام بقية — فاس » إدريس الكتانى

ملاحظة : وقع فى المقال الأول المنشور فى العدد « ٣١٠ » من الرسالة لفظة « الدعيرة » وهي في اللهجة المغربية بمعنى الغرامة ، وقد فاتني التنبيه عليها وقتذاك .

(١) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٧٩ لوالدى محمد بن جعفر الكتانى

(٢) نزهة الحادى فى أخبار ملوك القرن الحادى ص ٢٥٩ للیفرنى .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد

استطلاع صحفي

فن التصوير الجوى

أهم أدوات الحرب الحديثة

«لمنـــدوب الرسالة»

أنبأتنا التلغرافات بأن سلاح الطيران الفرنسى أمكنه أن يصور خريطة دقيقة لخط سيجفريد الألمانى. وعلى ضوء هـذه الخريطة يصبح من السهل على قيادة الجيش الفرنسى أن تحدد المناطق الضعيفة منه وتعين أماكن الاستحكامات فيه

ولدينا فى مصر قسم خاص بالتصوير الجوى أنشئ سنة ١٩٣٣ يستطيع رجاله أن يؤدوا نفس المهمة التى قام بها زميلهم الفرنسى. وفى هذا المقال يجد القارئ عرضاً عاماً لطرق التصوير الجوى ومدى فائدته فى الأعمال العسكرية والمدنية، وما يحتاج إليه من خبرة ودراية.

عملية استكشاف

من النواحى الهامة فى سلاح الطيران الحربى قسم التصوير؛ وهو لا يقل خطورة عن قسم المدفعية. فبواسطته يمكن تصوير سطح الأرض وتوضيح ما عليها من مرتفعات ومنخفضات تبين مسالك الأرض وطرقها فيسهل على القوات العسكرية كشف طريقها ومعرفة اتجاهاتها، كما يسهل معرفة امتدادات خنادق العدو وتعيين مواقع مدافعه ومعداته فيتيسر للقوات الموالية تدمير هـذه الاستحكامات وشق طريق للجيوش البرية وهذه العملية إحدى خطوات الاستكشاف فى الحرب.

ليس هذا مدفعا يطلقه هـذا الطيار على هدفه، ولكنها آلة تصوير يلتقط بها بعض المناظر الجانبية من الطائرة

ولهذا كان من أهم التدابير التى تتخذها الحكومات ويقرها القانون الدولى منع الطيران أو التصوير فوق المناطق العسكرية، وأبيح لها حق تفتيش الطائرات التى تخالف هذه القاعدة كما أبيح لها حق إسقاطها بإطلاق النار عليها مما يعتبر عملاً عدائياً فى المناطق المدنية.

مران وتضامن

وتختلف أدوات التصوير بالطائرات عنها فى الحالات العادية. يضاف إلى ذلك ما تستلزمه من مران وتضامن بين الطيار والمصور. فالتصوير من الجو نوعان: ففى الأول تثبت الآلة فى أسفل الطائرة على قواعد خصصت لذلك فإذا أراد الطيار تصوير منطقة معينة يجب عليه أن يطير بسرعة ثابتة وعلى ارتفاع ثابت حتى تكون المساحات الظاهرة فى الصورة واحدة؛ فمن المعروف أنه كلما بعدت آلة التصوير شغل هذا الحجم مساحة أقل من مساحة الصورة، وبالتالى تزيد مساحة سطح الأرض التى تلتقطها الآلة؛ وعندئذ يتعذر تحديد أبعاد المكان فيظهر على الصورة مساحة كبيرة أو صغيرة تبعاً لارتفاع الطائرة وسرعتها

بعد أن التقطت الطائرة شريطا طويلا من الصور للأرض بدأ فنيو قسم التصوير توفيق هـذه الصورة بعضها مع بعض فتكون النتيجة خريطة كاملة للبقعة التى صورت تبين جميع دقائقها

ويختلف عدد صور شريط تصوير هـذه الآلة باختلاف الأغراض المطلوبة منه فأحياناً يكون ٢٥ صورة وأحياناً ٥٠ وأحياناً ١٢٥ صورة. ولا يحتاج المصور إلى تكرار الضغط على

مفاتيح التقاط الصور عند تصوير كل منظر . فإن الآلة تسجل المناظر بطريقة آلية كل مدة من الزمن إلى أن ينتهي شريطها أو يقف المصور الآلة

وطريقة التصوير الجوي الأخرى هي المعروفة بالتصوير الجانبي إذ يمسك المصور بآلته ويلتقط الصور التي يريدها . وفي كلتا الحالتين يحتاج التصوير إلى طيار ماهر حتى لا تهتز الآلة ، وغالباً يكون ارتفاع الطائرة مقدار ثلاثة آلاف قدم . وقد يبدو هذا البعد كثيراً على عين آلة التصوير ، ولكن عدساتها برغم أنها عدسات عادية وليست مقربة تستطيع التقاط جميع تفاصيل الأرض لدقتها وخلوها من الفقاعات الهوائية التي قد تفسد وضوح المرئي .

تأثير الضوء

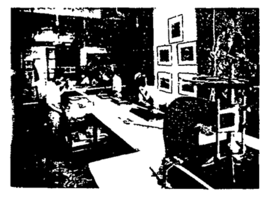
فإذا انتهى المصور من التقاط المناظر التي يريدها هبطت الطائرة إلى الأرض وبدأت عملية ثانية لا تقل دقة عن سابقتها إذ يبدأ العمال بتحميض شريط الصور السالبة . ومن المسائل التي تجب مراعاتها أن يكون هـذا التحميض مساوياً لجميع أجزاء الشريط ، ثم تبدأ عملية الطبع وهي أكثر دقة من أية عملية أخرى ، إذ يجب أن يحافظ العامل في طبع الصور الموجبة على أن تكون كلها من لون أسود واحد ، فلا تظهر إحداها ضعيفة اللون والأخرى قوية ، حتى إذا جمعت الصور بعضها إلى بعض ظهرت كأنها صورة واحدة .

وتحتاج هذه العملية إلى كثير من الخبرة؛ فتوزيع كمية الضوء على الأرض لا يكون بنسبة واحدة؛ ففي مناطق تكثر الظلال، وفي مناطق أخرى يكون سطح الأرض مكشوفاً لضوء الشمس؛ وهذا يؤثر على تشبع الصورة السلبية بالضوء فيظهر بعضها أسود والآخر أقل سواداً تبعاً لكمية الضوء التي تعرضت لها الصورة والتي لا يستطيع المصور ضبطها

وتجمع الصور الموجبة ويلصق بعضها إلى بعض بحيث تكمل الصورة التي تليها حتى إذا تمت المجموعة ظهرت صفحة الأرض واضحة لعدة أميال. وقد تمكن قسم التصوير بسلاح الطيران الجوي المصري من تصوير جميع مناطق القطر المصري فيمكنه أن يقدم لمصالح الحكومة ولأقسامها المختصة صورة أي بلدة فيظهر عليها ما في تلك البلدة من مرتفعات ومنخفضات وما فيها من طرق مائية أو برية أو جسور

تحليل الصور

ويسهل على الإخصائيين في التصوير تحليل الصور كما يسهل على الكيميائيين تحليل المواد . فبعد أن ينتهي العمل من صنع الصورة فإنها تحلل بأن توضع تحت مجهر خاص يكشف أسرارها فما يرى خطاً ضعيفاً بالعين المجردة قد يكشف عن خندق مسلح وما يظهر نقطة سوداء على الصورة قد يظهر مدفعاً بالتحليل الفني وأمام العين العسكرية والخبرة الحربية



موظفو قسم التصوير الجوي وطلبته وهم يؤدون عملهم الفني بإعداد الصور لسلاح الطيران المصري

ويتدرب كثير من رجال الطيران على فنون التصوير الجوي ومنهم من يتخصص فيه . ومن الضروري أن يلم كل طيار بمبادئه الأولية حتى يدرك مدى المعونة التي يقدمها المصور إذا اشتغل أحدهما مع الآخر وحتى يدرك أهمية المناطق التي يمر بهـا أثناء انتقاله في الجو من جهة إلى أخرى

ولا تقتصر عملية التصوير الجوي على الفوائد العسكرية بل تتعدى إلى الفائدة العلمية؛ فبالتصوير الجوي نستطيع أن نحصل على صورة دقيقة للتعاريج الساحلية أو النهرية وضبط مواقعها ومسافاتها بالضبط . وقد أتيحت لي الفرصة فشاهدت مدينة القاهرة التي التقطها سلاح الطيران البريطاني فرأيت فيها شوارع المدينة في أتم وضوح كما شاهدت جزر النيل وجسوره وانحناءاته ظاهرة بكل تفصيل

٤٠٠٠ صورة فى صورة

وفى آخر مرة زرت فيها قسم التصوير الجوى شاهدت العمال يمدون صورة لفرع رشيد بلغ طولها بعد لصق أجزاء الصور ما لا يقل عن عشرين متراً ، كلف التقاطها وطبعها القسم ٣٠٠ جنيه ، إذ تتكون الصورة من ٤٠٠٠ جزء كان التقاطها بمعرفة سلاح الطيران الجوى البريطانى يكلف الحكومة المصرية أربعة آلاف جنيه .

أحد الفنيين يكبر صورة التقطتها إحدى الطائرات

وقد أنشئ قسم التصوير الجوى المصرى سنة ١٩٣٣ فعين فيه ثلاثة أفراد مصريان وصول انجليزى ، ثم ازداد عدد العمال تبعاً لنمو الجيش وحاجة سلاح الطيران . فاقتنى من آلات التصوير وأجهزته أدقها ، وعين من الإخصائيين المهرة الذين حذقوا هذا الفن ودرسوه فى بعثات أرسلت إلى البلاد الإنجليزية حتى أصبح استعداد القسم ينافس أحسن الأقسام فى البلاد الأوربية ففى استطاعة قسمنا المصرى أن ينتهى من عمل خريطة مكونة من ٦٥ صورة فى مدة ٢٤ ساعة بأى مقياس مطلوب رغم ما فى هذه العملية من صعوبات فنية . وقد أثبت رجال القسم جدارتهم وسرعتهم فى مناسبات كثيرة فى الحفلات العسكرية الرسمية المختلفة ، فأمكن إخراج الصور وتجفيفها ثم إهداؤها للزائرين فى مدة نصف ساعة . وعند زيارة سمو الأمير محمد رضا ولى عهد إيران للكلية الحربية قدمت لسموه صور زيارته للكلية قبل أن يغادرها رغم بعد المسافة بين الكلية وبين مطار ألماظة مركز القسم

معامل متنقلة

وأعد القسم عدته حتى لا يقتصر نشاطه على منطقة واحدة ، فجهز سيارات خاصة بجميع الأجهزة اللازمة حتى تكون معمل تصوير متنقلاً يستطيع تحميض الصور وطبعها وتكبيرها فى أى زمان ومكان ، وفى مختلف الظروف والأحوال . وخصص لكل سيارة عمالها كما وزع بعض رجاله فى المناطق التى تمس الحاجة العسكرية إلى وجودهم فيها .

فمنذ سنة ١٩٣٣ وقسم التصوير الجوى يؤدى مهمتين: أولاهما العمل الفنى المطلوب، والثانية تعليم الجنود والضباط. فهو من هذه الناحية معمل ومدرسة يقضى فيه الطالب ثمانية أشهر يتلقى فيها جميع الفنون التى يحتاج إليها المصور البارع من نظريات لفهم التصوير وتركيب حوامض التحميض والطبع ثم التكبير وضبط الصور وتحليلها وتأثير الحرارة على الأفلام والأحماض



بعض العمال يدرسون الصور التى التقطتها سلاح الطيران المصرى

وبهذا المجهود الكبير أمكن لقسمنا المصرى أن يسجل لنفسه طريقة جديدة فى طبع الصور ذات الألوان المتعددة . وهى طريقة معقدة ولكنها أسهل من الطرق المتبعة فى البلاد الأخرى وتحتاج إلى خبرة ودقة كبيرتين ، ففى وسع قسم التصوير أن يقدم لك صورة أى منظر طبيعى أو صناعى بألوانه الأصلية مهما تباينت ألوانه . وهو يقدم للصحافيين الأجانب أحسن مناظر مصر الطبيعية بألوانها الأصلية ، فأضاف إلى مهمته العسكرية مهمة جديدة هى الدعاية لمصر بتقديم صورة ناطقة عن الحياة وسحر الطبيعة فيها .

فوزى الشتوى

كان ما كان !...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ترى لمَ تُحط هذه الطيوف بمضجعي ... في هذا الليل الوسنان ، فتملأ نفسي حنيناً إلى أيام الطفولة اللاهية ، ومرابع العيش الرغيد ؟ ... ولمَ ترقص حولي ، قافزة من حفافيّ السرير ، راتعة في حنايا الستور ... فتدفعني إلى إغماض جفنيّ ، أستشف من خلل الهدب الرفاف بالدمع ، تلك المغاني الحبيبة ، التي فارقتها منذ بعيد ... فأضحت — يا رحمتا لها — خلاء ، لا البشر يضحك في جنباتها ، ولا الأم الرؤوم تناغي فيها الوليد ... !

لقد رأيت الآن ... ذلك الطفل الذي درج بالأمس على قبلات الأهل ، وبسمات الجيران ؛ وتمثلته ، وقد نبت بين الفضة الباهية والذهب الرنان ... ولمحت أمه تنظر إليه ضاحكة جذلى ؛ ترى فيه منية النفس ورغيبة الشباب ، ثم أراه ... يرتع فوق الأرائك مع أخيه ، في غرفة واسعة ، وقد روّق الليل ، وانتشر الظلام ، وأرنو إليه يرسّ حديثاً في نفسه ، كان قد سمعه من جارته الصغيرة تحت شجرة الليمون في النهار ... ثم يسمع إلى أبيه يهمس في أذن أمه أن « سأودعه دار الشيخ غداً ... ! » ، فلا يفهم الطفل عنه ، ولا يحاول الفهم ، على الرغم من حبه للاستطلاع ، ورغبته في الكلام ... فقد كان له في كرته الصغيرة ، وفي أخيه الحبيب ، غنى عن السؤال ، وغنى عن الكلام ! ...

ويتهادى الصبح باسماً كغانية خلوب ، فينتشر النور وينقشع الظلام . فإذا كان طَفَل الغداة ، نادى الأب ابنه ، ليرافقه إلى البستان . وتسرع الأم فتلبسه الرداء الفاخر والحذاء اللامع . لقد غضب آنئذ، وعلم أن الرداء يمزق فوق الغصون الدوالي... وأن الحذاء سيبلى في التراب الأحمر الناعم . ولكن الأب يمسك بيد ابنه ويمضي ... وقد أطرق الوليد يفكر في الشجيرات التي يجعلها أرجوحة له ، والفراشات التي سيطاردها في كل مكان .... والعصافير التي سيقفز ليقبض عليها ... فتفلت منه ... والأزاهير التي يحملها إلى جارته الصغيرة إذا رجع إلى الدار مع المساء . ثم يحدث نفسه عن رفقائه المساكين الذين لم ينعموا بما ينعم به من عيش ليّن ولهو كثير ؛ ولا ينسى أن يزوّر في نفسه كلاماً يتأبه به عليهم إذا رآهم في الزقاق عند المشاة . ولكن الأب يمضي ... لا يلتفت إلى ثرثرة الطفل ، مسرعاً في مشيه ، موفضاً في خطاه ؛

والطفل يقفز وراءه كعصفور جذلان ، ثم يقصدان زقاقاً مظلماً من تلك الأزقة التي تمج فيها رائحة العفن ويتعالى الغبار ... فينقبض صدر الطفل ... فقد حدثوه أن الشيخ كامل ، وهو مصدر التقوى والدعة والصلاح — كما حدثه أبوه — ومصدر الخبث والشر والفساد — كما حدثه رفيقه — يقطن بهذا الزقاق . فيبكي الطفل بدموع غزُر ويحاول الفرار ، ولكن الأب يمسك بيد ابنه يجره ويدفعه ويغريه باللعب إذا بلغ البستان ، وينفحه « بنصف مجيدي » لينقطع عن البكاء . حتى إذا بلغ غاية الزقاق ، عرج به فطرق باباً غليظاً . ويقف الطفل ، ما يدري لمَ يجره أبوه وهو الذي يحبه ، ولمَ يدفعه وهو الذي يؤثره على نفسه . ! ويفتح الباب شيخ همّ ، كان كلما تمثله في خاطره بعد ذلك اليوم قفّ شعر رأسه ، وأغمض عينيه من الاشمئزاز : فقد بقي في ذاكرته ، أنه كان ذا قامة فارعة ، مسنون الوجه أسمره ، خفيف العارضين ، لم تبق الأيام من لحيته إلا شعرات لا لون لها نبتت هنا وهناك ، تقفز وتهتز كلما ضحك أو تكلم . وبقي في ذاكرته أيضاً أنه كان أدرد ، إلا من بضعة أسنان ملتوية صفراء تبعثرت في فمه الذي حسبه مغارة الجن ومأوى الشيطان . أما عيناه فكانتا غائرتين صغيرتين ... يرد الذباب على موقيهما ليرتشف الطيبات ، وهو يذكر أيضاً تلك السبحة الطويلة التي علقها في عنقه ... وحسب حباتها الكبيرة « دحاحل » رفقائه الصغار ، وتلك الجبة التي حال لونها وسخف نسجها . ويبادره الأب بالسلام ، فيهش الشيخ ويبش ، ثم يرحب ويقول : ما شاء الله ... ما شاء الله ... ثم يربت على كتف الطفل مردداً كلمات وتعاويذ لم يفهم الطفل لها معنى وإن كانت أطربته فأنصت لها . ويدخل الأب ويتبعه الطفل قائلاً بصوت حزين : « أهنا البستان يا بابا ؟ » ولكن الأب يحتال عليه ويسلمه للشيخ ليطعمه من نقله المبارك . فيدخل الطفل تتنازعه الرهبة من أبيه والرغبة في نقل الشيخ ، ويرى فيما يراه آنئذ غرفة مظلمة سوداء لقي فيها

رفقاءه الصغار ؛ وقد جلس أحدهم فوق قطعة من الحصير البالى ، يردد كلمات أفزعته وأضحكته ، منحنياً إلى الأمام وإلى الوراء ؛ ووقف ثان يحملق فاغراً فاه ؛ وانحنى ثالث يبكى بكاء كعواء الكلاب ؛ فتستولى الكآبة على الطفل وينقبض صدره ، ويرتد راجعاً ليرى أباه ، فإذا بأبيه قد فر ، وإذا بالشيخ يلحق به ليرجعه وفى يده بضع «سكرات» يدفعها إلى فم الصغير . ويجلس الطفل بجانب الشيخ على دكة من القش . لقد جال بصره فى هذه الغرفة الحقيرة ، فرأى أشياء أنكرها ، ولم يكن له بها عهد من قبل : شعر بهذا الظلام الذى يرفرف فوق الغرفة فيجعلها كالقبو الذى تضع فيه أمه ما رث من الأثاث ، ورأى هذه العناكب التى امتدت فى أعالى الجدران كأنما تريد أن تزين الغرفة كما تزين أمه الجدران بأوراق الشجر وأزاهير البستان ، ولمس الحصير البالى فأبصر الخشب وقد نخره السوس ، وحدق بتلك الخشبة المستديرة المستطيلة كبندقية خاله التى ود لو يحملها ليصبح جندياً فأبوا عليه ذلك ، فتساءل لم علقها الشيخ ولم يهدد بها الصبيان ؟

عندئذ ضاقت نفس الطفل فانفجر باكياً ... ويقوم الشيخ ليخفف عن الطفل حزنه ... ويكفكف دمعه ، والصبيان يرمقونه دهشين ، يحسدونه على ما يلقى من عطف ، وما يظهره الشيخ من لطف ، على حين يضربهم ضرباً ويصفعهم صفعاً ... ولكن الطفل لا يهدأ ، بل يزداد بكاء وصراخاً ، شأن الأطفال كلهم ، فينادى الشيخ زوجته «الشيخة صفية» ، التى علم الطفل أنها تجمع النساء يوماً فى الأسبوع ، ليقرأن معها «الورد» ، وينقرن الدفوف ، ويهززن الروادف والبطون ابتغاء مرضاة «الشاذلى» وتقرباً من الرسول ... وما يكاد يراها الطفل حتى يتولى عنها ؛ فإن تلك الشعرات الطويلة التى نبتت على شفتها العليا ، وتدلت فوق فمها الرخو أزعجته ، على الرغم من دعائها له ، وصلاتها على النبي ، وقبلاتها التى اقشعر منها بدنه ... فيعود إلى غرفة الشيخ يسأله عن أبيه ، فإذا به يجده يصرخ برفيق له ، ثم يدفعه إلى الأرض ثم يعمد إلى تلك الخشبة المستديرة ، فيجعل رجلى الطفل بين الحبل والخشب ، ويفتل الخشبة مع صبى آخر ... ويضربه بقضيب من خيزران ضربات موجعات فيصيح الصبى ويستعطف الشيخ ، ويقسم لئن تركه ليحفظن الدرس ولكن الشيخ لا يلتفت إليه ، فهو لاه عنه بعد الضربات ! ...

ورأى الدمع فى عينى الطفل - شفقة على رفيقه الصغير - فهب منادياً : « هذا رفيقى ... ليش تضربه ؟ »

فيحدق الشيخ فى الطفل يوعده بالجزاء ، فترعبه نظراته ويلجأ إلى البكاء ... ويصرخ ويصيح ... وينادى أمه وأباه ، ويضرب وجهه بكفيه والأرض بقدميه ، فيحوقل الشيخ ويرجع ويترك الصبى ليرضى الطفل ، والطفل يبكى ويصيح ... فيمضى الشيخ ... ليأتى «بسكاكره» المحورة ، فينقطع الطفل فجأة عن البكاء . وينظر إلى رفاقه ويقول :

« راح ... هيا ... تعالوا نهرب قبل أن يجىء ... نغلق الباب ... ألسنا أقوياء ... نختبىء فى الزقاق ... قوموا ... قوموا ... » ولكن الصبيان الذين ألفوا الذل واعتادوا الضرب، أنكروا ما قاله الطفل ... فلم ينتظرهم بل تأبط حذاءه ... وقام يعدو نحو صحن الدار . . ثم فتح الباب وخرج إلى الزقاق يتنفس الصعداء ...

* * *

ويعود إلى الدار كالقائد الظافر .. فيستعيذ أبوه من الشيطان عندما يراه ، وتشهق أمه من العجب فتسأله كيف فر من الكتاب ! ولكنه يطأطىء رأسه ويسرع فينزع ثيابه ، ثم يتسلق خشب العريشة ، وينادى ابنة جاره الصغيرة فيسألها :

— أتلعبين بالدحاحل يا حسنا ... لقد عدت من البستان !

أما الأب فيعبس ويثور . وأما الأم فتضحك وتقول : دعه ... فإنه صغير

* * *

وانغمست فى الفراش ، وفى العين دمعة ، وفى الصدر آهة ، وفى النفس آلام

« دمشق » صلاح الدين المنجد

رد على تعقيب

الجبر والاختيار

للأديب السيد محمد العزاوي

طالعت في البريد الأدبي لعدد الرسالة — ٣٢٢ — ما تفضل به عليّ الأديب الفاضل داود حمدان من ملاحظات قيمة على مقالي الأول في الجبرية والاختيار ؛ وعنت لي ملاحظات على رده سيتسع صدره لها دون شك ، والله المستعان

أما اعتراضه على أن المسلمين لم يقل منهم أحد بأن « الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب » فواضح أن أحداً لم يقل بذلك . وما هو بخاف ، ولكني أردت أن أذكر حدي القضية الذهنيين ، بغض النظر عن أن الكلاميين تكلموا في الطرف الثاني أو لم يتكلموا . وهذا أسلوب واضح : أن يذكر الكاتب حدي القضية على السواء في ذلك المعقول وغير المعقول الممكن والمستحيل ، ما تكلم فيه وما لم يتكلم فيه . ولعله فهم أني أريد أن المتكلمين قد تكلموا في هذا الوجه ما داموا قد تكلموا في الوجه الآخر ، ويبدو أن هذا ما بني اعتراضه عليه

أما ذهابه إلى أن المسلمين قد أجمعوا على أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ففيه نظر ؛ إذ قد اختلفت وجهات النظر بين الفرق اختلافاً لم يجعل وجهاً لادعائه بأن فرقة واحدة من القدرية هي التي قالت : « إن الله لا يقدر الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها ، وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها » . فقد ذهب إلى ذلك مفكرون عدة سأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال .

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية قال : « لا يجوز أن (الله) يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفيبقى علمه على ما كان أو لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل : فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ؛ وإن لم يبق فقد تغير ، والتغير مخلوق ليس بقديم .. وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى ، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ، وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالى فتعين أنه لا محل له . فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة[1] »

وهشام بن الحكم قال بأن (الله سبحانه) لم يزل عالماً بنفسه ، ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم لأنه صفة والصفة لا توصف[1]

وهشام بن عمرو الفوطي كان يقول بأن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء ، وهي بعد أن تعدم عن وجود تسمى أشياء . ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى قد كان لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها فإنها لا تسمى أشياء[2]

فأي هذه الفرق — على قلة ما اخترت منها — يريد أن تكون الفرقة من القدرية ؟ الجهمية أو الهشامية أو الفوطية ، وغيرها كثير ؟ ثم ألا يكفي كل هذا لأن أجمل هذا القول مقابلاً لقول سائر المسلمين ، أو على الأقل لأن أدعي أن هذا كان تفكيراً لرجال الدين والمتكلمين ؟ أم أن تكفير الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة لهذه الفرق يخرج بهذا التفكير عن أن يكون « إسلامياً » : إن لم يكن بالمفكرين فيه فلا أقل من أن يكون بالموضوع الذي دار حوله هذا التفكير ؟ صحيح أن النزاع في مسألة سبق علم الله بما يحدث أو ائتنافه له علماً حال وقوعه قد اندمج في « النزاع في أنه كما أن للعالم منا علماً هو عرض قائم به زائد عليه حادث ، فهل لصانع العالم علم هو صفة أزلية قائمة به زائدة عليه ، وكذا جميع الصفات[3] » وتشعب القول بين الفرق في الأمر ، وأصبح سبق علم الله أو ائتنافه حداً من حدود هذه القضية . واختلف القول فيه إلى ما قد فرغت من إيراد بعضه ، واتضح منه أن المسلمين لم تجتمع كلمتهم على ما أورد الأديب الفاضل . ولنفرض جدلاً بأن طائفة واحدة من القدرية قالت بأن الله لم يتقدم علمه بالأشياء ، أليس من العدل أن أذكر ذلك حتى أبين أقصى مدى بلغته الفكرة ، وأوسع عرض حازته هذه الدعوى ؟

أما اعتراضه على اشتراك الجهمية والمعتزلة في نفس الصفات عن الله ففيه نظر كذلك ؛ فقد طلب الأديب الفاضل أن أفصل قول المعتزلة حتى لا أوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير حميد ، ولم يكن المقام مستلزماً أن أفصل قول المعتزلة أو غيرهم فإني كنت أود أن أبين اشتراكهم والجهمية في اختصار أتحرز به من تهويش ذهن القارئ حتى أستطيع بعد ذلك أن أطلعه على رأي أبي العلاء

على أن الجهمية وافقت المعتزلة في نفس الصفات الأزلية . فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته[4] وزاد عليهم (على المعتزلة)

(١) الشهرستاني ج ١ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ١٠٩

(١) الشهرستاني ج ٢ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ٢٢
(٢) الشهرستاني ج ١ ص ٩١ (٣) العقائد النسفية وحواشيها ص ٤٥ (٤) فجر الإسلام ص ٣٤٣

بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيهاً . فنفى كونه حياً عالماً ، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً . . .[١]

فنفى الجهمية للصفات ناشىء من أن التشبيه بالمخلوق مستحيل على الله فوجب أن يؤول ما يرد فى القرآن بهذا المعنى ، ويؤخذ على غير ظاهره . فالحياة والعلم الإلهيين — فى رأى الجهمية — ليسا حياة وعلماً كحياتنا وعلمنا، تحرزاً منهم من التشبيه، فليس نفيه — والحال هـذه — « يبطل الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفى الذات المقدسة .

ونفى المعتزلة للصفات ناشىء من أنهم لو أثبتوا الصفات ، فإما أنها صفات قديمة قائمة به زائدة عليه فيلزم تكثر فى الذات ، وتعدد فى القدماء والواجبات ، ومن المستحيل تعدد الذوات القديمة . وإما أنها صفات محدثة فهى عرض لذات قديمة والعرض قابل للتغير والزوال ، ومحال على الله التغير . فالمتغير مخلوق ليس بقديم . وإن كانت صفات قديمة أزلية ، فإما أن تكون خارجة عن الذات فتعدد القدماء » وأنكره الفلاسفة والمعتزلة وزعموا أن صفاته عين ذاته بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، والمقدورات قادراً[٢] ولصعوبة هذا المقام ذهبت المعتزلة ، والفلاسفة إلى نفى الصفات ، والكرامية إلى نفى قدمها ، والأشاعرة إلى نفى غيريتها وعينيتها[٣] »

فالفرقتان كما ترى من المعطلة ، قد اتفقتا فى النتيجة ، وإن اختلفتا فى الأسباب . وقد كانت مشاركتهما فى هذا الأصل داعياً إلى تلقيب المعتزلة بالجهمية « لا لأنهم وافقوا الجهمية فى القدر . . . ولكن لأن المعتزلة وافقوا الجهمية فى نفس الصفات عن الله ، . . . ، . . . ، وقد ألف البخارى والإمام أحمد كتابين فى الرد على الجهمية وعنيا بهما المعتزلة[٤] »

فهل رأيت إلى هذا التشارك الذى حمل أن تدعى المعتزلة بالجهمية ؟ ذلك معناه أن الجهمية إن كانت من هذه « الطوائف الملحدة » فأنت مضطر إلى أن تعترف بأن المعتزلة من هذه الطوائف الملحدة كذلك . وهذا ما لا يسلم به الأديب الفاضل ، وما لم يقل به أحد

هذا ما أحببت أن أوجه هم الأديب الفاضل إليه ، وأرجو أن يتقبله بقبول حسن . على أنى قبل كل شىء وبعد كل شىء أشكر له صنيعه هذا شكراً جزيلاً .

السيد محمد العزازى

(١) الشهرستانى ج١ ص١٠٩ (٢) العقائد النسفية وحواشيها ص٤٥
(٣) العقائد (شرح الخيالى على السعد) ص٤٩ (٤) الفجر ص٣٤٣

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٥٠٢ — ولكن لا نستطيع أن نتكلم

فى (العقد) : قال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله فى فضله وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ، ثم يعذبنا عليه .

قال هشام : قد (والله) فعل ولكن لا نستطيع أن نتكلم[١]

٥٠٣ — ميمونة الزنجية تطيب بمندل

فى (الموشح) : قالت امرأة[٢] لكثير عزة : أأنت كثير عزة ؟ قال : نعم . قالت : تباً لك ! أتعرف بامرأة[٣] ؟ ! قال : وما يضيرنى من ذاك ؟ فوالله لقد رفع الله بها ذكرى ، ونشر فيها شعرى ، وأغزر بحرى . قالت : أفلست القائل :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها[٤]

بأطيب من أردان عزة موهناً
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها[٥]

قال : نعم ، قالت : فض الله فاك ! تالله ما رأيت شاعراً قط أقل عقلاً ولا أضعف وصفاً منك . أرأيت لو أن ميمونة الزنجية[٦] بخرت بمندل رطب ، أما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال سيدك :

(١) فى (أمالى المرتضى) : قال الجاحظ : قلت لأبى يعقوب الخريمى الشاعر : من خلق المعاصى ؟ قال : الله ، قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله

(٢) هى قطام صاحبة ابن ملجم

(٣) عرفته بزيد كقولك سميته بزيد (اللسان)

(٤) الحزن: حزن بنى يربوع وهو قف غليظ مسيرثلاث ليال فى مثلهما. والحزن المكان الغليظ ، وهو الخشن ، والروض فى الحزونة أحسن منه فى السهولة (اللسان الأساس) الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل. العرار: البهار (النرجس) البرى وهو حسن الصفرة طيب الريح (الكامل)

(٥) أتيته وهنا وموهنا : بعد ساعة من الليل (الأساس) المندل أجود العود

(٦) الزنج : بفتح الزاى وكسرها

ألم ترياني كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تَطيَّب[1]

فانصرف كثير وهو يقول :

الحق أبلج لا يُخيلُ سبيله والحقُّ يعرفه ذووا الأحلام[2]

٥٠٤ — ضحكت على لحيته

في (طوق الحمامة) لابن حزم : كان لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع قرطبة (أيام الحكم المستنصر بالله) جارية يحبها حباً شديداً ، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به — وكان عظيم اللحية — : إن لحيتك أستبشع عظمها فإن حذفت منها كان ما ترغبه . فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت ، ثم دعا بجماعة شهود ، وأشهدهم على عتقها ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به . وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر : أعرض عليها أني أخطبها أنا ، ففعل ، وأجابت إليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ، ورضي (سعيد) بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده ...

٥٠٥ — لا يحتاجون إلى هذا منك

صلى الأعمش[3] في مسجد قوم فأطال بهم الإمام . فلما فرغ قال له : يا هذا ، لا تطل صلاتك ؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف

قال الإمام : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين[4] »

فقال له الأعمش : أنا رسول الخاشعين إليك ، لا يحتاجون إلى هذا منك

٥٠٦ — فبم تدخل الجنة إذن ؟

في (تاريخ بغداد) : قال بشير[5] بن الخصاصيّة : أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبايعه ، فقلت : علام تبايعني يا رسول الله ؟ فمد يده ثم قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتصلي الصلوات الخمس المكتوبة لوقتها ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتجاهد في سبيل الله

فقلت : يا رسول الله ، كُلاً أطيق إلا اثنتين : أما الزكاة فما لي إلا حولة[1] أهلي وما يقوون به ، وأما الجهاد فإني رجل جبان فأخاف أن تجشع[2] نفسي فأبوء بغضب[3] من الله

فقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يده ، ثم قال : يا بشير ، لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذن ؟

قلت : يا رسول الله ، أبسط يدك أبايعك ، فبايعته عليهن

٥٠٧ — وبعثنا اليك بك

في (سمط اللآلي) : أهدى شاعر نرجساً إلى غادة اسمها نرجس ، وكتب مع الهدية :

كنت أبغيك في البسا تين شوقاً لرؤيتك
فإذا نرجس ينا دي بلفظ كلفظتك
أنا شبه لمن هوِ ت فخذني لنيتك
فجنيناك ناضراً وبعثنا إليك بك

٥٠٨ — لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ

في (مفاتيح الغيب) للرازي : (أتدعون بعلاً ، وتذرون أحسن الخالقين) كان اللقب بالرشيد[4] الكاتب يقول : لو قيل أتدعون بعلاً ، وتدعون أحسن الخالقين ، أوهم أنه أحسن لأنه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين . وجوابه أن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليف بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ

---

(١) امرؤ القيس

(٢) يخيل : أخال عليه الشيء : اشتبه وأشكل (الأساس)

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران توفي في سنة ١٤٨

(٤) (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) لكبيرة : لشاقة ثقيلة من قولك : كبر علي هذا الأمر . الخشوع : الأخبات (الخضوع) والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة (الكشاف) خشع في صلاته ودعائه أقبل بقلبه على ذلك (المصباح)

(٥) بشير بن معبد بن شراحيل ، وكان اسمه زحم فسماه رسول الله بشيراً ، شهد فتح المدائن وحمل الخمس إلى حضرة أمير المؤمنين عمر (ابن الخطيب)

(١) الحمولة : كل ما احتمل عليه الحي من بعير أو غيره سواء كانت عليها أثقال أو لم تكن ، يكون ذلك للواحد فما فوقه ، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول به

(٢) تجشع : تفزع ، تجزع . والجشع جبن وحرص . والجشع أسوأ الحرص

(٣) باء فلان بغضب من الله : من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته ، أي صار حقيقا بغضبه (الكشاف)

(٤) الرشيد أو رشيد الدين هو (الوطواط) وكم لقن للتقب بالبديع ، من هالك وصريع ، ولا يؤثر الظلام والغطش على الضياء الباهر إلا الوطواط إلا الوطاويط ، والشمس حرب الأجهر

حينما تهجعين يا ملاكي ...

« نجوى حنين عاودتني بين دخان الغضب والملال ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

حينما تهجعين في مهدك الطا   هر والسحر متعب في جفونك
حينما تسلمين قلبك للأحلا   م والفجر ذاهل في سكونك
حينما تطرحين شعرك في الديـ   ـباج لحناً مبعثراً من شجونك
حينما تغمضين عينيك للنو   م على جذوة ذكت من حنينك
حينما يصبح المهاد تخيلاً   في رُبى الخلد زهرة في يمينك
حينما يسبل الإله على وجـ   ـهك ستراً يصون طهر جبينك
حينما تسجد الملائك حوليـ   ـك حياء وهيبة من فتونك
حينما تسهر الغيوب لترعى   صلوات النجوم حول عيونك
حينما تنفضين عنك أسى الدنـ   ـيا وتنسين نارها في أنينك
حينما تصبحين شبابة الفجـ   ـر وعمري يطوف حول رنينك
حينما تسبحين في كون الما   لي وروحي معلق بسفينك
حينما يا نبية الحب تغفيـ   ـن وأغدو عبادة في يقينك
... ...
لو تسمعت خافقي في دجى الليـ   ـل وشكوى جراحه في سكونك
لرأيت الذماء طيراً شقياً   أقصت الريح عشه عن غصونك
شارداً في رباك لا جاده الظـ   ـل ولا جرحه ارتوى من معينك

(القاهرة)   محمود حسن إسماعيل

أنا ...

للأستاذ فؤاد بليبل

أنا من أنا؟ ... يا للشقا   ء! من أنا؟ شبح الشقاء!
بل زهرة فواحة   عبثت بها أيدي القضاء
عند الصباح تفتحت   وذوت ولم يأت المساء
وطغى الفناء على الشبا   ب فناله قبل الفناء
***
بالأمس كانت ملعب الـ   ـعصفور في ذاك العراء
يشدو العليل أريجها   وبهاؤها يحيي الرجاء
بسامة لم تدر ما   معنى السآمة والعناء
واليوم باتت يا لتعـ   ـس نصيبها! هدف البلاء
قد حولوا عنها الغديـ   ـر فلا خرير ولا رواء
فذوت على أكمامها   عطشاً وبعثرها الهواء

« دار الأهرام »   فؤاد بليبل

النهر المتجمد

للأستاذ ميخائيل نعيمة

يا نهر هل نضبت ميا   هك فانقطعت عن الخرير؟
أم قد هرمت وخار عز   مك فانثنيت عن المسير؟

بالأمس كنت مرنماً   بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما   فيها أحاديث الدهور

بالأمس كنت تسير لا   تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت علي   ك سكينة اللحد العميق

بالأمس كنت إذا أتيـ   ـتك باكياً سليتني
واليوم صرت إذا أتيـ   ـتك ضاحكاً أبكيتني

بالأمس كنت إذا سمعـ   ـت تنهدي وتوجعي
تبكي، وها أبكي أنا   وحدي ولا تبكي معي

ما هذه الأكفان؟ أم   هذي قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك   بها يد البرد الشديد؟

ها حولك الصفصاف لا   ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرت   به ريح الشمال

والحور يندب فوق رأ   سك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيـ   ـه مغرداً ألحانه

تأتيه أسراب من النو ... بار تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شباباً من ... حياتك قد مضى

وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء
جوف يشيّع جسمك الصافى إلى دار البقاء

لكن سينصرف الشتا وتعود أيام الربيعْ
فتفك جسمك من عقال مكّنته يد الصقيع

وتكرّ موجتك النقيّة حرّة نحو البحارْ
حُبلى بأسرار الدجى سكرى بأنوار النهار

وتعود تبسم إذ يلاطف وجهك الصافى النسيمْ
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليل البهيم

والبدر يبسط من سماه عليك ستراً من لجينْ
والشمس تستر بالأزاهر منكبيك العاريَيْن

والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحنْ
ويعود يشمخ أنفه ويميس مخضرّ الفنَنْ

وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشبابْ
فيغرّد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروجْ
حرٌّ كقلبك فيه أهواء وآمال تموج

قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو المللْ
واليومَ قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل

فتساوتِ الأيام فيه صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها

سيّان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيانِ نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء

نَبَذَتْهُ ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرَد
وغدا جماداً لا يحنّ ولا يميل إلى أحد

وغدا غريباً بين قوم كان قبلاً منهمُ
وغدوتُ بين الناس لغزاً فيه لغز مُبهم

يا نهر ، ذا قلبى ، أراه كما أراك مكبّلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو لا

ميخائيل نعيمه

ابنتي كوثر

للأديب محمود الهامى

أشهى إلى نفسى وأرضى لها ... إذا تمنت عليّاً كوثر
صغيرة لم يسر فى طبعها ... لؤم ولم يعلق بها منكر
فتانة الدلّ إذا ضوحكت ... خِلت المنى من ثغرها تنثر
نبع من الإشفاق يروى صدى ... نفس بأنواع الأسى تزخر
وطائر فى السمع تغريده ... لا العود يشأوه ولا المزهر
يشدو فيشدو القلب فى إثره ... ألحان صفو طيبها يسحر
إن كان لى فى العمر من فرحة ... فهى لعمرى الفرح الأكبر

كل أمانيها وأحلامها ... عطف إذا داعبتها يغمر
والمال ، أغلى المال فى زعمها ... من دُمية تلهو بها ، أحقر
يا ويح من يشقى به إنه ... بكل خزى سافر يعبر

يحنو عليها وهى فى لهوها ... قلب بزخّار الأسى يقطر
يخشى عليها بعض ما راعه ... من قسوة الدهر وما يستر
والدهر لا يرحم أبناءه ... يا ويل من فى صخره يعثر
كم هدّ من ركن أشم الذرى ... وراح من أسد الشرى يسخر

يا زينة الدار ولألاءها ... وجنة يجرى بها الكوثر
إنى لأرجو أن تكونى غداً ... مبينة يزهو بك المنبر
وثابة للمجد لا تنثنى ... لا تعرف الختل ولا تغدر
من اللواتى عند ذكر الحجى ... والرأى فالوادى بها يفخر

محمود الهامى



دراسات في الفن :

خمسة أيام طـــاهرة

بين الفن والاسكندرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ليتني ما جئت القاهرة . بل أحمد الله لأني جئت . وأستغفرك اللهم إذ تمنيت غير ما كان من إرادتك . فقد رأيت القاهرة لوثتني ونسيت أنها علمتني ، وقد حننت إلى الإسكندرية التي دللتني ونسيت أنها خلبتني. وهأنذا أعيش في القاهرة راضياً ، وها أنت ذا يارحمن تأذن لنا أن نجتمع بين يديك يوماً أو أياماً كلما شئت فلا تحرمني من الإسكندرية يارب كما يسرتها لأستاذي أحمد الشايب

يارب !

عجيبة الإسكندرية ! ولست أدري إذا كنت أحبها لأنها بلدي ، أو أني أحبها لأنها الإسكندرية . ولكني أشعر وأومن بأنها أقرب إليك ..

وشتان ما بينها وبين القاهرة .

***

عند ما يريد أهل الإسكندرية أن يسبوا واحداً منهم أو من غيرهم يعيرونه بأنه « صايع » وهو عندهم من لا يعمل عملاً شريفاً يأكل منه

وعند ما يريد أهل القـاهرة أن يمدحوا واحداً منهم أو من غيرهم ويعظموه ، يصفونه بأنه « وجيه » وينمون عليه رتبة « البيكوية » من عنـدهم . والوجيه في القاهرة هو من لا يعمل عملاً مطلقاً ويأكل ويشرب من حيث يعلم الله ، و « البيك » فيها هو هذا الوجيه نفسه ، أو ذاك الموظف في الحكومة الذي ينفق في الخلاعة مرتبه وزيادة تأتيه من حيث يعلم الله

وأهل الإسكندرية لا يصفون إنساناً بأنه « صايع » ويعدلون بهذا الوصف عن الحق إلا إذا تهاجوا ، وفي التهاجي عداوة ، والمداوة نكد ، والنكد ضرر ، فالعدول عن الحق في الإسكندرية ضرر فيه شر

وأهل القاهرة قد يصدقون حين يصفون إنساناً بأنه « وجيه أو بيك » ، ولكنهم غالباً ما يصفون بهذين الوصفين أناساً ليسوا أهلاً لها فيعدلون بذلك عن الحق ، ويصيبهم من هذا رضاء موصوفيهم ، وعند مايرضى الإنسان يجود على الذي أرضاه ووصفه بغير الحق ، فالعدول عن الحق في القاهرة نفع فيه خير

والذي يتجول في أحياء الاسكندرية لا في القاهرة المصطافة المتهتكة عند الشاطئ ، لا يفتأ يسمع كلمة « صايع » تُردد مع خطاء . فالخلاف على الرزق في الاسكندرية كثير بحكم أنها بلد صيد وبيع وشراء وكفاح ، ولكن هذا الخلاف صريح مكشوف لأنه نما وترعرع مع الأجيال ، والخلاف لا يمكن أن ينمو وأن يتضخم وأن يظل مع نموه وتضخمه مكتوماً مستوراً ، فإذا انكشف لم يكن غير معركة ، والناس لا يستطيعون أن يتماركوا ليلاً ونهاراً ، فهم يعدلون عن العراك أحياناً إلى السب والتعيير ، فإذا كثر سبهم بوصف من الأوصاف ، كان ذلك دليلاً على أن هذا الوصف هو أبلغ السب عندهم ، وأبلغ السب يكون بنعت المشتوم بأقبح النعوت في رأى الجمهور وأكره ما يكرهون ، « فالصياعة » إذن هي أكره ما يكره أهل الأسكندرية وضدها هو أحب ما يحبونه ، وهو أن يكون الإنسان عاملاً

والعمل في الأسكندرية بطولة. لأن الناس محتاجون إليه فهم

يقظون، عيونهم مفتحة، متصارعون عليه في لهفة واستماتة وإجادة، فإنه إذا لم يكن العامل قوياً خر في الميدان. وهذه البطولة لها قيود كان لا بد منها لأمان المجتمع، فإنها لو تحررت يسعى إليها كل إنسان بطريقته هو فاستباح بعض الناس الحرام، وأكلوا جهود غيرهم. وكل مجتمع تكونه الطبيعة يصنع قوانينه وقيوده بنفسه لأنها من أسباب حياته، ويحرص كل الحرص على صيانتها، ويثور كل الثورة على من يهم بخدشها. وقيود البطولة في الأسكندرية هي القوة الصريحة في العمل الجد.

فإذا انحدرنا إلى القاهرة سمعنا رتبة « البيك »، والوصف بالوجاهة ينعم بهما على كل من هب ودب حتى نحن. ومعنى هذا أن أهل القاهرة جميعاً يحبون أن يكونوا « بكوات » ووجهاء هكذا ويأكلون ويشربون من حيث يعلم الله ولا يعلم الناس. وهم في هذا كما يكره أهل الاسكندرية أن يكون الواحد منهم هكذا

وهذه حال تستلزم أن تنتزع لها من الطبيعة قوانين تصونها، كما أنها تستلزم أن يكافح الجوع من أجلها، وأن يقاوم الخارج عليها الذي يهم بخدشها، والقانون الذي تلزمه الطبيعة في هذه الحال هو قانون « الستر » ما دام الناس لا يريدون أن يعلم غير الله من أين يأكلون ويشربون. و« الستر » و« التستر » و« الستائر » جميعاً تخفي وراءها ما لا يعلمه أيضاً إلا الله. وقد يعلم الناس منه الكذب والغش.

وأهل القاهرة يسترون هـذا التلوث الخلقي لأنهم يسترون كل شيء، حتى أنفسهم يسترونها عن عيونهم.

فالكذب إذا حدث في الإسكندرية حاربه أهلها، وإذا كان في القاهرة حاباه أهلها. وهكذا يسرى الكذب في القاهرة حتى يتغلغل في حياتها إلى أن يركب الفن ... الفن المطية من الله. إذا ادعاها في الإسكندرية مدع قتلته الإسكندرية، فإذا ادعاها في القاهرة مدع سترته القاهرة

وقد يصبر أهل الإسكندرية على مدع في غير الفن، ولكن هذا الذي يتلف عليهم الوقت الذي يطلبون فيه متعتهم الروحية التي يشترونها بدمائهم ويكدحون طول النهار لها، هذا المدعي يضربه أهل الإسكندرية ضرباً بالأيدي وبالأرجل وبالكراسي وبالزجاجات الفارغة وهم يصيحون: « هاتوا فلوسنا » !

ومع هذا العنف في طلب الحق فإن في أهل الإسكندرية عيباً عجيباً هو أنهم يلينون لكل ما يجيء من القاهرة سواء أكان فناً أم غير فن، لا يفتحون عيونهم عليه، ولا يحاولون التفرس فيه وانتقاده، لا لشيء إلا أنه من العاصمة وأنهم لا يظنون بالعاصمة إلا خيراً، فلا يمكن أن يتصوروها أقل منهم فراسة وصدق نظر! وإلا فلماذا كانت القاهرة العاصمة؟ ليس من شك في أن الله جزى القاهرة ستراً بستر، إذ خيل لأهل الإسكندرية أنها ما استحقت أن تكون العاصمة إلا لأنها جديرة بأن تكونها.. ولولا هذه العقيدة لزحفت الإسكندرية على القاهرة ...

صحيح! هـذا هو إحساس الإسكندرية وتفكيرها، فهذه الثقة التعامية بالقاهرة هي وحدها التي تروج بضائعها في الإسكندرية ومنها الفن. فإن لم يكن هذا فكيف ذاق سيد درويش الويل في الإسكندرية حتى اعترفت به، وكيف هللت الإسكندرية وكبرت للأستاذ عبد اللطيف البنا عنـد ما استجلبه لها متعهدو الحفلات من القاهرة؟ ... القاهرة العاصمة!

والفن عند أهل الإسكندرية قد يسرع إلى أن يكون حرفة لأنه موهبة، والمواهب عنـد العاملين رأس مال. ولا يمكن أن يحترف الفن في الإسكندرية إلا الفنان الصادق، ومتى ظهر صدقه في فنه وتمكنه منه، أقبل عليه الناس وشجعوه، ولـكن إلى أن يظهر هـذا الصدق، ويحوز رضاء أهل الإسكندرية، ثم يكون له بعد ذلك تعصبهم البلدي بذوق فنان الإسكندرية الأمرين من تقدم القاسي الصريح الذي لا يمكن التغلب عليه إلا بعزم من فولاذ، وأكثر الناس تعرضاً لهذا النقد وهذا التهشيم هم أصحاب الفنون الجميلة، التي لا يأكلها الناس ولا يشربونها، وإذا لم تكن فنونهم إلهاماً من الله يهبط على الجمهور من خلال أرواحهم، فإن كل ما فيه من صنعة يتعرض للنقد، والصنعة ينفسح المجال في نقدها للعالمين والجاهلين، ما دام الأمر في النقد راجعاً إلى المنطق والحجج والبراهين والكلام، وما دام الأمر في هذا كله راجعاً إلى وجهات النظر الفردية ... على العكس من إلهام الله وهو الحق الذي لا مراء فيه. والفن الملهم هو باعث الحق في الحس، والناس إذا أحسوا الحق لم ينكروه إلا كما ينكر المحروق شيَّ النار.

ومع أن الفن الملهم هـذا قد يسرع إلى أن يكون حرفة فى الإسكندرية لإسراع الناس فيها إلى العمل والإنتاج بحكم الحاجة ، فإنه لم يكن إلى اليوم فيها تجارة مثلما أصبح فى القاهرة على أيدى إخواننا السوريين الذين تأصلت فيهم طبيعة التجارة منذ كان أجدادهم الفينيقيون يحملون لواءها فى العالم القـديم ووجدوا فى القاهرة المتسترة ميدانهم ... فأهل الإسكندرية صيادون يبيعون ما يجود الله به عليهم من سمك أو فن ، ولكنهم لا يستطيعون تلفيق السمك ولا يستطيعون تلفيق الفن ، كما أنهم لا يعرفون الإعلان عما عندهم إلا بعرضه ، كما أنهم لا يوقتون مواسمه ولا ينظمونه ، فالطبيعة هى التى توقته لهم وتنوعه ، فأيام الصفاء لها سمك ولها فن ، وأيام النوء لها سمك آخر ولها فن آخر. وما أكثر تقلبات البحر الذى يجود بالسمك ! وما أكثر تقلبات الحياة التى تجود بالفن ! وما أكثر تلون الصروف التى تجود بما بين السمك والفن ...

أما القاهرة فكان من نتائج الاتجار بالفن فيها أن أصبح له أسواق منها شارع عماد الدين ، كما أن للخردوات فيها أسواقاً منها شارع الموسكى . والأسواق يتسلل إليها السماسرة ، ومتى دخل السماسرة دخل الزيف والبهرج اللذان لا صلة لهما بالفن وإن كانت لهما صلة بما هو دونه

هذا هو ما يختص بظهور الفن فى كل من الإسكندرية والقاهرة ... فما هى طبيعة فن الإسكندرية ، وما هى طبيعة فن القاهرة ؟

طبع الفن فى الإسكندرية يشبه طبعها ، وطبع الفن فى القاهرة يشبه طبعها ، وأصدق الفن فى الإسكندرية ما كان صدقاً ، وأصدق الفن فى القاهرة ما كان غشاً وكذباً !

الإسكندرية تعاشر البحر فى كنف الصحراء ... وكل منهما مكشوف . وفيها منهما . والقاهرة يحتضنها جبل أغبر ليته ما كان فانطلقت صحراوية خالصة ، وانكشف عنها هذا الرجم الثقيل الجاثم على صدرها وعينيها ... فربما كانت تسمع وترى وتنى ! ...

لقد طبع البحر الإسكندرية وأهلها وفنها . فالأدب فيها نقد عنيف قاس يشبه أن يكون إعصاراً ، فإذا رق فهو إخلاص البحر واستسلامه على جبروته وعظمته ، والموسيقى فيها صفاء وصدق ما هدأت أو ثارت . والرسم فيها هو هذه الصور التى تعرض البحر وطيره وسمكه ، والصيد ومراكبه ورجاله ، وهى التى ترى فيها من نشاط الإسكندرية وتوثبها ما يميزها من غيرها ...

وفن الإسكندرية فيه من روح أوربا أنقاها لا البراق الباطل منها ، وذلك لاختلاط المصريين فيها بالأجانب اختلاطاً لا يشبهه اختلاطهم بهم فى القاهرة ، فالأجانب فى القاهرة يكادون يعيشون فى أحياء خاصة ، فيها بيوتهم ومتاجرهم وملاهيهم ، أما فى الإسكندرية فهم منبثون فى أنحائها جميعاً يتخللون الوطنيين ، ويباشرونهم كأنهم منهم ، وقد لا يشعر الأجنبى فى الإسكندرية بالغربة ، كما أن الوطنى لا يشعر فيها بغرابة الأجنبى ، وهذا راجع إلى أن الإسكندرية تصبغ سكانها جميعاً بصبغتها ، وأنها تعدهم جميعاً لنوع واحد من الحياة يتعاون فيه سكانها . وقد يعجب القارئ إذا قلت له إنى سمعت روميا يلعن روميا آخر ويلعن الباخرة التى قذفت به فى بر مصر ، وهـذا لا يمكن أن يصدر إلا من وطنى يغار على بلده ولا يريد أن ينهال عليها إلا من هو جدير بالحياة فيها ، ولا يحابى فى هذا من كان من وطنه الأول أو من كان من أهل البلاد نفسها . والأجانب فى الإسكندرية كثيرون ، وهم كما يعطونها أرواحهم يعطونها تفكيرهم ، وإحساسهم ، فيأخذ عنهم الوطنيون ألواناً من أساليب العرض الفنى ، كما يتعلمون منهم أشياء رقت بهم على المصريين وجودت فنونهم

هذا هو فن الإسكندرية

وأما فن القاهرة فأستره إرضاء للقاهرة .

عزيز أحمد فهمى



فلنستمر

خواطر الحرب — صوت العلم بين صليل السيوف ودوى المدافع — استكناه الذرة وقضية الألكترونات — جداول العلم فى ميدان التجارب — قصة مليكان — إذا عمت السكينة .

للدكتور محمد محمود غالى

كنا نتابع قصة الخليقة ونذكر عمل الإنسان، ونستعرض الخطوات الكبرى التى تمت فى السنوات الخمسين الأخيرة، وبدأنا هذا العمل فى يناير الماضى بدء العام السابع للرسالة، وما نعدُّ أنفسنا إلا فى منتصف الطريق، مهمتنا أن نعرض على القارئ صوراً من المراحل المختلفة التى بلغتها العلوم ، تلك المراحل التى فتحت مجال الذهن وفتقت حواشيه وحولت التفاتاته إلى الناحية التى جعلت من الإنسان على مَرّ الأيام أنموذجاً أرقى ومثالاً أكمل . وقد تابع مقالاتنا هذه عدد غفير من القراء ما زالت تردنا رسائلهم من كل صوب .

وبينا نحن نتابع عملنا إذا بالعالم يُفاجأ بما يُغير مسرى الحياة الفكرية فيه ، ويحولها من طريقها إلى آخر تكتنفه الآلام والمصائب ، فمن اطمئنان وسلام ، إلى حرب واصطدام ، أكثر ما يُروِّعنى فيهما أن يُقضى خلالها على الملايين من الأبرياء ، وأن تهدم أسس الحضارة وتُدكّ صروح المدنية ، ولكن هذا التغيير فى حالة العالم لم يك ليُقعدنى عن مهمتى فى الكتابة ويصدّنى عن غرضى فى التأليف ؛ فإن النفوس الواجفة من شبح حرب مروعة ، والأفكار المضطربة من صراع عنيف فى حاجة من وقت إلى آخر أن نرفه عنها ، ونعمد إلى تهدئتها ونبث روح السكينة فيها . لذلك أخذت على عاتقى أن أستمر فى مهمتى العلمية حتى أساهم فى الساعات التى أعطيها كل أسبوع لقراء الرسالة فى دفع كابوس الحرب الجاثم على العالم فى هذه الآونة .

* * *

لعل القارئ يشعر معنا أن نغمات حزينة تتجاوب أصداؤها الآن فى آذان العالم نرى لزاماً علينا إبعاد الأذهان عنها ، وأن فكرة تحمل فى طياتها الدمار والخراب وتغيير معالم الحضارة والعمران تسرى الآن سريان النار فى الهشيم ، نرى لزاماً علينا أن ندفعها بكل عناية وأن نحطمها بكل قوة

إن الظلام حالك مدلهم ، والنجوم تنتشر فى الفضاء وتملأه ، والمشترى والمريخ يطلان علينا من علياء السماء ، وكأن ما بهما من مخلوقات فرضية تشاهد مأساة الإنسان التى بدأت تعرض دورها فى ثالث الكواكب فتعجب لها ولا تقف على الغرض منها . ألا بئس الطمع وشر ما يجلب ! ألأن بعض شروط من معاهدة وضعها نفر من الساسة منذ عشرين عاماً ولا يريد هذا النفر تغييرها، ولأن هذه لا تروق لبعض الزعماء تقع شعوب الأرض فى حرب ضروس ؟ ألأن لقطر أشباراً من الأرض فى قطر آخر تمتشق الأمم الحسام وتأبى التفاهم ويحمل الطيارون وسائل التهلكة وتتخيَّر الناس حد الظُّبى فاصل إشكالها ، ونُساق إلى حيث لا نعرف المصير ؟

ولو أنه يتأتى من هذا أنه يصبح فى العالم خلف خيراً من السلف ، لو أننا مسوقون حقا إلى هدف أسمى يستجلى منه الإنسان عهداً أرقى فى الحضارة وأبقى فى العدالة وأعظم فى التقدم ، عهداً لم يعهده من قبل — لوجدنا أن الخير كل الخير فى حمل السلاح وطرح الراحة ، ولطاب لكل إنسان أن ينقلب مجاهداً بين المجاهدين .

أما والبشر يتقاتلون لغير غاية مفهومة، أو مأرب معقول، فكل ما نتمناه أن تنحصر الكارثة وألا تطول هذه المحنة، وأن يتغلب حكم العقل على الهوى ويسود السلام فيرفرف على الربوع والأمصار من جديد، ونرى العلماء يتفرغون لاكتشافاتهم العلمية المجيدة ومباحثهم اللانهائية وتصبح المختبرات مخابر سلم ووسيلة للتعمير لا للتخريب

هذا السلام لبنى الإنسان طرًّا، للفقير قبل الغنى، للضعيف قبل القوى، هو أمنيتنا وله نعمل من قلوبنا، وها نحن أولاء نرقب عودة عهد هدوء العالم ورفاهيته ونتم للقراء قصة العلوم ففيها القسم الإيجابى من حظ البشر، أما القسم السلبى الذى يشغل الآن رجال الحرب ويندفع إليه فريق من بنى الإنسان فهو ما سيأسف له العقلاء فى النهاية

وبرًّا بما وعدنا نعود الآن إلى الكتابة فى الموضوعات التى سرنا فيها شوطاً فليس أحب إلى نفوسنا من المضى فى سرد قصص العلم والعلماء وفى تبسيط أهم ما وصل إليه الإنسان المفكر من اكتشاف واختراع، ذلك لأن أسعد الساعات عندنا هى تلك التى نسطر فيها مفاخر الإنسان العاقل الدارس، وأعمال الرجل الكاشف العالم: فهيا بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام نزيده فيها كلمة يخلق بنا أن ندعوها باسم العالم الذى هو بطلها فندعوها قصة « مليكان » A. Millikan

* * *

تكلمنا فى مقالنا السابق عن الألكترون أصغر جزىء فى الكهرباء أو وحدة الكهرباء السالبة وزميله البوزيتون الوحدة الموجبة، وهما الشقيقان اللذان يلعبان دوراً هاماً فى معارفنا الكهربائية بل يتصلان اتصالاً وثيقاً بمعرفتنا عن المادة وكل ما هو كائن، فالألكترون هذا المهاجر الحائر، نعرفه فى المادة على أشكالها الثلاثة الغازية والسائلة والصلبة، فذرة غاز الهيدروجين وهو أخف ما نعرفه من العناصر تحوى نواة وسطى كالشمس يدور حولها إلكترون واحد وتتميز به عن سائر العناصر وذرة الماء مكونة من ذرتين من الهيدروجين السابق الذكر وذرة واحدة من غاز الأكسيجين، وهذه الذرة الأخيرة مكونة من نواة وسطى يدور حولها ثمانية إلكترونات وذرة الأورانيوم أثقل العناصر ذلك العنصر الصلب المشع الذى كان حجر الزاوية فى اكتشاف عنصر الراديوم العجيب تتركب من عدة شموس يدور حول كل منها عدد معين من الألكترونات، ويبلغ مجموع إلكترونات هذه الذرة اثنين وتسعين الكترونا أى أكثر من ضعف ما يدور حول شمسنا من كواكب وأقمار[1]، فهى مهما بلغت من الصغر عالم يتعين بعدد من الشموس وعدد من السيارات التى تجرى فى أفلاكها وتشبه عالمنا الشمسى، وما اختلاف العناصر إلا فى اختلاف عدد الألكترونات التى تدور حول شموسها، واختلاف المسافات التى تبتعد بها هذه الألكترونات عن الشموس، بحيث يعدُّ هدم النواة الوسطى، وطرد بعض الألكترونات المحيطة بها تحولاً فى المادة وانتقالاً من عنصر إلى عنصر آخر يتعين بالعدد الجديد من هذه الألكترونات السابحة، وهذا ما استطاعه العلماء أخيراً بتقدمهم « رذرفورد » المتوفى منذ عامين فى انجلترا، والدوق موريس دى بروى فى فرنسا، وبرايش فى ألمانيا، والعالم الشاب فرمى فى إيطاليا . . . وهو ما سنتبسط فيه عندما نتكلم عن التفتت الذرى تحت تأثير الإشعاع .

وإذا كان هذا الألكترون أصغر ما نعرفه من مادة لها وجود مادى، فهو أصغر ما نعرفه مما له وجود كهربائى، فهو المكون الأول للكهرباء، بل وجميع الألكترونات هى التى تحدث كل الظواهر الكهربائية التى أهم ما يعرفه الشخص غير المشتغل بهذه العلوم ظواهر الألكترونات المهاجرة التى قدمنا أنها تكون الأساس فى فن الراديو بل الأساس فى كل الكهرباء اللاسلكية منها، والسلكية، والتى يهاجر منها عند المخاطبات التلفونية أو الإذاعة اللاسلكية ملايين الملايين فى كل واحد على عشرة آلاف من الثانية . عندما تشترى من التاجر بضعة أمتار من

(١) يدور حول الشمس تسعة سيارات غير السيرات أو الكويكبات وهى بترتيب قربها إلى الشمس عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وإيرانوس ونبتون وبليتون ولهذه على حد معارف الفلكيين ٢٨ قمراً سبق أن فصلنا عدد ما يتبع كل سيار من أقمار فى مقال لنا بالرسالة — « أرض تدور وإنسان يحيا ويموت » عدد ٢٩٢ — ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

السلك لتوصيل جرس كهربائي في مكتبك ، فإنك تشتري طريقاً سالكاً لهجرة بلايين البلايين من الموجودات الصغيرة التي أطلقنا عليها ألكترونات ، وهي التي شغل العالم مليكان بدراسة أحدها والتي تسري في السلك من طرف إلى طرف . وعندما تشتري من التاجر ذاته صماماً — أي مصباحاً للراديو — من هذه المصابيح الخاصة التي منها الثلاثي الأقطاب « ترود » Triode أو خماسي الأقطاب بنتود Pintode والتي تتفنن الصناعة الحديثة في تقديمها إليك بدل مصباح تالف ، فإنك تشتري في الواقع مكاناً صالحاً لإحداث هذه الألكترونات التي تهاجر بين الكاثود Cathode القطب السالب والأنود Annode القطب الموجب بعدد لا يمكن أن يتصوره العقل .

* * *

ترى كيف يمكن العثور على جسيم مادي يعلق به أحد هذه الموجودات الدقيقة التي تعد أصغر ما نعرفه من الكون[١] ؟ كيف يتسنى لنا أن نستوثق من ذلك ؟ بل كيف يتسنى لنا أن نرفع ونخفض الجسيم الحامل لأحد هذه الألكترونات وفق إرادتنا ؟ وكيف نعلم علم اليقين أنه حامل ألكتروناً طليقاً كما نعلم أن سيارة تنساب في الشارع بسرعة عظيمة تحمل السائق ولا تحمل غيره من الركاب ؟

لقد أمكن للأستاذ الكبير مليكان Robert Andrews Millikan أن يقوم بتجارب دقيقة حصل فيها على ألكترون حر واحد، وتيقن فريق العلماء معه أن هذا الذي حصل عليه مليكان في تجاربه هو ألكترون حر واحد . وسأشرح للقراء تجربة مليكان وهي مهمة أحاول تبسيطها للقارئ رغم صعوبتها . وأمامي الآن المذكرات العديدة التي نشرها الأستاذ مليكان ، وأهمها نشرته التي قدمها لمؤتمر عقد في ونبيج Winnipeg في أغسطس سنة ١٩٠٩ أي منذ ثلاثين عاماً ، والمذكرة الإضافية التي ظهرت خلاصتها في المجلة الطبيعية Physical Review عدد ديسمبر من نفس السنة ، ثم نشرته التي ظهرت في السنة التي تليها في الجريدة الفلسفية Philosophical Magasine . كذلك أمامي كتابه « الألكترون[١] » L'Electron . ولقد طالعنا هذه المذكرات في سنة ١٩٢٨ عندما أتيحت لنا فرصة الاشتغال بالأبحاث الطبيعية في معامل البحث بالسوربون بباريس ، وها أنذا أعيد مطالعتها كما أعيد مراجعة الكتاب المتقدم لنستطيع أن نحدث قراء (الرسالة) عن علم ، بوصف تجارب مليكان الخالدة ، تلك التجارب التي مهدت لها أعمال كثير من الباحثين أمثال تونسند Townsend[٢] وولسون[٣] C. T. R. Wilson وتومسون[٤] J. J. Thomson وهم من أعلام مختبر كافندش الشهير الذي يكون جزءاً من جامعة كامبردج المعروفة

وغني عن البيان أننا سوف لا ننقل للقارئ خلاصة هذه النشرات العديدة التي برزت في تاريخ المعارف والتي عدها الكثير من العارفين خطوة موفقة من أكبر مفاخر العلم الحديث ، فليس المجال هنا أن نلخص مسائل علمية يعد الدخول في تفاصيلها من الموضوعات الفنية التي لا تروق غير المختصين ، وإنما غايتنا أن نعرض على القارئ صورة سهلة واضحة هي تلك التي تبقى في الذهن بعد طول المطالعة وتمثل حقيقة هذه الأسطورة التي تعد من أعظم ما نعرفه في العلم التجريبي وتوضح هذه التجربة التي حاولنا إعادتها في يوم لا زال عهدنا به قريباً .

* * *

وموعدي إذن مع القارئ الأسبوع القادم إذ احتاج إلى سبعة أيام لمراجعة أعمال هي عندي نتاج الإنسان الراقي لا عمل

(١) قدمنا أن ذرة الهيدروجين تكبر الألكترون حوالي ألفي مرة ، وأنها مع ذلك من الصغر بحيث أن كرة من المعدن قطرها حوالي ٣/٤ س . م تكبر ذرة الهيدروجين بقدر ما تكبر الكرة الأرضية هذه الكرة المعدنية الصغيرة

(٢) مجموعة المجلة الفلسفية (Phil. mag.) فبراير سنة ١٩١٠ ص ٢٠٩

(١) كتاب الألكترون L'Electron تأليف مليكان ، يجد القارئ النسخة الانجليزية في معظم المكاتب الأوروبية والترجمة الفرنسية في مجموعة أميل بورل Emile Borel الطابع فليكس ألكان Felix Alcan وموجودة في مكاتب باريس والمكاتب المصرية والسورية

(٢) مذكراته للجمعية الفلسفية بكامبردج في ٨ فبراير سنة ١٨٩٧ محاضر الجمعية الملكية Proceedings المجلد ٩ سنة ١٨٩٧ ص ٢٤٤

(٣) محاضر الجمعية الفلسفية بكامبردج Proc. Camb. Phil. Soc. المجلد التاسع سنة ١٨٩٧ ص ٣٣٣

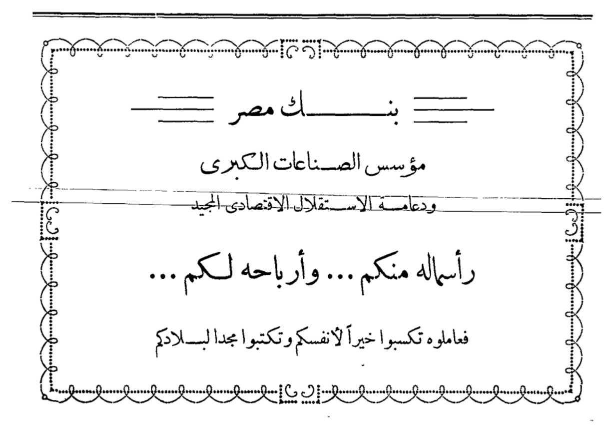
(٤) المجلة الفلسفية Phil. mag. المجلد ٤٦ سنة ١٨٩٨ ص ٥٢٨

الإنسان المتوحش . وأشدّ ما يغلب على النفس نوع من الاطمئنان عند ما تسوقنا الكتب إلى أعمال هؤلاء الأعلام ، وثمة فارق كبير بين ما نستشعره في أعماقنا حيال مجهوداتهم وبين ما نلحظه في مجهودات هؤلاء المتقاتلين ، مهما كان السبب الذي يناضلون من أجله . ما أكثر تعاقب الحوادث هذه الأيام ! كل أسبوع تدخل فيه أمة في الحرب ، ويخيل إليّ أن سبعة أيام لمطالعة « مليكان » فترة طويلة في هذا الزمن الكثير المفاجآت ، فإذا لم يقفنا عن عملنا ظرف مفاجئ ؛ وإذا ظل السلام مخيماً على ربوع مصر والبلاد الشرقية ناشراً لواءه على ذلك المسكن الواقع في هذه الجزيرة الهادئة بين النيلين ، وإذا ظل النيل السعيد بهذا البهاء أرصده من هذا المكان ، وظلت الدور هادئة كعهدنا بها ، وظلت السعادة ترفرف على الربوع ودامت لنا رؤية أطفالنا هانئين مرحين ، ولم تلجئنا الظروف إلى أن نبعث بهم إلى الريف البعيد – فإني مُسْـط أوقات فراغي هذا الأسبوع لقارئ الرسالة ، أحدثه في المرة القادمة عن مكنون هذه النشرات ودخائل هذه الكتب ، وسر هذه الأسطورة العلمية ، وبذلك ربما فزت بأن أجمله بعجب بهؤلاء العلماء إعجابي بهم ويشيد معي بذكرهم .

عند ما نطالع العمل المضني الذي قام به هؤلاء الأعلام ونطالع بعد ذلك أخبار الفواجع التي تغمرنا بها الجرائد وتبعث بها إلينا محطات الإذاعة المختلفة أشعر براحة في الأولى وامتعاض في الثانية

فإلى العلوم هذه الأيام العصيبة نقص لك منها أحب سيرها لنزيد إيماننا وإيمانك بمستقبل الإنسانية ومبادىء السلام والعدل . وعسى ألا تفرّقنا الأيام ، فأظل أشتغل ، وأظل أكتب إليك .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



من هنا ومن هناك

حلم ألمانيا

[عن « هاربرز مجازين »]

قال هتلر فى بعض أحاديثه : « إن ضربتى العاجلة ستكون كالنور ينتشر فى الظلام » . وقال جورنج وهو بصدد المفاخرة بالطيران الألمانى فى أزمة سبتمبر المنصرم : « أنتم معشر الألمان تعرفون أن قوة الطيران الألمانى التى لا تقهر أبداً كانت على أتم استعداد ، وكلة واحدة كانت كافية لإشعال مارج من النيران تبتلع خصومنا ، وما هى إلا ضربة عاجلة ، ولكنها ضربة قاضية لا تبقى منهم باقية » !

ولا شك أن ألمانيا وضعت آمالاً كبيرة فى طيرانها ، واغترت كثيراً بقوتها الحربية ، وقد آذن ذلك الغرور أن يلعب دوراً محزناً فى تاريخها ، على يد الريخ .

فقد وضع النازى كل همهم فى كسب حرب سريعة قاضية بواسطة الطيارات والمصفحات الحربية (تانكس) والغواصات

وهكذا يطلبون النصر المعجل فى تلك الحرب السريعة . وتبدأ هذه الحرب - كما يؤملون - بهجوم جوى عنيف تشترك فيه جميع قوات الطيران الألمانى والإيطالى واليابانى - إذا تيسر - على مواطن البحرية البريطانية والفرنسية فى مختلف الجهات ، حتى يدمر ذلك السلاح الذى يعطى الدولتين البحريتين السلطة والنفوذ فى العالم . وفى أثناء هذه الغارة الجوية تنتشر الغواصات الألمانية فى كل مكان ؛ ويعجل بالهجوم على الطارات البريطانية والفرنسية ، ومراكز القوة ، ومصانع الأسلحة ، والمواطن الآهلة بالسكان . ويتبع ذلك الغزو عن طريق الجو ، هجوم عنيف على الأراضى الفرنسية من الناحية البرية فى كل موضع وكل مكان

ولكن هل من الممكن أن يدمر أسطول حربى عظيم بواسطة الطيارات ؟ لقد برهنت التجارب العديدة على أن الدافع المضادة للطيارات تقوم بعملها فى مطاردة الطيارات على أكمل وجه. وقد أرصدت انجلترا خمسين طراداً حربياً للمساعدة فى مكافحة الطيارات وليس لهذه الطرادات القوية عمل غير هذا العمل. على أن الأسطول البريطانى مجهز بقوة من سلاح الطيران معدة لحمايته فى كل وقت. فهل من المعقول أن تغرق جميع السفن البريطانية والفرنسية فى غزوة جنائية تنقذ ألمانيا ومن يعاونها من ذلك الموقف الضعيف الذى يجرعها غصص اليأس ؟

إن قوة البحرية الألمانية ضعيفة جداً بالنسبة للقوتين الإنجليزية والفرنسية . فإذا قامت بمثل هذه التجربة فسترى أنها كانت واهمة ، وأن القوة البحرية ما زالت تلعب دورها التقليدى فى الحروب، وأن مركزها البحرى سينتهى إلى اليأس المحقق

لقد جربت تلك الغزوة الجوية فى برشلونه فى ١٦ مارس ١٩٣٨ فقد استمرت قوة الطيران الإيطالية الرابطة فى ما جوركه تلقى عليها وابلاً من القذائف ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وكانت طياراتها تحمل أثقل أنواع القذائف وتلقى بها على تلك المدينة التى يسكنها مليونان من الأنفس ، فماذا كان تأثيرها ؟ لقد قتل فى تلك الغارة ثلثمائة نفس ، ولم تنقطع حركة العمل بالمدينة ، بل لقد ظلت دور السينما مفتوحة الأبواب للرائدين

فحلم ألمانيا بحرب جوية سريعة حلم خلاب ولكنه بعيد عن التحقيق

النازى وطبيعة المرأة

[عن مجلة « تايدين » استوكهلم]

قبل أن يستولى النازى على زمام الأمور فى ألمانيا كان زعماؤه القائمون بالأمر الآن ، ونذكر منهم على سبيل المثال دكتور جوبلز يقولون : « إن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل ، فقد خلقتها الطبيعة وأعدتها لحمل الأطفال والعناية بزوجها وبيتها » وذكر « ألفرد روزنبرج » فى الكتاب الذى أخرجه تحت عنوان : (خرافة القرن العشرين) حديثاً عن المرأة قال فيه : « إن نفوذ المرأة فى الدولة يحمل فى طياته أسباب سقوطها ، وكما أن اليهود فى أنحاء العالم يدعون إلى المساواة ، ولا هم لهم فى الحقيقة إلا جلب

النفعة لأنفسهم ، فالمرأة التي تطالب بالحرية لا تطلب المساواة في الحقوق كما قد يتراءى ، ولكنها تنشد الصمود على ذمة الرجل .
وفي اجتماع للنازي عام ١٩٣٤ قال هتلر نفسه في حديث موجه إلى النساء والفتيات من حزبه : « إن الرجل عاله الدولة والكفاح؛ أما المرأة فمالها بيتها وأسرتها وأطفالها »

إلا أن هذه الكلمات وما تبعها من الأعمال لم يكن المقصود بها طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة كما قد يبدو ، ولكنها كانت سياسة مرسومة لمحاربة البطالة ، إذ ما كادت تنصرم تلك الأيام حتى تغيرت الفكرة من الناحيتين النظرية والعملية فلم نعد نسمع أو نقرأ في ألمانيا كلمة واحدة عن الأمومة وطبيعة المرأة

لقد كان النساء يفصلن من أعمالهن بالمئات في المدة من سنة ١٩٣١ — ١٩٣٥ بغير رحمة ولا شفقة ، والآن أصبحنا نراهن يسقن إلى تلك الأعمال بالطريقة نفسها . فالنظرية القائمة في ألمانيا الآن هي نظرية الحرب وحاجة الحرب ، فسواء كانت طبيعة المرأة تدعوها إلى ملازمة المنزل أولا ، فإن النظام القائم يدعو النساء إلى أن يحللن محل الرجال في أعمالهم التي تخلو باستدعائهم إلى الأعمال الحربيـة ، سواء أكانوا مطلوبين للخدمة العسكرية أو للعمل في زيادة السلاح تلك الزيادة التي لا تقف عند حد

وفي ألمانيا الآن كثير من النساء يشتغلن بالأعمال الزراعية الشاقة ، حيث يسقن إليها بطريق العنف والقوة تحت أحكام قانون العمال . ومما يدعو إلى العجب أن بعض هؤلاء النسوة كن يطردن من أعمالهن التي ينشدن فيها الرزق لحماية أنفسهن بدعوى الرأفة بهن في عهد هؤلاء الذين يسوقونهن إلى الأعمال المرهقة بغير تدبر ولا رحمة .

كل هذا يحدث في ألمانيا باسم الحرب والتأهب لها . فالنساء والرجال في ألمانيا يباغتون بقسوة وشدة ، فيفصلون من أعمالهم ووظائفهم التي تعودوها وأحرزوا فيها قصب السبق والنجاح ، ليلحقوا ببعض الأعمال الخاصة بالتسلح والتأهب للحرب، ولا عبرة بما يقال عن إرهاق المرأة وتحميلها ما لا تطيق .

ومما قالته جريدة « أنجريف » في يولية سنة ١٩٣٨ ، وهي لسان حال الدكتور جوبلز : « يجب أن تشتغل النساء الآن مع الرجال في أعمالهم . فجسم المرأة مطالب بأن يؤدي للدولة العمل الذي يؤديه جسم الرجل » . ولا فرق بين الرجل والمرأة في ألمانيا إلا في أن المرأة تتقاضى ٤٠٪ من الأجر الذي يتقاضاه الرجل .

الساعة الرهيبة في آسيا

[من مقال بقلم « مدام شيانج كاي شك »]

نحن نخسر كثيراً من المواقع الحربية — ولكننا ولا شك سنكسب الحرب. هذه كلمة قالها أحد ضباط الصين في العام المنصرم، وهي كما تبدو كلمة كثيرة التناقض ، ولكننا نعيش اليوم في عالم عجيب ، فالنصر اليوم لا يعني النجاح ، والتقهقر لا يعني الهزيمة . وقد يكون اللاشيء معناه الكثرة، وكل شيء قد لا يدل على شيء. فالكلمات تفقد معناها على مر السنين والأيام ، حيث تدركها الشيخوخة .

ونحن في الصين بعد أن خسرنا عدة وقائع ما زلنا نحس الانتصار على مقربة منا كأننا لم نصادف في هذه الحرب غير النجاح

ولكن هل يبقى العالم معصوب العينين أمام الحالة التي تعانيها الصين منذ سنتين ؟ هل ينتظر حتى يفنى أبطال الصين على بكرة أبيهم في ميدان الحروب ثم يفتح عينيه فإذا العالم كله على أبواب خطر جسيم ؟ لقد أفنت الحرب ملايين من أبناء الصين ولم يفطن أحد إلى المثل السامية التي ذهبوا في سبيلها

فالحرب اليابانية كما هي اليوم ليست إلا مقامرة كبيرة بين اليابان التي تمد نفسها دولة أوربية وبين القارة الغربية

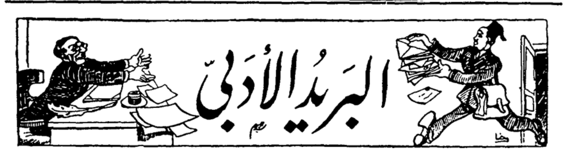
وقد كان في وسع أوربا أن تقف تلك الحرب الأسيوية التي تنذرها بأشد الأخطار منذ اللحظة التي نشبت فيها بدلاً من تشجيعها وتقديم الوقود لإشعال نيرانها

لقد كان هذا في الإمكان، بل لقد كان أمراً سهل الوقوع؛ فكلمة واحدة كانت كافية لإنهاء كل شيء . ولكن أوربا لم تدرك بحصافتها أنه متى أذنت الساعة الرهيبة فقد فقدت مركزها في آسيا

إن الصين لا تستطيع أن تميز بين المبدأين المتقاتلين في أوربا، ولكنها تستطيع أن تقول اليوم إن أوربا إذا فقدت مركزها في آسيا لن تستطيع أن تستعيده مرة أخرى

إن الصين تكافح في حرب غير متعادلة . وهي وإن كانت لا تزال محتفظة بداخلية البلاد ، فقـد فقدت كثيراً من مدنها الجميلة ، تلك المدن التي تدين لأوربا في أنظمتها ومظهرها قد سقطت في أيدي الأعداء

إننا ما زلنا نؤمل في أوربا أن تفطن إلى حقيقة الموقف . فقد تستطيع أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ الشرق مما يعانيه



الى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

السلام عليك ورحمة الله ، وليس يعيب الرجلَ أن يروى خبراً عمن يظن به الثقة إذ الخبر غير صحيح ؛ ولا يعيبه أن ينقد بناء على هذا الخبر ويلوم ، وأن يشتد فى النقد واللام ؛ وليس يعيب الرجل الفاضل أن يسرع إلى بيان الحق متى عرفه ، بل الذى يعيبه ويضع من قدره ألا يفعل ، وهذه الخلة مع الأسف العظيم شائعة فى كثير من نقدتنا ، كأن روعهم ويتعاظمهم أن يرجعوا عما مضوا فيه ولو إلى الحق الصريح

ولولا ما أعرف يا أخى من نزاهة قصدك وسعة فضلك . وتمكنك من نفسك وضنك بها على كتمان الحق ، ماراجعتك فى شأن ما كتبت من كتاب حضرة الدكتور أحمد عيسى بك ، ولا أطلعتك على ما هو مسجل فى الوثائق الرسمية

فالحمد لله الذى لم يخلف ظنى ولم يخيب رجائى

وإننى أدعو الله جاهداً أن يكثر بين نقدتنا من أمثالك ، ولا أقول إننى أسأل الله شططاً ، وأستغفر الله ، فإننى مؤمن بأن الله على كل شىء قدير

والسلام عليك والشكر أبلغ الشكر لك

عبد العزيز البشرى

لكل سؤال يا بنى جواب

١ — اهتم الأستاذ محمود على قراعة بشرح آراء العلماء فى نعيم الجنة ولم يفته أن يحاول إقناع الأستاذين داود حمدان ومحمد على حسنين بأن نعيم الجنة تغلب عليه النزعة الروحية

وقد كان الأستاذ قراعة فى غاية من اللباقة ، فقد رجع بانتظام عن رأيه الأول الذى صرح فيه بأن نعيم الجنة روحى صرف وأن ما جاء فى القرآن من أوصاف النعيم المحسوس ليس إلا رموزاً وإشارات .

ونحن لم ننكر أن الجنة فيها نعيم روحى بجانب النعيم الحسى ، وإنما أنكرنا أن تؤول نصوص القرآن تأويلاً تنكره أصول الشرع الشريف

والآن وقد اعترف الأستاذ قراعة بأن القرآن يشهد حقاً بأن المؤمنين سيكون لهم فى الجنة « أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » الآن وقد اعترف بذلك هل يسمح له ذوقه بأن يحكم بأن الآيات التى تحدثت عن هذه الطيبات تعد من أدب المعدة الذى ينكره الأستاذ أحمد أمين ؟

٢ — صال الأستاذ النمراوى وجال فى مجادلتنا بالتى هى أقبح ، وشاء له أدبه أن يقول إننا غير متمكنين من علوم الدين ، كأنه صار من علماء العصر والأوان ! ونقول إن دعواه باطلة : فنحن بحمد الله وتوفيقه نعرف من علوم الدين أضعاف ما يعرف الذين يدعوهم الكبر الممقوت إلى مجادلتنا فى شؤون الدين وهم لا يعرفون من أصوله بعض ما نعرف

٣ — قدم إلينا الأستاذ على الطنطاوى أربعة أسئلة وهو ينتظر الأجوبة

وكنت أحب أن أسارع إلى إجابته ، ولكنى رأيت أن الأسئلة التى ساقها قد تعرض القراء لفتنة شديدة إن استبحنا الإجابة بلا ترفق وبلا رعاية للمأثور من الأفكار الدينية

وهو نفسه قال « إن مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين » فليترك هذه القضية إلى اليوم الذى نتعرض فيه لشؤون تمس جوهر الدين

وأنا لا أبالى أين يقع قلمى ، ولكن لا بأس من التأسي بالحكمة التى تقول : أترك الشر ما تركك

وهل قلّت اعتراضات رجال الدين حتى تتطوع لتحريكهم يا سيد طنطاوى ؟

على أننى أقول بصراحة إننى أضع كل شىء فى الميزان مهما تقادم العهد عليه . ومن حقى شرعاً أن أنظر فى القرآن نفسه بدون اعتماد على أقوال المفسرين ، لأنى مسئول رأساً أمام الله لا أمام النـاس . وليس لأحد أن يطالبنى بأن أومن كما آمن . وهل منحنا الله العقل إلا لنواجه العقائد عن بصيرة ويقين ؟ إننى راض عن طريقتى فى درس الشؤون الدينية ، والاحتكام فى فهم الكتاب والسنة إلى المنطق والعقل ، فليقل من شاء ما شاء ، وبالله أعتصم من كيد الخائنين . زكى مبارك

عود الى اقتباس الكتاب

يذكر قارئ هذا الباب من الرسالة أنى أخذت على الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم اقتباسه لبعض ما جرى على قلمى فى حديث الرمزية معنًى ومبنى (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧١) . وقد تعذَّر على المقتبس أن ينكر ذلك ، فقال يعتذر : « إنى حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتى الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجىء على قلمى من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكا للمعنى الذى فى ذهنى . . . » (الرسالة رقم ٣١٣ ص ١٣٣١)

والحق أن الأستاذ أدهم يقتبس المعنى فضلاً عن المبنى . ومن مقتبساته الأخيرة أنه أغار على نقدى لكتاب صديقى محمود تيمور وعنوانه « فرعون الصغير » فقد كتبت فى مقتطف بولية الأخير (ص ٢٥٢ أول باب المكتبة) : « فى فرعون الصغير تخف وطأة الواقعية بحيث لا تملك على بعض القصص مداخلها ومخارجها . ففى القصة الأولى وعنوانها « فرعون الصغير » يشغل الخيال المكان الأول حتى إنه يردّ القصة إلى لون معروف هو اللون التخيلى Romanesque ، وفى قصة « المخ المجالى » يسطو اللون الباطنى المستمد من علم النفس الفرويدى Freudisme على المجرى الواقعى للحوادث والأحوال » . ثم كتبت : « بهذه المجموعة من الأقاصيص تأخذ طريقة الأستاذ محمود تيمور ، على ما يبدو للناقد ، فى جهة جديدة . وذلك أن تيمور كان منصرفاً إلى الطريقة الواقعية »

وإليك الآن ما نشره الأستاذ أدهم فى الرسالة (العدد ٣١٩ ص ١٦٢١ و ١٦٢٢) : « . . . وأقصوصة فرعون الصغير يبرز فيها اللون التخيلى Romanische من حيث يتغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالى . وفى الأقصوصة الثانية وهى « غريم » نجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصته على أساس من تنازع العواطف . وهـذا اللون الباطنى ، وإن كان خفيفاً فى هذه الأقصوصة ، فهو يعود إلى علم النفس الحديث ، والتأثر بالفرويدية Freudisme واضح فيها » (ص ١٦٢٢ ع ١ س ٩ — ١٢ ؛ ٢٠ — ٢٤) . ثم كتب : « وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخيلية من جهة والباطنية من جهة أخرى أخذت تطغى على الواقعية الساذجة ولكن بدون أن تفوقها وهذا التطور عند تيمور بك طبيعى . . . » (ص ١٦٢٢ ع ٢ س ٣ — ٦)

ذلك ما جاء على قلمى فى أول بولية وما جرى به قلم أدهم فى الرابع عشر من أغسطس . والموازنة ميسورة للقارئ

على أنى أظن أن فطنة المقتبس حدثته بأن يبدّل من الأصل فسخه . ألا تراه ينسب « اللون الباطنى » الذى أصبته فى قصة « المخ المجالى » إلى قصة « غريم » ؟ ثم ألا تراه يجعل الكلمة الإفرنجية Romanische إزاء التعبير العربى « اللون التخيلى » على حين جعلت إزاءه كلمة Romanesque ؟ وكأنى بالمقتبس أراد أن يستر طرفاً من اقتباسه فيأتى بشىء من عنـده ، شأنه مع حديثى فى الرمزية إذ كتب : « لوامع النفس وبوادرها » ، وفى الأصل : « اللوامع والبواده » فأجرى البوادر مجرى البواده (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧٢) . وكما أنه مسخ هذا التعبير من قبل كذلك مسخ نقدى لفرعون الصغير

وبيان ذلك أن قصة « غريم » لا شأن لها باللون الباطنى . وأظرف من هذا استبدال الكلمة الألمـانية Romanische بالكلمة الفرنسية Romanesque المدوّنة فى نقـدى . ذلك أن الكلمة التى تنظر إلى Romanesque فى اللغة الألمانية هى Romanhaft . وأما Romanische التى أتى بها المقتبس فتدل على شىء آخر . وحسبك أن تعرف أنها تقع صفة للغات المنحدرة

من اللاتينية كالإيطالية والبرتغالية والرومانية ، وصفةً لفن العمارة فى البلدان اللاتينية من المائة الخامسة إلى الثانية عشرة

والآن دعنى أقص عليك كيف زلّ قلم المقتبس هنا، والقصة مُلحة، والملح فى هذه الأيام السود من نعم الله

قرأ المقتبس فى المقتطف كلمة Romanesque إزاء هـذا التعبير : « اللون التخيلى » ، فقال فى نفسه : أُغير على التعبير العربى ، لأن العربية ليست لغتى الأصلية وفى ذلك معذرة ، ولكنى أبدل الكلمة الفرنسية . وإذ المقتبس لا يعرف من الفرنسية إلا الشيء القليل كما بيّنتُ فى الرسالة (رقم ٣١٤) والمقتطف (أغسطس ١٩٣٩) طلب معنى الكلمة الفرنسية فى معجم انجليزى ، ظناً منه أن الكلمة بمعنى واحد فى اللغتين لأن هجاءها واحد فيهما . ولكن كيف يأتى المقتبس بشيء من عنده وهجاء الكلمتين واحد ؟ فتحوّل إذن إلى اللغة الألمانية وطلب فى معجم من معجماتها ما ينظر إلى الكلمة الإنجليزية : Romanesque فسقطت له كلمة Romanische وذلك لأن Romanesque الإنجليزية تقع فيما تقع صفةً لفن العمارة المذكور فوق هذا الكلام ، وللغات المنحدرة من اللاتينية

بشر فارس

بين الدكتورين بشر وأدهم

أرسل إلينا منذ أسبوعين الدكتور اسماعيل أدهم رداً مسهباً على الدكتور بشر فارس جمله فصل المقال فيما شجر بينهما من خلاف ، ولعلنا نستطيع أن ننشر شيئاً منه فى العدد المقبل .

حول الشراة

جاء فى الرسالة عدد ٣١٨ فى (خليل مردم بك) لأستاذ جليل هذه الكلمة :

« ولولا أن يغضب أو أن يشرى صاحبنا الأستاذ أبو اسحق اطفيش نزيل القاهرة ، ومن علماء إخواننا الأباضية وفضلائهم لشننا على (الشراة) غارات ، وفندنا (مقالاتهم) الخارجية بمقالات فى (الرسالة الغراء) متلاحقات »

أيها الأستاذ الجليل — إنى أنزهكم أن تتركوا ما تعتقدونه حقاً لغضب أستاذ أو صاحب . وهل يصح للموازنين والنقاد الذين يسخطهم تفضيل شاعر على شاعر بباطل أو باعتقاد أنه باطل — إهمال فريق من الأمة له تاريخه وماضيه البنيان على أساس مفند ؟ سامح الله الأستاذ زكى مبارك فقد باع جميع أصدقائه لقولة حق يقولها أو فكرة يعتقد صوابها ، فأرانا كيف تنبذ الصداقات وتتضاءل قيم الرجال بجانب الحقائق

أنا أعتقد أن الأستاذ أبا اسحق لن يغضبه ما تكتبه ، كما أعتقد أنه سيرد عليك إن تنكبت السبيل السوى

إن الأستاذ ابراهيم اطفيش كغيره من الأباضية ليسوا فئة متعصبة لرجال أو طوائف على بطلان وضلال ؛ وإنما يتعصبون لحق يرونه مع إمام أو طائفة ، فإذا اتبعوا مذهباً أو أخذوا بقول إمام — فلأنهم درسوه فوجدوه صحيحاً فاتبعوه . ولو أبنت لهم اليوم بطلان ما يذهبون إليه لنبذوه ورجعوا إلى الحق . ولا تخش أن تلاقى منهم عناداً ومكابرة ؛ وإنما عليك بالحجة تجدهم لك أطوع من البنان

فأقدم أيها الأستاذ على عملك ، ولا تخش غضباً ، ما دمت مع الحقيقة والواقع

الشراة — يا أستاذ — طائفة من الناس حيروا العالم ودوخوا الدنيا وملأوا كتب التاريخ ولم تخلص حقيقة القول فيهم إلى اليوم . ولقد يسرنا جداً أن تكتب فيهم مقالات متلاحقات تظهر ما أنبهم من أمرهم وجار من حكمهم وزاغ من عقائدهم ، فتكون بذلك من المحسنين إلى التاريخ والحقيقة ، ومن المحسنين إلى الشراة وأتباع الشراة

ولقد يسرون — وهم فى الأجداث — بما تكتبونه لأنكم تطلبون حقا — وقد كان شعارهم طلب الحق ؛ فإن فعلتم أسديتم إليهم وإلينا جميلاً تطوق به الأعناق إلى يوم يحاسب على الجميل و (لا حكم إلا لله) . وهل أجمل من إظهار حق غمطته السنون وغمرته (مقالات خارجية) مدة ثلاثة عشر قرناً ؟

أرانى قد أطلت وجرنى الحديث إلى ما ليس من غايتى ،

فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما رغبت في معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ... وتقبلوا خالص احترامى ...

القرارة : (جنوب الجزائر) علي معمر الطرابلسي

برنامج وزارة الشئون الاجتماعية

وافق حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد السلام الشاذلى باشا وزير الشئون الاجتماعية على برنامج هذه الوزارة. ونحن نذيع نصه الكامل فيما يلى لاتصاله الوثيق ببرنامج الرسالة وهو :

١ — وضع تشريع لإلغاء البغاء ومحاربة الدعارة السرية

٢ — العمل على إنقاذ الفلاح وإسعاده من طريق التعاون الإجبارى وإنشاء بنك للتعاون المركزى

٣ — وضع تشريع لحماية الطفولة المشردة يراعى فيه سلب الولاية من الآباء غير الصالحين للاشراف على أولادهم

٤ — وضع تشريع لصيانة النسل وذلك بوضع رقابة خاصة على الحالة الصحية للأزواج قبل عقد الزواج بقصد العمل على إعداد جيل قوى شديد

٥ — وضع تشريع لمنع الأطفال والبنات إلى سن معينة من التردد على السينما إلا فى حالة عرض أفلام تعليمية تهذيبية أو أفلام خالية مما يؤثر تأثيراً سيئاً فى الأخلاق ومنعهم من ارتياد محلات الخمور وصالات اللهو وأمكنة القمار ومنتدياتها

٦ — وضع تشريع لمقاومة التسول والقضاء على أسبابه

٧ — الانتفاع الكامل بالإذاعة والعناية بنشرها فى القرى لكى تتصل الحكومة بالفلاحين اتصالاً مباشراً وذلك بأن يخصص لهم برنامج خاص يبدأ بالقرآن الكريم ثم بنصائح صحية وزراعية وأخلاقية واجتماعية ، وكذلك بعض أسباب التسلية التى تسرى عنهم وتتفق مع حالتهم

٨ — العمل على توحيد موارد الإحسان وجمعها وتوجيهها الوجهة النافعة ، وتنظيم الجمعيات الخيرية والاجتماعية بما يكفل إنمائها وبقاءها وتوجيهها الوجهات الخيرية الملائمة لحالة البلاد الاجتماعية

٩ — محاربة البطالة وتوجيه الشباب إلى العمل الحر وتحسين حالة العمال وتنظيم شؤونهم ورفع مستوى معيشتهم

١٠ — بحث حالة السجون وتوجيه نظمها وجهة اجتماعية صحيحة ، واستخدام المسجونين فى أعمال التعمير كإصلاح الأراضى الحكومية والعمل على عدم عودتهم للإجرام وذلك بمعاونتهم بعد انتهاء مدة العقوبة على كسب عيشهم من طريق شريف

١١ — توجيه الشعب توجيهاً يحقق وحدة البلاد وتمكين روح الإخلاص والتضحية للوطن والعرش والعمل على سلامة الأخلاق وتقوية الروح القومية وروح التعاون والاقتصاد بين طبقات الشعب بوسائل الدعاية المختلفة كالصحافة والخطابة والتمثيل والسينما

١٢ — الأخذ بالروح الصحيحة للتعاليم الإسلامية للوصول إلى مقاومة فوضى العلاقات الزوجية وما يترتب على هذه الفوضى من تفكك روابط الأسرة وانهيار العائلة

١٣ — تنظيم النشاط الرياضي للشعب وتنظيم أوقات الفراغ واستثمارها

١٤ — توجيه بوليس الآداب للعمل على صيانة الآداب العامة ومحاربة البدع السيئة والمنكرات فى غير تعسف ولا جمود وزيادة قوته ليستطيع مواجهة هذه الأعمال

١٥ — بحث توحيد الزى وتحسينه بما يلائم أحوالنا وعاداتنا وجو بلادنا

لا تقولى نسيت

فى قصيدتى « لا تقولى نسيت » التى تفضلتم فنشرتموها برسالة الأسبوع الفائت ورد هذا البيت :

من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبت الليالى شجونه ؟

والبيت يا سيدى ليس لى إلا قافيته ، بل هو لصديقنا شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل ... وقد نسيت أن أقوس عليه . لذلك وجب التنبيه

عبد العليم عيسى

سؤال ؟

إلى (الأستاذ الجليل) اللغوى الكبير ***

تحية طيبة؛ وبعد فهذا سؤال فى نظرى عويص سألنيه صديق فعجزت عن الجواب عنه بعد أن بحثت فيما لدى من المعاجم، فلم يسعنى إلا أن ألجأ إليكم للإجابة عليه وهو :

تسمى العرب فاقد البصر أعمى ، وفاقد السمع أصم ، وفاقد الشم أخشم . فماذا يسمى فاقد الذوق ؟

أرجو الجواب على صفحات رسالتنا المحبوبة ولكم الشكر

ع . م . ع

كتاب البستان

أعاد الناشر المعروف (مكميلان) طبع كتاب البستان لأديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد إسعاف النشاشيبي بك. فرأينا أن نطرف قراء الرسالة بمقدمته ليعرفوا طريقته فيه وغايته منه . على أن من قرأ مقالات النشاشيبي لا ينكر علمه وفضله ، ومن تتبع نقل الأديب للنشاشيبي لا يجهل ذوقه وعقله

***

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على محمد

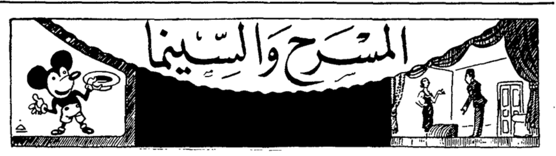
ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير . وليس الشادى بأحوج إلى كتب فى العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادى . بل الثانى فى هذا الأمر هو الأول ، (والأهمّ مقدّم) وإن على الذى يلقنه فى بدء تثقيفه المعوّل . وقد فطن لذلك فريق من عرب الدهر القديم وإفرنج هذه العصور ، فخصوا تلك الطائفة من الطلاب بكتب جمة محكمة ، وشرعوا لها فى التهذيب شرائع بينة ؛ فمشى الطالب فى طريق معبد حافظ[1] . وإنى لما تقربت إلى عربيتى بتأليف مجموعتى (مجموعة النشاشيبى) لكى يرويها نشء العرب ، ويستظهرها الشادون من الطالبين ، رأيت أن أجمع (لتلاميذ المدارس الأولية والابتدائية) أقوالاً قديمة عربية غير منقولة عن لغة غربية « ومن ورد البحر استقل السواقى ، ومن لقى جالينوس استجهل الرواق[1] » وقد تحريت أن يدنوَ إليهم منالها ، وتسهل لهم معانيها ، ولا يلؤُم نظمها وسبكها . والكلام يلؤُم (يا فتى) كما يلؤم المرء ، واللؤم شر الخلائق ، واللئيم شر الناس ، ولا خير فى قول لم يكرم لفظه وتأليفه ، وإن اجتافته حكمة الحكيم . وقد ضل السبيل جل الجامعين ولم يسلك النهج إلا الأقل . وظنى أن سينشط ذهن الطالب الصغير لما أطرفته إياه فلا يجهد يوم الاستظهار نفساً ولا يدهمه ما لا يفهمه إلا من بعد سنين . ولله (القاضى أبو بكر بن العربي) الذى عيَّب فى (كتاب رحلته) سنة المؤدبين فى تدريس الصغار (الكتابَ) الكريم المعجز ودلهم على المهيع المستبين . فقد تنبه على هذا الأمر الجلل والقوم رقود ، وهدى إلى الحق وهم فى ضلال بعيد[2] .

محمد اسعاف النشاشيبي

(١) فى الأساس : من المجاز طريق حافظ واضح . قال النضر : هو البين يستقيم لك ما استقمت له . فأما الطريق الذى يقود اليومين ثم ينقطع فليس بحافظ

(١) فى الصحاح : امرأة راقية ، ورجل راقية ، والهاء للمبالغة ، والرقية العوذة

(٢) اخترت شعر هذا الكتاب ونثره من مؤلفات ودواوين ومجاميع كثيرة ، ورجعت فى التفسير والضبط والتحقيق إلى كتب اللغة والأدب والشروح العظيمة المشهورة . واستعنت بالله



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرق القومية منها وواجبها حيالها

رواية الذبائح

كانت رواية غادة الكاميليا خيراً وبركة على المسرح المصرى وبسببها اتجهت الأنظار إلى فرقة رمسيس ، وارتفع قدرها وكبر شأنها ، فازداد النشاط فيها وعظم الإنتاج .

ولا نتعرض للعدد الوفير من الروايات التي أخرجتها ، فإن هذا ليس سبيلنا ، وإنما يكفى أن نضع أمام نظر القارئ أسماء بعض هذه الروايات :

غادة الكاميليا ، المجنون ، كرسى الاعتراف ، الاستعباد ، الذبائح ، ناناشا ، الجبار ، راسبوتين، توسكا ، الصحراء، فيدورا، إنتقام المهراجا ، القضية المشهورة ، ملك الحديد ، النسر الصغير، ~~الولدان الشريدان ، الذهب ، في سبيل التاج ، عطيل ، يوليوس~~ قيصر ، المائدة الخضراء ، جاك الصغير ، الشرك ، البرنس جان ، نيرون ، لوكاندة الأنس ، حانة مكسيم ، الرئيسة ، القبلة القاتلة ، الفريسة . . .

وليست هذه الروايات إلا قليلاً من كثير أخرجته الفرقة فى أعوامها الأولى التي نالت فيها نجاحاً منقطع النظير فى تاريخ المسرح المصرى

وكما كانت (غادة الكاميليا) سبباً من أسباب اهتمام الجمهور بالمسرح كذلك كانت رواية (الذبائح) ، بيد أنه كان لهذه أثر يخالف تلك ، ونتائج خطيرة غيرت من اتجاه سير النهضة وقلبتها رأساً على عقب .

لم تكن الذبائح رواية عادية ، بل كانت حدثاً فى تاريخ التأليف المسرحى ، فاللغة التي كتبت بها غريبة كل الغرابة، هى لغة عامية صيغت فى ألفاظ ومعان عربية ، أو دخلت عليها ألفاظ ومعان أرق من مستواها اللفظى ولهجتها الشاذة ، وهى بعد ذلك ذات رنين عجيب ، أحياناً تراها كأنها نوح النائحات، وأحيانها تسمعها كأنها شدو الحمائم ، وأحياناً أخرى تنظرها فكأنها حكم وأمثال للحكيم سليمان أو لغيره من الحكماء ، ثم لا ترى بعد هذا أنك فى جو تعرفه ، ولا تشعر أنك فى حياة ألفتها ، بل أنت فى دنيا غريبة وحياة غريبة ، وبين أشخاص غرباء ، كأنهم خارجون من القبور، أو آتون من بعيد حيث الظلام الدامس يعم الأرجاء، والغموض والإبهام يلابس الأشياء . هم مخلوقات آدميون فى الظاهر لكنهم ليسوا من أهل هـذه الدنيا . لعلهم من سكان المريخ ، ولعلهم من سكان غير المريخ من هذه العوالم التي تجرى فى نظامها الرائع مع أرضنا سيدة هذه العوالم بلا منازع .

فلم يكن غريباً أن يكون لهـؤلاء الأشخاص أثر فى الجمهور ، ولم يكن غريباً أن يفتتن بهذه الرواية الناس ، وأن ~~يترنم بعضهم بألفاظها الغريبة فى منتدياتهم ، حتى فى الطرقات~~ كان البعض ينادى أمينة رزق وفتوح نشاطى بطلى الرواية بتلك اللهجة الغريبة التي تقرع الأسماع .

وكما أثرت الذبائح فى عقول الجمهور ، كذلك أثرت فى عقول أصحاب المسرح وسادة النهضة فيـه ، وبدأ يوسف وهبى ينسج على منوالها ، فكتب (الصحراء) ، بيد أنه حاول إخفاء الحقيقة فكتبها بلغة عربية ليدخل فى روع الناس أنه غير مقلد على حين أن كل شيء فيها قد نم عن تأثر صاحبها بالذبائح وأسلوبها ولهجتها وما فيها من بكاء وعويل .

(للكلام بقية)

ملاحظات

اختيار الروايات فى الفرقة القومية

نعود إلى هذا الموضوع فنقول إن رواية (محمد على الكبير) التى قبلتها لجنة القراءة وقبض أصحابها ثمنها قد رفضها أفراد الفرقة لعيوب فنية وموضوعية لمسوها فيها ، فالرواية عبارة عن عرض تافه لسيرة منشئ مصر الحديثة، وهو عرض غير جدير بذلك البطل الذى أظهره المؤلفان بمظهر السفاح الذى يجتذب إليه أعداءه ليغدر بهم ، هذا إلى أنها من الوجهة المسرحية لا قيمة لها

وهنيئاً للمؤلفين ما قبضا من ثمن !

خطوة مباركة

علمنا من مصدر نثق به أن لجنة من الممثلين والمخرجين بالفرقة القومية قد عهد إليهـا بصفة غير رسمية قراءة الروايات التى تقدم للفرقة وانتخاب ما يصلح منها لعرضه على اللجنة الرئيسية . وهذا بلا شك يعد خطوة مباركة لها ما بعدها من نتائج حاسمة فى اختيار الروايات الذى يعد عقدة العقد ولغز الألغاز فى هذه الفرقة . ونحن نرحب بهذا العمل ونرجو أن يصبح رسمياً على أن ينضم إلى هذه اللجنة التمهيدية فريق من النقاد للانتفاع بخبرتهم ودرايتهم بشئون المسرح .

سراج منير

ترامى إلينا أن الأستاذ فتوح نشاطى توسط فى الصلح بين الأستاذ سراج منير وإدارة الفرقة القومية ، فعاد سراج إلى عمله كمخرج وبدأ فعلاً فى إخراج (مصرع كليوبطرة) ، ونحن نحمد هذه الروح التعاونية بين أفراد الفرقة ونتمنى دوامها .

الفرقة الموسيقية

يقولون إن هناك فكرة لتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التى تعمل مع الفرقة القومية .

وبهذه المناسبة نذكر أن عدد أفراد هذه الفرقة ١٥ عازفاً، وهم يكلفون الفرقة القومية ألفاً من الجنيهات كرتبات

وفى الواقع أن الفرقة القومية ليست فى حاجة إلى فرقة موسيقية بهذه الضخامة لأنها لا تخرج روايات أوبرا أو أوبريت

مصر الخالدة

قدم الأستاذ فتوح نشاطى إلى إدارة الفرقة القومية ، رواية (مصر الخالدة) ، وهى مأساة فرعونية أشاد فيهـا بالعبقرية المصرية القديمة

الإخراج فى الفرقة القومية

بدأ العمل فى إخراج الروايات وتوزيع الأدوار على النحو الآتى :

عهد إلى الأستاذ فتوح نشاطى إخراج الروايات الآتية :

(ماريا) ، وهى درامة اسبانية عنيفة تصور رجلين يتنازعان حب امرأة .

(الأمل) ، وهى رواية مقتبسة بقلم الأستاذين : سليمان نجيب وعبد الوارث عسر ، وهى عبارة عن تصوير للجيل الحاضر الذى يريد أن يشق طريقه إلى الحياة بصدق وعزم ، دون أن يأبه للتقاليد الموروثة .

وعهد إلى الأستاذ عمر جيمى بإخراج (امرأة تستجدى)

كما عهد إلى الأستاذ سراج منير بإخراج (مصرع كليوبطرة)

وبهذه المناسبة نذكر أن الروايات الثلاث (ماريا) و(مصرع كليوبطرة) و (الأمل) قد وزع أدوارها المسيو فلاندر

ثقافة مخرج

كتب أحد المخرجين كلمة يدافع بها عن السيدة فاطمة رشدى فى نوعها الجديد حيث هبطت إلى فن الصالات فقال : إن موليير حين طرد من فرقة الكوميدى فرانسيز افتتح مقهى أمام المسرح وكان الممثلون يأتون إليه ذرافات ووحداناً يتناولون عنده شرابهم وطعامهم ، فلما سويت الأمور بينه وبين إدارة الفرقة بعد سنوات عاد إليها ولم يكن فنه قد تأثر بإدارة المقاهى

وللحقيقة والتاريخ نقول : إن موليير مات قبل إنشاء فرقة الكوميدى فرانسيز ببضعة أعوام لعلها خمسة ، وأن موليير لم يفتتح مقهى وإنما كان صاحب مسرح اسمه (مسرح موليير)

ولسنا نعيب على مخرجنا الجهل ، وإنمـا نعيب عليه التبجح فى إيراد هذا الدفاع وهذا الدليل الذى لا يأتيه الباطل !

(فرعون الصغير)


7me Année No. 326 — Lundi - 2 - 10 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

قالوا استقال طلعت حرب !

قلنا وكيف يستقيل طلعت حرب من عمل هو فكرته وكنهه وطريقته وغايته ورمزه ؟ إن فى الاستقالة معنى التفريق بين العامل والعمل ، ينتسب إليه ما دامت يده فيه ، فإذا خلاه لسبب من الأسباب أصبح غريباً عنه ؛ ولكن طلعت حرب معناه بنك مصر وشركات مصر واقتصاديات مصر ، فلا تجد بين اسمه وبين هذه الأسماء تفاوتاً فى الدلالة لا فى الذهن ولا فى الخارج . فالتعبير بالاستقالة عن راحته الضرورية بعد الجهاد الطويل والجهد الثقيل والحركة الدائبة تعبير مباين لوجه الصواب فى اللغة وفى الواقع

إن طلعت حرب موجود فى مؤسساته وجود الروح فى الجسم العامل ، لا ينفك عنها ما دامت قائمة ؛ وقيامها الثابت بمآثرها ومظاهرها وإنتاجها تماثيل خالدة لهذا الزعيم الوطنى العبقرى الموفق. وإذا حق للتاريخ أن يجادل فى أقدار العظماء وآثار الزعماء الذين برزوا فى ميادين النهضة المصرية الحديثة، فإن قدر طلعت حرب، وأثر طلعت حرب، لا يمكن أن يكونا فى يوم من الأيام مثار جدل ولا موضع شك . وإذا جاز للتاريخ أن يعزو نجاحنا السياسى إلى أسباب خارجية أهمها اضطراب العالم واصطراع الدول ، فإنه لا يستطيع أن يعزو نجاحنا الاقتصادى إلا إلى عوامل داخلية أولها وأهمها كفاية طلعت حرب، وجهاد طلعت حرب!

ولقد كان هذا النجاح الاقتصادي الماثل في بنك مصر وشركات مصر هو وحده الحجة الناهضة على رشد هذه الأمة الكريمة: رحض عن سمعتها الأذى، ودحض عن كفايتها التهم، وجلا عن نهضتها الشكوك، وبدد عن مستقبلها السحب؛ لأنه نسقٌ من الضرورة والقدرة والنظام والثقة لا يقوم على الهوى، ولا ينتظم على الطيش، ولا يدوم على الفساد، ولا يتقدم على العجز، ولا يبلغ شيئاً وراء الزعامة المترددة. ثم انتشر هذا الفوز الاقتصادي وانبسط أفقه واتسع مداه حتى أصبح نهضة اجتماعية شملت مرافق البلد من كل نوع، وتناولت أمور الناس من كل جهة: أجْدت على العلم ففتحت له أبواب العمل، وعلى التعليم فمهدت له سبل التطبيق؛ وعلى الأدب فاستعملت اللغة في أعمال المال، ونشرت الثقافة بالطباعة والإذاعة والتمثيل؛ وعلى الأخلاق فأحيت في الرجال الثقة وقوّت في الشباب الرجولة؛ وعلى الاجتماع فوقت الأمة شر العطلة المجرمة والأزمة المستحكمة باستخدامها الألوف من الموظفين والصناع والعمال في شركات البنك وفروعه؛ وعلى القومية فخلقت الروح الجماعية بإنشائها الأعمال التي تقوم على رءوس المال وتَوَزُّع العمل وتساند القوى وتضامن الجماعة؛ وعلى السياسة فكفكفت عنها شِرَّة النفوذ المالي الأجنبي بمنازلتها الجريئة له في ميادينه القوية الحصينة؛ وعلى الإسلام فساعدت على إقامة ركن من أركانه، وكشف الضر عن منزل وحيه وقرآنه؛ وعلى وحدة العرب فوصلتها بأسباب التعاون ووثقتها بسلاسل الذهب. والاقتصاد اليوم وقبل اليوم كان دستور الحياة وعلة السعي لها وغاية الجهاد فيها، فلا بدع إذا أثر في كل شيء، وعمل في كل حركة، وهاج في كل ثورة، وصاح في كل نهضة

* * *

ذلك هو مدى الاستقلال الاقتصادي الذي يتبوأ عرشه اليوم طلعت باشا حرب، والشعب كله على عُدْوتي واديه يعتقد له الحب، ويعرف له الجميل، ويخلص له الشكر، ويختلف في كل شيء إلا في فضله. وتلك منزلة من تكريم الله وتقدير الوطن لا يبلغها إلا الأفذاذ المخلصون الذين شغلهم حب الخير ففكروا وأملوا، ثم آمنوا وعملوا، ثم استمسكوا بروح الله وقوة الأمة على عصف الخطوب وإلحاح المكايد، حتى استقر بهم الإيمان على الفوز، واستقام بهم الإخلاص على الطريقة؛ فكانوا مثلاً للجهاد الصابر الثابر الذي يتلمس القوة من جوانب الضعف، ويتطلب الكثرة من أشتات القلة، ويخلق النجاح اليقين من أحاديث المنى، ويرفع في معترك الشُّبه والظنون هذا الصرح الباذخ فيكون قاعدة للمصلح ومنارة للمتخلف ومثابة للشريد

فليت شعري هل تملك الأحوال الحاضرة أن تموقنا عن أداء الواجب الوطني لهذا الرجل العظيم؟ إنا لا نريد أن نقدم إليه ثروة ولا عمارة ولا شارة؛ إنما نقترح أن تجعل له الأمة يوماً من أيامها الغر الحوافل، تفد عليه فيه طوائفها المختلفة من زراع وصناع وتجار وموظفين وطلبة، فيقدمون إليه شكران الوطن منظوماً في عقود الزهر، وقصائد الشعر، وهزج الأناشيد، وحماسة الهتاف، ليشعر هذا المجاهد البطل، وهو ينفض غبار المارك الغالبة عن جبينه المتوج، ويمسح أذى السنين الناصبة عن جسده المهدود؛ أن الأمة التي شغل بنهضتها فكره، وقضى في خدمتها عمره، وأنفق في سبيلها قواه، لم تفرط في جانبه، ولم تقصر في واجبه، ولم تَمنَعْها عن شكر أياديه عوادي الخطوب الراصدة

ذلك الشكر الوطني العلني الحاشد هو في رأينا خير ما يقدم اليوم إلى رجل مثل طلعت حرب غمره خير الله حتى شَرِق به، ولزمه مجد الحياة حتى عَرِض منه، وخدمه سلطان الجاه حتى زهد فيه؛ فلم يعد يطمع إلا في خفقة الحب من فؤاد شاعر، وتحية الإخلاص من لسان شاكر

* * *

أما قيام حافظ عفيفي على ما أسس وشاد طلعت حرب، فذلك هو ضمان الله وأمان القدر. لأنه بإجماع الرأي أجدر من في مصر لخلافة الزعيم العظيم، وما رأينا الناس يُخلدون بثقتهم بعد طلعت حرب إلا إليه، لاعتقادهم أنه كذلك رجل إنشاء وعمل، وصاحب رأي وعزيمة، ورسول إصلاح وخطة، ولم يتول عملاً من الأعمال إلا وضع فيه النظام والدقة والثقة والنزاهة. وكذلك عوّد الله الكنانة أن يلطف بها في القضاء ويُخلف عليها في القدَر!

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٧ —

أراد صاحبنا أن يقسّم الأدب إلى قسمين : أدب تركيبيّ وأدب تحليليّ ، ثم بنى على هذا التقسيم أحكاماً خواطئ ، كعادته فى كل ما يتناول من الشؤون الأدبية

وإلا فمن الذى يصدق أن التشبيهات تُعاب بحجة أنها صور تركيبية ، وبحجة أن الأمم لا تهتم بالتشبيهات إلا فى حالتها الفطرية؟

إن أحمد أمين أفرط فى تحقير التشبيه أقبح إفراط ، ونسى أنه عمليةٌ ذهنية تشهد بقوة الذكاء ، ودقة الملاحظة ، والقدرة على ضمّ الصور بعضها إلى بعض

ولو جارينا أحمد أمين فى أحكامه الجائرة لأغضينا عن جمال التصوير فى قول ابن المعتز :

لا مثلَ منزلة الدويرة منزلٌ … يا دار جادكِ وابلٌ وسقاكِ
بؤساً لدهرٍ غيرتك صروفهُ … لم يمح من قلبى الهوى ومحاك
لم يحلُ للعينين بعدك منظرٌ … ذُمّ المنازلُ كلّهن سواك
أى المعاهد منك أندب طيبهُ … ممساك بالآصال أم مغداك
أم بَرد ظلك ذى الغصون وذى الجنى … أم أرضــك الميثاء أم ريّاك
فكأنما سُـطعت مجامر عنبر … أو فُتّ فار المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ … وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأنما أيدى الربيع ضحيّةً … نشرت ثياب الوشى فوق رُباك
وكأن درعاً مُفْرغاً من فضة … ماء الغدير جرتْ عليه صَباك

وقد أشرنا من قبل إلى أن أحمد أمين يرى التشابيه ضرباً من الألاعيب ، وليس من الكثير عليه أن يرى ذلك فقد رأيتم فيما سلف وسترون فيما بعد أن للرجل طريقة فى الفهم تخالف طريقة أهل الأدب

وأدعم هذا الهجوم بالشاهد الآتى لتسقط حجة من يدّعون أننا نظلمه ونتناسى مكانته الأدبية

قال أحمد أمين إن الأدب العربى جنح إلى التركيب وغفل عن التحليل ، وكان دليل ذلك عنده « أن علماء البلاغة العربية عُنُوا بالإيجاز أكثر من عنايتهم بالإطناب ، وأُعجبوا بجوامع الكلم أكثر من إعجابهم بالكلام الطويل المنبسط ، بل إن بعضهم كأبى هلال العسكرى فهم أن الإطناب تكرار المعانى وطول الألفاظ ، وقال : « إن كتب الفتوح وما يجرى مجراها مما يقرأ على عوامّ الناس ينبغى أن تكون مطوّلة مُطنباً فيها » فكأنه يريد أن يجعل الإطناب أدب العامة ، والإيجاز أدب الخاصة »

ذلك كلام أحمد أمين ، وهو يدل على أنه لم يفهم كلام أبى هلال وإليكم البيان :

إن كلام أبى هلال معناه أن الكلام له مقامات ، فإن خاطبت رجلاً ذكياً فأوجز : لأن الإطناب فى مخاطبة الأذكياء يعدّ من التطويل وهو فضول ، وإن خاطبت الجمهور فأطنبْ : لأن الجمهور مكوّن من عناصر كثيرة تتفاوت فى الفهم والتمييز والإدراك ، والحزم يوجب أن نطنب حين نخاطب الجماهير لنصل إلى إفهامهم ما نقصد إليه من المعانى والأغراض

ذلك معنى كلام أبى هلال ، فهو لا يريد أن يقول بأن الأدب يكون أدب خاصة عند الإيجاز وأدب عامة عند الإطناب ، وإنما يريد أن يحدد واجب الشاعر والكاتب والخطيب ، ودليل ذلك أن علماء البلاغة مجمعون على أن الإيجاز فى مخاطبة العامة خطأ ، والإطناب فى مخاطبة الخاصة ضياع

وعلى ذلك يكون شرف البيان موقوفاً على فهم مقتضيات الأحوال ، فالأديب الذى يوجز حين يخاطب الخاصة ليس أعلى منزلة من الأديب الذى يطنب حين يخاطب العامة ، كما يتوهم أحمد أمين الذى يكيل الحقائق الأدبية بأوسع المكاييل ، مع أنها لا توزن إلا بأدق الموازين

فمن أين فهم أحمد أمين أن الإطناب يراه العرب من

البتذلات حتى يحكم بزهدهم فى الأدب التحليلىّ الذى يستوفى عناصر الموضوعات ؟

***

وعاب أحمد أمين على العرب أن يهتموا بجمع الحكم والأمثال وعدّ ذلك نتيجة حتمية للأدب التركيبىّ ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على الآداب الأجنبية لعرف أن الاهتمام بجمع الحكم والأمثال هو من الأغراض التى يهتم بها أكثر الشعوب .

ويقول أحمد أمين إن « الخطب والكتب فى كثير من الأحيان عبارة عن جمل قصيرة مركزة محكمة ، كالذى نلاحظه فى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء وكخطبة زياد وخطبة الحجاج ، ولو تناول الأدب التحليلى كل جملة من هذه الجمل لصاغ منها صفحات »

فهل يدرك الأستاذ أحمد أمين وجوه الخطأ فى كلامه هذا ؟

إن خطاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى من أنفس الخطابات فى تحديد أصول القضاء ، فهل كنت تنتظر أن يؤلف عمر بن الخطاب كتاباً فى مجلد أو مجلدين يشرح فيهما لأبى موسى فروع القضاء ؟

وما الذى تعيب على خطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أتعيب عليهما الإيجاز ؟ وما الوجب للاطناب وقد وقعت الخطبتان على رءوس من سمعوها وقوع الصواعق ، وظلتا حديث الناس من جيل إلى جيل ؟

ما رأيك فى المستر تشمبرلن وقد ألقى خطبتين وجه إحداها إلى مواطنيه الإنجليز ، ووجه الثانية إلى أعدائه الألمان ؟

ألا ترى أن هاتين الخطبتين أوجز من خطبتى زياد والحجاج ؟

هما أوجز بلا جدال

فهل سمعت أن ناقداً أدبياً فى فرنسا أو انجلترا عاب على المستر تشمبرلن أنه أوجز ولم يطنب ؟ هل سمعت ؟ هل سمعت ؟

وا أسفاه !!

إن المستر تشمبرلن حوله أمة تفهم أقدار الرجال ، فقد أعلن الإنجليز عطفهم عليه حين رأوه يبكى جهوده الضائعة فى الدعوة إلى السلام

وكان العرب أمة تفهم أقدار الرجال إلى عهد الحجاج : فقد كان مالك بن دينار يظهر عطفه على الحجاج كما أعلن الإنجليز عطفهم على تشمبرلن . كان مالك بن دينار يقول : ماسمعت الحجاج يشكو أهل العراق إلا رحمته منهم !

إن أحمد أمين يقول إن كل جملة من كتاب عمر بن الخطاب وخطبة زياد وخطبة الحجاج يصاغ منها عند التحليل صفحات ، ويعد ذلك شاهداً على ميل العرب إلى الأدب التحليلى ، فما الذى يقوله أحمد أمين فى خطاب تشمبرلن إلى الألمان ؟

إن خطاب تشمبرلن قد يصاغ منه عند التحليل مجلدات لا صفحات ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا الخطاب شاهد على على أن الإنجليز لا يحسنون تحليل المعانى والأغراض

إن المستر تشمبرلن يفهم ما كان يفهمه زياد والحجاج

هو يفهم أن الجمل القصيرة المركَّزة المحكمة هى التى تبقى فى الأذهان والقلوب ، ويدرك أن التهديد الذى يصبّه الخطيب فى جملة أو جملتين ، والسخرية التى يصوغها فى كلمة أو كلمتين ، أبقى أثراً من الكلام المطول المبسوط الذى يصاغ فى صفحات

أيعرف أحمد أمين ما الذى سطره الفرنسيون على مدخل البانثيون ؟

سطروا هذه العبارة الموجزة : Vaincre ou mourir

وهى عبارة تُشرَح فى مجلدات لا صفحات

أيعرف أحمد أمين الجملة المسطورة على باب قصر التين ؟

هى الجملة القليلة الألفاظ الكثيرة المعانى ، الجملة التى تقول :

« العدل أساس الملك »

وهى أنفع من ألف كتاب فى شرح مزايا العدل وأثره فى حياطة الملك

أيذكر أحمد أمين الآية المكتوبة فى جميع المحاكم المصرية فوق منصة القضاء ؟

هى كلمة القرآن المجيد :

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

فهل يعدّ ذلك الإيجاز من الخطأ ؟ أم يراه غاية فى تذكير الناس بأصول الحقائق ؟

يجب أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن العرب لم يستهينوا بالأطناب ولم يعدّوه من المبتذلات حتى يحكم بأنهم يرونه من أدب العوامّ لا أدب الخواصّ . فالإطناب أسلوب من البيان يقصد إليه الشاعر والكاتب والخطيب حين يدعو المقام إليه ، وهو أسلوب شريف لم يحتقره أحد من أهل البلاغة كما توهم أحمد أمين

وهل كانت سائر الكتب على نمط كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى ؟

أين هو من الكتب المطولة التى كان يبعث بها علىّ بن أبى طالب إلى عماله فى الأقاليم البعيدة والأقطار القصية (١) ؟ وأين هو من كتب العهود التى صارت بعد ذلك من تقاليد الحكومة الإسلامية؟

وهل كانت سائر الخطب كخطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أين هو من الخطباء المطنبين الذى تحدث عنهم الجاحظ فى البيان والتبيين ؟

أين خطب سحبان الذى كان يهدر بها من الظهر إلى الأصيل؟

أين أحاديث صعصعة بن صوحان ؟

أين مشاورة المهدى لأهل بيته ، وهى من أنفس الذخائر الأدبية ؟

وتحدث أحمد أمين عن الإيجاز الذى التزمه مؤرخو العرب فى كتب التراجم وعده من عيوب السليقة العربية ، فهل كان ينتظر أن تصاغ تلك التراجم على نحو ما نصنع اليوم ، وعلى نحو ما يصنع الأوربيون ؟

كان هذا ممكناً لو أن المؤرخ العربى كان يقصر جهده على الترجمة لرجلين أوعشرة رجال ، ولكن هذا كان من المستحيل على من يترجمون لعشرات أو مئات أو ألوف

وما الذى قرأ أحمد أمين من كتب التراجم ؟

(١) قد يقال إن كتب على بن أبى طالب وعهوده إلى عماله قد تطرق الشك فى نسبتها إليه ، ونقول إنها تدل على تصور العرب لما كان يصدر عن الخلفاء من كتب وعهود ، فهى على فرض وضعها تؤيد حجتنا

هل عرف كتب الطبقات : طبقات النحويين واللغويين والفقهاء والصوفية ؟

إن كان عرف تلك الكتب فليحدثنى كيف كان يمكن لرجل مثل السبكى أن يصنع أكثر مما صنع فى طبقات الشافعية ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن لأبى الفرج أن يصنع أكثر مما صنع فى كتاب الأغانى ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن لياقوت أن يصنع أكثر مما صنع فى كتاب إرشاد الأريب ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن للمقرى أن يصنع أكثر مما صنع فى نفح الطيب ؟

لو أن هؤلاء الرجال ترجموا للشعراء والكتاب والخطباء والمؤلفين على نحو ما نصنع اليوم لأضاعوا علينا فرصاً لاتعود أبد الدهر ، لأنه كان يستحيل عليهم أن يحدثونا عن جميع تلك الطوائف، وكانت هممهم ستقف عند الترجمة لعدد قليل من أصحاب المواهب فى الأقطار العربية والإسلامية

فما الذى يستفيد أحمد أمين حين يغض من أقدار أولئك الرجال ، وهو من فضلاتهم يعيش ؟

هل يعرف كم ألوفاً من الأدباء والمؤرخين انتفعوا بجهود مؤلف الأغانى ؟

هل يعرف أن ابن خلكان الذى احتقره وازدراه أدى مهمة يعجز عنها الأكثرون ؟

إن أحمد أمين يعيش فى عصر المطبعة ، والسُّبل أمامه ممهّدة لنشر ما يشاء ، فما الذى صنع ، وما الذى صنع زملاؤه فى الترجمة لأعلام العصر الحديث ؟

ليت دنيانا الحاضرة تعرف رجلاً مثل ياقوت يترجم لأقطاب الفكر والبيان فى مصر والمغرب واليمن والحجاز والشام والعراق !

ليت ثم ليت ! فأحمد أمين نفسه لا يعرف شيئاً من التيارات الفكرية فى البلاد العربية والإسلامية لهذا العهد ، وهو محتاج إلى ثعالبىّ جديد يعرّف الناس بفضلاء عصره كما صنع أبو منصور حين ترجم لأقطاب القرن الرابع

فما هذه الغطرسة على أسلافكم يا أدباء آخر الزمان ؟

وبأى حق تتجنون على رجال أدّوا واجبهم أحسن أداء وهم فى قِلّة من أسباب الرزق ؟

إن أحمد أمين لم ير بلداً غير مصر إلا وهو مكفىُّ المؤونة

بأموال الحكومة المصرية ... فهل يعرف كيف كان يصنع رجل مثل ياقوت وهو يطوّف بالمغرب والمشرق وعلى ظهره حقيبة يحمل فيها ما يتّجر به ليعيش ؟

وأبو هلال الذى يستشهد أحمد أمين بكلامه فى الإيجاز والإطناب ؟

أبو هلال هذا لم يعرف سهولة العيش التى عرفها أحمد أمين ، فقد قست عليه الأقدار حتى اضطرته ، وهو من نوابغ الأدباء والمؤلفين إلى كسب قوته من مزاولة التجارة بالأسواق ، وهو الذى يقول :

جلوسى فى سوق أبيع وأشترى   دليلٌ على أن الأنام قرودُ

ولو اضطُر أحمد أمين — لا قدّر الله ولا سمح — إلى كسب رزقه من مزاولة التجارة فى الأسواق لنضب معين فكره وشُغل عن مضغ الكلام فى أدب المعدة وأدب الروح ... !

أحبُّ أن أعرف ما هى الغاية من تحقير ماضى الأمة العربية ؟

أحب أن أعرف لأى غرض شغل أحمد أمين نفسه بالنص على أن عبد الحميد الكاتب فارسىّ الأصل ؟

هل يريد القول بأن الأدب التحليلىّ وصل إلى العرب من أدباء ليسوا من الأرومة العربية ؟

وهو كذلك !

ولكن ما رأيك إذا حدثتك بأن الحضارة العربية هى صاحبة الفضل على عبد الحميد وابن المقفع وسائر من نبغوا فى الممالك الإسلامية وهم من أصول أجنبية ؟

إنك تعرف أن أعظم ما بقى من آثار ابن المقفع هو الحكم المبثوثة فى الأدب الصغير والأدب الكبير ، وهى حكم يغلب عليها الإيجاز ، فهل تعدُّ الإيجاز من عيوب تلك الحكم الخوالد بحجة أن الإيجاز من خصائص البلاغة العربية ؟

إتق الله فى نفسك ، أيها الصديق ، فللناس أذواق وعقول

وتقول إنك لا تعرف فى العربية غير شاعر واحد هو ابن الرومى وكاتب واحد هو ابن خلدون ... وسترى فى الأسبوع المقبل كيف نلتقى فى تحرير هذا الموضوع الدقيق .

« الحديث شجون »   زكى مبارك

هل آن للأزهر أن يبعث ؟

للأستاذ محمد يوسف موسى

تصفحت بعض أعداد الرسالة الغراء التى صدرت وأنا بفرنسا صيف هذا العام ، فرأيت فى أحدها كلمة عن إهابة الأستاذ الكاتب على الطنطاوى بعلماء الأزهر لمساعدته فى تأليف كتاب عن الدين الإسلامى ، يفيد منه العامة والخاصة والعرب والعجم والمسلم وغير المسلم ، وأن هذا الاستنجاد لم يجد له سميعاً فضاع صرخة فى واد كما يقولون

ليطمئن الأستاذ نفسه فليس إلى بلوغ ما يريد من سبيل إلا إذا اعتمد على نفسه وأمثاله من الكتاب الذين يلذ لهم أن يقفوا بعض جهودهم على الدين ونشره ، ويجدون التعب فى ذلك عذباً جميلاً . أقول ذلك وأنا واثق مما أقول ؛ فقد دعوت فى أوائل هذا العام المنصرم إلى مثل ما يدعو إليه الآن فما وجدت غير التثبيط وأمثال هذه الكلمات : خَلّ عنك ، الله قد وعد بأنه سيظهر الإسلام على الدين كله ، وهو ليس فى حاجة إلى مثل جهودك وجهودنا ! وإلى القراء الأمر على جليته :

نزلت فى صيف العام الماضى بفرنسا بعائلة محترمة بمدينة « ليون » ، وتأصلت بينى وبينها الروابط لتقارب فى العاطفة وتشابه فى الميول . ولأنها عائلة محافظة ، أعجبها منى قيامى ببعض ما يجب علىّ لله من الصلاة وتلاوة القرآن ؛ فكانت أحاديثنا فى أوقات الفراغ تدور كثيراً على الإسلام وما فيه من آداب عامة ، وشرائع فى مختلف مناحى الحياة تصلح للناس جميعاً . وبلغ بهم الأمر أن كانوا يطلبون منى تفسير بعض الآيات التى تشتمل على تلك الآداب والتشريعات ، والآيات التى تضمنت أخبار عيسى عليه السلام وأمه العذراء .

وبديهي أن ذلك كان يسرنى ، وكنت أعمل على تحقيقه جهدى . ثم بدا لى فأعطيتهم القرآن مترجماً للفرنسية ترجمة مناسبة تقريباً .

ولما حان موعد سفرى إلى مصر رجونى أن أرسل إليهم كتاباً بالفرنسية جامعاً لأصول الدين التى قام عليها ، ومبادئه التى يدعو إليها ... هنا وقف حمار الشيخ ! إذ اعتذرت وأنا خجل بأن مثل هذا الكتاب لم يوضع بعد فى اللغة العربية ، بل إن أحداً لم يفكر فى مثل هذا العمل .

وأخيراً رجعت للوطن بعد أن وعدتهم ببذل الجهد فى تحقيق ما يرجون — من وضع كتاب كهذا يترجم للغات الحية ويوزع فى مشارق الأرض ومغاربها بالمجان — لما فى ذلك من خدمة عامة وتعريف بالإسلام لدى أقوام لا يعرفون عنه شيئاً ، أو لا يعرفون إلا ما ينقله لهم جماعة ساءت نياتهم ، فحرفوا واختلقوا وشوهوا الإسلام بما كتبوا .

إلا أنى بكل أسف ، كما أشرت أولاً ، لم أجد هنا مساعداً أو مشجعاً ؛ فقد تحدثت فى ذلك إلى كثير من إخوانى النابهين المدرسين بالكليات — الذين كان لى ملء الثقة فى غيرتهم على الدين ونشاطهم فى العلم — فكان الأعراض والتثبيط مما جعلنى أسوف فى الأمر من يوم لآخر حتى انقضى العام الدراسى أوكاد . ويعلم الله أن من بين هؤلاء الإخوان من إذا كلفه أحد الناشرين بمثل هذا العمل أو أشق منه نظير دراهم معدودة لشكر الله على هذا الرزق الذى سيق إليه ، ولأعطى من نفسه فوق طاقته حتى ينجز له ما طلب فينقده أجره !

أخيراً جاء أوان السفر هذا العام فسافرت ونزلت بين العائلة نفسها فكان من أول ما سئلت عنه أمر الكتاب الموعود .

لى الله ، فما كان أشد خجلى وأعظم حيرتى ! وبعد لأى وجمجمة اعتذرت بأن مثل هــذا العمل ، لخطره ومسئوليته ، يتطلب الأناة وطول الوقت حتى يخرج كاملاً بالقدر المستطاع . فهل يرضى السادة شيوخى وإخوانى هذا التقصير فى أداء واجب دينى يقوم بأكبر منه وأشق مرات ومرات رجال الأديان الأخرى ، بينما نقضى أوقاتنا فى قال وقيل وأخبار العلاوات والدرجات والسعى لها بمختلف الوسائل !

يميناً بالله أنه لا يخطر لى بالبال تنقص أحد يشرف بالانتساب للأزهر — فلست إلا واحداً منهم ينوبنى ما ينوبهم — وإنما هو أمر أحرجنى وأخجلنى وآلمنى فوجدت فرجة للتنفيس عنى ، وإنما هو إحساس عميق ببعض ما فينا من عيوب ؛ والإحساس بالنقص أول الخطوات للسعى نحو الكمال . على أنه لولا حرصى على أن يظل « الطابق مستوراً » لأشرت إلى بعض المقارنات بين كثير من علمائنا ورجال الدين فى أوربا ، الذين لقيت منهم الكثير من ناحية الثقافة الواسعة الكاملة ، وقضاء العمر فى طلب العلم وخدمة الدين بدافع من أنفسهم وتربيتهم التى نشأوا عليها ، حتى ليصح بحق على الكثير منهم ما كنا استأثرنا به طويلاً من أوصاف مشرفة : حبر ، بحر ، علامة !

وبعد ، فهأنذا — رغم عملى بالأزهر والدراسة الخاصة التى ندبت نفسى لها بفرنسا والتى تأخذ كل وقتى حتى أيام العطلة — أمد يدى للأستاذ الطنطاوى شاكراً له غيرته التى دعته للتفكير فيما دعا إليه ، واعداً حضرته بمساعدته بجهدى القليل وبجهود من أستطيع إقناعهم وضمهم لنا من زملائى ، والله يهدى السبيل

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

M. Arab. 140

يانكتسه

فليتأمل الناس ما شاؤا فيما تسميه اليابان حدثاً بسيطا وعما يسميه باقي العالم حربا فالجيشان لهما عدو مشترك يمكنه أن يوقع بلية فى اليابان .

إذا حمل الصينيون على فيضان أهم أنهرهم الذى وضعت له الحواجز منذ أجيال فكل طبيب يستطيع أن يتنبأ بما يحدث فقد حدث ذلك وقد صارت النتائج التى ظهرت حتى الآن كبيرة الأهمية .

فان مئات الفراسخ المربعة من الأرض قد أصابها الفيضان فى بقعة كانت مظاهر الملاريا فيها عادية ولا يعنى بذلك أنها كانت مرتفعة ولكن المرض أى الملاريا فى الوقت الحاضر لم تكن متفشية بحالة وبائية وبنسبة كبرى فالكينا تمثل الدواء الوحيد والواسطة الوحيدة للوقاية فى المعالجة الاجمالية للجيوش كما تبين ذلك فى الحبشة فاما يستعملها الجيشان المتناظران وإما يفعل فيهما المرض فعله الذريع ويظهر أن ذلك قد بدأ الآن .

فالنساء الصينيات فى نيويورك قد جمعن مالا كى يستطعن تحضير طنين ونصف من الكينا لمواطنيهن . ففى كل محل صينى للغسيل توجد علبة لتلقى دريهمات الامريكيين المحبذين . ولكن كمية ٤٠ سنتجرام من الكينا يوميا ضرورية لوقاية جندى من الملاريا واليانكتسه يتكاثر دائما . فمعالجة الملاريا تقتضى يوميا مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا مدة خمسة أو سبعة أيام كما تشير بذلك لجنة الملاريا فى جمعية الأمم .

بحث قانوني مقارن

القتـــل الخطأ

في الشريعة الإسلامية وفي القانون المصري الحديث

للأستاذ أحمد مختار قطب

من أمد غير طويل ارتفعت صيحات متفرقة تنادي بوجوب بسط القوانين الشرعية على البلاد . . . ولقد وجدت هذه الدعوة مرتعاً خصباً في نفوس عامة الناس . ولما كان من الثابت قطعاً أن السواد الأعظم من الجمهور لا يعرف عن القوانين الشرعية إلا فكرة ضئيلة مشوهة رأيت من ألزم واجبات الرجل القانوني أن يتيح لتلك النفوس فرصة تذوق ما في القوانين الشرعية من صلاح وعدالة وقوة مع مقارنة هذه القوانين بالقانون المصري الحديث

ولقد اخترت القوانين الجنائية لأنها هي التي يظهر فيها الفرق جليًّا بين الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة ، ولأنها من جهة أخرى ألصق القوانين بالحياة البشرية . وسأبدأ أبحاثي بجريمة القتل بنوعيها سواء الجريمة العمدية أو غير العمدية

فنبدأ الآن بجريمة القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية ثم في القانون الحديث حتى يتسنى لنا أن نحصر أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين التشريعين

في الشريعة الإسلامية

أحكام هذه الجريمة مستمدة من الآية الكريمة : « وما كان لمؤمن أن يقتلَ مُؤمناً إلا خطأً ؛ ومَن قتلَ مؤمناً خطأً فتحريرُ رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمنٌ فتحريرُ رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة. فمَنْ لم يجِدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ توبةً من اللهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً »

أجملت هذه الآية الكريمة أحكام القتل الخطأ ، وبالاستعانة بالسنة النبوية وبأقوال الشراح نستطيع تفصيل هذا الإجمال

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » والخطأ الوارد هنا هو بمعنى عدم القصد . وعدم القصد هو مناط الإباحة . . . فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه « ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به » ولكن لما نتج عن هذا الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله

ولقد عدّد الفقهاء صور الخطأ وأوجهه فقالوا : إن وجوه الخطأ لا تحصى وربطها جميعاً عدم القصد مثل أن يرى صفوف المشركين فيصيب مسلماً ، أو يسمى بين يديه من يستحق القتل من زان أو محارب أو مرتد فطلبه ليقتله فلقي غيره فظنه هو فقتله فذلك خطأ

وعقوبة هذه الجريمة تختلف باختلاف الشخص الذي وقعت عليه، فإن كان المجني عليه مؤمناً من قوم مؤمنين فله حكم خاص؛ وإن كان مؤمناً منتمياً إلى الأعداء ومقيماً معهم فله حكم آخر ؛ وإن كان من قوم معاهدين فله حكم مخالف لما سبق

فإن كان المقتول خطأ مؤمناً من قوم مؤمنين فقد قالت في حكمه الآية الكريمة : « ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله »

فبناء على ذلك يلتزم القاتل بتحرير رقبة مؤمنة وتسليم دية إلى أهل القتيل ، وعلّة إلزام القاتل بتحرير رقبة مؤمنة هو أنه قد تسبب بإهماله ورعونته في قتل نفس مؤمنة كانت تعبد الله فتعين عليه إقامة نفس أخرى محلها ، ولا يمكنه ذلك بالإحياء فلا مناص إذن من العتق ، ولا تنس ما في هذا العمل من حض ظاهر على إزالة الرق

وهذا العتق من قبيل الكفارة التي ترفع عن المذنب عقوبة الآخرة .

ولقد اشترط العلماء في هذه الرقبة المؤمنة أن تكون رقبة قد عقلت الإيمان ، لأن الغرض هو تنصيب إنسان للعبادة بدل الإنسان المقتول ، فلا يصلح إذن إعتاق المجنون جنوناً مطبقاً ، ومن كان في حكمه .

والعقوبة الثانية هي دفع دية إلى أهل القتيل عوضاً عن دمه ، ولقد ذكر القرآن الدية إجمالاً ، ولكن السنة وضحت هذا الإجمال

إذ ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدية مائة من الإبل

ولقد توسع العلماء بعد ذلك فقالوا : إن الدية قد لا تدفع من الإبل ، بل قد تستبدل ذهباً ، فهي عند أهل الذهب ألف دينار ، وعند أهل الفضة اثنا عشر ألف درهم ، وعند أهل الشاء ألف شاة، وعند أهل الحلل مائتا حلة ...

على أن دفع هـذه الدية حق خالص لورثة القتيل إن شاءوا تنازلوا عنه ، وإن شاءوا احتفظوا به ؛ أما الـكفارة ، وهي إعتاق الرقبة المؤمنة ، فلا تسقط بإبراء الورثة لأنها حق لله تعالى .

أما إن كان المقتول مؤمناً منتمياً إلى الأعداء ، وكان القاتل يعتقد أنه كافر ، فقد جاء حكمه في الآية : « فإن كان من قوم عدو لـكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة » أي أن العقوبة هنا قاصرة على الـكفارة ، وهي تحرير الرقبة المؤمنة ، فلا يلتزم القاتل بدفع دية إلى أهل القتيل ، وسقطت الدية لوجهين أحدهما أن أولياء القتيل أعداء للمسلمين، فلا يصح أن تدفع إليهم فينتفعوا بها ، والثاني أن حرمة هذا الذي آمن ولم يهاجر قليلة فلا دية له لقوله تعالى : والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لـكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا .

والحالة الثالثة تتحقق عند ما يكون المقتول خطأ من قوم معاهدين أوذميين، ففي هذه الحال يجب تحرير الرقبة المؤمنة وتسليم الدية إلى أهله. ونلاحظ أن هذه الحالة لا تفترق عن الحالة الأولى، وسبب الإلزام بدفع الدية هو أنه ما دام المقتول من قوم معاهدين فهم إذن أولى بديته

ثم قالت الآية في آخر الأمر : « ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » أي من لم يجد الرقبة ، ولا اتسع ماله لشرائها، فصيام شهرين متتابعين يعفيه من هذا الواجب

هذه هي أحكام القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية وقد أوردتها بإيجاز يعفي القارىء من التفصيلات المسهبة

في القانون المصري

أما أحكام القانون المصري بالنسبة لهذه الجريمة ، فقد وردت في المادة ٢٣٨ من قانون العقوبات الجديد ونصها « من قتل نفساً خطأ أو تسبب في قتلها بغير قصد ولا تعمد بأن كان ذلك ناشئاً عن رعونة، أو عدم احتياط وتحرز، أو عن إهمال وتفريط، أو عن عدم انتباه وتوق ، أو عن عدم مراعاة واتباع للوائح ، يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه »

هذه المـادة تنص على أن هذه الجريمة تحتاج لتكوينها إلى الأركان الثلاثة الآتية :

الركن الأول يتلخص في ضرورة صدور خطأ من الجاني ، والخطأ هو سبب العقاب ، إذ بدونه لا يكون هناك محل لتوقيع العقوبة ... ويعتبر الخطأ موجوداً كلما ترتب على فعل إرادي نتائج لم يردها الفاعل مباشرة ، ولا بطريق غير مباشر ، ولكنه كان في وسعه تجنبها

ولقد حددت المـادة أنواع الخطأ وحصرت هذه الأنواع في الصور الخمس الآتية : وهي الرعونة وعدم الاحتياط والتحرز والإهمال أو التفريط وعدم الانتباه أو التوق وعدم مراعاة اللوائح

ومما هو جدير بالملاحظة أن عبارات القانون واسعة يندرج تحتها كل أنواع الخطأ

والركن الثاني ضرورة وجود رابطة سببية بين الخطأ والنتيجة؛ وبتعبير آخر ألا يكون من الممكن تصور وقوع الجريمة بدون وجود الخطأ. فإن كان الموت مستقلاً عن الخطأ فلا محل للعقاب. وبتعبير أكثر دقة يجب أن يكون الخطأ من أسباب وقوع الجريمة

وقد يحدث في الحياة العملية أن يساهم المجني عليه بخطئه في إحداث الجريمة ؛ ففي هـذه الحالة لا ترتفع مسئولية الجاني بل يظل مسئولاً، وإنما تخف مسئوليته بقدر خطأ المجني عليه وأثره في إحداث النتيجة

أما الركن الثالث فهو ضرورة وقوع الموت، وإلا فلا عقاب مهما كان الخطأ في ذاته . وهذا الشرط بدهي لأن الجريمة لا تتم بدونه، إلا أن الخطأ قد يكون في ذاته جريمة يعاقب عليها القانون

هذه هي الأركان التي تتكون منها الجريمة ، وبمجرد استيفائها يجب عقاب فاعلها بإحدى العقوبتين الواردتين بالمادة إما الحبس لمدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وإما غرامة لا تزيد على مائتي جنيه

ولقد كانت هذه العقوبة في القانون القديم أخف وطأة منها في القانون الحالي ، لأن العمل أظهر أن العقوبة المنصوص عليها في القانون القديم وهي الحبس لمدة لا تزيد على سنتين أو غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً لا تكفي في الأحوال التي يكون

صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة

للأستاذ إدريس الكتاني

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وعلى ضوء ما تقدم من حياة السلطان الرشيد نستطيع الآن أن نقول : إن الرشيد كان والده ملكاً على الصحراء بعد أن ولد هو بعام فقط ، ثم تولى أخوه محمد الملك يوم أن كان هو لا يتجاوز من العمر عشر سنين ، فقد نشأ الرشيد بين أحضان الملكين والده وأخيه ؛ ثم إن السن التي يمكن أن يكون الرشيد فيها طالباً بجامعة تبعد عن بلده بعشرات الأيام ، لا تقل مطلقاً عن خمسة عشر عاماً إن لم تكن فوقها بكثير ... والرشيد في مثل هذه السن كانت دولة أخيه وقتئذ آخذة في القوة والانتشار ، لكنها لم تبلغ فاسا ... فلو أن الرشيد سار إلى جامعة القرويين طالباً ، لسار إليها على أنه ابن ملك وأخو ملك ، لا على أنه طالب عادي كما في القصة الآنفة الذكر . فإذا ذكرنا أيضاً أن الخصومة السياسية بين السلطان محمد ملك الصحراء وولاة فاس قد تكون حجر عثرة في ذهاب الرشيد إلى فاس تأكد لدينا بطلان تلك القصة ... أضف إلى هذا أن كل من أرخوا للرشيد لم يذكروا أنه دخل فاسا إلا يوم أن دخلها فاتحاً

* * *

وهذه أسطورة أخرى لا تقل في التنسيق وبراعة الحبك عن سابقتها . تتحدث الأقوام التي ران على قلوبها الجهل فتبدع قصة من الخيال لتكون تاريخاً لسلطنة الطلبة . ولماذا نعيب على هؤلاء الأقوام جهالتهم وقد سكت حضرات المؤرخين عموماً عن صفحة ناصعة من التاريخ المغربي المشرق ، ولم يستفز شعورهم مغزى تلك السلطنة التي تحمل في جوانبها نبل الغرض وشرف الغاية ، وكان خليقاً بهم أن يكتبوا تاريخ (سلطنة الطلبة) بإسهاب ويبدعوا في وصف تلك المظاهر والمناظر أبدع الوصف ، وحتى الشعراء — وهذا هو الغريب — كان لهم وجوم غامض أمام هذه السلطنة ، لست أدري أكان ناشئاً عن عدم تقديرهم لمغزاها السامي أم أن شعورهم كان قد انحط في هذين القرنين المتأخرين فلم يعد منهم من يذكرنا بمثل أبي تمام وأبي العلاء والمتنبي من شعراء القديم ، أو بمثل شوقي وحافظ وإقبال من متأخري الشعراء ، وإنما كان هناك شعراء حافظوا بكل أمانة على أوزان الشعر وقوافيه ، ولم يخرجوا قيد شبر عن بحور الخليل وأنهار تابعيه ، وأحسب من هنا جاءت العلة الأولى أيضاً ، فكان مفهوماً ألا يهتم شعراؤنا — سامحهم الشعر — بسلطنة الطلبة وما تحويه من معاني الشعر والخيال . وأنى لهم ذلك الحس المرهف ، والفكر المصقول ، والقلب الشاعر ، وهم إنما دخلوا إلى الشعر من باب الأوزان والقوافي ؟ !

قال رواة الأسطورة التاريخية : عند ما أخذت الدولة السعدية في الانحلال والانخذال بعد وفاة المنصور السعدي ، نشأ في كل مقاطعة من أرض المغرب رؤساء وزعماء يتولون حكم مقاطعتهم مستقلين تمام الاستقلال عن باقي المقاطعات الأخرى ، فكان من سوء حظ مدينة تازة أن جار على مقاطعتها يهودي يدعى ابن مشعل ، وامتد نفوذه إلى فاس فأرغم أهلها على تقديم هدية رسمية إليه عند رأس كل سنة . وليس هذا هو الغريب إنما الغريب أن تكون

فيها الخطأ جسيماً أو التي يتعدد فيها المجني عليهم

هذه هي جريمة القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية، وفي القانون المصري الذي هو صورة للقانون الفرنسي، ويبدو لنا أن الشريعة الإسلامية تقارب القانون الحديث في بعض الأحوال وتفترق عنه في غيرها . فهي تشبهه في الوجهة العامة من حيث اشتراط الخطأ وصوره وأوجهه، ولكنها تختلف عنه اختلافاً بيناً في العقوبة .

وعندي أن أساس هذا الاختلاف هو تغير الأوضاع الاجتماعية ، فعقوبة إعتاق الرقبة أساسها نظام اجتماعي يسود فيه الرق

ولكني أعتقد أنه بقليل من الاجتهاد نستطيع التوفيق بين القانون والشريعة فنطور القانون إلى أن يوافق الأسس الشرعية التي لا تقبل التغيير، ونطور بعض الأحكام الشرعية التي روعي في وضعها تغيرها بالزمان والمكان

أحمد مختار قطب المحامي

* * *

المراجع : تفسير القرطبي — كتاب المغني والشرح الكبير — كتاب المبسوط للسرخسي — كتاب المرحوم أحمد أمين بك في شرح قانون العقوبات، الأستاذ السعيد مصطفى السعيد

هذه الهدية عبارة عن أجمل فتاة فى أكبر أسرة بفاس تقدم إلى ابن مشعل لتكون واحدة من جواريه وخدمه فى قصر إمارته ، كدليل على إخلاص الفاسيين له ، وخضوعهم لحكمه

يا لها من خرافة ما أشد سخافتها وبلاهتها عند من يعرفون المغاربة عموماً وأهل فاس على الخصوص ! أتبلغ الجرأة بيهودى حقير إلى أن يصير حاكماً على بلد إسلامى ، ثم يتجاوز هذا فيرغم بحكم سلطته بلداً عريقاً فى الإسلام على أن يقود له أجمل وأشرف فتياته إلى دار الفسق والهوان ؟

عند ما تسيل آخر نقطة من الدم العربى الطاهر الذى يعيش على وجه البسيطة فى المشارق والمغارب ، عند ذلك يصح أن يكون لليهود حكم على العرب ، أعنى على أرض العرب

إيه يا فلسطين ، عشت للعرب وعاش العرب لفلسطين

وعادت الأسطورة فقالت : ثم ما لبث أمر اليهودى أن سمع به شاب عربى صميم يدعى الرشيد بن الشريف فأخذته النخوة العربية ونفخت فى أعصابه روحاً من الشهامة والإباء وكان طالباً من طلبة الجامعة القروية

فماذا فعل الرشيد يا ترى ؟ لقد جمع حوله أربعين شاباً من صناديد الطلاب ، ثم تم الاتفاق بينه وبين القائمين بأمر الهدية التى تقدم لليهودى على أن يكون هو هذه الفتاة العذراء التى ستهدى هذه المرة ، وأن يكون أصحابه الأربعون فى مكان (شورة)[1] العروس ، والمراد أن يندس هؤلاء الشبان داخل القبب التى تكون فى صحبة العروس ، وأن يكونوا عوناً لزعيمهم على ما يريد .

وتم كل شىء ، فتسلح زعيم الطلبة الرشيد بن الشريف كما تسلح أبطاله الأربعون واتخذوا مطاياهم من الجمال فوقها الأخبية والقبب ، وسار موكب الفتاة من فاس إلى ضواحى تازة من غير أن يكون فيه ما يبعث على الارتياب والظنون .

ولو كان لابن مشعل قليل من دهاء الزباء لأنشد مثل ما أنشدت هى فى قصتها الشهيرة إذ قالت :

ما للجمال مشيها وئيداً
أجندلا يحملن أم حديداً
أم صرفانا تارزا شديداً

ولو أن ابن مشعل قال هذا لأجابه الرشيد فى نفسه :

بل الرجال قبضاً قعودا

ثم قالت الأسطورة : ووصل الركب إلى دار ابن مشعل من غير أن تحوم حوله ريبة أو شكوك ، فاستقبله اليهودى بسرور الظافر ، وغبطة المنتصر ، وأمر فى الحال بإغلاق أبواب الدار ، إذ كان قد استعجل لقاء الفتاة التى لن يجد شبيهتها فى بنات إسرائيل ، ولكنه ما استعجل إلا لقاء حتفه ؛ فلقد حدث ما لم يكن فى الحسبان من قبل . لم يشعر المسكين أن رأى جيشاً من الأبطال الثائرين فى سلاحهم قد أحاطوا به إحاطة الجزارين بالذبيح ؛ ثم سالت الدماء فى بطاح دار ابن مشعل ، حتى لم يبق بها دم حى

وفى صباح اليوم التالى أجمعت كلمة الطلبة الأربعين على مبايعة زعيمهم الرشيد فبايعوه على سنة الله ورسوله ملكا على المملكة المغربية .

وأراد الرشيد أن يكافئ رجاله الأشداء على ما قاموا به من أعمال جسام ، فأقام لهم سلطنة هزلية مؤقتة ، وجعلها إرثاً مشاعاً بين جميع طلاب الجامعة القروية — عدا الفاسيين — يتبوأون عرشها أسبوعاً واحداً فى العام كله

* * *

تلك هى الأسطورة التى تسير على أفواه رواة التاريخ المجهول؛ ولعلنا لا نحتاج إلى تضعيفها من الوجهة التاريخية بعد ما ذكرناه عن حياة السلطان الرشيد وكيفية جلوسه على عرش الملك المغربى العتيد

وبرغم ما فى هذه الأسطورة من التزيد والتلفيق فإنها تستند فى أصل وضعها إلى شىء من الحقائق التاريخية التى أشار إليها بعض الثقات من المؤرخين ، فإنه قال ما معناه : وفد السلطان الرشيد يوم كان يتهيأ للجلوس على عرش المغرب ويعمل على إفهام الشعب أنه خليق بهذا العرش على رئيس يدعى الشيخ اللواتى ، وبينا هو فى ضيافته إذ رأى رجلاً يصطاد فى هيئة الملوك وحوله

(١) « الشورة » بمعناها الاصطلاحى عبارة عن أمتعة البيت التى تصحب العروس ليلة زفافها وجرى العرف قديما بوضعها داخل قبب ، وإذا كان بيت العروس بعيداً حملت على الجمال ونحوها . وأصلها فى اللغة الشوار

حاشية من المماليك والفرسان فسأل عنه فقيل هو ابن مشمل من يهود تازة وقد عتا فيها وتجبر . فتنحى الرشيد سريعاً وجعل السكين فى فمه (وذلك علامة تأكيد الاستعطاف والاستنجاد فى أخذ الثأر ونحوه) واستقبل الشيخ اللواتى ، فلما رآه هذا بادر إليه قائلاً : لبيك يا سيدى! نفسى ومالى طوع يديك. فأخبره الرشيد بما رأى ورجاه أن يؤلف له كتيبة من إخوانه الأشداء ليفتك بهذا اليهودى الذى يستطيل بنفسه على المسلمين وهو تحت حكمهم وفى أرضهم . فجرد له الشيخ اللواتى جيشاً من العرب البواسل تبلغ عدته نحو الخمسمائة وتواعد الرشيد مع جيشه الصغير على أن يلحقوا به متفرقين مختفين تحت أستار الظلام

وسار الرشيد إلى دار ابن مشمل التى تبعُد عن تازة ببضعة أميال ، واستضاف اليهودى فأضافه . وعند ما جن الليل ، وهجع الناس كان رجال الرشيد قد أحاطوا بالدار وهم تحت السلاح ، وعندئذ تسلل الرشيد من مضجعه ، واحتال فى دخول بيت ابن مشمل فبطش به فى صمت ثم أشار لأصحابه فتسلقوا الأسوار وهجموا من كل جانب ، ولم يشعر ساكنو القصر حتى وجدوا أنفسهم مغلولين فى الأصفاد لا يستطيعون خلاصاً مما وقعوا فيه

وهكذا نجح الرشيد فى هذه المؤامرة وأضاف إلى نفسه ما وجده من الأموال والذخائر فاشتد بها ساعده وقوى نفوذه[١]

ويقف بنا المؤرخ عند هذا الحد فلا يذكر شيئاً عن سلطنة الطلبة . غير أننا نستطيع نحن أن نتم القصة بما رواه أحد العلماء استطراداً إذ قال : إن مولاى الرشيد هو الذى سن نزهة الطلبة التى جرى بها العمل كل سنة بفاس ومراكش أيام الربيع وذلك أنه لما فتك بابن مشمل واحتوى على ما كان لديه من الذخائر جعل لمن كان فى معيته من الطلبة نزهة فاخرة ، وقد كانوا نحو الخمسمائة ومن يومئذ اتخذت عادة سنوية مدة حياته وبعد موته[٢]

هذا هو التاريخ المفصل « لسلطنة الطلبة » ، وهو تاريخ طويت صحائفه وجهلت أطواره منذ نشأته الأولى حتى الآن ، ومن عجيب الصدف أن يقرأه الشرقيون — والمغاربة منهم — فى آن واحد لأول مرة . ولعل من المؤلم أن أذكر هنا أن كثيراً من سلاطين الطلبة الذين سبق لهم أن جلسوا على عروش مملكة الطلاب كانوا يجهلون تمام الجهل تاريخ مملكتهم وعروشهم . ولو سألت آخر سلاطينهم — كما سألت أنا — عن سبب زيارتهم لضريح أبى الحسن على بن حرزهم ، لأجابك بما لا يرضى الحقيقة والتاريخ . ويجهل أن ذهابه لذلك الضريح إنما كان للترحم على الروح الشريف الذى كان السبب فى جلوسه على عرش تلك السلطنة .

ولكن هل كان يضره هذا الجهل المعيب ؟

حسبى أن أسكت الآن . وهل كان يهمنى من كل هذا إلا أن ألفت نظر أبناء عمومتنا وخئولتنا فى أقطار العروبة والإسلام إلى هذه القطعة الواسعة من دنيام الإسلامية ليطلعوا على صفحة من تاريخ مجدها التالد والطريف ؟

فيا شباب العرب سددوا سواعدكم لتحيوا مجد العرب

واذكروا دائماً أن لكم قطراً عربياً طالما صدفتم عنه وفيه أمة تريد أن تميش لتحيى مجد الإسلام والعرب

عاش العرب ، وعاش الإسلام

(فاس) ادريس الكتانى



(١) نشر المثانى فى أهل القرن الحادى والثانى للقادرى النسخة الحطية الكبيرة (٢) الدرر الفاخرة فى مآثر العلويين بفاس الزاهرة لابن زيدان نقلا عن كتاب فتح المنان فى شرح قصيدة ابن الونان

من الأدب الفرنسي

امرأة نوح ...

للأستاذ ناجي الطنطاوي

تناول الكاتب الكبير « جان نوروا » في هدأة من الليل ، في غرفة عمله المنعزلة ، الكتاب الذي وقع تحت يده وفتحه ، فالتقت نظراته بهذه الجملة :

« . . . عندئذ أمطر الله من السموات على سدوم وعمورة الكبريت والنيران ...

ولكن امرأة نوح نظرت خلفها ، فانقلبت في الحال تمثالاً من الحجر ... »

فقرأها ، ثم أغلق الكتاب المقدس

لقد كان هذا مع خياله الواسع ، نقطة ابتداء كافية جداً ... لقد وجد قصته . لم يبق إلا أن يسبكها في قالب جديد . ولفت نظره ، في جريدة بجانبه ، هذا العنوان الضخم :

« انتحار شاب في مطعم ليلي »

فقرأه وابتسم ... لقد تم له ما يريد ، وتألفت القصة . ليس هناك حاجة إلى النظر في أعمدة الجريدة . لقد كان بطله ماثلا أمامه ، يراه بوضوح : فتى ممشوق القد ، في العشرين من سنه ، أحرقته حمى حب ملتهب ، ولم تكن لديه الشجاعة الكافية للفرار فهلك . وما الفائدة من الاطلاع على التفاصيل التي توصل إليها مخبر الصحيفة ؟ لقد كانت عناصر الموضوع وتفاصيله التي تبعث فيه الحياة ، كانت تتجمع لديه شيئاً فشيئاً : المرأة الأفاقة ، والفتى الضحية ... وأخيراً الحكم الذي نجده في كل قصة (صورة المؤلف ذاته)

كان جان نوروا يحس لذة فائقة في هذا التلاعب . ولكن كان يخيل إليه أن الكلمات والحوادث تأتيه هذه المرة بأسرع وأحسن من كل يوم .

وانقبض صدره فجاءة . لماذا تسيل الكلمات بهذه السهولة على ريشته هذا المساء ؟

وتذكر أن هذه الكلمات ذاتها خرجت من بين شفتيه قبل الآن ... ومنذ وقت قريب ... على أثر مأساة كادت تزعزع كيانه وأخذ يفتش ، كالمحموم ، بين أوراقه البعثرة على المكتب ...

وكان يتمتم : « مستحيل ! ليس من الممكن أن يكون (هو) قد وصل »

و (هو) كان ولده الذي تبناه ، موريس لا ندرى ، ابن أعز أصدقائه عليه . شاب حدث ، قاد خطواته في الحياة . يتيم ، أخلص له ، هو ، جان نوروا ، الأعزب الأناني .

لقد كان يذكر كيف تقبله عنده ، وكيف أخذ يملأ قلبه وعقله من عقله وقلبه .

أجل ، لم تكن جائزة جونكور التي نالها موريس في السنة الماضية إلا له هو ، جان نوروا ، ولولاه ما نالها ...

ولكن ما كان أشد المأساة التي تبعت هذا النصر !

لقد علقت بموريس امرأة خطرة ، فتأثر بها بشكل مزعج ، بحيث أصبح من الضروري أن يتدخل جان نوروا ، بقسوة في الأمر .

أين كانت ستقوده هذه المخلوقة بعد تبديد دراهمه القليلة ؟ إلى الجنون ؟ إلى السرقة ؟ إلى الجريمة ؟ ربما

لقد قال له وهو يعظه : « انتقل من هذا البلد . غيّر هذه الحياة . سافر دون أن تلتفت وراءك ، وإلا فأنت هالك »

هه ! ... جملة التوراة بذاتها

وكانت تضطرب في يده إشارة تلغرافية من سَيْغون (الهند الصينية) :

« ضجرت جداً ... سأعود ... أصدق عواطفي ... موريس »

لقد غاظته هذه الإشارة حين تلقاها . النذل ! وأخيراً ، لا مناص من الحزم . لشدّ ما ساءه هذا

وها هي ذي إشارة أخرى بين يديه :

« سَفرة هائلة ... سأكون في فرنسا قريباً ... أعانقك »

وإذن ماذا ؟

وكان جان نوروا يلتهم خبر الجريدة بنظراته . ما كان أروع هذه التفاصيل :

« بعد أن تعشى في المكان المذكور مع امرأة ذات هيئة غريبة ، وبعد أن ذهبت صاحبته في الصباح الباكر ، طلب الفتى غرفة خاصة وأخذ يحتسي فيها وحيداً أكواب الشمبانيا . وبعد نصف ساعة كانوا يخرجون به منها وقد اخترقت صدغه رصاصة . والبحوث الأولى تحمل على الظن بأن الفتى عائد من المستعمرات . ومع ذلك لم يتمكن من معرفة هويته »

وكان صوت خفي يصيح بجان نوروا : « ليس هناك أي شك ،

هذا الشاب المجنون هو موريس ... موريس العزيز ! وليس عليّ إلا أن أعدو ، لا أدرى أين ، للتعرف على جثته ! »

وكان جان قد وقف

وطُرق الباب في تلك اللحظة ... فمرته رعشة وتمايل

أليس هذا هو الخبر المشؤوم يحملونه إليه ؟ وقفز ...

ومع ذلك كان يتردد ويده على الباب

ولكن القرع عاود ...

— أبى العزيز ، أبى العزيز ! هذا أنا ! هذا ما كان يصيح به صوت عزيز عليه ...

وفتح الباب سريعاً ...

وبدا موريس جميلاً كالشبح

— أنت ؟ أنت ؟ أهذا أنت ؟

— ولم الدهشة ؟ ألم أخبرك بقدومى ؟

— و ... قدمت ... من المحطة ؟

— ومن أين تراني إذن أقدم ؟

ومد له « جان » ذراعيه ، فاندفع فيهما

ثم قال موريس :

— ما أشد سرورى برؤيتك ! كم ضجرت ، باريز . باريز العزيزة ! لم أكد أخترقها ، حتى أحياني جوها !

وكان سكون ... كان « جان نوروا » يفترس ابنه بنظراته كما لو كان يحاول الوصول إلى أعماق فكره . ثم صاح به وقد اصطكت أسنانه :

— لماذا عدت ؟

فأجابه موريس مازحاً :

— لأني عاشق

— أمجرؤ ؟

— ولم لا ، يا أبى العزيز ؟ فكرت فيها فوجدتها ساحرة ولا أدرى في الحقيقة ما الذي يمنعنى من زواجها . . .

— هم ؟ !

وكان جان نوروا قد رفع قبضته . وصاح به :

— أنت مجنون

— أوه ، ما هذا الذي تقول ؟

— ما أقول ؟ ستعود إلى السفر حالاً دون أن ترى « كريستيان » امرأة السوء هذه

فانفجر موريس ضاحكا :

— ولكنني لا أتكلم عن كريستيان ! هه ، لقد نسيتها منذ زمن . . . أريد أن أتزوج فتاة — فتاة حقاً — لاقيتها هناك مع أسرتها ، وقد عادت إلى باريس

ولم يعد جان يصغى إلى ما يقول ، بل كان يضمه إليه

وقال موريس :

— ما أحسنك الآن ! لقد قطعت عليك عملك فيما أظن ، فأنت فيما أعرف لا تنقطع عن العمل ، أليس كذلك ؟ لقد قرأت هناك مؤلفك الأخير . بماذا تشتغل الآن ؟

فرمى جان نوروا قطعة من الورق على ما كان يكتب ، ولكنه لم يصب الهدف ، وصاح موريس :

— إمرأة نوح ! هه ، هذه القصة القديمة ! مسخت تمثالاً من الحجر جزاء التفاتة ! أعجب دائماً برموز الكتاب المقدس ! أما هذه النقطة فلن نتفاهم عليها قط .

فأجاب جان بحرارة :

— كلا ، لا تستطيع أن تفهم ، ولن تتخيل يا صغيرى كم يسرنى هذه المرة ألاّ تفهم ! . . .

« دمشق » ترجمة
ناجي الطنطاوي



في الأدب الإنجليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٣ – السبيل إلى فهم فلسفته

يعجز الكثيرون – ومن بينهم كبار النقاد ومشهورو الكتاب – عن فهم لورنس وفلسفته ، وما ذلك إلا لأن سلاحهم هو العقل وحده، وعمادهم هو المنطق والقوانين المنطقية. فأول ما يجب أن يراعيه دارس لورنس هو أن هذا الكاتب ليس مما يسهل فهمه بالعقل ، وإنما إلى جانب ذلك يجب أن يستعين القارئ بخياله وتجاربه وشعوره الجثماني . فلورنس قبل أن يصل إلى آرائه وقبل أن يستخلص فلسفته لم يلجأ إلى العقل أو التفكير بل كان عماده الغرائز الطبيعية ووحيه الرغبات الجسمية . والحقيقة أن لورنس رجل نحسه في دمنا ، وفلسفته تختلف عن فلسفة كل من سبقه من الكتاب والشعراء ، فهي ليست بناء شامخاً من العقل والتفكير ، وإنما هي تجربة أو سلسلة من التجارب أحسها صاحبها في دمه ثم نقلها إلينا في صورة كلمات . وواجبنا نحن عند دراستها أن نرد هذه الكلمات إلى أصلها فنحسها كتجربة تجري في دمنا ، كما كان الحال مع صاحبها في أول الأمر ، فنحن إذ نقرأ لورنس فإنما نصحبه في رحلة طويلة في عالم جديد علينا .

ولما كانت كتب لورنس هي عبارة عن قصة روح تجول في العالم الإنساني تبرز ما في المجتمع من عيوب ، وتحذر الناس من تيار المدنية الحديثة الذي قد يجرفهم إلى هاوية لا يعرف لها قرار ، فواجبنا عند دراسة لورنس أن ندرس تجاربه التي على ضوئها وصل هو إلى آرائه وأفكاره التي ضمنها كتبه . ويجب أن نذكر دواماً أن لورنس كان فناناً قبل أن يكون كاتباً ، حتى نفهم أن تجاربه وحدها ما كانت لتكفيه ، فعمد إلى توسيعها والتعمق فيها ، بل والتفاني في وصفها أحياناً . ومن ثم كانت شخصيات رواياته حقيقية وغير حقيقية . فهي حقيقية لأنها منقولة من الحياة وأصلها في الحياة ، وغير حقيقية لأنها تأتي من الأعمال ما قد يختلف عما تأتيه مثيلاتها في الحياة . وقد كانت هذه الظاهرة أو هذا التناقض سبباً في فشل كثير ممن حاولوا دراسة لورنس ، لأنهم لم يحسبوا لهذه النقطة حساباً

ويختلف لورنس عن غيره من كتاب عصره في توجيه اهتمامه إلى اللاشعور أكثر منه إلى الشعور . ومن ثم كان الاختلاف البيّن بين شخصيات رواياته وبين شخصيات الروايات الأخرى . فالأولى تعمل مدفوعة بقوانين أعمق من قوانين شخصيات الروايات الثانية ، فهي أكثر حساسية وطواعية لقانون اللاشعور من الأخرى ، وكان هذا الاختلاف مصدر صعوبة كبيرة في فهم ما يرمي إليه لورنس في بعض كتبه . ولم يغب عن الكاتب مبلغ ما سوف يلاقيه قراؤه من العناء في فهم هذه الكتب فعمد إلى بسط آرائه وشرحها بطريقة مباشرة لا رموز فيها ولا أحاجي في بعض كتبه التي من أهمها كتاباه عن تحليل اللاشعور وكتابه الذي يحتوي على مقالات متنوعة ؛ وأخيراً كتابه الذي طبع بعد وفاته واسمه «فينكس»

ومن أكبر الصعاب التي صادفت لورنس أنه قام يبشر بدين الجسم ويبث الدعاية له بين قوم عبدوا العقل ونصبوه إلهاً عليهم ، وكان لزاماً عليه أن يأتي بالمعجزات قبل أن يستطيع تحويل الناس عما يعتقدون إلى ما يعتقده هو . رأى لورنس هذه الصعوبة ، ولكنه كان لا يعرف لليأس معنى، ولا كان الفشل يعرف له طريقاً رغم أنه كان يصدم المرة بعد المرة ، وما ذلك إلا لأنه كان واثقاً من صدق رسالته ، ومن الفوز في النهاية . لقد شعر في داخلية نفسه بالصراع المنيف بين الجسم والعقل ، كل يريد أن يبسط سلطانه ويسيطر على الآخر . وهذا هو السبب في أن القارئ المدقق يجد دائماً في كل شخصية من شخصيات روايات لورنس تيارين من الحياة : تيار الحياة العادية وتيار الحياة الرمزية ، بمعنى أن لورنس كان يرى في كل شخصية قوتين : قوة العقل التي تحاول أن تجعل كل شيء يبدو صحيحاً ، حتى ولو عاد على صاحبها بالضر ، والقوة الثانية هي قوة الجسم الغريزية ، وهذه لا تخدع ولا تُخدع ، فما يعود على صاحبها بالضرر تجنبته ، وبالعكس تقبل على ما فيه مصلحة صاحبها لا يؤثر فيها مؤثر ولا يثنيها عن طريقها مغر من المغريات الصناعية . ولقد لاحظ لورنس على حياتنا الحديثة أننا بدأنا نضرب بقوة الجسم ورغباته عرض الحائط ، وبذلك نمهد السبيل لسيادة العقل وسيطرته علينا . ومن ثم كان الصراع المنيف الذي يجري في داخل شخصيات لورنس التي ترمي إلى

كسر قيود العقل والتحرر من ربقة استعباده ، حتى توفق إلى الاستماع إلى رغبات الجسم ثم العمل على تحقيقها ، وبهذه الطريقة تستكمل الحياة الصحيحة الحقة . ويرى لورنس أن رغبات الجسم لا تكذب قط ، فالجسم هو الذى يشعر بالجوع والعطش ، وهو الذى يشعر بالفرح والحزن ، وهو الذى يشعر بالحب والكره ، وهو الذى يشعر بالعطف والنفور ، وهو الذى يشعر بالحنو والصد وما إلى ذلك من العواطف التى مرجعها الجسم وحده ، وأما العقل فلا تتعدى وظيفته تسجيل هذه العواطف والاعتراف بها

وإن حياة الجسم لتظل طبيعية حتى يتدخل فيها العقل ، فيحدث الانقسام ويبدأ التفريق بين الخير والشر ، وهذا أساس شقاء البشر ، وهذا الانقسام هو نتيجة لرغبة العقل فى تقييد الجسم والحد من حريته ، فهو لا يريد أن يتركه يشعر كما يشاء أو يطلب ما يريد ، ثم لا يقتصر الأمر على ذلك ، بل يحاول العقل أن يملى على الجسم طائفة من العواطف ينعتها له بأنها الخير ، ويحرم عليه طائفة أخرى على اعتبار أنها الشر ، وبمعنى آخر يحاول العقل أن يبسط علينا سيطرته ثم يتحكم فينا بعد ذلك فيفرض علينا ما يجب أن نشعر به وما لا يجب أن نشعر به ؛ ثم بعد ذلك يفرض علينا كيف نشعر بهذه العواطف التى اختارها لنا ، ويستمر العقل على مسلكه هذا كلما أنس من الجسم خضوعاً وخنوعاً ، حتى يأتى الوقت الذى تموت فيه كل مشاعر الجسم وعواطفه ، ولا يبقى سوى هذه العواطف المصطنعة المتكلفة التى صاغها لنا العقل وخدع بها الجسم . وقد مثل لورنس شخصية الرجل الحديث فى روايته المصادرة « عشيق لادى تشاترلى » تحت اسم كليفورد الذى يدعو إلى العواطف المنظمة التى رسمها لنا العقل ، ويدعو كذلك إلى استئصال العواطف الجائشة الطبيعية التى لم يتناولها العقل بالتهذيب والتشذيب

ويرى لورنس من كتاباته سـواء فى ذلك رواياته الطويلة أو قصصه القصيرة ، أو مسرحياته الأربع ، أو كتب أسفاره ، أو مجموعة أشعاره ، إلى فك قيود الجسم وتخليصه من الأغلال التى أصبح يرسف فيها منذ أمد طويل . ويرى لورنس أن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذه الغاية لا تكون إلا بترك الجسم يستمع إلى أحلامه ، وينفذ رغباته دون أن يكون عليه من العقل رقيب أو محاسب ، وبمعنى آخر يريد لورنس أن يوقظ الجسم من سباته العميق ، أو يبعثه من رمسه بعد أن دفنته المدنية الحديثة وواراه التراب . ففى القصة القصيرة المساة : « شمس » ، نرى المرأة وقد استلقت عارية ، لتهب نفسها للشمس ، لأنها شعرت برغبة جسمها فى ذلك ، وبذلك تتغلغل الشمس فى جسمها وتشعر المرأة بالحياة قد دبت فيه ، وتسير ، وقد امتلأت حيوية وجمالاً . لم تسأل المرأة نفسها: لِمَ يطلب جسمها الشمس ، ولِمَ رغب فيها ، لأن هذه الأسئلة هى من صنع العقل وابتكاره . لم تفكر المرأة فى العقل ولا فى أسئلته أو منطقه ، وإنما حصرت كل تفكيرها فى جسمها ، فعمدت إلى إعطائه ما يطلب، حتى إذا فعلت شعرت كأن ينبوع الحياة قد تفجر من جسمها من جديد ، بعد أن جف ماؤه أو كاد ... ولقـد اختار لنا لورنس هذه المرأة مثالاً نحتذيه ونقلده ، بعد أن رأى الناس قد أعطوا العقل أهمية لا يستحقها ، ورفعوه إلى مكانة ما كان له أن يرتفع إليها . لقد أولوا أسئلته أذناً صاغية ، وكان من أثر ذلك أن تحكم فيهم العقل وتسيطر عليهم ، وكل ذلك على حساب الجسم ، وكانت النتيجة الحتمية أن بات الناس يعيشون ، وما هم بأحياء . خلق لهم العقل حالة وأجبرهم على الاستقرار فيها دون تغيير أو تبديل ، وهذا أبعد ما يكون عن الحياة الصحيحة . ونحن نشاهد أثر ذلك فى فشل كثير من الزيجات فى عصرنا هذا ، لأن حبنا فى الحقيقة إنما هو وليد العقل لا دخل للجسم فيه ، وأما الزواج الحقيقى فأساسه الجسم وعماده الرغبات الجنسية ، ولذلك نجد أن زواج العقل الحديث مآله إلى فشل ثم إلى طلاق .

ونحن لا ننكر أن كثيراً من علماء علم النفس أمثال يونج Jung وفرويد Freud ولجوا باب اللاشعور قبل لورنس وحاولوا تحليله ، ولكنهم اتبعوا فى ذلك الطريقة العلمية التى تعتمد قبل كل شىء على العقل ، وحذا حذوهم بعض الكتاب المصريين أمثال أندريه جيد André Gide وألدس هكسلى Huxley فلم يتركوا باباً دون أن يلجوه ، فكتبوا فى اللاشعور ، ولكن كان رائدهم فى ذلك العقل والتفكير ، حتى تجاربهم العلمية أعطوها صبغة عقلية محضة ، ولذلك فشلوا حيث نجح لورنس لأنه لم يعتمد على غير تجاربه الخاصة التى ترجمها إلى لغة جسمانية صريحة أثارت المجتمع وأقامته ضده

حتى فى خلق شخصيات رواياته ، لم يستلهم سوى غرائزه وحواسه . وكان هذا سبباً فى عجز كثير من الكتاب العقليين

عن فهم لورنس وإدراك فلسفته ، ولكنهم لم يترددوا فى الاعتراف له بقصب السبق وتفوقه عليهم فى مضمار العبقرية والنبوغ . فنرى مرى Murry صديق لورنس الحميم أثناء حيـاته وعدوه اللدود بعد مماته يقول فى كتابه المسمى «ذكريات عن لورنس» : « إن للورنس من التجارب مالا طاقة لنا على فهمه أو إدراكه . ولم يكن أصدقاؤه ليستطيعوا أن يجاروه أو يسيروا معه جنباً إلى جنب نظراً لأن ما يراه هو سهلاً بسيطاً يدق على أفهام الكثيرين ويصعب فهمه » . ثم يقول هكسلى فى أحد كتبه عن لورنس : « إن صحبة الإنسان للورنس عبارة عن اشتراكه وإياه فى مغامرة استكشافية يرى فيها الإنسان كل ما هو جديد عليه . وذلك لأن لورنس يعيش فى عالم غير عالمنا ، ويرى ما لا نرى ، ويستخلص مما يرى ما نعجز نحن عن استخلاصه . والحياة فى نظر لورنس ما هى إلا دور نقاهة طويل يشعر فيه الإنسان وكأنه قد خلق من جديد فى كل يوم وفى كل لحظة ... ولونس يعرف كل شىء عن كل شىء ، فهو يعرف الشجرة وكنهها ، والزهرة وأصلها ، والقمر وما يحيط به من إبهام وغموض، وفى مقدوره أن يتقمص جسم أى حيوان ثم يحدثنا بإسهاب وتطويل كيف يشعر هذا الحيوان وكيف يحس وكيف يفكر »

وهناك نقطة أخرى يحار كثير من القراء فى فهمها ، لأنها غير مألوفة لديهم ، وهى أن شخصيات روايات لورنس سهلة الانتقال من النقيض إلى النقيض فى أقصر وقت ، فمن اليأس إلى الأمل ، ومن الحزن إلى السرور ، أو من الغضب إلى الرضا ، ومن الانفعال إلى الهدوء . وهذه الظاهرة وإن كنا لا نلحظها فى حياتنا العادية إلا أنها موجودة حقاً بين الشعراء والفنانين . ولما كان لورنس نفسه شاعراً فناناً فقد عمد إلى خلع بعض مواهبه على شخصيات رواياته بأن خلق فيهم هذه الحساسية المرهفة . ولورنس ليس من أولئك الذين يرون حداً فاصلاً بين الحقيقة والخيال ، بل يراها متداخلين تداخلاً تاماً ، وهذا ما عنى بتصويره فى رواياته نقلاً عن الحياة . ففى رواياته « سانت مور » و « قوس قزح » و «غرام النساء» لا يكاد القارىء يتبين الخط الذى يفصل بين الحلم والحقيقة ولا يسهل عليه أن يتعرف من أين تبدأ الحقيقة ومن أين يبدأ الحلم وأين ينتهى كل منهما . وهذا الرأى وإن يكن غير مألوف فى روايات كتاب العصر الحالى إلا أنه موجود حقاً فى الحياة ، ولورنس إذ يكتب يصور لنا الحياة كما يراها هو لا كما اتفق الناس على أن تكون .

وثمة صعوبة أخرى تعترض بعض قراء لورنس وتقعدهم عن فهمه أحياناً ، ألا وهى اللغة التى يستعملها فى نقل فلسفته غير المألوفة لنا . فلورنس وهو يترجم تجاربه فى صورة كلمات يحاول جهد طاقته أن يشرك القارىء فى نفس التجربة التى مر بها هو ويشعره بها كأنها تجربته الخاصة ، وطريقه إلى ذلك هو صوغها فى لغة تتفق والتجربة تماماً . فهو يبذل المستحيل كى ينتقى من الكلمات ما يناسب كل إحساس جسمانى ، كما يحاول فى الوقت نفسه أن يتخير التعبيرات التى توافق كل فعل منعكس يصحب هـذه الإحساسات الجسمانية . وقد وفق لورنس فى محاولاته هذه كل التوفيق مما وضعه فى مصاف كبار اللغويين وقادتهم . ولم تكن مهمة لورنس بالسهلة اليسيرة ، ولكنه ما كان ليبأس أو يستسلم ، ولم تقف مجهوداته الجبارة عند حد إيجاد الكلمات التى تعبر أصدق التعبير عن الإحساسات الجسمانية والعواطف العميقة التى تصحبها بل عمد أيضاً إلى خلق لغة خاصة للاشعور . وهذه وإن بدت غريبة غير مألوفة لدى القارىء عند أول وهلة إلا أنها لو درست ووفيت حقها من الدراسة لوجد أنه بغيرها لا يمكن التعبير عما أراد لورنس التعبير عنه . ونقطة أخرى يجب أن تلفت نظر دارس لورنس إليها وهى تمت إلى موضوع لغته بصلة، هى أن هناك بعض كلمات يجب أن تفهم كما فهمها لورنس نفسه لا كما أجمع الناس على فهمها ، ومن أمثال هذه الكلمات : « الظلام » و « الكهرباء » و « الرجل » و « المثل الأعلى » و « الغيرية » فهذه الكلمات وأمثالها استعملها لورنس وقصد منها غير ما اتفق الناس عليه

ويبوء بالفشل كل من يحاول أن يستخلص من كتابات لورنس وفلسفته طريقة ثابتة للحياة على اعتبار أنها المثل الأعلى ، وذلك لأن لورنس كان عدو الاستقرار اللدود ، وكان يعتقد أن كل محاولة لخلق طريقة يعيش الإنسان على منوالها طول حياته هى الخطأ كل الخطأ ، بل هى الموت بعينه وإنما فى صيغة أخرى . فلزام على الإنسان أن يتغير ويتلون حسب مقتضيات الأحوال لا أن يعيش على وتيرة واحدة . ويقول لورنس فى أحد كتبه : « لا يجب أن تبقى الوصايا الدينية ثابتة دون تغيير . بل يجب أن تذبل وتذوى وتموت كما تفعل الزهور تماماً ، فهى ليست أفضل

من ذكريات الحرب الماضية

أخي ...

للأستاذ ميخائيل نعيمه

أخي، إن ضجّ بعد الحر ب غربيٌّ بأعماله
وقدّس ذكرَ من ماتوا وعظّم بطشَ أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامٍ
لنبكي حظَّ موتانا

أخي، إن عاد بعد الحر ب جنديٌّ لأوطانه
وألقى جسمه المنهو ك في أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عد ت للأوطان خلانا
لأن الجوعَ لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباحِ موتانا

أخي، إن عاد يحرث أر ضه الفلاح أو يزرعْ
ويبني بعد طول الهج ر كوخاً هدّه المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعدا ء غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

أخي، قد تمّ ما لو لم نشأه نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاء ولو أردنا نحن ما عمّا
فلا تندبْ فأذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خن دقاً بالرفش والمعولْ
نواري فيه موتانا

أخي، من نحن؟ لا وطنٌ ولا أهلٌ ولا جارُ
إذا نمنا إذا قمنا ردانا الخزيُ والعارُ
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقاً آخرْ
نواري فيه أحيانا

منها في شيء؛ وإن مقاومة ناموس الحياة لهو الشر بعينه. فإذا أحب الإنسان الحياة حقاً وإذا كان يشعر بقدسيتها يجب أن يعترف دائماً أنها تتطلب منه اليوم غير ما تطلبت بالأمس، وأنها في الغد ستكون مختلفة عما كانت عليه اليوم، فعليه إذن أن يلبس لكل حال لبوسها وألا يقاوم رغباتها ومقتضياتها، وإلا فهو ميت حي، لأن سر الحياة هو الطاعة، طاعة الدوافع التي يشعر بها الجسم ثم العمل على تحقيقها» ويعتقد لورنس أنه ليس بين الحياة والموت وسط وما على الإنسان إلا أن يختار بينهما، وهو بكتاباته يرمي إلى إرشاد الناس كيف يعيشون عيشة هي الحياة نفسها

ورغم أن المعجبين بلورنس وأتباع مدرسته يتزايدون يوماً بعد يوم إلا أنه لا بد أن يمضي قرن من الزمان قبل أن يتبوأ لورنس مكانته التي تليق به بين كتّاب العصر الحديث كما حدث للشاعر الإنجليزي وليم بليك من قبل.

(يتبع) عبد الحميد حمدي
خريج جامعة اكستر بإنجلترا

وحدة العمر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

تعال فقد عرفتُ حدود نفسي وأدركتُ السعادة ملء كأسي
تعالَ إليّ واملأ رَحْب حسّي فإني اليومَ لست خيال أمسِ!

تعال فقد تحطّمتْ الكؤوسُ ومالت من تفاعلِها الرؤوسُ
وشاهتْ في ضلالتها النفوسُ تعال إليّ تتبعُك الشموسُ!

تعالَ إليّ يتبعُكَ الشروقُ وتلمعُ من خواطرك البروقُ
فقد سَكِرَ الظلامُ فما يفيقُ وطال على مُناجيكَ الطريقُ!

تعال، تعال أسمِعني غناءك تعال، تعال صوّرْ لي سماءك
تعال، تعال أشربْني ضياءك فإني اليوم ظمآنٌ إزاءك!

تعال لحيرتى أخذت تولّى ! تعال فرغبتى بدأت تصلّى
وتنزع عن تساميها التدلّى تعال فأنت أسرارُ التجلّى !

تعالَ ، تعال طهِّرْنى بنارك ! وأهِّلْنى لأمْزجَ فى سوارك
تعالَ إلىَّ طهِّرْنى وبارك فؤاداً ظلَّ يفنى فى جوارك !

تعالَ فأنقذِ الإيمانَ ممّا يحاول أن يحيلَ الطُّهْرَ إثما
ويمعن فى اجتذاب النفس رغما فما أقسى الحياة ، تفيض لؤما !

تعالَ فهذه كأسُ الليالى يحوم على حفافيها خيالى
وتلمسها يَدٌ تدرى مآلى فتقصيني ، وأىّ يدٍ أبالى !

تعال فهذه اليد كم أشارتْ وحامت فى الظلام وما توارت
وأزعجت النفوس وما استثارت يداً أقوى تحطمها ... فجارتْ

يد الأقـــدار تزعجنى دواماً وتشهر فى سكينتى السهاما
وتملأ رحب إحساسى زحاماً تعال فحوِّلْ الدنيا سلاماً !

سألزم كوّتى وأظلُّ أرنو إلى الأفق البعيد وأنت تدنو
ونور الفجر يغمرنى ويحنو علىَّ صباحُهُ ، وسَناكَ يدنو

ستختلف الحياةُ أمام عينى تمرُّ طيوفهـــا وتغيب عنى
وتفنى فى محيطٍ من تمَنٍّ وأحلام تلوحُ بكل لونِ

وما أنا غيرُ طيف من رؤاها تأخّر حينُه حتى يراها
ويعرفَ ضعفها ومدى قواها ونفرحُهُ ونبكيه مُناها

تعالَ فربما جاوزتُ دارى فتجذبنى الحياةُ إلى قرارى
فأمشى بين أضواء النهارِ إلى ليلى ، ويهزأ بى انتظارى

تعال وفىَّ أحـــلامٌ وروح تعال وفىَّ أطيافٌ تروحُ !
تعال وفىَّ أضـــواءٌ تلوح تعال وفىَّ أعطارٌ تفوحُ !

تعال فقد بلغتُ حدودَ نفسى وأطمع أن أحقّق طيف حدْسى
فهل لك أن تُذيبَ ثلوجَ يأسى وتمزج حاضرى بغدى وأمسى..

حسن كامل الصيرفى

النـــائح الشادى

للأستاذ فؤاد بليبل

كُفَّ النُواحَ فقد أثرْتَ توجُّعى
إنَّ الذى أشجاكَ مزّقَ أضلُعى

يا نائحاً فى الدوْح يندبُ حظه دع عنك لحنَ اليأس واهجره معى
قلبى كقلبِكَ موجَعٌ متألم أعجِبْ بقلبى الضاحك المتوجِّع
لك يا هزارُ بما أكتّمُ أسوة فاصدح على فنن الأراكة واسجع
كُفَّ البكاء ودع أناشيد الأسى لا أنتَ فى قفصٍ ولا فى بلقع
وارقُصْ على الغصن النَّضيرِ مرجِّماً
فى كلِّ مُؤْنقةٍ ورَوْضٍ مُمْرعِ
فلامَ تبكى فوقَ أشواكِ الرُّبى بين الطلول ودارسات الأربُع
وأمامَكَ المَرْجُ الخصيبُ ودونَكَ الـ
ـروضُ القشيبُ وصافياتُ الأنبع
وحيالكَ الآمال ملأى بالمُنى وتجاهكَ الأفقُ الرحيبُ المرتع
لكَ منزلٌ فى الدَّوْحِ لو أنزلتُه لأُديلَ من حُزنى وزال تفجُّعى
ناءٍ عن الظلم المضيمِ مكانةً مخضوضر الشرفاتِ حلو الموقع
بَسَمتْ لكَ الدنيا فمالكَ عابسا وتجهّمت لى فابتسمتُ لمصرعى
أشجاكَ أنك قد شُغفتَ بوردة غذّيتَها بفؤادكَ المتقطّع
وسقيتَها ماء الشئونِ فأينعتْ بين الوُرودِ وليتَها لم تينْع
وتفتحت أكمامها وترعرعت فى الروضة الغنّاء أىَّ ترعرُع
وكأنما اغترّتْ بفاتنِ حسْنِها فمضتْ تتيه به بغير تورُّع
والحسنُ كان ولا يزالُ وسيمه شركَ القلوب وقبلةَ المتطلع
وتلاعبتْ فيها الأكفُّ ودُنِّست
بأصابعٍ شـــتى وأيدٍ قطّعِ
واستنفرتْ لمّا رأتكَ وقد أتى زَمنُ الحصادِ وآذنتْ بتمنُّع
فاقلبْ لها ظهرَ المِجنِّ فليس فى أكمامها للحرِّ أدنى مطمع
واربأ بنفسِكَ أن تكونَ ذليلةً فالورد مل الروض فاختر واقطع
واملأ سماء الشـــعر ألحاناً ولا
تكُ فى وجومكَ كالغراب الأسفع



دراسات فى الفن

كنت أحسبك رجلاً !

بهذا ودعت استراوس عشيقة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كان لاستراوس عاشقتان ، وكان لكل واحدة منهما اتجاه فى الحب ، وكان هو يحبهما معاً ، وعلم الله أنه كان يود بكامل صدقه وإخلاصه ، لو أنهما كانتا عاشقة واحدة ، فقد كانت كل واحدة منهما تكمل أختها ، ولم يكن يعيب إحداها إلا أنها استقلت عن الأخرى بجسد وحدها ...

ولكنها حكمة الله التى شاءت أن تتبعثرا اثنتين !

تزوجته منهما واحدة ، وشالت عنه واحدة بعد ما ظلت تحوم حوله زمناً لم تهمل فيه حيلة من حيل الإغراء التى تستولى بها النساء على الرجال ، ولم تستر فيه حسنة من حسناتها ، وقد كانت كلها حسنات مما يخلب الألباب ، ولم تحجب فيه ريقاً تألقت به روحها ، بل كانت تحرق فيه روحها لتتألق أمامه متفانية ، لعلها تستهويه إذا احترقت ونورت ، ولم تدع فيه قوة من قوى الأنوثة التى حبتها الطبيعة بأقواها وأشدها وأحكمها ، إلا سلطتها عليه لتخذله بها ... فما استطاعت أن تصل منه إلى شىء أكثر من أنه أحبها كما كان يحبها ، وما كان هذا الذى تقصده ، وإنما كانت تريد أن تأخذه أخذ النساء اللواتى تعرفهن للرجال الذين تعرفهم . فلما عجزت وسائلها عن تمكينها من غرضها يئست وأعلنت إفلاسها

يكفيكَ أنكَ كنتَ أوَّلَ ناشق   دون الطيور لعَرفها المتضوِّع
يكفيكَ أنكَ قد رشفتَ رضابها   فاترك بقاياها لغيرك واقنع
دَعها لسافلةِ الطيور غنيمةً   وانشدْ سواها فى مكانٍ أرفع
فى موضعٍ أقوى الفسادُ عِراصه   وا روعتاهُ لطهر ذاك الموضع !
وإذا ظمئت ولم تجدْ لك منهلا   عذبَ المياه كصافياتِ الأدمع
فاطوِ الضلوعَ على الصدى أو مُتْ به   حرًّا أبيَّ النفسِ غيرَ مروَّع
للموتُ خيرٌ من ورودكَ موردا   ولغَ الكلابُ بمائه المتجمِّع
من كان لا يرضى المجرة مشرباً   هيهات يغشى كدرة المستنقع

* * *

ومغيظةٍ ألحتْ علىَّ بلومها   راحتْ تصبُّ عتابها فى مسمعى
قالت (وما كذبت) أراك سلوتنا   ودنت تعانقنى فقلت لها ارجعى
فاستغربتْ ممَّا رأته وها لها   ألاَّ أطاوعَها على ما تدَّعى
قالت أتذكر حينَ كنتَ متيَّما   تشكو لهيب فؤادِكَ المتصدِّع
وتروح تقسم أن تصون عهودنا   فعلام خنت إذن أجب أفلا تعى ؟
فأجبتها قدْ كان ذلك والهوى   عفٌّ وثوبُ الطهر غير مرقع
أغراك أنى شاعرٌ متعبِّدٌ   للحسنِ أرعاهُ بقلبٍ موجَع
أهوى ، نعم أهوى الجمال مبرقعاً   بالطهر لا أهواهُ غيرَ مبرقع
أهوى الجمال عفيفهُ وبعيدَه   عن كل شائنةٍ وفحش مُقذِع
ولقد أعافُ الشىء مع أنى به   كلف شديد الوجد صعب المنزع
وأعودُ عنه وملء نفسى شهوة   وكما علمتِ تعففى وترفعى
كم منهلٍ يمِّمْتُهُ متجرِّعاً   سقطَ الذبابُ به فلم أتجرع
قد كان حسنكِ قبل ذلك ملهمى   واليوم بات وقد تدنَّس مُفزعى
عودى إلى ما كنتِهِ من عفةٍ   أو فاتركينى لا تقضى مضجعى
ودعى التصنُّعَ بالغرام فما أنا   ممن يبالى بالهوى المتصنِّع
إن تبتغى وصلاً فلستُ بمبتَغ   أو ترمى صلحاً فلست بمزمع
أو كنتِ مولعةً وأنت كما أرى   تبغينَ تضليلى فلستُ بمولع

« دار الأهرام »   فؤاد بليل

وهجرته ، وقالت له وهي تودعه متمشقة في حنقها : « كنت أحسبك رجلاً » ... قالتها وهي تظن أنها سمته بها ، وتركته ومضت ... لو عرفت أن أشد النساء عداوة لها أوشكت أن تحب استراوس وأن تهيم به ، لحذرتها منه رحمة وبراً بالأنوثة أن يذلها هذا الذي كانت تحسبه رجلاً ... فتبينته غير رجل !

ولو علمت هذه الصغيرة أنها حين رأت استراوس في صورة غير صورة الرجل ، رأت منه جوهر نفسه ... إذن لـما تركته ولا هجرته ما دامت تحبه ، ولبدأت تعالج الحب على أساس جديد غير ذلك الأساس الذي يقوم عليه الحب بين المرأة والرجل . فقد كان استراوس غير رجل حقاً ، ولكنه في كونه التائه كان لا يزال يحب المرأة ، ويستسلم لها ، ويفزع كلما خيل إليه أنه قد يقضي الحياة من غير امرأة .

وكانت زوجه تعرف فيه هذا ، وإن لم تكن ترى شيئاً وراءه فكانت تظله بالذي يطيب لها من ظلال أنوثتها وحبها فاشتد سلطانها عليه ، وتحكمها فيه حتى كانت النظرة اللائمة منها تهطل على أشد ثوراته اندلاعاً فتطفئها وتخمد أنفاسها

فماذا كان استراوس ؟

كان إنساناً كبقية الناس ، ولكنه كان إلى جانب هذا قليل الصلة بالدنيا لأنه كان شديد الصلة بما في أعماقها ، وكان قليل الحيلة في اصطناع حركات الناس وسكناتهم لأنه كان شديد الخبرة بدخائل نفوسهم ، شديد المراقبة لخلجات هذي النفوس ونبضاتها ، شديد الموازنة بين ما يراه وبين ما ينزع إليه من الكمال ، شديد النقد لـما يبدو له من النقص والعيب . والذي ينفذ هذا النفاذ إلى ما تستره مادة الدنيا لا يمكن أن يشبه الرجال الذين يعيشون على سطحها ، والذين يسمون على وجهها سمى الهوام والماشية . وإنما له كيان آخر ، دلائله وآياته فنونه . وقد كان استراوس فناناً ، وكان فنه يستدعيه إلى الأعماق ، وكانت عاشقته التي نفرت منه تغوص معه إلى الأعماق أحياناً فيتراوجان ولكنها كانت تنسى إذ ذاك أنه رجل وأنها أنثى ، فإذا ذكرت هذا طفرت إلى السطح وأرادته أن يسمو إليها طفراً هو أيضاً ، ولكنه كان يظل حيث هو ويناديها إليه فلم تكن تستطيع أن تعود إليه إلا إذا نسيت أنها الأنثى التي تريدها هي

فهل لم يكن ميسوراً أن تدرج إلى مغاوره وكهوفه في ثوب من الأنوثة يخلبه ؟ قد كانت تستطيع لو أنها تطلعت إلى أزياء الأنوثة في المغاور والكهوف كما كانت تتطلع إلى أزيائها في « ڤيينا »

في المغاور والكهوف لا يتملق الناس إلا بالحق ، ولا يفتنهم إلا الصدق ، ولا يمكن أن يتبادلوا العواطف إلا بوحي من الطبيعة لا بوحي من الحاجة ، وبنداء من الروح لا بنداء من المادة : ذلك أن العواطف لهفات الروح لا البدن . وهم أقرب الناس إلى الأطفال . بل إنهم الأطفال ينمون في طفولتهم ، ويكبرون في صغرهم . ولولا هـذا لخرجوا من هذه المغاور والكهوف إلى حيث يستطيعون أن يصارعوا الرجال في الحياة القائمة على وجه الأرض ، والتي يتراشق الناس فيها بقنابل من الأباطيل والأكاذيب والحيل والمخادعات

إنهم عاجزون ، والله مع العاجزين هذا العجز ، وهو يعوضهم عنه قوة أخرى هي هذه الحاسة النادرة التي لا يجاهد في سبيل اكتسابها إلا أقل الناس ، والتي تقتصد الطبيعة كل الاقتصاد في تهيئة عناصرها في النفوس ، والتي يدرك بها هؤلاء الأطفال الكبار العاجزون من حقائق الوجود ما يغيب عن إدراك الكبار الرجال الذين ليسوا أطفالاً

ولم تكن البارونة الصغيرة تلمح هذا ولا كانت تعرفه ، وإنما كانت تسحرها أغاني استراوس وألحانه ، وكانت تؤديها كأطيب ما تصبو إليه نفسه هو فتشعر حينئذ بأن روحه من روحها ، وأن روحها من روحه ، فإذا ادلهمت عليه بأنوثتها رأته كالمسحور أو المعمول له عمل ، فلما طال هـذا وتكرر أدركت أنه غير رجل ، ولكنها زعمت أن هذا الإدراك يجب أن يكون نهاية الصلة بينهما ، فقطعت صلتها به وما فكرت في هذه الحالة الشاذة ولا في طريق علاجها ، ولم تذكر أنها أنشدت له لحناً صاغه هو لتتبرج به هي في حفلة من حفلاتها ، ولم يكن هذا اللحن إلا آهات كل آهة منها حكم تصدره على رجل بعينه من النظرة الأولى التي تلقيها عليه ، فللمغرور المعجب بنفسه آهة فيها السخرية بغروره وتيهه ، وللحالم المتثائب عن الوجود آهة مرسلة شاردة كأنما تصاحبه إلى الملكوت الأعلى ، وللسمين القاعد على روحه آهة دسمة كأنما هي الرغيف المحشو برغيف آخر فيه خروف صغير ، وللمهندم المؤدب الأنيق المترجج آهة مرتعشة مخنوقة كأنها محرجة وجلة ... ولم تذكر أن هذه الآهات تعددت في اللحن وتكاثرت بألوانها ودلالاتها حتى لم يعد من المعقول أن يقال بعدها إن استراوس بعيد عن نفس المرأة وعقلها ، جاهل

طريقة تفكيرها ، غافل عن أحكامها و « حيثيات » هذه الأحكام

وقد كان هذا اللحن وحده يكفي لكي تعلم البارونة الصغيرة أن استراوس الذي يتسمع إلى الصمت في الطبيعة كما يسمع أصواتها وينظم من هذا وتلك ألحانه المعجزة ... بصير أيضاً بالنفوس عامة سواء منها نفوس النساء ونفوس الرجال ، والبصير بالشيء لا يعجز عن نيله ، مادامت فيه القوة التي تمكنه من نيله وقد كان استراوس في أزمته الترامية هذه شاباً فتياً له جسد الإنسان الرجل النزاع إلى جسد الأنثى ... فما الذي منعه عنها ؟ أمانة الزوجية ؟

قد يكون هذا ، ولكنه بعيد لأن حياة استراوس مع البارونة الصغيرة لم يحدث فيها ما يدل على أنه استشعر الأنوثة التي ترضيه فيها — وهي أنوثة المناور والكهوف — تحاول أن تنزوه فيصدها بهذه الأمانة . بل الذي حدث هو عكس هذا فقد قدم استراوس عاشقته هذه لشعب من أصحابه في ثورة من ثورات فيينا على أنها فنانة مغنية فقط ، ولم يكن في هذا كاذباً ولا مجاملاً ، بل كان صادقاً لأنه لم يشعر منها إلا بأنها كما قال . فلم تكن الأمانة الزوجية هي التي حالت دون استراوس وعشيقته ، وإنما هذه العاشقة نفسها هي التي التوت على حبها ، والتوت على نفسها ، والتوت على حبيبها ، وكان بيدها ألا تلتوي

وقد يسائلنا سائل عن هذا الذي نطلبه من السكينة الصغيرة ما هو ؟ أكنا نريدها أن تخرج على طبيعة المرأة أكثر مما خرجت فتدعو إليها استراوس بالذي دعت به امرأة فرعون إليها سيدنا يوسف الجميل ؟ !

ونحن نقول لا . ونقول إن الحب لا ينتج إلا من صراع في الغزل ، والصراع في الغزل إذا انتهى إلى حب فهو واحد من حبين في نفس كل من العاشقين : إما حب الحنو ، وإما حب الإعجاب ، ولم تكن لاستراوس قوة يعتز بها غير قوة الفن ، وكان فنه الموسيقى ، فلو أن البارونة الصغيرة ناوشته بألحان فإنه لم يكن هناك بد من أن تقهره : إذا فاقت ألحانها ألحانه خلبته واستحوذت عليه عاشقاً وتلميذاً لها ، وإذا فاقت ألحانه ألحانها حنا عليها ، واحتضنها وراح يسقيها ما هي ظمأى إليه ، وربّاها كما تربي الدجاجة أفراخها ، ولكن البارونة الصغيرة لم تصنع شيئاً من هذا ، واكتفت بأن تغني له فكان يرى فيها نفسه هو ، ولم يكن ير نفسها ...

قد كان عليها أن تريه نفسها صريحة واضحة في الفن مهما خشيت أن تتضاءل إلى جانب صفائه وقوته

ربما كانت تنتظر أن يقول لها : « لحني ! » بل ربما تكون قد استأذنته في التلحين بأسلوبها الموج الملتوي فهل عرفت البارونة لماذا لم يأذن لها ، ولماذا لم يطلب منها أن تصوغ الألحان ... ذلك أنه حين أراد أن يلحن ... لحن ، وحين كان يريد أن يغني لم تكن قوة تستطيع أن تحبس صوته ... فلعله لم يصدقها ، أو لعله خشي أن يدعوها إلى شيء قد تكون عنه عاجزة ... أو لعله كان يرحمها فيحررها من طلب إذا أجابته فإنما تجيبه إرضاء له هو لا إرضاء لنفسها ...

وأغلب الظن أنها كانت عاجزة لأنها كانت بارونة . وأغلب الظن أنها كانت تستطيع أن تطاوله ، وأنها انطلقت في الحياة كما كان هو منطلقاً فيهما ، فإنها ركبا يوماً عربة معاً ، وسرحت بهما العربة في أحراش وغابات ، وأثارت خطى الجواد الذي كان يجر العربة — وكانت خطى منتظمة على ضرب متسق — بواعث الشدو في نفوس الطير وفي نفسيهما وفي نفس الحوذي الذي كان معهما ، فأنشد الطير ، وأنشدا هما ، وأنشد الحوذي ، وكان من نشيدهم جميعاً لحن القالس الكبير الذي لا يمكن أن يقال إلا أن الطبيعة والجواد والطير والعاشقين والحوذي ، اشتركوا جميعاً في توصيله من الغيب إلى هذا الكون .

وعلى هذا فقد كانت البارونة من معدن استراوس . كانت هي الأنثى غير الأنثى لهذا الرجل غير الرجل . ولكننا لا ندري كيف أنكرت منه شروده عن رجولة السطح ، ولم تذكر أنها حين أفاقت من القالس الكبير وهي في العربة ألفت نفسها مطوية بين ذراعيها المتشنجتين اللتين كادتا تهصرانها هصراً ؟

كان عليها أن تدرك إذن أن له لوناً من الأنوثة خاصاً يخلبه ، وهو هذا اللون الشائع في أعماق الطبيعة والذي فاض في نفسها هي عند ما كانت تشدو مع الطير ومع الطبيعة ومعه

كان عليها أن تدرك هذا ، ولكنها لم تدركه فأي شيء دهاها ؟

دهاها هذا « الإتيكيت » الذي نشأت عليه في القصور ، ودهتها هذه التقاليد التي علمتها أن تطلب الطعام إذا جاعت بالحديث عن لوحة زيتية تفنن مصورها في رسم تفاحها وكمثراها ... فإذا سمع استراوس كلامها هذا نظر هو أيضاً إلى الصورة ، وتفحص فيها التفاح والكمثرى ولم يفهم بعد ذلك شيئاً ... فمينا ها ...

عيناها تنظر فى صدق عجيب إلى جمال التفاح والكمثرى كأنما هى معجبة به حقاً . . . فكيف لا يصدق استراوس إعجابها بالرسم وكيف يعرف أنها جائعة

لا بد أن يشعر وأن يحس ؟ أليس هو الحساس الموهوب أكثر مما وهب البشر ؟ أليس هو الناقد المتفرس النافذ إلى ما وراء المادة والحجب ؟ نعم إنه كذلك حقاً ... ولكنه يلقى هذا السلاح بين يدى محبوبته ، فهو يصدق كل ما تقول . . . ويجول معها أينما شاءت ، ويسلم لها قياده فهى المسئولة عن عقله وهو بين يديها ، وهى التى تقوده إلى هذه الوديان القاحلة ...

ولم تكن زوجته هكذا على قلة ما كانت تدرك من جمال فنه وروعته . فهى لم تنازله بالفن ، ولم تناوشه بالنغم ، وإنما هجمت عليه بإخلاصها وعطفها ورعايتها ، ولمست فيه طفولته وحيرته فى الحياة خارج ميدان الفن ، ولقد أرشدت هذه الزوجة البارة بارونة زوجها إلى هذا الطبع فى نفسه يوم أرادت البارونة أن تأخذه منها فقالت لها : « لا تأخذيه على أنه رجل فهو لا يعرف من أموره أمراً ، ولا يمكنه أن يدبر شأناً من شؤونه لأنه طفل ! »

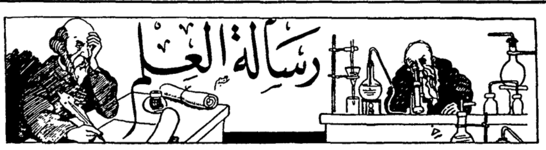
كان هذا تعبير زوجه استراوس ، وكان هذا التعبير هو الصدق وكان هذا الصدق نتيجة ما كان بينها وبينه من صراع فى الغزل والحب ، فقد عجزت عن الفن كل العجز أمامه ، وعجز هو عن إدراك ما كان فى نفسها من قوة الرعاية والحدب كل العجز أيضاً فاندمجا وتشابكا

فلو كانت هاتان العاشقتان واحدة !

أما زوجة استراوس فما كانت تستطيع أن تستكمل نقصها بمثل ما كان فى البارونة من فطرة الفن ، فالفن موهبة . وأما البارونة فقد كانت تستطيع أن تتعلم من زوج استراوس طريقة ترويضه وصيانته ، إذا احتاجت إلى شىء من هذا . . . ولم تكن لتحتاج لو أنها أهملت الفن . . .

ولكنها كانت بارونة . . .

عزيز احمد فهمى



أندروز مليكان والألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

الرياضى هلبرت بين نظرياته والطبيعي مليكان فى معمله — كيف حصل مليكان على جسيات صغيرة من الزيت ، وجعلها تصعد وتهبط وتقف وفق إرادته — وصف جهاز مليكان — كيف شاهد مليكان هذه الجسيات فى غرفة يبلغ ارتفاعها ١٦ مليمترا — كيف تحقق من حمل هذه الجسيات لعدد من الألكترونات .

منذ أربعين سنة فى سنة ١٨٩٩ قاد الفكر أحد الذين يتابعون الدرس ويواصلون العمل ، الرياضى هِلبرت Hilbert إلى فكرة جديدة وباب لم يطرقه أحد من قبل ، ذلك أنه كوّن نوعاً جديداً من التفكير الهندسى يخلق بنا أن نسميه هندسة هلبرت تختلف فى طريقتها عن الهندسة التى تبعناها منذ أقليدس Euclide وتختلف عن هندستى ريمان Reimann ولوباتشفسكى Lobatcheveski الحديثتين .

هذا العالم الألمانى هلبرت الذى ما زال فى اعتقادى حياً بين سكان الأرض فى جيتنجن Geottingen من أعمال ألمانيا لم تحصده قنابل المحاربين ، ولم يعبث بجسده عرض الفاتكين ، ويبلغ من العمر اليوم ٧٨ سنة وجد أسلوباً جديداً لتأسيس الهندسة الأقليدية التى تلقاها كل منا فى المدارس ، وغير الهندسة الأقليدية التى لم يتلقها إلا نفر قليل بعد التخرج فى الجامعات ، كما أثبت عدم تعارض الفروض فيهما ، ذلك أنه استعمل لبناء علمه الجديد ثلاثة عناصر Elements هى النقطة والخط والمستوى ، وخمسة معان Notions أو كلمات هى: التبعية appartenance ويُعبّر عنها اصطلاحياً بموجودة على Siteé sur والترتيب Ordonnance والتساوى Egalité والتوازى Parallelisme والاستمرار Continuité ، واستطاع باستعمال هذه المعانى الخمسة فقط أن يقيم هندسته الكاملة ، وخرجت من هذه « العناصر » الثلاثة ، «والمعانى » الخمسة هندسة منسجمة نستطيع تتبعها والاقتناع بوجودها ، وقد تتبعها فى مصر فى العام الماضى كل الأعضاء الذين حضروا محادثات الرواق الرياضى الطبيعى[1] ، والذين قضى بعضهم نحبه خلال الحرب القائمة ، وهم من أصدقائنا الحميمين ، ونأسف لهذه الحوادث التى ترجع بالإنسان إلى الهمجية ، عندما حاول صديقى الدكتور جاتينيو Gattegnio أن يتابع عرض هندسة هلبرت بين إخوانه من المصريين والأجانب الطبيعيين والرياضيين المقيمين فى مصر ، وهى رياضة صعبة نوعاً ما ويكفى لإدراك صعوبتها أن تعلم مثلاً أنك فى حاجة بادئ هذه الرياضة أن تثبت إمكان وضع نقطة على خط مستقيم ، وإنك لتستغرق بعض الوقت لإثبات ذلك الذى تظنه بديهياً .

ليست هندسة هلبرت الجديدة التى ما زالت تجد قليلاً من المطلعين هدفى فى هذه الكلمة ، وأعتقد أنها سوف لا تكون موضوع كلمة لى فى « الرسالة » فى الأعداد القادمة . فموضوعها صعب على القارئ ، وغايتها أصعب عليه ، إنما ذكرتها وأنا فى طريق شرح أعمال مليكان — رجل التجارب والعامل — لأضع أمام القارئ مثالاً للتباين بين النظريات يتبعها المنطق والخيال فى أقصى

(١) سنتكلم عن هذا الرواق ومن أعضائه كما سنتكلم عن جماعة تبسيط المعارف في البريد الأدبي في الرسالة

درجاتهما، وبين العلوم التجريبية يتبعها التحقيق والمشاهدة في أقصى حدودها ، فبقدر ما في رياضة هلبرت غير المعروف لكثير من المطلعين من خيال وصعوبة بقدر ما في تجربة « مليكان » من تحقيق تجريبي وسهولة، تحقيق يبعد كل البعد عن التحايل اللفظي.

ليس إذن في قصة مليكان ما يدعو لإثبات مسائل تلتبس علينا مع البديهيات التي يقبلها الذهن ، إنما هي في الواقع سلسلة لمشاهدات علمية وتجارب طبيعية ، ولو صح لنا أن نتساءل عن تعريف ما نسميه تجارب طبيعية صحيحة « لقلنا إنها تلك التي تؤيد النتائج ذاتها بلغ تكرار هذه التجارب ما بلغ ... »

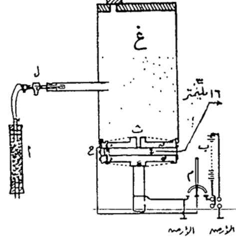
ونوجز تجربة مليكان التي قام بها سنة ١٩٠٩ في قياس شحنة الألكترون أصغر ما نعرفه أو نعيه من الموجودات ، وإثبات وجوده كجوهر فرد مستقل يلعب أكبر دور في الكون الذي نشعر بوجودنا فيه ، ومن العدل أن نذكر أنه قد تقدمت تجارب مليكان أبحاث علماء عديدين كان لهم الفضل الأول في تهيئة السبيل للقيام بهذه التجربة التي تعد من أعظم مفاخر العلم التجريبي في القرن الذي نعيش فيه ، وإذا لم نأت في هذا المقال على أسماء هؤلاء جميعاً، فإن تونسند Townsend من رجال معامل كافندش Cavandishe بكامبردج ، هو في الواقع أول من قام بتجارب فريدة لقياس شحنة الألكترون التي يرمز لها العلماء عادة بالحرف e

ونعود الآن لشرح عمل مليكان ، ولتسهيل الموضوع على القارئ نعمد إلى تقسيم عمله إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول هو الذي نذكره اليوم ونصف فيه الجهاز الذي استنبطه والتجربة التي قام بها هذا العالم لقياس شحنة الألكترون بل لملاحظة جسيمات منعزلة لا تحمل أحياناً إلا إلكتروناً واحداً، ولا نعرض في هذا القسم لنتائج هذه التجربة ولا نذكر كيف استنبط مليكان من تجربته شحنة الألكترون وحدة الكهرباء وأصغر الجسيمات التي نعرفها في الوجود، وفي القسم الثاني وهو برنامج الأسبوع القادم نذكر الطريقة التي حسب بها مليكان شحنة الألكترون ونبين كيف من عملية القاسم المشترك الأعظم البسيطة التي تعلمناها كلنا في التعليم الابتدائي بيّن مليكان من تجاربه وسيلة لإثبات وجود الألكترون وحساب شحنته وإثبات تعلق إلكترون حر واحد ببعض هذه الجسيمات أثناء تجاربه العديدة

***

والآن نبدأ بشرح الوقائع الأولى وتفسير دخائل الجهاز الذي ابتدعه مليكان واستعان به للوصول لغايته

استعمل مليكان لمقارنة شحنة الجسيمات الصغيرة المختلفة الحاملة للكهرباء والذي يسميها العلماء « يونات » Ions وشحنة الألكترون رشاشة أي « بخاخة[1] » Pulvérisateur ل تبخ غيوماً من الزيت في غرفة عليا نرمز لها بالحرف غ كما يرى القارئ في الشكل



كيف فصل العالم مليكان الكتروناً حراً واحداً ؛ لحصل على أصغر الموجودات ، وقاس شحنته الكهربائية

وينقى الهواء قبل إطلاقه ووصوله للرشاشة بمروره في أنبوبة تحتوي على قطن مندوف، وبنشر هذا الرذاذ الرفيع من الزيت الذي يبلغ قطر معظمه $\frac{2}{1000}$ من المليمتر في الغرفة المتقدمة ويبدأ تساقطه غيوماً

(١) الفعل بخ يبخ ويصح استعمال اسم الفاعل باخ أو مبخة أو منثار من نثر الشيء كمنثار من نثره كذلك يمكن استعمال رشاشة لكلمة Pulvérisateur أو كلمة Evaporisateur

كالضباب الذى نصادفه فى الشتاء صباحاً جوار النيل أو الأراضى الزراعية . ويحدث من جراء هذه العملية الأولى أنه يتصادف من وقت إلى آخر مرور واحدة من هـذه الجسيمات الزيتية الصغيرة من الثقب الصغير الموجود فى مركز قرص من النحاس قطره ٢٢ سنتيمترا موجود فى أسفل هذه الغرفة، وتكون إحدى كفتى مكثف كهربائى يتكون من كفتين بينهما الهواء، كفة عليا (م) هى هذا القرص والثانية كفة سفلى (ك) وهذه الكفة الثانية مثبتة بالكفة الأولى بواسطة ثلاثة أعمدة من الأبانوس (د) وهو مادة عازلة كهربائيا، وهذه الكفة محولة على بعد ١٦ مليمتراً من الأخرى وفى هذه الغرفة الثانية المحصورة بين هاتين الكفتين والتى لا يرتفع سقفها عن أرضها إلا بمقدار ١٦ مليمتراً ، شاهد مليكان هذه الجسيمات الصغيرة من الزيت التى يتصادف مرورها من الثقب ، والتى أثبت هذا العالم كما سيرى القارىء فى المقال القادم أن بعضها كان يحمل الـكترونا واحداً. وتتصل هاتان الكفتان بمفتاح (م) يتصل ببطاريات كهربائية (ب) تبلغ القوة الدافعة الكهربائية بين طرفيها عشرة آلاف فولت وذلك لإيجاد مجال كهربائى قوى ، ومتغير بين الكفتين

ويُتممُ هذا الجهاز أجهزة ضوئية أخرى تكوّن خارجه حزمة من الضوء شديدة تمرُّ من نوافذ أو بالأحرى من ثقوب موجودة الواحدة منها تجاه الأخرى ومحفورة فى حلقات من الأبانوس (ح) موضوعة فى اتجاه الشخص الراصد . وتضىء هذه الحزمة الضوئية الجسيمات أو رذاذ الزيت الذى يتصادف مروره من الثقب (ث)، هذا الرذاذ الذى يصبح بمروره من هذا الباب عرضة للمشاهدة والاختبار

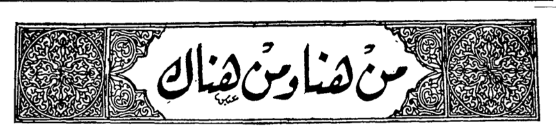
وقد أمكن لمليكان أن يرى هذه العوالم من ثقب ثالث صغير بواسطة الميكروسكوب الذى يلعب فى هـذه التجربة دور الألترامبكروسكوب ، وقد رتّب جهازه بحيث يقع الضوء على هذه الجسيمات من جهة ويراها هو من جهة أخرى عمودية عليها ، وهى الطريقة ذاتها التى نرى بها الكواكب السيارة فى الليل ، إذ يقع عليها ضوء الشمس من جهة تختلف عن التى نراها منها ، بل هى الطريقة التى نرى بها جسيمات من التراب الرفيع العالق بهواء غرفنا والذى تستنشقه رئاتنا طوال النهار ، عند ما تدخل أشعة الشمس من جهة غير الجهة التى نشاهد بها هذه الذرات الترابية التى تبدو لنا فى هذا الوضع مضيئة تحت أثر أشعة الشمس الساقطة عليها ، وهكذا كانت تظهر النقط الصغيرة التى يتصادف مرورها من الثقب (ث) كما يظهر نجم ساطع فى ظلام الليل الحالك

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الجسيمات التى تمر من الثقب مكهربة ، وقد حدثت الكهرباء فيها من احتكاكها بعضها ببعض عند خروجها من الرشاشة التى حولت السائل بفعل الهواء إلى رذاذ أو ربما عند ظنى أثناء احتكاكها بذرات الهواء المنتشر فى الغرفة ، وثمة طريقة أخرى لكهربة هذا الرذاذ عند اقتضاء الحال وذلك بتسليط أشعة راديومية عليه بتقريب عنصر الراديوم المعروف من الجهاز ، بحيث تتصادم الجسيمات الراديومية المتناثرة من الراديوم المشع بهذا الرذاذ الرفيع فتعلق به جسيمات كهربائية سالبة كالألكترونات أو جسيمات كهربائية موجبة كالبوزيتونات

وتتلخص التجربة فى نشر رذاذ الزيت فى الغرفة العليا ، ثم انتظار مرور أفراد من هذا الرذاذ فى الغرفة الثانية أى بين كفتى المكثف ، ثم فى كهربة القرصين باستعمال المفتاح م كهربة موجبة فى إحدى الكفتين سالبة فى الأخرى، وذلك باستعمال البطاريات السالفة الذكر ، بحيث أنه بإدارة المفتاح إلى الجهة اليسرى مثلاً تتصل الكفتان وينعدم المجال الكهربائى ، وبإدارته إلى الجهة اليمنى يتولد مجال كهربائى يختلف وفق المقاومات الكهربائية التى فى طريقه تبع إرادة الراصد

وتتضح الكهرباء أو الشحنات الكهربائية الموجودة على هذا الرذاذ من أنه عندما نوصـل المفتاح الكهربائى ، ونجعل فارقاً فى الضغط الكهربائى بين الكفتين ، أى عندما نعمد على إيجاد مجال كهربائى قوى — فى الاتجاه المناسب — تنجذب هـذه الجسيمات بسرعة نحو القرص ن مظهرة بذلك شحنتها الكهربائية

على أنه إذا أعدمنا المجـال الكهربائى بتوصيل الكفتين ؛ فإن هذه الجسيمات من الرذاذ الزيتى تبدأ وقوعها رأسية تحت



دانزج موطن النزاع

[ملخصة عن « باري ميدى »]

لم يكن يخطر ببال أحد فى السنين الأخيرة أن مدينة دانزج التى كانت موضع نزاع الدول فى غابر الأزمان ، ستحتل المكان الأول فى سياسة أوربا المسلحة اليوم

وتمد دانزج من أقدم مدن العالم ، فقد ظهرت فى عالم الوجود منذ ألف سنة وكانت فى العصور الوسطى تدعى «ملكة البلطيق» نظراً لمركزها الممتاز على شاطئ هذا البحر

وقد حاربت فى سبيلها الأمم البروسية والدانماركية والبولونية، والبراندنبرجرز ، والتوتون منذ بدء القرن الثانى عشر إلى اليوم

فاحتلها الفرسان التوتون فى بداية القرن الرابع عشر ، ولكن سرعان ما انتهى أمد احتلالهم لها وصارت إلى أيدى البولونيين فى سنة ١٤٥٤، فتركوا لها الحرية فى الاحتفاظ بقوانينها القديمة، وجعلوا لها الحق فى سك العملة باسمها باعتبارها « مدينة حرة » تحت حماية بولندا . ولم تقع فى أيدى روسيا إلا سنة ١٧٩٣ ، وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ فتحها جيش فرنسى تحت قيادة « مارشال لفغر » . وظلت دانزج مدينة حرة فى أيدى الفرنسيين إلى سنة ١٨١٣

ولكن الجيوش البروسية احتلت دانزج للمرة الثانية بعد موقعة (واترلو) . لا لتكون تابعة لها إلى الأبد ، فقد انتزعتها معاهدة فرساى من الريخ وعادت دانزج (مدينة حرة) للمرة الثالثة — تحت إشراف عصبة الأمم — وأعطيت بولندا الحق فى استغلال مينائها ، ومنحت كذلك الحق فى تمثيلها من الناحية السياسية .

فدانزج لم تكن ملكا للألمان إلا منذ سنة ١٨١٥ إلى سنة ١٩١٨ أى قرناً من الزمان . وقد ظل العلم البولونى يرفرف عليها منذ سنة ١٤٥٤ إلى سنة ١٧٩٣ أى ثلثمائة سنة على التقريب . وقد أعطيت دانزج إلى بولونيا بحكوماتها الحرة ومساحتها التى تقدر بثمانمائة وخمسين ميلا مربعاً ، وسكانها الذين يقدر عددهم بمائة ألف نسمة ، ليكون لها منفذ إلى البحر . فكانت هذه

تأثير جاذبية الأرض حتى تقترب اقتراباً شديداً من الكفة ك ، ~~وهكذا كلما أعدنا المجال الكهربائى فإن هذه التوائم الصغيرة تغير~~ اتجاهها من جديد وترتفع إلى سقف الغرفة م . وبهذه الطريقة أمكن الحصول على حركة مستمرة صعوداً وهبوطاً لرذاذ الزيت بين الكفتين ، وفى الغرفة الضيقة الثانية باستعمال المفتاح م

وقد أمكن لميليكان أكثر من ذلك ، إذ تمكن من شل حركة هذه النقطة الحائرة من الزيت التى يريد أن يرصدها فى غرفة هذا الجهاز ، هذه النقطة من الرذاذ الواقعة بين قوة مجالين : المجال الأرضى الذى يجذبها إلى أسفل كما يجذبنا معشر البشر والمجال الكهربائى الذى يجذبنا إلى أعلا ، بأن ساوى بين قوة المجالين المتعارضين ، وذلك بجعل قوة المجال الكهربائى معادلة لقوة المجال الأرضى . ~~عند ذلك تقف النقطة الحائرة والجسم التعب بين~~ الكفتين . وعند ذلك عين مليكان القوة الكهربائية اللازمة لإيقافها والتى لها علاقة كما سيرى القارئ بما يحمله هذا الجسيم من الألكترونات .

وسيرى القارئ أن هذا كان كافياً لميكان لحساب شحنة الألكترون ولأن يتيقن أن فى كثير من تجاربه وجدت ذرات زيتية كانت تحمل الكتروناً واحداً

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

المدينة المنفذ الوحيد لتلك المملكة العظيمة حتى سنة ١٩٢٨ ، وقد ازدادت الحركة بمينائها على أيدى البولونيين فوصلت إلى ثمانية مليونات طن سنة ١٩٣٠ بعد أن كانت لا تزيد على مليونين قبل الحرب . فقد أنفقت بولندا مائة مليون من الجنيهات لاحياء هذه الميناء . وأنشأت قاعدة هامة للملاحة والتجارة فى «جيدنيا» على مقربة منها. ومن المعلوم أن ثلثى تجارة بولندا التى يقدر عدد سكانها بـ ٣٥٠٠٠٠٠٠ نفس تمر من تين الميناءين ، وأسطول بولندا ليس له قاعدة غيرها وتقع دانزج على مصب نهر الفستيولا ولهذا النهر صفة ممتازة فى بولندا ، فاذا ضمت دانزج إلى الريخ أصبحت المواصلات الحيوية لبولندا تحت رحمة ألمانيا

فالفوهرر كما يظهر لا يريد أن يضم بلداً ألمانياً إلى الريخ ، ولكنه يريد أن يعزل بولندا عن البلطيق ، ويطوقها من البحر والبر حتى تضطر سياسياً واقتصادياً إلى الانضمام إلى الريخ، وهذه كارثة تدفعها الآن بولندا بكل مالديها من قوة. وتريق دماء الملايين من أبنائها لكى تتحامى وقوعها

الفاشية فى الهند

[عن مقال بقلم خواجة عباس أحمد]

نظرة بسيطة إلى خريطة العالم تدل على مقدار اهتمام القوات النازية والفاشية واليابانية بالهند. فالهند هى أقوى دعائم الامبراطورية البريطانية فى الشرق ، وهى بكثرة سكانها ، وأهميتها التجارية والسياسية ومركزها الحربى وحدودها المتاخمة لأفغانستان وإيران والصين وروسيا السوفيتية ... تعد عاملاً قوياً فى السياسة الفاشية فالهند الحرة حليفة للديمقراطية ، يحسب حسابها إذا سارت مؤيدة لصفوفها ، وهى عدو يخشى بأسه ، إذا سارت تحت النفوذ الفاشى سواء من الوجهة السياسية أو الفكرية .

ولقد دأبت الدعاية الفاشية على بث بذور العداء نحو بريطانيا واستغلت لذلك الحركة الوطنية وأملها أن تجتذب إليها القلوب ، وتستهوى النفوس . ولهذه الحركة الجديدة قصة قديمة . فمن المعروف أن رجال السياسة الألمانية كانوا على اتصال دائم ببعض الهنود الثائرين فى منفاهم فى أوربا إبان الحرب العظمى . وكان حلم ألمانيا بإنشاء أمبراطورية ألمانية تمتد من برلين إلى بغداد فدلهى ، يشعل فيها ضياء الأمل ؛ فلجأت إلى مد يد المساعدة إلى هؤلاء فى منفاهم ، وعادوا بدورهم ينشرون الدعوة إلى المطالبة بحرية الهند بمعاونة الألمان

ولكن وجهة نظر الزعماء الهنود اتجهت فى السنين الأخيرة اتجاهاً مخالفاً لدول المحور .

ولم يغب عن البال الحماس الذى كان يقابل به زعماء تلك الدول منذ ثمانى سنوات ، حين كان الشباب يقرنون أسماءهم بأسماء مازينى وجاريبلدى ودان برين وغيرهم من الزعماء . وكان الهنود الذين يعودون من دراستهم بألمانيا يتغنون بالاشتراكية الوطنية ، وكنا فى الهند نمدح اليابان ونعطف عليهم ، ونقابل بالزهو والإعجاب كل انتصار لهم على الروس : كأمة أسيوية تنتصر على أمة أوربية

فما كاد يظهر العهد الدكتاتورى على حقيقته ، وتنكشف نيات أصحابه بظهور أعمالهم ، حتى تغيرت الحال وأخذ الهنود ينفضون عنهم ويشمرون بالاستياء عند ذكرهم؛ فاضطهاد ألمانيا لليهود ذلك الاضطهاد الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم ، وقتل الاشتراكيين فى إيطاليا وغزو الحبشة العزلاء كان لها أسوأ الأثر فى نفوس الهنود الذين أعلنوا سخطهم على هذه الأعمال بواسطة المجلس الوطنى

فالدعاية النازية والدعاية الفاشية قد أخفقتا كل الإخفاق فى اجتذاب نفوس الهنود الذين أعلنوا رأيهم بلسان المجلس الوطنى

إلا أن بعض النفوس المولعة بالأسرار والأعاجيب ، من الهندوس والمسلمين ، قد تأثرت إلى حد ما بتلك الدعاية التى تنسب فلسفة هتلر إلى الهندوسزم فى معاملة المنبوذين ، وتنظر إلى اليابان من ناحية الديانة البوذية التى يدين بها سكانها ، وتحرك عوامل الضغينة فى نفوس المسلمين - الذين يميلون بطبيعتهم إلى العرب - بإثارة مشكلة فلسطين . ومهما تبلغ تلك الدعاية من القدرة على التضليل ، فلن تزيل من النفوس أثر تلك الأعمال التى تقضى على آمال المدنية فى العصر الحديث

تجفيف مياه بحر الروم

[ملخصة من « ذى أمريكان ويكلى »]

وضع مهندس ألمانى مشروعاً عجيباً لتخفيض مياه بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ستمائة قدم بإقامة سد عظيم على بوغاز جبل طارق المتقارب الشاطئين .

ويقال إن إيطاليا التى تطلب مزيداً من الأرض ، سوف يمنحها هذا المشروع ما تريد من الأرض الواسعة ، لا من الدول الأخرى التى تمانع فى ذلك كل الممانعة ، ولكن من البحر . ومن المعلوم أن إيطاليا تريد أراضى متاخمة لمستعمراتها ، وهذا أمر من السهل أن تحصل عليه إذا نفذ هذا المشروع .

ولكن ماذا عسى أن تقول فرنسا واليونان ومصر عن هذا المشروع ؟ إنها ولا شك ستستفيد أصقاعاً فسيحة من الأرض الخصبة ؛ وستكون لديها فرصة عظيمة لاستغلال القوى المائية فى مختلف الصناعات .

ولعل بريطانيا وغيرها من الدول التى تعول على الملاحة فى هذا البحر هى وحدها التى تخشى الخسارة من تنفيذ هذا المشروع . ولكن هذه الدول قد لا تتأثر بتنفيذه إذا أنشئت الممرات والخلجان التى تسهل لسفنها السير وتجعل حركة الملاحة متيسرة على الدوام

ومما يجعل هذا المشروع محتمل التنفيذ أن مياه البحر الأبيض المتوسط بطبيعتها تسير نحو النقصان . فإن الأنهار العظيمة التى تصب فيه ، وهى نهر إلبو الإيطالى ونهر الرون الفرنسى ونهر النيل المصرى وبعض الأنهار الصغيرة — تعد قليلة لا تعوض المياه التى يفقدها هذا البحر بالتبخر . ولا بد من وصول فيض من المياه إليه عن طريق البحر الأسود وبوغاز جبل طارق الذى يمده بمياه المحيط الإطلنطيق

فإذا وضع سد محكم على بوغاز جبل طارق ، ووضع سد آخر على باب البحر الأسود بوغاز الدردنيل ، فإن مستوى مياه البحر الأبيض يهبط بالتدريج ، إذ أن مقدار المياه التى يفقدها بالتبخر ستزيد على المقدار الذى يصب فيه

وإذا كان المشروع يرمى إلى تخفيض مياه هذا البحر ستمائة قدم فحسب ، فمن الميسور بعد أن يتم هذا التخفيض أن يسمح لمياه البحر الأسود ، ومياه المحيط الأطلنطى أن تصب فيه بمقادير معينة تمنع الخطر المنتظر من حبس هذه المياه

فالمشروع كما هو ظاهر لا يستعصى على التنفيذ ، وهو من المشروعات التى تدر الخير والنفع على كثير من الأمم الواقعة على هذا البحر .

أما الاعتراض الذى يوجه إليه فهو اختلال سطح الأرض بعد أخذ هذه المقادير العظيمة من المياه ، وتعرضها للزلازل والبراكين التى تقتلع صخور هذا البحر بعد زوال ذلك الثقل العظيم عنها ، وقد يعود بركان أذنة وبركان فيزوف إلى الانفجار من جديد

لذلك كان علماء طبقات الأرض وحدهم دون سائر العلماء هم الذين يعارضون فى تنفيذ هذا المشروع ، ويرفعون صوتهم بالتحذير من الإقدام عليه . ومما يقولونه بهذا الصدد أن الزلازل قد تكون من القوة بحيث تحطم السدود والحواجز المراد وضعها ، بحيث لا يمكن إصلاحها وتعيد فيضان المياه إلى البحر

الجوائز الأدبية فى فرنسا

[من مجلة الآداب والفنون]

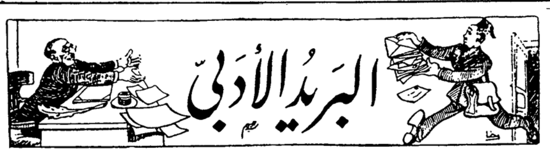
فى فرنسا كثير من الجوائز الأدبيـة التى ما زالت أكبر مشجع للأدباء على الإنتاج . فهناك جوائز المجمع العلمى الفرنسى وجوائز المجامع الأدبية ، وجائزة « النهضة » وجائزة النقد ، وجائزة « الجزائر » الأدبية ، وغيرها من الجوائز الفردية

وقد نال الجائزة الكبرى للآداب هذا العام الكاتب جاك بولانجير ، تقديراً لإنتاجه الجيد . ونال جائزة الرواية الكاتب « أنطون دسانت اكسوبيرى » من أجل كتابه المسمى « أرض الرجال » الذى يعد من الكتب الرائعة وإن كان لا يعد رواية حقا.

ونال جائزة « لويس بارتو » الكاتب شوفالبير شيخ معهد غرونوبل

أما جائزة « النهضة » فلم تمط — كما علمنا — لأحد بعد ، وقد قدم إلى جمعية هذه الجائزة التى تضم كبار الأدباء ، ومنهم ادوارد هريو ، كثير من الكتب والروايات . ويقولون إن الجائزة ستعطى للكاتب « ماريوس ريشارد » مؤلف رواية « جان التى ذهبت » لأن له كثيراً من الأنصار . وربما زاحمه « رايموند مييه » مؤلف « ملك الثورة » ، و « كريستيان ميغره » الذى سحر أناساً كثيرين بروايته المشهورة « ما يزالون رجالاً »

وفى الجزائر جائزة أدبية قيمتها ١٠ آلاف فرنك ، وستعطى فى نهاية هـذا العام لأعظم كتاب يستهوى الجمهور سواء أكان



على هامش خطاب رئيس الوزراء

صاحب هذه المجلة وكاتب هذا المقال لم ينفكا يناوئان عدوين لمصر ، أحدهما تسلط الموظف بغير حق ، والآخر « الخدر والنعاس » . وفي الخطاب الرصين الذي ألقاه رئيس الوزراء في التاسع عشر من هذا الشهر ما حرفه :

« وكم رأينا ببعض الموظفين من ضجيج كاذب وحركات لا خير من ورائها ولا بركة . وكم شاهدنا القادرين من أهل الفن والمعرفة يُقصون عن العمل فيما هم أهل له ، في حين يشغل بعض المراكز الكبيرة ويتقاضى المرتبات الضخمة من يكتفي من الوظائف بمظاهرها وجاهها دون أن يستطيع الاضطلاع بمسئولياتها حق الاضطلاع »

ثم « نعتمد على الشباب ... وليعلم الشباب أن الباب مفتوح أمامه ، وأن الحكومة تريد أن تنتفع بالكفايات والروح الفتية حيثما وجدت ، وليس كل شاب فتياً ، وعند بعض الكهول شباب متوقد »

هذا كلام يطرب له من يريد التقدم الحق لهذا البلد : بلد الموظف المتعجرف والناعس المطمئن . أمران ثبتا عندنا بفضل عهدين كريهين : كلاهما نشأ الناس للقناعة بخدمة الحكومة القائمة مع حصر الفخر في ذلك ، فانهدمت الروح الوثابة والهمة العالية . وعلى هذا جرت الأمور في خطٍ لا يعتد طرفاه لجمدت حيث هي

الموظف خادم الأمة ، منها يتلقى راتبه ولأجلها أنشئت وظيفته . وجاه الوظائف بالقياس إلى جلال الخدمة لا بالنسبة إلى مبلغ الراتب . وإذا شغل الوظيفة من لا يستحقها فذلك مسلَبَة لمال الأمة وعدوان على حقها . وعلى هذا فاستثمار الوظيفة لغير خدمة الأمة إثم ، و « المحسوبية » إثم ، والتهاون بالمصلحة العامة إثم . ففي وزارة المعارف مثلاً من يستعين بوظيفته على تقرير كتاب من كتبه ، وفي كلية الآداب من يدرس مادة زميله المصري أحقُّ بتدريسها ، ومعهد الموسيقى يكلفنا مالاً كثيراً ولا يصنع شيئاً

هذا وفي حِسبان بعض الشرقيين أن القدرة لا تواتيك إلا إذا تدلت لحيتك وتخدّد وجهك وارتعشت يدك وثقلت رجلك وأعانت العين صاحبتها على فتح باب وإغلاق نافذة

وأكبر الظن أن الشيوخ في هذا البلد يحذرون الشباب بعض الحذر أو كله . ذلك لأن الشبان المثقفين ولا سيما الذين تخرجوا في جامعات أوربة ربما أصابوا من العلم والخبرة ما فات الشيوخ . دليل ذلك مثلاً أن البعثات الأولى كانت تقنع بنيل

موضوعه في الأدب أو التاريخ أو الاقتصاد السياسي أو علم الآثار أو علم الاجتماع . وتمطى هذه الجائزة للجزائريين والفرنسيين فيها

أما جائزة النقد وقيمتها ٦ آلاف فرنك ، فقد نالها لهذا العام « جوهن شاربانتير » النقادة الكبير للروايات في « مير كور دو فرانس » وقد لاقت هذه الجائزة الرضى التام . وجوهن شاربانتير هذا ارلندي فرنسي الأب ، وهو في إنتاجه الأدبي يعنى بانكلترا وفرنسا معاً فلقد أصدر فيما يتعلق بانجلترا : « صديقتنا انجلترا » و « التصوير الإنكليزي » ، ثم أصدر « تطور الشعر الغنائي في فرنسا بين ١٨٣٠ — ١٩٣٠ » ثم « الشعر الرمزي » ، إلى جانب دراسات كثيرة نقدية كتبها عن « تيودور بانفيل » و « جان جاك روسو » و « الفرد دموسيه » و « بودلير » و « فولتير » .

فمتى تنظم عندنا جوائز كهذه لتشجيع الأدباء ... ؟ الحقيقة أن هذا الشرق لا يعرف إلا قتل الأدباء والاستخفاف بهم ... !

إجازة كذا . وأما البعثات الأخيرة فقد أدركت أن هذه الإجازات ليست كل شيء : ذلك أن في مصر من يحملها فليست هي بالعزيزة ولا بالنادرة ؛ ثم الإجازة شهادة ، والمقدرة فيما وراء الشهادة ، المقدرة في الاطلاع الواسع والتأليف الرفيع والإنجاز . هذا في باب العلم وعليه قس أبواباً أخرى

تلك حقائق فطنت إليها الوزارة الجديدة وأعلنها رئيس الوزراء ونحن نرقب ما يكون . نرقب وضع الشيء موضعه ، فتُسند الوظيفة إلى من همُّه خدمة الأمة وباعثه الإخلاص ومقصده التقدم ؛ ويشغل المنصب ، سواء رفع أو وضع ، صاحب الكفاية ، والكفاية دليلها العمل المُنجَز ؛ ويُبعد من الأجانب من في المصريين غنًى عنهم ؛ وتُغلق المعاهد والمصالح التي لا تثمر أو تصلح من الأساس بغير تلطف ولا ترحم

* * *

بقى أن رئيس الوزراء قال : « كذلك نود ألا يفوتنا الاتصال بالكتاب والمفكرين ، فإنه يسرنا أن نحصل على تحقيق رقابة الأمة في مختلف صورها »

وفي هذا دلالة على أن الحكم في مصر بعيد عن الاستبداد بالرأي وأن للفكر دولته وعزته . ومن العسف أن يهمل الحاكم نظر المستنيرين ، فهم هم الذين يؤدبون الأمة ويهذبون الأذهان من طريق الكتابة والتعليم العالي . وعسى أن تنفسح المجلات الراقية — وفي مقدمتها الرسالة — لإشارات أهل الدراية والخبرة من الكتاب ، فهذي الصحف اليومية مشغولة عن الجانب الفكري بسرد الأخبار المحلية الخاصة بالقطن والدفاع وغيرهما ثم برقيات السياسة الخارجية ومسير الحرب القائمة في أوربة الضائع حظها لانصرافها إلى المادة المطلقة وهيامها بالسلطان فالبطش

وإشارات أهل الدراية والخبرة من الكتاب يحق لها أن تتعدى جانب الثقافة إلى جوانب نشاط الأمة كلها . حتى الدفاع الوطني يلفت نظر المفكر الذي شهد وسمع من قبل . وأما الشؤون الاجتماعية فهي محور نظره ، ذلك أن الحياة الاجتماعية تحكم جميع ألوان نشاط الأمة . وفي العدد المقبل — إن شاء ربك — حديث يجرى على قلم الدعاية في وزارة الشؤون الاجتماعية .

(الاسكندرية) بشر فارس

وفاة الأستاذ سجموند فرويد

توفي الأستاذ سجموند فرويد في ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر في منزله بهامستيد عن ثلاثة وثمانين عاماً قضاها في خدمة الطب وعلم النفس وشؤون الاجتماع دارساً وباحثاً ومعلماً ومؤلفاً حتى ترك للعالم والعلم ثروة من نتاج الفكر العبقري الخالق كان لها الأثر العظيم في توجيه علم النفس إلى وجهة جديدة

ولد هذا العلامة الكبير بمدينة فريبرج الصغيرة في اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٨٥٦ ثم تلقى ثقافته العامة في فينا ورحل بعد ذلك إلى باريس فدرس نظريات الدكتور شركون في الأعصاب وخواصها وأوضاعها . ثم عاد إلى فينا فتولى التدريس في جامعتها وتقدمت به كفايته حتى عين فيها أستاذاً لأمراض الأعصاب وعلاجها سنة ١٩٠٢ ، وفي خلال ذلك توفر على البحث والتأليف فلفت إليه أنظار العلماء بأصالة فكره وثقوب ذهنه وطرافة رأيه ، ونال الدكتوراه الفخرية في سنة ١٩٠٩ من جامعة كلارك ووستر بأمريكا . ثم عين في السنة التي بعدها عضواً أجنبياً في الجمعية الملكية ببريطانيا . وظل في وطنه يخدم العلم والتعليم وهو موفور العيش مرفوع المكانة حتى ضمت النمسا إلى ألمانيا فاضطهدته العصبة النازية لأنه يهودي فهاجر بزوجته وأولاده إلى لندن فعاش بها إلى أن توفاه الله

كان فرويد بطلاً من أبطال العلم جاهد فيه وصابر حتى انتصر وفتح . فهو صاحب مذهب جديد في علم النفس قوض أسسه القديمة ، وقلب أوضاعه القائمة ، ولقي في سبيل تأييده ونشره ما يلقاه المجددون من عنت الجدل وسفه الخصومة . ورماه الناس بالدجل والشعوذة حين قرر أن الأمراض العصبية تشفى بالتحليل النفسي ؛ ولكنه يثبت لخصومه يقارعهم بالحجة ويأخذهم بالتجربة حتى انضم إليه طائفة من صفوة العلماء فاعتقدوا مذهبه وأعانوه على ضبطه وبسطه

وخلاصة مذهب فرويد فى علم النفس أن الغريزة الجنسية هى علة الاضطرابات العصبية ، وأن ما يختزنه العقل الباطن فى جميع مراحل العمر هو الذى يؤثر فينا ويهيمن علينا؛ والعقل الباطن إنما يمثل رغبات النفس الحقيقية؛ أما العقل الواعى فيمثل رغباتها العرفية التى أقرتها البيئة وارتضتها التقاليد؛ وذلك الصراع الذى ينشأ بين رغبات العقل الباطن ورغبات العقل الظاهر هو الذى ينتهى أحياناً إلى الاضطرابات العصبية. فإذا نجحنا فى إطلاق الغرائز المكبوتة نجحنا فى توفير الهناء المعنوى للنفس . لذلك أخذ فرويد يعالج الأمراض العصبية بالكشف عن مخزون العقل الباطن وهو ما يسميه بالتحليل النفسى . ويقول فرويد إن الأحلام هى تعبير عن رغبات العقل الباطن فلا تنبئ عن المستقبل ولا تدل عليه . وله فى تفسير الأحلام كتاب ضخم يؤيد به هذه النظرية من طريق التحليل العلمى والمنهج القويم

وقد انبسط سلطان المذهب الفرويدى على الأدب والفن والفلسفة والتشريع ، وأحدث موجة من التفكير فى أحوال الإنسان الداخلية سيكون لها الأثر البالغ فى توجيه حياته وتقدير عمله

خطبة منبرية من نوع جديد

ألقى الخطيب الكاتب الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف خطبة الجمعة الأولى من شعبان فى مسجد يحيى باشا الذى صلى به صاحب الجلالة الفاروق المعظم، فكانت الخطبة فى إنشائها وإلقائها ومغزاها نمطاً عالياً فى فن سحبان الذى ضعضعه الزمن حتى انقلب بيانه لغواً على الألسنة، كما انقلب سيفه خشباً فى الأيدى . وطرافة هذه الخطبة أنها تشعرك بجدة الدين ومسايرته لكل عصر ومطابقته لكل حالة؛ فقد عالج فيها الخطيب أعراض الحرب القائمة من الخوف والتخاذل والأثرة والادخار والاحتكار بطب من كلام الله وحديث الرسول كأنما نزل به الوحى أمس . ولقد كان أثر هـذه الخطبة بليغاً فى نفوس من سمعوها فى المسجد أو فى المذياع حتى كتب إلينا كثير منهم يطلب إلى وزارة الأوقاف أو وزارة الشؤون الاجتماعية أن تضع أمثال هذه الخطبة فيما يحزب الناس كل يوم من أمور العيش ومشاكل الحياة ثم توزعها على الخطباء فى المدن والأقاليم ، فإن فى ذلك توثيقاً لنظام الجماعة بقانون الله ، وتحقيقاً لغرض الشارع من سن هذه الخطبة

ماذا تركت روما وماذا خلفت أثينا ؟

أشار صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى البيان الذى أذاعه إلى ما جناه الخلاف على المدنية الأثينية ، وإلى ما جناه الترف على الحضارة الرومانية ، وناشد أبناء مصر أن يتعظوا بأخبار الدول السالفة ، فيجعلوا القصد والاتحاد وسيلتهم إلى المجد المنشود .

ولقد ذكرت بمناسبة إشارته إلى روما وأثينا أن رفعته لما كان وزيراً للمعارف قد أعلن مباراة فى ترجمة كتب مختارة من روائع الأدب الغربى منها كتابان : « تركة روما » و « تركة أثينا » .

ومع أن المباراة ألغيت فى عهد الوزارة التالية فإنى أعتقد أن كثيرين من الأدباء قد أفادهم اختيار تلك الكتب، وأن محاولات بذلت لترجمة هذين الكتابين بالذات من بين الكتب المختارة ... فهلا أعادت وزارة المعارف النظر فى قرار الإلغاء لهـذه المباراة ، أو هلا نشط من يمكنه وقته وظروفه إلى ترجمتهما بغير حاجة إلى جوائز الوزارة ؟ ! ...

عبد اللطيف النشار

المنضدة فى اللغة

فى مقتطف يونيه أخذ العلامة الأب الكرملى على صاحب كتاب « مباحث عربية » استعماله لفظة المِنْضَدَة بدلاً من النضد إذ قال إنها لم ترد فى كلام فصيح . وذكر كاتب جعل توقيعه نجماً — فى الرسالة رقم ٣١٧ (البريد الأدبى) أن المنضدة وردت فى « أساس البلاغة » هكذا : « المنضدة شىء كالسرير له أربع قوائم يضمون عليه نضدهم » . وقد راجعت مادة ن ض د فى « أساس البلاغة » ولم أعثر على هذا النص. فهل هو فى مادة أخرى؟ عسى أن يرشدنا الكاتب الفاضل إلى مظنة النص فيفيد

قارئ

رد على (اقتباس الكتاب)

حضرة الفاضل الأستاذ محرر « الرسالة » .

تحية وسلاماً ... وبعد ، قرأت فى عدد « الرسالة » الأخير الكلمة التى تهجم فيها الدكتور بشر فارس من جديد علىّ . والرد على تهجمه أن كتاب « فرعون الصغير » للأستاذ محمود بك تيمور وصلنى صبيحة ١٥ يونية سنة ١٩٣٩ ، والكتاب يحمل إهداء تيمور بك ، والتاريخ ١٤ يونية مرقوم تحت التوقيع . وكتبت

كلمتى فى الأسبوع الثالث من شهر يونية ، وقرأتها على الأستاذ صديق شيبوب فى حينها، وبعثت بها إلى « الرسالة » بتاريخ ٢٧ يونية — أعنى قبل صدور مقتطف يولية بأيام —

على أن كلمتى وإن تأخر نشرها للعدد الصادر فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، فذلك على ما يبدو لى راجع إلى تقديم بعض كلمات أرسلتها للرسالة ، وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها فى وقتها ، من ذلك كلمتى عن المرحوم فليكس فارس ، وردودى على الدكتور بشر فارس ، وردى على الدكتور غالى والأستاذ النقبادى .

وأظن أن فى هذا البيان ما يقطع كل مظنة للاقتباس

« الاسكندرية » اسماعيل أحمد أدهم

مهرجان للأدب فى السودان

عزم شباب السودان على أن يجعلوا من عيد الفطر المبارك عيداً قومياً آخر . فقرروا أن يقام فى أيامه الثلاثة مهرجان للأدب فى واد مدنى عاصمة الجزيرة

وفى هذا المهرجان ستعرض جهود السودان المتعلم ، وما ناله من حظ فى العلم والأدب . وسيكون العرض شاملاً لمختلف نواحى العلوم والفنون والآداب من أبحاث فلكية وطبية واجتماعية وتاريخية .

وهذه فرصة طيبة لتقوية الصلات الثقافية بين مصر والسودان يجدر بأبناء الشقيق انتهازها حتى يكون لنا من العيد أعياد . فهلا يبادر الكتاب والأدباء لزيارة السودان فى رحلة شتوية ممتعة ليروا أثار النهضة الأدبية ؟ وعلى أرباب الصحف ومحرريها التى لا تخلو منها دار سودانية واجب كبير فى هذا الصدد . وسيجد مندوبوها مادة غزيرة للكتابة عن ناحية مجهولة فى السودان الذى لا يعرفه وا أسفاه إلا قلة من أبناء مصر . وما أسعد قلوب السودانين جميعاً إذا ساهمت مصر بكتابها ومفكريها فى ذلك المهرجان ، فيروا بينهم توفيق الحكيم والعقاد والزيات وزكى مبارك والمازنى وفكرى أباظه وفتحى رضوان وابراهيم المصرى

وللسودان على هؤلاء جميعاً دين يجب أن يؤدوه ، فهو يدرس أدبهم ، ويقرأ كتبهم ، ويعيش معهم دائماً بروحه وعطفه ، وهو لا يرجو إلا أن يزوروه بهذه المناسبة ليصفوه ويعرفوه وينصفوه وينعموا بجوه الشتوى الجميل .

هذا ، ومن لم يستطع الحضور ، فلا أقل من أن يرسل تحيته إلى السودان على عنوان سكرتير المهرجان أحمد محمد خير السودانى واد مدنى .

سكرتير المهرجان

حول رواية محمد على الكبير

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

قرأت لمحرر الرسالة الفنى كلمة عن رواية « محمد على الكبير » هنأنا فيها على قبض ثمنها من الفرقة القومية وعزا عدم إخراجها إلى أسباب غير صحيحة

والواقع أن الرواية مأخوذة عن قصة « ابنة المملوك » للأستاذ محمد فريد أبو حديد ، وقد فازت بجائزة ممتازة فى مباراة التأليف المسرحى عام ١٩٢٩ بين ما يربى على مائة رواية لمؤلفى المسرح المصرى .

وقد نشرت « الرسالة » منظراً تمثيلياً منها فى العدد الخاص الذى صدر بمناسبة تولى صاحب الجلالة الملك سلطته الدستورية . وحاشا أن أصور محمد على باشا فى صورة السفاح كما توهم المحرر ، فإنى أعقل من أن أصور منشئ مصر الحديثة فى هذه الصورة . وستعرض الرواية فى الوقت المناسب ، وسيراها رواد المسرح والنقاد ويصدرون حكمهم على موضوعها وقيمتها

أما السبب الصحيح فى تأجيل تمثيلها فهو اشتمالها على مواقف حربية بين محمد على والإنجليز ، وقد ورد فيها انتصاره عليهم فى موقعة رشيد ، فرأوا من المناسب ألا تمثل فى الظروف الدولية الحاضرة

أما المكافأة عليها فلم تدفعها الفرقة وإنما فازت بحق تمثيلها من غير مقابل ، لأن شرط مباراة التأليف كما وضعته وزارة المعارف يعطى الفرقة هذا الحق . وقد صرفت الجائزة من هبة المرحوم عليوه بك التى رصدها تشجيعاً للتأليف المسرحى . . .

يوسف نادرس

حول الفن والحرية أيضاً

تنبهت الدوائر الفنية والأدبية فى مصر باهتمام شديد كلما كتب حول جماعة الفن والحرية فى مجلة « الرسالة » الغراء . ولقد ضمت هـذه الجماعة مجموعة من الشباب المصرى المثقف تلمس فيهم كل إخلاص وحب للوطن العزيز . ولاشك فى أن كل ما كتب



التربية النظاميـــــة

لصاحب العزة القائمقام على حلمى بك

مدير شرطة مديرية البحيرة

بقلم الأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل سعادة المؤلف بإهداء هذا الكتاب القيم إلىّ ؛ وهو الكتاب الأول من نوعه باللغة العربية فيما أعلم ، عولجت فيه أوضاع الحياة الشخصية والاجتماعية بوضوح وتفصيل وضبط وبيان رصين على الأسلوب التكافى

وقبل أن أتحدث عن الكتاب يسرنى أن أتحدث قليلاً عن مؤلفه : فهو مثال للرجل العسكرى الكامل الذى يعلن بشخصيته وخلقه عن الفضائل العسكرية التى لن تقوم لنا قائمة ما لم يعد إلينا الاعتزاز بها والعمل على إحيائها فى نفوس الشباب بالقدوة والتعليم. فإنها فضائل تملأ الحس والنفس لأنها فى الجسم والفكر والروح

وقد تقلب سعادته فى كثير من المناصب فى الجيش والشرطة منذ سنة ١٩١١ إلى الآن ، وكان معنيا دائماً بدرس شئون الحياة النظامية التى تستلزمها مهنته فى القرى والمدن والبيت والشارع . وقد رحل إلى كثير من ممالك الشرق والغرب ، فسافر إلى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين . قال فى مقدمة الطبعة الأولى من كتابه : « وقد عنيت فى أثناء هذه الرحلات بالبحث عن كل ما يتصل بالتربية النظامية وأنظمة

فى « الرسالة » ما هو إلا كتابات سطحية عن أغراض الجماعة لم توف حقها من البحث حتى نطمئن جميعاً إليها حتى إننى لم أكد أدرك ما يريده أعضاء الجماعة من حركتهم الجديدة.

بقى سؤال ، وهو أليس للجماعة حساب على جماعة « الفن والحرية » ، وهى تؤمن به كما علمت حتى تفصح عن أغراضها الحقيقية ، وتوضح بكل جلاء ما ينتجه أعضاؤها من الفنانين أو الأدباء ـ من فنون حديثة سواء فى الرسم أو فى الأدب أو فى الشعر . ومقال الأستاذ « كامل التلمسانى » الذى نشر بالعدد «٣٢١» ودافع فيه عن فنه وفن زملائه « فتحى البكرى » و « كمال وليم » والأستاذ « حسين يوسف أمين » و « أبو خليل لطفى » ثم الأستاذ « يوسف العفيفى » و « فؤاد كامل » لم يوضح فيه بشكل قاطع وغير قابل للشك ماهية فنونهم هذه ؛ بل ترك مقاله خالياً من أى نتيجة حاسمة نطمئن لها . ثم جاء بعده مقال للأستاذ « رمسيس يونان » نشر بالعدد « ٣٢٢ » عرض فيه عرضاً عاماً شاملاً سريعاً لحركة « السيرياليزم » ، وبعض أساليبها فى التعبير .

وفى هذا المقال أيضاً لم يخرج القارىء منه بنتيجة حاسمة

وأذكر أيضاً كلمة جاءت فى صفحة « البريد الأدبى » فى أحد أعداد « الرسالة » الغراء كتبها الأستاذ « أنور كامل » ، وهى لا تقل فى غموضها وشمولها عما كتب من قبل

أليست الحكمة إذن أن تفصح جماعة « الفن والحرية » عن فنها وعن أدبها فى صراحة تامة دون مواربة أو إبهام ؟

وبعد ، فإننى أرى أن أعضاء هذه الجماعة تغمرهم عواطف حارة جياشة فى صدورهم الرحبة لخلق فن جديد ، وأدب جديد ينبت حقاً من تربة مصر رأساً

ولكن لا بد من إفصاح ولا بد من بيان . فهل تتقدم جماعة « الفن والحرية » فتبين لنا ماهية هذه التحولات الجديدة فى الفنون وتذكر لنا أثرها فى مستقبل مصر الفنى والأدبى والمعنوى ، على أن يكون بيانها مبنياً على أسس متينة من البحث العلمى أو الفنى ، معترف بها لدى الجميع .

حسين عبد الله السيد

ليسانسيه فى الآداب

البوليس والإدارة والنظم القضائية والاجتماعية وكل ما يتصل بالأمن وشئونه وكذا السجون والإصلاحيات ومصير المفرج عنهم والبلديات والمجالس المحلية

« وفى الدول التى زرتها بحثت أيضاً فى الوسائل التى تتبعها حكوماتها وطوائفها لغرس روح النظام فى أبنائها وإذكاء الروح الحربية والقومية فيهم، وما تقوم به الهيآت لترقية الحياة الاجتماعية وخاصة عامة الشعب

« كذلك حضرت المؤتمر الرياضى العسكرى السنوى بمدينة « نورنبرج » بصفتى الشخصية بدعوة من المدير العام للبوليس الألمانى مدة أسبوع فى صيف ١٩٣٧ ... وقد شاهدت ودرست معهم أنظمة المعسكرات والتشكيلات الرياضية والعسكرية للابين الشباب والشابات ... »

وكان يوالى الجمهور عقب عودته من كل رحلة بمحاضرات يلقيها فى الأندية والمعاهد وقاعات الجميات المختلفة وفى محطة الإذاعة اللاسلكية . فهو من المؤمنين بنقل الجماهير من حياة الفوضى إلى حياة النظام عن طريق التمهيد بالدعوة والإرشاد والإذاعة قبل النقل بالقوانين. وهو الآن مستشار عتيد فى الجيش « المرابط » الجديد، وقائم خبير من القائمين على تنظيمه . ونرجو الله أن ينفع به دائماً

أما الكتاب فلم يترك ناحية من النواحى التى فيها فوضى أو نقص أو قصور فى حياتنا المصرية إلا عالجها واقترح لها وأرشد إلى خير الطرق لتنظيمها أو تكميلها مسترشداً بما فى الممالك الغربية. فهو كتاب فى « فن » الحياة و « إخراجها » فى البيت والشارع والمدرسة والملعب والقرية والمدينة على خير أساليبها وأنماطها

تحدث عن النظام ونهضات الأمم، وتنظيم الاستعداد فى السلم والحرب، ووسائل مكافحة الغارات الجوية وحماية الأهلين منها، والقرية المصرية والإصلاح الاجتماعى، وسلامة الدولة، والبوليس والجمهور، ومقاومة الجرائم، وبعض النظم الأوربية الملائمة لعاداتنا وتقاليدنا، والتربية البدنية، والتدريب العسكرى، ومفاخر الجيش المصرى، والروح القومية . ذلك عرض لأمهات مسائل الكتاب يضاف إليها مسائل عدة يطول بنا الحديث إذا ذكرنا عنواناتها

وهو يقع فى ٣٥٥ صفحة محلى بكثير من الصور الفوتوغرافية . ولو أن مثل هذا الكتاب وزع على طلاب المدارس الثانوية والمعاهد الدينية للمطالعة لكان أفضل بكثير من الكتب التى تتحدث فى موضوعات لا تتصل بصميم التربية والسلوك فى الحياة، وإنما تتحدث بمقالات كلها « ترف » أدبى أو علمى يحشو الأذهان بالحروف والأرقام وألوان التعبير الجميل والرشاقة البيانية. أما هيكل الحياة الفردية والاجتماعية وأساسهما فذلك أمر لا ينظر إليه إلا عرضاً

لقد آن لوزارة المعارف أن تبنى النفس المصرية من جديد وأن تجعل همها الأول التربية والإشراف على الناشئين فى البيت والشارع والمائدة وطريقة الحديث والمرور والملعب والمجتمعات والملاهى والأفراح والمآتم، وأن تجعل وكدها فى أن يخرج الطالب من المرحلة الثانوية وهو راشد التصرف مهذب السلوك قبل أن يكون عالماً علم الأولين والآخرين

نريد أن تبيد وزارة المعارف بكل طالب من طلابها خاثر الفوضى والخرافات الشائعة فى بيوتهم، ولن تتمكن من ذلك إلا إذا استولت على أفئدتهم وملأتها بحب الانتصار لحياة النظام والتنسيق وأفهمتهم أنه من الواجب عليهم أن يجندوا أنفسهم دائماً لحرب الفوضى فى بيوتهم ومجتمعاتهم وألا يخضعوا أمام جهل آبائهم وأمهاتهم . والكتب الموضوعة فى هذا أولاً والتدريب الطويل ثانياً هما الوسيلة إلى ذلك

(الاسكندرية) عبد المنعم خلاف

عبث الأقـــدار

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأديب محمد جمال الدين درويش

القاص نجيب محفوظ شاب حديث عهد بالقصة، ولكنى أعده فى الصف الأول ومن البرزين فيها وخاصة فى القصة القصيرة، وأقاصيصه فى مجلة الرواية تؤيد ما ذكرت، وتجعلنا نشد على يده إعجاباً بفنه، وتهنئة بفوزه، واستبشاراً بمستقبله فى عالم القصة

وهو يمتاز بذوقه الخاص، وطريقته التى اكتسبها من القاص الكبير محمود بك تيمور فى كتابة الأقاصيص، ومقدرته الفنية على كتابتها ... وهو يتخذ مما يشاهده، وما سطرته الأيام والحوادث فى سجل المحيط المصرى مادة لأقاصيصه، ولذا نرى قصته الجديدة عبث الأقدار مطبوعة بالطابع المحلى ... تصفحها تجد أنه قد أظهر خوفو فرعون مصر وبانى الأهرام كأنه بين ظهرانينا يتمتع بالحياة، والأهرام نلاحظ ونشاهد طريقة بنائها وضجيج العمال وغناءهم . وقصارى القول أن القصة تربنا ما وقع من الحوادث فى عهد بانى الهرم. كل هذا بأسلوب سهل خال من



فصـــــل المقال

فيما دار من نقاشه حول « مباحث عربية »

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

أخذنا فى نقدنا لكتاب « مباحث عربية » أن مؤلفه فى بحثه عن « المسلمين فى فنلندة » ، وقف عند مجرد الأقوال التى سمعها ، ولم يتعدها إلى التحقيق . والحق أن هذا البحث لا يتعدى كونه استطلاعاً صحفياً ، ومن هنا جاء ما فيه من الضعف . فالدكتور بشر يرى أن المسلمين الذين اكتشف وجودهم فى فنلندة أصلهم من « الترك ــ التتر » ، الضاربين أصلاً فيما وراء جبال أورال ، رحلوا إلى فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا .

وقد لاحظت أنا أن المسلمين من « الترك ــ التتر » ينتشرون فى شمال وشرق أوربا بكثرة . فتهم جموع فى لابلاند وفى فنلندة وفى استونيا وفى ليتونيا وفى بوننده ... وقد تحدث عنهم المستشرقون الروس والبولنديون كثيراً – خصوصاً اليهود من الأخيرين – وكان من الروس المستشرق بارتولد ، وهو من شيوخ الاستشراق فى أوربا ؛ فقد كتب بحثاً نفيساً عن « الأتراك فى أوربا الشمالية » تجده فى مجلة الشرق الجديدة الروسية م ٨ ج ٤ ص ٣١١ ــ ٣٣٦ كذلك كتب بحثاً قيماً الأستاذ فيسفولد كزميرسكى ، وهو من أعلام الاستشراق فى روسيا الآن فى نفس المرجع . م ١٠ ج ٢ ص ١٠١ ــ ١٤٠ وهو عن « بقايا جموع التتر القديمة فى دويلات البلطيق » واعتماداً على هذه المعرفة نظرت فى المراجع التركية التى تحت يدى ، فوجدت أن جموعاً من الأتراك المسلمين ، رحلوا إلى الشمال فى القرن السادس عشر ، واستمروا فى بلاد الفنوا (فنلندة) ، ومن هنا جاء تساؤلى : هل تأكد الدكتور بشر فارس من المعلومات التى ألقيت إليه من الأشخاص الذين قابلهم فى فنلندة من جمهور « الترك ــ التتر » فيما عن أصلهم ؟

وقد عمد الدكتور بشر إلى المغالطة فى رده فقال : إنه اهتدى إلى هؤلاء المسلمين ، وأنهم خبروه بما دوّن . وأنا وإن كنت لا أحب أن أشجب رواية الدكتور بشر واتهمه فى كلامه ، إلا أن الذى أحب أن أقوله : إنهم قد يكونون خبروه أن أصولهم من وراء جبال أورال ، وأخطأ هو فهم كلامهم فظن أن هذا يعنى أنهم حديثو العهد بفنلندة أتوها بعد الانقلاب السوفيتى من وراء جبال أورال ! . .

٢ — قال الدكتور بشر : إن بعض هؤلاء الأتراك « التتر » يقيمون بمدينة توركو Turku من أعمال فنلندة . وقد علقت على هذا الكلام فى ردّى فقلت : « ما صلة اسم هذه المدينة بلفظة ترك » ، لأن المشابهة قوية بين اسم المدينة واسم الأتراك ، مما يدل على أن المدينة اشتق اسمها من جموع الترك ــ التتر ــ

الكلفة يخطه قلمه على نهج نفسه التى تركها على سجيتها تسجل أفكاره بكل بساطة كأن الفن طوع أمره . وقد نفخ فى كلماته من روحه فجعل العبارات كأنها قلوب تنبض وتجيش بالحياة والعواطف تشوق القارئ إلى قراءتها فتتسلسل فصولها تحت أعينه كشريط السينما حادثة فى إثر أخرى وتجبره على ألا يلقيها من يده إلا بعد أن ينتهى من قراءتها ... فيرى أن الأستاذ نجيب عرضها بأسلوب الوصاف أو خلقها بريشة الرسام أو كونها بعدسة المصور

وعلى رغم طول القصة تمكن الأستاذ نجيب من السيطرة على أعصابه ووجدانه حتى أخرج عبث الأقدار كما هى الآن محبوكة كما ينبغى فن القصة ... وإذا عرفنا أن هذه أول قصة يكتبها طويلة نغتفر للقاص بعض هنات ومآخذ فى القصة ، ولكنى أحاسبه على سوء طبعها وحشوها بالغلطات المطبعية وهى تقع فى ١٦٠ صفحة من القطع الكبير

وآمل أن تلقى عبث الأقدار من الرواج ما هى أهل له وهى خليقة بالعناية والاعتبار

محمد جمال الدين درويش

التى نزلتها فى زمن من الأزمان فجاء الدكتور بشر فى ردّه يغالط ويقول: إن مدينة توركو كانت عاصمة فنلندة فى المائة الرابعة عشرة للمسيح ، وبذلك ينفى تأثير جماعة الترك الذين نزلوا ربوع بلاد الفنوا فى القرن السادس عشر

والمغالطة واضحة ، لأننا لم نقل فى ردّنا إن هنا لك صلة بين نزول الجموع التركية فى القرن السادس عشر وبين تسمية المدينة باسم توركو ، ذلك أننا نعرف أن المدينة أقدم عهداً من ذلك التاريخ ، وإليك الدليل :

قلنا : « ومسألة أخرى فى هذا البحث ، فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك تنزل العاصمة ثم بمدينتى تمبرى وتوركو . وهو لم يذكر لنا شيئاً عن المدينة الثانية ، وهل هنا لك صلة بين اسمها ولفظة « تورك »

فأين هـذه الملاحظة من ردّ صاحبنا القائم على المغالطة والإبهام والتهويل ؟

٣ — نعرف من كتب الأنتولوجيا أن الفنلنديين يردّون إلى أصلين : الأول Tarrasians والآخر Karelians وفى الشمال من فنلندة تنزل بعض الجموع الذين يردّون إلى اللاب Lapps وهم قلة ضئيلة فى فنلندة اليوم . ونزول النورديين فى دويلات البلطيق من القرن الخامس عدل الصفات الأنتولوجية للفينوا الأول . ومجىء بعض الجموع من « الترك ـ التتر » إلى دويلات البلطيق واستقرارهم فيها ، وكان من الموجتين المغوليتين العظيمتين اللتين جرفتا روسيا عام ١٢٣٧ وعام ١٢٣٩ ، إذ نزل شواطىء البلطيق جماعات من « الترك — التتر » الذين دفعتهم أمامها الموجة المغولية . ثم جاء من الشرق ومن الجنوب عبر بحر البلطيق عن طريق بولندة جموع من الأتراك العثمانيين ، نزل بعضهم بولندة واستقر فيها والبعض الآخر ركب البحر إلى الشمال واستقر فى استونيا ولتوانيا ولتفيا وفنلندة . وكان مجىء هذه الجموع على دفعات . ولا شك أن بعض هؤلاء كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أسروا فى الحروب التى شنها الأتراك على أواسط أوربا وعلى جنوب بولندة (التوران فى مجرى التاريخ — ج ٣ المقدمة ص Lxxv وما بعدها وكذا بارولد فى مبحثه السابق الذكر)

ومن هنا يتبين قيمة رد الدكتور بشر من الحقيقة . هذا إلى أن أصل اشتقاق مدينة turkü الفنلندية يعود إلى مادة ترك كما تحقق هذا معنا من مراجعة مادة (ترك) من أعمال معهد التاريخ التركى (السلسلة الأولى ـ المجلد ٤ ج ٣ ص ١١٧ ـ ١١٨)

٤ — قلنا إن الدكتور بشر فارس لم يتعمق فى بحثه ، وكان آية ذلك عندنا أنه يقول : إن لغة التعليم عندهم هى التركية وحروف هجائهم هى الحروف اللاتينية التركية التى وضعت وشاعت بأمر أتاتورك (ص ٢٤) وهو يستدل بهذا على أنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣) لأننا نعرف أن هناك ضربين من الهجاء اللاتينى للغة التركية ، الأول يتخذه أتراك الاتحاد السوفيتى والثانى يتخذه أتراك الجمهورية التركية . وهنالك من الفروق بين الضربين ما يجب تفرقة بعضها عن بعض . وقلنا فى ردنا عليه : « وفى إمكان الباحث بمراجعة هذه الفروق أن يدلى برأى نهائى فى الموضوع » فخرف الدكتور بشر كلامنا فقال : « إننى أخذت عليه عدم التثبت فى بحثه لأنه لم يقرر أن الحروف التى يستخدمها هؤلاء المسلمون فى فنلندة ، ليست هى تلك الحروف التى توافق عليها أتراك الاتحاد السوفيتى » وأين هذا الكلام من كلامى ؟ !

إن الكماليين استعملوا الهجاء اللاتينى فى ٣ نوفمبر عام ١٩٢٩ (أنظر Armstrong فى Gray Wolf ص ٢٨٨ سطر ٢٤ من Appendix وأتراك الاتحاد السوفيتى اتخذوا الهجاء اللاتينى فى مؤتمر باكو عام ١٩٢٤ ، ثم حدث بعض الخلاف سوّى فى مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ ومصطفى كمال اعتمد على الهجاء اللاتينى الفرنسى فى وضعه الهجاء اللاتينى التركى ، وإن نظر لنظام أتراك الاتحاد السوفيتى

ولا زلت أنا عند رأيي الأول أنه كان فى مستطاع الدكتور بشر أن يرجع لنظام الهجاء اللاتينى لهؤلاء المسلمين ، ويقارنه بما يقابله عند أتراك الاتحاد السوفيتى ثم أتراك الجمهورية التركية وبذلك يدلى برأى نهائى فى الموضوع . أما القول بأنهم أخبروه بذلك ، فهو من اجتلاب القول ، فضلاً عن أنه موضع نظر حتى يمكن الجزم فى نظام أحرف الهجاء اللاتينى التى يستخدمونها فى الكتابة

وإذا كان عند الدكتور بشر فارس نماذج من كتاباتهم فليبعث إلى بواحد منها ، وأنا ضمين بأن أقطع الشك فى هذه المسألة بحكم درايتى بهذه الدقائق نتيجة تقلبى فى بيئات تركيا والاتحاد السوفيتى ردحاً من الزمان

بقيت بعض ملاحظات على الجملة التى دار حولها النقاش من مبحث الدكتور بشر فارس ، من ذلك أنه استدل من أن لغة

التعليم عند هؤلاء المسلمين الفنلنديين هي التركية بأنهم صرفوا هوامهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣ من كتابه) ولست أعرف ما موضع روسية الجنوبية في هذا التعبير ؛ لأن هؤلاء إن كانوا من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال فلا صلة لهم إذن بروسية الجنوبية (القرم وقازان وأوكرانيا) ، وإن كانوا من الجنوب من روسية فلا معنى للقول بأنهم من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال ... والذي عندي أن هذا الخلط نتيجة تفسيرات شخصية من الدكتور بشر فلم يحدثوه بأنهم من وراء جبال أورال ، وإنما الدكتور بشر قد استنتجه خطأً ، لعله أن « الترك — التتر » أساهم من هذه المناطق . وعلى هذا يتسق الأمر في استطلاع الدكتور بشر لشؤون هذه الجماعة المسلمة في أقصى الشمال . أما القول بصرف الهوى عن روسيا الجنوبية ... فهو الأصل الذي يكشف عن فكرة الاستنتاج في قول بشر أنهم من « الأتراك — التتر » الضاربين فيما وراء جبال أورال ... !

٥ — قلنا في نقدنا لكتاب مباحث عربية : « إن استعمال لفظ (السلوك) لأحد مشتقات المصدر الفرنسي وهو moralité تارة ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر لنفس المصدر (وهو morale) تارة أخرى يوقع في اللبس والاختلاط » . فكتب الدكتور بشر : « والردّ أن الناقد لم يدرك الفرق بين اللفظتين الفرنسيتين : morale et moralité ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية الأخلاقية ، والثاني يفيد علم الأخلاق » . والمغالطة في ردّ صاحبنا الدكتور بشر واضحة ، لأن الأصل في نقدنا أن استعمال لفظ السلوك والأخلاقيات لمشتقتين وهما morale et moralité من مصدر واحد هو mores في اللاتينية يوقع في اللبس . واللازم أن يشتق من المادة العربية التي تقابل mores مصدران ينظران إلى اللفظين الفرنسيين والأول يأتي عندي آداباً والآخر أدبيات ، ففي الأول مفهوم السلوك conduite من حيث هو قاعدة (أو منهج) régle وفي الآخر مفهوم السلوك conduite من حيث هو مبدأ (Principe) . وبين الاثنين من الفارق ما لاحظه الدكتور بشر فارس

٦ — قلنا : « إن في تعبير الدكتور بشر أن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » قصوراً لا تستقيم معه الجملة إلا إذا أبدل فيها لفظة المتجاورة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً في الجملة من حيث أن التجاور في تعبيره يفيد افرنجياً synonyme وواضح أن synonyme هذا يعني :

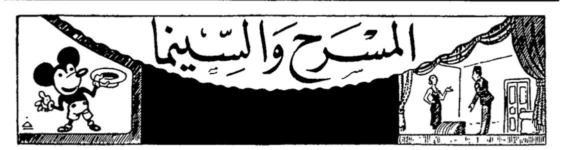
١ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (مترادف)

٢ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى متشابه (أو متقارب)

وإذن يكون معنى synonyme يؤديه في العربية الفصحى كل من لفظي الترادف أو التشابه (التقارب) وذلك حسب استعماله . والتعبير الذي استعمل فيه الدكتور بشر لفظة متجاورة سياقها تفيد التقارب أو التشابه . والدكتور بشر يريد هذا ، لأن التباين يقابله الترادف من الجهة الأخرى ويقف بينهما التشابه والتقارب . وهذه مسألة لا تحتاج إلى ذلك العلم الدقيق بمفردات اللغة كما يهول صاحبنا في رده . وليس جعلنا المتشابهة ناظرة synonyme إفرنجياً بدليل قصور في العلم باللغة . لأن المتشابهة والمتباينة من الألفاظ التي تنظر إلى synonyme . وليست اللفظة الإفرنجية مفادها قاصراً على المترادفة عربياً . ونحن إن كنا وقفنا في ردنا عليه عند المتشابهة (الوجه الثاني من مفاد اللفظة) فذلك لأنها هي المقصودة في العبارة ، والسياقة تدل عليها ، وما دام الأمر كذلك فأي ضرورة تلجئنا إلى الكلام عن الترادف أو المترادفة من الألفاظ ؟

على أن محاولة بشر تخريج الموضوع بقوله : إنه يعني بالمفادات المتجاورة voisines في الإفرنجية فلا معنى لها ولا محل ، لأن المفادات لا تتجاور ولكن تتشابه (أو تتقارب) وتتباين وتترادف لأن التجاور يغلبها الجانب الحسي والمفادات يغلب عليها الجانب المعنوي . أما أن المتجاورة من تعبيره تنظر إلى voisines فرنسياً فليس ذلك بدليل يلزم أن يكون التعبير فيه لفظ التجاور . لأن التعبير في العربية وليس في اللغة الفرنسية ، ولكل لغة أحكامها وأصولها . وأظن أنني لست بذلك الشخص الذي يعطي للدكتور بشر درساً في هذا ، فهو أدرى منا في هذا بحكم كونه ابن اللغة العربية ، ولكن قل هي الشكلية أفسدت عليه النظر

(لما بقية) اسماعيل أحمد أدهم



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

أولاد الفقراء

قلنا إن رواية (الذبائح) التي وضعها المرحوم أنطون يزبك كانت ذات أثر سيء في النهضة المسرحية. ولقد نسج على منوالها يوسف وهبي فوضع (الصحراء) ثم وضع (أولاد الذوات) ثم (أولاد الفقراء) وقد نجحت هذه الروايات لكنها استبدلت لمسرح رمسيس جمهوراً بجمهور فأصبح رواده من طبقة العامة الذين افتتنوا بيوسف وبرواياته التي كتبت باللغة العامية التي يفهمونها وباللهجة المبتذلة التي يتكلمون بها. ولقد عافت الآذان الشريفة أن تستمع إلى الألفاظ الكثيرة الساقطة التي ترد على لسان الممثلين والممثلات فهجر أصحابها مسرح رمسيس الذي انحدر انحداراً شنيعاً مع شدة الإقبال عليه من طبقة معينة من الجماهير كانت تأتى لتشاهد (أولاد الفقراء) وتعجب وتتأثر بالمآسي والفجائع التي حشدها يوسف وهبي فيها. ولم يكن يوسف ليعرف عظم الهوة التي ينحدر إليها، وقد كبته أنانية المؤلف التي جملته يعتقد ويجاهر بأن الكلمات التي يكتبها لا يجوز التبديل فيها كما لا يجوز التبديل في القرآن. ولهذا فقد استمر يوسف في نهجه حتى وصل به الحال إلى أسوأ ما يصل إليه فنان

نعود فنقول إن يوسف وقد أراد أن ينتقم من النقاد وأن يهدم إلى جانبهم بعض الشخصيات المسرحية البارزة، قد قبل تمثيل رواية (الوحوش) للأستاذ محمود كامل ورواية (تحت العلم) للأستاذ عبد الرحمن رشدي، وليس هذا أوان التحدث عن هاتين الروايتين، وإنما يكفي أن نقول إن الأستاذ محمود كامل وضع (الوحوش) في سن الشباب قبل أن ينال الخبرة والمران وأن الأستاذ عبد الرحمن رشدي وضع (تحت العلم) وهو ليس بالمؤلف وما هو إلا ممثل فقط. ولقد سقطت الروايتان سقوطاً شائناً. ومن العجيب أنهما لم تسيئا إلى اسمي مؤلفيهما بقدر ما أساءتا إلى مسرح رمسيس. وهكذا أراد يوسف أن يطعن الآخرين فطعن نفسه

فلما وقعت الشحناء بين أفراد فرقة رمسيس وحلت البغضاء محل المودة وشاءت الظروف أن تنقسم الفرقة إلى شطرين شطر يذهب مع فاطمة رشدي وعزيز عيد وشطر يبقى، نقول لما شاءت الظروف أن يقع هذا انتعش المسرح انتعاشاً مؤقتاً بسبب التنافس الشديد، بيد أنه كان انتعاشاً مؤقتاً وعلى غير أساس، ومن ثم فقد سقطت فرقة فاطمة رشدي مع الزمن وانهار بنيان فرقة رمسيس من بعدها خصوصاً وقد اختطت لنفسها خطة جديدة بهذه الروايات التي كتبت بلغة عامية

ولا نطيل فقد انهارت النهضة المسرحية على يد من شادوها وأقاموا بنيانها فارتفعت صيحات النقاد من كل جانب بطلب إنشاء فرقة حكومية، وأخيراً استجابت الحكومة للنداء وأنشأت أولا فرقة (اتحاد الممثلين) التي منيت بفشل ذريع، فاضطرت أمام هذه الحالة إلى إنشاء (الفرقة القومية المصرية). ومن طريف ما يذكر أن الأستاذ يوسف وهبي وقد عرض عليه أن ينضم إلى الفرقة طلب أن يسمح له بتمثيل بضع روايات من أمثال أولاد الذوات وأولاد الفقراء حتى يمكن أن تأتي بإيراد يعوض الخسائر التي ستمنى بها من تمثيل الروايات المثالية التي ستعنى الفرقة بإخراجها لإنقاذ فن التمثيل مما وصل إليه بسبب يوسف وهبي ورواياته الشعبية!

ومع أن مدير الفرقة رفض أن يجيب يوسف وهبي إلى طلبه الغريب فإنه سمح بعدئذ أن تخرج الفرقة القومية روايات وإن تكن باللغة العربية إلا أنها أكثر ابتذالاً من رواية أولاد الفقراء.

(للكلام بقية)

ملاحظات

روايات قديمة

قلنا إن من أسباب نجاح فرقة رمسيس فى عصرها الذهبى أنها أخرجت للناس روايات جديدة قوية ولم تعمد إلى إعادة إخراج بعض الروايات القديمة إلا بعد أن استتب لها الأمر ورأت أن فى إخراج هذه الروايات ما يبرهن على كامل استعدادها وقوتها ثم إنها كانت تخرج فى موسمها الواحد حوالى عشرين رواية لا يكون من بينها أكثر من رواية واحدة قديمة

أما الفرقة القومية فإنها لشدة فقرها الفنى — فإنها بحمد الله واسعة الثراء من الوجهة المادية — لا تجد أمامها سوى الروايات القديمة التى سبق إخراجها ونالت النجاح، فهى تعيد إخراجها مطمئنة إلى أنها لن تسقط على الأقل!

وهاهى ذى ستفتتح موسمها برواية (مصرع كليوبطره) وهى رواية قديمة وستتبعها برواية (لويس الحادى عشر) وهى رواية قديمة أيضاً!

وسوف ترى الفرقة أنها بهذه الأعمال التى تصدر عن غير بصيرة ستفقد الثقة الباقية فيها.

أما ما يقال من أن بعض هذه الروايات القديمة، إنما يعاد إخراجها من أجل بعض الممثلين الذين لا يصلحون إلا لها، فإنه مع صحة هذا القول لا يجب أن يذهب الكل من أجل البعض. وعلى أى حال فإن رواية الافتتاح يجب أن تكون جديدة، وقد كان من الكياسة أن يؤخر إخراج هذه الروايات القديمة إلى ما بعد إخراج بضع روايات جديدة.

عدد أفراد الفرقة القومية

أثبتنا فى العدد الماضى على الإشاعة القائلة بتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التى تعمل مع الفرقة القومية؛ وذلك لتوفير بضع مئات من الجنيهات تصرف فى وجوهها الحقة خصوصاً وأن الفرقة ليست فى حاجة إلى هذا العدد الوفير من الموسيقيين فهى ليست فرقة أوبرا أو أوبريت

قلنا هذا فى الأسبوع الماضى فاذا بالإشاعة تتطور فى هذا الأسبوع إلى أن التوفير سيشمل أيضاً بعض الممثلين!

وإذا كنا ننصح مع الناصحين بتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية، أو الاستغناء عن هذه الفرقة جميعاً والاستعاضة عنها بحاكى، وبضع اسطوانات؛ فإننا ننصح إلى جانب ذلك بزيادة عدد أفراد الفرقة القومية، وضم العناصر القوية الخارجة عنها، أما التوفير فمعناه إضعافها والقضاء عليها.

وليسأل مدير الفرقة الأستاذ أحمد عسكر عن عدد أفراد فرقة رمسيس أيام كان يعمل بها، وعن المجهودات التى كان يبذلها الأستاذ يوسف وهبى لضم العناصر القوية التى كانت تعمل خارج الفرقة، وعما حل بفرقة رمسيس منذ انقسمت شطرين وخرج منها بعض أبطالها وبطلاتها!

الأستاذ سليمان نجيب

يبذل الأستاذ سليمان نجيب مدير الأوبرا أقصى جهده فى مساعدة الفرقة القومية مساعدة جدية يشكر عليها، وقد بلغنا أخيراً أنه استمع إلى رأى المخرجين فتوح نشاطى وعمر جميعى بشأن تغطية الفراغ الكبير المعد للفرقة الموسيقية ليتسنى بذلك وضع بضعة صفوف أخرى للمشاهدين، وكذلك سيسمح للممثلين بالتقدم إلى مقدمة المسرح ولم يكن يسمح لهم بذلك من قبل بسبب الاحتياط الخاص بالحرائق، وبهذا كله ينعدم الفراغ الكبير الذى كان يخلق جواً من البرود يؤثر تأثيراً سيئاً فى المشاهد التمثيلية. وقد كان من أسباب نجاح الروايات فى مسرح رمسيس (ريتس الآن) أن هذا الفاصل غير موجود.

مأساة الفرقة القومية

مأساة الفرقة القومية فى سكرتيرها السابق ما تزال ماثلة فى الأذهان، وقد خرج منها على أى حال فليس من سبب يدعونا إلى التحدث عن هذه المأساة أو ذكر تفاصيلها من جديد. وإنما غايتنا من التذكير بها أن نوجه النظر إلى وجوب مراقبة الشئون المالية للفرقة مراقبة دقيقة وحصر المسئولية فى شخص معين يكون مسئولاً عنها. وها نحن أولاء فى بداية الموسم وستكثر المشتريات وصرف النقود فاذا سار الأمر فوضى فإنه يخشى أن تتكرر المآسى وهى كفيلة بالقضاء على الفرقة

(زعرور الصغير)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 327

Lundi - 9 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

جريرة النازية على الانسانية

يا ضَلَّةَ العقل ويا حيرة المنطق !

إن أمام التاريخ اليوم رجفة من رجفات الهول والهلاك لم يبتلَ بمثلها الإنسان منذ دحا الله هذه الأرض . فهل يستطيع حيما سبر أغوار النفس ، وكشف أسرار المجتمع ، ورصد أطوار الحوادث ، أن يقول فيها أكثر مما يقول فى العواصف والزلازل والبراكين والأوبئة ؟

هل يستطيع التاريخ بفلسفته وحذلقته أن يفسر لنا وللأجيال كيف تسنى لخمسة نفر من عباد الله الضعاف ، لا هم آلهة ولا هم أبالسة، أن يسيطروا على الشعب الألمانى الضخم وهو آية النبوغ البشرى فى العلم والأدب والفلسفة والفن فيشلوا تفكيره ، ويلغوا إرادته ، ويمسخوه قطيعاً جراراً من أفيال جهنم ترمى العالم كله محاربيه ومساليه بالبوار والدمار ، أو بالفزع والمجاعة !

لو كانت هذه النازية المتلربة قائمة فى سلطانها وطغيانها على مبدأ من مبادئ الخير ، أو مذهب من مذاهب الإصلاح ، لالتمسنا لخضوع الشعب الألماني لها واضطراب العالم الإنسانى بها مساغاً فى العقل أو مثلاً من التاريخ؛ ولكنها ضلالة من ضلالات العصبية والعنصرية والأثرة والغرور استبدت بفكر ثائر وعقل حائر وهوى طموح ، فظنها الفوهرر رسالة من رسالات الله أوحاها إليه

فى كتاب (كفاحه)، وأوجب أداءها عليه بقوة سلاحه؛ فهى شريعة تنسخ كل كتاب غير كتاب هتلر، وتمحو كل سيادة غير سيادة النازى، وتمحق كل عنصر غير عنصر الجرمان. وإذا كان فى الساميين وهم فى رأيه حثالة الناس رسالات ورسل، فكيف لا يكون على الأقل فى الآريين وهم خلاصة الأجناس رسالة ورسول؟

ولكننا عرفنا إله الناس الذى اصطفى من الساميين موسى وعيسى ومحمداً ليبلغوا رسالات الهدى والحق والخير، فألفوا نوافر القلوب بالحب، وأقاموا قواعد المجتمع على العدل، وخففوا متاعب العيش بالإحسان، وضمنوا وفاء العهود بالذمة، وجعلوا الناس كلهم سواسية فى حق الحياة لا يطغى جنس على جنس، ولا يبغى قوم على قوم. فمن هو يا تُرى إله الألمان الذى اصطفى من الآريين هتلر وجورنج وهيس وريبنتروب ليبيدوا أمم العالم، ويدمروا حضارة الدهر، ويحطموا روائع الإنسان، ويستبدلوا بشرائع الله وقوانين الضمير سياسة لا تعرف براً بوعد ولا وفاء بعهد ولا ثباتاً على مبدأ؟

***

يا ضلة العقل ويا حيرة المنطق!

أبعد أن تغلغل على طول القرون هدى الله فى الغرائز والأخلاق والقوانين والنظم ففازت الحرية، وسادت الديمقراطية، وعلت الإنسانية، يمكن أن تقوم فى العالم اليوم نِحلة مجرمة الوسيلة والغاية كنِحلة النازية تحتقر أجناس الناس، وتنكر حقوق الشعوب، وتزدرى قواعد السلوك، وتستحل فى سبيل السيطرة والغلب الغدر والمكر والكذب وغش السياسة ونقض العهود وإنكار المذهب!

ليت شعرى ماذا يقول أحفاد لوثر وكَنْت وجوته وبتهوفن وقد رأوا زعيمهم الأديب الفنان يقول بلسان دولته ولا يصدُق، ويعاهد بشرف أمته ولا يفى، ويجعل من شعبه الصبور العامل غولاً للسلام يقذف الرعب فى كل قلب، والشقاء فى كل منزل، ثم يدع صليبه النازىّ المعقوف يتحطم رويداً رويداً بين مطرقة الشيوعية ومنجلها بعد أن ناصبها العداء المر والهجاء الفاحش!

لقد قلنا فى كلمة سابقة: «إن هذا الرجل العجيب استطاع فى ست سنين ونصف أن يبنى من الحديد والنار والسم والثأر والعزيمة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساى تتوارى من الخجل، وتتفانى من الجوع، وتتهالك من الدين، وتضع أيديها على هيكلها فلا تجد إلا أشلاء لا صورة له ولا حس فيه، فأصبحت بما نفخ فيها من روح الكفاح، ووضع فى أيديها من قوة السلاح، تملك على الدول الحياة والموت، وتقضى على الأمم بالسلام أو الحرب؛ كل ذلك فعله من غير ثورة ولا حرب فكان حريًّا أن يتبجح فى آخر خطابه التاريخى المشهور بقوله: ألست حقيقاً بأن أطلب إلى التاريخ أن يعدّنى فى الذين حققوا أعظم ما يسمح الإنصاف بطلبه من رجل؟». نعم قلنا ذلك أيام كان هذا الرجل الشاذ قابضاً على عجلة القيادة بحزم الربان الماهر وحكمة القائد البصير. وما كنا نتوقع أن يبتليه الله بضعف الإنسان الفرد على هذا النحو المهلك والقضاء العاجل، فيدور برأسه الغرور، ويذهب بنفسه العناد، حتى لم يعد لشهواته حد تقف عنده، ولا لنزواته فرملة تحبس عليه

هذا هو هتلر الذى أُعجب به شباب الأمم بالأمس يأخذه اليوم جِماح السلطان وعُرام القوة، فيُلقى عامداً بقوته وبالعالم فى سعير الحرب، ثم يقف فى ضوء لظاها المشبوب فى الأرزاق والأعلاق والأنفس وفى يديه قيثارة نيرون يعبث بأوتارها ويضحك!

ماذا عسى أن يكون مصير الشعوب الصغيرة التى ضمنت على ضعفها أن تعيش فى حمى الشرف والعدل والسلام، إذا تغلب هذا الطغيان النازى الذى يريد أن يحكم العالم على أساس استعباد الضعيف، وتسخير قوى الناس والطبيعة لسيادة عنصر واحد وإرادة رجل واحد؟

إن ميراث الإنسانية المتدينة المتمدنة من أخلاق وثقافة ونظم هو اليوم فى حمى الدول الديمقراطية الحرة تدافع عنه وترعاه وتمسك به الأرض أن تميد وتبيد. وليس للأمم الصغيرة سبيل للحياة الحرة إلا أن تساهم فى هذا الدفاع بإخلاص وقوة، فإن ضمان العيش للقلة بجانب الكثرة، وللعجز فى كنف القدرة، هو هذه الفضائل الاجتماعية التى نبتت فى أصول الدين ونمت فى ظلال الديمقراطية. أما إذا شاء القدر — ومعاذ الله أن يشاء — أن يتحكم هوى الطغيان فى حقوق الإنسان فيذهب بالإخاء أثرة جنس، وبالمساواة سيادة شعب، وبالحرية استبداد فرد، فقل إنها دنيا للشر جديدة نرجو ألا يكون لنا فيها وجود!

احمد حسن الزيات

أين الكلتور ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

دخل الألمان الحرب الماضية وهم يحملون أمامهم كلمة « الكلتور » التي شاعت على ألسنة الناس من ذلك الحين كما شاعت ترجماتها في اللغات الأخرى ، ومنها كلمة الثقافة في اللغة العربية

وكانت دعواهم أنهم يحاربون بالكلتور الجرماني أو الثقافة الجرمانية كما يحاربون بقوة السلاح وقوة السياسة ، لأنهم اعتقدوا أنهم أصحاب أشرف الثقافات وأحقها بالنصر والغلبة على عقول الأمم وأذواقها

فأين « الكلتور » في الحرب الحاضرة ؟

إن النازيين لا يذكرونه على ألسنتهم ولو على سبيل الادعاء الذي يعوزه البرهان ، لأنهم بعيدون عنه وهو بعيد عنهم . فليس في حركتهم ثقافة ، وليس لها فن ولا ثمرات فنية ؛ وكل ما عليها صبغة حرب كالطلاء الأحمر على الوجه الشاحب المزيل ، لا هو من الصحة ولا من الجمال

وتعترف الصحف النازية - كما جاء في صحيفة أوربا الحديثة الفرنسية - بأن الروايات التي يؤلفها الكتاب النازيون لا تترجم إلى لغة من اللغات الأجنبية ، وأن الأدب الألماني يمثله اليوم في العالم جماعة من الكتاب المهاجرين المطرودين من حظيرة هتلر ؛ فكل ما يعرفه العالم عن الأدب الألماني الحديث هو من ثمرات فراغ هؤلاء الكتاب المطرودين !

ورأيُ الإيطاليين - وهم إخوان المحور - لا يختلف عن رأي الأمم الأخرى في الأدب الشائع بين النازيين ، فقد ترجم إلى اللغة الإيطالية في سنة ١٩٣٧ خمسة وسبعون كتاباً معظمها من تأليف كتاب المنفى ، ولم تبرز قط رواية نازية على مسارح العالم بعد سنة ١٩٣٣ وهي السنة التي قبض فيها هتلر على زمام السلطان ؛ وهي خسارة مالية فوق الخسارة الأدبية يقدرون ما ضاع من جرائها على خزانة الريخ بخمسة ملايين من الماركات

وقد بلغت ثروة الصور المتحركة النازية خلال السنة الماضية خمسة ملايين مارك هبطت إلى ثلاثة ملايين في السنة الحاضرة ، وبلغت الشُرُط الكبرى في سنة ١٩٣٢ وهي من سنوات الأزمة والكساد مائة واثنين وأربعين أخرجت كلها في المواسم الألمانية ، فما زالت تهبط حتى انحدرت إلى ثمانية وتسعين في سنة ١٩٣٨ على الرغم من ضم النمسا وبلاد السوديت

أما ما باعته ألمانيا النازية من الشرط في الخارج فقد كان تسعة وسبعين في سنة ١٩٣٧ فهبط في السنة التالية إلى أربعة وعشرين !

* * *

هذا كساد في الملكات والقرائح شعر به هتلر ونبه إليه في المؤتمر الأكبر فقال إن الحركة النازية لا تزال في انتظار العبقريات التي تتغنى لها بمعانيها وأناشيدها

وشعر به القائمون على التربية الوطنية فعالجوه على دأبهم المشهور بالعلاجات العسكرية والأساليب البتراء فما ازدادوا في كساد ملكاتهم وقرائحهم إلا خموداً على خمود

قال أستاذ رياضيات لزميل أمريكي : ما الحيلة في هذا الجيل العقيم الذي لا يحسن غير السير في المواكب وشق الحناجر بالهتاف والتفاخر بالبنود والشارات ؟ لقد زيفوا لهم التاريخ فقلبوا وقائعه ومسخوا تفسيراته وجعلوه قصيدة من قصائد الإطراء للنازيين وأشباه النازيين ، وقد علموهم الجغرافيا على النحو الذي طاب لهم ووافق دعواهم وأملى لهم في سياستهم ، وقد جعلوا أبطال الدنيا بأمرها من سلالة شمالية أو آرية كما يقولون . فأما الرياضيات فمن لنا بتزييفها على هذا النمط المنكوس ؟ ومن لنا بتعليم الشبان الجبر والفلك والرياضيات العليا والدقائق الفنية ، وهم بين موكب يصخبون فيه أو نشيد أو مناورة في عرض الطريق ؟ كل درس يحتمل التزييف والاصطباغ بالصبغة السياسية إلا العلوم والرياضيات ! ... فلم يبق أمامنا إلا إسقاط الدرجات كرة بعد كرة حتى هبط مقياس النجاح إلى ما دون مقياس الرسوب ، ولولا هذا لاتهمنا الرؤساء بالتقصير وقالوا : إن الآفة من عجزنا عن التعليم لا من عجز هؤلاء الأولاد الفاشلين عن الإصغاء وإنعام النظر في دقائق العلوم !

وقد يستخف النازيون بهذه العاقبة الوخيمة لو كان خطبها كله مقصوراً على ندرة التأليف وقلة النبوغ في الأدب والفن وما إليهما من مجالي العبقرية ومعارض التعبير

لكن المصيبة التي لا يستطيع النازيون تجاهلاً لها ولا استخفافاً بعقباها أن كساد العقول ينقلب عليهم في مجال « العسكريات »

أو مجال التدريب للقتال ، وهم لا شيء في سياسة الأمة ولا في سياسة العالم إن لم يفلحوا في تدريب الجنود وتحضير السلاح

فلا غنى للدراسة العسكرية المصرية عن الفنون وعن الرياضيات وعن البراعة في تركيب الآلات وتدبير الحركات . وقد أشار إلى هذا النقص في الجيل النازي الأخير كاتب مجرى من أصحاب المراجع الموثوق بها في مسائل الحرب الماضية والعدد الضرورية لكل حرب حديثة ، نعني به الدكتور إيفان لاجوس Ivan Lajos مؤلف كتاب « فرص ألمانيا في الحرب » ومسجل الآراء التي أفضى بها رجال ألمانيا المسؤولون في هذه الأمور ، فإذا بهم يجمعون على الشكوى من تقهقر التعليم واستحالة الاعتماد على من يتدربون بالأساليب النازية المستعجلة ، ويؤتمنون بعد ذلك على الطيارات والدبابات وتنفيذ الخطط ومراس المختلف من دقائق الأدوات

***

فالثقافة المزيفة بلاء لا تنحصر أضراره في الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسري في كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية في النهاية ، وهي القوى التي يُظَن أنها أغنى ما تكون عن الثقافة والتثقيف

وإذا كان في الحرب ما يحمد الله عليه فلنحمد الله نحن المصريين بل نحن الشرقيين أجمعين أن كشف ستر النازية قبل أن تخدع الأسماع والأبصار بظاهر ما لها من الضجة والبريق والطلاء ، فقد بلغ من خداعها أن سمعنا أناساً من ساستنا يدعوننا إلى اقتباسها والأخذ عنها ولو في تقييد الحرية الفردية وتغليب « النظام العسكري » عليها ، فأشرنا يومئذ في مجلس النواب إلى وخامة التربية النازية وجنايتها على العقول وإفسادها لينابيع التفكير والتثقيف ، وقلنا إنها جنت على ألمانيا وهي سابقة لنا في ميادين العلم والفن والتربية فماذا تصنع بنا نحن وإننا لدارجون حتى الساعة في بداية الطريق ؟ !

وسنحمد الله حمداً مضاعفاً متى تكشفت الحقائق كلها عن فضائل الحرية ورجحانها في جميع الموازين على أساليب الطغيان و « النظام » المزعوم ، ولا يخامرنا الشك في مصير أناس يعارضون مجرى الحياة الإنسانية ويمسخون ما ازدانت به من شرف وجمال . فسيفشلون لا محالة كما فشل أسلاف لهم حملوا على الدنيا بسلاح الحديد وسلاح الكلتور ، وإن هؤلاء اللاحقين لأضعف من سابقيهم في السلاحين !

عباس محمود العقاد

أسمار وأحاديث

في منزل الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

في مطلع الصيف كنت على موعد مع الأستاذ الكبير الدكتور طه بك حسين لأقدم إليه نسخة من كتاب « ليلى المريضة في العراق » ولأقرأ معه صفحات من ذلك الكتاب ، ولكني حين وصلت في الموعد المحدَّد لم أجده في البيت ، فسلمت الكتاب لجنديٌ رابط هناك وانصرفت

ولم يعزّني عن إخلاف الدكتور طه حسين إلا لحظات عذاب قضيتُها في منزل الآنسة أم كلثوم ، وبينه وبين منزل الدكتور طه بضع خطوات

وفي اليوم التالي سألت عنه بالتليفون لأعرف كيف أخلف الموعد ، فاعتذر بلطف وأكد أنه نسي ذلك الموعد كل النسيان ، ودعاني إلى تجديد الموعد ، فقلت : إني أتأهب للسفر إلى بغداد للاشتراك في تأبين الملك غازي ، وسأحرص على التشرف بمقابلتك حين أعود

وكنت أحب أن آنس بلقائه بعد أن رجعتُ من بغداد ، ولكني خشيت أن يكون أخلف الوعد الأول عن عمد ، لأن أولاد الحلال لا يزالون « يصلحون » ما بيني وبينه من صلات

ثم سافر الدكتور طه إلى باريس ، وسارت الأخبار بأنه سيعتذر عن الحضور في العام المقبل ليستريح من عناء المشكلات الجامعية وليؤلف كتاباً عن تاريخ الشعر العربي

وكنت في تلك المدة شرعت في الهجوم على الأستاذ أحمد أمين ؛ وندّ القلم فوقعت منه غمزات تمسّ الدكتور طه حسين بدون موجب . وكذلك استوحشت من المضيّ للتسليم عليه حين عرفت أنه رجع من باريس

ثم عدت فقررت أن أؤدي الواجب في تحية الدكتور طه ، راجياً أن يكون في تأدية هذه التحية تبديدٌ للظلمات التي يخلقها من يأكلون العيش بحياكة الأقاويل والأراجيف

كان ذلك فى مساء اليوم الثالث عشر من شعبان ، والقمر يقدّم إلى الوجود أفانين من الرفق والحنان ، ويذكّر القلوب الخوامد بماضيها الجميل فى مقارعة الصبوة والفتون ؛ فنزلت من السيارة عند جسر فؤاد لأمتع القلب والروح بمشاهدة النيل ، وهو يواجه القمر فى أيام الطغيان ، ولأستقبل الزمالك بأدب وخشوع ؛ فما كان ثراها الغالى إلا نثائر أكباد وقلوب

وأخذت أجتاز الزمالك من حَرَم إلى حَرَم إلى أن بلغت منزل الدكتور طه حسين . وكنت أرجو أن أجده وحده ، لأنى وصلت بعد الساعة التاسعة ، وهو عنده وقت هدوء ؛ ولكن يظهر أن قدومه من السفر رفع الحجاب فكان منزله فى أنس بجماعة من أهل الفضل هم الأساتذة شفيق غربال ، وعبد الواحد خلاف ، ومنصور فهمى ، وعلى عبد الرازق ، وسعيد لطفى ، وأمين الخولى ، وتوفيق الحكيم ، وعبد الوهاب عزام ، وابراهيم مصطفى ، وعبد الحميد العبادى .

سلّمتُ على الدكتور طه تسليم المحب المشتاق ، وسألته عن باريس وعن السوربون ، فأجاب إجابات موجزة دلتْ على أنه يريد أن يكتم عنى أشياء . فهل آذت الحرب بعض أصدقائى هناك ؟ لا قدّر الله ولا سمح !

وبعد لحظة حضر الأستاذ أحمد أمين فنهضت واقفاً لمصافحته، ولكنه زوى وجهه وتجاهل وجودى . ورأيت المقام لا يتسع لمحاسبته على ما صنع ، فتكلفتُ الابتسام وأنا مَغيظ

وخطر فى البال أن حضورى قد يعكّر المجلس، وأن من الخير أن أنصرف ؛ ثم تذكرت أننى أحق الناس بمودة الدكتور طه حسين ، وإن حالت بيننا الدسائس حيناً من الزمان ، فقد كنت صديقه الحق قبل أن يعرف أصدقاء اليوم . كنت صديقه الحميم فى ظروف لا يسأل فيها الشقيق عن الشقيق ، فكيف أخرج من منزله ليخلو الجوّ لصديق مثل أحمد أمين ؟

يجب أن أقضى السهرة كاملة ، وعلى من يؤذيه حضورى أن يتفضل بالانصراف !

وبعد أن دارت السجائر على الزائرين شرع الأستاذ أمين الخولى فى الحديث

أمين الخولى — يا زكى ، ما تترك أبداً أخلاق المنوفية ؟

طه حسين — وما أخلاق المنوفية ؟

أمين الخولى — هى المشاغبة واللجاجة والعناد

طه حسين — وزكى مبارك مشاغب ؟ قل كلاماً غير هذا يا أمين ، فما عرف الناس زكيًّا إلا مثال اللطف والأدب والذوق. الدكتور زكى حقيقة رجل لطيف ؛ ومن آيات لطفه أنه ينظر فيرى الناس قد ضجروا من الهدوء والسكون فيسلط عليهم القذائف القلمية ليتذوقوا نعمة الحركة والجدَل والنضال

على عبد الرازق — يظهر أنك راض عن الدكتور زكى مبارك

طه حسين — وهل أملك غير ذلك ؟

زكى مبارك — تملك كلمة النصح يا سيدى الدكتور ، إن رأيت ما يوجب كلمة النصح

طه حسين — لا ، يا عمّ ، يفتح الله !

زكى مبارك — يظهر يا سيدى الدكتور أنك غضبان

طه حسين — لست بغضبان ، ولكن يحق لى أن أنزعج من بعض ما أقرأ لك

عبد الواحد خلاف — لعل الدكتور يشير إلى مقالاته فى مهاجمة الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا أحتج على إثارة هذا الموضوع فى هذا المجلس

خلاف — الخطب سهل ، ونحن نحاول تصفية القلوب

أحمد أمين — أنا أحتمل كل شىء إلا التعرض لنبالتى

طه حسين — وهل تعرض زكى مبارك لنبالتك بشىء ؟ إن هذا لو صحّ لكان خروجاً على شِرعة العقل !

أحمد أمين — لقد تعرض لنبالتى بأشياء

إبراهيم مصطفى — إن الدكتور زكى لم يتعرض لنبالتك ، يا حضرة الأستاذ

زكى مبارك — أنتم تخوضون فى شجون من الأحاديث لا عهد لى بها قبل اليوم ، فما كنت أعرف أن الأستاذ أحمد أمين فوق النقد ، ولا كنت أظن أن التعرض لتفنيد آرائه يعد هجوماً على قدسيته الذاتية ! فهل تعتقد يا أستاذ أنى تجنيت عليك ؟

أحمد أمين — ليس لى معك كلام ، ولا أقبل الدخول معك فى نقاش ، وأنت حرٌّ فيما تنشر من زور وبهتان

زكى مبارك — زور وبهتان ؟ وهل من النبالة أن تنطق بهذه الكلمات فى هذا المجلس ؟

منصور فهمى — لاحظ يا زكى أنك جرّحت الأستاذ أحمد أمين وأن من حقه أن يعلن غضبه عليك ، والنفس الإنسانية معرضة للرضا والغضب ، والفرح والترح ، والرجاء والقنوط . فالأستاذ أحمد أمين يعبر تعبيراً طبيعيًّا عن السريرة الإنسانية

زكى مبارك — وكيف يكون الحال لو استبحتُ من التعبير ما استباح ؟

أحمد أمين — وهل تورعت عن شيء ؟ إن مقالاتك عنى هى الشاهد الحىُّ على مبلغ أدبك !

زكى مبارك — وأنا راض عما قلت فيك ، وما قلت إلا الحق والصدق ، وأنا أنتظر أن يغضب الله عليك فيجازيك على سوء ما صنعت فى تحقير ماضى الأدب العربى

طه حسين — إيه الحكاية ؟

أحمد أمين — الحكاية أن زكى مبارك يقول إن طه حسين جاهل، وإن أحمد أمين جهول!

طه حسين — خبر أسود !

سعيد لطفى — أنا كنت أظن أن المسألة مزاح فى مزاح . وأين نشر الدكتور زكى هذا الكلام المزعج ؟!

أحمد أمين — نشره فى مجلة الرسالة وعند الزيات . الرسالة التى خلقتها بقلمى

زكى مبارك — والزيات الذى سويته بيديك !

طه حسين — لقد قرأت المقالة الأولى قبل السفر ، وأوصيت الأستاذ عبده عزام بحفظ المجموعة لأقرأها يوم أعود ، وسأقرأها فى هذه الأيام ، فإن رأيت فيها أنى جاهل وأن أحمد أمين جهول فستكون وقعتك يازكى زىّ الزفت !

أحمد أمين — وما ذنب لطفى باشا حتى يتعرض له زكى مبارك بسوء ؟

ابراهيم مصطفى — لقد قرأت تلك المقالات مرات ...

طه حسين — قرأتها بالقراءات السّبع ؟

ابراهيم مصطفى — أريد أن أقول إنى قرأتها بعناية ولم أجد فيها أية إشارة لسعادة لطفى باشا

على عبد الرازق — لطفى باشا لا يُغضبه أن يكون فى بال الناقدين والباحثين

زكى مبارك — ومن أجل هذا أهجم عليه من وقت إلى وقت

سعيد لطفى — هذا أسلوب طريف فى البر والوفاء !

طه حسين — طبعاً . طبعاً ، فصاحبنا زكى مبارك يتوهم أن الخلود لن يكون إلا من نصيب من يتعرض لهم فى مقالاته ومؤلفاته بالتقبيح أو الجميل . وأشهد أنه سلّ سخائم صدرى يوم قال إنه لا يهجم علىّ إلا وهو يعتقد أن الهجوم معناه « بونجور »

أحمد أمين — وأنا لا أريد منه بونجور ولا بونسوار !

زكى مبارك — ولكنى لن أتركك بعافية أو تكف شرك عن الأدب العربى

أحمد أمين — وما شأنك بالأدب العربى ؟ وما هى خدماتك لهذا الأدب الذى تقول إنك تغار عليه كما تغار على عرضك ؟

زكى مبارك — يكفى أنى من تلامذة طه حسين

طه حسين — العفو ! العفو ! إنى والله راض بأن تكون من أساتذة طه حسين !

زكى مبارك — يا سيدى الدكتور ...

طه حسين — تقتلنى حين تقول: «سيدى الدكتور» وأنت ترى أني جاهل وأن أحمد أمين جهول

على عبد الرازق — لم أشهد فى حياتى أروع من هذا الحوار، وهو يستحق التسجيل

إبراهيم مصطفى — بشرط ألا يذكر فيه اسمى

على عبد الرازق — وما المانع من أن يذكر اسمك فى هذا الحوار ؟

ابراهيم مصطفى — لا تعرف ما المانع . إن هذا الحديث يوم يسجَّل لن يسجله غير زكى مبارك الذى ابتدع فنّ الأسمار والأحاديث

على عبد الرازق — وهل تخشى أن يتزيد عليك ؟

ابراهيم مصطفى — أنا لا أخاف التزيد ولا أهاب الافتراء ، لأنى أملك تكذيب المفتريات،وأستطيع دحض الأباطيل؛ ولو كان زكى مبارك يفترى على الناس لكان أمره أخفّ وأسهل ، ولكنه مع الأسف يبرع فى تصوير الصدق

منصور فهمى — وما الخطر من تصوير الصدق ؟

ابراهيم مصطفى — الخطر عظيم جداً . وإليك توضيح هذه

المعضلة: زكى مبارك يحرص على أن يصورك فى أحسن أحوالك، وأحسن أحوال المؤمن حال الصلاة . فهل تعرف كيف يصورك وأنت فى صلاتك ؟ يصورك وأنت راكع أو ساجد ؛ فهل يرضيك أن تصوَّر فى حال الركوع أو السجود ؟

توفيق الحكيم — هذه أخيلة باريسية ، وهى تشهد بروعة ذكائك يا أستاذ ابراهيم

ابراهيم مصطفى — العفو ، ياأستاذ توفيق ، فتلك وثبة من الخيال ساقها هذا الحوار الطريف

أحمد أمين — أرجو أن تعفونى من هذه المطايبات ، فلولا مراعاة المقام لانصرفت

طه حسين — أؤكد لك أن الدكتور زكى لم يقصد إيذاءك فيما كتب عنك . ألم تر كيف احتمله سنين وهو يلحّ فى اتهامى بالجهل ؟

زكى مبارك — لم أتهم سيدى الدكتور بالجهل المطلق ، معاذ الله ، وإنما اتهمته بالجهل بالقياس إلى السيو برونو والمسيو دى لاكروا ، وقد توليا عمادة كلية الآداب فى باريس

أمين الخولى — كلام طيب ، يافتوة المنوفية ، فلا مانع عند الدكتور طه من أن يكون فى باريس من هو أعلم منه ، فقد تخرَّج فى مدينة النور وهو يثنى على أساتذتها فى كل حين ، ولكنك اتهمت الأستاذ أحمد أمين بالعامّية الفكرية ، فما هو المخرج من هذا الاتهام الفظيع ؟

زكى مبارك — لم أتهم الأستاذ أحمد أمين بالعامية المطلقة ، ولكن بالقياس إلى الشيخ خربوش

طه حسين — ومن الشيخ خربوش ؟

زكى مبارك — الشيخ خربوش عالم علاّمة لا يقاس إليه الأستاذ أحمد أمين

على عبد الرازق — ألم أقل لكم إن هذا الحوار يستحق التدوين ؟

عبد الواحد خلاف — هذا الحوار ينفع فى تهدئة أعصاب الأستاذ أحمد أمين ، وقد بدأ يبتسم ، ولكن المهم هو الاستفادة من هذا المجلس فى تغيير المذهب الأدبى للدكتور زكى مبارك ، فهو أقدر أدبائنا جميعاً على إحداث الضجات الأدبية ، ولا أدرى كيف رجع سلماً من العراق ...

توفيق الحكيم — كنت تنتظر أن يلقى حتفه هناك ؟

طه حسين — كان يستريح ويريح ، كما قال أحد الكتّاب

زكى مبارك :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زا ت لكم خالداً خلود الجبال

أحمد أمين — أى جبال وأى خلود ؟ أليست لنا أقلام تفل قلمك بأيسر جهد ؟

عبد الواحد خلاف — أرجو أن تسمعوا بقية كلامى . إن زكى مبارك أقدر أدبائنا جميعاً على إحداث الضجات الأدبية ، ولكنه لا يوجّه نشاطه إلى ما يفيد .

زكى مبارك — وبماذا تشير أيها السيد ؟

عبد الواحد خلاف — أشير بأن تعود سيرتك يوم كنت تؤلف فى النثر الفنى والتصوف الإسلامى ، فتوجه مجادلاتك ومصاولاتك إلى القدماء

طه حسين — الأمل بعيد فى توجيه الدكتور زكى إلى ما يفيد وينفع

زكى مبارك — يا سيدى الدكتور . . .

طه حسين — فلقتنى يا أخى بعبارة « سيدى الدكتور » وقد تحيرت فى أمرك ، فأنت فى المجلس رجل لطيف ، ولكنك حين تخلو إلى قلمك تنقلب إلى شيطان مَريد

أمين الخولى — دافع عن نفسك يا زكىّ فإنى أخشى أن ينهزم فتوّة المنوفية

زكى مبارك — لى كلمة يا سيدى الدكتور ، ولا تؤاخذنى بالحرص على هذه العبارة ، فقد حضرت دروسك بضع سنين ولا أستبيح الهجوم عليك

طه حسين — ألم أقل لكم إن زكى مبارك رجل Original

زكى مبارك — أشكر لك هذا اللطف يا سيدى الدكتور ، ثم أقول إنى تلقيت عنك مبادئ الظلم والاعتساف

عبد الوهاب عزام — إيوه ، ياعم زكى ، هات ما عندك هات

زكى مبارك — تذكرون المناوشة التى قامت بين الدكتور طه والدكتور منصور على صفحات الأهرام فى سنة ١٩٢١ ؟

منصور فهمى — أية مناوشة ؟ ذَكِّرنى فقد نسيت

زكى مبارك — كنت ياسيدى الدكتور أثنيت على أسلوب

المنفلوطى ، فهاج أستاذنا الدكتور طه وماج ، ودعاك إلى أن تسمّى الجمل جملاً والأرنب أرنباً ، أو كما قال ، ومعنى ذلك أن المنفلوطى ليس بكاتب ولا أديب

طه حسين — ثم ؟

زكى مبارك — ثم جاء الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين الذى أنكر أن يكون المنفلوطى كاتباً أو أديباً فاعترف بأن الأستاذ أحمد أمين كاتب وأديب وسمح بأن يدرس أسلوبه على طلبة السنة الأولى بكلية الآداب

طه حسين — ما هذا الحشيش ؟

زكى مبارك — أنا لم أذق الحشيش أبداً ، ولكنى أؤكد أن أسلوب أحمد أمين يدرس فى كلية الآداب

طه حسين — هذا مستحيل

أحمد أمين — الكلية تدرس أساليب المعاصرين جميعاً

زكى مبارك — وأنت كاتب ولك أسلوب ؟

منصور فهمى — احترس يازكى من الخروج على أدب الخطاب

أحمد أمين — ليتكم صدقتمونى حين قلت إن زكى مبارك لا ينقد الباحث نقد العالم للعالم وإنما ينقده نقد المصارع للعالم

زكى مبارك — وأنت عالم يا أستاذ ؟ وهل يكال العلم أيضاً بمكيال ؟

أحمد أمين — العلم كله عندك ، ونحن تلاميذ مبتدئون !

على عبد الرزاق — هذا الحوار لا يستحق التسجيل !

عبد الحميد العبادى — هو على كل حال صورة من صور التاريخ !

توفيق الحكيم — أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه؛ فقد كنت أحب أن تكون بين الأدباء صداقات عظيمة كالذى يعرفه الأدباء العظماء فى باريس ولندن وبرلين

عبد الوهاب عزام — وكالذى شهدناه بين زكى مبارك وأحمد أمين !

طه حسين — إن ذهنى لا يسيغ القول بأن النقد يفسد ما بين الأصدقاء

شفيق غربال — أعتقد أن الدكتور زكى رجل طيب القلب، وقد قرأت مقالاته عن الأستاذ أحمد أمين بارتياح ، وجنيت منها كثيراً من الفوائد الأدبية . ولو أنه نزه قلمه عن بعض العبارات التى جرت مجرى السخرية من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أى ملام

توفيق الحكيم — ولهذه المقالات مزية أخرى غير الفوائد الأدبية ، فقد بغّضتنى فى الجوّ الأدبى عندنا وحبّبت إلىّ قضاء الصيف فى أوربا ، ولم أرجع إلا بعد أن ظننت أنها انتهت ؛ ثم كانت حسرتى شديدة حين رأيت أن زكى مبارك لا يزال يبدئ ويعيد فى شرح جنايات أحمد أمين . ولولا الحرب لرجعت من حيث أتيت ، فمن أين يجد زكى مبارك كل هذا الكلام الطويل العريض ؟

شفيق غربال — المسئول عن هذه المتاعب هو الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا المسئول ؟

شفيق غربال — بالتأكيد ، أنت المسئول ، لأنك مضيت فى بحثك طول الصيف ، وهيأت المجال للدكتور زكى مبارك . والذى يقدّم الوقود للنار لا ينكر عليها الاشتعال

طه حسين — هل أفهم من هذا أن الجوّ الأدبى عرف الحياة فى هذا الصيف ؟

زكى مبارك — يكفى يا سيدى الدكتور أن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين نقل مكتبته إلى الاسكندرية فى هذا الصيف ليجد الشواهد تحت يديه وهو يردّ علىّ

أحمد أمين — أنا رددت عليك ؟ وهل قلتَ كلاماً يُردّ عليه ؟

زكى مبارك — الله يعلم كيف شغلت قلبك وعقلك، وكيف قهرتك على مراجعة المؤلفات الأدبية ، والمصنفات الفقهية . وهل تستطيع يا أستاذ أن تقول إنك تجهل منزلتى الأدبية ؟

أحمد أمين — إن مقالاتك فى الهجوم علىّ زهدت القراء فى علمك وأدبك

شفيق غربال — سمعت غير هذا . سمعت أن مقالات الدكتور زكى مبارك فى الهجوم على الأستاذ أحمد أمين دلت على اطلاع

فائق وتفكير عميق ، وسمعت من يقول إنه لم يعرف قيمة زكي مبارك إلا بفضل هذه المقالات

منصور فهمى — وهذا يشرح جانباً من عقلية المجتمع ، فالجمهور يعرف زكى مبارك الناقد ولا يعرف زكى مبارك المؤلف ! لأنه ينقد وهو ثائر ويؤلف وهو هادىء

طه حسين — زكى مبارك يصطنع الثورة فى كل شىء حتى التأليف ، ولكن ثورته فى مؤلفاته لا تلفت نظر الجمهور لأنها فى الأغلب متصلة بالقدماء ، والهجوم على القدماء لا يثير تطلّع الناس إلا حين يمس العقائد من قرب أو من بعد ، كالذى وقع يوم ظهر كتاب الشعر الجاهلى

زكى مبارك — ومن أجل هذا حرص سيدى الدكتور على تغليظ بعض الألفاظ ليوجه الأنظار إلى كتابه النفيس !

طه حسين — وبعدين لك ، يادكتور زكى ؟

زكى مبارك — لا بَعْدين ولا قَبْلين ، ولكنى أحب أن أعرف كيف تكون الصراحة حلالاً فى وقت وحراماً فى وقت ؟ وكيف يحلّ لسيدى الدكتور ما يحرُم على سائر الناس ؟

طه حسين — يظهر أنك تحب أن تتمتع بالحرية الكاملة فى حياتك العقلية ، ويظهر مع الأسف أنك لم تعتبر بما عاناه أحرار الفكر فى هذه البلاد ، فما تحسدني عليه حلال لك حين تشاء . وإنى أرجو أن يبعد اليوم الذى ترجع فيه عن شططك وجوحك ، اليوم الذى تيأس فيه من إنصاف الناس كما يئستُ من إنصاف الناس

منصور فهمى — ولكن ما الموجب للتعرض لما يمس العقائد ؟

طه حسين — اسأل نفسك يا منصور فلك مع العقائد تاريخ

منصور فهمى — كان ذلك فى عهد الشباب

طه حسين — وكان منى ما كان فى عهد الشباب ، وإن لم يمض عليه غير عشر سنين ، والحسرة تلذع قلبى كلما تذكرت أنى لا أملك مكايدة الجماهير من جديد . وهل نكايد الجماهير إلا بفضل ما يثور فى دمائنا من ثورة وطغيان ؟

عبد الواحد خلاف — ومعنى ذلك أن الدكتور زكى مبارك يكايد جماهير الأدباء لأنه لا يزال فى عنفوان الشباب ؟

طه حسين — الذى أعرفه أن زكى مبارك صار من طبقة الكهول ، بحكم السن على الأقل ، فقد شهدت مشاغباته بدروس الأستاذ على عبد الرازق فى الأزهر سنة ١٩١٢

زكى مبارك — وأنا شهدت مشاغباتك يا سيدى الدكتور بدروس الشيخ محمد المهدى فى الجامعة المصرية سنة ١٩١٣

أحمد أمين — ومع هذه السن العالية لا يزال زكى مبارك يمعن فى الغزل والتشبيب كأنه فى سن العشرين

شفيق غربال — هذه الدعابة تدل على أن الأستاذ أحمد أمين صفت نفسه وطابت

طه حسين — فهل نرجو أن يكف زكى مبارك عن العدوان بعد هذا الصفاء ؟

زكى مبارك — هل تصافينا حقيقة ؟

أحمد أمين — لن نتصافى أبداً بعد الذى كان

زكى مبـارك — يظهر أنك تستروح بالهجوم عليك ، وسأخيّب ظنك فأسكت عنك بعد ثلاث أو أربع مقالات ... مساء الخير ، يا سيدى الدكتور ، والحمد لله الذى أرجعك إلينا بخير وعافية .

« مصر الجديدة » زكى مبارك



من تاريخنا العلمي

طالب عــــلم ...

للأستاذ علي الطنطاوي

قال (محمد بن سعيد) :

— ويك اتق الله يا أبا فلان . إنك لتوشك أن تقتل هذا الرجل الصالح وتبوء والله بدمه . ويك اتق الله ، لا تطرده من (فندقك) فإنه غريب نائي الديار ، قطع سباسب وبحاراً ، وجاب ما بين المشرقين . . .

قال : أبقيّ بن مخلد[1] جاب ما بين المشرقين ؟

قال : نعم ، وهل تراني عنيت غيره ؟ إنه حاجتي إليك ، وما سألتك حاجة قبلها ، أفلا تقضيها لي ؟ إنه شيخ جليل القدر يحمل الحديث ويروي السنن ، أفندعه يموت على قارعة الطريق ؟

قال : وما أصنع به أنا ؟ لقد آويته في فندق عامين اثنين ، لا آخذ منه مالاً ولا أرزؤه شيئاً ولا أعصى له أمراً ، أفيكون جزائي أن أجحف عليه نفسي حتى يموت ، فيخرج من فندق محمولاً إلى القبر فيتشاءم الناس بالفندق فيتحامونه فأفلس ؟

إنه مريض أنهكته الأوجاع وأدنفته الحمى ، ولقد أعجز نقاريس الأطباء ، وما أراه إلا ميتاً العشية أو غداة الغد . . . فارحموني ، أنقذوني منه ، ليس لي به حاجة . . . قبحها الله ساعة أكريته فيها هذا البيت ، لقد كانت ساعة ما حضرها مَلَك ...

قال : اربع عليك أيها الرجل فإنك في نعمة لو عرفت قدرها لقطّعت الليل بحمد الله عليها . إنك لا تدري أيّ خير ساقه الله إليك ، وأي أجر كتبه لك ، فأقم نفسك في خدمته ، وارجُ وجه الله ، أطمعْ لك بالجنة

قال : إني والله لفي بليّة لو عرفت مداها لما لمتني على الجزع منها . إنك لا تعرف هذا الشيخ أي رجل هو ؟ أأقول لك : إنه لم يبت عندي ليلة واحدة حتى خرج بخلقان بالية ومزق مخرقة وركوة وعصا ليسأل الناس . . . مالك تضحك من كلامي ؟ . . . أتهزأ بي يا ابن سعيد ؟

قال : لا . ولكنك لا تدري ما شأن هذا الرجل

قال : وإنّ له بعدُ لشأناً ؟

قال : وأي شأن ؟ هذا رجل هجر جنّات الأندلس ورياضها ، وعيونها وأنهارها ، ومكانة له فيها سامية ، وجاهاً له عريضاً ... وفارق أهلاً فيها وصحباً ، وعشيرة كبيرة ، وأموالاً كثيرة ، وذهب يخوض اللجج والبحار ، ويجوب السباسب والقفار ، ليقدَم بغداد ، لا طمعاً بجاه يناله ، أو مال يحصله ، أو صديق يزوره ، أو امرأة يخطبها ، أو لذّة يطلبها ، ولكن رغبة في العلم وحباً للحديث ، وشوقاً إلى لقاء أبي عبد الله :

فلما سمع الفندقي اسم أبي عبد الله انتبه وتبدلت حاله ، وطفت على وجهه خيالات من الحب العظيم ، والإجلال الكبير ، الذي يحتفظ عليه قلبه لهذا الإمام ، وقال بلهجة أرق ، ونغمة أعذب ، قد ذاب فيها حقده على بقيّ بن مخلد في محبته لأبي عبد الله

— أتقول إن الرجل قدم من الأندلس ليلقى أحمد بن حنبل ؟

— نعم

— ياله من شرف في الدنيا والآخرة ! وهل لقيه ؟ ألا تخبرني كيف لقيه ؟

قال : إنه نزل عليك في هذا الفندق فألقى فيه متاعه ، وذهب يطلب أبا عبد الله ؛ وكان ذلك أيام المحنة والناس لا يجرؤون على ذكر اسمه ، وأبو عبد الله منفرد لا يلقاه أحد إلا أخذته عيون السلطان فناله أذى شديد . . . فلما علم الرجل بذلك ناله من الغمّ ما الله عالم به ، فأمّ المسجد الجامع في الرصافة يسمع من المحدثين فما زال يمرّ بالحلق حتى انتهى إلى حلقة نبيلة ، فوقف عليها ، وكنت أول من رأى زيّه الغريب ، فسلمت عليه أونس غربته ؛ فسألني : من هذا الشيخ ؟

قلت : يحيى بن معين ، وكان يعرفه ، ومن لا يعرف يحيى ابن معين ؟ فوقف ساعة ، ثم لمح فرجة قد انفرجت فقام فيها ، وكان الشيخ يكشف عن الرجال[1] فيقوى ويضعف ، ويزكي ويجرح ، فقال :

(١) انظر الصفحة (٧٩) من مختصر طبقات الحنابلة طبع دمشق

(١) أي رجال الحديث ، وأولئك لعمري هم الرجال .

— يا أبا زكريا — رحمك الله — رجل غريب نائي الديار ، أردت السؤال ، فلا تستخفني

فقال الشيخ : قُلْ

فجعل يسأل عن بعض من لقي من أهل الحديث — وكان قد لقي منهم خلقاً كثيراً — فبعضاً زكّى وبعضاً جرح ، فسأله عن هشام بن عمّار وكان قد أكثر الأخذ عنه ، فقال الشيخ :

— أبو الوليد هشام بن عمار صاحب صلاة دمشق ، ثقة وفوق الثقة ، لو كان تحت ردائه كبر ما ضرّه شيئاً لخيره وفضله

فتصايح أهل الحلقة :

— حسبك رحمك الله حسبك ، غيرك له سؤال

فقال وهو واقف على قدم :

— أكشفك عن رجل واحد : أحمد بن حنبل ؟

فما قالها حتى جمد الناس وعلت الشيخ كآبة ، ونظر إليه متعجباً كأنه يقول له : أعن أحمد يسأل أحد ؟ وهل تجرؤ على ذكره ؟ وكأن الشيخ قد خالطه شيء من الجزع ، ثم غلب عليه إيمانه فلم يعد يبالى السلطان وغضبه ، وقال للسائل :

— من أين أنت أيها الرجل ؟ نحن نكشف عن أحمد ابن حنبل ؟

وسكت الشيخ لحظة ثم قال بجرأة عجب لها الناس ولبثوا شاخصين ، ينظرون إلى الشيخ يخافون أن تتخطفه جلاوزة السلطان . . .

قال الشيخ :

— ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم

* * *

ثم إن الرجل ذهب يستهدى الناس إلى دار أبي عبد الله فمنهم من يعرض عنه خشية أن يكون عيناً للسلطان ، ومنهم من يجرؤ فيمشي معه خطوات ... حتى انتهى إلى الدار

فنال الإعجاب من نفس الفندق كل منال ، وسأله :

— أتقول إنه زاره في منزله أيام محنته ؟

قال محمد بن سعيد : نعم . قرع عليه الباب فلما فتح له قال : إني رجل غريب أتيتك من مكان سحيق

قال أبو عبد الله : مرحباً بك ، أين بلدك ؟

قال : الأندلس

قال : أفريقيّة ؟

قال : لا ، أبعد من ذاك ، أركب البحر من أفريقية إلى بلدى

قال : لا جرم إنه بعيد ، فما حاجتك ؟

قال : أسمع منك ، وأروى عنك

قال : ولكني كما رأيت وعلمت ، لا ألقى أحداً ، ولا يدعون أحداً يلقاني ، ولست آمن عليك الأذى إذا أنت أتيتني

قال : ما كنت لأبالي في سبيل الأخذ عنك أذى ولا عذاباً

قال : فإن هم منعوك ؟

قال : أحتال بحيلة ، آتيك بزى السؤال فأصيح : الأجر رحمك الله ، فتفتح لي وتحدثني

قال : على ألاّ تظهر في الحلَق فيعرفوك

قال : على ألا أظهر

فكان يفعل ذلك ، وكنيت تظنه يخرج فيسأل الناس

فعاد الفندق يسأل متثبتاً ، وقد كبر الرجل في عينيه حتى كأن الذي تحتويه غرفته ملك أو وزير ، عاد يسأل متثبتاً :

— إذن فهو من (أصحاب) أحمد بن حنبل

قال : نعم ، ولبث على ذلك حتى رفع الله المحنة وولي الأمر (المتوكل) فأحيا المذهب الحق ، مذهب أهل السنة ، وأمات البدعة ، وجزى الله أحمد بما صبر ، فكان كما تعرف وأعرف إمام الأمة ، وأيد الله به الدين كما أيده بأبي بكر يوم الردة فصار يعرف لهذا الرجل حقه ويقول لأصحابه : (هذا يقع عليه اسم طالب العلم)

قال الفندق :

— جزاك الله يا ابن سعيد خيراً ، فقد عرفتني حقه ، فهلم بنا إليه ...

* * *

كان بقيّ بن مخلد الأندلسي وحيداً في غرفته ، يتقلب من الألم ، ويتلوى من الحمى ، قد طحطحه المرض ، وهدته الأوجاع فما أبقت منه إلا هيكلاً كالقناة الجوفاء يتردد فيها الهواء ، ولما يشكو من الحنين إلى بلده ، والتشوق إلى أهله أشد عليه من كل ذاك

ولم يكن في البيت إلا لبد اضطجع عليه ووسادة ألقى عليها رأسه ، وكتبه مبثوثة من حوله ما يدعها ، إذا أدركه انتباه نظر

فيها ، فإذا غاب عنه من الوجع عقله تركها في مكانها ، فلما دخلا عليه ألفياه يقرأ في صحيفة في يده . فجلسا ساعة يؤنسانه فما شعرا إلا غجّة تدنو حتى حسباها قد استقرت في الفندق ، فنظرا من الشباك فإذا الرحبة والطرق التي تؤدي إليها ما فيها موطئ قدم خلا من إنسان . فاضطرب الرجل ونزل يسأل أن ماذا جرى ؟ فما أحسّ إلا الناس يقولون : لقد أتى ... هو في الطريق ... فأيقن أنه الخليفة ، ولكنه رأى موكب الخليفة غير مرة فما رأى مثل اليوم ... ودنا من شيخ واقف في أطراف الناس فسأله من القادم ، وأين يذهب ؟

فقال : إنه أبو عبد الله الذي لا يمشي إلى الخليفة ، قادم ليعود مريضاً في هذا الفندق . فصاح الفندقي :

— أبو عبد الله قادم إلى فندقي ، أبو عبد الله ؟ وطفق يصيح ويثب لا يدري ما ذا يصنع وماذا يقول ، وما يحفله أحد لأن الناس يتشوفون إلى الطريق ينظرون ، وقد احتشدوا فيها فما بقي بزاز في دكانه ، ولا تاجر في سوقه ، ولا طالب علم في حلقته ، ولهم دويّ وجلبة ...

وصحا الفندقي على نفسه ، فإذا هذا البحر ينشق بقدرة الله ، وإذا الخلق يسكتون حتى كأن على رؤوسهم الطير ، ويبدو الإمام ومن حوله طلبة العلم قد احتشدوا من جهات بغداد كلها . بغداد العظيمة التي يسكنها مليونان وبأيديهم قراطيسهم وأقلامهم يكتبون كل كلمة يقولها فانتحى الإمام إلى الغرفة ، فوقف على المريض فقال له :

— يا أبا عبدالرحمن ! أبشر بثواب الله ، أعلاك الله إلى العافية ، ومسح عنك بيمينه الشافية

فتناقل القوم ما قال فكتبوه

***

ومرّت أعوام بعد ذلك وأعوام ، والناس يذكرون هذا اليوم المشهود . أما الفندق فغدا منذ تلك الزيارة محط رجال العلماء والكبراء ، ودرت على صاحبه أخلاف الرزق ، وأما بقيّ فقد شفاه الله وعاد إلى الأندلس فملأها علماً ...

علي الطنطاوي

ســـــارا كينوس

SARACENUS

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

جاء في العدد ٣٢٤ من هذه الرسالة العالية ، كلمة بعنوان « يا رسول الله » ، (لأستاذ جليل) ينم عليه قلمه !

استهلها بآية من آياته ، وبينة من بيناته ، وتلك قوله :

« إن الدهر قد جار على قوم عرب !! »

ثم نقل من (التنبيه والإشراف) للمسعودي هذه النبذة :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية ، فغير ذلك نقفور ، وكتب (ملك الروم) وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب ، وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) تفسير ذلك : عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت (يعني سنة ٣٤٥) تسمى العرب (سارقينوس ...) اهـ

وأستاذنا الجليل ، وهو « سباق غايات ، وصاحب بينات » كان حقاً عليه أن يقف لحظة أمام هذه (الكلمة) فيعالجها معالجة يردها إلى أصلها ، أو يقول قولاً في فصلها ؛ إذ هذا مجراه وديدنه في كل ما يرقمه قلمه البارع في شتى « بحاثاته » ...! ولكنه لم يفعل بل تركها تجري في عبارة المسعودي غامضة الوضع ، عسيرة الفهم ، ملحقةً بذلك التفسير الذي يغلب على الظن أن المسعودي فسره تفسيراً خياليًّا بقوله : « عبيد ساره » أخذاً من الهجاء الأول « سارا » من كلمة : « ساراقينوس » ، والدليل على بطلان هذا الكلام عن المسعودي ، وإن كنا لا نستبعد أن لوجود « سارا » أو « سارة » في بنية هذه (الكلمة) من أمر ، قوله : « وقال « أي نقفور » تسميتهم عبيد ساره كذب » لأن ملكاً من ملوك هذه الصفرة لا يمكن بحال من الأحوال أن يجعل من نفسه مدافعاً عن العرب ، أو يعني بمثل هذا التعليل وغاية ما في الأمر أن لخيال المسعودي أثراً في هذا ، فمن وجود « سارة » في هذه الكلمة يتبادر إلى ذهن « المؤرخ » الأسطورة الخرافية

الداهية التى « تحطّ » من قدر الاسماعيليين أبناء هاجر بالنسبة « لسارة » الزوجة الشرعية لإبراهيم الخليل . . . وهذا ما وقع فيه المسعودى ، فلا يُسلَّم له بهذا ، إلا إذا جاء نصٌّ من اللاتينية أو الإغريقية يقول إن « كينوس » بمعنى « عبد » حينئذ يمكننا أن نركن البنادق مسلّمين !

وسيرى الأستاذ الجليل ، من الأقوال الآتية فى أصل هذه الكلمة وما قاله المؤرخون ، قدامى ومحدثون ، ما يجعله يقلّل من أهمية رواية المسعودى الذى إذا صح أنه لم يبتدعها من خياله ، فقد أمكن حينئذ أنه استقاها عن طريق . . . (اسرائيليات !) والنكتة فى هذا معلومة !

هذه الكلمة قد سجلها التاريخ فى مطاويه منذ عهد عريق جداً ، فالعرب لا تعرفها مطلقاً ، إذ لم تشتهر فى تاريخهم ، وما وردت فى نظمهم ولا نثرهم . فإذا كان المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى ذكرها ، فلا شك أنها هبطت عليه عرضاً ، واقتنصها اقتناصاً من أحاديث الروم . ومعنى هذا أنها غير مشهورة بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم فهم يجهلونها كل الجهل جهلهم بأصلها !

وهى سارية فى كل اللغات الأوربية بهذا المفهوم اللهم إلا فى الهجاء الثانى منها فإنه يختلف اختلافاً بسيطاً بحسب اختلاف اللُّغى واللهجات ...

أما التوصل إلى حقيقتها والتعرف على كُنه تحدرها فى مجرى التاريخ فهذا لا يكون إلا بالوقوف على ما كتبه مؤرخو أمتى البحر المتوسط : الإغريق والرومان ؛ فلهاتين الأمتين صلات وثيقة وتجارة جارية . أجل ، عند هاتين الأمتين نشأت كلة « ساراكينوس » ووردت فى تاريخهما معزّزة بهجاتهم المتوالية على حدود الممالك الإغريقية والرومية فى مصر وفلسطين وما وراء بلاد الأنباط . وكانت قوافل السبأيين من أقصى الجنوب تفيض موقرة بالأحمال ، معطّرة الأعطاف بالبهار والأطياب فتتسلمها أيدى هؤلاء «السرا كينوس» لتتوزع فى قصور أوربا ومعابدها عن طريق الأغارقة والرومان ...

وإذا كانت هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور فى دائرة ضيقة من التعريف ، لا تطلق على الشعب العربي كله وإنما كانت خاصة بقبيل معيّن يسكن على شواطئ خليج العقبة فى الجزء الجنوبى لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ «ساراكينى»[1] Sarakini

وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة فى كتاب المؤرخ الإغريقى دوسكوريدس Dioscurids of Anazarabos فى منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « الفل » فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » .

وذكر المؤرخ الرومانى بلينوس الأكبر فى كتابه « التاريخ الطبيعى » ، وقد كان معاصراً للاغريقى السابق الذكر ، هؤلاء « السراكين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية فى صميم الصحراء ، والتى تتاخم بلادهم بلاد الأنباط » .

وجاء على أثر هؤلاء المؤرخ بطليموس ، فى منتصف القرن الثانى للميلاد ، فذكر بلاد « السراكين Sarakene » ، فقال : « إنها تقع فى بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea وعين مكانها بقوله إنها تقع فى غرب الجبال السوداء التى تمتد ـ بناء على قوله ـ من خليج فاران[2] إلى أرض اليهودية ... »

ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد ونقض قوله ، فقال فى موضع آخر من مؤلفه: إن «السراكين» شعب يقيم فى داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Feliza يقصد بذلك بلاد اليمن . وزاد على ذلك فقال : إن « السكينتس » Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السراكينوس » والثموديون[3] !

وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة فى المسكن بين « السراكينوس » و « العاديين » مثلاً ؛ فأولئك ـ كما علمنا ـ مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم فى جبال حضرموت والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس !

ولعل بطليموس قاس هذا قياس استيطان لا قياس مساحة بالنسبة لجهله بأبعاد الجزيرة . وأما قوله إن « السراكينوس » على مقربة من « قوم عاد » كما ذكرنا ، فى بلاد العرب السعيدة ،

(١) Enciclopedia Italiana, Art. Saraeino

(٢) خليج فاران ، هو خليج العقبة . وأرض فاران هي الصحراء خلف العقبة

(٣) Encyclopedia of Islam, Art. Saracens

بعد أن أقرهم فى بلاد العرب الحجرية ، فلا يبعد أنهم كانوا يفهمون كل ما هو خلف بلاد الأنباط من بلاد ، هو من بلاد العرب السعيدة ، إذ هم يتصورون أجواءها وراء هذه الحدود ، والسرا كينوس كانوا عند مايهاجمون هذه الممالك سرعان ما يختفون فى أجواف هذه الصحراء صوب اليمن ...

مع كل ما سبق ، إذا جئنا نتلمس هذه الكلمة فى الأسفار اليهودية والسريانية لم نعثر فيها على ما يشفى غلة الباحث الصادى . نعم ! إن الكنائس السريانية قد برّزت فى هذا المجال فحفظت لنا أسفاراً قديمة جداً تتعلق بأخبار الساميّين — وخاصة ما يتعلق بهم من ناحية العقيدة ، كما يتضح لنا هذا فى « كتاب الحيريين » الذى نقله من نص سريانى الأستاذ (إكسل مورج) المدرس بجامعة لند Lund من أعمال السويد . أما « السرا كينوس » فلم يرو لهم ذكر يذكر فى هذه الأسفار السريانية ، ما خلا رسالة وضعها برداسانيس السريانى فى بداية القرن الثالث للميلاد بعنوان Ketaba de namose d'ataivata ذكر فيها الطائيين Tayoye و « السرا كينوس » Sarakoye بقوله : « إنهما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرحالة »(١)

واستمر الحال على هذا فى تلك الأعصار الماضية والسرا كينوس لا يعرفون إلا فى تلك الطوائف الصغيرة التى تظهر أحياناً مغيرةً من وراء الحدود النبطية ، حتى نهض العرب نهضتهم المشهورة ، حاملين الرسالة الإنسانية ، فبدت طلائع خيلهم من وراء التخوم الفلسطينية تتواكب شمالاً ويساراً على حفافى البحر المتوسط ؛ فاهتزت لها أرجاء المملكة الرومانية ، وارتعدت لها فرائص القياصرة ، وسرى أمر «السرا كينوس» بين أمم البحر المتوسط مسير الشمس ، فأصبحت هذه الكلمة من هذا الحدث التاريخى العظيم قد أخذت لها معنى واسعاً عن ذى قبل ، فكانت سمة الشعب العربى كله

من هذا نرى أن الكلمة قد تقمصت شكلا آخر أو مشت متطورة إلى دور ثان ، وسنراها كذلك قد دخلت فى طور ثالث ؛ وذلك أن العرب عند ما اشتدت هجماتهم على ممالك الروم فى مصر والشام ، وذاع من أمرهم أنهم يحملون ديناً جديداً إلى العالم ، أقضّ هذا مضجع الكنيسة الشرقية فى عاصمة بيزنطية.

(١) Encyclopedia of Islam

فأرسلت رسلها إلى الكنائس الغربية تنبئها بأمر المسلمين ، وأن شيئاً جديداً قد صار يهدد الكنائس ! !

ولما ودع هرقل سورية وداعه الأخير الشهور ، واكتسحت جحافل ابن العاص فلول الرومان فى مصر ، كان أمر « السرازين » قد ملأ النفوس رعباً وممالك الفرنجة اضطراباً ، حتى أصبحت هذه الكلمة من مرادفات الهول والموت ؛ ومن ذلك الوقت عُرف المسلمون بـ «السرازن» وإن كانوا هم العرب فى حقيقة الأمر والواقع !

وبقى البيزنطيون على وجه أخص يطلقون هذا الاسم على المسلمين إلى أواخر القرون الوسطى حتى سقوط الخلافة فى بغداد . يؤكد لنا هذا خبرُ ابن بطوطة عند مادخل القسطنطينية لحياه امبراطورها باسم « سرا كينو » Sarakino أى مسلم

ولما استقر العرب فى أسبانيا كانت كل الأمم الأوربية قد سمعت بـ « السرازن » وراحت هذه اللفظة متغلغلة فى آداب هذه الأمم ؛ فاستعملها الفرنسيون فى شعرهم الحماسى Epique باسم « السرازن » Sarrazin أى القرة السمراء (كما يقولون !) يعنون بذلك عرب أسبانيا نظراً للونهم الصحراوى الأسمر !

ثم أخذت طريقها بعد ذلك إلى إيطاليا ، فتسللت إلى شعر الفروسية الإيطالية باسم « ساراشينى » Saracini ، وفى أثناء الحروب الصليبية كان المسيحيون يطلقونها أيضاً على المسلمين أجمعين ، وقد ذكرها الشاعر الإيطالى (دانتى) فى (جحيمه) بقوله(١) : e non Con Saracin nè Con Judei

ومعلوم من التاريخ أن غزوات العرب قد وصلت إلى ممار جبال الألب ومنافذ سويسرة بعد أن استولوا على جزء عظيم من جنوب وشمال إيطاليا . وفى استطاعتنا أن نقول إنه لا يوجد اليوم جزء من أجزاء العالم يردد أهله ذكر (السرازن) فى حكايات أقرب إلى أن تكون من عمل خيالات القصصيين المولعين بأخبار الحماسة ، كبلاد سويسرة . فعلى جبال هذه البلاد بنى (السرازن) آطامهم وقلاعهم وحصونهم ، وما زالت حتى هذه الساعة محتفظة باسمهم ، وفى مهاوى هذه الشعاب البعيدة عن العالم تقوم كنائس وأديرة ما فتئ رهبانها يذكرون أخبار (السرازن) فى عبارات مزيجة بالخرافة والتاريخ !

(١) Dante, Inf. Canto, XXVII, 87 ومعنى الشطرة : وليس مع المسلمين ولا مع اليهود .. (فى كلام له ما قبله)

هذه قصة « السراكينوس » تتبعناها من منبعها إلى موقعها بحسب ما توفر لنا من البحث والزمن ، ويرى القارىء من هذا التفصيل السابق أن هذه الكلمة قد أصبح أمرها معروفاً من حين خروج العرب من جزيرتهم ، وأنها لا تطلق إلا عليهم ، ولكن المشكل المحيّر هو :

من هم هؤلاء « السراكينوس » قديماً ؟

ومن أين اشتق هذا الاسم ؟

سؤالان لم يجزم بحقيقتهما حتى الآن ؛ فقد ذهب المؤرخون في مأخذ هذا اللفظ مذاهب شتى ، كلها من قبيل الظنون والرجوم ، فظلانها غامضة ، وأثرها مطموس ، وللمؤرخين أقوال في هذه « اللفظة » نجملها فيما يلي :

١ — في العصور القديمة كانت تطلق على قبيل بعينه كما بينا فيما مر ، ولكن في العصور المتأخرة ذهب المؤرخون فيها مذاهب شتى ، فيرى بعضهم أنها :

٢ — تصحيف « شرقيين » العربية ، ويدللون على رأيهم هذا أن حرف « الشين » العربي لا يوجد في الإغريقية ، ولا الرومانية[1]

٣ — « سرّاقين » أي « اللصوص » ، ويقصد بهم سكان الصحراء !

٤ — « ساراكين » أصلها « صحراء ساكن » أي سكان الصحراء !

وبعد فهذه أقوال المؤرخين في هذه اللفظة المحيرة ، ففيها ضعف ، وفيها قوة ، وكلها — في رأينا — لا تغني من الحق شيئاً !

على أنه إذا صحّ لنا الاختيار من هذه الأقوال ، فأقوى الآراء منها القول بأنها تصحيف « شرقيين » فالكلمة إذن عربية أصيلة ، أطلقها الأنباط ، وهم عرب على القبائل التي تناوحهم من جهة الشرق . فسمع منهم الإغريق والرومان هذا اللفظ فأدخلوه إلى لغتهم بتلك النّبرة ، وقد كانت لهم مستعمرات بهذه الأرجاء كما هو معروف . وكلمة « الشرق » و « الشرقيين » لها أصل في لغتنا اليوم ؛ فالمصريون يطلقون على كل من يفد من جهة الشرق « شرقيين » وأهل الحجاز يسمون أهل نجد « شروقا » فليس بعجيب إذن أن يعيد التاريخ نفسه في القرن العشرين !

ولكن مع كل هذا التعليل ، ففي النفس شيء من « سارة » في « سارا ... كينوس » وأن هذا التركيب لا بد وأن يحمل توجيهاً آخر في تحليل هذه اللفظة ، وخاصة إذا أخذنا بأقوال مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع أن « السارازين » انضموا إلى الاسماعيليين الذين كانوا يقيمون في صحراء قادش في مقاطعة فاران حيث ينهض جبل « حوريب » في شرق البحر الأحمر . وفي النفس شيء — أيضاً — من هذا إذا علمنا أن « الهاجريين » أبناء هاجر ، قد اشتهروا في الأدب اللاتيني في القرون الوسطى كمرادف « للسرازين » فهل لعلماء اللغات السامية ، والبرزين في الإغريقية واللاتينية ، كشيخنا العلامة الكرملي ، أن يقولوا كلمتهم في هذا الشأن ، فيعيدوا الحق إلى نصابه ، والسيف إلى قرابه ؟ !

أما بعد هذا كله فإني أختتم هذا البحث بخرّقة قالها أحد المؤرخين الأوربيين ، وذلك أن « السراكينوس » القدامى لا تزال سلائلهم موجودة لليوم ممثلة في قبيلة « السواركة » القبيلة البدوية الصغيرة التي تعيش إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة

وحسبنا أن نقول إزاء هذا التحقيق أن هذه بلية من بلايا البحث توقعها المجانسة في اللفظ ؛ وكم خدعت المجانسة مستشرقين في الغرب وأئمة في الإسلام . فالسواركة هؤلاء وجدوا في عصر متأخر ، يرجعون في نسبهم إلى سيدنا عكاشة الصحابي المشهور[1] وفوق كل ذي علم عليم

(القاهرة) محمد عبد الله العمودي

(١) راجع أخبارهم في كتابي « تاريخ سيناء القديم » لنعوم شقير . و « تاريخ بئر السبع وقبائلها » لعارف العارف .

(١) Amarai, Storia dei Musulmani di Sicilia, vol. I, P. 187

بين سيد الشعراء وسيد رجال المال

للأستاذ صالح جودت

في ليلة مشهودة في التاريخ ، هي عشية الجمعة المباركة من اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ ، ائتمر نفر من سراة القوم في دار الأوبرا « السلطانية » ، ليحتفل بتأسيس أول دعامة من دعائم النهضة الاستقلالية المصرية ، هي « بنك مصر » .

وفي تلك الليلة المزدهرة ، وقف مؤسس هذه النهضة ، محمد طلعت حرب ، يقول بصوت يختلجه الإيمان :

سادتي :

ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت إلينا الاعتراضات الآتية :

أولاً : إننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا في المدنية .

ثانياً : إنه ليس في مصر من يصلح لأعمال البنوك .

ثالثاً : إن الأمة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات ، من أسماء كثيرين ، اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية ...

وماذا يراد أن يُعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذي لا يفي ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين ...

***

دعونا نبتعد عن هذا الحديث قليلاً ، لنتدرج فنعود إليه .

نشأ طلعت حرب — أول ما نشأ — أديباً يحمل القلم ، ويصدر عنه المقال تلو المقال ، والكتاب إثر الكتاب ، ينافح بها في إيمان الكاتب المخلص ، والمسلم المؤمن ، والأديب الموهوب ، عن كيان المجتمع وحرمة التقاليد ، والمحافظة على تراثنا الإسلامي من الفضيلة والعفاف ...

وكانت جهوده الاقتصادية آنذاك تقوم في ركن هادئ من حياته القلبية البارزة .

وهناك ... في أفق الأدب المتسع ، والفن الوضاء ، ارتبطت روح طلعت الأديب ، بروح شوقي الشاعر ، وأدرك كل منهما نواحي العظمة في صاحبه ، ثم مرت الأيام تجلو أقدار الرجال ، وإذا بالروحين الحبيبين ، روح الأديب وروح الشاعر ، لا تزيدهما مر الأيام إلا تسانداً . فكلما بنت يد طلعت حرب ، عزفت قيثارة شوقي . وكلما تحدث طلعت حرب ، تغنى بشاعرية شوقي . فترى طلعت حرب يحتفظ بآثار صاحبه الشاعر في أعز ركن من بيته ، ثم تراه في الحفلة التي أقامها التجار لتكريم الزعيم الطيب الذكر سعد زغلول في فندق سميراميس يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢١ ، ينتهي في خطابه الكريم بقوله :

وأختتم متمثلاً بقول شاعرنا شوقي :

صح بالصباح وبَشِّر الـ	أبنـــاء بالمستقبـل
واسأل لمصر عنـاية	تأتي وتهبط من عل
قل ربنـا افتح رحمةً	والخـير منك فأرسـل
أدرك كنانتك العـز	يزة ربنـا وتَقَبَّـل

أما تراه يقول : « شاعرنا شوقي » ؟ أو لم يكن شوقي شاعر بنك مصر الذي صحبه في شعره من يوم تأسيسه ، وسجل حركاته وبركاته وشركاته ؟

أليس هو القائل للامية المشهورة في تأسيس بنك مصر ، والتي مطلعها :

قف بالممالك وانظر دولة المـال	واذكر رجالاً أدالوها بآجال
وانقل ركاب القوافي في جوانبها	لا في جوانب رسم المنزل البالي
ما هيكل الهرم الجيزي من ذهب	في العين أزين من بنيانها الحالي

أو ليس هو قائل الدالية العصماء في الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس بنك مصر ، التي مطلعها :

نراوحُ بالحوادث أو نُغَادَى	وننكرها ونعطيهـــا القيادا
ونحمـدها وما رعت الضحايا	ولا جَزَتْ المواقف والجهادا
لحاها الله ! باعتنا خيـــالاً	من الأحلام واشترت اتحادا

أو ليس هو صاحب الميمية الخالدة في حفلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر ، التي مطلعها :

نبذ الهوى وصحا من الأحلام	شرقٌ تنبّه بعـد طول منام
ثابت سلامته وأقبـل صحوه	إلا بقـــايا فترة وسـقام

والآن ، آن أن نستجمع آثار هذه الصلة بين سيد الشعراء وسيد رجال المال ، لنرى كيف عكست صورتها الجلية على روحيهما في تلك الليلة المشهودة ، ليلة تأسيس بنك مصر في اليوم السابع من مايو سنة ١٩٢٠ ، حين وقف طلعت يردد ما يثيرون تجاهه من اعتراضات ، فراعنا كل الروعة أن نجد هذه الاعتراضات

مردودة كلها فى قصيدة شوقى التى قالها فى نفس الليلة ، ويدهشك أن يحدث هذا الاتفاق بنير سابق اتفاق لأصالة الروحين الساميتين

الاعتراض الأول ، أننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى الدنية . وفى ذلك يقول شوقى إن الدنيا للمال ، ولا حياة لأمة بغير المال :

والمال ، مذ كان تمثال يطاف به ... والناس مذ خلقوا عُبَّاد تمثال
إذا جفا الدور فانع النازلين بها ... أو الممالك فاندبها كأطلال

والاعتراض الثانى ، أنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك ، وفى ذلك يقول شوقى إننا قد خطبنا المعالى ، وأردنا جلائل الأعمال ، فعلينا أن نعد العدة لها ، فيومئذ لن يصعب على المصرى شىء ، ويومئذ يصلح المصرى لكل جليل ، وهذه العدة هى العلم والمال

يا طالبا لمعالى المُلك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبْنَ مُلكٌ على جهل وإقلال

والاعتراض الثالث ، أن الأمة مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا المشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات

وعندئذ يهيب شوقى بسراة مصر أن يهبوا لدفع هذه الدعوى ، ونصرة الوطن ، إذ يقول :

سراة مصر ، عهدناكم إذا بسطت ... يد الدعاء ، سراة غـــير بُخَّال
تبين الصدق من مَيْن الأمور لكم ... فامضوا إلى المال لا تلووا على الآل

ويحدثهم عن الخير المنتظر من وراء هذه الدار فيقول :

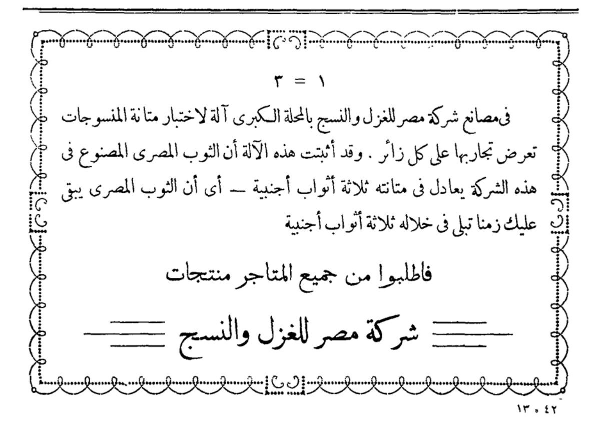
دار إذا نزلت فيها ودائعكم ... أودعتم الحبَّ أرضاً ذات إغلال
آمال مصر إليها طالما طمحت ... هل تبخلون على مصر بآمال ؟
فابنوا على بركات الله واغتنموا ... ما هيأ الله من حظ وإقبال

* * *

يقول الأديب الكبير «تورناد» إن الرجال يذهبون ، ولا يبقى من مجدهم إلا ورقات تتعب رؤوس التلاميذ فى المدارس

ولكن مجد طلعت حرب ، شىء أسمى من مجد الرجال ، وهو باقٍ ما بقى بنك مصر ومؤسساته على أثبت الدعائم ، ودعائمه هى القلوب ، إلى ما شاء الله .

صالح جودت



من وحي الحرب

وداع !...

للأستاذ محمود الخفيف

أفاقت على صيحة روّعت   لدى سكرة الوصل أحلامَها
وطافت بها النُّذُرُ الغاشيات   تُجدِّدُ في العيش آلامَها
وكان صفا دهرُها واغتدى   وضيء الملامح بسّامَها

***

تهاوت طيوفٌ تدلّت لها   من الخلد في أُنسها الناعم
تألَّفُ من لمحات الخلود   ومن روعة الأمل الباسم
وتنسم بالحبّ أنفاسُها   على عشّها الهانئ الحالم

***

أفي ومضة تتلظّى الجحيم   وفي خطرة ترجفُ الراجفه؟
وتمضي رحى الموت في ضجّة   تبيتُ القلوبُ لها واجفه؟
إذا أوحش البيت من بعده   فمن يؤنسُ الزوجةَ الخائفه؟

***

أفاقت على الهول ملهوفةً   وما كان في العيش بالمنتظر
ألا شدّ ما تفجعُ النائبات   على غرّة ساقهنّ القدر
ويا قبح موقعه في النفوس   إذا جاء بعد الصفاء الكدر
وأكدر ما كان لون السحاب   إذا مرّ عارضُه بالقمر

***

تردّى لباس الوغى مُعجلاً   وهمّت لتثنيه ضارعه
فلا قول إلا الدموع السجال   تفيض بها المقلُ الهامعه
وما حيلة اللفظ في موقف   تذوب به الأنفس الجازعه؟

***

إذا همّ لا يستجيب اللسان   وما عيّ في موقف قبله
وماذا عسى أن يقول   وهل تتأسّى فتُقصي له؟
هنا الصمت أبلغ في لحظة   توزّع فيها الأسى قوله

***

تلاصق قلباهما في عناق   يزيد الأسى فيهما والضنى!
تُلحّ وتسأله المستحيل   فيا ليتها طلبت ممكنا
أهاب الحمى بالشبول الحماة   فما يملك اليوم أن يذعنا
إذا هان داعيه في قلبه   غدا كلّ شيء به أهونا

***

أكان يعجّل لولا الفداء   فيُفلت من سحر هذا الجمال؟
ويمضي إلى حيث شبّ اللظى   وجُنّ الردى واستحرّ القتال؟
إلى حيث لا يهدأ الجاهدون   سوى غفوة في الليالي الطوال؟
ويُنذر بالويل وجهُ النهار   وتمشي إليه جموعُ الرجال؟

***

يؤرّقني طيفُ هذا الوداع   وتبعث ذكراه أشجانيه
أغنّي لمرآه لحن الأسى   وكم ألهم الوجد ألحانيه
وإني لذو كبرة في الخطوب   وإن أغرق الرفقُ أجفانيه

***

أرى منظراً حار فيه القريض   وأوشك زاخره ينضب
قُصاراي فيه هتافي به   فليس إلى وصفه مذهب
لئن كان يوحي البكا وجدُه   فكم خاطر فيه يستعذب
إذا لم ترِفّ قلوبٌ له   فهنّ من الصخر أو أصلب

***

ألا كَمْ أراعُ لهذا القَوامِ ... تَمَشَّى من الهمِّ فيه الوَهَنْ
ويوجعُ نفسي تَرنُّحُ العذابِ ... يُلِحُّ على مثلِ هذا البَدَنْ
لَما اللهُ يُذْهِبُ عنها الأسَى ... ويَدْرأُ عنها غَوائِلَ الِمحَن

***

تَنجَّمُها — يا غليلي لها — ... لَدَى البَيْنِ عن غيرِها شاغِلي
يُعذِّبُني أنهُ رَاحِلٌ ... وأنَّ بُكاها بلاَ طائلِ
وددْتُ لو أنِّي لبستُ الحديدَ ... وكنتُ فِدى الراحلِ الباسلِ!

***

أُميلُ بلَحظي إلى وَجْهِه ... فيا حَيْرَةَ اللَّحظِ في أمرِه!
معاني الفجيعةِ في ناظِرَيْه ... وعَزْمُ الكماةِ على ثَغرِه
يُريها التجلُّدَ في صَمْتِه ... فتَكشفُ عيناهُ عن سِرِّه
وأنَّى لهُ الصبرُ في مَوْقفٍ ... سَقاهُ النوى فيه من مُرِّه

***

تجلَّدَ لا من حِفاظٍ فحسْبُ ... ولكن ليَبدُو جديراً بها
فللموتُ أهونُ من أن يُحسَّ ... مَعانِيَ توَقِّيه في قلبِها
وليسَ يَهابُ الرَّدى قلبُهُ ... إذا عَوَّذَتْهُ بإعجابِها
هو الحبُّ حتى لدى الموت يحيي ... نفوسَ الرِّجالِ ويسمو بها

***

تسائلُ عيناهُ هلْ ترتجى ... لَهُ أوبةٌ بعدَ هذا النَّوى؟
ولكنَّهُ لنْ يُطيعَ الخيالَ ... فكمْ فيه قادحةٌ للجوَى
وهلْ يعصمُ المرءَ منْ حتفهِ ... جحيمُ الوَغَى أو نعيمُ الهوى؟

***

تحيرتُ ماذا أثارَ الجوادَ ... ولاحَ لِيَ الهوْلُ في وثبِه
أذاكَ دأبُ كرامِ الجيادِ ... إذا الرَّوْعُ أعلنَ عن قربِه؟
أم اهتاجَ ممّا يرى حولَهُ ... يُجَنُّ بما لجَّ في جَنْبِه؟
معانٍ يَعصِفنَ لقلبِي العذابَ ... ويَملأْنَ نفسي من رُعبِه

***

عرفتُكِ بِساعةِ البيْنِ قبلُ ... وقرَّ عذابُكِ في خاطري
غداةَ ذرفتُ عصيَّ الدموعِ ... فأرخصتُ دمعي لدى آسري
وضاقتْ عليَّ الرِّحابُ الفِساحُ ... وأظلمتِ الأرضُ في ناظري
وأوحشَ كلُّ مكانٍ عرفتُ ... وغاضتْ رؤى صُبحهِ الزاهرِ

***

عرفتُكِ قبلُ وأيُّ امرئٍ ... دَهِيتِ فلمْ يكُ بالجازعِ
عرفتُكِ حين رجَّى الإيابُ ... فما كانَ ذِكْرُ غدٍ نافعي
فكيف بهذا الذي لا يَرى ... سوى الموتِ في هوْلهِ الفاجعِ؟

***

سيمضي إلى الرَّوعِ ثبْتَ الجَنان ... وإن كان يشقى بأوهامهِ
تَفيضُ على رغمهِ مُقلتاهُ ... ويذكرُ ماضي أيّامهِ
فيمسحُ عينيهِ خوفَ الرقيبِ ... ويَنفي الهمومَ بإقدامهِ

***

ويكتئبُ البيتُ منْ بعدهِ ... فما منْ جليسٍ ولا آنسٍ
تطوفُ بأرجائهِ وحشةٌ ... كما طافَ بالطَّللِ الدارسِ
وليسَ إذا جنَّهُ ليلُهُ ... سوى خفقِ مصباحهِ الناعسِ

***

تظلُّ إذا الصُّبحُ لاحَ لها ... على شَجَنٍ في جميعِ النَّواحْ
فليسَ الندى في مآقي الورودِ ... سوى أدمعٍ من بكاءِ الصباحْ
وهذي الهواتفُ نوّاحةٌ ... بأغصانِها لا تملُّ النُّواحْ

***

تملُّ أطفالَها تارةً ... وطوراً تصيحُ بهمْ زاجرَهْ
فتصغرُ منهمْ وجوهٌ صِغارٌ ... تظلُّ إلى وجهِها ناظرَهْ
وتجهشُ حيناً إذا أبصرَتْ ... دموعاً بآماقِهم حائرَهْ
يلوحُ لها اليُتْمُ في دمعِهمْ ... فتسقطُ من وهنٍ خائرَهْ

***

وتَمضي الليالي ثِقالَ الخُطى ... ولا قولَ عن زوجِها الغائبِ
تراها السَّقامُ فليسَ يُرى ... سوى اليأسِ في وجهِها الشاحبِ
إذا الهمُّ صَوَّرَ تِمثالَهُ ... فليسَ سوى جسمِها اللاغبِ

***

وما علمتْ كيفَ خاضَ الحُتوفَ ... سِجالاً وكيفَ تصدَّى لها
وكيفَ أحاطَ الرَّدى بالرِّجالِ ... وزُلزلتِ الأرضُ زِلزالَها
وكيفَ نصبُ السماءِ الدُّخانَ ... تَزيدُ على الأرضِ أهوالَها
وكيفَ يُلاقي الكميُّ الكميَّ ... وتمتحنُ الحربُ أبطالَها

***

إذا الليلُ أسدلَ أستارَهُ ... تراءى على الأفقِ لونُ الدَّمِ
ولاحتْ مخضَّبةً بالنجيعِ ... جحافلُ من خافقِ الأنجمِ
يرى كلَّ ما حولهُ قانياً ... إلى الدَّمِ في لونِه ينتمي

***



دراسات فى الفن

الفن بين «الآميبات» و «الاميبين»

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لى صديقة صغيرة غاية ما تريده منى هو أن تسخر بى وأن تحطم كل رأى أبديه ولو كان إعجاباً بها وتقريظاً لها حتى آمنت بأنها دسيسة مسلطة علىّ فلم أعد أحمل كلامها محمل الجد ولو كان تمززاً لرأى كنت قد أراه وأصدق عليه. فنحن ما نكاد نلتقى حتى نختلف منذ نتبادل التحية. فإذا قلت لها: «نهارك سعيد» قالت: «وكيف عرفت؟». فإذا قلت لها إن هذا دعاء وليس خبراً، سألتنى: «ومتى كنت من أولياء الله الصالحين حتى تدعوه إلى إسعاد غيرك ... ؟ أفلا جربت دعاءك لنفسك أولاً؟ فمن بدريك أن يستقبل الله رجاءك، من غضبه عليك، بسخطه ولعنته؟»

هذه هى صديقتى الفكرة التى قابلتنى أمس وفى يدها العدد الأخير من الرسالة فما رأتنى حتى نادتنى:

— تعال. الله يخيبك!

— أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقية! ماذا حدث يا هذه؟

— حدث الحدث، ونزلت الكارثة. أهذا كلام تقوله عن استراوس وصاحبته؟

— وماذا كنت تريدين أن أقول؟ أأ كتبيه فى ورقة حتى إذا اتفقنا عليه لا تعودين فتنقضينه ...

— ناصح جداً. منذا الذى قال لك إن البارونة فشلت مع استراوس؟

— هى التى قالته، وأرجو ألا تسأليني متى قابلتها ولا أين لقيتها، فهى لم تقل لى أنا بالذات، وإنما عبرت بهجرانها لاستراوس عن هذا الفشل الذى تنكرينه

— ولم لا يكون فى هذا الهجر تعبير عن فشل استراوس نفسه؟ ألم يوافق هو عليه؟

— ربما يكون قد وافق عليه. ولكنه لم يسع إليه. ثم إنها هى التى بدأت مناوشته؛ فكان هذا دليلاً على أنها تريده، فهجرها إياه لا يدل بعد ذلك على شىء إلا أنها عجزت عما كانت تريد ... فهى التى فشلت، وليس هو الذى فشل

— بل إنه هو الذى فشل منذ سمح لها بأن تريده ولم تأخذه عزة الرجولة، ولم يبدأ هو بالإرادة وإعلانها

— وما عزة الرجولة هذه؟

— يه! أأنت أيضاً «استراوس»؟

— قال الله ولاقالك! ولكنى أريد أن أتفق معك على تحديد معناها حتى لا نختلف بعد فى المناقشة

تَنَاوحُ فى مِسمعيه الرِّياح فيسمع فيها تقولُ الأَنينَا
وَيَسمع نَمَّ الذين طَوت يَدُ الموت أعمارهمْ هامسينا
يقولون متنا وصرنا عظاماً فمن للبنات غداً والبنينا؟

***

وَتأخذُ أجفانَهُ غَفوةٌ فيأوى إلى بيته ثانيَهْ
وتَطفُر مِن فرح زوجه كأن لم تَبِتْ لَيلة عانيَهْ
تُكَفكفُ أدمعهُ الساخناتِ وَيَمسحُ أجفانَها الهاميهْ

***

ولكنه حُلُمٌ تنطوى على نفخة الصور أفراحُهُ
وينهض كلُّ فتىً للسلاح ويوحى له الدَّمَ إصباحُه
فيهزأ بالموت فى كَرِّهِ فليس يمُتْنيه مجتاحُه

الخفيف

— عزة الرجولة هى قوة الأمر التى خص الله بها الرجل ليتسلط بها على المرأة

— وما المرأة ؟

— والمرأة أيضاً تريد أن نتفق على تحديد معناها ؟

— إذا كان لها معنى ؟

— داهيتك أسود من الليل ! المرأة هى شريكة الرجل فى حياته

— بأى حق ... إلا حق الضعف ؟

— بحق القدرة على النسل . وليس رجل قادراً عليه بغير امرأة

— كان استراوس قادراً عليه بغير امرأة . وليس استراوس وحده الذى استطاعه ، وإنما استطاعه مثله كثيرون غيره .

— هذا هراء . وإذا كان هناك من أعقب من غير شريك ، فإنها مريم العذراء ... ولم تكن رجلاً ...

— وكانت آيتها : أنه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . لم يجد كتاباً ، ولم يجد وحياً ، ولم يجد آية أخرى

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أنها رضى الله عنها كانت هبة آل عمران للخبير الرحمن ، وأنها اتقته وتبتلت له ، فأغناها عما تطلبه كل امرأة من هذه الدنيا وهو الرزق ، فيسره لها من حكمته وكرمه ، ثم نفخ فيها من روحه ، فكانت هذه هى معجزة المرأة الكبرى : أن يُنفخ فيها من روح الله ... ومع هذا الجلال ، فإنها بمشيئة الله لم تعقب من روحه فكرة ، وإنما أعقبت المسيح الإنسان (ص)

— وهو كلمة الله !

— المتجسدة ! الجسد ! ولا تنس أنه رجل ، وأنه أعقب ديناً جل من دين .

— وهو ابنها ؟

— وهل أنكرت أنا هذا ؟ ولكن دينه ليس منها !

— الدين من الله .

— وكل حق من الله ، سواء أكان ديناً أم كان علماً ، أم كان فناً ...

— تريد أن تنسب الفنون أيضاً لله ؟ حرام عليك !

— حرمت عليك عيشتك ! أليست الفنون هبات من الله ومنحاً ؟ هل يستطيع كل إنسان أن يكون فناناً إلا من وهبه الله القدرة على ذلك ، ومن أخذ نفسه بطلبه ... إن الله وعد عبده التقى أن يعطيه حتى يرضى ...

وقد اتقته مريم (رضى الله عنها) فأعطاها رزقاً ، واتقاه المسيح فأعطاه ديناً ، ويتقيه ناس فيعطيهم فنوناً ... ألم تسمى بالإلهام ؟

— ما أكثر الذى نسمعه ، وما أقل المعقول فيه ...

— ليست مسألة الفنون يا مولاى شيئاً يفهم بالعقل ... إنها كالحب تماماً شيء يحس ... هل تعرفين ما معنى « يحس » ؟ كما تخزك الإبرة ، وكما تلسعك النار ... وكل ما فى الأمر أنهما وخز ولسع روحيان ... فهل تعرفين ما هى الروح ؟

— من أمر ربى .

— ولا شيء غير هذا ؟

— القرآن عرفها بهذا ، فهل عندك أنت تعريف أوضح منه ؟ توقح وقل ما شئت وعلىّ وعلى الأزهر الشريف ما بعد ذلك

— هو ذنبى أن أناقش امرأة إذا قهرتنى جمعت على الناس شماتة وغلا . فإذا هممت أن أصرعها استنجدت وولولت وبكت واستعدت على كل من تأخذ نفسه الرحمة والشفقة بحواء الصميمة التى سيقتلها الوحش الذى هو أنا ... أليس كذلك ؟ إنى ألقى السلاح يا آنسة

— إذن فقد فشلت

— كما فشلت البارونة مع استراوس

— لكنها لم تفشل . وإنما كانت فى أنوثتها أنصع من استراوس فى رجولته . وقد كان عليه أن يتطهر وأن ينقى نفسه ليدركها وليطاول حسنها ...

— أما كان استراوس متطهراً ؟ هذا الذى لم تخلبه الأبدان مثلما كانت تستهويه الأرواح من ورائها ؟

— ما هذا الكلام الفارغ الذى لا معنى له . أنا لا أعرف إلا أن الله خلق الناس ذكراً وأنثى . وكل منهما فى حاجة إلى

صاحبه . وعلى الرجل أن يطلب الأنثى وليس عليها أن تطلبه ، بل إن عليها أن تتريث وأن تتمنع ، وأن تنتظر حتى تتأكد أنه يريدها حقا ، كما قلت لك إن للرجولة عزة ، فإن للأنوثة كرامة ، وكرامة الأنوثة تقتضى هذا التريث وهذا التمنع حتى لا يجيء يوم يعير فيه الرجل المرأة بأنها هي التى طلبته ، أو أنها هي التى ألقت بنفسها بين ذراعيه ...

— ليس هذا كرامة كما تقولين ، وإنما هو نفاق

— بل إنه كرامة

— كان يمكن أن يكون كرامة لو أنه كان ممكناً أن تعيش المرأة من غير رجل ، ولكن ما دامت هي تحتاج إليه حقاً فالتريث والتمنع واللف والدوران ، وغير ذلك مما تتقنه بنات حواء ليس شيئاً غير الإثارة الجنسية . فإذا خفتت النزعة الجنسية فى الرجل لم تعد هذه الصناعة تجدى شيئاً .

— ليست هذه صناعة ، وإنما هي طبيعة

— فليكن

— فليكونْ ! والآن قل لى كيف تخفت النزعة الجنسية فى الرجل

— كلما كف عن حياة الحيوان ، وكلما استخلص من الحياة الفضائل ، ومن هذه الفضائل تلك الكرامة التى تتحدثين عنها ، والتى تريدين أن تقفيها على الأنوثة

— ولكن هذه الكرامة التى أتحدث عنها خاصة بالأنوثة وحدها ولايمكن أن تجتمع فى الرجل هي وقوة الطلب التى تلتهب فيه الرغبة ، والتى تدفعه وتحدوه إلى التسلط على المرأة ... لايمكن أن يحدث هذا الذى تقوله إلا إذا كان الرجل « كالأميبة » ينشق جسده شقين ، ثم ينشق كل شق منهما شقين ، فلا ذكر ، ولا أنثى ، ولا زواج ، ولا تناسل ... فهل فى الرجال « أميبون » يا هـذا ؟

— فيهم يا آنستى فيهم ... كما أن فى النساء «أميبات» !

— وما هؤلاء ؟

— هن اللواتى بلغن للعالم رسالات . هن اللواتى خلفن لهذه الدنيا آثاراً . هن اللواتى أعرضن عن الرجال كثيراً أو قليلاً ، وتداخلن فى أنفسهن ، ثم انشققن على أنفسهن فأنجبن أحياء غير البنين والبنات . صحيح أننى لا أذكر منهم ولا واحدة لأنى قليل الاطلاع على التاريخ ، ولكنك تستطيعين أن تسألى عنهن واحدة من بنات جنسك المثقفات . اسألى الآنسة سهير القلماوى. اسألى الآنسة ... لا ...

— من هي الآنسة « لا » هذه ؟ يابانية هي ؟

— عجائب ! ألا تعرفينها ؟ أستاذتك التى لم يمنعها من دراسة هـذا الموضوع معك ، إلا أنكما أنثيان تعودتما ألا تمسا الحقائق إلا من بعيد .

— ومالك تحمل عليها هكذا ؟

— لأنها « أميبة » ولـكنها متكتمة ... وأنت « أميبة » مثلها ولـكنك مترددة !

— لا تقل هذا ... إنى أموت إذا خلته حقاً .

— وهل فى الحق ما يفزع ؟ الحق جميل ، وهو من عند الله فأحبيه يا مكروبتى الصغيرة ... ولا تكونى مثل بارونة استراوس !

— آه منك ! لقد طوحت بنا إلى موضوع لم يكن يخطر لى مطلقاً أن أندفع إليه . وما دمنا قد مسسناه ، فأظنك لا تمتنع عن المضى فيه إلى آخره . . . هل تصلح الحياة بين « الأميبة » و « الأميب » ، كما تصلح بين المرأة والرجل ؟

— إما أن تصلح صلاحاً ما بعده صلاح ... وإما أن تستحيل استحالة ما بعدها استحالة ... ولا وسط بين الحالتين ... والدرس الواحد فى هذا الموضوع بعشرة جنيهات ، فهو موضوع لم يطرقه إلى اليوم أحد .

— يا لك من مادى مظلم ! عشرة جنيهات مرة واحدة ! وعلى أى حال فإنى أرضى منك الآن « بسيجارة » . . . أشعلها ولـكن بعد أن تمسحى عن شفتيك هذا (الأحمر) الذى تكذبين به على الناس وعلى نفسك ...

— يا لطيف ! هل أكلت اليوم مسامير تنفخها فى كلامك فتخرق بها الآذان والأفئدة ؟

— ياما أكلت المسامير والزجاج والنار . . . وتجيئين أنت في آخر الزمن لتهزئي بالسحار الذي علمته الأفاعي الصدق والرحمة، لنا الله معاً .

— هل هذا الكلام موجه لي أنا ؟

— لك أنت، لكما أنتما، لكن أنتن، لي أنا، لنا نحن ... ألا تحفظين بقية الضمائر ؟

— لا ريب أنك مجنون ؟

— ولم لا ؟ ربما كانت البارونة تقول هذا عن استراوس ! أما هو فلا ريب أنه قال هذا عنها

— فأيهما كان المجنون ؟

— الاثنان معاً !

— لماذا ؟

— لأنهما افترقا، ولم يكن يصلح لها غيره، ولم يكن يصلح له غيرها . وما كانت لتهجره لو أنها قرأت مقال الأسبوع الماضي الذي أسخطك، فقد كانت « أميبة » لا يعجبها كل رجل، وكانت فيها قوة الإبداع الفني والانشقاق على نفسها، وإن كانت لم تمارسها لظنها أنها امرأة

— بدأ الغرور يركبك

— أعتذر . وأستغفر الله . وأمسح الأرض بوجهي ورأسي بين يدي جلاله وعزته، وأعود فأقول إنهما كانا يتفقان لو أنهما رأيا نفسيهما كما أراني الله إياهما ... ألم نقل إنهما كانا « أميبين » كل منهما ينشق على نفسه فنوناً، أو لم أقل لك إن من « الأميبين » من يصلح « للأميبات » كل الصلاح . لقد كان هذان من هؤلاء

— كيف ؟

— الرجل يا آنستي ابن رجل وامرأة ففيه من الرجولة والأنوثة، وهو لم يكن رجلاً إلا لأنه ورث من أبيه أكثر مما ورث من أمه . فلو تعادل الذي ورثه منهما كان خنثى، وكذلك المرأة، وفي الرجال من تبلغ رجولتهم تسعين في المائة من حيويتهم وهؤلاء « حيوانون » أكثر منهم أناسي، ولعل راسبوتين كان من هؤلاء، فالتاريخ يروي أنه كان يعصف بالنساء عصفاً،

ورجل مثل هذا لا تشبعه المرأة إلا إذا بلغت أنوثتها تسعين في المائة من حيويتها هي أيضاً، وهذا الصنف من الرجال والنساء هم الذين يصفهم أهل هذه الأيام بأنهم أصحاب السكس أبيل . أما الرجل الذي لا تزيد رجولته على ستين في المائة مثلاً فلا بد له من امرأة ليس فيها ما يزيد على ذلك من الأنوثة وهذان يتحابان ويتقاربان ...

— وكيف تعرف هؤلاء الرجال ... هل يظهرون للأعين ؟

— نعم . فيهم من ملامح النساء ... استدارة الأطراف، طراوة الصوت، دلال المشية، واستدارة الأعناق أيضاً ... وبروز الأثداء ... والنساء الأميبات فيهن من ملامح الرجال غزارة شعر الشاربين، وضئولة الأثداء، وعنف المشية ... وهنالك علامات غير هذه ...

— ومتى لا يتحاب « الأميبان » ولا يتقاربان ...

— عند ما تشتط الأنوثة في الرجل، أو الرجولة في الأنثى . أو الاثنتان معاً ... عندئذ يتنافران

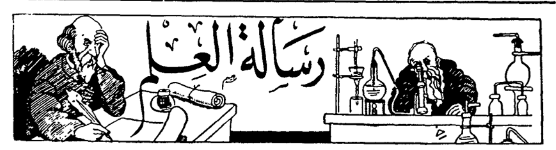
— وماذا أيضاً ؟

— فكري برأسك هذا قليلاً ... ولا تقولي « ماذا وكيف » أفإن لم تسألي لا تتفهمين ؟

— لقد دخت ... دوخك الله أنت واستراوس

— أما أنا فقد دوخني الزمن ... وأما استراوس فقد دوخه الفن ... إلى اللقاء

عزيز احمد فهمي



لحظات الالهام

فى تاريخ العلم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٤ — الاستكشافات الخمسة

من الطين الى الصينى

الطعام من حاجات الإنسان اليومية . وقد كان على إنسان الكهف كما علينا الآن ، أن نستبقى الحياة بالاستمرار على تناول الطعام

وكثير من القصص الممتع فى حياة الإنسان يدور حول هذه المسألة الكبرى : مسألة الطعام وهى التى تشغل الجنس الإنسانى كله إلى اليوم . فبعض القصص يتعلق بالتجارة وبعضها بالاستكشافات والبعض بتاريخ الشعوب المنزلة

وكان الإنسان فى البداية دائم الحركة بحثاً عن الطعام فهو يأكل القوت والفواكه والحشائش والحبوب وجذور النبات ؛ فإذا ما غال ذلك من حقل ذهب إلى حقل آخر يلتمس فيه طعاماً جديداً ، ويمكث كذلك حيناً فى مكان من أماكن الصيد ثم يتركه إلى مكان آخر

ثم جاء اليوم العجيب الذى تعلم فيه الإنسان أنه متى غرس بذرة فإنه سيجنى حصاداً . وقد كان ولا ريب بالعالم فى هذا العهد القديم بعض رجال لكل شعب من الشعوب مهمتهم أن يرقبوا مرور الشهور بظهور القمر واختفائه لغرس الحبوب وملاحظة ما سيكون من أمرها : هل ينشأ أم لا ينشأ منها نبات ؟

وحدّث أحد زعماء اللابو عن كيفية اعتماد قبيلة فى الحياة على فواكه النابة فقال إنهم فى البداية كانوا يأكلون الفواكه فى أماكن صغيرة بالقرب من المكان الذى تجمع فيه . ولكن لوحظ أن عدداً كبيراً من أشجار الفاكهة كان ينبت حول هذه الأماكن التى يأكلونها فيها فقرروا أن يحملوا الفواكه إلى أماكن أبعد من الأولى ليأكلوها بها . وكانوا فى كل عام بعد ذلك يرون أن أشجار الفاكهة تنبت حيث يسقط النوى أو البذور فحملوا البذور والنوى إلى مسافة أبعد ورموها فى أماكن مختلفة إلى أن صار لهم فى النهاية بساتين فى أنحاء الإقليم الذى يقيمون به

ولما استكشف سر زمن الغراس وزمن الحصاد استطاع الإنسان أن يكف عن التجوال صعوداً وهبوطاً على سطح الأرض وأن يقر فى مكان يستثمر به الأرض طلباً للقوت . وقد عرفت كل القبائل ذلك فى أوقات طالت أو قصرت فاستقرت بأماكن اختارتها

وحاجات الطعام الإنسانى هى السبب فى صناعة الأوانى فمنها أوعية للماء وأخرى للطبخ وأوعية لحفظ الطعام بين وجبة ووجبة . وأخيراً أوعية ليتناول فيها الطعام

وباهتمامه بالحالة التى يقدم بها له الطعام نشأ التبديل من الأوعية الغليظة المصنوعة من طين الأرض إلى الأوانى الصينية التى تكاد تكون شفافة لرقتها

وكانت كل أسرة تأكل على مائدة واحدة وكان طبقها واحداً فى البداية ، ثم صار لكل فرد طبقه الخاص . وفى نفس الوقت كان التقدم مستمراً فى ناحية أخرى متصلة بحاجة العالم إلى الطعام فإن الإنسان كان يجوب الأرض براً وبحراً فاستطاع نقل الطعام من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب حول الكرة

الأرضية . ولكن الطعام الذى ينقل كل هـذه المسافات البعيدة أو الذى يحفظ مدداً طويلة يجب ألا يكون فى درجة من النضوج لا تسمح بالنقل إلا من اليد إلى الفم . ويجب أن تستبقى فيه حلاوته وسلامته وجدّته . لجاءت علبة الصفيح المختومة مُلائمةً لهذه الحاجة . وبواسطتها أصبح عهد استكشاف الطعام تاماً

كان على الإنسان فى البداية أن يكثر من التنقل طلباً للقوت ومن ثم نشأت المهاجرات العظيمة ثم تعلم صنع الطعام فى موطنه ، وبذلك نشأت الدنيات المنفصلة ، والآن يستطيع أن ينقل الطعام إلى حيث شاء ؛ فأصبحت له الحرية العصرية فى الانتقال ، وقد نقلتنا هذه الأساطير فى كل الدورة . فى البدء كان عليه أن يتحرك ثم كان له أن يستقر . والآن له أن يتحرك وأن يأخذ معه مختلف الأطعمة أو يستقر ويستدنى إلى مائدته الطعام من أنحاء العالم

. وفى قصة الزعيم اللاپى وبذوره ، وفى فن صنع الأوانى وتأثيره على الطبخ، وفى تقدم فن الكيمياء وتأثيرها على اختيار أنواع الطعام وطرائق تناوله ، وفى قصة العالم الفرنسى الذى سنتحدث عنه وحصوله على الجائزة ، فى هذه القصص سنرى تطور هذه الأشياء

الأقاصيص كثيرة فى كل قبيلة على سطح الأرض عن الأيام الأولى من عهد تعلم الإنسان ما على هذه الدنيا العجيبة من الغرائب وما فى بطنها من الكنوز التى تنتظر المستكشف . ومجموعة من مثل هذه الأقاصيص توضح لنا كنه ما تحت أقدامنا من الأرض

لا بد أن يكون أقدم الناس فى عهد سكنى الكهوف قد لاحظوا أن بعض أماكن من الأرض سوداء مخصبة وأن بعضها صخرى والبعض رملى . وفى جهة ما من كل إقليم لا بد أن تكون قبيلة وربما كانت إقامتها عند شاطئ نهر أو مهد جاف لغدير أو فى وهد على مقربة من المساكن . وقد لاحظ الناس ذلك النوع الخاص من الأرض الذى تنطبع عليه آثار الأقدام ولكنها تجف عند ما تظهر الشمس

لسنا ندرى من البادئ بهذا الاستكشاف فقد يكون رجلاً أو امرأة أو طفلاً ممن يلعبون بعجينة من الطين كما هى عادة الأطفال من عهد لا تعيه الذاكرة ولكنه صادف أن وضع هذا المستكشف طينه المبتل على قطعة مسطحة من الخشب أو كتلة ذات تجويف ثم أدرك لما جفت عجينة الطين أنها ليست لينة كما كانت بل أصبحت صلبة متماسكة وأنها تجمدت على الشكل الذى وضعت عليه وهى عجينة

ومهما يكن السبيل الذى أمكن الوصول منه إلى هذا الاستكشاف فإن كل قبيلة مما يعيه علمنا قد صنعت فى بداية عهدها أوانى بسيطة الشكل من فخار مصنوع من الطين، ففن صنع الأوانى وهو تكييف الطين بأشكال يمكن بها استعماله ، أو صنع أشياء جميلة منه ، هو أقدم الفنون وأوسعها انتشاراً

* * *

إن قصة ازدياد المرء معرفة بهذه الأرض العجيبة التى يطؤها بقدميه ، وقصة ازدياد حذقه أساليب استعمالها — إن هذه القصة تتكون من قصص خمس لاستكشافات موفقة وصل إليها العالم فى عهود مختلفة من التاريخ على أيدى أعضاء فى كل قبيلة

ولقد كان إنجاز هذه الكشوف الخمسة أسرع فى بعض القبائل من بعضها ، ففترات الاستكشاف استغرقت فى بعض القبائل مائة عام أو خمسمائة بل قد تبلغ الفترة ألفاً من الأعوام

لكن كلا من هذه الاستكشافات قد وصلت إليه قبيلة بنفسها على يد حاذق منتج من رجالها قبل أن تصبح صناعة الخزف من الأعمال العامة

أما الاستكشاف الأول فهو أن بعض تراب الأرض صلصال حقيقى تحدث به عند البلل نعومة عظيمة وعند الجفاف صلابة شديدة وأنه إذا وضعت عليه علامة عند نعومته فإنها تبقى بعدجفافه

وأما الاستكشاف الثانى ، فهو أنه من الممكن صنع طبق بوضع طبقات من هـذا الصلصال بعضها فوق بعض ، وتركها فى الشمس حتى تتجمد .

وقد كان صنع الأطباق فى لحظة عظيمة حقاً من حياة الناس ولو أنهم لم يدركوا ذلك فى البداية ، فإن الإناء الذى توضع فيه المياه فيحتفظ بشكله عند وضعه فوق النار ، أو عند دفنه فى حفرة ساخنة هو الوسيلة الوحيدة لجعل الطبخ الحقيقى فى حيز الإمكان. ولم يبق بعد اختراعه من ضرورة لإنضاج اللحم بتعليقه على عصى فوق النار ، ولا تجفيفه بإحراقه فى فرن ، ولم تبق من ضرورة كذلك لطحن الحبوب ، وصنع حبات (بلابيع) منها ليسهل

ابتلاعها . إن سحر النار قد أمكن الانتفاع به فى تهيئة الطعام ، لما أصبح من الممكن صنع طبق أو وعاء يوضع الطعام فيه على النار فلا يحترق .

وأما الاستكشاف الثالث ، فالأرجح أنه معرفة المرء إمكان استخراج مادة أصلب وأمتن من الصلصال بإضافة الرمل أو مادة أخرى إليه ، فبينما يصلح الصلصال وحده لصنع الأطباق ، فهو يصلح مخلوطاً لما هو أهم من ذلك : يصلح لصنع الطوب الذى تبنى به المنازل ... وهل تذكر أنك قرأت فى قصة موسى شكوى الشعب اليهودى من أنه لا يستطيع صنع الطوب خالياً من القش ؟



صناعة الصلصال
أحد صناع الأوانى فى صعيد مصر فى العهد الحاضر

إن القش يؤدى فى توثيق الطوب ما تؤديه الرمال، ففى مصر وفى المكسيك وفى الأجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة وفى كل المناطق الحارة التى يكثر فيها الصلصال تبنى الأكواخ من الطوب النيء أى الذى تجففه الشمس

وقد كان أول ما صنع من الطوب جدراً بالملاحظة والاهتمام فى حياة الإنسان . وذلك لأنه جعل فى حيز الإمكان بناء بيوت يسكنها

ويعد أن شاع استعمال النار حدث بطريق المصادفة أن طبقاً سيء الصنع أو قطعة من الطوب قد ترك أو تركت بالقرب من النار ، فوجد فى اليوم التالى أصلب وأمتن من الصلصال الذى يجفف فى الشمس

وجد قوياً صلباً كأنه قطعة من الصخر فلا يمتص الماء ولا الضغط يستلينه ، فكان صنع الصلصال على النار هو الاستكشاف الرابع فى تاريخ الفخار . وقد مضى زمن طويل قبل أن يتعلم الناس تعلماً تاماً صنع أطباقهم بواسطة النار

صنعوا « القمائن » وهى أفران تصنع فى العادة على شكل خليات النحل وهم يضمون فيها ناراً تحترق فى بطء ، وفى استمرار عدة ساعات أو عدة أيام . ثم عرفوا بالتجربة مقدار الحرارة الكافية لصنع كل نوع من أنواع المزيج والمدد المختلفة التى يجب أن يقضيها بتلك القمائن كل جنس من الصلصال

ولكن سر إحراق الصلصال هو الأساس لصنع كل ما يتعلق بالفخار والطوب بما فى ذلك ما يصنع اليوم من أوانى الصينى ومن الأوعية الجميلة السكسونية ومن الأحجار التى تشاد بها مبانى المصر ، وألف شيء آخر مما أنشئت عليه مدنيتنا الحاضرة

أما الاستكشاف الخامس فقد جاء فى عهد تأخر موعده : جاء فى العهد الذى تاق فيه الإنسان إلى الجمال وإلى النفع معاً فيما يصنعه

وقد كان صانعو الصلصال فى أقدم العصور يحاولون على أساليبهم الخشنة أن يزينوا الأوانى حتى ولو لم يكن ذلك إلا بآثار الإبهام على حافة الأوانى

وكان المصريون والبابليون والليديون يحلون أوانيهم والطوب الذى يصنعونه والتماثيل بألوان لامعة مستخرجة من أكسيد الأثمد والنحاس الأحمر والصفيح

وكان اليونان يستعملونه دهاناً صلباً يطلون به الأوانى الجميلة ذات اللونين الأسود والأحمر، ولكن الفخار الرقيق اللامع الذى يكاد يكون شفافاً لم يكن من صنع شعب من هذه الشعوب ؛ فإن صناع الأوانى فى الصين قد بدأوا تجاربهم بإحراق الصلصال فى «القمائن» حين كان معاصروهم المجهولون بين الشعوب الأخرى لا يزالون يصنعون الأوانى من الطين المجفف فى الشمس ، وكان الصقل بالخزف أمراً معروفاً فى الصين قبل مائتى عام من بدء التاريخ المسيحى ، وفى القرن السابع للمسيح تعلم الصينيون أن يضيفوا إلى نوع خاص من الصلصال اسمه « كاولين » نوعاً آخر من الحجر الرملى اسمه السليكى فيستخرج من مزجهما مادة

أدق . واسم « كاولين » مأخوذ من اسم جبل في الصين (كاو ـ لين) أي القمة العالية . وقد استخرجوا لأول مرة من ذلك الجبل ذلك الصلصال العجيب ، وهو غير قابل للذوبان مهما اشتدت حرارة النار ، والثانية منه كما جاء في التعبير الصيني (لصنع عظام الأواني) وأما السليكي فإنه يشبه الجرانيت أي أنه قابل للذوبان على درجة عالية من الحرارة . ومتى ذاب تكون منه زجاج شفاف جداً .

وبالحذق في مزج هاتين المادتين أمكن صنع الأواني الصينية التي لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم . وقد بقي سرها نحو ألف عام غير معروف في الغرب حتى تحراه المحققون في هذه الصناعة . وسنذكر الآن قصة الكيميائي النضوب والشعر المستعار والمسحوق « البودرة »

وقبل أن نسرد هذه القصة الأخيرة عن الصيني نرى أن نمير نظرة إلى فن آخر يقرب من هذا الفن وهو صناعة الزجاج . وهي كما يرويها « بلايني » أحد الكتاب الرومانيين الذين عاشوا في القرن الأول بعد المسيح . وهذه القصة عن استكشاف استكشفه بحار

كانت سفينة تجارية رومانية تعبر البحر الأبيض المتوسط وعليها حمولة من النطرون وهو نوع من الصودا خاص بتلك المناطق . وكان الأقدمون يستعملونه في الاستحمام وغسل الأقمشة

وفي أثناء سير السفينة هبت ريح ضد اتجاهها فأقصتهم إلى شاطئ رماله بيضاء دقيقة عند مصب نهر في سوريا ، فأوقد البحارة ناراً على الرمال لينضجوا طعامهم

ولما لم يجدوا صخوراً استعملوا قطعاً من النطرون لحمل الأواني فأدهشهم أن يروا سائلاً من الزجاج الذائب يجري في معسكرهم بين النار وبين الماء . وكان هؤلاء البحارة قد عسكروا على مرتفع من الرمال كسته الرياح بمادة معدنية مما يستعمل في صنع الزجاج ، فجعلت حرارة النار هذا المزيج من تلك المادة ومن النطرون يذوب . وكانت النتيجة مدهشة ، ولنا أن نعتقد بحق أن الملاحين قد أخذوا إلى وطنهم بعض تلك الرمال مع ما كانت تحمله السفينة من البضائع

هذه قصة واحدة عن صنع الزجاج من بين قصص كثيرة يمكن أن تروى . وهي تريك أن طرق الانتفاع بالمواد في مكانين مختلفين من الأرض كان يستكشفها فريق من الناس وفريق منهم هناك ، ولو أنهم كانوا على اتصال بعضهم ببعض كما هي حالة الشعوب اليوم ، ولو أن أحدهم كان يأتمن الغير على سره لكانت المدنية أوسع انتشاراً ولبكرت عن موعدها بضع مئات من السنين

ولكن لم تكن في تلك الأيام قد اخترعت آلة الطباعة فكان تناول المرفة ليس بالأمر السهل ، وكانت الشعوب المتفرقة بعضها بعضها عن بعض محيطات لا تعبرها إلا السفن ذات الشراع ، وكانت الصحاري والجبال لما تخترقها السكة الحديدية ، وكانت تلك الأيام أياماً تخاف فيها بعض الشعوب بعضها وكان من المحتمل حدوث استكشاف على عظيم في أحد البلدان وبقاؤه سراً مكتوماً عن البلدان الأخرى جميعاً

وكذلك كان الأمر في صنع الصيني

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

ألمانيا وإيطاليا عند مفترق الطريق

[عن مجلة « بارید »]

قد يخطر على بال الكثيرين ممن يتتبعون الحركة الفاشية في أوربا ، أن الشعب الإيطالي والشعب الألماني مرتبطان برباط وثيق العرى ، في الميول والعواطف ، وأن مظاهر الحياة العامة متفقة في الدولتين المتحدتين

والحقيقة أن الصلة بين جماعة النازى في ألمانيا ، وجماعة الفاشست في إيطاليا ، صلة بين الحكومتين فحسب من حيث وجهة النظر الخارجية ، أو ما يسمى محور برلين رومه

وقد كتبت لادى درا موندهاى في مجلة « كاناديان هوم » مقالاً في هذا الموضوع قالت فيه إنها زارت البلدين في الأيام الأخيرة ، وخبرت أحوالها عن كثب ، وتستطيع أن تقرر أن الشعب الإيطالي ليست له ميول خاصة نحو ألمانيا ، وقد سمعت كثيراً من النقد اللاذع ضد ألمانيا على ألسنة بعض الإيطاليين الذين لم يرتاحوا إلى تقليد إيطاليا لها

وقد راعها ما رأته من الفرق الشاسع بين مظاهر الحياة في كل من البلدين الدكتاتوريين . فقد دب الفساد إلى كل شيء في ألمانيا ، فالطعام لا يخلو من الغش ، والنقص يعتور كافة السلع المعروضة في الأسواق . أما في إيطاليا فالأمر على خلاف ذلك ، إذ تستطيع أن تجد فيها ما تريد بغير مشقة . وفي ألمانيا تنتشر الجاسوسية في كل مكان فلا تمشى خطوة أو تتكلم كلمة إلا وعليك رقيب يعد عليك كل خطوة ويحصى كل كلمة فلا يمكنك أن تعيش ساعة بعيداً عن الشكوك التي تحيطك من كل جانب . أما في إيطاليا فحرية الكلام مكفولة ومباحة بصفة نسبية . وقد تمر في بعض شوارع ألمانيا فلا تجد غير بريق الملابس الحربية ومناظر الجنود تملأ الرحب . ولكنك في إيطاليا لا تبرح ترى أسراب السيدات المتأنقات يدلفن إليك من كل فج ، والأهالي ينصرفون إلى أعمالهم بغير رقيب أو حسيب

وتقول ليدى دراموندهاى : لقد وجدت الحالة في ألمانيا على وجه العموم ثقيلة لا تطاق ، ولقد اعتدت زيارة ألمانيا منذ خمس عشرة سنة وكنت أزورها أكثر من مرة في العام الواحد ، ولى فيها أصدقاء كثيرون ، فإذا حكمت عليها الآن فإننى لا أحكم عن جهل . لقد غابت مظاهر الحياة عن الوجوه ، وغربت الابتسامة التي كانت تشرق على أفواه بعض المارين في الطريق ، ووصلت ملابس المرأة الألمانية إلى درجة بعيدة من البساطة ، كما أن أدوات الزينة والطلاء قد أدركها العجز الشديد . وتقول ليدى دراموندهاى : إنها سمعت من الحلاق الذى تتردد عليه أن صناعة إصلاح الشعر وفن التجميل على وجه العموم قد أدركهما الفناء في ألمانيا . وقد أصبحت مظاهر الابتهاج في برلين أقل منها في المدن الصغيرة ، إذ أن طرد اليهود والضغط على حرياتهم قد حرم هذه المدينة وغيرها من المدن الكبيرة مظاهر الأبهة والعظمة وعناصر التسلية المحبوبة ، فما لا شك فيه أن عنصر اليهود كان له أثر عظيم في حياة ألمانيا التجارية والاجتماعية والثقافية

أما في إيطاليا فإن القوانين التي شرعت لاضطهاد اليهود ليس لها أثر في الحياة العامة . وقد تجد كثيراً من الإيطاليين يتوددون إلى أصدقائهم اليهود ليثبتوا لهم الوفاء والإخلاص ولو كرهت الحكومة ما يفعلون

الألمان يحشدون في مصانع الحكومة

[ملخصة عن « لاريني هبدومادير »]

لعل أهم مظاهر التغير في ألمانيا اليوم ، هي تحويل عدد كبير من الأهالي ، إلى مجرد عمال في مصانع الحكومة ، ومما يستفاد من تقرير حديث عن لجنة العمال الألمانية ، أن عدد المشتغلين بالمصنوعات اليدوية ممن تزيد سنهم على الستين ، قد تزايد في الأيام الأخيرة ؛ فأصبح ٢٨٣٠٠٠ بعد أن كان لا يزيد على ١٨٧٠٠٠

فى السنين الماضية وقد وجد بين هؤلاء العمال نحو ستين ألف عامل تزيد سنهم على السبعين ، وتدل هذه الأرقام على أن الرجل فى ألمانيا مطالب بأن يشتغل ويكدح ، ولو تقدمت به السن وأنهكته السنون

وقد أخذت الحكومة فى الأيام الأخيرة تستدرج أصحاب الحوانيت الصغيرة من العمال إلى مصانعها حيث تسخرهم فى شتى الأعمال التى تطلبها حكومة النازى ، وصدر مرسوم بإباحة إغلاق الحوانيت الصغيرة ، إذا كان أصحابها قادرين على العمل فى مصانع الحكومة ، ويطبق هذا القانون على أصحاب الحوانيت الذين يعجزون عن دفع الضرائب

وقد تبين أن عدد المطاعم الصغيرة فى ألمانيا قد نقص من ٢٢٫٨٠٠ سنة ١٩٣٤ إلى ٢٠٠٠٠ سنة ١٩٣٨ وفى مايو سنة ١٩٣٩ أعلنت الحكومة أنه من المحتمل إغلاق عدد يتراوح من ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ من المتاجر والحوانيت الأخرى على التدرج

ومما لاحظه البنك الأهلى الألمانى فى أحد تقاريره المالية أن ٦٧٠٠٠٠ نفس حشدوا فعلاً للعمل بالمصانع

وجاء فى تقرير للدكتور ك . هابفور ، وهو من كبار موظفى الحكومة ، أن المليونى عامل الذين تحتاجهم ألمانيا لمصانعها تستطيع أن تجمعهم بشتى الطرق ، ولو أدى الأمر إلى حشد العجزة والمقعدين إلى المصانع ، ووضعهم فى الأعمال التى يليقون لها

ويقول هذا الموظف : لا حرج على الحكومة فى إرسال الموظفين والسعاة والخدم إلى المصانع وإصدار قانون السخرة إذا احتاج الأمر

وتقول صحيفة ألمانية : إن النساء فى مصانع الحكومة يشعرن بشىء من الرهبة والخوف وهن يشتغلن تحت الرقابة الشديدة فتضطرب أعمالهن فى كثير من الأحيان ، وإن كن يرغبن فى أدائها على أكمل الوجوه

فما هو السبب الذى يؤدى إلى اضطراب المرأة هذا الاضطراب وهى مقبلة على عملها برغبة حقة ؟ إن مظاهر الخوف التى تحيط بها تدعوها إلى ذلك الارتباك ، فهى معرضة لأشد التهم وأنكى العقوبات على الدوام وإن كانت تبذل ما فى وسعها للقيام بعملها خير قيام ؛ وتلاقى السلطات الألمانية صعوبة لا يستهان بها مع العمال وإن كانوا من خيرة الرجال الإخصائيين ، فهم يتعمدون الإبطاء فى إنجاز أعمالهم التى تتطلب السرعة والإنجاز وقل أن يولوها العناية الكافية ، إذ أنهم مساقون إلى العمل فى تلك المصانع تحت حكم الإرهاب

الطعام والخرافة

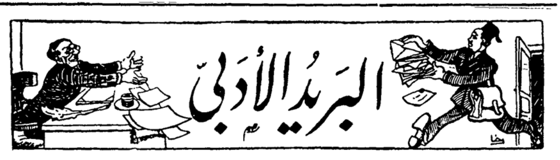
[من « P. T. O. »]

لم يخل عصر من الخرافات العجيبة حول الطعام الذى يأكله الناس . فقد كانوا فى القرون الوسطى مثلاً ، يتوجسون من تعاطى الفاكهة الطازجة ، وكان أكثر الناس فى ذلك العهد يعتقدون أنها تسبب الحميات ومما روى أن جالينوس كان يعتقد أن أباه لم يعمر طويلاً لأنه كان يتحامى تناول الفاكهة ، ولعل هذا كان أول باعث على انتشار هذه الفكرة . ومما جعل هذا الرأى يزداد رسوخاً فى أذهان الناس على مر الأجيال ازدياد عدد من يموتون بالزحار والتيفوس فى أشهر الصيف . وقد مضت قرون عديدة قبل أن يستطيع الناس أن يعرفوا أن هذه الأمراض تنتقل إلى الإنسان مع الماء الذى يشرب به . وكانوا يحرمون على الطبقة الدنيا تناول الخضروات ، فكان طعامهم مقصوراً على الكراث والبصل والجرجير والحمص ومنتجات الألبان . ومن ثم كان الأغنياء يترفعون عن تناول الزبد ، ويعدونه من طعام الفقراء

وكانوا فى تلك العصور يستقبلون الفاكهة الجديدة بتحفظ شديد ، فلما ظهرت الطماطم فى القرن التاسع عشر ، كانوا يضعونها على المائدة لأجل الزينة فحسب ، فلما بدأت تظهر فى الأسواق العامة ، وأخذا لبعض يقبلون على شرائها ، شاع بين الناس أنها تسبب مرض السرطان فكفوا عن أكلها ، ومازالت هذه الفكرة المضحكة متسلطة على أذهان العامة والخاصة إلى عهد قريب

أما الخرافات حول الطعام فى العصر الحديث ، فأكثرها يدور حول الرشاقة ، ومحاولة تخفيض الوزن . ومما لا شك فيه أن زيادة السمن تأتى من تناول كمية من الطعام تزيد على حاجة الجسم ؛ فالرجل الذى يتعاطى مقداراً كبيراً من الطعام يزيد على المقدار الذى يستهلكه الجسم لا بد أن يزيد وزنه . ولا شىء يمنع جسمه من التضخم ، إلا التمرينات الرياضية التى تعادل هذه الزيادة فى الطعام . ومن الجهل الفاضح ما يتحدثون به عن صلاحية بعض الأطعمة لإزالة السمن أو المساعدة على الرشاقة ، فلا يوجد طعام قابل للهضم والتغذية يؤدى إلى تخفيف الوزن . وإن كان بعض الأطعمة أقل من البعض فى التغذية

ومن العقائد الخاطئة التى اعتقدها الكثيرون ، أن الخبز القديد أقل من الخبز المعتاد فى زيادة السمن . وهذا مخالف للواقع كل المخالفة . إذ أن تقديد الخبز لا ينقص منه شيئاً غير الماء ويبقى الخبز كما هو .



على هامش خطاب رئيس الوزراء

إدارة الدعاية في وزارة الشؤون الاجتماعية

جاء في الصحف أن إدارةً للدعاية أنشئت في وزارة الشؤون الاجتماعية، وأنها تشرف على الفرقة القومية والمسارح المختلفة، وعلى دور السينما وقاعات الغناء، وعلى برامج الإذاعة، وعلى قيام المهرجانات الشعبية، وأن مدير هذه الإدارة هو الأستاذ توفيق الحكيم.

هذه إدارةٌ جديدة تنشأ، ومهمتها معينة، ومديرها معروف. أما مهمتها فصيانة الدولة مما يضرّ بها، والأمة مما يفسدها. وأما مديرها فمن الشباب الذين عرفوا الاجتهاد والروّية، فنالوا قسطاً وافراً من الثقافة العامة بما شهدوا في إقامتهم بأوربة، وما علموا من طريق القراءة المفيدة. وعلى هذا، فإنشاء هذه الإدارة يوافق ما جاء في خطاب رئيس الوزراء من السعي في تقويم معوّجات الأمة، والاعتماد على أهل الدراية والخبرة ممن سلموا من «الخدر والنعاس»...

***

في رأيي أن إدارة الدعاية، يحق بها أن تُعنى بأمورٍ أربعة: الأول: تنشيط الهمم وبث الهزّة القومية في الأنفس. والثاني: تهذيب الشعب من باب التسلية. والثالث: بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها. والرابع: خدمة الفن الخالص...

أما الأمر الأول فيتطلب، أول ما يتطلب، مناوءة طرائق الغناء المستبد بآذاننا، فقد أجمع الكتاب أن التلاحين السيارة رخوة أي رخاوة حتى إنها تفتك بالعزم؛ فيتسرب الثقل في همة النفس والبطء في نهضة الأعضاء فضلاً عن انتشار الملالة، وبالشعب حاجة إلى ما ينعشه ويمضيه؛ فإنه أصبح مسئولاً عن حرمة الأرض التي يضرب فيها بعد أن كان على غيره متكلاً كل الاتكال. فلتضرب إدارة الدعاية على أنامل العازفين ولهوات المغنّين، وتأمر بالحماسيّات، وتحظر الطيّ واللّيّ والنواح، و«الشخلعة». وإذ اللحن مرتبط باللفظ الملحن فلتفتش الإدارة عن الناظم الذي لم يأكل نَفَسه وجد مصنوع أو فتور مقيم.

والهزّة القومية تُبثّ في الأنفس من طريق المسرحيات، و«الأفلام» التاريخية خاصة، إذ تجري حوادثها في عهد السلطان الواسع والدولة المتمكنة، ومن طريق المحاضرات الموجّهة، ثم من طريق المهرجانات، حيث تنتشر الأعلام وتعزف الأناشيد، ويصطف الجند وتلقى الخطب الحماسية؛ وقد شهدت نوعاً من هذا في محافل نورمبرج النازية

وأما تهذيب الشعب من باب التسلية فبتنظيم المحاضرات السهلة الجذابة، ومدارها مبادئ علم الصحة والأخلاقيات، والوطنية، وبتمثيل مسرحيات مؤدبة باللغة العامية على أن تكون غير مرذولة

وأما بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها فالمقصد منه وضع الشيء موضعه: فلا يهضم حق مؤلف أو ممثل أو مغن، ولا يفضل هذا على ذاك بغير حق، ولا يُبعد مخرج قدير لسبب لا يتصل بمجرى عمله، ولا ينفق مال استهواء للصحافة التي لا وزن لها، ولا تشترى مسرحية ثم لا تمثل، ولا يتسلط مغن أو عازف لأنه ذائع الصيت إذ من حق الكفايات كلها أن تعجم فتستثمر... هذا قليل من كثير

بقيت خدمة الفن الخالص. فإذا قلتَ إن الفن الخالص خاص (أرستقراطي) فلا خير فيه للأمة، قلتُ إن في الأمة جماعة من أهل الثقافة اللطيفة فلا بد لهم من غذاء، بل بالأمة حاجة

أن يقال إن فيها من الكتاب من هو منجذب إلى الإنشاء الرفيع ومن الموسيقيين من يكره الأنغام المطروقة والحيل الوروثة الموقوفة ، ومن الراقصين أو الراقصات من يأنف هز الكتف ورفع البطن وخفض الردف ، فإنما صيت الأمم يعلو ويستطير بفضل أهل الفن الخالص السامى ، على وجه العموم ؛ وهل يضر مصر أن يعلو صيتها ؟

هذا ويلحق بالفن التصوير والنحت فلِمَ أسقطتهما إدارة الدعاية من الخطة التى رسمتها ؟ وفى مصر فئة من المصورين والنحاتين لهم أن يظفروا بالتقدير والرعاية ، فهذه معارضهم لا يلتفت الناس إليها كثيراً ، وعلى مثل الصديق توفيق الحكيم أن يرشد الناس إلى قدر الصور والتماثيل

وفى مأمولى أن يفلت هذا الفن الخالص (وكذلك العلم الصِّرف) من القيود المختلفة وينجو من سطوة الأوضاع التقليدية أو المذاهب السياسية حتى لا يهزل هزلته على يد ألمانية الهتلرية حيث النازية حكمت على كثير من ألوان الفنون المستحدثة بأنها شر وفساد .

(الاسكندرية) بشر فارس

حول رواية محمد على الكبير

عزيزى الأستاذ الزيات

قرأت فى العدد الأخير من (الرسالة) كلمة بامضاء الأستاذ يوسف تادرس خاصة برواية (محمد على الكبير) يرد بها على ناقد الرسالة الفنى .

وليس يعنينى من هذه المناقشة إلا أمر واحد ، وهو أن الأستاذ يوسف تادرس يتحدث عن الرواية كأنها من وضعه وهو يقول عن نفسه :

« وحاشا أن أصور محمد على باشا فى صورة السفاح الخ ... »

ثم قال :

« وإنى أعقل من أن أصور منشىء مصر الحديثة فى هذه الصورة » الخ ...

والذى يفهم من هذا أن الأستاذ له يد فى تصوير أشخاص الرواية .

وتقريراً للحقيقة ، واحتفاظاً بحقى الأدبى فى هذه الرواية لمجرد الذكرى أرجو أن تعلنوا أن حضرة الأستاذ يوسف تادرس ليس له من هذه الرواية إلا أنه اشترك فى وضعها فى القالب التمثيلى على أساس الرواية التمثيلية التى سبق لى أن اقتبستها بنفسى من روايتى « ابنة المملوك » ، ولست أسخو بأن ينسب ما فيها من تصوير لشخص آخر ، سواء أكان ذلك التصوير حسناً أم سيئاً

وأما من حيث المكافأة المالية ، فإنى أرجو أن تعلنوا أننى لم أنل منها شيئاً . فلعل هذا يعدل رأى حضرة « ناقد الرسالة الفنى » الذى يظهر أنه هنأنا بالاستيلاء على هذه المكافأة . وإذا كان الأستاذ يوسف أفندى تادرس قد حصل على تلك المكافأة ، فليس لى علم بذلك ...

ولعل فى ذلك الأمر موضعاً للتأمل فى تصرف الأدباء فى مصر ولك تحياتى الخالصة . محمد فريد أبو حديد

بين الدكتورين بشر وأدهم

أقحم اسمى فى الجدل القائم بين الصديقين الدكتورين بشر فارس واسماعيل أدهم ، وهو جدل طال عهده بين أخذ ورد ، وهجوم ودفاع ، وتشعبت بواعثه ونتائجه . وكانت مناوشته الأخيرة أن كتب بشر فارس أن أدهم اقتبس منه بعض نقده لكتاب « فرعون الصغير » للأستاذ محمود تيمور بك

وقد رد إسماعيل أدهم أنه كتب مقاله وأرسله إلى « الرسالة » بعد منتصف شهر يونيو أى قبل أن يظهر نقد بشر فارس فى « مقتطف » أول يولية ، وأنه أطلعنى على هذا النقد فى حينه ، وأن صاحب « الرسالة » أخر نشره

والحق أنى أذكر أن إسماعيل أدهم تلا على وقتئذ مقاله فى كتاب « فرعون الصغير » وقال لى : إنه سيرسله فى النقد إلى «الرسالة» ولكنى لا أذكر اليوم شيئاً من هذا الرد وهل كان يتضمن ما يقول إسماعيل أدهم أنه لم يقتبسه من بشر فارس أو لا

ولعل القول الفصل فى هذا الخلاف عند صاحب « الرسالة » فإن الأستاذ الكبير لا بد ذاكر متى وصلته مقالة اسماعيل أدهم وكيف تأخر نشرها

وبعد فإنى لم أكتب كلمتى هذه لأنتصر لهذا أو لذاك من المتناظرين ، فلكل واحد منهما عندى الصداقة التى يعرفها ،

ولكني أقصد إلى أن هذا الجدل قد طال أمره وتشعبت نواحيه وتعددت أساليب الهجوم فيه حتى لم يبق فيها زيادة لمستزيد ، وحتى وقف جمهرة القراء على آراء الفريقين ومراميهما ، ولعل الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة » لا يعدم أسلوباً من أساليبه اللبقة لإقفال بابه بعد أن يحفظ لكل من المتناظرين حقه في إجمال آرائه في أسطر معدودة ، وللجمهور بعد ذلك أن يحكم لهذا أو ذاك أو لكليهما معاً

وأنا واثق أني حين أعرض هذا الاقتراح أعبر عن رأي أصدقاء الأديبين الفاضلين الدكتورين بشر فارس واسماعيل أدهم والمعجبين بأبحاثهما القيمة وهم كثيرون

(الاسكندرية) صديق شيبوب

و(الرسالة) تقول لصديقها شيبوب انها كانت شديدة الاعجاب بموقف الأستاذ أمين عثمان من الخصمين العظيمين أحمد ماهر ومكرم عبيد

حكومة قاسية ؟!

نعم ، ثم نعم ، حكومة قاسية ، قاسية ، قاسية ...

ولكن من الذي يقول بذلك ؟ إليكم البيان :

لما أعلنت الحرب ، تسابق التجار في مصر إلى رفع الأسعار ، أسعار الأشياء الماشية ... فلم يؤذني ذلك ، لأني قضيت دهري في الحدود التي صرح بها الشاعر إذ يقول :

لستُ أرتاع لخطبٍ نازلٍ إنما الخوف لقلبٍ مطمئنْ

فأنا أحتقر الضرورات المادية للعيش ، وأكتفي بالقليل حين لا أجد غير القليل ، وأتأسّى بالتعبير الذي كنت أعتصم به يوم كانت تكرثني الفاقة في باريس ، التعبير الذي يقول : On s'en passe

فقد وطنتُ نفسي على الأزمة التي تقضي بها جوائح الحرب ، وقلت : لعل في ذلك خيراً وأنا لا أعرف !

ولكن هناك أشياء لا أستغني عنها أبداً ، وهذه الأشياء هي ورق الطباعة الذي يحتاج إليه المؤلفون في كل وقت . وقد صرت مؤلفاً من حيث لا أحتسب ، وتلطف القراء فأوهموني أن لي في أنفسهم منزلة توجب أن أحسب لرضاهم ألف حساب !

وهل كنت أول مؤلف خدعه القراء ؟

أليس في مصر نحو عشرين أو ثلاثين مؤلفاً ينفقون أرزاقهم وأرزاق أطفالهم فيما يشترون من الورق وما يقدمون إلى المطابع ؟

أليس في مصر عدة مجلات أدبية يتنازل أصحابها عن أقواتهم ليفوا بالعهد للقراء ؟ ...

قامت الحرب ، ولي في المطابع ثلاثة مؤلفات ، منها كتاب نفدت طبعته منذ أشهر طوال ، وهو يطلب كل يوم ... ولهذا الكتاب منزلة في قلبي ، لأنه من محصول دار المعلمين العالية في بغداد ، هو كتاب « عبقرية الشريف الرضي » ، الذي أعلن عن طبعته الثانية بالمجان في مجلة « الرسالة » ، لأن صاحبها مؤلف وصحفي ، وهو يعاني من عُنف تجار الورق أضعاف ما أعاني ...

وأعترف بالحق فأقول : شرعتُ في طبع تلك الكتب مطلعَ الصيف ، ثم ضاق جيبي عما أريد ، فاعتللتُ لأصحاب المطابع بأني أحب أن أقضي الصيف في شغل ألطف من الطبع والتصحيح : وهو مشاهدة اللؤلؤ المنثور فوق شواطئ الإسكندرية وشواطئ بور سعيد وشواطئ دمياط

وهل يكثُر على رجل في مثل حالي أن يعطّل مؤلفاته ليمتع عينيه بمشاهدة اللاح ؟ ولكن لا بدّ مما ليس منه بدّ

الحربُ أُعلنتْ ، ويجب أن أفرغ من طبع تلك المؤلفات قبل أن يصير الورق من الممنوعات

الورق ! الورق !

تلفتُّ فرأيت التجار زادوه إلى أضعاف وأضعاف ، فرضيت بالخسارة العاجلة فيما شرعت في طبعه من تلك المؤلفات ، وانتظرت حتى تنتهي الحرب . ولكن الحكومة — الحكومة الحازمة التي يرأسها الرجل الحازم عليّ ماهر باشا — سارعتْ ففرضت تسعيرة لأكثر الأشياء ، ومنها الورق

وعندئذ أسرعت لابتياع ما أحتاج إليه لإنجاز تلك المؤلفات فماذا رأيت؟ رأيت التجار جميعاً خضعوا لحكم التسعيرة إلا تجار الورق

فهل يعرف القراء ما الذي قرأت في عيون تجار الورق ؟

رأيت في عيونهم كلمة مرقومة بأحرف من الظلمات . رأيتهم جميعاً يقولون : هذه حكومة قاسية لأنها صدّتنا عن إرهاق من يشتغلون بالصحافة والتأليف !

وأنا أشهد علانيةً بأن الرئيس علي ماهر باشا رجل قاس لأنه صدّ عنا عادية المجرمين من تجار الورق وكفّهم عن الجشع البغيض فيا أيها الرجل العظيم الذي اسمه علي ماهر ، تذكَّر ثم تذكَّر ،

تذكّر أنك أنقذتنا من ظلم تجار الورق ، وتذكّر أنهم سيرجمون إلى غيّهم بعد قليل إن أمنوا سطوة الحزم والعدل

وستكون أول من أهدى إليه تلك المؤلفات التي انتزعتُ ورقها من تجار الورق بفضل حزمك ورجولتك ، وعند الشدائد تظهر عزائم الرجال

زكي مبارك

حتر اللسان

قرأت في (الرسالة الغراء) سؤال السيد الفاضل (ع . م . ح) وقد وجدت في اللسان والتاج هذا : « لسان حتِر لا يجد طعم الطعام » وجاء في نجعة الرائد : « يقال رجل حتر اللسان كما يقال حتر الأذن أي لا يجد طعم الطعام » وفي (الإفصاح) : « لسان حَتْر - لا يجد طعم الطعام » وابن سيدة لم يذكر في المخصص في فصل أدواء اللسان لا الحتر ولا الحبر . وقد أضاف الأستاذان مؤلفا الإفصاح إلى المجموع من المخصص أشياء من غيره « مما تمس إليه الحاجة » فإن أرادا ذكرا متفضلين مظنة اللفظة التي نقلا عنها لأجل تحقيقها

(طنطا) أزهري

كتاب (التعليم والمتعطلون في مصر) شكر وتقدير

أهدى الأستاذ المربي عبد الحميد فهمي مطر كتابه النفيس (التعليم والمتعطلون في مصر) إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر فتفضل رفعته بإرسال هذا الكتاب إليه :

حضرة الأستاذ الفاضل عبد الحميد فهمي مطر

تلقيت ممتناً مؤلفكم القيم (التعليم والمتعطلون في مصر) وإني ليسرني أن أبعث إليكم بعظيم الشكر على جميل هذا الإهداء ، مقدراً أحسن التقدير ما أبديتم من عناية بهذا الموضوع الدقيق ، وما بذلتم من جهد في تقديم هذه الدراسة النافعة

ولكم مع أزكى التحيات أطيب التمنيات

(علي ماهر)

معهد اللغات الشرقية في كلية الآداب

نشرت الوقائع المصرية مرسوماً بقانون هذا نصه بعد الديباجة :

مادة (١) ينشأ في كلية الآداب معهد يسمى « معهد اللغات الشرقية وآدابها » يكون الغرض منه التخصص في اللغات السامية ولغات الأمم الإسلامية واللهجات العربية القديمة والحديثة .

مادة (٢) يشمل المعهد الفروع الثلاثة الآتية :

١ - فرع اللغات السامية .

٢ - فرع لغات الأمم الإسلامية .

٣ - فرع اللهجات العربية .

مادة (٣) يدرس في فرع اللغات السامية المواد الآتية :

الأكادي ، الكنعاني ، الآرامي ، السامي الجنوبي ، علم اللغات، النحو المقارن . . .

ويدرس في فرع لغات الأمم الإسلامية اللغات الآتية :

الإيرانية والتركية والأردية (الهندستانية) ... وما يضاف إليها من اللغات الشرقية القديمة والحية غير السامية ...

ويدرس في فرع اللهجات العربية :

اللهجات العربية القديمة والحديثة في مختلف الأقطار والأقاليم

واشتمل المرسوم بعد ذلك على شروط القبول ورسم القيد وأمور أخرى خاصة بهذا المعهد .

جائزة طلعت حرب باشا السنوية

لما عاد سعادة طلعت حرب باشا من أوربا في السنة الماضية معافى رأى بعض إخوانه من مديري البنك وشركاته أن يظهروا سرورهم بشفائه وأن يغتنموا هذه الفرصة لتقديرهم لما قام به من خلق مصر الاقتصادية الصناعية ، فاكتتب كل منهم بعشرين جنيهاً مصرياً، وقرروا أن يشترى بالمبلغ مائة سهم من أسهم بنك مصر يخصص ربحها سنوياً لجائزتين : إحداهما للتفوق في التعليم التجاري ، والثانية للتفوق في التعليم الصناعي . وأنابوا عنهم في هذا حضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا . وقد أرسل سعادته منذ يومين إلى صاحب المعالي وزير المعارف العمومية الخطاب الآتي :

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية

أتشرف أن أخبر معاليكم أنه بمناسبة إبلال حضرة صاحب السعادة طلعت حرب باشا السنة الماضية من المرض الخطير الذي كان قد ألم به إذ ذاك اجتمع بعض إخوانه من مديري البنك والشركات المتصلة به واكتتبوا فيما بينهم بمبلغ اشتروا به مائة سهم

من أسهم بنك مصر وخصصوا ريعها ليصرف جائزتين سنويتين : إحداهما للمتفوق فى التعليم التجارى والثانية للمتفوق فى التعليم الصناعى ويطلق عليها جائزة محمد طلعت حرب باشا

وبناء على هذا قد أودعت فى بنك مصر المائة سهم المذكورة تحت تصرف معاليكم ليصرف كوبونها لوزارة المعارف سنوياً

حول مقال

سيدى الأستاذ الزيات

أشكركم كثيراً لنشركم مقال « ابن حوقل » فى العدد ٣٢٣ من الرسالة . وقد وقفتُ بعد إرسال المقال المذكور إليكم على كتاب « المكتبة العربية الصقلية » ، الذى اعتنى بجمعه ونشره المستشرق الإيطالى أمارى Amari فى ليبسك سنة ١٨٧٥ بعنوان : Biblioteca Arabo-Sicula فوجدته قد نشر فى الصفحة (٤ — ١١) من هذه المجموعة جانباً من كتاب « المسالك والمالك » لابن حوقل يتناول وصف جزيرة صقلية

إن ما نُشر فى هذه المجموعة الصقلية يُعتبر إحدى الطبعات الجزئية التى سردناها فى مقالنا السابق لكتاب المسالك والممالك

(بغداد) ميخائيل عواد

الى رجال الأدب والتاريخ

فى العدد ٣٢٢ من الرسالة الزهراء وفى مقال نصير العروبة الدكتور زكى مبارك « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » ورد ذكر الشيخ محمد صائم الدهر الذى طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب ليحطم ما ترك المصريون القدماء من الأصنام والأوثان وجدع أنف أبى الهول الخ

وقد أثار هذا الاسم حواراً طريفاً وحديثاً تشعب وتفرع عند طائفة من الأدباء ، هنا فهل لرجال الأدب والتاريخ من يذكر طرفاً موجزاً عن تاريخ هذا الشيخ وعصره فإن فى ذلك الإيضاح فائدة وعملاً مشكوراً !

أم درمان (السودان) حسن حامد البدرى

حول نقد كتاب

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

قرأت فى عددين مضيا من (الرسالة) الغراء ، كلمة للأديب البغدادى خليل أحمد جلو ينقد بها كتاب « بعث الشعر الجاهلى » للدكتور مهدى البصير . وقد أهدى إلى أحد أصدقائى ببغداد نسخة من هذا الكتاب فى أواسط يونية الماضى ، وكتب إلى يقول : إن مؤلفه يسره أن أكتب عنه ما يعن لى من نقد وملاحظات ، فكتبت عنه كلة طويلة ضمنتها ما أخذته على الكتاب ثم بعثت بنسخة منها ـ أواخر يولية الماضى ـ إلى مجلة « التفيض » البغدادية . ومن غريب المصادفات أن أجد مقالة الأديب جلو مشابهة لمقالتى فى موضوعها وجوهرها، لا فى أسلوبها ومظهرها

وتشاء الظروف أن تنقطع مجلة « التفيض » عن الظهور عقيب وصول المقال إليها ؛ لأنها كانت تصدر نصف شهرية وأراد القائمون على أمرها أن تصدر أسبوعية من أول شهر « أيلول » . وللآن لم يصلنى العدد الأسبوعى الأول من « التفيض » حتى أعرف إن كان مقالى المذكور قد نشر أم لا . وخشية من أن يتهمنى الأديب (جلو) أو سواه بأننى بنيت مقالى على مقاله أو حرفته ونسبته لنفسى ، أسارع بنشر هذه الكلمة والوقت لا يزال فسيحاً ؛ وسندى فى ذلك كتاب بعث به إلىّ الأستاذ سليم التكريتى محرر (التفيض) يطلب منى أن أكون محرراً دائماً بها ، ويخبرنى بوصول مقالى عن كتاب البصير إليه . وهذا الكتاب بتاريخ ٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ م

ولعل صفحات (الرسالة) الغراء لا تضيق عن هذه الكلمة القصيرة ، ولكم شكر وتحيات وسلام

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصى



نظرات فى كتاب

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

بقلم الأديب خليل أحمد جلو

— ٣ —

لقد عقدت النية ووطدت العزم على محاسبة الدكتور مهدى البصير حساباً عسيراً بلا ترفق ولا استبقاء . ولكن الأستاذ الزيات شفيق رفيق فأشار إلىّ إشارة خفية بأن يكون حسابى يسيراً ليناً . وسأفعل إن شاء الله

ولا يحسب القارئ أنى سأحيد عن الحق والحقيقة أوستأخذنى فيهما رأفة أو هوادة . ولكنى سأبذل قصارى جهدى وأحرص كل الحرص على أن يكون النقد شريفاً صادقاً كما تعودت وألفت وأبتعد عن غواية الأهواء وضلالة العواطف على قدر ما تسمح نفس إنسان شريف

لقد أجمع أصحابى على أن النقد الذى حدثتكم به من قبل نزيه معقول ، ولكنه عبء ثقيل على الدكتور البصير لا يحتمله كاهله فكان على أن أتجنبه وأسمح له أن يحيا حياة هادئة مطمئنة لا يعكرها نقد ولا تنغصها مؤاخذة ، وكان على أن أزهق الحق وأظهر الباطل فى سبيل ما يحب ويشتهي ، وليس ذلك على بعزيز ولا عليه بكثير وهو أستاذ فى الدار التى تخرجت فيها

لقد أخطأ هؤلاء الأصحاب وشطوا عن الصواب . ولو علموا أن نقد التلميذ لأستاذه بر واعتراف بالجميل لما جازفوا فى قولهم .

والدكتور مهما بلغت به سورة الغضب وشدة الحنق سيضطر عاجلاً أو آجلاً أن يعترف بفضل هذا النقد ووجاهته

أما بعد فإن للمؤلف ذوقاً خاصاً فى تقدير قيمة الأشعار خرم السلامة والجمال . وأحسن ما يتجلى وذلك فى تذوقه البيتين الأولين من معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

فقد ملكت روعتها مشاعره وإحساساته . وشهد لها « بالضبط الذى لا يفطن إليه سوى كبار الشعراء » (ص٢٥)

قولوا ماشئتم فى قيمة هذين البيتين الأدبية ، أما أنا فلا أعتقد أن لها جمالاً يخلب اللب ولا سحراً يأخذ بالقلوب، ولاضبطاً يجدر بصنار الشعراء أن ينتبهوا له بله كبارهم وأى روعة أدبية فيهما وهما رسمان خارطة لمنزل حبيبة الشاعر؟ وهل من الأدب فى شيء قولى : إن شارع أبى نواس يقع فى نهاية « الباب الشرقى » ، ويمتد على ضفة دجلة اليمنى ، تكتنفه المقاهى والمتنزهات ؟ . كلا ، إن هذا الضرب من الكلام أقرب إلى كلام العوام فلا يهم الأدب شيئاً . إنما يهمه ما فى الشارع من قدود هيف ، وعيون دعج ، ومنظر للنهر والفضاء ساحر أخاذ حين تجنح الشمس للغروب ويتحرك النسيم العليل

وهل فطن الدكتور للأخطاء التى ارتكبها الشاعر فى تركيب هذين البيتين فأثرت على معناها وقللت من قيمتهما ؟

* * *

رحم الله الباقلانى فقد قال : إن امرأ القيس فى مطلع قصيدته المعلقة كأنه دلال يبيع داراً ينادى إن الدار الرقة كذا ، والتى يحدها من الشمال كذا وكذا معروضة للبيع

وغفر الله للأستاذ إبرهيم شوكت قوله : إن امرأ القيس واضع أساس علم الجغرافية عنـد العرب ، فهو يعرف الشمال والجنوب ويحسن التحديد

وبارك الله فى الدكتور زكى مبارك فإنه يستخف هذا النوع من الكلام ويأبى حشره مع الأدب ونسبته له

وأحدثكم بعد هذا عن ادعاء للدكتور مضطرب مختلط إذ يقول (ص ١١) : « إن شعر امرئ القيس لا ينفى شيئاً ولا يثبت شيئاً ... وإن مؤرخى العرب لم يستدلوا بشعره يوماً ما على شىء » من حياة الشاعر أو تاريخه . وفى هذا القول من الخطأ والزلل ما يثير الدهش والاستغراب . إذ يُستخلص منه أن قصائد الشاعر لا تمثل شيئاً ولا تدل على شىء ، فهى إما لغو وإسفاف لا يمكن أن يستنبط منها صورة حياة الشاعر ، وإما انتحال واختلاق حمّلت عليه حملاً ؛ وإن ما نسب له من شعر موضوع مفتعل من قبل أناس لم يحسنوا التقليد ولم يمرنوا على الإبهام ، وإن « قفا نبك » التى لا يشك المؤلف (ص ١٣) : « فى أنها جاهلية بحتة ولا فى أنها من شعر امرئ القيس ذاته » ليست له

تلاحظ هنا ارتباك المؤلف وخبطه ومناقضته لنفسـه ، فبينما يقرر حقيقة وجود امرئ القيس إذا هو ينفيه من حيث لا يشعر ، وبينما يعترف بأن شعره المنسوب إليه لم ينظمه سواه إذا به ينكره غافلاً

والذى ساقه إلى هـذا التورط المحاولة التى يدحض بها استخلاص الدكتور طه حسين من قصائد الشاعر ما يستدل به على إنكار تاريخه

وزعم بهذه المحاولة أن ما أُثر عن امرئ القيس فى شعر لا يصح الاعتماد عليه لمعرفة حياته ، وأنه يجب أن نرجع إلى المصادر التى يروى عنها مؤرخو العرب ونستقى منها ما يمكن أن يقال عن الشاعر

لقد بينت سابقاً أن الدكتور البصير يثق كل الثقة بما يرويه المؤرخون ويتناقله القدماء بلا جدال ولا مناقشة . فهنا يسوق برهاناً آخر على حسن ظنه وعظيم تمسكه بهم ، حتى إنه لينكر على الناس أن يركنوا فى استطلاعهم على تاريخ امرئ القيس إلى شعره ويفرض عليهم أن يلتفتوا إلى ما قاله القدماء بلا شك ولا ارتياب

أنصح لك يا دكتور مرة أخرى ألا تثق فى أقوال القدماء كل الثقة ، وأن تستمع للقائل الأصيل فهو أصدق وأحق أن يرجع إليه ، وألا تتهم مؤرخى العرب بأنهم لم يستدلوا يوماً ما على شىء من حياة الشاعر أو تاريخه ، فليس من المنتظر أن يصدر منك هذا القول الجزاف

هل تنكر أن الشعر بصورة عامة يمثل حياة صاحبه وأنه مرآة عاداته وأخلاقه وتقاليده وميوله

إن الأستاذ العقاد استطاع أن يعطى صورة صادقة عن ابن الرومى رسمها فى شعره، وإن الأدباء اليوم لا يكتبون عن شاعر أو كاتب حتى يشبعوا شعره أو أدبه دراسة وتمحيصاً

الله أكبر . إن شعر امرئ القيس لا يمكن الاعتماد عليه ولا يدل على شىء من تاريخ صاحبه وهو الذى يحدثنا أن (قفانبك) لا تمثل سوى حياة قائلها

ولا أدرى كيف جوز لنفسه أن يقول إن المؤرخين لم يستدلوا من شعره على حياته ! ألا والله لو سألت أقل الناس ثقافة أن يشرح لك هذين البيتين :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

لاستدل لك بهما على حياة عريضة لامرئ القيس ولأنبأك بقتل أبيه واغتصاب ملكه وفزعه إلى قيصر بزانطة واستنجاده به على أعدائه، ولأفادك بأن الشاعر قال هذين البيتين وهو فى الطريق حين هلع صاحبه وجزع

(يتبع)

خليل أحمد جلو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 328

Lundi - 16 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

م

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

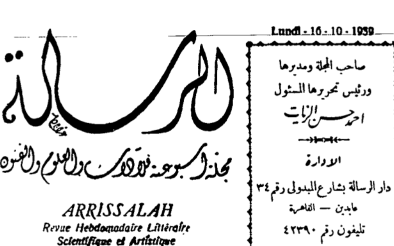
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

من مشكلات الأسرة الحديثة

بين الدين والحب

لقيته بعد تسع سنين على (تريانون) رائق الشباب رائع الصورة لطيف الشارة كما عهدته . وكان هذا اللقاء الجميل مفاجأة سارّة من مفاجآت الغيب بان أثرها علىّ وعليه فلم ندر كيف نسلّم ولا ماذا نقول

هذا الشاب الطرير من أسرة لبنانية مسلمة ؛ تَلمذ لى حيناً من الدهر فى أحد المعاهد الكبرى بالقاهرة ؛ واتصل بينى وبينه الود بعد أن تخرج فيه. ثم رحل إلى العراق يزاول التعليم به ؛ وانحصر وجوده بين بغداد وبيروت فلم أعد أراه . فلما رأيته بالإسكندرية فى هذه الساعة على هذه الحالة مَثَل أمام عينى جزء مشرق من الماضى القريب كاد يغرقه فى لجة النسيان حَدَثان الزمن

— متى قدمت مصر يا عبد الحميد وكيف أخفيت عنى هذا القدوم ؟

— قدمتها منذ ثلاثة أسابيع . وقد علمت أنك هنا فبحثت عنك فى كل مقهى وفى كل شاطئ فلم أجدك . ومنذ يومين لم يعد لى فى الإسكندرية عمل ولا أمل إلا أن ألقاك ؛ فإنى فوق أن أراك أريد أن أسألك عن أمر شغل بالى وشقّ علىّ

— خير إن شاء الله ؟

فقال الصديق الشاب وهو يحاول أن يكظم شيئاً فى نفسه بدت أماراته فى نظرته القلقة وصوته المأخوذ ولهجته المترددة :

— أريد أن تدلني على كتاب في الإنجليزية يبين روح الإسلام وحقيقة مبادئه وأصول أحكامه بطريقة يقبلها الرجل المصري المثقف

— هل وقعت — معاذ الله — في أزمة من أزمات الشك ؟

— كلا، وأحمد الله على قوة الإيمان وثبات العقيدة . إنما يتعلق الأمر بإنسان أحبّ إلى من نفسي، فتنه عن دينه فتون التعليم الأجنبي وفسوق البيئة . ولقد وقع في يدي اليوم كتاب في العربية عنوانه : « لماذا أنا مسلم » فراقني أسلوبه وأرضاني منهجه ، ولكن صاحبي على مصريته لا يعرف العربية ولا يثق بما كتب فيها

— ألا تستطيع أن تقدمه إلى فأعينك على إقناعه وإرجاعه ؟

فارتبك الفتى وكسر من طرفه. ثم ما لبث أن خفّض جأشه وأرسل نفسه وترك تحفظه وقال :

— مالي أخفي الأمر عنك وقد كنت لي في مشكلات الشباب والعيش المشير الصادق والناصح المخلص؟ إن الأمر يتصل بفتاة مصرية هويتها منذ سبع سنين، أبوها طبيب من الأطباء الموظفين النابهين تعرفه كما أعرفه، وأمها إنجليزية دخلت في الإسلام لئلا تحرَم الإرث كما يقال ؛ والفتاة بارعة الجمال رضية الأخلاق رقيقة القلب عفيفة الدخلة ؛ تلقت دروسها الابتدائية في مدرسة أمريكية بالقاهرة ، والثانويةَ في مدرسة انجليزية بلندن؛ فهي في ثقافة الجسم والعقل والروح مثال المرأة الحديثة الصالحة . لقيتُ أسرتها أول مرة في إحدى مدن لبنان فألف بيننا تجاوب الشعور وتقارب الثقافة ؛ وتمكنت الألفة بيني وبين الفتاة بحكم الطبيعة والسن ، وتأثير اللهو والرياضة ، فما كنا نفترق في اليوم والليل إلا ساعات النوم القليلة . وكان أبواها يساعدان هذا الهوى الوليد بإطلاق الحرية وإرصاد الفرص واعتقاد الثقة ؛ فلم نعد إلى القاهرة معاً حتى كان هذا الحب عاتياً جباراً يذهب بقلبي وقلبها كل مذهب . ثم دأبت على زيارتها في بيتها كل يوم في النهار أو في الليل فنقضي أوقات الفراغ في القراءة أو في النزهة أو في التنس أو في السينما ! وفي كل لحظة تمر أو لفظة تقال يكشف كلانا في الآخر دليلاً جديداً على أنه عروس أحلامه وموعود غده

كانت تسافر أوائل الخريف إلى لندن فيكون بيننا بريد دائم بالفكر المستمر والطيف الثائر والكتابة المتصلة . فلا ندع فكرة يبعثها الخيال أو الشوق ، ولا كلمة يوحيها العقل أو القلب ، إلا تبادلناها بالتفكر أو التذكر أو الحنين أو الكتابة في النوم أو في اليقظة . ثم تعود أواخر الربيع إلى القاهرة فيعود أنسنا باللقاء ، وسرورنا بالحديث ، ومرحنا بالرياضة ، فلا نترك متنزهاً ولا ملهى في العاصمة والضاحية إلا أشهدناه على آية من آيات الحب ، أو ساعة من ساعات السعادة

ثم رحلتُ إلى بغداد فنشأت في نفسي رغبة شديدة في بناء بيت وتكوين أسرة، فخطبتها إلى أبويها في شتاء هذا العام واستقر رأينا على إعلان الخطبة في الصيف متى عدت من بغداد وعادت هي من لندن

جاء الصيف يا سيدي فعدت وعادت ، ونزلت على عطف أبويها في مصيفهما بالرمل نزول الابن الموموق على حنان أبويه بعد غيبة طويلة . ولكني رأيت الوجوه غير الوجوه ! فلا البشر بادٍ في عين الأم كما شهدت ، ولا السرور جارٍ على ثغر الفتاة كما عهدت . فلما سألت السيدة عن سر هذا الوجوم قالت لي ادخل على ميمي الغرفة فلعلك تجد عندها الجواب

دخلت على ميمي فوجدتها جاثية بجانب السرير تضرع وتبكي . فلم أتمالك أن جثوت بجانبها منزورق العين مستطار الفؤاد، وأخذت أنفّس من كربها وأسألها عما بها ، فقالت وهي تنشج بالبكاء :

— مستحيل ! مستحيل ! لقد أحببتك حتى لم يعد لي هوى إلا إليك ولا فكر إلا فيك ؛ ولكنني لا أستطيع الزواج منك لأني مسيحية متعصبة وأنت مسلم محافظ . ولا سبيل إلى أن نتزوج كما تزوج أبي وأمي ، فإني وأنت صريحان ، وأنا أحتقر دينك بقدر ما أحترمك ، وأبغض نبيك بقدر ما أحبك

— ومتى دِنْتِ بالنصرانية يا ميمي وأنا وأبواك لا نعرفك إلا مسلمة ؟

— دنت بها منذ رحلت إلى لندن، وجعلت الأمر بيني وبين الله حتى أخبرتني أمي بخطبتك فلم أجد بداً من إعلانه

— وهل درست الإسلام يا ميمي قبل أن ترتدي عنه ؟

— درسته على الراهبات في مصر وفي انجلترا وعلمت عنه ما أشفق على وجدانك من سماعه

— لقد درسته على خصومه ومنكريه ، فكيف يسوغ في عقلك أن يكون كلام الخصم على الخصم حجة ؟

— وعلى من كنت تريد أن أدرسه ؟ أعلى أبي وما سمعته مرة يذكر الله ، ولا رأيته يوماً يدخل المسجد ؟ أم على أمي وقد كانت

احمد حسن الزيات

[البقية على صفحة ١٩٩٨]

بين الوحدة الاسلامية والوحدة العربيـــة

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

قرأت وسمعت — إلى الآن — آراء وملاحظات كثيرة حول المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية ، وأخذت أتلقى ـ منذ مدة ـ أسئلة متنوعة حول هذه القضية منها :

لماذا تهتم بالوحدة العربية وتهمل الوحدة الإسلامية ؟

ألا ترى أن هدف الوحدة الإسلامية أسمى من هدف الوحدة العربية ؟

وأن القوة التي تحصل من اتحاد المسلمين تكون أعظم من التي تحصل من اتحاد العرب ؟

ألا تسلم بأن الشعور الديني في الشرق أقوى بكثير من الشعور القومي ؟ فلماذا تريدنا أن نهمل استغلال ذلك الشعور القوي ، ونصرف قوانا في سبيل تقوية هذا الشعور الضعيف ؟

هل تعتقد أن اختلاف اللغات يحول دون اتحاد المسلمين ؟ ألا تلاحظ أن « مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس اختلفت لغاتهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يتفاهموا أو يتقاربوا ويجتمعوا على خطة واحدة ومبدأ واحد ؟ » ألا تعرف أن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو الياباني أو الأوربي أخ له كأخيه المسلم الذي يعيش معه جنباً إلى جنب ؟ ففيم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

يقول البعض : « إن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها ، وإن تحقيقها أسهل من تحقيق أية وحدة أخرى » فما رأيك في هذا القول ؟

ويدعي البعض « أن فكرة الوحدة العربية دسيسة انكليزية يقصد من ورائها الحيلولة دون توسع فكرة الوحدة الإسلامية ، وذلك لفصل الهند عن سائر أقطار العالم الإسلامي لتسهيل إدامة السيطرة عليها » فماذا تقول في هذا الادعاء ؟

لقد سمعت وقرأت ـ ولا أزال أسمع وأقرأ ـ أسئلة كثيرة من هذا القبيل خلال محادثات شفهية ، وفي رسائل خصوصية ، أو في كتب مفتوحة

فرأيت أن أخصص هذا المقال لمعالجة المسائل المبحوث عنها معالجة وافية ، لأشرح رأيي فيها بصراحة كافية

١ — أعتقد أن القضايا الأساسية التي يجب درسها وحلها عند التفكير في « المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية » تتلخص فيما يلي :

هل « الوحدة الإسلامية » من الآمال المعقولة التي يمكن تحقيقها أم هي من الأحلام الطوباوية التي لا إمكان لتحقيقها ؟

وعلى فرض الشق الأول : هل تحقيقها أسهل أم أصعب من تحقيق الوحدة العربية ؟

وهل يوجد شيء من المنافاة بين هاتين الوحدتين ؟

وهل من سبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية ، دون تحقيق الوحدة العربية ؟

عند ما نقدم على إعمال الذهن وإنعام النظر في مثل هذه المسائل يجب علينا — قبل كل شيء — أن نحدد ما نعنيه من الوحدة الإسلامية والوحدة العربية بوضوح تام ، ونعين مدى شمول كل واحد من هذين التعبيرين بصراحة كاملة

من الأمور التي لا تحتاج إلى شرح أن الوحدة العربية ترمي إلى إيجاد وحدة سياسية من الأقطار العربية المختلفة التي يتكلم أهلوها باللغة العربية . وأما الوحدة الإسلامية فترمي — بطبيعة الحال — إلى إيجاد وحدة سياسية من البلاد الإسلامية المختلفة التي يدين أهلوها بالديانة الإسلامية بالرغم من اختلاف لغاتهم وأجناسهم ...

ومن المعلوم أن العالم الإسلامي يشمل الأقطار العربية وتركية وإيران ، والأفغان وتركستان ، مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس ، وأفريقية الشمالية مع قسم في أفريقية الوسطى .. بقطع النظر عن بعض الكتل المتفرقة في أوربا وآسيا في ألبانيا ويوغسلافيا وبولندة والصين واليابان

ولا حاجة لبيان أن الأقطار العربية تشغل القسم المركزي من هذا العالم الفسيح

إن كل من يضع هذه الحقائق الراهنة نصب عينيه ، ويتصور خريطة العالم الإسلامي ، ويلاحظ موقع العالم العربي منها ، يضطر إلى التسليم بأن الوحدة العربية أسهل بكثير من الوحدة الإسلامية

وبأن هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق على فرض إمكان تحققها إلا بالوحدة العربية

إذ لا يمكن لأى عقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل وحيدر أباد وبخارا وكشغر وقارس وتمبكتو . . . دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس . لا يمكن لأى عاقل كان أن يقول بإمكان اتحاد الترك والعرب والفرس والملايو والزنوج دون اتحاد العرب أنفسهم

لو كان العالم العربي أوسع وأشمل من العالم الإسلامي - بعكس ما هو الواقع الآن - لأمكننا أن نتصور وحدة إسلامية دون وحدة عربية ، ولجاز أن يقال إن تحقيق الوحدة الإسلامية أسهل من تحقيق الوحدة العربية غير أنه لما كان الأمر بعكس ذلك تماماً فإنه لا مجال لمثل هذه الأقوال والتصورات فى المنطق بوجه من الوجوه

إن هذه الحقيقة يجب ألا تعزب عن بالنا عنـد ما نفكر ونتكلم فى أمر الوحدة الإسلامية والوحدة العربية

إن فكرة الوحدة الإسلامية أوسع وأشمل من مفهوم الوحدة العربية ؛ فنى الإمكان أن نقول بالوحدة العربية دون أن نقول بالوحدة الإسلامية؛ وليس من الممكن أن نقول بالوحدة الإسلامية دون أن نقول بالوحدة العربية

ولهذا السبب يحق لنا أن ندعى أن كل من يعارض الوحدة العربية يكون قد عارض الوحدة الإسلامية أيضاً ؛ وأما من عارض الوحدة العربيـة باسم الوحدة الإسلامية ، أو بحجة الوحدة الإسلامية ، فيكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة

٢ — بعـد تثبيت هذه الحقيقة — التى لا يجوز منطقيا الاختلاف فيها — يجدر بنا أن نلتفت إلى حقيقة ثانية لا تقل أهمية عنها

يجب علينا ألا ننسى أن المقصود من كلمة الوحدة فى هذا المقام هو الوحدة السياسية ، كما يجب علينا أن نلاحظ على الدوام أن مفهوم « الوحدة الإسلامية » يختلف عن مفهوم « الأخوة الإسلامية » اختلافاً كبيراً

فإن الاتحاد شيء والتعاطف شيء آخر ، والاتحاد السياسى شيء والاتفاق على مبدأ من المبادئ أو على مجموعة من المبادئ شيء آخر

فالدعوة إلى الوحدة الإسلامية تختلف بهذا الاعتبار عن الدعوة إلى إصلاح أحوال الإسلام كما تختلف عن الدعوة إلى زيادة التفاهم والتقارب والتضامن بين المسلمين

ولذلك نستطيع أن نقول : إن من يتكلم عن مبدأ الأخوة الإسلامية، ومن يبحث عن فوائد التفاهم بين المسلمين ، لا يكون قد برهن على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية

وبعكس ذلك ، من لا يسلم بإمكان تحقيق الوحدة الإسلامية لا يكون قد أنكر مبدأ الأخوة الإسلامية ، ولا عارض مساعى النهوض والتفاهم بين المسلمين

فكل ما يقال عن مبدأ الأخوة الإسلامية لا يكون دليلاً كافياً على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية

وأما الاستشهاد على إمكان الوحدة الإسلامية بالماسونية أو الاشتراكية أو الشيوعية فليس موافقاً للعقل والمنطق بوجه من الوجوه ، لأن الماسون لم يؤلفوا وحدة سياسية ، والأحزاب الاشتراكية فى الممالك الأوربية المختلفة لم تتحد لتكوين دولة واحدة ؛ حتى الشيوعية نفسها لم تكوّن دولة جديدة ، بل قامت مقام الدولة الروسية القيصرية

فيجب علينا أن نميز بين مسألة الأخوة الإسلامية ومسألة الوحدة الإسلامية تمييزاً صريحاً ، وأن نفكر فى إمكان أو عدم إمكان تحقيق الوحـدة الإسلامية — بمعناها السياسي — تفكيراً مباشراً

٣ — إذا ألقينا نظرة عامة على التاريخ ، واستعرضنا تأثيرات الأديان فى تكوين الوحدات السياسية ، نجد أن الأديان العالمية لم تتمكن من توحيد الشعوب التى تتكلم بلغات مختلفة إلا فى القرون الوسطى ، وذلك فى ساعات محدودة ولمدة قصيرة من الزمن

فإن الوحدة السياسية التى حاولت تكوينها الكنيسة المسيحية لم تستطع أن تجمع العالم الأورثوذكسى بالعالم الكاثوليكى فى وقت من الأوقات .. كما أن الوحدة السياسية التى سعت لتكوينها البابوية فى العالم الكاثوليكى نفسه لم تعمر مدة طويلة

وكذلك كان الأمر فى العالم الإسلامى ، فإن الوحدة السياسية التى وجدت فى صدر الإسلام لم تقو على تقلبات الأيام مدة طويلة؛ والخلافة (العباسية) نفسها لم تستطع أن تجمع كل المسلمين تحت رايتها السياسية ، حتى عند بلوغها أوج قوتها وقمة عظمتها ؛ كما أن البلاد التى كانت تخضع لسلطان هذه الخلافة نفسها لم تحافظ على وحدتها السياسية بصورة فعلية مدة طويلة ، ولم يمض وقت طويل على تأسيس الخلافة المذكورة حتى أصبحت سلطتها على بعض الأقطار معنوية أكثر منها مادية ، فلم تقو على الحياة دون انفراط عقد الأقطار المذكورة ، وتحولها إلى وحدات سياسية عديدة مستقل بعضها عن بعض بصورة فعلية

ومما يجدر بالانتباه فى هذا الصدد أن انتشار الدين الإسلامى فى بعض الأقطار تم بعد أن فقدت الخلافة الإسلامية وحدتها الفعلية وقوتها الحقيقية ، حتى أن هذا الانتشار جرى فى بعض الأقطار بصورة مستقلة عن تأثير السلطات السياسية ، وذلك على أيدى دعاة من التجار والشيوخ والدراويش ، فالعالم الإسلامى بحدوده الواسعة الحالية ، لم يكون وحدة سياسية ، فى وقت من الأوقات

فالوحدة السياسية التى لم تحقق فى القرون الماضية - فى عهود بساطة الحياة الاجتماعية وسذاجة العلائق السياسية ، وفى أدوار سيطرة التقاليد الدينية على كل ناحية من نواحى الأعمال والأفكار ليس من الممكن أن تحقق فى هـذا القرن بعد أن تعقدت الحياة الاجتماعية وأعضلت المشاكل السياسية وخرجت العلوم والصناعات عن سيطرة التقاليد والمعتقدات

٤ - إننى أعرف أن ما قررته هنا لا يروق الكثيرين من علماء الإسلام . أعرف أن الدلائل التاريخية التى ذكرتها آنفاً لا تستطيع أن تؤثر على معتقد الكثيرين من رجال الدين . وذلك لأنهم قد تعودوا التكلم فى هذه المسائل دون تذكر الحقائق التاريخية وملاحظة الخرائط الجغرافية ، كما أنهم لم يألفوا التمييز بين مدلول « الأخوة الدينية » ومدلول « الرابطة السياسية » بل إنهم نشأوا على المزج بين مبدأ الأخوة الإسلامية بمعناها الأخلاقى ، وبين فكرة الوحدة الإسلامية بمعناها السياسى

أنا لا أرى حاجة للسعى وراء إقناع هؤلاء بخطأ اعتقادهم فى هذا الأمر ؛ غير أنى أرى من الضرورى أن أطلب إليهم ألا ينسوا مقتضيات العقل والمنطق فى هـذا السبيل . لهم أن يحافظوا على اعتقادهم فى إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية ، ولو فى مستقبل بعيد؛ غير أن عليهم كذلك أن يسلموا فى الوقت نفسه بضرورة السعى إلى الوحدة العربية على الأقل ، كرحلة من مراحل تحقيق الوحدة الإسلامية التى يعتقدون بها . عليهم - فى كل حال - ألا يعارضوا المساعى التى تبذل فى سبيل تحقيق الوحدة العربية ، بحجة خدمة الوحدة الإسلامية التى يدعون إليها

فإننى أكرر هنا ما كتبته آنفاً « أن من يعارض الوحدة العربية بحجة الوحدة الإسلامية يكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة » وأقول بلا تردد إن مخالفة المنطق إلى هذا الحد ، لا يمكن أن تتأتى إلا من الخداع أو الانخداع :

خداع بعض الشعوبيين الذين لا يرتاحون إلى نهوض الأمة العربية فيسعون إلى تهييج الشعور الدينى ضد فكرة الوحدة العربية

والانخداع بعض السذج الذين يميلون إلى تصديق كل ما يقال لهم مقروناً باسم الدين دون أن ينتبهوا إلى ما قد يكون وراء هذه الأقوال من المقاصد الخفية

فأرى من واجبى أن أوجه أنظار جميع المسلمين العرب إلى هـذا الأمر الهام ، وأطلب إليهم ألا ينخدعوا بتدليس الشعوبيين فى هذا الباب

٥ - لعل أغرب وأخدع الآراء التى أبديت حول قضية الوحدة العربية والوحدة الإسلامية هو الرأى القائل بأن فكرة الوحدة العربية من المصنوعات الإنكليزية التى خلقت لمحاربة « الوحدة الإسلامية » وذلك لفصل الهنـد عن سائر الأقطار الإسلامية ، تسهيلاً لدوام السيطرة عليها

أنا لا أستطيع أن أتصور رأياً أكثر بعداً عن حقائق التاريخ والسياسة وأشد مخالفة لأحكام العقل والمنطق من هذا الادعاء الغريب

فإن التفاصيل التى ذكرتها آنفاً عن علاقة الوحدة الإسلامية بالوحدة العربية تكفى لإظهار خطل هذه المدعيات من حيث الأساس

مع هذا أرى أن أضيف إلى تلك التفاصيل بعض الملاحظات لزيادة البرهنة والإيضاح

إن كل من يمعن النظر فى مكاتبات الملك حسين للإنكليز ، وكل من يلاحظ اتجاهات السياسة البريطانية فى عدن والعقبة وفى فلسطين وفى جزيرة العرب ، يفهم بداهة أن القول بأن الإنكليز يشجعون فكرة الوحدة العربية تشجيعاً حقيقياً يكون افتئاتاً على الواقع صريحاً

لا ينكر أن الإنكليز سايروا الحركة العربية وصانعوها أكثر من سائر الدول ، وما ذلك إلا لأنهم أكثر مرونة في السياسة وأسرع فهماً لنفسيات الأمم وحقائق الاجتماع ... إنهم عرفوا القوة الكامنة في الفكرة العربية قبل غيرهم ، فرأوا أن يسايروها بعض المسايرة ويصانعوها بعض المصانعة ـ عوضاً عن محاربتها مباشرة ـ ليدفعوا ضررها عنهم ويجعلوها أكثر ملاءمة لمصالحهم .

وأما قضية « حكم الهند » فيجب أولاً ألا يعزب عن البال أنها ليست مسألة إسلامية بحتة ـ فإن المسلمين في الهند لا يؤلفون أكثرية السكان ، كما أن في الخلاف القائم بين المسلمين والهندوس مجالاً واسعاً لتسهيل سيطرة الإنكليز على تلك البلاد . ومما لا شك فيه أن حكم الإنكليز لا يتم في الهند نفسها ، بل يتطلب السيطرة على طرق المواصلات الجوية والبحرية التي تربطها ببريطانيا أيضاً ؛ ومن المعلوم أن قنال السويس وبحيرة الحبانية وثكنات مصر ومطارات العراق ، من جملة وسائل هذه السيطرة ، فهل يعقل أن يخشى الإنكليز — بالرغم من مرونتهم السياسية — من قيام دولة إسلامية كبيرة تستطيع أن تستولى على الهند ، أكثر مما يخشون من قيام دولة عربية قوية تستطيع أن تسد طرق المواصلات المذكورة ؟

يجب أن نعرف جيداً أن السياسة الإنكليزية سياسة عملية تتكيف مع الظروف وتنتهز الفرص على الدوام . ويجب ألا ننسى أن بريطانيا العظمى هي التي أنقذت الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية من استيلاء الروس عدة مرات . وهي التي كانت أوقفت الجيوش المصرية في قلب الأنضول ، لتخليص مقر الخلافة الإسلامية من استيلاء تلك الجيوش الظافرة . وهي التي حالت دون اتحاد مصر مع سورية في عهد محمد علي الكبير

فكل من يتهم فكرة الوحدة العربية بكونها دسيسة انكليزية يكون قد قام بخدعة ما وراءها خدعة، ووقع في انخداع ما بعده انخداع

يجب أن نعلم حق العلم أن فكرة الوحدة العربية فكرة طبيعية لم يوجدها موجد . إنها نتيجة طبيعية لوجود الأمة العربية نفسها . هي قوة اجتماعية تستمد نشاطها من حياة اللغة العربية وتاريخ الأمة العربية واتصال البلاد العربية . فلا يستطيع أحد أن يدعى ـ بصورة منطقية ـ أن الإنكليز هم الذين خلقوا فكرة الوحدة العربية إلا إذا استطاع أن يبرهن على أن الإنكليز هم الذين خلقوا اللغة العربية ، أو أوجدوا تاريخ الأمة العربية ، وكونوا جغرافية البلاد العربية

إن فكرة الوحدة العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبتدعها الأفراد أو تستطيع أن تخلقها الدول . . .

إنها ظلت كامنة — شأن الكثير من القوى الطبيعية والاجتماعية — منذ عدة قرون لأسباب وعوامل تاريخية كثيرة لا مجال لشرحها هنا ؛ غير أن كل شيء يدل على أن دور كونها قد انتهى، وأن تيارها أخذ يظهر للعيان وصار يتدفق شيئاً فشيئاً . ولا شك في أن تيار هذه الفكرة سيزداد تدفقاً من جميع النفوس العربية بسرعة متزايدة تزايداً هائلاً . وسوف لا يلبث أن يغمر جميع البلاد العربية ويعيدها إلى مجدها السالف ونضرتها الأولى ، بل إلى ما هو أخصب وأقوى وأسمى منها

هذا يجب أن يكون إيمان كل مستنير من الناطقين بالضاد .

(برمانا) أبو خلدون

M. Arab. 139

ترانكانو

إن الأسواق الكبرى في الأقاليم الحارة هي حقا أماكن اجتماع غريبة إن كان بالنظر إلى النباتات التي يشاهدها الانسان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم فهؤلاء يأتون عادة من الجهات المجاورة بعكس النباتات التي مصدرها المنطقة الحارة جميعها فيوجد الجوز الهندي من الفلبين وأرز الهند وشكلاتو أمريكا وتمر البابايا من جهة الأمازون والكوافا من الكوتاماك والمنغوست من مليزيا .

إن رسما جديدا ممثلا سوق ترانكانو عاصمة مقاطعة صغيرة من دول الاتحاد المليزي يظهر جما من سكان البلاد يهرولون بجلبة محتفين من الحر في ثيابهم الطويلة البيضاء .

فمعظمهم من زراعي الأرز أو صيادي السمك وجميعهم يعيشون في ناحية من أكثر النواحي التي انتشر فيها وباء بالملاريا في العالم كله وشغلهم خطر ولكن الخطر لا يأتي من النمور والأفاعي على قدر ما يأتي من حيوان أصغر من ذلك وأشد منها وبالا وهو بعوض أي الملاريا .

فاللجنة الصحية لجمعية الأمم قد أظهرت ما هي البلية الهائلة بلية الملاريا في مدينة كمدينة ترانكانو فاللجنة التي تهتم بالملاريا تقول بوجوب إعطاء جميع أهل البلاد مقدار أربعين سنتجرام من الكينا يوميا على سبيل الوقاية وهذا شيء تحقيقه غير ممكن فاللجنة وهي خبيرة بكل ذلك تلح بأن يأخذ جميع السكان المصابين بالملاريا جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام والحاجة القصوى لأن ما يقارب نصف مجموع الداخلين إلى المستشفيات في مدينة ترانكانو مصابون بالملاريا .

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ١٨ —

ترفّق الأستاذ أحمد أمين بالأدب العربي فقال: إنه يرى من الإنصاف أن يستثنى أديبين اثنين «كان أدبهما أدباً تحليليًّا واضحاً» وهما ابن الرومي وابن خلدون

وكذلك انتهت دنيا الأدب العربي، الأدب الذي لم ينجب غير شاعر واحد وكاتب واحد في أمد طويل دام نحو خمسة عشر قرناً، وتعاونت في تكوينه أممٌ أسيوية وأفريقيــة وأوربية، واستطاع أن يؤثر في الآداب اللاتينية والعبرية والفارسية والتركية والهندية، وصار له في أكثر الجامعات الأوربية كرسي خاص

أحمد أمين يستثنى ابن الرومي من بين الشعراء، ويستثنى ابن خلدون من بين الكتّاب لسبب آخر غير الإنصاف؛ فقد سمع أن العقاد وضع كتاباً عن ابن الرومي، وسمع أن طه حسين وضع كتاباً عن ابن خلدون، ومن الواجب عليــه أن يعجب بالشاعر الذي أعجب به العقاد، والكاتب الذي أعجب به طه حسين

وكيف أقفر الأدب العربي في تلك الآماد الطوال فلم ينبغ فيه غير أديبين أولهما شاعر، وثانيهما كاتب؟

إن أحمد أمين لو حكم بأن مدينة واحدة مثل القاهرة أو دمشق أو بغداد لم تنجب في جيل واحد غير أديبين اثنين لكان من المسرفين، فكيف وهو يكيل الأحكام الأدبية بأوسع المكاييل فيحكم بأن الأدب العربي في جميع عصوره، وفيما انتظم من أمم شرقية وغربية لم ينجب غير أديبين اثنين؟

قد يقول إنه يقصد الأدب الذي يقوم على التحليل والاستقصاء

إن قال ذلك فنحن ندعوه إلى دراسة الأدب العربي من جديد. فالطريقة التحليلية عرفها شعراء العرب منذ أقدم العهود وعليه أن يرجع إلى معلقة طرفة، ومعلقة لبيد، وعينية أبي سويد وتائية كُثيِّر، ولامية الكميت، وتائية دعبل، ودالية مسلم ابن الوليد

الواقع أن الشعر العربي تغلب عليه النزعة التحليلية في أكثر ما تعرض له من مقاصد وأغراض، وانظروا كيف يحلل سعيد ابن حُميد فكرة النهي عن العتاب:

أقلل عتـابك فالبقاء قليـلُ ... والدهر يعـدل تارة ويميـلُ

لم أبكِ من زمن ذممت صروفهُ ... إلا بكيتُ عليه حين يزولُ

ولكل نائبـةٍ ألمّتْ مدةٌ ... ولكل حال أقبلت تحويلُ

والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ ... إن حُصّلوا أفناهم التحصيل

فلئن سبقتُ لتبكينّ بحسرة ... وليكثرنّ عليّ منك عويل

ولتُفجعنّ بمخلص لك وامق ... حبل الوفاء بحبله موصـول

ولئن ـ سبقتَ ولاسبقتَ ـ ليمضينْ ... من لا يشاكله لديّ خليـــل

وليذهبنّ بهاءُ كل مروءة ... وليفقدنْ جمالها المأهول

وأراك تكلَف بالعتاب وودُّنا ... باقٍ عليـه من الوفاء دليل

ولعل أيام الحيـاة قصيرةٌ ... فعـلام يكثر عتبنا ويطول

فالشاعر في هذه القصيدة يحلّل ويعلّل ويتناول موضوعه تناولَ من يدرك ما فيه من كليات وجزئيات، وما زال ينتقل من العموم إلى الخصوص حتى وصل في تصوير معناه إلى ما يريد

ولننظر كيف يقول الشريف الرضي في استبقاء الصديق:

وكم صاحبٍ كالرمح زاغت كعوبه ... أبي بعد طول الغمز أن يتقوما

تقبلتُ منه ظاهراً متبلّجاً ... وأدمج دوني باطناً متجهّما

فأبدى كروض الحزن رفّت فروعه ... وأضمر كالليــــل الحذاريّ مظلما

ولو أنني كشّفته عن ضميره ... أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

فلا باسطاً بالسوء إن نالني يداً ... ولا فاغراً بالذم إن رابني فما

كعضو رمت فيه الليالي بقادح ... ومن حمل العضو الأليم تألما

إذا أمر الطب اللبيب بقطعه ... أقول عسى ضنّاً به ولعلما

صبرتُ على إيلامه خوف نقصه ... ومن لام من لا يرعوي كان ألوما

هي الكفّ مضٌّ تركُها بعد دائها ... وإن قُطعت شانت ذراعاً ومعصما

أراك على قلبي وإن كنت عاصياً ... أعزّ من القلب المطيع وأكرما

حملتك حمل العين لجّ بها القذى ... فلا تنجلي يوماً ولا تبلغ العمى

دع المرء مطوياً على ما ذممته ... ولا تنشر الداء العضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعته ... على مضض لم تبق لحماً ولا دماً
ومن لم يوطّن للصغير من الأذى ... تعرض أن يلقى أجلّ وأعظما

فما رأيكم في هذا القصيد الجليل ؟

ألا ترون الشاعر ينقل الفكرة من وضع إلى وضع ، ويصنع بها ما يصنع المصور الذي يراعي دقائق المعاني ... وهو يضع اللوحة الفنية ؟ ...

إن الشاعر في هذه القصيدة أمامه غرضٌ واضح الرسوم ، فهو يحلّل ويعلّل ليصل إلى أبعد ما يريد من الاستقصاء !

أليس هذا هو التحليل الذي يقصد إليه أحمد أمين ؟

وما رأيكم في قول الطغرائي وهو يحاور الحمامة الباكية :

أبكيةٌ صدحتْ شجواً على فَنَنٍ ... فأشعلت ما خبا من نار أجفاني
ناحتْ وما فقدت إلفاً ولا فُجعت ... فذكّرتنيَ أوطاري وأوطاني
طليقةٌ من إسار الهمّ ناعمةٌ ... أضحت تجدد وجد المو ثق العاني
تشبهتْ بيَ في وجدي وفي طربي ... هيهات ما نحن في الحالين سيّان
ما في حشاها ولا في جفنها أثرٌ ... من نار قلبي ولا من ماء أجفاني
يا ربة البانة الغنّاء تحضنها ... خضراء تلتف أغصاناً بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناءٍ عن الأهل ممنوٍّ بهجران
فقارضيني إذا ما اعتادني طربٌ ... وجداً بوجد وسلواناً بسلوان
أو لا فقصرك حتى أستعين بمن ... يعنيه شأني ويأسو كلم أحزاني
ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذتْ ... مني الهموم ولا تدرين ما شاني
كِلي إلى الغيم إسعادي فإن لهُ ... دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني

فهل ترون هـذه القصيدة من « الأدب التركيبي » ، وهو لفظ ثقيل اخترعه أحمد أمين ؟

أم ترونها قصيدة تقوم على تحليل المعاني ليخلق منها الشاعر صورة شعرية ؟

وانظروا قول ديك الجن وقد قتل معشوقته بيديه :

يا طلعةً طلع الحِمام عليها ... فجَنَى لها ثمر الردى بيديها
حكّمت سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خديها
روّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
فوحقِّ نعليها وما وطئ الثرى ... شيء أعزّ عليّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن ... أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن بخلتُ على الوجود بحسنها ... وأنفتُ من نظر العيون إليها

فقد شرح الشاعر فكرته أتمّ الشرح ، وصوّرها أكمل التصوير ...

وهل وصلت إلى أحمد أمين أخبار تلك الوصية الرائعة التي بعث بها العباس بن الأحنف إلى حُجاج البيت الحرام ، وقد توقع أن يمروا بدار هواه

أنظروا إلى ذلك العليل ، وقد تمرد الداء ، وتعذر الشفاء ، وكلما عُصر الماء في فيه مجّه ، كما يصنع الطفل الوليد ... وقد ذهبت العلة بجمال نظراته ، وبريق بسماته ، وإن نودي لم يُجب بغير الأنين ... أنظروا إليه ! وقد تمنى جرعةً مُزجت بريق حبيبته يحملها الحُجاج في زجاجة ، ولو أمكن أن تُنقَل النظرة لرجاهم أن يحملوا إليه نظرة ، ولو خُلِق « الحاكي » في ذلك الحين لرجاهم أن ينقلوا إليه نغمة من نغماتها العذاب ، ولو مَهر المصورون حينذاك لكلفهم أن يصوروا مشيتها في الضحى والأصيل ... أنظروا إليه وهو يرجوهم أن يتعللوا عند أهله ، فيذكروا أن تلك الجرعة العذبة إنما هي من ماء زمزم ... أنظروا إليه وقد أوصاهم أن يرشوا ريق من يهوى على وجهه ، فإن صادفوه ميتاً فليرشوه على قبره ...

أنظروا كيف يقول :

أزوّار بيت الله مُرّوا بيثربٍ ... لحاجة مبتول الفؤاد كئيب
وقولوا لهم يا أهل يثرب أسعدوا ... على جَلَب للحادثات جليب
فإنا تركنا بالعراق أخا هوًى ... تنشّب رهناً في حبال شعوب
به سَقَمٌ أعيا المداوين علمه ... سوى ظنهم من مخطئٍ ومصيب
إذا ما عصرنا الماء في فيه مجّهُ ... وإن نحن ناديناه فغير مجيب
خذوا لي منها جرعة في زجاجة ... ألا إنها لو تعلمون طبيبي
وسيروا فإن أدركتمُ بي حُشاشةً ... لها في نواحي الصدر وَجْس دبيب
فرشوا على وجهي أفق من بليتي ... يثيبكمُ ذو العرش خير مثيب
فإن قال أهلي ما الذي جئتم به ... وقد يحسن التعليل كل أريب
فقولوا لهم جئناه من ماء زمزم ... لنشفيه من دائه بذَنوب
وإن أنتم جئتم وقد حيل بينكم ... وبيني بيوم للمنون عصيب
وصرت من الدنيا إلى قعر حفرة ... حليف صفيح مطبق وكثيب
فرشوا على قبري من الماء واندبوا ... قتيل كَعابٍ لا قتيل حروب

فهذا الشاعر قد قص قصة بلواه بأسلوب تحليلى رائع لا أدرى كيف ينكره أحمد أمين

وما رأيكم فيما قال كثير فى السخرية من عهود النساء :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن عليك شجاً فى الحلق حين تبين

وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخر من خلانها ستلين

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها

فليس لمخضوب البنان يمين

وما حاجتنا إلى تحليل هذا المعنى وقد وفاه فى بيت واحد من يقول :

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

* * *

إن أحمد أمين ينتظر شعراء يحللون، فهل أتاه حديث أبى العتاهية فى الزهديات ، وحديث أبى نواس فى الخمريات ، وحديث الشريف الرضى فى الحجازيات ، وحديث الكميت فى الهاشميات ، وحديث الأبيوردى فى النجديات ، وحديث البحترى فى طيف الخيال ، وحديث العباس بن الأحنف فى الكتمان ؟

وهل عنده علم بوصف الربيع فى شعر أبى تمام ؟ وهل سمع بأشعار ابن زيدون فى الحنين ؟ وهل قرأ قصائد ابن خفاجة وابن حمديس ؟ وهل فتح الله عليه فنظر بكاء الرندى يوم سقوط الأندلس ؟ وهل قرأ فائية ابن الفارض ؟ وهل اهتدى إلى حائية ابن النحاس الذى يقول :

كم أداوى القلب؛ قلت حيلتى كلما داويت جرحاً سال جرح

وهل عرف مصير أشعار بديع الزمان الذى يقول :

رأيت الناس خدّاعاً إلى جانب خدّاع

يعيثون مع الذئب ويبكون مع الراعى

وهل قرأ قصيدة أبى تمام يوم فتح عمورية ؟ وهل عرف روميات أبى فراس ؟ وهل شهد موكب المعانى فى مقصورة ابن دريد ؟ وهل درس رائية أبى صخر وعينية أبى ذؤيب ؟

أحب أن أعرف أين مكانك بين أدباء اللغة العربية ، ياصديقى ؟

أحب أن أعرف أتجدُّ فى دعواك أم تكون من الهازلين ؟

أقسم بالله وبالشرف أنى لفى عجب من غفلة الأستاذ أحمد أمين عن ذخائر الأدب العربى ، مع أنه أستاذ مسئول يتصدر لتدريس الأدب فى أكبر معهد من معاهدنا الأدبية

ويزيد فى الأسف أنه لم يكن كذلك فيما كنا نعرف من شمائله الذاتية ، فقد استطاع أن يظفر بثقة ناس من كبار الأدباء منهم لطفى السيد وهيكل وطه حسين والمازنى والعقاد والزيات والبشرى، وسمعنا ثناء عليه فى بيئات تزن أقدار الرجال ، فمن أين وصل إليه مرض الحذلقة الذى كاد يضيفه إلى أدعياء الأدب والبيان ؟

أتريدون الحق ؟

الحقُّ أن أحمد أمين لم يوفق إلى الإجادة إلا فى الموضوعات التى سار فيها على سَنَن مسلوك مهّده العلماء من قبل

فكتاب «الأخلاق» له مصدر معروف؛ فهو فى جملته وتفصيله وأصوله وفروعه تلخيصٌ لأىّ كتاب أوربىٍّ فى الأخلاق ، ولو شئت لسقت الأدلة والبراهين

وفجر الإسلام وضحى الإسلام لهما أصول من أبحاث المستشرقين عن المدنية الإسلامية ، وفيهما توجيهات للدكتور طه حسين سأكشف أسرارها حين أشاء ، وفيهما سرقات فى شئون اجتماعية ونحوية ، ولو شئتُ لقلتُ إنه نهب بعض آراء الأستاذ فلان ، وهو يعرف من أعنى ، وسيعرف كيف نجازيه بعد حين

بقى أحمد أمين « الأديب » الذى ينقل عن العقل والروح

فهل قرأتم له مقالة واحدة تشهد بأن له مواهب فيها أصالة وعُمق ؟

وكيف يصح ذلك ، وهو يرى أن الأدب العربى لم ينبغ فيه غير شاعر واحد ؟

ومن هو ذلك الشاعر ؟

هو ابن الرومى ، وإنما نص عليه بالذات ، ليصح له اتهام الأرومة العربية بالفقر والإجداب ؛ فقد كان المازنى كتب منذ أعوام أبحاثاً عن ابن الرومى ، وقرر فى تلك الأبحاث أن ابن الرومى ورث طريقة التحليل عن أجداده الأبعدين من اليونان

ولستُ بصدد الرد على المازنى ، الأديب المظلم ، حتى أبحث من أين أخذ هذا الرأى ، وإنما يحق لى أن أسأل : هل كان ابن الرومى أول شاعر عربى له أسلاف من اليونان ؟

ومن هو الجد اليونانى لطرفة بن العبد ، وقد وصف ناقته

فى المعلقة وصفاً هو النهاية فى التحليل والاستقصاء ؟

ومن هو الجد اليونانى لعمر بن أبى ربيعة وأشعاره تقوم على أساس من الحوار والتحليل والتمثيل ؟

ومن هو الجد اليونانى للشاعر لبيد وفى معلقته تحليل دقيق ؟

ومن هو الجد اليونانى للشريف الرضى وفى حجازياته أوصاف وتحليلات لم يهتد إلى مثلها سدنة الهياكل اليونانية ؟

وما رأى الأستاذ أحمد أمين فى أبى العلاء صاحب اللزوميات وصاحب رسالة الغفران ؟

ألا يرى أن أبا العلاء كان من الشعراء الذين يجيدون تحليل المعانى ؟

إن أبا العلاء قضى الشطر الثمر من عمره ، وهو يحاور نفسه ودنياه ، وقد وصل فى التحليل والاستقصاء إلى أبعد الحدود ، برغم المآخذ النفسية التى قيدناها عليه فى كتاب « وحى بغداد » فهو عندنا لا يقل عظمة فى تحليلاته ومحاوراته عن أكبر شاعر يبرع فى الحوار والتحليل .

أفلا يتفضل الأستاذ أحمد أمين بالاعتراف بمكانة أبى العلاء بين أقطاب الشعراء والمفكرين، فيضيفه إلى ابن الروى وابن خلدون ؟!

يظهر أن الأستاذ أحمد أمين نسى أن أبا العلاء شغل الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين ، فنشر الأول كتاباً عن أبى العلاء ونشر الثانى كتابين !

يظهر أنه نسى ذلك ، وما أنساه إلا الشيطان ، ولولا ذلك لاعترف بمكانة أبى العلاء رعايةً للعقاد وطه حسين ، إن عزت عليه رعاية الحق !

***

وأرجع فأقول : إن من التجنى على شعراء العرب أن نقول بحرمانهم من النزعة التحليلية ، فهم فى أغلب الأحوال يهتمون بتصوير المعانى ، ويُشعرون السامع والقارئ بأنهم يحاورون العواطف والقلوب والعقول ، وإليكم قول تميم بن جميل وهو يُرعد من خوف الموت بحضرة المعتصم :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً
يلاحظنى من حيثما أتلفتُ

وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى ... وأى امرئ مما قضى الله يفلت
وأىُّ امرئ يدلى بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف ... يُسلُّ علىّ السيف فيه وأسكت
وما جزعى أنى أموت ، وإننى ... لأعلم أن الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أُنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة
أذود الردى عنهم ، وإن متُّ مُوِّتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره ... وآخر جذلان يُسرُّ ويشمت

أليس هذا الشعر قائماً على الحوار والتحليل ؟ ؟

وما رأيكم فى قول ابن الزيات ، وقد ماتت زوجته وتركت له طفلاً يؤرقه بكاؤه فى هجمات الليل :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بُعَيْد الكرى عيناه تبتدرانِ
رأى كل أمٍّ وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً فى الفراش تحثه ... بلابل قلب دائم الخفقان
ألا إن سجلاً واحداً قد أرقته ... من الدمع أو سجلين قد شفيانى
فلا تلحيانى إن بكيتُ فإنما ... أداوى بهذا الدمع ما تريان
وإن مكاناً فى الثرى خُطَّ لحده ... لمن كان فى قلبى بكل مكان
أحقُّ مكان بالزيارة والهوى ... فهل أنتما إن عُجْتُ منتظران
فهبنى عزمتُ الصبر عنها لأننى ... جليدٌ فمن بالصبر لابن ثمان
ضعيف القُوَى لا يعرف الأجر حسبةً
ولا يأتسى بالناس فى الحدثان
ألاَ من أمنّيه المنى وأعدُّه ... لعثرة أيامى وصرف زمانى
ألاَ من إذا ماجئتُ أكرم مجلسى ... وإن غبتُ عنه حاطنى ورعانى
فلم أر كالأقدار كيف يصبننى ... ولا مثل هذا الدهر كيف رمانى

فهذه قطعة تحليلية رائعة ، وقد يلاحظ بعض القراء أن الصورة الشعرية فى هذه القصيدة متنافرة الأجزاء ، ولكن لا بأس فهذه القصيدة قد ضاعت أصولها مع الأسف ، ولم يبق منها غير هذه الأبيات وهى مما تخيّره ابن رشيق . وقد تعبتُ فى البحث عن أصل هذه القصيدة واستعنت بالأستاذ الشيخ محمد الخضرى بك مهذّب الأغانى فلم أصل إلى ما أريد ، ولكن هذه البقية الباقية من تلك القصيدة تشهد بقدرة ابن الزيات على تحليل المعانى والأغراض

***

أما بعد فأنتم تعرفون أن توضيح الواضحات من المشكلات؛ فالعرب فى أكثر أشعارهم قد تفوقوا فى عرض المعانى والمناظر والمشاهد ، ولهم فى تصوير الطبائع والشمائل قدرة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر أو حقود

وليس من الحتم أن يسلكوا جميعاً مسالك ابن الرومى أو أبي العلاء ، فلكل شاعر مذهب فى الأوصاف والتعابير ، واختلافهم فى مذاهبهم ومناحيهم ومراميهم هو الشاهد على ما يملكون من الأصالة والذاتية

وما كان ابن الرومى أكبر شاعر عرفه العرب ، كما توهم أحمد أمين ، وقد صارحت الأستاذ العقاد بأني أرى الشريف الرضى أشعر من ابن الرومى فلم ينكر ذلك ، وأكتفى بأن يقول إن مزية ابن الرومى عنده هى التفوق فى وصف الـ Caractères

وهذا حق ، فزية ابن الرومى هى الحرص على درس أهواء الناس ، وهى مزية شاركه فيها أبو العلاء

وإذا كان ابن الرومى قد أفلح فى تصوير نحائز الخلق فهو مع ذلك لم يصل فى شعره إلى الرنّة الموسيقية التى كان يتفرد بها البحترى، ولم يصل فى الصنعة إلى منزلة أبى تمام أو مسلم بن الوليد، ولم يحس الأنس بالحياة على نحو ما أحس ابن خفاجة أو ابن زيدون أو أبو نواس

ومن هنا نفهم أن للشعراء رسالات مختلفات ، فعمر بن أبى ربيعة فى بابه أشعر من ابن الرومى فى بابه ، وابن الرومى فى بابه أشعر من ابن أبى ربيعة فى بابه . والناقد الضيق الذهن هو الذى يضع للشعر غاية واحدة يحاكم إليها الشعراء

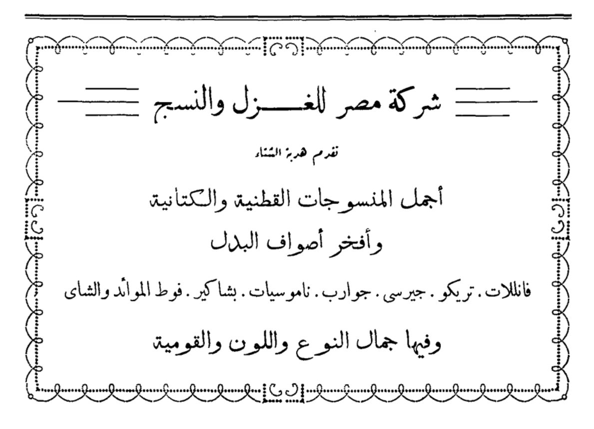
ومحاسن الأدب العربى ترجع إلى هذا التنوع الطريف ، فليس عندنا شاعر يُغنى عن شاعر ، وإنما هم إخوة مختلفون فى المذاهب والأغراض ، ومن اختلاف الألوان التى قدموها تتم الصورة الكاملة للعبقرية العربية

ثم ماذا ؟ ثم يقول أحمد أمين : إن الأدب العربى ليس فيه إلا كاتب واحد يجيد التحليل هو ابن خلدون

* * *

وسنرى فى المقال المقبل خطأ ما ادعاه هذا الزميل مع الدعاء له ولنا بالهداية والتوفيق ، وإنا أو إياه لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، والله المستعان على حيرة الفكر فى أهل هذا الزمان

« للحديث شجون » زكى مبارك



التعليم والانتـــاج

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

ها قد انتهت العطلة الصيفية بخمولها أو آذنت بالانتهاء. ودب في المعاهد التعليمية نشاطها وعادت إليها حركتها السنوية العادية، حركة القبول والرفض وتوفير المحال للطلاب. وهي حركة تشمل عدداً كبيراً من أبناء هذه البلاد وتشغل بال أولياء الأمور كما هو الحال في مثل هذه الأيام من كل عام. وهي حركة إن نمّت عن شيء فهي تنم عن إقبال شباب الأمة فتيانها وفتياتها على معاهدها سعياً وراء العلم والتعلم. وهي لا شك بشير الخير والبركة لو سار التعليم عندنا سيرته عند غيرنا، ولو اتجهت معاهدنا في توجيه أبنائها الاتجاه الصحيح الذي يدفع بالشباب إلى السبيل المستقيم سبيل الإنتاج، لأن حياة الأمم وعزها وقوتها في الإنتاج؛ والفرد غير المنتج تكون حياته عديمة القيمة. فإلى أي حد يا ترى أصبح تعليمنا منتجاً؟ وإلى أي مدى يا ترى تمد مدارسنا أبناءها ليكونوا مواطنين منتجين؟ وكم في المائة منهم يلجون أبواب الإنتاج الفعلي بعد تخرجهم في معاهدهم؟ وهل تستطيع معاهد التعليم عندنا أن توافينا بعدد خريجيها في كل عام، وعدد من انخرطوا منهم في سلك الإنتاج والمنتجين، وعدد من أصبحوا منهم في عداد الموظفين، وعدد من بقوا عالة على أهلهم وصاروا في عداد المتعطلين؟

هـذه أسئلة قد اعترضتني أثناء البحث الذي أجريته خاصاً بمؤلفي «التعليم والمتعطلون في مصر» ولم أستطع أن أجد لها حلاً وافياً لأني سألت كثيراً من المعاهد في ذلك، فلم يرد على البعض ورد البعض الآخر رداً مقتضباً عديم القيمة، ولكن مدرسة واحدة هي مدرسة التجارة المتوسطة بالأسكندرية ردت عليّ رداً وافياً بإحصائية كاملة عن حالة خريجيها من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٧ أوردتها بصفحة ٢٥٠ من مؤلفي السابق الذكر. ويتبين منها أن عدد خريجي هذه المدرسة بين العامين السابق الذكر هو ٥٣١ منهم ٢٠١ موظفون في الحكومة أي بنسبة ٣٧٫٧ في المائة ومنهم ٩٨ موظفون في الشركات والمصارف أي بنسبة ١٨٫٥ في المائة ومنهم ١٦٥ متعطلون لا عمل لهم أي بنسبة ٣١٫١ في المائة ومنهم ٣٧ حالتهم مجهولة أي بنسبة ٧٫٢ في المائة ومنهم ٢٣ يزاولون أعمالاً حرة أي بنسبة ٤٫٣ في المائة، وقد ارتفعت نسبة المتعطلين في العام الأخير عام ١٩٣٧ ارتفاعاً كبيراً؛ فكان عددهم ٧٦ من ٩٨ متخرجاً أي بنسبة ٧٧ ½ في المائة مما يدعو إلى الأسف الكثير. ومما يدعو إلى الأسف الأكثر أن ٤٫٣ في المائة فقط من المتخرجين جميعهم هم الذين ولجوا أبواب الإنتاج الحقيقي بمزاولة الأعمال الحرة

ولقد كان من السهل علينا الحصول على نتيجة حاسمة في هذا الموضوع لو أن كل معهد من معاهدنا احتفظ بسجل خاص بخريجيه يمكنه من عمل مثل الإحصائية السابقة وتقديمها لكل باحث في هذا الموضوع الهام الذي له شأن كبير في توجيه التعليم ورسم سياسته. وأعتقد أن وزارة المعارف لا بد أن تعنى به عناية جدية في عهدها الجديد المبشر بالخير. على أنه قد استجدت في مصر الآن حركة قوية غمرت معظم معاهدها، وأخذت بلب شبابها، ووجهت الكثيرين منهم وجهة جديدة، هي الانخراط في سلك ضباط الجيش العامل والمرابط، أو في زمرة عماله، وهي حركة تبشر بالخير، وتنم عن صدق الوطنية وحرارتها، وتقابل من جميع المصريين بالتقدير والإعجاب، ولكنها حركة مؤقتة أوجدتها ظروف المعاهدة وظروف الحرب الحاضرة. وليس من الممكن أن تستنفد الكلية الحربية كل خريجي مدارسنا الثانوية، ولا أن تستنفد ملحقاتها من مدارس صناع الجيش ومصانعه كل خريجي مدارسنا الصناعية. وإذا كانت الكلية الحربية قد أخذت عدداً كبيراً من هؤلاء، وإذا كانت المدارس الحربية الملحقة بها قد أخذت عدداً آخر كبيراً من أولئك، فإنها في الوقت نفسه قد رفضت منهم العدد الأكبر وردتهم عنها رداً خيب آمالهم وآمال أهليهم في توفير عمل يضمن لهم العيش في المستقبل... ولا شك أنها سترد عنها في السنين المقبلة جموعاً غفيرة من هؤلاء الطلاب أكثر بكثير ممن ردتهم هذا العام، لأن استيعابها للعدد الكبير منهم الآن راجع كما أسلفنا لظروف الحرب وظروف تنشئة الجيش العامل والمرابط وتكوينهما وتسليحهما، وهي ظروف طارئة لا تلبث أن تزول، وزوالها يعود الآلاف من شبابنا من خريجي المدارس والمعاهد يتراكون، كما قال المسيو كلاباريد في تقريره، كأنقاض الهدم لا يرجى منهم للإنتاج خير. ولذا أصبح لزاماً علينا أن نفكر جدياً في ربط معاهدنا بالحياة العامة حياة العمل والإنتاج ربطاً حقيقياً، كما فعلت قبلنا أمم وكما تفعل

الآن الأمم الحية . على أننا نستقبل هذا العام الدراسي الجديد بخطوة طيبة خطتها وزارة المعارف نحو الإصلاح المنشود ، وهي خطوة نادينا في تقاريرنا المتكررة إلى الوزارة بضرورة تنفيذها منذ أكثر من عشر سنوات كما نادى بتنفيذها الخبيران الفنيان المستر مان والمسيو كلاباريد في تقريريهما قديماً إليها

تلك هي إنشاء المناطق التعليمية الجديدة، وهي خطوة حسنة تخلصنا من أعباء المركزية الثقيلة وقيودها ولكنها في نظرنا لن يكون لها أثر فعال في إصلاح معاهد التعليم وربطها بالحياة العامة حياة الإنتاج إلا إذا تخلصنا من أمر آخر أشد ثقلاً على المعاهد من المركزية نفسها ، لأنه يقيدها بأثقل القيود ، وينهك قواها في مجهودات غير منتجة ويضطرها إلى التزام طريق خاصة تبعدها كل البعد عن الاتصال الفعلي بمصادر الإنتاج في الحياة العامة : تلك هي الامتحانات وأعباؤها. وإذا كان الثقات من علماء التربية الحديثة أمثال دكرولي ومنتسوري وديوي الخ يقررون أن المعاهد يجب عليها ألا تتصل فقط بمصادر الإنتاج المحيطة بها ، بل عليها فوق ذلك أن تكون هي نفسها مصادر للانتاج على نمط مصغر أو مكبر حسب ظروفها — فكيف يمكن لمعهد من المعاهد يضع نصب عينيه إعداد تلاميذه للامتحان في مسائل خاصة امتحاناً يعد هو الحد الفاصل في مستقبل تلميذه ؟ كيف يمكن لمثل هذا المعهد أن يحيد قيد أنملة عن المنهج الخاص بذلك الامتحان أو أن يفكر لحظة في غير مسائل الامتحان الذي يرفع الناجح ويقضي على الراسب ، لأنه يعد الحد الفاصل بين العلم والجهل وبين الذكاء والغباء كما يقرر أنصار القديم ؟ وكيف يمكن لناظر أو مدرس أن يفكر في غير الامتحان أو أن يعمل لغير الامتحان وهو المسئول عن نتيجته ومن ورائه المفتش يعمل وينقب للوم كل من يخرج عن المنهج المقرر في أمر ما مهما كان ذلك الأمر هاما ومهما كان متعلقاً بحياة الطالب ومستقبله ؟!

لهذا كله لا أشك في أن الامتحانات بعد تنفيذ اللامركزية أصبحت بصورتها الحاضرة هي العقبة الكأداء التي تعوق المدارس عن القيام بواجبها الحقيقي نحو أبنائها، إذ هي علاوة على ابتلاعها لوقت المدارس والمدرسين والنظار والطلاب وحرمانها إياهم من الاتصال المباشر بالإنتاج المحلي وتعرف دقائقه وأسراره ليست مقياساً مضبوطاً للكفاية كما نمت عن ذلك التجارب والإحصاءات وكما قرر ذلك أكابر الثقات ، ثم هي فوق ذلك تحرم المدارس من العناية بشخصية التلميذ كفرد مستقل له ميوله الخاصة واتجاهاته الخاصة التي يعنى بها الآن أكبر عناية في جميع المدارس الحديثة في البلاد الأخرى ، كما أنها تعمل على تنمية بعض قواه العقلية وإهمال البعض الآخر مما له أهمية كبرى في حياته ، وتفقده لذة العمل للعلم ذاته علاوة على ما فيها من مرتع خصيب للغش وإفساد الأخلاق وقد كتبت عن مضارها فصلاً مطولاً في مؤلفي «التعليم والمتعطلون في مصر » من صفحة ١٩٨ إلى صفحة ٢١٣ بدأته بما يأتي : « إذا كان أظهر عيوب السلطة التعليمية المحركة للأعمال الفنية والإدارية عندنا هو المركزية فإن أظهر عيوب الأعمال المدرسية هو الامتحانات » وقد جاء فيه « وإذا كان علماء التربية في البلاد ذات التعليم الحي التي تربط تعليمها ومدارسها بالحياة العامة قد أجمعوا على أن الامتحانات ليست مقياساً حقيقياً للكفاية فإن مدارسنا لا زالت إلى اليوم تعتبر النجاح فيها هو الغاية الوحيدة التي ترمى إليها ، وأصبحت الشهادة في نظر الجميع هي الدجاجة ذات البيض الذهبي التي تدر على صاحبها الذهب والفضة والخير والحياة السعيدة فهي الغاية التي ليس من ورائها غاية الخ »

وإذن ؛ فقد وضح الآن أنه لا سبيل إلى جعل اللامركزية مجدية ومفيدة في سبيل إصلاح معاهد التعليم وربطها بحياة الإنتاج ربطاً يدفع بأبنائها إلى حياة العمل إلا بالتخلص من شر الامتحانات إما بإلغائها أو بتعديلها تعديلاً كبيراً يخفف من شرها ويفسح المجال للعمل بدونها . وإن مصر كلها لتضع آمالها في إصلاح حال التعليم وجعله منتجاً ، في ذلكم العلم الفذ الذي دانت لهمته الكبيرة ألوية الثورة المصرية قديماً كما دانت لشخصيته القوية ونزاهته ألوية النهضة حديثاً ، ذلكم العلم الفذ القابض على زمام وزارة التربية والتعليم الآن الذي يجعلنا بماضيه المجيد نضع في جرأته وقوة شكيمته ومضاء عزيمته آمالنا في الإصلاح المنشود، سائلين الله تعالى أن يوفقه لخير العلم والتعليم ، ولخير مصر والمصريين .

عبد الحميد فهمي مطر

في الأدب الإنجليزي الحديث

د . ه . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٤ – الاباحية في الأدب

ينتمي الإنسان الحديث إلى إحدى طوائف ثلاث : فهو إما رجعي يخشى جسمه ولا يعترف بوجوده بحجة أن تفكيره كله مركز في الحياة الروحية دون غيرها ، وهو لذلك يحارب كل ما يمت إلى الجنس بصلة وينكر على نفسه كل رغبة جنسية مهما كان مصدرها أو موضوعها . وقلما ينجو أمثال هذا الشخص من غضب جسمه عليه في آخر الأمر ومن ضربته القاضية التي يكيلها له دون ما هوادة أو رحمة . وليس أدل على هذا من الأخبار التي كثيراً ما نسمعها عن أساتذة كبار أو قساوسة نيفوا على الستين مع فتيات قاصرات ممن يتعلمن في مدارسهم أو يقصدن كنائسهم . وليس أمر هؤلاء بالمحير ولا تعليل ما فعلوا بالمعجز ، فهم تنكروا لأجسامهم وكبتوا رغباتها ، فكانت نتيجة ذلك أن اعتل تفكيرهم واختل ميزان عقلهم ، فأتوا من الأعمال ما لا ينطبق على العقل في شيء

وهناك رجل آخر هو على النقيض من الرجل الأول ، أرخى لجسمه العنان وعاش من أجل متعة جسده لا غير . فهو يرى في جسمه وسيلة إلى اللذة فأسرف في الانغماس فيها ، لا فرق عنده بينها وبين أن يتناول كأساً من الكوكتيل أو غيره مما يشتهيه الجسد ويتلذذ به

وأخيراً يأتي النوع الثالث من الرجال وهم للأسف كثيرو العدد . ويمتاز هـذا الرجل بعقل قذر لا يغذيه إلا كل قذر . فهو رجل يغرم بقراءة الكتب التي تبحث في العلاقة الجنسية ، ولكن رائده في ذلك ليس تفهم فلسفتها أو الإفادة مما جاء بها ، وإنما رائده التفتيش عن كل بذيء خارج، لأنه يجد في قراءته لذة لا تعدلها لذة أخرى . ونجد هذا الشخص ميالاً إلى الاستماع إلى القصص التي تعالج هذا الموضوع وكذا النكات والفكاهات فكأنهم يجعلون من أساس حياتهم وعمادها موضوعاً للهزل واللعب . وهؤلاء وأمثالهم يربأ لورنس أن يكونوا من قراء كتبه

ومن غريب الأمر أن يتكلم هؤلاء الطوائف عن لورنس ككاتب إباحي مفحش في القول ، لا فرق عندهم بين من قرأ منهم كتبه ومن لم يقرأ . ولا يضع لورنس كل اللوم على هؤلاء الناس ، بل هو يوجه بعض لومه على القرن السابق الذي لا زالت تعاليمه مسيطرة على عقول الناس في العصر الحالي ، تلك التعاليم التي أكل عليها الدهر وشرب ، والتي ظهر خطأها وكان يجب أن يبطل العمل بها . وليس أدل على تأخر جيـل من خضوعه لقيود الجيل السالف واستسلامه لتعاليمه ، وإن ينطبق هذا على شيء فهو ينطبق على القرن العشرين الذي ما زال يرسف في أغلال القرن التاسع عشر على الأقل من الوجهة الاجتماعية . ففي مجتمعاتنا لا زلنا نحرص على التمسك بقيود أسلافنا ، وحتى في الأفلام التي نشاهدها ، وفي الكتب التي نقرأها ، وفي الأحاديث التي نستمع إليها ، ما زال لهذه التقاليد أكبر سلطان علينا ! فمثلاً لا زلنا نعتقد أن الجنس والعلاقة الجنسية هي من الموضوعات المحرمة التي لا يجب الخوض في بحثها ، أو الإشارة إليها إلا متسترين ، أو من طرف خفي . فالوالدان إذ يتحدثان إلى فتاتهما لا يزالان يقنعانها أنها يجب أن تكون في نقاوة الزهرة وطهر الملائكة ، وهم إذ يشبهونها بالزهرة فإنما يقصدون أنها يجب أن تتخذ الزهرة مثلها الأعلى ! ووجه الشبه الذي بينهما هو – في اعتقادهم – خلو كل منهما من الرغبة الجنسية . وأمثال هؤلاء القوم مخطئون في تشبيههم ، فلا الزهرة خالية من الرغبة الجنسية ، ولا الفتاة بمستطيعة أن تكون في غنى عن هذه الرغبة ! والحقيقة أن للزهرة جنساً ، وأن لها رغبة جنسية ، وليس من العدل في شيء أن نحرم الفتاة مما لم نحرم منه الزهرة ، بعد أن شبهنا الواحدة بالأخرى . ومع ذلك لا يفتأ الوالدان يكرران على مسمع الفتاة أمثال هذه الترهات حتى يأتي الوقت الذي تبغض فيه الجنس الآخر ، وتنظر إليه نظرتها إلى عدو لدود ، ولكنها بعد أن تنمو وتكبر وتصل إلى الدور الذي تبحث فيه عمن سيكون شريك حياتها ، تصطدم بالفكرة الخاطئة التي غرسها في نفسها والداها ، فيحدث عندها انقسام وصراع ينغص عليها عيشها ويفسد حياتها !

وليس فى استطاعة أحد تعريف الإباحية أو تحديدها ، بل هى فى الحقيقة أمر نسبى كغيره من الأشياء النسبية ، فما يعده شخص إباحياً ، قد يعده شخص آخر غير ذلك ، وما كان إباحياً فى عصر من العصور قد لا يكون كذلك فى عصر آخر وهكذا. فمثلاً كان الإنجليز فى عصر كرمويل يعدون رواية « هاملت » إباحية لا يستسيغها ذوقهم ولا تتفق وتعاليمهم الأخلاقية ... وها نحن أولاء فى العصر الحالى نعدها من بين أهم روايات شكسبير وأقواها ، بل ومن أهم روائع الأدب العالمى . وعلى العكس من ذلك ، يعد بعض الناس فى عصرنا هذا روايات أريستوفانيس إباحية تخدش قوانيننا الخلقية وتنتهكها ، ولكن هذا لم يمنع الإغريق من أن ينظروا إلى أريستوفانيس نظرة التجلة والاحترام ويضمونه فى مصاف كتاب الدرجة الأولى

وإذا سألنا أنفسنا عن السر فى اختلاف حكم شخص عن حكم شخص آخر أو حكم جيل عن حكم جيل آخر لما أعيانا السؤال أو استعصى علينا الجواب . وتفسير ذلك أنه ما من كلمة إلا ولها معنيان : المعنى الإجماعى ، أو المعنى الشعبى وهو ما اتفق الناس عليه ؛ والمعنى الخاص ، أو المعنى الفردى وهو المعنى الذى يفهمه كل قارئ على حدة حسب تفكيره وخياله وتجاريبه . وليس فى مقدور كل شخص أن يكوّن هذا المعنى الفردى لأنه يتطلب من صاحبه أن يكون تفكيره من النوع العميق ، وأن يكون خياله خصباً ، وأن تكون تجاربه واسعة . وإن كتب لورنس لهى من النوع الذى يجب أن يعتمد القارئ فيها على المعنى الفردى ، وإلا فهى أعمق من أن يسبر غورها أو يتفهم فلسفتها أو يحيط علماً بما بها . وإن أمثال هذا القارئ قليلون ، ولهذا السبب كان عدد من يفهمون لورنس على حقيقته قليلاً ؛ ولكن الغالبية من القراء يستسهلون قراءة لورنس عن طريق المعنى الشعبى الذى هو أبعد ما يكون عما قصده الكاتب . وهم لهذا السبب ينعتونه بأنه كاتب إباحى أو مفحش فى القول . ولو أن أحدهم كلف نفسه مشقة سؤال عقله « هل ما أقرأ يصطدم وتعاليم عقلى الخلقية الصحيحة » لكان الجواب بالنفى . ولكن قليل هم من يفعلون ذلك ، بينما يلجأ الكثير منهم إلى تلك القواعد والقوانين الخلقية التى ورثها عن أسلافه جيلاً بعد جيل ويطبقها على ما يقرأ وإذ ذاك يرى صاحب الكتاب بالفحش والخروج على القوانين الأخلاقية . والحقيقة الواقعة هى أن ما يقرأ قد يجرح العينين لأنهما لم تألفا رؤية أمثال هذه الكلمات من قبل ، أما العقل فهو يعرفها تماماً وطالما فكر فيها ، فهى معروفة لديه مألوفة له ، فهى إذن لا تجرحه ولا تتعارض وتعاليمه الأخلاقية

ويعتبر الناس أن كل ما يثير الرغبة الجنسية إباحى ، وهم ولا شك مراءون مضللون يقصدون خداع الغير بعد أن نجحوا فى خداع أنفسهم . ومن غريب الأمر أنهم مجمعون على أن الكون لا تقوم له قائمة من غير الجنس والعلاقة الجنسية ، وهم يعرفون تماماً أن هذه العلاقة كانت وما زالت وسوف تكون أساس الحياة فى هذا العالم ، وأننا لا نستغنى قط عما يثير فينا الرغبة الجنسية ، وإلا انهار الكون وتقوض بناؤه . وفوق ذلك فهم يعتبرون بعض القصائد الشعرية واللوحات الفنية والقطع الموسيقية والروايات والقصص من روائع الفن أو الأدب ، وهى كلها تعتمد على الجنس وقوامها إثارة الرغبة الجنسية . ومع كل هذا فما زال الاعتقاد سائداً بينهم أن الكلام فى هذا الموضوع هو من المحرمات التى لا يجوز الخوض فيها . وهم يقصدون بالكلام فى هذا الموضوع الكلام الجهرى فقط ، إذ أنهم لا يأنفون من خوض غمار هذا الموضوع ما دام التستر رائدهم وما داموا بعيدين عن أعين النقاد

والحقيقة التى لا شك فيها أنه ليس هناك أى ضرر من معالجة الكتب لموضوع العلاقة الجنسية ، ما دامت لا تقصد من ذلك سوى منفعة الفرد وخدمته ، عن طريق تنوير ذهنه وإرشاده إلى طريق الحياة السوى الصحيح . وأما ما يجب محاربته بشدة فهو تلك الكتب التى تنتشر سراً بين الناس انتشار الأمراض الخبيثة ، والتى تدلس العلاقة الجنسية وتسيء إليها كل الإساءة ، والتى لا يبغى أصحابها من ورائها سوى منفعتهم المادية الشخصية . وإن سبب انتشار أمثال هذه الكتب انتشاراً ذريعاً وإقبال الناس على اقتنائها وتلهفهم على قراءتها هو ذلك الجو الغامض الذى أحاطه الناس جيلاً بعد جيل بالعلاقة الجنسية . فحب الاستطلاع الذى لا يخلو منه فرد هو الذى يدفع الولد والشاب والكهل إلى أن يختلى

بكتاب من هذا النوع علّه يقف منه على ما حرم من سماعه طيلة حياته . وإن انتشار هذه الكتب لهو أشد ضرراً وأسوأ عاقبة من قراءة الكتب الصريحة ، وشتان بين الأثر الذى تتركه أمثال هذه الكتب ، وبين الأثر الذى تتركه قصص بوكاتشيو مثلاً ، مع أن الناس اعتادوا وضعها فى مرتبة واحدة .

ولكن الغريزة الجنسية التى لا غنى للناس عنها تتطلب من الفرد تنفيساً عن رغباتها . فإذا ما جلب له هذا التنفيس الخزى والعار بين قوم لا يميزون بين الغث والسمين ، عمد إلى وسيلة أخرى ينفس بها عن رغباته دون أن يعرف الناس عنه شيئاً . وليس لديه ما هو أقرب منالاً من العادة السرية يرتكبها ويسرف فى ارتكابها ، لأنها طريقه الآمن الوحيد الذى لا يتعرض فيه لنقد ناقد أو تهكم متهكم . وقد هاجم لورنس العادة السرية بكل بكل ما فيه من قوة لأنها فى نظره سرطان المدنية الحديثة وداؤها العضال ، فهى التى قتلت فى الإنسان الحديث حيويته وتركته رجلاً وما هو برجل ؛ فضلاً عن أننا نلبس فى مرتكبها ثوب العار والمذلة الذى لا يخلعه عنه قط . وإنا لنلمس أثر العادة السرية فى كتابات العصر الحديث ، فكما أنه فى العادة السرية ليس هناك شخص وموضوع بل هما واحد ، كذلك فى كتابات هذا العصر نرى أن موضوع الكتابة والكاتب هما شىء واحد ، بمعنى أن الكاتب يعمد إلى شخصيته أو نفسه فيحللها تحليلاً دقيقاً ويبنى على هذا التحليل كتابه . ومن أمثال هذه الكتب كتاب « يوليسيس » لجيمس جويس

وقد تنبه الناس فى العصر الحالى إلى الضرر البليغ الذى ينجم عن إحاطة العلاقة الجنسية بجو من الغموض والإبهام ، وأدركوا عظم الهاوية التى قد يجرفهم إليها تيار هذا الغموض ، ولكنهم للأسف نجحوا فى تشخيص المرض ثم عجزوا عن وصف الدواء . ففى محاولاتهم لقتل هذا الغموض قتلوا الجنس نفسه وأعدموا الرغبة الجنسية . فظهرت كتب عديدة تحاول أن توضح كل شىء فى العلاقة الجنسية فكان من جراء ذلك أن زالت عنها كل قدسية ، ومن أمثال هذه كتب مارى ستوبس Marie Stopes . وذهب فريق ثان إلى التغلب على هذا الغموض بأن انغمس فى هذه العلاقة وأسرف فيها ، وهؤلاء هم البوهيميون الذين كان من جراء تغالبهم فى هذه العلاقة أن عرفوا كل شىء عنها ، غير مدركين أن العلاقة الجنسية هى ينبوع مقدس يتفجر منه الماء بقوة آلهية ، حتى إذا ما حاول الإنسان أن يكشف السر عن هذه القوة توقف تفجر ماء الينبوع ثم جف

فغرض لورنس الذى يرى إليه هو أن يعالج الكتّاب هذا الموضوع فى شىء من الصراحة التى لا تحلل كل شىء بطريقة علمية حتى لا تفقد هذه العلاقة قدسيتها . وكذلك يريد لورنس أن يعلم الناس أن هذه العلاقة شىء مقدس لا خزى فيها ولا عار ؛ فهو يريد أن يرفع من شأنها ويهيب بالناس أن يقدسوها التقديس اللائق بها ، وفوق ذلك يريد لورنس أن يقول الإنسان ما يعتقد دون خفاء أو مواربة

ولورنس يكتب الآن لأقلية من القراء المفكرين واسعى العقول إلا أن الوقت سوف يأتى عند ما يؤمن الناس به جميعاً ويدافعون عن آرائه ومبادئه ويعملون بما يبشر به ، وهم إن فعلوا ذلك فسوف يحيون حياة جديدة كلها هناء وكلها سعادة وكلها رفاهية .

(يتبع) عبد الحميد حمدى
خريج جامعة أكستر بانجلترا

على هامش الحرب

ثغر لا يتبسم

للأستاذ محمود غنيم

وقف الشاعر على شاطئ البحر فراعه ظلام شارع الكورنيش كما يقضى أمر الحاكم العسكرى فأنشد هذه الأبيات :

الشطُّ داجٍ والسكون مخيِّمُ   ما بال ثغر الثغر لا يتبسَّمُ
عهدى به طلقاً بشوشَ الوجه إذ   وجهُ الطبيعة عابسٌ متجهم
ساد الظلامُ البحرَ حتى أوشكت   فى الليل تخشى أن تُطلَّ الأنجم
فكأن أرواحا (بوارسو) أزهقت   فأقمن فى مصرٍ عليها مأتم
البحر يغمره الظلامُ . فيا له   من عَيْلَمٍ يطغى عليه عيلم
لا نور فى الآفاق إلا أن ترى   طيارةً قد طاردتها أسهم
أو حمرة الشفق التقت بمجاجةٍ   فكأن ماء البحر خالطه دم
أو طيفَ مصباح بدا وكأنه   يخشى من الغارات فهو ملثَّم
نور كنور النجم خلف الغيم أو   كهلال يوم الشك خافٍ مبهم
ولقد نظرت إلى المنار فما انثنى   طرفى . وهل يَثنيه جسم معتِم؟
قد عُطِّل المصطافُ من سُمّارهِ   وانفضَّ من قبل الأوان الموسم
أقوت مسارحه وأغطش ليلُه   لا راقصٌ فيه ولا مترنِّم
قد كان يحيى الليلَ فيه معشرٌ   فتثاءبوا عند الغروب وهوَّموا
أين الملاح على ملاعبَ سيفِهِ   وكأنهنَّ به طيورٌ حُوَّم ؟
جيش من الآرام كان مرابطاً   ما باله من غير حرب يُهزم ؟
هذى عروس البحر أم أنا حالمٌ   ما بالها ليست كما أتوهم ؟
ما ساهمت فى الحرب إلا أنها   بالصمت عن هول الحروب تترجم
لكأن هذا الصمت بين مسامعى   طلقاتُ أفواهِ المدافع تهزِم
كم كنت أغشاها فأنسى عندها   نفسى ويسبح بى الخيال وأحلُم
مَرِحٌ وجو بالسعادة مفعَم   دنيا يفيض بها السرورُ وعالمٌ
البحر كم أغرقتُ فيه لواعجى   واليوم ما بالى به أتبرَّم ؟
يا بنت ذى القرنين عذراً إن نبا   بى مَقْوَلِى . قلبى بغيرك مغرَم
الله يعلمُ قد نزلتك كارهاً   صدر يفيض أسى وفكٌّ ملجَم

(الاسكندرية)   محمود غنيم
مدرس بالمعلمين

الخير والشر

للأستاذ ميخائيل نعيمة

سمعت فى حلمى ، ويا للعجب !   سمعت شيطاناً يناجى ملاكْ
يقول: « أى ، بل ألف أى يا أخى   لولا جحيمى أين كانت سماك ؟
أليسَ أنَّا توأمين استوى   سرُّ البقا فينا وسرُّ الهلاك ؟
ألمْ نُصَغْ من جوهرٍ واحد؟   إن ينسنى الناس أتنسى أخاك؟»

* * *

فأطرق ابن النور مسترجعاً   فى نفسه ذكرى زمان قديمْ
واغرورقت عيناه لما انحنى   مستغفراً وعانق ابن الجحيم
وقال: « أى ، بل ألف أى يا أخى   من نارك الحرَّى أتانى النعيم »
وحلَّق الإثنان جنباً إلى   جنبٍ وضاعا بين وشى السديم

ميخائيل نعيمة

فى الهيكل

للأستاذ إبراهيم العريض

أنا منْ يُنكرُ النعيمَ إذا لمْ   أتمثَّلهُ فى حياةِ انفرادِ
فإذا رُمتَ فى الحياةِ كفافاً   فاجعلِ المستقرَّ فى بطنِ واد
كلُّ رُكنٍ من جانبيه مُصلًّى   قائمٌ فيهِ للطبيعةِ حاد
حيثُ يَنصبُّ جدْولٌ فى ائتلاقٍ   كالمَرايا تحتَ الشُّعاع الهادى
سالَ للشمس فى الوِهادِ لعاباً   فاطمأنَّتْ بهِ بُطونُ الوِهاد
ساحِباً ذَيْلَهُ على كلِّ خافٍ   نافِضاً بُرْدَهُ على كلِّ بادِ
كلَّما هبَّتِ الرياحُ أصيلاً   ماجَ كالطفلِ ناعساً فى المهاد
وعلى ضفَّتَيْهِ باسقُ كرْمٍ   لاحَ فى مَعْزلٍ عن الوُرَّاد
بكَّرتْ طَيْرُهُ تُردِّدُ لحناً   كقِيانٍ يَعْزِفْنَ بالأعوادِ
فإذا ماجَ كالغدائرِ ظلُّ الشْـ   ـمسِ قامت على الغصون تُنادى
وإذا زالَ زائلُ الظلِّ .. غابت   بينَ أوْراقِ وكْرِها الميَّاد
خَلوةٌ ماخلَتْ بها النفسُ إلاّ   تتمنَّى لوْ لمْ تعِش فى البلاد
عشت ـ يا قلبُ ـ فى الليالى وَدوداً   والليالى لا تحتفى بالودادِ
فاخلُ بالنفسِ إن أردْتَ خلاصاً   منْ حياةٍ تموجُ بالحُسَّاد
تحتَ ظلِّ الكروم .. فوق بساطٍ   أخضرِ العشب ، أحمر الأوراد
وبِعُنْقودِها الجنىِّ إذا عتَّـ   ـقَ عِشْ سالماً مِن الأحقاد

(البحرين)   ابراهيم العريض

حيـــاتى

للأستاذ العوضى الوكيل

كأنّ حياتى كوكبٌ أنتِ نورُه ... وزهرٌ ومرآكِ السنىُّ عبيرُه
حييتُ ليحياني رُوحٌ من الهوى ... فَيهدِرُ فى الدُّنيا ويحلو هديرُه
وتنسابُ فى المِزمارِ منْ فىَّ نغمةٌ ... هى القلبُ أوقد بُثَّ فيها شعورُه
تجوزُ شعابَ الأرضِ فى رَوْنقِ الضُّحى
وتسرى بها والليلُ مرخًى ستورُه
حياتِىَ بستانٌ تطاولَ صمتُه ... وأقبلتِ فى نفسى فغنَّتْ طيورُه
ورقرقتِ الأنغامَ بيضاءَ نضرةً ... وفى اللحنِ ذو يُبسٍ وفيه نضيرُه
فكم ظاهرٍ عَبْرَ العيونِ تُكِنُّه ... وكم مستكِنٍّ فى الضلوعِ تثيرُه

(السنطة) العوضى الوكيل

تعـــالى ...!

للأستاذ صالح الحامد العلوى

تعالى يا ابنة الفجرِ ... أشعِّى النور فى صدرى
وبثِّى نشـوة اللذا ... ت والأفراح فى نفسى !
فإنك عندىَ الدنيـا ... وكلّ جمالها المغرى
وما فى الكون من سحرٍ ... ومن طهرٍ ومن قدسِ !
معاذ الله ! ما ضاها ... ك من شمسٍ ولا بدرِ
تمثـل فى جمالك حسـ ... نُ أجيالٍ من الإنسِ !

تعالى زهرة الحبِّ !
أذيعى العطر فى قلبى
وأحيى ميت الأحلا
م والآمال فى جَدْبِى !

***

هلمى نحيي باللهـو ... وننعم زاهر العمر
ونعمر غالى الأوقا ... ت باللذات والأنسِ !
ففى خدى وفى خدكِ ... لكِ ماء للصِّبا يجرى
وفى الكفين كأسٌ لك ... هوى عنترية الفرس !
وقد ينضب ذاك المـا ... ء من نهرك أو نهرى
وقد تنفد تلك الخمـ ... ر من كأسكِ أو كأسى !

هلمى ! بهجة القلب !
لندرك صفوة الحبّ
وكلى مهجةٌ تصبو
وكلكِ فتنةٌ تصبى !

(حضرموت : سيوون) صالح الحامد العلوى

هـــذيان ...

للأديب عبد العليم عيسى

مذهبى ، لا مذهب النـ ... ـاس شعاعى وحياتى
وسواء سَارَ بى للنـُّـ ... ـور أم للظلمـات
أنا وَحدى فى سبيلى ... مشعلى الهادى حصاتى
لا أبالى ضجة الأحـ ... ـباب حولى والعداة
تاركا نَسل التراب ... يتلهى بالسراب ... وأمانيه الكذابِ
فلْيلم من شاء إنى ... راسـخ كالطودعات
ساخر من كل ماض ... فوق دنياى وآت

***

نَقَروا الأعواد للعر ... س وضجوا بالنشـيد
وأنا وحدى نقرْت الـ ... ـعودَ للنعش السعيد
لست بالباكى على السـ ... ـارب للقـبر المبيد
لا .. ولا بالهاتف الشـا ... دى إلى الطفل الوليد
نحن دنيا من حبابِ ... نَتَبدّى للذهابِ ... بعدمٍ واكتئاب
فلماذا أرقص الأنـ ... ـغام للعرس الرغيـد
وهو فى عينىَ وهم ... من ضَلالاتِ العبيد

***

أتركونى .. أنشد الألـ ... ـحان سكران طروبا
أتركونى .. أوقظ الأطـ ... ـيار والزهر الحبيبا
لا تضجوا حول روحى ... وكفى روحى لغوبا
فأنا هيمان فى الدنـ ... ـيا وإن كنت كئيبا
أتسلّى عن عذابى ... بنشيدى المستطاب ... مثل عصفور الروابى
وسواء كنت للنا ... س عدواً أو حبيبا
فأنا لا أعرف النا ... س وإن كنت قريبا

(دمياط) عبد العليم عيسى



دراسات في الفن

شيء ليس في الكتب ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

... وقابلتني مرة أخرى صديقتي التي قدمتها إليك في الأسبوع الماضي وكانت كعادتها غاضبة ، ولكنها في هذه المرة كان غضبها بالغاً نهايته من قبل أن تراني ، وقد رأتني قبل أن أراها فلم أنتبه إليها إلا بعد أن وكزتني وهي تقول :

— أهكذا يكتب الناس في الصحف السيارة ما يدور بينهم وبين صديقاتهم من أحاديث ، حتى إذا قرأها من يعرفونهم ويعرفونهن وقفوا على ناحية من تفكير فتاة تحب أن يعرف الناس عنها أنها مقطوعة الصلة بالرجال وأحوال الرجال ونفوس الرجال ؟... أم أنت آليت على نفسك تخويف العرسان ؟ حقاً إنك قليل الذوق !

— عفوك يا آنستي عفوك ، فما أقصد إلى شيء من هذا ، وإنما أدعو الله لك بالتيسير كما أسأله لك الصون . ثم أنتهزها فرصة لأسألك ما هو الذوق ؟ هذا الذي تقولين إن نصيبي منه قليل ...

— هو فضيحة جديدة تزفها بأجراسها للرسالة . سأشكوك للأستاذ الزيات !

— ليس للأستاذ الزيات شأن في هذا . فأجيبي وقولي : ما هو الذوق ؟ أم أنت تقولين ما لا تعرفين ؟

— لا أعرف هه ! فما هو الذوق يا ذواق ؟ ...

— وأنا أيضاً لا أعرف

— إذن ففيم كانت هذه الأستاذية المنفوخة في سؤالك ؟

— كانت في السؤال يا آنستي ... أما تعرفين أني أستاذ في الجهل ، والسؤال سألته بحثاً عن المعرفة ؟ وهلا تحبين أن نتعرف الذوق معاً ؟

— أتعرّف الذوق معك أنت ؟ وهل أنت تريد أن تعرف الذوق ... ؟

— بنعمة الله أردت . وإني أراك لا تعرفينه فقد وقفت عن تعريفه ، فلم لا نتعرفه معاً ... إنه شيء ليس في الكتب !

— لولا أنك مر !

— يا توفيق الله ! من هنا نبدأ . أنت تصفين إنساناً بأنه مُر ، بينما الإنسان شيء لا يؤكل ولا يشرب حتى يعرف له طعم فكيف سولت لك نفسك هذا الخلط ؟

— وأنا مالي ! أتريد أن تحاسبني على اللغة أيضاً ؟ هم الناس يقولون هذا عند ما يريدون أن يصفوا إنساناً بأنه ... بأنه مر !

— إذن فأنت مقلدة في هذا ... وسنفرض أيضاً أن كل من يصف الإنسان بالمرارة مقلد في وصفه ... ولنمض إلى أن نلتقي بأول من وصف إنساناً بهذا الوصف ... ولنسأله : كيف سولت له نفسه هذا الخلط ؟

— سيقول إنه تشبيه

— ونحن أيضاً نقول إنه تشبيه ... ولكن كيف نشأ هذا التشبيه في ذهنه ، وكيف قامت عنده هذه العلاقة بين الإنسان وبين المرارة وهي طعم من الطعوم لا يمكن أن يصل إلى الذهن إلا في أعصاب الجهاز الهضمي ؟

— ما للجهاز الهضمي وما نحن فيه ؟

— ليس للمرارة مدخل إلى الإنسان إلا من هذا الطريق ... من الجهاز الهضمي وحده فلن نعدل في تفهم الذوق عن هذا .. وسنبدأ بتقدير حقيقتنا الأولى ، وهي أن أول من وصف إنساناً بأنه مر لا بد أن تكون أعصاب جهازه الهضمي قد أحست المرارة

منه فعلاً ... وعلى هذا القياس يكون أول من وصف إنساناً بأنه حلو قد أحست أعصاب جهازه الهضمى فيه بطعم السكر فعلاً .. وهكذا ...

— إذا وجدت إنساناً معك يوافقك على هذا الكلام ، فإنى أعاهدك أن أقوم لك مدى الحياة خادمة ، وعلىّ دخانك ! إن هذا الذى تقول لا يصح إلا عند نيام نيام حيث يأكل الناس بعضهم بعضاً فيتذوق بعضهم مرارة ذبيحته أو حلاوتها !

— وأنت لا يصح الذى تقولين ، إلا إذا كان عقل الإنسان آلة مضطربة لا نظام لها ولا قانون، ولكن للعقل نظاماً وقانوناً، أفإذا قال هذا علماء النفس آمنت ، فإذا قلته أنا تستهزئين ؟

— لأنك تريد أن تخرج منه إلى نتيجة مضحكة !

— ليس ذنبى ، ولا ذنب ما أقوله أنك تضحكين ، أسكتى ، ولنمض ... والله المعين .

— أنا معك . . . فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أعود فأصلح ما قلت لأنه كلام سخيف

— ليتك تريد أن تعرض نفسك على طبيب حكيم . أما قلت لك إن الذى تقوله ليس شيئاً غير كلام المجانين . . .

— لا يا آنستى، إنه كلام معقول معقول، وكل ما فى الأمر أنه سخيف ، فلو أننا رأيناه من السخف لصلح . ومن يدرى فربما أصبح حقيقة علمية فيما بعد . اسمعى

— ها أنا ذى سامعة . وإنى لا أسألك يا رب رد القضاء وإنما أسألك اللطف فيه

— المعروف أن الجهاز الهضمى لا يرسل إلى المخ إشاراته إلا بعد أن تؤثر فيه مؤثرات كيميائية . . . أليس كذلك ؟

— إنه كذلك

— ونحن نريد الآن أن نعرف : ألا يمكن أن يرسل الجهاز الهضمى إلى المخ إشاراته هذه بغير وجود هذه المؤثرات الكيميائية؟

— يمكن هذا . . . عند ما يتذكر الإنسان طعماً من الطعوم

— ليس هذا التذكر إلا استعادة داخلية تلقائية تحدث فى المخ وتسترجع بها صورة لحالة فاتت . . . فهو من نوعها . . . ولكنه على أى حال يفيدنا دليلاً أو قرينة على أنه من الممكن أن يتصور الذهن أو أن يدرك طعماً من الطعوم بدون حاجة إلى المؤثر الكيميائى

— حسن . وهل تحسب أن هناك مؤثراً آخر غير هذا المؤثر الكيميائى ؟

— ولم لا ؟ ألا يمكن أن يكون هناك مؤثر كهربائى مثلاً ؟

— تريد أن تقول إننا عند ما نرى إنساناً ممن نصفهم بالحلاوة مثلاً ، يجرى منه تيار كهربائى فيدخل هـذا التيار إلى أفواهنا أولاً ، ثم تمضغه أسناننا ، وتلوكه ألسنتنا ، ثم ينزلق فى المرىء إلى المعدة، وفى أثناء هذا ترسل أعصاب الجهاز الهضمى إشارات إلى المخ تدل على أن هذا الإنسان حلو ؟!..

— لست أريد أن أقول هذا بالضبط ، وإنما أريد أن أقول شيئاً يشبهه . على أنى لا أرى ما يمنع من إقرار هذا الذى تقولين ، وتعززه عندى مشاهدات فطرية ليس من الحكمة أن ننكرها أو أن نغفلها

— وما هى مشاهداتك هذه ؟

— سأذكرها لك ، ولكنى أرجوك ألا تشمئزى منها فالحق لا يعرف الاشمئزاز ولا التقزز ... لا تؤاخذينى ... ألم تبصقى يوماً على إنسان رذل ؟ أو فى موقف رذل ؟ ثم ... ألم يسل لعابك يوماً استجابة لحلاوة ... طفل أوطفلة... أوموقف حلو؟!.. أجيبى...

— ما هذا « القرف » ؟

— عدنا إلى تردد النساء ووجومهن عن الحق ؟ أجيبى ... ألم يحدث لك شىء من هذا ؟ أما أنا فقد حدث لى كثيراً ، كما أنى أعرف أناساً كثيرين حدث لهم مثل هـذا ، وإنى أعفيك من الإجابة عن هذا السؤال وأفرض أنك مخلوقة عجيبة لا تخضعين للقوانين التى تسرى على غيرك من الأبشار . . . وأسألك لماذا يحدث للناس ما عداك طبعاً . . . هذا الذى ذكرناه ؟ . . هل هو تأثير كيميائى أيضاً ؟

— لا أظن !

— إذن فهو غير التأثير الكيميائى ، وأنا أقول إنه تأثير كهربائى . صحيح أننى لا أستطيع أن أثبت هذا إثباتاً علمياً يقوم على أساس من التجربة الدقيقة ... ولكن ...

— ولكن هذا الكلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا أثبته

— وأنا لا يعنينى كثيراً ولا قليلاً أن تقوم له قائمة ، فلا أنا متعلق به ولا أنا حريص عليه ... بل إنى أحب أن أمحوه

لأثبت مكانه شيئاً آخر أحبه أكثر مما أحب الكهرباء، وهو الروح

— ولماذا لا تقصد إلى ذلك رأساً ما دام هذا هو غرضك ؟

— لأن الحديث عن الكهرباء فى هذا الزمن أيسر قبولاً عند الناس من الحديث عن الروح، وقد يجد من يقتنع به فى سهولة بل إنه قد يجد من يحاول إثباته ... وربما وجد من يثبته

— فأنت تخادع محادثك وتتملقه

— بل إنى أستدرجه ... دعينى من هذا ، وعودى بنا إلى ما كنا فيه ...

— وفى أى شىء كنا ؟

— كنا نتحدث فى « كهربات » الناس

— ياله من موضوع !

— إنه لا يزال أشتات موضوع ولما يتجمع ... والآن نريد أن نعرف ... ألا تختلف الكهرباء فى المعادن والعناصر ؟

— إنها تختلف ... فنحن إذا دلكنا الكهرمان بالصوف أو الحرير انبعثت منه الكهرباء ، ولكنها لا تنبعث منه إذا دلكناه بالقطن مثلاً ...

— حسن . إن فى هذا ما يشبه ذلك السر الذى يوفق بين ناس وناس ، وينفر ناساً من ناس . وقد يكون فى هذا أيضاً سر الإذن الذى أباح به الإسلام للرجل أن يتزوج من أربع نساء

— إن هذه قفزة عجيبة أريد لها توضيحاً ...

— ألا تستطيعين أنت أن تذهبى وحدك إلى هذا التوضيح ؟ الرجل كالكهرمان ، والنساء كالصوف والقطن ، ولكنهن أربع والصوف والقطن اثنان

— ولكن النبى محمداً تزوج أكثر من أربع ...

— إنه النبى محمد الذى كانت كل كلمة من كلماته درساً ، والذى كان كل عمل من أعماله حكمة ... وهو قد أحب خديجة حبا، وأحب عائشة حبا، وأحب زينب بنت جحش حبا، وهكذا...

— ألا ترى أننا ابتعدنا عما كنا فيه ... عد بنا إلى الكهرباء

— لا أريد أن أقول شيئاً بعد هذا ... إلا أنه قد أصبح من السهل على هذا الأساس الذى وضعناه أن ندرك السبب فى اتفاق مشارب الناس وفى اختلافها . والاتفاق هو الذى يحشد بعض الجماهير وراء بعض الفنانين إذ تجد الجماهير فى الفنان قائداً يقودها إلى ما تحبه وترتاح إلى الاحساس به ، وينأى بها عما تكرهه وتتقزز من الإحساس به . وهذا هو ما يسمونه الذوق؟

— ولكن علماء النفس أدركوا هذا السر قبل أن تدركه أنت ، وقالوا إن الناس أمزجة ، وقسموا أمزجة الناس إلى أربعة : اللمفاوى ، والسوداوى ، والدموى ، والصفراوى . وأرجعوا نشأة هذه الأمزجة إلى إفرازات تفرزها غدد خاصة فى الأجسام . ولقد أعانهم علماء الطب والتشريح على مذهبهم هذا فأثبتوه لهم ، وأنت تلقى كلاماً على عواهنه وتريد منى أن أصدقك وأن أعرض عن كلامهم من غير برهان تسوقه ؟

— لا يا آنستى . . . أنا لم أطالبك بشىء من هذا . ولكنى أذكرك بما يكون قد غاب عن ذاكرتك ، وهو أن الفلاسفة الأقدمين قد قسموا أمزجة الناس إلى طبائع أربع أيضاً فقالوا إن من الناس من هو ترابى ، وإن منهم الهوائى ، وإن منهم المائى ، وإن منهم النارى . . . وقد اندثر تقسيم الفلاسفة القدماء ولم يعد أحد يأخذ به وحل محله كلام أطبائك وعلماء نفسك !

— ولعلك تريد أن تقول إن مذهب حضرتك هذا هو الذى سيحل محل مذهب الأطباء وعلماء النفس ؟

— العفو ! ولكنى أعود إلى السؤال الأول الذى بدأنا به هذا الحديث والذى جرنا إلى هذه النهاية المربكة ... كيف وصف الواصف الأول إنساناً بأنه حلو أو أنه مر بينما هو لم يذق له طعماً ؟

— إنه تشبيه

— بهذا أجبت فى بادئ الأمر . فهل تريدين أن ندور ؟ . . .

عزيز أحمد فهمى



لحظات الإلهام
في تاريخ العلم
تأليف مريون فلورنس لانسنغ

٥ - الشعر المستعار والمسحوق

في صباح يوم من عام ١٧٠٨ حدثت متاعب في بلاط سكسونيا الملكي ؛ فإن الأمير أغسطس الملقب بالقوى قد غضب

وكان أغسطس متى غضب لا يكتم غضبه بل يترك كل من يتصل بهم يحسون سوء مزاجه سواء في ذلك الخادم الذي يحمل إليه الطعام ، والسائس الذي يمسك بزمام جواده . ولم يكن يعد أحداً من أهل منزله أصغر من أن يعنيه اهتمامه ؛ فلا شيء أقل من إشراكه في غضبه ما دام في هذه الحالة

قال « أوتو » خادم المائدة همساً « لأولرتش » الوصيف : « متى بدأت هذه الحالة ؟ » ، وقد ألقى عليه هذا السؤال عند ما رمى أغسطس بالمائدة التي أمامه ومشى مغضباً من غرفة الطعام ، وهو يصرح بأن اللحم الذي أكل منه والذي كان سروره منه بادياً لا يصلح للرمي للخنازير في الاصطبل ، وقال إن كل شيء كان جميلاً عند ما جاء من بولونيا في مساء الأمس

قال أولرتش : « ربما كان ذلك لأمر من أمور الدولة ؛ فقد قيل إنه سيكون ملكاً على بولونيا إذا سارت الأمور بين النبلاء على ما هي عليه الآن »

فتطوع الحاجب الذي كان مصغياً إليه بقوله : « لقد ذهب في هذا الصباح إلى المصنع »

قال أولرتش : « هذا إذن هو السر . ففي هذا المكان سحر وزيارته لا تؤدي إلى خير »

فقال الحاجب مستغرباً : « ما الذي يصنعونه هناك ؟ إنني أراهم ينقلون إليه زجاجات عجيبة الشكل وقناني ثقيلة ، ولكن أحداً لم يسأل متى يكون إخراج هذه الأشياء . ولم يحاول أحد الدنو من الأبواب المخفورة ليرى ماذا يحدث بداخلها

قال أولرتش محتداً : « لا ترفع صوتك يا بنيّ ، وكف عن الطواف حول السلم المؤدي إلى الحصن ، هذا إن كنت تحرص على مركزك هنا ، والأفضل أن تبقى عيناك مغمضتين ، وأذنك كذلك ما دامت قوات الظلام تعمل » .

فقال أوتو وهو يبتسم للحاجب المنزعج : « كلا ، لا تقل ذلك ، فلا وسيلة لإرسال شاب قوي الروح إلى الشيطان لطالبته بأن يدنو منه وهو مغلق العينين خوفاً من أن يراه . إن الهر « بوتجر » ليس من أمراء الظلام ، فيلقي عليك سحره يا بنيّ ، ولكن عمله يتملق به وبالدوق أغسطس ، وهما لا يحبان الفضول ولا يحبان تدخل الفضوليين »

قال الصبي وقد بدا عليه الاهتياج الشديد : « ولكنهم يقولون إن الهر بوتجر ساحر ، وإنه لما كان يتمرن على فن الصيدلة في برلين لم يكن أستاذه أقل من الراهب اليوناني لاسكاريس نفسه » ...

فقال أولرتش : « أرأيت نتائج تصرفك يا أوتو ؟ لقد امتلأ رأس الصبي بالأقاصيص منذ الآن ، وهو يعرف أن الفنون الملعونة فنون الكيمياء تمارس في الحصن . تكلم عنها إذا شئت ، وإذا وجدت من نفسك الجرأة على الكلام . أما أنا فإني أعتقد أن الحوائط لها آذان ما دام الحديث يسفر عن شر » .

ومشى أولرتش غاضباً . فقال الصبي : « ولكن يا أوتو ...

يا أوتو الرقيق ... أخبرني ... فأنت تعلم أني حديث العهد بخدمة القصر ، وأنت على حكمتك بعيد العهد بهذه الخدمة !

قال أوتو : « نعم يا بنيّ ، لقد كنت هنا لما جاء بوتجر ، وكان عمري إذ ذاك ستة عشر عاماً ، وكان بوتجر نفسه قاصراً تحت وصاية النبيل أغسطس » !

فقال الصبي : « ولكن لماذا كان فراره ومتى جاء ؟ » .

قال : « لقد فر من برلين ، وكان بها في الواقع تلميذ كيمياء ولكنه وأستاذه لاسكاريس عثرا في أثناء الدراسة على شيء جعل حياتهما في خطر ، ويقولون إنهما تمكنا من الوصول إلى حجر الفلاسفة نفسه ، وإن الدوق الطامع الذي يعملان تحت حمايته أراد أن يسجنهما خشية أن يفشيا سر استكشافهما إلى سواه !

قال الحاجب وقد حلق في دهشة أمام أوتو : « حجر الفلاسفة ! أهذا هو الذي يحول كل مادة تلمسه إلى ذهب ؟ »

فقال أوتو : « نعم هو هذا الحجر ، وقد سر مولانا أغسطس من إيواء كيميائي ذكي قد يكشف عن هذا السر في يوم من الأيام

قال : « وهل عرفه ؟ » . فقال : « لا . وأظن أن هذا هو السبب في مجيء مولانا أغسطس مغضباً من المصنع . لقد فعل أغسطس كل ما في وسعه أن يفعله ، ولخوفه من ألا يستطيع غلام في عامه السادس عشر أن يصل وحده إلى هذا السر استقدم الهر والتر فون تشرناهوس الحكيم — وهو أستاذ في الكيمياء وفي كافة العلوم — واشتغل الرجلان معاً عدة أيام ولكنهما لم يخرجا من المعمل إلا ببعض أوان من الخزف الأحمر ؛ فإن لم يكن هذا هو كل ما فعلاه فإنه على الأقل كل ما رأيته . وكان شكل هذه الأواني جميلاً لو أن الذي يعني المرء هو لون أطباقه . وكان السيد معجباً بهذه الأطباق حتى لقد أرسلها إلى ليبزج حيث أحدث وصولها حركة غير عادية كما علمت . ولكن الذي يبحث عن السحر الذي يمكن بواسطته تحويل كل المعادن الدنيا إلى ذهب ، لكن هذا الذي يبحث عن السحر فلا يجد إلا أطباقاً حمراء والناس كلهم يعلمون أن الطعام طعام سواء أكل في أطباق من الخشب ، أو أطباق من الخزف العادي ، أو في تلك الأطباق الجميلة الحمراء ، فله العذر إذا غضب

قال الصبي : « ولكن أين هو الهر والتر ؟ إنني لم أره »

فأجابه : « لقد مات منذ شهرين ومن أجل ذلك كان من نذر السوء على الهر بوتجر ألا يقع على السر سريعاً كما يدل على ذلك ما يبدو من نظرات الشر على عيني مولانا ، ولكن تعال أيها الصبي ، فيجب أن نؤدي أعمالنا الآن لا أن نقف فنتحدث كأننا بعض النساء العجائز ، لكنني لا أحب أن يزعجك الصديق أولرتش الذي يظن كما يظن الكثيرون في هذا القصر أن أمير الشياطين مقيم في الحصن ، وأنه يأتي متى استدعاه جارنا بوتجر » .

ذهب أرتو ولكن متاعب ذلك اليوم لم تنته ؛ ثم فتح الباب على الأثر ، ودخل أستاذ الكيمياء الهر بوتجر الذي قلما يخرج من الحصن ، وكان في هذه الساعة مهتاجاً كما كان أغسطس منذ ساعة مضت !

مشى بخطوات طويلة وهو يحرك شعره المستعار الذي نُثر فوقه مسحوق ، وكان قد اعتاد أن يضعه فوق رأسه المستطيل الضيق فيكسبه هيبة ، ونادى بصوت مرتفع ذلك الوصيف الذي يذر الساحيق فعرف هذا الشعر .

فقال الحاجب في إحجام : « هل لي أيها السيد أن آخذها إليه إذا كان المسحوق الذي وضعه ليس جيداً »

صاح الكيميائي : « ليس جيداً ! أين هو الذي وضع هذا المسحوق ؟ أين هو المسحوق ؟ من أين أتى به ؟ يجب أن أحصل على مقدار منه في الحال ! »

ثم خرج من الردهة وفي يده شعره المستعار وشعر رأسه مشوش . فقال الصبي وهو يشير إلى نفسه بإشارة الصليب أثناء تحدثه : لست أعرف أيهما المحق أولرتش أو أوتو ؟ لقد بدا لي الهر بوتجر في هذه اللحظة كأنه مجنون ، وكأن قوات الظلام تطارده .

نحن الذين أتيح لنا أن نجتاز السلم، وقسم المعمل في الحصن الذي بدأت به هذه الأعمال الغامضة نعرف أن الهر بوتجر لم يخرج كالمجنون للبحث عن الوصيف الذي ذر المسحوق على شعره المستعار لأنه فعل ذلك على صورة لم يرضها بل لأنه سر من هذا المسحوق إلى درجة غير عادية ، وكان يريد جزءاً من هذا المسحوق الثمين الذي وجده، وهو لا ينتظر ذلك، فوق شعره المستعار أكثر مما أراد أي شيء آخر منذ عهد طويل

وكان أوتو مصيباً فى قصته فى الحدود التى تناولها ولكنه يسلم بأنه لم يدخل المعمل ولا يعلم ماذا يحدث به إلا عن طريق الإشاعة . وقد كان بوتجر وزميله والتر فون تشرنهاوس كسائر الكيميائيين فى عهدهما يبحثان عن حجر الفلسفة الذى يحول كل المعادن إلى ذهب . ولكن أغسطس كان يبحث عن أكثر من هذه الخرافة ، وقد اتضح فيما بعد أنها خرافة ، كان الرجل عملياً كما كان رجل ثقافة . وبما أن عصره كان عصر استكشاف وسياحة ، فقد كان اهتمامه شديداً بمعرفة ما تفعله الشعوب الأخرى فى تجاربها العملية وفى فنونها، وقد جمع فى العهد الأول من حياته أسلحة ودروعاً من كل الممالك الأوربية ، ومن البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . وكان تحمسه فى العهد الأخير لجمع المصنوعات الفضية والجوهرات ، وكان لديه من ذلك مجموعة نفيسة ، وكلتا مجموعتيه أو الباقى منهما لا يزال موجوداً فى هذا اليوم فى متاحف سكسونيا بين أفضل المعروض من كنوزها .

وحوالى الوقت الذى لجأ فيه إليه بوتجر ملتمساً حمايته ، كان اهتمامه بالغاً نهايته بالأوانى الصينية التى جاء بها تجار الألمان إلى أوربا من البلاد النائية فى الصين واليابان !

كان فى أوربا فى سنة ١٧٠٠ أوان من الحجر ملمعة بأملاح وكان استعمالها شائعاً ، وكذلك كان فيها أوان ملمعة بالقصدير ، وكان الأغنياء خاصة يستعملون نوعاً من الأواني مغطى بطبقة من الميناء ، ولكن كل هذه الأنواع كانت من نوع الأوانى ذات القشرة التى تستعمل اليوم ، فإذا ذهبت القشرة بمضى الزمن وكثرة الاستعمال ، فإن الطينة تظهر من تحتها ، وهى فضلاً عن شكلها المائى ذات مسام ، وإذا وقعت عليها نقطة من الماء محتوية على شيء من الدهن فى الموضع الذى تقشرت فيه الميناء ، فإن هذه النقطة تتسع حول الثقب ، وتترك أثراً قبيح الشكل .

وكانت مجاميع الأطباق الواردة من الصين صافية جيلة يستطيع المرء أن يضع إحداها بين عينيه وبين النور ، فيتبين أنها مصنوعة من معدن واحد ، وهى فضلاً عن ذلك رقيقة خفيفة ...

وكانت هذه المجاميع كنزاً فى نظر رجل مثل أغسطس مشغوف بجمع التحف ، فكان يشتريها بأى ثمن ويقدرها لجمالها ولحسن صناعتها . وقد بلغ من شغفه بها أنه تخلى للملك الفرس عن طائفة من جنوده طوال القامة مدربين كسائر رجال الحرس السكسونى فى مقابل مائة قطعة من هذه الأوانى الشرقية كان الملك الفارسى قد جمعها

وكان أغسطس قانعاً فى البداية بجمع الأوانى من الخارج ؛ ولكن فى الوقت الذى أنشأ فيه « بوتجر » معمله فى قصره طمع الناخب السكسونى فى أن يضع تحت رعايته مثل الذى يقتنيه

وتساءل ، عن السبب الذى من أجله يصنع الصينيون أوانى جيلة، بينا المهرة من الصناع ومن الكيميائيين الأوربيين لا يصنعون الأوانى إلا من الطين ملمعة أو مغطاة بالميناء

وعهد بعلاج هذه المشكلة إلى كيميائيه الصغير فكانت النتيجة ظهور الفخار الأحمر فى أسواق ليبزيج سنة ١٧٠٧ ؛ وكان هذا الفخار يصنع من الصلصال الذى وجده فون تشرنهاوس قرب مدينة درسدن

وكان هذا الفخار الذى يصنع فى ألمانيا فخاراً جيلاً ولكنه لا يزال بعيداً عن الأوانى البيضاء التى تكاد تكون شفافة والتى تصنع فى الصين . وقد مل بوتجر من مطالب سيده الأمير بعد أن صنع الفخار الأحمر . وحاول الفرار من سكسونيا وإنشاء مصنع تحت رعاية سيد أقل سيطرة من أغسطس . ولكن هذا الأخير جاء به إلى القصر القديم الذى يقيم فيه وسجنه فى حصنه وإن كان أوتو وأولرتشى لا يعلمان ذلك . وقد فرض عليه أن يبقى سجيناً حتى يصنع مثل الأوانى العجيبة التي تصنع فى الصين

كانت هذه هى الحالة إلى اليوم الذى نتحدث عنه ، ومع أن الكيميائيين قد أطالا البحث فإنهما لم يستطيعا أن يجدا أى صلصال يمكن صنع الفخار الأبيض منه

وفى الصباح الذى ذكرناه وضع الكيميائى على رأسه شعره المستعار وهو ذاهل الذهن واستمر على عمله ، ولكنه شعر بثقل وباكتئاب ، وأخيراً خطر بباله أن الشعر المستعار أثقل من العادة فنزعه ليرى سبب غنائه فوجد أن المدن الأبيض الذى ذر على الشعر المستعار معدن لم ير مثله من قبل ، وقد وضع خطأً بدل المسحوق العادى

ولما عثر بوتجر على الوصيف الذى وضع هذا المسحوق سأله عن

سره وأخبره الخادم المذكور أنه لم يكن سيء القصد فى إحداث هذا التغيير وأخبره أن رجلاً اسمه شنور وجد محجراً يستخرج منه هذا المسحوق بالقرب من قرية « أو » وباع له جزءاً مما استخرجه منه ، وقال هذا الخادم إنه وجده أصفى بياضاً وأليق بالشعر المستعار ، لأنه سيبقى مدة أطول

وفحص بوتجر هذا المسحوق كما لا بد أن يكون قد تبادر إلى ذهنك واستنتج أنه على الأرجح هو الكاولين الذى طال البحث عنه والذى كان السياح الآتون من الصين يتحدثون عنه

وعلى أثر هذا الاستكشاف ذهب بوتجر إلى ذلك المحجر واشتراه باسم أمير سكسونيا ، وتمكن من صنع عجينة من صلصال كالتى يصنعها الصينيون

وفى سنة ١٧١٠ لم يكن فى سوق ليبزج تلك الأطباق التى تصنع من الفخار الأحمر فقط بل وجد إلى جانبها نماذج قليلة من فخار أبيض صنعه فون فردريك بوتجر تحت رعاية أغسطس الأول أمير سكسونيا

فى العام التالى صار يصنع الفخار المعروف باسم « مسين » فى حصن « مسين » بالقرب من درسدن ، وبدأت صناعة الفخار السكسونى، وهو النوع المشهور الذى يصنع فى درسدن .

ولم يستفد بوتجر المسكين إلا قليلاً من استكشافه هـذا . فإن أغسطس الذى أصبح فى الوقت نفسه ملكاً على بولونيا ، كان حريصاً على سر صناعة الصينى مثل حرصه على أمواله ومثل حرص الصينيين على سر صناعة أوانيهم .

وكان العمال الذين يشتغلون فى هذه الصناعة يسجنون فى الحصن ويحملون على أن يقسموا على الاحتفاظ بسر صناعتهم إلى أن تطوى عليهم القبور ، وكان بوتجر نفسه فى حكم السجين وكان مع إشرافه على مصنعه يتابع دراسته لسر استخراج الذهب مع متابعته صنع الفخار .

وفى عام ١٧١٦ حذق صنع الفخار فأصبحت الأطباق من الوجهة الفنية فى درجة الكمال التى بلغها الصينيون فى هذه الصناعة ومات فى سنة ١٧١٩ وهو فى الرابعة والثلاثين من العمر ولا يزال إلى اليوم فى معارض درسدن قطع من ذهبه الكيميائى وهو ثمرة محاولته الجدية إلى جانب مصنوعاته الخزفية ، ومن الشكوك فيه أنه تبين أهمية استكشافه للنوع الأخير بالنسبة للعالم الغربي بأسره

لقد ترقى القرن الثامن عشر بواسطة هذا الاكتشاف وقد ذلل بوتجر صعوبة الحصول على خزف صلب أبيض شبيه بالشفاف فالنوع الذى أنتجه من الصينى نموذج لكل ما بين أيدينا اليوم من الخزف

ووجدت محاجر الكاولين « صلصال الخزف » فى ليموجيس فى فرن ، فقـد حدث بطريق المصادفة أن امرأة وجدت جذور بعض النباتات المزروعة فى حديقتها وقد علق بها مسحوق أبيض، وبدأت صناعة الصينى بعد ذلك فى تلك الجهة ولا تزال موجودة بها إلى اليوم

ومنذ ظهور هذين المركزين يبدأ تاريخ التطور الذى حدث على نظام طعامنا لأن الأطباق الخشبية والأطباق المصنوعة من الصينى أو الحجر ، كل تلك الأطباق الكبيرة التى كانوا يغمسون فيها أصابعهم قد زالت وحل محلها الأطباق الصغيرة التى يختص كل فرد بطبق منها

وكانت بداية ذلك كله أن كيميائياً غضب ذات صباح لأنه وجد شعره المستعار أثقل من العادة .

(يتبع) ع . ا



من هنا ومن هناك

كيف تحارب ألمانيا

[من مجلة «فورتنايتلى»]

من الوسائل الفعالة فى الحروب الحديثة إلقاء النيران الحامية على مصانع الأعداء . فبهذه الوسيلة نستطيع أن نحد من قوتهم ونضعف مقدرتهم على الاستمرار فيها. وقد حشدت ألمانيا فى المصانع كل ما تبقى لديها من الرجال للعمل فى صنع الذخائر ، فإذا هوجمت تلك المصانع فقدت ألمانيا عدتها من الرجال . وقد أعلن مسيو بير كوب فى مجلس النواب الفرنسى فى ٢٠ من يناير سنة ١٩٣٩ أن ألمانيا قد حشدت فى مصانعها من الرجال ما يربو على الخمسة والستين . بينما تستعد فرنسا لوضع عشرة من العمال الأميركيين فى مصانعها بإزاء كل جندى فرنسي فى خط القتال

إن الفوز فى الحروب الحديثة قد يكون فى المصانع كما يكون فى ميادين القتال . فتعطيل حركة المصانع أو إيقاع الاضطراب فى داخلها ، وإيقاف الإمدادات التى تعول عليها الجيوش فى ميدان القتال من أسلحة وأطعمة وملابس يعد من الطرق الفعالة فى الحروب ، وهو عند العارفين بمثابة الفوز فى معركة من معارك القتال

والمؤونة التى يحتاجها الجندى والحيوان لها المرتبة الأولى فى الحروب. فالأمة الجائعة لاتستطيع أن تحارب وقد يكون جيشها عرضة للانشقاق. وقد بدأت ألمانيا تضحى بالزبد من أجل البنادق، وأصبحت المواد التى يغذى بها الجيش من الزبد واللبن والدهن والخبز والدقيق مغشوشة جميعها . ومما لاشك فيه أن ألمانيا الآن فى حاجة ماسة إلى الدهن بكافة أنواعه . وقد كانت ألمانيا تعول على الولايات المتحدة فى إمدادها بما تحتاجه من ذلك ، إلا أن موقف أميركا بالنسبة لألمانيا اليوم سيحرمها مما كانت تستصدره من هذه المواد

فألمانيا والحالة هذه تدخل الحرب وهى فى حالة اقتصادية لا تحسد عليها. ولعل أى طارئ جديد يهدد ماتختزنه من المؤونة الآن قد يعرضها لقحط شديد ، وهنا يكون للطائرات الفضل الأكبر فى كسب الحرب . فالغارات الجوية على المخازن والمزارع والمطاحن التى تعول عليها ألمانيا كل التعويل ستجعلها فى أحرج المواقف

إن اختيار مواقع الغارات خير من إلقاء مقذوفاتها بغير حساب؛ فهولا يعرضنا لعداوة الرأى العام ، أو يفقدنا شيئاً من عطف الأمم المحايدة . وليس فى العالم قوة تستطيع أن تحلق فى كل الأماكن دفعة واحدة ، فلنوجه قوانا جميعها إلى الأماكن التى تستحق المهاجمة ، ولنزودها بكل ما نستطيع من القذائف التى يمكن حملها على متن الطائرات .

احصاء المسلمين فى العالم

[من مجلة « العصبة »]

كتب الأمير أمين أرسلان النبذة التالية فى « الموندو » الأرجنتينية عربتها مجلة العصبة فيما يلى :

« قلما يتفق المؤرخون والكتّاب على تحديد عدد المسلمين فى العالم . وهذا التباين عائد إلى سبب جوهرى وهو أن كثيراً من الأقطار المأهولة بأتباع محمد يتعذر فيها إجراء إحصاء دقيق؛ ولكن ذلك لا يمنع من تحديد عدد المسلمين بأرقام تقرب من الحقيقة

من المعلوم أن المسلمين ليسوا كلهم عرباً أقحاحاً ، وأنهم يختلفون جنساً ووطناً ولغةً ، ففى الصين مثلاً ثلاثون مليون مسلم وهم لا يمتون إلى العرب بصلة غير صلة الدين .

بناء على إحصاء الحكومة الإنكليزية بلغ عدد المسلمين فى الهند بعد الحرب العالمية ٧٨ مليوناً ، واليوم ، أى بعد عشرين سنة ، يجب أن يكون قد ارتفع عددهم إلى ٨٥ مليوناً

وحدد إحصاء رسمي عدد المسلمين في المستعمرات الهولندية بستة وخمسين مليوناً ، وبمليون في جزرة الفيليبين حيث يُدعون مناربة . وليس يُعرف تماماً عدد المسلمين في الهند الصينية وفي كمبودج وأنام وسيام وغيرها .

وفي روسيا يبلغ المسلمون عشرين مليوناً وفي الأفغان عشرة ملايين .

ويبلغ عدد سكان إيران ١٤ مليوناً، وتركيا بناء على الإحصاء الأخير ١٧ مليوناً ، وسوريا ولبنان ٣ ملايين ، والعراق ٤ ملايين ومملكة ابن السعود بين ٤و٥ ملايين ، وفلسطين وشرق الأردن ١٫٢٠٠٫٠٠٠ ، وعدن والممالك المحمية كحضرموت ، ولحج مليوناً وجزيرة البحرين والكويت ٣٠٠ ألف .

وفي يوغوسلافيا ١٫٥٠٠٫٠٠٠ من المسلمين ، وفي ألبانيا مليون ، وفي اليونان مائة ألف وقد كانوا قبل مبادلة السكان خمسمائة ألف ، وفي بلغاريا ٨٠٠ ألف ، وفي رومانيا ٢٠٠ ألف ، وفي بولونيا ١٢ ألفاً ، وفي المجر ألف . فمجموع المسلمين في أوربا نحو ثلاثة ملايين

أما عدد المسلمين في أفريقية ، فيمكن تقديره بين ثمانين ومائة مليون منتشرين في كل أنحاء القارة السوداء، ففي مصر والسودان ويوغندا ٢٧ مليوناً، وفي الحبشة والصومال ٥ ملايين، وفي جزيرة زنجبار بين ٥و٦ ملايين ، وفي موزمبيك البرتغالية مليونان ، وفي رأس الرجاء الصالح والترنسفال بين ٤٠٠و٥٠٠ ألف ، وفي مستعمرة كونغو البلجيكية ١٥٠ ألفاً ، وفي أواسط أفريقية وشواطئها الغربية يبلغ عدد المسلمين بناء على تعديل الرسالات التبشيرية المسيحية ٤٨ مليوناً . ومما يذكر في هذا الصدد أن تلك الرسالات من كاثوليكية وإنجيلية لم تستطع على رغم جهدها الكبير أن تدخل في المسيحية إلا ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ نفس في حين أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام يجاوز ٣٦ مليوناً .

تعد مراكش ٦ ملايين ، والجزائر ٦ ملايين و ٥٠٠ ألف وتونس ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ، وطرابلس وبرقة ٨٠٠ ألف ، فيكون إذن عدد المسلمين في هذه البلدان الثلاثة بين ١٦و١٧ مليوناً

وفي أميركا يعيش نحو مائتي ألف مسلم وفي الأرجنتين وحدها ستون ألفاً . فيؤخذ مما تقدم أن عدد المسلمين في العالم ، بناء على الإحصاءات الرسمية وعلى تعديل الجغرافيين والرُحل والبعثات العلمية ، يتراوح بين ٣٥٠و٣٦٠ مليوناً ، ولا ٢٥٠ مليوناً كما يزعم البعض

الحب وعلم الحياة

[من مقال الكاتب « جوليان هكسلي »]

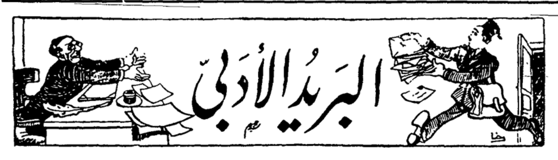
يستطيع علم الحياة أن يعرض علينا مئات من الأمثلة لتآلف القردة، وشدو الطيور وتماطفها؛ ولكن هذا جميعه شيء آخر غير الحب. وكل ما نستطيع أن نقوله إن تلك الحيوانات الدنيا، تعطى الإنسان صورة بسيطة للمادة الأولية التي نشأ منها الحب . فالإنسان من هذه الناحية كغيرها من النواحي يمتاز عن سائر المخلوقات . وهذا الامتياز الظاهر في الإنسان يرجع إلى تركيبه الذهني بلا شك . فليس الإنسان مقيداً بغرائز معينة تلازمه على الدوام ، أو قيود عنيفة تتسلط على فكره وشعوره وتتصرف في سائر أعماله . فالعواطف على اختلافها ، والإلهام والفكر والتجارب تتكون جميعها لتخلق في الإنسان حالة فكرية أكثر تشعباً وأشد اختلافاً مما في الحيوانات الدنيا

وليس للانسان فضلاً عن ذلك فصول معينة ينقطع فيها إنتاجه كالحيوان ويعجز عن مواصلة الحب . والإنسان بطبعه معرض للاختلاجات النفسية على الدوام وله مقدرة على كبح هوى النفس . وأما الحيوان فله حياته الخاصة المحصورة بين غريزة وأخرى ، ولن يكون عرضة للغرائز المتباينة والإحساسات المضطربة التي تشغل نفس الإنسان

وللعقل الإنساني فوائده ومزاياه في فهم التجارب وترتيبها في نفس الإنسان ، إلا أن هذا قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ارتطام العواطف واختلاف الأهواء والأغراض . فالذين لا يستطيعون أن يتغلبوا على أهوائهم يعيشون عيشة ليس فيها راحة ولا استقرار، والذين يقدرون على كبح جماح النفس وإبعادها عن العوامل المتباينة المتناقضة التي تضطرم فيها يحيون الحياة الإنسانية الصحيحة الهادئة . وللتعليم ولا شك شأنه في إخضاع تلك الأهواء للعقل والمنطق وإيقافها عند حدها . ومما لا ريب فيه أن العوامل الجنسية هي من أقوى مايتسلط على نفس الإنسان ، إلا أنها تقابل بالكبت الشديد في حياتنا الاجتماعية

لذلك كان الحب من الظواهر العجيبة عند الإنسان ، فهو يجمع بين أسمى العواطف وأحط الغرائز؛ وهو يفك النفس من عقالها ويقيدها بأثقل الأغلال ، وهو يجمع بين الثورة والهدوء

ولا يغيب عن البال أن للحب مراتب وأحوالا لا يدركها الحصر ، وللحب ألوان متعددة بعدد المحبين ، إلا أن تلك الألوان



مسألة

فى العدد ٣١ من « الثقافة » مقال بارع المنحى ، عذب الأسلوب ، عنوانه « مسألة » بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى . وقد جاء فى خاتمة هذا المقال ـ عند الكلام على أخذنا العلوم والفنون عن الفرنجة ـ ما حرفه : « فى العلوم والفنون والمستحدثات من مختلف الأشياء ، وللنبات والأزهار مئات الآلاف من الأسماء والصيغ والمصطلحات . فإذا نحن عرّبنا هذا كله طغى أشد الطغيان على سائر اللغة . وأنت خبير بأن ما يدور فى صيغ العربية على ألسنة فصحاء الخطباء وأقلام بلغاء الكتاب وما يتحدث به الخاصة . . . ويجرى فى مقاولاتهم ومحاوراتهم وما تنتضح به رسائلهم — كل ذلك لا يزيد على بضعة آلاف . وكيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذاك ؟ بل كيف له بأن يعيش بجانبه ويحقق ما تحقق اللّغى لها من كيان ؟

هذه هى المسألة كما يقول شكسبير ، فليت شعرى ماذا يكون المصير ، فاللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير » . اهـ

وإذا أذن لى الأستاذ البشرى فى أن أرى رأياً فأحاول التعليق على مقاله ، قلتُ : إننا ناقلون إلى لغتنا كثيراً من مصطلحات العلوم والفنون ، وهذا الطارئُ الضخم إنما يحيى اللغة المتداولة ويُغنيها ويُهذِّبها ؛ فلا نسأل إذن : « كيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذاك ؟ » بل نسأل : كيف لهذا بأن يقوم بغير ذاك ؟

إن اللغة التى تعجز عن سدّ حاجات التعبير وتبقى على عجزها مصيرها الموت أو السقوط عند ألسنة العامّة . فها نحن أولاء مقبلون على تلقّى العلوم والفنون عن الفرنجة بل التأليف فيها لنسلم أو لِنَنْشِيَ ، فكيف يكون التأليف بالعربية ومصطلحات مختلفة تُعوزها ؟ هذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل ولا بسط . فإما أن نستحدث فى التعبير والأداء جميعاً وإما أن نعدل عن العربية إلى لغة أفرنجية ، وفى الحال الأولى تعزّ اللغة وتنشط ، وفى الثانية تذلّ وتخور : الحياة أو الموت . وليس من الحق أن ندع اللغة تموت ، وذلك لأسباب عمرانية وسياسية وتاريخية لا أعرض لها هنا ، وليس ثمة ما يسوّغ الإماتة فالعربية صالحة للتجديد قابلة للمزيد بفضل أوضاعها وأسرارها ثم بفضل كنوزها التى نهملها أو نجهلها .

وإغناء اللغة يهذّبها فضلاً عن أنه يحييها . بيان ذلك أن الصيغ والألفاظ الطارئة ، سواء استخرجناها من بطون كتبنا أو وضعناها وضعاً ، لا بدّ لها من أن تحلّ فى الحافظة محل صيغ وألفاظ مقيمة . وفى العربية التى تدور على « ألسنة فصحاء الخطباء وأقلام بلغاء الكتاب » ما لا خير فيه بل ما يرهق الأداء تفهاً أو يحمله حشواً . ومما يرد الأداء تفهاً تلك التعبيرات المطروقة من زمان قديم حتى إنها أضاعت قوّتها بل لونها ،

وإن اختلفت وتعددت يجمعها شىء من التشابه

وتظل النفس الإنسانية ناقصة ما لم يكملها الحب . فهو أقدر العواطف على تحويل الفكر من مرتبة الطفولة إلى مرتبة النضوج ؛ فهو يمد الإنسان بشتى الوسائل التى تطلق الروح من قيود الطفولة . وقد يكون الحب فوق ذلك وسيلة عند كثير من الناس لاكتشاف خبايا النفس ، ومعرفة أسرارها

إذا نظرنا إلى الحب من الناحية الحيوية أمكننا أن نقرر أن الحب فن ، وأن النجاح فى هذا الفن يحتاج إلى تفكير وتدبير كالموسيقى والشعر والرياضة وغيرها من الفنون

ولا نريد بالحب هنا ما تكون علاقته بالجسد فحسب ، فنحن هنا نقصد الحب على سائر ألوانه . فإذا كان بعيداً عن حدود العقل فمن الواجب النظر إليه على ضوء العقل والتفكير . ولا يقلل من قيمة الحب أن ينظر إليه كظاهرة من ظواهر الحياة التى يمعن فيها العقل ويحللها الفكر ، كما أن التحليل العلمى لا يقلل من الجمال الذى يسم قوس السماء . فمن الواجب إذن أن ننظر إلى الحب كناحية وضاءة من نواحى النفس الإنسانية المتشعبة الجوانب المتعددة الأنحاء

وقد بيّن ذلك الأستاذ أحمد أمين فى كلامه على جناية الأدب الجاهلى . ومما يجعل الأداء حشواً تلك المترادفات والمتواردات التى يظن بعضهم أنها هى اللغة . ولو علموا أن متن اللغة ينهض بالألفاظ المفردة والصيغ المستقلة بنفسها ! ولكنه كان جيل من الناس ضاق أفق تفكيرهم فانقبضت صفحة تعبيرهم فطوّوا أطرافها بالثرثرة والتكرار . فأن تُترك المطروقات وتُهجر المترادفات ويشغل مكانها صيغ وألفاظ لا غنى عنها، ذلك خير للغة ومَدد للمتكلمين بها

ومن هنا يتبين أن ذلك الطارئ لا يطغى «أشد الطغيان على سائر اللغة» مهما ضخم ، بل قل إنه لِقاح له من جانب المبنى والمعنى . أما المبنى فقد تقدم القول فيه . وأما المعنى فبتلك الصور التى يجليها معها الألفاظ والصيغ الداخلة على اللغة المتداولة ، فيُحقّق المجاز بدم فتىّ فيهتزّ . وإنك لتلمس ذلك فى الشعر الحديث فى أوربة ولا سيما فى فرنسة وانجلترة ثم فى النثر الرفيع هنالك : فكثيراً ما يستعمل الشعراء (شعراء ما وراء الواقعية مثلاً) والكتاب (Valéry و Fargue فى فرنسة مثلاً) صيغ العلوم والفنون ، طلباً للافتنان فى التصوير

هذا من جهة الأدب الصرف . بقى أن أقول إن اللغة لا تنحصر فى الإنشاء الأدبى . فثمة الإنشاء العلمى ، وله أن يجرى إلى جانب الإنشاء الأدبى : هـذا فى شعب وذاك فى شعب ، فلا طغيان ولا عدوان . وفى تاريخ آدابنا ما يؤيد هذا ؛ فقد كتب الفلاسفة والموسيقيون والحاسبون وغيرهم ما شاءوا أن يكتبوا ، فهل طغى ما كتبوا على قرائح الشعراء وأنفاس الكتاب ؟ وكان طالب العلم المجتهد يحصّل العلوم والفنون ؛ فإذا تفلسف بعد ذلك عمد إلى أسلوب الفلاسفة ، وإذا تأدّب نحا نحو المترسّلين

تلك خطرات خطرت وأنا أقرأ مقال الأستاذ الفاضل عبد العزيز البشرى ، وقد سأل سؤالاً فلعله يتقبل محاولة تعليق ، وله منى التحية الخالصة .

بشر فارس

المنضدة

المنضدة وتفسيرها هما فى (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله فى مادة (ف ج ج) فى الجزء الثانى فى الصفحة (١٠٤) فى الطبعة سنة ١٣٢٧ وفى الجزء الثانى من ذلك الكتاب فى الصفحة (١٨٦) فى الطبعة سنة ١٣٤١

وقد جاء جمع الكلمة فى (المفضليات) الصفحة ١٤٢ من شرح الإمام الأنبارى فى بيت من قصيدة لمزرّد أخى الشمّاخ ، قال :

وعهدى بكم تستنقعون مشافرا   من المحض بالأضياف فوق المناضد

ومنضدة الأعرابى فى الخباء أو الخيمة غير منضدة العربى فى القصر ذى الأبهاء ، وهى البداوة المسكينة[1] ، وهى الحضارة ذات التفنن والترف . والاسم فيهما واحد وإن اختلف المسمى نجّارُه ونجْرُه ونِجارُه .

(؟)

عثر اللساد

حضرة المفضال الجليل صاحب الرسالة :

اطلعنا على ما جاء بالرسالة فى العدد رقم ٣٢٧ خاصاً بالنص الذى ورد فى « الإفصاح » وهو لسان حَبْر : لا يجد طعم الطعام ، وقد رجعنا إلى الأصول التى لدينا ، فوجدنا النص منقولاً عن « اللسان » كما وجده حضرة الأخ (أزهرى) (لسان حيّرٌ : لا يجد طعم الطعام) فما جاء فى الإفصاح خطأ مطبعى ندّ عنه النظر فى أثناء الطبع ، ويسرنا أن نعلن شكرنا لحضرة البحاثة (أزهرى) على عنايته بالتمحيص الذى أدّى إلى الكشف عن السهو ، وهدى إلى الصواب ، ونسأل الله أن يوفقه هو وأمثاله الأفاضل إلى خدمة العلم وإعلاء شأنه

صاحبا الافصاح

حسين يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدى

هل على القاتل خطأ من اثم ؟

جاء فى مقال « القتل الخطأ » بقلم الأستاذ أحمد مختار قطب المنشور فى العدد ٣٢٦ من الرسالة : « فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به) ولكن لما نتج عن هذا الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله »

والذى يؤخذ على العبارة السابقة تحميل القاتل خطأ إثماً ، وقد أتى الكاتب فى هذا من قبل ما رتّب على قتل الخطأ من الكفارة والدية فظن أن ذلك نتيجة أنه فعل إثماً وحراماً ، والواقع أن ما يرتكبه الإنسان عن خطأ وعدم قصد لا إثم عليه ولا يؤاخذ به : حكماً مطلقاً لا مثنوية فيه ، أصفق عليه علماء الملة ، واجتمعت عليه كلمتهم ، وقد دل على هذا الأصل من أصول الدين أدلة كثيرة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجة فى كتاب

(١) فتاة مسكين ومسكينة ، شبهوها بالفقيرة ، قال :

الناس بحر عميق   والبعد منهم سفينة
وقد نصحتك فاحتل   لنفسك المسكينة

الطلاق وغيره . قال المُناوى فى شأن هذا الحديث : « حديث جليل ينبغى أن يعد نصف الإسلام ؛ لأن الفعل إما أن يصدر عن قصد واختيار ، أولا . الثانى ما يقع عن خطأ أو إكراه أو نسيان وهذا القسم معفوّ عنه اتفاقاً » فإن قال قائل : فما بال هذا القاتل ولا إثم عليه يكلّف التكفير عن عمله ودفع الدية ؟ فالجواب أن دفع الدية عن القتل من قبيل دفع قيم المتلفات أو من قبيل دفع بدل المحل أى محل الإتلاف وهو البدن وهذا لا يتوقف على الإثم. ألا ترى أن الصبيّ لو أتلف شيئاً غرم قيمته وهو لم يجر عليه القلم بعد . وأما الكفّارة فللزّجر وليحتاط المكلف حتى لا يقع فى قتل الخطأ بتوقّى ما قد يجر إليه . ويقول صاحب شرح مسلم الثبوت فى ص ١٦٥ ج ١ : « ولما كان — يريد قتل الخطأ — نوع جناية ، والقتل من أعظم الكبائر لم يُهدر الخطأ فيه بل وجبت الكفارة »

بقى أن فى آخر الآية الكريمة الخاصة بقتل الخطأ ما يشعر ظاهره بأنه إثم إذ فيها: «توبة من الله وكان الله عليما حكيما» والتوبة إنما تكون عن ذنب ، وقد عرض لذلك المفسرون وقالوا فيما أجابوا به إن التعبير بهذا للتنبيه أن مثل هذا الفعل يصدر عن نوع من التقصير وإن لم يبلغ بصاحبه درجة المعصية ، وقد شرعت الكفارة لمحو أثر هذا التقصير والتوبة منه ، وللتلميح بأن من وقع منه هذا الفعل الشنيع ينبغى له أن يستشعر الندم والأسف ويملأ نفسه إعظاماً لما فعل ، والسلام عليكم ورحمة الله

محمد على النجار
مدرس بكلية اللغة

الأدب فوق الجميع

أستاذى وصديقى الدكتور زكى مبارك

ليست صلتى بك ولا شدة حبى لأدبك ولا رغبتى فى تملقك هى التى تملى علىّ كلمتى هذه ؛ وإنما هو صوت القلب والحقيقة يدفعنى إلى مصارحتك بأن فصولك الرائعة « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » قد أوجدت بالجو الأدبى حياة جديدة ، وبعثت فيه روحاً قوية بعد شهور خدر ونعاس مرت بالأدب المصرى خاصة والعربى عامة ، خلنا أثناءها أن أدبنا العزيز قد أخذ طريقه نحو الأجداث !

ولا تظن يا « سيدى الدكتور » — أو لا يظن أحد — أننى أعبر بذلك عن معاداتى لآراء الأستاذ أحمد أمين ، أو أريد الحملة عليه أو النيل من مكانته المعروفة فى العلم والأدب ؛ فقد تذكر أننى فى آخر رسالة منى إليك — ولم يمض عليها أسبوع — صرحت لك بأننى أخالفك فى كثير من آرائك ، وأننى أحب الأستاذ الأمين كما أحبك ، وأننى كتبت إليه أستعديه عليك وأستنفره إلى محاربتك بقلمه لا بسلاحه ، وأطالبه بما يجب عليه نحو الأدب والقراء من الرد على ما وجهتَه إليه من انتقادات وملاحظات ؛ وما أريد بذلك إلا أن تتسع دائرة النقاش والمباحثة فيستفيد الأدب خير الفوائد ، ويجنى العربية أشهى الثمار

ولقد طلعت علينا أخيراً — الرسالة ٣٢٧ — بطرفة من أسمارك وأحاديثك وأدهشتنا إذ أخبرتنا أنك ستقطع سلسلة فصولك النقدية المحكمة بعد ثلاث أو أربع مقالات . . !

ولِمَ تقطعها يا سيدى وما كتبتَها إلا خالصة لوجه الأدب والعربية ؟ ألأنك أردت أن تخيب ظن الأستاذ أحمد أمين تحرم آلاف القراء وأهل الأدب من هذه الثمرات الناضجات التى أنتظر لها أن تصير كتاباً ضخماً يكون فتحاً جديداً فى الأدب العربى الذى لم يعرف النقد الصحيح إلا فى فترات معدودات لا تسمن ولا تغنى ؟

لا تفعل ، ياسيدى ، فإنى أخاف أن يفسر الناس انقطاعك بتفسيرات ، وأن يؤولوه بتأويلات ، وأن ينفض عنك بسببه أتباع وأنصار . إن لى بالأستاذ الأمين صلة ، وقد اشترك فى تسديد خطاى الأدبية يوماً ، وإنى لأحمل له كل تقدير وإجلال ، ولكنى على الرغم من ذلك لم أستطع إلا توجيه العتاب الشديد إليه ولومه اللوم القاسى على قوله لك : « لن نتصافى أبداً بعد الذى كان » ! . . .

إنها لكلمة كبيرة ما كنت أنتظرها ولا ينتظرها غيرى من كاتب مشهور له قدره وخطره ، وخلقه ونباته !

أين نحن إذن من أدباء أوربا وكتابها ؟ أين منا تلك الصداقة المتينة التى تضم الأدباء هناك تحت لوائها ، لا يزعزعها اختلاف فى رأى ، أو تنازع على فكرة ، أو نزول إلى ميدان نقد ومباحثة ؟

إنى لأقول كما قال الحكيم : « أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه ، فقد كنت أحب أن تكون بين الأدباء صداقات عظيمة ، كالذى يعرفه الأدباء العظماء فى باريس ولندن وبرلين »

أحمد أمين : إما أن تكون مقالات الدكتور مبارك على حق وإما أن تكون على باطل . والأستاذ « الأمين » فى كلتا الحالين معاتب ملوم ؛ لأنه يجب عليه الرضى بها إن كانت الأولى ، ويجب أن يهب للدفاع عن نفسه وآرائه إن كانت الثانية ، وهو لم يفعل من ذلك شيئاً . وليس الدكتور مبارك بالشخصية الأدبية المرذولة ، حتى نقول إن الأستاذ الأمين تغافل عنها لقلة خطرها . ومن كالدكتور فى جولاته وصولاته وتاريخه الأدبى المجيد ؟

أى صديق الدكتور ... قد انتهى لغو الصيف وجاء جد الشتاء ، فلا تكسل ولا تنم ، وواصل بحوثك فإنها تهدينا إلى حقائق كثيرة كنا فى غفلة عنها، وتطلعنا على آفاق جديدة من الأفكار والأبحاث لم نرها من قبل . على أننى أرجو أن تتحاشى ما يسبق إليه قلمك من عبارات تنال من شخصية الأستاذ الأمين وتجرح شعوره ، كيلا يكون لأحد من الناس فيك وفى نقدك كلمة غير كلمة الإعجاب والتأييد . وما أصدق الأستاذ العميد شفيق غربال إذ يقول عنك : « ولو أنه نزه قلمه عن بعض العبارات التى جرت مجرى السخرية من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أى ملام» يجب أن تكون عند قول الدكتور طه حسين فيك إذ يقول: «فما عرف الناس زكيا إلا مثال اللطف والأدب والذوق»

نعم لو أن فصولك خلت من هذه العبارات الساخرة لما اعتبرها القارئ نقداً لكاتب ، بل يدرسها على أنها فصول أدبيه بحتة ، كلها الأدب الخصب ، والتفكير الخالص ، والإنتاج الممتع !

لنجعل الأدب يا دكتور فوق الأهواء وفوق الأشخاص وفوق الصداقات وفوق كل شيء ، لنجعله فوق الجميع !

وقد كنت عازماً أن أبثك كلمتى السابقة فى إحدى رسائلنا ، ولكنى فضلت أن تأتيك عن طريق الرسالة كى يطالعها معك القراء فيشهدوا أننى أعبر عن شعورهم وأترجم عما يجول بخواطرهم. وإننا لفى شوق ملح إلى ما يسيل به قلمك الساحر من سلاف !

أما الأستاذ الأمين ، فما هو بالمحتاج للنصيحة ، ولا ريب أن له رأيه وخطته؛ وما أكثر ما تضمر الأيام ! **أحمد جمعة الشرباصى**

عند مدير الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية

فى الساعة السادسة من مساء الثلاثاء الماضى اجتمع عند الأستاذ توفيق الحكيم مدير الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية لفيف من مندوبى الصحف العربيـة والإفرنجية تلبية لدعوته ليصف لهم مهمة هذه الوزارة ولم أنشئت وقد رحب بهم حضرته وأحسن استقبالهم ثم قال لهم :

كلفنى الوزير معالى الشاذلى باشا أن أجتمع بكم لنتحدث معاً فى شؤون وزارة هى أقرب الوزارات إليكم وأوثقها اتصالاً بكم وبالشعب الذى أنتم عيونه ولسنه. ذلك أن وزارة الشؤون الاجتماعية هى كما يدل عليه اسمها : وزارة شؤون الشعب، الشعب الذى لا ينبغى منذ اليوم أن يسقط من الحساب، فهو القوة الحقيقية للدولة. لقد رأينا دائماً أن الجيوش قد تحطم ولكن الشعوب لا تحطم .

وهنا قد تسألوننى عن السبل التى تسلكها الوزارة لنهوض بالشعب وإنشائه نشأة جديدة فأجيبكم بأن الطرق التى ستتبعها كثيرة وهى تتلخص أول الأمر فى إعانة كل فرد من أفراد الشعب على رفع مستوى حياته مادياً وتحسين حاله صحياً وروحياً وخلقياً . إن الفرد خلية حية فى جسم المجتمع ومفتاح صغير من مفاتيح تلك الآلة الهائلة التى تتحرك وتدور . وإن فى فساد بعض الخلايا وعطب بعض المفاتيح اعتلال الجسم واختلال الآلة . وهنا كان دائماً مصدر تفشى الداء فى شعبنا منذ أمد طويل

لهـذا توزعت أعمال وزارة شؤون الشعب على نواح شتى ، فقامت فيها إدارات تعالج هذه الخلايا من جهات متعددة . فإدارة التعاون والفلاح تعنى بالناحية الاقتصادية والمادية التى تكفل للفلاح وهو الجانب الأكبر من الشعب شيئاً من اليسر والرخاء ؛ وإدارة الخدمة الاجتماعية تتجه إلى علاج الأمراض المنوية والمـادية المتفشية فى الشعب بأسره مثل الطفولة الشردة ومشاكل الأسرة وضعف الأجسام لعدم انتشار الرياضة البدنية ، والعمل على نشر النظافة ومبادئ الصحة فى أنحاء البلاد ؛ ومصلحة العمل تسعى إلى الأخذ بيد العامل ومؤازرته فى مطالبه العادلة والارتقاء بمستوى معيشته ، ومكافحة البطالة ، وتدبير الرزق للمتعلمين المتعطلين ؛ ثم إدارة الدعاية التى ينبغى أن تعد الأذهان وتمهد الأفكار وتستنهض همم القادرين على التضافر لتنفيذ كل ما تقدم ذكره من وجوه الإصلاح

ثم قال : لقد وضح معالى وزير الشؤون الاجتماعية فى الكلمة التى افتتح بها قسم الإذاعة فى إدارة الدعاية مهمة هذه الإدارة وأعلن وجهتها للناس ، وذكر أن فيها دعاية للاصلاح الاجتماعى بأوسع معانيه ، وأعيد عليكم هذا البيان فى صورة أخرى فأقول : إن عمل تفتيش صحة القاهرة والأقاليم فى مراقبته للمواد الغـذائية الضارة بالأجسام ، كان ينبغى أن يكمل منذ زمن بمراقبة أخرى وتفتيش آخر لنوع من الجرائم أعظم ضرراً وأشد فتكاً بكيان الشعب ، وأعنى بها الجرائم الخلقية التى تتسرب إليه من خلال ما يعرض عليه من بذىء الأغانى ورقيع المشاهد وخليع المناظر فى المسارح والصالات ودور السينما وإذاعات الراديو . إن إدارة الدعاية بما لها من سلطة الرقابة والتوجيه لكل ما يعرض على الشعب من مشاهد وما يلقى فى أذنيه من محاضرات وغناء ستقف حائلاً قوياً دون انتشار كل ما يخدش الخلق ويضعف الهمم ويلقى بذور الانهيار الروحى والانحطاط المنوى فى قلب هذا الشعب العريق .



فصل المقـــال

فيما دار من نقاش حول « مباحث عربية »

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

— ٢ —

أما عن التلبيس فى سوق الروايات والواقعات فى كتاب « مباحث عربية » فاليك بعض من ذلك :

١ — أسند الدكتور بشر فارس ص ٦٠ من كتابه «مباحث عربية» ثمانى روايات جملة إلى ١٦ مرجعا منها أربعة مراجع مخطوطة ؛ والغرض من ذلك الوصول إلى إثبات أن «التعريف» الحقيقى الناهض على التمييز للفظ المروءة غير ممكن ، وليصل إلى هذا فقد ساق الدكتور بشر هذه الروايات جنباً إلى جنب، وأسندها جملة إلى مصادرها بالجملة للتعجيز ، حتى لا ينظر القارئ مصادر كل رواية ويتدبر معانيها فى مكانها ووجه مجيئها من الكلام . لأن فى ذلك الخطر كل الخطر على البحث إذ يثبت أن الروايات تأتى فى كلها لفظة « المروءة » من أصل واحد يحمل مدلول السيادة من جهة ويتضمن السجايا الرفيعة التى يتقوّم بها شخص السيد . بيان ذلك :

(ا) يقول النورى : « المروءة بذل الهدى ، وكف الأذى ، وترك الهوى ، والزهد فى الدنيا ، وطاعة المولى » ، وهذه الرواية بهذا الإطلاق يتنافر فيها مفاد المروءة مع المدلول الحقيقى للفظة وهذا ما يريد أن يصل إليه الدكتور بشر ، وهذا هو التلبيس لأن هذه الرواية لو أسندت إلى مصدرها ، وهو مخطوط كتاب « الفتوة » للأردبيلى — أيا صوفيا ٢٠٤٩ — وهو مخطوط فى التصوف كما وصف ذلك الأستاذ F. Iaeschner فى مبحثه المنون باسم Der Anteil des Sufismus an der Formung Futuwasaideals والمنشور بمجلة Der Islam التى تصدر عن همبورج ، م ٢٤ ص ٥٨ ، لظهر أن لفظة المروءة فى هذه الرواية تأخذ مفادها من وجهة المتصوفة ، وفى ذلك الوقت يتسق مفاد اللفظة فى الرواية مع مدلول الكلمة الناهض على التمييز

هذا وقد نبهنى أحد الزملاء إلى أن هذا المخطوط الذى وردت فيه الرواية ، نشره الدكتور بشر فى مقتطف ابريل سنة ١٩٣٩ والعجيب أن يقول فى التقدمة . « تدخل الفتوة على قلم الأردبيلى فى التصوف ، وكذلك المروءة التى هى شعبة من شعبها فى كتاب الأردبيلى ! »

(ب) يقول معاوية : « المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر

ولسوف نستخدم ما نملك من وسائل فى بث الفضائل وتدعيم الروح القوى النبيل ، وفى تهذيب الذوق العام بتشجيع الفن الصحيح والدنو به من الكمال وتعويد الناس فهم الجمال . وعند ذلك ترقى النفوس والعقول ويتم للشعب بلوغ ما نصبو إليه من مرتبة عالية بين الشعوب الراقية المجيدة

إن هذه الوزارة لا يمكن أن يقوم موظفوها وحدهم بكل العبء . هنالك دعامة قوية من الدعائم التى ترتكز عليها دائماً أعمال الإصلاح ، هذه الدعامة القوية هى التطوع . بثوا الدعوة معنا إلى الزملاء فى شتى أوساط الشعب لإيجاد المتطوعين للاصلاح نحن فى حاجة إلى تجنيد أكبر عدد من المتطوعين للاصلاح

أحمد عرابى

اضطررنا لقطع سلسلة البحث فى تاريخ عرابى نظراً للظروف الحاضرة ؛ وسنعود إلى وصلها فى الوقت المناسب

وابتداء من العدد القادم سندرس شخصية مازينى أحد أبطال الحرية فى التاريخ الحديث **الخفيف**

المشيرة » فهذه الرواية رغم أنها تحمل فى طياتها إشارة إلى سجايا السيد وإفادتها سياسة الملك ، فقد أتى بها بشر فارس ليستدل على أن مدلول لفظة المروءة غير ناهض على التمييز . وهو فى الوقت نفسه يذكر ص٦٧ فى الحاشية ، فى الهامش رقم ٣٤ هذه الرواية ، والتى يحمل الإشارة إلى أن الرواية مفادها سياسة الملك !

(ج) يقول عمر بن الخطاب : « تعلموا العربية فإنها تزيد من المروءة » . ويقول مسلمة بن عبد الملك : « مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة » . والدكتور بشر لا ينكر فى الرواية الثانية أن لفظة المروءة تنزع إلى السيادة ، مع أنها تجيء من الفصاحة وإذن فمفاد الرواية الأولى واضح فى إشارتها إلى السيادة وسجايا السيد ، من حيث أن العربى كان يرى معرفة العربية سبيل الفصاحة والفصاحة من أسباب الكمال والكمال من متطلبات سجايا السيد

(د) فى عام ١٩٣٢ أخرج الأستاذ بشر فارس كتاباً بالفرنسية اسمه « العرض عند عرب الجاهلية » وتقدم به لينال إجازة الدكتوراه من جامعة باريس . وموضوع هذه الأطروحة أن « أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى العرض » (أنظر L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam باريس ١٩٣٢ ص ٣٢ وما بعدها) . ولما كان جولد تسيهر Goldziher أحد شيوخ الاستشراق قد كتب فى كتابه Muhammedanische Studien طبع Halle سنة ١٨٨٩ ج ١ ص ١ — ٤٠ ـ فصلاً كاملاً عن المروءة ذهب فيه إلى أن « المروءة كانت تنزل منزلة الفضيلة Virtus عند عرب الجاهلية » . وهو فى هذا على نقيض من الرأى الذى ذهب إليه الدكتور بشر ، فقد اضطر صاحبنا بشر أن يعود عام ١٩٣٧ ليناقش رأى جولد تسيهر لأنه صاحب رأى خاص فى الموضوع فكتب مادة « مروءة » فى تكملة دائرة المعارف الإسلامية ، ثم توسع بالمادة فكان منها موضوع مبحث المروءة من كتاب « مباحث عربية » وهو يشغل الصفحات من ٥٧ — ٧٤ ، وهو إلى هذا الحد لم يرتكب وزراً ، ولكن موضع المؤاخذة جاء من جهة محاولة إيهام القارىء أن بحثه فى المروءة ليس عن فكرة سابقة a priori ، وإنما هو نتيجة التدبر والتدرج من الواقعات للنظر (كما يقول ص ٧٣ من كتابه) ، وهو لكى يصل للغرض يوهم القارىء — والإيهام ليس بالشيء القليل — ثم يعمد لطرق ملتوية لتعجيز القارىء حتى لا يكشف كيف يميل بالواقعات ويديرها منحرفة عن حقيقتها بعض الشيء حتى يتحصل له من انحرافاتها النتيجة المقصودة . وقد سبقت الإشارة إلى بعض طرق الالتواء فى بحثه ، وإليك طرقاً أخرى :

(١) لو كانت المروءة واضحة المعنى ما عثرنا على تعريفات لها لا يكاد يقع بعضها على بعض ، ولا أصبنا أقوالاً فيها ربما تنافرت بل تدافعت . وبهذه الجملة يلج البحث الدكتور بشر فارس . والذى عندى أن اختلاف التعريف إن جاء من عبارات يقصد بها بيان كيفية المروءة ، فذلك لا يقع على بعض مدلول لفظة المروءة . بيان ذلك أن لفظة الرجولة لعهدنا هذا واضحة المعنى ، ومدلولها ناهض على التمييز ، ولكن كل إنسان حسب طبيعته وأخلاقه وسجاياه ونظرته يعطى اللفظة لوناً يقع على كيفيتها من جهة الصفات لا على مدلولها الذى يدل على المعنى . ومن المهم فى تدبر المعنى الحقيقى réelle للفظ ملاحظة هذه الاعتبارات . والآن على ضوء هذا الكلام لننظر فى مبحث الدكتور بشر فارس

أولاً — يأخذ الدكتور بشر قول أبى الحاتم البستى : « اختلف الناس فى كيفية المروءة » (روضة العقلاء ص ٢٠٧) دليلاً على تضارب التعريفات والأقوال حول لفظة المروءة . والرواية تقصر عما يريد صاحبنا بشر أن يحملها ، لأن كلام أبى الحاتم البستى يقع على الصفات لا على المعنى ، والمعنى اختلاف الناس فى كيفية المروءة لا فى مدلولها

ثانياً : يستدل الدكتور بشر من سؤال معاوية : « ما تعدون المروءة؟ » على أن معنى المروءة (أو مدلولها) أشكل على المسلمين . والاستدلال خطأ ، لأن السؤال يقع على ما كان يعدونه ، وعد الشيء مربوط بكيفيته (أو صفاته) ، فالصوفى يعد المروءة مثلاً : « ترك الهوى والزهد فى الدنيا وطاعة المولى » ، ورجل الدنيا يعدها « كثرة المال والولد » . فهذه الدلالات للفظة المروءة تقع على الكيفية منها لا المدلول

ثالثاً : نفى الدكتور بشر أن المروءة تفيد معنى السيادة قائلاً ما ملخصه : « إن الاستناد إلى مشتقات مادة (م ر ء) ولا سيما اسم الفاعل منها فى الآرامية لإثبات إفادة المروءة للسيادة خطأ ، لأن لفظة مرء عربياً وهى اللفظة الناظرة إلى اللفظ الآرامى إنما مفادها الإنسان . وهذا يدفع أن تكون المروءة أفادت السيادة أول الأمر » هذا وهو يدفع القول ، بأن باب المروءة وقع فى كتاب السؤدد من عيون الأخبار لابن قتيبة ، بأن المصدر

الذكور لم يثبت غير قول واحد تنزع فيه المروءة لمنى السيادة

والردّ عندنا أن الدكتور بشر ذكر فى موضع آخر من كتابه أن المروءة تدرج مقرونة بالسؤدد من كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب . . . (رقم ٤٠٩ مخطوط ليدن ص ٥٣٢ — ٥٣٤ ع ٢٩٧ من الرسالة) والدكتور بشر يقول فى تقدمة هذا المخطوط : (وفى المصدر الأول تعريفات وأقوال فى المروءة على أنها لون من ألوان السيادة وشرط من أشراطها) الرسالة العدد ٢٩٧ ص ٥٣٣ . أما عن مجىء هذه الروايات من الجاهلية أو عدم مجيئها ، فلا يؤثر على القضية فى شىء ، لأن جلها أتى من صدر الإسلام ، والعربية لم تتغاير فلا معنى للاحتجاج بأنها ليست من الجاهلية . وإذن يبقى معنا لفظة المروءة نازعة منزع السيادة فى الجاهلية وصدر الإسلام ، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ بطرق ملتوية الدكتور بشر فى مباحثه العربية

رابعاً : ينكر الدكتور بشر فارس أن المروءة أفادت السيادة — وأكبر الظن عنده — أنها ضمت ، أو ماضمت محاسن خلق الإنسان ، ثم — من طريق التجديد والمجاز — محاسن خلقه « وهو فى رأيه هذا لا يذكر السبب الذى جعله يميل مع هذا الظن . فضلاً عن أنه لا يستند فى ظنه هذا إلى أكثر من فصل مخطوط تحت رقم ٢٠٤٩ بأيا صوفيا ، يشتق فيها المؤلف المجهول المروءة من مرء الطعام وامرأة ، وإذا تخصص بالمرئ لموافقته للطبع . فكأنها اسم الأخلاق والأفعال التى تقبلها النفوس السليمة ، فعلى هذا يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية ، وهذا الرأى من الكاتب أحد رأيين ثانيهما أنه يجعل المروءة من المرء فيجعلها اسماً للمحاسن التى يختص بها الرجل فيكون كالرجولية ، ولست أدرى ما الذى جعل الدكتور بشر يميل مع الرأى الأول ؟! وليس فى بحثه ما يرجح الرأى الذى أخذ به إلا قول بل أكبر الظن ! »

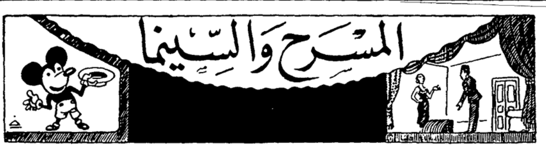
خامساً : يرى الدكتور بشر أن الأقوال والروايات التى ورد فيها لفظة المروءة ، فيها جانبان متضادان كلاهما معقود على الآخر: الأول حسى والآخر معنوى ، وهذا غلاب على ذاك ؛ وهو يذهب إلى : « أن الجانب الحسى ينحدر من زمن الجاهلية وأما الجانب المنوى فمصدره الإسلام » (ص ٦٣ من مباحث عربية) غير أنه لا يثبت على هذا الرأى سريعاً فلا يلبث أن ينقضه ويقول : « وكأن الحسىّ والمنوى أخذا يتجاذبان المروءة أيام الجاهلية » (ص ٦٥ من مباحث عربية) ، وهو بهذا يخلع الجانب المنوى على الجاهلية . وفى هذا التضارب والتناقض ما فيه مما لا يحتاج إلى بيان ...

سادساً : يعتمد الدكتور بشر على رواية الأغانى : « أن عيينة ابن مرداس كان معوزاً فقصد إلى عبد الله بن عباس يسترفده ورغب إليه أن يعينه على مروءته . فردّه ابن عباس لاتهامه إياه فى مروءته » ليصل إلى أن المروءة كانت تجىء معنوية من العصر الإسلامى وحسية من الجاهلية ؛ وهو يعلق على هذه النتيجة بقوله : « إن ابن عباس نظر إلى المروءة بعين المسلم فنزهها عن المادة وأنزلها منزلة الخلق الحسن . وابن مرداس نظر إليها بعين الجاهلى فرأى فيها إعانة له حتى لا يشتهى طعام غيره »

والرد أن الرواية لا تسعف الدكتور بشر بالنتيجة التى أراد أن يحصلها ، لأنه لا يتحصل منها أن ابن عباس نظر إلى المروءة بعينى المسلم ، وإنما الصحيح أن يقال إنه نظر إليها من طبيعته ، كذلك لم ينظر إليها ابن مرداس بعين الجاهلى ، وإنما الصحيح أنه نظر إليها من طبيعته ، والفرق بين النظرتين ، كالفرق بين الطبيعتين ، وهذا الاختلاف فى النظر راجع إلى اختلاف النفوس لا إلى اختلاف الزمان، ومن أمثال الذين ينظرون نظرة ابن مرداس للمروءة كثيرون فى كل زمان ومكان !.

سابعاً — مضى الدكتور بشر فى بحثه ، وكأنه يتعقب روايات مختلفة من أزمان مختلفة ، وأعطى المروءة مفادات مختلفة ، كل مفاد خاص بعصر ، وانتهى ببحثه إلى أنها لم تنزل منزلة الفضيلة على جهة الماثلة إلا فى العصور المتأخرة . والرأى الصحيح فى الموضوع أن الروايات التى أتى بها الدكتور بشر فارس متسقة وكل منها تقع على لون خاص من مدلول المروءة ، وهذا اللون مرتبط بالناحية الكيفية (صور) للفظة . وهى من هنا لا تأخذ دليلاً على التطور التاريخى . والأصل فى البحث اللغوى لتاريخ لفظة أن يكون الباحث صاحب نظرة فلسفية تتغلغل فى صفحات الماضى وتستمد من طبيعة الحالات القائمة فى العصر صورة تقيمها فى ذهنها يمحص على أساسها الباحث الروايات التى تعرض له ويكشف ، عن مقدار تأثرها بحالات العصر ، وهل هى راجعة لاختلاف النفوس والطبائع ، أم إلى اختلاف الزمان، وذلك لا يتأتى إلا عن طريق النفوذ من مادة الرواية وهو الجسم المنظور إلى روحها وهو ما وراء المنظور

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]



من التاريخ:

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

الفصل الأخير:

كانت هزيمة المسرح على يد سادته وأبطاله هزيمة منكرة، هبطت بهم إلى الحضيض، ورجعت به إلى الوراء عشرات السنين، ولم يبق بد من أن يعهد بالمسرح إلى غير هؤلاء الأبطال الذين نصبوا أنفسهم سادة في مملكته. كان لا بد من إنقاذ المسرح وأهله معه بأية وسيلة من الوسائل، ولقد وجدت الوسيلة واقتنعت الحكومة بها فأنشأت هذه الفرقة التي ما تزال قائمة بيننا، وعهدت بها إلى رجل لا ننكر فضله كأديب وشاعر، بيد أننا ننكر صلته بالمسرح، تلك الصلة التي تجعل منه خير من يضطلع بهذه المهمة العظيمة. هذا إلى أنه رجل مشغول بغير المسرح من الشئون؛ فلم يكن الاختيار موفقاً على أي حال. فالمسرح يريد واحداً من رجاله الذين بلوا أعظم البلاء، والذين امتحنتهم خشبة المسرح وعركت أعوادهم فوجدتها من أصلب الأعواد وأشدها قوة وعزماً وحزماً. أما الشعراء، وأما أصحاب الكفايات في الأدب والكتابة فلن تؤهلهم هذه الكفايات والمميزات لهذه المهمة، وقد تؤهلهم لخدمته بوسائل أخرى غير سيادته والتحكم في شئونه.

على أن مدير الفرقة ليس وحده المسئول عن هذه الهزيمة الجديدة للمسرح، فإن إلى جانبه لجنة عهد إليها باختيار الروايات، فإذا اعتبرناها مسئولة عن عملها، وليس فيها إلا رجل واحد يصلح لهذه المهمة، فإننا نظلمها ظلماً مبيناً! إنها لجنة تتكون من أعضاء من ذوي الكفايات الأدبية والعلمية، لكنهم كما هو الحال مع المدير، ليست لهم صلة بالمسرح تجعلهم أحق الناس بهذه المهمة، بل لعل هذه الكفايات والمميزات التي لهم تجعلهم آخر من يصلح لها. ذلك لأن المسرح فن، وإن كان يعتمد على غيره من الفنون، إلا أن من يصلحون له يجب أن يكونوا من طراز خاص. فالمسرح يعتمد على الكتاب والأدباء والموسيقيين وغيرهم، بيد أن أحداً من هؤلاء قد لا يصلح لمهمة قيادته وسيادة شئونه، وقد يصلح لها ممثل أو مخرج أو مؤلف مسرحي أو ناقد، وقد يكون هؤلاء أقل ثقافة وعلماً من أولئك الجهابذة العلماء، بيد أن روحهم الفنية الملهمة تحوطهم بسياج من القوة، وتمنحهم إحساساً فنياً مرهفاً وتجعلهم من أصلح الناس لتوجيه هذه الشئون!

قلنا إذن: إن مدير الفرقة لا يصلح لقيادتها، لأنه غريب عنها، ولو أنه أديب وشاعر. وقلنا: إن لجنة القراءة ليس فيها إلا رجل واحد صالح، على أنه مشغول هو أيضاً ولديه من المهام ما هو في نظره أجل وأسمى خطراً من المسرح، ومن ثم، فقد ساءت إدارة الفرقة، وساء اختيار الروايات؛ وفي نفس الوقت نرى جماعة الممثلين والمخرجين، وقد اطمأنوا إلى أرزاقهم، قد تركوا الحبل على الغارب، ولم يعد يشغلهم إلا قبض المرتب في أول الشهر، وإلا الإشاعات التي تدور حول الفرقة وتتناثر هنا وهناك، وإلا الزلفى إلى هذا والتقرب إلى ذاك. أما إجادة العمل فهي

ظهرت عقلية الدكتور بشر الشكلية في أجلى مظاهرها وتبين لنا كيف أن هذه الشكلية مساقة إلى أخطاء في البحث لا يقع فيها من له دراية بسيطة بالبحث اللغوي المستقيم. والواقع أن بحث الدكتور بشر في المروءة ضعيف لا يثبت على نقد، ولا يمكنه أن يواجه مراجعة علمية صحيحة. هذا فضلاً عما فيه من تحريف وتعديل للعناصر الأولى والواقعات حتى لا ينفصم معه النطاق، وسيجيء في مقتطف نوفبر ما في المراجع من اضطراب وما في البحث من تقطع، وما في حلقاته من انفصام.

اسماعيل أحمد أدهم

بين الدين والحب

[بقية المنشور على صفحة ١٩٦٤]

مسيحية لا تؤمن فأصبحت مسلمة لا تعتقد ؟ وهل كان في مقدوري أن أغالب الفطرة وفي نفسي إلى الله شوق نازع لا أملك الصبر عليه متى رأيت السبيل إليه ؟

— أنا كفيل بأن أعلمك ما تجهلين من حقيقة الإسلام، فإن أقنعتك تزوجتك، وإلا رجع الأمر بيني وبينك إلى الصداقة، فإنك لا تتزوجينني مسلماً، وأنا لا أتزوجك مسيحية

وأخذت منذ ذلك اليوم أشرح لها مبادئ الإسلام على قدر ما يستطيع مسلم تخرج في الجامعة الأمريكية؛ فكانت تصغى لما أقول وتعجب به . ولكنها كانت تتهمني بتلفيق ذلك مما أعلم من فضائل الأديان وأصول الأخلاق ثم أنسبه زوراً إلى الإسلام. فاتفقنا على أن أقدم إليها كتاباً عن الدين الإسلامي في الإنجليزية، وأن نؤجل البت في أمر الخطبة إلى مثل هذا الشهر من قابل . فهل تستطيع يا أستاذي أن تدلني على كتاب في هذا الموضوع يجمل زواجي منها حقاً لا ريب فيه ؟ فقلت له والأسى يكاد يعقل لساني : إن كتاب روح الإسلام للأستاذ الهندي مير علي هو طلبتك. فلعلك تصيبه في مكاتب الإسكندرية . وعسى أن نعيش يا قارئي العزيز حتى أكتب لك الفصل الأخير من هذه الرواية !

الزيات

* * *

تصويب . جاء في افتتاحية العدد الماضي : فبلي عامداً بقوته والصواب بقومه

ملاحظـــــات

فن الصالات

ليس من شأن هذه الصحيفة أن تتحدث عن الصالات وما فيها ، وإنه لعهد أخذناه على أنفسنا أن نحرص على كرامة الفن الذي تدنسه الصالات بسخفها وبالجو الذي تخلقه والفساد الذي تدعو إليه ، وتاريخ الصالات عندنا تنبعث منه روائح تزكم الأنوف تثيرها الفضائح التي لا حصر لها ولا حد

ولكن في الأيام الأخيرة هبط الصالات بعض بطلات المسرح وأبطاله لظروف يعرفها الجميع في مقدمتها فشلهم على المسرح ويأسهم منه

ويقول عزيز عيد الذي يشتغل الآن بصالة بيا : إنه قد وجد سبيلاً آخر لخدمة المسرح في صالات المجون واللهو حيث يبحث الناس عن مشتهيات الجسد . وتقول فاطمة رشدي : إنها لم تفقد شخصيتها التي نالت بها مكانة في المسرح والتي ستنال بها مكانة في الصالات ! أما عزيز عيد فقد رأيناه في دور صغير كان بارزاً فيه بلا جدال . ولكن ماذا يجدي عليه هذا وماذا يجدي على الفن في هذه الأوساط الموبوءة . إن من الواجب أن يكون كل شيء في الصالات من الوجهة التمثيلية صحيحاً إلى حد كبير ، ولكن هذا لن يغير من جوهر الأمر شيئاً . ولنلق نظرة على فاطمة رشدي التي كانت نجمة المسرح يوماً وهي تبتذل نفسها بين طائفة من الراقصات وحثالة الصالات

في المحل الأخير إن لم يكن لا محل لها من تفكيرهم !

هل نجد ما نقوله بعد ذلك إلا أن نكون مكررين لما قيل مئات المرات وكتب في الصحف وتحدث به الناس ؟

يكفي أن نضرب مثلاً لشعور الفرقة بتفاهة مجهودها أنها وقد عرضت لها فرصة تقديم بعض بضاعتها أمام مليك البلاد لم تجد ما تقدمه سوى رواية (المتحذلقات) وهي فكاهة صغيرة من الأدب الغربي ذات فصل واحد !

وثمة مثل آخر ، فقد دعت الفرقة أعضاء مجلس النواب لتشهدهم على أحقيتها في استمرار صرف الإعانة التي أوشكت أن تطير ، دعتهم ليشاهدوا المهزلة الكبرى التي وقعت في إخراج (الجريمة والعقاب) فخرجوا ساخطين متبرمين ، ولولا بقية من أمل لطارت الإعانة وطارت معها الفرقة !

ماذا نقول أيضاً ، وهل نعتبر هذه الكلمة الفصل الأخير في مأساة الفرقة القومية أم أنه ما تزال هناك فصول كثيرة تستحق كثيراً من الضحك وكثيراً من الرثاء ؟ (للكلام بقية)

الرؤوس اليانعة

جلس الأستاذ حلمي رفلة يتحدث إلى مدير الفرقة عن الاصلاحات الكبيرة التي سيدخلها على فن المكياج هذا العام، وطلب فيما طلب أن تصنع رؤوس من خشب على قدر رؤوس الممثلات والممثلين كما يضع لها الشعور المستعارة اللازمة دون حاجة إلى العودة للممثل في كل مرة

ونظر إليه المدير الجبار وقال :

— لنؤجل ذلك إلى السنة القادمة يا أستاذ رفله ، فهنا رؤوس ستخرج وهناك رؤوس قادمة من بعيد !

ثم تحمس المدير الهمام ونطق بكلمة الحجاج المشهورة :

« إني لأرى رؤوساً قد أينعت »

ولو نظر المدير إلى المرآة لرأى فيها أحد الرؤوس اليانعة التي حان قطافها . (فرعون الصغير)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

7me Année No. 329 — Lundi - 23 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » — العـــدد ٣٢٩

الفهـــــــرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

ما أظن أحداً من آحاد المصلحين تَلِجت نفسه لإنشاء هذه الوزارة مثلما ثلجت له نفس الرسالة . ذلك لأن سبيلها هى التى تجاهد فيها الرسالة ، وخطتها هى التى تسير عليها الرسالة ، وغايتها هى التى تقصد إليها الرسالة؛ فكأنها قامت لتحقيق آمالها بالتنفيذ، وتطبيق مبادئها بالعمل . ومن ذا الذى لا يبلج صدره إذا رأى قوله قد صار فعلاً ، وخياله قد أصبح حقيقة ؟

لقد عالجت الرسالة مشكلة الفقر على وجوهها الشتَّى فى بضع عشرة مقالة خرجت منها على أن الحرمان كان فى الأكثر الأغلب علة ما يكابد المجتمع من جرائم القتل والسرقة ، ورذائل البغاء والتشرد ؛ فلو أن أولى الأمر عالجوه بما عالجه به الله من تنظيم الإحسان وجباية الزكاة لما وجدوا فى البيوت عائلاً ولا فى الطرقات سائلاً ولا فى السجون قاتلاً ولا فى المواخير ساقطة . ولكننا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب ، لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تعدو البكاء والاستبكاء ما دام الحكم فى يد الأقوياء، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والغَلب والسبق للناب العضوض والجناح المحلِّق . فلما وفق الله الحكومة القائمة لأن تجعل لآثام الجهل وآلام الفقر وأرزاء المرض وزارة تعالج كل عَرَض لها، وتساعف كل منكوب بها، وتقطع كل علة فيها، قَرُبت منازع

الإصلاح وسفرت وجوه المنى . ثم كان من مصاديق الأمل ودواعي الثقة أن تولى هذه الوزارة رجل من رجال الجد والعزيمة لم يصبه الله بداء الكلام، ولم يشغله بحرفة السياسة، فاختار لمشورته ومعونته وأمره طائفة من قادة الرأي ودعاة الإصلاح أمثال الأساتذة عبد المنعم رياض وتوفيق الحكيم وابنة الشاطئ ، ثم مضى بهم في طريقته المرسومة إلى غايته المعلومة يقظ القلب نافذ الهمة لا يُعمّى وجهه ضلال ، ولا يقطع سبيله عقبة

* * *

أجل، إن اختيار الشاذلي باشا لوزارة الشئون الاجتماعية سبب من أسباب النجاح لها والثقة بها ما في ذلك شك ، فإن عهد الناس بهذا الرجل قويّ الارتجال عسكريّ الإرادة. وهم لا يفتأون يذكرون أنه أشعرَ المصريين عزة الوطن، وعوّد الأجانب احترام الدولة، بأمر يسير واحد حرص عليه وألح فيه ، هو أن يعزف أصحاب المسارح والسينما السلام الملكي في ختام كل حفلة . ولكننا لاحظنا أن وزارة هذا الرجل السكوت العَمول قد أخذت في هذه الأيام تسرف في نسج الكلام وقطع الوعود ووضع المشروعات وتقديم المقترحات وتأليف اللجان ، فذكّرَتنا ذلك وزارةَ المعارف في عهد من العهود إذ كانت تؤلف كل ساعة لجنة، وتضع كل يوم مشروعاً ، وتسن كل أسبوع نظاماً ؛ ثم ينتهي الأمر بأكثر أولئك إلى ما تنتهي إليه الفقاقيع النازيّة على وجه الماء الآسن !

لقد أكرهتنا حكوماتنا المتعاقبة على أن نفهم أن تأجيل الموضوع للبحث معناه إهماله ، وتحويل المشروع إلى لجنة معناه إغفاله . فهل يجوز أن نخشى مثل ذلك من هذه الوزارة الوليدة وهي لم تُبتلَ بعدُ بجمود الموظفين الآخرين ورُوتين الوزارات الأخريات ؟

إن الدم الجديد في هذه الوزارة ، والروح المتوثب في هذا الوزير، يُذهبان الخيفة من جهة التفريط والنكول ، ولكنهما يوجبان الحيطة من جهة الإفراط والتهور . وكفى بهذه الظنة باعثاً على كتابة هذه الكلمة

* * *

إن وزارة الشؤون الاجتماعية تجديد رسمي لدعوة النبوة ؛ وهي بحكم وجودها وطبيعة عملها وزارة الجمهور ؛ فلا مندوحة لها إذن عن نهج سبيل الدين في محاربة الفساد بالأناة والحكمة . فإن مصادمة الموجود بالطبيعة مدعاة إلى الفشل ، ومقاومة المألوف بالدادة مجلبة للنفور ، ووسيلة النجاح في هداية العامة الحيلة والتدرج . والله عزت حكمته لم يشأ أن يقيد الزواج ويحرم الخمر ويحظر الرق دفعة واحدة ؛ وإنما استدرج الغرائز والأهواء إلى حدود المعروف شيئاً فشيئاً حتى اطمأنت إليه ورغبت فيه

ما للوزارة على حداثتها تبدأ منهاج الإصلاح من آخره، فتريد أن تعرض لما يتصل بالحرية أو بالعقيدة كأن تقيد الزواج وتحدد السهر وتحرم على بعض الناس بعض اللهو ؟ إن ذلك وإن كان له أثره في صلاح المجتمع لا يحسن أن يكون أول ما تعمل . وربما كانت هذه الأمور التي تنكرها ظواهر لبعض الأدواء الاجتماعية تزول بزوالها . أما الرأي الذي تأمن عليه من المعارضة والفوضى والتشعث فهو أن تحرر دستورها الإصلاحي تحت ثلاثة عناوين هي الفقر والجهل والمرض، فإنها مُجّاع العلل التي يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر ؛ ثم تحاول بجهادها المتصل في شتى الميادين أن تمحو الأمية وتقتل الجوع وتجتث أصول العلة ، حتى إذا وجدت أمامها بعد ذلك شعباً صحيح الجسم نير الفهم مكفي الحاجة استطاعت أن تأخذه بوسائل الكمال كتوحيد الأزياء وترقية الغناء وتهذيب التقاليد وتنظيم الأسرة وتمدين الجماعة . على أن ذلك كله يكتسبه الشعب من ذات نفسه متى أدرك قسطه الضروري من ثقافة العقل والروح والبدن. وعسى ألا يقع في ظنك من هذا الإجمال أني أخلط بين اختصاص هذه الوزارة واختصاص وزارات المعارف والأوقاف والصحة؛ فإن وزارة الشؤون الاجتماعية بحكم اختصاصها الشامل لحياة الجماعة في المدينة والقرية لا بد أن تتصل بالثقافة والسلامة والإحسان من جهاتها العامة ؛ ولكنها لا تعلّم كالأستاذ، ولا تعالج كالطبيب، ولا تحسن كالواقف. وسترى في فصولنا التالية كيف يتميز عملها من عمل غيرها ، حين نفصل الكلام في هذه العناوين الثلاثة : الجهل والفقر والمرض

احمد حسن الزيات

كيف يعظون

للأستاذ عباس محمود العقاد

أيام الحوادث الفادحة هي أيام العظات البليغة لمن يحسن استخراجها من حوادثها ثم يحسن التعليل بين مقدماتها وعواقبها

والحرب أبلغ العظات

لأنها تمتحن النفوس فتثير فيها الشكوك وتقلقل فيها دعائم الإيمان فهى فى حاجة إلى اليقين والاستقرار

ولأنها ترين على القلوب بالغموم وتلعج فيها الأحزان فهى فى حاجة إلى الترفيه والتأسية والعزاء

ولأنها تكتظ بالشواهد والمثل وأسباب الخبرة ومجامع العبرة فهى فى حاجة إلى من يحسن التعبير والاعتبار

* * *

رأيت مثلين من أمثلة العظات المصرية هما اللذان بعثانى إلى كتابة هذا المقال : أحدهما مسيحى والآخر إسرائيلى ، وكلاهما من مبتكرات الوعظ « العقلى التاريخى » الحديث

جاء المثل الأول فى مقال بصحيفة « المانشستر جارديان » الأسبوعية لواعظ يصف تجاربه فى الحرب الماضية قال :

كثيراً ما وعظت فى أثناء فترات الغداء بالمصانع فكانوا يلقوننى برفق وإكرام

ولكنى فى بعض الأيام لقيت رجلاً غاضباً محنقاً وإن كان مؤدباً فى مسلكه يقول لى : ما هذه الجرأة منك على الوعظ باسم إله المحبة والرحمة وهذه الحرب الخبيثة تطحن الناس ؟

فقلت له : إنك يا أخانا لقاس على الأقدار ... فهبك فى مكان القدر فماذا عساك كنت صانعاً بالدنيا ؟ . . . لا أحسبك كنت تخليها من الخطيئة لأنك بهذا تهدم تكوين النفس الإنسانية باعتبارها نفساً مريدة مكلفة ذات حرية ومشيئة ... فإن لم تصنع هذا فماذا أنت صانع ؟

قال : على أية حال كنت لا أدع إنساناً يألم فى حياته لجريرة غير جريرته وذنب غير ذنبه

فأجبته قائلاً : آه ! يا لها من حياة مخيفة تلك التى تريدها . فماذا تنوى أن تصنع بالأمهات مثلاً ؟ أتريد من الأم إذا ذهبوا بإبنها إلى الموت أو ذهبوا بابنتها إلى العار أن تمضى فى طريقها ضاحكة راضية وهى تقول : لا يعنينى ! فالذنب ذنب غيرى ؟

« إن الدنيا التى تريدها لتكون دنيا خلواً من الآباء والأمهات والأصدقاء والقديسين والأبطال والشهداء »

* * *

هذا هو المثل المسيحى وله شروحه ومعقباته عند من تناولوا مسألة الاختيار ومسألة الشر الدنيوى فى الفلسفة الحديثة

ولكنه كلام يقال للرجل المصرى فإذا هو أقرب إلى فهمه والإصغاء إليه من كلام لا يقوم على فكر ولا على حجة وإنما يقوم على إلزام كإلزام الآلات وتكرير كتكرير الببغاوات

* * *

أما المثل الإسرائيلى فقد قرأته فى رسالة يقول كاتبها وقد عرض حوادث العالم أمامه فإذا هو يقول: إن الله يبتلى بالقصاص العاجل كل بلد يظلم أبناء إسرائيل، ويكتب النصر والقوة لكل بلد يعاملهم معاملة الرفق والمساواة . فلن ترى أمة شاعت فيها المذابح والمظالم للاسرائيليين إلا أصيبت بثورة أو سيقت إلى حرب أو منيت بهزيمة

هذه روسيا كانت أسبق الأمم إلى ظلم اليهود فابتلاها الله بالثورة البلشفية

وهذه أسبانيا تعاقبت فيها المظالم عليهم فابتلاها الله بالحرب الأهلية

وهذه بولونيا نفسها لم تخل فى بعض عهودها من ظلمهم ومطاردتهم ، فشاءت الأقدار أن تكفر عن سيئاتها

وهذه ألمانيا النازية تنساق إلى حرب زبون تهدمها من أركانها

« يهواه رب جبار لا ينسى الثأر ولا يصبر على الأشرار »

وهذا الكلام أيضاً قريب إلى عقل الرجل المصرى الذى يفكر تفكير المشاهدة وينظر بعين التاريخ ، وإن كان قائله ليخلف الأمر فيضع المقدمة موضع النتيجة ويضع النتيجة موضع المقدمة . إذ الحقيقة أن الاضطراب هو السبب المؤدى إلى ظلم « الأقليات » ومنها اليهود ، وليس ظلم الأقليات عامة أو اليهود خاصة هو السبب المؤدى إلى وقوع الاضطراب . فالروسيا وأسبانيا وبولونيا وألمانيا كانت فيها المساوئ الاجتماعية والقلاقل السياسية سابقة للخصومات والفتن التى تقع بين عناصر الكثرة وعناصر القلة فيها ، وقد حدث أن بلاداً وقعت فيها الهزائم والفتن وليس فيها يهود مضطهدون كما حدث فى بلاد الترك

والصين . فالملة الأولى هى الإضطراب والملة الثانية هى الاضطهاد، وهذا هو موضع الخطأ في تفسير إرادة الله كما رآها واعظ إسرائيل

إلا أن الكلام كما أسلفنا كلام يقال فى العظات المصرية لإقناع السامعين المصريين ، وهو خير من كل كلام لا ينظر قائله إلى الواقع ولا ينظر إلى التاريخ

***

قرأت هذين المثلين فى شهر رمضان

وشهر رمضان عندنا هو شهر العظات وشهر السهرات فى سماع القرآن والدروس

وقد سمعت بعضها وقرأت بعضها وذكرت بعضها مما كان يلقى فى السنوات الماضية

فيطيب لى أن أقول إنها تتقدم من المحاكاة إلى الابتكار ، وأنها تخرج من حفائر الموت إلى ميادين الحياة ، وأنها تخاطب الناس خطاب الإقناع بعد أن خاطبتهم طويلاً خطاب الإلزام والإرهاب ...

فإذا اطردت على هذه الوتيرة فسبيلها غداً (١) أن تشمل الآفاق الواسعة وتتعمق فى أغوار النفس الإنسانية و (٢) أن تربط بين موضوعاتها وكبريات الحوادث الحاضرة و (٣) أن تعمم الإقناع فى خطاب العقل البشرى فلا تقصره على من يؤمن بالقرآن والسنة والمسلمين ، بل تجعله مقنعاً خليقاً بالبحث والنظر فى رأى كل صاحب عقل وتفكير

وهل أضيف أمنية أخرى ؟

يقول أناس إن بائع الحرير لا يلزم أن يلبس من حريره ، وإن واصف الدواء لا يلزم أن يتناول من دوائه ، وإن الأب الذى يقدم لوليده الطعام لا يلزم أن يأكل من طعام الأطفال ، ولكن الواعظ لا يكون واعظاً إلا إذا عمل بما يأمر به الناس

ويقول آخرون : بل حكم الواعظ فى ذلك حكم بائع الحرير وواصف الدواء ومقدم الطعام لبنيه ، فليس بالواجب عليه أن يعمل بكل ما يقول ، وإنما الواجب عليه أن يهدى كلاً من سامعيه إلى ما يحسن به عمله وتصلح له هدايته

وأياً كان مقطع الرأى فى اختلاف الواجبات أو اتفاقها بين الناس فهناك واجب مشترك متفق عليه بين جميع الواعظين والعاملين : وهو الإيمان بالواجب والإيمان بالأمانة والإخلاص فى أدائه .

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

رأينا فى المقال السالف كيف أخطأ الأستاذ أحمد أمين حين زعم أن الأدب العربى على اختلاف عصوره ليس فيه إلا شاعر واحد يهتم بتحليل المعانى

فهل نجّاه الله من الخطأ حين زعم أن الأدب العربى لم يعرف غير كاتب واحد يهتم باستقصاء الأغراض ؟

إن الله لطف بابن خلدون فشغل به قلب الدكتور طه حسين لتعلو منزلته فى نظر الأستاذ أحمد أمين ، فأغلب الظن أن أحمد أمين لم يكن عنده مانع من القول بأن الأدب العربى فى جميع العصور وفى جميع الأقطار لم يُخلق فيه كاتب يعرف كيف يشرّح المعانى والأغراض على نحو ما يصنع الكتاب فى هذه الأيام !

والحق أن بُعد الدكتور طه حسين عن مصر فى أيام الصيف عرّض الأستاذ أحمد أمين للمعاطب ، فلو أن الدكتور طه بقى فى مصر لكان من الجائز أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون، وعندئذ كان يصح للأستاذ أحمد أمين أن « يتفضل » فيقول إنه لا يعرف فى الأدب العربي غير كاتبين اثنين ؛ وكان من الجائز أيضاً أن يعلن الدكتور طه إعجابه بكاتب ثالث فيقول الأستاذ أحمد أمين إنه لا يعرف فى الأدب العربى غير ثلاثة من الكتّاب !

فهل نرجو أن يتلطف الدكتور طه حسين فيقول إنه لا يُعقَل ألا ينبغ فى الأدب العربى غير كاتب واحد فى ذلك الأمد الطويل الذى سيطر فيه على أقطار أسيوية وإفريقية وأوربية ؟

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة ـ وهى حق ـ لسَرَتْ عدواها إلى روح الأستاذ أحمد أمين فاندفع يثنى على الأدب العربى

بما هو أهله ، ولكان من الممكن أن يصرح بأن الأدب العربى نبغ فيه من الكتاب عشرات أو مئات

ولكن الدكتور طه يترفق بأصدقائه أشد الترفق ، ويحرص على ستر ما يقعون فيه من أوهام وأضاليل ، وقد يقدّمهم إلى الجمهور فى جلبة وضوضاء ، فكيف ننتظر أن يقول فى الأدب العربي كلة حق تشجع رجلاً مثلى على مهاجمة رجل يستبيح فى الغض من أدب العرب مالا يباح ؟

لقد قضيت أعواماً طوالاً فى محاربة الدكتور طه حسين ، واستطعت أن أعدّل مسالكه الأدبية بعض التعديل ، فهل أستطيع اليوم أن أخوّفه من عواقب السكوت على أغلاط بعض زملائه الأعزاء ؟

إن الدكتور طه هو المسئول عن أحمد أمين ، فهو الذى قال : « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديناه إليها » ومعنى ذلك أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون فى صدره

كنت أعرف أن الدكتور طه على خطأ يوم ظن أنه استكشف « الأديب » المدفون فى صدر أحمد أمين ، ولكنى رأيت ألا أسارع إلى تخطئة الدكتور طه ، علماً بأن الأيام سترد الدكتور طه إلى الصواب ، فهل ردته إلى الصواب ؟

لقد حدثتكم من قبل أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً للوظيفة لا يرى ما عداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين : كن أديباً ، فكان

واليوم أحدثكم أنى أخطأت ، والصواب أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما قال له طه حسين : كن أديباً ، فلم يكن !

يا دكتور طه :

هل تصدق القول بأن اللغة العربية لم يكن فيها كاتب يحلل المعانى غير ابن خلدون ؟

أحب أن أساجلك الحديث ، فقد ضجرت من مساجلة أحمد أمين

ما رأيك فى الرعيل الأول من الكتّاب بعد عصر النبوة ؟

ما رأيك فى الخطاب الذى وجّهه عبد الحميد بن يحيى إلى الكتاب ؟

ألا تراه غاية فى تحليل المعانى وتشريح الأغراض ؟

وما رأيك فى طريقة عبد الله بن المقفع وهو ينثر الحكم أو يكتب العهود ؟

إن كتاب كليلة ودمنة هندى الأصل ، فليس لابن المقفع غير الترجمة والتهذيب ، ولست من القائلين بأن كتاب كليلة ودمنة من إنشاء ابن المقفع ، ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ، وهى بالتأكيد من إنشاء ابن المقفع ؟

أليست تلك المقدمة شاهداً على أن ابن المقفع يجيد الاستيعاب والاستقصاء ؟

وما رأيك فى الكتاب الذين عرفتهم اللغة العربية بعد ذلك ؟

هل يستطيع إنسان أن يقدم ابن خلدون على الجاحظ إلا وهو محروم من نعمة الفهم والذوق ؟

إن الجاحظ كاد يستوعب جميع المعارف فى عصره ، وكاد يُنطق جميع الأحياء والأموات بما عرفوا وأحسّوا من دقائق الأشياء . والذى يقرأ رسائل الجاحظ ومؤلفاته يشهد المعارك والمصاولات بين أصحاب المذاهب والآراء ، ويرى كيف تصطرع الطبائع والنحائز والخصال

فهل يجوز القول بأن اللغة التى عرفت أدب الجاحظ ليس فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

وما رأيك فى ابن قُتيبة ؟

هل تذكر مقدمة كتابه « أدب الكاتب » ؟

إن « أدب الكاتب » هو فى الأغلب دراسات لغوية وصرفية ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ؟

أليست غاية فى التحليل والتشريح ؟

وقبل الجاحظ وابن قتيبة عرف الأدب العربى « مشاورات المهدى لأهل بيته » وأذكر أنك حاورتنى فى صحة هذه المشاورات وصح عندك أنها من الأدب المنحول ، وكانت حجتك أنها لم تذكر

فى غير كتاب العقد الفريد . وقد ضاق وقتى عن تعقب المصادر التى وردت فيها إشارة إلى تلك المحاورات ، فهل تظن أنها من بعض ما اخترع كتاب الأندلس ؟

المهم ، يا سيدى الدكتور ، أن نتفق على أنها سبقت القرن الرابع ، ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون مشرقية أو مغربية ، كما لا يهمنا أن تكون من نتاج القرن الثانى أو الثالث ، فما يعنينا فى هذا المقام إلا أن نتخذها شاهداً على أن من كتّاب العرب من أجادوا التحليل والتشريح قبل ابن خلدون بأجيال طوال

ومن المؤكد أن مشاورات المهدى لأهل بيته ليست أول وآخر ما عرف العرب من هذا الطراز ، فلها أشباه كثيرة منها « حديث السقيفة » الذى قصه علينا التوحيدى والذى نقده ابن أبى الحديد

ولولا خوف الفتنة لأشرت إلى قصة دينية كثر فيها الحوار والتمثيل ، وهى من الشواهد على أن العرب تنبهوا من وقت مبكر إلى تحليل المعانى وتشريح الأغراض

وما رأيك فى أبى حيان التوحيدى ؟

ألا ترى أن أعماله فى القرن الرابع تذكّر بأعمال الجاحظ فى القرن الثالث ؟

كان الجاحظ يُنطق العلماء والفقهاء والأدباء ، وكذلك كان التوحيدى يُنطق من عاصروه بألوان كثيرة من صور الفكر والبيـان

ومن المؤكد أن التوحيدى أكتب من ابن خلدون وأسبق إلى تشريح الآراء والأهواء

ومن المؤكد أيضاً أن التوحيدى لا يقل عن أعظم كاتب عرفته اللغات الأجنبية ، وشمائله فى الأسمار تذكّر بشمائل أناطول فرانس

وهل يذكر الدكتور رسالة الطير والحيوان بين رسائل إخوان الصفاء ؟

لقد دلنا ابن أبى الحديد على واضع « حديث السقيفة » فتى نعرف الكاتب المجهول الذى وضع « مشاورات المهدى لأهل بيته » ؟ ومتى نعرف الكاتب المجهول الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » ؟

قد نتعزى حين نيأس من معرفة المهندس الذى وضع تصميم الأهرام ، والمهندس الذى وضع تصميم إيوان كسرى والمهندس الذى وضع تصميم قصر الحمراء ، ولكنا لن نتعزى أبداً عن اليأس من معرفة الكاتب الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » لأنه عندنا أعظم كاتب عرفته الآداب العالمية بعد أفلاطون

هل يذكر الدكتور ماقال يوم لقيته فى جريدة كوكب الشرق؟

لقد صارحنى الدكتور طه حسين بأن الفصل الذى حللت به رسالة الطير والحيوان فى كتاب النثر الفنى غير كاف ، وقد أجبت بأنه فصل من كتاب ، وتحليل هذه الرسالة يحتاج إلى كتاب خاص

فكيف يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون وفيها « إخوان الصفاء » الذين سجلوا معارف زمانهم أعظم تسجيل ؟

لقد أشرت من قبل إلى الميزة الخُلُقية التى امتاز بها أولئك القوم ، وهى نكران الذات ، وإلا فمن الذى يصدّق من أهل عصرنا أن جماعة من أهل البصرة أو غير أهل البصرة يخفون هويّاتهم عن أعين التاريخ مع تلك القدرة الباهرة على تشريح الحقائق والأباطيل ؟

وما رأى الدكتور فى ابن شُهيد صاحب «التوابع والزوابع»؟

ألا يسمح لهذا الكاتب المبدع بأن يضاف إلى من يجيدون تحليل المعانى واستقصاء الأغراض ؟

إن ابن شهيد فى تلك الرسالة قارع المعانى الصعبة مقارعة الفحول ، ودخل فى شِعاب لا يهتدى إلى مسالكها غير المزوّدين بأضواء البصائر والقلوب ، فكيف يُجهَل ويعرف ابن خلدون ؟ !

وما رأيك فى التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » ؟

ألا يذكرك هذا الكاتب بكتّاب « الصور » من أقطاب الفرنسيس والانجليز والألمان ؟

لو كان التنوخي في أمة غير الأمة التي طبع فيها ديوان ابن خفاجة مرة واحدة في مدى أربعين سنة لجاز أن يخطر في بال الذي قال إن اللغة العربية لم تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

وما رأيك في ابن مسكويه صاحب « تجارب الأمم » ؟

ألم يهتد ابن مسكويه إلى فلسفة التاريخ قبل ابن خلدون بأزمان؟

وما رأيك في الجرجاني صاحب « دلائل الإعجاز » ؟

هل ترضى أن توازن بين الجرجاني وبين لانسون ؟

إن الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز أبرع وأعظم من لانسون في كتابه L'Art d'écrire ولكن لانسون وجد رجالاً يعرفون قيمته الأدبية ، أما الجرجاني فله أخلاف ينسونه ويذكرون ابن خلدون !

وهل يمكن لرجل فيه بقية من الفهم والعقل أن يتناسى العظمة الفكرية عند أمثال عبد القاهر الجرجاني ؟ ومن قبل الجرجاني عبد القاهر كان أستاذه أبو الحسن الجرجاني الذي فصّل ما بين المتنبي وخصومه أعظم تفصيل ، والذي أدخل في الأحكام الأدبية روحاً من عدل القضاء .

ومن قبل هؤلاء نشأ أحمد بن يوسف المصري الذي برع في تسجيل ما عرف عن معاصريه من محاسن وعيوب ، والذي وصل إلى الغاية في شرح أهواء النفوس

وهل ترى أن يقف الأدب عند الرسائل والمؤلفات التي غلبت عليها الصفة الاصطلاحية ؟

إن ميدان الأدب أوسع من ذلك ، فإليه تضاف أعمال المؤلفين في التصوف والأخلاق

إن صح هذا — وهو صحيح — فهل أستطيع أن أعرف رأيك في الغزالي ؟

أنا أعتقد أن الغزالي من فحول الكتّاب في اللغة العربية ، وأومن بأنه من المبتكرين في تحليل النوازع النفسية والقلبية ، وفي كتاب « الإحياء » فصول تشهد بأنه من أئمة الفكر والبيان

إقرأ — إن شئت — بعض ما كتب في الرياء تجده أتى بالأعاجيب في التنبيه على المجهول من سرائر النفوس ، وتعرف — وأنت تعرف — أنه في بابه أعمق من ابن خلدون وأقدر على التحليل والتشريح

قلت في محادثة قريبة بأنه لا يسرك أن تراني أعتدي على الناس.

لقد ذهب الناس ، يا سيدي الدكتور !

أليس من الحزن أن يحتاج الأدب العربي إلى من يحميه من غطرسة بعض الأساتذة بكلية الآداب ؟

إن الأستاذ الذي لم يعرف في اللغة العربية كاتباً غير ابن خلدون لم يطلع أبداً على كتاب الفتوحات المكية ، فلو أنه كان اطلع على ذلك الكتاب لعرف أن عندنا كاتباً فحلاً هو ابن عربي الذي طوف بآفاق يجهلها أكثر الأدباء في هذا الجيل

وهو أيضاً لم يطلع على مؤلفات الشعراني الذي صور المجتمع المصري في القرن العاشر تصويراً نعجز عن مثله اليوم ، وأكاد أجزم بأن الصحف المصرية على اختلاف ألوانها ونزعاتها لا تعطي من صور مصر في العصر الحاضر ما أعطته مؤلفات الشعراني من صور مصر في القرن العاشر

وما كان الغزالي ولا ابن عربي ولا الشعراني إلا تلاميذ لأساتذة مجهولين وضعوا الأساس لحياة الفكر والتأليف في مختلف الأقطار العربية والإسلامية

هل تذكر المقريزي ، يا دكتور ؟

أنظر خطط المقريزي ، وتذكر العصر الذي عاش فيه المؤلف ثم وازن بينه وبين أي باحث من نوعه عاش في الأقطار الأوربية ، فإن فعلت فسترى أن أسلافنا كانوا من أئمة الابتكار والابتداع

فبأي حق يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

إن ابن خلدون ممتاز في الترتيب والتبويب ، وتلك هي الصفة

التى يعنيها أحمد أمين ، فأين هو من القلقشندى الذى بوّب « صبح الأعشى » تبويباً معدوم النظير ؟

وأين هو من السخاوى الذى صوّر القرن التاسع كأنك تراه ؟

وأين هو من الحركات العقلية الممثَّلة فى ذخائر التفكير العربى والإسلامى ؟

الأدب ، يا دكتور ، له فنون تتجاوز ما أسلفنا من الفنون ، فأين صاحبك من الكتّاب الذين شغلوا أنفسهم بتشريح الدقائق النحوية والصرفية ؟

إن سيبويه ألف « الكتاب » فى القرن الثامن للميلاد ، فهل تعرف أن الأقطار الأوربية كان فيها مؤلف يشرّح أصول النحو والصرف كما صنع سيبويه فى ذلك العهد ؟

وهل يمكن أن يقال إن ابن خلدون كان فى التشريحات السياسية والاجتماعية أعمق من سيبويه فى التشريحات النحوية والصرفية ؟

وهل يمكن القول بأن جوهر العقل عند سيبويه أقل قيمة من جوهر العقل عند ابن خلدون ؟

إن الأستاذ أحمد أمين لا يرى غير ظواهر الأشياء ، ولو كان عميق الفكر لعرف أن رجلاً مثل ابن هشام الأنصارى خليق بأن يوضع فى أول صف من صفوف الباحثين الذين يجيدون تشريح المعانى ، فهذا الرجل عرض مسائل النحو فى صور مختلفات ، وبذل فى ذلك جهداً يشهد بأنه فى غاية من سمو الفهم والعقل ، وقد استطاع أن يجمل القاهرة فى صف البصرة والكوفة وبغداد ، ومجموعة المحاولات التى بذلها فى تكييف المعضلات النحوية والصرفية أقوى من مجموعة المحاولات التى بذلها ابن خلدون فى تكييف السياسة والاجتماع

إن فقهاء الشرع الإسلامى كان فيهم فحول من الوجهة الأدبية ، ولكن أين من يدرك أن البويطى صاحب كتاب الأم كان من أقطاب البيان ؟

***

أين من يصدق أن البويطى عرض الخلاف بين الشافعية والحنفية عرضاً هو الغاية فى حسن التعبير ، ودقة الوصف ، وسداد الأداء ؟

ومع ذلك نجد من يقول بأن اللغة العربية لا تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

***

أما بعد فا الذى بقى لأحمد أمين وقد مزقنا أوهامه كلّ ممزّق ؟

بقى أن نبين أن أغلاطه ليست أغلاط الرجل المجتهد — وللمجتهد أجرٌ حين يخطىء وأجران حين يصيب — وإنما أغلاطه مسروقة سرقة حرفية من بعض أدباء هذا الجيل

فكيف سرق أحمد أمين تلك الأغلاط ؟ وكيف خفيتْ سرقاته على الناس ؟

سنكشف تلك السرقات فى مقال أو مقالين ، ثم نتركه فى سلام ليتذوق البقية من أطايب رمضان ، إن لم يجدّ ما يوجب أن يفطر يوم العيد على حديث ذى شجون

زكى مبارك

على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الانسانى

للأستاذ توفيق الطويل

١ – العلم وتطور غاياته فى شتى العصور :

نشأ العلم جنيناً فى أحشاء المعرفة البشرية عند قدماء المصريين والهنود ومن إليهم من شعوب الشرق القديم ، وكان أداة لخدمة الحياة العملية ، وتحقيق الملحّ من مطالبها ، ووسيلة لتنمية العقيدة الدينية وتوكيد سلطانها فى قلوب الناس ؛ ثم أقبل عصر الفلسفة اليونانية فجاهد أهلها لإنقاذه من عبء الحياة العملية وضغط العقيدة الدينية معاً ؛ ورفعوه إلى البحث البرئ الذى لا يعرف غاية يرمى إليها إلا اللذة العقلية وحدها . ثم أقبلت العصور الوسطى وقد تمكن الدين المسيحى من قلوب الناس ، وهيمن على عقولهم ، فهبط العلم من سمائه وأدركته العبودية من جديد . إذ سخره أهله لخدمة الدين وتمكين نفوذه ، وأقام العلم على احتماله لهـذا الاستعباد حتى تمرد أساطين النهضة على سلطان الكنيسة ، وتولوه بالتحطيم والتدمير . وأقبل القرن السادس عشر ، وأوربا فى غليان فكرى أثار لوناً من الشك الهدام . أفقد الناس اليقين فى مجال العلم ، والاطمئنان فى ميدان العمل ، وحطم وحدة أوربا وتركها ركاماً وأنقاضاً ، واطمأن لهذا الانتصار الفاشل دعاة الشك اليائس : أجريبا وسانشيه ومونتانى . بيد أن الناس قد ضاقوا بدعوتهم وتطلعوا إلى اليقين والاطمئنان واستخفهم الرضا عن دعوة جديدة ظهرت فى أواخر القرن السادس عشر لمقاومة هذا الشك الهدام ، تولاها ثلاثة من أعلام الفكر هم : شارون وديكارت وبيكون ، فدعا الأول إلى الاطمئنان عن طريق الإيمان الدينى – وكان روح العصر لا يلائم دعوته – وبشر الثانى باحترام العقل واعتباره أصدق معين تستقى منه المعرفة الصحيحة فكان أبا الفلسفة الحديثة ؛ ونادى بيكون بالإيمان العلمى عن طريق التجربة ، وحدد للباحث طريقته ورسم له منهجه ، وأعلن ميدان العلم وغايته فى وضـوح لا يحتمل الالتباس فكان أبا العلوم الطبيعية الحديثة ، وعلى يديه خرج العلم من أحشاء المعرفة البشرية ، واستقل عن الدين والفلسفة والأدب ، وتميزت شخصيته وتحدد ميدانه وعرفت غايته . ذلك أن بيكون أعلن احتقار العلم الذى يدرس للذة العقل أو خدمة الدين ، وأكد الدعوة إلى ربط الأبحاث العلمية بالحياة العملية وقصرها على صالح الإنسان ومنفعته . فكان ميلاد العلم الحديث شبيهاً من بعض الوجوه بميلاده القديم . واستبسل بيكون فى الدفاع عن العلم حتى كفل له الاستقلال عن سائر ألوان المعرفة ، وحطّ عن كاهله عبء الأغراض الدينية ولـكنه لم يكفل له حريته كاملة موفورة ، فأذله مرة أخرى وسخره لخدمة الحياة العملية وتوفير السعادة للناس . وهكذا بدأ العلم فى عصوره الحديثة مستقل الشخصية صاحب منهج محدود وغاية مرسومة ، يتهكم بالفلسفة ويسخر من أهلها ، ويبتعد عن العقيدة الدينية ويقيم الحدود الفاصلة بينه وبينها ، ولكنه مع هذا الاعتزاز الذى لازمه الغرور قد شعر بعد بأنه ليس سـيد نفسه . إنه مسخر لخدمة الإنسان ، ونجاحه رهن بتحقيق هذه الغاية . فلما شب العلم بعد هذا ونضج عقله ، ثاب إلى رشده ، فكفّ عن الطعن فى الفلسفة ، وتقبل منها النصح بعد أن أرشدته إلى الكثير من أخطائه ، وأخذ يجاهد لتحرير نفسه من ذل الأغراض التى رسمها له أبوه ، وأصاب النجح فى مسعاه ، وحقق حريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح يدرس لذاته بقطع النظر عن كل غاية ـ بالغاً ما بلغ سموهاـ إلا إذا اعتبرت اللذة العقلية نفسها غايته . إنه قد تحرر من ذل الحياة العملية واستعباد العقائد الدينية وامتهان الأغراض القومية ـ أو هكذا زعم أصدقاؤه وحواريوه ـ وأصبح يفاخر الأدب والفن والفلسفة بأنه سيد نفسه ، لا يخضع للعاطفة ، ولا يحترم الهوى ، ومنهجه موضوعى قائم على تعرف الشىء من حيث هو شىء ، دون نظر إلى علاقته بخير المجتمع وصالح الإنسان . وقد أدى هذا بقواعده إلى أن تكون بمنجاة عن التأثر بالزمان والمكان وما يلابسهما من ظروف . أما الفلسفة والأدب فإن أحكامها تقديرية بالإضافة إلى ذات شاعرة مدركة تتأثر بمزاجها وتتفاعل مع بيئتها وظروفها . ووجه الخلاف بين هـذا المنهج العلمى الحديث ، والمنهج الذى رسمه بيكون قائم فى الغاية وحدها . كان بيكون لا يحترم العلم إلا بمقدار ما يحققه للانسان من خير ، وما يوفره للمجتمع من نفع وهناء ، فاسترد العلم حريته التى كانت له أيام اليونان ، وأصبح يجاهر على لسان المجمع البريطانى لتقدم العلوم سنة ١٩١٥ بأن العلم يطلب لذاته أولاً . قال رئيس المجمع ما خلاصته : إنى أقدر العلم حق قدره ، وأكبر خدماته للمجتمع الإنسانى ، ولكنى أعلن أن العلماء إذا اغتبطوا للظفر بما تضم الأرض من ثراء ، وما تنطوى عليه كواكب السماء وجواهر المادة من قوة ،

فليس مَرَدّ اغتباطهم إلى أنهم يرفعون الثروة المادية فوق اللذة العقلية ؛ وأنهم ليستشعرون اللذة مضاعفة عند ما يستعملون قوى العقل للوصول إلى منفعة الأمة ، ولكن هذا كله لا ينبغي أن يمنعنا من تخطئة الحط من شأن المبادئ الأدبية ، فإن هذا الامتهان قد ولّد الرأى الفاسد القائل بأن القوة تخول صاحبها امتلاك ما يشاء (لعله يقصد ألمانيا التي أشعلت الحرب الكبرى قبل خطابه ببضعة شهور) . ثم قال المجمع في اجتماعه الذي عقده بعد ذلك بعشر سنوات : إن القائلين بأن غاية العلم هي التسلط على قوى الطبيعة لخدمة الإنسان — وهي دعوة بيكون — يبالغون في الاعتقاد بصحة ما يزعمون ، فما كانت المنفعة أكبر الأسباب التي حملت العلماء على مواصلة أبحاثهم ، ولكن أول غرض يرمي إليه العلم ، إنما هو الكشف عن قوى الطبيعة ومعرفة ما بينها من صلات ، وتصنيفها حتى يأتلف من مجموعها نظام معقول . ذلك أول أغراض العلم ؛ أما المنفعة المادية فيجنيها الناس بعد من وراء ذلك ، وبهذا يصبح الاشتغال بالعلم لذة عقلية تكاد تلحقه بالفنون الجميلة ! ... والعلماء الذين يبلغون مناهج العلم العليا يشعرون بالرابطة التي تصل بين العلم والفن ، وبجمل الطبيعة موضوع بحثهما معاً لغير ما غاية إلا التملي بجمالها . إن التحليل الجبرى المنظم لشبيه بالنغمة الموسيقية ذات التوقيع المتسق ، وهذا تشبيه يثير دهشة الذين لا يرون في الجبر إلا أرقاماً وعلامات ، ولكنه مقبول عند الذين يعرفون نسبة هذه الأرقام والعلامات إلى المعنى الذي تخفيه وراءها ، فهي كنسبة العلامات الموسيقية إلى الأنغام المطربة ، والأثر الذي تخلّفه في نفوس سامعيها . ثم يعزو رئيس المجمع اهتمام العلماء بالعلوم الطبيعية إلى ما تنطوى عليه مباحثها من بهجة وجدة ، لا إلى ما ينتظر من ورائها من نفع مادي ، وإن كان تحقيق هذا النفع أمراً أكيداً !

بهذه الروح « الفنية » يتحدث العلماء المحدثون عن العلم وغاياته . كان بيكون في مستهل العصور الحديثة يتهكم بالعلماء الذين ينفقون الوقت الطويل في الدراسات النظرية التي لا ترمي إلى خدمة الإنسان ، فأصبح العلماء في آخر القرن الماضي يتحدثون عن علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الأدبية ، ومشاركتها لها في تهذيب النفوس ، ويقولون إنا نلوم العلوم الأدبية إذا اقتصرت على دراسة الإنسان وأعماله ، وأهملت ظواهر الطبيعة وقواها ؛ ثم نلوم أنفسنا إذا اقتصرت — علومنا الطبيعية — على النظر إلى الطبيعة ولم تتجاوزها إلى الإنسان وأعماله . ثم تطورت هذه الروح في القرن العشرين حتى أصبح العلماء يفكرون في العلاقة بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، ويتحدثون عن الجمال الذي تكشفه الدراسات إذا انصبت على ظواهر الطبيعة ، ويتكلمون عن أثر هذا « الجمال » في نفس العالم وتشجيعه على مواصلة البحث ، وإن لم ينكر هؤلاء العلماء ما يترتب على دراساتهم من نفع إنساني لم يقصدوا إليه ، ولم يتجهوا إلى تحقيقه. تلك أحدث وجهات النظر في فهم العلم الطبيعي وتجديد غاياته فيما نعلم

٢ — تبعات العلم في الحرب والسلم

تحرر العلم من تبعة الويلات التي قد تترتب على بعض مبتكراته ومخترعاته ، وإن لم ينج من النقد الحر الذي ترتفع به صيحات الناس إبان الحروب وبعد أن تخمد نارها ، فإن الحرب إذا اندلع لهيبها قصر العلم غايته على تقديم الوقود لها ، وخص بلاده بكل جهوده ، وتحول العلماء بين جدران معاملهم إلى جنود بواسل ، يبذلون الجهد صادقين في إنقاذ الوطن ، أو يفرغون الوسع جاهدين لتحطيم أعدائه ، ولهذا انصبت اللعنات على العلم دون حساب ، وأحس أهله — في فترة مضت — بحرج مركزهم ؛ فأخذوا يلتمسون لأنفسهم الأعذار . وتذرع المجمع البريطاني بحجة أعلنها سنة ١٨٩٩ ، ثم كرر إعلانها سنة ١٩٢٥ فقال : إن الجندي يسعى لحفظ حياة الأفراد ، أما العالم فإنه يجاهد لحفظ حياة النوع بالعمل على إيقاف الحرب بما يخترع من آلات التخريب وأدوات التدمير ، والظفر في الحرب يكسب السلم الذي يصون الحرية الفكرية ويستأصل الشر الذي يجور على محبة الأمم ويبشر بالحق والمحبة في بقاع الأرض طرّاً ... ! وهذا العذر يكاد لا يفترق عن الحجة التي تذرع بها نابليون يوم طمع في إخضاع العالم وتوحيد حكمه . وقد ردد الحلفاء صداها في الحرب الماضية ، وتثار اليوم في الحرب الراهنة التي ترمي إلى القضاء على المتاربة التي أنهكت أعصاب العالم وهدت قواه ، بما تظهره من امتهان الوعود والحنث بالعهود . فكأن رجال العلم حين التمسوا لأنفسهم الأعذار عن تسخير علمهم لغرض قومى عملي ، قد تحولوا إلى رجال سياسة ! وقد كان في وسعهم أن يقولوا إن الحروب إذا اندلع لهيبها ، انقلبت الأوضاع واضطربت الغايات ، وأصبح من واجب العلم أن يلبي نداء الأوطان. إن المواطن في أعرق البلاد نزوعاً للحرية والديمقراطية ، يكاد أن يستحيل آلة في يد الوطن إذا حاق به خطر ، فلماذا ننكر على العلم خروجه عن حريته ، ومرضاته بخدمة غرض قومى متى دعا الداعي ونادى الوطن؟

ورغم أن العلم قد تحرر من ذل الأغراض فما زال مثاراً لاتهامات تنصب عليه فى أيام السلم كذلك ، وحجة المتهمين أن مخترعاته قد ترتب على بعضها ما يراه البعض شراً وأذى ، وقد يطالبونه بتحقيق ألوان من السعادة الموهومة ويحاسبونه على عجزه عن تحقيقها ! قال الرئيس ولسون : إن العلم قد أخفق فى تحقيق الإصلاح العاجل وتوفير الفردوس الأرضى للناس . إنه أفادنا فى عالم المادة وحررنا من خوف الخرافة والمرض ، ولكنه فشل فى تغيير الطبيعة البشرية وتخليصها من أدران الأحقاد والضغائن ، وبذلك ظل الناس عبيداً لأنفسهم. فرد عليه المجمع البريطانى قائلاً: لماذا نلقى على عاتق العلم تبعة الفشل الذى انتهت إليه آمال لم يَعِدْ العلم بتحقيقها ؟ إن العلم لا يدعى إصلاح الطبيعة البشرية ، وقد يكون فى مقدوره أن يغير البيئة ويزيد فى منفعة الإنسان، ويوسع من رحاب مداركه، ولكنه غير مسئول إذا أساء المرء استعمال آثاره. فعلم الطب قد يطيل حياة الناس ، ويكفل لهم الصحة والعافية ، ولكنه غير مسئول عن كيف تُقضى الحياة التى نجح فى إطالتها. وقد يكفل للأشرار القوة كما يكفلها للأخيار ولكن ذلك لا يبرر المطالبة بإغلاق المستشفيات حتى لا يفيد منها دعاة الشر والإجرام

ترى مما أسلفنا أن العلم وإن كان قد بدأ فى العصور الحديثة موصول الرابطة بصالح الإنسان ، إلا أنه مضى فى تطوره حتى أزاح عن كاهله خدمة المجتمع واسترد حريته وسيادته ، وأضحى عند أهله بحثاً موضوعيا يعينهم على التملى بجمال الطبيعة واستثمار اللذة العقلية عند فهم ظواهرها . أما المنفعة المادية فتجىء عرضاً من تطبيق نتائج العلم لصالح المجتمع . واعتبر المحدثون توجيه العلم للنفع المادى استعباداً للعقل وامتهاناً لقداسته ، بالإضافة إلى ما ينشأ عن تقييد حريته من انحطاط فكرى شهد به تاريخ الفكر منذ أقدم العصور . وما دام العلم فى عهده الأخير لا يتصل بالكمال الإنسانى اتصالاً مباشراً ، وهو زاهد فى ثناء الناس على ما قدم من خدمات ، غير مستعد لاحتمال التبعات التى يلقيها على عاتقه خصومه ، فليس من حقنا أن نتولاه باللوم كلما تطايرت إلينا أنباء الحروب وفظائعها . وإن كان لا بد من الحديث عن موقف العلم من الكمال الإنسانى لمعرفة ما حققه من خير وما جره من ويلات — وجب أن نتحدث عن العلم فى أول مراحله كما صوره فرنسيس بيكون أداة لخدمة الإنسان. والكلام على بيكون وتبشيره برسالة العلم والمدنية، يذكرنا بجان جاك روسو ورسالته القائمة على الدعوة إلى الطبيعة والعيش على مقتضى الإلهام والفطرة البسيطة ؛ وذلك ما نخصص لمناقشته مقالنا القادم

ت . الطويل

الحد الفاصل

بين أدب الروح وأدب المعدة

للأستاذ محمود علي قراعة

قرأت لأستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد ٣٢٥ كلمة ذكر في آخرها آية كريمة وسألنا هل نعدها أدب معدة أم أدب روح. وهو بذلك يحاول أن يدخلنا في الميدان الذي دخل فيه متحدياً كل فكرة روحية، متهكماً على كل نزعة سماوية، مستنداً بذلك إلى مكانته الأدبية ولباقته وما أوتي من قوة غريبة على الدفاع عن القضايا الخاسرة. وهو لذلك يقف دائماً نصيراً لكل فكرة حسية ويقف نفسه موقف العداء لكثير من المنويات وإن كان قلمه السيال كثيراً ما يجرفه ويخرجه عن الحسيات إلى المعنويات والروحيات من غير أن يشعر. والحقيقة أن الدكتور زكي مبارك مشكلة لأنه خليط لم يمتزج بنسب معينة من القوى النفسية المختلفة، فتارة تراه الخير كله والإخلاص كله والوفاء كله، وآونة تجده يميل كل الميل إلى الخروج عما يتصل بالروح إلى النزول إلى ما يوثقه بكل أرضي وبكل نازع حسي. وفي تاريخه أمثلة متضاربة لكل ما يمكن تصوره من الميل إلى أحد هذين الجانبين؛ فتارة تراه صوفياً مدروشاً، وأخرى تلفيه ساخراً بالحياة وعابثاً بها. ولكن إذا كان أستاذنا الدكتور يرى لنفسه الحق في أن يتشكل كما يشاء وأن ينضم إلى الجانب الذي يريد، فلا أدري لماذا نراه متهكماً على كل فكرة روحية ومحارباً لكل النازعين إليها؟! كثيراً ما ردد في الرسالة كلمة أدب الروح وأدب المعدة، لا لأن الاصطلاح في ذاته غير موفق بل لأن أستاذنا أحمد أمين قد وضعه لتقويم الأدب وصحة تقديره. ولأستاذنا الدكتور الخيرة في أن يواصل حملاته على صديقه أو أن يقفها لأنه حر إذ لم يرد أن يسمع رجاء تلاميذه وإخوانه في أن النقد ممكن من غير خصومة كما فعل أستاذنا الدكتور عبدالوهاب عزام؛ ولكن الذي لا نقره ولا نستطيع السكوت عليه أن نغفل مناقشة ما يرد في حملاته مما عسى أن يمس الأدب في ذاته من قريب أو بعيد. فأستاذنا أحمد أمين يعني بأدب الروح الأدب الذي يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها؛ ولذلك رأى أن القرآن أدب روح لأنه يسمو بالإنسان عن عالم المادة ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الأرض وما فيها نظرة تريه الحق حقاً والباطل باطلاً. ولكن أستاذنا الدكتور زكي مبارك تأبى عليه نزعته الحسية إلا أن يعارض هذا. ورأى أن أقرب مثل يؤيد وجهة نظره أن يذكر ما في القرآن من آيات تذكر وجود أشياء حسية في الجنة، مع أنه كان يجب على أستاذنا الدكتور أن يرى أن أقل ما يمكن تصوره في عالم سيخلو من البؤس والفقر والهرم، ولن تهيئ طبيعته المجال لظهور الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما يدخل تحت كل منها من فضائل إنسانية، أن ينعم الناس فيه بالاتحاد والمحبة فتتاح لهم أنواع المحبة من الهنية وصداقة أخوية، وفهم نزوع الأشياء المادية التي ستوجد هناك إلى التمتع بفكرتها الروحية، فما وجد من جميل صور من حور وولدان، نزع به إلى فكرة تقديس خالق هذه الصور، وما وجد من قصور وأنهار وفاكهة نزع به إلى النشوة الروحية من وجود هذه الأشياء، وأن ليس معنى هذا خلو الجنة من استلذاذ بالحور العين الاستلذاذ الحسي أو بما هنا لك من مأكول ومشروب وحلي وحلل، وبذا نضع الفكرة الروحية في درجتها العلوية ونجعل الحسيات في درجتها الثانوية، بل ونسمو بها إلى فهمها الفهم القريب من الروح. ونحن بذلك نسمو باللذة الممكن تصورها في الجنة من غير نكران لحسيتها بجعلنا الحسي تابعاً للروحي إذ أكثر جزئياته روحية. ولو تدبر الدكتور قوله تعالى في سورة السجدة: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وقول النبي (ص) في حديث قدسي عن ربه تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» لوصل إلى أن المذكور في القرآن في سورتي الرحمن والواقعة وغيرها وفي الأحاديث الصحيحة لا يفيد أن المذكور مذكور على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل لما سيوجد، ولعرف أنا وقد استبعدنا الأخذ بالنظرية التصورية لمخالفتها لكثير من النصوص وما تحتمله قرائنها مثل الطمث للحور، لا نجد أمامنا إلا أحد أمرين: إما أن نأخذ بالنظرية الحسية أي بتغليب اللذات الحسية على الروحية، أو أن نأخذ بالنظرية الروحية التي تغلب اللذة الروحية على الحسية

فلو أخذنا بحسيتها تغليباً ، لنزلنا بها ولشبهناها بلذة الدنيا المتواضعة فأخرجناها من سموها الذى يجب أن تكون فيه لتتلاءم مع نفوس أصحابها ، ولذا لم يكن بد من أن نأخذ بروحية اللذات تغليباً . وعلى ذلك فذكر القرآن الكريم الأشياء المادية حتى على فرض الأخذ بالنظرية الحسية إطلاقاً لا يفيد أن القرآن أدب معدة وهو مملوء بما يفيد أن الجنة جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى . وليتل دكتورنا إذا شاء قول الله تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما » وقوله تعالى « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقوله «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » وقوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقوله حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[1] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها[2] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » وقوله : « إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق » وقوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين[1] »

(١) والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة على تفسير ابن قيم الجوزية فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٦٧

(٢) والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها التى كثر ذكرها فى القرآن الكريم أكبر دليل على أن القرآن روحى لأنه جعل الجنة (حتى لو أخذنا بحسية اللذات إطلاقاً) جزاء المجاهدين والصالحين والمتقين والمؤمنين والمستغفرين ؛ أى جزاء من سمت روحه بالإيمان وزكى نفسه بالتقوى وكان روحانيا بالجهاد والعفو والصلاح

ويرى أستاذنا أحمد أمين أن باب الحماسة فى ديوان الحماسة مثلاً أدب روح لأنه صادر عن نفوس قوية ، وباعث لمشاعر قوية ، وداع لمواجهة هذا العالم وما فيه بنفوس أبية ، فى غير خضوع ولا استخذاء ، فلم يعترض أستاذنا الدكتور زكى مبارك على هذا لأنه لا يستطيع مهما كان نصيراً للحسية أن يقول بغير هذا ، لذلك نجده بلباقة زكية مباركة قد أغفل ذكر الحماسة وتخطاها إلى ذكر الغزل والحب . فأستاذنا أحمد أمين يرى أن غزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف ، أدب روح ، لأنه يصهر النفس ويطهرها ويجمل من آلامها وآمالها مبعثاً لفيض الحنان والرحمة والعطف على العالم وعلى الإنسانية كلها . وقال إن الغزل الفاجر أدب معدة وإن تعليل ذلك واضح بقليل من إعمال الفكر ، فأتى أستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٣٢٢ من الرسالة يعارض هذه الفكرة بقوله : « . . . لا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحى وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسية ، ومن قال بغير ذلك فهو رجل ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء » ويقرر أن رجال الأخلاق لم يستنكروا الشهوات إلا بسبب الإسراف ؛ أما الشهوات فى حد ذاتها فهى من دلائل العافية ، وأن فضيلة العفاف لا يقام لها وزن إلا حين تصدر من رجال مزودين بحيوية الشهوات ، وأن للشهوة الحسية صلة بتفوق الرجال فى الميادين العقلية ، وهذا ليس مستبعداً من أستاذنا الدكتور الذى يعبر فى كل كتاباته عن ميله للحسيات

(١) فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم

وهو بهذا ينصر أدب المدة ؛ لأنه ينصر الحب الفاسد ويخذل أدب الروح ، لأنه يخذل الحب الروحى الذى يجمع بين قلبين ، ولكن الغريب مع هذا أن نجد لأستاذنا الدكتور بعض كتابات تجعله من أنصار أدب الروح فثلاً وقد فتحت الآن كتابه «ذكريات باريس» قد صادفتنى ص ١٣ وفيها يقول وصفاً لحسناء «هى فتاة ناهد حسناء رشيقة القد ، مشرقة الجبين ، فى عينيها النجلاوين بقايا خطيرة من سحر هاروت وماروت ... وفى صوتها غُنَّة موسيقية ... ولأناملها رقة جذابة تفيض بالكهرباء ... وفى خطراتها تكسر وتثن ... ولها رفق بارع فى إذكاء نار الحب والوجد فيمن تختار من أصحاب القلوب ... » فهذا الوصف من أدب الروح لأنه يعطى القارئ فكرة روحية عن حسناء زكى مبارك الجيلة. وكذلك أعد من أدب الروح مقالة الحب الأثيم فى باريس ص ١٥ وما بعدها ، لأنه وإن حدث عما فى حدائق باريس من عشاق متعانقين ومتعانقات فوق المقاعد مظللين بالأشجار المورقة ، فقد كتب مقاله ليقرر « أن الشاب الذى يحمله جنون الشباب على غشيان المواخير القذرة ثم يحمل مرضاً يميا فى برئه الأطباء » إنما يخدع نفسه بقوله إنهـا تجربة ، وإن كان قد أبى عليه حبه للحسيات إلا أن يجعل جزءاً منه أدب معدة بتقريره بوجود حب شريف غير الهوى العذرى المعروف عند العرب « وهو الذى يجرى بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة لغرض غير مادى وتقع حوادثه فى الأوساط المعروفة بالاستقامة وحسن السمعة ... ويستبيح أشنع الذنوب والآثام ولـكنه مع ذلك يجرى فيه الأرق وتسيل من أجله المدامع ، وتعرف فيه نكايات الوشاة والعذال ، وتتخذ من أجله الرسل ، وتدون له المكاتبات ... » ولعل الحد الفاصل بين الحب الروحى والحب الفاسد هو أن الصلة فى الحب الروحى تصل بين روحين وقلبين ، كما رأينا فى رفائيل لامارتين وتعريب أستاذنا أحمد حسن الزيات ؛ فنى ص ٨٢ تستنكر جوليا أن يتدلى الحب إلى اللذة الحسية الوضيعة ، أو يتدنى إلى الشهوة الدنسة الحقيرة لأنه إذ ذاك يفقد كبرياءه ونماءه وبقاءه . فيجيبها رافائيل فى ص ٢٠٢ : بأن نار الحب القدسية قد أتت على هـذه الشهوات الباطلة والنزعات السافلة فحولتها إلى لهب صاف كقلبها نقى كحبها . ولذلك لا أدرى كيف يستنكر أستاذنا الدكتور أن يسمى ما يتصل بالروح كرواية رفائيل أدب روح ، وما يتصل بالجسد أدب معدة لأنه يتصل بالمدة ؟ وكيف أجاز لنفسه أن يدعى أن القائلين بروحانية الأدب قد خلوا من الفتوة ، أو أن المرأة لا تلهم الرجل إلا باشتهائها حسيًّا ، أو بمعنى آخر إلا إذا كانت الصلة بينه وبينها بهيمية ، بمعنى أنها إذا كانت روحية بريئة لا تلهم على رأى الدكتور وفى هذا ما فيه من النزول بالصلات وما فيه من الإلغاء للشعور القلبى والقرب من البهيمة التى لا يهمها من الفحل إلا عملية التلقيح

ويقول أستاذنا أحمد أمين إن أدب الطبيعة أدب روح ، لأنه شعور بالجمال مجرداً عن الرغبة وتقدير للحسن منزها عن الأثرة ، ومزيج من شعور بجمال وجلال يحد من كبرياء الإنسان ، ونبل هذا الأدب إنما يرجع لنبل غرضه . وظاهر أن غرض المتغزل فى الطبيعة التى خلقها الله ، هو التفكير فى خلق الله ، وفى تقديس ما أوجده الله لنا من أشياء حسية تدل فى خلقها ، وسموصنمها على جليل قدرته وعظيم قوته ، أى أن أستاذنا أحمد أمين يرى أدب الروح هو كل أدب انبعث عن عواطف نبيلة ويدفع إلى أعمال نبيلة ، ولا أظن أستاذنا الدكتور زكى مبارك يعترض اعتراضاً جدياً على هذه التسمية

أما أدب المدة فيرى أستاذنا أحمد أمين أنه ذلك الأدب الذى يدور حول ملء المعدة واستدرار المال وتحصيل القوت ، ومثل لذلك بالغزل الفاجر ومقالات الكاتب التى باعثها الأول ملء الأعمدة والاستيلاء على الأجرة ، وأدب المديح ؛ وظاهر أن سبب هذه التسمية ضعة الأدب الذى يكون باعثه استدرار عطف من يغدق على المادح المال أو يفيده من الجاه ، وتفاهة الأدب الذى يكون باعثه الأول لاحب الأدب فى ذاته أو الرغبة فى البحث فى ذاتها أو الاقتناع بفكرة بعينها ، بل لأنه مسوق إلى أن يكتب موضوعاً معيناً وإلى أن يصوغ فكرة معينة على أسلوب معين على قدر كذا من الأعمدة ليتقاضى كذا من الجنيهات ، وكذلك الغزل الوقح أو الوصف المكشوف لما ينزو بالرؤوس ويحرك الشهوات ، فلا ريب فى أنه وضيع لاتصاله بالضعة ، وعلى ذلك يمكن أن نجعل الغزل من أدب الروح إذا أخرجناه عن تحريك الشهوات وكان القصد منه الحديث عن صلة

استطلاع صحفى

٥٠ قرناً فى المتحف الحربى

جولة بين آثار الماضى والحاضر

(لمنــدوب الرســالة)

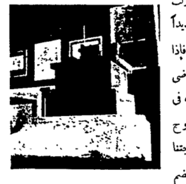
حمى الحرب تهز أطراف كل إنسان . ولئن اختلف الناس فى ضرر الحرب وضرورتها فانهم يتفقون فى وجوب الاطلاع على تاريخها وحالة جندها ونتائجها . ومصر أمة قديمة لها تاريخها الرائع الذى صحب المدنية من مهدها إلى الآن والمطلع على تاريخها يجد فيها تطور الأسلحة وأدوات القتال من القطع الصخرى إلى المدفع المدمر . فاذا جاز للأمم أن تشيد لها متاحف حربية فان مصر أولاها بهذا الحق

وقد شرعت وزارة الدفاع الوطنى فى تكوين نواة هـذا المتحف ووصلت إلى نتائج طيبة . وأتيح لى أن أجول فى هذا المتحف وهو فى فترة تكوينه . وهأنذا أقدم لقارئ بعض ما رأيت راجياً أن يتاح له فى القريب العاجل أن يرى هذا المتحف بعد أن يتم أمينه النقيب عبد الرحمن زكى أفندى جزءا من برنامجه ، ولست أقول كله لأنى أعرف أحجامه ومراميه

خمسون قرناً من الزمان

إذا خلوت إلى نفسك وطاب لك الاستجمام فاستعرض فى مخيلتك تاريخ مصر الحربى منذ فجر التاريخ إلى الآن . فتصور كيف كان المصريون يكافح بعضهم بعضاً فى عصور ما قبل التاريخ . ثم كيف كانوا يغزون القرى والبلاد ويفتحون الممالك فى عصر الأسر الفرعونية وفى عصور الفرس والرومان والبطالسة وفى العهود الإسلامية . واستمر فى وصل حلقات التاريخ من عصر المماليك إلى الآن ؛ ولا يفوتن مخيلتك أن تستعرض الأسلحة التى استعملوها والملابس التى ارتدوها والأسلاب التى غنموها والقلاع التى حصنوها والمواقع الحربية التى اشتركوا فيها بما فى ذلك صور أبطال تلك المعارك

وقدر بعد هذا كم تكون هذه الصور واضحة، وماذا تعرف من تاريخ مصر ومن سير أبطال مصر . لقد جلست من قبلك فوجدت أن حقباً كاملة تمر غامضة ؛ بل إن أكثر الفترات وضوحاً لدى كان ينقصها كثير من التفاصيل . حتى الفترة الحالية مع أنى أعيش فيها وأخالط رجالها العسكريين وأزور معاهدهم كل يوم ما زالت مبهمة، وما زلت فى كل يوم أرى جديداً لم أشاهده من قبل . فإذا استعرضت هـذا الماضى الطويل وعرفت أثره فى تربية النشء وبث الروح القومية أدركت حاجتنا الماسة إلى متحف يضم تلك الذكريات العظيمة فيشاهد الصبى تحتمس أو رمسيس أو صلاح الدين أو ابراهيم وقد تقلدوا أسلحتهم ودافعوا عن كرامة بلادهم . فهل تظن أن من يشاهد عن أولئك يرضى بالذلة لنفسه ؟ محال ! فالذكرى تنفع المؤمنين



قلعة رمسيس الثالث
هكذا كانوا يشيدون قلاعهم على المرتفعات
كى ينالوا العدو ولا ينالهم

مشروع ضخم

وإذا كانت مصر قد عاشت تلك السنين الطويلة بدون متحف حربى عام فقد أنشئت عدة متاحف ضمت عدة مجموعات من الأسلحة أهمها ما هو محفوظ الآن فى المتحف الحربى فى قصر عابدين . وقد تنبهت وزارة الدفاع الوطنى منذ سنوات إلى أهمية هذا المشروع فقدرت إنشاء متحف حربى عام عينت لإدارته لجنة من كبار ضباط

قلبية روحية أو تصوير صورة حسية تسمو بالقلب أو ترق بالروح ، ويمكننا أن نرى من الكتاب من يكتب كل يوم مقالاً ويتقاضى عليه أجراً ، ولكنه يأبى أن توضع لى الفكرة أو تملى عليه إرادة ويأبى ألا أن يوحى إليه ضميره ويفتيه قلبه وعقله ، فلا يمكننا إلا أن نعجب بأدبه وأن نقر بأن أدبه أدب روح لأنه من الروح وإلى الروح ، وكذلك يمكن أن يكون المدح لعظيم يستحقه من مادح لا يبغى بمدحه إلا تقرير الحقيقة ، أدب روح لأنه يضع لنا صورة حقيقية تسمو بالروح . وبعد فهذا هو ما نراه حداً فاصلاً بين أدب الروح وأدب المعدة ، أرجو أن يقره أستاذنا الدكتور زكى مبارك وأن يكون به من أنصار أدب الروح ، والسلام .

محمود على قراعة

الجيش المصري واختارت حضرة النقيب عبد الرحمن زكي افندي أميناً له .

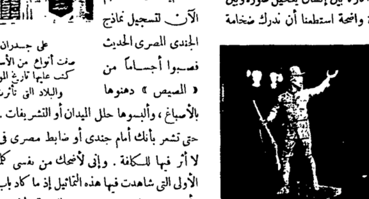
وشرع أمين المتحف من اللحظة الأولى في وضع برنامج الإنشاء فزار الأماكن التي توجد فيها آثار حربية مصرية سواء كانت هذه الأماكن معاهد عامة أو منازل خاصة . فكثير من ضباطنا الذين اشتركوا في حروب السودان



هذه تماثيل الضباط والجنود
وهم يرتدون الملابس العسكرية

وأغلب أمراء العائلة المالكة يحتفظون بمجموعة ثمينة من الأسلحة وخصوصاً من عهد محمد علي إلى الآن . وليكون تنظيم المتحف على أحدث طراز سافر أمينه إلى بلاد أوربا فشاهد هناك أحدث الطرق لحفظ الآثار وأبرع الوسائل لعرضها على أنظار الجمهور حتى تؤدي الغاية المقصودة منها سواء كانت قومية أو تعليمية

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يتخيل صور مصر الحربية خلال خمسين قرناً فإذا قارنا بين إنسان يتخيل صورة وبين آخر يحاول أن يخلق صورة واضحة استطعنا أن ندرك ضخامة العمل وما يحتاج إليه من جهود . فإنشاء النموذج الواحد يستلزم الرجوع إلى عشرات المؤلفات والصور . فها هو مثلاً نموذج لقلعة بنيت في عصر رمسيس الثالث يتطلب بناؤه زيارة القلعة الحقيقية ومعرفة تخطيطها ثم الطريقة التي تبعها المصريون الأقدمون في



الى الأمام
جندي يدعو زملاءه إلى النصر
ويهتف « لبوا نداء الوطن »

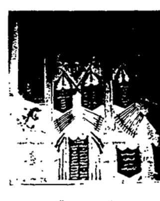
حروبهم والأسلحة التي استعملوها لمغالبة مهاجميهم حتى تتكون لدينا صورة صحيحة عن استعداد القلعة وشكلها وهذا يستلزم منا أن ندرس عشرات المراجع لنتأكد من صحة ما نصنع

فالآثار التي تركها الأقدمون قد عصفت بكثير من معالمها تقلبات الزمن وتوالي الحروب بين غزو وفتح . هذه القلعة التي تراها في لمحة بصر احتاجت من منشئها إلى عدة سنين استعان فيها بدراسة غيره وخبرة نفسه . فالعبرة في المتاحف أن تكون معروضاتها صورة تاريخية صحيحة وليست بناء يسهل على الناقدين نقضه وإثبات خطئه

نواة صالحة

ويتكون المتحف الحربي الحالي من ثلاثة طوابق . يشغل الطابق السفلي منه وهو « البدروم » مصنع أعد لصب التماثيل ، وأعمال النجارة لعمل الخزائن الزجاجية التي تحفظ المروضات . ويشتغل في هـذا المصنع فنانون مصريون درسوا الحياة العسكرية فعرفوا دقائق تقاطيع وجه الجندي المصري إذا اشتبك في ساحة القتال أو جلس في ثكنته ينشد التدريب العسكري ، ويستعد لطوارىء الزمان

وهم يوجهون اهتمامهم الآن لتسجيل نماذج الجندي المصري الحديث فصبوا أجساماً من « الصيص » دهنوها



على جدران السلم
صفت أنواع من الأسلحة ولوحات
كتب عليها تاريخ الوقائع وقوادها
والبلاد التي تأثرت بالحرب

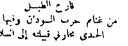
بالأصباغ ، وألبسوها حلل الميدان أو التشريفات . فلا تكاد تراها حتى تشعر بأنك أمام جندي أو ضابط مصري في وقفة عسكرية لا أثر فيها للكلفة . وإني لأضحك من نفسي كلما تذكرت المرة الأولى التي شاهدت فيها هذه التماثيل إذ ما كاد باب الحجرة ينفتح وأرى من فيها حتى رفعت يدي بالتحية ولا سيما عندما وجدت ضابطين واقفين قبالة بعضهما كأنهما يتحادثان

وتعجب أشد العجب إذا عرفت أن هذه النماذج لا تصنع واحداً واحداً بل تصنع بالعشرات؛ فما هي أجزاء نماذج جديدة لن تلبث حتى ترسل إليك نفس الشعور بالحياة . وتتكون هذه العملية من عدة مراحل ، فتصب أولاً أجزاء التماثيل على

انفراد فترى الساق وحدها والصدر منفصلاً عن الظهر ، ثم الرأس موضوعا فى مكان آخر .

ويتناولها الفنان فيكون من هذه الأجزاء المتناثرة المتماثلة وحدة مختلفة بما يسبغه عليها من ألوان، وعلى تقاطيع وجوهها من معجون، يرفع الأنف أو يوسع العينين. ويشرف على هذه الحركة الدقيقة الأستاذ محمد نجيب المثال




قارع الطبل
من غنائم حرب السودان وفيها يدعو الجندى محارب قبيلته إلى السلام

صنع فى مصر

وأول ما يواجهك عند دخولك المتحف مجموعة من « المسدسات » صفت على الحائط وكتب عليها « صنع فى مصر » فهى دليل حى على ارتقاء صناعة الأسلحة فى بلادنا فى عهد محمد على. فإذا دخلت إلى القاعة التالية شاهدت نماذج جنود مصر فى ذلك الوقت وعرفت الأناقة والنعمة التى كانوا يعيشون فيها . وأما الجدران فقد غطيت بالصور المختلفة التى تبين ملابس الجنود وأزياءهم

ويحرص المتحف على أن يقدم لزائريه صورة واضحة عن المعارك التى اشتبكت فيها جيوش مصر ، ولهذا ترى لوحات كثيرة رسمت عليها خرط تلك المعارك ، فترى مواقف الجنود ونظامهم وكيف سارت المعركة . وأكثر هذه الرسوم هدايا قدمها أمراء العائلة المالكة وغيرهم من رجال مصر تعضيداً للمتحف حتى يحقق برنامجه

مدافع محمد على
وفى الفناء الداخلى صفت مدافع من عهد محمد على وعلى رأسها تمثال للشىء العظيم

قارع الطبل

وقسم الطابق الأعلى على فترات التاريخ المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى الآن كما يضم مجموعة من الأسلحة والطبول التى استولت عليها الجيوش المصرية أثناء حروب السودان ، ومنها طبل استولت عليه البطارية الرابعة فى الداورية رقم ٢٧ أثناء تجوالها فى دار فور سنة ١٩١٦ ولتكون الصورة أكثر وضوحاً صنع المثال لهذا الطبل قارعاً وقف يضربه فلا تكاد تراه حتى تشعر بأنك أمام محارب سودانى

ويحتفظ المتحف بمجموعة كبيرة من الصور بعضها رسم باليد لتمثل العصور التى لا سبيل إلى إثبات صورها بالفوتغرافيا كالعصر الإسلامى وعصر محمد على وعصر إسماعيل وبعضها الآخر — وتقدر صوره بالألوف — عن العصر الحديث وقد التقطت بآلة التصوير لمعاهد الجيش فى عهدها الحالى، ومن يشاهدها يأخذ فكرة كاملة عن الجيش المصرى فى الوقت الحاضر. ويضاف إلى ذلك مجموعة أخرى أعدت لإلقاء المحاضرات بواسطة الفانوس السحرى، وتنظم هذه الصور بطريقة علمية دقيقة تيسر للناظر الحصول على معلومات طريفة

الزمن غير كفيل

وفى فناء المتحف الداخلى صفت المدافع التى أمكن للمتحف الحصول عليها من عصر محمد على، وهى مجموعة ثمينة تبين تقدم فن القتال الحربى فى ذلك الوقت وأكثرها صنع فى مصر وما زالت حتى الآن فى حالة جيدة يسهل معها استعمالها . ويوجد فى أنحاء القطر المصرى كثير من هذه المدافع وخصوصاً فى الأسكندرية فى القلاع القديمة ، ولكن نقلها وتنظيفها يحتاج إلى زمن طويل ونفقات كثيرة ولهذا ينقلها المتحف شيئاً فشيئاً

ميدان حربى حديث
لا يقتصر اهتمام المتحف بالماضى فهذا ميدان حربى حديث ظهرت فيه الخنادق والمدافع السريعة الطلقات وهى محجوبة عن أعين الطائرات

ويعتمد المتحف فى تنظيمه وتوفير معروضاته على الهدايا التى يقدمها الناس أياً كانت جنسياتهم ومهنهم وعلى المنشآت التى يصنعها عماله، ولكن ضخامة العمل وقلة الأيدى العاملة تقف حجر عثرة فى سبيل افتتاح المتحف للجمهور . فرغم النشاط المبذول ورغم كثرة المعروضات لا نستطيع أن نقول إن ما تم إنشاؤه يمثل خمسين قرناً من الزمان ، فمثل هذه المشروعات الضخمة يحتاج إلى عشرات السنين لتظهر أمام الجمهور فى ثوب لائق (الشورى)

حـــواء

للأستاذ على أحمد با كثير

قلبي يحن إلى عهودك   وإلى رضائك أو صدودك
وإلى محيا سـاهمٍ   فيه القضاء على عميدك

فيـه شكاياتى وأحـ   زانى وآلامى ويأسى
وضناى فيـه ووحدتى   من غير آسٍ أو مُواسِ

يرثى له قلبى فلا   يرثى لغير مُصَابه ...
فكأنه المـرآة يُبْـ   صر فيـه قلبىَ ما به !

حتَّى إذا ما افترّ ثغـ   رُكِ عن ثناياك العِذَاب
وهفا الضياء على لَمَـا   كِ كأنه العسل المُذَاب

وتلألأت عينـاكِ وا   بثق الشُعاع الحـالمُ
خطرَتْ لِى الدنيا بِفيـ   كِ فكل شىء باسم !

خطرت كوجه الأُمّ يبـ   سم للوليـد الراضعِ
يسرى بعَيْنَيها على   نَهَـر النعيم الواسع !

عَقَلَ ابتسامَتَها لأوّل   مرةٍ فى عُمـره
فرنا بِطَرْفٍ فيه أوّلُ   خفقةٍ مِنْ فكره !

عقل الحقيقة كالخيال   هنـاك فى تلك الدقيقه
ولطالما مِنْ قَبْلُ كا   ن له الخيال هو الحقيقه

أو كالوجود بدَتْ لِعَيْـ   نَىْ شـاعرٍ أسرارُه
فى لحظةٍ مِنْ وحيِه انْـ   هتكتْ له أسـتاره

فكأنه لم يَدْرِ أوْ   يَرَ قبلها فى الكون شيا
أو كان صخراً مسّـه   سرُّ الإلٰه فقام حيّا

يا نظرةً كُنْتُ الولِيـ   دَ بها وكنتُ الشاعرا !
والأمّ كنت بها وكنْـ   تِ بها الوجود السّاحرا

ما كان ثَمَّةَ غيرُ عيـ   نِ الله ترعانا حنانا
وكأنه مِنْ عطفِـه   إذ ذاك لم يخلُقْ سوانا !

يا ليت شعرى هَلْ أحسّ   بمثل ما أحسَسْتُ آدم
لما بدوتِ لعينِـه   حوّاء فى عهد تقادم ؟

فهفا إليك كما هفوتُ   وما له أمٌّ سـواكِ
فرحمتِه وجـرتْ على   أطراف جُمّتِه يداك !

أخرجتِ آدم مِنْ جنا   نِ الخلد لكن كُنتِها له !
أنقذته بهواك من   تلك السـآمة والملاله

فأحسّ فى الدنيا الشقا   ءَ وكابَد الألم الكبيرا
فازْدادَ بِالسَّرّاء والـ   نّعماء فى الدنيا شعورا

ما بالُ آدمك الجديـد   تركتِه فى شِقوته ؟
لم ترحمى بلواه إذْ   أخرجتِه من جنّته

قد كان يأمل إذ عصى   مولاه فيك مزيد عطفك
ويح الشقىّ ... حرَمْته   مِنْ لطف مولاه ولطفك !

أهبطتِه من جَنّتَيْـهِ   فهام فى الدنيا شريدا
يبكيك فى المأوى ويبـ   كى عهدك العهد السعيدا !

كيف السبيل إلى الرجو   ع إلى نعيمى السّالفِ ؟
وشـقاء حرّى مهجتى   وسكون قلبى الواجف

وبأىّ وجهٍ بعد عِصْـ   يانيهِ ألقى وجه ربى ؟
ولئن جرُؤتُ فمَنْ لقلبى   فى يمينكِ ... مَنْ لقلبى ؟

أأجيئه مِنْ غير قلبٍ ؟   كيف كيف يكون ذاكِ ؟
ردّيه لى أطلُبْ رضا   هُ حيْنَ لم أدرِك رضاك !

حوّاء ذاتَ العدْلِ فيـ   مَ عدَلْت إلاّ فىّ وحدى ؟
وعلامَ يا حوّاء حافظةَ الـ   عهود نسيتِ عهدى ؟

لم تُنْصفينى إذ بَرَرْ   تِ بآدمٍ وقطعتِ حبْلى
وهو الذى ما إنْ حفظْـ   تِ به ولم تضميه مِثلى !

أنا منكِ يا حوّاء ... أجـدر بالحنان ... وليس منكِ
إن كنتِ منه فتلك بعدُ مزيّةٌ تُقصيه عنك ...

إن الحياة تَسُوقُ بِنتاً   دأبها وتَبرُّ أمّا ...
هـلاّ سلكتِ سبيلها   فقسمتِ لى بالبؤس نعمى !

أم شئتِ أن تلغى الوجو   دَ لِتبدئى فى الخلق طوْرا ؟
لم تغفرِ الأولى ... أأجنِى   فيكِ يا حوّاء أخرى ؟!

على احمد با كثير

إلى نجمتي النائية

للأستاذ صالح الحامد العلوى

حنانك ! يا نجمتي الزاهرة   ويا نزهة القلب والباصرة !
ومن لم تزل رغم طول النوى   على الصب ناهية آمره !
ومن غرست في الحشا دوحة   من الحب مزهرة ناضره
ومن هي من حسنها تحفة   برتها يد القدرة الباهره !
بروح تكاد لها خفة   تطير مع النسمة الخاطره
ومن ساقها الحظ لي نعمة   من الله سابغة وافرة !
عرفت بها كيف معنى الحنان   وما لذة الخلد في الآخره !

رعى الله وجهاً كساه الجمال   غدوت به في الورى نادره !
وعيناً من السحر مكحولة   عليها معاني الهوى زاخره
بها قد أرى فيك أمي الحنون   وحيناً أرى اللبوة الخادرة
معان من السحر لا تهتدي   إليها سوى الأعين الشاعره !

ألا حبذا عهدك المشتهى   ولله أيامك الزاهرة !
وتجوالنا بين تلك الربى   وطوراً على الضفة الساحره
وذاك المراح، وحلو المزاح   وضحكاتنا العذبة الطاهرة !
نخب ونطفر بين الحقول   ونضحك للموجة الساخره
وننشدو ونرقص ملء الصبا   من اللهو في نشوة غامره
كأنا ـ وقد شب فينا الشباب ـ   صبيان لم نبلغ العاشره !

شريط لماضيّ لا تأتلي   تمد الخيال به الذاكره
لعهد من اللهو قضيته   بفاضل أوله آخره
متى ياقضاء ترى عوده ؟   على رغم أيامنا النادره !

(حضرموت : سيوون)   صالح الحامد العلوى

إليها يوم تنساني ...!

للأديب محمود السيد شعبان

معزف في يد السنا   يتغنى على الحقب !
ألهبت شدوه المنى   ما له مثل فانتحب ! ؟
أنت لقنته الهوى   قبلة كنت طهرها
فاسكبي في فؤاده   من معانيك سحرها
وامرحي فيه ... طالما   مسه الحب فالتهب !
أنت دنيا خياله   ليته كان سرها

أنت في موكب الجما   ل نسيم هو الترف ...
أبدعته يد الجنو   ن وزانته بالسرف !
أنت سر الحياة في   باطن الكون قد خفق !
أنت فجر الوجود من   كل قلب هوى انبثق !
كذب الشعر !... إنما   أنت فوق الذي وصف !
فخذيني إليك ... لم   يبق مني سوى رمق !

أنت معنى من الخلو   د وعى صفحة الأزل !
وشعاع من الجما   ل حوى الحب والأمل
يا ابنة النور ! ... بددى   ما بقلبي من الريب !
واسكبي في فمي الضيا   ء الذي ضلل الحقب
وأغمري الروح بالهو   ى لتحيا على وجل !
قلق الحب ... ما ألذ (م)   وأحلى لمن أحب ..!

إيه يا حبها ! ... أفق !   قد عرفنا بك الخبل !
ورشفنا الجنون لما (م)   استبدت بنا القبل !
هم يسمونك الهوى   أنت يا حبها القدر !
فترفق بنا ... فما   نحن إلا من البشر !
إيه يا قلب ! ... دع دمي   فيك ينساب بالأمل ...
واشرب الحسن والسنا !   هكذا حبها أمر !

يا جنون الهوى ! عشقـ   ـتك جهدي .. فكن معي !
واطو فيما طويت قلـ   ـبي وعقلي ومسمعي !
أنت في هيكل الخلو   د صلاة لمن عبد !
أزل الدهر يلتقي   فيك يا حب بالأبد !!
فاملأ النفس بالرجا   ء وعش بين أضلعي
أنت روحي ... وإنما   أنا يا فتنتي جسد !

يا خيالي ! ادخر مني   للمنى كل ما فتن !
لا تسلني : متى غدي ؟ !   كيف يحيا هنا الزمن ؟ !
يا خيالي ... أفق وخذ   من رؤى الحب ما سحر !
لا تقل لي : صف الهوى !   ها هنا لا يرى البصر !
إيه يا ملهم النهى   كل ما يبعث الشجن ...
اكشف الستر عن غدي !   إنه في دمي استتر !!



دراسات فى الفن

عن فن الصـــوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ليس الصوم تجويع البطن وحرمانه من حشوها، وإنما الصوم زهد فى حاجات البدن يقصد لذاته ، ويقصد لأثره . فهو نفسه انتصار لذيذ على قانون الحاجة والضعف ، وهو بعد ذلك يبعث فى الصائم إيماناً بإمكان التدرج بالطبع فى مدارج الرقى ، وإغراء بالوثوب إلى حياة الإرادة والعقل . وفى ذلك ارتفاع بإنسانية الصائم إلى درجة من النقاء الروحى لا تتاح لغير البشر من المخلوقات التى تنساق لقوانين المادة وتخضع لمطالب الأجسام فلا تملك لها رداً إلا إذا أجبرت فى ذلك إجباراً وقهرت عليه قهراً . فهى فى كل من الحالين مسوقة مسيرة مشدودة ، بأسباب الاتصال ودواعيه ، إلى أحوال وأوضاع لا دخل لإرادتها فى إعدادها ولا ترتيبها ، ولا توجيهها . هذا إلى ما فى الصوم من تيسير التفرد ، وتقريب الوحدانية ، واستشمار الفنى . فكلما لوّن الصائم الزهدَ وقَلل من حاجاته البدنية أحس حدود كيانه تتميز وتفصله عما عداه ، وأدرك أنه واحد ، وإن كان صغيراً فإنه نزاع إلى أن يقوم بذاته ، وأن تفيض نفسه بالحياة على نفسه فهو لا يطلبها — إلا قليلاً — فى لقمة من الخبز أو جرعة من الماء

ومع الإحساس بهذا الاستقلال عن مادة الحياة فإن الصوم يبعث فى نفس الصائم إحساساً آخر من الشيوع يشبه ذلك الإحساس الذى يشعر به النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات ، ولكن شعور الصائم لا يتجه به إلى الماديات ، فهو منقطع عنها جهده ، وإنما هو يتجه به إلى ما يتعاطاه ويلج فيه مما هو فوق المادة، فهذا هو ما يفطر عليه ما يغذى نفسه به، وكما أن النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات يشعر بأنه مرتبط بالعجل لأن لحم العجل لذيذ ، ولأن جلده مفيد ، ولأن قرنيه نافعان ، ولأن حوافره تصلح فى شأن ما أو فى عدة شئون ، فإن الآخر الصائم يرى فى العجل غير ما يراه ذلك الذى يفكر ببطنه وجلده وسائر

أيها الشِّعر ! ... أحيِنى ! أنتَ مِن وحيها مدَد !
شعٌ فى الكونِ نورُها من قديمٍ وما نفَد !
أيها الشِّعر ! ... غنِّنى ! وارو ِ رُوحى بسحرِها !
واسكُب الطُّهر فى دَمى ! إنه بعضُ سِرِّها !
هاتِها فتنةَ النُّهى ! هاتِها نشوةَ الأبَد !
هى دنيا خــواطرى وتسابيحُ طُهرِها !

أيُها الشِّعرُ ... هِجْتَ فى باطِنى كامِنَ الذِّكَر !
عادَنى فيكَ حُبُّهـــا فَالْتَقَيْنا على قَدَر !
فكأنى بهـــا مَعى تسمعُ الشِّعرَ مِن فَمى !
وكأني بصوتِهــا الطَّـ (م) ـهرِ يَنْسَابُ فى دمى !
لَيْتَ هـــذا حقيقةً يجْتَلِيها هُنا البَصر !
إنه الُحبُّ ... بَيْنَ أحْـ ضانِهِ الكوْنُ يرتمى !

أيها الشِّعْرُ ! ... هاتِها مُتْعةً تبعثُ الطَّرَب !
وأدَّخِرْنى إلى غَــدٍ سوف آتيكَ بالعجَب !
أنتَ يا شِعــر خالدٌ لستَ يا شعرُ للعَدَم
لا تَكِلْنِى إلى الأسَى ! نِلْتُ زادِى من الألَمْ !
وأسقِنِى النورَ جُرْعةً هىَ أنشودَةُ الِحقَب !
وَقِّعَنْها على القلُو بِ يَدُ الُحسن من قِدَم !

(القاهرة) محمود السيد شعبان

جوارح بدنه ، ويرتبط إليه برباط آخر معنوى ، فهو عنده رمز لقوة البدن مع طيبة القلب ، واستسلام النفس مع تناوم العقل ، فإذا آلفه فإنما يؤالفه ليتعلم منه هذه الطباع وليستخرج من تركيب بعضها إلى بعض عبرة تدله على عجز القوة ما لم يسندها الفكر ، ومهانة الاستسلام ما لم تدركه اليقظة . وهكذا يصبح العجل الحيوان الواحد ذا طائفتين اثنتين مختلفتين من الدلائل والمعانى يدرك طائفة منها إنسان زهد فى المادة وسام عنها ، ويدرك الطائفة الأخرى إنسان زهد فيما فوق المادة وسام عنه

وليس العجل وحده هو ما يراه الإنسان ويتصل به فى هذه الحياة ، وإنما هو يرى كائنات كثيرة ومخلوقات عدة ويتصل بها جميعاً وفق نزعته ، وإنما سقت العجل مثلاً لأن له قصة طويلة قديمة مع البشر ، فكما أذله ناس وقره آخرون ، وكما استضعفه ناس عبده آخرون

ولست أريد أن أنحاز إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، فقد كان لكل رأى وكان لكل رأى برهان ، وإنما أريد أن يلتفت القارئ معى إلى صلاح العجل عند البشر للاهانة والعبادة معاً ، لا لشىء إلا لأن فريقاً من الناس رأوه رأياً ، وفريقاً آخر رأوه رأياً ، وهؤلاء مضوا فى رأيهم حتى نهايته ، وهؤلاء أيضاً مضوا فى رأيهم حتى نهايته ، فكانت نهاية أصحاب الرأى الأول أن أكلوه ، وكانت نهاية أصحاب الرأى الثانى أن قالوا إنه الله ... وهكذا كل ما فى الحياة يستطيع الإنسان أن يأكله ، ويستطيع أن يرى فيه الله ... أو أن يصل من سبيله إلى الله ... لو هداه

ولندع العجل إلى غيره من الخلائق وآيات الله لنرى أن الناس دائماً ينقسمون أمام مظاهر الحياة إلى قسمين واضحين : قسم يزهد فى كل شىء ما عدا الملموس المحسوس الذى له أثر ملموس محسوس ، وقسم آخر يزهد فى هذا الملموس المحسوس نفسه فلا يصيب منه إلا بمقدار ما يمسك عليه الرمق وما يحفظ عليه الحياة . وهناك — إلى جانب هذين الفريقين من الناس — قسم ثالث يتراوح بينهما فيجول مع كل فريق جولة ، له فيما فوق المادة ساعات يقضيها مع نفسه ثم يعود إلى الناس فينقل إليهم ما رأى وما سمع وما أحس وما علم . وهؤلاء هم أهل الفن الذين نعرفهم من فنونهم ، والذين يقول عنهم أهل الأرض إنهم أصحاب خيال وإنهم فى خيالهم يمعمون بعيدين عن حقيقة الحياة ، لا لشىء إلا أن أهل الأرض يعتبرون الحياة هى هذه الماديات وحدها ، فما لم ينطبق عليها تمام الانطباق فهو خيال ووهم

ولست أريد أن أظل مع هؤلاء المتراوحين طويلاً الآن ، وإنما أتركهم إلى أولئك الذين أعطوا الأغلب من أرواحهم لما حجبته المادة الكثيفة عن أغلب الأبصار والأسماع ... أولئك يحيون ، وإن لهم دنيا طويلة عريضة كهذه السموات والأرض ، بل إنها أوسع من السموات والأرض ، وهم يكشفون مجاهلها يوماً بعد يوم ، ويغزون أطرافها ما صفت أرواحهم ، وما اتجهت عقولهم بالتفكير فى أسرار الوجود ، فإذا هم فى حياة أساسها فى هذه الدنيا ولكن مهادها ووديانها عليون ، وإذا هم يشعرون بعلاقات وثيقة تربطهم بكل ما فى الكون من حقائق وموجودات ، بل إنهم يحسون أن لهم منافع روحية وفوائد معنوية يصيبونها فى الحقائق والمخلوقات كتلك المنافع التى يرجوها النهم الأكول فى لحم العجل وجلده وقرنيه وحوافره ، وهم ملحون وراء هذا الذى يستطيبون من الكسب كلما حصلوا منه ربحاً استزادوا الربح بالجهد والمران ، فإذا هى أرباح فوق أرباح ، وإذا بالفقير المعدم منهم له ثروة عجب من المعلومات والمدركات ، فإذا أراد أن يستغل علمه وإدراكه وأن يخرج بهما من دائرة التحصيل والإفادة ، إلى دائرة العمل والإنتاج كان الشىء الذى يصنعه خارقاً لا يستقيم مع طبائع الحياة التى تعارفها أهل المادة من الناس ، وإن استقام مع طبيعة الوجود العامة التى لا يحلق إليها إلا أندر الناس الذين يشرئبون دون عشرائهم إلى ما أباحه الله للمقبلين عليه من خلقه السباقين فى التقدم إليه والارتقاء إلى رضاه بإرضائه . وتقول الجماهير عندما ترى أعمال هؤلاء إنهم سحرة ... أو إنهم أصحاب معجزات .

وهذه الأعمال الإيجابية التى يقوم بها هذا الفريق من الناس تختلف وتتعدد مظاهرها وألوانها باختلاف اتجاهاتهم وما يتخصصون فيه من العلم ، وليس تخصصهم فى العلم شيئاً غريباً ، فعلماء المادة يتخصصون هم أيضاً فى دراسة نواحيها ... لكل منهم ناحية .. فمنهم مهندسون ، ومنهم أطباء ، ومنهم من ينفقون حياتهم فى دراسة القوانين التى كنف الناس بها الحياة ، كذلك أولئك منهم من يتجه إلى نفسه فيدخل فيها فيعلم من شؤونها ما يعلمه الله إياه ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس والحيوان . . . بل إن منهم من يتجه إلى المادة

نفسها فيغزوها بالروح غزواً فيشق البحر ويقلب العصا إلى حية والحبل إلى ثعبان ! . .

ويضطرب الناس ويرتبكون حيال هؤلاء الزهاد الأنبياء ... فيقولون إن محمداً صلوات الله عليه ورضاه كان شاعراً ... لأنهم كانوا يسمعونه يقول كلاماً لا يشبه كلام الناس ، وفيه ملامح من كلام الشعراء ، هي هذا البعد عن مادة الأرض المعتمة العمياء ، وهي هـذا النور الذى أهداه الله إليه من نور السماء ... وما كان محمد شاعراً ، وما كان الشعر ليتسامى إلى درجة ما أفاض به على الناس ، وما كان كلامه فنـاً من فنون الأرض ، وإنما هو أرفع ما أتاحه الله لإنسان من علم حق ومن حكمة خالدة تنسحب إلى أبعد الأزل ، وتنطلق إلى أبعد الأبد سبحان من أوحاه ! وسبحان من جاد على البشر بفنه ... هو الله ! ...

لم يكن محمد شاعراً ، فالشاعر كما رأيناه يتراوح بين حياة الأرض وحياة السماء ، ويتذبذب بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، ولا يقر له قرار إلا بين الناس ، ولا يغيب عنهم إلا لمحات قصيرة عابرة لا يطيق استدامتها ، لضعفه ولشعوره بالحاجة البدنية إلى ما فى الأرض من راحة ... أما محمد ، وأمثال محمد من الأنبياء فإنهم قد اشتروا الآخرة بالدنيا ، وليس لهم فى الدنيا مطمع ، فقد أحاطوا بما فيها علماً ، وهم يتجهون بعد ذلك بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ... وهم مؤمنون بأن هناك شيئاً بعد هذه الحياة ، لأنه قد كان هناك شيء قبل هذه الحياة ، وليس فى هذا الطور ما يدل على أنه الحلقة الأخيرة من حلقات التطور والارتقاء ...

وهنا قد يسائلنا سائل : كيف قال محمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وما دامت طبيعة الحيـاة قد استدعت بعث الرسل والأنبياء فيما مضى ، وما دامت بريئة مما يدل على أنها قد كفَّت عن نهجها والتوت إلى نهج جديد ؟

وجوابنا على هذا أن محمداً صلى الله عليه وسلم وضع أمام عيون الناس القواعد الخالدة لهذه الحياة ... القواعد التى تتغير الدنيا ولا تتغير هى ، والتى تتطور الحياة وترتقى وتمتنع هى على التطور والارتقاء لأنها نهاية النهايات ، ولأنها الحقائق الثابتة التى يقوم عليها التغيير والتبديل ، ولأنها المحاور التى يدور حولها التطور والارتقاء .

فلقد جاء فى دين محمد أن الإسلام هو دين الفطرة ، فإذا عرفنا علام نحن مفطورون فسايرنا فطرتنا فإننا مسلمون . وهذا مبدأ لا يمكن أن يزول وإنما يتحطم كل من يناوئه ويعصيه ... وإن من فطرتنا أن نتطور وأن نرقى . وقد جاء فى دين محمد بين آيات القرآن « أحلت لكم الطيبات وحرمت عليكم الخبائث » فإذا عرفنا ما هى الطيبات التى تنفعنا ، وما هى الخبائث التى تضرنا ، وأخذنا ما ينفع وتركنا ما يضر فإننا مسلمون سالمون . وهذا مبدأ تتبعه الكائنات بطبيعتها فتسلم ، وعلينا نحن ألا نقاومه بعقولنا وإرادتنا كى ننجو ، وإلا فالهلاك لمن أحل لنفسه الخبائث ، وحرم عليها الطيبات ... وقد جاء أيضاً فى دين محمد بين آيات القرآن كذلك : « وما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فمن أنفسكم » ومعنى هذا أننا إذا ألقينا أنفسنا بين يدى الله وأطعنا أمره ، وهو يأمرنا بالتزام فطرتنا والخضوع للقوانين الطبيعية التى انتهت بنا اليوم إلى هذا الطور من أطوار الحياة والتى تسير بنا منذ اليوم إلى أطوار وأطوار فإننا إذن مسلمون سالمون ، فإذا حدثتنا أنفسنا بغير ذلك فانتكسنا وخيلت لنا الأهواء أن فى الرضا شراً أو ضعفاً أو عجزاً وحاولنا أن نكسب لأنفسنا ما يثقل علينا وما لا حق لنا فيه وما ننوء بحمله وما ربكنا تصريفه ؛ فإننا عندئذ مضطربون قد وضعنا أنفسنا حيث لا يمكننا أن نظل طويلاً ... فلا عجب إذا انهزمنا سريعاً

علينا أن نعرف ماذا كنا ... وماذا نحن ... وماذا سنكون... حتى لا نخطىء الطريق إلى ما نحن صائرون إليه ... ولنعلم أن فينا اليوم من طبائع الماضى مالا يصلح للمستقبل ... وهـذا ما علينا أن نقاومه وأن نتخلص منه ... وقد قيل إننا كنا فى الماضى قردة ... فعلينا أن نخلص إذن من أوجه الشبه بيننا وبين القرود ... وإلا فنحن نعرقل فطرتنا ...

هذه هى بعض مظاهر الخلود والصلاح الدائم فى الإسلام ، وهذه هى نهاية النهايات التى وصل إليها محمد تبارك من هداه ، فله الحق — على هذا — أن يقول إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، لأن أحداً لن يجىء بعده بتلخيص لسر الوجود أعمق من هذا التلخيص ولا أمكن إصابة منه .. وما أدناها حقيقة ، وما أبعدها منالاً ! . .

فهل يعرف أحد إلام نحن صائرون ؟ إننا صائرون إلى حياة



خالصة من هذه الأبدان التي يصيبها العطب ... إننا صائرون إلى لقاء الله، وإن في نفوسنا ما يسير بنا إلى هذا، فعلينا أن نتعرفه وأن ننميه ...

نفوسنا حشد من الغرائز، فما تشبث منها بالحال الراهنة وأعرض عما هو مقبل من حياة الخلوص كان كما ربد أن يعود بنا إلى حياة القرود. وكان تعطيلاً لإرادة الإنسان القادر — بقوة الله — على تنقية نفسه وترقيتها. وما تحرر منها وانطلق إلى الله فهو عون الإنسان على توحده، وعلى شيوع نفسه في نفوس الخلائق، والاتجاه مع الكائنات في صلاة الجماعة لفاطر السموات والأرض المهيمن العلام الأول والآخر.

عزيز أحمد فهمي

لحظات الالهـــام

في تاريخ العـــلم

بقلم مريون فلونس لانسنغ

ثناء على علبة الصفيح

الصفيح خادم متواضع للانسانية، فنحن نتلف العلبة بعد فتحها ونلقي بها دون أي احترام ودون أن يكون في أنفسنا لها موضع للشكر على الخدمة التي أدتها. ولكن نابليون لشدة شغفه بالحصول على مادة تؤدي إلى حد قليل مثل الخدمة التي تؤديها اليوم علبة الصفيح، قد عرض هو والحكومة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ أو ما حولها جائزة قدرها ١٢٠٠٠ ألف فرنك لمن يخترع وعاء يمكن حفظ الطعام فيه من التلف في زمن الحرب

إن تعاقب مواعيد الغراس والحصاد التي عرفها آباؤنا الأولون كان نعمة عظيمة على الإنسان. ولكنه من جهة أخرى يفرض عليه واجبات معينة ويلزمه عناية خاصة، فالرجل الذي يعيش في المناطق المعتدلة لا يستطيع أن يجعل مائدته مبسوطة على الدوام على الرغم من كل جهوده الزراعية

يجب أن يكون لديه خبزه كل يوم ولكن الثمار والمحاصيل لا تخرجها الأرض يومياً بل في مواعيد معينة. وكما يختزن السنجاب البندق في ثقب بجذع الشجرة انتظاراً للوقت الذي تخلو فيه الفروع من ثمرها فكذلك يجب أن يختزن الإنسان من نتاج الموسم ما يكفي احتياجاته بقية فصول العام المجدبة

وكان تجفيف الطعام من أقدم الوسائل للاحتفاظ به. وقد وجد الفريق الأقدم من المستعمرين الأمريكيين جماعة الهنود يتبعون نظاماً لتجفيف القمح والسمك والفواكه واللحوم بحفظها من العطب مدة طويلة. وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام هي تثليجه، ولكن هذه الوسيلة لا تمكن مزاولتها إلا في الأجواء التي يمكن فيها ترك الطعام في الماء البارد والثلج أو في أنابيب في أعماق الأرض

وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام مناقضة للوسيلة الأخيرة وهي حفظه بواسطة الحرارة. ووجد الطباخون في العصور القديمة أن اللحم المطبوخ يبقى مدة أطول من اللحم النيء فوصلوا بهذا الاستكشاف إلى أول حلقة من سلسلة الاستكشافات التي انتهت اليوم إلى حفظ المجففات في علب الصفيح

إن سر نجاح الحفظ في تلك العلب هو أن الطعام يمنع فيها عن التعرض للهواء منعاً محكماً. وفائدة منع الطعام عن الهواء ليست بالاستكشاف الحديث فقد وجدت في جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط آثار قصر قديم يرجع عهده إلى ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ووجد في حجرات باردة تحت أرضه أوان كبيرة من الطين يختزن فيها الطعام ويمنع عن الهواء

ولكن الذكاء والنجاح اللذين ظهرا فى حفظ الطعام بعلب الصفيح لم يكونا قبل الحروب النابليونية فى فرنسا حتى رأت الحكومة ـ والحكومات بطيئة دائماً فى بذل الأموال للاختراعات المشكوك فى نفعها للجماهير ـ أنه من المجدى بذل جائزة للوسيلة الناجحة فى حفظ المأكولات بالتخزين

وكان مبلغ اثنى عشر ألف فرنك مبلغاً عظيما فى ذلك العهد من القرن الثامن عشر . وقد تسابق صناع الحلوى وصناع الجعة وأصحاب معامل التقطير بنشاط وجد علهم يحصلون على هذه الجائزة، وقد نالها بعد اثنى عشر أو خمسة عشر عاماً رجل اسمه فرانسوا إيبرت وهو صانع حلوى، وقد قضى كل حياته فى حل هذه المسألة

وربما كان ما يشاع عن جهود إيبرت هو الذى حمل نابليون ومستشاريه على التفكير فى قيمة المشروع الذى يمكن به النجاح فى حفظ الطعام ، وعلى كل حال فقد عرضت الجائزة واستمر إيبرت يزاول عمله فى صبر حتى كان عام ١٨١٠ فتقدم بالدليل على نجاحه ونال الجائزة

وحتى مع حصوله عليها فقد أنفقها كلها على اختراعه مجرباً أساليب أحسن من التى عالجها من قبل ، إلى أن مات فى فاقة وهو يشكو قلة التشجيع بعد بضع سنين ، وذلك على الرغم مما كان يبدو من أن مبلغ الاثنى عشر ألف فرنك مبلغ كبير

ومن حسن حظنا نحن الذين انتفعنا بنجاحه أن الحكومة الفرنسية نشرت له فى الوقت الذى عرضت فيه الجائزة كتاباً يوضح على وجه التفصيل تجاريبه ونتائجها ، فأمكن بذلك أن نعرف عن تجاريبه أكثر مما نعرف فى العادة عن التجاريب السابقة

وتبين أنها تجاريب مماثلة تمام المماثلة للمشاريع العظيمة التى اتسعت فى القرن العشرين لحفظ البضائع وإرسالها إلى أرجاء الأرض وحفظها إن دعت الحاجة عدة أشهر أو سنين

لم يكن لدى فرنسوا إيبرت علب ملائمة ليضع فيها بضائعه . فكان يضع كل أنواع مصنوعاته فى علب من الزجاج أو الفخار ثم يحكم غطاءها ويضع العلب فى ماء يكفى لتغطيتها ثم يضع الوعاء الكبير الذى به الماء وفيه العلب فوق نار حتى يسخن إلى أن يصل إلى درجة الغليان . ويتركها بعد ذلك فى هذا الوعاء أوقاتاً تختلف قلة وكثرة ثم يسد الزجاجات ويختمها فى أثناء حرارتها

وربما بدا لك أنه ليس فى هذا ما هو جديد أو غريب يستحق أن ينال الرجل بسببه جائزة بل يصنع هذا فى كل مطبخ أيام الخريف عند ظهور الفواكه الجديدة لحفظها فى الشتاء . والواقع أنه ليس فى هذا الأمر ما يعد اليوم جديداً ولا غريباً وإنما ذلك لأن الفكرة شاعت وأصبحت مقبولة . ولكننا الآن فى القرن العشرين وهذا العالم الفرنسى كان يشتغل فى معمله سنة ١٨٠٠ وبسبب جهده وصبره فى العمل أصبح استكشافه سهلاً وأصبح يؤدى فى مطابخنا كأنه أمر طبيعى. وكانت التجاريب تتقاضاه وقتاً طويلاً لأنه كان لا بد من تجريب درجات مختلفة للحرارة وأساليب متباينة للصنع . وكان لا بد كذلك من بقاء الزجاجات مغلقة عدة أشهر أو عدة سنين ليتضح مبلغ النجاح فى كل تجربة . وقد قضى إيبرت اثنى عشر عاماً حتى عرف خير الوسائل لمعرفة المدد التى يقضيها كل طعام على الحرارة ليكون عند استخراجه من الوعاء فى مثل عذوبته وصلاحيته عند وضعه فيه

وقد رأى إيبرت أن نجاح تجاريبه يتوقف على إخراج الهواء إخراجاً تاماً ، وقد رأى كما كان يرى العلماء فى عصره أن الهواء يحدث عطباً فى الفواكه والخضر وكانت وسائله صحيحة ، ولكن مضى خمسون عاماً أخرى قبل أن يستكشف العالم الفرنسى الشهير لويس باستور ذلك الاستكشاف المميز لعصره وهو أن الفساد لا يحدثه الهواء بل الميكروبات التى تعيش فى الهواء

كان إيبرت يجرى تجاريبه على الطريقة الصحيحة الوحيدة ولكنه كان يخطئ فى تفسيرها وكانت النتيجة واحدة لأن التجربة نجحت وحفظ الطعام

ولكن العالم الكبير باستور بشرحه القانون المسيطر على نماء البكتريا والميكروبات قد أحدث ثورة فى علوم الطب وبدأ عهداً جديداً فى حفظ الطعام بطريقة علمية مجدية ، وهذه الطريقة كان إيبرت هو المبشر بها

ولعله ليس فى تاريخ الإنسانية يوم أعظم من اليوم الذى بيّن فيه باستور أن التغيرات التى تطرأ على المواد الغذائية عند تعريضها للهواء إنما هى نتيجة لعمل أحياء بكتيرية صغيرة، فإذا ما أزيلت هذه الأحياء بواسطة الحرارة وأزيل الهواء فى الوقت نفسه فإن

الطعام لا يفسد إلا عند ما يتعرض للهواء مرة أخرى فيتعرض لهذه الأحياء. وقد نال باستور جائزة على استكشافه هذا فى فرنسا سنة ١٨٦٠ — على أننا لم نبدأ إلا الآن فقط فى فهم ضخامة التغير الذى أحدثه استكشاف باستور فى المعارف الإنسانية وفى أساليب الحياة بتطهير اللبن وبتعقيم الأدوات الجراحية. ومن الممتع أن نلاحظ أن الأرجح أن ينشأ فى وقت واحد اختراعان يساعد أحدهما على نجاح الآخر، ففى الوقت الذى كان فيه إيبرت جاداً فى صنع الأوانى من الزجاج والفخار كان فى انكلترا ميكانيكى اسمه بطرس دوراند يصنع أول ما عرف من علب الصفيح، وقد عرض علبته الأولى فى سنة ١٨٠٧ وكانت عملاً غير متقن فهى ثقيلة الوزن مصنوعة باليد، وكان لها غطاء ضخم قبيح الشكل ولكنها كانت على كل حال علبة من الصفيح

واحتكر رجل انكليزى طريقة إيبرت بعد عام من ظهورها فى فرنسا. وأنشئ أول مصنع لتخزين الأطعمة فى العلب بانكلترا وكانت شركة أمريكية هى التى تقوم بهذا العمل، وربما كانت الحكمة فى اختيار انكلترا لهذه الصناعة هى نشوء صناعة الصفيح فيها، وسرعان ما انتقلت الصناعتان إلى الولايات المتحدة

وفى سنة ١٨٩١ أنشأ إزرا داجوت وتوماس كنست فى نيويورك صناعة لحفظ سمك السلمون وبرغوث البحر والكابوريا فى علب الصفيح، وكلا الرجلين متعلم فى انكلترا

وفى العام التالى أنشأ رجلان آخران هما اندر و ود تيشل فى بوستون صناعة حفظ الفواكه فى العلب الصفيح وقد استعملا فى إعلاناتهما كلمة هى التى اشتقت منها الكلمة الإنكليزية «علبة» وأصبحت صناعة العلب من الصناعات الكبرى فى الولايات المتحدة

وليس ثناؤنا على اختراع العلب الصفيح من أجل أهمية هذه الصناعة من الوجهة التجارية وإن كانت العلبة ومحتوياتها جديرين بوضعهما فى قائمة الاستكشافات الهامة، بل لأن أثرهما فى حياة الإنسان أثر بعيد مميز للعصر

كان الإنسان من عهد قديم يعتمد على الأطعمة المحلية والموسمية وكانت حركاته محدودة من أجل هذا السبب. كان لا يستطيع الإقامة إلا فى المناطق التى توجد فيها بصفة مستمرة أنواع حاجاته المختلفة من الطعام اللازم لصحته. وكان لا يستطيع السفر والاستكشاف إلا إلى المدى الذى يؤهل له ما لديه من الطعام

وكان لا يمكن أن تتسع المدن إلا إلى الحد الذى تؤهل له طاقة الأراضى الزراعية المحيطة بها على إخراج نبات يكفى للطعام، وقد توافرت الآن كل هذه الشروط وكان لها أثر كبير فى حياة الإنسان.

ولكن العلم الذى أذاعه باستور والتجارب العملية التى أجراها أيبرت والحذق الميكانيكى الشائع الآن — لكن كل ذلك مجتمعاً قد أدى إلى إنتاج مقادير عظيمة من علب الصفيح رخيصة الثمن تتسع لمقادير هائلة من الأطعمة فأصبحت حركة الإنسان سهلة بعيدة المدى

كان نابليون يرى أنه سوف يستطيع التغلب على العالم على صورة نهائية وأن يتولى إدارته لو وثق من أن جيشه يستطيع الحصول على الغذاء وهو فى ميادين بعيدة عن وطنه

وكانت رحلات كولومب محدودة بمقدار الطعام الذى يستطيع حمله فى سفينته وكان المستكشفون فى رحلاتهم الأولى يخفقون لأن رجالهم كانوا يمرضون إن لم يحصلوا على طعام طازج

اقرأ سير الرحلات الأولى تر أن الرجال كانوا يموتون بداء الأسخربوط ولكن المستكشفين المصريين بيرى وامندسون وسكوت قد استطاعوا تحقيق حلم الإنسانية منذ قرون فى الوصول إلى القطبين لأنهم كانوا يحملون أطعمة مضغوطة فى علب مختومة تكفيهم إلى نهاية الرحلة

وقد قيل إن حفظ الأطعمة فى العلب هو أكبر الاختراعات أهمية بعد اختراع البخار من حيث تمكين الناس من إنشاء المدن الكبيرة وتسهيل المواصلات إلى أبعد مناطقها المختلفة بتزويد السفن بالطعام المحفوظ

فهل تشترك معنا فى الثناء على خادم الإنسانية المتواضع: علبة الصفيح؟ (يتبع) ع. ا



من هنا ومن هناك

البترول يكسب الحرب

[عن « وبتورث داى »]

سوف يكون للبترول الشأن الأول فى كسب الحرب. فبالبترول تدار الطائرات وتسير المدرعات وتعمل البنادق وتحرك السيارات وتسير الغواصات

ومن المعروف أن البواخر الحربية العظمى جميعها تتخذ وقودها من زيت البترول . وقد أصبح للامبراطورية البريطانية مراكز ذات أهمية كبيرة للبترول تمتد إلى شواطىء الإمبراطورية وموانيها المختلفة فى جميع أنحاء العالم ، حتى أصبح عددها الآن يفوق عدد مراكز الفحم التى للإمبراطورية

وتسيطر بريطانيا الآن على أكبر مقدار من البترول الذى يستخرجه العالم. وقد بلغ ما تستهلكه من هذه المادة فى الأغراض التجارية أيام السلم ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن ، وهى لا تجد صعوبة فى الحصول على هذا المقدار

ويبلغ ما تستهلكه ألمانيا وقت السلم ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ طن فى العام ، وهى تستطيع أن تستخرج ثلث هذا المقدار ، فإذا أضفنا إليها ما يستخرج من اسبريا وما تستطيع أن تحضره بالطرق العلمية وجدنا أن هذا جميعه لا يكفى لتقديم ما تتطلبه فى أوقات السلم بحال من الأحوال. فكل ما تستطيع ألمانيا الحصول عليه من هذه المادة الأساسية فى حياة الأمم ، لا يتجاوز ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ يدخل فى ذلك البترول الصناعى والبنزول وغاز السيارات . وتستورد ألمانيا باقى حاجتها من أميركا وجزائر الهند الهولاندية ورومانيا

ومن الواجب فى هذا الصدد ألا نبالغ فى تقدير البترول الذى تستخرجه رومانيا ، فليس له فى الحقيقة الأهمية التى يتصورها رجل الشارع . فكل ما تستخرجه رومانيا لا يزيد على ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من البترول الخام ، وهذا المقدار لا يكفى حاجات ألمانيا أيام الحرب ، هذا إذا استطاعت الاستيلاء على منابع البترول فى رومانيا ، والإشراف عليها جميعها . وقد أخفقت فى هذه المحاولة إبان الحرب العظمى . وعلينا أن نذكر هنا أن البترول الذى يصدر من رومانيا إلى ألمانيا ، يجب أن يتخذ طريق الدانوب أو طريق البحر ماراً بمضيق جبل طارق ، وكلا الطريقين تحت إشراف البنادق البريطانية. وإذا كانت بريطانيا تستورد حاجتها من البترول عن طريق البحر ، فليس فى ذلك أى ضير ما دامت تسيطر على البحار . فإذا أصبح طريق البحر الأبيض المتوسط معرضاً للأخطار أيام الحرب ، فأمامها أكثر من طريق واحد لتوصيل البترول إليها . فعلى الرجل الذى يحلم بالانتصار على الامبراطورية البريطانية أن يعلم حق العلم أن الحرب لا يمكن أن تستمر بغير بترول، ولكنها تنتهى لأجل البترول

الصحافة السرية فى ألمانيا

[عن « P. T. O. »]

تنتشر الصحافة السرية فى ألمانيا بطريقة منظمة محكمة تيسر للملايين من الألمان الاطلاع على آراء كتابها الأحرار داخل بلادها وخارجها . وقد ذهبت سدى كل المجهودات التى بذلت لوقف تيار هذه الصحف التى تنتشر بين الجنود وفى المصانع والمساكن تحت أسماء وعناوين مختلفة . وقد حاول هتلر منذ ست سنوات أن يكتشف طريقة لوقف هذه الحملة الشديدة المحكمة النظام التى يقوم بها بعض أبناء ألمانيا لإنقاذ نفوس الملايين الذين لم تفسد بعد قلوبهم ورءوسهم بتعاليم النازى السخيفة، فذهبت جهوده فى مهب الرياح. وقد عملت التدابير المحكمة لنشر تلك الآراء المادية لحزب النازى ، واتخذت لها أعواناً وأستاراً ممن يلبسون اللباس النازى ويسيرون فى صفوف المؤيدين . وتنتشر الصحافة السرية فى المصانع والمصالح الحكومية وبين جنود الجيش ، ويتلهف الكثيرون على تلاوتها على الرغم مما فى ذلك من المخاطرة بالحياة.

وكثيراً ما توجد هذه الصحف فى علب الشاى والبسكويت وغيرها من هذه الأنواع البعيدة عن الظنة والشبه ، ويدبج مقالاتها الطريفة كتاب فحول من أمثال : توماس مان وجورج برنهارد وهنريك مان وغيرهم . وفيما يلى فذلكة مما ينشر بتلك الصحف :

فى الأمم الديمقراطية تشتد الخلافات وتتضارب الآراء بين

الأحزاب حتى يهتز لها كيان النظام السياسى القائم ، إلا أنها عند مواجهة الأخطار تتحد جميعها وتتعاون للدفاع عن الحقوق والحريات . وقد تظن الحكومات الديمقراطية أن هذه الروح السائدة فى بلادهم تجد ما يشابهها فى بلاد تحكم بالعنف والقوة مثل بلادنا، ولكن الأمر على النقيض من ذلك ، فروح الكراهية والانتكاس والتطاحن لا تظهر عندنا فى وقت السلم ، فإذا دعا الداعى للحرب أظهرت الأكمة ما وراءها ، وظهرت قوة الشعب

ومن المعلوم أن أركان حرب الجيش الألمانى قد حذر النازى من الارتطام فى حرب عامة إذ أن حرباً كهذه ستؤدى إلى هزيمة لا شك فيها. وقد أرسل إلينا ضابط عظيم يطلب الاستعانة بالصحافة السرية ، على تحذير الشعب الألمانى من الدخول فى هذه الحرب . ويقول هذا الضابط فى كتابه : « إن مركز ألمانيا الجغرافى فى وسط أوربا وقرب مصانعها من الجهة الحربية ، ومدنها الناصة بالسكان تجعلها عرضة للغارات الجوية . ومن السهل على الطائرات الوصول إلى أقصى ناحية من الريخ فى ساعة من الزمان». وعلى هذا النحو تسير الصحافة السرية فى إرشاد الشعب الألمانى وتحذيره بطريقة منظمة فى كل أسبوع ، بحيث تنير الطريق أمامه فى ظلام المدلهمات.

هل تستطيع اليابان أن تحكم الصين

[عن « أمريكان ميركورى »]

يلوح أن الضحايا العديدة التى فقدتها اليابان والأموال الطائلة التى بذلتها فى الحرب الصينية سنتين كاملتين ، قد ذهبت كلها أدراج الرياح . وقد تنقضى تلك الانتصارات المزعومة فى هذه الحرب الطاحنة دون أن تنوء على الأمة اليابانية ما تؤمله من الغنم. وذلك أن اليابانيين لم يرزقوا ذلك النوع من الدهاء السياسى الذى يمكنهم من حكم البلاد بغير العنف والإضرار ، مما لا بد منه لكل أمة تريد التوسع والاستعمار

وتدل الحالة فى فورموسا وكوريا ومانشوكو على أن الاستعمار اليابانى لم يكن إلا نوعاً من الحرب المتواصلة التى يشقى بها الحاكم والمحكوم ، وليس فيها أى دليل على الاستقرار والهدوء والتمكن من الاستيلاء على ناصية الأمور

ولعل الميول العسكرية التى ساقت الجيش إلى الانتصار بحكم الرغبة فى السيطرة والقوة، هى نفسها التى ذهبت بقيمة هذا الانتصار ، فإن حكم الجيش لتلك البلاد المقهورة هو الذى جعل اليابان عاجزة عن توطيد مركزها بها

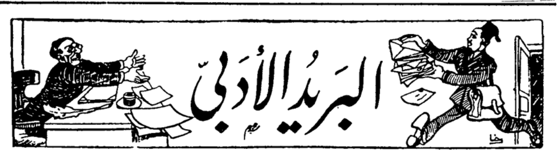
وقد أخذت اليابان تفكر تفكيراً جدّيًّا فى نبذ تلك الفكرة التى كانت ترمى إلى فتح الصين والاستيلاء على جميع أراضيها ، وتود لو أتيح لها أن تعقد اتفاقاً مع الصين على أن تحكم الأقاليم الساحلية وتترك لها داخلية البلاد . ولكن اتفاقاً كهذا ليس من شأنه أن يوطد دعائم السلام بين الأمتين . فهو فى الحقيقة سيكون بمثابة هدنة مؤقتة ، إذ أن المنطقة الحرة فى الصين ستعبئ كل قواها لإشعال نار الحرب من أجل الانتقام . وسوف تظل المؤامرات السياسية والأعمال السرية الخطيرة تقلق بال اليابان

وكل ما ترجوه اليابان الآن أن تستطيع استغلال الأقاليم التى استولت عليها جيوشها من الناحيتين الصناعية والاقتصادية ، فإذا استطاعت اليابان أن تصل إلى أغراضها ، وأمكنها أن تمد جيشها الذى يحتل تلك البلاد بما يرجوه من ثمرة انتصاره عليها ، لم يكن من الصعب عليها أن تنتهز الفرص للاستيلاء على مواطن أخرى ، أما إذا أعياها ذلك الأمر فإن الناحية الاقتصادية ولاشك ستصبح كارثة على اليابان . وقد ظهر أن المقدرة على الاستقرار وتسوية الأمور هى الشيء الذى ينقص اليابان فى جميع المحاولات التى قامت بها لبناء الإمبراطورية

مما لا شك فيه أن اليابان قد كسبت الحرب من الناحية الحربية . فقد استولت جيوشها بصفة نهائية على الشواطئ الصينية وامتلكت كثيراً من المدن الصينية الكبرى

إلا أن السلطة اليابانية ، ونفوذ حكومتها عليها لم يتعد المناطق التى تحميها بنادق الجيش . وما زالت اليابان تلاقى أشد الصعوبات فى البلاد التى تتوغل فيها داخل بلاد الصين . فالصينيون يقطعون عليهم خطوط المواصلات كلما تقدموا خطوة إلى الأمام ويهدمون البلدان ويفسدون الأطعمة وكل ما ادخرته تلك البلاد من الخيرات

ويقول الصينيون إنهم يضحون بالسكان لأجل الزمان ؛ ويحسبون الأيام ويمدون الزمن لإيقاع الهزيمة بهؤلاء المغيرين . فإذا فرضنا أن اليابان لم تهزم وقدرنا أن قوتها الحربية ستستمر على إخضاع تلك البلاد ، فليست اليابان بالأمة المؤهلة للاستعمار بالمعنى المفهوم عند الأمم الأوربية فهو كما يظهر شيء بعيد عن أخلاق اليابانيين



الجاو ، الورق النقدي سنة ٦٩٣

قال ابن الفوطي في كتابه (الحوادث الجامعة) :

« في سنة (٦٩٣) وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز (الجاو) وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم . وأمر الناس أن يتعاملوا به . وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع . فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر ، فاضطربت أحوالهم اضطراباً أضر بهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء ، وانقطعت المواد من كل نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت (الجاو) ويعطى الخباز والقصاب وغيرهما ويأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان . ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير (لكزى بن أرغون آقا) فلما بلغ ذلك أهلها استمدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز . فلما أنهى ذلك إلى السلطان (كيخاو) أمر بإبطاله ، فأبطل قبل وصول كيخاو إلى بغداد ، وكفى الله العالم شره »

***

فالناس — إذن — في القديم والحديث لا تمشي عندهم في شأن السكة La monnaie شيطنة دهاة شياطين[1] ولا حيل حكومات وسلاطين . فهم لا يعرفون إلا هذا الأصفر ، الأحمر الوازن[2]

أكرمْ به أصفر ، راقت صفرتهْ !
وحببت إلى الأنام غرته !
كأنما من القلوب نقرته[3] !

(١) كل عات من الجن والانس والدواب شيطان ، وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله (اللسان)
(٢) دينار وازن : تام
(٣) الحريري (النقرة) في الشرح الكبير للشريشي : النقرة إنما تستعمل من الفضة واستعمالها في الذهب لقرب ما بينهما ، وفي (اللسان) : النقرة من الذهب والفضة القطعة المذابة

وهم لا يؤمنون إلا إذا رأوه جهرة[1] ، أو استيقنت أنفسهم أيما استيقان بأنه يسبح لله في الخزائن من بنات الفولاذ في معقل قوي منيع كالذي شاده العلامة الأستاذ (محمد طلعت حرب باشا)

من همة المحكوم وهو مكبل بالقيد لا من همة الحكام
الله سخر للكنانة خازناً أخذ الأمان لها من الأعوام[2]

وأن ليست تلك (الورقة) ذات الخطوط والسمة إلا آية ، علامة لكبير ، لإمام لم ينب ، لا ، ولم يجهل مكانه ...

(*)

وفاة المستشرق فنسنك

يحزن الرسالة أن تنقل إلى قرائها خبر وفاة المستشرق ا . ى . فنسنك Wensinck ، توفاه الله منذ أسابيع بعد رحلة ساقته إلى مصر ، فأقام بها نحو شهر اجتمع فيه بكبار علمائنا وكتابنا ، حتى إذا قفل إلى « ليدن » في هولندة تخونته حمى خبيثة ثم واظبت فقلبت عليه حتى كان قضاء الله

المستشرق فنسنك علم من أعلام الاستشراق . وكان أستاذ اللغات السامية في جامعة ليدن ، وتوفر على دراسة أصول الدين الإسلامي فألف كتاباً نفيساً عنوانه « العقيدة الإسلامية » The Muslim Creed وأردفه بمقال نشره سنة ١٩٣٦ في مجلة تخرج في أمستردام ، عنوانه : « الأدلة على وجود الله في أصول

(١) في الكشاف : رآه جهرة أي عياناً وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها
(٢) شوقي ، وقبل هذا البيت :
شركانك الدنيا المريضة لم تنل إلا بطول رعاية وقيام
وقد قرأ أحد الأدباء في الجزء (٣٢٦) من الرسالة : (قالوا استقال طلعت حرب) فقال : الزيات إذا نثر ، مثل شوقي إذا شعر ، وتلك إرادة الله أن تستبد مصر في هذا العصر بإمارة الشعر وإمارة النثر ، ولا نبوغ لأحد ولا تعوق ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

الدين الإسلامى » وتجد وصف هذا المقال فى « مجلة الدراسات الإسلامية » باريس ١٩٣٥ ج ٤ ص ٢٣٦ . وكان فنسنك إلى جانب التعليم والتأليف ، يدير دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى ليدن : يوزع العمل ويراجع المقالات ويخرج الدائرة . وكان يعينه على هذا سعة اطلاعه على مسائل الإسلام وشؤون العرب ثم تضلعه من لغته الهولندية فالفرنسية والإنجليزية والألمانية فضلاً عن اللغات القديمة من ساميّة وغير ساميّة

بقى أن فضل فنسنك كان من وراء جمه لأحاديث الرسول . كان فنسنك رحمه الله الجامع المجتهد للحديث الصحيح ، وضع أول ما وضع « مفتاح كنوز السنة » الذى نقله الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى إلى العربية سنة ١٩٣٣ ، ولم يكن ذاك الكتاب سوى مدخل إلى سِفر أغزر مادة وأعم نفعاً . وقد أخذ السفر يخرج للناس منذ سنة ١٩٣٤ ، وهو معجم تفصيلى لمفردات الأحاديث المدونة فى الكتب الستة ومسند الدارى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، واسمه فى العربية « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » . وظلّ السفر الجليل يخرج للعلماء وهم به فرحون ، حتى جاء يوم قلّ فيه المال ، فسعى فنسنك فى تدارك الفشل . والذى نعلمه أن مسعاه فى مصر خاب ! والسِّفر لم يتم خروجه وإن كانت الجزازات كلها مهيأة للطبع (خرج ١١ جزءا)

إن فنسنك خدم الإسلام والعربية بكتابيه الخدمة التى لا يقدر قدرها ، وحسبه شهادة السيد محمد رشيد رضا فى الكتاب الأول قال : « فلو كان بيدى هو (يعنى الكتاب) أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر علىّ ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ... »

هذا ومما لا معدل عن ذكره أن ثائرة ثارت على المستشرق فنسنك يوم عُيّن عضواً من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى . والقصة مشهورة ، والثائرون أحياء

فى ذمّة الله من وقف حياته على العلم الحق وإمداد الباحثين وتقريب مصادر الإسلام إلى أهله . سيأتى يوم تهدأ فيه الأنفس فتراجع أعمال النافعين (ب)

فى منزل الدكتور طه حسين

تلقينا من صديقنا الأستاذ الكبير محمد عبد الواحد خلاف هذه الكلمة :

اطلعت على مقال للأستاذ زكى مبارك منشور فى العدد الأخير من الرسالة عن اجتماع مزعوم بمنزل حضرة الدكتور طه حسين بك حضره طائفة من الأدباء والعلماء ووردت فيه عبارات زعم كاتب المقال أنها صدرت عنى وعن بعض إخوانى كالأستاذ أحمد أمين والأستاذ العبادى والأستاذ عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى ، وهذا الاجتماع من نسيج خيال الكاتب ولا حقيقة له . . .

محمد عبد الواحد خلاف

حول ابن بطوطة وابن تيمية

أورد الأستاذ المحقق الدكتور عبد الوهاب عزام فى الرسالة الغراء (العدد ٣٢٢) فى مقالته « عودة إلى الشيخ الخالدى » قولاً لهذا الشيخ الجليل رأيته لا يتفق والحقيقة التاريخية وهو : « أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية »

قال الشيخ الخالدى ذلك فى معرض دحض رواية ابن بطوطة عن ابن تيمية ، وخلاصتها أن الرحالة المغربى حضر الإمام الحرّانى يعظ الناس فى المسجد بدمشق ويقول متكلماً فى نزول الله تعالى إلى السماء : « نزل كنز ولى هذا » ونزل ابن تيمية درجة من المنبر

إننى لا أريد أن أبحث فى مطابقة هذا القول المعزو إلى الشيخ الإمام لمذهبه واجتهاده وفلسفته الدينية كما يمكن استخلاصها من تآليفه ، ففى العلماء والفقهاء من هو أجدر منى بهذا البحث . وفى دمشق عالم فقيه هو أحد البقية الباقية من السلف الصالح الأستاذ الشيخ بهجة البيطار ، له باع طويل واختصاص فى كل ما له صلة بمذهب الإمام ابن تيمية نتمنى لو كتب فى هذه المسألة

ولكنى أودّ أن ألفت النظر إلى أمرين رئيسيين فى هذا الموضوع : الأول أن ابن بطوطة أدرك ابن تيمية ، والثانى : الشك فى صحة رواية ابن بطوطة

أما إدراك ابن بطوطة لابنَ تيمية فأمر يكاد لا يحتاج إلى دليل ، وحسبنا أن نعلم أن ابن بطوطة ولد سنة (٧٠٣) هـ وتوفى سنة (٧٧٩) هـ ، وأنه جاء إلى دمشق كما ذكر فى رحلته (طبع المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠ سنة ٧٢٦) هـ وهى السنة التى سجن فيها ابن تيمية سجنه الأخير فى القلعة إلى أن مات ، وكانت وفاته رحمه الله عام (٧٢٨) ثمان وعشرين وسبعمائة كما هو ثابت فى جميع تراجم ابن تيمية نذكر منها « العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية للامام أبى عبد الله محمد بن أحمد

ابن عبد الهادى » (مطبعة حجازى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ص ٣٦٩) وكما هو بارز حتى الآن منقوشاً على قبره خلف بناء الجامعة السورية فى مقبرة الصوفية المندرسة التى لم يبق منها غير ضريحه

أما الشك فى صحة رواية ابن بطوطة فصدره ما يأتى :

ذكر ابن بطوطة فى رحلته (الطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠) أنه وصل إلى دمشق « يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة » ، ثم سرد بعد ذلك (ص ٥٨) روايته التى نحن بصددها ، وأضاف : إن ملك الأمراء سيف الدين تنكيز كتب إلى السلطان الملك الناصر فى أمر ابن تيمية « بأمور منكرة » فورد أمر السلطان من القاهرة « بسجنه بالقلعة فسجن حتى مات » فى حين أن سائر الظان والمصادر ومنها « العقود الدرية » (ص ٣٢٩) و « دائرة المعارف » التى تعتمد بحقيقتها على تراجم وكتب متعددة تعين يوم الاثنين السادس من شعبان عام ستة وعشرين وسبعمائة ، تاريخاً لسجن الإمام تقى الدين للمرة الأخيرة التى مات فيها

ينتج مما تقدم أن ابن بطوطة ، إذ حطّ رحاله بالشرابشية (المدرسة المالكية) فى دمشق ، كان شيخ الإسلام رهن سجن القلعة يقضى أيامه ولياليه فى التأليف والعبادة

فلا بدّ لنا بعد هذا من الحكم بعدم صحة رواية الرحالة المغربى ما لم يثبت لدينا خطأ ابن عبد الهادى ، وسائر المؤرخين والمؤلفين (كابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات والصدق فى طبقاته ، وابن الوردى فى تاريخه) الذين استندت إلى أقوالهم دائرة المعارف الإسلامية ، وهذا بعيد عن المعقول

وخلاصة القول : أن ابن بطوطة قد أدرك ابن تيمية ، وإن لم يره ويسمعه .

« دمشق » محمد محسن البرازى

الى الدكتور زكى مبارك

١ — وجهتم أنظار المولعين بالمباحث الأدبية والتاريخية إلى درس ما بقى فى أذهان العرب من أساطير الأولين لعلهم يعرفون شيئاً من رسوم الوثنية العربية التى حاربها القرآن : طلبتم هذا فى معرض تدليلكم على أن وثنية العرب لم تكن (أرضية وضعية) . فأقول : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اللات والعزى ومناة وسواها أسماء لرجال صالحين كانوا فى زمن إبراهيم أو نوح عليهما السلام ؛ وأن العرب قد أقاموا لهم هذه التماثيل بعد مماتهم تدليلاً على ما يكنونه نحوهم من صادق الولاء وخالص الوفاء (أنظر تفسير النسفى — سورة النجم) . وفى رواية ثانية عن ابن عباس (أن اللات كان رجلاً يلت السويق للحاج . قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه . تفسير الخازن — سورة النجم) وتستطيعون إذا أردتم المزيد فى هذا البحث أن ترجعوا إلى كتاب « التوسل والوسيلة » تأليف ابن تيمية طبعة المنار

٢ — أوردتم فى تعليقكم على مادة (ابن الأحنف) من (دائرة المعارف الإسلامية) قصة ذكرتموها كذلك فى كتابكم (مدامع العشاق) مفادها أن العباس بن الأحنف مات هو وإبراهيم الموصلى والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد أوفد المأمون للصلاة عليهم ، فصفوا بين يديه ثم سأل عنهم المأمون واحداً واحداً وأمر بتقديم العباس فصلى عليه ، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى فقال : يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ فأنشده المأمون هذين البيتين :

سماك لى ناس وقالوا إنها ... لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إنى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال المأمون : أتحفظهما ؟ فقال : نعم . قال : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة ؟ فقال : بلى يا سيدى) اهـ والقصة ظاهرة الوضع فإن العباس بن الأحنف قد مات سنة ١٩٢ للهجرة والكسائى توفى سنة ١٨٩ وابراهيم الموصلى قضى سنة ١٨٨ فكيف يمكن أن يقال إنهم ماتوا فى يوم واحد ؟ قد يحتج الدكتور مبارك بأن هناك رواية تدعى أن الكسائى قد مات سنة ١٩٢ وهو العام الذى مات فيه العباس ، ولكن ما قوله فى ابراهيم الموصلى وقد أجمع الرواة على أن وفاته كانت سنة ١٨٨ ؟ وقد يحتج أيضاً بأنه قال عند إيراده القصة (ذكروا أن العباس والكسائى وابراهيم الخ) وأنه عقب عليها بقوله : (فإذا صحت هذه الرواية الخ) وأن هذا وذاك يفيدان تشككه فى صحة هذه الرواية ، ولكنه — إن قيل ذلك — شك فى إسناد الرواية إلى المأمون ، بيد أن الأسانيد التاريخية تدعونا لنبذ هذه القصة بكليتها على أنهم يروون أن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة مات والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد

صلى عليهما وبكى قائلاً (اليوم دفنت الفقه والنحو)

ما أجدرنا بأن نمحص هذه الروايات التي تزخر بها كتب الأدب تمحيصاً جدياً لنقدم الأدب العربي بعض ما يجب له علينا من خدمات ما كنا لنعترض على هذه القصة لولا أن ناقلها هو الدكتور زكي مبارك . (طرابلس) محمد علي عطاري

لطيفة

بيّنت في العدد ٣٢٥ من الرسالة كيف عاد أدهم إلى الإغارة على ما يكتبه الكتّاب في مصر . وقد وقفت القارئ على فرط إقدام المغير ، إذ دوّنت نصّ النقد الذي عملته لكتاب « فرعون الصغير » لصديقي محمود تيمور ونشرته في مقتطف أول يولية ثم نص النقد الذي عمله أدهم للكتاب نفسه ونشره في ١٤ أغسطس في الرسالة . وهكذا مكّنت القارئ من معارضة النصّين . وقد شرحت فوق هذا كيف استبدل المغير كلمة ألمانية romanische جاءت في نقده بكلمة فرنسية romanesque كانت قد وردت في نقدي ، وذلك رغبةً في التضليل ؛ فجاء الاستبدال خطأً من حيث مفاد الكلمتين ، فدلّ ذلك مرة أخرى على أن أدهم لا يعرف كيف يغير بل لا يفقه ما يكتب ؛ أو قل إن معرفته بالألمانية لا تزيد على معرفته بالفرنسية ، وقد بينت من قبل (الرسالة ٣١٤) رقة هذه . ولما طعن أدهم تلك الطعنة لم يرتجل في رده (الرسالة ٣٢٦) ما يحمل ذلك الخطأ صواباً، وأدهم على كل ارتجال قدير

طُعِنَ أدهم ففرّ يستغيث بشهادة صديقه الإسكندري صديق شيبوب — وهو الناقد الأدبي لصحيفة « البصير » — فقال إنه قرأ نقده عليه قبل أن يبعث به إلى الرسالة في ٢٧ يونية فتلقى الأستاذ شيبوب استغاثة صديقه باشمئزاز . ألا ترى كيف يفتتح شهادته (الرسالة ٣٢٧) : « أُقحم اسمي في الجدل القائم بين فلان وفلان » ، والفيروزابادي رحمه الله يخبرنا بأن « قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة وقحّمه وأقحمه ... » ، ولكن مثل أدهم يجهل التدبّر والاستئذان . وقد زاد الأستاذ شيبوب أنه « لا يذكر شيئاً » من نقد أدهم في كتاب فرعون الصغير ؛ وعلى هذا فشهادته لا تجدي على أدهم شيئاً ، إذ هي ساقطة كما يقال في لغة القضاء . ثم إن شيبوباً خرج من عهدة الشهادة بأن سأل صاحب الرسالة أن يخبرنا كيف أخر النشر لنقد أدهم شهراً ونصف شهر ، فاعتصم صاحب الرسالة بسر المهنة ؛ وهذا حقه . وقد قال أدهم في رده إن تأخير نشر نقده حتى ١٤ أغسطس على أنه مرسل به في ٢٧ يونية « راجع إلى تقديم بعض كلمات له أرسلها للرسالة (يريد أرسل بها إلى) وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها في وقتها » والواقع أن الرسالة لم تنشر شيئاً لأدهم في عدد ١٠ يولية (رقم ٣١٤) ولا في عدد ٢٤ يولية (رقم ٣١٦) وأما عدد ٣ يولية (رقم ٣١٣) فليس فيه لأدهم سوى كلمة في البريد الأدبي ، والرسالة نشرت لأدهم في آنٍ كلمةً في البريد الأدبي ومقالاً في باب النقد (راجع عدد ٣٢٦) . أضف إلى كل هذا أن مكانة الأستاذ تيمور عند صاحب الرسالة لا تسوغ مثل ذلك التأخير

وكيفما كانت الحال فإن الحكم بالسوابق كما يقال في لغة القضاء . ولأدهم غارات غير هذه : أغار على مراد فرج وزكي مبارك وعليّ (اطلب الرسالة ٣١٤ ص ١٣٨٠) وعلى من يعلم الله .

وإن قال قائل : لِمَ تُعنى بالغارات الأدهمية ولا ترحم . قلت : إنه ينبغي لنا أن ننصب الحرب للمغيرين ولا سيما المكابرين منهم ؛ وذلك أننا نريد أن نقيم للإنشاء بالعربية دولة . والإنشاء إذا رضي بالاستلهام فإنما يكره السطو والالتقاط ثم التهويل بهما وفي هذه « اللطيفة » الكفاية . ب . ف

لعله هو ...

في العدد (٣٢٥) من الرسالة الغراء وجّه الأستاذ « علي معمر الطرابلسي » كلمة تتحدث عن جماعة « الشراة » إلى (أستاذ جليل) وكاتب مبرز مبدع ، سباق غايات وصاحب آيات بينات ، ومديج بحاثات رائعات ، ينم قلمه المتيق الكريم عن رسوخ كعبه في الأدب ، وعلو مقامه بين الكتاب ، وكمال اتصاله بروح العربية ، ونفذ اطلاعه وإحاطته بفنونها وآدابها ، ومع ذلك فهو لا يتباهى بعلمه ، ولا يفاخر بأدبه ، ويرغب عن شهرة اسمه ، فتراه يخفي شخصيته وينتحل إمضاءه وما تخفى الشمس ولا يحجب ضوء النهار !

وقد قال الأستاذ الطرابلسي في نهاية كلمته يخاطب الأستاذ الجليل : « فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما

رغبت فى معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر ، مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ؟ »

وقد كنت ظننت بادئ الأمر أن (أستاذنا الجليل) سيسارع (فيضع عمامته) ويعلن اسمه ، كى يعرف أهل العربية قاطبة من هو (ابن جلا وطلاع الثنايا) ! ولكن الأيام مضت تترى والأستاذ الجليل لا يجيب وعهدنا به أنه المجيب لكل سائل ؛ وكأنه فى عالم سماوى حبيب إلى نفسه ، لا يود أن يغادره إلى عالم المتبجحين المتوقحين المدعين المظلمة والسبق بالباطل والزور والافتراء والادعاء ! وإنها الشمس تستحى أن تقول للنجوم وما حولها من كواكب : أنا الشمس ...!

وأنا أرجو — إذ أتقدم بمحاولة الإعلان عن هذه الشخصية الفذة — ألا أكون فضولياً على أحد الأستاذين السائل أو المسئول فإن بى رغبة جامحة إلى الإشادة بفضل تلك الذات العالية والشخصية النابغة : شخصية (الأستاذ الجليل) ، وأقرر أننى أصدر قولى هنا اعتماداً على الترجيح لا على اليقين وعلى ما استطعت أن أجده من المشابهة والتماثل بين ما كتب (الأستاذ الجليل) مذيلاً باسمه الحقيقى ، وما كتب مذيلاً بما انتحل من إمضاء

وسأكسب — مع الأستاذ الطرابلسى ومع القراء — معرفة الحقيقة سواء كنت موفقاً أم مخطئاً ؛ لأننى إذا وفقت فيها ، وإلا فسيسارع (الأستاذ الجليل) أو بعض صحابته بتصحيح الخطأ — فذلك فريضة إسلامية ، و (الأستاذ الجليل) من أصدق المجاهدين للاسلام ، وعلى ذلك فحتماً سنعرف !

إننى أرجح اعتماداً على ما قدمت أن ما ينشر فى الرسالة المحبوبة بإمضاء « *** » أو « ﻫ » أو « القارئ » هو لحضرة صاحب العزة « أديب العربيـة الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد إسعاف النشاشيبى بك » صاحب « نقل الأديب » و « الإسلام الصحيح » وغيرهما من الكتب الخالدة والمقالات العبقرية الفريدة وكل خاف سيعلم !

وأذكر الأستاذ الطرابلسى بقول القائل : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود ! » .

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

المصطلحات العسكرية وترجمتها الى اللغة العربية

قررت وزارة الدفاع إجراء مسابقة فى ترجمة المصطلحات العسكرية الخاصة بالأقسام الميكانيكية والسيارات وغيرها إلى اللغة العربية . ويبلغ عدد الكلمات التى يراد ترجمتها حوالى خمسة عشر ألف كلمة .

وسيمنح الفائز فى ترجمة هذه المصطلحات مكافأة مالية

تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعاً يرمى إلى تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة اللاسلكية وذلك بتنظيم محاضرات دينية واجتماعية وقصصية تتناول شؤون الأسرة وتعالج أمراض المجتمع وتقوم أخلاق الشعب على أن تذاع إلى جانبها أناشيد وأغان وموسيقى تعاون على تقريب المعانى الإصلاحية التى ترمى إليها الوزارة — من أذهان الشعب وتساعد على رفع مستوى تفكيره

وقد استقر الرأى على افتتاح موسم هذه الإذاعة فى شهر رمضان

ويقال أن الوزارة تقوم الآن باختيار المحاضرين والمحاضرات من بين المشتغلين بمسائل الاصلاح الاجتماعى

حول قصيدة

سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة :

بعد التحية قرأت بالعدد (٣٢٧) من الرسالة الغراء الصادر فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ قصيدة رائعة للشاعر المعروف محمود الخفيف عنوانها « وداع » وقد أعجبت بتصويره أيما إعجاب ولكننى عند ما قرأت

إذا هم لا يستجيب اللسان   وما عىٌ فى موقف قبله
وماذا عسى أن يقول   وهل تنأمى فتصغى له

عند ما قرأت هذين البيتين لاحظت أن الثانى مكسور فقدرت أن كلمة قد سقطت فى الطبع ولعل الأستاذ الشاعر كان يريد أن يقول :

وماذا عسى أن يقول وهل   تنأمى لقول فتصغى له

أرجو أن يتفضل سيدى الأستاذ فيدلى إلىّ برأيه وأكون له شاكراً

(بنى مزار) يوسف منين

(الرسالة) صحة البيت هكذا :

وماذا عسى أن يقول لها وهل تتأسى فتصغى له

وقد سقطت كلة « لها » فى الطبع

رجاء الى الكتاب

لاحظت فى أكثر المقالات المنشورة فى الرسالة أن الكاتب عند ما يريد أن يشير إلى كلة أو جملة تحتاج إلى إيضاح أكثر يشير إليها بالرقم ١ ، ٢ ، ٣ إلى آخره كما هو متبع عادة ويكتب لذلك مفسراً يقول : « اقرأ صفحة كذا من كتاب مختصرات طبقات الحنابلة » أو « راجع أخبارهم من كتابى سيناء القديم وتاريخ بئر السبع وقبائلها إلى غير ذلك . . . » وهذا مثل لما جاء بالعدد الأخير فقط . ومثل ذلك فى الأعداد الماضية وإنى أرى أن يكلف الكاتب نفسه ولو بكتابة كلة أو اثنتين أو سطر أو سطرين وإن اضطره الحال فليكتب جملة أو جملتين كما نرى فى كثير من المقالات لأن من قراء الرسالة كثيرين من الطلبة والموظفين لا يجمعون من تلك الكتب التى يشير إليها كاتب المقال كتاباً واحداً . . . والكاتب بطبيعته يطلع على ذلك الكتاب الذى يشير إليه وهذا ظاهر من تحديده صفحة الكتاب ورقم السطر فما كان يضيره لو كتب ما يريده من القارئ أن يطلع عليه ولو موجزاً ؟ . . .

احمد حلمى العباسى

جريدة الشورى

سألنا بعض القراء عن جريدة الشورى التى كان يصدرها صديقنا الأستاذ محمد على الطاهر باسم الشباب ثم باسم العلم ولماذا لا تصدر الآن ؟ ونحن نجيب على ذلك بأن الزميلة توقفت عن الصدور بسبب الأحوال الحاضرة وسيعيد الأستاذ الطاهر إصدار جريدته بعد الحرب إن شاء الله



تحت راية الاسلام

لفاضل مسيحى

بقلم الأستاذ عز الدين التنوخى

« تحت راية الإسلام » : كتاب جديد يبحث عن سيرة النبي العربي وحقيقة الإسلام ، ويدرأ عنهما شبهات المبشرين ومفتريات المستشرقين ألفه الأستاذ خليل جمعة الطوال[1] العربي المسيحى الكاثوليكي ، من أدباء شرق الأردن أو مشارف الشام ؛ ولو كان المؤلف عربياً وأرثوذكسياً لخف العجب ، ولكنه يؤلف « تحت راية الإسلام » وهو كاثوليكي وبابوي صميم !

وكثيراً ما كنت أجادل بعض إخواني من دعاة الجامعتين العربية والإسلامية ، وأكثر من الاحتجاج لرأيي القائل بأنه لا فرق بين العربي الأرثوذكسي وأخيه الكاثوليكي إذا ما بُثت فيهما روح العروبة منذ الصبى ، لا فرق بهذا الشرط بينهما في الإخلاص لدين العروبة ، وبالتالى للأمة العربية ودولها العربية

ولولا مدارس التبشير الأجنبية ، وما تبثه في بلادنا الشامية من روح التعصب ، وما تنشره في صفوف المدارس من الدعايات السياسية المسمومة ، لولا ذلك لكانت لعمرى روح شباب الشام واحدة ، على الرغم من اختلاف الأديان ، ولما كان للأقليات نواب في مجلسنا النيابي ، ولما وجد المستعمرون مطايا لهم في بلادنا العربية . ولو كانت الروح القومية واحدة لرأينا العربي المسلم يدرس إلى جانب العربي الأرثوذكسي والكاثوليكي على مقعد واحد في مدرسة واحدة .

ومن دعاة الجامعة الإسلامية من يوجس في نفسه شراً من الجامعة العربية ، وكأنه يحسب أن الإفراط في الارتباط بالقومية ، والمبالغة في التمسك بحبل العروبة مما يحل عقدة العقيدة ، ويوهن عصب الجامعة الإسلامية ، ومن دعاة الجامعة العربية من يخال أن الجامعتين متضادتان ، وأنه قلما اجتمعت الوطنية الصحيحة والقومية الصادقة في أحد من دعاة الجامعة الإسلامية ، وكلا الفريقين غالٍ في رأيه ، مخطئٌ في حكمه : ذلك لأن العربي المسلم قد يشاطر اليابانى والهندى المسلم عقيدته وعاطفته وهيامه بالمثل الإسلامى الأعلى ، ويحب لهم من الخير والاستقلال وبلوغ الكمال ما يحب لنفسه ؛ ولكن حبه الخير لأخيه في الإيمان لا ينافى حبه الخير والسعادة لأخيه في الأوطان .

ولا ضرر على الإسلام ولا ضرار في انتشار دين العروبة في البلدان العربية ، فكثيراً ما عرفت بين نصارى العرب أو عرب النصارى من شبان يدينون بدين العروبة ، ويجاهدون في سبيلها حق الجهاد ، ومنهم من هو أكثر خيراً للعروبة وأقل ضرراً للاسلام من بعض ملاحدة المسلمين .

ذلك لأن منهم من كانت عروبته الصادقة تحطم قيود عقيدته التقليدية ، وتحمله على درس القرآن وسيرة النبي العربي ، فيجلو بدرسه الحر وبحثه المستقل ما ران على قلبه من أضاليل المستشرقين ودعايات المبشرين .

ولو سردت أسماء إخواني في العروبة في لبنان وفلسطين والشام والعراق ومصر وأمريكة وعرضت لذكر آرائهم لضاق بي نطاق البحث ، وحسبي أن أذكر من هؤلاء الأدباء النجباء في أرومتهم والصرحاء في عروبتهم الأستاذ خليل جمعه الطوال مؤلف « تحت راية الإسلام[1] »

لقد عرفت قبل اليوم هذا المؤلف معرفة روحية بقراءة ما كان يكتبه في مجلة الرسالة من الأبحاث الدقيقة الممتعة ، وعرفته في الفيحاء اليوم عربياً مشهوداً له في بلاده بصدق النسب العربي ، والاعتزاز بالنبي العربي ، الذى أحيا أمته وجمع بعد تفرق شملها ، وشفاها من أمراض الجاهلية المضلة ، وأخرجها

(١) ولا يجهل قراء الرسالة المؤلف لأنه من الذين يؤثرونها بالكتابة فيها

(١) من أمثال الأستاذ خليل اسكندر قبرصى القدسى مؤلف « دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الاسلام »

من القبلية الضيقة النطاق ، إلى الشعبية الفسيحة الآفاق ، فجعلها أمة واحدة تحمل بيمناها كتاب القرآن ، وبيسراها كتاب علوم الأكوان ، فهدت بالأول الأمم إلى مسمى الإنسانية ، واهتدت بالثاني في معترك حياتها الدنيوية ، ففازت بالإسلام بسعادة الدارين معاً

استمع لما توحيه إليك كلمة المؤلف في مطلع كتابه إذ يقول : « لقد نشأت بتأثير تربيتي المسيحية الكاثوليكية نفوراً من الإسلام كارهاً له ولأهله ، لا أقر له بحسنة ، ولا أبرئه من سيئة ، وغاية ما كنت أعرفه عنه أنه شريعة فاسدة تنطوي على عيوب كثيرة ، أقامها جماعة من الغزاة المحبين لسفك الدماء والنهب والسلب ، ثم اعتنقتها شعوب بدائية وأمم بربرية لاحظ لها من الثقافة والمدنية . ولست أرى عليّ الآن أيّ لوم في تلك الصورة الملفقة المشوهة التي كنت أحملها عن الإسلام ، لأني لم أكونها لنفسي بنفسي ، ولا بنيتها على ما قد انتهى إليه اجتهادي في دراسة حقيقة الإسلام ، أو اقتنعت به بعد إنعام النظر وإعمال الفكر في كتابه ، ولكني ورثتها منذ حداثتي وراثة تقليدية ... »

ورأى صديقاً له مسلماً يبتاع نسخة من التوراة والإنجيل ليدرسهما قائلاً له : « من الناس من يكره شيئاً ويحب آخر دون أن يكون له في كلا الحالين أمر أو رأي ، ولكنه مقيد في جميع سلوكه بمألوف عادات بيئته وتقاليدها ، ويسرني أنني لست من ذلك الطراز ، ولذلك اشتريت هذه الكتب لأقبل ما فيها أو أرفضه عن فهم واقتناع لا عن جهل وتعصب »

ورأى أن حالة صديقه المسلم تنطبق عليه ، وأن كلمته هذه الحرة جدير به أن يقول مثلها إن كان منصفاً وعاقلاً حراً . قال المؤلف : « ثم نظرت فإذا بي أكره أخي العربي المسلم وأنفر منه وأتحاشاه لا لعلة إلا لما كان من إسلامه الذي كنت أشعر بكراهته قد خالطت لحمي ودمي ، إلا أنني على كل حال لا أكاد أعرف عنه إلا اسمه ، فعزمت لذلك على دراسته أملاً أن أقف على صحته أو فساده

« وفي ذات يوم عرجت على إحدى المكاتب العربية وابتعت منها نسخة من القرآن العربي المبين ، وأخرى من سيرة ابن هشام فطواها البائع لي في رزمة ، وتسللت من عنده كاللص ، واضعاً إياها بين ملابسي ، وحريصاً كل الحرص على ألا يطلع عليها أحد من أقاربي وأهلي ، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية كانت سوى ذلك تحرم على المسيحيين مطالعة جميع الكتب الدينية غير الكاثوليكية ولو كانت مسيحية ، فكيف الكتب الإسلامية ؟! »

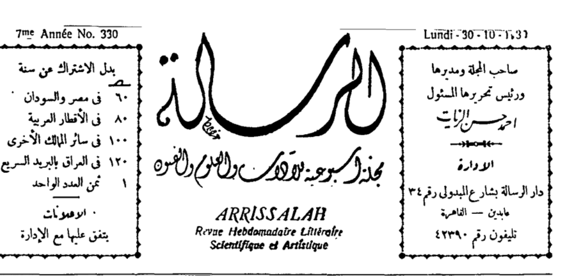
تلا المؤلف القرآن باستقلال فكر وإنعام نظر ، وقرأ معه سيرة ابن هشام فرأى ما رأى من شبهات غير المحققين من المبشرين وشاهد ما شاهد من مفتريات غير المحقين من المستشرقين ، فكان كما قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « من عرف الحق عزّ عليه أن يراه مهضوما » ، ولذلك انتبه من رقدته منتصراً لمحمد فخر أمته ، وللحق يراه مهضوماً ، وللعدل يبصره مظلوماً ، فألف كتابه هذا « تحت راية الإسلام »

على أنه ينتظر لمثله أن يؤذى ويظلم في حرية تفكيره فقد قال المسيحيون(1) عنه : «زنديق مارق عن الدين وكافر يجب حرمانه» وأجاب المسلمون : «بل هو دجّال متملّق يقول هذا لغرض يريده حتى إذا ظفر به انقلب على عقبيه » ، ولقد ظلم كثيراً من المسيحيين والمسلمين بقوله هذا ، لأن المسيحيّ العاقل الفاضل يعذره ، ولا يكفره ، إذ لا يجتمع عقل سليم وتعصب ذميم ، والفضل يحول بين المرء والعدوان في كل زمان ومكان ؛ وأما المسلم الذي يعرف ما لقيه المؤلف في سبيل عقيدته الحرة من ضروب الأذى ، فإنه لا يقول لمثل خليل جمعة الطوال متملق دجال !

إن دين الله السماويّ واحد ، وكالقطر حين ينزل من السماء واحد ، وتحليله الكيميائي واحد ، وإنما تباعدت النصرانية الحاضرة عن الإسلام بكثرة ما دخلها من الزيادات الكنسية ، كماء السماء ينزل صافياً نقياً ، وكلما ازداد اتصالاً بالأرض وجرياناً عليها قل صفاؤه بمقدار ذلك وبقاؤه ، والمؤلف مع اعتقاده بمحاسن الإسلام وصدق دعوته العامة لا يزال يعتقد بالنصرانية الأولى ولا يرى تنافيا في الدعوتين ، لأن الإسلام كما قال السيد جمال الدين الأفغاني : نصرانية وزيادة ، ولذلك يقول في كتابه (تحت راية الإسلام) ما نصه : « إن اعتقادي الصحة في معتقدي لا يمنعني ألبتة من أن أعتقدها في مذهب غيري » ، ويقول في موطن آخر معترفاً بأن محمداً لم يرسل إلا رحمة للعالمين : فبه اهتدت السفينة الضالة وكملت البشرية الناقصة ، وعزت الإنسانية المهينة ، فمن لم يحبه عن طريق الدين الذي أظهره ، أحبه عن طريق الدنيا التي طهرها ، ومن لم يمجده عن طريق الإسلام الذي رفع مناره مجّده عن طريق العنصر العربي المجيد الذي أعز مكانه ورفع قدره وأعلى كلمته ... » ، فالأستاذ خليل جمعة الطوال الذي شرح الله للاسلام صدره لا يزال في يوم الناس هذا ممن يكتم إيمانه ، وإن صدّق بنبيّه العربي محمد وأحبّ قرآنه ، ودون للناس في كتابه حسنَ دعوته وإحسانه

« دمشق » عز الدين التنوخي

(1) ما بين الأقواس من كلام المؤلف .



7me Année No. 330

Lundi - 30 - 10 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

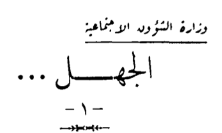
الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس



وزارة الشؤون الاجتماعية

الجهـــــل ...

— ١ —

ذلك هو العنوان الأول من العناوين الثلاثة التى اقترحنا فى العدد الماضى من الرسالة أن يتألف منها الدستور الإصلاحى لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وهى الجهـل والفقر والمرض . والجهل كما يظهر لأدنى نظر هو علة العلل فى اضطراب الأسرة ، وانحطاط البيئة ، وفساد المجتمع ، وأَفْن الرأى العام . فإذا وُفقت هذه الوزارة بالفعل إلى أن تمحو الأمية وتنسخ الجهالة فقد تيسر لها أن تقول فتُفهَم ، وتَكتبَ فتُقرأ ، وتشير فتُتَّبع ؛ وإذن يخف عنها عبء الإصلاح باعتماد كل امرئ على نفسه فى تدبير عيشه من طريق الـكفاية فلا يكون فقر ، وفى علاج بدنه من طريق الوقاية فلا يكون مرض ، وفى تهذيب خلقه من طريق الدراية فلا يكون شر . ذلك إلى أن الشعب متى أدرك القدْرَ المشترك من المعرفة قوى عقله فيعمل عمله بروية ، ونضج رأيه فينتخب نائبه بحرية ؛ وبروية المزية تثمر فروع الإنتاج ، وبحرية الرأى تثبت أصول الديمقراطية

ولـكن كيف نكلف وزارة الشؤون الاجتماعية أن تسام فى نشر المعرفة وهناك على مدى قريب منها وزارة المعارف بميزانيتها

الضخمة وجامعتها الفخمة ومدارسها المختلفة الدرجات والغايات، ورجالها المتعددى الألقاب والشهادات؟ فهل يسوغ فى العقل أن تترك هذه الوزارة الفنية الفنية فى مصر بعد قرن ونيف من لا يعرف حروف الهجاء، ولا يدرى أفى الأموات هو أم فى الأحياء؟

الواقع الذى يحار فى تعليله الذهن الفلسفى أن التعليم الحكومى والأهلى، والدينى والمدنى، والوطنى والأجنبى، لم يستطع أن ينفى الأمية فى مصر – وهى ملتقى بحرين ومجتمع ثلاث قارات – إلا عن ٢٥ ٪ من الذكور و ٨ ٪ من الإناث. ونفى الأمية لا يثبت العلم؛ ولكنى أسلم بأن هؤلاء تميزوا عن نظرائهم أولئك بإدراك الحياة الإنسانية على نحو معقول. فإلى من نكل تعليم البقية وهى سواد الأمة وعماد الدولة وعدة الإنتاج؟ إن تثقيف وزارة المعارف لا يشمل كل الصغار لأن قانون التعليم الإجبارى لم يُشرع، ولا يقبل كل الكبار لأن قانون التربية لا يجيز؛ فلا يبقى إذن للذين أفلتوا من القيد أو شبوا عن الطوق إلا وزارة الشؤون الاجتماعية؛ فهى وحدها التى تستطيع أن تعلِّم الزراع والصناع والعمال والخدام والباعة من كل سن وفى كل مكان وعلى أى حالة

* * *

أما كيف يتهيأ لوزارتنا الجديدة بلوغ هذه الخطة فسبيله القصد إنشاء المدارس الشعبية الليلية فى معاهد المدن ومساجد القرى، وحشد العامة إليها عن طريق الإغراء المادى والإكراه غير المباشر، كأن يُفرضَ للمنتهين والمتفوقين جوائز مالية، وأن يُشرطَ على طلاب الرخص للسعى أو للخدمة أن يلموا بالقراءة والكتابة؛ ولسنا بصدد التفصيل فذلك عمل له وقته وله أهله

هذه المعاهد الليلية المبثوثة فى أرجاء الوادى وأعطافه وأريافه ستكون – فضلاً عن عملها الثقافى – أداة مضمونة لنشر الاصلاح الاجتماعى فى جهاته المتشعبة وغاياته المتعددة، فإن الوزارة تستطيع أن تجعل من كل فرد يتعلم فيها بوقاً رافعاً لأصوات وعاظها ومرشديها الذين يساعدون بالمحاضرة فيها على تقوية المدارك وتهذيب العادات وتنظيم المعيشة وتدبير الصحة. وسيكون كل معهد من هذه المعاهد الشعبية وحدة اجتماعية يتفرق عنها الضوء والحرارة فى كل بيئة وفى كل أسرة فإذا قامت الوزارة بذلك ثم حملت وزارة الدفاع على أن تعلم الجيش المرابط والجيش العامل فقد ظفرنا بقتل الأمية فى قليل من الزمن بيسير من النفقة. وإذا قتلنا الأمية فقد أحيينا فى الشعب خمود الحس وموات الضمير ومعنى الواجب

ستقول الوزارة من أين لى المال وقد ولدتنى الضرورة لأعيش على ما طفح من رجال الدواوين وما فضل من مال الوزارات؟ وجوابنا أن الوزارة التى لا تقوم على المال، لا تنتج غير الأقوال. وربما كان ذلك علة ما نرى من نزوع هذه الوزارة فى سياستها الإصلاحية إلى الوسائل الكلامية حتى حدثتها نفسها أن تنشئ لها مجلة خاصة بها تملأها بالمقالات والمناقشات والقصائد والحكم والأمثال لتكون كمجلة (التعاون) و (زميل الفلاح) و (المجلة الزراعية) و (الصناعة والتجارة) آلةً شرهة لاستهلاك الورق والحبر فى غير رحمة ولا جدوى!

يا معالى الوزير، إن فن الإنشاء مستقيم فلا يحتاج إلى إصلاح، وإن سيل الكلام دافق فلا يفتقر إلى رفد، وإن ميادين العاصمة مكتظة بالمجلات فلا تتسع إلى زيادة، وإن ما عندكم من مذخور البلاغة لا يختلف عما عند الناس. فلماذا نؤثر النظر على العمل ونبذر الجهد والمال والوقت فى استثمار الصفصاف واستيلاد العقيم؟ إن الذين يستطيعون أن يقرأوا المجلة المتيدة هم بثقافتهم مستغنون عنها، والذين يهمكم أن يقرأوها لا يستطيعون لأميتهم أن يستفيدوا منها. فأعدوا القارئ قبل أن تعدوا المجلة؛ وإعداد القارئ هو الميدان الأول لجهاد الوزارة؛ فإذا انتصرت فيه فقد ضمنت النصر المؤزر فى سائر الميادين

على أن تثقيف الشعب من طريق التعليم فى هذه المدارس الشعبية لا يكلف الحكومة أكثر مما تكلفها الفرقة القومية أو مجمع فؤاد للغة العربية، والخير الذى تصيبه الأمة من وراء هذه الكتاتيب المتواضعة لا يجوز أن يوازن به عمل لا يزال صلاحه فى ذاته أمراً مشكوكاً فيه!

* * *

هذا بعض ما يدخل تحت عنوان (الجهل) أجملناه فى هذه الأسطر لتمضى الوزارة فى سبيل التفكير فيه، وفى ظننا أنها ستجد فى طوايا بحثه أبواباً للعمل وسبلاً للإصلاح تغنيها عن المشروعات المبتَسرة التى تلقفها من المجالس، والموضوعات المرتجلة التى تأخذها عن الصحف

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ٢٠ —

من كلام الحكماء : « نعوذ بالله من الحديث المعاد »

وإنما استعاذ الحكماء من الحديث المعاد لأنه شاهدٌ على انعدام القدرة على الابتكار والابتداع واَلخلْق والإنشاء ، ولأنه يدل على استهانة المتكلم بأقدار من يخاطب من الرجال ، ولأنه يشهد بأن صاحبه قد لا يَعنى ما يقول

وصديقنا القديم الأستاذ أحمد أمين موكَّلٌ بالحديث المعاد ينقله من بلد إلى بلد ومن جيل إلى جيل ، وقد صحت فيه كلمة أحد النقاد القدماء فى سعيد بن حميد :

« لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقى معه شيء »

وكذلك نقول فى كلام أحمد أمين : فلو دعونا مقالاته ومؤلفاته بالرجوع إلى أهلها لما بقى معه شيء !

وما ظنُّكم برجل يتوهم أن القراء فى الأقطار العربية هم جميعاً أبناء الأمس ، وما فيهم قارئٌ واحد سمع من أخبار الأدب والمجتمع غير ما يتحدث به أحمد أمين ؟

وإليكم هذا الشاهد :

كان المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك ألقى محاضرة منذ خمس وعشرين سنة عن تطور المجتمع المصرى ، وقد نص فى تلك المحاضرة على الخطأ الذى ارتكبته مصر حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين : شعبة دينية وشعبة مدنية ، وقال : إن هذا يعرِّض مصر لشهود الصراع بين طائفتين تختلف عقلياتهم أشد الاختلاف

وقد سمعتُ هذه المحاضرة وسمعها الأستاذ أحمد أمين ، فهل تعرفون ما الذى وقع ؟

وقع أن الأستاذ أحمد أمين فهم أن الشيخ الخضرى مات منذ أكثر من عشر سنين ، وأن الذين سمعوا تلك المحاضرة منذ خمس وعشرين سنة قد أنستهم الأيام ما كان فى تلك المحاضرة من آراء

وكذلك أعد القلم والدواة والقرطاس ليحدث قراء (الثقافة) بأن مصر ارتكبت جرماً فظيعاً حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين : شعبة دينية وشعبة مدنية ، وأن هذا عرَّض المجتمع المصرى لشهود الصراع بين طائفتين تختلف عقلياتهم أشد الاختلاف

وكيف قال هذا الكلام ؟ قاله وهو يوهم القراء أنه من المبتكرات فى عالم الاجتماع !

ولم يكن الشيخ الخضرى أول من قال ذلك الكلام الذى سرقه أحمد أمين ، فقد تنبه المغفور له على باشا مبارك إلى هذه الفكرة منذ أكثر من سبعين سنة ، وعلى أساس هذه الفكرة أنشأ مدرسة دار العلوم ليخلق جيلاً يجمع بين الصبغة الدينية والمدنية ويكون أساساً للتطور المعقول

وهذه الفكرة عرض لها الكتّاب بالنقد والشرح مرات كثيرة فى مدى أعوام طوال ، وفصلها المنفلوطى فى (النظرات) بعض التفصيل ، وإن كان ساقها فى مساق آخر هو التناحر بين الأخياف من أبناء الثقافة الدنية

من حق أحمد أمين أن يلخص كلام من سبقوه ليطلع عليه شبان هذا الجيل

ولكن هل راعى الأمانة العلمية وهو أستاذ مسئول ؟

هل رجع كل كلام إلى قائله كما يصنع أساتذة الجامعات ؟

لم يصنع شيئاً من ذلك ، وإنما انتهب ما انتهب ، ثم واجه القراء وهو مزهوٌّ مختال ، كأنه صار بالفعل من أهل الابتكار فى الميادين الأدبية والاجتماعية !

* * *

قد يقال : وأين هذا الكلام من الموضوع الأصيل ؟

وأجيب بأنى أريد أن أبين أن أغلاط أحمد أمين لم تكن أغلاط الرجل المجتهد ، وإنما هى أغلاط منهوبة مسروقة ليس فيها من جديد غير رقشها بحبر جديد فى ورق جديد !

وإليكم يساق الحديث

لبس أحمد أمين ثوب الفكر المبتكر وقال : إن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى حين فرض عليه ما عرف الجاهليون من ألفاظ وأخيلة وتعابير وقواف وأوزان

وهذه الفكرة خطأ فى خطأ ، وهو نقلها عن بعض الكتاب الذى تكلموا فى النقد الأدبى بلا زاد من المعارف الأدبية ، وبلا سناد من فهم التطور الذى شهده العرب فى ميدان الحقائق الأدبية

وآفة الأدب فى مصر وفى غير مصر أنه معرض فى كل وقت لغارة الأدعياء ، فكل مخلوق يتوهم أن من حقه أن يقرأ الشعر والنثر قراءة الخبير بأسرار الدقائق الشعرية والنثرية ، وأن يوازن بين الشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين بعد أن تتيح له المقادير أن يفرق بين المنظوم والمنثور ، وبين الخطاب والكِتاب ، وبين الألف والباء !

وهل كان من الصحيح أن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى فى العصور الإسلامية ؟

إن العرب تحللوا من قيود الأدب الجاهلى منذ أول يوم توجهوا فيه إلى الاتصال بغيرهم من الممالك والشعوب

ويقول المبتدئون فى الأدب إن أبا نواس كان أول من ثار على التقاليد الجاهلية ، وهذا غير صحيح ، وإن صار من الحقائق المقررة عند بعض أساتذة كلية الآداب

والصحيح أن الثورة على التقاليد الجاهلية فى الأشعار والرسائل سبقت عهد أبى نواس بزمن بعيد . ولهذه الثورة شواهد فى العصر الأموى سنسوقها حين نجد ما يوجب ذلك ، أو حين ينطق الأستاذ أحمد أمين الذى خرج بالصمت عن لا ونعم ، والذى نزل بالبرج العاجىّ ضيفاً على الأستاذ توفيق الحكيم

قلت لكم غير مرة إن أحمد أمين قليل الاطلاع على تاريخ الأدب العربى ، فلو كان من المطلعين لعرف أن العرب بعد الإسلام أعلنوا ثورتهم على التقاليد الجاهلية ، وصرحوا بأن الأدب يتأثر بالزمان والمكان ، وأن أخيلة سكان الحواضر يجب أن تختلف عن أخيلة سكان البوادى ، وأن من يعيش فى مصر له أذواق تخالف أذواق من يعيش فى الحجاز أو العراق أو الشام أو المغرب أو فارس أو الهند

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن من العرب فى القرن الثالث من صرّح بأحكام يعجز عن التصريح بها من يعيشون فى هذه الأيام

هل تصدّقون بأن من كتّاب القرن الثالث من قال بأنه لا يجوز أن نحاكى القرآن فى جميع التعابير ؟

وهل فى الدنيا جرأة أعظم من جرأة الرجل المسلم حين يقول فى زمن شباب الإسلام بوجوب التحرر من بعض أساليب القرآن ؟

وهل يجوز القول بأن من جاز عندهم الخروج على الأساليب القرآنية تصعُب عليهم الثورة على التقاليد الجاهلية ؟

أنظروا كيف يقول ابن المدبر فى « الرسالة العذراء » :

« واعلم أنه لا يجوز فى الرسائل ما أتى فى آى القرآن من الإيصال والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعامّ ، والعامّ بالخاصّ ، لأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء فهموا عنه جلّ ثناؤه أمرَه ونهيَه . والرسائل إنما يُخاطَبُ بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب. وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ، فإنه إن ذهب على مثل قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) وقوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) احتاج أن يبين أن معناه (إسأل أهل القرية وأهل العير) و (بل مكركم بالليل والنهار) ومثله فى القرآن كثير »(1)

فما معنى هذا الكلام ؟

معناه أن العرب فهموا أن القرآن وهو عندهم تنزيل من حكيم حميد راعى عقلية العصر الذى نزل فيه فخاطب الناس بما يفهمون ، وأنه حين يتغير الناس بتغير الزمان لا يجب أن نخاطبهم بالأسلوب الذى استجازه القرآن ، لأنه نزل على قوم يدركون الحذف والإيصال ومخاطبة الخاصّ بالعامّ ، والعامّ بالخاصّ

فهل يعقل أن يكون الأدب الجاهلى أقدس عندهم من القرآن ؟

وهل يجوز اتهام العقلية العربية بالجمود والخمود لتصح أوهام أحمد أمين ؟

أنا أتحدى أى باحث أن يثبت أن العرب لم يدركوا ما يوجبه اختلاف الزمان والمكان فى تلوين الصور والأفكار والأساليب

أتحدى أى باحث أن يقيم الدليل على أن العرب التزموا محاكاة التعابير القرآنية والنبوية

وكيف فات أحمد أمين أن العرب لم يلتزموا وحدة الوزن والقافية على نحو ما التزم الجاهليون ؟

ألم تصل إليه أخبار التجديد والتنويع فى القوافى والأوزان عند أهل المشرق وأهل المغرب ؟

ألم تصل إليه أخبار الموشحات والأزجال ؟

(1) الرسالة العذراء ص ١٨ طبعة زكى مبارك

ألم يسمع بما دخل في الشعر العربي من الأخيلة الفارسية والمصرية والأندلسية ؟

ألم يحدثه أحد بأن الذوق الأدبي عند مهيار الديلمي يخالف الذوق الأدبي عند الشريف الرضي ؟

ألم يعلم بأن عمارة اليمني له مذاهب في القول تخالف مذاهب ابن حمديس ؟

ألم يقرأ ما كتب أبو الحسن الجرجاني في اختلاف الأذواق باختلاف الوجوه والطباع ؟

ألم تحدثه كتب الفقه بأن الشافعي تغيرت حاسته التشريعية بالتردد بين الحجاز ومصر والعراق ؟

ألم يسمع بأن علماء البلاغة في مصر لهم مسالك تخالف مسالك أمثالهم في فارس ؟

ألم يصل إليه القول بأن كتاب الإحياء له ألوان مختلفات بسبب تنقل المؤلف من أرض إلى أرض ؟

ألم يشهد تطور الأسلوب عند ابن عربي في الفتوحات المكية بسبب اختلاف موطن التأليف ؟

ألم يعرف بأن شعراء اليتيمة تختلف أذواقهم باختلاف البلاد ؟

ألم يدرك أن أشعار البهازهير لها مذاق غير مذاق أشعار ابن زيدون ؟ ألم يلمس الخشونة والنعومة في تردد ابن الجهم بين البادية وبغداد ؟

وهل بقي أحمد أمين على حال واحد حتى يبقى الناس جميعاً على حال واحد ؟

إن أحمد أمين القاضي الشرعي كانت له مسالك في الحكم على الأشياء تخالف مسالك أحمد أمين الأستاذ في كلية الآداب

فكيف يقال إن الشاعر الذي يعيش في الأندلس أو في فارس لا يزال خاضعاً لأذواق أسلافه القدماء في الحجاز أو العراق ؟

إن أذواق أهل العلم في البلد الواحد تختلف باختلاف المعهد الذي يتخرجون فيه ، مع وحدة الزمان ، ومع تقارب المشارب والميول . فالمتخرج في الأزهر غير المتخرج في دار العلوم وغير المتخرج في كلية الآداب . وقد كان مفهوماً عند أهل مصر أن المتخرج في الأزهر غير المتخرج في الجامع الأحمدي مع التقارب الشديد فيما يلقى هنا وهناك من المعارف العقلية والنقلية . وأهل فرنسا يفهمون أن المتخرج في جامعة باريس غير المتخرج في جامعة ليون

وإنما كان الأمر كذلك لأن اختلاف المكان يؤثر في الأذواق حتى صح القول بأن الأدب الإنجليزي في انجلترا يبعد بعض البعد أو كل البعد عن الأدب الإنجليزي في أمريكا . وكذلك يقال في الأدب الفرنسي حين يصدر عن أرض فرنسية أو بلجيكية أو سويسرية

فكيف يمكن أن يتفرد العرب بالخروج على هذا القانون الذي تفرضه طبيعة الوجود على سائر الناس

وهل يجوز في ذهن عاقل أن تكون جيمية ابن الرومي نسخة ثانية من جيمية الشماخ لوحدة القافية ؟

وهل يصح أن تكون تائية حافظ ابراهيم في رثاء محمد عبده صورة من تائية دعبل في التوجع لأهل البيت بحجة الاتفاق في الوزن والقافية ؟

إن أحمد أمين ينظر في ديوان جاهلي وديوان إسلامي فيرى قصائد تتشابه في القوافي والأوزان فيحكم بأن الشعر لم ينتقل من حال إلى حال ، وإن اختلفت الأماكن والأجيال

ولو نظر غيره هذه النظرة لقلنا إنه يحكم أحكاماً عامّية ، ولدعوناه إلى الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية

من واجب أحمد أمين أن يفهم أن أساتذة الجامعات لا يصح لهم الوقوف عند ظواهر الأشياء ، فأقل مزية لرجل الجامعة أن يكون في إحساسه كالشاعر الذي قال :

أسمع في قلبي دبيب المنى   وألمح الشبهة في خاطري

وأحمد أمين أستاذ في كلية الآداب ، وهي كلية على جانب عظيم من الكبرياء ، وهي تأبى الاعتراف بأي معهد يقارعها في هذه البلاد ، ولا تنظر إلى سائر المعاهد الأدبية إلا بعين الاستخفاف

والمنزلة التي صارت إليها كلية الآداب بفضل جهود أساتذتها الكبار من المصريين والأجانب توجب على الأستاذ أحمد أمين أن ينظر في كل كلمة يكتبها خمسين مرة قبل أن يعرضها على الناس

فأين كان حرصه على مكانة تلك الكلية يوم زعم أن الأدب العربي لم يتطور قط ، وأن الأدب الجاهلي ظل يسيطر عليه من عصر إلى عصر حتى خنق مواهب أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ؟

* * *

وهنا يتسع المجال لعرض سرقة جديدة من سرقات أحمد أمين

فهل يعرف هذا الباحث الكبير من أين أخذ القول بأنه يجب أن نضع القنبلة مكان القوس ؟

لقد سرق هذه الفكرة من باحث لا أنوِّه باسمه إلا وأنا كاره لأنى أبغضه أشد البغض وقد أرجع إلى مصاولته بعد أيام أو بعد أسابيع.

هـذا الباحث هو الدكتور طه حسين الذى عرّف الجمهور بالأستاذ أحمد أمين

ولكن متى قال الدكتور طه هذا الكلام ؟

إن أحمد أمين يظن أن ذاكرة الناس ضعفت كل الضعف ، وأنه لم يبق فى مصر أو غير مصر من يتذكر مقالة نشرت منذ عام أو عامين، فكيف يتذكرون مقالة نشرت منذ أكثر من عشر سنين؟

فما هى تلك المقالة ؟

هى مقالة الدكتور طه حسين فى نقد بائية شوقى فى يوم (سقاريا) التى عارض بها بائية أبى تمام فى يوم (عمورية) ، بائية شوقى ذات المطلع :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدِّد خالد العرب

وقد نص الدكتور طه فى تلك المقالة على أن شوقى استعمل فى وصف الحرب التركية اليونانية ألفاظاً وتعابير كانت تعرفها الحروب القديمة ، ولكنها مجهولة عند المحاربين فى العصر الحديث

أنكر الدكتور على شوقى أن يقول فى خطاب مصطفى كمال :

تذفتهم بالرياح الُهوج مسرجــةً
يحملن أُسد الشرى فى البيض واليَلَبِ

وأن يقول فى مدح الجنود الأتراك :

والجاعلين سيوف الهند ألسنهم والكاتبين بأطراف القنا السُلُب

وكانت حجة الدكتور طه أن « أسد الشرى » عبارة قديمة وقد لا يفهمها الترك ، وأن « البيض واليَلَب وأطراف القنا السُّلُب » ليست أهم الأدوات الحربية فى هذه الأيام

وقد تأذى شوقى بهذا النقد أشد التأذى لأنه فى ظاهره لا يخلو من بريق، ودعانى إلى الرد على الدكتور طه حسين ولكنى اعتذرت لأسباب أدبية لا يتسع لشرحها المقام ، ولعلى كنت أحرص على مجاملة الدكتور طه فى ذلك الحين

ومقالة الدكتور طه فى نقد بائية شوقى مشهورة جدًّا ، ولكن عند مَن ؟

عند الذين كانوا يسايرون الحياة الأدبية أيام الفتنة بين السعديين والدستوريين والاتحاديين ، وهى مقالة نشرت فى جريدة يومية كانت قليلة الذيوع وهى جريدة الاتحاد ، ولكنها كانت على كل حال مما يطلع عليه الأستاذ أحمد أمين

ماذا يظن أحمد أمين بذاكرة الرجال ؟

هل يتوهم أن النقد الأدبى قد انعدم فى مصر وأنه لا يوجد فى هذه البلاد من يذكر تطور الآراء النقدية من حال إلى أحوال ؟

يجب أن يعرف جيداً أننا سنحصى عليه خطرات قلبه ، وسنردُّها خطرةً خطرةً إلى ما قرأ وما سمع ، فلا يُزْهى ولا يختال بترديد الحديث المعاد . فهل يقرأ هذا الكلام بعض من كَبُر عليهم أن نهجم على الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الذين فُتنوا بحذلقة أحمد أمين لم يكونوا يعرفون أنه ينهب آراء المعاصرين وغير المعاصرين بلا تهيُّب ولا تخوُّف ، ولم يكن يدور فى خواطرهم أن هـذا الرجل له سطوات على الكتب والمقالات يأخذ بها ما يشاء بلا ترفق ولا استبقاء

قد يقال : وما خطر هذه السرقات ؟ وما العيب فى أن يسرق أحمد أمين كلام طه حسين ؟

وأجيب بأن النص على السرقات يشرح تطور الأفكار الأدبية، وذلك مغنمٌ ليس بالقليل

وسنرى فى المقال المقبل سرقات أغرب وأعجب ... ومن الله وحده ننتظر حُسن الجزاء على هذا الجهاد

زكى مبارك

على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الانسانى

للأستاذ توفيق الطويل

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

انتهينا فى حديثنا السالف إلى أن العلم قد استعبدته الأغراض فى أكثر مراحل حياته ، فعاش فى خدمة الإنسان يحقق مطالب حياته العملية ، أو يستجيب لنداء عقيدته الدينية ، وأقام على هذا الاستعباد طول عمره ، إذا استثنيت مرحلتين من حياته تحرر فيهما من ذل الأغراض ، هما عهد اليونان ، والفترة الأخيرة من عصرنا الحديث . وقد أشرنا فيما أسلفنا إلى الروابط التى أخذ ينشئها المحدثون من العلماء بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، بتوحيدهم الغاية التى ينتهى إليها كل منهما ، فكان علينا إذا رغبنا فى الحديث عن صلة العلم بالكمال الإنسانى أن نتناوله عند « بيكون » أب العلم الحديث ، ورب الدعوة إلى تسخيره لصالح الإنسان .

٣ – الكمال عند بيكون

تمرد رجال النهضة على العصور الوسطى ، وأقبلوا يحملون – فيما حملوا – معاول الإصلاح الدينى ، وحطموا بها الكنيسة وسلطانها الذى هيمنت به على قلوب الناس وعقولهم أجيالاً طوالاً وسار فى موكبهم حواريو العلم الطبيعى يتقدمهم رجال الفلك ، من كوبرنيكوس وتيخوبراهى وغاليليو وكبلر ، وشنوا الغارة على علم الأقدمين ، ومكنتهم الآلات التى اخترعوها من الكشف عن كثير من أخطائهم ، وبذلك هتكوا عصمتهم ، وحطموا قداستهم وأعلنوهم لطلاب العلم ناساً كسائر الناس ، ومهدت هذه الحركات لظهور « بيكون » فى أواخر القرن السادس عشر ، فتقدم بعقله الواسع وقلمه السيال ، للانضمام إلى موكب المحاربين ، وساهم بأوفر نصيب فى تحطيم الفلسفة الجدلية التى شاعت عند المدرسيين ، وهدم القياس الذى استعاروه عن أرسطو ليحل مكانه منطقاً قائماً على الاستقراء ، فوضع بذلك أساس المنهج التجريبى ، وبدأ العلم فى عصره الحديث على يديه ، ورسم للباحث منهجه وحدد له غايته ، فدعا إلى تطهير العقل من الأوهام التى تعرقل طلاقته ، ونادى بالإكثار من جمع الشاهدات وإعداد تاريخ لكل منها ، وتصنيفها توطئة لمقارنتها بعضها ببعض ، واستنباط العلل الكامنة وراءها ، وتسخير النتائج التى يهتدى إليها العلماء لخدمة المجتمع ، وتوفير أسباب الكمال لأفراده ، فربط بذلك بين العلم والكمال الإنسانى ، وصور هذه النتيجة فى كتاب صادف عند الكثيرين من المؤرخين مديحاً ملحوظاً ذلك هو New Atlantis الذى صور فيه مجتمعاً مثاليًّا – على نمط جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابى – وتوافرت فى مجتمعه أسباب الكمال ، وتهيأت لأفراده ألوان النعيم ؛ وأظهر ما فى هذا المجتمع المثالى مما يعنينا فى مقالنا « بيت سليمان » وهو يشبه المؤسسات العلمية التى تقام فى عصرنا الحاضر للعمل على تقدم العلم وإنهاضه ، وقد حدد الغرض الذى رمى إليه هذا البيت بالكشف عن أسباب الظواهر والاهتداء إلى علل الأشياء ، والتمكين لسلطان الإنسان حتى يتيسر له القيام بكل عمل ممكن ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية أنشئت المعامل لإجراء التجارب فى مختلف فروع العلم من طب وطبيعة وصناعة وزراعة . وأقيمت المراصد لمراقبة الظواهر الجوية ، وحفرت البرك والبحيرات لتربية الأسماك وسائر الأحياء المائية ... ولما كان بيكون شديد العناية بالإكثار من جمع المشاهدات والإسراف فى عمل التجارب رغبة فى تمكين البحث ، وعدم التسرع فى استنباط القوانين العامة من الجزئيات القليلة ، فقد رأى أن يوفد بيت سليمان فئة من العلماء بين الحين والحين ، يجوبون البلاد الأجنبية ، ويرتادون الآفاق النائية فى طلب المشاهدات ، وجمع الكتب وكتابة التقارير عما يصادفهم من غريب الظواهر ، وبذلك ترقى العلوم ويتيسر لأهلها أن يفهموا الطبيعة على وجهها الصحيح ، لا اقتصاراً على فهمها ، بل توطئة لبسط سلطانهم على ظواهرها ، واستغلال سيادتهم لها ، فى الانتفاع بها والإفادة من مواردها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وبذلك يرقى المجتمع وينهض أفراده . وقد جره هذا التصور إلى أن يَكِل حكم المجتمعات إلى العلماء والفلاسفة الذين لا يقنعون بالاطلاع على ما تحويه بطون الكتب ، وإنما يولون جهودهم شطر الطبيعة ليجمعوا منها المشاهدات توطئة لاستغلال

فهممهم لها فى ترقية المجتمع والعمل على تطوره إلى الكمال

تلك صورة مصغرة لهذا المجتمع المثالى الذى يتحقق فيه الكمال الإنسانى فيما بدا لبيكون. ولم يكن هذا التصور غريباً على العصر الذى دوّنت فيه هذه الصيحة ، فقد اتجهت فيه أنظار أهل العلم والأدب والفن إلى الطبيعة ، وراح كل يعبر عنها بطريقته وفى حدود منهجه ، واهتم العلم بالسيطرة على ظواهرها أملاً فى استغلال مواردها ، واتقاء شرورها ، وملأ الحياة الإنسانية بالخير والهناءة . وقد تساءل « كامبانيلا » — معاصر « بيكون » — فى مجتمعه المثالى عن موقف الإنسان الجديد من الرقيق ، وانتهى إلى القول بأن مخترعات العلم الحديث ستوفر للناس وقتهم ، وتغنيهم عن الرقيق والعبيد ، وتجعلهم سادة للطبيعة ، وتملأ حياتهم بالسعادة ...

تلك هى النزعة التى شاعت فى أوربا أواخر عصر النهضة ، وهى قائمة على الأمل الباسم فى قدرة العلم على تحقيق السعادة للناس . وقد مكّن لهذه النزعة بيكون فى مستهل القرن السابع عشر ، ودفعها إلى العصور الحديثة ، فانطلقت إبانها تسعى حثيثة حتى خابت فى العلم آمال الناس ، وتحرر العلماء من ذل الأغراض — على نحو ما عرفنا فى مقالنا السالف —

والآن بعد أن قطع العلم هذه المراحل الطويلة فى تحقيق الغاية التى كان يرجوها « بيكون » وأشياعه ، نرى من حقنا — وقد اندلعت نار الحرب وراح العلم يقدم لها الوقود — أن نتساءل عن مدى ما حققه العلم من الكمال ، ومبلغ ما أسبغه على الناس من نعم . وليس هذا السؤال بجديد فى تاريخ الفكر ، فكثيراً ما تردد فى أبحاث الأدباء والفلاسفة ، واختلفت فى الإجابة عليه وجهات النظر . ولقد ذهب بعض الذين تناولوا بالبحث هذا الموضوع إلى الطعن فى العلم وما يترتب عليه من ألوان الحضارة والمدنية ، والدعوة إلى العيش على مقتضى الإلهام الطبيعى البسيط ، وقد نادى بهذه النزعة فى القرن الثامن عشر «جان جاك روسو» ، ولم يقصر هجومه على العلوم الطبيعية وحدها ، وإنما تجاوز آفاقها إلى الطعن فى العلم بأوسع معانيه ، فشملت غارته الآداب والفنون كذلك ، فلنعرض — فى إيجاز — حلمه الذى كان يرى فيه تحقيقاً لسعادة الناس ، وسنرى بين آرائه وآراء « بيكون » هوة سحيقة القرار :

٤ — السعادة عند روسو :

مات لويس الرابع عشر فماتت معه الملكية المستبدة القادرة فى فرنسا ، واستأسد من كان بالأمس ذئباً ، فاسترد الأشراف نفوذهم ، واستعاد الكتاب والشعراء حريتهم ، وتأهبوا لتحطيم الإيمان الدينى الذى جاهد أسلافهم لتدعيمه زلفى إلى الملك الديّن المستبد . وشاعت اللادينية فى فرنسا ، وكانت تعانى من حروب أنقضت ظهرها ، وفاقة أحرجت صدرها ، وترف يهد من كيانها فتدهور نفوذ الملك ، وانحل سلطان الدين ، ومال المفكرون إلى تمجيد العقل ، معلنين التمرد على كل قديم . وفى هذا الجو نشأ «جان جاك روسو» شريداً بائساً ، حَيِيًّا مسرفاً فى الحياء ، لا يحسن عشرة الناس ولا يألف المجتمعات ؛ يعشق الطبيعة ويجد فى رحابها مسرحاً لخياله الوثاب ، لم يوهب العقل الخالق الممتاز ، ولكنه أوتى القدرة على التعبير الملئ بالقوة والحرارة والإيمان ، فنصب نفسه لمحاربة الإلحاد بالطعن فى العقل والمدنية وتمجيد القلب والفطرة ، بعد أن أخفق « بيركلى » فى نصرة الإيمان الدينى بإنكار المادة ، والاقتصار على الاعتراف بوجود العقل — أو الروح — وتهيأت له فرصة الإعلان عن رأيه ، حين طرحت أكاديمية « ديجون » على الكتاب مسابقة عن أثر العلوم والفنون فى صلاح الأخلاق أو فسادها ، فتقدم « روسو » للاشتراك فيها ، وقد وطن العزم على الطعن فى العلوم والفنون ، وبيان ما يترتب على انتشارها من سيّئ الآثار، وتوالت بعد ذلك حملاته وإلى القارىء الكريم خلاصة رأيه :

تحدث « روسو » عن الرجل البدائى الذى يعيش فى أحضان الطبيعة ، بسيطاً هانئاً ببساطته ، جاهلاً قانعاً بجهالته ، مسترسلاً على فطرته وطبيعته ؛ ثم قارنه برجل المدنية الفخور بعلومه ، المزهوّ بفنونه ، الغارق فى حياته المعقدة ، وانتهى من هذه المقارنة بترجيح الأول على الثانى ، مؤيداً رأيه بمُثل استقاها من تاريخ المصريين واليونان ومن إليهم . فمصر المجيدة التى كانت مدرسة الدنيا بأسرها ، ما كادت تصبح أم العلوم والفنون ، حتى أغار عليها قمبيز ، وأعقبه اليونان والرومان والعرب والأتراك على التوالى ، فهبطت إلى الهوان على سلم صيغت درجاته من علم وفن . وكذلك يقال فى غيرها من كبرى الأمم ، والتاريخ شاهد

عدل على صدق مانقول، فتى نشأت الفلسفة تدهورت الأخلاق، وأنى ظهر العلم اختفى الشرف ، وليس الرجل المفكر إلا حيواناً فاسد المزاج مناقضاً للطبيعة ، فالفكر وكل ما أبدعه من ألوان المدنية والحضارة تمرد على إلهام الفطرة ووحى الطبيعة ، ومن هنا نشأ شقاء بنى الإنسان ،فالإنسان الأول خيّرٌ بطبيعته ، طيب بفطرته ، قانع ما وجد اللقمة التى يسد بها رمقه ، والخرقة التى يستر بها عورته ، والمرأة التى يقضى معها حاجته ، ومتى انقضت حاجته ، فقد انطفأت رغبته ، وإذا ولدت المرأة تعهدت طفلها بالرعاية كما تفعل أنثى الحيوان التى لاتعرف إلا إلهام الطبيعة الرحيمة ، فإذا شب الولد فى ظل هذه الرحمة الطبيعية تكفل بحياته ، شأنه شأن سائر أنواع الحيوان ، وعاش متساوياً مع رفاقه يتبادلون المحبة والوئام والإخاء ، لايزهو أحد على أقرانه بعلم ولا مال ، وبهذا كانوا سعداء ، ثم تمردوا على إلهام الطبيعة ، وخضعوا لإملاء العقل ، فأدركتهم المدنية بعلومها وفنونها ، وسرعان ما طاردت النعيم الذى عاشوا فى رحابه ، وسلبتهم باسم النظام ما كانوا يتمتعون به من ألوان الحرية ، وميزت بعضهم على بعض فجعلت منهم أغنياء وفقراء ، وسادة وعبيداً ، فكان هذا مبعث الداء وأصل الشقاء . ولقد كانت الإنسانية تنجو من الجرائم البشعة والحروب الدامية التى ارتكبت فى سالف أيامها من جراء الطامع ، لو أن أول من أحاط قطعة أرض وقال : هذه مِلكى — قد وجد رجلاً شهماً يتقدم إلى هذه الأرض فيحطم السياج الذى أحاط بها ، أو يردم الخندق الذى التف حولها ، ويصيح فى قومه : أيها الناس حذار أن تصدقوا هذا الكذاب الأشِر ...

وما من دواء لهذا الداء إلا الرجوع إلى أحضان الطبيعة ، ورياضة القلب والاعتماد على الفطرة وإهمال العقل وما يترتب عليه من ألوان العلوم ومظاهر المدنية والحضارة

تلك صورة مصغرة للكمال الذى يحلم به « روسو » فى القرن الثامن عشر ، وهى على خلاف ملحوظ مع الكمال الذى يحلم به بيكون فى القرن السابع عشر . ويعنينا من هذا أن « روسو » يهاجم العقل وكل ما يترتب عليه من علم ومدنية ، ويرجو لو عاد الناس إلى حضن الطبيعة ، وعاشوا سعداء بما هم عليه من قناعة وجهالة . أما « بيكون » فيرى الكمال ماثلاً فى إنسان قد مكنته قوى العقل وتجارب العلم من إخضاع الأرض والسماء والماء لسلطانه ، فأحسن استغلالها لمصلحة المجتمع الإنسانى ، وتحقيق السعادة لأبنائه ، ففى مدنية العقل الناجح فى إخضاع الطبيعة للانسان ، يكمن الكمال عند بيكون ، فأى المذهبين أبعد عن الخطأ أو أدنى إلى الصواب ؟

٥ — مناقشة روسو وبيكون

ينبغى أن نعترف إنصافاً لروسو بأن آراءه قد صادفت هوى من نفوس قرائه ، وأنها سمت إلى قلوب الكثيرين منهم وهيمنت على عواطفهم ، وكان لها بالغ الأثر فى قيام الثورة الفرنسية بعد ذلك ، وكان من آثارها أن حادت بالأدب عن العقل واتجهت به نحو العاطفة ، وجعلت السيدات فى صالونات الأدب يسرفن فى التزام الظهور بما يدل على الشعور الرقيق والقلب الرحيم، دون العقل الراجح والفكر المتزن ، وربما كان لها أثرها فى انتعاش الشعور الدينى عند القراء

ولكن آراء «روسو» مع هذا حافلة بالأخطاء — فيما يلوح — والمثل الأعلى الذى ينشده عسير التحقيق ، ولو تحقق لما أقام الناس عليه طويلاً ، ولعادوا إلى المدنية راضين أو كارهين ، فإن العقل من شأنه التفكير المتواصل ، وليس فى وسع قوة فى الأرض أن تقيد عقول الناس ، وتحرمها نعمة التفكير دواماً ، وذلك وحده كفيل بتحقيق التطور الذى يرفع الإنسان من حالة الفطرة إلى مستوى المدنية ، وروسو يقاوم أموراً يتصل بعضها بما يترتب على الغرائز من آثار ، يطلب محو الملكية ، والتزام القناعة ، وعدم التقيد باختيار امرأة بعينها ، ويزعم أن الناس بطبيعتهم أخيار أطهار، ويبنى على هذا الأساس الخاطئ نظرياته التى ثبت اليوم بطلانها — كالعقد الاجتماعى مثلاً — تلك كلها أحلام عسيرة التحقيق ، وقد نادى ببعضها أفلاطون فى جمهوريته، وحسبنا أن نكشف عن ضعف نظرته إلى علاقة الرجل بزوجته ، بتجربة نرويها كما نذكرها الآن : يقال إن تجربة أجريت على طائفة من القِرَدة العليا لمعرفة نظام الزواج الراهن ومدى انطباقه على الطبيعة البشرية — كما أذكر الآن من أمر هذه التجربة — جمعت القردة ذكوراً وإناثاً ، وأتيح لها أن تعيش فى مكان واحد ، فلوحظ بعد فترة من الزمن أن كل قرد قد اختار له أنثى بعينها والتزم عشرتها ،

وتولى الذود عنها إزاء كل قرد يفكر فى الاعتداء عليها ، وكذلك كان موقف الإناث من ذكورها مع فوارق بسيطة ، فانتهى الحال إلى ما يشبه النظام الذى شرعته الأديان وأقرته الدنيات .

وإذا صح هذا مع الحيوانات العليا فأحرى به أن يكون صحيحاً مع بنى الإنسان . ومثل هذا يقال فى بقية الآراء التى خلفها لنا « روسو » وذلك ـ فيما يلوح ـ أظهر الفوارق بينه وبين « بيكون » فإن الكمال الذى يحلم به بيكون سهل التحقيق ، وليس فيه مقاومة لغرائز الناس أو ما يترتب عليها من آثار . . .

ثم أى سعادة تلك التى يحتمل أن يشعر بها الرجل المتوحش الذى يعيش على إلهام الطبيعة ووحى الفطرة ؟ إن « روسو » يتغنى بما يتمتع به هذا الرجل من ألوان الحرية ونعيم الجهالة ، ويشفق على التمدين من القيود التى يكبل بها باسم النظام والمدنية ولكنه نسى أن هذا المتوحش يعيش فى أسر ذليل ، تستعبده الأوهام ، وتُذله الخرافات ، ويزعجه الخوف من كل شىء حتى من نفسه ، ثم لا يشعر بعد هذا بالسعادة التى يحلم بها « روسو » حتى إذا عاش فى غمرتها ، ذلك لأن الشعور بالسعادة يتوفر لأصحابه إذا مروا بدورين: أولهما سلبى وهو انتفاء الشعور بالشقاء، وثانيهما إيجابى وهو الشعور بالسعادة . أما الحالة الوسط التى يعيش فيها الرجل المتوحش، فينتفى عندها الشعور بالشقاء والسعادة معا، فإنها ليست من السعادة فى كثير ولا قليل ، ومن هنا يظهر بطلان الدعوة التى بشر بها « روسو » وعبر عنها « المتنبى » بقوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

ذلك وجه الخطأ فى مهاجمة العلم وما يترتب عليه من آثار المدنية ، والدعوة إلى الطبيعة وتوهم السعادة فى ظلها . وقد تردى روسو فى هذا الخطأ لأنه عاش فى بيئة أنهكتها الأمراض والعلل ، بالإضافة إلى فشله فى عشرة النـاس ، وعدم ملاءمة طبيعته للمجتمعات ، ولهذا أصاب فى التمرد على أخطاء بيئته ، ولكنه أخفق فى علاجها إخفاقاً بيناً . ولعل « ڤولتير » كان على حق حين قال ساخراً منه : « لو أن الناس أصاخوا لآرائه ، لسرهم أن يمشوا على أربع . . . ! »

وقد عاش بيكون فى بيئة عقلية يعوزها الاستقرار ، فعرف داءها وشخص الدواء الذى يقتضيه علاجها ، وقد نجد ما تؤاخذ به بيكون فى تشخيص الدواء أو فهم الداء ، ولكنك لا تملك إلا الاعتراف بتوفيقه ، وقد انقضى على موته نحو ثلاثة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً ، وحققت الأيام الكثير من آماله ، فأصاب العلم نجاحاً فى أكثر الميادين ، وعرف الإنسان كيف يعالج الطبيعة ، ويتغلغل إلى فهم أسرارها ويعرف العلل الكامنة وراء ظواهرها والطرق التى تمكنه من استغلالها على أكمل وجه والانتفاع بها إلى أقصى حد ، فقهرها على ظهر الأرض وفى أعماق البحار وفى أجواز السماء ، وكاد يحيل المكان والزمان اسماً على غير مسمى . . . ! إنه ينصت اليوم فى مصر إلى توقيع الموسيقى فى أمريكا ، ويستطيع أن يتبادل الحديث وهو جالس إلى مكتبه مع أصدقائه أو عملائه فى أقصى بقاع الأرض طرا ، وتلك هى السيادة الموفقة على الزمان والمكان . . .

ولكن هل حقق هذا كله شيئاً من سعادة الناس ؟ لقد أسفر نجاح العلم عن اختراع الغازات السامة والقنابل المحرقة والمدافع المدمرة والنواسفات المغرقة ، وسائر وسائل التدمير والتخريب ، مما يسمع الناس صدى التهديد به فى أيامنا الراهنة ، فتهد قواهم وتنهك أعصابهم وهم بعيدون عن غمرة القتال . والظاهر أن « بيكون » لم يقدر هذه النتيجة الرهيبة ، فقد جعل من مظاهر التقدم فى مجتمعه المثالى ، أن يتجنب الحروب ويتقى شرورها ، وذلك بألا ينتج إلا ما يستهلكه ، ولا يستهلك إلا ما ينتجه .. !

على أن هذه النتيجة التى انتهينا إليها من النظر فى الأثر الذى يترتب على الدعوة إلى تقدم العلم ، قد رد عليها دعاته فقالوا إن العلم الذى اخترع ما استغله البعض فى غير صالح الإنسان ، هو نفسه الذى اخترع ما يقى الإنسان هذا الشر الطارئ . اخترع الغازات السامة وقدم للناس الأقنعة الواقية . اخترع الطائرات الحربية بقنابلها المحرقة وأعد المدافع المضادة لمقاومتها . وكلما أظهر للمجتمع خطراً جديداً تولى وحده مقاومته ووقاية الناس من ضرره ...

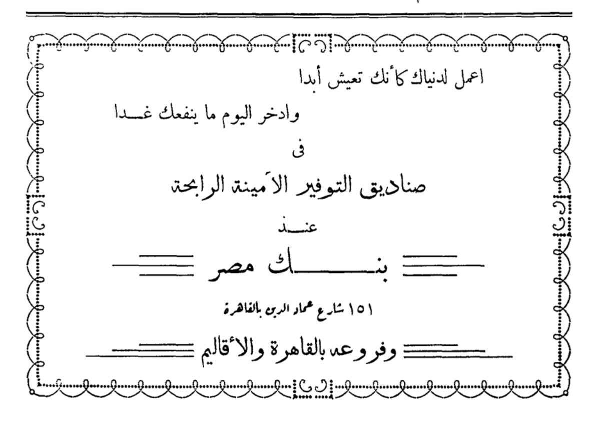
ولكن أصحيح أن المجتمع الإنساني قد أمن بهذا شر المخترعات الحديثة ؟ أصحيح أن الناس الآمنين فى بيوتهم لن تصيبهم الغارات الجوية بعد اليوم بسوء ؟ ذلك ما نجيب عنه وحشية

الحروب فى وقتنا الحاضر ؛ على أنا نقول إنصافاً للعلم وأهله إن ما نتصوره ضاراً بالمجتمع الإنسانى قد يكون كبير النفع من جوانب أخرى ، وما نراه فى الحروب عدواناً وحشياً ذمياً فيه قضاء على النفوس البريئة والأموال الطائلة وحضارة الأجيال الماضية ، قد يعتبر شراً لا بد منه تقضى به حياتنا ومثلنا العليا . ومن المفكرين الذين درسوا المجتمع فى تطوره إلى الكمال وانحداره إلى الاضمحلال من اعتبر الحرب نعمة والسلام الدائم نكبة على أصحابه . ثم إن عدوان القوى على الضعيف عند بعض المفكرين حق تبيحه القوة أو يبرره التفاوت فى المدنية ، وذلك بالإضافة إلى أن القتال فى أصله غريزة لم يلدها العلم وإنما اقتصر على تغذية نارها ، فإن كان أثر العلم فى وحشية الحروب سيئة عند بعض القراء فهو حسنة عند غيرهم من المفكرين ، لأنه يعجل بنهاية الحرب وينقذ الناس من شر أنبائها ، بالإضافة إلى الميزات التى يكسبها الناس من وراء الحروب ...

على أن من التجنى أن يحمل العلم تبعة هذه الاتهامات التى عرضنه لها بيكون يوم ربطه بصالح الإنسان ، فقد ألقى العلم عن عاتقه هذه التبعة الخطيرة يوم حرر نفسه من ذل الأغراض — كما أبنا فى مقالنا السالف —

على أن من الخير أن نقول إن السعادة — إن صح أنها مرادف لكمال الإنسان — لا تعيش فى آثار العلم والمدنية ، ولا تقيم فى أحضان الطبيعة والفطرة ؛ ولكنها تعيش فى قلب الإنسان يحملها معه أنى ذهب ولا يستطيع أن يفارقها أو يستدعيها تبعاً لظروف الزمان والمكان ، وهى بعيدة عنه دائماً إن كان بينها وبينه جفاء طبيعى ولده مزاجه أو أسفر عنه خطأه فى النظر إلى الحياة ، فمن الناس من وهب القدرة على أن يستمد من الشقاء الذى يكتنفه شعوره بالسعادة ، ومنهم من يتخذ من مباهج الحياة وأفراحها أسباب اكتئابه وشقائه . فالسعادة فن يفيد نمه أكثر الأشقياء الذين قد لا تنطوى حياتهم على سبب واحد يبرر الشعور بالشقاء ! وما يقال فى الفرد ينسحب على الجماعات...

توفيق الطويل



من بغداد . . . الى كركوك

وداع بغـــداد !

للأستاذ على الطنطاوى

الوداع يا بغداد . . .

يا بلد المنصور والرشيد، والنعمان وأحمد، والكرخى والجنيد، وأبى نواس والعباس، ومخارق وإسحق، ومطيع وحماد . . .

يا منزل القواد والخلفاء، والمحدثين والفقهاء، والزهاد والأتقياء، والمغنين والشعراء، والمجان والظرفاء . . .

يا مثابة العلم والتقى، واللهو والفسوق، والمجد والغنى، والفقر والخمول . . . يا دنيا فيها من كل شىء

الوداع يا دار السلام، ويا موئل العربية، ويا قبة الإسلام

يا بلداً أحببته قبل أن أراه، وأحببته بعد ما رأيته . . . لقد عشت فيك زماناً مرّ كحُلم النائم، صحوت منه على صوت الداعى يؤذن بالفراق، فلم أجد منه فى يدى إلا لذع الذكرى

وهل تخلف الأحلامُ يا بلدُ إلا الأسى والآلام ؟

ولكنى على ذلك راضٍ راضٍ . . . فالوداع يا بغداد واسلمى على الزمان !

***

ودعتها والسيارة تشتد بى إلى المحطة تسلك إليها شوارع ذات بهجة وجمال، شبهتها (والمحطة غايتها) بليالى الحبّ كلها أنس وحلاوة، ولكن نهايتها وحشة الوحدة ومرارة الفراق . وعانيت الوداع، فأيقنت أنى مفارق بغداد عما قليل، وأنى سأتلفت فلا أرى رياضها ولا أرباضها، ولا أبصر دجلتها ولا نخيلها، فجرى لسانى بقول الأول (وإن من الأقوال ما لا تبلى جدّته ولا يمضى زمانه) :

أقول لصاحبى والعيس تهوى ... بنا بين النيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
شهور قد (مضين) وماشعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليـل ... وأطيب ما يكون من النهار

وجعلت أذكر كم ودعت من أحباب، وكم فارقت من منازل، وكم قطعت قلبى قطعاً نثرتها فى أرض الله الواسعة التى لا تحفظ ذكرى، ولا ترثى لبائس، ورأيتنى لا أكاد أستقر فى بلد حتى تطرحنى النوى فى آخر، كنبتة لا تكاد ترسخ فى تربة وتمد فيها جذورها حتى تقلع وتنقل إلى تربة أخرى . . . ورأيت أنى دخلت بغداد يوم لم يكن قد جاءها أحد من أصحابى فلبثت فيها وحيداً مستوحشاً، لا أعرف منها إلا المسجد، وما كان لمسلم أن يرى نفسه غريباً فى بلد فيه مسجد، ولكنها العاطفة الضعيفة المتهافتة، فلما ألفتها وصارت بلدى، وغدا لها فى قلبى مكان نفيت عنها . . .

دخلنا كارهين لها فلما ... ألفناها خرجنا (مكرهينا)

وفكرت فى أمرى متى ألقى رحلى، ومتى أحل حقائبى ؟ وهل كتب علىّ أن أطوّف أبداً فى البلاد، وأعيش غريباً وحيداً بعيداً عن أهلى وكتبى وصحبى ؟ وهاجت فى رأسى الخواطر السود وماجت حتى لقد رأيت الشوارع الحالية بالزهر صحراء مجدبة، ورأيت شعاع القمر المضىء أظلم خابياً . . .

ومن طوّف تطواقى، وأقبل مثلى على بلاد ما لها فى نفسه صورة، ولا له فيها صديق، وفارق أهلاً إليه أحبة، وصحباً عليه كراماً، وكانت حاله كحالى، عرف صدق مقالى !

***

وصفّر القطار وسار، وطفقت ألوّح بمنديلى لصديقىّ الأثيرين أنور وحسن حتى داراهما عنى الظلام، فنظرت حولى فإذا أنا وحيد فى المربة الفخمة، لا أنيس ولا جليس، فكرّ فكرى راجعاً إلى بغداد . . .

بغداد، يا مهد الحب، بولد الحب على جسرك الذى تحرسه (العيون)، وينمو فى زوارقك ذات الأجنحة البيض التى تخفق تخفقان قلوب راكبيها، ويشب فى كرخك وتحت ظلال نخيلك

فتشوا كم تحت الثرى من بقايا القلوب التى حطمها بسهام (العيون) هذا المخلوق الجبار الذى ولد على الجسر شاباً، ونما فى الزورق، واكتهل فى الكرخ، ثم لم يمت لأنه من أبناء الخلود

سلوا أرض بغداد: أعندها خبر من شهداء الغرام ؟

سلوا جوّ بغداد: أين النغمات العذاب التى عطرت نسيمه بعطر الجنة، فهزت قلوباً، وهاجت عواطف، وأضحكت وأبكت، وأماتت وأحيت ؟ هل أضمت ويحك هذه الثروة التى لا تعوّض ؟

سلوا الجسر . . . يا (جسر بغداد) إن ما بقى من حديثك قد ملأ كتب الأدب، حتى لم يعرف الناس سوقاً للعواطف والأفكار والعبر أكبر من جسر بغداد، فأين سائر أخبارك ؟

كم ضممت ذراعيك على عشيقين فنمّا بينهما بلذة الحب ! وكم تركت حبيباً ينتظر فلا يرجع بعد الانتظار إلا بالخيبة والأسى ! وكم عطفت على بائس منكود ، وأعرضت عن منكود بائس ، فأريت الأول من مشاهد الحياة ما هوّن عليه ما هو فيه ، وزدت الثانى بؤساً ونكداً ؟ وكم وعيت من أسرار الحب والبغض والفرح والحزن ، والغنى والفقر ، والعزة والذل ، وكل ما تحتوى الحياة وتشمل النفس من ألوان ؟ كم رأيت من حصاد الأدمغة وثمرات القلوب ؟ كم مدت تحت أقدام خليفة كانت تعنى له الدنيا إذا قال لأنه ينطق بلسان محمد ، وقائد كانت تخضع له الأمم إذا سار لأنه يلوّح بسيف محمد ؟

يا (جسر غازى) الجديد ، الهائل العظيم ، أعندك نبأ من ذلك الجسر الذى كان عالماً من العوالم ؟ والذى كان سُرّة الدنيا وقطب رحاها ؟ وكان للجدّ إذا جدّ الجدّ ، وللهزل إذا جاز الهزل ، فحوى المجد من أساسه ، وجمع المتعة من أطرافها ؟

***

وهذه المنارة المنحنية المائلة فى (سوق الغزل) تنظر بعينى أم ثكلى ... سلوها أين مسجدها الذى كان يضيق على سعته بالمصلين ، حتى تمتد الصفوف إلى الشارع ثم تتتالى حتى تبلغ النهر[1] ؟ أين أولئك العلماء الذين أترعوا الدنيا علما ، وملأوا آفاق الأرض نوراً وهدى ؟ أين مواكب الخلفاء حيث ...

الخيل تصهل والفوارس تدّعى   والبيض تلمع والأسنّة تزهر

ومشيهم فى رحاب بيت الله ...

...مشية خاشع متواضع   لله لا يزهى ولا يتكبر

أين فرسان المنابر وأبطالها ؟ أين جيران المحاريب وجلاسها ؟ أين ... أين ... ؟

يا أسفى ! لقد سرق المسجد ، وهدم المنبر ، وضاع المحراب ، ولم تحفظ الحجارة يا بغداد مآثرك ومصانعك ، ولا وعت الأرض ذكريات حبك ، ولا أبقى الجوّ رنات عيدانك ... أفلا حفظتها قلوب أقسم أصحابها أنهم ذاكرو عهدك وأنهم مرجعو مجدك ؟

فأين مسجد بغداد الجامع يا مديرية الأوقاف ؟ أين المسجد يا إدارة الآثار ؟ أين المسجد يا من تخذتم المسجد بيوتاً ودكاكين وتركتم المنارة منحنية عليه تبكى !

أين المدرسة النظامية يا من أقمتم على أنقاضها سوق الشورجة لتبيعوا فيه البصل والثوم — وقد كانت تباع فيها حيوات العلماء وعصارات عقولهم وقلوبهم ؟...

لا تحزنى يابغداد واصبرى فإن كل شىء يعود ما بقى فى القلب إيمان ، وفى الفم لسان ، وفى اليد سنان

***

وتلفت ورائى فإذا بغداد قد اختفت وراء الأفق ... وغابت مسارب الأعظمية التى تحاذى النهر ، تتكشف تارة فتضىء ثم تختفى فى ظلال النخيل كشاعر منفرد يتأمل ، أو محب معتزل يناجى طيف الحبيب ، ويسامر ليالى الوصال التى تلوح له صورها ... والنهر يطلع عليها مرة بصفحته البيضاء المشرقة التى تشبه أمنية بدت لحالم ، ثم يحجبه عنها النخيل ، ويمحوه الظلام كما تمحو الحياة بواقعها الأحلام وتطمس صور الأمانى ... وغابت شوارع الصالحية ذات الفتنة والجلال وغابت المآذن الرشيقة ، وغابت القباب ... وبقيت أنا والماضى !

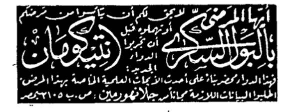
هذا الماضى الذى طالما قاسيت منه ، وطالما كابدت ... ثم كلما أوغلت به انحداراً فى أعماق نفسى ودفنته فى هوة الذكرى وقلت مات ، عاد حياً كاملاً تثيره نغمة وتهيجه صورة ويبعثه بيت من الشعر ... فيبعث بحياته آلامى ...

غابت بغداد ، فسلام على بغداد ، واشهدوا أنه ما بعد دمشق بلد أحب إلىّ من بغداد ، ولا بعد العتابا نغمة أوقع فى قلبى من الأبوذية ، ولا بعد الحور شجر أجمل فى عينى من النخيل ، ولا بعد بردى نهر أعز على نفسى من دجلة ...

أستغفر الله ! إلا حَرَم الله ومدينة نبيّه ، فهما والله أحب البلاد إلىّ ، وماؤها ألذ الماء فى فمى ، وشجرها أبهى الشجر فى بصرى ...

السلام عليك يا بغداد ولو نفيتنى عنك إلى كركوك ، وعلى ساكنيك السلام ...

(ثانوية كركوك)   علي الطنطاوي



(١) كذلك قال التاريخ

هل يقرأ الفنان هتلر

الدم والحـــــديد

رواية في فصل واحد

بقلم بيرلي بورشهان وروبت دافيز

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

أشخاص الرواية :
(الامبراطور غليوم الثاني . وعالم ألماني وجندي مرقع من مشوهي الحرب)
المكان : (قاعة العرش)
الوقت : (في مساء عيد ميلاد الامبراطور غليوم مدة الحرب الكبرى)

الامبراطور — (يدخل فيعتلي العرش)

العالم — (يحمل حافظة فيضعها على منضدة ويبتسم ويفرك كفيه) مولاي ! إن الهيبة تعقد لساني



الإمبراطور — إن وقتي محدود ، فولي العهد في انتظاري

العالم — (متحمسا إلى درجة الارتعاش) مولاي ! إن الهدية التي أقدمها إلى جلالتكم بمناسبة عيد ميلادكم الإمبراطوري لهي أثمن الهدايا لأنها تعني أن في الإمكان إعادة مليون من الجنود المشوهين إلى صفوف جيشكم ، وتعني أن الجيش الألماني أصبح قوة مخيفة

الإمبراطور — (في اهتمام) هذا كلام عام

العالم — (وقد لاحظ أن الامبراطور يبدي حركة عنيفة دالة على أتم الاستعداد للاصغاء) إنني سأخصص يا مولاي . إن أهم عنصر من عناصر الإتقان ألا نترك شيئاً يفقد بغير جدوى . وقد جعلت همي في أمر اليوم أن أرد إلى الجنود المصابين ما فقدوه بسبب الحرب . وقد نجحت

الإمبراطور (وقد بدا عليه الاغتباط) — كيف ذلك ؟

العالم — بعد تجاريب متعددة أصبح في وسعنا أن نأتي بأي جندي كائنة ما كانت درجة إصابته فنعيده إلى الصفوف أقوى مما كان ... نعيده لا إنساناً ضعيفاً سريع القابلية للفناء ، بل آلة قوية باطشة

الامبراطور — (ضاحكا) كلام حماسي ولكنه غير مقنع ، فهات الدليل



العالم (في لهجة دالة على الصدق والاخلاص) — لقد توقعت يا مولاي هذا الشك فجئت معي ...

الإمبراطور (مقاطعا) — بماذا ؟ بنموذج ؟

العالم — نعم يا مولاي بنموذج حي آلي في غرفة الانتظار

الإمبراطور (متعجلا) — إيت به ، إيت به

العالم — مولاى ، أستميح عفوكم فإن منظره غير سار

الإمبراطور — هذر ! كل ما يؤدى إلى الاحتفاظ بالقوة جيل

العالم (وقد بدا عليه الابتهاج) — هل لى ... ؟

الإمبراطور — أسرع !

العالم (يفتح الباب ويخرج وهو ينادى بلهجة عسكرية) — انتباه ! إلى الأمام !

(وهنا يسمع صليل وجلجلة كصوت حديد يتحرك ، ويدخل الجندى رقم ٢٤١ كما تمشى أية آلة ميكانيكية فلا ملاحظة لشىء ولا اختلاف بين الخطوات ، حتى إذا ما صار فى وسط القاعة ناداه العالم أن يقف فيقف)

العالم — لقد جربناه ٢٤١ مرة ومن أجل ذلك أطلقنا عليه هذا الرقم

(ويبدأ العالم فى الشرح ، وفى هذه الأثناء يحدق الامبراطور فيه وهو مفتون)

الامبراطور — هذه أحسن مشية عسكرية

العالم — هذه أقل ميزة له

(ثم يلتفت إلى رقم ٢٤١ ويعرض يده الفولاذية ويأمره أن يفتح فه فتبدو أسنانه الحديدية ويأمره باغلاقه فيسمع صوت الحديد ، ويأمره برفع يده اليمنى فيظهر ذراع آلى من الصلب وكذلك ساقه اليسرى التى يؤمر بتحريكها فيكون لها صليل . ويرى الامبراطور ذلك مبتهجا)

الامبراطور — هذا ترقيع فى نهاية الإحكام

العالم — ولكن كفايته زادت كثيراً بهذا الترقيع فهو الآن يتناول البندقية ويطلق الدفع دون أن يخشى سقوطه فى الميدان . إن يده معدنية فلا تمتريها رجفة ولا اضطراب

(ثم يلتفت العالم إلى الجندى المرقع ويأمره)

انتباه !

احمل السلاح !

سر إلى الأمام !

صوب إلى الهدف !

أطلق النار !

(ويقوم الجندى المرقع بكل ما يؤمر به والامبراطور ينظر إليه وقد بدت عليه علائم الدهشة)

الامبراطور — هذا فوق ما كنا نحلم به

العالم — بهذه التجربة أصبح فى وسعنا يا مولاى أن نعيد إلى الجيش جميع العميان ومكسورى الأيدى والأرجل ومفقودى السمع

الامبراطور — هذا فوز عظيم للمدنية

العالم — هذا يا مولاى خراب تام للمستشفيات

الامبراطور — أنت عزيز لدينا يا أستاذ . إن العلم هو أمل الدولة

العالم — أتأذن يا مولاى بامتحان أذنه ؟

الامبراطور — بغير شك

(فيقف العالم خلف العرش ، ويدق بطرف ظفره دقات غير مسموعة ويسأل الأمبراطور)

العالم — هل سمعتم جلالتكم شيئاً ؟

الامبراطور — كلا

الجندى المرقع — سمعت ثلاث دقات عالية

(ثم يمشى العالم إلى المنضدة التى عليها حافظة أوراقه ، ويستخرج منها بطاقة صغيرة عليها كتابة بخط دقيق جداً ويسأل الأمبراطور وهو غير بعيد عنه هل يستطيع قراءتها فيقول الأمبراطور إنه لا يستطيع

ويعرض العالم البطاقة على الجندى المرقع من بعد فيقرأ الجندى : إن الشعوب هى الارادة وإن الحكم هو القوة .

ويعرض العالم البطاقة على الأمبراطور فيتناولها ويقول : « قراءة صحيحة »

ويعود العالم إلى مكان الحافظة فيضع فيها البطاقة ويلتفت إلى الأمبراطور ويقول) :

العالم — هـذا خير ما أداه العلم ؛ فقد استغل بقايا الإنسان المحطم الذى لاخير فيه . لنفسه ولا لأمته فأعاده كما ترون جلالتكم : يد من الصلب ، ورجل من البرنز ، وذراع من النيكل ، ومفاصل من الأليومنيوم ، وعين تلسكوبية ، وأذن من مصابيح الراديو

(ويلتفت العالم إلى الجندى ويسأله) :

العالم — ماذا تسمع الآن ؟

الجندى — صوت بوق عال

الامبراطور — هذا مستحيل فإني لا أسمع شيئاً . افتح النافذة

(فيفتح العالم النافذة وينصت الامبراطور فيسمع صوتا ضعيفا هو صوت بوق من بعد)

الامبراطور (فى دهشة) هذا هو الكمال التام

العالم — هذا انتصار على المادة . إن الجندى الذى يسقط فى الميدان يصبح عالة على الأمة لا يصلح لشىء ، ولكن العلم رد إلى الأعرج رجله وإلى الأبتر ذراعه ، وإلى الأصم تلفونين فى جانبى أذنيه ، وإلى الأعمى تلسكوبين تحت حاجبيه

ويلتفت الأمبراطور إلى الجندى المرقع ويسأله : « كم مدة خدمتك فى الجندية ؟ »

فيتقدم الجندى ثم يرفع يده بالسلام

العالم — أجب جلالة الأمبراطور

الجندى المرقع — ثمانية عشر عاماً يا مولاى

الأمبراطوار — وهل أنت متزوج ؟

الجندى — نعم يا مولاى

الأمبراطور — وهل لك أولاد ؟

الجندى — سبعة يا مولاى

العالم (متدخلا فى الحديث) منهم خمسة ذكور يا مولاى

الجندى (فى مرارة) — واحد مات وثلاثة فى الميدان والأصغر سيتبعهم

الامبراطور — كم عمره ؟

الجندى (وهو يبلع ريقه كالنعسان) — ستة عشر

الأمبراطور (إلى العالم) — ومتى يعود هذا الجندى إلى الصفوف ؟

العالم — فى ظهر الغد يا مولاى

الامبراطور — متى عاد من الصفوف فإنى أحب أن أراه مرة أخرى وسأنعم عليه بالوسام المثلث الصلبان

العالم — أنتم ترون يا صاحب الجلالة أنه أصبح فى وسعنا إرسال الجيش ومعه (قطع التغيير) أرجل من المدن ، وأيد من البرنز ، وأعضاء من النيكل ، ومفاصل من الأليومنيوم وعيون وآذان كهربائية ، فعند أقل إصابة نستبدل بالأجزاء الهالكة الآدمية أجزاء قوية آلية . وهناك أصابع على حدة ، وأكف مستقلة عن الأذرع ، ومعاصم إلى دون الكوع

الامبراطور — وما وزن هذا الجندى ؟

العالم — ١٧٥ كيلو يا مولاى !

الامبراطور — وما وزن (قطع التغيير) التى أضيفت إليه ؟

العالم — مائة وخمسة يا مولاى ؟

الامبراطور (وهو يمسح جبينه بيده) — هـذا أكثر من وزن جسمه

العالم — هذا صحيح يا مولاى ولكن غذاءه الآن أقل من نصف ما كان يحتاج إليه . لأن الأجزاء الآلية فى غير حاجة للغذاء

الامبراطور — لقد أهديت إلىّ أعظم ما وصلت إليه المدنية فى تاريخها ، ولكن حدثنى عن العين التلسكوبية

العالم — هذه العين يا صاحب الجلالة فضلاً عن قوتها لها ميزة أخرى هى أنها ترى فى الظلام

الامبراطور (وقد بدا عليه أنه لم يصدق) يرى فى الظلام ؟

العالم — نعم يا مولاى ، وفضلاً عن ذلك ...

الإمبراطور (مقاطعا) صه ! إن هذا الأمر فى غاية الخطورة

العالم — هل لجلالتكم اعتراض على تجربته فى الظلام ؟

الإمبراطور (مترددا) — لا — وعندك زر الكهرباء ، أغلق النافذة وأطفئ النور

العالم (للجندى ٢٤١) — التفت إلى جلالة الامبراطور . وسأطفئ النور (ثم قال للامبراطور) وتفضل يا مولاى بإبداء أية حركة فإن الجندى سيصفها

(ويطفئ النور فيبدى الامبراطور حركات ويطلب إلى الجندي وصفها)

الجندى — إن جلالته رفع يديه إلى أعلى ثم ضمهما . إنه أحنى رأسه إلى الأمام . إنه يصلى

الامبراطور (محتدا) — أسرع بإيقاد المصباح

العالم — هل اكتفيتم جلالتكم من التجربة ؟

الامبراطور (بحالة عصبية) — هذا فوق المدارك الإنسانية

ويوقد النور فيقف الامبراطور ويقول : هذه سعادة لا حد لها أهديتها إلىّ فى عيد ميلادى يا أستاذ ! هـذا اختراع يعيد إلى جنسنا جدارة فوق كل جدارة (ثم ينزع وساما عن صدره ويضعه على صدر العالم) ويقول : هذا وسام الجدارة المرصع . هذا شارة الحق الإلهى . هذا الوسام الذى لم يتقلده غير الامبراطور أقدمه هدية إليك

العالم (يتقدم متزحفا فيقبل يد الامبراطور)

(فى اللحظة التى يقبل فيها العالم يد الامبراطور تبدو على عينى الجندى نظرة غضب شديد وتفتر أسنانه المدنية عن ابتسامة خفيفة مؤلمة ويعود الامبراطور إلى الجلوس)

الامبراطور — إننى فى دهشة من قوته ومن حدة بصره فإلى أى مدى يرى ؟

العالم — فى استطاعته يا صاحب الجلالة أن يرى العدو على بعد عشرين أو ثلاثين ميلاً وأن يعد ما لديه من المدافع والخيول والمعدات

الامبراطور (مسرعا) — انتظر فإنى سأقوم بتجربة أخرى . إننى أحمل فى جيبى نسخة دقيقة الحروف من الكتاب المقدس ولا تمكن قراءتها إلا بالمكرسكوب . فهل ترى هذه التجربة صعبة ؟

العالم — كلا يا صاحب الجلالة فهذه تجربة سهلة جداً

(ويتقدم من الامبراطور ويتناول منه الكتاب المقدس ثم يلتفت إلى الجندى رقم ٢٤١ ويقول :

التفات !

در يميناً !

(يلتفت الجندى ويؤدى التحية العسكرية)

العالم — إننى أفتح الكتاب المقدس حيثما اتفق — إقرأ من هذه الصفحة

الجندى — إنجيل متى . الإصحاح الخامس . الآية الرابعة : طوبى للحزانى لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض

العالم (يلتفت إلى الامبراطور)

الإمبراطور — أصاب، فإنى أحفظ كثيراً من إنجيل متى

العالم — (يلتفت إلى الجندى) اطو هذه الصفحة واقرأ فى أخرى

الجندى — أشعيا، الإصحاح الثالث، الآية الخامسة عشرة. مالكم تسحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين . يقول السيد رب الجنود

الإمبراطور — صه ! (ويستند بظهره إلى الكرسى وقد بدا عليه الانفعال الشديد ويمسح جبينه بكفه مرات

ويتناول العالم الكتاب فيرده إلى الامبراطور فيضعه هذا فى جيبه ويقول إن قوته شيطانية . إننى أريد امتحانه على انفراد

العالم يمشى إلى المنضدة التى عليها حافظة أوراقه فيحملها)

الإمبراطور — أسرع وسأطلبك متى شئت بدق هذا الجرس

(وفى هذه الأثناء يظل الجندى واقفا مكانه وقد بدا على عينيه إصرار على عزم جديد

العالم — مره يا مولاى !

(ثم ينحنى ويخرج . ويظل الامبراطور يتأمل فى دهشة ولا يرفع بصره من الجندى ٢٤١ ثم ينزل بجلال عن عرشه ويمشى فى بطء نحو الجندى ويدور حوله ويفحصه ناقداً ممحصا . وهنا يبدو على الامبراطور فزع وخوف ويشعر بأن مركزه من هذا الجندى غير مأمون

الإمبراطور — أين مولدك ؟

الجندى — فى الجنوب يا صاحب الجلالة

الإمبراطور — ماذا كانت حرفتك ؟

الجندى (يبدى من غير إرادة حركة دالة على التبرم) — كنت زهّاراً . (فيتأمل الامبراطور فى أصابعه المدنية . ويفطن الجندى إلى هذه الملاحظة)

الجندى — لقد كنت أصنع باقات الورد ولكن بغير هـذه الأصابع (ينحى الامبراطور وجهه عنه) بل بأصابعى المفقودة

الامبراطور — ليس فى الحرب حفلات تحتاج للزهور

الجندى — أستطيع ياصاحب الجلالة أن أصنع باقات للموتى

(ثم يميل نحو الامبراطور)

(يلاحظ الامبراطور لهجة تهكمية فى خطاب الجندى فيتظاهر بالغضب)

الامبراطور — ألست شاكراً فضل العلم على ما قام به نحوك من الإصلاح ؟ تكلم !

الجندى — ماذا أقول ؟

الامبراطور — لقد أصبحت إنساناً بعد أن شوهت . لقد استرددت ما فقد منك

الجندى — نعم يا جلالة الإمبراطور ولكن قلبى تحطم

الإمبراطور — لماذا ؟

الجندى — أهلى يموتون جوعاً . وزوجتى وحدها



الامبراطور — إذن فأنت غير مزهو بأن العلم وجد سبيلاً لمضاعفة جيشنا وتقويته ؟

الجندى : بماذا ؟ بتقديمى ضحية للموت مرتين ؟

الإمبراطور (يتكئ إلى الكرسى مستنداً إليه) — هذا جحود !

الجندى — بمضاعفتك قوة جيشك ضاعفت أحزان الإنسانية

(ويخطو خطوتين فى عنف نحو الامبراطور)

الامبراطور — أنت تفوه بكلمات ثورية فى حضرة الامبراطور بما اجترأت على قوله

الجندى — اجترأت ؟ إن الخوف قد ذهب من جسدى الممزق إلى جسدك أنت (ويمشى نحو الزر الكهربائى متثاقلا ليطفىء النور)

الامبراطور — اجث على قدميك ، واطلب الصفح من امبراطورك

الجندى — إن هذا الجسد الذى أصبح معظمه من الحديد لا يجثو أمام جسد معظمه من الدم . إننى لا أركع إلا لله الذى أطلب منه أن يغفر لى ما اعتزمت على اقترافه الآن . بل لا وزر علىَّ فى إنقاذ العالم من روحك الطاغية. فالذى سأفعله هو لمصلحة الشعوب المرهقة . إن عيد ميلادك هذا هو عيد موتك وعيد مولد الحرية

(ويطفىء الجندي النور فيعم الظلام المسرح)

الامبراطور (صارخا) — النور ! النور !

الجندى — لست فى حاجة إلى نور

الامبراطور (يشتد صراخه) — النور ! النور !

الجندى — لقد جعلتنى أعيش فى الظلام فت أنت الآن فى الظلام

الامبراطور — (وهو يكاد يختنق) الرحمة ! الرحمة !

الجندى — إنك لن تستطيع الإفلات منى . إننى أستطيع رؤيتك فى أحلك الحلك ، وأستطيع سماعك مهما خفت صوتك . تعال إلى اليد الحديدية التى تباهى بأنك صنعتها لى . لا ترتعش واذهب إلى ملك الملوك

(يسمع صوت جلجلة الحديد وصلصلته وتسمع أصوات من خارج القاعة ممتزجة بصرخات، وبصوت الأسنان الحديدية والأيدى والأرجل المعدنية . ثم يسود الصمت مرة أخرى وتضاء الغرفة فيظهر الجندى ٢٤١ واقفا وأمامه الامبراطور ملقى على الأرض عند عتبة العرش ، ثم ينحنى الجندى على صدره فينتزع الوسام ويضعه على صدر نفسه

ويدخل العالم الذى كان مختبئا إلى الآن وراء الستار)

العالم (مذعوراً) — ما هذا ؟

الجندى (رافعا يده المعدنية إلى السماء صائحا بصوت كالرعد) :

« الدم والحديد ! »

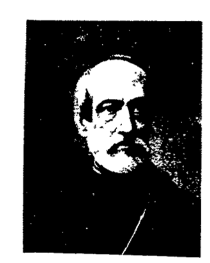
ستار

التاريخ في سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثـل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف



لئن كان فى المجاهدين رجل أعوزه فى جهاده المرير كل سلاح فتسلح بإيمانه فحسب ومشى يهزأ بكل قوة حتى تغلب بذلك الإيمان وحده على جميع القوى التى غالبته ، وأثبت فى النهاية أن المثل العليا فى مختلف أوضاعها هى خير هاد للبشرية إلى ما تنشد من كمال ، فذلك الرجل هو يوسف مازينى رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء .

وما نجد فى الذين خلوا من قبله من المجاهدين والزعماء من كان مثله فى ذلك ؛ فهذه جان دارك الفتاة الناعمة على ما توافى لها من إيمان قد لبست الحديد واعتلت صهوة جواد وأقدمت يحف بها الجند وتلتمع من حولها السيوف ؛ وهذا وشنجطون الزعيم الشيخ قد خاض إلى النصر غمرات الحتوف على رأس الأنجاد البواسل من جنوده ؛ ثم هذا لنكولن المجاهد الصابر لم يجد بداً آخر الأمر من امتشاق الحسام ليصل به إلى ما لم تجد فى الوصول إليه وسيلة من الوسائل .

لذلك كان مازينى بدعاً من الزعماء ، وكان كفاحه فاتحة عهد جديد فى كفاح المغلوبين على أمرهم ، ثم كان جهاده مثالاً يحتذى كما كان صبره على ما لقى من الأذى ومجابهته حوازب الخطوب أحقاباً طويلة وحياً للمجاهدين من بعده يوحى البطولة إلى نفوسهم ويربط على قلوبهم ويحبب إليهم التضحية والفداء . ومن هنا كان خطر مازينى فى تاريخ الحرية ، ثم من هنـا كان أساس عظمته ومبعث قوته .

أما فى الذين خلفوا من بعده فقد نستطيع أن نضع إلى جانب اسمه اسم سعد فى مصر واسم غاندى فى الهند ؛ فلقد انتهج هذان البطلان منهجه عامدين أو غير عامدين ، إذ كان سلاح كل منهما إيمانه فحسب ، وكان ما تعرض له كلاهما من ألوان الخطوب بحيث يبوئهما بلا شك مكان كبار الأبطال ، كما كانت قضية كل منهما قضيته وإن اختلفت الظروف وتباعدت الأيام .

***

ولد يوسف مازينى فى جنوه فى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٠٥ ؛ وكان أبوه طبيباً يتمتع بقسط من الشهرة فى تلك المدينة ، وكان رجلاً رقيق الحاشية ، عطوفاً حتى ليمد يد المساعدة أحياناً إلى المرضى دون أجر ، وإن كان يعنف فى بعض الأحيان على أسرته وربما شيئاً من الغلظة والتحكم . وكانت أمه امرأة صالحة قانتة قوية الخلق ذكية الفؤاد ، ولقد ورث الصبى هذه الخلال فيما ورث من أمه فكان أكثر شبهاً بها منه بأبيه .

ونشأته هذه الأم قوياً ، فلقد كانت تمنى أشد العناية بإعداد أبنائها لملاقاة مصاعب الحياة يوم يجابهون الحياة ؛ ودرج الصبى فى عصر كان ينذر بجسيمات الأمور ، عصر كانت البلاد فيه أشد ما تكون حاجة إلى أولى الفطنة والعزم من الرجال ؛ وراح يستقبل الشباب فى الوقت الذى كانت إيطاليا تستقبل فيه فترة من حياتها كانت كفترة الشباب من حياة الأفراد .

ولد مازينى بعد ثلاثة أعوام من تتويج ابن الثورة بونابرت امبراطوراً على فرنسا ؛ وكانت لا تزال انتصاراته فى إيطاليا تشغل أذهان بنيها ، تلك الانتصارات التى وضع بها أساس مجده وعظمته ؛ وكانت نفوس الإيطاليين لا تزال تجيش بما هبط عليهم من وراء الألب مع الفاتحين من مبادئ تلك الثـورة التى افتتحت فصلاً

جديداً فى تاريخ بنى الإنسان ؛ وأحس ذلك الشعب كما أحس غيره من الشعوب أنه تلقاء فجر عصر جديد يخالف ما سلف من العصور أشد المخالفة ، وكانت ترف على جانبى ذلك الفجر أطياف جميلة بسامة ولدت كلها من النور كأنما تهبط من عالم غير هذا العالم الذى ألف الظلام ؛ ولقد اشتد هيام الناس بتلك الأطياف الساحرة التى سموها الحرية والديمقراطية والمساواة ، وراحوا يمنون أنفسهم بالصباح الجميل بعد ليلهم الحالك الطويل .

ولكن الصبى لم يكد يناهز التاسعة من عمره حتى كان الامبراطور فى قبضة أولئك الذين كان زعيمهم بالأمس مجرد ذكر اسمه ؛ وأرسل « القورسيقى الصغير » كما بات يدعوه أعداؤه إلى جزيرة إلبا حيث يلاقى ذل الأسر ؛ وشاعت فى طول أوربا وعرضها أحاديث القومية ويقظة الشعوب وتحطيم الاستبداد وما إليها من العبارات التى ولدها الجيل ، وتكشف الفجر عن طيوف جديدة ازداد بها طلاقة وسحراً .

على أن الناس فى إيطاليا وغير إيطاليا ما عتموا أن أدركوا أنهم كانوا تلقاء فجر كاذب ، فلقد راح أرباب العروش وأقطاب السياسة يمدون الأغلال والسلاسل بدعوى القضاء على عوامل الفوضى والضرب على أيدى الخارجين على حكامهم الشرعيين ؛ وهبط الليل ، وانحسرت الموجة العاتية التى انبعثت من فرنسا ، ولكن لتتجمع فتتلاطم فتندفع فتحطم الجسور وتجرف السدود .

ويستمع الصبى إلى هذه الأنباء فى بيته حيث كان يلتقى خلان أبيه ، فلا يفهم منها إلا بمقدار ما يسع عقله الصغير ؛ ولكنه كان صبياً قوى الخيال منذ حداثته ، وعصر الطفولة هو عصر الخيال الخصب ، هو ذلك العصر الذى يخيل إلى كل طفل فيه أنه قادر على أن يكون بطلاً ككل من يسمع سيرهم من الأبطال؛ ولذلك تحرك خيال الصبى أكثر مما تحرك عقله ، وامتلأ لا ريب بشتى الصور عن ذلك القورسيقى الإيطالى المولد الذى جاب البلاد قاصيها ودانيها فاتحاً ظافراً ليستقر آخر الأمر أسيراً فى جزيرة إيطالية . وما الذى هزم ذلك الجبار وأنزله من عليائه ؟ ذلك ما يتساءل عنه الصبى . وماذا يعنى أبوه بقوله اتحاد الشعوب ضده ؟ ولكن خياله القوى لا يلبث أن يسعفه بالجواب ، فهو وخلانه الصغار إذا اتحدوا على صبى كبير فإنهم يخيفونه ويهزمونه؟ وهكذا يتعلم زعيم الغد أول درس من دروس الجهاد ويفطن إلى أول عدة من عدد القوة .

ويحار الصبى أحياناً بين مادحى ذلك الجبار وبين قادحيه ؛ ولئن استطاع أن يدرك أنه يمنض لأنه كان مستبداً يفرض إرادته على الشعوب ، فما يقوى عقله الصغير على متابعة الذين يمدحونه والذين يسندون إليه أنه خطا بإيطاليا خطوات واسعة نحو الاتحاد فقضى على حكم البربون وحكم البابا ، وأشاع فى البلاد على رغم خضوعها له شعور القومية والوحدة . لا يستطيع الصبى أن يفهم ذلك جلياً ، وإن كان خياله لا يتقاصر عن تصور الوحدة ولو فى أبسط صورها ؛ وإنه ليدين لهذا الخيال بالكثير مما يتعلم فى هذه السن . وهل يفلت من الخيال فى غد يوم يكون شاباً مثقفاً أو كهلاً مجرباً ؟ كلا . فلسوف يكون الخيال من أعظم أسباب قوته ومن أشد دعائم إيمانه ومن أبرز خصائصه ؛ وإن كان بعض دارسيه يعيبونه عليه وينكرون إسرافه فيه ، وهم لو أنصفوا لرأوا فيه عنوان محامده . وكم كان للخيال من فضل على كثير غيره من العظماء !

ويجلس الساسة فى ڤينا بعد واترلو يتحكمون فى مصير الضعفاء ويقضون قضاءهم فى إيطاليا كما قضوا فى غيرها ، فإذا سلطان النمسا يفرض على ولاياتها وتضم جنوة إلى بيدمنت ، وقد طالما مناها الساسة بالاستقلال ، وتعود إلى البابا ولاياته وسلطته ، وتقام فى نابلى مملكة تخضع للبربون ، ويتفق ملكها سراً مع زعيم الرجعية العتيد فى ذلك العصر مترنيخ على ألا يمنح شعبه دستوراً إلا بإذن من النمسا . وهكذا يفلح ذلك السياسى الماكر فى تقسيم إيطاليا وتفريق كلمتها حتى ليحق عليها قوله : « إن إيطاليا ليست سوى اسم جغرافى » .

وتخيم الرجعية على إيطاليا جميعاً وتطارد الحرية الشريدة أينما ظهر هيكلها المكدود أو لاح علمها الممزق ؛ وينتقل الصبى من طور الخيال الغالب إلى طور العقل المتيقظ فى مثل ذلك الجو البغيض

ولن يمل الصبى القراءة فيتناول أعداداً قديمة من صحيفة الجيروند كان قد دسها أبوه بين كتبه الطبية مخافة الرقباء ، وينهل ما شاء من معين عذب يروى غليل نفسه ويبهج روحه ويثبت فؤاده ؛ ويحرم عليه وعلى التلاميذ الكتب التى تخشى الحكومة منها فلا يعطون إلا الكتب الكلاسيكية ليكون لهم فيها ما يبعدهم

عن الآراء الثورية ، ولكنهم يقرأون تاريخ الإغريق والرومان فيعجبون بالنظام الجمهوري ويطربون لما تقع عليه أعينهم من مبادئ الديمقراطية .

ويستشرف الفتى للسادسة عشرة من عمره فتهز نفسه من أعماقها أنباء تتناقلها الألسن عما انبعث من الرجفات فى أنحاء إيطاليا ، فإن الناس حين ضاقوا بحالهم لم يجدوا بداً من تكوين الجماعات السرية وكان من أشهر هذه الجماعات جماعة الكاربونارى ، وما زالت هـذه الجماعة تنمو وتنتشر حتى كان لها أنصارها فى أكثر الولايات ! وكان لهذه الجماعة بحكم تكوينها رموز يعرفها أعضاؤها ، فاسمها معناه « موقدو الفحم » ، ومن مبادئها « طرد الذئاب من الغابات » ولعلهم يريدون طرد الحكام الأجانب من البلاد . على أن غاية الجماعة كانت تنحصر فى القضاء على الاستبداد وإحلال الحكم الدستورى محله

وما حل عام ١٨٢٠ حتى هبت الثورة فى نابلى ، وقد جاءت الأنباء إلى الكاربونارى هناك عن ثورة فى أسبانيا ؛ وأسقط فى يد الملك فأجاب شعبه إلى الدستور ؛ وحذا الكاربونارى فى بيدمنت حذو إخوانهم فى الجنوب ، فاندلعت نيران ثورتهم فى صورة لم يجد ملكهم بداً إزاءها من اعتزال الحكم ، فقد خشى من النمسا أن يمنح شعبه الدستور ؛ واتسع نطاق الثورة حتى شملت لمبارديا نفسها وكانت تخضع مباشرة لحكم النمسا

ولكن النمسا ما لبثت أن ساقت جيوشها فقضت على الثورات وأرغمت الثوار على الفرار ونكلت عن وقع منهم فى يدها، وأثبت مترنيخ لساسة أوربا مقدرته على مقاومة هذه الحركات، وإنه ليُنسى أن القوة المادية مهما بلغت لن تقضى على القوة المنوية ، وإن هذه الثورات إنما تستمر كما تستمر الجمرات تحت الرماد ؛ وهل كانت الحرية إلا تلك الشعلة التى لا تزداد مع الضرب إلا توقداً واشتعالاً ؟

وكان الصبى يمشى صحبة أمه ذات يوم فى أحد شوارع جنوة فوقعت عيناه على فلول من الهاربين كانوا فى طريقهم إلى أسبانيا ، ورأى معانى اليأس تلوح فى وجوههم المصفارة ، كما رأى آثار الإعياء بادية فى أجسامهم المكدودة ، وكان بعضهم لا يجد ما يقتات به وقد عضه الجوع أياماً

واستقر فى خاطره هذا المنظر فما يبارحه قط ، وحرك اليوم خياله وعقله معاً ، وأخذته حال من الهم صرفته عن كل شىء حتى باتت أمه تشفق مما ألم به ، ثم أخذ يفكر فى أسباب هزيمتهم ويتتبع أنباءهم حتى اهتدى إلى حكم ؛ فقال وهو لا يدرى أنه كان يعبر عن الواقع «لقد كان من الممكن أن ينتصروا لو أن كل فرد قد أدى واجبه »

وتعلق خياله بالكاربونارى ومبادئهم فما يلتفت إلى شىء سواها ، وكان يومئذ فى سن اليفاعة ، سن الأحلام والآمال ، سن التوثب والتطلع إلى المثل التى ينسجها الخيال ويفيض عليها من سحره ومن تلفيقه ، وهو ذلك الفتى الذى اشتد خياله حتى أشرف به على المرض . أنظر إليه كيف آلى على نفسه أن يلبس السواد منذ ذلك اليوم الذى رآه أسود فى خياله ، فلن يبدل ثيابه السود بعدها حتى يلفه الكفن ويضمه سواد القبر

وهكذا ينضم الفتى إلى الكاربونارى بآماله وقلبه ، ويتحرق شوقاً إلى اليوم الذى يجاهد فيه بين صفوفهم ، ويستعذب معهم الألم فى سبيل قضية الحرية والدستور

ويعود إلى كتبه بعد حين وقد انطوت نفسه على ما لن تقلع عنه بعد اليوم ؛ وكم وجه سواه من العظماء وجهتهم حادث بسيط تقع عليه أعينهم فيرون فيه على بساطته ما لا يراه غيرهم، وتستشف نفوسهم من خلاله من المعانى ما لا تستشفه إلا كبار النفوس ؛ وتلك خلة يمتاز بها العظماء أبداً من سائر الناس ...

وكان الصبى يدرس الطب ليخلف أباه ، ولكنه أخذه الإغماء مرة وهو يشهد عملية جراحية ، فمال به ذلك الحادث عن الطب فاختار القانون؛ وكان يحس بميل قوى إلى القانون، فلعله كان يراه أقرب إلى ما وطد العزم عليه ، وإن يكن قد أبغض طريقة تدريسه وبرم بالكتب التى تشرح قواعده

على أنه كان يكثر قراءة الشعر والتاريخ ففيهما لخياله المشبوب مجال ، ولروحه المتوثبة وحى ؛ ولنفسه الحزينة عزاء . ولما أوفت به سنه على الشباب عرف بين أقرانه بفصاحة اللسان وصفاء الذهن وحماسة القلب وشدة الشعور وجموح الخيال

(يتبع) الخفيف



الإسلام الفن وإسلامنا:

فلنغير ما بأنفسنا

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

قواعد الإسلام هي:

١ — الشهادة بأن لا إله ... إلا الله وحده ... وحده لا شريك له في أي ناحية من نواحي ألوهيته ، ومنها تفرده بالخلق فهو واهب الحياة ، وواهب الرزق ، وواهب الراحة في الحياة ، وفي الموت ، وفيما بعده . ومنها تفرده بالحكم فلا حكم إلا لقضائه وأمره وشرعه ... هي الشهادة بالله . وأظن أنه لا جدال في الله

٢ — الشهادة بأن محمداً رسول الله ... وهذه قضية تقوم على ركنين : أولهما أن محمداً رسول ، وثانيهما أنه رسول الله . أما أنه رسول فحياته كلها تشهد بذلك ، فقد كان صاحب فكرة خاصة محدودة تسلطت عليه منذ يقظته إلى الكون وانتباهه إلى نفسه ، فلم يخرج عن حدود فكرته هذه لا في عمل ولا في قول ، ولا في جد ولا في هزل . حتى لقد كان يمزح فلا يقول إلا حقا . وقد بدأ انطلاقه في اتجاهه هذا منذ طفولته المبكرة فعرف فيه الناس طفلاً « الصادق الأمين » وليس للأطفال جرائم ولا زلات إلا الكذب وإغفال العهد فمن لم يقترفها منهم كان الطفل الطاهر، محمداً . ما أروع اسمه !

هو إذن رسول فكرة ... فأية فكرة كانت فكرته ؟ كانت الحق ، وكانت الفطرة . والحق هو الله ... والفطرة هي الطبيعة التي أوجدها الله ، ومن قوانين هـذه الطبيعة التطور والارتقاء بالمادة والروح

فهو إذن رسول الله ، لا رسول الشيطان ، ولا رسول فكرة أخرى آثمة بعثتها نزعة من نزعات نفس متعجلة ... فمن محمد ؟ إنه بشر لم يخرج على طبع البشر . فهل من طبع البشر أن يستطيع الاتصال بالله ؟ ... إنه يستطيع لو كانت في نفسه مؤهلات محمد ومواهبه ثم جاهدها جهاد محمد . فإذا لم يستطع فليشابهه قليلاً أو كثيراً حسبما يستطيع ، ومن كان كعمر فهو خير ممن كان كزفر

٣ — الصلاة : والصلاة عمل وكلام : قيام يقرأ الإنسان فيه من كلام الله ... كذلك يجب أن ينهض المسلم في الحياة وأن يذكر الله ... وعليه أن يذكر الله في عمله ، وفي قوله ، فالصلاة عمل وكلام ... وركوع ... هو هذا الانحناء أمام ربنا العظيم ... العظيم حقاً ... الذي فعل ويفعل ... وسجود لربنا الأعلى ... إليه وحده الذل ، وبه وحده العزة ، وعنده وحده الأمان ، وفيه وحده الرجاء ... وهذه الجلسة الأخيرة المطمئنة التي يقرأ فيها المصلي التحيات لله ، والسلام على النبي وعلى نفسه وعلى المؤمنين. كذلك يجب أن يفعل الإنسان حين يطمئن وحده أو بين الناس أن يكون كلامه وعمله تحيات وسلاماً ... لله وللنبي وللمؤمنين ولنفسه . فالصلاة إذن تلخيص لما يجب أن تكون عليه الحياة . ولو أن الناس ذكروا الله ونهضوا ، وعظموه وخشعوا، وأجلوا شأنه وذلوا له وآمنوا به، وكان الذي بينهم وبين الله والنبي والناس وأنفسهم تحيات وسلام ... لو أنهم فعلوا هذا فيما بين الصلاة والصلاة ، لكانت حياتهم صلاة في صلاة ...

٤ — صيام : والصيام زهد في حاجات البدن ، وهو دليل على إمكان الرق وهو من بشائر القيام بالذات ... وهو عدو المادة الذي نصره الإسلام

٥ — الزكاة : والزكاة نزول عن جزء من ملك الإنسان

الناس ، فمن كان ملكه مالاً فعليه نصيب منه يجب أن يؤديه للناس ، ومن كان ملكه معنى فإن عليه نصيباً منه يجب أن يؤديه للناس .. ومن أحسن وتصدق فإن له فى الصدقة عشرة أمثالها .. ذلك أن الإحسان يبعث فى النفس شعوراً بالراحة والغبطة ، فإذا أحب الإنسان الإحسان أحب هذا الشعور ، فمارس من أجله الإحسان وأدمنه واستلان له حتى يقضى العمر فى إحسان وإحسان، فهو فى راحة وغبطة ما دام محسناً ... إن فى الإحسان جزاء الإحسان ، وإن الذى عند الله خير وأبقى

٦ — حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً : والبيت حرم تتجه إليه القلوب والأنظار والأسماع . وللحج وقت خاص يجتمع فيه القادرون عند هذا البيت . . . من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ومن الجنوب ، فإذا كانت أمة فى محنة حج القادرون من أهلها إلى البيت والتقوا عنده بالحجاج ممن يملكون عونهم فاستعانوهم ، والإسلام أخوة ، والتعاون فيه واجب ، فالحج إلى البيت يشبهه ما يريد الغرب أن يحج رؤوسه إلى جنيف أو لوزان

هذه هى قواعد الإسلام وهذا هو شىء عنها ، وإن الإسلام لأجل وأجل من هذا الذى بسطت وأعظم

فهل فى الدنيا مسلمون كثيرون ؟

الواقع أننا فى حاجة إلى صرخة جديدة تهتف بالإسلام ليفيق على دويها المسلمون الذين نام الإسلام فى قلوبهم — ولا نقل إنه مات ، لأنه لا يمكن أن يموت ، فهو دين الفطرة والطبيعة المرتقية ، فهو حى ما كانت الحياة ، إذا أغفله أهله المنسوبون إليه ، فإن غيرهم ساع إليه متعلق به، يحققه قليلاً قليلاً ، حتى ليشهدن فى آخر الأمر به عمله ، وليعلنن الشهادة بعد ذلك بلسانه

وهاهو ذا برناردشو يقول إن الإسلام هو الدين الذى سيسود أوربا بعد مائة عام . وهو لم يقل هـذا إلا لأنه لحظ اتجاه الحياة الأوربية إلى مبادئ الإسلام الحقة تستنجد بها كلما أحست وحشة المادة وظلمتها ، مدفوعة فى ذلك بعوامل الطبيعة لا بتبشير يزاوله المسلمون ، ولا بجهاد يمارسونه . و « شو » فنان من الغرب يعرفه الناس بأنه قد حرر عقله ، وهو يؤذن بالإسلام على رأس أوربا ... فكم من فنان « مسلم » يفعل اليوم هذا ؟ ... قليلون جداً ، فأكثرهم لم يتحرروا كما تحرر هو ، وأكثرهم لم يصقلوا إحساسهم كما صـقل إحساسه هو ، وأكثرهم لم يطلقوا عقولهم من أغلال الزيف كما أطلق عقله هو ، وأكثرهم يعربدون فى ظلمة الباطل خارج الحدود التى رسمها الإسلام للحياة ... ولا يعربد هو . وكأنما هم يجهلون أن الفن من الحياة ، وأن للحياة حدوداً رسمها الإسلام فحصر فى داخلها أصولها ، ثم ترك الخيار بعد ذلك لكل مسلم أن ينطلق داخل هذه الحدود ما حلا له الانطلاق ، وحدود الإسلام ليست قيوداً مما يشل الحركة ، ولا هى أغلال مما يمنع النهوض ، ولا هى عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هى أحجار مما يثقل على الحس ، ولا هى جهالات مما يمتنع على العقل الاقتناع به وتدبره ، وإنما هى حدود الطبيعة التى لا يمكن خرقها ، والتى لا يخرقها إلا من يظلم نفسه ، وهى ليست شيئاً إلا تحرير الإنسانية من كل عبودية تفرض عليها إلا عبادة الله ومن كل تقليد أو نظام يراد به العبث بكرامة العقل أو كرامة الروح . . . وهى فى ذلك كله سعى حر بالتطور إلى الارتقاء

فعلينا أن نسعى إلى هذا ومن الله العون

وعلى أهل الفن الإمامة فى هذا السعى فهم الموهوبون فضلاً من روح الله ، وعليهم زكاة الروح كما أدى غنى زكاة المـال . وليقرأوا معنا من آيات القرآن قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فهذه أمام العيون حقيقة من حقائق الإسلام التى تحتمل الأكوان ، وتنهض بالأقدار . وقد تكون عند من يسمعها ويتفهمها أمراً بديهياً تراه كل عين ، ويحسه كل قلب ، ويعيه كل عقل حتى لكأنها تشبه قولنا : « إننا بشر » و « الملح يذوب فى الماء » و « النار تبعث الحرارة » فكل هذه حقائق ليست فى حاجة إلى الترديد لأنها معلومة متفق عليها لا ينكرها ولا يجحدها عقل إنسان . ولكن هذا لا يعيبها طبعاً ، فهكذا طبع الخلود والدوام فى الحق : قد نجهله ، وقد نظل أطول العمر نجهله فإذا عرفناه قلنا : « هـذا صحيح » ولم نقل أكثر منها ، ثم تعجبنا له أو لم نتعجب ، ثم أطلقناه بعد ذلك فى أنفسنا يغيب فى آفاقها حيثما شاء لا نراقبه ولا نتقصى أثره لأننا مطمئنون إليه بما جبلنا عليه من حبه ، ولإيماننا الفطرى بأنه مهما غاب فى أنفسنا ؛ فإنه منجدنا عند ما نستنجده ، وبأنه مجيرنا وقتما

محتاج إليه ونطلبه وأنه يأبى أن يخذلنا فهو الحق ، والحق هو الله ، والله قريب يلبى دعوة الداعى إذا دعاه ... ولكننا لا ندعو من الحق إلا قليلاً ، ندعوه بعد نكران أو نسيان ، وأغلب ما ندعوه فى حاجات الأبدان، ليتنا نذكره فى غيرها وندعوه، فتصبح لنا إلى جانب هذه الحضارة التى أقامها العالم بالأسمنت و « الزلط » حضارة أخرى نقيمها نحن بالحب والرحمة ...

فما لنا لا ندعوه ؟!.

سبيلنا واضح وهو الإسلام . وهداتنا إليه الفنانون قبل العلماء ، فهم الذين يناجون شعورنا وهو أول علامات الحياة فينا ، وأنهم يقولون إن طلبهم التحرر ، وأنهم لا يطيقون القيود ، وأنهم يحبون أن ينطلقوا فى الحياة كل منهم وراء فكرة ، وأنهم يبذلون أنفسهم للناس فيحترقون ويضيئون لغيرهم الطريق ، وإن مأربهم فى الدنيا تحية وسلام . فهل هناك حياة تحقق هذا كله فى أروع الصور إلا حياة الإسلام ؟ فعليهم أن يباشروها ، فهى التى تبعث الفن ، أسمى الفن ، وتقود إلى الهدى ، أصوب الهدى وتنشر بين الناس أطيب ما تمنته الإنسانية من أسعد الأحلام...

وهم أقدر الناس على هـذا ما دام المفروض فيهم هو أنهم أشد الناس إحساساً ، وأسرعهم إدراكا لحقائق الحياة القريبة من الفطرة ، أو التى هى الفطرة نفسها ، والتى غيبتها عن إدراك الجماهير هذه الأستار أسدلتها الصناعة على الطبيعة ، وهذه الوسائل أراد بها الناس أن يأخذوا من الأرض أكثر مما تحتمل طاقتهم فرزحوا تحت أعباء ما حملوا ، وثقلت عليهم أعباؤهم فشغلتهم عما كان جديراً بهم أن يلمسوه ، وأن يحسوه ، وأن يعقلوه، من شئون أنفسهم ومن شئون هذه الخلائق التى تحيط بهم ، وما يربط هذه الموجودات جميعاً من نظام لا يختل ، ولا يعتل

جماهير الناس لم تعد آذانهم تسمع أصوات قلوبهم وأفئدتهم فقد طغى على هذه الهمسات الناعمة قصف الدافع ، وضوضاء البورصات ، وصفير القطر ، وأزيز الطيارات ...

جماهير الناس لم تعد أعينهم ترى ما فى أحضانهم من نفوس أزواجهم وأولادهم ، فقد غاب كل مرئى فى هـذه الحضارة بين سحائب الدخان الكثيف الذى تنفخه المصانع فتسمم به الهواء وتسوده ظلاماً

جماهير الناس لم تعد تملك أن تقف وقفة المتريث المتعرف المتأمل عند أى ظاهرة من ظواهر الجمال أو ظواهر القبح ، فالناس اليوم متسرعون متعجلون ، يجرون ويطيرون ويقفزون على وجه الأرض كما يرقص الشيطان .. يمرون بآلاف من شواهد الحق والحكمة ، ولكنهم لا يلمحونها إلا كما يلمح العقاب من فوق السحاب دبة النملة تحت التراب ...

فأى شيء وراء هؤلاء ؟ وأى شيء يسممون؟ وأى شيء يمون؟ إنهم أشقى القرون وأبأس الأجيال ! . .

وليت للمسلمين فى هذه السوق ما لغيرهم من ربح المادة ، فقد يكون فى المـادة عزاء ... بل حاشا أن يكون فيها إلا عزاء السكرة ... وهم حتى فى هذا متراجعون متأخرون رانت عليهم قناعة النائمين ، فلا هم كسبوا الدنيا ولا هم ربحوا الدين ... فمن منقذهم من هذا غير الفن يلتهب فى بعض النفوس بوهج من حر الإسلام ، يشمله الإيمان ، وتزكيه الرعاية ، ويحفظه الإصرار على إرضاء الله ...

وإن فينا فنانين تعرفهم جماهيرنا ... ولكنهم مشغولون بما يقرأون من كتب الغرب التى أوحتها حضارة المادة الملفقة ، عن آيات الخلد المبسوطة للعيون فى القرآن ... وحتى هم إذا قرأوه لم يقرأوا منه إلا لفظه وأسرعوا فى تلاوته كأنما هم يعدون أرقاماً . وفيه آيات جمعت أسرار الحياة ...

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهـــام
فى تاريخ العـلم
بقلم مريون فلورنس لانسنغ

قصـــة العجلة

أبونا النبل — الربح والنبار

كان الإنسان الهمجي لا يضع على جسده ستراً سوى جلد الحيوان ، وكان إما دافعاً صخرة أكبر من أن يستطيع حملها وإما حاملاً عبئاً ينوء بحمله — هذه أول صورة نتخيلها للرجل القديم أثناء مزاولته عمله

ما أضأل وما أعيا ما يبدو لنا الإنسان الأول عند ما نتصوره واقفاً بالعراء وليس لماضيه تاريخ يفيد منه وليس له إلا جسمه القوى وإلا مواهبه الذهنية التى عليه أن يقهر بها الدنيا ويخضعها له ! وكان لا بد له من قهرها لأنه إذا لم يحصل على الطعام والمأوى والدفء فإنه ميت لا محالة

إن الدنيا حافلة بالكنوز التى فيها وسائل نعمته وراحته . ولكن كيف يستطيع ذلك ؟ لم يكن لديه مفتاح تلك الكنوز ولا لديه المرشد لمصادرها، ولا غرابة فى أن يكون بطيئاً فى الوصول إلى شيء ما . وإنما الغرابة فى سرعته — على الرغم من قلة التجربب ذهنياً ويدوياً — فى الوصول إلى أشياء يقضى بها حاجياته

يقف الرجل الهمجى أمام عبء أثقل مما يستطيع حمله كما تصورناه فى بداية المقال، وليس لديه من الآلات إلا أجزاء جسمه وليس يستطيع السفر إلا إلى حيث تستطيع قدماه حمله ولا يحمل إلا ما تقوى ذراعاه على رفعه ولا يدفع إلا ما يندفع أمامه . هذه صخرة أمامه وها هو ذا لا يستطيع أن يحركها

ربما وجد هذا الإنسان القديم غصناً ساقطاً من شجرة فوضع طرفه عند تلك الصخرة ودفعه فوجد الصخرة تتحرك . . . إن حدث ذلك فإن دهشة ستغمره وسيجرب غصناً قصيراً فلا يجد له فائدة وسيجرب غصناً أطول فيجد فائدته أكبر . وإذا صادف وجود صخرة أصغر من الأولى على مقربة منها ووضع الغصن فوقها ووضع طرفها تحت الصخرة الكبيرة فقد يجد أنه يستطيع رفع تلك الصخرة عن موضعها بإحداث ثقل من جسمه على الطرف الآخر من الغصن دون أن يحمّل عضلاته مشقة الدفع والرفع

إن فعل ذلك فإنه يخطو خطوة عظيمة فى سبيل الابتعاد عن مستوى الحيوانات التى تعيش معه فى نفس الغابة لأنه باستكشافه هذا يكون قد عثر على قانون من قوانين الطبيعة هو نظرية الرافعة التى بواسطتها يمكن استخدام ثقل ضئيل لرفع ثقل أكبر بالضغط على الطرف الآخر

لم يكن ليعرف فى ذلك العهد أن هذا قانون من قوانين الطبيعة فقد مضت مئات كثيرة من السنين حتى ظهر العلامة اليونانى أرخميدس وتبين هذه النظرية وما يمكن أن يترتب عليها من النتائج المدهشة فقال : « لا أريد إلا مكاناً آخر أضع عليه الرافعة فيصبح فى وسعى تحريك هذه الدنيا

وكانت لحظة عظيمة تلك التى عرف فيها أرخميدس قانون الروافع ، ولكن ألم يكن أكبر من هذه اللحظة تلك اللحظة الأخرى التى احتاج فيها الصياد القديم إلى شيء فوق طاقته فصنع رافعة وهو يجهل كنهها من الخشب وحرك بها الثقل

كان هو البشير بالرجل الذى رفع الصخور الضخمة ليبنى بها أهرام مصر كما كان هو البشير بمهندس القرن العشرين الذى يرفع القوائم الحديدية إلى قمة ناطحات السحاب

وإنما نجح ذلك الرجل لأنه لا يريد أن يفشل فى واجب لم يستطع أداءه ، وربما كان العبء الذى أراد الصياد القديم أن يحمله إلى كهفه صندوقاً فيه جثة وحش ليقتات من لحمه ، وربما

كان قد أعانه على تحريك هذا الصندوق عمودان من الخشب وضعهما تحته فاستطاع بواسطتهما نقل الصندوق إلى مكان أبعد من الذي يستطيع نقله إليه لو حمله على ظهره

لكن هذا العمود كان في البداية شجرة طويلة غير مشذبة تتدحرج باليد على أرض غير ممهدة، فَنَقْل الصندوق على عمودين من هذا النوع أمر يشق على صياد مُقْتَضب. لكن صادف أن كان العمود ناعم الملمس حسن الاستدارة، وكان وضعه تحت الصندوق بشكل حسن، فسهل تحريك الصندوق الذي كان تحريكه صعباً من قبل

في تلك العصور المظلمة التي نتخيل حدوث هذه القصة فيها كانت توجد كتل من الخشب مستديرة وهي مقطوعة من جذوع الأشجار

وكان في ذلك العهد رجل أذكى من رفاقه، فبعد أن نقل الأثقال على أشجار تتدحرج حتى كاد ظهره أن ينكسر، رأى أن يحفر اثنتين من هاتين الكتل وأن يصل بينهما بعمود يمر بوسط كل منهما لا يكون بجسم الشجرة التي تجر على الأرض. هذا هو أول نوع من أنواع العجلتين ومن المحور الواصل بينهما

وبهذه الوسيلة عرف الإنسان قانوناً آخر من قوانين الطبيعة هو نظرية الاحتكاك، والاحتكاك معناه تمرير سطح على سطح. وهذه النظرية تفيد الإنسان من عدة وجوه، وقد كنا نتزلق على الثلج بغير قبقاب « الباتيناج » لولا معرفتنا تلك النظرية

لكن إنسان ما قبل التاريخ كان يستخدم كل قوته ضد قوة الاحتكاك، فكان يوجه جهد عضلاته لجر الأثقال على الأرض، فلما رفع الأثقال عن الأرض استفاد كثيراً ووجد الدحرجة على أشياء مستديرة أسهل من الجر على الأرض، فلما عرف العجلتين المتصلتين بواصل بوضع تحت العبء تضاعف كسبه، فقد أضاف قوة العجلة إلى قوته وطبق نظرية الرافعة مرة أخرى لرفع الثقل عن الأرض حتى لا يجر جسماً مسطحاً على جسم مسطح

وشتان بين تعلم هذه النظريات من كتب الطبيعة بطريق الدرس وبين معرفة الرجل القديم لها واحدة بعد واحدة، معانياً الكثير من الفشل في مقابل القليل من النجاح. وهو في أثناء ذلك يحتال على تخفيف الجهد القاصم للظهور والمستنفد للقوى

إننا نجل الذين كان لهم من الحكمة ما ساعدهم على أن يفهموا وأن يستنبطوا القوانين العظيمة التي أقيم عليها بناء هذا العالم فلا تنس أن تكرم ذلك المخترع المبتكر الذي كان له من الذكاء ما مكنه من صنع العجلة

أبونا النيل

« أقبل الفيضان! أقبل الفيضان! أبونا النيل يعلو »

هكذا كان يقول الأطفال في مصر فيترك كل عامل عمله ويذهب ليشهد النيل العظيم وقد بدأ يفيض ماؤه على جانبيه

وقد كانت أرض مصر مدة أشهر عشرة قبل الفيضان جافة بتأثير الشمس الجنوبية المحرقة، وها هو ذا الصيف قد أقبل وارتفع ماء النهر المعبود جرياً على عادته التي لم يخلّ بها؛ وها هو ذا يترك مجراه ويصل إلى أماكن بعيدة من أرض البلاد التي يهبها الحياة، ويظل النيل خمسين يوماً يُنعم على الناس ببركاته. وعندما يعود إلى مرقده الآمن بين شاطئيه اللذين أنشأهما لنفسه، يحجب ظاهره بطبقة غنية من الطمي الأسود تستمد منها الحياة فواكه الربيع وزهوره وحبوبه، فينعم بها الناس إلى العام المقبل حيث يعود إليهم مرة أخرى بهدايا مائه التالي. أما في نظر الذين تمطر في بلادهم الدنيا في الربيع والصيف والخريف، ويتساقط البرد في الشتاء، وفي أرضهم الماء غير منقطع، فإن الفيضان بالنسبة لهم إخلال بنظام الطبيعة ونكبة على الجنس الإنساني، لأنهم لا ينتظرون ولا يريدون المفاجأة التي تجلب لهم النكبات والخسائر، وتهلك محاصيلهم وتكتسح مساكنهم



(أبونا النيل)

لكن أبانا النيل لم يكن بالضيف غير المرحب به على هذا الاعتبار بالنسبة لأرض مصر التي لفحتها الحرارة فلو أتى فيضانه مرة في كل عام بمقدار أربعين قدماً لأصبحت البلاد صحراء كالصحارى المجاورة لها. فلا عجب إذن في تقديس المصريين له واعتبارهم إياه أباً عطوفاً مكللاً بالفواكه والورق الأخضر. وتصويرهم إياه وحوله الأرواح السميدة تلعب في مرح وهي وافرة العدد

ولكن مع كثرة ما يجود به النيل فإنه يعم جميع البلاد، ومع أن مدة الفيضان مطلوبة مهما طالت فإنه يظل كالنائم فى مجراه الضيق عشرة أشهر فى كل عام . وعند ما ينتهى عمل النيل يبدأ عمل الإنسان وقد كان عملاً مجهداً

هذا الماء التالى الذى يأتى فى وقت قصير يجب أن يحتفظ به، من أجل ذلك كان الأرقاء ينشئون ما يشبه أن يكون بحيرة حتى لا يضيع ماء الفيضان بدداً فى الرمال . ويجب أن يحمل هذا الماء إلى الدور والحدائق والمزارع التى تخرج عن المنطقة التى ينالها الفيضان . ومن أجل ذلك كان يكلف الأرقاء بحمل هذا الماء فى أوان على رؤوسهم

وقد كان الجهد الإنسانى رخيصاً فى تلك الأيام وكان للملوك والنبلاء فى مصر مئات ومئات من العبيد لا يعدونهم أفضل من المواشى : هم آلات إنسانية لم توجد إلا لتؤدى ما لا نهاية له من الخدمات لسادانهم . وعلى النقوش المصرية القديمة على الأحجار صفوف وصفوف من العبيد حاملين أوانى الماء على رؤوسهم

لكن حتى الأرقاء ومن يعهد إليهم بأن يسوقوا العبيد كانوا أهل ذكاء ولم يكونوا حيوانات تعمل بلا عمل ولا فكر ولا محاولة للتغيير . وفى يوم من الأيام حدث أن رجلاً ذكياً من بين الذين كان من واجبهم اليومى رفع المياه من المجرى المنخفض إلى الحقول العالية ، حدث أن هذا الرجل علق دلوه بطرف عمود خشبى مستند وسطه إلى الجسر وتملق بالطرف الآخر من هذا العمود وها أنت ذا تراه الآن يطبق نظرية الرافعة مرة أخرى، فعلق الدلو فى سهولة فى الهواء ثم سكب فى الموضع الذى أراد الرجل أن يرويه من ماء النهر

وقد كانت مصر موصولة الأجزاء على ضفتى نيلها بترع وجداول تروى بواسطة الشادوف « الدلو والعمود » ، وتوضع هذه الشواديف إما فرادى وإما أزواجاً لرفع الماء من مستوى إلى مستوى آخر . لكن كان لا يزال الرفع بواسطة رجال، وكانت كل القوات الدافعة التى يجب استخدامها من نشاط العضلات

ثم جاء رقيق لعله أذكى ولعله أضعف جسماً من غيره ، فظن سيده أنه أكسل من رفاقه ، راقب هذا العبد وهو يؤدى عمله إحدى العربات المصرية وهى تسير بخفة بسبب عجلاتها الدائرة فأخذ عجلة قديمة سقطت من إحدى العربات وعلقها فى عمود فوق حفرة الماء وعلق بها الدلو ووجد بذلك أن الدلو يهبط ويملو فى سهولة وأن المشقة قد قلّت

كان الرجل يندفع إلى الأمام ثم إلى الوراء فى أثناء إخراجه للدلو ووضعه فى الماء، ويتكرر ذلك طول مدة السقى فيفقد قواه شيئاً فشيئاً لطول هذه الحركة ، وهو فضلاً عن ذلك مضطر إلى الوقوف بين دفعة ودفعة

فلما عرف طريقة العجلة التى تدور دون أن تقف أو تعاود البدء ، لما عرف هذه العجلة «الساقية» أضيف فصل آخر إلى قصة العجلات التى مكنت الإنسان بسبب ما فيها من سرعة الحركة من جر أثقاله ومن الانتقال على عربة ، ومن رفع الأثقال عن الأرض هذا فضلاً عن أن العجلة يمكن أن تدار سواء بواسطة الإنسان أو بواسطة حيوان يساعد الإنسان فى هذه المهمة، ولكنها فى مصر كانت على الغالب تدار بواسطة الإنسان وحده لكثرة الرجال ورخص الجهد الإنسانى . (يتبع) ع . ا

M. Arab. 145

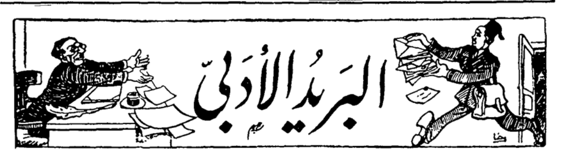
الكينا تفتح للصين عهداً جديداً مزدهراً

« شانك شى » هو اسم لاحدى المقاطعات التى لا يجدها الانسان فى خارطة مهما كانت دقيقة فليست هذه تسمية جغرافية رسمية ولكنه اسم يسمى باللغة الشعبية « المشرين هسيان » الواقعة فى جنوبى شرقى يونان المقاطعة الصينية .

« شانك شى » معناها هواء فاسد ولهذه المقاطعة سمعة سيئة منذ أكثر من ألف سنة بسبب العدد الكبير للوفيات التى يسببها مرض الهواء الفاسد (الملاريا) فقد كانت سابقا بقعة تجارية غنية ومزدهرة وهى الآن بقعة فقيرة حيث تعد ضحايا الملاريا بعشرات الألوف .

لكن عن قريب تدخل هذه الأخبار فى نطاق التاريخ القديم . فمنذ منتصف ١٩٣٦ يوجد فى اليونان مصلحة صحة المقاطعة تقوم بمهمتها بكثير من الغيرة وأرسلت أيضا عمالها الصحيين إلى مقاطعة شانك شى كى يقوموا هناك بتحقيق يتعلق بجنس المرض المنتشر فيها فظهر أن هذا المرض ليس إلا الملاريا فاتخذوا الاجراءات اللازمة حال معرفة النتيجة وأرسلت مصلحة الصحة الوطنية مليونا ومئتى ألف جنيه من الكينا على سبيل الاسعاف المؤقت وسترسل فى المستقبل إلى مقاطعة شانك شى كميات أكبر أيضا من هذا الدواء الشافى والواقى .

فالكينا هى فعلا العلاج الذى وصفته لجنة الملاريا فى جمعية الأمم للوقاية والشفاء من هذه البلية البشرية فاذا تبع الانسان نصيحة هذه اللجنة وأخذ يوميا ٤٠٠ مليجرام من الكينا مدة موسم الحميات فلا يصيبه هذا المرض وإذا ما أصابه فلجنة جمعية الأمم توصى فى هذه الحالة بالعلاج السريع بالكينا أى جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى لعلاج تكميلى آخر لكن فى حالة الانتكاس يمكن الشفاء باستعمال العلاج السريع نفسه .



على مسرح الأوبرة

افتتحت الفرقة القومية موسمها على مسرح الأوبرة بمسرحية « مصرع كليوبترا » وهي داخلة في أدبنا القوى . وميزة المسرحية أن موضوعها مصرى وأن صاحبها وضعها بالعربية شعراً . وإذا نحن نظرنا في مبناها ومعناها أصبنا الأول لا يخرج عن طرائق النظم المألوفة بمحاسنها ومساوئها ، مع توخى الجرس البحترى اللطيف ، وتطلب الحكم والأمثال على أسلوب المتنبي وغيره ... ذاك هو شوقى الذى لم يسعده إقدامه على فك أداء الشعر الغانى . وأما المعنى فتسيّره النية الحسنة وبزينه الظرف ، ثم يعوزه الإيغال في التفكير الشامل ، والكشف عن بواطن النفس ، وتغليب التلميح الرقيق على التصريح الذى لا يدع شيئاً لمخيلة متخيل

وقد ألقى الممثلون شعر شوقى كما كنا نلقى الشعر العربى في المدارس: نقطّع أقسام البيت ونتمهل عند العروض ثم نضغط على الضرب، والذى يحرك ألسنتنا الوزن الذى عليه جاءت القطعة أو القصيدة . وفى ذلك الأمر ما فيه من غرابة ، فإن الشعر لمهدنا هذا في أوربة (وعنها نأخذ فن التمثيل) يلقى على المسرح كأنه نثر . وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها ، والتفاعيل كأنها الدعامات والخشب في منزل ، وأما المعانى والألفاظ فأثاثه والتزاويق والتصاوير وكل ما يأخذ الطرف . كل ذلك فضلاً عن أن تقطيع أقسام البيت ، وفصمه مصراعين ، والضغط على القافية الراجعة، يورث الملل ويصك الأذن. وخير من هذا إنشاد البيت على حسب انسياب المعنى في تضاعيفه ، مع التمهل عند اللفتة أو النكتة أو اللفظ الموحى، ومع تسرق العروض والضرب، كأن القصيدة كلها بيت «مدور» على قول أهل العروض . ومما يذكر بعد هذا أن الممثلين لم يلحنوا إلا قليلاً ، ولكن بين الذال والثاء وألسنتهم (ولا سيما ألسنتهن) مغاضبة شديدة

وكان التمثيل يجارى لون المسرحية نفسها ، وهو اللون الابتداعى romantique (على حد ترجمة الصديق صاحب « الرسالة ») بل كان يذهب وراءه على الغالب : ضجة ، ومبالغة في الإشارة ، وإفراط في التعبير عن الشعور . ولم يُمسك عن هذا إلا ثلاثة : منسى فهمى ، وحسين رياض ، وعباس فارس ، إذ طلبوا الاعتدال في الأداء لعلمهم أن الصدق فيما هو طبيعى

وأما إخراج المسرحية فلا أكتمك أن المنظر الأول صدم عينى ، فهو منظر « عايدة » المسرحية الملحنة . ويعلم الله كم مرة مثلت هذه المسرحية في دار الأوبرة الملكية ، فكيف غاب عن المخرج أن العين سئمت مناظرها ، بل كيف غاب عنه أنها لم تكن لتنتظر واحداً منها في « مصرع كليوبترا » أول ما يرتفع الستار . وقد رجعت إلى نصّ شوقى، فقرأت « المنظر الأول — في مكتبة قصر كليوبترا — أشخاص جلوس إلى أعمالهم » . والغريب أن الناظر لم يلمح على المسرح كتاباً واحداً ، وأما الأشخاص فكان بعضهم إلى بعض جالساً لمحادثة أو لاتمار . هذا وفي الإخراج مآخذ أخرى أقف عند واحد منها : كانت الإضاءة تجرى على غير بصيرة في غالب الأمر وأكثر الحال . فكانت شديدة جداً في مشاهد تتطلب بعض الظلمة ، في مشهد مصرع كليوبترا مثلاً . حتى الفصل الثالث — وفيه ينشق الستار عن مشهدين متجاورين ، أحدهما حجرة الكاهن في المعبد ، والآخر جانب من خارج المعبد فيه شجرة باسقة — حتى هذا الفصل، على حسن توزيع مشهديه ، لم يستطع أن يوحى إلى الناظر ما ابتغاه المؤلف والمخرج جميعاً . وعلة ذلك اضطراب الإضاءة ، فقد كان نور أحد الجانبين يسطع قبل انطفاء نور الجانب الآخر أو بعده توّاً ، فلم يتمكن الناظر أن ينتقل — في دخيلة نفسه — من مشهد إلى مشهد : إن للمنظر إيحاء وإيهام قبل كل شيء

وهذا الحديث يدور على الإخراج في الفرقة القومية . فهل أخفى عليك أنى دهشت — وقد دهش غيرى — أن الأستاذ زكى طليمات المخرج القدير لم يُدعَ هذه السنة ، بعد رحيل المخرج الفرنسى (فلاندر) ، إلى الوقوف على شؤون الإخراج في الفرقة

وهى التى نهضت به من حيث الإخراج أولَ ما نهضت. ثم كيف ينسى ناس أن « أهل الكهف » و « تاجر البندقية » خرجتا على يد زكى طليمات ألطف إخراج ، وأن الأولى لولا حذقه ما تذوق الجمهور المصرى ما فيها من فن رقيق ؟

حتّام تهمل الكفايات — وما أقلها ! — فى هذا البلد ؟ أو قل ماذا يصنع ناس بمـا جاء فى خطاب رئيس الوزراء : « وكم شاهدنا القادرين من أهل الفن والمعرفة يقصون عن العمل فيما هم أهل له » .

بشر فارس

حاشية : بدا للفرقة أن تدعو أحد المغنين إلى إنشاد قطعة من المسرحية فكان الغناء طنينا ، وقد أسعفته الموسيقى ، كما أسعفت الرقص.

بينى وبين القراء

١ — اطلعت فى العدد الأخير من الرسالة على كلمة لحضرة الأخ الكريم الأستاذ محمد عبدالواحد خلاف يذكر فيها أن الحديث الذى دار فى منزل صاحب العزة الدكتور طه حسين بك لا حقيقة له وأن ذلك الاجتماع من نسج الخيال

وقد دهشت من كلمة الأستاذ خلاف ، وبلغ منى العجب كل مبلغ . ولولا الرعاية لحقوق الأخوة لقلت إن كلام الأستاذ يحتاج إلى تصحيح ، وقدمتُ له الأدلة والأسانيد ؛ ولكن الأستاذ خلاف كما أعرفه ينفر من المجادلات والمصاولات ، ويكره ما يصحب النقد أحياناً من صخب وضجيج . ومن حقه علينا وهو أخٌ كريم أن نجنّبه مواطن الشغب والصيال

وما نمنُّ عليه بهذا الترفق ، فهو عندنا أهلٌ للتكريم والتبجيل ، وسنصفّى ما بيننا من حساب يوم نلتقى مرة ثانية فى منزل الدكتور طه حسين

٢ — قرأت « الحد الفاصل بين أدب الروح وأدب المعدة » لحضرة الأستاذ محمود على قراعة ، وأنا أشكر لهذا الصديق الفضال ما تجشّم من المتاعب فى شرح الفروق بين النوازع الحسية والعواطف الروحية . ثم أعتب عليه : فقد آذانى أن يقرر أن زكى مبارك « يتحدى كل فكرة روحية ، ويتهكم على كل نزعة سماوية » فمؤلفاتى ومقالاتى ومذاهبى فى الحياة تشهد بغير ذلك . وهذا العناد الذى يعيبه علىّ بعض القراء هو من الشواهد على قوة الروح ، ولو كانت المنافع المادية مما يدخل فى حسابى لمـا استبحت الهجوم على فلان وفلان وفلان فى سبيل الحق ، ولهم قدرة على الضر والنفع ، ولهم أصدقاء يقدّمون ويؤخّرون ، ويحسب لهم طلاب المنافع ألف حساب

قد يكون للمظاهر دخلٌ فى تلوين الصورة التى تراءى عليها بعض العيون ، فقد أكثرتُ من الكلام فى الغراميات والوجدانيات ، ولكن هذا الميل هو فى جوهره من صميم الروحانية ، وسأقضى حياتى فى التغنى بالصباحة والملاحة والجمال ، تأدباً مع الله الذى جعل الوجود مواسم فتنة ومطالع أقمار ومشارق شموس. فإن كان هذا مما ينافى الوقار فى نظر بعض الناس فهو عندى من أصدق الشواهد على الرزانة والعقل . ويرحم الله من يقول :

شاع فى العالمين أنى أديبٌ جامح القلب فاتك النظراتِ
فاستباح الجهال شتمى وعدُّوا فتنتى بالجمـال من هَنَـواتى
ظلمونى فلم أكن غير رُوحٍ صِيغَ من لوعة ومن زفراتِ
لو بعينى رأوا صدور الغوانى سبّحوا للجمال فى الصلواتِ

ومن غرائب الدهر — وللدهر غرائب — أن أضطر إلى الدفاع عن نفسى وقد جعلت الهيام بالمعانى الروحية والذوقية شريعة من الشرائع ، وملأت الدنيا بالحديث عن أزمات الأرواح والقلوب فى الشرق والغرب ، ولم تكن فتنتى بالأعاصير فى صحراء النجف أقل من فتنتى بالأزاهير فى حدائق روان

الأستاذ محمود قراعة رجل فاضل ، والفضل يوجب عليه أن يعترف بأصل الخلاف بينى وبين الأستاذ أحمد أمين فيما يتصل بأدب المعدة وأدب الروح ، فقد أنكرت عليه هـذه التسمية فيما يختص بالقرآن ، لأن القرآن يرى الشخصية الإنسانية مكونة من جسد وروح ، وقد وعد المؤمنين بأن ستكون لهم فى الجنـة طيبات من النعيم المحسوس

والفضل يوجب على الأستاذ قراعة أن يعترف بأنى نقلته من حال إلى حال ، فقـد صرح بأن ما ورد فى القرآن من اللذات الحسية ليس إلا رموزاً وإشارات ، وأعلن أن بعض المبشرين تهكم حين سمع أننا نقول بأن المؤمنين ستكون لهم فى الجنة أطايب من لذات الحواس !

وقد بينت فى الكلمات الماضية أن هذه النزعة لم تصل إلى بعض المسلمين إلا عن طريق النصرانية ، وقد اقتنع الأستاذ قراعة بهذا الرأى بعد أن تعرض لمناوشات صوبها إليه باحث من مصر وباحث من فلسطين

أما ثناء الأستاذ محمود قراعة على الأستاذ أحمد أمين فهو مقبول ، ذكره الله بكل صالحة ، وأعانه على فهم القيمة الصحيحة

للأدب العربي ، وجمله بالفعل لا بالقول من أنصار الروح !

إسمعوا كلمة الحق ، أيها الناس

إن الأستاذ أحمد أمين قال فى لغة العرب كلاماً لو قيل مثله فى لغة الزنوج لعد من المفتريات ، فكيف يكون تصحيح أغلاطه ضرباً من العدوان على الآمنين ؟

٣ — أما الأستاذ محمد على عكاوى فسنرد عليه فى العدد المقبل. وأما الفتنة التى ثارت بين الدكتور فارس والدكتور أدهم وأشير فيها إلى اسمى عدة مرات فقد أكتب عنها كلمة بعد أسابيع

زكى مبارك

الأدب التحليلى والتركيبى

حضرة الأستاذ الفاضل محرر مجلة الرسالة :

تحية وسلاماً ، وبعد فقد بدت لى بعض الملاحظات وأنا أقرأ ما كتبه الدكتور زكى مبارك أخيراً فى الرد على الأستاذ أحمد أمين أجملها فيما يلى :

١ — يقول الدكتور زكى مبارك : (إن الطريقة التحليلية عرفها شعراء العرب منذ أقدم العصور . وعليه (يريد أحمد أمين) أن يرجع إلى معلقة طرفة ومعلقة لبيد وعينية ابن سويد ...) والرأى عندى أن زكى مبارك أخطأ فهم المقصود من اصطلاح الأدب التحليلى ، وإلا لما أجاز لنفسه هذا القول . فملقة طرفة ومعلقة لبيد ، ليستا من الأدب التحليلى فى شىء . لأن التحليل ـ كما نعرفه ويعرفه كل الباحثين فى تاريخ الآداب ـ هو رد الأشياء إلى أصولها الأولى ، وبيان تقومها بهذه الأصول ووجه هذا التقوم . ومعلقتا طرفة ولبيد ليستا من ذلك فى شىء، وإنما الصفة الغالبة عليهما ، صفة الوصف التشريحى. فطرفة مثلاً يصف لك الجمل فى معلقته بدقة تشريحية ، ولكن هذا الوصف التشريحى وإن لخص لك التفاصيل فى دقة متناهية ، فهو بعيد بعد ذلك كل البعد عن أن يظهر لك الجمل فى حياته الداخلية . ذلك أن هذا الوصف التشريحى ينقصه التجرد عن الذاتية من جهة ثم إدخال عنصر الخيال فيها من جهة أخرى . ومن هنا جاء القصور عن أن يطرق الشاعر الناحية التحليلية فى وصف الجمل . كذلك يمكننا أن نقرر هذا الكلام فى شىء قليل من التعديل ليناسب المقام حين نعرض لملقة لبيد أو عينية ابن سويد، أو غيرهما ممن ذكرهم زكى مبارك كنماذج للأدب العربى الذى جرى على النهج التحليلى

٢ — وضرب الدكتور زكى مبارك مثلاً لقوله بتغلب النزعة التحليلية على أكثر الشعر العربى فقال : إن قصيدة سعيد ابن حميد فى النعى عن العقاب فيها تحليل واستقصاء ، ثم تعليل وانتقال من العموم إلى الخصوص مما يثبت عنده ملكة التحليل للشاعر . والذى عندى أن الدكتور زكى أخطأ فهم القصيدة ونوعها وخصائصها . فالقصيدة ليس فيها تحليل ، وإنما كل ما فيها وصف ساذج لحالات تتقوم بفكرة النعى عن العقاب . كذلك قصيدة الطغرائى فى الحمامة الباكية ، يمكن أن نقول فيها إنها وصفية ساذجة بعيدة عن التحليل . أما قصيدة الشريف الرضى فما بدا فيها من تسلسل الفكرة والترابط بين الموضوعات التى تنتقل فيها القصيدة ، فهى نتيجة لكون طبيعة الناثر متغلبة على الشريف الرضى ، وليس من ذلك طبيعة التحليل فى شىء

٣ — يتصور الدكتور زكى مبارك أن النزعة التحليلية فى الأدب تقوم على أساس الاهتمام بتصوير المعانى وإشعار السامع والقارىء بأن هنالك محاورة للمواطف والقلوب والعقول . وهذا خطأ ، لأن القدرة على الوصف وإجراء الحوار شىء ، والقدرة على التحليل شىء آخر ، فقد يكون شاعر من الشعراء وصافاً ، ولكن ذلك لا يعنى أنه صاحب تحليل يمكنه من ردّ الأشياء إلى أصولها الأولى . وإليك مثلاً لذلك قول تميم بن جميل فى وصفه حاله الشعورية وهو يرى منظر الموت أمام المعتصم . فهذه القصيدة — وقد ذكرها زكى مبارك — وصفية ، وهى بعد ذلك ليست قائمة على عنصر التحليل للحالات الشعورية التى كانت تنتابه فى ذلك الموقف والخلجات التى كان يحسها ، ومنظر الموت أمامه

والذى عندى أن السبب فى خطأ الدكتور زكى يرجع إلى أنه ظن الوصف من التحليل ، وسبب هذا الظن الخاطئ أنه قرأ لاسماعيل مظهر والمازنى والعقاد أن ابن الرومى متفوق فى الوصف، ثم قرأ لهم أنه صاحب طريقة التحليل فى الأدب العربى فاختلط فى ذهنه هذا بذاك وكان منه الظن بأن الوصف من التحليل

هذه ملاحظات وجدت من المفيد أن أعقب بها على ما كتبه الدكتور زكى فى هذا الموضوع . وليس بى غير الرغبة فى تبيان رأى قديم لى فى هذا الموضوع والسلام .

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم

حول ابن تيمية وابن بطوطة

اطلعت فى الرسالة الغراء على كلمة للأستاذ محمد محسن البرازى يأخذ فيها على الشيخ الخالدى ما نقلته عنه من أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية ، وكان الشيخ قد ذكر هذا ينفى ما حدثته به من قول ابن بطوطة إنه رأى ابن تيمية على منبر الجامع بدمشق يقول : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر

فأما إدراك ابن بطوطة لابن تيمية فلا شك فيه كما قال الأستاذ البرازى . وقد وقع السهو فى وضع كلمة يدرك مكان كلمة يلق . والكاتب الفاضل يوافق الشيخ الخالدى فى هذا

وأنا مع إجلالى للأستاذين لا أجد ما يحملنى على تكذيب ابن بطوطة فى أمر يدعى أنه رآه وسمعه **عبد الوهاب عزام**

رواية «عثمان فى الهند» - إلى ناقد الرسالة

سمعنا مساء السبت الماضى « ٢١ / ١٠ / ١٩٣٩ » عن طريق الإذاعة اللاسلكية من مسرح « ديانا » بالإسكندرية ، رواية «عثمان فى الهند» تأليف الأديب محمد شكرى، وتمثيل الممثل الهزلى على الكسار ؛ ويسوءنى أن أقول : إن هذه الرواية ساقطة؛ وهى أتفه من أن تشاهدأو تذاع أو تسمع !

ولعلك يا أخى سمعتها أو شاهدتها فرأيت كيف بدت هزيلة فى فكرتها وفى موضوعها وأسلوبها وأغانيها وفى مغزاها ، ولولا وجود بضعة «قفشات» تخللت القصة لرجحت أن يطالب مشاهدو الرواية بما دفعوا من قروش ، إذ لم يشهدوا رواية تذكر ، وإنما شهدوا تهريجاً مرذولاً ، كالذى يقوم به « الحواة والنور » فى الأحياء الفقيرة من العاصمة والأقاليم لقاء مليم أو مليمين

لقد جلسنا إلى المذياع وابتدأت الرواية ، وذهبنا نفتش عن فكرة تدور عليها ، أو مغزى ترمى إليه، فتتابعت الفصول والمناظر، وأعلن المذيع انتهاءالرواية، فدهشنا كما دهش الشاهدون بالمسرح، فلم نسمع منهم هتافاً ولا تحية ، ولو على سبيل المجاملة !

لم تخرج الرواية عن جملة من الأغانى العادية ومعها جملة من « النكات والقفشات » . وليت الأغانى كانت جديدة ، أو جميلة ، أو قوية ؛ ولكنها كانت ثقيلة ، مملولة ، معادة وإن ظهرت فى ألفاظ جديدة وشكل جديد ؛ واللحن المكرر يسأم وإن عرض من آخره معكوساً بدل عرضه من أوله ... ! !

قد يقول قائل : إن الفرقة فرقة هزلية ، والرواية « كوميدية » مضحكة ، وعلى ذلك فلا يشترط أن تتضمن الرواية فكرة أو ترمى إلى مغزى ؛ وقائل هـذا مخطئ بعيد عن روح المسرح جاهل لرسالته . فسواء كانت الرواية محزنة أو مضحكة ، وسواء كانت من « الدرام » أو «الكوميدية» ، فإنها تستطيع - بل يجب - أن توضح ما يشاء المؤلف من أفكار، وتعرض مايشاء من مبادئ، وتظهر ما يشاء من غرض

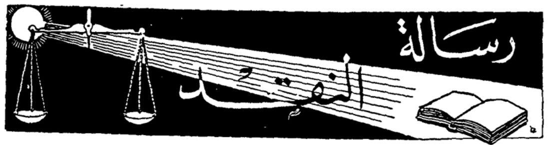
وقد تستطيع الرواية الهزلية بنكاتها اللاذعة و « قفشاتها » المحكمة ، أن تؤثر فى أفكارنا وفى عواطفنا وفى نفوسنا ، أكثر مما تؤثر الرواية المحزنة ؛ فإن النفوس أميل إلى الضحك ، وأولع بالهزل ، ومن هذه السبيل نستطيع أن ندخل إلى النفوس ما نشاء من آراء ومبادئ . وقد يستطيع الممثل الهزلى بسخريته واستهزائه وتهكمه ، أن يقف منا موقف الحكيم الفيلسوف ، فيهدى الضال ويرشد الحائر ، ويقوى الفضيلة ، ويحد من الطغيان !

لقد كانت رواية « عثمان فى الهند » التى نحن بسبيل نقدها ، تتحدث عن أن المعروف إذا فعله المرء وألقى به إلى البحر فإنه لا يضيع ، ولكن هل أستطيع حقاً - أو يستطيع من سمع أو شاهد الرواية - أن أقول إننى آمنت - بتأثير الرواية - بهذا المبدأ ؟ هل استطاعت الرواية حقاً أن تظهر هذا المبدأ الأخلاقى كأنه قضية مسلمة مقبولة ؟ الجواب : كلا ! ...

إن أكبر اللوم - كما أعتقد - يقع على مؤلف الرواية، لأن الممثل يترسم خطاه ، ويتمسك بأسلوبه وطريقته ، ولو أن المؤلف أجاد التأليف لاستطاع أن يجيد الممثل التمثيل فنشهد الرواية الكاملة

يا حسرة على المسرح المصرى ... لقد ظهر عدوه اللدود « السينما » وبدأ يغزوه فى كل مكان وكل ميدان ، وكنا نتوقع من المسرح أن يشمر عن ساعده ، ويحمل سلاحه لمناضلة هذا العدو الجديد ، لكى يثبت أنه جدير بالبقاء والحياة . ولكنه - مع الأسف - رضى من الغنيمة بالإياب ، واستطاب الركود والخمول . وما دليلى على ذلك إلا إقامة أهله على تمثيل الروايات القديمة المكررة التى أكل عليها الدهر وشرب فإذا ما أقدموا على التجديد والتأليف جاءونا بالغث البارد الذى لا يشبع روحاً ولا يرضى فناً ، ولا ينال قطرة من إعجاب أو تقدير !

أحمد جمعة الشرباصى



لا بدَّ مما ليس منه بُدّ

حول كتاب

بقلم الدكتور بشر فارس

قال لى ناس — وأهل الفطنة كثير — : رأيناك تشهر القلم فى وجه بعضهم إرادةَ الذود عن حمى العِلم ، إذ قلتَ (الرسالة ٣١٤) : « إن العلم فى مصر أمسى شيئاً مقدساً له سَدَنته وله حرّاسه ، فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدّى والجدال المتحكم والتظاهر بالتثبت والدراية » . ونصحتَ لمن عنَّ له التطاول أن يطيل الروّية ، وبصّرتَه عواقبَ أمره « إذا هو أقبل على الاشتغال بالعلم أو على نقد من توفّر عليه ، لأن النقد لا ثمرة فيه إذا حاد عن خدمة العلم وحدَه » . وهذا الناقد ينقضه كلامك فيكتب مقالاً وثانياً وثالثاً ، وأنت معرض عنه وقد قلتَ كلمتَك فسارت . فاعلم أن فى عنقك أن تكشف عما يجب الكشف عنه ما دام المتستر ينتفض فتنزلق المناظرة على يديه إلى مماحكة .

قال لى ناس ... فقلت : شهرت القلم من قبل للسبب الذى تعرفونه ، فلما رأيت الرجل يلوّى قلمه ويكابر ، قلت فى نفسى : هذا الوادى لا أنزل فيه ولا قبَل لقلمى بالوثب فى منحرفاته . إن إسماعيل أدهم تخرّج فى جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ على قول مجلة الحديث (حلب ١٩٣٨) ، وأنا فى غير هذه الجامعة تخرجت ؛ وقد لقّننى من أدبنى أن ألتزم طريق الحق كيفما دار وحيثما انقطع ولا أدرى كيف يكون التلقين فى جامعة موسكو . قلتم إن المناظرة انزلقت على يد الخصم إلى مماحكة ، فحسبي اليوم أن أدوّن ما يؤيد قولكم

* * *

قلت كلمتى فى « الرسالة »[1] بعد نقد أدهم الأول لكتاب « مباحث عربية » ، فردَّ أدهم فى الأعداد ٣١٧ و ٣٢٦ و ٣٢٨ . وكنت أنا وغيرى نرقب كيف يحاول أدهم التنصّل مما ألصقته به ، فأخفقت الرقابة .

كنت قد كتبت إن أدهم « يختلق القول » . إذ يقول : « يعتبر الباحث (يعنينى) كلة البصيرة مقابلاً (يريد : ناظرةً إلى) intuition فى ص ٥٧ من مباحث عربية » . وزدت أنه من الغريب أنى لم أثبت كلة intuition إزاء كلة البصيرة فى الصفحة المذكورة وقد أطلعت صاحب « الرسالة » ورئيس تحرير المقتطف على ذلك ، فمن أين جاء أدهم بالكلمة الفرنسية ، وكيف جعلنى « أعتبر » ما يجهل هل أنا « معتبره » ؟

ثم كنت كتبت أن أدهم « يرتجل المصادر » ودليلى أنه استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم للكتاب المقدّس ، على حين أن « سفر دانيال » كله اثنا عشر إصحاحاً فقط . فبينت كيف اقتبس أدهم ذلك المرجع الوهمى من كتاب « ملتقى اللغتين » لمراد فرج ، وكيف سقط هذا المرجع هناك من باب الغلط المطبعى — إذ الصواب الإصحاح الرابع — فسطا عليه أدهم من غير تحقيق ولا روّية . ثم إنى أتيت بدليل آخر مجمله أن أدهم استشهد ، عند الكلام على أنساب العرب ، بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم وعيّن الصفحة ١٨٧ فبعد أن نفيت احتمال غلط الطبع بينت أن « الفهرست » لم يخرج إلا فى جزء واحد ، وأن الصفحة التى عينها الرجل لا أثر فيها لما استشهد به . وكان أدهم قد أسند نص الاستشهاد إلى ابن حزم ، فسألته من ابن حزم هذا وما كتابه ، ولابن حزم المشهور ستة وثلاثون مؤلفاً ؟ فاستخلصت من هذا كله أن أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن راجع المظنة ، دأبَه مع « سفر دانيال » . هذا وأخبرنى من هو أرسخ منى فى العلم قدماً بأن ما استشهد به أدهم إنما هو وارد فى الجزء الثالث من كتاب « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » للألوسى . فانظر كيف يكون الاضطراب فى تناول المراجع .

(١) صحح فيها ص١٣٨٢ س١٩ : الفصل الثالث من الباب الأول ، بدلا من : الفصل الأول من الباب الثالث — راجع أيضا ردى فى مقتطف أغسطس

كتبت ذلك فأحجم أدهم عن الدفاع ، أو قل أبى التسليم : أ حياء أم مكابرة ؟

أما نقد أدهم الثاني فما لا يُلتفت إليه ؛ فيه عناد ومغالطة وتحدٍ وعود إلى اختلاق القول وتهويل ونقد عن هوًى . والله يعلم أني لست ممن يتبط الكلام ويرسل التهمة ؛ فرجائي من القارئ أن يلمس بعض الأدلة :

— أما العناد ففي إصرار أدهم على أن المسلمين الذين اهتديتُ إليهم في فنلندة سنة ١٩٣٤ لم يرحلوا إليها عقب الثورة البلشفية في روسية ، على حسب ما أثبتُّ نقلاً عن هؤلاء المسلمين أنفسهم واستناداً إلى بيان موظفي الحكومة الفنلندية . إن أدهم يحملنا على أن نظن أن أولئك المسلمين من سلالة طائفة من الترك هبطوا فنلندة في «القرن السادس عشر للميلاد» ، وحجته هنا أن مدينة « توركو » الفنلندية تشتق اسمها من هؤلاء الترك . فرددت على هذا قلت : إن مدينة «توركو» تصعد إلى المائة الرابعة عشرة ، واستشهدت فيما استشهدت به بدائرة المعارف البريطانية . ولكن أدهم لم يدفع شهادة دائرة المعارف البريطانية — ولعل هذا السفر مما لا يعول عليه في جامعة موسكو — بل عاد إلى تشكيكه في تاريخ هجرة أولئك المسلمين ، وقام يستند إلى كتب ألفها علماء من روسية ليبرهن على أن جماعة من الترك رحلوا إلى فنلندة قبل الثورة البلشفية ، وأن أمرهم مشهور .

وحسبي اليوم أن أنقل هنا رسالةً بعث بها إليّ رأس المستشرقين في روسية ، وهو الأستاذ كراتشكوفسكي أستاذ العربية وآدابها في جامعة لننجراد (وهي غير جامعة موسكو ، كما يعرف أدهم نفسه) ومن أعضاء الأكاديمية الروسية فيها ، (وقد اطلع صاحب مجلة «الرسالة» ورئيس تحرير المقتطف على تلك الرسالة) ونصّها :

«سيدي الأستاذ الفاضل ، سلاماً واحتراماً وشكراً على ما أنعمتم على به من رسالتكم اللطيفة عن أحوال المسلمين في فنلندا ، وقد قرأتها بكل إمعان ولذة في مجلة الدراسات الإسلامية ، ولكم الفضل في لفت أنظار العلماء إلى هذه الزاوية من العالم الإسلامي الحاضر» ا.هـ

وعلى هذا فقد شهد شاهد من أهله ، وأي شاهد !

وهل ثمة حاجة بعد ذلك إلى أن أخبرك بأن « مجلة الدراسات الإسلامية » التي يخرجها المستشرق ماسينيون في باريس نشرت حديثي عن أولئك المسلمين على أنه «اكتشاف» ، نشرته بالفرنسية سنة ١٩٣٤ قبل أن أنقله إلى لغتنا في «مباحث عربية» ؟ أو إلى أن أخبرك بأن المستشرق جِبّ Gibb من أساتذة جامعة اكسفرد بعث إليّ برسالة (اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف) يقول فيها إنه لم يك يعلم شيئاً عن أولئك المسلمين ؟

— وأما مغالطة أدهم ، فقد بينتها من قبل عند الكلام على ارتجاله لعنوان كتاب جعل اسمه أول الأمر « مجموعة محاضرات دركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ، حتى إذا ضيقت عليه المسالك قال : (الرسالة ٣١٧ وردّي ٣٢٠) إن هذا الكتاب يحمل اسم « قواعد منهج علم الاجتماع » تحت عنوان شامل هو « أعمال السنة الاجتماعية » (وهي مجلة دورية) ، وقد حاول عبثاً أن يقحم كلمة « مجموعة » في هذين العنوانين . ثم إنه اعترف بعد ذلك أنه كان قد استند إلى ترجمة الكتاب بالإنجليزية . فكيف يناقشني — أول ما يناقشني — في الأصل الفرنسي ويعين صفحات منه ؟

— وأما تحدي أدهم في القول فيدخل تحته ما بدا له أن يكتب في جانب اللغة . ووالله ما أدري ما الذي استدرج الرجل إلى اقتحام النقد اللغوي ، وهو لا يزال يأخذ لغتنا عنا كما يقول (الرسالة ٣١٣ ص ٣٣١) ، وهو يريد الاعتذار من اقتباس تعبيرات لي : « إنني حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتي الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجيء على قلمي من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكاً للمعنى الذي في ذهني » . هذا ولا شك عندي أن القارئ لمس ارتباك أسلوب أدهم وركاكة عبارته واختلال مواقع ألفاظه ، وكثيراً ما قوّمت تعبيره ، وأنا أناظره حتى يفهمه القارئ . وهيهات أن أجادل أدهم فيما جاء به في نقده الثاني دفاعاً عن آرائه اللغوية الأولى . فقد نصحت له من قبل أن يقرأ النوع السابع والعشرين من « المزهر » للسيوطي حتى يتبيّن معنى « الترادف » ، ونصحت له فوق ذلك أن يراجع دواوين اللغة والمؤلفات الفلسفية في العربية والفرنسية جميعاً لعله يعلم أن « الأخلاقيات » : (éthique بمعنى morale) شيء و « السلوك » (moralité) شيء آخر . ماذا أصنع وأنا لا أملك إلا النصيحة ؟

وحسبي اليوم أن أبرز للقارئ جانبين من نقد أدهم الثاني في باب اللغة ، قال أدهم (الرسالة ٣٢٦ ص ١٩٢٤) — وهو على كل قول قدير — « وليس جعلنا (يعني نفسه) لفظة المتشابهة ناظرة إلى synonyme أفرنجياً بدليل (أضف : على) قصور في العلم باللغة . لأن المتشابهة والمتباينة (كذا والله !) من الألفاظ التي تنظر إلى synonyme » ا هـ . هذا وأنت تعلم أن لفظة

synonyme تفيد مفاد كلمة « الترادف » عنـدنا . فبالله كيف تكون الألفاظ المتشابهة والمتباينة ناظرة معاً إلى المترادفة ، وبين المتشابه والمتباين مابين الأبيض والأسود ؟ — ثم قال أدهم (الرسالة ٣٢٦ ص ١٩٩٦) : « أما عن مجيء هذه الروايات (الخاصة بالمروءة) من الجاهلية أو عدم مجيئها ، فلا يؤثر على (يريد : فى) القضية فى شيء ، لأن جلها أتى من صدر الإسلام ، والعربية لم تتغاير (يريد : تتغيّر ؛ قد والله سئمت تهذيب أسلوب الرجل !) فلا معنى للاحتجاج بأنها ليست (يعنى الروايات) من الجاهلية ، وإذن يبقى معنا لفظة المروءة نازعةً منزع السيادة فى الجاهلية وصدر الإسلام ، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ بطرق ملتوية الدكتور بشر فى مباحثه العربية » ا هـ . فهل للأستاذ الدكتور أدهم أن يراجع فى « الصاحبي » لابن فارس باباً لطيفاً قريب المنال عنوانه « الأسباب الإسلامية » ليتبين له أن العربية اتفق لها أن « تتغاير » كما يقول ، بانتقال أهلها من الجاهلية إلى الإسلام إذ « حالت أحوال ، وأبطلت أمور ، و نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر . فمحّى الآخر الأول » . ليراجع الأستاذ الدكتور أدهم ذلك الباب ، فيه إليه حاجة ، وليطمئن إلى أن ابن فارس لا « يوهم القارئ بطرق ملتوية » مثل بشر فارس

— وأما عود أدهم إلى اختلاق القول فقصته أن الرجل قال (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) إنى ألّفتُ رسالة بالفرنسية عنوانها « العرض عند عرب الجاهلية » وموضوعها أن أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى العرض ، ثم زاد « ولما كان المستشرق جولدتسيهر Goldziher قد كتب فصلاً كاملاً عن المروءة ذهب فيه إلى أن المروءة كانت تنزل منزلة الفضيلة عند عرب الجاهلية . فقد اضطر الدكتور بشر أن يعود عام (يريد : سنة) ١٩٣٧ ليناقش رأى جولدتسيهر فكتب مادة مروءة فى تكملة دائرة المعارف الإسلامية ثم توسع بالمادة فكان منها موضوع مبحث المروءة من كتاب مباحث عربية » . ا هـ

والرد على هذا أن كتابي « العرض عند عرب الجاهلية » مطبوع ومتداول ، وهو موجود فى مصر ، فى دار الكتب مثلاً وعند نفر من علمائنا وكتابنا . فمن ذا الذى يقول إنى لم أناقش فى هذا الكتاب — وهو الرسالة التى نلت بهـا شهادة الدكتوراه من السوربون — رأى جولدتسيهر ومَن تلا تلوه من المستشرقين ؟ إنى لم أتحول فى مبحثى الذى نشرته لى دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى هولندة ولا فى مبحثى المدرج فى مباحث عربية عما جاء فى كتاب العرض عند عرب الجاهلية . إن ما ذهبت إليه هنا هو ماذهبت إليه هنالك مع زيادة فى سياقة النصوص وإفاضة فى عرضها ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله ! وحسبك موازنة ماجاء فى كتابي الفرنسى (ص ٣٠ — ٣٢) بما جاء فى مباحث عربية (ص ٧٢ — ٧٤) وقد اطلع على ذلك صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف

— وأما تهويل أدهم فيدل عليه ما تقدم بك من ارتجاله للمصادر ، وإن قال من قبل متواضعاً (الرسالة ٣١١ ص ١٢٢٥) : « أظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء للمصادر » . ثم دعنى أخـبرك بأن أدهم سلط قلمه ثانية على مبحثى فى المروءة فاستغرق نقده ثلاث صفحات من الرسالة (٣٢٨) . ولما رأيت ذلك قلت فى نفسى : لعل الناقد يدفع ما ذهبت إليه بتضعيف النصوص التى استخرجتها وهى تُزيد على ثلاثمائة سواء تصريحاً أو تلميحاً ، أو لعله يُسقط مبحثى بالطعن فى المراجع التى عولت عليهـا وهى تقارب المائة . ذلك ما يرقبه الناس من الناقد الثبت فيما أعلم . فماذا أصبت فى تلك الصفحات الثلاث ؟ جاءنى أدهم — وحياتك — بنصوص دون غيرها ، حرفها عن مواضعها ، وقدم من سياقتها وأخر ، وحملها مالا تحمل ثم استخلص من ذلك التشويش أنى أبعدما يكون عن البحث اللغوى البسيط . بالله ثم بالله لِمَ لَمْ يأت بنص من عنده ، ولو بنص واحد ؟

وأظرف من هـذا أنه أثبت مظان النصوص فى نقده ناقلاً إياها من المراجع المثبتة فى هوامش كتابي . ألا من يقول لى ما الذى يدعوه إلى أن يدوّن مثلاً : « كتاب الأردبيلي مخطوط فى آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ وهو مخطوط فى التصوف كما وصف ذلك الأستاذ تيشنر فى مبحثه المعنون باسم (هنا العنوان الألمانى) ، والمنشور بمجلة Der Islam التى تصدر عن همبرج مجلد ٢٤ ص ٥٨ » ، ما يدعوه إلى مثل هذا التعالم ، وكل ما دوّنه مثبت فى مباحث عربية » (ص ٥٩ المتن والحاشية) ؟ وعلى هذا ما دوّنه بشأن كتاب جولدتسيهر ، وكتاب العرض عند عرب الجاهلية (راجع « مباحث ... » ص ٧٢ ، ٧٤) . وخير للأستاذ أدهم أن يعدل عن التعالم بعد اليوم ، فلربما حفر حفرة وقع فيها . من ذلك الحفرة التى حفرها ، وهو يسطو « على ملتقى اللغتين » لمراد فرج ، ومن ذلك أيضاً قوله (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) : « المعنى الحقيقى réelle » ، وياليته قنع بالسطو على التركيب العربى وحده ، (وهو فى « مباحث عربية » ص ٦٠) ! إلا أن وسوسة التهويل غوته فزاد كلمة فرنسية réelle فى صيغتها المؤنثة . فلم يؤنثها فى نقده وهى واردة فيه من غير موصوفها ؟ القصة أن أدهم نسى الموصوف فى طيّات « مباحث عربية » وهو définition

(أى التعريف) فجاءت الصفة مبتورة، ولم يفطن أدهم إلى وجوب تذكيرها حتى ترد صينة الإطلاق. ولو كان أسند كل هذا إلىّ لكان خرج من ظنّة السطو.. إلا أنها الوسوسات، لطف الله بنا!

— وأما نقد أدهم عن هوًى مبيّت فى النفس فواضح فى عناده عند الكلام على مسلمى فنلندة. وكان قد اجتلب النقد اجتلاباً من قبل ثم عاد فذهب فى اللجاج، على ما قدمت، لأنه — هو المتخرج فى موسكو بعد سنة ١٩١٨ — يريد أن يجملنا نرتاب فى أن نفراً من الناس بل من المسلمين يخطر لهم أن يفرّوا من الثورة البلشفية (أو «الثورة الاشتراكية الكبرى» كما يسميها هو: الرسالة ٣١١ ص ١٢٣٠).

وأوضح من هذا أن أدهم خرج من نقده الثانى بهذه النتيجة:

«ظهرت عقلية الدكتور بشر الشكلية بأجلى مظاهرها وتبيّن لنا كيف أن هذه الشكلية مساقة إلى أخطاء فى البحث لا يقع فيها من له دراية بسيطة بالبحث اللغوى المستقيم (يعنى نفسه طبعاً). والواقع أن بحث الدكتور بشر فى المروءة ضعيف لا يثبت على نقد ولا يمكن أن يواجه مراجعة علمية صحيحة»

وهنا لا أحب أن أذكّر أدهم بأن مبحث المروءة نشر من قبل بالفرنسية والإنجليزية والألمانية فى دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى هولندة ولم يظفر بمثل هـذا الحكم. ثم لا أحب أن أستشهد بآراء من كتب عندنا فى «مباحث عربية» مثل العلامة الأب الكرملى، والأديب المترسل الأستاذ المازنى، ومدرسيّن من الجامعة المصرية وغيرهم. فلربما قال أدهم (وهو على كل قول قدير): إن هؤلاء وأشباههم لا «دراية لهم بالبحث اللغوى المستقيم». ثم لا أحب أن أطلعه على ما قاله المستشرق بروكلمن فى الجزء الثالث من تكملة تاريخ الآداب العربية؛ فلربما قال: إن بروكلمن لا يستطيع «مراجعة علمية صحيحة». بل ليأذن لى الأستاذ الدكتور أدهم أن أدوّن اليوم حرفاً لحرف ما قاله فى نقده الأول لكتابى:

«وفى هذا البحث (مبحث المروءة) يبرز الباحث (يعنينى «مع الأسف») رجلاً مدققاً عرض للموضوع فى إحاطة عجيبة» (الرسالة ٣١٢ ص ١٢٧٤)

ثم هذه خاتمة نقده الأول: «هذا هو كتاب مباحث عربية. وهو كتاب فريد فى موضوعه وفى نهج بحثه وفى منحى تحقيقه، يدل على أن صاحبه صاحب ذهنية علمية متزنة، يتصدى للموضوعات على أساس من التقصى للأصول والفروع مع دراية تامة بأساليب البحث (غريب، غريب!) والمآخذ التى أخذناها على أهميتها لا تنال من قيمة البحوث ولا من الجهد العلمى المبذول فيه. والواقع أن الدكتور بشر فارس شق الطريق للبحث العلمى الجدى (المفو!) ولو لم يكن له غير هـذا الجهد لكفى ذلك التقدير. إسماعيل أحمد أدهم» (الرسالة ٣١٢ ص ١٢٧٥)

إن السر فى هذه الردّة أنى أدهم كتب نقده الثانى وهو ناقم حانق، لأنى بينت فى المقتطف (أغسطس) والرسالة (٣١٤) كيف يجتلب النقد اجتلاباً ويرتجل المصادر ويتحدّى فى القول ويتمالح فيتزلق إلى الاعتساف والغمز. ولم أجد بداً حينئذ من تبيين كل هذا — على ما قال أدهم فى خاتمة نقده — حتى تستقيم موازين النقد عندنا ويتزجر الهاجم على العلم من غير بابه فلما عجز الأستاذ الدكتور أدهم عن دفع البينة فزع إلى المماحكة والمهاترة، قطع الله الحزازات التى تأكل النفس!

وإن قال أدهم (وهو على كل قول قدير): إن له أن ينكر رأياً دوّنه فيستبدل به ضده، بعـد مضيّ أربعة أشهر (والحر فى مصر شديد، ييبسُ كل شىء)، قلتُ ما دمتَ تناظر فى العلم كأنك تداور فى السياسة على الطريقة الحديثة، فخذ شهادة أخرى ممن يُجَلّ ويعتدّ به من «أهلك»، وهى رسالة بالعربية بعث بها إلى الأستاذ كراتشكوفسكى، وقد اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف: «سيدى العزيز الفاضل. سلاماً واحتراماً وشكراً لكم على إرسال كتابكم الجديد «مباحث عربية» وقد قرأته فى هذه الأيام أيام العطلة المدرسية، وانتفعت منه كثيراً. لا يخفى عليكم أن فى قراءته بعض صعوبة على من لم يتعود طريقاً علمياً صرفاً فى البحث والاستقراء ومع ذلك فى الكتاب درس مهم وخطوة جديدة فى سبيل ترقية العلم العربى الحديث، عسى أن ينتفع بها أبناء العربية فى كل أقطارها. حتى بدعة الرموز، الرموز الاختزالية رأيتها فى مكانها وهى بدعة مستحسنة، ولا يتعسر إدراكها واستعمالها على كل من يتمرن فيها دقيقتين. وفى الإجمال قد خدمتم العلم والآداب بهذا الكتاب الجديد خدمة تذكر وتشكر ودمتم على مساعيكم الجيدة والنجاح حليفكم وذوو العقول السليمة فى الشرق والغرب أصدقاؤكم. أغناطيوس كراتشكوفسكى، الروسى» اهـ — ألا حسبى صداقة «العقول السليمة»!

وبعد فهذه كلمة ثانية، أرسلها مكرهاً، ولكنها رعاية العلم الحق وإقامة النقد الصحيح ولن أعود إلى مثلها مع إسماعيل أحمد أدهم، فإن قلمى لمشغول عن مماحكته بما هو أجل شأناً وأعم نفعاً

ب. ف.



7me Année No. 331

Lundi - 6 - 11 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٣٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

٥٠ ، ١٣

وزارة الشؤون الاجتماعية

الفقـــــر ...

— ٢ —

الفقر هو العنوان الثانى فى الدستور الإصلاحى لوزارة الشؤون الاجتماعية كما نقترح أن يكون . وإذا قلت الفقر فقد عنيت بهذه الحروف الثلاثة كل ما يقع فى ذهن المرء وخياله وحسه من معانى البؤس والألم والأسى والجريمة والرذيلة والذلة والمسكنة والعداوة والانتقام والثورة . وأى مجتمع يتسنى له أن يلتئم أو ينتظم أو يسعد ما دامت هذه الآفات تلح عليه بالاعتلال والانحلال والوهن ؟ وأنت إذا تقصيت بالنظر المتأمل أحوال الناس وأهوال الدنيا وجدت تنازع القوت هو المشكلة الأزلية للحياة ، والفقرَ هو النكبة الأبدية على النظام ، والجوع هو السبب القريب أو البعيد لكل ثورة فى تاريخ الأمم وكل جريمة فى حياة الأفراد . فهل فى حدود الجائز إذن أن نطلب إلى وزارة الشئون الاجتماعية أن تبيد الفقر وتقتل الجوع كما طلبنا إليها أن تمحو الأمية وتنسخ الجهالة ؟ لا وا أسفاه ! لأن شمول العلم أمر تقتضيه الفطرة وتجيزه القدرة ، ولكن شمول الغنى شيء تأباه الطبيعة ويمنعه العجز . وما دام الناس مختلفين فى الذكاء

والقوة، فلا بد أن يختلموا كذلك فى النفوذ والثروة. والتفاوت فى الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر فى الطبيعة ونظام مسلم فى الدين. إنما نطلب إلى وزارتنا المصلحة أن تخفف من نوائب الفاقة وتكفكف من غوائل الجوع بتقريب المسافة بين الغنى والفقر، وتنظيم العلاقة بين القوة والضعف، فإنها إن نجحت فى تحقيق هذين الأملين فقد نجحت فى إقرار السلام فى النفوس وإحكام النظام فى المجتمع

* * *

ولكن كيف تستطيع وزارة الشؤون الاجتماعية أن تخفف آلام هذه العاهة المستديمة مادامت لا تستطيع أن تحسم أسبابها بالطب الناجع؟ تستطيع ذلك من طريق الدين ومن طريق التشريع ومن طريق الإدارة. فأما ما تستطيعه من طريق الدين فجباية الزكاة وتنظيم الإحسان. وجباية الزكاة فريضة على الحكومة المسلمة، كما أن أداءها فريضة على الشعب المسلم. فلا يجوز للوزارة أن تكل أمرها لحرية الضمير وإرادة النفس، فإن طمع الناس فى عاجل ثواب الدنيا أقوى من طمعهم فى آجل ثواب الدين. ومن أجل أداء الزكاة كان ارتداد العرب عن الإسلام فى عهد أبى بكر. إنما يجب أن تجبى الزكوات بالاضطرار كما تجبى ضرائب الأرض وعوائد العقار، وأن يكون لوزارة الشؤون الاجتماعية جباة كما كان لوزارة المالية صيارف. ولا بأس أن يترك الاختيار فى الإحسان على أن يستعان على غرسه فى القلوب وجمعه فى الأيدى بفرقة من الرجال والنساء تدخل البيوت والمكاتب على الأغنياء والغنيات من الأفراد والشركات فيذكرونهم بأن الله الذى خلقهم وخلق الفقراء قد جعل لحمة ما بينهم وبينهم قائمة على أساس من المودة والرحمة. فإذا تعهدوا هذه الصلة الإلهية بالبر فنحج القادرُ العاجز رَوْحاً من قواه، ونفح الواجدُ الفاقد قليلاً من جدواه، سارت القافلة الإنسانية فى طريقها غير ظلماء ولا وانية. فإذا ما جمعت الزكوات والصدقات من طريقىْ الطوع والكرْه تجعل فى (بيت المال) لا فى (الخزانة العامة)، ثم تدبر على النظم الحديثة فى التأثيل والاستغلال، وتنفق فى إنشاء المياتم[1] والملاجئ والمستشفيات، ويستعان بالفرقة التى جمعت الإحسان من بيوت الأغنياء، فى توزيع المونة على التمعفف المجهول من بيوت الفقراء

وأما ما تستطيعه الوزارة من طريق التشريع فسن القوانين لحماية العامل والفلاح من صاحب المال ومالك الأرض؛ فإن أكثر ما يصيب الطبقة العاملة من المحن والإحن إنما ينشأ من إطلاق الحرية الطاغية لأصحاب الأموال الذين يستثمرونها فى التجارة أو فى الصناعة، ولأرباب الأطيان الذين يستغلونها بالتأجير أو بالزراعة

فهؤلاء وأولئك على قلتهم يتحكمون فى الأُجراء ويستبدون بالمستأجرين ولا تدركهم بهم رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة. فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف؛ ولكن أصحاب الأموال والأطيان لا يكادون يتركون لعمالهم وفلاحيهم ما يمسك الروح ويستر البدن

وإذا شاءت الوزارة أن تحقق ما يعانيه العامل والصانع من أولى العمل، وما يقاسيه الأجير والزارع من ذوى الطين، تكشفت لها أستار المجتمع عن مآسٍ مروعة من الظلم والغبن والطمع والأثرة لا يستطيع منع تمثيلها المحزن المخزى غير سلطان القانون

بقى ما تستطيعه الوزارة من طريق الإدارة وهو يشمل ما لا يدخل فى نطاق الدين أو القانون بنص صريح، كمكافحة البطالة بتيسير سبب العمل للعامل، وتدبير رأس المال للصانع، وتمصير المعامل والمصانع والمتاجر والمصارف والشركات يداً ولساناً ليحل الوطنيون المتعطلون فيها محل الأجانب، وذلك مورد للرزق يمكن أن يعيش عليه ألوف من الأسر المحرومة أهملته الحكومات السالفة لاشتغالها بسياسة الكلام وخصومة الحكم عن كل نافع

* * *

بهذه الخطة المحكمة لكفاح الفقر بمعونة من سلطان الدين وسطوة القانون وقوة الحكومة تستطيع الوزارة أن تنقذ من غوائله الطفولةَ المعذبة والشبيبة المشردة والشيخوخة العاجزة والأسر المنكوبة والكفايات المعطلة، وأن تطهر المجتمع مما يجره عليه بقاء هذه الأحوال من فساد الأخلاق ونَغَل القلوب واضطراب الأمن وقلة الإنتاج وكثرة الجرائم. ونجاحها فى ذلك معناه بناء المجتمع المصرى على أسس جديدة من تقوى الله ورضوان الناس وتعاطف النفوس وتعاون القوى وتضامن الأمة.

احمد حسن الزيات

(١) المياتم جمع ميتم وهو مكان ليتامى المتروكين يربون فيه ويعلمون، وهو بهذا المعنى مستعمل فى العراق، والعامة تستعمله خطأ فى معنى مأتم

الباحثون والساسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

المعروف عن رجال السياسة فى أمم الغرب أنهم أوسع اطلاعاً وأكمل ثقافة من رصفائهم فى الأمم الشرقية ، فنهم الأدباء والناقدون ، ومنهم المشتغلون بالفن أو بالعلم أو بالرياضة ، وقل منهم من ليست له مشاركة فى موضوع من موضوعات الذوق أو التفكير

لكن العجيب فيهم مع ذلك أنهم يعدون فى بلادهم من أقل الناس اطلاعاً على الدراسات النافعة فى شؤون السياسة المصرية ، أى الشؤون التى هم بها مشتغلون وعليها عاكفون ، كأنما يستنكف أحدهم أن يتعلم شيئاً فى مسألة من المسائل هو أحرى أن يجلس فيها مجلس الأساتذة المعلمين !

ومن هنا يتورطهم السهو والتقصير ، وتتعرض أحكامهم على المسائل العالمية لما يشبه الغفلة والإهمال

* * *

مثل من الأمثلة الكثيرة على ذلك هذه المحالفة الشيوعية النازية التى وقعت عند الأكثرين موقع المفاجأة والغرابة وفى طليعتهم أقطاب الوزارة والسفارة

ففى الوقت الذى كان فيه بعض السفراء والوزراء يعانون صدمة المفاجأة من جراء هذه المحالفة الغريبة كان قراء الكتب السياسية يتلقونها كما يتلقون نبأ جائزاً فى التقدير بل مرجحاً أعظم الترجيح فى الحسبان

ففى أوائل هذه السنة طبع كتاب الناقد السياسى والخبير الاقتصادى الدكتور بيتر دركر Peter Drucker الموسوم بنهاية الرجل الاقتصادى أو الرجل الذى يفترضه الشيوعيون والنازيون The End of Economic man فإذا بالمؤلف يقول عن المحالفة بين الروسيا والأمم الديمقراطية : « إنها قد أحدثت من الأضرار ما لم تحدثه قط غلطة سياسية فى السنين العشرين الأخيرة . فلن تقع الآن حرب بين ألمانيا وروسيا ما لم تعترض فى الطريق قارعة لا تخطر على البال . . . ومتى امتنعت الحرب فلا بد من محالفة تربط هاتين الدولتين فى وجه العالم الغربى بأسره ، ولا ينبغى أن ننظر إلى الحرب بينهما إلا على اعتبار أنها فكرة متمناة أو أمنية ترد علينا مورد التفكير . . . أما الواقع فهو أن الدولتين خليقتان أن تتقاربا وتتحالفا لأنهما متشابهتان فى لباب العقيدة وأحوال الاجتماع . ومن الحق أن نترقب هذه المحالفة ولو ناقضتها فى الظاهر جميع الاعتبارات والتقديرات . . . »

وفى قريب من الوقت الذى طبع فيه ذلك الكتاب كان كتاب آخر باسم « بولونيا مفتاح أوربا » يطبع لمؤلفه الدكتور رايموند لسلى بويل Raymound Leslie Buell الحجة الثقة بين علماء الأمريكيين فى هذه الشؤون ، وكان مؤلفه يراجع آراء هتلر التى بسطها فى كتابه « جهادى » عن المحالفة بين الروس والألمان فيرد عليها قائلاً :

« ومع هذا يحتمل أن تصبح الروسيا أقوى من أن تمزق وأضعف من أن ترفض اقتراحاً من النازيين بالاتفاق الشامل بين الفريقين . فهى فى عزلتها عن فرنسا وبريطانيا العظمى ، وفى حذرها من تهدد اليابان لتخومها الشرقية ، قد تؤثر محالفة ألمانيا على محاربتها ، وقد تؤدى هذه المحالفة إلى بطلان الدولية الثالثة وتقديم الموارد الروسية إلى الألمان واتخاذ السياسة المعادية لليهود؛ ويلوح أن إبرام هذا الاتفاق عسير قبل موت ستالين ، ولكن احتمالاً من هذين الاحتمالين وهما الحرب أو المحالفة الشاملة أمر لا ينبغى أن يعزب عن البال ... ولا يصعب علينا أن نتوقع اتفاقاً على تقسيم بولونيا تقسيماً جديداً بعد المحالفة »

* * *

وحوالى هذا الوقت بعينه كانت صحيفة إنجليزية تصدر فى فانكوفر اسمها شمس فانكوفر Vancouver Sun وهى بلدة فى كندا تنشر بحثاً ضافياً فى هذا الموضوع فتقول فيه بعد عرض المسألة من جميع جوانبها ما خلاصته : « إن ستالين وهتلر قد يطرحان عنهما خصومتهما القائمة فى الوقت الحاضر ويتفقان على تكرار تقسيم بولونيا من حديد . فالحكومة والأحوال فى كلتا الأمتين الروسية والألمانية ليس بينهما كبير خلاف، وإن سخط هتلر وأصحابه من بيان هذه الحقيقة : كلتاهما حكومة طغيان عسكرى لا أثر فى ظلالها للحرية ، وقد صدقت الفكاهة التى تشيع

اليوم فى البيئات الألمانية وفحواها أن صاحباً يسأل صاحبه فى معزل عن الناس : ما الفرق بين روسيا السوفيتية وألمانيا النازية ؟ فيجيبه : الجو فى روسيا أبرد ! ... »

* * *

كان الباحثون السياسيون يفيضون فى أمثال هذه البحوث بين الترجيح تارة والتوكيد تارة أخرى والسفراء والوزراء يلحون فى وجوب عقد المحالفة بين الروسيا من جهة وبريطانيا العظمى وفرنسا من الجهة الأخرى ، وكان منهم رجل حصيف مثل لويد جورج يكتب وينادى بأن هذه المحالفة ضرورة لا محيص عنها وباب لا باب غيره للنجاة من أرهاب المنلرية والنازية ، وكانت الإشاعات تتوالى بالتقدم فى طريق الاتفاق والدخول فى التفصيلات التى لا ضير منها على المبادئ والأصول ، وتشاء مضحكات القدر أن نقرأ أنباء هذه البشريات وأنباء الغدر الروسى فى بريد واحد وصل بعد استفحال الخطب وجلاء الشكوك !

* * *

ويسألنى القارئ : وما اقتراحك فى هذه المشكلة ؟ أتراك توصى بإسناد الوزارة والسفارة إلى الباحثين والدارسين وانتزاعها من أيدى الوزراء والسفراء ؟

وأبادر فأقول معاذ الله ! ... إن الباحث باحث والوزير وزير ، فإذا أصبح الباحث وزيراً بطل بحثه ونقص من أحد طرفيه ولم يستوف العملين فى آن

وإنما أقول بوجوب الانتفاع بهذه البحوث والدراسات فى تذكير الوزراء والسفراء أو فى بسط وجوه النظر فى كل مسألة من مسائل السياسة والحكم عند ما يعرضها عليهم العارضون

فيشتمل كل مكتب من المكاتب المتصلة بالسياسة القومية أو السياسة العالمية على قسم للقراءة والتلخيص والتبويب ، ولا تنظر مسألة من المسائل إلا ومعها سجل الحقائق والمعلومات والآراء التى اهتدى إليها فى تلك المسألة ذوو الخبرة والاختصاص

* * *

ولبيان الفرق بين قرار يتخذه عالم منقطع للدرس والمراجعة وقرار يتخذه وزير خاضع للقيود العملية والوقائع الراهنة والنازعات الحزبية نسأل :

هبوا وزراء فرنسا وبريطانيا العظمى اطلعوا جميعاً على كتب الباحثين وفصول الخبراء الثقات فى ترجيح المحالفة النازية الشيوعية والتيئيس من المحالفة الأخرى وآمنوا أصدق الإيمان بما قرأوه فماذا عساهم كانوا صانعين ؟

كانوا يحجمون عن مفاوضة الروسيا ويستضيعون الوقت فيما ليس وراءه طائل

ونعود فنسأل : أتراهم يحسنون بذلك أم يسيئون ؟ ؟

واعتقادنا نحن أنهم يسيئون غاية الإساءة ، لأن أنصار الروسيا بين الفرنسيين والإنجليز وأبناء الأمم أجمع يظلون بعد ذلك فى ضلالهم القديم ، ويزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أن ساسة فرنسا وانجلترا هم الذين عزلوا الروسيا وقطعوا ما بينهم وبينها فدفعوا بها كارهة إلى أحضان النازيين أعداء الديمقراطية ، وأنهم إذن مسؤولون عن هذا الفشل وعما يضيع بسبيله من الأرواح والأموال

ومتى شاعت هذه العقيدة بين الطبقات التى يؤخذ منها الجنود والمال فالخطر عظيم ، وتزييف العقيدة بالحجج العلمية والدروس النظرية عسير ، وباب المكابرة واللجاجة مفتوح لمن شاء على مصراعيه

أما اليوم فقد أخطأ الساسة فى مفاوضة الشيوعيين وأصاب المقدار . فلا مكابرة ولا لجاجة ولا خفاء بحقيقة النيات بعد أن بلغ من وضوح الحقيقة أن تلمسها كل يد وتبصرها كل عين

إن الدراسة حسنة واتباع الواقع حسن ، وأحسن منهما واقع تهديه دراسة الدارسين .

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ٢١ —

رأينا فى المقال السالف سرقتين من سرقات الأستاذ أحمد « الأمين » كما كان يسميه أستاذنا الشيخ المراغى قبل أن تنكشف تلك السرقات

والكشف عن سرقات هذا الرجل المفضال لا يُعدُّ من الإيذاء حتى نَقبل دعوة بعض الأصدقاء إلى مهادنته مراعاةً لأدب الصيام. فأحمد أمين نفسه بحكم منصبه فى كلية الآداب يعرف أن الكشف عن سرقات الشعراء والخطباء والكتّاب نوع من المرانة الذهنية، وفنٌّ من فنون الأدب الرفيع

وأعترف بأن اهتمامى بكشف سرقات أحمد أمين لا يخلو من شيطنة، ولعله ضرب من المنافسة للدكتور طه حسين، فالدكتور طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهداه إليها، وأنا أيضاً أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها، مع الفرق بين الهدايتين

وأصرح بأن تشجيع القراء وحرصهم على أن تُجمع هـذه المقالات فى كتاب يرجع إليه من تهمهم معاودة النظر فيما شرحناه من الحقائق الأدبية، ذلك التشجيع لا يهمنى كثيراً وإن كان يدلنى على يقظة القراء ورغبتهم فى محاسبة الكتّاب والباحثين.

وإنما أنتظر أن أتلقى كلمة ثناء من الأستاذ أحمد أمين لأعرف أن الجميل فى هذا البلد لا يضيع، فهو يعرف جيداً أنى قدمت إليه خدمة عظيمة حين دللته على أن مصر لا تزال بخير ففيها رجال يحاسبون من كان فى مثل منزلته من المتصدرين لتدريس الأدب بكلية الآداب، وهل يظن أصدقاؤنا بتلك الكلية أن حديقة الأورمان منطقة من مناطق المرّيخ، وأنهم بمنجاة من أسنة الأقلام؟ هيهات، ثم هيهات؟!

ونرجع إلى السرقات فنقول:

شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب فى جاهليتهم لم تكن لهم وثنية تبدع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان، وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال

وقد ناقشنا هذا الرأى بمقال مفصل نكره تلخيصه اليوم لئلا نقع فى الحديث المعاد، فهل يعرف القراء من أين أخذ الأستاذ أحمد أمين هذا الرأى؟ أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف:

« وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه: إن العرب ككل الأمم الساميّة ليس لها أساطير فى شعرها ولا فى عقائدها، وإن هـذا يدل على ضيق الخيال لديهم: لأن الأساطير والخرافات إنما هى نتيجة سعة الخيال، ونتيجة الحيرة والبحث وحب الاطلاع ... وكل ذلك يظهر أثره فى بلاغات الأمم من نظم ونثر، كما هى الحال عند الأمم الآرية كاليونان وغيرهم من الأمم الأوربية، وقالوا سعة الخيال، ولا يقصدون بالخيال ما نقصده نحن من المجاز والتشبيه، وإنما يقصدون سعة الخيال فى تصور الحقائق وفى إدراك الموضوعات المختلفة، لأن أساطير اليونان كان منشأها البحث عن الخالق وتصوره فلم ترشدهم عقولهم إلا إلى ضرب من الخرافات كتبوا عنها وألفوا فيها الأسفار ونصبوا لها التماثيل، فاستدل الباحثون بذلك على قوة الذكاء وسعة الخيال وحب الجمال والافتتان فيه، وربما كان هذا من الأسباب التى حملتهم على طول الكلام والميل إلى القَصَص فى النثر والشعر، لأن هذا النوع من البلاغة ليس إلا ضرباً من سعة الخيال فى التصور والفكر والتعبير. ومن هنا يكون تعدد الأنواع فى ضروب البلاغة نظماً ونثراً »[1]

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف فى محاضرات ألقاها بالجامعة

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٧ و ٥٨

المصرية سنة ١٩١٨ ونشرها سنة ١٩٢١

فهل عرفتم من أين سرق الأستاذ أحمد أمين كلامه عن الفرق بين وثنية العرب ووثنية اليونان؟ هل عرفتم من أين سرق القول بأن الوثنية العربية لم تخلق التماثيل كما صنعت وثنية اليونان؟ هل عرفتم من أين انتهب القول بأن المجاز والتشبيه لا يدلان على سعة الخيال؟ هل عرفتم من أين اغتصب القول بأن الجاهليين لم تتعدد عندهم ضروب البلاغة فلم يعرفوا الأقاصيص الشعرية والنثرية؟

إن الدكتور أحمد ضيف لم يبتكر هذا الكلام، ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتهب ما نقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته ودعا الناس إلى مناقشته في تلك «المبتكرات» !!

فهل عرف أنه جازف أقبح مجازفة حين دعا الباحثين إلى مناقشته وهو يظن أنْ لن يسمع منهم غير الحمد والثناء؟

وفُتِن القراء بقول الأستاذ أحمد أمين إن العربي الجاهلي وصف ما رآه، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى مقال مطوّل في مجلة أسبوعية، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«كان العربي يصف في شعره ما يراه، ويتكلم عما يشعر به في نفسه من عواطف وفضائل، وقد تكلم وعبّر عما يجول بخاطره بنفس الشجاعة والأقدام اللذين كانا له في الحياة»[1]

فأين الذين فُتِنوا بكلام الأستاذ أحمد أمين ليعرفوا أنه مسروق من كلام الدكتور أحمد ضيف؟

وهناك فرق بين العبارتين: فعبارة الدكتور ضيف سبقت بتعليل مقبول لوقوف العربي عند وصف ما يراه، أما أحمد أمين فاقتضب الكلام حتى لا يتنبه بعض القراء إلى أنه يجدح من سَويق سواه!

وقال الأستاذ أحمد أمين إن بلاد العرب كانت في الأغلب جرداء فلم توح إليهم التفنن في وصف المناظر الطبيعية من رياض وبساتين، وجداول وأنهار، وجبال مكللة بالأشجار والأزهار

فهل يعرف القراء أنه سرق هذه الفكرة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«إن طبيعة بلاد العرب الجافة ذات الشكل الواحد لم تُلهم العربي ولم توح إليه من أنواع الجمال غير جمال التعبير عما يجول بخاطره وإظهار عواطفه إظهاراً ساذجاً. غاب عنه جمال الطبيعة من حقول وخمائل ومن جبال وتلال مكللة بالأشجار والأزهار، ونَدَر لديه جريان الماء وهدوء الجوّ، فلم ير إلا الصحراء المحرقة ذات الفضاء اللانهائي، والنخل المصمد في السماء على شكل واحد فأثر ذلك في خياله وجعله لا يعرف التغيير[1]»

قد تقولون إن هذه أفكار تعدُّ من البديهيات، فمن حق أحمد أمين أن ينقلها عن أحمد ضيف

وهذا حق، ولكن ما رأيكم فيمن ينقل البديهيات التي أعيدت مرات على أنها من البِدْع المبتكَر الطريف، ثم يقول وهو مزهوٌّ مختال: هذه آراء نعرضها للبحث وندعو القراء إلى مناقشتها رغبةً في تخليص الأدب العربي من الأوهام والأضاليل؟!

وأراد الأستاذ أحمد أمين أن يأتي بالأعاجيب فقرر أن العرب لم يعرفوا الشعر القصصي ولا الشعر التمثيلي، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى دعوى الابتكار والابتداع، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف: «الشعر القصصي والشعر التمثيلي بالمعنى المعروف الآن عند الأدباء في بلاغات الأمم الأخرى لا وجود له عند العرب[2]»

وما ادعينا ولا ادعى أحد أن العرب كان عندهم شعر قصصي وشعر تمثيلي حتى تحتاج إلى حذلقة أحمد أمين.

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٢

(١) ص ٥٣

(٢) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٤٩

وعاب صاحبنا على الناس أن يظنوا أن العرب عرفوا كل شيء ، ولامهم على الاطمئنان المطلق إلى المؤلفات القديمة مع أنها على سمتها مشوشة تتنافر بعض أجزائها مع بعض ، وعجب من أن يوجد قوم يأنفون من الخروج على الأدب القديم

وهذا الكلام « المبتكر » مسروق من قول الدكتور أحمد ضيف في مطلع المحاضرة التي ألقاها بحضور الزعيم سعد زغلول في اليوم التاسع من نوفبر سنة ١٩١٨ :

« دراسة الأدب العربي بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد . والأدب العربي على سمته وغناه مشوش مختلط مرتبك لا يزال باقياً على حالته الأولى من البساطة والسذاجة في التأليف والجمع ، ولم تحرر بعدُ عقول أدبائنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها ، ولا يزال بعدُ الخروج من القديم خروجاً عليه . ولا نزال نعتقد أن القدماء وصلوا إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري من الذكاء والإتقان ، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح »[1]

ومن ذلك ترون أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن من المبتكرين حين أراد أن ينبهكم إلى الغفلة التي شاعت منذ أزمان ، الغفلة التي توجب أن نجهل أن مصادر الأدب العربي تحتاج إلى تهذيب وترتيب ، والتي قضت أن تظل عقولنا في أسر الأدب القديم ، والتي أوهمتنا أن العرب لم يتركوا زيادةً لمستزيد ، وأنهم وصلوا إلى كل شيء ، وأن لغتهم أحسن اللغات

قد تعتذرون عن الأستاذ أحمد أمين بأنه يحادث ناساً يعيشون في سنة ١٩٣٩ لا في سنة ١٩١٨ ، ولكن لا تؤاخذوني : فقد توهمت أننا نتقدم في الدراسات الأدبية من يوم إلى يوم ، وأن ما يُنشر في سنة ١٩١٨ لا يعاد بحروفه في سنة ١٩٣٩ خوفاً من أن يقال إن في أساتذة الجامعة المصرية من يرى الحديث المعاد من المبتكرات

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين أن الإعجاب المطلق بالأدب العربي يضر أكثر مما ينفع ، وأن من واجبنا أن نوازن بين أدبنا وبين الآداب الأجنبية ، وأن نترك أحكام النقل والتقليد ...

وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« كل حكم مبنيّ على النقل أو التقليد لا قيمة له ، ولا يفيد شيئاً ولا يصح الاعتماد عليه ، فلا يصح أن نصدق قول من قال إن لغة العرب أحسن اللغات بدون أن نعرف شيئاً من اللغات الأجنبية ونوازن بينها وبين اللغة العربية . وإننا لنسيء إلى اللغة العربية وإلى الأدب العربي وإلى الأمة العربية أكثر من أن نحسن إليها بمثل هذه الأقوال التي لا يمكن أن يعتمد عليها إنسان مفكر ، كما أنها لا تحرك العقول ولا تحملها على البحث »[1]

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف الذي نقله الأستاذ أحمد أمين بدون أن يشير إليه ... وهل كان يظن أن في مصر من لا يزال يذكر كلاماً قيل في سنة ١٩١٨ ونشر في سنة ١٩٢١ ؟

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين بأنه يجب أن ننظر إلى الأدب العربي القديم كما ننظر إلى الآثار المودعة في المتاحف ، وندرسه كما ندرس الآداب اليونانية واللاتينية ... وهذا هو كلام الدكتور ضيف إذ يقول :

« من هذه الوجهة يجب أن نتعصب للغة العربية وآدابها كما يتعصب الأوربيون الآن للغة اللاتينية واليونانية لأنهما أصل معارفهم ومستودع سر مدنيتهم[2] »

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب أن يكون لنا أدب مصري يصور المجتمع عندنا ويحدثنا عن الزارع في حقله والتاجر في متجره والعالم بين تلاميذه وكتبه والعابد في معبده والماجن في مجونه ...

وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« نريد أن تكون لنا آداب مصرية تمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذي نعيش فيه ، تمثل الزارع في حقله ، والتاجر في حانوته ، والأمير في قصره ، والعالم بين

---

(١) ص ٣

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص٣ (٢) ص ٦

تلاميذه وكتبه، والشيخ في أهله، والعابد في مسجده وصومعته، والشاب في مجونه وغرامه . أي نريد أن نكون لنا شخصية في آدابنا . ولا نريد بذلك أن نهجر اللغة العربية وآدابها، لأننا إن فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة وبلا أدب »

ومن هنا تعرفون كيف سرق أحمد أمين تلك « المبتكرات » التي دعاكم إلى تقليبها على جميع الوجوه لتعرفوا ما في كلامه من الخطأ والصواب !

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب تحرير الشعر من القوافي والأوزان حتى يتسع لشرح مختلف المقاصد والأغراض . وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« إن بلاغة العرب محصورة أو نكاد نكون محصورة في الشعر ، والشعر لا يمثل حالة الاجتماع لضيق المجال فيه ، لأنه لا يسع جميع الأفكار ولا يحتمل إظهار الحقائق كما ينبغي ، لما فيه من القوانين التي يجب على الشاعر اتباعها ، وكثيراً ما تضطره إلى ذكر ما لا يلزم ، أو حذف ما يلزم ، ولأن الشعر رغم كل شيء مبناه الخيال والمبالغات ، والاستعارة والتشبيه والمجاز[1] »

* * *

أما بعد فتلك مجموعة جديدة من سرقات أحمد أمين في الآراء التي عدّها من « المبتكرات »

فهل أخذتم منها عِبرة ؟

هي أولاً شاهد على أن في أدبائنا من ينهب آراء معاصريه بلا ترفق ولا استبقاء

وهي ثانياً مظهر من مظاهر الاستخفاف بيقظة النقد الأدبي فلو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف أن في مصر رجالاً يسايرون الحياة الأدبية مسايرة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادره الظاهرة والخفية لَهِيب عواقب السطو على آراء من سبقوه في القديم والحديث

وهي ثالثاً دليل جديد على عدل فاطر الأرض والسموات ، فالدكتور ضيف قد انسحب من ميدان الحياة الأدبية منذ أعوام طوال ، وهو يوغل في إيثار العزلة والانزواء ، ولا يكاد يلتفت إلى أن له آراء يسرقها أحمد أمين أو غير أحمد أمين ، ولعله يتأذى حين يسمع أننا ننوه بتلك الآراء ونأخذ بتلابيب من يسرقونها في وضح النهار أو في ظلام الليل .

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

سترون في المقال المقبل سرقات جديدة من سرقات الأستاذ النبيل أحمد أمين !

وسترون أنه لن يضن علينا بكلمة ثناء !

اللهم إني صائم ! اللهم إني صائم !

فاجعل إفطاري على زاد أفضل من كشف سرقات الأدباء

« الحديث شجون » زكي مبارك

(1) ص ٦٨

دمشقيات

صديقي رمضان ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صديق عزيز ، لقيته وأنا طفل فى دمشق ، ثم افتقدته وأنا شاب أذرع الأرض وأضرب فى بلاد الله ، ففرحت بلقائه وأحببته ، وألمت لفقده وازداد حنينى إليه ، فأين أنت يا صديقى رمضان ؟

كنت أرقب قدومه ، وأحسب له الأيام والليالى على مقدار ما يحسن طفل من الحساب ، فإذا جاء فرحت به وضحكت له روحى لأنى كنت أرى الدنيا تضحك له وتفرح بقدومه

كنت أبصره فى المدرسة ، فالمدرسة فى رمضان مسجد ، ودرسها تلاوة وذكر ، وأهلوها أحبة ، ما فيهم مدرّس يقسو على طلاب، وطلاب يكرهون الدرس، لأن رمضان وصل النفوس بالله فأشرق عليها من لدنه النور فذاقت حلاوة الإيمان ، ومن ذاق حلاوة الإيمان، لم يعرف البغض ولا الشرّ ولا العُدوان

كنت أراه فى الأسواق ، فالأسواق تعرض بضاعة رمضان وتفيض عليها روح رمضان فتمحو الغش من نفوس أهلها محواً ويعلوها خوف الله ورجاؤه ، وتقف ألسنتهم عن الكذب لأنها جرت بذكر الله واستغفاره ، وهانت عليهم الدنيا حين أرادوا الله والدار الآخرة ، فغدا الناس آمنين أن يغشهم تاجر ، أو يخدعهم فى مال أو متاع ، ويمضى النهار كله على ذلك ، فإذا كان الأصيل ودنا الغروب تجلى رمضان على الأسواق بوجهه فهشت له وجوه الناس ، وهتفت باسمه ألسن الباعة ، فلا تسمع إلا أمثال قولهم : « الصايم فى البيت بركة » — « الله وليك يا صايم » — « الله وليك ومحمد نبيك » ثم لا ترى إلا مسرعاً إلى داره حاملاً طبق « الفول المدمس » أو « المسبحة » أو سلال الفاكهة أو قطع « الجرادق[1] » ، ثم لا تبصر إلا مراقباً المنارة فى دمشق ذات الثمانين منارة ، أو منتظراً المدفع ، فإذا سمع صيحة المؤذن أو طلقة المدفع دخل داره ، والأطفال يجتمعون فى كل رحبة فى دمشق ليسمعوها فيصيحوا : أذن ... أذن ... أذن ... ثم يطيروا إلى منازلهم كالظباء النافرة .

وكنت أبصر رمضان يؤلف بين القلوب المتباينة ، ويجلو الأخوة الإسلامية رابطة المسلم أخى المسلم فتبدو فى أكمل صورها فيتقابل الناس عند الغروب تقابل الأصدقاء على غير معرفة متقدمة فيتساءلون ويتحدثون ثم يتبادلون التمر والزبيب ويقدمون الفطور لمن أدركه المغرب على الطريق فلم يجد ما يفطر عليه ، تمرة أو حبة من زبيب ، هينة فى ذاتها ، تافهة فى ثمنها ، ولكنها تنشئ صداقة وتدل على عاطفة ، وتشير إلى معنى كبير

وكنت أنظر إلى رمضان وقد سكّن الدنيا ساعة الإفطار ، وأراح أهلها من التكالب على الدنيا والازدحام على الشهوات ، وضم الرجل إلى أهله ، وجمع الأسرة على أحلى مائدة وأجل مجلس وأنفع مدرسة . فوا شوقاه إلى موائد رمضان وأنا الغريب الوحيد فى مطعم لا أجد فيه صائماً ولا أسمع فيه أذاناً ولا أرى فيه ظلاً لرمضان ...

فإذا انتهت ساعة الإفطار ، بدأ رمضان يظهر فى جلاله وجماله وعظمته المهولة فى المسجد الأموى أجل مساجد الأرض اليوم وأجلها وأعظمها ، وكنت أذهب إلى المسجد بعد المغرب وأنا طفل فأراه عامراً بالناس ممتلئاً بحلق العلم كما كان عامراً بهم ممتلئاً بها النهار بطوله ، فأجول فيه مع صديقى سعيد الأفغانى خلال الحلقات نستمع ما يقول المدرسون والوعاظ ، وأشهد ثرياته وأضواءه وجماعاته ، ومن صنع الله لهذا المسجد أن صلاة الجماعة لا تنقطع فيه خمس دقائق من الظهر إلى العشاء الآخرة فى أيام السنة كلها وقد بقى ذلك إلى اليوم على ضعف الدين فى النفوس وفساد الزمان .. وإن أنس لا أنس تلك الثريا الضخمة ولم يكن قد مدّ إليها الكهرباء ، فكانت توقد مصابيحها وهى أكثر من ألف بالزيت واحداً بعد واحد يشعلها الحسكيون[1] وهم يطيفون بها

(١) أطباق جافة رقيقة وكبيرة تصنع من مواد خاصة يرش عليها الدبس ، ولا تصنع إلا فى رمضان

(١) الحسكي خادم الاموى ، كلمة شامية ولعل أصلها من الحسكة ، ومعناها بلغة المغرب الشمعدان

على سلالم قصيرة من الخشب فيكون لذلك المشهد أثر فى النفس واضح ، ثم يكون العشاء وتقوم من بعده التراويح ولها فى الأموى منظر ما رأيت أجلّ منه ولا أعظم إلا صلاة المغرب حول الكعبة فى مسجد الله الحرام فإن ذلك يفوق الوصف ، ولا يعرف قدره إلا بالعيان . وليس يقلّ من يصلى التراويح فى الأموى عن خمسة آلاف أصلاً ، وقد يبلغون فى الليالى الأواخر الخمسة عشر والعشرين ألفاً ، وهو عدد يكاد يشكّ فيه من لم يكن عارفاً بحقيقته ولكنه الواقع ، يعرف ذلك الدماشقة ومن رأى الأموى من غيرهم . وحدّث عن الليالى الأواخر (فى دمشق) ولا حرج ، وبالغ ولا تخش كذباً ، فإن الحقيقة توشك أن تسبقك مبالغة، تلك هى ليالى الوداع يجلس فيها الناس صفوفاً حول السدّة بعد التراويح ، ويقوم المؤذنون والمنشدون فينشدون الأشعار فى وداع رمضان بأشجى نغمة وأحزنها ثم يردّد الناس كلهم :

ياشهرنا ودعتنا عليك السلام ! يا شهرنا هـذا عليك السلام

ويتزلزل المسجد من البكاء حزناً على رمضان

***

وسَحَر رمضان ! إنه السِّحر الحلال . إنه جنة النفس ونعيمها فى هذه الدنيا ، وإنى لأقنع من جنات الفردوس أن تكون مثل سَحر رمضان ، فأين ذهب رمضان ؟ وأنى لى بأن تعود أيامى التى وصفت لأعود إليه ؟

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

إنى لا أشتهى شيئاً إلا أن أعود طفلاً صغيراً لأستمتع بجوّ المسجد فى رمضان وأنشق هواءه وأتذوق نعيمه . لم أعد أجد هذا النعيم ، وما تغيّرت أنا أفتغيرت الدنيا ؟

إنى لألتفت أفتش فى غربتى عن رمضان فلا ألقاه لا فى المسجد ولا فى السوق ولا فى المدرسة ، فهل مات رمضان ؟

إذن فإنا لله وإنا إليه راجعون

لقد فقدت أنس قلبى يوم فقدت أمى ، وأضعت راحة روحى يوم افتقدت رمضان ، فعلى قلبى وأمى ورمضان وروحى رحمة الله وسلامه !

« كركوك » علي الطنطاوي

هل يقرأ الفنان هتلر

الذئب والحمار

رواية فى منظر واحد

للأستاذ عبد اللطيف النشار

[يزعم هتلر أنه يريد إنقاذ الانسانية من شـوك الديمقراطية]

الحمار (يدخل المسرح خائفا وحده) :

أقبل الذئب ومالى بكفاح الذئب حيله
ربّ ألهمنى برأى خيـالى مستحيله
أدّعى أنى مريض علنى أنجو بحيـله

(يتعارج . . . ويدخل الذئب)

الذئب :

لِمَ تمشى مشية الأعـــرج يا أوفى حبيب
كيف تشكو أى داء وأنا خـير طبيب
أرنى رجلك أشفــيك من الجرح الرغيب

(يتقدم ليرى رجل الحمار)

الحمار :

لك شكرى وثنائى وجزاك الله عنى
قد أصاب الشوك رجلى فانزع الشوك تر ِحنى
وإذا لم أستطع قتلك يا ذئب فكلنى

(يركله بقدمه الخلفية)

الذئب (وهو يتلوى من الألم ويجود بنفسه) :

هكذا أقضى حياتى هكذا عقبى الغرور
أنا قصاب فـالى أدّعى طب الحمير
ليس فى الكذب على الـ خلق سوى الشر الكثير

(يمـوت)

الحمار :

أحمـد الله على الـ ـعقل ففى عقلى نجاتى
أحمــد الله فلولا حيلتى ضاعت حياتى
كتب الله لىَ النصـــرَ بصبرى وثباتى

عبد اللطيف النشا

التعليم والانتـــاج

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

أبنا فى مقالنا السابق أهمية ارتباط معاهد التعليم بمصادر الإنتاج وضرورة اتصالها بها اتصالاً وثيقاً يضمن لخريجى هـذه المعاهد العمل المباشر بين تلك المصادر بمجرد انتهائهم من عهد الدراسة ومغادرتهم لدورها إلى الحياة العامة

أما الإنتاج فهو فى الحقيقة نوعان : إنتاج عقلى وإنتاج مادى . ولا شك فى أن الإنتاج المادى، وهو أمر يتعلق برفاهية الأفراد والأمم وثروتها ومجدها الاقتصادى، يستمد قوته ونشاطه وحيويته من الإنتاج العقلى ، إذ كلما كان الذهن نشيطاً وكانت الثقافة مزدهرة استطاع العقل البشرى أن يبتكر طرقاً جديدة مفيدة فى زيادة الإنتاج المادى وإنماء الثروات المختلفة مما يؤدى طبعاً إلى السعة بين الأفراد ورفع مستوى الحيـاة بين طبقات الشعب . ولذلك نعد الإنتاج العقلى الأساس الذى ينبنى عليه عز الأمة وقوتها ورفاهيتها . ولعل هذا كان السبب الذى من أجله اتجهت المدارس المصرية بكل قوتها منذ فجر النهضة إلى دراسة مبادىء العلوم الحديثة النظرية ظناً من القائمين بأمرها أن الإنتاج بنوعيه محصور فى ذلك لما هو ظاهر من الارتباط الوثيق بين المدنية الحـديثة وبين تلك العـلوم العصرية ، مهملين بجانب ذلك أموراً حيوية أخرى لا محيص عنها فى سبيل الحصول على الثمرة الحقيقية من التربية والتعليم فى تلك المدارس، وهى أمور تعنى بها العناية كلها جميع المعاهد العلمية فى مختلف الأمم المتمدنة . فكان لهذا العمل أثره الكبير فيما نلمسه من الفروق الكبيرة بين شبابنا وشبابهم : فبينما نجد الشاب منهم ينغمس فى أعمال الإنتاج بمجرد انتهائه من دراسته ، إذا بالشاب المصرى يسعى حثيثاً إلى الوظيفة ويفضلها على أى عمل منتج آخر ، معتقداً أن فيها ضماناً للعيش فى هدوء وطمأنينة مهما قلت مواردها ، ومهما هزل مستقبلها على حد قول الشاعر :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

ومن ثم نرى الشاب المصرى لا يقوى على المخاطرة فى الأعمال الإنتاجية لأنه ضعيف العزم قليل الصبر على ما يعترضه من عقبات، يحب أن يصل دائماً إلى نتيجة حاسمة سريعة مما لا يصل إليه غيره فى البلاد الأخرى إلا بقوة العزيمة والأناة والصبر والجد المتواصل؛ ونراه يتعجل الثروة قبل أوانها ويتعجل المجد قبل أن يحين حينه، يضجره البطء ويقضى عليه التسرع فيسلمه للفشل كمن قيل فيه : « إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . ونراه متراخياً متواكلاً يفضل الاعتماد على والديه وذويه وما يمنحونه إياه من فضلات الرزق، على القليل مما قد يصيبه من الكد وعرق الجبين، وهكذا نجد فى شبابنا نقصاً فى نواح متعددة بل فى كثير من الصفات التى تقتضيها الرجولة ويحتمها الجهاد فى الحياة الحاضرة . وما ذلك إلا لأن المدرسة لم تجد من الوقت ما يمكنها من العناية بغرس تلك الصفات الضرورية فى أبنائها لأنها خصصت كما ذكرنا فى مقالنا السابق كل وقتها لحفظ الكتب المؤلفة فى برامج الامتحان ليصل الطالب إلى الشهادة التى كانت ذات قيمة ذهبية فى سوالف الأيام ، وقد أصبحت اليوم فى نظر عقلاء المجتمع لا قيمة لها فى الحياة العملية العامة . وإذا كان الإنتاج العقلى كما قررنا هو الأساس الذى تبنى عليه قوة الإنتاج المـادى فإن الأمم الحية لا تعنى بالإنتاج العقلى وحده مهملة فى معاهدها كما فعلنا نحن فى معاهدنا، الاتصال المباشر بمصادر الإنتاج المادى ولكن السياسة التى يسير عليها التعليم فى تلك الأمم تقوم على فكرة حصر الإنتاج العقلى على قدر الإمكان فى المتفوقين من أبنائها فلا يباح لكل متوسط العقل أو ضعيفه أن يخترق الصفوف إلى معاهد التعليم العليا ما دام قادراً على دفع مصروفاته كما هو الحال عندنا . ولكن هؤلاء قبل أن يتزاحموا على أبواب المعاهد العليا تزاحمهم عندنا اليوم ، يوجهون توجيهاً صحيحاً إلى معاهد الإنتاج المـادى لتتكون منهم فئات الزراع والصناع والتجار العاديين قبل أن يكونوا عالة على معاهد الثقافة العليا فلا يكون الكثيرون منهم نكبة على تلك المعاهد فقط بل نكبة كذلك على الإنتاج العقلى نفسه ! بهذا تتكون طبقات الأمة عند تلك الأمم تكوناً صحيحاً ، وتنحصر القيادة العقلية والعلمية فى المتفوقين من ذوى العقول الناضجة والأفهام القوية ، ولا توجد عندهم تلك الثقافة المزيفة التى تحمل شبابنا من شعبة الرياضة اليوم مثلاً

على أن يلجوا مكرهين كليتى الحقوق والتجارة مع أنهم لم يخلقوا لها ، تلك الثقافة المزيفة التي وصفها الأستاذ العقاد فى إحدى مقالاته بالرسالة بقوله :

« فالثقافة المزيفة بلاء لا تنحصر أضراره فى الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسرى فى كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية فى النهاية وهى القوى التى يظن أنها أغنى ما تكون عن الثقافة والمثقفين »

من أجل هذا كله إذا بحثنا فى إنتاجنا العقلى الحالى نجده مع الأسف ضئيلاً عقيماً ، فما بالك إذن بالإنتاج المادى ! ليس لدينا من الهيئات العلمية إلا العدد القليل ، وأهمها طبعاً كليات الجامعة وهى وإن كانت لا تزال ناشئة إلا أننا كنا نأمل منها فى زهاء ١٥ سنة مضت أن تثبت وجودها العلمى بين جمهور المثقفين كما أثبتته بين جدرانها الخاصة ، فهى وإن كانت لها بحوث علمية إلا أنها إلى الآن لم يحس الجمهور المثقف بوجودها لأنه لم يستفد من بحوثها إلا قليلاً ولأنه لم يحس بأثر لها فى الحياة العامة أكثر مما كان للمدارس العالية قديماً ، فالجمهور لم يستفد شيئاً محسوساً إلى اليوم فى أغانيه وأناشيده وأقاصيصه القومية من كلية الآداب مثلاً ، والجمهور لم يجد فائدة تذكر من كلية العلوم وكلية الزراعة ومصلحة الكيمياء فى أمور تتصل بالصميم من حياته الإنتاجية كمسألة دودة القطن التى تقضى على ملايين الجنيهات من ثروته سنوياً ، لا ولا فيما هو أبسط من ذلك كالفوائد الصحية التى يمكن أن تجنى من عين مائية كالعين الجديدة فى حلوان الخ

فإذا انتقلنا خطوة أخرى إلى التعليم الفنى الزراعى والصناعى والتجارى وهو التعليم المتصل اتصالاً مباشراً بحياة الإنتاج المادى وجدنا حالة مع الأسف لا تسر أى مصرى ، إذ ليس لتلك المعاهد بأنواعها أثر يذكر فى ذلك الإنتاج ، لأن جميع خريجيها لا يعنون بمصادر الإنتاج المادى ولا يعبأون بالاتصال به . إنما همهم جميعاً الحصول على الوظيفة حتى ولو كانت وظيفة كتابية أو إدارية لا علاقة لها بفنهم . ولقد شرحت عيوب هذا النوع من التعليم فى مؤلفى « التعليم والمتعطلون فى مصر » من صفحة ٢٤٦ إلى صفحة ٢٥٣

أما التعليم العام فالإنتاج العقلى يكاد يكون معدوماً بين رجاله أنفسهم ، لأن كل إنتاجهم محصور فى عدة كتب خاصة بمناهج الدراسة ليس للابتكار أثر فيها لأن معظمها منقول عن الكتب الأفرنجية لغرض الكسب المادى لا لغرض الثقافة والتثقيف ، مما لا يحبب الطالب فى المطالعة بل يبعده عنها ويبغضه فيها ، على عكس الحال فى المدارس الأجنبية التى تعتبر الغرض الأساسى من وجودها ووجود مؤلفاتها إنما هو تعويد أبنائها القراءة وتحبيبهم فى المطالعة وإفهامهم جيداً أنهم إذا تركوا المدرسة فإنما يتركونها ليبدءوا تعليمهم الحقيقى المستمد من داخلية نفوسهم بالاطلاع على الكتب المختلفة ، مما لا أثر له عندنا مع الأسف . ولعل سبباً من أسباب ذلك العقم يرجع إلى النظام الذى ابتدعه دنلوب قديماً فى مكافأة رجال التعليم وترقيتهم ، والذى أخذ به أتباعه ولا يزال يأخذ به الكثيرون منهم ، ذلك النظام العتيق الذى يقضى بقصر الترقية على ذوى المؤهلات التى حصل عليها الواحد منهم من غير نظر إلى ما ينتجه فتراهم يقدمون دائماً صاحب المؤهلات الأوربية على ذوى المؤهلات المصرية مهما كان الأول عديم الإنتاج ومهما كان الثانى كثير الإنتاج لا لسبب إلا لأن الأول ـ كما يقولون ـ رجل انجلترا أو England man . وهذا النظام — وهو نظام المؤهلات والشهادات يقضى على الإنتاج العلمى قضاء تاماً ، لأن الجميع عرفوا أنه يكفى للواحد منهم أن يقضى ثلاث سنوات فى انجلترا ليضمن القفز المستمر فى التقدم على زملائه بل على أساتذته أنفسهم مهما كانوا منتجين ! وبذا لا يهتم رجل التعليم اليوم بأن يكون منتجاً (وقد يضر الإنتاج أحياناً) بقدر ما يهتم بأن ينتسب إلى إحدى الكليات فى أوربا ليقضى بها سنين معدودة تجعله فى مقدمة الصفوف دائماً وتضمن له الوصول إلى أعلى القمة

وإنا لنأمل فى هذا العهد الجديد أن يقضى على هذا النظام الدنلوبى العتيق قضاء تاماً ، لأنه يقف حجر عثرة فى سبيل النهوض بالإنتاج العلمى والعقلى الذى يجب أن يكون هو الأداة الفعالة فى سبيل النجاح والرقى

عبد الحميد فهمى مطر

صوت من ألف عام

للأستاذ محمد حسن الأعظمى

وهذا الصوت هو ديوان الأمير تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، وهو كما يعرف الأدباء أمير شعراء مصر فى العصر الفاطمى. ويمكننا القول بأن تميما هذا كان مبدأ حياة خصيبة عامرة نشأ فى وقت واحد مع القاهرة. وكان الشعر فى مصر بما نعلمه من الضعف والقلة والندرة ، إذ كان العصر العباسى الثانى حافلاً بدويلات مختلفة شبه مستقلة ، وكان الشعر فيها يصيب تشجيعاً من أمراء العرب كدولة بنى حمدان . إلا أن الحياة فى مصر كانت طوفاناً مضطرب الأمواج بين أيدى رسل الخليفة من الأتراك الذين لم يكن الشعر العربي يلق حياته المعروفة عندهم بحكم تباين اللغة والنزع . لهذا كان يلجأ الشعراء إلى غير مصر ويلتمسون لأنفسهم الحياة والرقى فى الشام وبغداد، بينما كانت اللغة الفارسية تلتمس فى ذلك العهد نهضتها وابمانها فى الدولة السامانية والغزنوية فإذا ما أتيح للفاطميين أن يقيموا دولتهم الكبرى فى وادى النيل فنحن أمام دولة عربية هاشمية تحمى اللغة كما تحمى كتابها ودينها، ففى عصر الفاطميين أخصب البيان العربى وانفسح الميدان للشعراء يتبارون فى قرض قصائده وعرض فرائده ، وأمكننا أن نسمع مائة شاعر فى رثاء بعض الوزراء ينشدون جميعاً وينالون الجائزة جميعاً ، فيجدون من أريحية الفاطميين وسعة نائلهم ما يشجعهم على القول ويدفعهم إلى الإجادة . ولكن لماذا يحدث صاحب العمدة والثعالبى وغيرهما عن تميم والجميع قد أجمعوا أو كادوا يجمعون على أن تميما كان على عرش الإمارة فى الشعر كما كان أبوه وأخوه على عرش الخلافة فى مصر . الحق أن للسياسة دخلاً كبيراً فى السطو على تميم وحرمان أبناء العربية أدهاراً طوالاً من ثمار تفكيره ، فقد كان شعر تميم ضمن مخلّفات ذلك البيت المالك ، وفى خزانة القصر الفاطمى التى كانت حافلة بمئات الألوف من الذخائر الأدبية والنفائس الفلسفية والعلمية ، ونحن نسمع من التاريخ أحاديث متشعبة الأطراف عن الأحداث الجسام التى انتابت هذا القصر فى كتبه وفى جواهره بل فى أهله ومشيديه ، وكان الأمر بعد عصر الحاكم نهباً فى أيدى الثورات المتتابعة بين الجيوش السودانية والتركية من جهة والمصرية من جهة أخرى ، وأصيب الملك كله بأزمة جائحة وصدمة فاجعة تركت القصر نهباً والكتب سلباً . ثم جاء بعد ذلك العصر الذى غربت فيه شمس الدولة الفاطمية فنهبت هذه القصور وأحرق أكثرها وحمل القليل من تحفها وجواهرها ، وشاءت الأقدار أن تحفظ لنا تميما وأن ينقل من مصر مع من هاجر من بقايا هذه الأسرة وأتباعها الذين اعتصموا بجبال اليمن ولاذوا بحصونها الطبيعية المنيعة من غوائل أعدائهم . أما أدباء العرب والمؤرخون فلم يعرفوا عن تميم بعد ذلك إلا شذرات متفرقة وبضعة قصائد لعبت بها يد التحريف والتصحيف

إن البقية الباقية من أتباع الفاطميين لم يكونوا بمأمن على أنفسهم فى جبال اليمن ، فأرادوا النجاة بأرواحهم وبما فى أيديهم من الكتب إلى الهند فى مقاطعة كُجُرات ، فأقاموا بها وشيّدوا لأنفسهم هنالك دويلة روحية وأقاموا لهم كلية عظيمة تدرس بها العلوم الفاطمية حيث يقبل الطلبة من أنحاء الهند إليها فيتملون بعد امتحان دقيق ما تصبو إليه نفوسهم من العرفان . وكان من نصيبى أن أدرس بهذه الكلية ، أو بعبارة أقرب إلى الوضوح أنه كان يعنينى فى هذه الكلية دراسة فلسفتها كما حاولت قبلها الانتساب إلى كليات أخرى فى مذاهب شتى لاستكمال الثقافة الإسلامية من نواحيها العديدة ، ولاعتقادى أن الحكمة ضالة العاقل ينشدها فى كل مكان ويبحث عن لآلئها فى كل غور وصقع . وكان هذا الديوان فيما وجدته بين نفائس المكتبة وما أكثرها ، فنقلته من سبع نسخ مختلفة كما نقلت غيره من الكتب الخطية المفقودة فى جميع مكاتب العالم ، ومنها مثلاً ثمانمائة محاضرة لداعى دعاة الفاطميين المؤيد الشيرازى الذى ناظر أبا العلاء المعرى . وقد أردت قبل طبع الديوان جملة أن أعرض على قراء الرسالة الغراء نماذج يسيرة من هذا الديوان

قال رداً على عبد الله بن المعتز فى تفضيله العباسيين على العلويين فى قصيدته التى أولها « أى ربع لآل هند ودار » :

يا بنى هاشم ولسنا سواء فى صغار من العلى أو كبار
إن نكن ننتمى لجدّ فإنا قد سبقناكم لكل فخار
ليس عباسكم كمثل علىّ هل تُقاس النجومُ بالأقمار
من له الفضل والتقدم فى الإسـ لام والناس شيعة الكفار
من له الصهر والمواساة والنصـ رة والحرب ترتمى بالشرار
من دعاه النبى خدنا وسمّا ه أخا فى الخفاء والإظهار
من له قال لا فتى كعلى لا ولا منصل سوى ذى الفقار
وبمن باهلَ النبىُّ أأنتم جهلاء بواضح الأخبار
أبعبد الإله أم بحسين وأخيه سلالة الأطهار
يا بنى عمنا ظلمتم وطرتم عن سبيل الإنصاف كل مطار
كيف تحوون بالأكُفّ مكاناً لم تنالوا رؤياه بالأبصار
من توّلى الفراشَ يخلف فيه أحمداً وهو نحو يثرب سار
أين كان العباسُ إذ ذاك فى الـ هجرة أم فى الفراش أم فى الغار؟
ألكم مثل هذه يا بنى العبا س مأثورة من الآثار... ؟
ألكم حرمة بعم رسول (م) الله ليست فيكم بذات بوار ؟
ولنا حرمة الولادة والأعـ مام والسبق والهدى والمنار
ولنا هجرة المهاجر قدماً ولنا نصرة من الأنصار
ولنا الصوم والصلاة وبذل الـ عرف فى عسرنا وفى الإعسار
ونحن أهل الكساء سادسنا الر وح أمين المهيمن الجبار
نحن أهل التقى وأهل المواسا ة وأهل النوال والأيسار
فدعوا خُطة العُلى لذويها من بنى بيت أحمد الأبرار
أو فلوموا الإله فى أن برانا فوقكم واغضبوا على المقدار
أجعلتم سقى الحجيج كمن آمن (م) بالله مؤمناً لا يدارى ؟
أو جعلتم نداء عباس فى الحر ب كمن فر عن لقاء الشفار
كوقوف الوصى فى غمرة المو ت لضرب الرؤوس تحت الغبار
حين ولّى صحب النبىّ فراراً وهو يحمى النبى عند الفرار
واسألوا يوم خيبر واسألوا مكة عن كرّه على الفجّار
واسألوا يوم بدر من فارس الإسلام فيه وطالب الأوتار
واسألوا كل غزوة لرسول (م) الله عمن أغار كل مغار
يا بنى هاشم أليس علىّ كاشف الكرب والرزايا الكبار
فبماذا ملكتم دوننا إر ثَ نبىّ الهدى بلا استظهار
أبقربى فنحن أقرب للمو روث منكم ومن مكان الشمار
أم بإرث ورثتموه فإنا نحن أهل الآثار والأخطار
لا تنطوا بحيفكم واضح الحق (م) فيقضى بكم لكل دمار
وأصيخوا لوقعة تملأ الأر ض عليكم بجحفل جرّار
تحت أعلامه من الفاطميـ ن أسود ترى شبا الأظفار
فاصدروا عن موارد الملك إنا نحن أهل الإيراد والإصدار
ولنا العز والسموّ عليكم والمساعى وقطب كل مدار
يا بنى فاطم إلى كم أقيكم بلسانى ومنصلى وانتصارى

ورثى الأمير أهل بيت النبى :

نأت بعد ما بان العزاء سعاد فحشو جفون المقلتين سهاد
فليت فؤادى للظعائن مربع وليت دموعى للخليط مزاد
نأوا بعدما ألقت مكائدها النوى وقرّت بهم دارٌ وصحّ وداد
وقد تؤمن الأحداث من حيث تتقى ويبعد نجح الأمر حين يراد
أعاذل لى عن فسحة الصبر مذهب وللهو غيرى مألف ومصاد
ثوت لى أسلاف كرام بكربلا همُ لثغور المسلمين سداد
أصابتهم من عبد شمس عداوة وعاجلهم بالناكثين حصاد
فكيف يلذ العيش عفواً وقد سطا وجار على آل النبى زياد
وقتلهم بغياً عُبيد وكادهم يزيد بأنواع الشقاق فبادوا
بثارات بدر قاتلوهم ومكة وكادوهمُ والحق ليس يكاد
فحكّمت الأسياف فيهم وسلطت عليهم رماح للنفاق حداد
فكم كربة فى كربلاء شديدة دهاهم بها للناكثين كياد
تحكّم فيهم كل أنوك جاهل ويغزون غزوا ليس فيه محاد
كأنهم ارتدّوا ارتداد أميّة وحادوا كما حادت ثمود وعاد
ألم تبعظوا يا قومُ رهط نبيكم أما لكم يوم النشور معاد
تداس بأقدام العُصاة جسومهم وتدرسهم جردٌ هناك جياد
تضيمُهم بالقتل أمة جدهم سفاها وعن ماء الفرات تذاد
فماتوا عطاشاً صابرين على الوغى ولم يجبُنوا بل جالدوا فأجادوا

ولم يقبلوا حكم الدعىّ لأنهم ... تساموا وسادوا فى المهود وقادوا
ولكنهم ماتوا كراماً أعزة ... وعاش بهم قبل الممات عباد
وكم بأعالى كربلا من حفائر ... بها جثث الأبرار ليس تُماد
بها من بنى الزهراء كل سميدع ... جواد إذا أعيى الأنام جواد
معفرة فى ذلك الترب منهم ... وجوه بها كان النجاح يفاد
فلهفى على قتل الحسين ومسلم ... وخزى لمن عاداهما وبعاد
ولهفى على زيد وبثاً مردداً ... إذا حان من بث الكئيب نفاد
ألا كبدٌ تفنى عليهم صبابةً ... فيقطر حزناً أو يذوب فؤاد
ألا مقلة تهمى ألا أذن تمى ... أكلٌ قلوب العالمين جماد
تقاد دماء المارقين ولا أرى ... دماء بنى بيت النبى تقاد
أليس هم الهادين والعترة التى ... بها انجاب شركٌ واضمحل فساد
تساق على الإرغام قسراً نساؤهم ... سبايا إلى أرض الشآم تُقاد
يسقن إلى دار اللعين صواغراً ... كما سيق فى عصف الرياح جراد
كأنهم فىء النصارى وإنهم ... لأكرم مَن قد عزّ عنه قياد
يعزّ على الزهراء ذلة زينب ... وقتل حسين والقلوب شداد
وقرع يزيد بالقضيب لسنّه ... لقد مجسوا أهل الشآم وهادوا
قتلتم بنى الإيمان والوحى والهدى ... متى صحّ منكم فى الإله مُراد
ولم تقتلوهم بل قتلتم هداكم ... بهم ونقصتم عند ذاك وزادوا
أميـة ما زلتم لأبناء هاشم ... عِدى فاملأوا طرق النفاق وعادوا
إلى كم وقد لاحت براهين فضلهم ... عليكم نفارٌ منكم وعناد
متى قط أضحى عبد شمس كهاشم ... لقد قل إنصاف وطال شراد
متى وُزنت صمّ الحجار بجوهر ... متى شارفت شمّ الجبال وهادُ
متى بعث الرحمن منكم كجدهم ... نبيًا علت للحق منه زناد
متى كان يوماً صخركم كعليهم ... إذا عُدّ إيمان وعُدّ جهاد
متى أصبحت هندٌ كفاطمة الرضى
متى قِيس بالصبح المنير سواد
أآل رسول الله سؤتم وكدتم ... ستُجنى عليكم ذلة وكساد
أليس رسول الله فيهم خصيمكم ... إذا اشتد إبعاد وأرمل زاد
بكمُ أم بهم جاء القرآن مبشراً ... بكمُ أم بهم دين الإله يُشاد
سأبكيكم يا سادتى بمدامع ... غزار وحزن ليس عنه رقاد
وإن لم أعاد عبد شمس عليكم ... فلا اتسمت بى ما حييتُ بلاد
وأطلبهم حتى يروحوا ومالهم ... على الأرض من طول الفرار مهاد
سقى حفراً وارتكم وحوتكم ... من المستهلات العذاب عهاد

وقال متغزلاً :

قالت: أغدراً بنا فى الحب قلت لها: ... لا نال غاية ما يرجوه مَن غدرا
قالت: فلم لم تزرنا قلت: زاركم ... قلبى ولم يدر بى جسمى ولا شعرا
قالت: كذا يكتم العشاق حبهم ... فينممون ويجنون الهوى نضرا
قلت: اسمحى لى بتقبيل أعيش به ... قالت: وأىّ محبٍ قبّل القمرا

وقال يصف الناعورة :

وباكية من غير دمع بأعين ... على غير خل دائماً تتحدر
يغنى بها زجل الدير لقطبها ... فيطربها حسن الغناء فتنعر
إذا نزف العشاق دمع عيونهم ... فأدمعها مع كثرة السكب تنزر

وقال وقت الخروج من الشام سنة ٣٧٤ هـ :

قالوا الرحيل لخمسة ... تأتى سراعاً من جمادى
فأجبتهم أنى اتخذت ... له البكا والحزن زادا
سبحان من قسم الهوى ... بين الأحبة والبعادا
وأعار للأجفان سق ... ما يسترق به العبادا
يا ويح من منع الفراق ... جفون مقلته الرقادا

وقال فى الحكم :

قواضب الرأى أمضى من شبا القضب
والحزم فى الجد ليس الحزم فى اللعب
بت ساهراً عند رأس الأمر ترقبه ... ولا تبت نائماً عنه لدى الذنب
يرجى دفاع الرزايا قبل موقعها ... وليس يرتجع الماضى من النوب
وأفضل الحلم حلم عند مقدرة ... وأعذب الجود ما وافى بلا طلب

وقال أيضاً :

قتيل الحوادث مَن خافها ... فلا تخش حادثةً تنجح
مع العسر يسر يجلّى الأسى ... ألم تتذكر ألم نشرح

وقال :

عتبتْ فانثنى عليها العتاب ... ودعا دمعَ مقلتيها انسكاب
وسمت نحو خدّها بيديها ... فالتقى الياسمينُ والعُنّاب

رُبَّ مبدى تعتّبٍ جمل العتـ ... ـب رياء وهمّه الإعتـــاب
فاسقنيها مدامةً تصبغ الكا ... س كما يصبغ الخدود الشباب
ما ترى الليل كيف رقّ دجاه ... وبدا طيلسانه ينجاب
وكأن الصباح فى الأفق باد ... والدجى بين مخلبيه غراب
وكأن السماء لجـــة بحر ... وكأن النجوم فيهـا حباب
وكأن الجوزاء سيف صقيل ... وكأن الدجى عليها قِراب

وقال معرضاً ببعض القرابة، وذاك أنه ذكر أن الأمير يستعين على ما يأتى به من الشعر بغيره:

أرى أناساً ساءنى ظنهم ... فى كل ما قلت من الشعر
لـما تطاطا بهمُ علمهم ... قاسوا بأقدارهمُ قـدرى
لو فهموا أو عقلوا لاستحوا ... أن يجعلوا المريخ كالبدر
قيسوا بشعرى شعره تعلموا ... تصايق النهر عن البحر
من بطّل الحق هجا نفسه ... بجهله من حيث لا يدرى
فناظرونى فيه أو فاشرحوا ... شعرىَ إن أنكرتم أمرى
أو لا فقولوا حسدٌ قاتل ... مستمكن فى القلب والصدر

وقال يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمى:

اشرب فإن الزمان غضّ ... وصرفه ليّن الجناب
من قهوة مزة كميت ... أسكرُ من أعصر الشباب
أرق من أدمع التصابى ... سكباً وأشهى من الضراب
صاغ لها المزج حين شبت ... بطاق در من الحباب
كأن فى كاسها صباحاً ... والليـــل محلولك الثياب
يسعى بها ساحر المآقى ... لا يعرض الوصل بالعتاب
كأنها لون وجنتيه ... وطيب ألفاظه العـذاب
إن ندى راحتى نزار ... ما زال يغنى عن السحاب
مهـــذب أروع السجايا ... مقابل ما جـــد النصاب

ومن أحسن ما قيل فى الأمير قول ابن رشيق:

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الأمير تميم

محمد عيسى الأعظمى

لـــو...

للأستاذ إيليا أبو ماضى

لو أننى يا هنـــد بدر السما ... هبطت من أفقى إلى مخدعك
وصرت عقداً لك أو خاتماً ... فى جيدك الناصع أو أصبعك
أو بلبل البستان ما لذ لى ... الإنشاد إن لم يك فى مسمعك
ولو أكون الأرج الذاكى
لما هجرت الروض لولاك
وما حوانى غـــير مغناك
ولم أفح حتى تكونى معى

* * *

فيك وفى الوردة سر الصبا ... وفى الصبا سر الهوى والجمال
فإن تربنى واجماً باهتا ... حيالها أخشى عليها الزوال
فإننى شاهدت طيف الردى ... ينسل كالسارق بين الظلال
ولاح لى فى الورق النـاى
منطرحاً فى الأرض قدامى
رمــوز آمال وأحـــلام
أحلام من؟ أحلام مضناك

إيليا أبو ماضى

استطلاع صحفي

مدرسة الطيران الحربي

كيف تصبح طياراً حربياً ؟

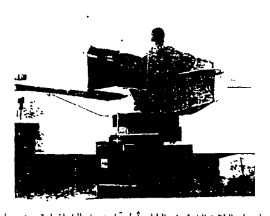
« لمندوب الرسالة »

« تكلمنا في مقال سابق عن مدرسة التصوير الجوي وبينا أهميتها. ونتحدث اليوم عن مدرسة الطيران الحربي حيث يتلقى ضباطنا الطيارون دروسهم العلمية والعملية فيكونون أهم وسائل القتال الحديث . فقد أصبح الطيران الحربي عماد الجيوش فهو الذي يؤدي مهمة استطلاع مواطن العدو ، وهو الذي يدمر بقنابله موارد جيوشه ، ويعطل طرق تموينه بنسف السكك الحديدية أو المصانع الحربية والحاجيات الأولية ، فهو الذي يدعم الحرب الاقتصادية » .

قوة الأعصاب

على طرف مسطرة ممدودة في يد أحد الطلاب أوقف مسمار على سطحه المستوى . والمسطرة وذراع الطالب في مستوى كتفه يتحركان ذات اليمين وذات اليسار تبعاً لأوامر الطبيب دون أن يهتز المسمار أو يسقط . فالطبيب يختبر قوة أعصاب الطالب ليقرر إذا كان يصلح لدراسة فن الطيران الحربي أو لا يصلح . وينتقل الطالب من اختبار إلى آخر، فهنا يختبر الطبيب حدة بصره وسلامته من العيوب فيقرب جسماً صغيراً من وجهه ليرى زاوية التقاء البصر في العينين ، وهناك يدرس حساسية أجزاء الجسم فيمر أجساماً غريبة على جلده ويلاحظ الانفعالات المختلفة، وهكذا يمر طالب الالتحاق بمدرسة الطيران الحربي من مرحلة إلى أخرى ، حتى يتأكد الطبيب أن جسمه من أصلح الأجسام وأقواها ، فإن الطيار يتعرض لضغوط جوية مختلفة تودي بحياته إذا كان جسمه لا يتحملها .

فإذا قبل الطالب في مدرسة الطيران الحربي ، فهو يبدأ دراسة فنية عمادها الخبرة العملية وتطبيق النظريات العلمية مع ملاحظة سرعة الخاطر وحضور البديهة . فالطيران الحربي فن الطوارئ سواء كانت طبيعية أم صناعية ، فقد يقابل الطيار أثناء تحليقه في الجو إعصاراً ، وقد يفسد منه أحد الأدوات ، فعليه أن يدبر نفسه ويصلح خلله وإلا كلفه جهله أو ارتباكه ثمناً غالياً إذا لم يكن حياته فهو الطائرة التي يركبها . وقد تقابله أثناء قتاله مع العدو قوة أقوى من قوته أو خدعة لم تخطر له على بال ، فعليه في هذه الحالة أن يتصرف ويجيد التصرف ، وعليه أن يناور ويحسن المناورة وإلا أفسد المهمة التي كلفه بها قائده وكلف جيشه وأمته خسائر مادية ومعنوية كبيرة .



في هذه الطائرة الثابتة يتلقى الطيار أول تمارينه على الطيران لمدة ١٥ يوما

الطيران الثابت

يبدأ الطالب دراسته في مدرسة الطيران الحربي في غرفة صغيرة في أحد جوانبها جهاز صغير على شكل حجم الطائرة ، ورسم على حائط الغرفة الأفق وزوايا الطيران المطلوبة . وفي جانب آخر يجلس المدرب أمام جهاز لاسلكي يعرف بواسطته حركات الجهاز كما يصدر أوامره بالاتجاه إلى اليمين أو إلى اليسار والأمام .

ويدور هذا الجهاز بالكهرباء ، فيجلس الطالب على مقعده فيجد أمامه عصا القيادة وأقيسة اتجاهات الريح والضغط والبوصلة وغيرها من الأدوات التي لا غنى عنها لطيار . ويعمل الجهاز فتتولد فيه عدة تيارات هوائية تمثل التيارات الهوائية الجوية ، ويتعرض جهازه لعدة أخطاء فيتعلم الطالب كيف يضبط جهازه

فى الوضع الصحيح بتحريك عصا القيادة فى اتجاه يصحح أخطاء الريح فإذا مال الجهاز بفعل التيارات إلى اليمين صححه الطالب



باشجاويش يختبر محرك احدى الطائرات قبل استخدامها
ويرى فوق العجلة اللحامات التى تنزع ليوضع محلها المدافع السريعة الطلقات

وتعرف هذه الرحلة بالطيران الثابت ، ففيها يتعرض الطالب لجميع مؤثرات الطيران ، ولكن جهازه لا يفارق الأرض ، وإن سمح له أن يدور إلى اليمين أو إلى اليسار . ويمكث الطالب على هذه الحالة عشر دقائق فى اليوم لمدة ١٥ يوماً . فيتاح للطالب المبتدىء أن يعرف كثيراً من أسرار الطيران دون أن يعرض حياته ومال الدولة للهلاك . أضف إلى ذلك أنه يكون بعيداً عن ضوضاء المحركات مالكاً لأعصابه فيسهل عليه أن يفهم إرشادات مدربه بسهولة لا تتيسر له إذا استعمل طائرة حقيقية ، ثم وجد نفسه لأول مرة معلقاً بين الأرض والسماء

الطيران الأعمى

والأصل فى هذا الجهاز أن يتمرن عليه الطيارون فيما يسمى بالطيران الأعمى، إذ يغطى سقفه فينعزل القائد عن العالم ولا يبقى أمامه إلا خريطة وأجهزة ليضبط بها الاتجاه الذى يجب أن يسير فيه . وهذا المران هام جداً لمن يريد قطع مسافات طويلة على ارتفاعات كبيرة لا يمكنه منها رؤية تفاصيل الأرض أو فى مناطق متشابهة كالصحارى أو البحار والمحيطات ، فعلى ضوء هـذه الأدوات وحدها يعرف الطيار طريقه وبمساعدتها يصل إلى هدفه

ورأت إدارة المدرسة أن تستغل هذا الجهاز لتعليم المبتدئين لقلة نفقاته ولبعده عن الخطر ، فإنه يدار بالكهرباء التى لا تكلف الدولة إلا نفقات زهيدة لا تذكر إلى جانب ما تستهلكه الطائرة الحقيقية من وقود وآلات . ويمر بهذا الجهاز كل طالب يدرس فن الطيران سواء كان ضابطاً أو مجاهداً (صول)

والمعروف أن الطيارين لا يحتاجون إلى كثير من تنظيم الصفوف وتعليم المشية العسكرية والحركات الحربية الأرضية ولكنه يجب على كل طيار أن يقضى أربعة أشهر يتعلم فيها هذه الحركات لتكتسب عضلاته المرونة الرياضية وليتعود الحياة العسكرية ، فإذا أتقنها بدأت حياته كطيار



فى الفصل : الأستاذ يلقن طلبته درساً فى الكهرباء

بين طبقات الهواء

وبعد أن يتقن الطالب السيطرة على إدارة هذا الجهاز ينتقل إلى المرحلة التالية فيحلق بطيارة حقيقية فى الهواء . وتحتوى طائرة التدريب عادة على مقعدين أحدهما خلف الآخر جهز كل منهما بجميع أدوات القيادة، وامتاز مقعد المدرب « بزر » إذا ضغط عليه انتقلت عملية القيادة إلى أدواته . يجلس الطالب فى مقعده ويجلس

المدرب فى الثانى فإذا ارتفعت الطائرة فى طبقات الهواء ترك المدرب لتلميذه مهمة قيادتها تبعاً للخبرة التى تلقاها عند ما كان فى مرحلة الطيران الثابت . فإذا أخطأ صحح له أخطاءه



أجزاء الطائرة التى تصاب بخلل تجد طبيبها فى مصنع الميكانيكا

ويستمر هذا المران أشهراً ثلاثة يتلقى الطيار أثناءها فنون الطيران كالملاحة الجوية وصيانة الطائرة وفنون اللاسلكى واستعمال أسلحة القتال المختلفة، فإن المران العملى لا يستنفد كل وقت الطالب إذ هو لا يتجاوز الساعة فى اليوم بينما يصرف باقى يومه فى تلقى العلوم النظرية ، ويتلقى طلبة الكلية الحربية بعض هذه العلوم قبل التحاقهم بمدرسة الطيران

ويتنقل الطالب أثناء مرانه على ثلاثة أنواع من الطائرات تختلف فى الوزن والسرعة والدقة ، ولهذا فهي تقسم إلى ثلاث مراحل أولاها الطيران الابتدائى فيقود الطالب طائرة من طراز ماجستر ، وفى الطيران المتوسط تكون طائرته من نوع الإفرو وفى المرحلة الأخيرة المعروفة باسم الطيران العالى يقود طائرة من نوع الأوداكس، وتختلف سرعة الهبوط على الأرض فى كل من هذه الأنواع الثلاثة

مدرسة حديثة ناجحة

فإذا نجح الطالب فى اجتياز هذه الفترات الثلاث جاز له أن يقود أكبر الطائرات وأكثرها تعقيداً . وقد تمكنت مدرسة الطيران الحربى من سد حاجات سلاح الطيران الجوى المصرى رغم حداثة عهدها إذ أنشئت سنة ١٩٣٨ . ولم تكن هى أولى مدارس الطيران فى مصر ، فقد أنشأ سلاح الطيران الحربى البريطانى مدرسة فى أبى قير سنة ١٩٢٩

ويبذل مدير المدرسة عبد الحميد الدغيدى افندى كثيراً من الجهد والوقت حتى تؤدى المدرسة مهمتها بتقديم طيارين صالحين يقدرون المهمة الملقاة على عاتقهم بالدفاع عن مصر وكرامتها ، ويعرفون أن الطيران أصبح من أشد وسائل القتال خطورة

صيانة واصلاح

وإذا قلنا مدرسة الطيران الحربى فإننا فى الواقع نتكلم عن أربع مدارس مجتمعة فى مكان واحد وتحت إدارة واحدة . فإن الطيران الحربى يحتاج إلى مدرسة ميكانيكية يتعلم فيها رجال الجيش كيف يصلحون العطب الذى يحل بطائراتهم والعناية بها ، فإن مهمة حفظ هذه الأدوات لا تقل خطورة عن مهمة قيادتها . فإن أقل خلل فى جهاز الطائرة يعرضها للتلف كما يكلف الأمة فقد أرواح عزيزة عليها



تتولى مدرسة الميكانيكا تعليم الطلبة اصلاح الطائرات وصيانتها فى مصنعها الخاص حيث يتلقون تعليمهم عمليا

ولهذا فقد اختص فريق من الطلبة بالدراسة فى هذا المعهد حيث يفحصون أجزاء الطائرات على نماذج مكشوفة عملت فيها قطاعات تبين أجزاءها المختلفة حتى يشاهد الطالب بنفسه العمليات الداخلية فى الطائرة وأثرها . ففى إحدى الغرف تشاهد محركا

تظهر فيه مجارى الوقود وتبين تأثيره . وفى مكان آخر تشاهد نموذج جناح الطائرة وجزءها الخلفي وهو مكشوف يبين التركيبات الداخلية وقوة مقاومتها

ويتولى خريجو هذا القسم الإشراف على صيانة الطائرات وإصلاحها ، ولا يباح للطائرة أن تغادر حظيرتها إلا إذا رأى الضابط المسئول أنها فى حالة جيدة وأن جميع أجهزتها سليمة . ولهذا يتولى المسئولون فحص الطائرات كل مدة معينة . وأحياناً يكون هذا الفحص كاملاً وأحياناً يكون سطحياً تبعاً لحالة الطائرة والمدة التي حلقتها فى الجو ، فلكل طائرة كتابها الخاص الذى يبين تاريخ حياتها حيث تقيد فيه عدد ساعات تحليقها فى الجو والأماكن التى زارتها والأعمال التى أدتها

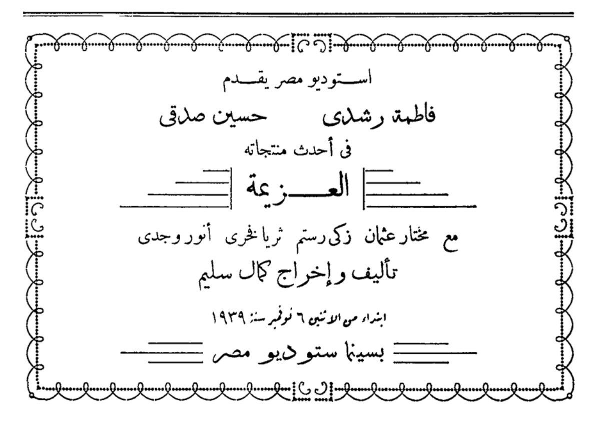
حلقة مفقودة

وتستلزم الدراسة الميكانيكية لأجزاء الطائرات معرفة عدة مهن فكما تحتاج إلى حداد فهى تحتاج إلى نجار ، فبعض أجزائها يتكون من المادن وبعضها الآخر يتكون من الخشب . أضف إلى ذلك ما يحتاجه سلاح الطيران من أثاث تمد به الحجرات وصناديق تحفظ فيها الذخائر والأجهزة

ويتبع مدرسة الطيران الحربى مدارس التصوير الجوى والدفعية واللاسلكى . وقد تحدثنا عن الأولى فى مقال سابق وفى عدد تال نتحدث عن المدرستين الأخريين فإن كل هذه الفنون ضرورية للطيار حتى يكون قادراً على تأدية مهمته سواء فى زمن السلم أو فى زمن الحرب

وفى مدرسة المدفعية يتعلم كيف يطلق القنابل ويستعمل مدافعه السريعة الطلقات ، وفى مدرسة اللاسلكى يتعلم كيف يتلقى الأوامر من قيادته وهو محلق فى الجو

فوزى الشتوى



التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

– ٢ –



والتحق الفتى بالجامعة فى جنوة حيث بدأت فترة نشاطه فى قراءة الآداب والتزود بشتى فروع المعرفة مما يدخل فى نطاق دراسته؛ وما كان اعتماده فيما يقرأ على الجامعة ، فلو أنه قصر همه على ما كانت توجيه لطلابها من الدروس والكتب لكان له وجهة غير التى اتجهها فى المطالعة والبحث ولكانت ثقافته من نوع محدود ، هو ذلك النوع الذى يعد الطلاب للإجازات التى تمنحها الجامعات لأبنائها دلالة على أنهم درسوا هذه الفنون أو تلك فى مستوى معين وعلى صورة معينة ما تكاد تختلف فى طالب عنها فى آخر

وما كان الفتى ممن يسهل قيادهم من الفتيان فيولون الوجهة التى يريدها لهم غيرهم ، وإنما كان بطبعه ثائراً على كل قيد ، ما رأى شبح القواعد التى تحد من الحرية فى شئ إلا نفر منه ثم عول على تخطى تلك القيود ولو أصابه من وراء ذلك الإعنات والإحراج ؛ وكثيراً ما أدى ذلك إلى شكوى القائمين على شؤون الجامعة ، وإلى اتهام من يجهل خلقه إياه بأنه مشاغب متمرد ؛ أما الذين عرفوه معرفة خبرة فكانوا يحسون فى ذلك التمرد وفى ذلك التوثب روحاً قوية حرة لا يجدون نظيرها فى أحد ممن حوله من الطلاب

وكانت الحكومة وقد هالها ما هب من الثورات تقاوم كل ميل إلى الحرية ما وسعتها المقاومة ؛ وكانت الجامعات هى الأمكنة التى تنظر إليها بعين الخوف والحذر ، ففى هذه الأبنية يلتقى الشباب، والتقاء الشباب فى جماعات أمر لا يتفق فى طبيعته مع تلك المقاومة التى راحت تحكم الحكومة أمرها فى طول البلاد وعرضها ؛ فللشباب أحلام وآمال لا تحد ، وفيهم حيوية وتوثب ، ثم هم يتزودون من المعرفة ؛ ومن كان هذا شأنهم ، أو من كانت هذه طبيعتهم صعب على الآمرين أخذهم بالعنف ، بل ما يكون العنف إلا داعياً إلى العصيان فالتذمر فالثورة

وكان حراماً على الأساتذة أن يجاروا الطلاب فى أهوائهم ، أو أن يكون فيما يلقونه عليهم ما يحفزهم إلى أن يتجهوا الوجهة التى لا ترضاها الحكومات لهم ؛ وكانت إدارة الجامعة فى جنوة لا تقبل من الطلاب غالباً إلا من تطمئن إلى سلوكه ومن يملك أبوه قدراً معيناً من الثروة لتكون ثروته رهينة لدى الحكومة متى شاءت ؛ وحسبك أنها كانت تحتم على الطلاب أن يحلقوا شواربهم لأن الشوارب عندها كانت من علامات التمرد والنزوع إلى الأفكار الثورية ! ومن خالف ذلك حمل على رغمه إلى أقرب حلاق حيث يقضى على شاربه فى غير رفق ، ولا ندرى كم مرة حمل فيها مازينى على هذه الصورة المضحكة !

وكانت له وهو لا يزال فى الجامعة الزعامة على الطلاب جميعاً ؛ وهو بذلك يقدم البرهان العملى على أن الزعيم الشعبى يولد وفيه صفات الزعامة ، فما زال زعيماً فى كل مراحل حياته حتى تتناهى إليه كبرى الزعامات فيصبح فى أمته الرجل الذى يعمل بوحيه الرجال أرادوا ذلك أو لم يريدوا

كان وسط إخوانه جاداً لا يعرف صغار الأمور ، عزوفاً بطبعه عن اللهو وإن كان يحب الرياضة البدنية ويجعل لها بعض وقته ، فإذا كان لا بد من المزاح فهو مزاح الأريب الفطن ،

الذى يحلق ولا يسف ، والذى تعذب روحه دون أن يبتذل شخصه . وكان له إلى الموسيقى ميل شديد ولكن على أنها شيء تسمو به النفس وتستيقظ عليه الروح ، أما أن تكون ملهاة أو مدعاة إلى المجون والعبث فذلك ما كان ينفر منه أشد النفور

وكان شخصه أبداً يوحى إلى من حوله معانى الاحترام ؛ فصفاء ذهنه وحدة تفكيره يقليان على المتحدث أن يفكر فيما يقول ، وقوة خلقه وترفعه عن الدنايا تحول بين الكلمة النابية على لسان غيره وبين الإعلان ؛ وإنه ليحمى الضعيف وينتصر للمظلوم ، ويدافع عن الحق فى كل ما يعرض له من الأمور ؛ ثم إنه ليواسى البائس ويعزى المحزون ، ويعد الفقير بما تملك يداه من نقود وكتب وملابس . ولسوف تكبر معه تلك الصفات وتنتقل من بجال الجامعة إلى مجال إيطاليا كلها يوم ينفخ فيها من روحه فيبعث فى أرجائها الحياة والأمل

وكانت القراءة أحب هوية إلى نفسه منذ حداثته ، فكان يكب على كل ما يقع فى يده من الكتب فما يدعها حتى يأتى عليها ؛ ثم اتفق وبعض خلانه على تأليف جماعة للقراءة والدرس . وكانت الحكومة بعد ثورات سنة ١٨٢٠ قد شددت الرقابة على الكتب فلا تسمح بنشر ما يدعو إلى المبادئ الثورية منها أو ما توحى قراءته بتلك المبادئ ؛ وكذلك شددت الحكومة الوثاق على الصحف الأجنبية فلا تأذن بدخول البلاد إلا لما لا تخشى من دخوله . من أجل ذلك عولت تلك الجماعة على تلمس السبل لتهريب الكتب والصحف المحرمة، ولقد نجحت فى ذلك نجاحاً مرضياً

وأقبل مازينى على كتب الأدب فراح يعيش مع شكسبير وجوته وبيرون وشلر ، وكان قد قرأ قبل هؤلاء دانتى وأعجب به أيما إعجاب حتى لقد صار له المكان الأسمى فى قلبه

كان مازينى يرى رسالة الأدب على العموم والشعر على الخصوص السمو بالنفوس وتطهيرها ، وبث الأمل فيها وتقويتها وشحذ العزائم واستنهاض الهمم ، وإيجاد روح المحبة والمودة بين الناس ، وكان يرى أن الشاعر الحق هو الذى يجمع بين الشعر والحكمة فيطرب النفوس ويطير بها إلى الجواء العليا ثم يملأها بمعانى الفضيلة ويستحثها على الجهاد والعمل ؛ أما الاقتصار على التغنى والوصف دون أن يكون من وراء ذلك غاية من فضيلة أو عمل فذلك عنده ضرب من النقص

وقرأ مازينى فيما قرأ الفلسفة فدرس هيجل وكانت وفخت وهردر ، وصاحب روسو وفلتير فترة من الزمن ، ورجع إلى ما كيافلى وكان عنده فى السياسة كدانتى فى الأدب إذ كان كلاهما إيطالياً وطنياً وإذ كان نبوغ كل منهما يدل على أن إيطاليا جديرة بأن تخرج النوابغ الأفذاذ

وكان فى إيطاليا يومئذ نزاع بين أنصار الأدب الابتداعى (الرومانتيكى) وأنصار الأدب الاتباعى (الكلاسيكى) ؛ فكان من الطبيعى أن يشايع مازينى الفريق الأول ، فينتصر لأدب الحرية والابتكار الذى يتحرر من القيود ويجرف السدود ، وكم كان لذلك معجباً بشاعر انجلترة المظيم اللورد بيرون، ذلك الذى كان يصل شعره إلى أعماق نفسه لما كان فيه من تمرد وتوثب ولما كان يوحى به من معانى العزم والجهاد والتغلب على الشدائد؛ وكان اسم بيرون يومئذ يدوى فى أنحاء أوربا حتى لقد باتت كتبه فتنة كل شاب فى كل لغة

وكان مازينى يقول إنه لن يتحقق لإيطاليا من جديد كيان سياسى اجتماعى إلا إذا تحقق لها أدب يدعو إلى الحرية والتقدم . ومما ذكره فى هذا الصدد قوله : « إن تشريع وآداب أية أمة يسيران أبداً فى خطين متوازيين » وقوله : « إن بين تقدم الثقافة العقلية والحياة السياسية للأمة ارتباطاً وثيقاً » وتحدث عن الأدب الابتداعى بقوله : « إن غرض الأديب الابتداعى هو أن يمد الإيطاليين بأدب قومى أصيل ، لا بأدب كذلك الذى يكون كصوت الموسيقى العابرة يطأ الأذن ثم يموت ؛ أدب يترجم لهم عن نوازع نفوسهم وأفكارهم وحاجاتهم وحركتهم الاجتماعية »

وراح الشاب وهو فى الثالثة والعشرين يكتب فى الصحف وقد صرف همه أول الأمر إلى النقد ، إذ كان يرجو من ورائه أن يوجه أدب قومه إلى ما كان يريد ؛ وبدأ يكتب فى صحيفة فى جنوة ولكنها عطلت بأمر الرقيب بعد عام ، فأنشأ صاحبها غيرها وكتب إلى مازينى ليوافيه بأبحاثه ففعل مغتبطاً ولكن هذه الصحيفة لحقت بسابقتها بعد عام آخر ، فتعاظم الأمر هذا الشاب الحر ولكنه ما زاده إلا إيماناً بالحرية ومزاياها

وتسنى لمازينى بعد جهد ليس بالقليل أن يتصل بأكبر صحف بلاده وكانت تسمى (أنتولوجيا) وقد أخذت مواهبه، كناقد من أمهر النقاد، تتجلى فى تلك الصحيفة

وكان مازيني يجمل من الأدب يومئذ وسيلته إلى خدمة بلاده وكانت تحدثه نفسه بشتى المشروعات الأدبية يرى بها إلى الهدف الذي عينه ، هدف القومية والحرية ؛ ولكن هاجساً ظل يهجس في نفسه منذ ترك الجامعة أن الأدب ليس كل شيء ، فهو وسيلة بطيئة ، ولا سيما أن الرقابة تضيق مجاله أشد التضييق

وكان ذلك الهاجس يكرب نفسه إذ كان يدعه في حيرة من أمره ويذره أحياناً بين اليأس والرجاء ؛ فروحه المتوثبة كانت تستبطئ الوسيلة التي اتخذها وتتوق إلى وسيلة غيرها ولكنه كان لا يدري ما عسى أن تكون الوسيلة الجديدة . . . أليس يحس يد البطش تقضي على كل ميل إلى المقاومة في كل جهة من جهات إيطاليا ؟ ثم ألا يذكر ما حل بالثائرين قبل ذلك بنحو ثمانية أعوام ؟ وها هو ذا مترنخ لا يزال يشهر سيف الرجعية فيخطف بريقه الأبصار ويلقي الرعب في الأفئدة

على أنه وإن عدم الوسيلة كان يرى الغاية واضحة أمامه أتم الوضوح ؛ وما كانت تلك الغاية إلا بناء إيطاليا من جديد على أساس قوي ، فتصبح أمة واحدة تتمتع بالحرية وتبهر العالم كما تعودت أن تبهره من قبل بثقافتها ومدنيتها ؛ ولقد استقرت هذه الغاية في أعماق نفسه حتى أصبحت أغلى عنده من حياته ؛ وما تهدأ تلك النفس التي تتنزى في أغلال الرجعية حتى يؤدي رسالته أو يهلك دونها ، مهما يرى أمامه من جبروت ويلمس من بطش؛ ولكم سلح الحق الأعزال وحطم الإيمان السلاسل والأغلال

وكان الفتى منذ عامين قد اتصل بجماعة الكاربوناري وانضم إلى صفوفهم ؛ وكانت تلك الجماعة لا تزال تضم إليها الأنصار في طول البلاد وعرضها ، ولئن كان قد لحقها الوهن منذ ثورتها عام ١٨٢٠ ، فلقد ظلت متماسكة ، ولقد أخذت تنتشر حتى لقد جازت حدود إيطاليا وصار لها مراكز في القارة ، وكان مركزها الرئيسي في باريس ، حيث اتصل زعماؤها بالأحرار الناقمين على الملكية المتجبرة في فرنسا ملكية شارل العاشر ، أو الكونت دا أرتوا ذلك الذي شهد بنفسه بالأمس القريب الثورة الكبرى ورأى مصير لويس المسكين فما اعتبر ، بل طغى واستكبر ، حين استوى على العرش وازدهاه التاج والصولجان .

ولكن جماعة الكاربوناري كان يعوزها المال والقيادة الحكيمة ، وذلك ما كان يألم له مازيني أشد الألم ، وكذلك كان يألم مازيني من اعتماد الجماعة على فرنسا لحسب إذ كان يرى — وما أجمل ما كان يرى — أن قوة الشعب إن لم تكن منبعثة منه فلا أمل فيها ، وأساس الوطنية والجهاد القومي اعتماد الشعب على إيمانه وثقته في نفسه أولاً، ولا ضير بعد ذلك أن يتلقى العون من غيره؛ ولكنه إن اعتمد على غيره وكانت تعوزه العزيمة فليس له من أمل إلا أن يمينه ذلك الغير ، وهذا أمر غير مضمون في كل وقت ، وإذا كف ذلك الغير يده عظمت الخيبة وتسرب إلى النفوس اليأس

على أنه على الرغم من هذا كان يرى في الجماعة الهيئة الوحيدة التي تعتبر عنصر المقاومة والفداء ، ولذلك لم يتردد أن يضع يده على خنجر عار ويؤدي القسم على تنفيذ ما يأمر به؛ وكان من نظام الجماعة ألا يعرف العضو رؤساءه ، وإنما يعرف زميلاً أو زميلين ، ولقد أخلص مازيني لمبادئ الجماعة ونمى أمر إخلاصه وحماسته إلى رؤسائه القريبين ، فأوفد من قبلهم إلى بعض الجهات مبشراً بتلك المبادئ عاملاً على ضم أعضاء جدد إلى الكاربوناري ...

ورجفت الراجفة في فرنسا فأطاحت بالملك المتجبر عام ١٨٣٠؛ فرأى للمرة الثانية الدليل العملي على أن قوة الشعوب قد باتت أمراً يجدر بكل حاكم أن يحسب له ألف حساب ؛ وأن هذه الشعوب إذا استقرت بعد هياج فلن تكون، إذا سلط عليها الظلم، إلا كالبحر يعظم جيشانه وفورانه بقدر ما كان من تطامنه وثباته

وهبطت من وراء الألب على إيطاليا أنباء الثورة الجديدة في فرنسا والتمعت بوارق الأمل للأحرار، وتأهب رجال الكاربوناري، وقد حسبوا أن قد جاء اليوم الموعود ، ونشط مازيني وخلانه يذيعون مبادئ الجماعة ويهيبون بالشباب أن ينتظروا أول صيحة

ولكن الحكومة ما لبثت أن ألقت القبض عليه ، فلقد بثت من قبل عيونها بين صفوف هذه الجماعة واتهم مازيني بأنه كان يغري أحدهم بالانضمام إليها . وألقي بالشاب المجاهد في غيابة السجن في سافو وهو يومئذ في الخامسة والعشرين، فكان هذا أول ما لحقه من الآلام في حياته التي سوف تكون مليئة بالآلام

وسيق إلى المحاكمة فالت إلى تبرئته لعدم توافر الأدلة ولأنه لم يقم إلا شاهد واحد عليه ؛ ولكن السلطة خيرته بين الاعتقال في إحدى القرى أو النفي إلى خارج إيطاليا ؛ فاختار النفي، وعبر جبال الألب إلى فرنسا ، وكان يريد الذهاب إلى باريس حيث يخدم مبادئ الجماعة هناك ، ولكنه تحول إلى ليون حيث انضم إلى المنفيين هناك من الإيطاليين وشاطرهم مرارة الاغتراب .

(يتبع) الخفيف



دراسات فى الفن

معضـــــلة

بين الفن والقانون

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

قابلتنى ، وكنت أنا فى هذه المرة المهموم فسألتنى مشفقة :

— مالك ؟

— إنى متألم لصديق توشك نكبة أن تحل به ويلزمه العيش أن يمهد لها السبيل كى تحل به

— أعوذ بالله ! ومن صديقك هذا ؟ أأعرفه ؟

— تعرفينه ، ويعرفه الكثيرون . هو محمود حسن إسماعيل الشاعر ، والموظف بوزارة المعارف

— محمود إسماعيل ؟ وماذا جرى له ؟

— عينه اليسرى ضعيفة — فيما تقول الوزارة — وهو الآن يعالجها ليقويها لينجح فى الفرصة الأخيرة من فرص الكشف الطبى ، لتجدد الوزارة عقده وتثبته فى وظيفته ...

— فهل أصابها سوء وهو يعالجها ؟

— يقول إنها تتقوى

— وأى شىء فى هذا ؟

— أن يمتنع الشعر على محمود !

— إيه ؟ ولمـاذا ؟

— لأن عينه اليسرى هى التى يرى بها الشعر ما دامت على هذه الحال

— أما قلت لى هذا من الأول ؟ ! حسبت ما يهمك جداً . وماذا يا سيدى ؟

— لا شىء ، أما يكفيك هذا ؟ كم هم الشعراء فى مصر الذين يشبهون محموداً فى مصر الآن ومن قبل

— ياسلام ؟! أإلى هذا الحد تكبره ؟

— هذا رأيى . وقد قلته له فى وجهه ، وأنت تعرفين قلة ما أقتنع بالناس ، وندرة ما أصرح بهذا الاقتناع ... وأنا كما قلت لك دائماً أعجز العاجزين ، وأضعف الضعفاء

— ولكنى لا أرى محموداً كما تراه ...

— فليكن رأيك فيه ما يكون . ولكن التاريخ سيشهد بأن الشعر العربى فى مصر بدأت تكثر فيه التسابيح ، والأنغام ، والتهاويل ، والطهارات ، والأشعة ، والضفادع ، والثيران ، والغربان ، والنخيل ، والبقول ، والزهور ، والأرواح ، والأطياف ، والمعازف ، والمزامير ، والمباسم ، والمشاعل ، والسواقى ، والأكواخ ، و... و... و.. من بعد اليوم المبارك ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨

— وهل استصدر محمود فى هذا اليوم مرسوماً من القصر الملكى باستعمال هذه الألفاظ فى الشعر ، وطواف الشعراء حول ما يحيط بها من المبانى ؟

— نعم . لقد فعل محمود هذا

— لو لم أكن نسيت مسدسى فى البيت ! كيف حدث هذا يا أخانا ؟

كان هذا اليوم المبارك هو ثالث أيام زفاف الفاروق ، وكان جلالته قد أسعد محمودا والفن بالشرف الأسمى إذ دعاه إلى عابدين ليرتل بين يديه من أغانى الروح على أثر إعجابه به فى حفل سمعه فيه ، وكان هذا الحفل من حفلات الجمعية الخيرية الإسلامية ، وقد شهد هذه الدعوة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة السابقة ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، والظل الأول الذى أظل محموداً ، كما شهدها حضرة صاحب المقام الرفيع

على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي سابقاً ، ورئيس الوزارة اليوم . وكانت هذه الدعوة هي هـذا المرسوم ، وقد تلاه محمود في عابدين .. إنه الشعر الذي طاب للملك ... والملك عارف ، والملك عبقري ، والملك ناقد فذ

— ما أبرعك صديقاً !

— في اختيار أصدقائي لا في رفعهم بالباطل

— فمحمود إذن له قيمة . . .

— قيمة خطيرة . ولو أن ملكا في غير مصر فعل هذا الذي فعله الفاروق أعزه الله في شاعر لبدأت الحكومة ، وبدأ الشعب يدرسان هذا الشاعر ، فالملك لا يدعو كل شاعر ، والملك لا يفعل ما يفعل عبثاً ، فهو يعرف أنه رأس الدولة ، انظري إليه . . . من الذي أعلن عنه رضاه من رجال المسرح بعد أن استعرضهم جميعاً ... أليس هو نجيب الريحاني ؟ ... ومن في رجال مسرحنا مثل نجيب الريحاني ؟ . . . وانظري . . . ألم يغن عبد الوهاب في القصر

— لحياء جلالته حين سمعه بكل ما في الملوك النبلاء من أدب ورقة . . .

— إنك بدأت تفهمين ... يخيل إليّ أنه ليس في مصر من يحس ويتذوق ويفهم مثل فاروق الأول . . . تربية فؤاد الملك الذي اعتلى العرش بعد ما اختبر الحياة مع الملوك ومارس الحياة في صميمها بين أفراد الشعوب . . . فعرف بعد ذلك كيف يملك وكيف يحكم وكيف يعد للعرش من بعده ملكا يتغلغل بالإدراك في تلافيف وطنه . . . ومحمود الشاعر الذي قدره الفاروق والذي يهتف الجيش اليوم بنشيد من شعره ، تساومه الآن وزارة المعارف ووزارة المالية في فنه ، لا بد أن يفقده إذا أراد أن يبقى موظفاً ... فهل يصح أن يحدث هذا ؟ كلا ! فلا بد أن يعفى من الكشف الطبي

— ولكن أحداً لم يطلب منه أن ينزل عن شعره !

— إنهم يريدون منه أن يقوى عينه اليسرى ... وقد قلت لك إن عينه اليسرى هذه هي التي يرى بها الشعر

— وكان يجب أن أقول لك أما إن هذا هو كلام المجانين

— أرجوك ألا تصدري حكما على شيء قبل أن تبحثيه وتدرسيه ... لقد عرض محمود عينه هذه على ثلاثة من أطباء العيون الممتازين في مصر هم الدكتور محمد صبحي وقد سمعت من الكثيرين أنه أقدر أطباء العيون في مصر ، والدكتور محمد بكري وهو مدير مستشفى العيون بروض الفرج ... مدير المستشفى ... والدكتور إيليا ناشد وهو عضو كلية الجراحين بانجلترا ... بانجلترا لا بدغشتر ... وقد قرر هؤلاء الفحول الثلاثة أن عينه اليسرى هذه سليمة ، وأن أعصابها قوية ... فهي إذن ليست ضعيفة ...

— إذن فقد كان يجب عليها أن تنجح في الكشف الطبي

— هذا لو أنها كانت كبقية العيون التي ركبها الله تركيباً يمكنها من رؤية علامات الكشف الطبي

— وهل هي مركبة تركيباً آخر فليست مثل عيون الناس ؟

— اسمعي ! هل تصدقين النبي محمداً أو أنت تكذبينه ؟

— معاذ الله أن أشك في قوله

— الحمد لله . كان محمد رسول الله يقول إنه كان يسمع الوحي سمعاً ... وكان يوحى إليه في الموقعة الحربية ، وكان يصاحبه في مواقعه الحربية جنوده وأنصاره فلا يسمع الوحي أحد غيره . فهل كانت أذن محمد كآذان بقية الناس ؟ أجيبي ؟

— كان محمد نبياً

— وكان بشراً مثلنا بتقرير القرآن وتقريره هو نفسه ... فتكذبين القرآن ؟

— حاشا لله ...

— إذن فهو لا يختلف في شيء عن تكوين البشر ... ومع هذا فقد كان يسمع ما لم يكن يسمعه جيرانه والملتصقون به ... فلا بد إذن أن يكون من تكوين البشر حالات خارقة نادرة يستعصي على الآلات وأجهزة الكشف الطبي قياسها ...

— كأني أريد أن أوافقك وأن أقول إن هذا كلام معقول

— هو معقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فمحمد الرسول كان بشراً وكان نبيًّا له أذن تسمع ما لم يكن يسمعه الناس ... وكذلك كان موسى . وكذلك في جهة أخرى كان بتهوفن الموسيقي الأصم . وكذلك كل موسيقي آخر يلتقط الأنغام من الجو . موهبة السمع فيهم واحدة وإن كانت تتشكل بأشكال مختلفة ... ومحمود حسن إسماعيل شاعر ، وله عين يرى بها ما لا يراه بقية الناس ... هذا أمر لا عجب فيه ...

— لو كان لديك دليل مادى غير هذه الاستنباطات

— الدليل موجود... وهو فى شعر محمود ... إقرئيه تجدى تسعين فى المائة منه على الأقل كلها صور بصرية ... إنه يشبه حتى المسموعات بالمرئيات ... إنه يرسم معانيه صوراً كل صورة منها يمكن أن توضع فى إطار ... إن شعره كله يمكن أن يترجم إلى رسوم ... فكيف يتاح له هذا إلا إذا كان يرى هذا الذى يصفه ... لا تقولى إنه يتكلف هذا ... فالتكلف لا يستطيع أن يستمر وأن يتجدد وأن يفيض مثلما يفعل محمود ... إنه يرى هذه الأشياء حقًّا ... إقرئى شعره !

— فليكن هذا حقا ... فكيف تحكم بأنه يرى هذه الأشياء بعينه اليسرى لا اليمنى ...

— لأنه يغمض عينه اليسرى حين يكتب ... أنا أعرفه ... وقد رأيته كثيراً وهو يسبح وراء خياله ... كما رأيته كثيراً وهو يكتب ... ورأيته يغمض عينه اليسرى كلما كتب شعراً

— قد تكون عادة !

— لا . بل إنه يغمض عينه اليسرى ليسترجع هذه الصور التى يصفها وليراها فى وضوح ... ويفتح عينه اليمنى ليرى بها القلم والورق و « اللكى سترايك »

— يا لها من خرافة !

— إنها ليست خرافة ... وإنما هى رأى ... ومع أنه رأيى فإنى لا أريد أن أقطع به ، فإن كنت قد تعلمت شيئاً فإن أساتذتى الذين علمونى لا يزالون بحمد الله موجودين على قيد الحياة ... وهم جميعاً طوع أمر وزارة المعارف ، ووزير المعارف رجل من رجال التربية وعلم النفس فهو عالم ومعلم قبل أن يكون سياسياً ووزيراً ... ووكيل المعارف رجل من المجتهدين وممن لهم آراء جديدة فى فنه ، وممن لن تقف عقولهم عند القديم المقرر ... فهو يرحب بالدراسات الجديدة من غير شك ... فهذا وزير عالم وهذا وكيل مجتهد ، والأستاذ عبد السلام القبانى المتفنن فى دراسات النفس وتجارب التربية موجود فى معهد التربية للمعلمين وهو وكيله ، والدكتور عبد العزيز القوصى أستاذ علم النفس بالمعهد موجود أيضاً وأظن أن الرسالة القيمة التى نال بها إجازة الدكتوراه فى علم النفس على يد سبيرمان كبير الاساتذة الإنجليز كانت خاصة بالعين ، والبصر ، والنظر ... وهذه وزارة المعارف من أولها إلى آخرها بمن فيها من علماء النفس ، والمربين والأدباء والفلاسفة ... وهذه حالة شاذة يصح أن تدرس ... فلماذا لا تدرس ؟ هى عين يقولون إنها ضعيفة ، ويقول الأطباء إنها قوية، ويقولون إنها لا ترى علامات الكشف الطبى ، وأقول إنها ترى صوراً لا يراها الناس ويصفها محمود بالشعر ... فكيف نحكم حكماً صحيحاً فى هذه المعضلة إلا بالدرس ... أليس الدرس هو الطريق الطبيعى المنطقى الوحيد الذى يستطيع الإنسان به أن يصدر حكماً فى مسألة من المسائل ؟ فإذا لم نسلك هذا الطريق الوحيد مع شاعر رضى عنه الملك وينشد جيشنا شعره ... فمع من نسلك طريق المنطق والعقل والطبيعة ... إن المسألة أخطر مما تتوهمين !

— ولكن كيف تدرس هذه الحال ؟

— أنا لا أعرف كيف ... فلست دكتوراً فى علم النفس ، ولا أنا شىء ما ... وإنما هذه فكرة خطرت ... أنا ذهبت إلى وزارة المعارف ومعى إنسان فى « زكيبة » ، وقلت لها يا وزارة المعارف خذى هـذا الإنسان وأدخليه فى مدرسة من مدارسك الابتدائية ، فهل ترفضه الوزارة ، أو تقبله قبل أن تخرجه من الزكيبة فتعرف إذا كان هو صبياً أو صبية ... وهل هو أو هى مستوف أو مستوفاة لشروط الدخول فى المدارس الابتدائية ... أو أمره غير ذلك ... كذلك موقفى الآن مع وزارة المعارف وفى يدى محمود اسماعيل ... أفلا يجب عليها أن تتعرف ما هو ؟ ... قبل أن تفصله أو تثبته أو تطالبه بتقوية عينه ... أو ...

— وما لوزارة المعارف وهذا كله ... إنها تريد موظفين بعيون قوية

— اللهم يارب عفوك . إن فى الموظفين من ليست لهم عيون قوية ، ولا عيون ... قوية ...

— وماذا يضره لو أن عينه تقوت ؟

— إنها لن تتقوى يا إنسانة .. إنها مخلوقة هكذا .. هذه هى قوتها . فهل يرضى مصر لو فشل محمود فى تقوية عينه أن تلفظه وزارة المعارف فيسرح على الأبواب يقول : « الحمد لرب مقتدر » إن المسكين يضع على عينيه اليوم ثلاثة مناظير زاعماً أنها وسيلته إلى تقوية عينه وهو يخدع نفسه أحياناً فيزعم أنها تقوت

— ولماذا تقول إنه يخدع نفسه ؟

— له شهر وأكثر وهو بهذه المناظير الثلاثة . واحد معتم للشمس ، وواحد مكبر لتقوية عينه اليسرى ، وواحد زجاج على اليسرى ليكشفها فترى ، وسواد على اليمنى ليمنعها من الرؤية تمكيناً لليسرى من التدرب على النظر ... ومنذ عصب عينيه بهذه المناظير قد كف عن الشعر . ألست تقرئين « الرسالة » على الدوام ؟ ألم تلحظى أنه احتجب منذ خمسة أو ستة أسابيع ؟ ... لقد كان يكتب قصيدة للاذاعة فكتب منها سبعين بيتاً إلا شطراً واحداً وقف عن كتابته منذ طلسم عينيه بهذه المناظير . إنه الآن لا يرى ما كان يراه من قبل وهو يعاني أزمة نفسية قاتلة ، ولا عزاء له فى هذا كله إلا أن يردد دائماً قوله : « إن عينه تفوت» ، وهو يقولها كلما عجز عن رؤية شيء واضح . فى سبيل الوظيفة والخضوع للنص الحرفى القديم فى القانون سيختل عقل شاعر شاب فذ كان يكفيه ما يلاقيه الشباب من إنكار الشيوخ وبطشهم فى هذا الزمن ... فكيف ننقذه ... ؟

— أكتب فى هذا الموضوع ؟

— ومن أنا حتى أكتب فيسمع كلامى ؟ !

— إنك إنسان ما ... ولكن الكلام الذى تقوله معقول . والذين بيدهم الأمر كلهم عقلاء ... وأصلبهم وهو وزير المالية أشدهم إيماناً بالعقل ، فهو مهندس وبالعقل وحده استطاع أن يكون وزيراً للحربية ثم وزيراً للمالية ... وهو مهندس ... ولم يستطع هذا إلا لأن له عقلاً ناضجاً ... ثق بأنه سيكون فى صفك ...

— إنك تشجعيننى

— أكتب واطلب من وزارة المعارف أن تؤلف لجنة من علمائها لدراسة هذا الموضوع ...

— طيب . على الله ...

* * *

وهأنذا كتبت ... فمن يكتب عن معضلتى أنا ؟

عزيز احمد فهمى

من هنا ومن هناك

سويسرا تضرب المثل في التسلح

[من « باري سوار »]

لعل ما تقوم به سويسرا في الأيام الأخيرة من الاستعداد الحربي وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل التسليح ، يعد مثلاً بارزاً لكثير من الأمم التي تخال أنها في مأمن من الحوادث . فقد كانت سويسرا من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٠ تقتصد في نفقات التسليح كل الاقتصاد ، حتى أنها لا تقرر لأجله في ميزانيتها إلا مبلغاً ضئيلاً لا يكفي إلا لشراء بعض الآلات الحربية الخفيفة إذ أنها لم تكن تشعر في تلك السنين بأي تهديد . فسويسرا متاخمة لفرنسا ، وأمة كالأمة السويسرية اشتهر أهلها بالرزانة والعقل وحب السلام ، لا يزعجها وجود الجيش الفرنسي عند حدودها

وفي سنة ١٩٣١ والسنين التي تلتها أخذت سويسرا تعمل لزيادة التسليح ولا تدخر وسعاً في هذا السبيل . وذلك أن شبح هتلر كان قد بدأ يحلق في سماء القارة الأوربية . ولم تكن سويسرا حتى سنة ١٩٢٩ تقدر للتسليح أكثر من ١٦ ٪ من الميزانية العامة . فلم تمض عشر سنوات حتى وصلت هذه النسبة إلى ٢٢٪ ولكن هذه المقادير لم تكن لتفي بحاجاتها إلى السلاح وما تتطلبه من الأموال الطائلة . فعقدت قروضاً فيما بين ١٩٢٩ — ١٩٣٠ لأجل الدفاع بمبلغ ٦٤٨مليوناً من الفرنكات السويسرية أوماوازي ٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات

ولم تقف سويسرا في استعدادها الحربي عند هذا الحد ، فمنذ سنة ١٩٣٦ نشطت هذه الأمة الوادعة في تنظيم جيشها ، وحشد قواها ، وتعزيز جبهتها ، وزيادة مدة التدريب العسكري بين أبنائها. وإذا كانت سويسرا فيما مضى لم تفكر في إقامة المصانع الحربية ، فقد أصبح لديها الآن مئات من المصانع الكبيرة المعدة لهذا الغرض في أنحائها المختلفة . أما قوى الطيران الدفاعية منها والهجومية ، فقد أصبحت على قدم الاستعداد ، وقد أقيمت استحكامات عظيمة على طول خط الرين وبالقرب من الجبهة الألمانية. وتعد سويسرا الآن برنامجاً حربياً حافلاً لحمايتها من الطوارئ المفاجئة ، ولكي تصل إلى هذه الغاية قررت سحب ٢٥ مليوناً أخرى من المال الاحتياطي للاستمرار في عمليات التحصين والتسلح حتى تصل في دفاعها إلى أقصى ما تصل إليه أمة في العالم .

فسويسرا لن تفقد استقلالها ، ولن تموت أبداً . وإذا كان الشعب السويسري لم يكن في تاريخه من الشعوب المتعطشة للحروب فليس هو كذلك بالشعب الذي يغتر بالسلم ، وقد أعد العدة للطوارئ بعد أن ظهرت نيات ألمانيا نحو الشعوب الضعيفة .

وقد تحدث إليّ في الأيام الأخيرة سويسري عظيم فقال : « إنني أعرف إعجابك بألمانيا التي أنجبت كثيراً من العبقريات النادرة ؛ ولست أخالفك في ذلك ، فأنا من أبناء سويسرا الألمانية وقد نشأت على احترام تلك البلاد الفنية بعلمائها وفلاسفتها وشعرائها وموسيقيها . ولكنني لا أستطيع أن أتبين أثراً لألمانيا الحقيقية وراء القناع الهتلري . إن أمتي تنظر بعين الذعر إلى أعمال ألمانيا ونياتها ، لأنها تريد أن تظل تلك الأمة الجديرة بتاريخها المجيد »

ومن خلال هذه الكلمات المرة نستطيع أن ننظر إلى سويسرة المتألمة الصبور .

الطيران في القرن الخامس عشر

[من « لاتربيونا إلسترانا » رومة]

أقيم في ميلانو في الأيام الأخيرة معرض لأعمال ليوناردو دافنسي العبقري المشهور

ومما أثار الدهشة في نفوس الزائرين لذلك المعرض تلك الطائرة التي وضعها هذا الفنان الفذ قبل ظهور أول طائرة بخمسة قرون

فقد كان دافنسي يشتغل بالطيران ، ويبذل كثيراً من وقته وتفكيره لتنفيذ فكرته متأثراً بأساطير الإغريق

ومما يروى أن عضواً من أعضاء الأكاديمية الفرنسية شرح هذا الاختراع الذي كان يدور برأس ليوناردو للملك لويس الثامن فما كاد يسمع منه بفكرة الآلة الطائرة حتى افتر ثغره عن ابتسامة ساخرة وقال : « إن ليوناردو حسن الحظ لأن مستشفى المجانين لم يكن قد عرف في العصر الذي عاش فيه »

وقد جاء « أوتوليليانثال » فى العصر الحديث ودرس خواص الطير والقوة التى تساعدها على الصعود والتحليق فى السماء ، وأثبت أن ما كان من الخيالات والأوهام العابرة فى العصور السابقة قد أصبح حقيقة علمية خاضعة للتنفيذ

ولم يكن ليوناردو فى بادىء الأمر يعرف طريقة لإدارة الطائرة غير الطريقة التى تحركها بالقوة العضلية ، إلا أنه وجد أخيراً أن هـذه الطريقة لا تكفى لاستمرار سيرها ، فوضع لها سيوراً من المطاط تدار باليد أو بالقدم . وقد عرضت طائرتان من هذا النوع لدافنسى كانتا موضع الدهشة والإعجاب

ومما فكر فيه هذا الفنان لإتمام مشروعه ، قوة الهواء والرياح فسخر وقته لدراسة الطيور . وأخذ يفكر فى القوة التى تساعدها على التحليق وسط الزعازع والأنواء. وقد دلت الدراسات الحديثة، على أن النتائج التى وصل إليها كانت على جانب عظيم من الأهمية وفى مقال كتبه عن تحليق الطيور، وضع ليوناردو فكرة الطيران الآلى بواسطة الجناحين ، وأشار إلى كثير من الآراء الناجحة فى فن الطيران ، ومما لا شك فيه أن الآلة التى ابتدعها ليوناردو كانت مؤسسة على الطرق والقواعد السائدة فى الأيام الحديثة

ولعل اشتغال هـذا الفنان العظيم بصوره ولوحاته الفنية النفيسة ، هو الذى عاقه عن إتمام مشروع الطيران ، فلم يترك له الوقت الكافى للسير بالفكرة إلى النهاية ، وإن كان الكثيرون من أصحاب الرأى والخبرة ، يؤكدون صحة القواعد التى وضعها ، ويسلمون بأن التجارب التى أقيمت عليها كانت ناجحة كل النجاح

تاريخ التقبيل

[عن « P. T. O. »]

القبلة هى إحدى الطرف الإنسانية النفيسة التى ابتدعها الحب فما هو تاريخ ظهورها بين بنى الإنسان ؟

المعروف عند عامة الناس أن التقبيل نشأ مع الشهوة الجنسية وهذا مخالف للحقيقة، ويحملنا على الاعتقاد بأن هذه العادة لم تكن من الغرائز الإنسانية الأولى ، أن كثيراً من الأمم لا يعرفها على وجه الإطلاق ، وأن بعضها ينظر إليها بالمقت والامتعاض

ومن المحقق أن قبائل الاسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل . وقد مضت قرون عديدة قبل أن تعرف هذه العادة فى الصين واليابان أما فى أيامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون بأساً من انتشاره بينهم ، ولكن اليابان يحرمونه ويبالغون فى تحريمه ، حتى أنهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الأفلام الأوربية والأمريكية التى تعرض فى بلادهم

وقد عرضت رسوم رودان فى معرض طوكيو سنة ١٩٢٤ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة فقد ألقى عليها غطاء كثيف . وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فأجابه رئيس البوليس بأن مجموعة رودان كان من الواجب أن توضع جميعها تحت غطاء من أجل صورة القبلة فالتقبيل عادة أوربية ممقوتة تمنعها اليابان بأى ثمن ، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين أمم العالم لمنعت جميع رسومه من الدخول إلى اليابان لأجل هذه الصورة . . .

أما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وإن كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها ، ومن القبل المشهورة قبلة « فلورنتين » وتنسب إلى « نابليون الأول » ، وقد بيعت قبلة واحدة فى إحدى المناسبات بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه ، وكان ذلك فى البرت هول سنة ١٩١٥ فى حفلة لإعانة الجرحى عرضتها الممثلة المشهورة «مورلوب» عن طريق المزايدة ؛ فلما وصلت المبالغ المعروضة إلى ٨٠٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين عدا اثنين هما الثرى الكبير هنتنسن ودوق أرسنت ألباز ؛ وقد فاز الدوق فى النهاية بهذه القبلة . ومما يذكر فى هذه المناسبة أن الدوق طلب إلى الممثلة أن تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلاً منه . . .

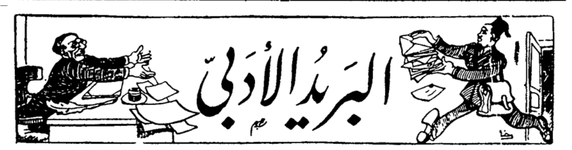
وتعد القبلة فى بعض أنحاء الولايات المتحدة عملاً مخالفاً للصحة ، وتعريض صحة إنسان ما للمرض جريمة يعاقب عليها القانون . أما اغتصاب القبلة من امرأة أية كانت فهو عمل يعاقب عليه القانون فى سائر الأحوال

وإذا كانت القبلة اليوم هى التعبير الجسدى عن الحب ، فقد كانت فى الأزمان الخالية نوعاً من التحية كالتلويح بالمنديل للمسافرين ، وقد ظلت كذلك إلى القرن الخامس عشر ، وكان يباح للضيف أن يقبل زوجة مضيفه ، وكل فرد من أفراد عائلته

وكانوا فى روما القديمة يقبلون لأسباب غير التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظوراً على النساء تعاطيه ، ومن ثم كانوا يبيحون للرجل أن يقبل المرأة إذا كانت له بها أية علاقة ، ليتأكد من أنها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام أحد علماء أمريكا فى الأيام الأخيرة يحذر العالم من التقبيل ، ويعلن أنه ينقص من أجل الإنسان ، ولكن أحداً من الناس لم يصدقه أو يحمل لتحذيره نصيبه من التقدير


افتتاح
فصل الشتاء
معرض المبتكرات الحديثة
عند
شيكوريل
حاليا



نداء المجهول – قصة للأستاذ محمود تيمور نشرتها المكشوف

بهذه القصة الجديدة يندفع الأستاذ محمود تيمور فى اللون التخيُّلى ، وقد بدت بوادره فى قصته المتأخرة « فرعون الصغير » على ما بينتُ فى مقتطف يولية الماضى . وتراه يندفع فيه مهملاً اللون الواقعى الذى عرف به زماناً . ولكن إهماله له إنما هو من ناحية الفكرة التى تسيِّر القصة لا من جهة السياق ، إذ لا يزال يلتزم التصوير المباشر والتحليل الصريح وغير ذلك من أساليب الواقعية réalisme. واللون التخيلى romanesque بالفرنسية والإنجليزية (هنا أيضاً romance) و romanhaft بالألمانية – يجرى إلى سرد الحوادث النوادر و « المغامرات » (كما نقول اليوم فى مصر : adventures) وإلى وصف العوالم التى تبهت العقل وإلى الكشف عن آفاق تضطرب فيها الأسرار والألغاز ، كل ذلك رغبةً فى الفرار مما نعرفه ونلمسه ونؤمن به ، كل ذلك إرادةَ أن تلبى النفس نداء يأتيها من وراء حُجُب . هذا وبين التخيلية والرمزية المستحدثة وشائج من جهة ذلك الفرار من العالم المبذول لنا . غير أن هذه تتشبث بما يجول فى النفس خفيةً فتبرزُه عزمات وتصوّرات وانفعالات، ثم تستخرج ما وراء الحسّ وتدوّن ما يهجم على القلب ويرد على الوهم ، وذلك من طريق التمثيل ، وانتزاع الصور من الأشكال والهيئات، واستنباط المطابقات والمقابلات والإضافات مما يجرى مجرى الموازنة البعيدة أو القريبة بين الحيّ والجامد

وجملة القول أن التخيلية تتناول الخارجيات من بلدان نائية وغرائب مستملحة وحوادث أخاذة ، على حين أن الرمزية المستحدثة تركز أوتادها فى وادى المضمرات والسوانح وما يلى المادة المباشرة

وقد عرف الأدب العربى اللون التخيلى ، ففى حكايات جدّاتنا وفى « ألف ليلة وليلة » ما تشاء من ابتداع للطائف . وأما الأدب الإفرنجى الحديث فقد خرج اللون التخيلى على يديه فناً شائعاً مقبولاً شريف الغاية فى أكثر الحال، بيّن الأوضاع على تباين فى الأنحاء . وفن تيمور فى « نداء المجهول » لا يرجع إلى الأدب العربى ، ثم إنه ليس من فن (كبلنج) Kipling لأن هذا بلاءً ما كتب ، وليس من فن (إستراتى) P. Istrati لأن هذا صاحب عنف ، وليس من فن (فورنييه) A. Fournier لأن الرجل شاعر فى نثره وصاحب وسوسات ، وليس من فن (مارك أورلا) P. M. Orlan لأن هذا خاض الحياة الشاقة . إن اللون التخيلى عند تيمور فى « نداء المجهول » يقارب بعض المقاربة ما نعرفه من فن القصصى الفرنسى P. Benoît مع اعتبار ما يميز الكاتب من الكاتب من حيث الأسلوب والتفكير

وأسلوب تيمور فى قصته التخيلية لا يبرح أسير الطريقة الواقعية كما قدّمت: فلا اللفظ ينبو من موضعه المعهود، ولا التعبير يميل إلى الإيحاء ، ولا العبارة يُجريها نغم خفىّ . بل كل ما يتصل بالأداء تصيبه فى المكان الذى كنت تحتسبه .

لا أدرى ما الذى وقع لصديقى تيمور حتى يجنح إلى ذلك التخيل ثم يريده إرادةً ؟ أىّ شىء ينفّره من هذا العالم ثم يطير به إلى آفاق المجهول ؟ هل خاب أمل من آماله ؟ هل أحس بطلان دنيانا وتعرّف مبلغ زيفها فانجذب إلى التشاؤم كما انجذب إليه (بيرلوتى) P. Loti من قبل ؟ إن عطف تيمور على الإنسانية ورثاءه لبؤسها وضعفها مما هو جلىّ فى قصصه السابقة . وبين هذا العطف على الناس وطلب الفرار منهم خطوة ... ألا شبّك يدك بيدى أيها الصديق ، فاثنان على الفرار المضنى أقوى من واحد ، وإن كان لكل منا جناحه !

وبعد فرجائى ممن يستهويه الأفق البعيد أن يقرأ « فرعون الصغير » لكى ينطلق فيحيا قدرَ لحظات حياة البطولة أو حياة الغرابة، ثم يهبط إلى أرضه فتعاود أيامُه دورتها الشاحبة.وحسب تيمور أنه يستطيع بذل تلك اللحظات النفيسة ، حسبه ! هل يستطيع ذلك غير صاحب افتتان غزير المادة لطيف النواحى ؟

بشر فارس

التاريخ المزخرف والأشعار المسرحية

١ — أشكر لحضرة السيد محمد على عكارى جهده فى تقديم بعض الشواهد التى تؤيد القول بأن وثنية العرب قامت فى الأصل على قواعد روحية ، وأرجوه أن يجعل هذه المسألة فى باله فيقيد جميع ما يصادفه من البينات التى تجلو غوامض تلك الوثنية .

وليكن مفهوماً عنده وعند سائر الباحثين أن الوثنيات فى جميع بقاع الأرض لم تكن إلا صوراً أو رموزاً لحقائق وجدانية ومعنوية كانت فى الأصل ديانات سليمة خفيت مغازيها على الجماهير فجسّموها بالصور والتماثيل . ومن هنا تسقط حجة من قال إن وثنية العرب كانت « أرضية وضيعة » ولو أنه كان فهم هذه الحقيقة لعرف أن العرب لم يكونوا بدعاً بين الأمم حين عبّروا عن عقائدهم بمثل ما عبّر به الفرس والهنود واليونان والرومان والمصريون

وقد أوضح القرآن حجة الجاهليين فى عبادة الأوثان إذ حكى أنهم قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى » وهذه العبارة القرآنية تشهد بأن الأوثان كانت رموزاً لمعان روحية

وأنتقل بعد هـذا إلى صلاة المأمون على الوصلى والكسائى وابن الأحنف وقد ماتوا فى يوم واحد فأقول :

إنى أوردت هذه القصة فى كتاب « مدامع العشاق » نقلاً عن شرح شواهد ابن عقيل للشيخ قطة العدوى ، وهو لم يخترعها وإنما نقلها عن بعض المصادر الأدبية

وأنت لا تنكر أنى أوردت هذه القصة بتحفظ مراعاةً للأمانة العلمية ، فأرجو أن تعرف أنها عندى من التاريخ الزخرف L'Histoire romancée والتاريخ المزخرف يقبله الباحثون فى الموضوعات التى تغلب فيها الصّبغة الروائية على الصّبغة التاريخية .

والذى زخرف هذا التاريخ كان يقصد إلى تمجيد العباس ابن الأحنف الذى كاد يتفرد بإجادة القول فى الكتمان ، والذى أذاع معانى الصدق فى الوجد فى أيام كثرت فيهـا الاستهانة بشرف العفاف

ولو أنك رجعت إلى أكثر الأخبار الأدبية لرأيتها من التاريخ المزخرف الذى يعتمد على التصور أكثر مما يعتمد على التحقيق ، وذلك التاريخ مقبول فى الميادين الأدبية ، والغرضُ منه معروف ، فلا تستغرب صدوره من العرب ، لأنه يشهد بأنهم كانوا من أهل البراعة والخيال

٢ — نشرت « الرسالة » كلة لصديقنا الدكتور بشر فارس فى نقد رواية « مصرع كليوبترا » التى مثلتها الفرقة القومية ، وفى ذلك النقد آراء فيها المقبول والمردود ، ولكنى أقف عند قوله :

« أتى الممثلون شـعر شوقى كما كنا نُلقى الشعر العربى فى المدارس : نقطّع أقسام البيت ونتمهل عند العروض ثم نضغط على الضرب ، والذى يحرك ألسنتنا الوزن الذى عليه جاءت القطعة أو القصيدة . وفى ذلك الأمر ما فيه من غرابة ، فإن الشعر لمهدنا هذا فى أوربا — وعنها نأخذ فن التمثيل — يُلقى على المسرح كأنه نثر ، وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها والتفاعيل كأنها الدعامات والخشب فى المنزل ، وأما المعانى والألفاظ فأثاثه والتصاوير والتزاويق وكل ما يأخذ الطرف . كل ذلك فضلاً عن أن تقطيع أقسام البيت ، وفصمه إلى مصراعين ، والضغط على القافية الراجعة يورث الملل ويصك الأذن » ... الخ .

ذلك كلام الدكتور فارس ، وهو كلام برّاق ، ولـكنه غير صحيح .

وما كنت أحب أن أخطّئ هذا الصديق لولا الخوف من أن يتأثر به النقاد والممثلون فتفسد أذواق من ينشدون الأشعار المسرحية فساداً لا يُرجى بعده صلاح .

نحن أخذنا عن أوربا فن التمثيل ؟

هذا حق ، ولـكن لا ينبغى أن نأخذ عنها فن الإلقاء ، فإن الأداء بالشعر غير الأداء بالنثر ، وليست الأشعار المسرحية إلا قصائد خضعت للقوافى والأوزان ، وفيها مُحرجات تقبـل فى المنظوم ولا تقبل فى المنثور ، ومعنى ذلك أن صوغ المعنى فى بيت من الشعر يجعل له صورة غير صورته فى فقرة من النثر ، فإذا أدّى الشعر كما يؤدّى النثر تعرّض للغثاثة والانحلال .

ولو أن الدكتور فارس كان شهد ابراهيم الجزار — وما أعظم فجيعة الشعر المسرحى بوفاة ابراهيم الجزار — لعرف أن لإلقاء الشعر المسرحى أصولاً فى الإلقاء تختلف فى لغة العرب عن أمثالها فى لغة الإنجليز والفرنسيس . .

الوزن فى الشعر ليس تصويراً وتزويقاً ، كما يظن الدكتور

فارس ، وإنما هو عنصر أصيل لا يقام بدونه للشعر ميزان ، وليس بصحيح أن الأوربيين يُلقون الأشعار المسرحية كما يلقون القطع النثرية ، وإن كانوا أقل منا رعايةً للأوزان عند الإنشاد ، لأن ذوقهم يختلف عن ذوقنا بعض الاختلاف .

وخلاصة القول أن المثلين لا يجوز لهم تحويل الشعر إلى نثر وإلا فسد الذوق واختلت الموازين وضاع جمال الفن في الشعر المسرحي أبشع ضياع .

وإني لأرجو أن يراعي ممثلو الفرقة القومية أذواقنا حين ينشدون الشعر المسرحي مرة ثانية ، فقد انزعج كثير من الناس حين رأوهم ينشدون بعض الأشعار بلا احتفال بأهمية ما في الأوزان من الرنة الموسيقية .

زكي مبارك

وحدة الوجود والحلول

لأستاذنا الجليل أحمد أمين سابقة جليلة في اللغة العربية ، حين انتدب لكثير من المصطلحات الفلسفية في اللغة الإنجليزية فوضع بإزائها كلماتها العربية [1] . وليست كلمتنا هذه لبيان هذه الفضيلة ، فهي غنية عن البيان . ولكن إحدى هذه الكلمات استوقفتنا ، وقد خيل إلينا أن أستاذنا المفضال خانته فيها دقته ، وهي كلمة الحلول ، فقد وضعها بإزاء كلمة Pantheisme ، وتحليل هذه الكلمة يرجعها إلى كلمتين يونانيتين : Pantos بمعنى « كل » و Theos بمعنى « الله » فهي تعني بهذا أن كل شيء هو الله ، أو أن الله هو كل شيء ؛ وطبيعي أنه لا يستقيم مع هذه الكلية المطلقة إلا أن يكون ثمة كائن واحد هو الله « وسائر الصور الأرضية والسماوية صور تجلياته وشؤون ظهور ذاته » كما يقول العلامة بهاء الدين العاملي في رسالته : الوحدة الوجودية . وكذلك سمى المسلمون هذا المذهب Pantheisme بوحدة الوجود ، واستفاضت هذه التسمية . أما « الحلول » الذي آثره الأستاذ فما زالوا يبرءون منه في كل مناسبة : أن يشتبه بمذهبهم ويشنع به عليهم، فهو شيء مختلف كل الاختلاف. فيقول ابن الفارض مثلاً:

وفي الصّحو بعد المحو لم أكُ غيرَها
وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّتِ

(١) كتاب مبادئ الفلسفة ترجمة الأستاذ أحمد أمين

ومازلتُ إيَّاها ، وإيّاي لم تزَل ،
ولا فرقَ ، بل ذاتي لذاتي أحبّتِ
متى حلتُ عن قولي : أنا هيَ ، أو أقل :
— وحاشا لهداها — إنها فيّ حلّتِ ؟
وليسَ معي في الملك شيء سواي والـ
معيّــة لم تخطر على ألمعيّتي

وكذلك جاء عبد الغني النابلسي ينتفي من هذه التهمة في تائيته إذ يقول :

وإياك من قولي بأن تفهم الذي ... تدين به الكفار بين البريّة
فإني بريء من حلول رمت به ... عقول تغذّت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتّحادٍ أدين في ... حياتي وإن دانتهما شرُّ أمة

وقد وضح العاملي في رسالته الآنفة الذكر الفرق بين وحدة الوجود والحلول توضيحاً يحسم الشبهة بقوله : « فإن قيل لم فيلزمكم القول بالحلول والاتحاد يقولون : لا يلزمنا هذا ولا ذاك ، إذ نقول : لا وجود لشيء غير الوجود وما سواه فهو اعتبار محض. فمن أين الحلول والاتحاد ؟ إذ لا غير ولا اثنينية فلا حلول ولا اتحاد »

ففي تعبير الأستاذ أحمد أمين [1] عن هذا المذهب بالحلول تسامح ظاهر ، وإنما توضع كلمة الحلول بإزاء الكلمة الإفرنجية Incarnation

أبو عبادة

حول ابن تيمية وابن بطوطة

قرأت في الأعداد الثلاثة السالفة من (مجلة الرسالة الغراء) ما نقله الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن العلامة الخالدي وما رد به الأستاذ البرازي وما استدركه عليه الدكتور عزام حول سماع ابن بطوطة الحافظَ ابنَ تيمية يقول وهو على منبر الجامع بدمشق : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا . ونزل درجة من درج المنبر

قرأت ذلك كله فذكرت أن هذا الخبر ذكره الحافظ بن حجر في (الدرر الكامنة) وابن فرحون في (الديباج المذهب) . قال الحافظ : ذكروا أنه ذكر (أي ابن تيمية) حديث النزول فنزل

(١) وقد تابعه في هذا الأستاذ يوسف كرم في فهرس الألفاظ الفلسفية التي ألحقه بكتابه : « تاريخ الفلسفة اليونانية »

عن المنبر درجتين فقال (كنزولى هذا) فنسب إلى التجسيم . اﻫ

ورأيت فى حواشى (دفع شبه التشبيه لابن الجوزى) فى الصفحة ٤٨ من مطبوعة دمشق : يقول بعض علماء دمشق بأنه رأى خطبة ابن تيمية فى مخطوط قديم وفيها زيادة (لا) قبل (كنزولى) أى (لا كنزولى هذا) والله أعلم .

سيف الدين الخطيب

إلى الدكتور زكى مبارك

حضرة المحترم الفاضل الدكتور زكى مبارك

تحية طيبة وبعد فأرانى بين عاملين متجاذبين إذ أكتب هذا لحضرتك : العامل الأول يحفزنى ، وأكاد أقدم ، لما أعتقده فى نفسك الكريمة من نخوة ، وما امتازت به شخصيتك من إقدام وشجاعة

والعامل الثانى يثبط همتى ، ويقف يراعتى مترددة حائرة ، خشية ما قد يصيبنى وبصيب الموضوع الذى سأتعرض له معك

وأخيراً رجحت عندى كفة الإقدام على ما اعتزمت ثقة بأنه لن تتحد النخوة مع الجبن ولا تتنافر شجاعة المصلحين ومثابرتهم كل فى سبيله، ما دامت ترمى إلى هدف سام، وتطمح إلى غاية نبيلة

وفى اعتقادى أن الأستاذ الفاضل أحمد أمين حينما تعرض بمقاله « جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى » لم يكن قصده من النقد والتوجيه إلا نبل الغاية ، وحسن النية ، وأعتقد أيضاً أن ثورة الدكتور مبارك التى تجلت فى المقالات التى عنونت : « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » لم تكن إلا ثورة للنقد والإصلاح من طريق آخر، وكلا الغرضين شريف بالنسبة لموضوع الأدب العربى الذى نال حظوة موفقة بأن هيأت له الظروف قلم هذين العالمين الفاضلين .

والآن وقد أتممت يا حضرة الدكتور عشرين مقالاً تحت العنوان السالف الذكر ، فإنى أتقدم إليك برجاء لم يدفعنى إليه إلا رغبتى الأكيدة فى أن توجه جهودك الجبارة ونشاطك المعدوم النظير ، إلى نوع آخر من الإصلاح حتى نفوز بقراءة طريفة من قلمك المرن

وأحب أن أخبر حضرتك أنى من المعجبات بكل ما يكتبه الأستاذ الفاضل أحمد أمين بأسلوبه العلمى المتين، وأؤكد للدكتور الفاضل زكى مبارك أن الأستاذ أحمد أمين يتصدر ركناً مهماً فى الثقافة المصرية ، وقد أبلى فيه بلاء حسناً ، سواء وافقتنى على رأيى هذا أو لم توافقنى . وأقول إنه إن تخلى عن مجهوداته التى يؤديها ، أو أنكر فضله إنسان فيما سبق أن أداه ، فليس من السهل ملء الفراغ الذى لا بد يحدثه هذا التخلى وذلك الإنكار

هذا ورجائى أن تتفضل الرسالة الغراء بنشر خطابى هذا إلى الدكتور زكى مبارك ، ولا إخالها إلا فاعلة كما هو عهدى بها محبة للحق ، أمينة فى خدمة الأدب والعلم والفن

زينب الحكيم

حول « مجلس فى منزل الدكتور طه حسين »

بعد أن وقف القراء على تكذيب الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف للحديث الذى رواه الدكتور زكى مبارك عن مجلس قال إنه كان فى منزل الدكتور طه حسين، كتب إلينا كثير منهم يظهرون إعجابهم ببراعة الدكتور الفنية فى إدارة الحوار وإجراء الكلام على ألسنة الجالسين بما يشبه أن يصدر عنهم فاكتفينا عن نشر ما كتبوا بهذا التنويه .

قرية تعليمية نموذجية فى السودان

اختير الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد خريج دار العلوم وجامعات انجلترا ليساهم فى الجهاد الثقافى الحديث فى السودان الشقيق . والأستاذ عبد العزيز من القلائل الذين زاوجوا بين الثقافتين الشرقية والغربية بالبصيرة النيرة والمنطق السليم ، وقد كتب إلى (الرسالة) كتاباً نقتطف منه هذه الجملة :

« . . . بخت الرضا قرية تعليمية نموذجية أسسها مصلحة المعارف السودانية سنة ١٩٣٤ لتكون مركزاً للتجارب فى التربية والتعليم . وأنشأت بها ثلاث مدارس : مدرسة أولية ، ومدرسة وسطى ، وكلية المعلمين . وقد راعت فى تأسيس هذه القرية ومدارسها أن تكون ريفية محضة ، وأن تكون القرية مستقلة فى المعيشة بقدر ما يمكن . ولذلك فقد بنيت بيوتها ومدارسها من اللبن أو الجالوس ، وحفرت بها الآبار ، وتضاء ليلاً بمصابيح البترول، وبها دكاكين ومسجد وصيدلية وحمام للسباحة وملاعب للرياضة البدنية . وتتبعها حقول وحدائق للتجارب الزراعية . وبها أبقار

وأغنام ومصانع للزبدة ولها تجارها الخاص وحلاقها وخفراؤها الخ والتلاميذ والمدرسون والمشرفون يعيشون فى هذه القرية التى لا يسكنها أجنبى . والعمل فى هذه القرية وما يتبعها مستمر طول اليوم وهزيعاً من الليل فى المزارع ومرابط الأبقار ودكاكين التجارة وحجرات الدراسة الخ ونظام العمل هنا تعاونى ، ويقوم الطلبة بمعظم الأعمال المدرسية والزرعية والمنزلية بالاشتراك ، ويصدرون جريدتهم الأسبوعية ومجلتهم الشهرية . وبالجملة فالغاية هنا من التربية أن تكون عملية بسيطة رخيصة تمد السودانى ليعيش فى القرية السودانية ويعتمد على نفسه فى أكثر مايحتاج إليه

وللدراسة خمس شعب : شعبة المواد الاجتماعية ، وشعبة الرياضة ، وشعبة الفنون الجميلة والأعمال اليدوية ، وشعبة الزراعة ، وشعبة اللغة العربية . ولكل من هذه الشعب رئيس انجليزى إلا شعبة اللغة العربية فهى من نصيبى. ولكل رئيس مساعدان، ومهمة رئيس الشعبة الإشراف على كل عمل يتصل بمادته أو مواده، وهو مسئول عن المدرسين والكتب وطرق التدريس ونظام العمل فى حصص مادته . وهو أيضاً مسئول عن وضع المنهج المناسب وتأليف الكتب . وهذا المنهج وهذه الكتب تمر فى مرحلة التجربة قبل أن تعتمد فتعمم فى مدارس السودان جميعها . وقد بدأت منذ وصولى من الأساس . وأنا الآن أدرس منهج التعليم الأولى ومشغول بمقرر اللغة العربية فى السنة الأولى الأولية وكتبها وطرق التدريس فيها تمهيداً للقيام بالتجارب فى السنة الدراسية القادمة التى تبدأ هنا عادة من يناير . ورئيس هذه المعاهد انجليزى فاضل حازم له تجارب منتجة فى الهند والسودان . ولذلك تجد دولاب العمل يسير بانتظام وتناسب فى جميع أركان القرية وفى المعاهد

لقد أطلت عليك فى وصف قريتنا التعليمية ، ولكنى أرجو أن تكون إطالتى فى غير ملل ؛ فأنت من أسرة المدرسين ويلذ لك أن تقرأ عن أخبار التعليم وأخبار أسرتك

العمل هنا كثير وكله على تثقيفى نافع ، وأنا سعيد بعملى هنا وأحبه وأقبل عليه برغبة وإن كان لا يترك لى إلا القليل للراحة والاستجمام . وأحاول أن أختلس سويعات فى أوقات الراحة فأكتب شيئاً أو أعالج موضوعاً يصح أن ينشر ... »

عبد العزيز أمين عبد المجيد
رئيس شعبة اللغة العربية بمعاهد بخت الرضا التجريبية

استدراك

جاء فى المقال الثانى عن « موقف العلم من الكمال الإنسانى » للأستاذ توفيق الطويل أن بيكون قد انقضى على وفاته ثلاثة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً. والصواب ثلاثة قرون وثلاثة عشر عاماً

أسرار البلاغة فى علم البيان

أصدرت « دار المنار » فى هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الإمام « عبد القاهر الجرجانى » مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل ، والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف ، وقد وضع فى وقت تحكمت فيه دولة الألفاظ واستبدت على المعانى ، وهو خير ما كتب فى موضوعه عبارة وأسلوباً وإيضاحاً للمسائل وبسطاً للدلائل ، وقد امتاز بإرجاع الاصطلاحات الفنية إلى علم النفس وتأثير الكلام البليغ فى العقل والقلب . وقد عنى بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ « محمد محمود الشنقيطى » وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا » . وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

الفرقة القومية تقدم رواية:

امرأة تستجدى

أدار المؤلف موضوع الرواية حول شخصية بارزة فى المجتمع لما حظها من الثقافة والعلم والمكان الرفيع . فالبطل رئيس تحرير صحيفة سياسية قد رشحه حزبه لعضوية مجلس النواب ، وهو رجل مثقف مستنير الذهن واسع المدارك يعيش أعزب حتى يلتقى بامرأة تقع من نفسه موقعاً حسناً فيخطبها سعيداً مغتبطاً . وإذ هو بسبيل استكمال سعادته يعرض له حادث يغير وجه الأمر

لقد كان من رأيه أن ليس من حق الإنسان أن ينتصف لنفسه . ليس له أن يقتل مهما يكن من أمر ، ليدع القضاء يأخذ له حقه ، رعاية لنظام المجتمع وخشية عليه من الانهيار . وقد جاهر برأيه هذا فى مسألة عرضت له إذ قتل رجل عشيق ابنته الذى وعدها وأخلف

بيد أنه لا يجد مناصاً من ارتكاب جريمة القتل لسبب لا يسيغ قتل ذبابة فضلاً عن رجل ! أتدرى من قتل ؟ إنه قتل زوج أخته الذى طلقها لينقذه من حبائل امرأة مستهترة ولينقذ شرف الأسرة وثروتها التى لا تزيد على عشرين فداناً مثقلة بالديون !

وإنك لترى أنه أقدم على ارتكاب جريمة القتل وهو فى حالة كان يرى فيها نفسه أسعد رجل فى الوجود ، خطب المرأة التى يحبها وسيتزوج منها بعد أيام ، وهو يوشك أن يبلغ قمة المجد ، وغداً ربما يكون وزيراً أو رجلاً خطيراً فى الدولة . هذا الرجل يقدم بعزم وإصرار على قتل زوج أخته لأنه طلقها ! ومن العجيب أنه ، وقد أراد أن ينقذ شرف الأسرة وثروة الأسرة ، أنه سلم نفسه للعدالة حتى لا ينتصف لنفسه بنفسه ، وبذلك وقعت الكارثة الكبرى ، وانتهت حياته وانهارت آماله ونزلت بالأسرة الفضيحة مزدوجة وخسرت عائلها وسيدها !

بأى منطق كتب المؤلف هذه الرواية ؟ لسنا ندرى ، ومن العبث أن ندرى فما يجيز العقل شيئاً كهذا إلا إذا كان البطل قد نزل يوماً بدار المجانين ، وقد جعل هذا المنطق شخصيات الرواية شاذة مضطربة ليس فى الحياة مثلها أو شبيهة بها . وبهذا خرجت الرواية سقيمة عرجاء رغم جهد المخرج النابه الذى أخرج غيرها من قبل بنجاح ملحوظ . وكيف يسيغ هذه الأكذوبة الجريئة على الحق والحياة ، لو أنه بذل بعض هذا المجهود فى إخراج رواية مستقيمة لأفاد منها كثيراً كما أفاد من (الحب والدسيسة) وغيرها مما أخرج

وقام الأستاذ أحمد علام بدور البطل ، وإنك لترى موقفه وهو يحاول عبثاً أن يستر ضعف الشخصية التى يؤديها ، على أنه وفق فى كثير من مواقفها كممثل

وهكذا كانت السيدة دولت أبيض التى جعلها المؤلف ، وهى امرأة ، لا تهتز لذكرى أمها على حين كان أخوها ، وهو رجل قد بلغ الغاية فى رقة العاطفة وجلال التأثر لذكرى أعز شخصية فى الوجود

أما الآنسة فردوس حسن فقد كانت شخصيتها بعيدة عن منطق الرواية الأعرج ، وهى منها فى الصميم ، أحبت صاحبها ورضيت به زوجاً ودافعت عن سعادتها فى حدود قدرة المرأة التى جربت الحرمان ، وهكذا كان عملها سليما وشخصيتها سليمة

وكان منسى فهمي بارعاً فى دور الرجل المستهتر السادر فى غيه. وكان موقفه مع (شربات) الراقصة من أبدع المواقف

أما الآنسة أمينه نور الدين فقد قامت بدور (شربات) الراقصة ، ولنا حديث عنها فى العدد المقبل .

وكان الأستاذ عباس فارس فى دوره الصغير آية من آيات الإبداع والقوة ، حتى لقد جعلنا ننتصر لقضيته ونسخر بمنطق البطل. وكان أنور وجدى فى دور الشاب المرح غاية فى الظرف . وكذلك كان حسن إسماعيل فى دور (هانى) الذى يعتبر بداية حسنة لممثل شاب وبعد فإن الرواية ساقطة من وجهة التأليف ناجحة إلى حد ما من وجهة الإخراج

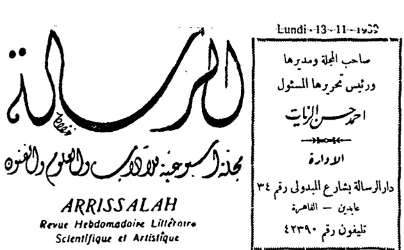
زهور الصغير

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 332

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 13 - 11 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٩ » العـــــدد ٣٣٢

الفهــــــرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

المــــــرض ...

— ٣ —

بعد الجهل والفقر لابد أن يجيء المرض . فهو فى الترتيب الطبيعي ثالث المناوئ البارزة فى دستور وزارة الشؤون الاجتماعية

وإذا كان الجهل يمنع أن يكون لنا رأى عام ، والفقر يمنع أن يكون لنا خير مشترك ، فإن المرض يمنع أن يكون لنا كيان صحيح . وإذا لم يكن للمجتمع رأى عام ولا خير مشترك ولا كيان صحيح ، فسمه ما شئت إلا أن تسميه أمة

ولعل المرض كان العَرَض اللازم الذى يَميز الشقاء المصرى من كل شقاء فى العالم. وإن أُرِّخ تاريخنا الاجتماعى كان كأثر الزلازل والبراكين والحروب فى تاريخ البلاد الاخر . فقد كانت الأوبئة تفد إلى مصر عاماً بعد عام فتجتاح نصف السكان وتصيب النصف الآخر بعاهات تدعه كالشجر اليابس لا للظل ولا للثمر . والعلة الأصيلة فى ذلك أن أبانا النيل منذ شقه الله يجرى فيكون الخصب والنضارة والحياة ، ثم يركد فيكون الجدب والذبول والموت . وفيضانه ونقصانه يتماقبان تعاقب الجديدين . فإذا فاض أنعش الذاوى وجدد البالى وأحيا الموات ؛ وإذا نقص تخلفت بقاياه

فى أجواف المصارف وأطراف الترع ومناقع الأرض فتكون مزارعَ خصبة لجراثيم التيفود وبعوض الملريا وقواقع البلهرسيا وديدان الأنكلستوما ، وبنو النيل الدائبون البررة لا ترتفع أيديهم من مائه ، فى حالى نقصه ووفائه ؛ فخيرهم منه لا يزال مشوباً بالشر ، ووجودهم فيه لا ينفك مهدداً بالعدم . فإذا أضفت إلى ذلك أن الجهل يستوجب فساد العيش وترك الوقاية ، وأن الفقر يستلزم سوء الغذاء ونقص العلاج ، فقد اجتمعت لك أسباب المرض التى جعلت الكثرة الكاثرة منا مذبذبين بين الدور والقبور لا هم فى الأحياء ولا هم فى الموتى

* * *

إذا استطعت أن تقيم البناء من ناخر الحجر ، وتنسج الرداء من رثيث الخيط ، استطعت أن تؤلف من مهازيل المرض وسُقَّاط الوهن شعباً يستغل الأرض وجيشاً يحمى الوطن

تعال زر قرية من قرى الريف فأريك كومة مبسوطة من سباخ الأرض ، فى مستنقع واسع من آسن الماء ، قد قامت عليها أبنية من الطين والقصب والخشب تجمعت على ظهورها المراحيض والزابل ، وتكدست فى بطونها الناس والبهائم ، وتطرحت على أبوابها ومصاطبها الرجال والأطفال وقد هدَّتهم العلل وبرَّحتهم الأسقام حتى ليعجزون عن دفع الذباب عن وجوههم الساهمة الشاحبة . فإذا سألت هؤلاء المنهوكين بالزُّحار والصُّفار والسُّلال والطُّحال[1] والحمى والرمد : من الذى يزرع الأرض ويتعهد الزرع ، ويحصد الثمر ويجمع الحصيد ، وينجل العلف ويرعى الماشية ؟ قالوا لك : يعمل ذلك كله قليل من الشبان الذين يدافعون المرض بالجلَد ، وكثير من النساء اللاتى يغالبن الضعف بالصبر . ومما ترى وتسمع يتسنى لك أن تروز[2] العبء الذى تحاول وزارة الشؤون الاجتماعية أن تضطلع به

* * *

ولكن هل من الحق أن يلقى عبء الصحة العامة على كاهل هذه الوزارة المفدوحة بأمور المجتمع ؟ إذن فماذا تصنع وزارة الصحة ؟ والجواب أن الجهاد الصحى مفروض على الوزارتين جميعاً بنظام تقتضيه طبيعة كل منهما فلا يُثقل إحداها ولا يعطل الأخرى . فكل ما يتصل بالوقاية والصيانة يرجع إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالطب والعلاج يعود إلى وزارة الصحة ؛ وقد يجوز لهذه بحكم خصوصها أن تصون وتقى ، ولكن لا يجوز لتلك بحكم عمومها أن تعالج وتطب

فن الطب الوقائى المنوط بوزارة الشاذلى باشا تخطيط القرية على نمط يكفل لها الشمس والهواء والجمال والذوق والراحة ، وفصل الحظائر والزابل عن المساكن ، وتجفيف البرك والمستنقعات ، وتطهير الماء الراكد من الطفيليات ، وإنشاء المغاسل والراحيض العامة ، ورفع مستوى المعيشة القروية بتحسين الغذاء وتنقية الماء وتعميم النظافة ، وإرشاد الفلاحين عن طريق الإذاعة والصحافة والوعظ إلى أنجع الوسائل فى اتقاء العدوى وتدبير البدن

ذلك عملها فى القرية ، وأما عملها فى المدينة فبناء المساكن الصالحة للعمال ، ومراقبة المعامل والمصانع من حيث الصحة ، وملاحظة المطاعم والمشارب من حيث النظافة ، ومراعاة الطعام والشراب من حيث السلامة ، وحماية الطبقة العاملة من رهق العمل ، ووقاية النفوس الغاوية من سموم المخدرات ، وبث الروح الرياضية فى كل طبقة ، وإنشاء الملاعب والمسابح والأندية فى كل بيئة ، وإقامة المسابقات النهرية والبرية فى كل فرصة ، وتفريج الهموم بإقامة المهرجانات الشعبية فى كل مناسبة ، وتعميم الثقافة الصحية عن طرق التعليم والإذاعة والنشر

* * *

هذا مجمل ما ينبغى أن تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية لمكافحة المرض . فإذا أضفناه إلى ما أجملناه قبلاً من الوسائل الفعالة فى كفاح الجهل والفقر كان لنا من مجموع ذلك برنامج كامل شامل لا يعوزه غير التنفيذ . فليت شعرى أتظل الوزارة واقفة من شؤونها الاجتماعية موقف خراش من ظبائه[1]، أم تجرى على هذه الخطة الواضحة فتأتى كل أمر من وجهه وتعالج كل داء بدوائه ؟

احمد حسن الزيات

(١) الطحال بالضم داء يصيب الطحال بالكسر

(٢) راز الحجر ونحوه رفعه ليعرف ثقله

(١) إشارة إلى قول القائل :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدرى خراش ما يصيد

جنـــــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

(النهاية)

هل أستطيع أن أحدّث القارئ مرةً عن بعض مكاره النقد الأدبي ؟

ليتني أعرف من أغروني بسلوك هــذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمعاطب والحتوف !

كنت تبت ونجاني الله من مهلكات هذا الطريق الوعر الشائك ، فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص ؟

كان الأستاذ أحمد أمين أحد الأصدقاء الذين رأيت أن أتجنب الوقوف في طريقهم مهما كانت الأحوال ، وكانت الحجة بيني وبين نفسي أن هذا الرجل رقيق الإحساس ، أو ضعيف الأعصاب ، فلا يجوز أن أعرض له بإيذاء

وما زلت أذكر ما وقع في سنة ١٩٣٥

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب ، وأخرج الأستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الإسلام ، وقد سرق من الأستاذ ابراهيم مصطفى مسألة متصلة بتاريخ النحو وسرق مني مسألة متصلة بتاريخ التشريع الإسلامي ، فصاح إبراهيم : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فكيف يسرقها مني ؟ إنه لطمّاع !

جلست أنا وابراهيم نتشاكى في غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتقلنا من التشاكي إلى التباكي ، فهتفتُ : سأنتقم لي ولك يا ابراهيم !

فقال : يعزّ عليّ أن يجرح الأستاذ أحمد أمين بسببي ، وهو صديق قديم ، ولم ينهب مني شيئاً قبل هذه المرة ، وأنت يا صديقي قد أوغلت في معاداة طه حسين فلا تضف إليها معاداة أحمد أمين !

وشاءت القادر أن أقص هذه القصة على بعض أصدقائي في بغداد سنة ١٩٣٨ فكان من أثر ذلك أن يوجّه إليّ سؤالٌ في جريدة « الكلام » عن بيان ما سرق مني أحمد أمين

ورأيت أن أعتصم بالصمت فلا أجيب : لأني كنت نشرت قبل ذلك كلمة أثنيت بها على جهود أحمد أمين في جريدة « الهدف » ولأني كنت أستقبح اغتياب أبناء وطني في جرائد بغداد ، فقد كان أدباء لبنان يسمونني سفير العروبة المصرية في العراق

ومنذ أشهر نشر الأستاذ أحمد أمين مقالته الأولى فيما سمّاه جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي فلم تعجبني : لأني رأيتها من الحديث المعاد ، ثم لقيني مصادفةً في « المترو » بعد ظهور مقالته الثانية فسألني عما أراه في الأفكار التي أودعها مقالتيه ، فقلت له : لم يعجبني غير نقــد الشاهد الذي أوردته من كلام ابن قتيبة ، أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق ، فقال : أنا دعوت القراء إلى مناقشة تلك الأفكار ، وأنا أرحّب بكل ما يَرِد إليّ من تصحيح

فهل كان يدعوني إلى أن أساجله الحديث ؟

كانت الصداقة بيني وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود المتانة والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى مني غير ما يحبّ ، وكنت والله خليقاً بالتجاوز عن سيئاته لو لم يُسرف في الإساءة إلى ماضي اللغة العربية في وقت يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة في العلوم والآداب والفنون ، وأنهم كانوا في ماضيهم من أقطاب الزمان

وكذلك وقعت الواقعة وكان ما عرفه القراء من تمزيق الأوهام التي اعتز بها ذلك الصديق

* * *

ولكن ما الواجب لهذا التمهيد في مطلع المقال الثاني والعشرين ؟

أنا أريد أن يعرف القارئ أني أشعر بالضجر حين أثبت في مقال اليوم أن أحمد أمين سرق بعض آرائي ، بعد أن أثبتُّ ما سرق من الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين ، وما كان يهمني أن ينص على ما سرق مني ، ولكن اعتزازه بآرائه « المبتكَرة » أوجب الحدّ من جرأته العاتية في نهب تلك « المبتكرات »

وأدخل في صميم الموضوع فأقول :

اهتمّ الأستاذ أحمد أمين بالنص على أن الشعر العربي كان في أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وحجته في ذلك أن التكسب بالشعر كان عادةً غالبةً على أكثر الشعراء ، وقد طنطن بهذه المسألة وأخذ يعيدها في كل مكان حتى صحّ للأستاذ محمد المشناوي بك أن يواجهني بهذه العبارة :

« كيف تعيب على الأستاذ أحمد أمين أن يقول إن شعراء العرب كانوا يتجرون بأشعارهم ، وهو قول صحيح » ؟

فهل ابتكر الأستاذ أحمد أمين ذلك الرأي ؟

أنظروا ما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٩٩

« لا أنكر أن كثيراً من الشعراء اتخذوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش ، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الإسفاف ، وأصرّح بأن من النقائص النفسية أن يسخر الشعر تسخيراً في سبيل المنافع الزائلة ، وأعترف بأن هذه النقيصة تمسُّ كثيراً من شعراء اللغة العربية ، وإن كان من أسباب العزاء أن هذه النقيصة لم يتفرد بعارها شعراء العرب فقد كان أكثر الشعراء في أوربا يعيشون عالةً على الملوك والأمراء ولم يعرف منهم باستقلال الشخصية إلا القليل . ولكني — مع هذا — أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوثيقة الباقية على ما كان فيهم من كرم الشمائل والخصال . والمادحون قد يكذبون ، ولكنهم في كذبهم يصورون ما اصطلح عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب ، فالشاعر الكاذب يقف كذبه عند حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الوجهة الاجتماعية صادق كل الصدق ، لأنه يصور ما يشتهي ممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال »

وهذا البحث كان من البحوث التي راعت الأستاذ المازني وكان نُشر في جريدة البلاغ قبل أن يُضم إلى الطبعة الثانية من كتاب البدائع

وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن ينهب الشطر الأول من الفكرة ويغفل الشطر الأخير ، لأن الشطر الأخير فيه توجيه لمدائح الشعراء وهو حريص على طمس محاسن أولئك الشعراء

وعاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا افتتاح القصائد بالنسيب وأن ينقلوا بهذه العادة من جيل إلى جيل ، في حين أن الشاعر قد لا يكون مشبوب العاطفة في كل حين

وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣١ وفيه أقول :

« لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسيب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب : فمن محاسنها أنها تمهّد للشاعر طريق الكلام ، وهي بذلك أشبه بالموسيقا تتقدم الغناء ليثور قلب المغنّي ويُرهف إحساسه للتلحين والتطريب . ومن مساويها أنها تفرض على الشاعر ما لا قِبَل له باحتماله من التغني بعواطف قد تكون خمدت في صدره منذ أزمان. على أن الشعراء الأقدمين قد التزموا هذه القاعدة حتى وصلت ببعضهم إلى الإسفاف ، وحسبُ القارئ أن أذكر له أن من الشعراء الماضين من كان يفتتح قصائد الرثاء بالنسيب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيتُ من هذا النوع عشرين شاهداً هي في مذكراتي بمصر ، فليعذرني القارئ إن اكتفيت بالإشارة إليها في هذا الحديث »(1)

وصرح أحمد أمين بأن المعاني القديمة لم تخضع للتجديد ، وإنما نقلها الشعراء بلا تجميل ولا تحسين . أفلا يصح القول بأنه سرق هذه الفكرة مما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٢٩

« إن شعراءنا يدورون حول الحسن فلا يرون منه غير ما كان يرى الأقدمون. فحيرةُ الشاعر اليوم هي حيرة أسلافه منذ قرون مع أن النفوس قد تعقدت أشد التعقّد ، وهذا الحسنُ — إن لم يلطف الله — ماضٍ في الفتك بلفائف القلوب ، وقد جدّت للأرواح أزمات جديدة ومطامح جديدة لم يَشْقَ بها الأولون ، فليس من المغالاة في شيء أن نصارح القراء بأن الغزل في شعر شوقي وأضرابه من المعاصرين أصبح أعجز ما يكون عن وصف ما في نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والظمأ والالتياع »

واهتمّ الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حِسيّة . فنال بذلك ثناء الأستاذ محمود علي قراعة الذي عدّ كلامه من المبتكرات ، فهل يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامي » ج ٢ ص ٧

(1) البدائع ج ١ ص ٣٤

« وأقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن ، ذلك الكتاب الذى أطال القول فى وصف الدنيا وذمها وثلبها وتحقيرها ، وقضى بأنها لهو ولعب ، وأنها فى نضارتها ليست إلا متاع الغرور . القرآن هو أقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس وإن جهلوا ذلك ، هم يعدّونه كتاب تشريع وَرَاء كتاب تصوف . إن التشريع فى القرآن ليس إلا تنظيماً للعلاقات الدنيوية ، والعلاقات الدنيوية فى نظر القرآن هى تمهيدٌ للصلات الروحية : صلات الناس بالله الكبير المتعال ، وكلُّ مَنْعم لا يُقرِّب المرء من ربه هو فى نظر القرآن زُخرُفٌ باطلٌ سخيف »

ومع ذلك يقال إن أحمد أمين يدعو إلى الروحانيات وإن زكى مبارك يقاوم الروحانيات !

فيا ربِّ هل إلا بك النصر يُرتَجَى
عليهم ؟ وهل إلا عليك المعوَّلُ ؟

غفر الله لى ولكم ، يا إخوان هذا الزمان !

ويوصى أحمد أمين بقَصْر دراسة تاريخ الأدب على المعاهد العالية والاكتفاء فى المدارس الثانوية بنصوص مختارة من الأدب الحديث

فمن أين أخذ هذا الكلام وهو الذى اشترك مع لجنة مكونة من أشخاص معروفين فى تأليف كتابين للمدارس الثانوية بُدِئ فيهما بالأدب الجاهلى والأدب الأموى ، وهما عصران أعلن عليهما الحرب فى هذه الأيام ؟

أخذ هذا الكلام من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » ص ٤٢ و ٤٣

« إن درس تاريخ الأدب بدعةٌ نقلناها نقلاً عن أوربا ، وهى مقبولة هناك ؛ لأن الأدب الأوربى يكثر فيه القصَص والتمثيل ، وهى موضوعات ألِفها التلاميذ ، لأنهم منذ الطفولة عرفوا القصَص وعرفوا التمثيل ، فلا يصعب عليهم أن يفهموا الفرق بين فنٍّ وفن ، وعصر وعصر ، وأسلوب وأسلوب . أما فى مصر فالأدب فى جملته يتحدث عن شئون جِدية لم يعرفها الشبان من قبل ، فمن العسير أن يدركوا كيف تطوَّر واستحال من جيل إلى جيل ... إن تاريخ الأدب لا ينبغى أن يدرس إلا فى المعاهد العالية ، أما المدارس الثانوية فيدرس فيها الأدب الصِّرف ، مع العناية بشرح النصوص والبحث عن مواطن الجمال فى النثر الجيد والشعر البليغ ... درس تاريخ الأدب فى المدارس الثانوية جهدٌ ضائع ، وسنصبر عليه إلى أن تسوق المقادير رجلاً حاذقاً من بين الذين عرفوا عقلية التلاميذ ، وما أظن أننا سنصبر طويلاً ، لأن العناية بإصلاح التعليم تزداد من يوم إلى يوم ، وإلى أن تحذف تلك المادة الفضولية نوصى أساتذة اللغة العربيــة بأن يتخيروا للمطالعة والمحفوظات نصوصاً لا تخرج عن الأدب الحديث ، لأنه أقرب العصور إلى أذهان التلاميذ ، وقربُه من أذهانهم يساعد المعلمين على بيان ما يتصل به من الملابسات الخلقية والاجتماعية ، ويمكِّن التلاميذ من فهم ما فيه من أسرار البيان »

ورسالة « اللغة والدين والتقاليد » نشرت فى سنة ١٩٣٦ ، والفكرة قديمة عند صاحب هذه الرسالة فهى مُثْبتةٌ فى كتاب « ذكريات باريس » الذى طبع فى سنة ١٩٣١

وأحمد أمين يعرف أن الجندى المجهول الذى اسمه زكى مبارك هو الذى غير منهج دروس الأدب فى مدارس وزارة المعارف من حال إلى حال ، فقد كانت تبتدئ بالعصر الجاهلى فصارت تبتدئ بالعصر الحديث . ومن السهل أن نستخرج المذكرات التى قدمتها للوزارة فى هذه القضية ليعرف أحمد أمين هُوِيّة الرجل الذى وَأَدَ كتاب « المجمل » وكتاب « المفصَّل » عليهما رحمة الله ، وعلى مؤلفيهما السلام ، وهى تحية تصل أصداؤها إليه وإلى على الجارم وأحمد ضيف وعبد العزيز البشرى وطه حسين

وسيأتى يوم أفصِّل فيه ما أديت من الخدمات لتوجيه الحياة العلمية بوزارة المعارف ؛ تلك الخدمات التى انتفع بها أحمد أمين وغير أحمد أمين ، ثم مضت بلا شكر ولا جزاء غير السرقة والانتهاب !

إن الفخر بغيض ممقوت ، وقد عابه علىَّ الأصدقاء قبل الأعداء ؛ ولكن ماذا أصنع وأنا أشهد آرائى تُنتهب بلا تحرُّز ولا ترفق ، وبها يرد على خصومى حين يشتجر القتال ، وكأنها مما ابتكرت أفكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق !

ويقول أحمد أمين وطه حسين : إن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتواجه الحياة عن هدى وبصيرة

فهل أستطيع أن أقول إن هـذه الآراء منهوبة من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » (ص ٤٦ و ٤٧)

« فإذا انتقلنا من الأدب وتاريخ الأدب فى المدارس الثانوية والعالية تلفتنا نبحث عن الأديب الخلوق لدرس الحياة ، ونحن نرجو أن يكون فى أساتذة الأدب من يخرج على الذوق المتكلف والوقار المصنوع ، نرجو أن يكون عندنا أساتذة يزورون تلاميذهم فى بيوتهم ، ويرافقونهم فى الحفلات والسهرات ، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما فى حياة الشعب من بؤس وشقاء . . . نريد أساتذة يربون تلاميذهم على مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا فى المستقبل من حملة الأقلام النُّورانية التى تبدد غياهب الجهل والخمول ... نريد أدباً يبعث فى الشعب روح التمرد على الفقر والمسكنة والذل ، ويروضه على الطمع الشريف فى الغنى والكسب والعزة والكبرياء ... نريد أدباً يطمعنا فى استرجاع ما ضاع من مجد مصر والنيل ... نريد أدباً يرفعنا إلى صفوف الجوارح ، نريد أدباً يعلمنا فضل المخلب والناب ، نريد أدباً نسيطر به على الدنيا غير باغين ولا عادين »

* * *

أما بعد فقد أنهيتُ القول فى محاسبة الأستاذ أحمد أمين بعد أن أرّقت جفونه خمسة أشهر كانت عنده كألف سنة مما تعدون ، وأنا أشكر لمجلة «الرسالة» وقرائها ما لقيت من تشجيع وترحيب

انتهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث ، أما أحمد أمين الصديق فله فى قلبي أكرم منزلة وأرفع مكان ، ولن يراني إلا حيث يحب فى حدود المنطق والعقل ، فما أرضى له أن يكون من الساخرين بالأدب العربي وماضي الأمة العربية

وسأبدأه بالتحية حيث تقفته . فلا يزوِ عني وجهاً أراه أهلاً للكرامة والحب

وسلام عليه من الصديق الذى لا يغدر ولا يخون

« تم البحث » زكي مبارك

تقدم محلات شيكوريل

لحضرات زبائنها الكرام مزيد التهانى بحلول عيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بخير وسعادة

من كتاب « الدين الإسلامى »

من هو المسلم ؟

للأستاذ على الطنطاوى

دينناً علم واعتقاد وعمل

فالمسلم من (علم) أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل بالشريعة الخالدة التى تصلح لكل زمان ومكان، والتى تكفل لمتبعها سعادة الدنيا والآخرة، وجعلها رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، وأنزل عليه الكتابَ الذى ما فرط فيه من شىء ، القرآنَ كلامَ الله القديم ، وختم بالإسلام الرسالات فلا نبى بعد محمد خاتم النبيّين

و (علم) أن دعامة الإسلام وأساسه ، ومصباحه ونبراسه، كتاب الله وسنّة نبيّه ، فما جاء فى القرآن أو صحّ أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله فهو من الدين ، وما عدا ذلك من بدع ابتدعها فى الدين قوم ، أو زيادات زادها أقوام ليست فى القرآن ولم ترد فى الحديث الصحيح ولا تقاس عليهما ولم يجمع عليها أئمة المسلمين فليست من الدين ولو قال بها أهل الأرض

و (علم) أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها ، لأنه دين وشريعة وسياسة وأخلاق ، فهو يبيّن صلة العبد بربه ، ويضع القوانين لصلات الناس بعضهم ببعض ، ويبنى قواعد العلاقات السياسية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ، والإسلام يرافق المسلم إذا غدا أو راح أو طلع أو نزل لا يفارقه لحظة ولا خطوة . وليس فى الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبيّن فيه حكم الله ، فإما أن يكون مباحاً لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون مندوباً يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون واجباً يثاب فاعله ويعاقب تاركه ، وإما أن يكون مكروهاً يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، وإما أن يكون حراماً يثاب تاركه ويعاقب فاعله . وهذه الأحكام الخمسة (الفرض والمندوب والمباح والمكروه والحرام) هى التى تحدد مكان كل عمل من الدين ولا يخلو عمل من واحد منها . فالمسلم لا يقول أبداً (هذا الأمر خارج عن نطاق الدين لا دخل له فيه) كما أنه لا يقول (إن الإسلام يجب أن ينفصل عن السياسة) لأن السياسة جزء من أجزاء

الدين ، و (براءة) وكلها سياسة ، سورة من القرآن لا يمكن أن تنفصل عنه

والمسلم من (علم) أن الشريعة الإسلامية أغنى الشرائع ؛ وأنها أثمن وأجمع وأحكم من القانون الروماني الذي اقتبست منه كل قوانين أوربة، وأنه يجب أن تكون قوانيننا المدنية والجزائية والمالية والإدارية والدستورية مستنبطة من شريعتنا ، مقتبسة من ديننا

و (علم) أن من أنكر آية من القرآن ، أو حديثاً متواتراً فقد خرج من الإسلام

و (علم) أن الاجتهاد في استنباط الفروع أمر مستحسن شرعاً ، يؤجر عليه صاحبه ولو أخطأ فيه مكافأة له على بذله الجهد واستفراغه الطاقة ، فإذا أصاب كان له فوق ذلك أجر آخر هو أجر الإصابة ؛ وأن الاجتهاد في أصول الدين ممنوع لأنها منصوص عليها ولا مساغ للاجتهاد مع ورود النص ، وأنه لا يضر الناس اختلافهم في الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء في ذلك الحنفي منهم والشافعي والمالكي والحنبلي . بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة ، ولكن يضرّ الناس اختلافهم في أصول الدين من العقائد ونحوها ، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال . لأن الحق لا يتعدد ، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرن الأول خير القرون

و (علم) أن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يعتقد ما يخالف الكتاب والسنة ، ولم يستحل محرّماً ولم يحرم حلالاً ، فهو مسلم تنطبق عليه أحكام المسلمين وتجمعنا به أخوة الدين ، ولا يجوز تكفير مسلم إلا إذا أنكر أصلاً من الأصول ، أو أتى ما أجمع الأئمة على أنه مكفر

و (علم) أن الإسلام لا يعارض العلم الصحيح ، ولا الفن النافع ، ولا الحضارة الخيّرة ، وأنه دين سهل رحب مرن ، ليس بالدين الضيق الجامد الحرج

والمسلم من (اعتقد) بأن لهذا الكون إلهاً واحداً قديماً باقياً ، سميعاً بصيراً ، متصفاً بصفات الكمال ، منزهاً عن صفات النقصان، وأنه هو خالق كل شيء وإليه المصير، ويخلص له العبادة ويراقبه دائماً ويعلم أنه مطلع عليه ، وأنه هو وحده النافع الضار ، وبيده الخير وهو على كل شيء قدير . فلا يدعو معه غيره ، ولا يسأل سواه حاجة من الحاجات التي لا يقدر البشر على مثلها ولا يستعين إلا به ، ولا يخاف حق الخوف إلا منه ، ولا يسخطه ليرضى الناس ، ولا يبالي إذا رضي عنه بسخط أحد

و (اعتقد) أن الله خلق أنواعاً من المخلوقات ، منها ما خلقه من مادة كثيفة كالناس والحيوان والكواكب ، ومنها ما خلقه من مادة نورانية كالملائكة وهم خلق كثير من خلق الله لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون

ومن مخلوقاته الجن ، وهم خلق يروننا ولا نراهم، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، ومنها الشياطين وهم أهل الشر ليس فيهم صالح

و (اعتقد) أن الله رحمة منه بالناس ، اختار منهم رجالاً عصمهم من الكبائر ، ونزههم عن النقائص ، ثم بعث إليهم(جبريل) وهو واحد من الملائكة ، فأبلغهم رسالة الله ، وعلمهم ما يسعدهم في دنياهم وينجيهم في آخرتهم، وكلفهم إبلاغ هذه الرسالة أقوامهم، وهؤلاء هم الرسل وأولهم آدم وآخرهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين

ولو شاء الله لأنزل كتاباً واحداً ، وجعل الناس أمة واحدة ، ولكن اقتضت حكمته أن يكون التكامل في الرسالة تدريجياً ، كالتكامل في الحضارة والرقي ، فكل رسالة تعدل التي قبلها وتكملها ، حتى جاءت رسالة محمد ، في نهاية الكمال ، لا يحتاج بعدها إلى شيء لسببين ، أولها أن طبيعة الرسالة المحمدية طبيعة مرنة قابلة للتطور في أحكامها الفرعية تبعاً لتطور العصور ، فهي لذلك تبدو في كل عصر جديدة ، ويتكشف منها جوانب ومعان لم تكن معروفة ، حتى كأنما أنزلت لذلك العصر ؛ والسبب الثاني طبيعة الحياة البشرية وميلها نحو الوحدة ، منذ فجر الإسلام حتى اليوم ، إذ أصبح الناس من حيث الاتصال كأنهم أبناء أسرة واحدة ، تقال الكلمة في آخر الشرق فتسمع في آخر الغرب ، وسهل تبليغ الرسالة ، ولم تعد حاجة لتعدد الرسل بتعدد الأقوام

و (اعتقد) أن الوحي معناه نزول الملك على الرسول ، وهو غير الإلهام الروحاني[1] الذي يحس به الشعراء والكتاب ، وأن الوحي ليس كسبياً وإنما هو عطاء من الله لا ينال بالتحصيل ، ولا يوصل إليه بالبحث والعلم والتفكير ، لذلك لا يقال إن النبي مصلح عظيم، ولا شاعر ولا فيلسوف، لأن ذلك كله يختلف عن

(١) جاء في الصفحة (٦٢) من كتاب التاريخ المقرر رسمياً في مدارس العراق تأليف درويش المقدادي أن الوحي معناه الالهام الروحاني

النبوة ، وينحط عن مرتبتها انحطاطاً كبيراً ، ويخالف العقيدة الإسلامية

و (اعتقد) أن الله أنزل على أربعة من رسله كتباً ، فأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والقرآن على محمد صلى الله على الجميع ، فبدل كل قوم كتابهم وحرّفوه وبقى القرآن كما أنزل ، لأن الله ضمن حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

و (اعتقد) أن الله سيجمع الناس كلهم فى يوم القيامة ، فيعيد الحياة لمن مات ، ويرد عليه الروح ولو فنى وصار تراباً ، ولو أحرق جسده وصار رماداً ، ولو أكلته الوحوش أو تخطفته الطير ، ثم يحاسبهم جميعاً على ما عملوا فى الدنيا ، فيكافىء المحسنين فيخلدهم فى الجنة ، ويعاقب المسيئين فيدخلهم النار

وأنه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وأن من تاب قبل أن يموت محى ذنبه حتى كأنه لم يذنب ، بشرط أن تكون التوبة مقرونة بترك الذنب ، والعزم على عدم العودة إليه ، والندم على الماضى ، وهذه هى التوبة الصادقة التى تمحو الذنب ، فإن عاد بعدها إلى الذنب ، ثم تاب منه توبة صادقة غفرله ، ولو كثرت ذنوبه حتى صارت مثل زبد البحر (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)

أما من تاب من ذنب وهو لا يزال مقيماً عليه ، أو يفكر فى أن يعود إليه ، فهذا كالمستهزىء به والعياذ بالله

و (اعتقد) أن كل شىء بقدر الله ، وأن الله قسم للعبد سعادته وشقاءه ، ورزقه وعمره فما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، ولو بقى فى عمرك يوم واحد لا يقتلك أهل الأرض ولو اجتمعوا عليك ، وإذا جاء أجلك أدركك الموت ولو كنت فى برج مشيد ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ، ولا رادّ لما قضى الله ، ولا دافع لمشيئته

***

والمسلم بعد ذلك ، من يقر ويشهد بلسانه أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيم الصلاة ويؤديها على وجهها فى أوقاتها محافظاً على فروضها وسننها ، خاشعاً لله فيها ، ويصوم رمضان إيماناً واحتساباً ، ويؤدى زكاة ماله طيباً بها قلبه ، ويحج البيت إن استطاع

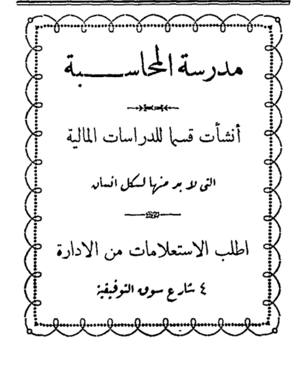
ثم إنه لا يكذب ولا يغتاب ولا يشى ولا يؤذى أحداً ولا يظلمه ، ويكون عفيف العين واليد والفرج ، ساعياً إلى مكارم الأخلاق ، آخذاً الحكمة من حيث وجدها ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، مبتعداً عن الفحشاء والمنكر ، يعاون على البر والتقوى ، ولا يعاون على الإثم والعدوان ، ينكر المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، ويؤدى حقوق المسلمين فيساعد ضعيفهم ، ويمد فقيرهم ، ويعود مريضهم ، ويغض بصره عن نسائهم ، ويحفظ لهم أعراضهم ، ويعد كل شيخ فى المسلمين أباً له ، وكل شاب أخاً ، وكل صبى ولداً ، وكل فتاة بنتاً ، وكل امرأة أختاً ، ثم إنه يجتنب الخمر ، ويدع الربا ، ويخاف الشُّبَه كيلا تقوده إلى المحرمات ، ولا يحوم حول الحمى حتى لا يقع فيه

ويريد بذلك وجه الله ، مبتعداً عن حظ النفس ما استطاع الابتعاد ، عالماً أنه بشر فيه غرائز لا يملك الانفكاك عنها ، ولا يؤاخذه الله إلا بما ملك

***

هذا هو المسلم الحق . . . فاللهم اجعلنا مسلمين حقا !

علي الطنطاوي



الفــــروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

إن ما أعنيه بالفروق السيكلوجية هى تلك الفروق العقلية والخلقية والمزاجية والجسمية الموجودة بين الأفراد . ومن السهل على المفكر العادى أن يدرك مظاهر تلك الفروق فى تصرفات الأفراد وفى إنتاجهم الاجتماعى والعلمى . وليس موضوع اختلاف الأفراد السيكلوجى حديثاً فى ذاته ، فقد تناوله العلماء والفلاسفة بالبحث منذ قرون . ولكنه حديث بالنسبة لبحثه بالطرق العلمية والإحصائية ، وتحديد تلك الفروق وتبويبها ، ومعرفة أسبابها ، وعزو ما هو وراثى منها للوراثة ، وما هو بيئى للبيئة . وهذا النوع من البحث العلمى فى الفروق السيكلوجية ظهر واحتل مكاناً بين فروع علم النفس فى الربع الأخير من القرن الماضى وذلك بنمو علم النفس التجريبى . وهو يعرف الآن بعلم النفس الفردى Individual Psychology

وأقدم من عالج هذا الموضوع أفلاطون فى جمهوريته ، فإنه حين وضع نظام المدينة الفاضلة بناء على أساس الاختلاف السيكلوجى بين أفراد الجماعة الواحدة . وكان يرى أن « العدل الاجتماعى » يقضى بأن يقوم الفرد بالعمل الذى أعد له بطبيعته ، والذى تقوى على تحمله وتسويته طاقته العقلية ، واستعداده الجسمى . وكانت نتيجة هذا المبدأ أن قسم أفلاطون سكان مدينته إلى طبقات ثلاث ، فجعل فيها طبقة الزراع والصناع والتجار ، وهؤلاء بطبيعتهم غير صالحين لأن يكونوا ضمن الطبقة الثانية طبقة الجنود الدافعين عن المدينة من الخارج والمحافظين على نظامها فى الداخل . وفوق هاتين الطبقتين طبقة ثالثة قد وهبت من المزايا العقلية والخلقية ما لم توهب الطبقتان الأخريان وهذه هى طبقة الفلاسفة والحكام الذين لهم حق الإشراف على الإدارة والقضاء والتشريع . وقد أشار أفلاطون فى الجمهورية إلى أن هذه الطبقة الأخيرة طبقة ممتازة بالفطرة . وأهم مميزاتها التفكير المنطقى المنوى ، والإدراك الفلسفى لحقائق الأشياء . ومن الغريب أن هذه الميزة التى يراها أفلاطون ضرورية لطبقة الفلاسفة هى التى يسميها بعض علماء النفس الحديثين الذكاء Capacity for thinking in abstract terms

وضع أفلاطون منهجاً لتربية هذه الطبقات الثلاث ، ورأى أنه من العبث أن يضيع المجهود فى تربية طبقة الزراع والصناع ، لأن هذه الطبقة ليست بفطرتها مستعدة للنمو الثقافى والترقى الفكرى .

وإذاً فمن صالح هذه الطبقة - وصالح الجماعة أيضاً - أن تنصرف إلى نوع العمل المستعدة له ، يعنى الزراعة[1] والصناعة؛ أما الطبقتان الأخريان فقد رأى العناية بتربيتهما من سن السابعة إلى سن العشرين .

وحينما يصل الشبان إلى هـذه السن تكون قد ظهرت مواهبهم وقدراتهم للمشرفين على تربيتهم ، فيختارون من بينهم النابغين منهم عقلياً وتفكيرياً ليواصلوا دراساتهم الثقافية وتستمر دراسات هؤلاء المختارين مدة عشر سنوات يعالجون فيها من الموضوعات كل ما ينمى فيهم القدرة على التعليل المنوى Abstrad reasoning . وفى نهاية عشر السنوات يُختار الصالح من هذه الطبقة ليكون مشرفاً إدارياً ، بينما يستمر الأصلحون منهم خمس سنوات أخرى فى دراسة الجدل والحوار المنطقى ، وبذلك يكونون قد أُعِدُّوا لتحمل التبعة الكبرى ، تبعة الحكم الرئيسى

ويمثل رأى أفلاطون الذى شرحناه هذا مذهب الوراثيين الذين يبالغون فى أهمية الوراثة كعامل مرجح فى تكوين الصفات العقلية والخلقية والجسمية للفرد ، ويعزون للوراثة وحدها الفروق السيكلوجية بين الأفراد

ولسنا هنا فى مقام انتقاد هذا الرأى الأفلاطونى من الناحية

(١) كان أفلاطون يرى أن هذا النوع من المهن لا يحتاج إلى ذكاء أو استعداد عقلى سام

العلمية والسيكلوجية الحديثة ، ولا فى مقام شرح نقط الضعف فى نظام الطبقات وتربيتها ، تلك التربية التي أهملت عدداً كبيراً من المواهب الفردية والعناصر النافعة ضائعةً فى طبقة الصناع والتجار والزراع وفى طبقة الجنود . ولكنه ضرورى من الناحية التاريخية أن نشير إلى أن أفلاطون حاول أن تكون مراحل التربية وغاياتها فى المدينة الفاضلة مبنية على أساس أن هناك فروقاً عقلية وجسدية بين أفرادها . ويقابل هذا فى التربية الحديثة أن تكون المناهج الدراسية مختلفة باختلاف قوى التلاميذ العقلية واستعدادهم الطبيعى وميولهم الفطرية ، وأن يكون التعليم المدرسى فردياً أكثر منه جمعياً

اتبع أرسطو مذهب أستاذه أفلاطون فى قبول مبدأ الفروق السيكلوجية الفردية ، ولكنه اختلف عنه فى أن أهم هذه الفروق هى الفروق الجنسية .

فالمرأة عنده تختلف بطبيعتها عن الرجل من حيث استعدادها العقلى والجسمى والمزاجى والخلقى . ولذلك رأى أن يختلف نوع التربية التى تتلقاها عن تربية الرجل ، وأن تكون الغاية من تربيتها مختلفة عن الغاية من تربية الرجل . فلم يقرّ ما ذهب إليه أفلاطون من أن الطبيعة جعلت المرأة مساوية للرجل وهيأتها للمشاركة فى الجندية والسياسة . وزاد على ذلك أرسطو فحاول أن يحدد النمو البشرى العقلى والجسمى وطبيعته ، والعوامل التى تحدث الفروق السيكلوجية فى مراحل هذا النمو . وهو يرى أن التربية ليست آلة يستطيع بها المربّى أن يصوغ المربَّى كما يشاء ، وأن يضعه فى القالب الذى يريد ، ولكن التربية وسيلة للتوجيه فقط ، توجيه القوى الكامنة والاستعدادات السيكلوجية الفطرية فى الأفراد توجيهاً إلى الناحية الصالحة ، وتوجيهاً عن الناحية الفاسدة .

وهو يرجع الفروق السيكلوجية بين الأفراد عامة إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

(١) الطبيعة البشرية (٢) العادة والتمرين (٣) التعقل . أما الطبيعة فهى وراثية توجد فى الطفل منذ الولادة وهى كامنة فى الفرد فى جميع أطوار نموه . وأما العادة فهى أثر من آثار البيئة وهى التى تحدد اتجاه النمو الطبيعى والتطور الفردى .

وأما التعقل فهو الذى يتدخل فى قوانين العادة فيهذب منها ، ويبطل هذا ويحبذ ذلك

ويدلنا مذهب أرسطو هذا على اعتداله ، وأنه يأخذ بمبدأ تأثير كل من الوراثة والبيئة فى إيجاد الفروق الفردية السيكلوجية . غير أنه يقول بأن فرداً لا يمكن تغييره وتحويره بحيث يعدو حدود طبيعته ، لأن أى مؤثر تربيوى إنما يحدث أثره فى الفرد ضمن قوى الفرد الطبيعية .

ويقرر أن الأفراد الذين يعوزهم الذكاء العقلى يعيشون طول حياتهم متخلفين عن غيرهم ممن منحوا هذا الذكاء مهما سلطت على الأولين من عوامل تربيوية قوية . وثمت نوع غير هذين النوعين من الأفراد وهم النابغون ، وهم قلائل ولا يحتاجون لاستغلال نبوغهم إلا إلى قدر يسير من الدربة والتربية بالنسبة لغيرهم .

ونستنبط من مذهب أرسطو هذا أن الفرد بطبيعته مزود بقوى حسية وإدراكية محدودة ، وأن التربية (العادة فى نظره) هى التى تنمى هذه القوى وتعمل على أن تصل بها إلى مرحلة الكمال الممكن .

ولما كانت هذه القوى مختلفة عند الأفراد ، وكان أثر التربية فى كل فرد مختلفاً أيضاً كانت النتيجة أن الأفراد مختلفون فى تصرفاتهم وسلوكهم وإنتاجهم . وهذا ما يسميه علماء النفس الحديثون بالفروق الفردية السيكلوجية

كان اسكوراطس Iscorates الخطيب اليونانى القدير معنياً بتعليم الخطباء وتمرينهم وتنشئتهم . وقد أدرك هو أيضاً كمعلم الفروق السيكلوجية بين من قام بإعدادهم من الطلبة لمهنة الخطابة واللسن .

وهو يقول فى هذا الصدد « لقد أشرفت على إعداد معلمى الخطابة ومعلمى الألعاب البدنية Gymmestics كما لاحظتهم

أثناء قيامهم بالتدريس ووصلت إلى نتيجة اقتنعت بها . وهى أنهم فى مكنتهم أن يتقدموا بتلاميذهم ، وأن يرتقوا بهم إلى درجة يصيرون فيها أقدر على استعمال أجسامهم وعقولهم من ذى قبل . ومهما يكن من الأمر فإنه ليس فى استطاعة معلمى الخطابة ، ولا معلمى الألعاب البدنية أن يخلقوا خطباء من أى أفراد يشاءون. ثم إن مجهود هؤلاء المعلمين ينتج إلى حد ما نتيجة نسبية ، ولكنه لا يمكن أن ينتج هذا المجهود أقصى ما يمكن إلا إذا صادف من التلاميذ من جمع بين فضيلتين : الذكاء وقبول التدريب »

وإذا نظرنا إلى الذكاء وجدنا أنه عامل وراثى ، أما التدريب فهو عامل بيئى ، وإذاً فقد قال أسكوراطس بأثر عاملى البيئة والوراثة معاً

هكذا كان مذهب أسكوراطس الأثينى فى الوقت الذى كان فيه التفكير اليونانى ينظر إلى الفرد من جميع نواحيه السيكلوجية: الناحية الجسمية ، والناحية العقلية ، والناحية الخلقية ، والناحية الذوقية ، وكان مجموع هذه النواحى يكوّن عند الرأى اليونانى ما يسمى بالشخصية ، وكلما وجد تناسق وتناسب وانسجام بين هذه النواحى وبين أطوار نموها كانت الشخصية أقرب إلى الكمال

وينحو علم النفس الحديث هذا المنحى الأثينى ، مع اختلاف فى طريقة البحث والقياس . فللأفراد شخصيات مختلفة، واختلاف الشخصيات هذا معناه الفروق الفردية السيكلوجية ، والشخصية وفقاً لعلم النفس الحديث يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة : العنصر العقلى والعنصر الخلقى والعنصر الذوقى والعنصر الجسمى

(للبحث بقية)

عبد العزيز عبد المجيد
رئيس شعبة اللغة العربية
بمعاهد بخت الرضا التجريبية بالسودان

الثقافة العسكرية
وأناشيد الجيش
للأستاذ عبد اللطيف النشار

يا بعد ما بين القوة وبين التبجح !

وهل تمده قوياً ذلك الشكس الشرس الذي يخشى أن يوصم بالضعف فهو لا ينفك يهاجى ويباهى ؟ !

يا بعد ما بين الشجاعة وبين ذلك المذر هذر الهاتر الخائف الواجف فهو لا يزال يتهدد ويتوعد حتى لا يقال إنه أذعن أو يوشك أن يذعن

كثر في هذه الأيام شعر الأناشيد العسكرية وقلما خلت أنشودة من ذكر الدم والفداء والاستشهاد والتضحية . فهل هذا الشعر قد وضع للإزعاج والتخويف، أو لبث الروح العسكرية القوية، تلك المتعلقة بالحياة التي تترنم بالحب والجمال وتفيض بالشوق والحنين

دعت قيادة الجيش المرابط ووزارة الدفاع ووزارة الشئون الاجتماعية سادتنا الشعراء إلى وضع ألحان حماسية ليأخذوا بنصيب في نشر الثقافة العسكرية . وكان شرفاً عظيماً أن تتجه هذه الهيئات السامية إلى فريق مثقف من الأمة فتدعوه إلى هذه المشاركة . ولكن شعراءنا كانوا أحوج إلى الثقافة العسكرية من جنود الجيش المرابط فخالوا أنه ما دامت الدعوة من هيئات حربية ولغرض عسكري ومن أجل الجنود فلا أقل من أن يكون الشعر عروقاً تتفجر وأشلاء تتبعثر وسلاحاً يتكسر !

كلا أيها السادة الشعراء، هذا أدل على الخوف منه على الشجاعة، وهذا النوع من الحماسة لا يشابهه إلا نوع آخر في الحب جعلتم فيه علامة العشق البكاء والانتحاب والتمرغ على الأبواب وذكر الدموع والأرق والسهاد . ولا حب في هذه الذلة ولا قوة في ذلك التبجح

أدب القوة ! ؟

نعم ونعيم عين وحباً وكرامة

ولكن ما هي القوة ؟

شعر الحرب ! ؟

نعم ونعيم عين وحباً وكرامة

ولكن ما هو الحرب ؟ !

ليست الحروب جديدة في التاريخ العربي، ولا شعر الحماسة جديداً في لغتنا الفاتحة الظافرة فكونوا مجتهدين ولكم إمام، أو كونوا مبتكرين على شريطة الصدق في الإلهام ؟

إن للجنود أناشيد في كل اللغات ولكن أناشيدهم حافلة بالحنين وبالشوق وبالتمدح بالأهل والوطن وبالغزل الرقيق، فهذا هو الشعر الذي يثقف الجنود ثقافة عسكرية . أما الألفاظ الدامية فلا يهديها الشعراء إلى الجنود كما لا يهدى التمر إلى هجر كما جاء في المثل .

« يا شباب النيل يا عماد الجيل »

مطلع جميل! ولكن ماذا يقال لشباب النيل وعماد الجيل ؟

يقال إن أجمل امرأة لأقوى فارس . هكذا قيل في الشعر الحماسي وهكذا ينبغي أن يقال . أما كونوا الفداء، وأريقوا الدماء، ولا تهنوا في الدفاع عن اللواء، فهذا ما يعلمه شباب الجيل للشعراء لا ما يتعلمونه من الشعراء، وقد يكون الشعراء من عماد الجيل ومن شباب النيل ولكنهم عند ذلك لا يقولون بل يفعلون

وبعد فقد كان للنبي (ص) شعراء وكانوا يضمنون الشعر الحماسي لفاتحي الفتوح وغالبي الغالبين وقاهري القاهرين فماذا قال شعراء النبي ؟ قال حسان :

إن كنت فاعلة الذى أوعدتنى فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الأحبة لا يدافع عنهم ونجا برأس طمرة ولجام

فبهذه السخرية ظفر بفارس قائد فأحرجه فعاد إلى الجيش فاستشهد في الموقعة التالية

بهذه السخرية لا بالألفاظ الجوفاء حمل القائد الذي كان قد فر إلى أن يعود للرسول فيقول :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل مفرداً أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
ففررت منهم والأحبة فيهمو طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

ولو أن حساناً قال ياشباب النيل ياعماد الجيل لتغير وجه التاريخ!

يا أساتذتى الشعراء، لا أستخف بالأناشيد التي تذاع إلا لأنى أثق باستطاعتكم وضع أناشيد جدية لو اطلعتم على الأناشيد الحماسية في اللغات الأخرى أو رجعتم إلى الشعر الحماسي في لغتكم أو رجعتم إلى خيالكم الصادق ولباقتكم فعرفتم كيف ينبغي أن يقال للجندي

وكيف ينبغي أن يقول الجندي ، وما ذا يخطر بباله وبماذا يشعر أيحارب لأنه يريد أن يموت حباً في الموت فيقال له الفداء والدماء، أو يحارب لأنه يحب الحياة الكريمة؟ فإن يكن الموت ولابد « فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » أيحارب حباً في سفك الدماء أم ضناً بسلام بلده أن يعتدى عليه ؛ فإن لم يكن بد من رد السهم إلى راميه فان

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت أصابني سهمي

أيحارب لأنه مل الحياة أم لأنه يرجو أن ينتصر فيسعد في الحياة؟ زينوا ثمر النصر ولا تذكروا ثمنه «فمن خطب الحسناء لم يغله المهر » واذكروا ذلك الشعر الحماسي العربي الذي عماده الغزل ، وذلك الشعر الحماسي الأوربي الذي عماده الخيال الصادق في تصوير نجوى النفس

هذا فيما يتعلق بالأناشيد وهي أدنى ما يراد منكم، فالعسكريون أقل حاجة إلى حماستكم من المدنيين إلى حسن تصويركم؛ فضعوا للمدنيين القصائد المسهبة في وصف الحياة الدليا التي تتخيلونها والتي من أجلها نحمل ضرورات الحرب إن وقعت . صفوا الترف والنعيم

كان حسان شاعر النبي يقول :

نشربها صرفاً وممزوجة ثم نغني في بيوت الرخام

فهذا النعيم الذي يصفه هو الذي من أجله يدعو إلى الحرب فيطاع

وما آمركم بشيء أنا عنه بنجوة . أبدأ بنفسي . ولما كنت أومن بأن احتذاء المثل من أقوى أركان الفنون فسأبدأ بترجمة بعض الأناشيد الحربية التي كسبت بها مواقع ، وباختيار أناشيد حربية عربية كسبت بها مواقع ، ثم أعرض نماذج من شعري الذي أدعو إليه . وإلى الملتقى على صحائف الرسالة

عبد اللطيف النشار
جندي متطوع في الجيش المرابط

أنت عزائي ... !

للآنسة جميلة العلايلي

أيها الحاكم بغير لسان، والآمر بغير بيان، والمتحدث ليل نهار!

أيها النذر الصارم ، والعطوف الراحم ، والمرشد في الحياة كشعاع علوي يهدي الحائر والضال !

أيها الملاك النائم على عرش من عروش الطهر والبهاء !

أيها الهزار الفرد فوق أفنان من حديقة السعادة والهناء !

أيتها النسمة الصافية التي تهب عن الأرواح فتبعث فيها نشوة الأمل! أيتها الزهرة الندية التي تنفح عطراً يسكر الأرواح كأنه خمر الهناءة يشربها الثمل !

يا ملاكي المعبود، يا هزاري المنشود، يا نسمتي المنعشة، يا زهرتي المزركشة ، يا حياتي ورجائي ، يا سعادتي وهنائي ، أنت عزائي !

أنت أليفي الحبيب، يلازمني في مسيري ويسايرني في وحدتي.

أنت سميري الأمين الذي يحبوني العطف والرعاية في ثورتي وهدأتي!

أنت عزائي الذي ينير لي الحياة كلما نشر الظلام ستاره على العالم فلا أضل السبيل . أنت المرفأ الأمين الذي ترسو عنده السفينة بعد أن تتخبط في ظلمات الموج وقد فقدت الربان والدليل

أنت المزنة الهاطلة تتنزل على الأرض القاحلة فتكسوها بيساط البهر والجمال . أنت الروح الهفهافة تسكب دماء الحياة في قلب الزمن فيكيف الكون بالحسن والجلال

يا جنتي وحياتي ، يا قبلتي وصلاتي ، يا أملي الحبيب ، يا رجائي القريب ، يا سعادتي وضيائي ، يا حلمي وغنائي ، أنت عزائي !

أيتها الشمس المشرقة في بهرة العمر وروعة النهار !

أيتها النفحة السارية تطبع على فم هذا الكون قبلة الأقمار !

أيتها النسمة الملائكية تهب على الأرض فيطفر الروض وتهزج الأزهار !

أيتها النغمة الخالدة التي تحيي الأمل وتوحي الفن والأشعار

يا شمسي العالية ... يا نفحتي السارية ... يا نسمتي الصافية ... يا نفحتي الصادية ... يا مناط حنيني ... يا باعث أنيني ... أنت عزائي ... يا قلب ...

(المنصورة) **جميلة العلايلي**

في الأدب الانجليزي الحديث

د . ه . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٥ - الرجل كابن ومحب

بدأ لورنس حياته الأدبية الصحيحة بمعالجة مشكلة من مشكلات العصر الحديث ، ألا وهي موقف الرجل كابن وكمحب ، أو موقفه حيال عاطفتين : عاطفة البنوة وعاطفة الحب . وقد سبق أن عالج لورنس هذا الموضوع في أولى رواياته « الطاووس الأبيض » ثم عالجها بشكل أعمق في روايته « الأبناء والمحبون » ولم ينسها في قصصه القصيرة التي من أهمها « بنات القسيس » وأخيراً بحث فيها بتطويل وصراحة في كتابه عن اللاشعور . ولم يصل كاتب انجليزي إلى ما وصل إليه لورنس من العمق والدقة في تحليل العلاقة بين الحبيب وحبيبته وبين الوالدين وأبنائهما أو بناتهما . ولا يجوز أن نعزو معالجة لورنس لموضوع واحد في كتب مختلفة إلى رغبته في التكرار أو إلى نقص في مبينه ، وإنما يجب أن نذكر دواماً أن لورنس كاتب يبشر بدين جديد وبآراء ومعتقدات لم تكن معروفة من قبل . فكان لزاماً عليه أن يعرض الفكرة ويكرر عرضها ويمثل لها بشخصيات متعددة بعد أن يضعها في ظروف مغايرة حتى ترسخ في أذهان قرائه ويؤمنون بها

ويعتقد لورنس أن الطفل يولد وتولد معه غريزته الجنسية ، ولكن لا ينبغي أن تظهر هذه الغريزة أو يبدأ عملها حتى يصل الطفل سناً معينة . وإن من الخير أن تقيم الحد الفاصل بين الولد والبنت في تلك السن المبكرة حتى نضمن عندنا رجولة كاملة وأنوثة مطلقة ، وبدون ذلك لا تقوم للمجتمع قائمة . ويحدد لورنس الرجولة الكاملة بأنها هي التي تحدو صاحبها إلى تحقيق غرض سام في الحياة ، غرض يرمي إلى بناء الكون وتوسيعه . أما الأنوثة الكاملة فهي التي تتطلب من صاحبتها أن تكون كتلة عواطف ، تقودها في كل أعمالها ، دون أن يكون للعقل سلطان عليها ، ويصحب التغيرات الجسمية التي تعتري الولد أو البنت في دور البلوغ تغيرات من نوع آخر ، أهمها تغير العلاقات . فبعد أن ظل الولد أعواماً طويلة لا يفكر إلا في والده أو والدته يبدأ في هذه السن بالتفكير فيمن ستكون شريكة حياته . وبدل أن كانت علاقته قاصرة على إخوته وأخواته يبدأ يفكر في أصدقائه وصديقاته . ويعبر لورنس عن هذه السن بأنها ساعة دخول الغريب ، وإنه من الأفضل أن تترك الغريب يدخل دون أن نحاول عرقلته أو الوقوف في سبيله . ويقصد لورنس من الغريب الحبيب أو الحبيبة . ويرى لورنس أن الوالدين في عصرنا هذا يبذلان قصارى جهدهما للوقوف في سبيل هذا الغريب وعرقلة مساعيه ظناً منهما أن في استطاعتهما احتكار حب الابن حتى لا يدعاه يفكر في أحد سواهما . فضلاً عن ذلك فإن حبهما الفياض لابنهما في تلك السن المبكرة يوقظ فيه غريزة كان يجب أن تكون نائمة في هذا الوقت ألا وهي الغريزة الجنسية ، ويعتبر لورنس ذلك جريمة لا تغتفر يجنيها الوالدان على ابنهما . ثم يجيء دور البلوغ الذي يتطلب من الابن أن يكون حراً طليقاً يحب من يشاء ويصادق من يريد ، فبدل أن يفعل ذلك يرى نفسه يرسف في أغلال حب ثقيل لا يستطيع منه فكاكاً ، وبذلك يحرم من حبه للمرأة، ذلك الحب الذي لا تقوم للمجتمع قائمة بدونه

وكان الواجب على الوالدين أن يقطعا علاقتهما القديمة بولدهما بعد أن يصل إلى سن البلوغ كي يتركا له الفرصة لبدء علاقات جديدة غير علاقات الأبوة أو الأمومة . وليس هناك أخطر من أن يحاول الأب أو الأم أن ينصب من نفسه صديقاً لابنه

والآن لندرس حالة البيئة الحديثة لنرى نتيجة إهمال الوالدين في تربية أبنائهما . فيرى لورنس أن المرأة في عصرنا هذا قد تبوأت مركزاً غير مركزها الذي خلقت من أجله فسيطرت على البيت بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فهي التي تقود الرجل وترشده بعد أن كان راعيها وحاكمها ، وهي لا تنظر إلى جنسها أي إلى العلاقة الجنسية سوى نظرتها إلى وسيلة للسيطرة على الرجل واستغلاله . وهي لا تعتبر الرجل سوى تابعاً لها أو خادمها المطيع ، وتعتبره أحياناً مصدراً لإشباع عواطفها إذا ما عاودتها الرغبة في الرجوع إلى أنوثتها الأولى ، وهذا عكس للأمور ووضعها في غير نصابها ، وإن يكن له نتيجة فستكون هدم كيان المجتمع وتقويض بنائه . ثم زوال المدنية الحديثة واندثارها، تلك المدنية التي نفخر بها دواماً

ويرى لورنس أن الواجب قطع تلك العلاقة القديمة بين الأم

وابنها أو بين البنت وأبيها إذا ما وصلا إلى سن البلوغ . فقبيل هذه السن يجب أن نبعد الولد عن كل سيطرة نسوية ، كسيطرة الأم أو الأخت أو المربية . ويستحسن أن يوضع فى رعاية رجل. وليس هناك أخطر من أن يدلل الأمهات أبناءهن بأن يلبسنهم ملابس البنات أو يعاملنهم معاملتهن، أو يتركنهم يزاولون ألعابهن لأن عاقبة ذلك تكون فقد رجولتهم أو عدم استكمالها . ويجب أن يكون لنا فى الزنوج خير قدوة عند ما نراهم يحتفلون بوصول الولد إلى سن البلوغ ودخوله دوراً جديداً من أدوار حياته ، وهم باحتفالهم به إنما يشعرونه أنه انتقل إلى حياة جديدة لها أهميتها

وأول واجب للوالدين بعد وصول ابنهما إلى هذا الدور هو أن يحيطاه علماً بالغريزة الجنسية ، وليست هـذه المهمة باليسيرة إذ يلزم الأب أو الأم أن يكون حريصاً فى كلامه فى هذا الموضوع كل الحرص ، ويعتقد لورنس أن أسوأ ما يفعله الوالدان هو أن يلجآ إلى المعلومات العلمية يفسران بها لولدهما ما خفى عنه من هذه الغريزة ، لأن أمثال هذه المعلومات كفيلة أن تبغض الولد فى هذه الغريزة مما يترك لديه أسوأ الأثر . كذلك يجب على الأم ألا تصور العلاقة الجنسية لابنتها فى شكل روحى غامض . وإلى القارئ مثلاً من الأمثلة الخاطئـة التى يتبعها بعض الأمهات مع بناتهن :

« والآن يا حبيبتى ، تعرفين أن أباك رجل ، وأنى أحبه ، وسوف يأتى الوقت الذى تقابلين فيه رجلاً تحبينه كما أحب أباك وبعد ذلك سوف تتزوجين منه وتعيشين معـه عيشة سعيدة . ولذلك آمل أن تتزوجى من الرجل الذى سوف تشعرين أن قلبك يخفق نحوه بالحب ... » ثم تقبل ابنتها وتستطرد قائلة : « وبعد زواجك ستحدث لك أشياء كثيرة لا علم لك بها يا حبيبتى ، وستفكرين فى أن يكون لك طفـل جميل ، وكذلك سيفعل زوجك ، لأن ابنك سيكون ابنه أيضاً ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ وسيكون الطفل طفلكما معاً ... أنت تعرفين ذلك تمام المعرفة ، ولكنك لا تعرفين كيف يتم ذلك . سيأتى هذا الطفل من جسمك وسوف يخرج من جسمك كما خرجت أنت من جسمى من قبل ... الخ » ويقاوم لورنس هذه الطريقة التى يتبعها معظم الأمهات فى الإدلاء بالمعلومات الجنسية إلى بناتهن ، ويرى أنها لا تغنى ولا تشبع من جوع . وليست الطريقة العلمية بأحسن منها حالاً . فهى بتشريحها جسم الإنسان إلى جزئياته الصغيرة تشوه جماله وتسيء إلى صاحبه ، وتكون النتيجة أن يشب الولد وهو ينظر إلى هذه العلاقة نظرة خوف واشمئزاز

هذا هو مجمل لرأى لورنس فى العلاقة التى يجب أن تكون بين الوالدين وولدهما وبين الابن ومن سوف تشاركه حياته المستقبلة. والآن فلنحاول تطبيق ما قلنا على إحدى روايات لورنس المهمة ، وهى « الأبناء والمحبون » فهذه الرواية هى ترجمة دقيقة لحياة لورنس ، وحوادثها هى تجاربه الخاصة ، وأشخاصها هم الأشخاص الذين احتك بهم فى الجزء الأول من حياته وكان لهم أكبر الأثر فى حياته المستقبلة . وفيما يلى الخطاب الذى أرفقه لورنس بالرواية بعد أن فرغ منهـا وأرسله إلى إدوارد جارنت أحد الناشرين ، ومن هذا الخطاب نقرأ الرواية باختصار :

«تدور حوادث هذه الرواية حول امرأة من طبقة النبلاء أحبت عاملاً من طبقة الدهماء وتزوجت منه. ولكن كانت الشقة بين ثقافتيهما واسعة فلم تتفق حياتهما فى نقطة واحدة، فانصرفت الزوجة عن زوجها وانصرف هو عنها. وبعد أن أعقبت منه أطفالها استمانت بهم لإشباع رغباتها الغريزية بعد أن فشل فى ذلك زوجها . وكان من جراء حبها الجارف لأطفالها أن شبوا يفيضون حباً لها ويبادلونها عاطفة بعاطفة . ولكن أتى ذلك الوقت الذى وصل فيه الولد إلى سن الرجولة وشعر بالرغبة الملحة فى داخلية نفسه نحو الحب ، حب امرأة غريبة عنه ، ولكن أنى له ذلك وأمه تملك عليه كل مشاعره وتقيده بتلك الأغلال التى لا يستطيع لها كسراً ؟ ورغم ذلك فقد حاول الاتصال بامرأة ، فشعر بالانقسام داخل جسمه لأن قلبه كان نهباً بين حبين ، حبه لأمه وهو حب قوى جارف ، وحبه للمرأة الأخرى ، ذلك الحب الذى لا يستطيع أن يعيش بدونه ، ولقد كان من جراء هذا الانقسام أن مات الولد الأكبر لأنه لم يحاول مقاومة أو دفاعاً . أما الابن الأصغر فقام للدفاع عنه تلك المرأة التى كان يريد أن يجعلها شريكة حياته ، فقاتلت الأم ودافعت عن مركزها دفاعاً مجيداً . ولقد دام هذا النضال طويلاً ولكن النصر فى النهاية كان للأم وباءت المرأة الأخرى بالفشل ، وذلك لأن مركز الأم كان أمنع وأقوى من مركز المرأة، وحتى بعد أن ترك الأمر للابن أى الكفتين يرجح ؛ عمد إلى كفة أمه فرجحها لصلة الدم التى تربطهما معاً ، ولم يأبه للمرأة الأخرى التى تحطم قلبها وتكسرت آمالها . وفى النهاية تدرك الأم خطورة الدور الذى تلعبه وأثره السيئ فى حياة أولادها فرضت وأشرفت

على الموت ، ولكن لم يمنع هذا من أن يهجر الولد المرأة بتاتاً ليلازم أمه ويقوم بالعناية بها . وأخيراً تموت الأم وتكون النتيجة أن يفقد الولد أمه وخطيبته فى آن واحد : فلا هو أصاب حب أمه ولا هو أصاب حب المرأة »

هذا هو ملخص رواية « الأبناء والمحبون » كما كتبه لورنس بخط يده . والكتاب عبارة عن صورة دقيقة لحياة الناجم والنجمين ، وصورة أخرى لتلك المرأة التى وقفت ثقافتها ونبل أصلها حجر عثرة فى سبيل الحياة الزوجية الصحيحة . ومن الصفحات الأولى للرواية نستطيع أن نحكم لأول وهلة أن هذه الزوجة هى على النقيض من زوجها فى كل شىء ، فهى امرأة مفكرة يروق لها البحث فى الموضوعات المختلفة، ولها ولع شديد بالمناقشات والمجادلات وخاصة فى المسائل الدينية والفلسفية والسياسية ، وهذا أول سهم من سهام النقد التى يوجهها لورنس إلى المرأة الحديثة ، فالمرأة فى نظره لا يجب أن تعيش بعقلها بل بعواطفها وجسمها ، أما التفكير فهذا من شأن الرجل وحده . فاهتمام المرأة يجب أن يركز إلى أسفل ، وأما الرجل فهو الذى يوجه اهتمامه إلى أعلى ، إلى الفكر . فالأم فى هذه الرواية هى صورة مشوهة لامرأة أو هى صورة امرأة قد جردت من صفات أنوثتها واستعاضت عنها بصفات هى من شأن الرجل وحده ، ولم يكفها ذلك بل عمدت إلى زوجها تحاول تغييره وخلقه من جديد خلقاً يتفق مع ما هى عليه من الشذوذ. لم ترضها رجولته ولم تعجبها حيوانيته ، فأرادت أن تصقل من طبعه وتهذب من حواشيه وتحد من حيوانيته وتنتقص رجولته ، فهدمت كيانه وهدمت نفسها معه ، وبذلك لم يعد لها فى الحياة مطمع ولا فى العيش مأرب ، اللهم إلا أن تعيش وتفنى شبابها من أجل أطفالها ، ولكنها لم تكن لتستسلم أو تقهر فبعد أن تكسرت آمالها ، وتحطمت أمانيها ، وانهارت خيالاتها تحولت إلى أول أطفالها بقلب يفيض حباً وعاطفة ، وحملته بين ذراعيها ، وتفرست فى عينيه الزرقاوين الواسعتين ، فشعرت بقلبها يكاد يقفز من بين جنبيها حباً وغراماً بطفلها ، ثم أحست بذلك الرباط الذى كان يربطها بزوجها قد تمزق وانقطع ، وأحست أن حبها لزوجها قد اندثر ولم يعد له أثر ، وحل محله حب عميق فياض هو حبها لطفلها فقربته منها وضمته إلى صدرها وأخذته بين أحضانها

هذا هو شعورها بعد أن ولد أول طفل لها ، فما كاد ثالث طفل يرى نور الحياة لأول مرة حتى كان زوجها فى عالم النسيان . لم تعد تشعر قط بتلك الرغبة الغرزية التى كانت تدفعها سابقاً للاتصال بزوجها ، لم تعد تحس بأن زوجها جزء متمم لها لا غنى عنه ، لم يعد يهمها فى كثير أو قليل متى يحضر أو ماذا يفعل ، لم تعد تتأثر أو تتألم إذا ما أصابته مصيبة أو حدث له حادث . أما الرجل فكانت حياته جحيما لا يطاق ، كان يشعر بالرغبة إلى زوجته ، لكن أنى له ذلك فدونه خرط القتاد . افتقد امرأته فما وجدها ، مد يده نحوها فما عبأت به ، توسل إليها فاحتقرته ، شعر بالفراغ يعم قلبه فحاول ملأه. فما استطاع ، صار المنزل جحيمه فهجره إلى الحانة يتناول فيها ما هو كفيل بأن ينسيه آلامه وأحزانه ويصرفه عن ذكرى تحطيم آماله ، هجر المنزل وهجر زوجه وأولاده وعاش عيشة لا يكاد يحتملها مخلوق ، أما هى فاستعاضت عن حب زوجها بحب ابنها بول ، فأشبعت غرائزها ، وملأت فراغ قلبها وسدت ذلك النقص الذى كانت تشعر به وهى إلى جوار زوجها ولم تكتف الأم بذلك بل سمت حتى جعلت ابنها يبادلها حباً بحب وعاطفة بعاطفة . فشعر نحو أمه بذلك الشعور الذى كان يجب أن يشعر به نحو المرأة التى ستكون شريكة حياته ، وبذلك قيدته بسلاسل حديدية لا يستطيع معها أن يتصل بامرأة أخرى أو يبادلها الحب . هذه هى الأم الحديثة ، أم القرن العشرين ، الأم التى يفسد حبها لأبنائها حياتهم وينغص عليهم مستقبلهم ويحطم آمالهم وأمانيهم (يتبع)

عبد الحميد حمدى

مدرس بمدرسة شبرا الثانوية

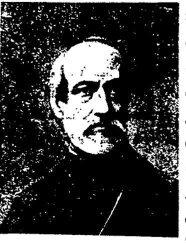
التاريخ في سير أبطاله

مازيـــــني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده مثـل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٣ —



ولكن حلاوة الجهاد ما لبثت أن أنسته مرارة الغربة، وإن النفوس الكبيرة لتتعزى بنبل غاياتها فيما يصيبها في سبيل تلك الغايات ، فتستعزب الألم وهو مر ، ويحلو لها في سبيل النصر الجلاد؛ ويراد بها أن تذل فما يكسبها الإذلال إلا إباء الأبطال وحفاظ أولى القوة من الرجال ؛ وما يزيدها العذاب والنكال إلا إصراراً على النضال وإمعاناً في الاستبسال ، ولن يحول بينها وبين غايتها قوة حتى الموت ، فإنها إن تزهق فقد تم لها بالاستشهاد أروع مواقف الجهاد ...

ولقد كان مازيني من أولئك البواسل الميامين الذين تبعث الشدائد كامن قواتهم ، وتوقظ المحن نوازع نفوسهم ، حتى لكأن الشدائد والمحن من مستلزمات ذواتهم ومقومات أخلاقهم .

استقر مازيني في منفاه يتدبر فيما كان يعتلج في نفسه ، وأخذ يتساءل ماذا بقي في بلاده من أثر الثورة التي هبت في فرنسا ؟ لقد أحزنه قبل نفيه أن يرى فرنسا تطلق يد مترنيخ في إيطاليا فيبطش بها في سنة ١٨٣١ كما بطشت بها في سنة ١٨٢٠ ، ويقضي في غير هوادة على ما انبعث من مظاهر العصيان في مودينا وبارما والولايات البابوية ، وقد حزر ذلك الوزير النمسوي الملك الجديد الذي تربع على عرش فرنسا من أن يظهر أي عطف على مثل هاتيك الحركات الشعبية التي من شأنها أن تزلزل العروش إذا أطلق لها العنان ، وأمن على هذا الرأي ذلك الملك الذي جعل المحافظة على عرشه قاعدة حكمه ، وذاق الثوار في إيطاليا مرارة الخيبة والخذلان مرة ثانية .

أليس ذلك ما كان يخشاه مازيني ؟ ألم يعب على الكاربوناري اعتمادهم على غيرهم ؟ ها هي ذي الأيام تأتي مصدقة لما رأى ، وإذاً فليس لإيطاليا بعد اليوم إذا أرادت النجاح أن تسير على نهج الكاربوناري ، وعليها أن تنتهج نهجاً جديداً يكون فيه صلاحها وفوزها .

ولقد كانت حالة إيطاليا يومئذ تبعث على الأسى ، فلم تكن أكثر من اسم جغرافي على حد تعبير مترنيخ، ففيها ولايات الشمال والوسط والجنوب ، وفيها ولايات البابا ؛ وفوق ذلك كانت ولاية لمبارديا خاضعة لحكم النمسا المباشر ، على أن سلطان النمسا كان متغلغلاً في شبه الجزيرة جميعاً .

وكانت هـذه الوحدات مستقلة بعضها عن بعض ، حتى لقد وضعت حدوداً جمركية فيما بينها ، فلم يك ثمة ما يشعر أهل إيطاليا بأنهم شعب ، اللهم إلا شعورهم جميعاً بوطأة الحكم النمسوي الذي كان قوامه الرجعية الشديدة في شتى مظاهرها البغيضة من خنق للحريات جميعاً ، إلى إهمال شائن للشئون العمرانية والاقتصادية ، وللتعليم والثقافة العامة، لأن هذه جميعاً كانت عند مترنيخ وأعوانه عناصر القوة التي لا يأمن معها أن تبعث الثورات من جديد في كل مكان

وفكر مازيني في حال إيطاليا فرأى الظلام الكثيف يخيم عليها وهذا الظلام لا ريب مدعاة إلى اليأس والخوف ، ولكن في قلوب غير قلبه ؛ أما هو فقد كان يتلمس النور الباهر الذي لا يلبث أن يكتسح هاتيك الظلمات كلها ـ في شيئين: الإيمان والشباب، ومن هنا برزت إلى الوجود جمعيته الجديدة « إيطاليا الفتاة » أو قل بدأت رسالته إلى الجيل الجديد : رسالة الوحدة والحياة الحرة...

وتغلغل الإيمان في قلبه الكبير وأحس ما يحسه كل صاحب دعوة من حرارة ذلك السر الهائل الذي لا يعرف مستحيلاً أو يحفل رهبة ، ورفع الفتى مشعله فوق رأسه ووضع روحه فوق كفه ، ومشى يبدد ظلام اليأس وعلى محياه الأبلج نور الوطنية وصرامة الجهاد ، وفي عينيه الباسمتين أشعة اليقين وبريق الأمل

ولخص مازيني دعوته في كلمتين : الله والشعب ، وراح يبشر بدينه الجديد في غير مبالاة بما يعترضه من الصعاب . ولقد جعل أساس كفاحه التضحية، فدعا حواريه وأنصاره إلى أن يتألموا حتى تمحص نفوسهم الآلام ، وتقوى عزائمهم المحن ، وتعلى مبادئهم ما يلاقونه في سبيلها من أنواع العذاب

وعول على أن يبث النور في كل قلب، ويحيي بالحماسة كل نفس، ويجرى أناشيد الوطنية العذبة على كل لسان ، حتى يتألف من الشعب كله قوة تهزأ بكل قوة ، وتطفىء بالدم الغالي بريق الحديد ولهيب النار . وعنده أن كل حركة شعبية مصيرها إلى الفشل ما لم تقم على أساس من الوطنية الصحيحة النبعثة من الأعماق ، تلك الوطنية التي تحتقر أعراض الدنيا ، لأنها متصلة بالسماء ، والتي تضحي بالنفس في سبيل العقيدة ، لأن قوام العقيدة الفداء

وكان هو أكثر الناس إيماناً بوحدة إيطاليا ، يوقن أن سوف يأتي اليوم الذي تتم فيه رسالته على يده هو أو على يد غيره من الأحرار . ولقد اتخذ من الشباب جنده وأعوانه ، لأن قلوب الشباب بطهارتها وحرارتها أجدر بالإيمان وأسرع إلى البذل وأقوى على العذاب . قال في ذلك : « اجعلوا الشباب على رأس الجماهير الثائرة ، فإنكم لا تعلمون مدى القوة الكامنة في تلك الأيدي الصغيرة ، ولا مدى ذلك التأثير السحري الذي يكون لأصوات الشباب بين الجموع ، ولسوف تجدون في الشباب رسل الدين الجديد » . وعظمت ثقته بتلك القلوب الفتية حتى أنه كان لا يقبل عضواً في الجمعية من تزيد سنه على الأربعين، إلا في ظروف استثنائية حينما كان يتقدم إليه ذو منزلة ، أو ذو سن كبيرة وقلب فتى .

ولئن تشبعت قلوب الشبان بمبادىء الوطنية والتضحية فسوف تتسرب منهم إلى سواهم ؛ ولكن كثيراً من الصناع والتجار والفلاحين لن يشايعوهم إلا إذا كان إلى جانب الوطنية إصلاح يتناول شؤونهم ؛ وعلى ذلك فقد جعل مازيني من مبادىء جماعته الإصلاح الاجتماعي في أوسع نطاقه وبذلك زاد مبادئها قوة ورسوخاً

وكان يرى مازيني أن الحرب « هي القانون الأبدي بين السيدويين العبد الذي يريد أن يحطم الأغلال » ، ولكنه كان يشير إلى الحرب غير النظامية لأنها الوسيلة الطبيعية للشعب الثائر في وجه القوة المنظمة، فما لمثل هذا الشعب الذي يعتمد على نفسه سبيل إلى الجيوش النظامية التي تكون بالضرورة من صنع الحكومات .

واستقر الغريب النفي في مرسيليا يعمل في غربته من أجل وطنه ، ويخرج إلى الوجود ما امتلأ به رأسه من الأفكار ، وأحاط به أول الأمر خمسة من الشباب ، أخرجوا مثله من وطنهم فصاروا حواريه في رسالته

وما نجد في تاريخ الحركات الشعبية حركة بدأت على مثل هذه الصورة التي بدأت بها حركة « إيطاليا الفتاة » ، فهؤلاء الخمسة الميامين ، هؤلاء السابقون الأولون ، وعلى رأسهم زعيمهم ، كانوا كل شيء ؛ استأجروا داراً صغيرة وراحوا يعملون ليل نهار لتحقيق مبادئهم ! أيكون في تاريخ الجهاد أغرب من أن يعتزم ستة من الفتيان يعوزهم المال والجاه توحيد شعب ممزق وتحريره من سلطان دولة عاتية مسيطرة ؟ ولكن الشباب إذا آمن لا يعرف المستحيل، فليشمر هؤلاء الأبطال عن سواعدهم وليسهروا الليالي في الكتابة ومراسلة من يريد أن ينضم إليهم حتى تكل أبصارهم فيناموا بعض ساعات ثم ينهضوا للعمل يحدوهم الأمل ؛ وليوح إليهم زعيمهم بالصبر ويبث في قلوبهم الإيمان ، فهذا أجدى عليهم وعلى حركتهم من الجاه والمال

هكذا بدأ مازيني وحواريه، فسرعان ما انضم إليهم الأنصار، واجتمع لهم بعض المال فأنشأوا صحيفة يذيعون بها آراءهم ومبادئهم. وشد ما فرحوا بهذا واستبشروا به ! وكان مازيني يحرر أكثر أجزائها وحده فيبث فيها من روحه ؛ وكان أصحابه يحتالون، وقد تكاثر عددهم وعدد مريديهم على تهريب تلك الصحيفة إلى إيطاليا كما كانوا يهربون إليها بين حين وآخر بعض المطبوعات الصغيرة التي توحي إلى القراء مبادىء الجمعية وتعلمهم دروس الوطنية

وأقبل مازيني وحواريه على العمل ، يزدادون نشاطاً وهمة كلما ازداد عدد أنصارهم . وانقضى عام فرأى الزعيم الشاب ما شرح صدره وملأ نفسه بما تمتلئ به نفس المؤمن من نشوة الظفر ، فللجمعية مراكز في شمال إيطاليا ووسطها ، وأعضاؤها يبلغون في إيطاليا وخارج إيطاليا مائة ألف أو يزيدون ! وهذا نجاح جاء أكثر مما كان يتوقع

وتقع عين مازيني على أسماء الأعضاء وأعمالهم في ثبت سرى فيسره ويثبت فؤاده أن يرى فيهم بعض النبلاء وبعض الضباط ، حتى القساوسة يجد أسماءهم بين المجاهدين ! وتطيب نفسه بذلك

ويحاوله الجهاد وتلوح له بوارق الأمل فتسهل الصعب وتقرب البعيد

وكان ممن انضموا إلى الجمعية رجل سوف يكون له فى تاريخ وحدة إيطاليا وحريتها شأن عظيم ، وذلك هو غاريبلدى المجاهد البطل والفدائى الأروع الذى جمعت حوله سجاياه المذبة وشجاعته الفائقة قلوب الرجال .

وراح الزعيم ينشر تعاليمه ويرسم خططه . استمع إليه كيف يقول لأنصاره : « اصعدوا الجبال واذهبوا إلى القرى وشاطروا العمال والفلاحين طعامهم المتواضع ، وجالسوهم وتحدثوا إليهم ؛ وزوروا المصانع والصناع الذين أهملوا حتى اليوم . حدثوا هؤلاء عن حقوقهم وعن ذكريات ماضيهم وتقاليدهم ومفاخرهم السالفة وتجاربهم التى مرت ، وعددوا لهم ما لا ينفد من أنواع الاضطهاد التى يجهلونها لأنهم لم يجدوا من يكشفها لهم » .

بهذه الطريقة راح مازينى يرسل صوته إلى الأعماق ويملأ به الآفاق ؛ ولقد تخرج معظم ذوى الشأن فى المستقبل من رجال إيطاليا فى جمعيته ، فكان له بذلك شرف لن يتاح إلا لأفذاذ العظماء: شرف الخلق والتكوين ، فما كانت إيطاليا الحديثة إلا من صنع يده. وإن تمت وحدتها على أيد غيرها . وبذلك يعد مازينى من مكونى أوربا الحديثة ، وهى منزلة لن يشاركه فيها إلا أمثال بسمارك ومن على شاكلتهما ممن تقرن أشخاصهم بحركات عامة توجه التاريخ وجهته فى فترة من فتراته .

وكان ممن كاتبهم مازينى ليماونوه : شارل ألبرت ملك ولاية بيدمنت ؛ وكان ذلك بعد خروجه من إيطاليا ببضعة أشهر ، وقد كان يعلم عن شارل بالأمس أنه من ذوى الآراء الحرة ، إذ كان متصلاً بالكاربونارى وكان يعطف على ثورتهم التى هبت سنة ١٨٢١ ؛ ولكن مازينى كان مسرفاً فى حسن ظنه به . وكيف كان يرجو المساعدة من ملك يتناول تاجه فى الواقع من النمسا ؟ ولئن كان شارل بالأمس نصير الحرية ، فهو اليوم على عرشه يبغضها ويحذر منها ، فلقد مجر إلى الثورة دعوة الداعين إليها ، وما له حيلة إلى إجابتهم ، والنمسا تلوح للبلاد بسيف الغلب . قال مازينى فى خطابه « هناك يا مولاى طريق آخر إلى القوة والخلود المظلم ، وحليف آخر أقوى وأسلم من النمسا أو فرنسا ، وتاج أكثر لمعاناً وبهجة من تاج بيدمنت ، تاج ينتظر الرجل الذى يجرؤ على أن يفكر فيه والذى يوجه حياته للحصول عليه ... ألم تلق يا مولاى قط مثل لمحة النسر على إيطاليا هذه ، إيطاليا التى تجملها بسمة الطبيعة ، والتى يتوجها عشرون قرناً من الذكريات الجميلة ، أرض العبقرية القوية بعنابتها التى لا تنفد والتى لا يعوزها إلا الغرض المشترك ؛ المحاطة بحدود من المنعة بحيث لا تحتاج إلا إلى عزيمة وثيقة وبعض القلوب البواسل لحمايتها من العداء الخارجى . ضع نفسك على رأس الشعب ، واكتب على رايتك : الاتحاد والحرية والاستقلال . حرر إيطاليا من البربرية وابن المستقبل وكن نابليون حرية إيطاليا. افعل ذلك نلتف حولك ونقدم حياتنا من أجلك ونجمع الولايات الصغيرة تحت علمك . إن نجاتك فى حد سيفك ، فأشهر السيف واطرح الغمد ، وتذكر أنك إن لم تفعل ذلك فسيفعله غيرك دونك وبوجهه ضدك » .

فى هذا الخطاب تتجلى حماسة الشاب المجاهد ، وتتبين آماله ، وتتضح نزعاته؛ وفيه قبس من وميض حماسته وفيض من حرارة إيمانه وقوة وجدانه، ولكنه لم يظفر من الملك برد، وكان جواب الحكومة أن أمرت بالقبض على مرسله إذا اجتاز الحدود الإيطالية

على أن بيد منت ما لبثت بعد سنتين أن امتلأت كما امتلأت الولايات الأخرى على نحو ما أسلفنا بأنصار مازينى ، وفى نصرة الشعب له خير عوض عن معونة الملك

وتسربت مبادىء الجمعية إلى جيش بيدمنت ؛ وكان يذيعها فيه رافينى كبير أنصار مازينى وساعده الأيمن فى جهاده ، وأحكمت مؤامرة للقيام بثورة عن طريق الجيش ؛ ولكن تلك المؤامرة اكتشفت وا أسفاه؛ وبطشت الحكومة بالمتآمرين؛ فقتلت عشرة من الضباط رمياً بالرصاص واثنين من المدنيين، فضلاً عمن أودعتهم السجون من الرجال ، حيث أخذت الحكومة تنكل بهم ليعترفوا

وكان رافينى ممن سجنوا ، وخير فى سجنه بين الاعتراف على شركائه والنجاة من الموت أو الإنكار والإعدام ، فاختار الموت ولكن بيده هو ، فانتحر فى سجنه . ونمى خبر الفاجعة إلى مازينى فاشتد وقعها عليه ، حتى لقد كانت من أعظم ما ناله من المحن ؛ وتوزع الحزن قلبه حتى ما يفيق من الغم ، ووهن جسمه واعتلت صحته كمداً على صاحبه الشهيد .

(يتبع) الخفيف



الحب الطاهر

لمعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى

أما لأسير فى هواكَ سراحُ   وهل لتباريحِ الفؤادِ براحُ
أجل، سلّمتك العاشقون قلوبها   وما فوق تسليمِ القلوبِ سماح
إذا بدأوا يستعطفونك عاوَدوا   وإن بكرَوا يستطلمونك راحوا
هوُوا فاتّقوا بثّ الغرام فأضمروا   فخانهمُ الصبرُ الجميل فباحوا
يحبون وخزَ النُّجل وهى صوارمٌ   وطعنَ القدودِ الهيفِ وهى رِماح
خليلىّ ما أحلى الغرامَ سجيّةً   إذا كرّمته عفةٌ وصلاح !
وما أخطر العشق الذى ليس دونه   على عاشقٍ يأبى المناة جُناح !
يقولون : إتيانُ الكبائرِ جائزٌ   وفعلُ الخطايا المنكرات مباح
أفى هذه الأخلاقِ للجنس نهضةٌ   وللبشر الآنين منه فلاح ؟
يريدون للدنيا ضِماداً وإنهم   بجُثمانِ هذا الاجتماع جِراح
ويعتبرون الناسَ مرضى كأنهم   ـوهم كيّفوا داءَ النفوسـ صِحاح
ألا هِممٌ يكبحن من شهواتهم   فينحطّ مثلٌ ، أو يلين جِماحٌ
وهل فاضلٌ يرعى الفضيلة ؟ إنها   خيالٌ سيفنى أو حِمًى سيباح
فقد عصفت بالمكرمات زعازعٌ   وعفّت رسومَ الأكرمين رياح
إذا أظلمت أخلاقنا وتجهّمت   فهل نافعٌ أنّ الوجوهَ صِباح ؟

محمد رضا الشبيبى

قولى معى …

للأستاذ الحومانى

مَن ذا يقول معى : عينان ملؤهما   دمعٌ، هما غدتا عينيكِ بالحوَرِ
قولى معى : لم يذب قلبٌ شقيت به   إلا ليسقىَ ما تجنين من ثمر
أخليتُ عينىّ من دمعٍ يمدّهما   بالنور من فلكِ المحشوّ بالدُّرر
وأنضرت فاكِ آصالٌ شربتِ بها   روحاً تلظّى به خداك فى السحر
فى عين حوّاء صبحٌ ضرّجت قبلى   عينيك بين يديه من دم الخفر
لا تجزعى وتلقّيهن باسمة   للطير يصدح غرّيداً على الشجر
كالشاعرِ الطفل يمشى فى مخيلته   وينشد الفجر حوّاماً على الغُدُر
قومى نكن مثل هذا الطير يجمعنا   حوض من الماء أو روض من الزهر
فلا نحاذرُ من وحش الفلا بشراً   ولا ينغصنا وحشٌ من البشر

الحومانى

اسلمى …!

للأديب محمود السيد شعبان

اسلَمِى يا نَبعَ أشوا   قى ويا دُنيا خُلودِى !
وابسِمى تفصِح لِىَ الأيا (م)   مُ عن سرّ وُجودى
مُهجتى تدعوكِ … ياذا   تى إلى وَكركِ عودى !
إنّ فى كفّيكِ أحلا   مى فصونى لى عهودى

* * *

وتعالىْ !.. قبلَ الحب (م)   تنــادى شفتَينا !
وسعيرُ الشوق فى الأجـ   ـساد يدعوها إلينا !
إن نعِش للحبّ يا صفـ   ـوِى فلا لومَ علينا
إنه الكونُ الذى منـ   ـه إلى الدنيا أتينا !

* * *

وتعالىْ ! … لا يُروّعـ   ـكِ شقائى يا فتاتى !
فالهوى والطُّهرُ والإيـ   ـمانُ نبعٌ فى حياتى
أو خذينى أنسَ فى دُنـ   ـياكِ دُنيا زَفراتى !
ونعِش للحبّ والألـ   ـحانِ فى ظِلّكِ ذاتى !

* * *

إننى فى عالَمِ الحرْ   مانِ قد عِشتُ شقيّا !
فاخلُقى فى باطنى كوْ   ناً من الحبّ شهيّا
واسكُبى الأشواقَ والألـ   ـحانَ فى نفسى لأحيا !
قبلما تذوِى مُنى نفـ   ـسى وتقضى فى يديّا !

* * *

يا نشيدى !… ليتنى كنـ   ـتُ لدُنياكِ نشيدا !
أنا من ذِكرِكِ فى أنـ   ـسٍ وإن عشتُ وحيدا ..
لستُ أنساكِ … ففى ظلا   لكِ قد كنت سعيدا !
ونظَمتُ الكونَ من   أعماقِ أنفاسى قصيدا !

(القاهرة)   محمود السيد شعبان

وحي صــــورة

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

ذكّرتني ذلك الماضي السعيد ... شعّ في جنانِه نور الأماني
والهوى في مهدِهِ طفلٌ وليدٌ ... هامَ في دنيا حنان من جناني
ما رأى القسْوة أو ذل القيود ... لا . ولو عَق جَناني وعصاني
كلما شبَّ بما فيه الجود ... وإذا بي منه في قيد الهوان

***

ذكرتني ذلك الروضَ النضيرْ ... والذي أوحاه من شتى المعاني
وابتسامَ الزهر من حول الغدير ... وطيور الأيك تشدو بالأغاني
كل شيء كان من صفو ونور ... يغمُر القلب بنُعمى وحَنان
لم يعد للعين ، والقلب الكسير ... غير ذكرى من لظاها كم أعاني
ذكرتني الأمسَ – والدنيا نعم ... وصفاءٌ شامل – حلو الجاني
قد حسونا الحب واللقيا نديم ... والهوى نشوان في نعمى التداني
في ليال كنَّ في ظل الكروم ... كم بمثن السحر في تلك المغاني
ذكريات تشعل الهم الأليم ... كلما تخطر من آنٍ لآن

***

ذكرتني ليلةَ النيل الوديعْ ... حيث غنّى لهوانا الشاطئان
وبنا الزورقُ يسرى في خشوع ... فوق موج ناعس الأجفان هان
بت أرعى ذلك الحسن البديعْ ... يتجلى في افتتان وافتنان
طابت الأيام والعمرُ ربيعْ ... هل يعود اليوم لي بعض الأماني

(اسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن

أباريق الجمال ...

[إلى الناسج أردية الجمال من أضواء قلبه ، إلى الزيات ...]

للأديب أحمد عبد الرحمن عيسى

الأباريق حُفَّلٌ فابتهلها ... وكن اليوم أول الشاربينا
إنما أنت في الحياة هباء ... فلماذا تكون عبداً رهيناً ... ؟
أرقص الناى صاحبي أو فدعه ... يتحطم على التراب مهينا !
سوف يمضي – وإن تلبث حينا – ... إن طروباً محباً أو حزينا !
سوف يمضي كما مضى النفَس الما ... بر في روضة من الياسمينا
وستمضي ... وما إخالك إلا ... ومضة ألمت من الدهر حينا
والسعادات في الأشعة غرقى ... قد حباها الزمان عرضاً مصونا
هي بكر فكيف تحسب أني ... قد تفيأت ظلها المجنونا !
وهي حرمٌ على العفاة فيالي ... خلف هذا السراب أعدو سنينا
الأباريق حفــــل فدعينا ... نتزود من الجمال دعينا
إنمـــا نحن مهجة تتشاكى ... ونداء يرف حتى يبينــــا !
بِدَعُ الحسن صيرتنا شعاعاً ... كابيَ اللون يستدر العيونا

(كلية اللغة) أحمد عبد الرحمن عيسى

M. Arab. 150

التأمين

كان أحد موظفي شركات التأمين مسافرا في إحدى مناطق الولايات المتحدة الزراعية وكان رأيه أنهم يقولون أكثر من اللازم « ليس عندي وقت » ففكر حينئذ في وسيلة ممتازة للجواب على هذه الحجة فاستأجر عاملا زراعيا يعرف كيف يقوم بشتى الأعمال ثم اصطحبه وراح يعمل كالفلاح بكل معاني الكلمة فإذا كانت الفرصة المناسبة للحلب أو البذر أو الدرس فلا داعي للقلق إذ أن خادمه كان يعمل كل مايلزم لتأمين الخدمة وفي هذا الأثناء كان العميل الفطن يستطيع أن يقنع المزارع بمزايا التأمين .

ويوجد فعلا شركات تأمين متنوعة تؤدي منافع كبرى من ضمنها مثلا التأمين ضد عواقب المرض المالية فإن هذا النوع من التأمين أصبح معروفا منذ زمن بعيد في معظم بلدان أوروبا وهو ينتشر الآن بسرعة في أمريكا باعتبار التأمين المتبادل ضد المرض لكن هناك أيضا مناطق واسعة وكثيرة حيث تنتشر الأمراض المديدة وحيث نسمع رغم ذلك أحداً يتكلم عن إحدى الضمانات ضد هذا الخطر فهذا شيء لم يزل مجهولا تماما في بلدان المناطق الحارة مع أنه لدى سكان تلك المناطق وسيلة لتأمين أنفسهم ضد أمراض توجد غالبا هناك .

ونحن نقصد الملاريا التي هي بلية البشرية وهي تميت كل سنة ملايين الضحايا وتسبب أيضا خسائر كبرى من الجهة الاقتصادية لكن بالامكان الآن الوقاية من الملاريا ببعض دريهمات في اليوم إذا اتبع الانسان النصائح التي تعطيها لجنة الملاريا في جمعية الأمم فهذه اللجنة قد تحققت من أنه بالامكان التحصن ضد الملاريا بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول موسم الحميات ضد الملاريا . وإذا كان الانسان قد أصيب بالمرض فإن هذا العلاج المنار يظهر مفعوله بسرعة ويكفي أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم لمدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعي في هذه الحالة لعمل معالجة تكميلية على أنه من الضروري التأمين ضد الملاريا باستعمال الكينا كعلاج واق .



دراسات فى الفن

الفن فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

شاءت وزارة الشئون الاجتماعية أن تتعرض للفن فأنشأت فى نفسها إدارة للدعاية خصتها بأمور ستة : الأول نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، والثانى الإشراف على برامج الإذاعة وترقيتها، والثالث تدعيم المسرح القوى والعمل على جعله وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وإصلاحه ، والرابع مراقبة الروايات والأفلام السينمائية والأغانى الشعبية ، والخامس الإشراف على تنظيم المهرجانات والأعياد القومية والموالد بما يحقق استفادة الجماهير منها من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، والسادس تنفيذ القوانين واللوائح الخاصة بمحال دور التسلية . . . وهذه الأمور الستة شديدة الصلة بالفن ، وهذا ما يدعونى إلى إنعام النظر فيها محاولاً أن أجد الطريق العملى إلى تحقيقها

والمسألة فيما يخيل إلى دائرة ... ذلك أننا نعرف أن الفن هو ثمرة الحياة الاجتماعية ، فكما تكون الأمة يكون فنها ، وأمتنا كما هو ملحوظ فى حاجة إلى إصلاح اجتماعى ، فإذا حاولنا أن نصلحها بفنها لم نفعل شيئاً ، لأن فنها منها وما هو منها لا يمكن أن يصلحها . إنما هناك رجال سبقوا عصرهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يؤثروا فى مواطنيهم لو أن فرصة العمل أتيحت لهم ، وفرصة العمل لا تتاح لهؤلاء عادة فى سهولة لأن مواطنيهم متأخرون عنهم فهم لا يتذوقونهم كما يتذوقون غيرهم من الفنانين والمفكرين النارقين فى هذا العصر الضال ، فأول ما يجب علينا إذن هو البحث عن هؤلاء الرجال ، وإلقاء مقاليد الإصلاح بين أيديهم ...

ونحن إذا استرجعنا هذه الأهداف الستة التى تريد وزارة الشئون الاجتماعية أن تصل إليها وفكرنا فيمن يصلح لقيادة الشعب لها ... رأينا الهدف الأول هو نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، ولعل هذا يتم بإنشاء مجلس أعلى للشئون الاجتماعية يضم كل من عرفت مصر أنهم يهتمون بشئونها الاجتماعية اهتماماً حقيقياً لا اهتماماً زائفاً ، ويكون على رأس هؤلاء جميعاً صاحب السعادة عبد العزيز فهمى باشا ... فهو الزعيم المصرى الذى آمن بحق الوطن حينما لم يكن يؤمن به إلا نفر قليل جداً من أبناء الوطن ، وهو الذى سبق كل الزعماء فى تقدير القسط الصالح من سيادة الشعب وقتما كان كل الزعماء يريدون للشعب سلطة فضفاضة وهو لم يزل طفلاً ناشئاً ... وهو الرجل الذى لو أراد أن يعيش متنقلاً بين الكونتنتال ومينا هاوس وسان استفانو لفعل، ولكنه على الرغم من جهل الجماهير لفضله يفضل دائماً أن يقترب من الجماهير ، ويختار جمهوره الأقرب إليه فهو يلزم « كفر المصيلحة » قريته التى نبت فيها والتى وهبها كل الفراغ من وقته ، والتى ظل فيها يكافح الجهل حتى محا منها الأمية محواً ، ويكافح الفقر حتى لم يعد من أبنائها متعطل ولا متسكع ، ويكافح المرض حتى أصبح أكثر أهلها من هواة الألعاب الرياضية وهم يقيمون فيها المسابقات ... هذا الرجل وغيره من رؤوس الريف العاملين المجربين هم الذين يعرفون ما هى السبيل إلى نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، وليشترك معه الكتاب والمفكرون والمجاهدون الذين لهم ماض بين الفقر والجهل والمرض . . . أولئك الذين خالطوا الناس وعرفوا أوجاعهم ، والذين أهينوا وعذبوا وسجنوا وجاعوا وتألموا ... أبناء الشعب ، ونبت الطين المصرى ... من يهمهم إصلاح الحياة فى مصر لتصلح حياتهم هم أنفسهم ، ولترتاح ضمائرهم ... أما الإذاعة فتنقسم إلى قسمين : أولها قسم الأغانى والموسيقى ، وثانيهما قسم الأحاديث والمحاضرات والتمثيل . وقسم

الأغانى والموسيقى لا يمكن أن يرقى إلا إذا أشرف عليه رجل موسيقى ، وهو اليوم ملقى بين يدى مصطفى بك رضا الموظف بوزارة الأوقاف ، وهو رجل من أبناء الذوات تعلم العزف على القانون كما يتعلم أبناء الذوات وبنات الذوات العزف على البيانو، فهو عندهم وعندهن زينة وأبهة ... هذا الرجل يجب أن يبعد عن محطة الإذاعة وعن المعهد الملكى للموسيقى العربية ليحل محله واحد ممن كافحوا الحياة فى سبيل الفن، وممن بذلوا للفن حياتهم ؛ وأنا، ومن يعرفون لا يشكون فى أن مثل زكريا أحمد هو أول هؤلاء، فقد كان مقرئاً للقرآن كما كان من منشدى القصائد ومرتلى مولد النبى ، ثم إنه من ملحنى التخت له أدوار وطقاطيق وموشحات لا يحصى عددها وهو بعد ذلك من ملحنى المسرح والسينما أيضاً ... وليس فى مصر من جمع هذه الميزات على نجاح مشهود وتفوق ظاهر غير زكريا، فكيف يبعد رجل كهذا عن الإشراف على ترقية الأغانى والموسيقى فى مصر ؟

ويجىء بعد ذلك قسم الأحاديث والخطابة والروايات ، ولا بد أن يكون المشرف على هذا القسم ممن سبق لهم أن تحدثوا إلى الشعب وأن عرفوا ما هى الأحاديث التى تؤثر فيه وتجلبه ، وكيف يمكن أن يقاد وكيف يمكن أن يُهدى

أما تدعيم المسرح فلا يمكن أن يكون إلا بتحريره ، وتحريره لا يمكن أن يكون إلا بتشجيعه ، وتشجيعه لا يمكن أن يكون إلا بالمال يوزع على الفرق الأهلية ، فيكون للريحانى نصيب ، ويكون ليوسف وهبى نصيب ، ولفاطمة رشدى نصيب ... وقد تستجد فرق أخرى تنافس هذه ، ولا ريب أن الروح ستدب من جديد إلى المسرح المصرى الذى قتل حين أظله « الميرى » بظله . . . إن الفرقة القومية تشبه جريدة الوقائع الرسمية والمجمع الملكى للغة العربية... فكم من الناس يكترثون لهذه الجريدة وهذا المجمع؟ وما مدى تأثير كل منهما فى الحياة المصرية؟ وبم يشعر الناس لو أنهما ألغيا ؟ هل يحس أحد بأن الحياة المصرية قد نقصت شيئاً؟

وأما مراقبة الأفلام والروايات السينمائية فلا بد لها من خطة خاصة أيضاً ... لا بد أن يعهد بالإشراف عليها إلى هيئة لا إلى فرد فهى تؤثر فى الجمهور من عدة نواح مختلفة ، وهى شديدة الخطر على النشء ، فإذا لم تكن خاضعة لرقابة صالحة يقوم بها نفر ممن يغارون على وطنهم وأهلهم فإنها من غير شك ستجرف مصر إلى هاوية ليس لنا قبل بالتردى فيها ... هـذا إلى ما يكون فى روايات السينما أحياناً من مظاهر التعصب الغربى ضد الشرق عامة ، وضد العرب خاصة ... والروايات التى تنحو هذا النحو يقبلها الغرب لأنها ترضى كبرياءه ولأنها تنم عن ألوان من الكفاح اصطنعها الغرب ضد الشرق وانتصر فيها ... ولكن هذه الروايات نفسها لا يصح أن تعرض فى بلد شرقى لأن عرضها فيه إهانة له ولأنها تربى الصغار على كراهية الشرق وعبادة الغرب بينما هم شرقيون

لا بد لنا من عالم نفسانى اجتماعى يشاهد هذه الأفلام قبل عرضها ليحكم عليها وليقرر أنها تقربنا من المثل العليا التى نحب أن نحققها فيبيح عرضها أو أنها تحيد بنا إلى مثل سفلى لا يصح أن نتدلى إليها فيمنع عرضها ، ولا بد إلى جانب هذا من رجل غيور على التقاليد والنظم الشرقية غيرة صحيحة ، ولا بد إلى جانب هذا وذاك من مرب يعرف مدى ما تؤثر هذه الروايات فى نفوس الصغار ، وفى صغار النفوس

وتجىء أخيراً المهرجانات والأعياد والموالد ، وهـذه هى معضلة المعضلات . . . فكم من أمة حكمت مصر ، وكم من حضارة ألمت بها ، وكم من دين غزاها ، وكم أريد بها أن تكون على هوى من أراد فلم تكن إلا ما أرادت بها طبيعتها فنفضت عن نفسها كل ما حاول الجبابرة أن يصبغوها به من ألوان الحياة ، ولم تستبق من هذه الأصباغ إلا صبغتين اثنتين هما صبغة الفراعنة وصبغة الفاطميين . أما الفراعنة فلا نزال فى مصر من مخلفاتهم هذه الآثار القائمة من الصخر والحجر، وهذه اللغة التى يتكلم بها بعض أهل النوبة، وهذا التقويم الذى يؤقت به المصريون الزراعة، وهذه العواطف التى لا تزال تختلج فى نفوس المصريين اليوم بالنطق نفسه الذى كانت تختلج به فى نفوس المصريين من أقدم العصور والتى نحب بها ما كان يحبه أجدادنا ونكره بها ما كانوا يكرهون ، فنحن لا نزال نحب النيل ونحتفل بفيضانه كما كانوا يفعلون، ونحن لا نزال نحب الجاموس الذى يساعدنا فى فلاحة الأرض كما عبدوا العجل أبيس ، ونحن لا نزال نكره الهجرة من بلادنا مهما قست علينا الحياة فيها كما كانوا يكرهون هم الهجرة من بلادهم مع أننا اليوم مسلمون ، ومع أن الإسلام يمقت الذين يتشبثون بأرض يستضعفون فيها . وفينا كذلك من تفكيرهم

هذه القدرة العجيبة على الاستعاضة بالخيال عن الحقيقة والأمر الواقع ، ولعلنا الشعب الوحيد الذي يرضى اليوم أن تلاقيه ولا تنديه ، كما أن فينا من أخلاقهم « فرعنة » تجرى في عروقنا مع الدم ، فالواحد منا إما فرعون يتفرعن على من هو دونه ، وإما عبد لكل فرعون ممن هم فوقه رؤساء وحكاماً .

وأما الفاطميون فلا تزال مصر تحتفظ بكل ما أقاموه فيها من دعائم حكمهم ، فهذه الأضرحة التي تملأ القاهرة وغيرها من مدن مصر وقراها ، وهذه الموالد التي لا يزال المصريون يجرون وراءها من القاهرة إلى دسوق إلى طنطا إلى دمنهور ، وهذه الخرافات العجيبة المتأصلة في أذهان الناس والتي تخالط عقائدهم من دينية ودنيوية والتي يستقونها من القصص الفاطمي المتفشي بينهم ، ومن الكتب المدسوسة عليهم باسم الإسلام والإسلام منها بريء . وهذا التشاغل عن الحياة ، وهذه القناعة بخيرات الأرض إذا جادت الأرض بالخيرات . . . هـذا وذاك باقيان في الحياة المصرية إلى اليوم من أثر الفراعنة ومن أثر الفاطميين ، حتى الدين تأثر بالفراعنة والفاطميين ، فالإسلام الذي في نفوس العامة من المصريين إسلام فاطمي ، والمسيحية التي في نفوس العامة منهم مسيحية فرعونية .. فالمسلمون من المصريين يفكرون في أهل البيت أكثر مما يفكرون في الله ، ويستنجدون بالحسين والسيدة زينب أكثر مما يستنجدون بالله الواحد الأحد خالق الحسين والسيدة زينب وجدهما عليه الصلاة والسلام ، وهم يقرؤون قصص السيد البدوي ومناقبه وأحاديث أكلاته ومواقعه أكثر مما يقرؤون القرآن وتاريخ النبي . والمسيحيون المصريون فرعنوا مسيحيتهم هم أيضاً ؛ فهم يسمون أنفسهم بأسماء فرعونية مع أن الفرعونية وثنية في رأى المسيحية ، ثم إنهم لايزالون يتفننون في الحزن على موتاهم تفنناً عجيباً لم يكن يحسنه في الشعوب البائدة أحد إلا قدماء المصريين ، ويحسنونه هم اليوم ، مع أن المسيحية إيمان مطلق بإرادة الله ورضا مطلق بمشيئته ... فلماذا انطبعت الحياة المصرية بهذين الطابعين وحدهما ... ؟ ولـماذا استطاع هذان الطابعان أن يغالبا الزمن في مصر وأن يبقيا فيها على مر العصور دون غيرهما مما كان يصح أن يؤثر في الحياة المصرية وأن يطبعها بطابعه . لا بد أن في الأمر سراً . والسر هو أن الفراعنة والفاطميين أنشأوا دولتهم على أساس من الدعاية والفن ، وقد راعوا في فنونهم أن توافق الروح المصرية ، وقد عرفوا أن مصر أرض زراعية ، وأن هذه الأرض الزراعية تستذل أهلها بخيراتها ، وأنه إذا توفر الخير لأهلها طابت لهم الحياة فيها فلم يعودوا يفكرون في شيء إلا اللهو ، فشغلوهم بأنواع من اللهو ، كما شغلوهم بأنواع من الاسترقاق خيلوا إليهم أنها أصل خيرهم ، فحملوهم على عبادة النيل ، وعبادة الحكام ، وعبادة العجول ، وأولياء الله الصالحين واختلقوا لهم ألواناً من البطولة هي ألوان الأكل والشرب . . .

ولم يكن الفراعنة مجانين ولا كان الفرعون منهم يصدق أنه إله لأنه كان يعرف أنه ضعيف ، ولم يكن الخليفة الفاطمي سخيفاً ولم يكن يصدق أن السيد البدوي يأكل بقرة وكبشاً ومائة دجاجة وألف عصفور . . . وإنما كانت هذه هي السياسة التي قام عليها حكم الفراعنة وحكم الفاطميين ... ونحن اليوم نجتاز ظرفاً جديداً من ظروف الحياة ثبت فيه أن الزراعة لم تعد تصلح أن تكون أساساً لحياة راقية في أمة ناهضة ، وثبت فيه أن العلم والحرية أساسان للرقي والنهوض ، لذلك يجب أن تتبدل هذه الأسس التي خلفها الفراعنة والتي تبنَّاها الفاطميون ، وليس يستطيع هذا إلا فنانون مبتدعون يخلقون للمصريين المثل العليا للبطولة الجديدة ، يستقونها من الإسلام الصحيح ، ومن تاريخ النبي وعمر وصلاح الدين وأولئك الأبطال المسلمين ... وليس يتأتى هذا إلا لفنانين عاشوا في الريف وعاشوا في المدن ، وخالطوا البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، وتمكنوا من الحياة المصرية الناعمة وتحرقوا شوقاً لحياة مصرية جديدة صاخبة حية . . . تنهض على أساس مصرى إسلامى لا على أساس مترجم أو مسروق ... لا بد أن تمطل موالد الآكلين والدجالين وأن تحيا موالد الأبطال الحقيقيين . .

لا بد من رجعة إلى النور ... بلسان المصريين ... وأقدر الفنانين على هذا هم : بيرم التونسي وعبد السلام شهاب وبديع خيرى .. على أن يعاونهم مؤرخون

أما تنفيذ اللوائح فمن شأن رجال القانون .

عزيز أحمد فهمي



لحظات الالهـــام
فى تاريخ العــلم
بقلم مريون فلورنس لانسنغ

الريح والتيار

مضت مئات كثيرة من السنين قبل أن يحدث الحادث التالى العظيم : حدث عند ما صار للانسان قدرة حقيقية على الاختراع أن رجلاً امتاز عن معاصريه امتيازاً عظيماً فى رجحان العقل وحدة الذكاء قد لاحظ سرعة التيار فى مجرى الماء وهو يكتسح كل شىء فى سبيله، فوضع به عجلة بحيث يمكن أن تديرها قوة الماء، ثم جعل حول هذه العجلة ما يشبه الزعانف لتكون كمجاذيف السفينة فى تلقيها ضغط الماء

لما استطاع الإنسان أن يجعل قوة الماء الجارى تدير له العجلة واستطاع أن يربط هذه العجلة من مركزها بتدبير خاص يمكنه من رفع الماء بواسطة الدلاء — لما استطاع الإنسان ذلك انتصر انتصاراً استحق أن تحييه من أجله الأجيال لأنه بذلك قد تمكن من صنع آلة تدور من نفسها وتخطى الدور الذى يمكن فيه استخدام الآلة التى يجب أن يزودها بقوة الدفع من عنده، كما تجاوز أيضاً نظرية الروافع التى تحتاج فى تطبيقها إلى جزء من قوته يضاف إليه القوة التى مصدرها قانون الآلة. أما فيما يتعلق بالقوة التى يديرها الماء فإنه قد اخترع منها آلة يديرها الماء نفسه لرفع الماء ويقتصر جهد الإنسان فيها على الوقوف بجانبها ومراقبتها

من تلك اللحظة بدأ عهد الآلات التى تدور من تلقاء نفسها، ومن تلك اللحظة رفع الإنسان نفسه عن مستوى الكادح الذى تتوقف نتائج عمله على مقدار جهده أو جهد ما شيته، وأضاف إلى جهد الإنسان أو الحيوان عنصراً طبيعياً هو قوة ضغط الماء

فى ذلك اليوم المجيد بدأ الإنسان يتحرر من رق العمل، وبدأ يسلك طريقاً طويلاً يستعين فيه بجهده الذهنى بدلاً من الجهد العضلى

الهواء ضد الماء

منذ خمسمائة عام كان يقيم فى قرية الـكاد، وهى قرية صغيرة فى شمال هولاندا ، رجل اسمه فلورنت الـكاد وهو غنى من أهل تلك المدينة يشتغل بالحدادة فضلاً عن كونه مزارعاً موسراً يملك أرضاً واسعة

ولم تكن الزراعة من الأعمال السهلة فى ذلك العهد بهولاندا وما جاورها من الأراضى المنخفضة ولم تكن الحياة فيها سهلة هناك منذ العهد الذى نزل فيه السكسونيون والهمج من الفريزيان إلى تلك الأراضى ذات المستنقعات التى أطلقوا عليها اسم الأراضى المنخفضة ، وأرادوا أن يتخذوا منها وطناً

وربما كانت القوة والعزيمة اللتان امتاز بهما أهل هذه البلاد فى تاريخهم كله — ربما كانت هذه القوة وليدة اضطرارهم للمحاربة الدائمة ضد الريح وضد الماء اللذين تتوقف على محاربتهما حياة هذه البلدة الصغيرة . وما كان فى وسع شعب غير جرىء وغير مثابر أن يستولى على أرض رملية أنهارها دائمة الفيضان وبحرها دائم الطغيان فيجعل ذلك الشعب منها بلاداً زراعية خصبة

ويعلم كل إنسان قصة المرافئ الهولاندية وهى تلك الحواجز المنيعة المصنوعة من الأحجار والتى مهمتها منع البحر من الطغيان على الأرض التى ينخفض جزء كبير من شاطئها عن مستواه

بنى الكبريون والفريزان هـذه المرافئ حين عسكروا على أكثر أجزائها ارتفاعاً وقاية لأنفسهم من المـاء . وزاد أهل الأجيال التالية من تلك الحواجز إلى أن جاء عهد فلورنت الـكاد فأصبحت الأنهار والبحر تحت نوع من الرقابة يمكن للمقيم بالبلاد من الاطمئنان على السلامة والراحة عند الشاطئ المحصن

ولكن بينما البحر محصور كانت الأنهار لا تزال تفيض على

الشاطئين فتحدث خطًّا طويلاً من مستنقعات دائمة، فبدلاً من أن يكون على الشاطئين مزارع خضراء وحقول خصبة تنبت الحب كان حولها مستنقعات واسعة كثيرة السبخ . وكما كانت مصر في عهد الفراعنة تشكو من قلة الماء ، فكذلك كانت هولاندا في بداية تاريخها تشكو ولكن من كثرة ما يغمرها من الماء

ولم يكن فلورنت الكاد دائم الإقامة في قريته الصغيرة فقد كان يسافر من أجل عمله ولا تقتصر رحلاته على زيارة المدن الهولاندية الأخرى بل كان يزور باريس وما دونها من المدن جنوباً في الأقاليم الزراعية الغنية التي تمتد وسط أوربا . ورأي ثراء تلك البلاد وفكر في أطيانه ذات المستنقعات التي يمكن أن تصير خصبة أيضاً لو أنه جفف ما فيها من الماء

وكان قد سمع في باريس من سائح أنه قد ظهر اختراع حديث في بوهيميا حيث أنشأ رجل عجلة تدار بواسطة الهواء وتستخدم في امتصاص المياه من الآبار . وكان الكاد ميكانيكياً عملياً فعرف كيف يمكن امتصاص الماء فوق الأرض . وكان يستعمل في ضيعته مصاصات للماء غير متقنة الصنع تكلف عناء كبيراً في العمل ولا تمتص إلا القليل من الماء، لأن المصاصات التي تستعمل باليد لتفريغ مستنقعات طاغية مما يسيل من مجرى النهر لا تكاد تفضل في عملها بعض ألاعيب الصبيان . ولم يكن في هولاندا في القرن الخامس عشر جيش من الرقيق يستخدم في مستنقعاتها الواسعة ليلاً ونهاراً ليحارب طغيان الماء

ولو أن رجلاً آخر كان في مكان الكاد لجاز أن يسخر بفكرة استخدام الريح لهذه الغاية ، ولكنه كان هولاندياً يألف ما يألفه المتصلة حياتهم بالسفن وبالمياه، وقد عرف في طفولته كيف ينزع شراع سفينة ويقيمه في مستنقع في الأرض ليساعد بواسطة الريح على كسح الماء . وكان ملاحاً فهو يعرف حق المعرفة قوة الريح . ولكن الفكرة التي كانت جديدة هي أن تدير الريح عجلة وأن تدير هذه العجلة مصاصة

ولو أن رجلاً آخر في موضع هذا الرجل وكان أقل ذكاء لرأى الفكرة مستحيلة . ولو أن الأمر الذي يعنيه كان أقل أهمية لرأى أسهل الأمرين أن يستمر امتصاص الماء بواسطة العمل اليدوي القديم أو بإدارة ساقية يجرها حيوان . لكن بالنسبة لهذا الرجل فإنه لا الإنسان ولا الحيوان يقوى على مص الماء من أطيانه الواسعة ، وهو يعتقد أنها لو صُفِّيت من الماء لصار في وسعه أن يجعل كل جزء منها في مثل خصوبة المزارع الفرنسية

ولما عاد الكاد من باريس إلى وطنه لم يقل شيئاً عن هذه الآلة الجديدة التي سمع عنها لأنه عرف أن جيرانه الهادئين المجردين من الخيال سيسخرون من الهواء الذي يمتص الماء، ولكنه عكف على صنع ألعوبة تمثل عجلة فوقها أكثر من شراع ، وذلك لكي يجرب بها الاختراع

وقد أمضى زمناً ليس بالقليل في وضع كل شراع بالزاوية التي تناسبه ، ولكنه أخيراً صنع طاحوناً تدور من نفسها كأنما تلقت سر الحركة الدائمة

وعند ذلك استدعى بعض جيرانه فأطلعهم عليها وقد أعجبوا بذكائه في صنع اللعبة ، ولكنهم ضحكوا من استحالة القيام بعمل جدي بواسطتها وقالوا : « هل يدل هذا على مقدار الأذى الذي تلحقه الأسفار بالإنسان، فإن فلورنت كان مزارعاً صالحاً وعاملاً منتجاً وحداداً جاهداً قبل أن يعتاد السياحة في البلدان ، وهو الآن يظن أنه يعرف أكثر مما كان آباؤه يعرفون وهو يضيع وقته في صنع الألاعيب ، وما أغرب تخيله في أن تمتص الرياح الماء ! من الذي سمع من قبل بأمر مثل هذا ؟

طاحونة الهواء الهولاندية

لكنه على الرغم من أنه لم يكن في هولاندا من سمع شيئاً من هذا ، فإن الكاد ظل يعمل لينشئ طاحونة . وبعد أن أجرى التجربة في الألعوبة شيد طاحونة كبيرة ذات أربعة شرع بدلاً من العجلة . وجعل هذه الشرع ذات دولاب واحد لكي تظل الريح تديرها ، وذلك لأنه إذا كانت حركتها مستمرة كان من السهل أن تركب عليها عجلات أصغر منها تجعل حركة المصاصات مستمرة كذلك

أنشأ طاحونته الفخمة ولكنها كانت لا تدور إلا إذا هبت الريح

من اتجاه معين . وكذلك ظلت كما ظل من بعدها كل الطواحين الهولاندية مدداً طويلة تعمل عند ما تهب الريح شمالية شرقية

فلما تحركت وامتصت الماء استدعى جيرانه وأراهم نجاحها

وقد يكون الهولاندى بطيئاً فى تصرفه وقد يكون من الصعب إقناعه ، ولكنه متى رأى عملاً صالحاً فهو يحسن تقديره ، فهؤلاء الزارعون الهولانديون ذوو الصلابة قد قضوا العمر فى محاربة عنصرين من عناصر الطبيعة : الماء والريح . وما كادوا ينشئون تلك المراقى الرملية لتحميهم من الأمواج حتى هبت الرياح فأزالت أعالى هذه المراقى وأعادت الماء إلى الطغيان

لما رأى هؤلاء المزارعون عدويهم القديمين وقد سُخّر أحدهما لمحاربة الآخر ضحكوا وصفقوا وأثنوا على ذكاء فلورنت

وقبل أن يموت فلورنت كان نجاحه غير مقتصر على أن أصبحت الطواحين منتشرة فى كل مزارعه لتجفيف المستنقعات لتصبح الأرض قابلة للزراعة فى مواسمها ؛ بل إن جيرانه قد أصبحوا يحاكونه ، فكانت الشراعات تدور مع النسيم لمثل هذه الغاية .

وكان الناس يأتون من أطراف هولاندا ليشاهدوا هذه الطواحين

وكانت أول طاحونة ناجحة أنشأها الكتاد هى التى أنشئت فى سنة ١٤٠٨ وقبل عام ١٥٠٠ كانت هولاندا قد غصت بالطواحين الهوائية التى جعلت هذه البلاد فى ظرف أربعمائة عام شهيرة بمناظرها الزراعية . وتحولت أراضى المستنقعات إلى مزارع خصبة، وأثرى الناس، وأدرك الإنسان فوزاً جديداً هو تسخير قوة من قوى الطبيعة ضد قوة أخرى فى صنع آلاته . ونجح الهولانديون بمحالفتهم الهواء ضد الماء فانتصروا على الطبيعة

وكانت الخطوة التالية هى التى انتصر فيها الإنسان على النار فاستخدمها لإدارة العجل بواسطة البخار . وقد استطاع الإنسان ذلك بعد مائتى عام . وتم قصة العجلة تمام القدرة على تحويل الوقود إلى قوة تحرك الآلات

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

الحيلة في تقليد السياسة الألمانية

[من « ذي ايفننج استاندر »]

للسياسة الألمانية طرائق وأساليب قلَّ أن يعتريها التغيير وإن تغير الجيل واختلفت العصور . وقد مر سبعون عاماً منذ اعتزم بسمارك محاربة فرنسا ، مدفوعاً بفكرة ضم الولايات الألمانية المتحالفة التي حازتها ألمانيا ، نتيجة لحروبها السابقة التي وضع خطتها بعناية وإتقان . وكان بسمارك يطمع في تقوية مركز بروسيا بالسيطرة على هذه الولايات. فأشعل نيران الحرب في أوربا من أجل هذه الأسباب التي تتعلق بسياسة ألمانيا الداخلية

وقد كتب الكثيرون في موقفه هذا والطريق التي سلكها لتحقيق بغيته ، ولكن تلك القصة العجيبة ما زالت قابلة لأن تعاد . كانت اسبانيا تقطع مرحلة من مراحل السلام والهدوء فأظهرت حاجتها إلى حاكم عادل يسوس أمورها . فعرضت عرشها على أمير من أسرة « هوهنزلرن » . ومن الجلي أن الفرنسيين لا يرحبون بفكرة مثل هذه الفكرة ولا يسمحون بتحقيقها ، إذ أنها تبيح لأسرة واحدة أن تحكم على الرين والبرانس

فلاقى بسمارك صعوبة في تحقيق مطلبه — لا من ناحية الفرنسيين الذين لم يكن يعبأ بهم — ولكن من ناحية « سيك » ملك بروسيا الذي يقول عنه في مذكراته : « لقد كان رجلاً في الثالثة والسبعين من عمره محباً للسلام ، فلم يشأ أن يخاطر بأكاليل النصر التي نالها في حرب عام ١٨٦٦ . ويشير بسمارك هنا إلى الفوز الذي أحرزته بروسيا على أوستريا عام ١٨٦٦ في حرب قصيرة المدى

فلما رأى الملك المعمر أن حرباً أوربية توشك أن تقع من جراء قبول أحد أقربائه عرش أسبانيا ، اعتزم أن يمنعه . فما كاد يصل احتجاج فرنسا إلى يده حتى استدعى « البرنس ليوبولد أوف هوهنزلرن » وما زال به حتى رفض ما عرض عليه . ورأى بسمارك أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد ، وأنه لا يجد أمامه ما يحارب من أجله فانتهز فرصة غياب الملك للاستشفاء بمياه أحد الأنهار وأخذ يدبر الحيل لإثارة الحرب . وبينما هو والكونت مولتكي وفون ردن القائدان الألمانيان يتناولان العشاء ويتباحثان في شئون الحرب ، إذ وردت برقية من سفير فرنسا يطلب على لسان حكومته بعض تأكيدات في موضوع عرش أسبانيا ، فرأى بسمارك أن الفرصة سانحة للتدبير لبغيته ، فأدخل بضع كلمات على برقية السفير الفرنسي ، ثم التفت ذات اليمين وذات اليسار إلى القائدين الألمانيين متسائلاً عن مبلغ استعدادهما للحرب فأجاباه بما يؤيد رغبته. فلما اطلع المليك على الرسالة الفرنسية اعتبر ما فيها حاطاً للكرامة، ورفضها رفضاً باتاً. ثم أمر أن يمنع سفير فرنسا من المثول في حضرته . وقد كان بسمارك قد أعد اللازم لظهور هذه الرسالة في الصحف الألمانية في اليوم التالي ، ومن ثم أعلنت الحرب بين فرنسا وبروسيا . إنها لصورة خبيثة بالغة حد البشاعة تلك الصورة التي ظهر بها هؤلاء الشيوخ الثلاثة وهم يتجرعون كئوس الخمر ويهنئ بعضهم بعضاً لنجاحهم في إشعال الحرب بين هاتين الأمتين العظيمتين

ليس من الصعب علينا بعد هذا أن نتصور موقفاً مشابهاً لهذا الموقف فيما حدث في أوربا منذ أسابيع ، إذ قامت تلك العصابة المتعطشة إلى سفك الدماء بوضع شروطها الستة عشر التي بنت عليها إنذارها النهائي لبولندا بحيث لم تطلع عليها بولندا نفسها أو الحلفاء إلا بعد فوات الوقت اللازم للرد عليها

ففوجئ الناس بخبر الحرب ليلة ٣١ أغسطس عن طريق الإذاعة الألمانية دون مقدمات سابقة . ولكن الأمر تبين بجلاء في خطاب رئيس الوزارة الإنجليزية بعد ظهر اليوم التالي ، فتحولت الدهشة إلى احتقار واشمئزاز

إن ريبنتروب يحاول أن يقلد بسمارك في أحابيله السياسية . ولكن كم من الفروق الشاسعة بين تلك الشخصيات التي بنت مجد الإمبراطورية وتلك التي تذهب بمجدها إلى الهاوية

أما هتلر فقد عقد نيته على الحرب سنة ١٩٣٩ كما فعل بسمارك سنة ١٨٧٠ . وقد نستطيع أن نقول : إن ذلك الأرستقراطي البروسي لا يختلف على وجه العموم عن ذلك النقاش الآستورى ، فكلاهما على استعداد لإزهاق ما لا يعد ولا يحصى من النفوس البشرية في سبيل المطامع الشخصية

ألا إن بسمارك كان أكثر تهذيباً وأنضج عقلاً ، فقد كان يعرف من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي

عصبة الأمم ما لها وما عليها

[عن « نيتال سينس »]

اختلف الكثيرون في الرأي حول عصبة الأمم فمن قائل ، إنها أخفقت في تحقيق مهمتها ، وقائل أنها نجحت في هذه المهمة ، فأي الرأيين الصواب ؟

إن أعمال عصبة الأمم في العشرين سنة التي انسلخت منذ ظهورها كثيرة الشعب متعددة الألوان . ويحسن بنا أن نشبهها بمجموعة من الخيطان بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أسوده . فالألوان البيضاء تمثل الأعمال التي أدتها العصبة بنجاح في جنيف ، والألوان السوداء وهي لا شك أقل عدداً من الأولى ـ تذكرنا بالأعمال التي أخفقت فيها

فمن الواجب إذن أن نعترف بأن عصبة الأمم نجحت نجاحاً محققاً في كثير من الشئون ، ومن الواجب كذلك أن نصرح بأنها أخفقت في بعضها

لقد نجحت عصبة الأمم في عقد اجتماعات دورية في جنيف يحضرها خمسون عضواً يمثلون خمسين حكومة من حكومات العالم . وقد بدأت أعمالها باثنين وأربعين عضواً ممثلين لحكوماتهم ، ووصل هذا العدد إلى ستين في وقت من الأوقات . ويبلغ عدد الدول الممثلة في عصبة الأمم الآن خمسين دولة ، وهذا العدد يدل على اتجاه الغالبية العظمى التي تؤيدها بين أمم العالم . إذ لا يزيد عدد الدول المعترف بها في العالم اليوم على خمس وستين

وبعد سنتين من قيام عصبة الأمم أنشأت محكمة العدل الدولية في لاهاي وهذه المحكمة تفصل فيما يقع بين الأمم من المنازعات والخلافات القانونية . وهي مفتوحة الأبواب دائماً لكل دولة تريد الاحتكام إليها . وقد بلغ عدد القضايا التي فصلت فيها هذه المحكمة سبعين قضية

أما فيما يتعلق بالقضايا الناشئة عن التغيرات الطارئة على مراكز بعض الدول وما يستدعيه ذلك من إعادة النظر في كثير من الحقوق التي تدعو إليها الضرورة فقد توسطت عصبة الأمم منذ سنة ١٩٢٠ في أربعين مسألة فصلت في ثلاثين منها فصلاً تاماً . وقد قامت عصبة الأمم خارجاً عن ميدان السياسة بكثير من جلائل الأعمال ، كمنع تجارة الرقيق الأبيض ومحاربة الأفيون وغيره من العقاقير الضارة وتسهيل المواصلات بين بعض الأمم ، وإيواء المهاجرين ، وتبادل السكان بين اليونان وتركيا وبلغاريا ، والنظر في شؤون الصحة العامة وحماية الطفولة ، وتحقيق مصالح العمال

ومما لا شك فيه أن عصبة الأمم قد ضربت المثل الأعلى في عقيدة التعاون وضرورتها بين الأمم والأفراد

أما ما يؤخذ على العصبة فعدم نجاحها في منع التسلح الحربي والاقتصادي بين الأمم وإخفاقها في إيقاف الحرب في منشوريا سنة ١٩٣١ وفي جنوب أمريكا سنة ١٩٣٣ وفي الحبشة سنة ١٩٣٥ وفي إسبانيا واستريا وتشيكوسلوفاكيا وبولانده في السنتين الأخيرتين . إلا أن هذه المنازعات الفاجعة كانت مبنية على مطامع بعض الدول في امتلاك أرض الغير ، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تهرب من التحكيم ، وتقضي على كل مجهود يبذل في سبيل التوفيق



علامة تعجب

فى « الرسالة » (رقم ٣٢٩) قصيدة أبياتها أربعة وخمسون وُزخرفها اثنتان وستون علامة تَعَجُّب ، أعان الله جمّاع حروف « الرسالة » ! ولا أقصد هنا التمهل عند هذا النحو من أنحاء النظْم الحديثة، فلكل عهد من عهود الشعر المنظوم بالصنعة ذرائع ؛ وقديماً استنجد بعض الشعراء ممن قعد خاطره بمحسنات البديع ، واستغاث غيرهم ممن جدت روِيَّته بالإغراب والتهويل اللفظى، وفزع طائفةمن المحدثين إلى المسخ أو المحاكاة أو المعارضة، ثم هذى الطباعة الحديثة تبذل أسباباً أخرى فى طليعتها علامات التعجُّب (أو التنهد أو التحسر)

ولو كان فى يدى من أمر « الرسالة » شىء لكنت ضننت على الشاعر بذلك العدد الجارف من علامات التعجب ، فأدخرها للقراء أنفسهم إذا أُمر بها فتنتثر هنا وهنا فى صفحة من صفحات المجلة ، فيلتقط منها الملتقط ويختطف المختطف . ألا يحصرنا من مثيرات العجب ما لا يحصيه غير إحصائى حاذق ؟ ولو بسطتَ أطراف العجب على ما يبنتك لنفدت علامات التعجب المخزونة فى صناديق « الرسالة » مهما غصت بحروف الترقيم . وحسبى أن أتعجب مما صدمنى فى يوم واحد .

* * *

هات علامةً أتعجب بها من معاملة إدارة دار الأوبرا والفرقة القومية وشركة مصر للتمثيل والسينما . فمن المشهور أنها تدعو إلى ما تقيمه الحين بعد الحين من صنوف الفن طائفةً من الصحافيين والنَّقَدة الفضوليين الهاجين، مداراةً أو تلطفاً، وأنها تدعو زمرة ممن يقال لهم « كبار الموظفين ». تدعو هؤلاء وأولئك، وهى تُهمل نفراً من الكتاب المقدَّمين والنقّاد البصراء ؛ فإن سألها أحدهم فى ذلك قالت له « اقصدنى أتفضّلْ عليك بتذكرة دخول». فهل غاب عن تلك الإدارات ما يجرى فى نواحى أوربة المتمدينة ؟ ولعل الصديق الأستاذ توفيق الحكيم يرشد تلك الإدارات المختلفة إلى آداب المعاملة الثقافية

* * *

وعلامةً أتعجب بها من خروج مسرحية عنوانها « امرأة تستجدى » على مسرح الفرقة القومية ، وقد وصفها ناقد الرسالة خير وصف فى العدد السابق . بالله كيف أفلتت هذه المسرحية من مناظير « لجنة القراءة » وفيها من فيها ؟ ولِمَ تذيقُ الفرقة رجالها عذاب تمثيل مثل هذه المسرحية وتذيق النظارةَ شهودها ؟ هل يدخل هذا فى مجاهدات شهر رمضان ؟ ألا كثيراً ما قلنا للفرقة القومية : المسرحية المرضية إذا ترجمت خير من المسرحية التافهة وإن كانت مؤلَّفة . والتأليف المسرحى فى الأدب العربى لا يزال فى عهد الاستواء ، فاطلبوا النماذج الحسنة وانبذوا الرديئة . ولا يضير بلداً أن يقال فيه إنه لم يخرج بعد عدداً من الفلاسفة المبتكرين أو الشعراء الفحول ... إن مجد الأمم لا يرتجل

* * *

وعلامةً أتعجب بها مما جاء فى الصفحة الأولى من « مصطلحات فى باب الأحياء والطب » من « مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية » (ج٤ ص ١١ والشرح) . أصبت فى تلك الصفحة : « الحركة الذاتية » بإزاء active movement ، ثم « الحركة الخارجية » بإزاء passive movement . والذى يعرفه طلاّب الفنون أن كلمة active تنظر إليها فى العربية كلمة « فعّال » وأن passive تنظر إليها كلمة « منفعل » (و« انفعالى ») وهما من المقولتين « يفعل وينفعل » (راجع هذا فى « مباحث عربية »

ص ١٢٠ ، الحاشية) . وأما « الحركة الذاتية » فشيء آخر (وتصيب تعريف هذا التعبير في « كشاف اصطلاحات الفنون » مادة « الحركة » ص ٣٤٣ ، وفي « التعريفات » مصر ١٢٨٣ ص ٥٨) . وكيفما كانت الحال فإن التعبير الذي يقابل « الحركة الذاتية » هو : « الحركة العرضية » ، كما جاء في ذينك المرجعين . هذا وكأني بالمجمع عبّر بـ « الحركة الخارجية » عن « الحركة القسرية » (وهذا من المصطلحات العربية) و « هي ما يكون مبدؤها بسبب ميل من خارج كالحجر المرمى من فوق» (التعريفات). ومما يقابل « الحركة القسرية » في المصطلح : « الحركة الإرادية »

***

ثم علامةً أتعجب بها مما جرى به قلم الصديق الدكتور زكي مبارك ، إذ أخذ عليّ في العدد السابق أني أغلِّب إلقاء الشعر بحسب المعاني والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل ، وسبب التعجب أن زميلي الباريسي يعلم فوق علمي أن أهل الدراية من عرب وأعاجم مجمعون على أن الشاعر خير من الوازن ، وكانت العرب تقول في موضع الذم : « إنما هو عروضي ، ومقطع أبيات ووزّان تفاعيل » ، وما كان لهذا أن يكون لولا أن الشعر يقوم بمعناه ولفظه فوق ما يقوم بوزنه ، وذلك فضلاً عن أن مجرَّد الوزن إنما هو للأذن ، وأما المعنى واللفظ فلما يليها في الباطن ؛ والطرب لا يأخذ النفس اللطيفة من طريق الحسّ الظاهر ، بل هذا الحسّ إذا علا شأنه طغى على الوجدان ، فما يحسن به إذن أن يتواضع ، ومما يحق على الوزن أن ينتشر خِفيةً في تضاعيف البيت . ثم كيف يكون مأخذ الصديق صاحب « ليلى المريضة ... » — لعلها شُفيت فشفي فيشفى المواسون معه — وهو يذيع فينا أنه مفتون بالجمال ، والجمال لا تصيبه في الهيكل المظلم بل عليك به فيما يكسوه ، وإنما الوزن يكسوه المعنى واللفظ . بقي أن فن الإلقاء الحديث يَرى ما أرى ، وإن تمسَّك الصديق بما أَلِفته أذنه ، وكثيراً ما نغضب لما تعودناه ، من ذلك غضب بعضهم للحجاب وغضب بعضهم « للعتبة الخضرا » رحمها الله .

بشر فارس

(رجع) : في العدد السابق رقم ٣٣١ في خاتمة مقالي وقع سهواً : « فرعون الصغير » والوجه : « نداء المجهول » . ووقع أيضاً : « مارك اورلا » والصواب : « ماك ... » . هذا وجاء في مقال آخر رقم ٣٣٠ « هل أخفي عليك » والصحيح : « عنك »

العيد الألفي لمولد الشريف الرضي

أخي الأستاذ الزيات :

كنت تفضلت فأطلعتني على بعض ما نشر في جرائد العراق عن الاستعداد لإقامة حفلة كبيرة في الكاظمية بمناسبة العيد الألفي للشريف الرضي .

ومنذ أيام قرأت في مجلة الصباح كلمة قال كاتبها « الفائق » : إن سعادة السيد ابرهيم صالح شكر قائم مقام الكاظمية يهتم بتوسيع ضريح الشريف تمهيداً لتلك الحفلة الكبيرة .

فهل أستطيع أن أقول إن الشريف الرضي يستحق أن تقام له حفلة رسمية في العراق كالحفلة التي أقيمت لأبي الطيب المتنبي ؟

إن المجد الأدبي للشريف الرضي لم يعد ميراثاً لأتباعه من الشيعة ، مع الاحترام لصدقهم في الحرص على إحياء ذكراه ، وإنما مجد الشريف الرضي تراث للعراق أولاً، وللأمم العربية ثانياً؛ ومن أجل ذلك أرجو أن يأخذ الاحتفال بذكراه في العراق صبغة قومية لا صبغة طائفية ، فيكون من الخطباء والشعراء من يفهمون أنه من رجال الأدب قبل أن يكون من رجال الدين .

وأنت تعرف يا صديقي أن الشريف الرضيّ محرر في دنياه من الصِّبغة المذهبية فدرس كتب الشافعية ليعرف ما عند أهل السنة من أفكار وآراء ، فمن الظلم لهذا الرجل العظيم أن يحتفل بذكراه فريق دون فريق .

وفي نيتي — إن شاء الله — أن أحضر تلك الحفلة على شرط أن تصدر الدعوة إليها من وزارة المعارف العراقية ، وإلا فسأقترح على كلية الآداب بالجامعة المصرية أن تقيم أسبوعاً لذكرى الشريف كما أقامت أسبوعاً لذكرى المتنبي، فنؤدّي حق الشريف في القاهرة قبل أن يؤدّى في بغداد .

فإن قيل إن الحالة الدولية قد تمنع من إقامة تلك الحفلة بصفة رسمية ، فإني أجيب بأن الأوربيين يحتفلون بذكريات رجالهم العظماء في ميادين الحروب ، ونريد أن نكون أعرف منهم بالواجب وأحفظ للجميل .

وحين يتفضل وزير المعارف في العراق باستماع هذا القول فإني أرجو أن نزور بغداد معاً في آذار المقبل لنشترك في إحياء ذكرى الشريف ، ولنشهد تفتّح الأزهار حول دجلة والفرات ، ولنطوف بدار ليلى ودار ظمياء ... والله يحفظك للصديق الموكَّل برعاية العهود .

زكي مبارك

تخليطات فى فهرس « عيون الأخبار »

عامة الناس على أن دار الكتب المصرية ، بقسمها الأدبى ، أمثل دور النشر العربية جميعاً ، بما أتيح لها من أسباب القوة ، وما مكن لها من وسائل التحرير والضبط ، مادية وفنية ، ففيها المال والرجال ، وجنباتها الواسعة تفهق بالمراجع العظيمة والمصادر الثرية ، ولها الصوت الواسع البعيد الذى يكفل لنشراتها ما تتقطع دونه أعناق الناشرين تشوفاً وطماعية .

وما نشك فى أن « دار الكتب » جديرة — مع شىء من التحفظ — بهذه المكانة التى تتبوؤها ، فقد أسدت إلى الأدب العربى ، وإلى جمهرة المتأدبين والباحثين ، صنائع لا سبيل إلى نكرانها ، قياساً إلى تلك النشرات الأخرى التى نكب بها الأدب العربى . وإذا كان بعض الناس يغلو فى نقدها ومؤاخذتها بالبطء الشديد ، والتنكب أحياناً لمسالك النشر العلمى السديد ، فإنما ذلك على قدر الظن بها ، والأمل فيها ؛ وعلى قدر الرغبة فى أن تكون النشرات التى تقوم عليها صورة مثلى مما تضطرب به آمالنا نحو تراثنا العقلى ، من الأخذ فى تحقيقها بالتثبت الذى لا يتهاون ولا يتسامح ولا يغفل ، مما هو جدير بأدبنا العربى الذى ندين له ، وجدير بالمنزلة التى نزعمها لمصر نحوه .

ومن نشرات « دار الكتب » التى نرى فيها إلى جانب الرغبة فى التحرى والدقة والضبط مظاهر شنيعة للغفلة والإهمال والتخبط كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، مما يعد بهذه النشرة عن الروح العلمية بعداً شاسعاً ، ويضع الذين قاموا عليها موضعاً غير جدير بهم ولا بمكانهم من تلك الدار .

وأنا أكتفى من هذه المظاهر المتناثرة فى أثناء الكتاب كله بثلاثة مواضع لا عذر فيها لمعتذر ، ولا محل فيها لجدل ؛ وليس يقال فيها : رداءة الأصل وانبهام الخط وانعدام المصادر واختلاف النظر . نعى أغلاط بل « تخليطات » فى فهرس الأعلام لذلك الكتاب ، ومثل هذه الفهارس التى قيل فيها إنها نصف العلم ، إن لم يؤخذ فى وضعها بالدقة ، كانت شيئاً أشبه بالترف الذى يقوم على التقليد الظاهر ، أو التغرير الذى يلجأ إليه بعض المتجرين التماساً للعائدة المادية ليس غير ، لا ضرورة علمية توحى بها روح العلم ومناهج البحث .

١ — أول هذه المواضع يتعلق بالثورى ، وقد جاء « الثورى » فى عيون الأخبار مشتركاً بين اثنين ، يختلف ما بينهما اختلافاً كبيراً ، حتى ما يكادان يلتقيان إلا فى هـذه النسبة : أحدهما أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى ، المحدث المعظم ، والورع المعتصم بدينه وورعه عن مزالق الهوى ، والمحتمل فى ذلك أذى التوارى ومحنة التوقى ومضاضة العيش حتى لا يلى للسلطان عملاً ، ولا ينفذ إليه الشيطان من باب . وأما الثانى ، فهو أبو عبد الرحمن أحد شخصيات الجاحظ الطريفة فى كتاب « البخلاء » ، ممن اتخذهم أبو عثمان مادة لتصويره وسخريته من طبقة « البورجوازى » فى البصرة وبغداد . وحسبنا هذا لنعلم أى صورتين متناقضتين جعل منهما ناشرو « عيون الأخبار » شخصاً واحداً ، وأرسلوه فى فهرس الأعلام باسم أبى عبد الرحمن الثورى (صاحب الجاحظ) بالرغم من كل شىء ، وأخضعوا الأمر لقاعدة التغليب ... يتعسفونه اعتسافاً ... وهكذا أضاع ناشرونا الأفاضل أبا عبدالله سفيان ، كان الله له !

٢ — وأما الموضع الثانى ، فالخلط فيه أشنع ، والخطأ فيه أفظع ، أو هى المعجزة التى تمتو لها المعجزات ، وقعت على أيدى سادتنا الأجلاء ، إذ نرى الكليم موسى بن عمران عليه السلام قد تقلصت عنه السنون ، فقام ينفض غبار القرون ، فإذا هو من معاصرى أبى الهذيل العلاف وسهل بن هرون ! وحقت بذلك كلمة القوم .

فكذلك صنع ناشرو عيون الأخبار فى الإشارة إلى موسى ابن عمران فى خبر جاء فيه أن سهل بن هرون بعث إليه أبياتاً يعبث فيها بأبى الهذيل العلاف ، إذ خلطوا بينه وبين موسى ابن عمران (النبى عليه السلام)

وإنما موسى بن عمران هذا هو بعينه الذى يذكر كثيراً باسم « مويس بن عمران » ، وقد ذكره المرتضى فى الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة ، وكثير من أخباره وآرائه فى الانتصار لأبى الحسين الخياط ، والملل والنحل للشهرستانى ، والأغانى لأبى الفرج ، وأخبار أبى نواس لابن منظور . كما يردد الجاحظ اسمه كثيراً فى كتبه كالحيوان والبخلاء والبيان والتبيين

٣ — وأما الموضع الثالث فأعجب عجباً وأغرب غرابة ، والخلط فيه من طراز بدع جديد

لعل كثيراً من المتأدبين يذكرون قصيدة سويد بن أبي كاهل التي يقول فيها :

رب من أنضجت غيظاً قلبه   قد تمنى لي موتاً لم يطع

وقد جاء فيها هذا البيت يذكر ذلك المغيظ الذي أنضج الغيظ قلبه :

مزبداً يخطر ما لم يرني   فإذا أسمعته صوتي انقمع

وكنا نفهم — بكل بساطة — أنه يمثل صاحبه في هذا البيت بالجمل الهائج يخطر في مشيه ويضرب بذنبه وقد علا الزبد شدقيه ، وقد غفلنا — ونستغفر الله الذي تفرد بالعصمة — أن فوق كل ذي علم عليما . فقد أبى أصحابنا الناشرون إلا أن (مزبدا) في هـذا البيت ليس على ما خيل إلينا وإنما هو . . « مزّبد » المدنى صاحب النوادر ! هكذا والله صنع القوم . فقد أشاروا إلى هذا البيت في فهرس الأعلام ضمن ما أشاروا إليه من النصوص التي ورد فيها « مزبد » هذا وأحالوا الباحثين عليها

وبعد فإن هذه التخليطات الغليظة تكاد تهدم الثقة بدار الكتب ونشراتها جميعاً ، لولا ما نراه فيها كثيراً من آيات الجهد الجاهد في التحرير والضبط ، والبراعة العظيمة في التصحيح والتخريج . فنتساءل مع شيخنا الجاحظ : كيف تبصر البعيد الغامض ، وتعمى عن القريب الجليل !   م . ط . ع

تعليق على خطبة وزير الدفاع

ألقى حضرة صاحب المعالي اللواء محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع خطبة قوية رائعة في احتفال الكلية الحربية صباح الخميس ٢ نوفبر ، بمناسبة تخريج طائفة من الضباط الذين أتموا دراستهم . وأشهد لقد قرأت هذه الخطبة في الصحف ، فاهتزت مشاعري حماسة وإعجاباً بما اشتملت عليه من معان وطنية سامية ، تبعث العزة والكرامة في النفوس ، وتحفز إلى التضحية والاستشهاد في ميدان الشرف !

ومعالي الوزير أديب واسع الاطلاع ، دقيق الفهم لأسرار البيان ، وخطيب بالغ الحجة قوى التأثير ؛ وهو فوق هذا صاحب عقيدة راسخة وخلق متين .

إستهل معاليه خطبته البليغة بقوله : « أبنائي الأعزاء ، إن موقفي اليوم منكم هو موقف التهنئة والتبريك ، فأهنئكم من كل قلبي . أهنئكم بالنجمة الأولى في سماء المجد والشرف ، وأهنئكم بالسيف المصلت في سبيل الوطن الغالي ! »

يا له من توجيه سديد والتفاتة بارعة ! نعم إنها النجمة الأولى التي يزهو بها حاملها في سماء المجد والشرف ، لا بين نجوم المسرح وكواكب الصالات ...

إنني لأذكر مع الأسف ذلك المشهد المؤذي للكرامة والشعور حين وقفت إحدى الراقصات تلقي منلوجاً مطلعه :

النجمة في كتفك عاجباني   والسيف على وسطك خلاني

حبيتك يا ملازم ثاني ... !

فما كان من أحد الضباط وقد استخفه الطرب إلا أن قام في عربدة واستهتار يطلب الترديد والمزيد ، ثم طوح بطربوشه في الفضاء ، مزهواً بالنجمة الآفلة والسيف الذليل !

فأي ضابط من أولئك الذين سمعوا وزيرهم النبيل يلقي عليهم ذلك الدرس البليغ في تقدير هذه الشارات الرفيعة التي ترمز إلى المجد والعظمة والسمو ، تحدثه نفسه بعد ذلك بالنزول إلى هذا المستوى الوضيع ؟

لقد ترك معالي الوزير السابق أجمل الذكرى وأطيب الأثر ، حين أمر بعدم ظهور الضباط بملابسهم العسكرية في هذه الميادين . وفي ذلك معنى بليغ يجب تدبره وتقديره ، وهو أن الضابط الذي يزج بنفسه في هذه النواحي لا يستحق التمتع بشرف الجندية

وحبذاً لو أتم معالي الوزير الحالي خطوات سلفه ، فلم يجعل هذا الحظر قاصراً على الضباط فحسب ، بل نافذاً على الجنود أيضاً . حتى لا نشاهد تلك المناظر المخجلة في بؤر الدعارة والفساد جنود الوطن وعدته في الشدائد الذين يمثلون أسمى معاني الرجولة والشرف ، تمتلئ بهم المواخير في بعض الليالي والأيام

ويقول معالي الوزير في خطبته السديدة : « ليست الجندية غروراً يملأ الصدور وينفخ في المعاطس ، ولا بدلة للزينة ؛ وليست الجندية رتباً ولباساً ومطعماً ومتاعاً من النعيم الذليل . ولكن الجندية — وهي أسمى مراتب الرجولة وأسمى منازل الأخلاق — أكرم على الله والناس من أن تكون هذه غايتها وهذا مداها ! »

منطق حق وقول سديد . وما أحوج رجال الجيش إلى تدبر

هذه المعاني النبيلة ، والانطباع على تلك الأخلاق القويمة . حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه الثقال قوى العدة متين البناء . فنحن في زمن — كما يقول معاليه — من لم يكن فيه ذئباً كان في الغنم

ثم يختتم خطابه بقوله : « أوصيكم بأنفسكم خيراً ، وتحصنوا بالأخلاق فهي جنتكم من الزلل . ثم أوصيكم بالجنود خيراً ، وأكرر هذه الوصاة ، فهم عدة الوطن في شدته ، وهم طعام النيران ! ومن أساء إليهم فقد أساء الوطن ، وإني أعيذكم أن تسيئوا إلى مصر وأنتم حماة ذمارها »

وهنا أشير إلى عادة مستهجنة يجرى العمل عليها في نظام الجيش ، فيها الإساءة البالغة إلى كرامة الجنود وشرف الجندية . تلك هي نظام « المراسلة » الذي يفرض على بعض الجنود أن يكونوا خدماً للضباط لا في ميادين القتال وساحات الجهاد ، وإنما في المنازل حيث إعداد الطعام وغسل البلاط وحمل الأطفال ! بل وفيما هو أحط من ذلك في كثير من النواحي والشؤون ...

ومن المؤلم أن تكون هذه الخدمة مطمح الجنود ومقر ذوى الحظوة منهم . وفي ذلك ما فيه من إفساد للروح المنوية وانحدار عن مستوى الرجولة والشرف . فهل لمعالي الوزير الحازم — وهو يوصي بالجنود خيراً — أن يرفع عن أعناقهم هذا النير الذي يورث الذل والصغار ، فلا يفرض عليهم الخدمة في غير المعسكر أو الميدان ؟

إنا لنرجو الخير الكثير على يدى معاليه . ولنا في ماضيه الجليل في ميدان الحرب والسياسة ، وحاضره المحفوف بالتقدير والإكبار ما يؤكد الثقة ويقوى الأمل في جلال المستقبل وعزة الغد .

(حلوان) محمد كامل مينا

زكاة الفطر

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية صندوق الإحسان في بنك مصر لجمع زكاة الفطر ووجه معالي وزيرها إلى الشعب نداء بليغاً يدعوه إلى أداء هذه الزكاة جاء في ختامه قوله :

« إن وزارة الشؤون الاجتماعية حين تحمل في عنقها أمانة الزكاة تنعى إلى خاصة المسلمين وعامتهم أن إيداع زكاة الفطر في « صندوق الإحسان » الذي جعلته وعاء للخير موافق لأحكام الشرع الشريف ، فبهذا أفتى رجال الدين وعليه جرى العمل في دول الإسلام الأولى وصدور أيامه السالفة وبه تبرأ ذمة كل مسلم من عهدة التقصير في هذه الزكاة وتنتقل المسؤولية أمام الله إلى وزير الصدقات الذي هو وزير الشؤون الاجتماعية . وحسبكم أن يعطيكم وزير الشؤون الاجتماعية عهد الله وذمته فيشهد الله ويشهدكم أن ينفق ما تزكون به في وجوهه المشروعة

إن فرصة الخير أضيق من أن تمتد مع التسويف وقد علمتم أن أفضل ما تؤدى زكاة الفطر إذا لم تتأخر عن يوم العيد والله تعالى يدعوكم إليها فأجيبوا دعاءه وهو يمدكم حسن الجزاء عليها فاستوجبوا وعده الصادق بالمبادرة إلى طاعته »

اكتشاف مصل واق من التيتانوس

أبلغ المجمع العلمي الفرنسي أن الدكتور رمون والدكتور لبميه توصلا إلى صنع مصل واق من التيتانوس ودلت التجارب التي عملت أن هذا المصل يعطي الإنسان والحيوان مناعة قوية ضد التيتانوس وهو اكتشاف ذو أهمية خاصة في هذا الوقت الذي يعد فيه التيتانوس مرضاً مخيفاً في وقت الحرب

العالم المسرحي والسينمائي

مع الأستاذ توفيق الحكيم

الفرقة القومية في عهد جديد

كيف السبيل الى النهوض بالمسرح ؟

نعتقد أننا قد أجبنا على هذا السؤال فيما كتبناه عن (نهضة المسرح في مصر) ، إذ شرحنا في إيجاز جميع العوامل وكل الأسباب التي أدت إلى انحلال المسرح ، ثم قيام الحكومة بنصيبها في نهضته بإنشاء الفرقة القومية ونصيب هذه الفرقة من النهضة الأخيرة وواجبها حيالها

على أنه ما كاد الموسم يبدأ حتى كانت الفرقة قد انتقلت من يد إلى يد ، وأصبح أمراً واقعاً أن وزارة المعارف قد سلمت مقاليدها إلى وزارة الشئون الاجتماعية ، فحمدنا الظروف التي أتاحت هذا التغيير الذي سيكون له أثره في سياسة الفرقة ، والذي جعل للأستاذ الكبير توفيق الحكيم إشرافاً حقيقيًّا على شئون المسرح فلطالما كان من أعز أمانينا أن يكون لمن هو في مكان الأستاذ من المسرح هذا الأثر الفعال في توجيه شئونه

من يحمي الفنون ومن ينصرها في بلد يراها ضرباً من ضروب اللهو ولوناً من ألوان التسلية ؟ فالبعض عندنا يذهب إلى المسرح للتسلية ولمجرد اللهو ولا ينظر إلى ما وراء ذلك من فائدة وإلى ما بعد ذلك من أثر . كل ما يرجوه ساعة أو أكثر يقضيها في دار للتمثيل : يضحك ويتندر ويتحدث ، كأنما هو على قارعة الطريق ، أو في بيته أو في أحد المنتديات أو المشارب ؛ أما الفهم الصحيح للمسرح ورسالته ، وأما الرغبة الأكيدة في الإفادة من هذا الغذاء الروحي والعقلي ، فإنهما بعيدان عن تفكيره وميوله ،

ولهذا عاش المسرح في مصر خاضعاً لأهواء الجماهير ، حتى في أيام ازدهاره ، وحتى حين أخرج للناس (أوديب) و(عطيل) و (لويس الحادي عشر) وغيرها من الروايات الخالدة ، حتى في ذلك الوقت لم يكن إقبال الناس على هذه الروايات ، ولم يكن نجاحها الملحوظ عندهم إلا ستاراً لرغباتهم في التسلية ، فهم يجتمعون في دار الأوبرا ، وهم يتحدثون ويتندرون في هذا الشيء الجديد الذي يمر أمامهم ، وفي هذه الشخصيات المضيئة التي تصمد في سمائهم ، ولم توجد الرغبة الأكيدة في رفع شأن المسرح ، ولن توجد إلا إذا عهد به إلى أهل المسرح وأبنائه ، ووكل إليهم شأنه وترك لهم أمره .

من يحمي المسرح إذن ؟

هم الفنانون المخلصون الذين لا يضعون في اعتبارهم أن الجمهور يريد أن يتسلى ، والذين يفهمون أن رسالتهم بعيدة عن تسلية هذا الجمهور ، وإنما هي قريبة إلى إفادته وإلى رفع مستواه والصعود به إلى القمة حيث تنفتح عيونه على أفانين من الجمال يراها في صور متعددة من صور الفنون الحقة تسمو به وبروحه وبكل جارحة فيه إلى حيث يكشف داخل نفسه وفي نفوس الآخرين تلك الإنسانية التي تميزه عن غيره من المخلوقات

* * *

ذهبنا إلى الأستاذ توفيق الحكيم وفي خلدنا تدور هذه الآراء وغيرها ، وفي عزمنا أن نسأله بياناً عن السياسة الجديدة للمسرح المصري بعد إذ أصبحت مقاليده عند وزارة الشؤون الاجتماعية التي ناطت به شؤون الدعاية فيها . على أننا ما كدنا نقول كلمة أو كلمتين حتى أفاض ممنا في الحديث في سلاسة واتزان . قلنا : إن علة الملل هي (الرواية) فالفرقة القومية قوية بعناصرها غنية بعالمها ، وإن يكن من رأينا أن بعض العناصر ما زالت خارجة عنها

ويجب أن تضم إليها لتزداد قوة على قوة . وإنما ينقص الفرقة شيء واحد هو (الرواية) التي لم تحظ بالعناية المنشودة فيما سلف من أيام

فقال : سيكون من أول ما نعنى به اختيار الرواية الصالحة ، وقد أنشئت لذلك لجنة تنفيذية (مكونة من الشباوى بك وخليل مطران بك والأستاذ الحكيم) ، وهذه اللجنة من شأنها أن تنظر في الرواية بعد أن تمر بلجنة القراءة لترى إن كانت تصلح للمسرح وتتفق ورسالته ثم تقدر قيمتها ، ونحن نفكر في تكوين لجنة أولية من المخرجين والممثلين لتقرأ الرواية قبل تقديمها للجنة القراءة حتى لا تصل إلى أيدينا رواية تافهة ، وحتى يكون للمخرج رأيه فيما يخرج ، وللممثل رأيه فيما يمثل . على أننا سنضع نصب أعيننا أن تكون الروايات التي تخرجها الفرقة من الأدب الرفيع الذي يتفق ورسالتها ، وقد كان من رأينا أنها يجب ألا تخرج عن حدود هذه الرسالة حتى لو لم يقبل عليها الجمهور الإقبال المأمول . وأستطيع أن أؤكد لك أن الجهات المسئولة تشجع الفرقة على ذلك ولا تطلب منها أكثر من السمو بالفن ولتكن النتائج ما تكون ، وإن تكن رغبتنا أن يقبل الناس جميعاً على الفرقة وأن يشجعوها

ومن رأينا أن الروايات الممتازة الخالدة التي سبق أن أخرجت للمسرح يجب أن تخرج ثانية وأن يراها الجمهور كلما سنحت الفرصة. وسوف يرى النقاد فيها لوناً جديداً من ألوان الإخراج والتمثيل. فالمخرجون قد أصبحوا غيرهم بالأمس، والممثلون كذلك إلا قليلاً. ونحب ألا يقال إنها روايات قديمة بل يجب أن يقال إنها خالدة لا يفرغ الجمهور من مشاهدتها ولا يكف النقد عن التحدث عنها وإنك لترى أنهم في أوربا ، ولديهم المؤلف الحديث والرواية الجديدة، يمنون بتراث الآداب الخالدة. وروايات شكسبير وراسين وفولتير وغيرهم مترجمة إلى اللغات الحية ، وهي تخرج على المسارح في كل فرصة والناس يقبلون عليها كأنها روايات جديدة . وعلى هذا فلا بأس من أن تخرج روايات شكسبير وسوفوكل وكورني وغيرهم؛ ولا ضير من أن يرى الناس للمرة المائة بعد الألف عطيل وأوديب والسيد وغيرها

وكان أحمد أفندي عسكر موجوداً أثناء الحديث فأضاف (غادة الكاميليا) ، وقد لقي اقتراحه قبولاً على أن تعرب الرواية من جديد وأن يقوم بتعريبها الكاتب الأديب الممتاز الذي اشتهر بتعريب الروايات الرومانتيكية العاطفية

وعاد الأستاذ توفيق الحكيم إلى حديثه فقال :

لقد دلت التجارب على أن الرواية الموضوعة لم تصل بعد إلى المرحلة التي نطمئن لها ، ومع ذلك فإن الباب سيظل مفتوحاً للكفايات المجهولة لتتقدم على مسئوليتها بما تنتجه ، فلن نكلف أديباً أن يضع لنا رواية نكون مضطرين إلى قبولها منه . أما الروايات المترجمة فقد صح عزمنا بعد التجارب العديدة التي مرت بها الفرقة أن نختارها نحن من الأدب الرفيع قديمه وحديثه وأن نعهد بها إلى مترجمين ممتازين ممن لهم شأن معلوم ومكان معروف ، وبذلك نضمن نجاح الرواية من كل الوجوه

هذا وستعنى الفرقة بفن الأوبرا والأوبريت لترفع من شأنهما بعد إذ مرت عليهما فترة ركود حتى كاد يسدل عليهما النسيان ستاراً كثيفاً ، وحتى انصرف الجمهور عنهما إلى صالات الرقص والمجون .

وعلى العموم فإن سياستنا ستكون النهوض بالفرقة ومساعدتها المساعدة الحقة على أداء رسالتها . ونأمل أن يكون النقد ممنا وفي عوننا؛ فالفرقة لا تستطيع مقاومة العواصف من كل جانب، وعن طريق النقد ؛ سيفهم الجمهور رسالة الفرقة، وسيروض نفسه على تقبلها وإن كان لونها مما لا يتفق وهواه

وانتهى الحديث بأن أبدى الأستاذ الحكيم استعداده ورغبته في تبادل الآراء حول هذه الموضوعات وغيرها كلما جد في الأمر ما يدعو إلى ذلك

ونحن نعتقد أن في تنفيذ السياسة التي بسطها الأستاذ ما يكفل نهوض المسرح وكرامة أبنائه ونجاح رسالته

فرحون الصغير

العزيمة

بدأ عرض رواية (العزيمة) على ستار سينما ستديو مصر منذ الإثنين الماضي وسننشر كلمتنا عنها في العدد المقبل .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

7me Année No. 333

Lundi - 20 - 11 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

فى وزارة الشئون الاجتماعية أيضاً

هـــذا هو المنهاج فكيف يكون المسير ؟

حاولنا فيما سبق من القول أن نرسم لوزارة الشؤون الاجتماعية معالم المنهج الذى تسلكه مخافة أن ينتشر عليها الأمر وتلتبس الوجهة ؛ ثم تركنا لرجالها المختصين توضيح الرسوم وتحديد التخوم وتعيين المراحل . ولكن رسم المنهاج لا يكلفنا ولا يكلف الوزارة غير ساعات من النظر والفكر والكتابة ؛ وإنما عماد الأمر وملاكه أن تُنهج السبيل وتُنفذ الخطة وتُبلغ الغاية . ويلوح لى أننا نكلف الوزارة شططاً إذا أردناها على إصلاح الفاسد وإقامة المعوج وهى على حالها الحاضرة ووضعها القائم

ماذا عسى أن تعمل وزارة موظفوها خمسة عشر موظفاً وليس لها وكيل ولا نظام ولا سلطة ولا خزانة ؟

لقد صدق الأستاذ الذى قال : إن وزارة الشؤون الاجتماعية مشروع وزارة لا وزارة . فإن خمسة عشر موظفاً من مختلف الوزارات (كشليلة) خيط من غير رأس ، أو كشركة إنتاج من غير مال ، لا يستطيعون أن يفكروا إلا فى لجنة تعقد أو قرية تزار أو مقالة

تذاع أو مجلة تحرر ؛ أما تنفيذ الرأى وتكوين النتيجة وتوفير الثمرة فذلك شيء فوق الطاقة لمن لا يملك إليه الوسيلة

ولقد كان فى وزارة الصحة عبرة لوزارة الشئون الاجتماعية لو أنها التمست هداها على ضوء الدرس المنظم والتجربة الحاصلة والخبرة المختصة ؛ فإن وزارة الصحة قد فكرت منذ عامين فى كفاح المرض فهيأت له الأسباب وأرصدت الأهب، فجعلت لكل جماعة من الناس طبيباً، وسيّرت إلى كل جهة من جهات القطر مستشفى، ولكنها لم تجد المال الكافى لشراء الأدوية وتجهيز العلاج فظل أطباؤها من غير عمل ، وباتت سياراتها من غير حركة

***

إن وزارة الشؤون الاجتماعية فكرة موفقة ما فى ذلك ريب ؛ وإن الرجل الذى أوحاها خليق بأن يكون صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، فإن العهد برفعته أنه رجل عمول يريد ما يقول ويفعل ما يريد . وقد دلت الدلائل فى وزارته الأولى على أن فى رأسه خطة مدبّرة للإصلاح لا بد من إنفاذها وإن عوّق القدر وطال الأمد . ولولا ذلك ما هششنا لهذه الوزارة الوليدة ولما أسرفنا فى الرجاء منها والحديث عنها . لهذا نعتقد أنه سيفرغ لها بعد حين قد يطول وقد يقصر ، فيدبر لها المال ويمهد لرجالها سبيل العمل . وليس من الغلو فيما أظن أن تكون ميزانيتها وسطاً بين ميزانيتى الصحة والمعارف ، فقد علمنا أن اختصاصها يكاد ينبسط على كل شيء فى هذا البلد . على أن المال الذى يُفرض لهذه الوزارة فى ميزانية الدولة هو وحده النصيب الحق لهذا الشعب المسكين من ثروته العامة ؛ فإن أكثر ما يجبى من موارد الوطن المشتركة إنما يذهب للحكومة لا للأمة ، وللأغنياء لا للفقراء ، وللمدائن لا للقرى . وجمهور الشعب هو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعدة دفاعه ، فينبغى أن يكون همّ الخاصة وولاة الأمر مصروفاً لسد عوزه وتثقيف عقله وتأمين سلامته، لا يضنون عليه فى سبيل ذلك بمال ولا جهد

إن رئيس الوزارة الذى يتذرع لتقوية الدفاع الوطنى بكل الذرائع ، لا يمكنه أن ينسى مادة ذلك الدفاع ولاهيكله من العمال والصناع والزراع ومن يقمن على رعايتهم وخدمتهم من أم وزوجة فلعله يقرع بصوته العالى أسماع أولئك الأمراء والأغنياء فينزلوا عن بعض ترفهم وسرفهم للجيش أسوة بمن يضحون بأرواحهم وأموالهم فى سبيل وطنهم من أمراء انجلترا وأغنياء فرنسا ؛ فإنهم إن فعلوا ذلك — وبعيدٌ أن يفعلوه طائعين — تسنى له أن يجد المال الضرورى للشؤون الاجتماعية ، ومن ثَم يتسنى لوزارة هذه الشؤون أن تنهض بما ألقى عليها من عبء، وتحقق ما نيط بها من أمل

***

نعم ، هذا هو المنهاج فكيف يكون السير ؟ هيهات أن تسير وزارة الشؤون الاجتماعية إلا على قدمين من عزم ومال . فمتى تيسر لها المال وتوفر لها العزم كان عليها يومئذ أن تعيد النظر فى تنظيمها وتقسيمها على أساس مكين من الحاجة والكفاية والاختصاص ، فإن الإسراف فى قلة الموظفين كالإسراف فى كثرتهم سواء بسواء ؛ والعدول عن الكفء إلى غيره جناية على العدل وإنكار لفائدة العمل ؛ ووضع الأمر فى غير أهله أقصر الطرق للفوضى المربكة والفشل المحقق . وإذا كانت الوزارات الأُخر تجرى على سَنَن من التقاليد الموروثة والأنظمة الآلية والأعمال الرتيبة ، فإن هذه الوزارة الجديدة فى وضعها وموضوعها حرية بأن تكون مثلاً يحتذى فى اختيار الوظف، وابتكار الطريقة، وتبسيط الإجراء ، ودقة المراقبة ، وحسن التوفيق بين قدرة العامل وطبيعة العمل، وفرض المسئولية على كل موظف بمنح الاستقلال الذاتى لكل وظيفة . وتجربة النظم الحديثة فى الجديد المنشأ أسهل منها فى القديم المجدّد . وتحويل الوزارة القديمة بمصطلحاتها وطفيلياتها ومحاباتها وفوضاها إلى وزارة جديدة بطريق التنظيم ، أدخل فى باب المحال من تحويل المدينة العتيقة بمنعرجاتها ومنعطفاتها ومضايقها إلى عمارة حديثة بطريق الترميم

وملاك الأمر فى الإصلاح الدرس والروية والمشورة والعزيمة والنفاذ، على أن يكون كل عمل فى وقته ، وكل رأى فى وجهه ، وكل أمر فى أهله . ومدار النجاح فى العمل العظيم على الرزانة والجد. فإذا قضى الله أن يعاجلك الفشل دون التمام ، فخير لك أن تفشل بالصمت لا بالكلام!

احمد حسن الزيات

الشيوخ والسياسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشيخوخة زيادة ونقصان

زيادة فى الخبرة والحنكة ، ونقصان فى الطاقة والهمة ، والأمم السعيدة هى الأمم التى تحسن الانتفاع بجانب الزيادة ، وتحسن الحذر من جانب النقصان

أما الأمم التى تهملهما إهمالاً فهى مسرفة مضيعة ، قد تفوتها المنفعة ولا تضمن أن تفوتها الخسارة

* * *

فى جزائر الفيجى ، على ما يقال ، قبيلة تقتل الشيوخ الفانين أو تدفنهم أحياء ... لأنهم لا ينفعون فى حرب ولا صيد ولا عمل . وقد يعرقلون أعمال النافعين

أولئك قوم من الهمج لا يحتاجون إلى الرأى ولا يفتقرون إلى عبر الماضى وهى كل ما يعرفه الشيوخ . فإذا بدا لهم أن الشيخوخة ضرر محض وسن عقيمة فلا عجب : هى كذلك بين أمثال هؤلاء الناس

وفى اليابان مجلس للشيوخ الكبارين ينتظم فيه الرجل بعد اعتزاله مناصب الحكم ومعارك السياسة ومطامع الحياة ، وقلما ينتظم فيه قبل السبعين أو الثمانين . فإذا أشار بالرأى فإنما ينزع فيه عن غرض قويم لا خبيئة وراءه من طمع ولا ضغينة ، أو هكذا يعتقدون هناك فى فضائل الرأى الذى يصدر من مجلس الكبارين ، وما نخالهم على الصواب كل الصواب فيما اعتقدوه ، لأن المرء قد يطمع لغيره إذا بطلت مطامعه لنفسه ، وقد يكون طمعه لابنه أو زوج بنته أو نصيره أشد تمكناً من هواه وأثقل غشاوة على بصره من الطمع الذى كان يطمعه لنفسه فى شبابه

لكن هؤلاء الكبارين ينفعون

ومتى كان لهم بعض النفع فمن الإسراف تضييعه ، ومن الواجب تمييز نفعهم وضرهم قبل رفض النفع والضرر جزافاً على السواء

* * *

أما اعتقادنا نحن فى آفات آراء الشيوخ فالمحقق أنها عرضة لآفتين متلازمتين قد تفسدان كل ما لهم من أصالة وصواب : إحداها التهيب من الأعمال الجسام ، والثانى الحرص على العادة المتبعة والاستخفاف بكل شىء لا يضمنون أيديهم عليه ، ولا يملكون تصريفه مع خلفائهم فى الميدان

وقد خطر لى هـذا الخاطر يوم نقل البريد الإنجليزى إلينا أقوال لويد جورج وأحاديثه التى يذكر فيها أنه يتلقى الرسائل كل يوم بتعجيل مؤتمر السلام ، وأنه يرى « أن تتولى الولايات المتحدة عقد هذا المؤتمر ، وألا يكون أساس البحث فيه عودة الحدود البولونية والتشيكية إلى ما كانت عليه قبل احتلال الألمان ، بل ضمان الوسيلة التى يتحقق بها دوام السلام بين شعوب العالم »

عجبت لهذا الرأى يصدر من الرجل الذى ألب الدنيا على غليوم الثانى ، وهو لم يبلغ مبلغ هتلر من إقلاق الشعوب وإهدار العهود وإزعاج الشرق والغرب بالتهديد وراء التهديد ، والإرهاب فى ذيل الإرهاب

عجبت لمثير الأمم كلها إلى الحرب كيف يحجم هذا الإحجام ، ويرتاع هذا الارتياع ، ويحسب أن الحرب شر من العواقب التى لا تنقطع فيها الحروب ولا تهدأ فيها الفتن لو نجح هتلر فيما ابتغاه وفقدت الشعوب كل سند تستند إليه حيثما جمح به هواه ، وعاد إليه ديدنه وهجّيراه ؟

أهذا لويد جورج الذى كان يقسم لا يتركن غليوم حتى يشد بيديه حبل مشنقته فى العاصمة الإنجليزية ؟

أهذا لويد جورج الذى كان يقسم لينفشن جيوب الألمان فرداً فرداً عن بقية الدراهم الباقية عليهم من غرامات الهزيمة ؟

كلا ! ...

إنما لويد جورج الذى يقول هذا هو كما قال شاعرنا العربى :

فكأنى وما أزين منها ... قَعَدىٌّ يزين التحكيما

لا ينصح بالسلام إلا كما ينصح الرجل بالعفة إذا خمدت فيه نار الغرام . أو هو كما قال خصومه « لويد جورج فى السادسة والسبعين » !

أما لويد جورج الذى شن الغارة العالمية على غليوم الثانى فقد كان رجلاً آخر ، لأنه كان لويد جورج فى نحو الخمسين

وشتان اللويدان !

وشتان كل إنسان يتعاقب عليه هذان العمران

* * *

ولقد كان لهذا الشيخ الكبار أخ له من قبل كان أعظم منه شأناً وأرفع فى الخدمة الوطنية رتبة وأخلد سابقة فى سجلات وطنه وسجلات العالم بأسره

لأن لويد جورج هزم غليوم

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير

ولأن لويد جورج هزم غليوم فى ديوان الوزارة أو على منصة الخطابة

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير بالرأى والسيف ، أو هو كان ظافراً فى الميدان كما كان ظافراً بعد ذلك فى الديوان

ولأن لويد جورج لا ينسى المناورات السياسية والمفاجآت المسرحية

أما أخوه السابق فقد كان مثلاً فى صراحة القول وصراحة العمل ، وكان نموذجاً من نماذج الفروسية فى غزواته الحربية أو غزواته الوزارية

ذلك الأخ السابق كما علم القارئ الآن هو ولنجتون القائد السفير الوزير

وقد هزم نابليون وهو فى الخامسة والأربعين ، ثم ساورته مخاوف الهرم فقال بعد أن جاوز الثمانين : « إنه يحمد الله الذى حماه أن يعيش حتى يرى عاقبة الخراب الذى تتجمع حولهم دواعيه » !

ولنجتون فى الخامسة والأربعين غير ولنجتون فى الثالثة والثمانين

ولويد جورج فى السادسة والسبعين غير لويد جورج فى الخمسين

ولا بد للشيخوخة من آفة وهى هى اضمحلال الحياة

وهذه هى آفة الشيخوخة لا مراء

* * *

على أنها ليست آفة الشيخوخة وحدها فيما يرجع إلى صاحبنا لويد جورج

لأن الرجل كان فى الخامسة والسبعين قبل عام واحد وليس الفرق عظيما بين شيخ فى الخامسة والسبعين وشيخ فى السادسة والسبعين

كان لويد جورج شيخاً كباراً فى شهر أكتوبر من السنة الماضية

وكان لا يكف يومئذ عن تحذير رئيس الوزراء من الضعف والهوادة « مخافة أن نخون الشرف وأن نفقد ثقة العالم . بل شر من ذلك وأدهى أننا نفقد الثقة بأنفسنا . ثم لا يكون سلام بعد هذا كله فى خاتمة المطاف ! »

فالذى يقول هذا فى الخامسة والسبعين خليق أن يقول مثله فى السادسة والسبعين

عام واحد لا ينقل الإنسان هذه النقلة ، ولا ينال من عزيمته هذا المنال

فالشيخوخة على كثرة آفاتها براء مما نجنيه عليها حين نلقى عليها وحدها تبعة الخلاف فى الرأى إلى هذا الذى بين عام وعام

إنما هناك أمور أخرى تمهل عملها وتسبق الشيخوخة إلى آفاتها

إنما هناك شعور الرجل من قبل فرنسا لم يفارقه منذ كانت سياستها فى حرب الأناضول سبباً من أسباب فشله وزوال عهده

وإنما هناك شعور الرجل من قبل ألمانيا وما أبقته فى قلبه زيارته لزعمائها

وإنما هناك حب الملام ممن يده فى الماء لمن يده كما يقولون فى النار .

وإنما هناك مفاجآت لويد جورج ، ولا غنى للرجل عن مفاجآت

* * *

لقد حوسب الرجل بعد خطابه حساباً عسيراً :

حاسبوه على تبشيره بالمحالفة الروسية ، وتبشيره من قبلها بالمحالفة الألمانية ، وتبشيره بكل خطة تخالف ما خطته الوزارة القائمة ، ثم يكون الفشل من نصيبها ويبدو الفقم على وجهها قبل أن تنحدر إلى عقابيلها

حاسبوه ولم يظلموه

وحاسبوا الشيخوخة وظلموها فى غير ذنبها

وإن يكن للشيخوخة ذنب فمن الشيخوخة شفيع !

عباس محمود العقاد

السرا كينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ — السرا كينوى لا السرا كينوس

كتب حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد الله العمودى مقالة بعنوان (السارا كينوس) فى الجزء الـ ٣٢٧ من (الرسالة)، ونقل عبارة المسعودى المأثورة عن نقفور الأول، ملك الروم، وهى: «وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس)، تفسير ذلك: عبيد سارة، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وقال: تسميتهم عبيد سارة كذب. والروم إلى هذا الوقت (يعنى سنة ٣٤٥) تسمى العرب (ساراقينوس)... اهـ

قلنا: إنّ حضرة الأستاذ خُدع بما طُبع من نص هـذا الكتاب، إذ نقل (ساراكينوس) أو (ساراقينوس) بمعنى العرب. والصواب أن قد وقع خطأ فى طبع هذا الاسم وهذا الصواب هو (ساراكينوى) أو (ساراقينوى)؛ أى بياء فى الآخر فى مكان السين. وأما إذا كان اللفظ مختوماً بسين فيدلّ على الفرد لا على الجمع، كما هو مشهور فى تلك اللغة

٢ — معناها

وأما أن نقفور قال: معناها عبيد سارة، فهو من تأويله الخاص به، ولم يذهب إليه أحد من العلماء الأقدمين، ولا من المحدثين. وأنتَ عليم أن هذا الملك وُلِدَ فى سلوقية العراقية، فى جوار المدائن، وكان فيها يومئذ مدارس عامرة تضارع أشهر مدارس ربوع اليونان؛ فتبحّر نقفور فيها كما تبحر فى مطالعة التواريخ القديمة. ولو كان معنى هذه الكلمة كما يقول هذا الملك لقيل Sara-Ktènoi (أى ساراكينوى)، أى مملوكات أو مماليك سارة، لكن لم ينطق أحد من المؤرخين أو المؤلفين بهذا اللفظ، اللهم إلا أن يكون قد نُحِتَ وصُحِّفَ فقيل ما قيل. لكن يبقى أن هذا التأويل خاص بالملك نقفور دون غيره؛ ويدل على قوة فكره، وتضلعه من اليونانية، وتلاعبه بالألفاظ والتصرف فى التخريج وأوَّلَ هذا التأويل تزلفاً من الناطقين بالضاد، واستمالتهم إليه، إذ كان فى حاجة إليهم يومئذ، واسترضائهم فى ذلك العهد، وليس للمسعودى أدنى خيال فى هذه المسألة. فهو إذاً ناقل لا قائل، والمسعودى مؤرخ أمين وفىّ، لا يستحق أن يغمز غمزات هو برىء منها

٣ — معالجتنا لهذا الموضوع قبل ٣٥ سنة

وكنا قد عالجنا هذا الموضوع منذ أكثر من ٣٥ سنة، فأدرجنا فى المشرق (من مجلات بيروت) فى سـنة ١٩٠٤ فى مجلدها السابع ص ٣٤٠ إلى ٣٤٣ مقالة عنوانها: (العرب أو السَّرْحِيُّون). ثم عدنا إلى البحث، فنشرنا فى مجلتنا لغة العرب ٧: ٢٩٣ إلى ٢٩٧ مقالاً وسَمْناه (السرحيون أو الشرويون)، وفى ٧: ٤٨٨ و ٤٨٩ أيضاً. وعدنا إلى البحث رابعة فأصدرنا مقالة فى لغة العرب المذكورة فى ٨: ٥٨٤ وسمناها (الشرويّون)، وبينا أن (سراكينوى) هم الشرويون أو أهل الشراة، وهو اسم العرب الذين يقطنون الشراة، وهو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول، وكان من عمل جُند دمشق

والآن نقول إنّ صحيح الاسم هو السراة بالسين المهملة، لا الشراة بالشين المعجمة

وأما كيفية تحوّل السراة إلى (سراكينوى) فظاهر من أن السراة، وهى تشبه سارة بعض الشبه إذا ما كتبت بحروف يونانية أو رومانية، كُسمت بأداة النسب عنـدهم، فصارت (سراكينوس) بالفرد، و(سراكينوى) بالجمع. فانتهز هذه الفرصة الملك نقفور وأوّل اللفظ بالوجه الذى نقله المسعودى

هذا هو تأويل اللفظ اليونانى، وهذا هو وجه تحوله إلى ما تراه وتسمع به

٤ — ذكر اللفظ غير المسعودى

أما قول الأستاذ العمودى (ص ١٩٣٩ من الرسالة): «هذه الكلمة قد سجلها التاريخ فى مطاويه منذ عهد عريق جداً، فالعرب لا تعرفها مطلقاً، إذ لم تشتهر فى تاريخهم، وما وردت فى نظمهم ولا نثرهم. فإذا كان المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى ذكرها، فلا شك أنهـا هبطت عليه عرضاً، واقتنصها اقتناصاً من أحاديث الروم. ومعنى هذا أنها غير مشهورة

بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم ، فهم يجهلونها كل الجهل ، جهلهم بأصلها »

فجوابنا هو : لا يمكن أن تكون هذه اللفظة معروفة عند العرب بهذه الصيغة المفلوجة الملوجة ؛ إنما يقولون : أهل السراة أو السرويون . — وأما أن المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى ذكرها ، فنحن لا نوافق عليه حضرة الكاتب الجليل ، فقد ذكرها ابن الأثير أيضاً فى تاريخه (١ : ٢٤٠ من طبعة الإفرنج) بصورة (ساراقيوس) ونقل عبارة تفنو رعينها ، فقال : « وكانت الروم تسمى العرب سراقيوس (كذا) ، يعنى عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل . فنهاهم عن ذلك » اه

ومعلوم أن ابن الأثير جاء بعد المسعودى بنحو ثلثمائة سنة ، فلا جرم أنه نقل هذا الخبر عنه . وكنت قد قرأت فى كتاب تاريخ قديم سبق المسعودى بنحو مائة وخمسين سنة ، وهو لنصرانى ذكر (الساراكينوى) فيكون هو أول مؤرخ عربى ذكرهم بهذا الاسم ، فأخذ عنه سائر مؤرخى العرب ، لكنى لا أتذكر اسمه ، ولا اسم كتابه

وعلى كل فليس للمسعودى أدنى خيال فى هذه الكلمة ، فهو ناقلٌ ، ثقةٌ ، حجةٌ ، ثبتٌ ، يعتمد عليه

٥ — لماذا سمى العرب ساراكينوى أى سرويين

إن الأمة الواحدة ، الوافدة على أمة ثانية ، إذا اتصلت بها حديثاً وهى لا تعرفها ، سميت المجهولة باسم تذكره لها الأولى ، كما أنه إذا جاءك طارئٌ تجهل اسمه ، فإنك تسميه بعد ذلك بالاسم الذى عرَّفك به ، لا بالاسم الذى تضعه أنت له . فاليونان والرومان اتصلوا بعرب السراة أو السَّرَوات منذ أقدم الأزمنة ، فذكروهم بالاسم الذى تسموا هم به ، ثمَّ أطلقوه على العرب جميعهم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كما أن الإرَميين لا يعرفون العرب إلّا باسم (طائيين) لأنهم أول ما عرفوا منهم ، كانوا من طيٍّ لمجاورتهم لهم ، واتصالهم بهم ، ثم أطلقوا هذا على العرب جميعهم وإن لم يكونوا من طيٍّ . ومثل هذه التسمية كثيرة الوقوع فى التاريخ

٦ — موافقة الساراكينوى للسرويين فى جميع مانقل عنهم

إذا حفظتَ فى صدرك ما بسطناه لك ، انجلتْ لك عرائس الحقائق بوجوهها الصبيحة . فقد نقل الأستاذ الفاضل من الملة الإيطالية : « إن هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور فى دائرة ضيقة من التعريف لا تطلق على الشعب العربى كله إنما كانت خاصة بقبيل معيَّن يسكن على شواطئ خليج العقبة فى الجزء الجنوبى لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ (ساراكين) اه . فهذا داخل فى أن هـــذا الجزء من سيناء هو من ملحقات السراة لا غير

وقول الأستاذ العمودى : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة فى كتاب المؤرخ الإغريقى Dioscorids of Anazarabos فى منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « المقل » ، فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » اه . قول يحتاج إلى تصحيح فيقال : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة (هو) فى كتاب الطبيب الشجار الإغريقى ذياسقوريذس العيْن زربى[1] ، من أبناء المائة الأولى للمسيح حينما وصف صمغ « المقل » ، فقال : « صمغ شجرة تكون ببلاد العرب » (عن ابن البيطار فى مادة « مقل » ٢ : ١٦٢ من طبعة مصر) وأحسن من هذه العبارة هذه الترجمة : « هو صمغ شجرة تكون فى السراة أو فى السروات »

وقال الأستاذ العمودى نقلاً عن مملة الإسلام وإن لم يصرح به : « وذكر المؤرخ الرومانى بلينوس الأكبر فى كتابه « التاريخ الطبيعى » ، وقد كان معاصراً للاغريقى السابق الذكر ، هؤلاء

(١) نقل الأستاذ كلامه عن مملة الاسلام ولم يشر إليها ، ورواية الملمة سالمة من التصحيف فليرجع إليها : وراجع تاريخ الحكماء لابن القفطى ص ١٨٣ من طبعة الافرنج ، والفهرست ص ٢٩٣ من طبعة أوربة ، فقد قال الأول : معنى اسمه فى اليونانية : شجار الله ، لأن ذياسقور : شجار ، وينوس : الله ، أى ملهم الله على القول فى الأشجار والحشائش » والمشهور من ذياسقوريذس أو ديسقوريدس ، كما يكتبها آخرون ، لم يكن مؤرخا بل كان طبيبا وشجارا ، وصف أحسن وصف العقاقير الطبية ، وعنه نقل معظم العرب ما ذكروه عن الأنبتة وخصائصها الطبية كابن البيطار والغافقى وأبى الريحان البيرونى ، وحبيش ، والتميمى ، والبصري ، والشريف ، وإسحق بن عمران ، والمنصور ، وأبى العباس الحافظ ، وغيرهم

« السراكين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية فى صميم الصحراء ، والتى تتاخم بلادهم بلاد الأنباط » اهـ

قلنا : ولو قيل : « إن السرويين أو أهل السراة هم من جملة القبائل العربية ... » ، لكان الكلام عين الصواب . لأن صفة البلاد التى وصفها بلينوس هى صفة ديار السرويين تماماً

ومن مقال الأستاذ العمودى ، وهو مقتبس أيضاً من الملمة الإسلامية : « وجاء على أثر هؤلاء ؛ المؤرخ بطليموس ، فى منتصف القرن الثانى للميلاد ، فذكر بلاد « السراكين » Sarakene فقال : « إنها تقع فى بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea ، وعيّن مكانها بقوله إنها تقع فى غرب الجبال السوداء (لعل الصواب السُّود) التى تمتد — بناء على قوله — من خليج فاران إلى أرض اليهودية ... »

قلنا : وهذا يثبت ما ذهب إليه وُصّاف البلدان من السلف أى أنّ السرَوَات تمتد من أقصى اليمن إلى الشام »

وأما قول الأستاذ العمودى : « ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد ونقض قوله ، فقال فى موضع آخر من مؤلفه : « إن « السراكين » شعب يقيم فى داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Feliza (كذا . ولعل الصواب Ar. Felix) يقصد بذلك بلاد اليمن وزاد على ذلك فقال : إن السكينتس Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السراكينوس » و « الثمودون » اهـ

ثم قال الأستاذ العمودى: وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة فى السكن بين « السراكينوس » و « العاديين » مثلاً . فأولئك — كما علمنا — مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم فى جبال حضرموت ، والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس » اهـ

قلنا : إن حفظنا فى ذاكرتنا السروات وأنها تمتد من أقصى اليمن ، وفيها حضرموت ، إلى الشام ، فهمنا كلام بطليموس كل الفهم ، وبلا أدنى صعوبة ، من أوله إلى آخره ، وأن ليس ثم أدنى مناقضة . فبعض المؤرخين من اليونان والرومان تكلموا على قسم من ديار السرويين ، وآخرون على القسم الأوسط ، وكثيرون على أقصى تلك الربوع ، حسب احتياج الكاتب إلى ذكر قسم دون قسم آخر من السراة

(البحث بقية — بغداد) الأب أنستاس مارى الكرملى

بين الإسلامية والعربية

صفحة موجزة من التاريخ

للأستاذ علي الطنطاوي

لما أراد الله أن يتم على العالمين نعمته ، ويختم فيهم رسالته ، وينزل عليهم (الكتاب) الذى ما فرط فيه من شىء ، الجامع لكل ما يسعدهم فى أولاهم وأخراهم ، الخالد الذى تعهد عز وجل بحفظه وكفل حمايته ، اختار الله لرسالته محمداً رجلاً من العرب لا من الروم ولا من الفرس ، فأنزل عليه وحيه ، واختصه بفضله وهو أعلم حيث يضع رسالته ، وبعثه فى (مكة) أم القرى ، لم يبعثه فى (روما) أم المدائن ، ولا فى (قصبة فارس) ذات الإيوان ، وأمره أن يبدأ بقومه من قريش فيدعوهم ، وبعشيرته الأقربين من هاشم فينذرهم ، وأنزل عليه القرآن كتاباً عربياً لم ينزله بلغة روم ولا يونان ، منة امتنها الله على العرب ، ونعمة أفردهم بها …

وكان العرب — على كريم خلالهم ، وجميل سجاياهم ، وأنهم لم تفسدهم الحضارة التى أفسدت غيرهم من الأمم — فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وتنازع واختلاف ، ذوى عصبية جاهلية يقاتل الرجل منهم أخاه على بكرة ، ويزاحمه على قطرة ، إن دعوا فإلى جامعة القبيلة ورابطة العشيرة ، وإن نادوا فيا لَتغلب ويا لَبكر ويا لَعبس ويا لَذبيان ، ما نادوا قط : يا لَلعرب ! فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يحييهم : إلى طرح أصنامهم وآلهتهم ، وعبادة الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، وإقامة الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة التى تصلح حال الأمة ، وتؤلف بينها ، وتحيي فقيرها بما لا يضر بذله غنيها ، وصوم رمضان وحج البيت وشهادة المؤتمر الأكبر فى عرفات ، واستكمال مكارم الأخلاق ، وطرح عصبية الجاهلية ، واستبدال الخلاف والتنازع بأخوة فى الله ، ووحدة فى الإسلام ، فأجاب منهم من كتب الله له الحسنى ، وأبي من سبق عليه الشقاء ، فصار الناس فريقين : مؤمنين وكافرين ، وصار القرآن ينزل بـ(يا أيها الذين آمنوا) بعد أن كان ينزل بـ(يا أيها الناس) ، ولم يبق إلا نسب الإسلام نسب ، وبطلت من دونه الأنساب ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي تالياً شتم عمه الأدنى أبي لهب الهاشمي القرشي (تبت يدا أبي لهب وتب) ويقول عن سلمان الفارسي الأعجمي : سلمان منا أهل البيت . وتطوى بنت أبي سفيان رضى الله عنها الوسادة عن أبيها وتقول إنما أنت رجس ، وقد كان (رحمه الله) يومئذ على دين قومه ، ويستأمر رسولَ الله فى قتل شيخ المنافقين ولدُه الذى انحدر من صلبه ، ويقول أبو بكر رضى الله عنه لابنه (وكان مع قريش) : لو تراءيت لى فى المعركة لقتلتك . لا تأخذهم فى دين الله شفقة ولا رحمة ، ولا يعدلون برابطة الدين رابطة ولا رحماً ، ويؤيد الله المسلمين بنصره فينصرهم ببدر وهم أذلة ، فيقتلون المشركين ولم يقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ويثبتهم فى أحد ويرسل على الأحزاب ريحاً وجنوداً لم يروها ، وينزل أعداءهم من اليهود من صياصيهم . ولبثوا على ذلك حتى أراد الله إكمال الدين وإتمام النعمة ، فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وعم الإسلام الجزيرة وألف بين أهلها (ولو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) واجتمع المسلمون فى حجة الوداع ، وقام صلى الله عليه وسلم يخطب مبيناً ومودعاً ومبلغاً ، فقال[1] :

أيها الناس اسمعوا قولى ، فإنى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم

أيها الناس ، إن لكم على نسائكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبيّنة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرّح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت ،

(١) رواية ابن هشام

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمنّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد

وانتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وخرج المسلمون لينشروا دين الله ، وينقذوا العالم ، فكانوا يعرضون على من يلقون خصالاً : أولاها أن يدخل في الإسلام فيكون واحداً منهم له مالهم وعليه ما عليهم ، لا يفرق بين المسلمين اختلاف لون ولا تباين لسان ، ولا يفضلون عربياً على عجمي إلا بالتقوى ؛ فإن أبى رحمة الله وكره دين الحق ، عرضوا عليه الثانية وهي أن يدفع الجزية فيكون له ذمة الله وذمة رسوله وذمم المسلمين ، ويكون في حرزهم وكنفهم ، حقه محفوظ له ، وحريته مضمونة ومعابده قائمة ، وإن تعدى عليه مسلم انتصف له منه ، ثم إن الجزية شيء لا يكاد يذكر ، دراهم قليلة هي دون ما على المسلم من زكاة أو عشر أو غير ذلك ، ثم إنها يعفى منها الصبي والشيخ العجوز ، والراهب المتعبد ، فإن أبوها فقد آذنوا بالحرب . وكذلك فتحوا البلدان ، فلم تكن إلا سنوات حتى تغلغل الإسلام في أقاصيها . ولم يمض القرن حتى غدت بلاد العجم كلها مسلمة الدين ، عربية اللسان ، ونشأ من كل مدينة فيها علماء فحول كانوا أئمة الدين وكانوا أعلام الأدب وكانوا مصابيح الهدى ، وحسبك بالبخاري والرازي والطبري والمروزي والتبريزي والجرجاني والأصفهاني والقزويني والفيروزابادي[1] ممن نشأ في بخارى والري وخراسان ومرو وتبريز وجرجان وأصفهان وقزوين وفيروزاباد . ممن كان من أصل عربي أو كان من أرومة فارسية كأبي حنيفة وسيبويه والحسن وابن سيرين والزمخشري ، من العلماء أو من الأدباء كابن المقفع وبشار وأبي نواس وابن الرومي ، ولم يكن فيهم من يرضى أن تقول له أنت أعجمي يخدم العربية ، بل هم لا يرون أنفسهم إلا عرباً ، ولا يجدون شتماً أبلغ من أن تقول لواحدهم « أنت شعوبي » قال الزمخشري أستاذ الدنيا جار الله في مقدمة مفصّله : (الحمد لله على أن جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية ، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين)

وسبب ذلك أن الإسلام امتاز من سائر الأديان ، بأنه دين وقومية جامعة ، وأنه سياسة وإنه تشريع (ولما كان الإسلام[1] ديناً وجنسية ، وقد رفع الحدود بين الأمم اللاتي تدين به ، وكره أن يدعى فيها بدعوة الجاهلية ، وجعل أصحابها جميعاً إخواناً يؤلف مجموعهم كتلة واحدة لا فضل فيها لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ولما لم يكن بد للمجموعات البشرية من رابطة تتعصب لها وتعتصم بعروتها ، فإنه وهو دين التوحيد ودعوته للاتحاد . . . كان لا بد للمسلمين من وحدة عامة ، وعصبية عامة ، ولسان عام ، وقد نبت الإسلام عربياً ، وبعث على لسان رسوله العربي ، ونزل قرآنه بلسان عربي مبين ، فصح لهذا أن يمتزج الفرع بأصله ، ولن يتحد الإسلام بالعربية ، وأن يكون لسان شعوبها قاطبة ، وقد نجحت هذه النظرية أتم نجاح ، وأخلص المؤمنون العمل بها ، فعمت العربية ذلك المنبسط الأسيوي والأفريقي إلى حدود جبال البرنة في أوربا، وذلك ما يعجب به علماء الاجتماع الآن)

فكان انتشار لسان العرب في هذه الأمم كلها واستعرابها قاطبة من عمل الإسلام الذي جعل العربية لسان العبادة بين العبد وربه . وأوجب على كل مسلم تعلم شيء منها يقيم به صلاته ، وجعل فهم القرآن وهو غاية كل مسلم معلقاً على درس العربية وفهمها ، وجعل حب النبي وقومه من أصول الإسلام ، كما أوجب الحج لتكون هذه البقعة العربية القاحلة وهذا الوادي العاري غير ذي الزرع أحب إلى المؤمن من داره وبلده

* * *

على هذا الأساس أنشئت الدولة الإسلامية الضخمة ، وقامت تلك الحضارة الجليلة وبنى الماضي العظيم ، ولا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

ثانوية (كركوك) — **علي الطنطاوي**

* * *

تصويب : وقع في أوائل مقالي (طالب علم) في العدد (٣٢٨) من الرسالة كلمة (فيتحامونه) وواضح أنها خطأ مطبعي صوابه (فيتحاموه) على النصب

(١) وأمثالهم وأمثال أمثالهم من علماء خراسان وما وراء النهر ، ممن ذكر في معجم البلدان ومن لم يذكر

(١) هذه العبارة إلى آخرها من كلام الشيخ محمد سليمان رحمه الله

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

(تابع)

كان كوينتليان[1] Quintilian الروماني – معلم البيان – بيئيّ المذهب Environomentalist . فكان يعتقد أن الفروق السيكلوجية بين الأفراد – وبخاصة العقلية والخلقية منها – هي من آثار البيئة . وكان يرى أن التربية تمحو هذه الفروق أو تقلل من أهميتها . وقد بنى رأيه هذا على تجاربه في إعداد خطباء الجماهير . وهو يميل إلى أن التمرين قد يعوض على الفرد ما قد حرمته الوراثة . وهو يقول في كتابه « معاهد الخطابة » Institutio Oratoria ما يأتي :

« على الوالد أن يفكر منذ ولادة طفله في أفضل مهنة يريد إعداده لها . لأنه بتفكيره هذا يكون قد وضع نصب عينيه الغاية التي يريد تنشئته لها ، فينمو بذلك نشاطه ، وتشحذ جهوده في تقويمه وتسويته من طليعة حياته . وإنه لزعم واهٍ أن يقال : إن قليلاً من الأفراد قد وهبوا الذكاء والقدرة على فهم ما يلقى إليهم ، وإن الجمهور من الأفراد يَضيع جهدُه ووقته سدى بسبب قلة الذكاء وبطء الإدراك . فالحقيقة تناقض هذا الزعم . لأننا نجد السواد الأعظم من الأفراد قابلاً للإدراك سريع التعلم ، ولأن سرعة التعلم ميزة من ميزات الإنسان . ونحن البشر خُصِصْنا بالنشاط والفهم الحكيم ، لأن عقلنا قد نزل من السماء وقل من الأفراد من يولد غبياً أو غير قابل للتعليم ، كما قل من الأفراد من يولد ممسوخ الخلق مشوه الشكل . ويؤيد رأيي هذا أني أرى بذور الذكاء كامنة في نفوس الكثير من تلاميذي ، وقد تموت هذه البذور بمرور الزمن . ومعنى ذلك أن ظهور الذكاء وتفتحه رهن بالعناية والتمرين لا بوجود المقدرة الطبيعية فقط . ولعلك تعترض فتقول إن تفوق فرد على آخر إنما هو لما امتاز به الأول من مقدرة طبيعية . وإنني أسلم بذلك ، ولكن هذا التفوق لا يُعترف به إلا إذا كانت القدرة الطبيعية عملية محسوسة منتجة ، كما أنك تسلم معي أن من جَدَّ وجد . فعلى من اقتنع بصواب رأيي هذا أن يسارع بمجرد أن يصبح أباً ، فيفكرَ في مستقبل ابنه ، وماذا سيكون ، فيعمل لذلك المستقبل بحرص وعناية ويقظة » .

ونحن وإن سلمنا بأن كوينتليان من أنصار مذهب البيئة لا يسعنا إلا أن نثبت له أيضاً أنه يعترف بوجود الفروق السيكلوجية الموروثة بين الأفراد . فهو إذاً يقر بالفروق السيكلوجية الفطرية ، وبأن هذه الفروق يمكن إزالتها بالتربية والتمرين

وفي عصر النهضة أخذت دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد اتجاهاً جدياً في المدارس الإيطالية ، وعني المعلمون بها في توجيه تلاميذهم إلى نوع العمل أو الدراسات التي تصلح لهم

ويعتبر ڤيتورينو دافلترى Vittorino da Feltre الذي عاش في القرن الخامس عشر أول مدرس بيداجوجي بحق . كان ناظراً لمدرسته ومدرساً بها . وقد اهتم بمعرفة الفروق السيكلوجية بين تلاميذه واكتناه أسبابها ، وكيفية استغلالها في تكوين شخصيتهم . درس ولاحظ ميول تلاميذه الطبيعية المختلفة ، ومظاهر هذه الميول ، وقد راتهم الفطرية . وكان يضع لكل تلميذ منهجاً دراسياً خاصاً ، ويتخذ أيضاً طريقة للتدريس خاصة تتفق وقواه العقلية وذوقه . وهو يقول في هذا الصدد « ليس كل فرد صالحاً لأن يكون قانونياً أو طبيباً أو فيلسوفاً محترماً باقي الذكرى بين الجمهور ، وليس كل فرد موهوباً نعمة الذكاء الطبيعي » .

ونحن نجد مما سقناه عن ڤيتورينو أنه لم يكتف بمعرفة الناحية النظرية من الفروق السيكلوجية بين الأفراد بل طبَّق هذه المعرفة في مدرسته ، بل لقد بالغ وأسرف في تطبيق نظرية الفروق السيكلوجية ونتائجها . فكان لا يتردد في أن يطرد من مدرسته أي تلميذ يرى أنه سيء الخلق . كما كان في كثير من الأحيان يفصل البلداء ، أو من تخلف ذكاؤهم بعد سبق

وفي القرن الثامن عشر سادت أوربا حركتان عقليتان في فلسفة التربية : الحركة التعقلية التي تعزز من شأن العقل وحده

(1) هو Marcus Fabius Quintilian ولد سنة ٣٥ ومات سنة ٩٥ م

وتدعو إلى الثقة بما يوحى به ، والحركة الطبيعية وهى التى تجعل للميول والعواطف المحل الأول فى شؤون التربية والاجتماع ، والتى تدعو إلى أخذ الطفل بما يوافق طبائعه ويلائم ميوله ورغباته . وتدعو هذه الحركة إلى إعطاء الطفل أكبر نصيب مستطاع من الحرية لتنمية غرائزه الصالحة وقواه المنتجة النافعة . وزعيم هذه الحركة هو جان جاك روسو[1] . وقد كانت رسالته فى التربية (إميل) ثورة على نظريات التربية القديمة التى كانت تحول بين الطفل وبين نمو غرائزه ، وتحد من نشاطه العقلى وتقيده بآراء دينية واجتماعية تقليدية

جاء روسو منادياً بتقوية الفردية Individualité ، وبتشجيع الغرائز على إظهار آثارها ، وإزالة العوائق التى تقطع عليها طريق الحرية الكاملة . وهاك اقتباساً من كتابه (إميل) يحث فيه على تنمية المواهب الفردية وتقويتها :

« لكل طفل استعداد عقلى خاص . ووفقاً لهذا الاستعداد يجب أن يوجه الطفل . وإذا أردنا نجاحاً فى تربية الطفل وجب علينا أن نسير مع ميوله الطبيعية . كن حازماً وراقب طبيعة طفلك طويلاً ، ولاحظه بحرص وحيطة من قبل أن توحى إليه بكلمة أو إرشاد . دع أولاً بذور طبيعته تترعرع ، واحذر أن تتدخل فى نموها إلا قليلاً حتى ترى عم تتفتح براعمها » وإذاً فروسو ورائد المذهب ، لأنه يرى أن الفروق السيكلوجية — وهى التى تكون الفردية — طبيعية وموروثة ، وأن مهمة المربى هى أن يرعى ما فى الفرد — أى الطفل — من قوى ، ويراقبها ، وهو يحث المربين والكبار على « أن يحترموا الأطفال ، وألا يتعجلوا فى الحكم على أفعالهم بالخير أو الشر . وإذا كان من بين الأفراد بعض الشواذ ، فالأولى أن يتركوهم مدة من الزمن حتى تظهر نواحى شذوذهم ، ثم يعالجوهم بما يصلح لها . دع الطبيعة — يعنى طبيعة الطفل — تعمل وئيداً ، واترك لها الزمن الكافى قبل أن تستعيض عنها غيرها ، خشية أن تعطل وظيفتها النافعة »

وفى أثناء المراحل الأولى من نمو الطفل سيعرف الطفل نفسه بنفسه . ويرى روسو أنه « لا ضير أن يترك الطفل وشأنه يفعل ما يشاء ، لأنه قد عرف قوة نفسه ، ومن المستحيل أن يعمل شيئاً لا يقدر على عمله ، ولأنه لا يمكن أن يعدو حدود قدرته الطبيعية ، وهو يعرف تماماً ما هى » .

ومعنى هذا أن روسو يترك للطفل كامل حريته حتى تنمو فيه الصفات المكونة لفرديته ، والتى تميزه عن غيره . فالفروق السيكلوجية إذاً نتيجة للنمو الحر للخواص الطبيعية الموروثة عند الأفراد .

ولكن رجال التربية الحديثة لا يشاركون روسو فى هذا النوع من التربية المطلقة ، لأنهم لا يثقون بتعليم الطبيعة وقيادتها وحدها ، ولأنهم يخشون إن تركت الغرائز الفردية والميول الطبيعية حرة ، أن تسلك الطريق المعوج كما تسلك الصراط المستقيم . وهم يعللون ذلك المذهب البيداجوجى الذى اعتنقه روسو ونادى به بأنه رد فعل للروح الاجتماعية والتربيوية التى كانت سائدة فى عصره والتى قيدت النمو السيكلوجى الطبيعى للأطفال .

وكل ما يهمنا من مذهب روسو فى هذا البحث هو أن نسجل أنه فطن كغيره من الفلاسفة والمربين الذين ذكرناهم فى هذا المقال وسابقه ، فطن إلى الفروق السيكلوجية عند الأطفال وإلى ضرورة تنمية الفردية وتربيتها عند الأطفال

هذا وقد أصبحت الفروق السيكلوجية بين الأفراد من الحقائق المسلم بها بين المربين وعلماء النفس المعاصرين ، وهم يوصون بأن تكون مناهج الدراسة وطرقها مختلفة باختلاف الأفراد ، ولكن إقرار الحقائق شىء والقيام بتنفيذ مستدعياتها شىء آخر . ولا زالت هناك صعوبات مادية وعملية فى سبيل تحقيق مستدعيات الفروق السيكلوجية بين الأطفال . ففصول الشواذ والمتخلفين وطرق التربية الفردية من الأشياء التى يشعر المربون بضرورتها وإن لم يستطيعوا تحقيقها بعد فى كل معهد دراسى

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) Jean Jacques Rousseau ولد سنة ١٧١٢ ومات سنة ١٧٧٨م

الثقافة العسكرية

وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد الأحزاب

من وضع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم

الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر
الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة وأصيلا
الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد

* * *

من من المسلمين لا يحفظ هذا النشيد ؟

كلنا نحفظه ، ولكن أكثرنا يرتلونه قعوداً بعد صلاة عيد الأضحى . ولا يزال فى الريف من يرتلونه فى موكب عند عودتهم من المسجد إلى القرية . أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان يرتله فى وسط كوكبة من الجند ، ووراء الكوكبة جيش جرار على صدر كل منهم درعه ، وعلى رأسه اللأمة ، وفى يده السيف المسلول

كانوا رضوان الله عليهم أجمعين يمشون مشية المحارب ويرتلون هذا النشيد الرصين الهادئ القوى على نغمات المسير . فهو إن أردنا تسميته بالمصطلح المصرى « مارش الإسلام » هو النشيد الذى أعد لسير الجيوش التى فتحت فارس ومصر بعد عقدين من الهجرة النبوية الشريفة

الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده

هذا الكلام البليغ ليس بالشعر ، ولكنه قابل للتلحين . وقد حفظنا لحنه وأنشدناه ولا نزال ننشده فى كل عام . وكل الفارق بيننا وبين قائليه الأولين أنهم كانوا يرددونه وفى أيديهم السيوف ونحن نرتله وفى أيدينا المسابح ، وأنهم كانوا يرددونه وهم يمشون إلى القتال ونحن نقوله ونحن سائرون إلى الديار لشرب مرق الأضاحى التى أمرنا بذبحها للفقراء فذبحناها لنأكلها نحن هنيئاً مريئاً ، وأنهم كانوا يرتلونه وتنبض قلوبهم بشعور حى لأنهم يفهمون لكلمة « وهزم الأحزاب وحده » معنى غير الذى نفهمه نحن . . . هم يفهمون أن الأحزاب هم فلان وفلان الذين رأوهم فى يوم كذا من شهر كذا يذبحون فلاناً وفلاناً من أقاربهم وقد هزمهم الله بأن مات منهم فلان وفلان وأسر منهم فلان وفلان وأسلم منهم فلان وفلان

« وهزم الأحزاب وحده » كلمة بليغة نقولها نحن ، ونغمة شجية نطرب لها نحن ، ولكنها غير مشفوعة فى خيالنا بالصورة الواضحة التى يترسمها القائل المجاهد ، وغير مشفوعة فى مشاعرنا بذكريات الأرحام الممزقة ، والمودات التى استحالت إلى عداوة ، والعداوات التى استحالت إلى أخوة

ألفاظ نقولها ونغمة نعيها ونفهم معانى كل كلمة فيها ونعى النغمة أيضاً ، ولكننا بعد ذلك لا نفهمها الفهم الكامل لأنها لا تستثير فى نفوسنا ذكريات حية واشجة بحياتنا الشخصية ولا تعرض على خيالنا صوراً رأينا مثلها بالحس :

صدق وعده ونصر جنده
وهزم الأحزاب وحده

نفهم كل حرف من هذا ولكننا لم نر النبى كما رأوه وهو يرتعد ويقول : اللهم وعدك الذى وعدتنى . ولم نسمع أبا بكر يجيبه كما سمعوه حين أجابه وهو يقول : إن الله منجزك ما وعدك . فالألفاظ واحدة ولكنها أدت لدى الكثرة منا معانى فحسب ، وأدت لدى من قالوها لأول مرة معانى وصوراً وانفعالات . بل لو شئنا لقلنا إنها أطلقت من غددهم إفرازات اختلطت بدمائهم فكونت فى عروقهم لوناً آخر من ذلك السائل الكيميائى غير الذى يجرى فى عروقنا نحن

هذا النشيد إذن بتأثيره فى سامعيه نشيد غير الذى ننشده نحن وإن لم تختلف ألفاظه ، وما قيمة الألفاظ التى لا تنقل نفس الأثر ؟

ولكن أحقاً أنها لا تنقل نفس الأثر ؟

أحسب القول ذا إجابات تتراوح بين الإقرار وبين الإنكار ، فإن الخيال والدرس والإيمان كل ذلك خلال تستبقى الأثر لكل

لفظ قيل إذا تشابهت ظروف القول . وهذا النشيد كـكل قول آخر ينطبق عليه قول أبي الطيب :

ولكن تدرك الأفهام منه على قدر القرائح والعقول

ولقد كان الذين دفعهم إيمانهم إلى دراسة السيرة النبوية دراسة تربط الفهم بالوجدان — كان هؤلاء يتأثرون بهذا النشيد حين يسمعونه كما تأثر به أوائل من سمعوه إذا اتفقت لهم مثل الظروف التي قيل فيها . فطارق بن زياد في فتح الأندلس قال في وسط الجند :

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

قال لهم ذلك والسيوف في أيديهم ينقل إليهم مثل الإحساس الذي عالجه المهاجرون والأنصار وهم على أبواب المدينة في العام الثاني للهجرة والنبي واقف يقول إن المشركين قد اقتربوا من المدينة يريدون غزو المسلمين ، وإنه يريد أن يخاطر بعض المسلمين بحياتهم فيذهبوا إلى حيث معسكر الكفار ليعرفوا مواقعهم ويبرزوا قوتهم ثم يأتوه بالأخبار

سأل النبي أيهم يقدم على هذه المخاطرة ، فتقدم منه الزبير يعلن استعداده لها

ولكن النبي أعاد السؤال فكان الزبير هو الذي أجاب، وأعاد النبي السؤال للمرة الثالثة فكان الزبير هو الذي أجاب. فقال عليه الصلاة والسلام إن لكل نبي حواريين وإن حواريَّ هو الزبير

أجميلة هذه الصورة ؟

جميلة بلا ريب . لكن أجمل منها ذلك الشعور النبيل الذي جاش بنفس النبي وجاش بنفس كل جندي من جنوده، هو الشعور بأن الأحزاب إن هزمت فإن الذي سيهزمها هو الله وحده، ومن الذي يستطيع أن يهزم الأحزاب غير الله ؟

إن أحداً لم يعد النبي بالنصر غير الله . فالله سيهزم الأحزاب لأنه سبحانه وعد بذلك . والأحزاب عدد كبير، ولكن الله أكبر

كذلك تدفقت من فم النبي هذه الأنشودة التي ظل يرتلها في كل غزوة والمسلمون يرتلونها معه :

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر
الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً
وسبحان الله بكرة وأصيلا
الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد

وبعد فهذا أول «مارش» في الإسلام ، ولم يكن بالشعر ولكن صاحب الرسالة التي تحدت الشعر بالفواصل الكريمة: فواصل القرآن قد تحدت الأناشيد العسكرية بهذا النثر الموسيقي الذي فتحت به فارس وفتحت به مصر وفتحت به الشام وفتحت به أفريقا وفتحت به الهند وفتحت به الأندلس وفتحت به بلاد البلقان وفتحت به بلاد النمسا الجنوبية وبولونيا . ثم ماذا ؟ كان يفتح به سائر العالم لو فهم المسلمون فهماً مشفوعاً بالشعور العميق معنى !

الحمد لله (وحده) ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده !

ولكن هل في هذا النشيد الهادئ القوي الرصين ما في أناشيدنا من الألفاظ الجوفاء كالنار والفداء والدماء ؟

لا. لأن الجيش المحارب لا يستطيع الانتصار إلا إذا شعر بأنه من أجل الحياة يدافع ، ومن أجل الرفاهية يهاجم ، وأنه في سبيل الخير يتحرك، وأن الغرائز التي تستحثه هي الغرائز السامية لا شهوة الدم والنار .

عبد اللطيف النشار

في الأدب الإنجليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

الرجل كائن وحب

قابل بول فتاة أحلامه ، وشعر بقلبه يخفق نحوها ، وحاول أن يتصل بها فما أمكنه ذلك ، لأنه كان عشيق أمه وخلها الوفي ، وفي الوقت نفسه كانت الفتاة التي قابلها وليدة العصر الحديث وثمرته ، ترى في الجنس عدوها اللدود ، وترى في الرغبة الجنسية الشر الذي لا بد منه . وكثيراً ما صرحت لبول برأيها في العلاقة الجنسية ، ومن ذلك قولها له : « إن الزواج لا بأس به ، ما خلا هذه العلاقة فلولاها لكان نعيماً ليس بعده نعيم ، ولكن ما قدر يكون وليس علينا إلا الإذعان »

وبدل أن يكون الحب مصدر سعادة البنت وينبوع هنائها ، صار سبب آلامها وأساس عذابها ، فصارت تقضي جل وقتها واجمة مطرقة ، تفكر وتمعن في التفكير ، وكلما فعلت ذلك تضاعفت آلامها وزادت

***

أحب بول ميريام وهام بها ولكنه كان يريد أن يحبها حب الرجل للمرأة ، ولكنها ما كانت لتستطيع التفكير في العلاقة الجسمية ، وحتى القبلات الحارة كانت تؤلمها أيما إيلام . كان بول يفهم ذلك من حبيبته فما حاول أن يؤلمها أو يعذبها ، وفضل أن يكبت غريزته على أن يجرح فيها تلك النقطة الحساسة . أما هي فشعرت برغبته الملحة إلى جسمها حتى دون أن يبديها بكلمة . أدركت الفتاة ذلك فأعطته ما يريد ، أعطته إياه وهي تشعر بثقل التضحية التي تقدمها له ، وهبت له جسمها ، لا كما تهب المرأة جسمها للرجل ولكن كما توهب الضحية للآلهة . لم تكن تريد هذه العلاقة الجنسية ، ولكنها كانت تريده هو ، ولا سبيل إلى الاحتفاظ به إلا إذا أعطته ما يريد . وهذا ما دعاها للخضوع لمشيئته والاستسلام لرغبته . وإن ينس بول فلا ينس ذلك اليوم الذي أسلمت فيه له نفسها . لقد راعه في بادئ الأمر جمالها ، فرأى فيها مثال الجسم الناضج الصحيح ، فشعر بالدم يتدفق حاراً في عروقه ، وأحس بجسمه يحن إلى الاتصال بها ، فتقدم منها خطوة واحدة ثم وقف في مكانه لا يستطيع حراكاً . لقد رآها وقد رفعت يديها نحوه في حركة كلها توسل واستعطاف كأنما ترجوه أن يعفو عنها ويتركها دون أن يمسها بأذى أو مكروه . تطلع إلى وجهها فرأى عينيها الواسعتين ترقبانه في استسلام وخضوع وترجوانه أن يعفيها من هذه المهمة العسيرة . كانت كالذبيحة التي رقدت مستسلمة حتى يحين وقت تقديمها قرباناً للآلهة ... فكان كل ذلك سبباً في برود كل عاطفة كان يشعر بها نحوها ... »

وفضلاً عن ذلك كانت ميريام ابنة القرن العشرين ، تؤمن بتلك النظرية المستحدثة التي تسوي بين الرجل والمرأة ، والتي تقول بوجوب مزاولة المرأة لكافة أعمال الرجال ، فبدلاً من أن تركز كل تفكيرها في حياتها المنزلية كانت تحن دائماً إلى ممارسة أي عمل من أعمال الرجال ، وكثيراً ما كانت تقول : « أريد لو أتيحت لي الفرصة مزاولة عمل من الأعمال كما أتيحت لكثيرات قبلي . وهل كان ذنبي أنني خلقت امرأة ، إن هذا أبعد ما يكون عن العدل » .

ورغم أنها كانت تكره الجنس الآخر إلا أنها كثيراً ما كانت تتمنى لو خلقت رجلاً ، وكان مقياس احترامها لأي شخص هو مقدار ما حصله من التعليم والدراسة

وفي الوقت نفسه كان يشعر بول في قرارة نفسه أن حبه لأمه لا يترك له فرصة كي يحب امرأة أخرى غيرها ، وكان يعرف أنه مهما أحب ومهما أخلص فحبه لأمه أقوى وأثبت . ومع ذلك كان يتمنى لو صادف المرأة التي تستطيع أن تحبه حباً جسمياً ، حباً يستطيع أن يكسر تلك الأغلال التي تقيده بأمه وتربطه بها

ولكن كانت ميريام أبعد ما تكون عن هذه المرأة ، وكان هو يعرف عنها ذلك ، فكان يحبها ويشفق عليها ، ثم يعود يبغضها ويمقتها .

وأخيراً لم ير بداً من أن يطلب منها فصم تلك الصلة التي بينهما ، فكانت الضربة القاضية التي هدمت حياتها

* * *

ترك بول ميريام واتصل بكلارا ، وعلى العكس من حبه لميريام ، كان حبه لكلارا حباً حيوانياً لا غير ، ففي أولى مقابلاته لها نراه يسترق النظر إلى صدرها من تحت ثيابها متهزاً فرصة انحنائها لاقتطاف زهرة ، ثم نراه وقد انتقل ببصره إلى رقبتها وبقية جسمها ، ورغم ذلك فقد باء حبه في هذه المرة بالفشل أيضاً نتيجة حبه لأمه ، فعجز عن أن يهبها جسمه كله ، فأعطاها جزءاً ومنع عنها الجزء الأكبر ، وكانت كلارا امرأة ذات تجارب فلم يفتها ذلك ولم تتردد أن قالت له في يوم من الأيام بعد أن اتصل بها مباشرة : « إني أشعر وكأني لم أتصل بك ألبتة ، أشعر كأنك بعيد عني كل البعد »

وفي آخر الرواية ترى الأم مقدار الضرر الذي تلحقه بأبنائها نتيجة استئثارها بحبهم ، وترى كذلك أنها مهما خدمتهم ومهما تفانت في هذه الخدمة فلن تستطيع أن تجعله يعدل عن حب امرأة أخرى . فيتحطم قلبها ويذبل جسمها وتسير في طريقها نحو القبر بخطوات واسعة

ويرمز لورنس بموت الأم إلى مآل المرأة التي تسير في الطريق غير الطبيعي ، ذلك الطريق الذي لم تخلق له

ويرى في ميريام وكلارا نساء القرن العشرين ، فكل منهما امرأة لا تصلح لشيء سوى حضور المراقص وإقامة الحفلات واستغلال أصحاب الأموال واستعبادهم . ويرى شخصيتيهما تتكرر في رواياته الأخرى تحت أسماء أخرى .

فنجد أميلي في « الطاووس الأبيض » وهيلدا في « ظل الربيع » وهيلينا في « المتعدى »

ويرى في بول الرجل الذي يفيض قلبه بالعاطفة التي أشعلتها فيه أمه ، وهؤلاء يظلون عذارى داخل أقفاص من حديد ، يتمنون حب امرأة ليجرف أمامه حبهم لأمهاتهم ، وعبثاً مايتمنون.

وتتكرر هذه الشخصية كثيراً في روايات لورنس المختلفة ، فهو شربنزكي في « قوس قزح » وألفريد دبرانت في « بنات القسيس » وجورج في « الطاووس الأبيض » وبرتي ريد في « العميان »

* * *

أما مورل الأب فهو مثال لورنس الأعلى ورجله الكامل ، خلع عليه كل صفات الرجولة ومميزاتها ، ونجد له أشباهاً في الروايات الأخرى ، فهو أنابل في « الطاووس الأبيض » وهو ميلورز في « عشيق لادى تشاترلى »

(يتبع)

عبد الحميد حمدى

خريج جامعة اكستر بانجلترا

الأسمار والأحاديث

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات :

بعد أيام يظهر كتاب « الأسمار والأحاديث » ، وهو كتاب صورت به ما يصطرع في الجو الأدبي والاجتماعي من أحلام وأوهام ، وحقائق وأباطيل .

وقد كتبت مقدمة ذلك الكتاب وأنا غضبان : فهجمت على أهل العصر بما أعتقد أنهم له أهل ، وتوجعت من بعض ما عانيت من الأصدقاء والزملاء .

ومن حقي على مجلة « الرسالة » ، وهي صديق ، أن تنشر هذه المقدمة على ما فيها من قسوة وعنف ، لأنها تصور بلائي بأهل زماني ، ولأنها كذلك تؤرخ حياة باحث له بين قراء « الرسالة » أصدقاء لا يؤذيهم أن يفتن بنفسه وبأدبه أشد الفتون . زكي مبارك

***

أيها القارئ :

هل تذكر ما يحدثك به مراض القلوب إذ يقولون إني أثني على نفسي في فواتح مؤلفاتي ؟

أنت تذكر ذلك ، ولا ريب ، لأنهم يعيدون هذه التهمة في كل وقت بغير حساب .

فهل ترى من حقي أن أدفع هذه التهمة في فاتحة كتابي هذا ، لعلهم ينتهون ؟ !

إن الحاسدين والحاقدين لم يتركوا طريقاً إلا سلكوه لينفّروك مني ، أيها القارئ ، ثم عادوا جميعاً خاسئين مدحورين ، وتلك عاقبة البغي والعدوان .

لقد عابوا عليّ أن أفتن أشد الفتون بما وصلت إليه من الظفر بودادك ، أيها القارئ ، فهل كانوا ينتظرون أن يغزوا قلبك بدعوى الحقد والضغن فأعيش في دنياي بلا صديق ؟

إن ودادك ، أيها القارئ ، هو الذي أرهف قلمي ، وصقل بياني ، وهو العزاء عما أعاني في دهري وزماني من ظلم وعقوق . وما تذكرت حبك ، أيها القارئ ، إلا غفرت ذنوب الدهر وصفحت عن مكايد الزمان .

والآن - وقد رُفع بيني وبينك الحجاب - أحب أن تعرف أني لم أسرق مودتك ولم أنهب ثقتك ، وإنما غنمت من مودتك وثقتك ما غنمت بفضل الكفاح الموصول ، وبفضل ما أنفقت من نور البصر تحت أضواء المصابيح ، في زمن تؤخذ فيه بعض المراكز الأدبية بالخداع والتضليل ، وبيع الضمائر والقلوب .

إليك ، أيها القارئ ، أنفض أحزاني وأشجاني . ولو شئت لدللتك على فيالق من المؤلفين في المشرق والمغرب شكوا دهرهم كما شكوت ، وتوجعوا من زمانهم كما توجعت ، وعانوا من غدر الأصدقاء والزملاء بعض الذي أعاني .

فأنا لم أبتكر شكوى الزمان ، وإن كنت أشقى المكتوين بغدر الزمان .

أنا ما سرقت ثقتك ، أيها القارئ ، حتى ينفق ناس من أعمارهم ما ينفقون لينفّروك مني ، فأنت تعرف أني قضيت أكثر من عشرين سنة في خدمة اللغة العربية خدمة صحيحة صادقة ، يعجز عنها الرجال « الأفاضل » الذين يحسنون حياكة الأقاويل والأراجيف ، والذين تشهد سرائرهم بأنهم لو كلّفوا نسخ مؤلفاتي ومقالاتي وقصائدي لانقضت أعمارهم قبل أن ينسخوا تلك الألوف المؤلفة من الصفحات العامرة بالأفكار والمعاني .

المخلصون في زمانك قليل ، أيها القارئ ، وهم مع ذلك لا يخدمونك إلا في ميدان أو ميدانين ، أما أنا فقد خدمتك في كثير من الميادين :

نظرت فرأيت اللغة العربية تتشوف إلى من يحدد مقاصد النقد الأدبي ، فألفت كتاب « الموازنة بين الشعراء » وقد طبع مرتين . ورأيت لغة العرب تنتظر من يحقق بعض المؤلفات القديمة فنشرت كتاب « زهر الآداب » ، وتداركت في الطبعة الثانية ما فاتني تحقيقه في الطبعة الأولى ، فجاء صورة من الأدب المخدوم بجد وعناية ، ثم نشرت « الرسالة العذراء » مصحوبة بدراسات وتحقيقات ، ثم عاونت على إخراج كتاب « الكامل » في صورة تسر الناظرين . وتلك جهود بذلناها لوجه الأدب ، ولم نر من منافعها المادية غير أطياف !

ورأيت القرن الرابع هو الفيصل بين عهدين من عهود الإنشاء ، فألفت كتاب « النثر الفني » ، الذي يعد بحق خير

كتاب فى بابه منذ العصر العباسى إلى اليوم ، والذى أرغم الحاسدين والحاقدين على الاعتراف بأن الرجل الذى كوى قلوبهم وكبودهم لم يكن فى حياته من العابثين .

ورأيت المجتمع المصرى فى حاجة إلى من يدلّه على هفواته الذّوقية والأدبية والخُلقية ، فألفتُ كتاب « البدائع » الذى أقبل عليه القراء فطُبع مرتين ، وألفتُ رسالة « اللغة والدين والتقاليد » التى أجازتها لجنة المباراة الأدبية برياسة مدير الجامعة المصرية .

وراعنى أن يجهل الناس بعض مصادر التشريع الإسلامى ، فنشرتُ رسالةً فى تحقيق نسب كتاب « الأمّ » ، وهى رسالة عدّها السنيور نالّينو من الآيات ، وسينتفع بها رجال الأزهر الشريف .

وعز علىّ أن يقال إن شعراء أوربا قد تفرّدوا بإجادة القول فى الوجدانيات فألفتُ كتاب « مدامع العشاق » ليكون شاهداً على سَبْق العبقرية العربية إلى شرح مآسى الأرواح والقلوب ، ومن قبله ألفت كتاب « حب ابن أبى ربيعة » الذى صوّر ملاعب الأفئدة فى أيام الحجيج .

وساءنى أن يقال إن راسين هو أعظم من شرّح عاطفة الحب فألفت كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ، لأقيم الدليل على أن فى كتّاب اللغة العربية من يتفوق أظهر التفوق على راسين .

ونظرتُ فرأيتُ أن الجمهور شغلته الشواغل عن الدراسات الفلسفية ، فألفتُ كتاب « الأخلاق عند الغزالى » ، وكتاب « التصوف الإسلامى » ، وهما كتابان لن يجود بمثلهما الزمان . ولو قلت إن كتاب « التصوف الإسلامى » هو خير ما كان وما سيكون فى التعبير عن العبقرية العربية لـكنت أصدق الصادقين .

ورأيتُ الأدب العربى يحتاج إلى من يَعْـرِض محاسنَه على العقول الأوربية فألفت كتاب :

La Prose Arabe au IVe siècle de l'Hégire

ورسالة :

L'Art d'écrire chez les Arabes au IIIe siècle de l'Hégire

وقد كان لهذين الـكتابين صدًى فى البيئات الأوربية والأمريكية عند من يهمهم الوقوف على ذخائر اللغة العربية . ورأيت جمهور أهل الأدب يظنون أن إمارة الشّعر فى السنين الخوالى لم يظفر بها غير أبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبى ، فألفتُ كتاب « عبقرية الشريف الرضى » ، وهو كتابٌ رضى عنه قومٌ وسخط عليه أقوام ، ولكنه سيبقى من غرر المؤلفات الأدبية ولو كره الحاسدون والحاقدون .

ورأيت الناس فى الشرق يكادون يجهلون أسرار الحياة الأوربية فألفت كتاب « ذكريات باريس » وهو كتاب يشرح ما هنالك من صراع بين الرُّشد والغىّ والهدى والضلال .

ورأيت الأمم العربية فى شوق إلى من يجدّد ما بينها من مختلف الصلات ومَن يعبّر عما فى ضمائرها من آلام وآمال ، فألفت كتاب « وحى بغداد » .

* * *

أترك ما شغلتُ به نفسى من الدراسات الأدبية فى الأعوام الماضية ، فالقراء يعرفون من ذلك أكثر مما أعرف ، وإن كان يخفى عليهم أن لى مؤلفات جيدة تصدقتُ بها على بعض الأدعياء . وأنتقل إلى الحديث عن كتاب اليوم ، وهو كتاب « الأسمار والأحاديث » . فأقول :

هذا الـكتاب جديدٌ من جميع نواحيه ، ولن يحتاج إلى تزكية أحد من الأصدقاء ، فهو حركة فكرية متوثّبة تواجه القارئ فى كل صفحة ، بل فى كل سطر ، بل فى كل جملة ، إن لم أقل فى كل حرف ، وهو مجالٌ للتأمل والتفكر والتندُّر والاعتراض والاحتجاج .

فى هذا الـكتاب صُور غريبة لعقول المصريين ، وعقول من عرفت من الفرنسيين ، وسيشقى به ناس ، ويسعد ناس : لأنه سجّل طوائف من أوهام العصر الحاضر أدقّ تسجيل .

أنا أعرف أن موتى يوم يحينُ سيكون فرصةً لقوم كدّرت صفوَهم حياتى . ولـكنى مع ذلك راضٍ عما صنعتُ حين تصدقتُ فخلّدتُ أسماءً لا تستحق الخلود من أمثال السادة : فلان وعلان وترتان ! وهل فى التصدق على الجاحدين من بأس ؟ أولئك قومٌ مَنَّ الله عليهم بالوجود ، وأمكنهم من النعيم بالأنوار والظلمات ، وسمح لهم باستنشاق الهواء : فليس من الـكثير أن أدّعى أنهم يقرأون ويفكرون ! !

فى هذا الكتاب تنويهٌ بأشخاص يودُّون لو عميت عيونهم ، وصمت آذانهم : فلا يرون وجهى ولا يسمعون أخبارى ، ولكنهم سيعرفون أنى أكرم منهم وأشرف ، لأنى سجلت أسماءهم فى كتاب سيخلُف من جلود أحفادهم وأسباطهم بعد حين

بقيت كلة عن أسلوب هذا الكتاب :

وأنا أعتقد بلا زَهوٍ ولا كبرياء أنى وصلتُ باللغة العربية إلى ما كانت تطمح إليه من « البيان »

أنا أعتقد بلا استطالة ولا تزيُّد أنى خلقت عُذوبة الأسلوب فى اللغة العربية ، وقد صار البيان عندى طبيعة أصيلة لا يعتريها تكلف ولا افتعال ، وما أذكر أنى عرفت التسويد والتبييض فيما ألَّفت من الكتب أو نشرت من المقالات بعد زمن التمرين الذى سبق سنة ١٩١٦

وما أعرف بالضبط ما هى خصائص أسلوبى : لأنى أصدر فيه عن السجية والطبع ، ولكنى أعرف بالتأكيد أن الذى يقرأ مؤلفاتى ومقالاتى يشعر بأنه يرى الحياة وجهاً لوجه ، ويشهد صراع الأحلام والأوهام ، والآراء والأهواء ، والحقائق والأباطيل

تلك صفحات من أعمالى الأدبية ، فيها القديم والحديث ، فهل ترانى تزيدتُ أو أسرفت ؟

وأنت مع ذلك تعرف أنى وقفتُ لأعداء العروبة والإسلام بالمرصاد فمزَّقتُ أوهام الخوارج على العروبة والإسلام شر ممزَّق ، وسَحرتُ من سوَّلت لهم أنفسهم أن يتطاولوا على ماضى الأمة العربية ، وكنت دليلك فى التعرف إلى مآثر العرب فى المشرقين والمغربين ، وعاديت من أجل الحق رجالاً يضرون وينفعون ، ويقدمون ويؤخرون ، فكان اعتصامى بحبل الحق هو أقوى ما تدرَّعت به لاتقاء مكايد الناس ومكاره الزمان

ولم أخدعك ، أيها القارئ ، فيما تعرضت لشرحه من الحقائق الأدبية والفلسفية : فلم أَهِبْ مساقط غضبك ولم أتلمس مواقع هواك ، وإنما صدقت كل الصدق فرآنى فريقٌ من الملحدين ، ورآنى فريق من المؤمنين ، ونسبنى قوم إلى الُمجَّان ، وعدَّنى قوم من الصوفية ، وما كنت من أولئك ولا هؤلاء ، وإنما أنا سارٍ يبحث عن عَلَم الهداية فى بيداء الوجود ، وما بينى وبين الله لا يعرفه عدوٌّ ولا صديق ، وإنما علمُه عند علام الغيوب الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنا أتقرب إليه بالصدق فى درس شرائع الهدى وذرائع الضلال

أيها القارئُ !

أترانى أحسنتُ الدفاع عن نفسى ؟

أرى أن الذين يضيِّعون أعمارهم فى مناوشتى ومحاربتى لم يستطيعوا حرمانى من ودادك ؟ كم تألمتُ وتوجعت من مكايدة مَن أعاصر من الرجال ، وكنت فى أحرج أوقات الضجر والغيظ لا أملك غير التعزِّى بهذه الكلمات :

« لِىَ قُرَّاءٌ أوفياء فى أكثر الأقطار العربية والإسلامية ، وهم عَونى على مصاولة الدهر ، ومكايدة الزمان »

أما بعد فأنت الصديقُ الحق أيها القارئ ، ولو شئتُ لقلت إنك أعزُّ علىَّ من سائر أصدقائى وأصفيائى لأنك تفهم عنى أكثر مما يفهمون ، وقد تفوقهم فى رعاية العهد وحفظ الجميل

أيها القارئُ !

لم يبق لى بعد الله غير ودادك وعَطفِك . ودنيا الأدب بدون حبك سرابٌ فى سراب

ولولا الثقةُ بك أيها القارئُ لكسَّرتُ قلمى ورجعت إلى صحبة الفأس والمحراث فى سنتريس ، إن كان سهر الليالى من أجلك أبقى لى من القوة ما أستطيع به الرجوع إلى صحبة الفأس والمحراث

ويرحم الله الشباب الذى بَدَّدْتُه فى صحبة الكتاب والدواة والقلم والقرطاس !

زكى مبارك

بين المـــد والجزر

للأستاذ إيليا أبو ماضى

سيّرت فى فجر الحياة سفينتى ... واخترت قلبى أن يكون إمامى
فجرَت على الأمواج قصراً من رؤى ... ملء الفضا ، ملء المدى المترامى
وأقل منها البحر حين أقلّها ... دنيا من الأضواء والأنغام
ومشى الخيال على الحياة بسحره ... فإذا الهوى فى الماء والأنسام
وإذا الرمال أزاهرٌ فواحةٌ ... والشط هيكل شاعرٍ رسام
وإذا العباب مَلاعب ومراقصٌ ... وإذا أنا من صبوة لغرام
أتلقّف اللذات غــير محاذرٍ ... وأعبّ فى الزلاّت والآثام
لا أكتفى وأخاف أنى أكتفى ... فكأنما فى الاكتفاء حِمامى
وكأن هدبى أن تطول ضلالتى ... وكأن ربّى أن يدوم أُوامى
مرّت بى الأعوام تتلو بعضها ... وأنا كأنى لست فى الأعوام
كالموج ضحكى ، كالضياء ترنمى ... كالفجر زهوى، كالخضم عرامى
حتى إذا هتف المشيب بلمتى ... ودنت يد الملاحى إلى أحلامى
صرخ الحجى بى ساخطاً متهكماً : ... هـذا الفتى شرٌّ من الإعدام
حتى متى تمشى بغير نظام ؟ ... حتى متى تمشى لغير مرام ؟
أسلمتنى « للقلب » وهو مضللٌ ... فأضرّنى وأضرّك استسلامى

يا صاح نجّ النفس من سجن الرؤى
أنا تائهٌ !
أنا جائعٌ !
أنا ظامِ !

* * *

وأراد عقلى أن يقود سفينتى ... للشط فى بحر الحيـاة الطامى
فطويتُ أعلام الهوى وهجرتها ... ونسيت حتى أنها أعــلامى
وحسبت آلامى انتهت لما انتهى ... فإذا النهــاية أعظم الآلام
وإذا الطريق وساوس ومخاوف ... وإذا أنا من هبوةٍ لقتام
أبغى الثراء ولم يكن من مطلبى ... وأرى الجمال بناظرٍ متعام
وأشيد مثل الناس مجداً زائفاً ... وأشد حول الروح ثوب رغام
فإذا أنا ـ والأرض ملكى والسما ـ ... قد صرت عبد الناس ، عبد حطامى
فتضايق القلب السجين وقال لى : ... يا أيها الجانى قتلت هيامى !
القفر بالأحلام روض ضاحكٌ ... فإذا تلاشت فالرياض موامى
أين العيون تذيبنى حركاتها ... وتموت فى سكناتها آلامى
وأظل من أهدابها السكرى على ... ظــلٍّ وأنداء وزهرٍ نام
لما عصانى أن أشب ضرامها ... أعيا عليها أن تشب ضرامى
الخمر ملء الجام لكن قد مضى ... شوقى إلى الخمر التى فى الجام
أسلمتنى للعقل فهو مضللٌ ... فأضرّنى وأضرّك استسلامى
أنظار ألست تراك فى أوهامه ... أشقى وأتعس منك فى أوهامى
المال ؟ من ذا يشتريه كله ... منى بليل صــبابة وغرام

يا صاح نجّ النفس سجن النهى
أنا تائهٌ !
أنا جائعٌ !
أنا ظامِ !

* * *

لا تسألونى اليوم عن قيثارتى ... قيثارتى خشبٌ بلا أنغام !

إيليا أبو ماضى



دراسات فى الفن

العيـــد فن الطفولة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

إلى الذين أسعدونى فى أعيادى والذين ودوا ذلك ، وإلى الذين سعدوا معى فيها فطاب لهم ذلك كما طاب لى ، وإلى الذين وددت لو أسعدتهم بعد ذلك ... حقق الله رجائى ...

إلى أيام البهجة والصدق . إلى أيام الغفلة والحب

إلى رصيف الإسكندرية ورصافتها

إلى كل ما كان ... تحية اللوعة والوفاء ... يا ليت ما كان دام لولا أن من عاش رأى . ومن يدرى فربما ود من رأى لو أنه لم ير . من يدرى ؟ لطفك اللهم !

كان العيد عيداً

كنا نتهيأ لفرصته من رمضان أو شعبان فكانت أيامهما أعياداً . وكنا نحلم بأيامه فكانت أحلامنا أعياداً ، وكنا نتحدث بأحلامنا فكانت أحاديثنا أعياداً . وكان العيد يجيء وكنا نستغرق فيه ، وكان العيد يمر ، وكنا نذكره فكانت ذكراه أعياداً . وكانت نشوة العيد تأخذ الروح من العيد إلى العيد حتى لم نكن نحسب أن بين العيد والعيد أياماً ليست أعيادا

... حتى جاء عام فطنت فيه إلى أن بين عيد الفطر وعيد الأضحى شهرين وبعض شهر ، وأنهما ليسا أسبوعاً متلاحقاً : الثلاثة الأيام الأول منه عيد صغير ، والأربعة الأخر عيد كبير . فكيف فطنت إلى هذا ؟ وكيف عرفت أنها حقيقة جديدة لولا أنى لم أكن أراها قبل ذلك ، وأنى كنت لا أميز الأيام من الأيام ؟

وهل أنا وحدى الذى كنت هكذا ؟ لا يمكن ... وإنما كان مثلى كل الأطفال فهذا هو طبع الطفولة ... لا تريد أن تعرف من الحياة إلا المرح والبهجة والفرح والعيد ... فهل لم تكن تنغص علىّ الحياةَ آلامٌ ؟ كانت آلام ولكن كانت معها دموع تغسلها فتنقى الروح منها ولا تعود تذكرها

ثم تعلمت الجلد . والجلد صبر على الألم ، والألم كدر . . . فتراكت فى النفس أكدار فوق أكدار لعلها اليوم من كثرتها لم تعد تصلح علامة لتمييز الأيام من الأيام ... ولكنها صلحت فى الماضى كثيراً فقليلاً . . . فعرفت بها فى البدء أن بين العيد والعيد أياماً لا زينة فيها ولا كعك ولا ضحية ، ثم عرفت بعد ذلك أن هناك أياماً للمدرسة ، وأن فى المدرسة حساباً وعقاباً ، ثم عرفت ... ثم عرفت ... حتى عرفت أن من الأعياد ما يقضى بين الجدران ووراء القضبان وكنت قد مررت قبل ذلك بسجن فى عيد ولم أرض أن أفكر أن فيه ناساً يقضون العيد ، ولم أطلب حتى لنفسى الرحمة من محنة كهذه المحنة .

كانت غفلة . ولكنها كانت سعادة . ولكنها كانت غفلة

فأى شيء نرجوك يارب والسعادة تبدو كأنها من لوازم الغفلة . وأنت تكره الغافلين ! نسألك العون على مرارة الفطنة . بل إنا نسألك الهدى إلى حلاوتها

فكيف نكون إذا اهتدينا ؟

فلنر إلى المهتدين

كان محمد يلعب مع سبطيه ، وكان المسيح يدعو إلى ملكوت الأطفال ، وكان فى كل فنان من علامات الطفولة وأماراتها ما يشهد بأن فى الطفولة ميزة لو أن الناس يحتفظون بهـا ، ولا يجاهدونها بالستر والكبت والخنق ، ولو أنهم يتركونها تنمو فى حياتهم وتزدهر كما تنمو أبدانهم وتزدهر ، لكبروا وكبرت

هذه الميزة معهم واستطاعت أن تطبع حياتهم بذلك الطابع الذي تطبع به حياة الأطفال ، وهو طابع السعادة ... ولن تكون تحت غفلة ما دام العقل ينضج شيئاً فشيئاً ، وما دامت هذه الميزة تهديه في نضجه فتحميه من الاتجاه إلى الخطيئة وتأخذه بالتصويب الحق الذي تأخذ به أهل الفن المهتدين ... وإذا كانت الإنسانية قد غيرت في الماضي أهل الفن هؤلاء بشذوذهم عن أوضاع الناس المألوفة للزومهم هذه الطفولة والتزامهم منهجها فإنها إذا آمنت بها وانتهجتها هي أيضاً ستعرف أن محمداً لم يكن يعبث بوقته الغالي عند ما كان يلعب مع سبطيه ، وأن المسيح لم يكن يهرف حينما كان يلفت أنظار الناس إلى الأطفال ويؤكد لهم أنهم أقرب إلى الله والحق من الكبار وأشد به صلة ، وأن موسى لم يكن مخطئاً حينما استنجده الذي من قومه وكان عدوه يضربه فلكم عدوه فقتله ، فليس هذا إلا ما يفعله الطفل أو البدو وهم أطفال الشعوب بين حضارات البشر المكتهلة ، وقد نجاه الله بعدها من الغم فلم تعد نفسه تنغص عليه حياته بالحساب والتأنيب والتعنيف ...

فأي ميزة هي هذه التي في الأطفال تسعدهم وتبرئهم وتستنبت الفن في نفوسهم فإذا كبروا اجتزوها واستأصلوا الفن معها ، وصاروا بعد ذلك هكذا كما نراهم ...

إنها لا شك الميزة التي تبعث الفن ، إنها الصدق في الحس ، والصدق في الاستجابة له ، والصدق في التعبير عنه .. وهذا الصدق إذا صين في النفوس كبر الأطفال وهم لا يزالون أطفالاً ، وأقبلوا على الحياة كما يقبل عليها الأطفال مطمئنين مبتهجين ، ولم يكن لهم شغل في الدنيا إلا اللعب والغناء والطرب والبحث عن السعادة . فتصبح أيامهم عندئذ أعياداً ... كما كان آدم وحواء في الجنة : لا تكليف ولا حساب ، لأن التكليف والحساب لم يجبا ولم يلزما إلا فيما جد على الإنسان من حياة بعد الجنة ، وفيما يجد على الفرد من حياة بعد الطفولة ... تمهيداً لعودة الإنسان إلى الجنة ، ورقيباً عليه وصوناً حتى يعود الفرد إلى طفولته الثانية وهي الشيخوخة ، وفيها تضعف عند الإنسان قوة الكبت التي يضغط بها الصدق في نفسه فيطفو الصدق من جديد ولكنه يسري عندئذ في أعصاب منهكة تراكمت فيها الأكاذيب وآثار الأكاذيب ، فهو لا يحظى من سعادة الطفولة إلا بمقدار ما خلصت نفسه في حياته من الشر ودواعيه . فإذا كان قد عاش على الصدق والفرح فهو في طفولته الثانية كما كان في طفولته الأولى تملأ نفسه البهجة ولا تفزعها الوساوس ، وإذا كان قد عاش على الغش والختل فيا ويله من طفولته الثانية ! ويا ما أشد الذي يلقاه فيها من الصراع بين الصدق الذي طالت غمرته والذي يريد أن يفيض ، وبين الكذب الذي طال تشبثه بنفسه ثم ضعف فهو لا يقوى على البقاء ... ومع هذا فإنه يأبى أن يزول في هدوء

والآن ... هل صحيح أن الطفولة تمتاز بالصدق ؟ وهل صحيح أن الصدق مبعث الفن والفرح معاً ؟

أما أن الطفولة تمتاز بالصدق فإنه من غير شك صحيح . لأننا إذا تتبعنا أكاذيب الناس رأيناها تنقسم إلى قسمين : قسم يراد به تحصيل نفع أو دفع ضرر ، وقسم آخر يراد به التسلية والترويح عن النفس ، والقسم الثاني يدخل من باب الفن لأنه تخيل يستكمل به صاحبه نقصاً يحسه ، وهذا لا يؤذي صاحبه ولا غيره إن لم ينفع البشرية ويمحصها على استكمال النقص الذي رآه صاحبه. وأما القسم الأول الذي يراد به تحصيل النفع أو دفع الضرر فهو من مستلزمات التكليف والحساب ، فلو لم يشعر صاحبه بأنه مطالب بأداء عمل من الأعمال وأنه قاصر عن أدائه لما لجأ إلى الكذب يستر به عجزه ، ويموه به على صاحب الحق مدعياً أنه قام بما كلف به ، وهو يريد من وراء ذلك أن ينجو من حساب صاحب الحق ، وهذا شعور ينافي طبيعة الطفولة التي حررتها الأديان والقوانين الطبيعية والقوانين الموضوعة من التكليف والحساب ، لأنها فعلاً لا تطيق التكليف ولا الحساب

فالطفولة إذن صريحة صادقة بطبعها ، والأطفال إذن يتعلمون من الكبار الكذب فيما يتعلمون من ألوان الكفاح والصراع في سبيل الرزق وغير الرزق من مطالب الإنسانية الجوفاء، والكذب الذي يتعلمه الأطفال له ثلاث شعب : هذه الشعبة الأولى التي رأيناها تأخذ تعبيرهم عن أنفسهم وتصبغه بصبغة الغش ، والشعبة الثانية تلك التي تمنعهم من الاستجابة إلى إحساسهم الصادق فتقعد بهم عما يحبون ، وتلقي بهم إلى حيث يكرهون متبعين في هذا اعتبارات ليست من الحق المطلق في شيء وإنما صنعتها هذه الحياة

اللفقة التي اختلقت المذاهب، والمواطن، والعلاقات البشرية المتناقضة المضطربة القائمة على النفع العاجل والزيف. ثم هذه الشعبة الثالثة تقيم بينهم وبين الحق سداً متيناً وتتلف أنفسهم عنه، فتعمى أبصارهم، ولا يعودون يرون الشيء على حقه، وإنما يرونه حسبما تشتهي أنفسهم الكاذبة، وشتان ما بين الحق وبين الذي يشتهيه الكاذبون

ولكي يدرك القارئ مدى الحق فيما أقول أدعوه إلى أن يتصور صاحباً له ممن عرف فيهم الميل إلى الكذب وإدمانه، والتعلق بالغش والإسراف فيه، فإذا ما استحضره في ذهنه فإني أطلب منه أن يتابع حياته وأن يرى كم يقع هذا الكذاب الغشاش في أحابيل الكذابين الغشاشين؟

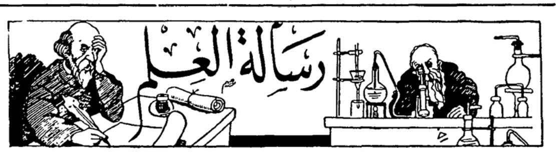
أما أنا فأعرف أمثلة عديدة لهؤلاء المساكين، وأعرف أنهم أسهل فريسة للكذب والغش مع تفوقهم في تدبير الكذب، وتمكنهم من حبك الخديعة ... فإذا اتفق صاحب القارئ مع أصحابي في هذا جاز لنا أن نعتبرها قاعدة مطردة، وحق علينا أن نستقصي أسبابها. ولن يجهدنا السعي إلى أسبابها كثيراً أو قليلاً لأن ذكرها تقدم في الذي انبسط أمامنا من الحديث عن شعب الكذب. فالأصل في الإنسان أن يستطيع التمييز بين ما هو خير وبين ما هو شر، وإذا جاز للانسان أن يعجز عن التمييز بين الخير والشر فيما اختلف عن نوعه من المخلوقات والموجودات فإنه لا يمكن أن يلم به هذا العجز في صدد الكائنات البشرية التي هي بن نوعه ومن طينته، فهو نفس أو روح، وبقية الناس نفوس أو أرواح، والتعارف بين النفوس والأرواح لا يحتاج إلى تعليم ولا تدريب، وإنما هو شيء يحدث بالسليقة والطبع كما يعرف الزيت الزيت فيسعى إليه ويمتزج به مهما فرق الماء بينهما. ونحن إذا تأملنا الأطفال عند ما تجمعهم الظروف لأول مرة بإنسان نعرف نحن بالتجربة أنه خيِّر، أو بإنسان نعرف نحن بالتجربة أنه شرِّير وكان مظهر كل من هذين يشبه إلى حد كبير أو صغير مظهر الآخر... رأينا الأطفال يندفعون إلى الذي نعرفه خيِّراً، وينفرون من الذي نعرفه شريراً، وليس هذا إلا لأن الأطفال أطلقوا إحساسهم صادقاً يميزون به وحدة النفوس والأرواح بعضها من بعض، ولا يقيمون بعد ذلك وزناً للاعتبارات الأخرى التي نقيم لها نحن الأوزان، والتي نتأثر بها قليلاً أو كثيراً في إصدار أحكامنا على الناس فنصدرها أحكاماً اختلطت «حيثياتها» فبعضها من القانون الطبيعي الصحيح وأغلبها من قوانين أخرى وضعناها نحن، ووضعها الزمان، ووضعها المكان، وما أكثر هذه عند الكذابين والغشاشين، وما أشد تأثيرها في أحكامهم، وما أشد ما يبتعدون بها عن الحق في هذه الأحكام فيغشون أنفسهم كما يغشون الناس

هذا من ناحية الإحساس وصدقه

والأصل في الإنسان أيضاً أن يستجيب لإحساسه هذا الصادق متى تمكن من نفسه، فإذا أحب اندفع إلى ما يحب، وإذا كره انقبض عما يكره، ونحن إذا تأملنا الأطفال رأيناهم يستجيبون إلى هذا القانون الطبيعي أكثر مما نستجيب له نحن الكبار، ومهما أخذنا على الأطفال الأنانية في مسلكهم هذا فإننا لا نستطيع أن نتهمهم فيه بالخديعة والغش، ثم إن هذه الأنانية نفسها التي نأخذها على الأطفال تنقحها الحياة الطبيعية شيئاً فشيئاً، وتمحوها شيئاً فشيئاً، فالطفل كلما كبر على سجيته أدرك العلاقات الحقيقية – لا الزائفة – التي تربطه بالمجتمع الذي يحيط به، ورأى نفسه مطالباً أمام نفسه – لا أمام غريب عنه صاحب حق مفروض وتكليف مصنوع وحساب مسلط – بأن يراعي حق هذا المجتمع عليه كي يراعي المجتمع أيضاً حقه عليه ... وهذا شيء ملحوظ في مجتمعات الأطفال، التي تتألب بسرعة على الطفل الطاغية الذي يميل إلى قهرها وفرض سلطانه عليها زوراً، وهو ما تتحرج عنه مجتمعات الكبار وتحتار وتختبل وتتعثر في القيام به

وهذا من ناحية الاستجابة للاحساس الصادق. ويجيء أخيراً التعبير الصادق عن هذا الإحساس الصادق بهذه الاستجابة الصادقة، وأظن أنه لا أحد من القراء يختلف معي في أن الأطفال يمارسون هذا التعبير على طول الخط، وأنهم لا يتحرجون من مواجهة صاحب العيب بذكر عيبه أمام عينيه وفي مواجهته لا يخشون اللوم، ولا يحسبون حساباً لهذه المجاملات المعقدة التي يحسب الكبار حسابها والتي تحملهم على ابتلاع العيوب ... ثم ابتلاع المحاسن أيضاً ... ثم التحكم في تقرير الحكم على الأشياء وفق ما يعرض لهم بناء على هذا الحكم من نفع يكسبونه، أو ضرر يغنمونه ...

الأطفال إذن هم الذين يحسون بالناس – على الأقل – إحساساً



لحظات الإلهـــــام
فى تاريخ العـــلم

بقلم مريون فلورنس لانسنغ

من الألياف الى الثياب

لأحد الشعراء الإنكليز أبيات يقول فيها إن آدم كان فلاحاً يحرث الأرض وإن حواء كانت عاملة تنسج الغزل. ويتساءل هذا الشاعر أين كان أهل الكياسة والظرف فى ذلك العهد ؟

وإذا لم تكن حواء هى أول غازلة أو ناسجة فإن إحدى بناتها أو حفيداتها أو بنات الحفيدات كانت أول من فعل ذلك لأن فن النسج كان مما بدأت به الإنسانية فى طفولتها، فقبل أن يصنع الرجل من الشماليين فى العصور الأولى لنفسه ثوباً من فرو الحيوانات التى يصيدها كانت المرأة الجنوبية قد جدلت من النبات الطويل أو من ورق الأشجار المفتول أو من البوص سلالاً تحمل فيها من حاجاتها أكثر مما تتسع لحمله كفاها ، وضفرت كذلك من هذه الأنواع حصيراً تغطى بها الأرض المرطوبة أو الصلبة فى كهفها أو كوخها ، وصنعت كذلك نوعاً من الثياب تستر به جسمها

فى العهد الذى أصبح فيه جوبال أخو توبال كين راعياً وأباً لكل الرعاة كانت أمه « آده » وزوجته وابنته إخصائيات فى ضفر النبات والألياف لصنع الأغطية والحصر التى تصنع منها الخيام ، وربما كانوا يفتلون الألياف لتصنع منها جدائل غير متقنة الصنع ويمرون هذه الجدائل بين ثقوب فى قوائم الخيمة لربطها

فى هذه الأيام الأولى بدأت المرأة تهتم باللباس لها ولأسرتها كما تهتم بالطعام ، وبدأت تزاول ، بما كان بين يديها من الآلات الحقيرة، تلك الفنون الجميلة التى صارت فيما بعد من دواعى مجدها، لأنه لا شك فى أن الغزل والنسج والصباغة من الفنون النسوية

كانت المرأة أول من استخرج الألياف من نبات الكتان وصنع منها خيوطاً ، وكانت زوجة أحد الرعاة الذين يقضون نهارهم البارد فوق الجبال . كانت تلك الزوجة أول من أخذ جانباً من صوف الغنم . ومنه صنعت ثوباً تدفئ به ابنها الطفل . وخطر ببال امرأة أخرى وهى تغزل خيطاً طويلاً متيناً من ألياف الكتان أن تضع جانباً من هذه الخيوط على عصاً وأن تلف بعضها على بعض حتى يتكون منها خيط متين ، فكان اختراعها هذا أول نوع من المغزل . وكان يدار باليد ثم صار يدار كعجلة الغزل . وكانت محبة الجمال هى السبب الذى جعل المرأة تمل من اللون الساذج البسيط للأصواف ، فوضعت المرأة المادة التى تصنع منها خيوطها فى أثناء العمل فى عصارات بعض النبات لتغير من لونها

كان هؤلاء النسوة اللواتى نتحدث عنهن من نسوة القبائل الرحالة . وفى ابتداء العهد الزراعى وعهد إنشاء المساكن أتيحت الفرصة للمرأة لتوطد هذه الصناعة . ولم تعد أمامها ضرورة تقضى

صادقاً ، وهم الذين يستجيبون لهذا الإحساس الصادق استجابة صادقة ، وهم الذين فى آخر الأمر يعبرون عن هذا الإحساس الصادق فى هذه الاستجابة الصادقة تعبيراً صادقاً ... والأطفال بهذا سعداء . وهم بهذا أحب إلى الله من الكبار الكذابين . . .

فهل كل الكبار كذابون ؟ لا ... بل أغلبهم ... ونجا من الكذب الفنانون ، أولئك الذين تحرر إحساسهم ، والذين لا يمنعهم من تلبية هذا الإحساس مانع ، والذين يعبرون عنه فى صدق وتحرر كالأطفال لا يعنيهم أن يسخط الناس عليهم أو أن يرضوا ... وهم بهذا أطفال الرجال ، وحياتهم على الرغم من الشقاء الذى يظهر لنا فيها حياة سعيدة لأنها حياة طبيعية تجرى على سنة الله الأولى وفطرته .

عزيز أحمد فهمى

بالاقتناع بالواد الخشنة التي تجدها في الحقول بل أصبح في وسعها زراعة الكتان والقطن لتكون ثيابها أرق وأخف وزناً مما يصنع من الصوف . وأصبح عمل الراعي أهم لما صارت الحاجة إلى صوف غنمه مثل الحاجة إلى لحومها في السوق

وفي الكتاب المقدس أقصوصة تدل على أن ميشا ملك مؤاب قد دفع لمولاه ملك اسرائيل الجزية صوفاً لمائة ألف جمل ومائة ألف سخل . وقد كان حذق النساء صناعة المنسوجات الصوفية مما جعل لها قيمة تجارية

وفي سفر الأمثال من الكتاب المقدس صورة جيلة لامرأة متخيلة في عهد كان قبل سبعمائة عام من التاريخ المسيحي ، وكان كل ما منزلها بحاجة إليه من الفنون خاضعاً لسلطانها . وهذا الوصف جاء على لسان ملك لموئيل الذي علمته أمه ماينبغي أن تكون عليه المرأة التي تصلح زوجة له . وهذا وصفها : « هي التي تبحث عن الصوف والكتان وتعمل بيدها راغبة في ذلك وهي التي تصنع بالمغزل وتمسك بيديها النسيج وتمد يدها بالبر إلى الفقير وإلى المضطر وهي لا تخاف على منزلها من البرد لأن منزلها مفروش بالبساط القرمزي وهي التي تصنع أغطية من الدانتللا وترتدي ثياباً من الحرير والقماش الأحمر »

الأميرة الصينية وثوبها الحريري

إذا كنت فتاة صينية معهوداً إليها بتربية دود القز لأمك فإنك ستعملين سريعاً من جمع مالا يحصى من ورق التوت لإطعام هذا الدود الجائع . ولكنك إذا شكوت إليها فإنها ستقول لك : « إن كانت الإمبراطورة « هسي لنج شي » العظيمة المقدسة تتعهد بيدها دود القز ، وهي فتاة ، فلأي سبب لا تفعل ذلك فتاة عادية مثلك ؟ »

عند ذلك تطأطيء الرأس في خجل وتقول : « كلا يا أمي لن أمتنع عن هذا العمل بل سأؤديه في سرور »

ولكن عند ما تنتهي الفتاة من عملها هذا فقد تطلب إلى أمها أن تعيد عليها قصة الإمبراطورة ودود القز . وهـذه هي القصة التي ترددها الأم :

« منذ أجيال طويلة عند ما كان كل سكان العالم همجاً كان الشعب الصيني وحده شعباً حكيا ، وقد حذق عدة أمور . وهذا هو عصرنا الذهبي الذي نزل فيه الإمبراطور الأصفر هوانج تي من الخالدين وتولى بنفسه الحكم في هذه الأرض

وكان هوانج حكياً رحيماً في حكمه، واصطنع من أجل شعبه أموراً كثيرة فوضع للتجار قواعد الموازين والمكاييل والمقاييس لكي يعلم الفقير من الصينيين عند ما يشترى الشاي أو الأرز مقدار الذي اشتراه فلا ينخدع عن الثمن . وعلم سكان الشواطيء النهرية كيف ينشئون السفن وبذلك أصبحت الصين متصلة بواسطة السفن التي تجرى في الأنهار غادية رائحة

وفي أثناء عهده الطويل استكشفت المعادن وصنعت الأطباق من الخزف لأول مرة ، وأثرى الشعب الصيني كله في عهد هـذا الإمبراطور الأصفر سليل الخالدين الذي عاش مائة عام على الأرض وباركها بحكمته

ولكن مع أن هوانج كان أعظم المواهل فإنه بكل ما أوتى من حكمة وبكل ما بذله من جهد لم يفعل من أجل مستقبل البلاد ورخائها مثل الذي فعلته زوجته الجميلة الصغيرة هسى لنج شي التي استقرت بحديقة منزلها وأخذت تراقب دودة قبيحة الشكل في تلك الحديقة

كانت حديقتها حافلة بأشجار التوت وهذا هو السبب في كثرة دود القز بها، لأن ذلك الدود يحب أوراق التوت كما تعلمين ذلك يابنيتي

وكانت تلك الإمبراطورة الصغيرة لا تزاول أي عمل فأتت لتستظل بأشجار الحديقة من حرارة الشمس

وفي أحد الأيام وقفت في ظل شجرة وأصغت، لأنه كان يصدر عن تلك الشجرة صوت كأنه صوت تساقط ماء المطر . ذلك على أن الشمس مرتفعة في السماء . أصغت الأمبراطورة وراقبت ثم رأت أن الديدان الصغيرة التي كانت تراها من قبل متسلقة الأغصان والتي كانت تكرهها لأنها تأكل الأوراق ، رأت تلك الديدان وقد كفت عن تناول طعامها وأخذت تصنع لنفسها لوزات، وأخبرتها تابعتان أن هذه الديدان تستمر في صنعها اللوزات ثلاث ليال وثلاثة أيام وأنها تسجن نفسها في داخل هذه اللوزات وقاية من الهواء ومن الشمس وتنام شهراً كاملاً ثم تثقب في نهاية هذه المدة طرفاً من اللوزة وتطير ، لأنه ينبت لها في مدة سجنها أجنحة وتتحول إلى فراشة جميلة

وكانت هسى لنج شى لم تر إلى ذلك العهد فراشة تخرج من اللوزة فراقبت الدود ثلاثة أيام كان فى أثنائها مكباً على عمله ، فلما انتهت هذه المدة امتنعت الأصوات التى كان يحدثها بعمله وعادت المدأة إلى الحديقة وأخذت الأمبراطورة تعد الأيام التى يخرج الفراش فى نهايتها من اللوزات

ولما عاد البدر إلى الاكتمال مرة أخرى خرج من اللوزات مئات من المخلوقات الطائرة الرقيقة الأجنحة ، ولكن الأمبراطورة لم تكن مهتمة بهذا الفراش بقدر اهتمامها بالنسيج الذي تنسجه الدودة حول نفسها ، وكان على أرض الحديقة عشرات من هذه اللوزات الذهبية المصفرة، فالتقطتها وعكفت على دراستها وسحبت خيطاً رقيقاً هو الذى تصنع منه هذه اللوزات

قالت فى نفسها : « هذا الخيط البديع أرق من الخيوط التى نسجت منها ثيابى فليتنا نستطيع غزل خيوط بهذه الرقة

وأخذت هسى لنج شي تعبث متبلدة بهذه اللوزات بجربة الخيوط وقد لاحظت مبلغ قوتها ومبلغ رقتها، ثم خطر ببالها خاطر فجائى فسألت نفسها : لماذا تتمنى صنع خيط مشابه لهذا ؟ ولماذا لا تأخذ نفس هذه الخيوط التى تصنعها الديدان وتنسج منها ثوباً لنفسها ؟

ولما جاء الموعد التالى لظهور دودة القز ذهبت الإمبراطورة الصغيرة إلى الحديقة ، ولكن عملها فى هذه المرة لم يقتصر على المراقبة ، بل كانت تأخذ اللوزة وتحاول حل الخيط على عكس النظام التى كانت تلفها به الدودة وذلك قبل أن تثقب الدودة جانباً منها لتخرج منه

فى البداية انقطع الخيط فى يدها ولكنها سرعان ما علمت أنها إذا غمست اللوزة فى ماء حار فإنها تقتل الدودة ويسهل حل اللوزة

وكان مقدار الحرير الذى يستخرج من اللوزة قليلاً جداً ولكنها كلفت كل أتباعها جمع اللوزات حتى أصبح لديها أكداس فوق أكداس منها . ولما وضعتها فى الماء الحار جلست لتلف الخيوط على عصا لفة فوق لفة حتى اجتمع لديها قدر كبير من هذه المادة الناعمة . ثم حملت هذه الخيوط إلى منسجها الذى كانت تنسج عليه التيل والصوف ونسجت قطعة صغيرة من هذا الحرير الذهبي اللامع

من أجل ذلك نذهب كل عام يا بنيتى إلى المعبد فى الوقت الذى تظهر فيه أوراق التوت ونصلى أنا وأنت وجدتك وأبوك وعمك — للامبراطورة هسى لنج شى فهى إلهة الحرير لأنها بفطنتها وبعملها اليدوى قد استكشفت سر نسج الحرير ولقنت شعبها هذا السر

وربما سألت الفتاة أمها هذا السؤال : « وهل احتفظ كل إنسان بعد ذلك بدودة القز ؟ »

فيكون جواب الأم : « نعم لما سمعت سيدات القصر أن الإمبراطورة تحتفظ بهذا الدود رغبن جميعاً فى محاكاتها، وقد اعتادت الإمبراطورة أن تخرج إلى الحديقة ومعها أدوات ذهبية لتقطع أوراق التوت وطبق من الذهب لتضعها فيه ، وسمحت لهؤلاء السيدات بأن يخرجن إلى الحديقة بآلات وأطباق من الفضة لجمع هذه الأوراق، وقد رغب الشعب كله فى أداء مثل الذى يؤديه أهل البلاط ، فلم يمض عهد طويل حتى حذق الشعب تربية دود القز ، ونسج حريره على المناسج ولبس كل الأغنياء ثياباً من الحرير . وكذلك صنعوا منها أحزمتهم وأغطية أثاثهم وأحذيتهم

وقد تسأل الفتاة الصينية الصغيرة : « ولكن أليس كل إنسان فى العالم يحتفظ بدود القز ؟ »

فتخبرها الأم بقصة الاحتفاظ بسر دودة القز وبسر نسج الحرير الذى تخرجه مدة ثلاثة آلاف عام فى الصين

السر المصون ثلاثة آلاف عام

هل تظن أن فى وسع شعب كامل أن يحتفظ بسر ما مدة مائة عام أو مائتين ؟

هل تظن أن نساء ورجالاً وأطفالاً يعرفون كلهم ذلك السر وأن الأجانب الراغبين فى معرفة السر والآتين من بلاد بعيدة يمشون فى الأسواق ويطوفون بالمدن متجسسين على هذا السر ولكن أحداً منهم لا يستطيع أن يكشفه ؟

هذا هو الذى فعله الشعب الصينى بسر الحرير ثلاثين قرناً ثلاثة آلاف عام

كان الصينيون فى العهد الأول من إنتاج الحرير شديدى الزهو بالصناعة الجديدة التى ابتكروها فكانوا من أجل ذلك شديدى العناية برعاية هذا السر . وأصدر الحكام قوانين تحرم على أى إنسان إخراج الحرير من بلادهم . ولتجار الأجانب أن يشتروا ما يريدون من الخزف والشاى والأرز ومن المحاريث ومن المعادن المطروقة ومن كل ما تنتجه الصين من الصناعة . ولكن

ليس لهم من النسيج اللامع الحريرى إلا أن ينظروا إليه بأعين طامعة فإن هذا الحرير لم يكن ليباع

وكانت قوانين التجارة لا تكفى لمنع التجار عن تهريب الأقمشة الحريرية من حدود الصين لخرج الحرير من الصين حتى فى العهد الذى كانت فيه القوانين صارمة وزاد مقدار المهربات زيادة مطاردة فى القرن الأخير بازدياد الاتصال بالشعوب الأخرى

وكان بين الصين وبين إيران طريق منقطع بين الجبال ويقول بعض الناس إنه أقدم طرق العالم ، وقد بدأ ضيقاً بحيث لا يتسع إلا لمرور رجل واحد فمن أجل ذلك كانوا يمشون فيه صفاً ، وعلى التدريج كانوا ينظفونه من الصخور والأحجار التى تعوق المسير فيه حتى أصبح أعظم طريق للقوافل فى الدنيا القديمة، وهو الطريق ما بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى، وهو الطريق الذى يسلكه أهل البلاد المجاورة للبحر الأبيض المتوسط للحصول على المصنوعات الجيلة من الصين ومن الهند

ومن هذا الطريق كان التجار يهربون الحرير من الصين إلى الأغنياء فى مصر وفى أشور وفى بابل وفى فينيقيا، ومع كثرة ما كان المهربون يهربونه من كيات الحرير التى تؤخذ سراً . أو تشترى علناً فإن تجار الفرس لم يعرفوا سر دودة القز

وجاء الإسكندر الأكبر، وكادت فتوحاته تشمل العالم كله ، وفى أثناء قيادته جيوشه فى مناطق الشرق فى القرن الرابع قبل المسيح رأى نبات القطن فى الهند فنقله إلى اليونان ، ورأى الثياب الحريرية يرتديها نبلاء الصين فأتى بشيء منها إلى بلاده وذهب إلى الأماكن التى يصنع فيها الحرير فلم يكتف بنقل كيات من المنسوج بل نقل كذلك أثقالاً من مادته الخام قبل نسجها ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يعرف من أين تأتى هذه المادة الخام

هذا هو سر الصين الذى كتمته طول عمرها والذى لم يستطع معرفته حتى قاهر العالم الاسكندر

وكان الرومانيون فى بداية العهد المسيحى يختالون بقصورهم فى ثياب حريرية اشتروها من تجار الفرس ، وقد بلغ بهم الأمر أن حلوا النسيج الصينى واستخرجوا خيوط الحرير وأعادوا نسجها على أنوالهم ولكن هذا العمل كان كبير النفقات إلى أقصى حد . وكانت القوانين فى الإمبراطورية الرومانية تحرم لبس الحرير على غير النبلاء وقد رفض الإمبراطور أورليان (٢١٢ — ٢٧٥ قبل المسيح) أن يلبس الحرير أو أن يسمح لزوجته بلبسه لأنه غال جداً ، وكان يدعوه باسم « الهواء المنسوج » وذلك بالقياس إلى المواد السميكة الأخرى التى كان الرومانيون يصنعون منها ثيابهم

وأخيراً أفشت سر الحرير أميرة صينية مخترقة بذلك حرمة القوانين : كانت مخطوبة لملك هندى حوالى سنة ١٢٠ قبل المسيح ، وهذا الملك هو خوتان . وكان يعلم أن أميرات الصين اعتدن لبس الثياب الحريرية دون غيرها فبعث إليها بأن الهند وإن كانت قد اشتهرت بقطنها فإنها لا تستطيع أن تزودها بشيء من الحرير فخاطرت مخاطرة جسيمة عند سفرها إلى منزل زوجها فخبأت فى زينة شعرها بذور شجر التوت وبيض دود القز وغادرت الحدود دون أن يشتبه فى ارتكابها للجريمة التى عقوبتها الإعدام

ولما وصلت إلى البلاد التى اختارتها وطناً ثانياً بدأت زراعة التوت وتربية دود القز

ولكن سفراء الصين لدى بلاط زوجها رأوا ما فعلته ولم يكن فى وسعهم أن يعاقبوها لأنها أصبحت ملكة على بلاد أخرى وكانوا لا يزالون يريدون الاحتفاظ بالسر، فأخبروا زوجها الملك بأنها تربى الثعابين السامة فأمر الملك بإحراق المكان الذى يربى فيه دود القز معتقداً أنه ثعابين

لكن السر تسرب إلى الهند فى بداية العهد المسيحى ؛ ففى سنة ٢٨٩ بعد المسيح ذهب أربع فتيات صينيات إلى اليابان لتعليم اليابانيين تربية الدود . لكن إلى سنة ٥٠٠ بعد المسيح كان صنع الحرير لا يزال مجهولاً فى القسطنطينية وهى إذ ذاك عاصمة العالم الغربى ، وكان الإمبراطور جوستنيان الذى يتولى شئون الإمبراطورية فى القسطنطينية رجلاً ذا مشاريع كبيرة حاذقاً فى تغذية التجارة ، وكان كالاسكندر الكبير دائم البحث عن شيء جديد مما يصنع فى البلاد الأخرى . وعاد اثنان من الرهبان الفارسيين ومن أصحاب المهد النسطورى المسيحى إلى القسطنطينية بعد أن عاشا فى الصين سنوات كثيرة . وعلما لطول مدة الإقامة ما لا بد أن يعلمه من طالت مدة إقامتهم هناك من سر هاتين الصناعتين : إنماء شجر التوت وتربية الدود

سمع الامبراطور قصتهما فاشتد اهتياجه وحملهما على الوعد بأن يحاولا عند عودتهما إلى القسطنطينية فى المرة التالية نقل شيء إليه من بيض دود القز . وفى سنة ٥٥٥ عاد الراهبان وقد خبآه فى تجويفى عصوين من الغاب . وقد اشتدت العناية فى القسطنطينية بهذا البيض تحت إشراف الراهبين . وصنع الدود لوزاته وأخرج

من هنا ومن هناك

لماذا اتفقت روسيا وألمانيا

[ملخصة عن مجلة « كرستيان ساينس »]

أصبح العالم اليوم يشاهد روسيا وألمانيا تمشيان يداً في يد على خريطة أوربا السياسية ، وقد يكون في ذلك شيء من الغرابة ، ولكن الأيام من قبل قد أرتنا مثل ذلك .

فقد عاد ستالين وهتلر إلى تلك السياسة التي ترمى إلى تقوية موسكو وبرلين ضد قوى أوربا الغربية المتحدة .

وليس هـذا كل ما في الأمر ، فقد رأى هذان الرجلان المختلفان في الرأى والمبدأ أن يخضعا المبادئ والآراء ، لضرورة الظروف الواقعة ؛ فاختلاف المبادئ لم يكن له أثر يذكر في توثيق العلاقات التجارية بين روسيا الغنية بالخامات وألمانيا الحافلة بالمصانع والآلات . كما أن اختلاف الآراء والمناحى السياسية لم يكن ليحول دون هذا الاتفاق ، وقد كانت الصلات السياسية والحربية بين موسكو وبرلين مبنية على قواعد وأسس وطيدة الأركان ، حتى ظهر هتلر ، وأعلنت مبادئه في ألمانيا ؛ فتغيرت الأحوال ، وحل الشقاق محل الوئام ، وتبادل كل من الدولتين الدعاية المزرية ضد الأخرى ، وتعددت الإهانات من الجانبين .

فنحن حين نذكر الاتفاق الروسى الألمانى ، جديرون بأن نذكر كلمة قالها سياسى فرنسى عظيم في هذا الاتفاق : « لقد عجبنا ولكننا لم نفاجأ » .

على أن ألمانيا وروسيا وإن اختلفتا في المبدأ ، فإن بينهما أواصر من التشابه تجمعهما في سياق واحد . ومعنى هذا التشابه في الوسائل لا في الفكرة ولا في الفلسفة ، فكلتا الدولتين تنفذان إلى أغراضهما عن طريق القوة ، وكلتاهما تستخدمان أشد أنواع الإرهاب للاحتفاظ بكيانهما ، وكلتاهما لا تعبآن باحتجاج الرأى العام أو تقيمان له وزناً ، وكلتاهما تخضعان لحكم الأقلية وتسيران وراء نظام حزب واحد ، وتهزآن بالنظم البرلمانية والأوضاع الشرعية ، وكلتاهما تضطهدان الأديان، وتناديان بنوع جديد من الوطنية . ونحن نرى أن من المبالغة وسوء تقدير الموقف أن نقول إن هذه الأمور من شأنها أن تؤدى إلى تحالف دائم موطد الأركان ولكنها ولا شك تؤلف نوعاً من الوحدة بين الدولتين فلا تلبثان أن تتحدا إذا اصطدمتا عند غرض واحد .

وليس معنى هذا أن الدولتين لا تختلفان من الوجهة العملية فنحن لم ننس بعد حملة الألمان على البلشفية ، ولا ننس حملة البلشفيك على الألمان ، ولا ما بين الدولتين من الاختلافات العديدة .

ولكنا إذا أردنا أن نتبين حقيقة الموقف بين روسيا وألمانيا يجب أن نقدر ثلاثة أشياء : وجوه الاتفاق بين الأمتين ، ووجوه

فراشه كما لو كان لم ينقل إلى مسافة تقرب من نصف طول العالم . وهكذا بدأ صنع الحرير بداية حسنة في عهد ذلك الامبراطور

وكانت كل هذه الإجراءات تعمل في داخل القصر وتحت إشراف الامبراطور شخصياً بما في ذلك إقامة أنوال تشتغل عليها النساء في نسج الثياب بين جدران القصر وبملاحظة الامبراطور

لكنه لم يكن في الإمكان الاحتفاظ بسر في القرن السادس في الأستانة حتى ولو كان ذلك السر في البلاط الامبراطورى كما كان ذلك يفعل منذ قرون في الصين . وعلى الرغم من أن جوستنيان قد احتكر صناعة الحرير ولم يكن يسمح لأحد بصنعه فسرعان ما تسربت هذه الصناعة إلى العالم الغربى . ومن البيض الذى كان في تلك العصا نشأت هذه الصناعة وازدهرت في جنوب أوربا وبخاصة بالقرب من البندقية مدة الألف والمائتى العام التالية . وانتهت أخيراً مدة السر المكتوم التي دامت ثلاثة آلاف عام

(يتبع) ع . ا

الاختلاف بينهما ، ثم حكم الأمر الواقع . فهذه أمور يجب أن ينظر إليها بعين الاعتبار .

ولا يخفى أن رجال الجيش الأحمر لا يرضيهم ذلك الاتفاق بين روسيا وألمانيا ، ويعدونه من مظاهر الضعف والخذلان ، كما أن رجال « ليتفنوف » يؤيدونه ويعدونه من عوامل القوة ومظاهر الانتصار .

ومهما تختلف الآراء وتتباين الأغراض ، فإن هناك مواضع عديدة للاتفاق بين الدولتين ، فمن الواجب أن ينظر إليها بالحذر والاحتياط .

كيف أنشئ خط ماجينو ؟

[من مجلة « باريد »]

كان قواد الجيش الفرنسي في عام ١٩١٤ لا يهتمون كثيراً بفكرة التحصين . فكانت نتيجة ذلك أن الجنود الفرنسية دفعوا ثمن هذا الإهمال .

ولكن هذا الدرس لم يكن ليذهب سدى . فنحن نرى فرنسا اليوم تشيد نظامها الحربي على فكرة الحصون وتعتمد على قوة النيران ويعد خط ماجينو من الأمثلة العجيبة في قوة التحصين والدفاع .

وقد جرى العامة على تسمية هذا الخط « بحائط ماجينو » ، وهذه التسمية في الحقيقة بعيدة عن الصواب . إذ أنها تمثله في صورة الأبراج المرتفعة إلى عنان السماء، والحقيقة أن هذا الحصن الفرنسي لا يرتفع عن سطح الغبراء . وقد صدق بعض الجنود في تسميته : « أديم الشرق » .

ومما لا شك فيه أن ذلك الأديم العجيب ، سيعد من أقوى وأعظم ما صنعته يد البشر في القرن الحديث .

حفر خط ماجينو في المدة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٦ في مساحة قدرها اثنا عشر مليوناً من الأمتار المربعة ، ووضع فيه ما لا يقل عن ٥٠٠٠٠ طن من الصلب ، ويحتوي هذا الخط على كهوف وأنفاق تمتد من باريس إلى ليج في خط واحد ، وبلغ عدد المشتغلين في بناء هذا الخط ١٥٠٠٠ نفس ، ومقدار ما أنفق عليه سبعة آلاف مليون من الفرنكات . ولم يقف العمل في هذا الخط إلى اليوم .

ومن المؤكد أنه لا يتسنى لقوة أية كانت أن تخترق هذا الحصن المكين ، ولما كانت حصون ليج ونامور وانتورب في عام ١٩١٤ لم تقو على صد هجمات الخصوم لضعف مادتها ، بينما أعيت حصون فردان المدافع الثقيلة ، فلم تمد منها بطائل — فقد عرضت مادتها على هيئة من كبار المهندسين الفرنسيين لفحصها فحصاً جيداً ، ومعرفة ناحية المقاومة فيها للاثنناس برأيهم قبل اختيار المادة التي يصنع منها خط ماجينو المتيد . وبعد التجارب المضنية التي قام بها خاصة الخبراء والمهندسين ، قرروا أن يصنع الخط من مادة قابلة لاحتمال ثلاث قذائف متوالية على مكان واحد .

أما فيما يتعلق بالغازات السامة ، فقد أعدت آلات كهربائية داخل الخط ، ومن شأنها أن تجعل الضغط الجوي في الداخل أعلى من الضغط الخارجي ، فيمتنع تسرب الغازات السامة داخل الخط وقد أعدت المدافع والبنادق لطاردة الطيارات .

ولا تقف مهمة خط ماجينو على الدفاع ، فلا يكفي المحارب أن يكون آمناً ، فالدفاع هو الناحية السلبية في الحرب ، أما الناحية الإيجابية ، فهي الهجوم ، وكلاهما ضروريان في الحرب .

ويستطيع الجنود في خط ماجينو وهم آمنون أن يسدوا وجه الأفق بطبقة من النيران تلتهم ما أمامها وما خلفها .

كيف نصل الى الله

[من مجلة « سيكولجى ، ريلجن هلت »]

العبادة فن . ولكي نعبد الله عبادة مقبولة يجب أن نعبده عبادة صحيحة ، من الواضح أننا لا نستطيع في يوم من الأيام أن نصعد على خشبة المسرح ونتناول القيثارة ، ثم نعزف عليها الأغاني والأناشيد دون أن نتعلم كيف نحمل القوس ونستعملها استعمالاً صحيحاً . فهل العبادة أقل خطراً من العزف ؟ هل الحياة الروحية أقل أهمية من حياة اللهو ؟ لا شك أن عبادة الله تحتاج إلى كثير من الجد والتأمل والمران الطويل

يشكو الكثيرون الجمود في حياتهم الروحية . ويزعمون أنهم يخفقون كلما حاولوا الاتصال بالرفيق الأعلى . فهل حان لنا الوقت

لنسائل أنفسنا عما إذا كنا نسلك الطريق الصواب فى محاولاتنا الاتصال بالله ؟ إن العبادة ككل شأن فى الحياة لها طريقها الخطأ وطريقها الصواب

ولا يفهم من كلامنا أننا نريد أن نقول إن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله إلا إذا عرف طرق العبادة فهذا ما لا نرى إليه ، ولكننا نستطيع أن نؤكد هنا شيئاً واحداً وهو أننا لا نستطيع أن نصقل قوانا الروحية ونصل بها إلى غايتها العليا . إلا إذا عرفنا ما يجب عن الله جل شأنه ، وما يوجبه علينا من الفروض فى هذه الحياة ، ونعد أنفسنا لطاعته على الدوام

إن العبادة أمر طبيعى فى الإنسان . فنحن فى بداوتنا أو حضارتنا ، إذا أصابتنا ملمة نفكر دائماً فى تلك القوة التى تقينا شر العوادى ، ونصور بألسنتنا أو قلوبنا ذلك الإحساس العميق نحو الخالق الذى بيده كل شىء . فبعضنا يلجأ إلى الرقى والتعاويذ وبعضنا يلجأ إلى الخلوات وبعضنا يتوجه إلى الكنائس وبعضنا يذهب إلى المساجد وبعضنا يجأر إلى القوة الإلهية مستصرخاً من شر ما يلاقيه ، ومهما تتعدد الوسائل وتختلف الأسباب ، فكلنا نتجه إلى قوة نسألها العون فى جميع المطالب

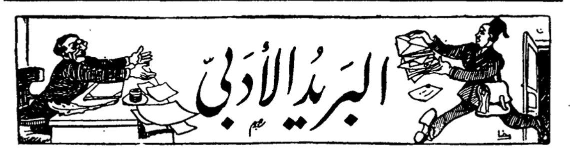
إن عقائدنا تصور نفوسنا . فمن الواجب أن نعرف الرأى السديد فى معرفة الله إذ أن حياتنا وأخلاقنا يسيران خطوة خطوة وراء هذا الرأى

نحن حين نعبد الله نعبد صفات . فماذا ترى أن تكون صفات الله . إن عبادتنا تتوقف على معرفة ذلك . فإذا عرفنا الله معرفة خاطئة لا يقبل عبادتنا . فلا يصح مثلاً أن نطالب إلى الله أن يقسو على أعدائنا ، أو نطلب إليه تحقيق رغبة من الرغبات التى تبعثها الأنانية الشخصية ، لأن الله له صفات فوق كل ذلك

يجب أن ننظر إلى الله عن طريق الحق والجمال وحب الخير، وأن نعتقد بأنه منزه عن كل ما يخالف هذه الصفات

* * *

(تصويب : جاء فى مقال « الحيلة فى تقليد السياسة الألمانية » المنشور فى الأسبوع الماضى كلة «سبك» ملك بروسيا، وصحتها سيده ملك بروسيا)



فى كلية الآداب

١ — جاءنى صديق يدرّس علماً من العلوم العقلية فى كلية الآداب ، جاءنى يشكو . وهذا الصديق كان زميلى أيام التحصيل فى جامعة باريس

قال صديقى : أتدرى ما يجرى عندنا ؟ قلت : خيراً ! قال : إن أحد المدرسين من الأجانب لا يقنع بما تم له فى جانب التدريس بفضل سمى مستشرق كبير ، فها هو ذا يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة . وأعجب من هذا أنه يتلمس من الكلية استقدام زميل له شاب من أوربة ، فيقول إنه من ذوى البسطة فى اللغة العربية ومن أهل النظر فى الاستشراق ، وإنه لا غنى للكلية عنه فى تلقين الطلبة « مناهج البحث فى الشرقيات » . ومما يورث الأسف أن آذان « قسم اللغة العربية » فى الجامعة قد نشطت إلى هذه الأقوال . ولو تدرى يا صديقى أن هذا العالم الشاب ـ واسمه سلومون بينيس S. Pinès ـ قد عرفناه فى باريس

قلت : لا أذكره . قال : إنه ذلك اليهودى اللتوانىّ ، وفى منطقه عِىّ . قلت : حقاً لا أذكره ؛ ألاَ تخبرني عن كفايته ؟ قال : إنه لا يحمل سوى شهادة الدكتوراه من ألمانية ، وأنت تدرى أن الدكتوراه الألمانية ليست بشيء يذكر إذ المعول عليه هنالك شهادة « الهابليتاتسيون » ، وما الدكتوراه إلا فى مرتبة «الليسانس» الفرنسية. قلت: هل ألف الرجل شيئاً فنُعظم فهمه ونكبر عرفانه ؟ قال : إنه صنّف رسالةً فى الفلسفة الإسلامية لم يشقّ بها أفقاً ولم يكشف عن سر، فهو ممن يجرى ويُجرى مَعَه . بالله خبّرنى : أ كلُّ من خطر له أن يسقط إلينا يصيب الأذرعَ إلى العناق مشتاقة ؟ ثم ماذا أقول فى هذا ، وماذا يقول إخوانى وجلّهم من زملائى الباريسيين أو البرلينيين ؟ إنّ فى مصر غير واحد ممن حصّل فى أوربة فن الاستشراق ومارسه وألّف فيه وظفر برضا أهله وإعجابهم ، وذلك فضلاً عن أن العربيـة لغتنا فقَدَمُنا فيها أثبت وبصرنا بها أعلى »

إنى أنقل شكوى الزميـل ، وأملى أن يكون حديثه وهما من الأوهام

***

٢ — فى كلية الآداب « معهد للدراسات الإسلامية » وهو اسم واقع على شيء غير موجود ، بل على خزانة كتب (وهى غير وافية فلقد شكا إلى بعضهم أن ليس فيها « كتاب الشعر » لأرسطو، ترجمة أبى بشر متى بن يونس)

وقال لى قائل : إن الوزارة السابقة وقفت دون إخراج هذا المعهد من جانب القوة إلى جانب الفعل ، وذلك دفعاً لفتنة قد تقوم بين كليتين فى هذا البلد . فانظر كيف تُفسد السياسة مسالك العلم

إن معهداً للدراسات الإسلامية مما لا معدل عنه لمصر . وقد فصلت ذلك فى العدد الخاص لمجلة « المكشوف » البيروتية (١٠ يولية ١٩٣٩) فلا أحب أن أعود إلى ما جاء هنالك . غير أنى أذكّر بعضهم أنْ ليس فى مصر ـ وهى مصر ـ مجلة محض علمية موقوفة على مسائل الإسلام وشؤون العرب ، على حين أن فى بيروت مجلة « المشرق » وفى دمشق « مجلة المجمع العلمي العربى » . وأما أوربة وأمريكة فمجلات الاستشراق تزيد فيها على الثلاثين . وأغرب من هذا أن للفرنجة فى مختلف البلدان الإسلامية مجلات رفيعة الشأن، وقد ذكرت بعضها فى «المكشوف»

***

٣ — منذ تسعة أشهر أو نحو ذلك أُلفت فى كلية الآداب لجنة لوضع المصطلحات الفلسفية باللغة العربية . وأعضاء هذه اللجنة طائفة من الأساتذة والمدرسين من مصريين وأجانب . واللجنة على قسمين : قسم للتحرير وآخر للعمل . وهذا القسم

الثانى على شعب ، وإحدى هذه الشعب إنما همها منصرف إلى تأليف معجم المنطق من طريق استخراج المصطلحات فالتنقيب عن أصلها اليونانى ثم الاهتداء إلى نظائرها فى اللغات الإفرنجية الحديثة . ومما توته هذه الشعبة طبع منطق كتاب الشفا لابن سينا طلباً للوصول إلى مصطلحاته وبذلها للمراجعين . هذا وأعمال سائر الشعب على ذلك النحو

ولا شك أن مثل ذلك السعى محمود ، فمن ورائه تُسدّ حاجات التعبير الفلسفى بقواعد صحيحة . ولا شك فى أن جُلّ رجال تلك الشعب أهل اطّلاع ومعرفة ، وإن نُحّىَ عنهم غيرهم من المشتغلين بمصطلح الفلسفة الإسلامية

غير أن أعمال تلك اللجنة لا تزال حديثاً يُتناقل فى أندية الثقافة العليا ، وإن كان حديث صدق . مصداق ذلك أن شعبة معجم المنطق لم تقم فى أثناء تلك المدة إلا بتصوير منطق كتاب الشفا وهو مخطوط . وهـذا البطء فى الإنجاز قد دعا بعض المستشرقين المتصلين باللجنة إلى أن يكتب إليها يستخبرها الخبر على ما انتهى إلىّ

فعسى أن تمنع اللجنة الناس أن يقولوا إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أوفر نشاطاً من لجنة وضع المصطلحات الفلسفية فى كلية الآداب

بشر فارس

أعجب العجب

صديقنا الدكتور بشر فارس لا يسرّه كثيراً أن يعترف بالحق : فهو ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليُنْسِىَ القراء موضوع الخلاف

هو يقول بوجوب إلقاء الشعر كما يُلقى النثر ، وأنا أقول إن الوزن من العناصر الأساسية فى الشعر ، ومن الواجب مراعاة ذلك عند الإلقاء

هذا هو أصل الخلاف ، فكيف استباح أن يعيد على سمعى مسألة بديهية تقرر أن الشاعر خير من الوازن ؟ وهل يظن أن « زميله الباريسى » ممن تخفى عليهم البديهيات ؟

ويقول : « إن الطرب لا يأخذ النفس اللطيفة من طريق الحس الظاهر » وهو فى هذا الحكم من المخطئين : فالحواسُّ هى أدوات النفس ، ولكل صورة وجدانية أصل من الصور الحسية ، وهذا بحث مسهب أودعته كتاب « التصوف الإسلامى » فلا أعود إليه : لأنى أبغض الحديث المعاد ، ولأنى لا أحب أن أعود إلى درس هذا البحث من جديد ، ولأن لمجلة « الرسالة » شواغل أهم من درس الموضوعات التى دُرست من قبل

وأراد الدكتور فارس أن يداعب « زميله الباريسى » فسأله عن صحة « ليلى المريضة فى العراق »

وأقول إن « ليلى » فوق التهكم والسخرية يا دكتور فارس فاتق الله فى رأسك فقد يطيح فى لحظة غضب إذا توهمت أنه يجوز المزاح مع الحب.

وتقول إنى أردت أن أذيع فيكم أنى مفتون بالجمال

فماذا تريدون ! أتريدون أن أفتن بالقبح كما تُفتنون ؟

إن القاهرة لم تخلق فيكم شاعراً يصف أيامها الغُرّ ولياليها البيض ، وليس فيكم من تحدث عن شارع فؤاد كما تحدث طبيب ليلى المريضة فى العراق ، وهل ألهمتك باريس ما ألهمتْ صاحب كتاب « ذكريات باريس » ؟

أحبك يا ليلى ، وأحب من أجلك جميع اللائمين والعاذلين . ذكّرتنى يا بشر بليلاى ، فمتى أرى ليلاى ؟ ومتى يهديك الله ، أيها المذول ؟!

زكى مبارك

١ — الروحانية ، والفكرية

٢ — اللفظة الإغريقية

١ — مما يُروى حاشية لمقالة اليمَنِ اليفَنِ الدكتور زكى مبارك الأديب المشهور فى نعيم الجنة التى وُعد بها فى الغد لا اليوم المتغون — خبر فرقة اسمها (الروحانية ، الفكرية) تعجلت فى الدنيا لذات وطيبات فى الأخرى ولم تتمهل[1] و « من طلب الشىء قبل أوانه مُنِى بحرمانه » وقد ذكر تلك الفرقة المستعجلة . . (أبو الحسين محمد بن احمد الملَطِىّ المتوفى سنة ٣٧٧) فى مصنفه (كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) وهو من الكنوز العربية التى أظهرها العربانيون ـ لا العربيون ـ منذ ثلاث سنين . وفيه من أخبار النحل ما فات كتبها المشهورة مثل مقالات الإسلاميين ، والفِصَل ، والملل والنحل ، والفَرْق بين الفرَق

قال الملطى : « ومنهم الروحانية وهم أصناف ، وإنما سموا (الروحانية) لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السموات وبها يعاينون الجنان ، ويجامعون الحور العين ، وتسرح فى الجنة ، وسموا أيضاً (الفكرية) لأنهم يتفكرون ـ زعموا ـ فى

(١) فى (ذيل زهر الآداب) قال أبو العيناء : محمد بن مكرم والعباس ابن رستم تعجلا الجنة فى الدنيا ؛ يشربان الخمر ولا يصليان ...

هذا حتى يصيروا إليه ، فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ومنتهى إرادتهم ، ينظرون بأرواحهم فى تلك الفكرة إلى هـذه الغاية ، فيتلذذون بمخاطبة الإلهية لهم ، ومصافحته إياهم ، ونظرهم إليه — زعموا — ويتمتعون بالحور العين ومفاكهة الأبكار على الأرائك متكئين ويسعى عليهم الولدان المخلدون بأصناف الطعام وألوان الشراب ، وطرائف الثمار ... ولو كانت الفكرة فى ذنوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيما . وأما هذه الفكرة فبوبها لهم الشيطان لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة إلا من صار إليها يوم القيامة ، وهكذا وعد الله عباده المؤمنين والمؤمنات »

وذكر ذلك الكتاب صنفاً آخر (من الروحانية) أغرب من الصنف الأول وأنكر ... قال : « ومنهم صنف من الروحانية ـ زعموا ـ أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم . فإذا كان كذلك عندهم كانوا عنده بهذه المنزلة ووقعت عليهم الخلة من الله ؛ فجعل لهم السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلها على وجه الخلة بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه ، منهم رباح(١) وكليب(٢) كانا يقولان بهذه المقالة ، ويدعوان إليها ... كذب أعداء الله وكيف يكون ذلك ؟ ! »

إنه البشر حائر كيف يدين ، حائر كيف يكون — لا زال فى حيرته ! — وفى هذا الوقت فى هذه (الكرة الأرضية) فى هذه الأريضة الضيقة الضئيلة الحقيرة (٣) التى هى من ذنبات الشمس — أكثر من أربعة آلاف نحلة كما يقول جيو فى كتابه « L'irréligion de l'avenir » وكل بمعظم دينه » ويقول : إن الحق عندى ، والحق يسخر منهم

ألا « إن الدين عند الله الإسلامَ » الصحيح

* * *

(١) القيسى (٢) الصوفى

(٣) وقطينها فى الحقارة والضؤولة مثلها بل أحقر منها وأضال ، قال صاحب اللزوميات ، والفصول والغايات :

ذرية الإنس ، لا تزهوا فإنكم ذرا تمدون أو نملا تضاهونا

٢ – مقالة الباحث المفضال (الأستاذ محمد عبدالله العمودى) فى الجزء (٣٢٧) من (الرسالة الهادية) – مكتنز بالفوائد، كشاف عن حقائق وسؤال منشيه حاذق الإغريقية واللاطينية[1] عما لا يدريه ولا ندريه من براهين فضله

وقد تمديت فى (كلمى) السابقة البحث عن تلك اللفظة الإغريقية، وتركت مجادلة النازى فى نبزه – إن كان يعنى ما عنى – لأنى إنما قصدت أن أبث ما بثثته، وأشكو – وقد ضيم العرب فى كل إقليم – إلى سيدى (رسول الله) ما شكوته

وأقول فى هذا المقام فى حكاية ذاك النبز: إن العربية الحرة ما أمت أو تأمت فى حين. وإن لم تكن – يا أخا العرب – عِزوةٌ من العِزَوات[2] التى خطها مؤرخون ولم يحققها باحثون؛ فإن عربية محمدية إليها ننتمى لتتضاءل بل تضمحل قدامها فى الكون كل نسبة. (م)

جوائز نوبل لسنة ١٩٣٩

منحت جائزة نوبل الأدبية لسنة ١٩٣٩ إلى الكاتب والأديب الفنلندى فرانز إميل سيلانبا

ونالها فى الطبيعة البروفسور أرنست أورلاندو لورانس الأستاذ بجامعة كاليفورنيا، مكافأة له على اكتشاف السيكلوترون وتحسينه والنتائج التى أمكن الحصول عليها بواسطته، وخاصة فيما يتعلق بالعناصر الصناعية فى محطات الإرسال الأثيرية

أما جائزة نوبل للكيمياء فى سنة ١٩٣٩ فقد نالها الأستاذان بوتناندت الأستاذ بجامعة برلين، وروزيسكانوف الأستاذ بجامعة زوريخ

وقد كانت جائزة الكيمياء لسنة ١٩٣٨ مؤجلة، فمنحها فى هذا العام البروفسور كوهن الأستاذ بجامعة هيدلبرج.

وقف دور انعقاد مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أصدر حضرة صاحب المعالى وزير المعارف القرار الوزارى الآتى:

بعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذى عقد فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٩ من بعض أعضاء «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» بشأن دور الانعقاد فى هذا العام

وبعد نظر المادة التاسعة من المرسوم الملكى الصادر فى ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢) بإنشاء «مجمع ملكى للغة العربية»

من حيث أنه يتبين من مجموع الكتب الواردة فى هذا الصدد من الأعضاء الأجانب أنه لا ينبغى الاطمئنان إلى توافر العدد الذى يكفل عقد جلسات المجمع فى هذا العام

ومن حيث أن التوجه بالدعوة مع ذلك إلى هؤلاء الأعضاء على وجه خاص، من شأنه أن يجشمهم مشقة السفر والتخلى عن الأعمال التى يعالجونها فى بلادهم لو قدر لهم القرار فيها فى هذه الفترة. هذا على حين لا يكفل عقد جلسات المجمع، لقلة العدد أو على الأقل انتظامها على فرض اكتمال الحد الأدنى الذى أوجبه المرسوم لصحة الانعقاد

المادة الأولى: وقف دور الانعقاد «لمجمع فؤاد الأول للغة العربية» هذا العام (١٩٣٩ – ١٩٤٠)

المادة الثانية: على رئيس «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» تنفيذ هذا القرار

الأمير شكيب أرسلان فى برلين

قالت جريدة «النهار» البيروتية:

اعتاد المذيع العربى فى راديو الشرق أن يرد على أكاذيب المذيع العربى فى راديو برلين على أثر تلاوة نشرة الأخبار المسائية. وقد تولى مساء الأربعاء تفنيد مزاعم راديو برلين التى طلعت بها على العالم العربى لمناسبة وصول الأمير شكيب أرسلان إلى العاصمة الألمانية والحفاوة التى قوبل بها

وقد علقت الصحف السويسرية على زيارة الأمير، فقالت إن رئيس الدعاية النازية اقترح منح الأمير شكيب لقب مواطن

(١) كتبها السلف بالطاء ويكتبها عصريون بالتاء
(٢) بسكون عين الكلمة وفتحها فقط فى مثلها

شرف الريخ ، ولكن هتلر رفض العمل بهذا الاقتراح بحجة أن الزائر من الجنس السامى ولا يجوز أن يمنح لقباً يجعله فى مستوى أبناء الريخ

وإزاء إلحاح رئيس الدعاية رضى هتلر بمنح الأمير لقب مواطن شرف على أن رأس الحفلة رجل غير آرى فوقع الاختيار على البارون اليهودى اربنهايم الذى كان يرأس دوائر الاستخبارات فى البلاد العربية فى الحرب العظمى

حول صوت من ألف عام

حمداً للأستاذ الأعظمى قيامه ببعث ديوان الأمير تميم وإمتاع الناس به وإتحاف قراء الرسالة ببعض شعره ، ولكن هل كان أفضل شعره ما عرض فيه للعباس وعبد الله بن عباس فى قصيدة الرد على ابن المعتز ؛ وهل ثم ضرورة داعية إلى هذا وشعر ابن المعتز فى هذا الوجه لا يكاد ينتبه إليه أحد لإعراض الناس عن هذه المفاضلات السياسية التى كانت لها مناسبات درست ؟ ولقد كان العباس وعبد الله بن عباس وعلى والحسين أسرة واحدة وبينهم من الحرب والتناصر ما التاريخ ممتلئ به ، فما بالنا اليوم نثير فتناً حمدنا الله على موتها ؟ والعجب أن الأستاذ الأعظمى قائم على جماعة الأخوة الإسلامية والدعوة لها ، فهل تقوم الأخوة على تذكير الناس بهذا الجانب الطائفى من الماضى السحيق ؟

محمد على النجار

مدرس بكلية اللغة العربية



في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثاني عشر

بقلم الأستاذ عبد القادر المغربي

الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء قليلة جداً، وقد يكون معظمها مما يسمونه خطأ مطبعياً، ومع هذا فسنذكر هنا هذه الأغلاط لتكون كاللحام يصل بين طرفي سلسلة التصحيحات التي خدمنا بها هذا الكتاب النفيس منذ أول صدوره ونشرناها على التوالي في أجزاء[1] مجلة مجمعنا العلمي الدمشقي . وإذ قد توقفت مجلة هذا المجمع عن الصدور رأينا أن ننشر تصحيح الجزء الثاني عشر وما يليه في مجلة «الرسالة» وذلك لسعة انتشارها، ولأن معظم قراء مجلة المجمع الدمشقي من قرائها وهاهي ذي تصحيحات الجزء الثاني عشر

ص ٦٣ س ٨ قوله : (ويؤخذ من السُك الأصفر الطوامير مثقال) السُكّ طيب ذكره المؤلف ووصف أنواعه . و(الطوامير) جمع طومار وهو الصحيفة . وفي اصطلاح كتّاب الدواوين قديماً صحائف ذات شكل خاص تطوى طياً خاصاً . قال كعب بن زهير في وصف ناقته من شعر (طُمِّرت تطميراً) أي كأنها طويت طيّ الطوامير . فكلمة الطوامير إذن لا تصلح أن تكون صفة أو بدلاً من كلمة (السُك) فلعل صوابها (الطواميريّ) بياء النسبة . ويكون معنى نسبة السك إلى الطوامير أن ذلك السك مما يحفظ في الطوامير لا في أوعية أو ظروف أخرى ، أو المعنى أن لون السُك الأصفر قاتم أو قاتم كلون الطوامير

وقد تتبعنا ما قاله المؤلف في طريقة اتخاذ السُك فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطواميري

ص ٩٠ س ٥ قوله : (طبيخ البان بالأفاويه مع الماء أقوى له) الصواب أن يكون (طبخ) بصيغة المصدر إذ أن سياق الكلام والإخبار بقوله : (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢١ س ٢ قوله : (ثم دُقّه بشيء من ماء التمر) الضمير في (دقّه) يرجع إلى الآس الذي دُقّ دقاً جريشاً ثم عُجن بماء التمر إلى أن قال : (ثم دقّه الخ) . ولا يخفى أن قوله : (دقّه) بالقاف المشدّدة محرف أو مصحف وصوابه (دُفه) بالفاء الساكنة أمر من فعل داف يدوف . قال في (الأساس) : (دافَ المسك بالعنبر خلطه به . وداف الزعفران أو الدواء خلطه بالماء ليبتل) ولا ريب في أن ماء التمر لا يتصور أن يدقّ به شيء من الأشياء وإنما يداف به ويخلط . وفعل (الدوف) استعمله المؤلف في غير ما موضع . ففي ص ١٣٢ س ٥ (ويُداً فان بالطلاء الريحاني) وفي ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والسك الدافين بدهن البلسان)

ص ١٢٨ س ١٠ قوله : (وصعّده على هبال الماء) ضمير (صعده) يرجع إلى المسك المدوف بماء الورد و (التصعيد) كما في القاموس وشرحه الإذابة ومنه قيل خلّ مصعّد . ويقال شراب مصعّد إذا عولج بالنار حتى يحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً ا هـ . وهبال الماء بخاره الساخن الصاعد عنه وهو على النار . وهي كلمة عامية كانت شائعة على ما يظهر في عهد المؤلف كما لا تزال شائعة في بلادنا الشامية غير أنا نلفظها نحن الشوام (هبلة) لا (هبال) على أن (هبال) قد تكون جمعاً لهبلة فإن (فعلة) تجمع على (فعال) قياساً نحو قصعة وقصاع . واليسوعيون في معجمهم العربي الفرنسي فسّروا الهبلة بقولهم Vapeur d'un liquide ثم وضعوا أمامها العلامة التي تدل على أن الكلمة ليست فصيحة وإنما هي مستعملة في اللغة العامية . وأذكر أن بعض العارفين باللغات السّامية عدّ كلمة (الهبلة) في جملة الكلمات الباقية في العامية الشامية من اللغة السريانية . ولا يخفى أن مؤلف (نهاية الأرب)

---

(١) الأجزاء الخمسة الأولى من نهاية الأرب نشرت تصحيحاتها في مجلد السنة السادسة من مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي . وتصحيح الجزء السادس نشر في مجلد السنة السابعة . وتصحيح الجزء السابع نشر في مجلد السنة التاسعة وتصحيح الثامن نشر في مجلد السنة ١٢ . وتصحيحات الأجزاء : التاسع والعاشر والحادي عشر نشرت في مجلد السنة ١٣

هذا ومجلدات مجلة المجمع الدمشقي محفوظة في دور الكتب العامة ولا سيما دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية في القاهرة

يتسامح في استعمال الكلمات الدخيلة الجارية في لهجة عوام زمانه : فهو يقول (شوايير) ويريد بها القطع أو الفتائل المجبولة على طول الشبر . ويقول (الزيم) ويريد به الزبد أو الرغوة التي تعلو المائعات وهي تغلي على النار فتلتقط وترمى . والكلمتان عاميتان شائعتان في مصر والشام إلى زماننا هذا . فلا حاجة إذن إلى جعل (المبال) الواردة في كلام المؤلف محرفة عن كلمة (الهباء) بالهمزة وهو ما ارتفع من الغبار وأن المراد بالهباء حينئذ البخار الساخن مجازاً .

ص ١٤٤ س ٢ قوله (ويغلي زيت مغسول) لعل الأفصح في استعمال هذا الفعل هنا أن يقال (يُقلى) بالقاف لا (يُغلى) بالغين : فإن ما يطبخ بالزيوت والأدهان من دون إضافة ماء يستعمل فيه فعل قلاه يقلوه وآلته (المقلاة) . وإذا طبخ الطعام بالماء مع زيت أو دهن أو من دونهما ثم بقبق قيل إن الطعام يغلي غلياناً ، وإن الطاهي أغلاه وطبخه لا قلاه وحمصه . على أن الغليان في عبارة المؤلف قد يكون له معنى ولكنا نستبعد أن يكون مراداً للمؤلف فهو في الراجح من تصحيف النساخ

ص ١٦٠ س ١٠ ذكر المؤلف عقاقير سُحقت ونُخلت وعُجنت بعسل ، ثم قال : (وتُبسط على جام وتقطع وتستعمل) ثم قال في ص ١٦١ س ٦ (ويبسط على جام الخ) واستعمال الجام في الموضعين صحيح فصيح فلا حاجة إلى تصحيح الجام بكلمة (الرخام) وإن كان بسط الأدوية والطيوب على رخام كثير الوقوع ، غير أن بسطها على الجام أقرب تصوراً وتعقلاً . وبيانه أن للجام معاني ثلاثة تختلف باختلاف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فالجام في العربية معناه الإناء من فضة ، وقال علماء اللغة إنه بهذا المعنى عربي فصيح . والجام في التركية لزجاج كزجاج الشبابيك والمرايا . والجام في الفارسية القدح الذي يشرب به الشراب في الأكثر وغير الشراب في الأقل

ولا يمكن أن يكون المراد من (الجام) في عبارة المؤلف هذا المعنى الفارسي أي القدح ؛ وإنما الممكن أن يكون المراد الإناء من فضة (بالمعنى العربي) أو لوح الزجاج (بالمعنى التركي) ، فإن بسط العقاقير ومعالجة تركيبها عليه كثير الشيوع وشد ما رأيناه في الصيدليات . ولا سيما إذا لاحظنا أن طائفة من علماء اللغة قالوا إن (الجام) هو (الفاثور) وفسروا الفاثور بالطست يكون من رخام أو فضة . وخص الأزهري فقال: إن أهل الشام يتخذونه من رخام. فإذا كان الجام قد يتخذ من رخام فلا حاجة إذن إلى تصحيحه بالرخام. والفاثور أيضاً قد يكون بمعنى قرص الشمس وقد سموا قرصها بالفاثور على التشبيه. وهذا يدل على أن الفاثور الذي يسمى الجام لا يكون له حروف قائمة حواليه حتى قال في (الروض الأنف) : (الفاثور سبيكة الفضة) والسبيكة لا حروف لها كما لا يخفى . ويؤيد هذا ما جاء في كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) من أن (فاثور) معرب (پتر) وهو كل ما صفح من ذهب وفضة ونحاس . ثم نقلوه إلى الآنية المدنية التي لها شكل الصفائح كالخوان والطست وقرص الشمس ، ثم شبهوا به صدر الحسان وخاصة صدر بثينة الذي قال فيه جميل :

سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب ... وصدر كفاثور اللجين وجيد

وبالجملة فإن استعمال المؤلف لكلمة (جام) بمعنى الإناء أو الزجاج صحيح ولا حاجة إلى تصحيحه بالرخام وإن كان استعمال الرخام في هذا المقام ممكناً

ص ١٦٩ س٦ قوله : (ويؤخذ ماء الصِلق المتعصر) الفصيح في (السلق) وهو الخضرة المعروفة أن يكون بالسين كما ورد في معاجم اللغة . لكن لما كان المؤلف يتسامح في استعمال الكلمات العامية كما قلنا وكان (الصلق) بالصاد مما ينطق به عامة زمانه كما ينطق به عامة زماننا — لما كان ذلك كذلك حَسُنَ الإبقاء على (الصلق) الواردة في عبارة المؤلف بالصاد ولا حاجة إلى تصحيحها بالسين ، وهذا كما أبقينا على كلمة (ملو) بالواو وهي عامية مكان (ملء) بالهمزة في عبارة المؤلف (ص ١٤٠ س ٥) وهي قوله : (ويكون المصير أقل من ملو القارورة) وقد أحسن المصحح الفاضل صنعاً في قوله : (أبقينا (ملو) على حاله حرصاً على استعمال المؤلف) وكذلك نبقي كلمة (الصلق) بالصاد على حالها حرصاً على استعماله : فإن في هذا الإبقاء على الكلمات العامية الواردة في عبارات علمائنا وكتابنا الأقدمين — غرضاً له قيمته في معرفة تطور الألفاظ وتاريخ اللهجات كما لا يخفى

ص ١٦٢ إلى ١٧٧ وصف المؤلف خلال هذه الصفحات أدوية مركبة من عقاقير لتنمية (القوة الجنسية) وقد ذكر في عنوان ثلاث (وصفات) منها أنها (تسخّن الكلى) بالخاء وفي ثلاث وصفات أخرى أنها (تسمّن الكلى) بالميم ، فإذا كانت كلتا الكلمتين صحيحتين غير محرفتين كان ذلك من أسرار الطب القديم ، وإلا فإن طبيباً من فضلاء أطبائنا قال : (بعد أن اطلع على نصوص الكتاب) إن إحدى الكلمتين (تسخن وتسمن) محرفة عن الأخرى وأن الصواب في ظني هي (تسخن) بالخاء دون (تسمن) بالميم، واستدل على ذلك بأن المؤلف وصف هذه العقاقير بأنها (كثيرة الحرارة) ، ولا ريب أن كثرة حرارتها تحدث حرارة في البدن عامة وفي الكُلية خاصة ، قال : وهذا ما وقع لي مذ كنت في السودان فقد دعاني شيوخها إلى وليمة أكثروا في طعامها من الفلفل الحار فأدى ذلك إلى حصول التهاب وتزيف دموي في كليتي . فلاجرم أن يكون المؤلف في وصفاته إنما أراد أن العقاقير تسخّن وتحدث حرارة لا تسمّن الكلية وتضخمها. وفوق كل ذي علم عليم .

المغربي

7me Année No. 334

Lundi - 27 - 11 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

خطــــاب العرش

من الوجهة الأدبية

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

أحب أن يتسع صدر « الرسالة » لموضوع لم يكتب فيه الباحثون من قبلُ : وهو نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية

وأسارع فأذكّر القراء بأن هذا الموضوع لا يحتاج إلى تحفظ واحتراس ، لأن خطاب العرش ليس من إنشاء جلالة الملك ، وإن كان يُلقى باسمه الكريم ، وإنما هو من إنشاء رئيس الوزراء ، وهو الذي يحاسَب عليه أمام الشيوخ والنواب ، بآية ما نشهد من تأليف اللجان البرلمانية للرد عليه ، في حدود قد تصل أحياناً إلى الصرامة والعنف ، وقد تعرّض الوزارة إلى تعديل بعض النصوص أو تستقيل

ولعل هذا هو السرّ في أن جلالة الملك لا يُلقى خطاب العرش بنفسه كما يصنع حين يتفضل بتوجيه الرأى والتحية إلى شعبه في فواتح الأعوام وفي المواسم والأعياد

وخطاب العرش في التاريخ الحديث يشبه العهود التي كانت تُكتب بأسماء الخلفاء في التاريخ القديم ، ونحن نعرف أن كُتّاب

« العهود » كانوا يُسألون عما يقع فيها من خطأ أو إسراف ، لأنه كان مفهوماً أن الخلفاء لا يكتبون بأنفسهم تلك العهود ، ولذلك تفاصيل يضيق عنها هذا المقال ، وهى معروفة لجميع المطّلعين على تاريخ الحضارة الإسلامية

إن خطاب العرش من إنشاء رئيس الوزراء ، ولكنه يُلقَى باسم جلالة الملك : فمن الواجب أن يكون صورة رائعة من الوثائق الأدبية التي تمثل عظمة مصر لهذا العهد ، فهل كان كذلك ؟

إن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من رجال مصر المعدودين ، وهو فى أنفُس خصومه أهلٌ للتبجيل ، فمن حقنا عليه ونحن نؤمن بكفايته الذاتية أن نطمع فى أن يمنح خطاب العرش عناية خاصة من الوجهة الأدبية ليكون فى نَسَق مع مطامحه العالية فى خدمة البلاد ، وليكون فى طراز مع الخطب الجيدة التى كان يلقيها يوم كان وزيراً للمعارف فى سنة ١٩٢٥

وقد يمكن الاعتذار عن خطاب العرش بأنه خلاصة لآراء تصل إلى الرياسة عن مختلف الوزارات ، ولكن تنوُّع المصادر التى تؤلف خطاب العرش لا يُعفى الرئيس من إنشائه بطريقة مُحكَمة تضعه فى الصف الأول بين الوثائق الأدبية التى يعتز بها العهد الجديد : عهد فاروق بن فؤاد

ولكن ما هى المآخذ التى تُوجَّه إلى خطاب العرش من الوجهة الأدبية ؟

نلاحظ أولاً أن فيه عبارات لا تقال فى وثيقة رسمية كالعبارة الآتية :

« قد آن لنا أن نعمل وأن نلبي داعى الوطنية والإيمان ، داعى الرجولة والتضحية والكفاح »

لأن الحكومة الجديدة ليست أول من يعمل حتى يشهد لها بذلك ، وإنما عملُها حلقةٌ من سلسلة كونتها الحكومات المصرية من قبل ، وقد شهد رفعة الرئيس بأن فيمن سبقوه رجالاً كانت لهم وطنية وتضحية وإيمان

وكذلك نقرأ فى خطاب العرش :

« وقد فطن جدى الأعلى محمد على الكبير إلى الصلة المتينة التى تربط الجيش الوطنى القوى بفروع الإصلاحات والإدارة العامة : فما كاد الجيش المصرى يظهر فى الوجود حتى ظهرت فى البلاد إدارة منظمة ومصانع ومعامل ومدارس لا عداد لها »

وليس هناك شكٌّ فى أن المغفور له محمد على الكبير نهض بمصر نهضة عظيمة ، ولكن لا يقال إن عهد محمد على كان أول عهد لظهور الجيش المصرى فى الوجود ، فإن معنى ذلك أن مصر لم تكن أمة مهيبة قبل أن تعرف محمد على الكبير . والرأى الصحيح أن مصر كانت أمة لها وجود أدبى واجتماعى وسياسى ، فلما جاء محمد على عملت يداه فى تنظيم ما كان فى مصر من قوة أدبية ومعنوية فكان لها المكان الذى عرفته الأمم فى التاريخ الحديث ... كان محمد على الكبير تركيًّا ، وكان يسره بالطبع أن تكون لغة مصر هى التركية ، ولكنه رأى بثاقب الفكر المبدع أن اللغة العربية من أقوى مظاهر القومية المصرية فساعد على تقوية اللغة العربية ليتأصل حبه فى القلوب المصرية ، ومن كان هذا حاله لا يقال إن عهده كان أول عهد لظهور الجيش المصرى فى الوجود

وفى خطاب العرش أن مصر لذلك العهد ظهرت فيها مصانع ومعامل ومدارس لا عداد لها ، وجملة « لا عداد لها » جملة يراد بها التفخيم ، ولكنها لا تُقبَل فى وثيقة مثل خطاب العرش ، لأن هذا مقام يفضَّل فيه القصد على الإغراق

وما ذا يريد الخطاب من العبارة الآتية :

« مصر مهد المدنية ، وعلى يديها نهضت ، ومنها خرجت وإليها تعود »

أيكون معنى ذلك أن المدنية خرجت من مصر إلى مَعاد ؟

أيكون معناه أن المدنية يوم تعود إلى مصر ستفارق ما سواها من الممالك والشعوب ؟

ويقول خطاب العرش :

« إن التفاتنا إلى الماضى لا ينسينا الحاضر ، والذكرى تبعث الذكرى » .

فا معنى عبارة : « والذكرى تبعث الذكرى » ؟ أيكون الحاضر أيضاً من الذكريات ؟

[البقية على صفحة ٢٢١٤]

فى مزارات الاسكندرية

مع الشيخ الخالدى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لقيت الشيخ العلامة خليلا الخالدى فى الأسكندرية ، ففرحت بمقدمه إلى هذه المدينة ، وكنت أحسبه لا يعرف كثيراً من مشاهدها وأخبارها . جلسنا نتحدث والشيخ إذا ترك لشأنه لم يتجاوز حديثه الكتب والمؤلفين ومعاهد العلم ودور الكتب . فلما تحدث عن خطوط العلماء الجيدة والرديئة — وقد ذكرت هذا فى مقال سابق — قال : وكان الطرطوشى من أصحاب الخطوط الرديئة . فلما ذكر الطرطوشى وهو من علماء الأسكندرية نقلت الحديث إلى علماء هذه المدينة ؛ فإذا الشيخ عالم بأخبارهم خبير عزاراتهم . ذكر من المحدثين والعلماء عبد الرحمن بن هرمز والسِّلفى والقاضى سند وابن المنيّر . وذكر من الصوفية أبا العباس المرسى والبوصيرى والأسمر وياقوت العرش . وتواعدنا يوماً نزور فيه هؤلاء الكبراء

وتلاقينا يوم الإثنين سادس رجب (٢١ أغسطس) ، وكان معنا الأستاذان عبد الفتاح عزام وعبد الغفار الطنطاوى . فذهبنا صوب الميناء نسأل عن عبد الرحمن بن هرمز حتى وقفنا على مسجد صغير فى أحد جوانبه حجرة يتوسطها قبر يقول الناس إنه لابن هرمز ، ورأينا لوحاً على الجدار كتب فيه أن هذا قبر عبد الرحمن ابن هرمز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة . قال الشيخ : وهو ممن روى عن أبى هريرة . قلت: بل هو من واضعى علم النحو ومن تلاميذ أبى الأسود الدؤلى . قال ابن الأنبارى :

وأما الأعرج فهو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج . وكان مولى لمحمد بن ربيعة بن الحارث بن المطلب . وكان أحد القراء عالماً بالعربية وأعلم الناس بأنساب العرب . وخرج إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات سنة سبع عشرة ومائة

ونقل السيوطى عن الزبيدى أنه كان من أول من وضع العربية . ثم سرنا إلى مسجد آخر صغير فألفينا فى حجرة متصلة به قبرين كبيرين كتب على أحدهما : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢١ . قال الشيخ : له كتاب البدع وهذا الكتاب وكتاب البدع لابن وضاح مأخذ كتاب الاعتصام للشاطبى صاحب الموافقات . قال وبين وفاة الطرطوشى وابن رشد الكبير شهران أو ثلاثة

أقول : هو أحد علماء المسلمين الأعلام ينسب إلى طرطوشة من بلاد الأندلس نشأ بها وطلب العلم فى البلاد الأندلسية ، أخذ عن أبى الوليد الباجى وابن حزم . ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ولاقى شيوخ العراق وأقام بالشام زمناً ودرس بها . وله مؤلفات أعظمها سراج الملوك

ونقل ابن خلكان عن كتاب الصلة لابن بشكوال أنه :

« دفن فى مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلىّ الباب الأخضر فى الاسكندرية »

والقبر الذى بجانب قبر الطرطوشى كتب عليه أنه قبر محمد الأسعد . ولست أدرى من هو

تركنا مسجد الطرطوشى لنزور اثنين من جلّة العلماء القاضى سند والحافظ السِّلَفى ، فدُللنا على مسجد صغير جداً فإذا قبر بجانب جداره الغربى علّق فوقه لوح كتب فيه أنه قبر القاضى سند بن عنان الأزدى المتوفى سنة ٥٤١ هـ . قال الشيخ الخالدى: وهو شارح المدونة فى فقه الإمام مالك . وقرأت فى حسن المحاضرة أنه « تفقه بالطرطوشى وجلس فى حلقته بعده وانتفع به الناس وشرح المدونة وكان من زهاد العلماء وكبار الصالحين ، فقيهاً فاضلاً مات بالاسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة »

وسألت أين قبر الحافظ السلفى فأشار خادم المسجد إلى موضع بجانب سارية أمام المنبر وقال : قد سوّى القبر بالأرض ليتسع المكان للصلاة . قال الخالدى وكذلك رأيت فى مساجد المغرب يصلى الناس على بلاطات تحتها قبور

والحافظ السِّلفى ولد فى أصفهان حوالى سنة ٤٧٥ وشغل بالحديث ورحل فى طلبه وورد بغداد وأخذ اللغة عن الخطيب التبريزى . وقدم ثغر الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأقام بها أكثر من ستين سنة حتى توفى سنة ٥٧٦ . وقصده الناس من مصر وغيرها يأخذون عنه وذاع صيته فى الآفاق . وبنى له العادل وزير الظافر الفاطمى مدرسة فى الإسكندرية وبقيت تعرف باسمه زمناً طويلاً ودفن فى مقبرة وعلة أيضاً

وكانت مقبرة وعلة مقبرة كبيرة بالأسكندرية دفن فيها كثير من العلماء . وسمعت من الشيخ الخالدى ثم قرأت فى رحلة

ابن رشيد رواية عن التجيبي : « وكان شيخنا الحافظ السِّلفي رحمه الله يقول لا أعلم في البلاد التي تطوفتها تربة جمت قبور ثلاثة أئمة في ثلاثة مذاهب إلا التربة التي بمقبرة وعلة ، وقبور الأئمة الثلاثة في الثلاثة المذاهب بالمقبرة المذكورة متلاصقة : قبر أبي الخطاب الشافعي ، وقبر أبي بكر الطرطوشي المالكي ، وقبر أبي بكر محمد بن ابراهيم الحنيف » (يعني الحنفي على عادة الأندلس في النسبة إلى أبي حنيفة)

وقرأت في رحلة ابن رشيد أيضاً :

« زرنا بالأسكندرية حماها الله تعالى قبر الإمام الزاهد المحدث آخر الحفاظ بقية المحدثين أبي الطاهر السلفي داخل باب الأخضر على مقربة منه وله سنام كبير عال ، وعلى مقربة من قبر الزاهد الفقيه الإمام أبي بكر الطرطوشي رحمه الله ، وعلى قبره مكتوب : توفى الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الفهري في جمادى الآخرة سنة ٥٢٠

وبمقربة من الجدار الغربي قبر يقال إنه قبر عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج رحمه الله » اه

وسرنا بعد إلى جامع المنير فراقنا جمال هندسته ونقشه وتهللت وجوهنا وانبسطت أنفسنا لمدخله حتى قلت: حبذا جلسة طويلة في هذا المسجد الطويل . وزرنا ضريح الشيخ ابن المنير وهو في جانب من المسجد عليه قبة شاهقة

وابن المنير هو عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير . قال السيوطي نقلاً عن ابن فرحون : كان شيخ الاسكندرية ويلقب بعز القضاة فاضلاً أديباً عُمّر وانتفع به الناس ، أخذ الفقه عن عمّيه ناصر الدين وزين الدين ، وألف تفسيراً في عشرة مجلدات» (لعله يريد تفسيره المسمى الانتصاف من صاحب الكشاف)

ولد سنة ٦٥١ وتوفي سنة ٧٣٦

ثم قصدنا إلى زيارة الصوفية فزرنا أبا العباس المرسي ، وقبره الآن تحت المسجد المعظم الرائع الذي تشيده وزارة الأوقاف الآن ويرجى إتمامه قريباً . وهو أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري من كبار الصالحين ، وأكبر أصحاب أبي الحسن الشاذلي . توفي سنة ٦٨٦

وعلى مقربة منه قبر العالم الكبير عثمان ابن عمر المعروف بابن الحاجب أحد أئمة العلماء المصريين في القرن السابع . ولد بإسنا في العقد الثامن من القرن السادس وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٤٦ . وله مصنفات في الفقه والأصول . وأما مصنفاته في النحو فقد طبقت شهرتها الآفاق وعدت من أمهات كتب العربية . وحسبك في النحو الكافية وشرحها وفي الصرف الشافية وشرحها

لم نستطع الوصول إلى قبره إذ حالت دونه العمارات القائمة في جامع أبي العباس . قال ابن خلكان : ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي أسامة

وخرجنا بعد زيارة أبي العباس فررنا باثنين من كبار الصوفية : المكين الأسمر عبد الله بن منصور الإسكندراني شيخ القراء بالإسكندرية في وقته . مات سنة ٦٩٢

وقال ابن رشيد : « الشيخ المقرى المجود مكين الدين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي ويلقب بالمكين الأسمر أحد الصلحاء الفضلاء ، وهو المتصدر لإقراء القرآن بالأسكندرية . قرأت عليه بدكان منزله - عمره الله ببقائه - ضحا يوم السبت الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام أربعة المذكور ، جميع المجالس الخمسية السلمانية التي أملاها الحافظ أبو طاهر السلفي الخ . »

ويجانب المكين قبر لياقوت العرش أحد الصالحين . وهو ياقوت بن عبد الله الحبشي العارف تلميذ أبي العباس المرسي . وكان الناس يقصدونه للدعاء والتبرك . مات بالإسكندرية ٧٣٢ . قال الشيخ الخالدي : ذكره ابن عطاء الله في تآليفه

وأما ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم فهو أحمد بن محمد ابن عبد الكريم الجذامي الاسكندراني . كان صوفيًّا على طريقة الشاذلية ، جامعاً لعلوم شتى من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه ، وأخذ عن أبي العباس المرسي ، وأخذ عنه التقي السبكي ، وله كتب منها كتاب الحكم وهو من أروع ما أثر من أدب الصوفية . وكتاب التنوير في إسقاط التدبير . وكتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس ، والشيخ أبي الحسن (أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي)

ومات بالمدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ ودفن بالقرافة

وعلى مقربة من ضريحي الأسمر وياقوت في الجانب الآخر من الشارع بناء جديد نقلت إليه بلدية الاسكندرية رفات جماعة من الصالحين كانت في قبور متفرقة في المدينة . وقد قرأت على الجدار من الخارج أسماء أحد عشر منهم . وأخبرنا الخادم أنهم تسعة عشر .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

على هامش الأبحاث الفلسفية والنفسية

بين الفرض النظرى والحقيقة الواقعة

للدكتور محمد البهى

— ١ —

للفيلسوف أن يفرض ما شاء من النظريات والمبادئ لإصلاح المجتمع وتهذيب الفرد ، وللأخلاقى أن يتحدث عن كمال الإنسانية وفضائلها ، وللواقع بعد ذلك أن يسطر حوادثه فى سجل الوجود بأسلوبه الخاص وعلى النهج الذى ترتضيه الأيام ويضعها أمام الأفراد والجماعات

وضع أفلاطون « جمهوريته » وتكلم فيها عما يجب أن يتبع لقيام حكومة عادلة ونظام دائم يرعى مصلحة الفرد كما يحرص على نفع الجماعة . وأسهب فى تفاصيل ذلك النظام وقسمه وفق طبائع الإنسان التى قدرها والتى يجب أن تسودها « العدالة » فى نظره إذا قصد به إلى الكمال المطلق

وظن كثير من أتباع هذا الفيلسوف أنها أجود ما ينتجه عقل مفكر ، وأن فى نظامها خير ما تبغيه الإنسانية

إلا أرسطو — لأنه عاش بتفكيره فى عالم الواقع ووجه عمله العقلى فى أغلب الأحايين إلى إيجاد حلول لمشكلات وقته وأزمات شعبه — فقد تناول جمهورية أستاذه بالنقد مسترشداً بتجاربه ورد كثيراً من مبادئها لأنها قامت على الفرض (Utopie) الذى لا تمكن الأيام ولا طبيعة الإنسان من تنفيذه

كذلك شعب كثير من علماء الأخلاق وجهات نظرهم فيما هو أسمى الفضائل التى تقرب الفرد والجماعة من « المثال الأعلى » وتضعهما فى مستوى روحى يحول بينهما وبين الشقاء النفسى . وتحدثوا كثيراً عن العدل « المطلق » كتحديد لهذا الأسمى من الفضائل أو تقريب لمفهومه . وآمن رجال الدين بهذا المبدأ وبنوا عليه وعظهم الخلقى كما حاول المقننون جعله غاية تقنينهم ، سواء فيما يتعلق بنظام الحكم أو بمعاملة الأفراد بعضهم لبعض

ولكن الواقع أنكر هذا الإطلاق فيما مضى ومازال وسوف ينكره لأن ما يقع من تصرف الإنسان مهما كان العقل مستقلاً — عن الغرائز — فى إصداره ، ومهما بدت الدوافع التى بعثت عليه فى مظهر التجرد عن الغايات الشخصية لا يخلو من تأثره « بالميول » . وهذه لا شك تضيق من دائرة العدل وتقيد عمومه . ولذا يميل البحث الواقعى للمسائل الخلقية إلى الاكتفاء بطلب العدل النسبى فى الانصاف بوصف العادل . وفى هذه النسبية يتفاضل العادلون

كذلك قر فى النفوس البشرية إما عن رغبة فى حسم النزاع بين الأفراد فى الأصل تحولت فيما بعد إلى عرف بينهم أو عن دافع فطرى ، أن « الكفاية » هى المقياس الصحيح للفصل فى أفضلية فرد على آخر . وهى تختلف طبقاً لما تتطلبه ميادين النشاط المتنوعة فى الحياة . فالكفاية الدينية غير الكفاية السياسية ، وهاتان غير الكفاية العسكرية والاقتصادية مثلاً . وكانت فى جملتها مقياساً صحيحاً لأنها تكشف عن عنصر القوة الذى يهيئ للبقاء الصالح ويمده للفوز فى معترك الوجود ، ولأنها أضمن لتوجيه نظام الجماعة للإنتاج الإيجابى والعمل المثمر فى سبيل الحصول على رغد العيش ، فضلاً عن أنها أدنى لتحقيق العدل فى توزيع منافع الحياة بين الأفراد

ويندر لذلك عدم تقرير مبدأ الكفاية من الناحية النظرية فى نظام الحكومات مهما اختلفت الأسس التى قامت عليها تلك الحكومات ، ففى عصرنا الحديث نجد الدكتاتورية ، برغم ما يبدو فى طابعها من تحكم الصفات الفردية ، تنادى بالكفاية كشرط أولى لإنتاج الأداة الحكومية . والديمقراطية طبعاً بحكم ما ترتكز عليه نظرياً من أصل المساواة ورفع أى اعتبار آخر فى التفضيل للتكليف بالأعمال العامة سوى الجدارة المحض ، أشد إمعاناً فى مجال النظر بمبدأ الكفاية من أى نظام آخر من نظم الحكم الحاضرة

ولكن إذا قطعنا على الفكر متعته العقلية حين استعراضه الآراء المختلفة المتعلقة بنظم الحكم وحملناه على ملاحظة ما يجرى فعلاً فى التفضيل والاختيار ؛ لا شك أنه سينغص ، وسيمتد تنغيصه كلما كان أشد إمعاناً « بالمثالية » Idealism

وإذا عجزت الملاحظة السطحية عن أن تقدم أمثلة كثيرة

لما يحدث فى ظل الدكتاتورية من مخالفة لهذا المبدأ – لدقة الرقابة على النشر – فسوف تلمس فى الديمقراطية البرلمانية عنصراً آخر – وهو العصبية الحزبية – له السيادة المطلقة على مبدأ الكفاية فى الاختيار

وإذا جاوزنا مثل هـذه المبادئ الخلقية العامة التى لا ننكر ضرورتها من الناحية النظرية فى حياة الجماعة ، والتى وجدت لها ، منذ أن عرفت الجماعة البشرية النظام ، أنصاراً مدافعين إلى حد التضحية بأرواحهم أو بمتعتهم الشخصية فى هذه الحياة – إلى الصفات التى هى أقرب أن تكون مذاهب فردية ، نجدها كذلك لا تنعكس على مرآة الواقع طبقاً للصورة التى صاغها العقل فيها

فالذى يدين بمبدأ الصراحة ، إذا أراد أن يتخذها أساس تصرفه وقوام عمله ، سوف يجد عنتاً فى بيئته وسوف تتعقد الأمور فى طريقه لأن سبل الحياة نفسها ملتوية ورغبات الأفراد فيها مختلفة لا تنال إلا عن طريق إخفائها

والذى يقدر كرامته تقديراً مثالياً ، ينفر أشد النفرة ، مما يتوهم فيه جرح عزته والحط من مكانته ، سوف يصطدم مع الواقع صدمات عنيفة لأن ما فى الواقع منازع له ولغيره . والنزاع كثيراً ما يكون سبباً مباشراً فى اعتداء أحد المتنازعين على الآخر ، والاستخفاف بالمعتدى عليه أخص مظاهر الاعتداء

والذى ينزع إلى فهم الصداقة على أنها يجب أن تسود كل العلاقات الممكنة بين شخصين سوف تكون آلامه من جراء هذه الصداقة أكثر من سروره بها ، لأن التنافس والعمل على تحقيق المصالح والرغبات الشخصية ، وهما من الغرائز الفطرية فى الفرد ، مما يحول دون الوفاء بمقتضيات الصداقة على هذا النحو

فالمبادئ النظرية لم توجد بعد فى الواقع كما حاكها العقل النظرى ، أو على حد تعبير « كانت » العقل الخالص ، لا كما صورها الخيال

ولكن هذا لا يمنع من تأييد الفيلسوف إلى حد ما إذا دعا لمبدئه ، ورجل الدين والأخلاق إذا نادى بالتقرب من المثل العليا لأن غاية كل منهما تقليل شرور المجتمع (وليس رفعها لأنها من طبيعة الإنسان)

وإنما على الذين عاشوا حتى الآن فى حياة النظر ، واسترسلوا فى خيال الأمل وحددوا مصيرهم على فروضه ألا تدفعهم الرغبة فى تقليد المثاليين « إلى طلب مثلهم العليا حقائق واقعة لأن المثل الأعلى لم يكن كذلك إلا لبعده عن تحديد المشاهدة – وما يشاهد قريب منه فقط – ، عليهم أن يربطوا بين حياة النظر وحياة العمل حتى لا تكون خيبة الأمل فاجعة إذا هالهم فرق ما بين الحياتين ، وحتى لا يكون الانتقال من الأولى وهى حياتهم حتى الآن ، إلى الثانية ، وهى حياتهم الجديدة ، قاسياً صعب التحمل . فكثير من الناس اعوج سلوكه ، وكثير من الناس صحبه التشاؤم فى عمله وسيطر على حياته ، وكثير من الناس لم يصبر على مشاق الحياة الواقعية – فى نظره – فذهب ضحية اليأس والقنوط والتململ ، لا لشىء سوى أنهم كانوا جميعاً شديدى الإيمان « بالمثالية » واستمروا حديثى عهد بالواقع .

محمد البهى

الزراعة العملية الحديثة

تأليف العلامة الأمير مصطفى الشهابى

السرا كينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٧ — ما يحصل مما سبق الكلام عليه :

يحصل مما سبق الكلام عليه أن السرا كين هم أهل السروات ، وهم قبائل تقيم فى داخل بلاد العرب من اليمن إلى ديار الأنباط ، أو جنوبى اليهودية ، بل إلى الشام

وأما (السكينتس) فليس اسم عرب ، لا عند السلف ولا عند الرومان أو اليونان . وكيف يكونون كذلك والاسم يونانى معناه (أهل الأخبية) فقد يكونون من أبناء يعرب ، كما قد يكونون من أبناء الغرب . فأهل الأخبية أو سكان الأخبية معناه : الرُّحَّل ، أو أهل البادية ، الذين يثوون إلى الأخبية . فإذا علمتَ هذا ، عرفتَ الحقيقة على ما هى بلا تناقض ، ولا إشكال ، ولا غموض .

وقال الأستاذ العمودى — وهو ينقل دائماً ما جاء فى معلمة الإسلام ، وإن لم يذكرها — : « أما « السرا كينوى » فلم يَرِدْ لهم ذكر يذكر فى هذه الأسفار السريانية ما خلا رسالة وصفها برداسانيس (؟ كذا) السريانى فى بداية القرن الثالث للميلاد بعنوان : Ketaba de Namose d'Ataivata[1] ذكر فيها الطائيين Tayoye و « السرا كينوس » Sarakoye بقوله : إنهما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرحّالة . » انتهى

فى هذا القول نظر ، لأن ابن دَيْصان لم يذكر السرا كينوس فى تأليفه — بل الـ « سَرْقايى » أى العرب السرويين ، وذكرها بأحرف إرَميّة بالصورة التى ذكرناها فى العربية . وأنت خبير أن اليونان والرومان ومن نقل عنهم ذكروا أبناء عدنان وقحطان مرة باسم العرب ، وأخرى بالسرويين (أو السارا كين أو السرازين أو السرا كينوى) ، وطوراً باسم سكان جزيرة العرب ، أو نحو ذلك ولم يسموهم باسم واحد

(١) (كذا . والصواب ما فى المعلمة التى نقل عنها أى Ketaba de Namose d'Atrawata والأحسن أن تكتب بحروف عربية هكذا : كتابادنا موسى دأثر واثا ، أى كتاب شرائع البلاد . وأما برداسانيس ، فليس له وجود ، وإنما هو برديصان ، وهو أشهر من أن يذكر . وسماه العرب ابن ديصان أيضا (راجع مختصر الدول لابن العبرى ص ١٢٥ من طبعة بيروت) .

أما أن المسلمين عُرفوا بعد ذلك عند الغربيين بالسرازين ، فلأن الإسلام نشأ وترعرع واكتهل فى الحجاز ، سُرة السروات وقلبها ، ومنهُ امتد إلى ديار العالم . فمن الحق أن يسمى الغربيون المسلمين بالسرويين أو بأهل السرَوات ، وهى تسمية مأخوذة من مسكنهم ، أو وطنهم ، أو منشأهم الأول ، كما أن المسيحيين سموا نصارى ، جمع نصرانى ، وأصلها ناصرانى ، نسبةً إلى الناصرة وهى المدينة التى طوى المسيح بساط أيامه أو معظمها فيها

إذن لا وَهْم ولا ضير فى تسمية المسلمين : « سرويين » أما أن أبناء الغرب خصوا هذا اللفظ بالمسلمين الذين افتتحوا ديارهم ، فلأنهم كانوا قد قدموا إليها عن طريق مصر وأفريقيا الشمالية

وأما أن الفرنسيين سموا العرب (سرازين) ، أى الذرة السمراء ، فهذا من رأى الأستاذ العمودى الخاص به ، ونحن لا نوافقه عليه ، ولم يقل به أحد . وذلك لأسباب منها : أن السرازين Sarrazin عند الفرنسيين ، ضرب من القمح أو الحنطة أسمر اللون أو سوداؤه ، وليس بذرة ، واسمه بلغة علماء النبات Polygonum Fagopyrum ولم يعرف اللفظ (سرازين) فى اللغة المذكورة إلا فى المائة السادسة عشرة . أما (السرازين) بمعنى العرب ، أو السرويين ، أو المسلمين ، فكان معروفاً عندهم منذ عهد الرومان واليونان

على أن الفرنسيين يسمون أيضاً سرازين ضرباً من الجاورس ، يعرف عندهم أيضاً باسم Bucail أو bucaille وبلسان العلم Fagopyrum Esculentum فاسم النبات مأخوذ من اسم العرب لا العكس ، كما ذهب إليه حضرة الأستاذ الفاضل

٨ — تفنيد آراء المخالفين لرأينا

ذهب بعضهم إلى أن (سرا كينوى أو سرازين) مأخوذ من اسم قبيل بعينه ، وكان يطلق عليه ؛ إلا أنهُ ليس فى التاريخ ما يثبت هذا الرأى ، فهو زائف لا محالة

أما أنه مأخوذ من (الشرقيين) ، فقد ذهب إليه جمهور علماء الغرب ، أو يكاد ، إلا أن العرب لم يسموا أنفسهم بشرقيين حتى ينقل عنهم . فالحقيقة تمزق هذا البرقع المهلهل

أما أنه من (سرّاقين) وأنه منقول عن العرب المتحضرين نازين بهذا اللفظ الأعراب الرُّحّل ، احتقاراً لهم فهو محتمل ، لكن الأقدمين من الرومان واليونان يذكرون بلادهم ، وأنها من أقصى اليمن إلى اليهودية أو إلى الشام ، فليس الاسم من أسماء

البادية المتنقلة ، بل اسم عرب يسكنون دياراً معينة ، ليس إلاّ

وأما أن الاسم منحوت من « صحراء ساكن » ، فهذا من أسخف الآراء ، ولا يقول به إلا جهلة اللغة العربية ، إذ لا يُقدَّم في هذه اللفظة المضاف إليه على المضاف ، بخلاف اللغات اليافثية ، أو الآرية

وأما أن الأنباط أطلقوا اسم (الشرقيين) على القبائل التي تناوحهم من جهة الشرق ، فالتسمية سابقة لدولة النبط ، كما لا يخفى على المطلع ، وقد ذكرها اليونان والرومان في تواريخهم

بقي علينا أن نبيّن للقارئ معنى قول مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع « إن (السارازن) انضموا إلى (الاسماعيليين) الذين كانوا يقيمون في صحراء قدش (لا قادش كما قال الأستاذ) في مقاطعة فاران » اه . فهذا معناه أن السرويين ، وهم أهل الجبال ، انضموا إلى الاسماعيليين ، سكان السهول والصحارى ليكونوا كتلةً واحدة . وليس ثَمَّ غير هذا المعنى ، ولم يعرف الماجريون باسم السرازين ، إلا لأنهم كانوا منضمين إلى أهل السراة العليا ، أو سراة الأزد

وقد أحسن الأستاذ العمودي في تزييف من قال إن السرا كينوى لا تزال سلائلهم ممثلة إلى اليوم في قبيلة (السواركة) تلك القبيلة البدوية الصغيرة التي تعيش إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة ، إذ هذا حديث خرافة

فلم يبقَ لنا إلا القول بأن (السارا كينوى) أو (السارازين) أو (السرازين) هم (السرويون) أو أهل السراة أو السرَّوات . وكانوا معروفين في صدر الإسلام بهذا الاسم . قال في التاج في مادة (س ر ى) : « وكثيراً ما يذكر الدينوري في كتاب النبات عن السرويين أي من أهل السراة » اه

وفي الكامل للمبرِّد (٢ : ٢٨٧ من طبعة مصر) : « ... ومن اليمن من غيرهم ، عبد الله بن الطُفيل الأزديّ ثم الدَّوْسِيّ ، ذو النُور ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً في جبينه ، ليدعو به قومهُ ، فقال : يا رسول الله ، هذه مُثلة ، فجعلهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوْطهِ ، فلما ورد على قومهِ بالسراة ، جعلوا يقولون : إن الجبل ليلتهب ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة » هـ .

فهذه شهادة بَينة على أن أهل السراة عرفوا الإسلام منذ عهد الرسول. فلا عجب بعد ذلك إذا عرف المسلمون بلفظ « السرويين »

وأخذ السرويون يناضلون عن دينهم ، ويفتحون الفتوحات مع كبار القادة منذ نأنأة الإسلام . ففي تاريخ الطبري في أخبار سنة ١٤ للهجرة (١ : ٢٢١٧ من طبعة الإفرنج) : « خرج سعد ابن أبي وقّاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف : ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسَّراة ، وعلى أهل السرَوَات حُمَيضة ابن النعمان بن حُمَيضة البارقي ، وهم بارق ، وألمع ، وغامد ، وسائر إخوتهم في سبع مائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلث مائة ، منهم النخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ، مقاتلتهم ، وذراريهم ، ونساؤهم »

وفي الأغاني (١٩ : ٥٤ من طبعة بولاق الأولى) : « وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه [إسلام أسد بن كرز] ، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسد بن كرز ومعهُ رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قوساً فقال له : يا أسد، من أين لك هذه النبعة ؟ - فقال: يا رسول الله، تنبت بجبلنا بالسراة . فقال الثقفي : يارسول الله ، الجبل لنا أم لهم؟ - فقال : بل الجبل جبل قسر ، به سمى ابراهيم قسر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادعُ لي . — فقال : اللهم اجعل نصرَكَ ونصر دينك في عقب أسد بن كرز » اهـ

فهذه الأدلة وغيرها[1] ، وهي لا تعدّ ، تبين أن السرويين دانوا بالإسلام منذ عهد الرسول ، وسموا في نشره . ولا جرم إذا سمى العرب جميعهم باسمهم أوسمى الإسلام باسمهم ، وجرى عليه الأعاجم جميعهم

لكن لما كانت السراة أو السرَوَات ممتدة بامتداد جزيرة العرب من أقصى الجنوب إلى الشام ، كان فيها قبائل عديدة مختلفة الأسماء ، أطلق الأدباء من عرب وغير عرب اسم السرويين على كل عربي . أما أن هناك سروات مختلفة القبائل ، فيشهد عليها من كان فيها ، فمنها سراة الأزد ، وسراة ألْهان ، وسراة بجيلة ، وسراة بلد وادعة ، وسراة بني علي ، وسراة جُبلان ،

---

(١) ومن هذه الأدلة أيضاً ما جاء في مروج الذهب ٣ : ٣٩٢ من طبعة الافرنج : « وما كان بينهم من الحروب ، إلى أن ظفرت بهم معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة ، والسراة جبل الأزد الذي هم به ، يقال له السراة . ويقال له الحجاز وإنما سمي السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة . فأقاموا به ، فكانوا في سهله وجبله وما قاربه ، وهو جبل في تخوم الشام ، ونرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين ويلاقي جبل موسى »

وسراة جنب، وسراة الحِجْر، وسراة خولان، وسراة دوس، وسراة الطائف، وسراة عُذَر وهِنْوَم، وسراة عنز، وسراة غامد، وسراة فَهْم وعَدْوان، وسراة قَدَم، وسراة مذحج، وسراة المصانع، إلى غيرها. وبهذا القدر كفاية في هذا الموضوع

٩ — ملاحظاتنا

الملاحظة الأولى: رأينا بين مقال الأستاذ العمودي وما جاء في ترجمة Sarrasins من معلمة الإسلام مشابهة، وكان يحسن بحضرته أن يقول: إنه اقتبس أغلب كلامه من المعلمة المذكورة، حتى لا تبخس الناس حقوقهم، ولا تذهب أتعابهم سدى

الثانية: كنا نود أن تكتب الأعلام على ما يرويها العرب لا الإفرنج، حتى لا يظهر للغير أننا نقتبس شرقياتنا من أبناء الغرب. فكان يجب أن يقال ذوسقوريذس العَيْن زربى، لا أن يكتب بحروف أفرنجية، وفي كتابتها ثلاثة أوهام، إذا ما قابلناها برواية معلمة الإسلام. وكذلك يقال عن كتابة سائر الكلم التي دونت بحروف إفرنجية فإنّ الغالب عليها الخطأ

وقال (ص ١٩٤٠) برداسانيس. والمشهور ابن دَيْصان أو برديْصان، وقال (في الصفحة المذكورة): البيزانطيون. والسلف لم يقولوا إلا «البوزنطيون» وبوزنطية أي بالواو لا بالياء، لأن اليونانيين كانوا ينطقون بها هكذا كما ينطقون بها اليوم. وهذه شهادة تاريخية على كيفية النطق بالحرف اليوناني U في أيام العرب الأول

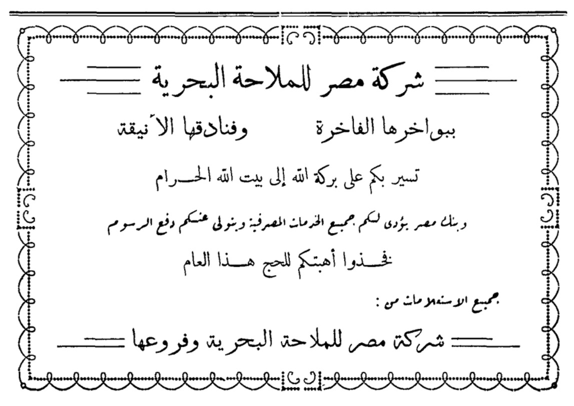
الثالثة: كنا نود أن يتحرى أفصح الألفاظ في الكلام. فالعرب لم تسمِّ ملوك الروم: المصفَّرة، بل بنو الأصفر. أما المصفَّرة فهم الذين علامتهم الصفرة. وملوك الروم ما كان هذا اللون شعاراً لها

وقال الجبال السوداء. والعرب تقول: الجبال السُود، كما تقول الرجال السُود والنساء السود، ولم يقل أحد منهم الرجال السوداء، ولا النساء السوداء. وقال: من جنوب وشمال إيطاليا. ونظن أن الصواب هو: جنوبي وشمالي إيطالية. لأن الجنوب يدل على الجهة لا على قسم الأرض. وكذلك الشمال

وذكر الأديرة. والفصحاء قالوا ديارات أو دِيَرة أو أديار أو غيرها، لكنهم لم يقولوا أديرة.

هذا ما بدا لنا في أثناء المطالعة، ونحن مهتمون بأمور خارجة عن هذا البحث. ولعل خطأنا أكثر من صوابنا.

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي



عقيدة النازى الدينية

للدكتور جواد على

تنص المادة ٢٧ والمادة ٢٨ من منهاج الحزب الوطنى الاشتراكى على الحرية الدينية لجميع الألمان ومحاباة الديانة المسيحية فى داخل المملكة الألمانية ، وقد طبقت الحكومة الهتلرية فعلاً هذا النص فى جميع أنحاء الريخ فجعلت ضريبة الكنيسة ضريبة إجبارية على كل ألمانى وألمانية حضر صلاة الكنيسة أم لم يحضر؛ وقاومت حركة الإلحاد ونكران الديانة المسيحية فطردت كل موظف يجاهر بهذه الفكرة وحكمت على كل رجل ينادى بها أو يربى أولاده عليها بأحكام تناسب ظروفه ومنزلته ، وأجبرت الأولاد فى المدارس على حضور دروس الديانة بعد أن كانت مسألة اختيارية قبل الحكم الهتلرى تتعلق بإرادة الوالد . وقد شددت الحكومة فى المراقبة لأن الذين كانوا يجاهرون بهذه الآراء كانوا إما من الحزب الشيوعى أو من الحزب الماركسى أو من الحزب الديمقراطى الاشتراكى ؛ وهذه الأحزاب الثلاثة هى من ألد أعداء هتلر، لذلك اختفت الحركة بسرعة طبعاً خشية التعرض لهذه التهمة

وحجة الوطنية الاشتراكية فى ذلك هى أنها تقاوم المادية الصرفة البشعة التى تدعو إليها هذه الأحزاب وتدين بالمثل العليا وبالحياة الروحية Geistcsleben وبقوة خارقة عليا يدعو هتلر ويشير فى معظم خطبه إليها، ولكنه لا يصفها بالصفات أو ينعتها بالنعوت التى ترد فى كتب الديانة واللاهوت . بل يراها كقوة مظلمة تشع أشعة مختلفة إلى النفوس حسب كفاية الأبدان التى يتمتع بها ذلك الشخص يظهر أثرها فى الإرادة والعزم . والزعماء فى نظره هم الذين يتمتعون بها أكثر من غيرهم ويمتازون على الأفراد بالعزم والإرادة . ويدعو ممثله ووكيله A. Rosenberg إلى هذه الفكرة فى كتبه ومؤلفاته ويتوسع فى نشر الديانة المسيحية الحقيقية لا الديانة المسيحية الحالية التى هى من مبتكرات اليهود على رأيه . وحاول كذلك دعاة النازى من رجال الكنيسة وعلى رأسهم رئيس أساقفة الريخ ملر توسيع دعوة هتلر ووكيله وتنقيح العقيدة المسيحية حسب التعاليم النازية؛ ولكنهم اصطدموا بمعارضة واسعة من البروتستانت بقيادة الباستور نيملر أسقف دالم فى برلين الذى لا زال حتى الآن فى السجن، ومن الكاثوليك بقيادة أسقف فى إيبرك وكاردينال الراين

والنازية نفسها عقيدة دينية تحاول تنظيم حياة الأمة والفرد على أساس العنصرية والزعامة، وتتدخل حتى فى الأحوال الشخصية للفرد لتكيف حياته وفق التعاليم الجديدة، وهذا ما يصطدم طبعاً والعقيدة المسيحية التى تراها الوطنية الاشتراكية عقلية يهودية رومية من مبتكرات سكان البحر الأبيض المتوسط ، لا تلتئم أبداً مع العقلية الجرمانية الشمالية . وهذا النقد اللاذع للديانة المسيحية يرجع فى الحقيقة إلى أدوار تسبق هتلر والنازية بكثير ، يكفى أن تذكر هجمات الفيلسوف فورباخ الألمانى عليها Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) ، وكذلك الفيلسوف نيتشه Fridrich Nitysche (١٨٤٤ — ١٩٠٠) والفيلسوف هوستن جامبرلين Houston Stewart Chamberlain (١٨٥٥ — ١٩٢٧) مؤسس الفلسفة الوطنية الاشتراكية والمؤثر القوى على هتلر ، والذى كانت بينه وبين هتلر صلات[1]

وعند تسلم الوطنية الاشتراكية زمام الحكم أصبحت هنالك مشكلة الديانة المسيحية مشكلة خطيرة جداً إذ أنها تصطدم مع أصول العقائد النازية، لذلك ظهرت هنالك عدة محاولات لحل المشكلة حلاً يتفق مع المبدأ النازى، وظهرت جماعة من بين صفوف الحزب أطلق على مؤسسيها اسم (المسيحيون الألمان Deutsches Christen) لم تر إلغاء المسيحية ولا مقاومتها ، ولكنها رأت تجريد الديانة المسيحية من كل أصل أو عقيدة يهودية أو أية فكرة تراها النازية غير جرمانية، إلا أنها سرعان ما اصدمت بعثا كل ذات خطورة عظيمة وهى تعيين الحدود بين اليهودية وبين المسيحية وإلى أى حد يجب أن يبلغه الحذف والإخراج من هذه الديانة ، وعلى أى أساس يكون ذلك ، أعلى أساس أقوال هتلر وروز نبرك أم على أساس التاريخ . وهذا ما يتعارض مع عقيدة النازى التى لا تؤمن إلا بأقوالها فقط . (أنظر كتاب Heinrich

(١) أنظر آراءه فى كتابه Die Grundlagen des 19. Iahrhunderts وهو من أكبر الدافعين عن نظرية العنصر والمعادين لليهود . وهو انكليزى الأصل ، ولكنه ألمانى الثقافة هجر وطنه وسكن ألمانيا فى بايروت مدينة الموسيقى الشهيرة .

Schmidt. Philosophisches Wörterbuch وكان فى نفس الوقت هنالك حركة أخرى أوسع من هذه أطلق عليها اسم الإيمان الألمانى Deutsche Glaubensbewegung انضم إليها بعض رجال الحزب مثلت نزعات مختلفة، فنيت بالتفرقة كذلك؛ فهنالك من اعتقد بوجوب الاعتقاد فقط بقوة عظيمة هى وراء الطبيعة وفوقها يطلق عليها اسم الإله Gott كما هو فى المسيحية، ولا يتوسع بعد ذلك ولا توضع قواعد ومواد لاهوتية أخرى؛ مثل هذه الحركة كراف ريونتلو Graf Reventlow المشهور بآرائه الفلسفية والدينية، وبكتبه فى بادئ الحركة النازية وإن لم يظهر اليوم اسمه عالياً فى صفوف النازى . ومنهم من أراد الاعتقاد بالمسيح ولكن بمسيح جرمانى تكون حياته حياة جرمانية وأوصافه جرمانية كذلك، ذى شعر أشقر يميل إلى البياض، وعينين زرقاوين، طويل الجسم نحيف الوجه لم يخضع لإرادة أحد. وهذه هى آراء البروفسور مندل من جامعة كيل بألمانيا Prof. Mandel - Keil . وتطرف آخرون فقالوا بوجوب إلغاء الديانة المسيحية تماماً والاستعاضة عنها بالديانة الجرمانية القديمة، وإنشاء كنيسة ألمانية بحتة تمارس فيها الطقوس الألمانية ؛ وقام بهذه الحركة – de la vigne Erkmannsdart

وأخيراً اجتمع ممثلو هذه الحركة فى شهر يولى من سنة ١٩٣٣ فى مدينة وار تبرك Wartburg برآسة البروفسور هور Prof. Hauer ، ثم فى سنة ١٩٣٤ فى تيبنكن Thübingen حيث توصلوا إلى وضع الأسس التالية :

١ – يجب أن يكون الإيمان الألمانى مستمداً من الروحية الألمانية

٢ – إن النوع أو العنصر الألمانى مستمد من الأزلية الإلهية ، لذلك يجب إطاعة هذه الأزلية

٣ – على حسب هذه العقيدة يجب أن تنصرف أعمالنا وأقوالنا[1]

وقد ظهر بعض الكتاب يحاولون إثبات أن المسيح لم يكن يهودياً بل كان يونانياً أى آرى الجنس، ومنهم من أثبته رومانياً، ومنهم من حاول البرهنة على أنه يهودى وأن Paulus القديس بولس اليهودى الأصل هو الذى اخترع تلك القصص، أو أنه أدخلها من اليهودية وساقها إلى روما فأوربا حيث حاربت الديانة الجرمانية والأخلاق الجرمانية المتيدة وقضت على العنصرية الجرمانية التى كان يدين بها كل جرمانى حتى القرون الوسطى[1]

غير أن أقوى حركة فى صفوف النازى هى حركة ألفريد روزنبرك الذى يحاول إرجاع الديانة الجرمانية القديمة عن طريق التصوف الألمانى Die Deutsche Mystik فهو يحمل على المسيحية بنوعيها الكاثوليكية والبروتستانتية ، لأن الكثلكة ليست فى نظره سوى الفكرة الإمبراطورية الرومية القديمة Imperium Romanum تتمثل فى محاولة البابوات تكوين سيادة عالية . أضف إلى ذلك أن الكنيسة قد جردت الجرمان فى نظره من عناصر الحرية والاستقلال والعزة الوطنية الذاتية باستسلامها إلى الآراء العالية اليهودية ، وسقوط آلاف صرعى فى سبيل الامبراطورية الرومانية التى ورثها البابوات[2]. ويرى فى الكنيسة البروتستانتية كذلك تدخلاً فى السياسة وفى الشئون العامة للشعب وفى المبادئ النازية كما حدث فى مجمع الأساقفة البروتستانت فى عام ١٩٣٧ فى مدينة أكسفورد حيث حمل حملة شعواء على النازية ومبادئها

والطريقة الوحيدة التى يراها هى الرجوع إلى الروحية الألمانية القديمة التى نادى بها المتصوف الألمانى الشهير مايستر إيكهارت ١٢٦٠ – ١٣٢٧ Meister Iohann Eckhart أحد أساتذة الطريقة الدومينيكانية المسيحية Dei Dominikaner وتلميذ اللاهوتى الألمانى الشهير ألبرت فون بولشتيد ١٢٠٦ – ١٢٨٠ Albert Von Bollstädt أحد رؤساء هذه الطريقة كذلك ، وأحسن رجل اطلع على الفلسفة العربية اليهودية فى زمانه ، فقد درس اللغة العربية واللغة العبرية ، وترجم كتب الفلسفة والطب والتصوف إلى اللاتينية ، لغة العلم والدين إذ ذاك ، وكان من أعظم المختصين بفلسفة ابن سينا . واليهودى ابن ميمون[3] وقد تأثر به تلميذه هذا مايستر إيكهارت فال إلى التصوف وصار الألمان يعتبرونه المؤسس لما يسمى بالتصوف الألمانى

وقد أثرت آراء مايستر إيكهارت فى عصره تأثيراً عظيماً ولا سيما فى مقاطعات الراين حتى اضطرت الكنيسة إلى محاكمته بتهمة الهرطقة والخروج على الدين ؛ وظل تأثيره مدة طويلة حتى عصر النهضة

(١) أنظر ص ١١٩ من كتاب Heinrich Schmidt Philosophisches worterbuch

(١) أنظر كتاب هل كان المسيح يهوديا ؟ war Iesus ein Iude

(٢) أنظر كتاب Alfred Rosenberg, Protestanische Powpiger. 19 37

(٣) أنظر ص ١٨٣ Karl voländer, Gexhichte der Philosophie

الأوربية . كان يرى أن المعرفة لا تكون بممارسة الطقوس الظاهرية؛ إنما تتم بالتفكير العميق، وخرق الحجب بالتأمل والتدقيق، بعبارته المشهورة « إن أردت اللب فعليك بكسر القشرة » Willst den Kern haben, so musst du die schale Zerbrechen(١) وكذلك بعبارته المشهورة : « تعميق البئر ينتج ماء أكثر » والمعرفة Erkenntnis هي الوجود ذاته Sein وبواسطة هذه المعرفة نتوصل إلى إدراك علة الوجود Gott ، ولكن هذا الإله هو في كل مكان لم يكن شيئاً، فخلق نفسه بنفسه؛ خلق النفس Geist وجعلها مساوية لنفسه تماماً فلا يستطيع أن يؤثر عليها أبداً إذ هي حرة طليقة؛ ومن هذه الروح Seele وبواسطة الانهماك في معرفة الحقائق نستطيع الوصول إلى درجة الوحدة أو الاتحاد مع الله حيث تكون الروح كالمرآة بالنسبة لله تماماً ، ويقول في ذلك :

« أحمل فيّ صورة الله : متى أراد رؤية نفسه نظر فيّ ولو أني مثله » والصلة بيني وبين الله هي المحبة liebe وهي كذلك في جميع أجزاء العالم ، والله نفسه يحب ذاته في مخلوقاته وأعماله ، ولولا مخلوقاته هذه لما كان الله خالقاً بل ولم يكن الله موجوداً ، فلولاي لم يكن الله ، ويتصل شعاع الله Funklein بالقوى النفسية العلوية hohcre Seelen Kräfte فيحصل من جراء ذلك إدراك الحقيقة والمعرفة(٢)

ويرى روزنبرك أن مايستر إيكهارت قد تكلم وعبر عن عقلية آرية جرمانية ومعتقد قديم ، لذلك يريد إحياء تعاليمه هذه وبعثها على يد الوطنية الاشتراكية إذ لا طقوس ولا كنيسة كاثوليكية أو بروتستانتية ، بل مبادئ صوفية يجب أن يخضع لها الجميع . وهذا هو خلاصة الديانة المسيحية في نظره والدين الذي يجب أن ينتشر في كل ألمانيا . ولعل ما في نفسية هتلر من اعتكاف وغموض وانزواء في وكره ، وكذلك ما في نفسية روزنبرك من اعتزال عن العالم وحب الانزواء، هما اللذان جرّا هذين الرجلين إلى التصوف مع ما بين التصوف والوطنية الاشتراكية من تباين في النظر إلى الحياة والكفاح

والواقع أن هذا التصوف ولو حاول روزنبرك وغيره إسناده إلى الجرمانية القديمة فإن من الصعب إثبات ذلك لعدم وجود نصوص تاريخية تثبت ذلك ولأن هذا الرجل كان هو نفسه تلميذ المتصوف (البرت فون بولشتيد) الشهير المترجم للكتب العربية والتأثر بذلك ، ولأن أفكار (مايستر ايكهارت) واصطلاحاته عبارة عن نسخة طبق الأصل للفلسفة الإسلامية واصطلاحاتها . ولو كان روزنبرك من المستشرقين لغير رأيه تماماً . وروزنبرك نفسه ليس من الاختصاصيين في هذه الموضوعات بل هو كاتب عاطفي ساعدته الظروف على ذلك

ويظهر من هذه التعاليم أن التصوف وهو « التسليم » والتعمق في البحث بإعطاء النفس في العرف الألماني ، ونظرية الإشعاع الإلهي واختلافه باختلاف الناس ، ثم في سهولة توجيه الرأي العام الذي أخذ يميل بعد الحرب العظمى إلى درس المسائل الروحية هي التي دفعت بالوطنية الاشتراكية إلى إحياء فكرة التصوف والبحث عن دين جديد يتفق مع مبادئ الوطنية أو يكيّف على حسب آراء هتلر ومبادئه .

مراد علي

خريج جامعة هامبرك بالمانيا

* * *

ملاحظة: لزيادة الاطلاع راجع كتاب هتلر : كفاحي ج ١ ص ٢٠١ Mein Kampf ثم ص ١٨١ Der Goebbels, Der Angriff ثم ص ٢٥١ Werner Siebarth, Hitbro Wollen 1935 ثم مجلة Nationale sonjia-listische Monatshefte ج ٦٠ سنة ١٩٣٥

(١) أنظر ص ٢١٨ من كتاب Der Myttus

(٢) ليس من السهل ذكر جميع آراء مايستر إيكهارت في التصوف وتكاد تكون هي فلسفة متصوفي الاسلام تماما حتى في تعابيرها إذ يظهر كأنها مترجمة إلى الألمانية القديمة واللاتينية ومن يريد التوسع فليطالع Denifte, Meister Eckehart lat. Schriften كذلك O. Kärrer die ausgewählten Texet Meisters Eckehart 1923 وكذلك L. Büttner, Meister Eckeharts schriften und Predigten 2 Bd ثم Alfred Rosenberg Der mythus des XX Iahrhunderts ثم Othmar Spann, Philosophen Spiegle 1933 ص 260 وما بعد .

الثقـــافة العسكرية

وأناشـيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد العـــودة

من وضع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولقد تتخيل عظم الفارق بين مسير الجيش ذاهباً إلى المعركة وبين عودته آيباً منها فهو يذهب بالأمل فى النصر ممزوجاً بالخوف من الهزيمة . يذهب ليلاقى العدو ، ويعود بالنشوة ظافراً ليلاقى الأهل والأحباب .

ومن أجل ذلك ، جاشت بنفس النبى عليه الصلاة والسلام عواطف سامية حين عودته من غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق فى العام الرابع أو الخامس الهجرى ، غير تلك العواطف السامية التى اختلجت بنفسه عند ذهابه إليها . كلا النوعين من العواطف سام ، ولكنهما فى طبيعتهما مختلفان .

عاد النبى من غزوة الأحزاب وهو ينشد :

آيـــبون
تائبـــون
عابـــدون
ساجدون
لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر عبـــده
وهزم الأحزاب وحده

أترى كيف تكون الخطوات العسكرية عند الأوبة ، مخالفة لها عند الذهاب ؟

أما عن اللحن ، فيقول العلامة القسطلانى فى شرح صحيح البخارى ، تعليقاً على نشيد آخر ، هو قول عبدالله بن أبى رواحة أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالكلمة الأخيرة من ذلك النشيد : «أبينا» ، ويقول : أبينا ، أبينا ، مرتين . وسيأتى نص هذا النشيد .

ويقول العلامة القسطلانى أيضاً فى التعليق على نشيد آخر ، وهو الذى قيل فى أثناء حفر الخندق : إن النبى كان يقول فقرة ويرد عليه الصحابة بفقرة ، (وظاهره أنهم كانوا يجيبونه تارة ويجيبهم أخرى) .

ومعنى هذين التعليقين أن هناك نغمة لكل هذه الأقوال ، أى أنها كانت ملحنة . ومالنا نستدل على الترتيل أو التنغيم بمثل هذا الاستدلال ونحن نرتل نشيد غزوة الأحزاب بلحن موسيقى عقب صلاة العيد الأكبر ؟ ثم مالنا نستدل على أن القول كان ملحناً بألحان موسيقية ، وهو لا يمكن أن يقال إلا مصحوباً بنغمة موسيقية ؟

فأنت ترى أن هذا النشيد هادئ رصين ، وقد قاله النبى لأول مرة بعد عودته من غزوة الخندق ، ولكنه صار يقال بعد ذلك عند العودة من كل غزوة ، وكان يقال والجنود سائرون ، وكان يقال ملحناً على لحن المسير ؛ فهو وفقاً للتعبير المصرى : « مارش » .

وليس يغير من طبيعته أنه ليس بالشعر ، فليس من الضرورى أن يدخل كل قول موسيقى فى دائرة عروضية من دوائر الخليل بن أحمد . وإن تحدى الشعراء بما ليس من الشعر وليس من النثر ، كان صبغة اصطبغ بها هذا الجيل .

ولكن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكتف بألحان المسير ، بل أعد أو أمر بأن تعدله ألحان للعمل أيضاً . ولقد تقدمت الإشارة فى هذه الكلمة إلى لحنين رتلا فى أثناء العمل بحفر الخندق وحمل التراب منه على المتون ليكون جسراً على الخندق . أما أحدهما فهو من جزئين : جزء يقوله النبى ، وجزء يرد به الصحابة عليه . ويقول شارح البخارى : « وظاهره أنهم كانوا يجيبونه تارة ويجيبهم أخرى » .

لحن النبى :

لا هُمَّ إن العيش عيش الآخرة
فاغفر الأنصـار والمهـاجرة

لحن الصحابة :

نحن الذين بايعوا محمداً
على الإسلام ما بقينا أبداً

أما اللحن الآخر فقد كان يقوله النبي والصحابة جميعاً في أثناء حفر الخندق ، وهو من وضع عبدالله بن رواحة أحد شعراء النبي وقائد من قواده ، وهو :

لا هم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا
« أبينا »

وكان صوته يرتفع كما روى البخاري عند كلمة « أبينا » التي كان يكررها عليه الصلاة والسلام .

وفي هذه الموقعة أيضاً كانت أناشيد صغيرة تنشد تارة في أثناء المعركة ، وطوراً في أثناء القتال مثل قوله عليه الصلاة والسلام :

يا منزل الكتاب
سريع الحساب
اهزم الأحزاب الخ

وقد استوفت هذه الأناشيد كل ما يشترط في أناشيد السير ، فهي قصيرة الفقرات بحيث تصلح ألحانها أن تكون على قدر خطى الجنود . وهي معبرة عما في أنفس الجيش من العواطف تعبيراً خالياً من التفالي الشير . وهي سهلة الحفظ ، يتوافر فيها شرط السيرورة

هذه هي أناشيد الجيش ، وهل يحسب الشعراء والموسيقيون أن لا غنى للشعوب عنهم ؟

إن الشعوب لا تستغنى عن الشعر ولا عن الموسيقى ولكنها تستغنى عن الشعراء والموسيقيين إذا ما تعالوا عليها وترفعوا عنها .

هي تؤلف لنفسها إن لم تجد من يؤلف لها .

إنها تفكر على قدر طاقتها إن لم تجد فلاسفة ومفكرين، وإنها كذلك تعيش معيشة على وجه ما إن لم تجد من يجمع شملها ويؤلف لها نظاماً ، وإنها كذلك تضع لنفسها الشعر والموسيقى إن لم تجد شعراء وموسيقيين .

كذلك الأرض التي نحن منها إن لم تجد مزارعين ينظمون لها طرق الري والاستنبات ، فهي مخرجة من باطنها زرعاً غير منظم ولا منسق .

كذلك كانت الحال في مصر في الحرب الكبرى ، فقد ألف الجيش الذي اشتغل في السلطة العسكرية لنفسه ألحاناً عبرت عما في نفسه وأنشدها بنفسه . فهل أنت من المخضرمين الذين حضروا الحرب الكبرى ؟

لقد تذكر إن كنت من المخضرمين مسير المئات من الصعايدة المتطوعين وهم ذاهبون إلى حدود فلسطين وهم ينشدون :

يا عزيز عيني وأنا بدي اروّح بلدي
بلدي يا بلدي والسلطه خدت ولدي

وهل تذكر لحن هذا البيت ؟

في ذلك العهد لم تكن هناك قيادة للجيش المرابط ولا كانت السلطة الانكليزية العسكرية تعنى بوضع ألحان للمصريين المتطوعين ولا كان هناك رجل كالشاذلي باشا يدعو الشعراء إلى تقديم أناشيدهم للجنة في وزارة الشئون الاجتماعية ، لجنة دائمة اسمها « لجنة الألحان » ، ولا كان هناك قائد عظيم اسمه صالح حرب باشا يدعو الشعراء إلى وضع ألحان للجنود ، ويعد بالمكافأة السخية . ولم يكن أمير الشعراء قد وضع لحنه (بني مصر مكانكمو تهيا) ولا كان أحمد رامي قد وضع نشيد الجامعة ، ولا كان الأستاذ صادق قد وضع النشيد القوى .

لم يكن شيء من ذلك ، ولكن كان مليون من المصريين في ساحات القتال في فرقة التشهيلات ، وكانوا يسيرون ، فكان لا بد لهم من لحن عسكري . ولما لم يجدوا من يؤلفه لهم ألفوه لأنفسهم ، ولحنوه بأنفسهم ، فكان :

يا عزيز عيني وانا بدي اروّح بلدي
بلدي يا بلدي والسلطه خدت ولدي

ولكن ما رأيك في أن هذا النشيد لعذوبته ولصدق تعبيره

بالنغمة الموسيقية عما فى أنفس الجنود قد طغى على نشيد :

It is a long way

الإنكليزى فكان الجنود الإنكليز ينشدون فى أثناء سيرهم :

يا أزيز إيني   الخ . . .

ثم ما رأيك إذا كان نشيد يا عزيز عيني هذا أبلغ فى نغمته وفى معناه وفى روحه من نشيد شوقى ومن نشيد الجامعة ومن النشيد القومى ومن نشيد الرافعى

أتحسبنى أمجنى ؟

لا والله، ولكنى أرى أن هؤلاء الشعراء الأماجد لم يتصلوا بالطبقة التى تجند منها السلطات على اختلاف ألوانها وأزمانها ولم يتصلوا إلا بالطبقات التى تقيم حول حياتها سوراً من الارستقراطية المترفعة . لم يتصلوا بالشعب فهم لا يعبرون عنه . لذلك يحفظ شعرهم أمثالهم من طلبة المعاهد العلمية ولكن لا يصلح شعرهم للسيرورة بين العامة . وإنما يراد بالأناشيد وبخاصة العسكرية منها ما يصلح للعامة

ولقد ظهر اليوم من يكتبون للعامة ولكنهم لم يتقربوا بعدُ إلى العامة بفهم أرواحهم وبالشاركة فى عواطفهم وبتفهم أحاسيسهم وإنما تقربوا بهجر اللغة العربية وبكتابة الأزجال

« يا قاعد فى دارك   والعالم فى نار »

هذا كل مبلغ التقرب للمجندين . والمجندون يفهمون اللغة العربية ولكنهم لا يفهمون التنالى فى تصوير العواطف ولا يفهمون التكلف، ومن أجل ذلك سيضمون لأنفسهم ألحاناً جيلة مثل :

بلدى يا بلدى   والسلطه خدت ولدى

ويتركون أناشيد الشعراء ما لم يدرس الشعراء أنفسهم وسائل الاتصال بالشعوب فيقولوا مثل نشيد :

صدق وعده

الحمد لله وحده   ونصر عبده

وأعز جنده   وهزم الأحزاب وحده

فإن أعجزهم مثل هذا وهو معجزهم بالطبع ففى رسائلى التالية نماذج لأناشيد أخرى عربية ومترجمة وجديدة مؤلفة .

عبد اللطيف النشار

استطلاع صحفي

مدرسة المدفعية الجوية

كيف يتعلم الطيار تدمير أهدافه

لمندوب الرسالة

من المراحل الهامة في الطيران الحربي مرحلة القتال ، فهي الغاية التي استعملت من أجلها الطائرات في القتال ؛ فأصبحت أخطر الأسلحة وأشدها فتكا إذ لا تقف في سبيلها حصون ولا تقفها اختراعات ، فهي تصيب المحاربين والآمنين مهما ابتعدوا عنها .

خطوة أخرى

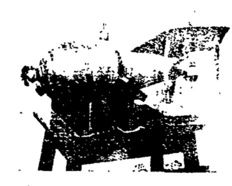
تكلمنا في مقالتينا السابقتين عن مدارس الطيران الحربي والميكانيكي والتصوير الجوي وها نحن أولاء نبر بوعدنا فنضيف حلقة أخرى من هذا الفن المتشعب الذي يقضي الطيار حياته في الهواء وهو يتعلم دروساً جديدة فيه . وموضوعنا هذه المرة هو مدرسة المدفعيـة الجوية .

فقد قرأنا كيف يتعلم الطيار قيادة طائرته وكيف يصلحها ، ومزايا الاستكشاف والتصوير بها والآن ننتقل إلى مرحلة أخرى من أدق المراحل وأكثرها خطراً وأشدها حاجة إلى حسن التقدير والمعرفة .

قائد الأسراب الجوية وقائد مدرسة سلاح الطيران عبد الحميد الدغيدي أفندي يلقي بعض أوامره لأحد ضباط سلاحه

فالمدفعية الجوية اليوم عامل من أهم عوامل الهجوم والدفاع . فتصور قواعد الطيران الإنجليزي وهي تبعد عن ميناء كييل الألمانية مئات الأميال ومع هذا فإن الطائرات تصل إليها وتصيبها بأهدافها فتسبب أضراراً فادحة للأسطول الألماني المرابط هناك . كما تدمر المصانع والمعاهد العامة . وقد يكون الانتقال من ميناء يارموث الإنجليزي إلى كييل سهلاً بطريق الجو ولكن إسقاط القنابل الصائبة من أشق الأمور ويحتاج إلى خبرة كاملة وتمرين طويل .

ولننتقل بالقارئ إلى مطار مصر الجديدة الحربي لنشاهد في غرفه وحظائره كيف يجب أن يتلقى الطيار مرانه وماذا يتحمل لإتقانه ، فهناك في إحدى الغرف نجد مجموعة كبيرة من مدافع الفيكرز والبرن ونماذج القنابل بأحجامها المختلفة وأشكالها المتعددة



نموذج قنبلة ضخمة إذا أطلقت على منزل دمرته وقد صنعت لأغراض تعليمية وقد ظهرت بها المقدمة النحاسية والزعانف التي تضبط اتجاهها

وبعضها عملت فيه قطاعات عرضية وبعضها الآخر عملت فيه قطاعات طولية ، فانكشف داخلها وظهر الفراغ الذي تحتوي الخلطات المختلفة من المواد المتفجرة والتي تساعد على الانفجار فإن تركيب القنابل الآن من المسائل التي تحتاج إلى التخصص سنوات طويلة، ويصل ثمن الواحدة من بعضها إلى ١٥٠٠ جنيه

تنافس على الشر

فقد تنافس المخترعون في استنباط خلطات الصلب والنحاس وغيرهما من المعادن ، وأصبح لكل دولة خلطة خاصة تنافس بها منافسيها وتحرص على التفوق عليهم بها . فهناك قنابل تنفجر بمجرد اصطدامها بجسم صلب ، وهناك قنابل تنفجر بعد زمن معين ، وهناك قنابل عملت خاصـة لاحتراق طبقات الصلب ثم الانفجار . وهناك أيضاً قنابل تغوص في لجج الماء ثم تنفجر

كل هذه الأنواع وغيرها احتاج إلى مجهود عقلي جبار وسنين طويلة ليظهر إلى عالم الوجود، ولكل نوع منها مزاياه

الخاصة . وتبعاً لهذه المزايا اختلف التركيب واختلفت المواد المستعملة ، وجميع هذه المتفجرات يستعملها الطيار . فإذا جاز له أن يجهل دقائق تركيبها فلا أقل من أن يعرف مميزاتها وطرق استعمالها والمدى الذى تصل إليه ثم تأثرها بالعوامل الجوية إذا أطلقها أو إذا تركها بدون استعمال

قتال الطائرات

والقتال الجوى بالطائرات نوعان : الأول باستعمال المدافع السريعة الطلقات ، والثانى بإلقاء القنابل ولكل منهما دروسه وتمريناته . وبعض المدافع يطلقها الطيار بالضغط على زر مثبت على عصا القيادة فينطلق المدفعان الجانبيان فى وقت واحد، وهما يثبتان عادة فى الطائرات المصرية فوق مجانى الطائرة بحيث تتقابل طلقاتهما أمام مقدمة الطائرة وعلى بعد ٢٠٠ ياردة منها . فإذا أراد الطيار أن يهاجم عدواً ويطلق عليه مدافعه السريعة الطلقات فإنه يجب أن يحول مقدمة طائرته إليه . إذ لا يستطيع أن يتحكم فى مدافعه بغير هذه الوسيلة

ولهذا كان استعمال هذه المدافع من الأمور الصعبة . وتزود طائراتنا عادة بمدفع ثالث خلف مقعد الطيار ويديره محارب خاص .



اذا احتاجت الطائرات الى أي إصلاح فهؤلاء الجنود مستعدون لتأدية اللازم وهم يبدون فى الصورة بعض الأسلاك المستعملة لتثبيت القنابل

وهذا المدفع يتجه إلى عدة اتجاهات فيستطيع القاتل أن يصوبه إلى الوضع الذى يلائمه . ويركب هذا المدفع على إطار مستدير حول مقعد العامل فيدور إلى الخلف وإلى الجانبين ولكنه لا يتجه إلى الأمام إذ فى المنطقة الأمامية مقعد الطيار ويخشى أن تستولى حمى القتال على العامل فتنطلق من مدفعه رصاصة تقتل الطيار فتتحطم الطائرة ويهلك العامل أيضاً

١٠٥٠ طلقة فى الدقيقة

وتمكن الإنجليز فى الحرب الحالية من تجهيز طائراتهم بثمانية مدافع سريعة الطلقات حتى أصبحت طائراتهم أشبه بقلاع جوية . ويجب على الطيار ألا يطلق هذه المدافع باستمرار عند اشتباكه مع طائرات الأعداء فبعض هذه المدافع يطلق ١٠٥٠ طلقة فى الدقيقة فإذا استمر الطيار على إطلاق المدافع مدة طويلة فإن ذخيرته تنفد ولا سيما إن المدافع بعيدة عن متناول يده فلا يستطيع تعميرها . أضف إلى ذلك أن استمرار الضرب يرفع حرارة المدفع مما قد يؤدى إلى تلفه؛ ولهذا فإن الطيار يطلق مدفعه ثانية تقريباً ويستريح ثانية أخرى



فى مصنع المدرسة
يصلحون أجزاء الطائرات لتحمل الثقل المقرر لها من المتفجرات

ويجب على الطيار أن يدرس هذه المدافع دراسة جيدة حتى يستطيع إصلاح ما قد يطرأ عليها من خلل، ولهذا فإن كل طيار يعرف أنواع العطب التى قد تطرأ على كل منها ويعرف كيف يعالجها بسرعة . فإذا سألت أحدهم عن الخلل الذى قد يصيب مدفع البرن مثلاً قال أربعة وذكرها هى وطرق علاجها

مدفع التصوير

وللاقتصاد فى النفقات يستعمل الطيار فى تدريبه ما يسمى مدفع التصوير وهو لا يطلق رصاصاً ولكن يسجل على شريط تصويرى مقدار إحكام الإصابة . ويثبت هذا المدفع عادة على جناح الطائرة أو فى جزئها الخلفى وهو عبارة عن آلة تصوير على هيئة مدفع فعند ما يضغط الطالب على الزر الذى أمامه تنفتح العدسة وتسجل بعد الطلقة عن الهدف كما ترسم دوائر حول الهدف فتبين مدى الخطأ أو الصواب فى الإصابة

ويحتوى كل مدفع على اثنتى عشرة صورة مربعة طول ضلعها ستة سنتيمترات، ويفضل استعمال هذا المدفع فى التمرين على المدافع الحقيقية لسببين مهمين أولهما الاقتصاد فى المال والذخيرة، وثانيهما أن يرى الطيار بنفسه مبلغ دقته فى إصابة الهدف فيعرف الخطأ ويتعلم كيف يصححه . ويستمر على هذا التمرين مدة يتقن فيها استعمال المدفع . وتحفظ أشرطة هذا المدفع فى إدارة المدرسة ليرجع إليها الطيار كلما احتاج إليها فتراها معلقة فى أنحاء الغرفة الخاصة وقد كتب على كل منها اسم مطلقها

فإذا انتهت هذه المرحلة بنجاح انتقل الطيار إلى استعمال المدافع الحقيقية أولاً بذخيرة كاذبة وأخيراً بذخيرة حقيقية ثم يوالى مرانه فى فترات السنة المختلفة للبرنامج المعد لذلك

تعليق القنابل فى الطائرة

وينتقل الطيار بعد هذا إلى فترة تعليم إطلاق القنابل . وتختلف الطائرات فى قدرتها على حملها والمكان الذى توضع فيه وهى غالباً فى الطائرات المصرية تثبت تحت جناح الطائرة إلى حوامل مشدودة بأسلاك متصلة بلوحة أمام القائد . وبعض الطائرات تحمل ثقلاً يبلغ وزنه ٦٦٠ رطلاً وهى طائرات صغيرة . وبعضها تصل حمولته إلى ثلاثة أطنان من المدمرات كما هى الحال فى بعض الطائرات الإنجليزية التى تستطيع الواحدة منها أن تقطع مسافة ٤٥٠٠ ميل دفعة واحدة

هيكل طيارة يتعلم عليه الطلبة البناء الداخلى لها

وسبق أن بينا أن القنابل ذات أحجام وأوزان مختلفة يثبت منها الطيار ما يشاء بشرط ألا يزيد مجموع حمولته على الثقل المقرر تبعاً للأغراض التى يقصدها الطيار والأماكن التى يريد تدميرها

ولقذف القنابل شروط يجب أن يتقيد بها الطيار وإلا أفسد مجهوده ، ففى الجو تيارات هوائية تؤثر على سير القنبلة عند سقوطها . أضف إلى ذلك سرعة الطائرة نفسها فإن القنبلة تأخذ سرعة الطائرة ، ولهذا يجب على الطيار أن يحسب ويقدر هذين العاملين وما لهما من تأثير حتى تكون إصابته دقيقة أو تبعاً للاصطلاح العسكرى أن يكون (نشانه مضبوطاً) فقبل أن يسقط الطيار قنبلته يجب عليه أن يعرف سرعة الريح واتجاهه ، وهل هو مضاد لاتجاه الطائرة أو متفق ، وثانياً ارتفاع الطائرة عن الهدف ، وثالثاً سرعة طائرته ، ويعمل بعقله عملية حسابية شفوية فإذا وجد أن حسابه مضبوط وأن موقفه يساعده على إطلاق قنابله ضغط على الأزرار وإلا صحح موقفه بما يراه مناسباً



الضابط الطيار المردنلى افندى يختبر بعض أدوات مدرسة الدفعية الجوية ويرى فى الصورة نموذج لجناح الطائرة وبعض أشرطة مدفع التصوير

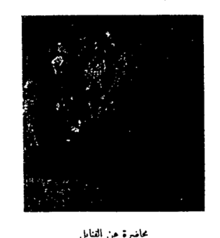
تجحيم المدينة

والقنابل ثلاثة أنواع ، الأول للتدمير وشكلها انسيابى ولها زعانف تضبط اتجاهها ولها مقدمة نحاسية ثقيلة متحركة تصطدم بالأجسام الصلبة فتضغط المواد الداخلية وتفجرها فترسل جحيمها لتدمر ما حولها ، والنوع الثانى للحريق وهو نوعان نوع يوضع فى أوعية كبيرة من الصاج توضع فيها عدة قنابل يفتحها الطيار فتتساقط القنابل فإذا لامست جسماً صلباً احترقت مولدة حرارة شديدة تشمل كل ما يجاورها ، وعيب هذه القنابل صعوبة ضبط اتجاهها ولا تستعمل إلا فى القرى والأماكن السريعة الاحتراق، والنوع الثانى وهو قنابل كبيرة تشبه قنابل التدمير ويسهل ضبطها وتطلق مثلها بالضغط على الأزرار

والنوع الثالث من القنابل هو قنابل الغازات السامة على اختلاف أنواعها ، وبعضها يطلق فى قنابل وبعضها تقذفه الطائرة على هيئة رذاذ ينتشر فى جو الأماكن التى يراد إصابتها ، وكما يدرس الطيارون طرق استعمال هذه القنابل فإنهم يدرسون أيضاً طرق الوقاية منها وأهمها طريقة إخفاء المدن أو الجنود والمصانع وغيرها من الأهداف التى تقصدها الطائرات، ويضيق بنا المقام عن سرد تفاصيلها ولكننا نرجو أن نحدث القارئ عنها فى مقال آخر

إلقاء القنابل

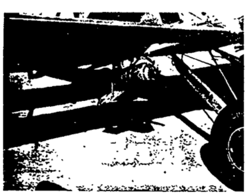
يبدأ الطيار مرانه على القتال بالقنابل باستعمال آلة التصوير وبها يسجل قدرته على إصابة الهدف . وليكون التدريب أكثر نفعاً وأوفى عناية ، شيدت إدارة سلاح الطيران الحربى بناء من طابقين يجلس الطيار فى الأعلى منهما حيث تسلط عليه التيارات المشابهة لتيارات الجو ، ويوضع فى الطابق الأسفل منهما خريطة صغيرة متحركة عليها علامات يحاول الطيار أن يصيبها بقذائفه وتسجل الإصابات بواسطة ضوء أحمر



محاضرة عن القنابل

المردنلى افندى يحاضر الطلبة عن القنابل ومميزات كل منها

ومن وسائل التدريب المهمة استعمال القنابل الكاذبة الخالية من المتفجرات الضارة . فهذه الوسيلة أقرب إلى الحقيقة من سواها إذ يجلس الطيار فى طائرته بعد أن يحمل حمولته المقررة من القنابل ثم يرتفع إلى طبقات الجو ومن هناك يسقط قنابله على الأهداف . فيستطيع بهذه الطريقة أن يتعلم أهم دروسه العملية التى تعتبر المرحلة قبل النهائية . فى الفترة الأخيرة يستعمل الذخيرة الحية



لا يحتاج إطلاق هذه القنبلة من معالها إلا لضغط بسيط على زر أمام الطيار ويظهر فى الصورة كيف تثبت تحت جناح الطائرة

ولا يجوز للطيارين العودة إلى مطاراتهم والهبوط فيها إذا كانوا يحملون قنابل مستعدة للانفجار فيجب عليهم أن يهبطوا أولاً فى مكان منعزل حيث يتخذون بعض الاحتياطات الفنية التى تمنع حدوث انفجار هذه القنابل فى حالة حدوث طارئ مفاجئ للطائرة عند هبوطها فى أرض المطار كاصطدام جزئها الأسفل بالأرض مثلاً . وهـذا الاحتياط ضرورى للمحافظة على سلامة المطار وعماله ولتكون أرضه ممهدة صالحة لهبوط الطائرات .

فوزى الشترى

التاريخ في سير أبطاله

مازيني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —



على أن اليأس لم يعرف سبيلاً إلى قلبه الفتي حتى في مثل تلك المحنة ؛ فراح بعد المدة لثورة جديدة يشعل نارها في بيدمنت ، ثورة تأتي هذه المرة من الشعب وكان مازيني مختبأ في بيت أحد أصدقائه في مرسيليا إذ راحت الحكومة تطارده هو وأصحابه ، فكان لا يخرج إلا تحت ستر الظلام متنكراً حتى لا يقع في يد الشرطة ؛ ولما ضاق بسجنه هذا رحل إلى جنيف وأخذ يجمع المال في سويسرا لثورته الجديدة ولقد لاقى في سبيل ذلك من العناء ما لم يخففه على نفسه إلا شرف الغاية التي كان يسعى إلى بلوغها

وأعد في سويسرا من الرجال ألفاً وثمانمائة ليعبروا جبال الألب إلى بيدمنت ، وكان يمنى نفسه أن ينضم الناس في تلك الولاية إلى هؤلاء المغيرين فتشيع الثورة فيها وتمتدها إلى بقية الولايات ، فيبرهن بذلك لشارل ألبرت أن جنده لم يهنوا من بطش أو يستكينوا إلى ما ضرب عليهم من ذلة ، واختار لقيادة هؤلاء المجاهدين ضابطاً يدعى راموربنو حارب من قبل تحت راية بونابرت ؛ ولكن راموربنو هذا قضى على الحركة بدل أن يسير بها إلى النجاح فلقد تلكأ في الحضور من باريس حيث راح يبدد المال الذي جمعه مازيني درهماً إلى درهم ؛ ولما حضر سار بجنده وإنه ليخفي في نفسه غير ما يبديه ، وكان هؤلاء قد فترت الحماسة في قلوبهم لطول انتظارهم قائدهم ، فما لبثوا أن ذهبت ريحهم وباءوا بفشل عظيم ...

وأحس الغريب اللاغب بالهم والنصب يخترمان جسمه النحيل فسقط من الإعياء قوامه السمهري ، وتمدد على فراشه أياماً كاد فيها المرض أن يودي بروحه فيطفئ ذلك السراج الوهاج ولما يؤد رسالته على تمامها

وتداركه لطف ربه فبرىء مما ألم به ؛ وكانت تخفف عنه آلامه وتسرى عن فؤاده سيدة أحبها فكانت له في شدته ملاك الرحمة وذلك من فضل الله عليه

ولم يكد يستعيد قوته حتى ألفى الحكومة تطارد أنصاره فتخرجهم من سويسرا بأمر من الدول المسيطرة يومئذ ؛ وعز عليه أن يبرح تلك البلاد فيبعد عن إيطاليا وإنه ليحس أن قربه منها يشد عضده ويربط على قلبه ، وهو لا يعرف له مستقراً إلا أن يكون ذلك في انجلترة أو أمريكا ولكنه لا يطمئن إلى أولاهما ولا يطيق البعد في الأخرى

لذلك لاذ المجاهد المكدود بالهرب فقضى سنوات ثلاثاً مختبأ في منازل بعض محبيه ؛ كأنما قدر عليه أن يحيا حياة السجناء وما هو بمجرم ولا مجنون ؛ وتوالت عليه المحن وانتابته النوازل ، فتمشى السقم في بدنه وترامت الصفرة في محياه ، ولاحت اللوعة في عينيه ؛ ونفد ماله حتى لجأ إلى طلب العون من أصحابه وكانت أمه ترسل إليه ما تستطيع أن ترسله كلما كتب إليها يسألها المعونة وربثت ملابسه وأعوزته الكتب التي كانت عزاءه في غربته وسلوته في وحدته ؛ وحيل بينه وبين أنصاره فبرم بالوحدة واستوحش الغربة ؛ وألح عليه مرض أسنانه فكان يتناوب هو والهم جسده المضنى

وأحزنه ما تراءى إليه من الأنباء عن تخاذل الناس وفتورهم في إيطاليا ، كما آلمه أن يجد بعض المنفيين يعودون باللائمة عليه فيما أصاب حركتهم من فشل ؛ ولقد أدى ذلك إلى أن يضيق بالناس فما يصطحب إلا قلة أحبها !

وهكذا يجتاز الزعيم الطريد فترة من أشد فترات حياته الزربة

فترة البلاء التي ما خلت من مثلها فيما نعلم حياة زعيم ؛ وخيم عليه ذلك الظلام الذي يسبق في حياة القادة النور الوهاج الذي يبدد بقوته كل ظلام

وإنما يكون هذا البلاء في حياة الزعماء وحيالهم يشعرهم بسمو الغاية التي يجاهدون من أجلها ، فيزيدهم هذا الشعور تعلقاً بمبادئهم وحرصاً على بلوغ غاياتهم حتى ليصبح الألم محبباً إلى أنفسهم أن كان مبعث اليقين والصبر ، وتلك ناحية تمتاز بها كبار النفوس من سائر النفوس

ولن يكون عظيما من تتعاظمه الشدائد فتلويه عن وجهته ، وإنما العظيم من يسير على القتاد مغالباً كل ما يعترضه ، وعلى قدر ما يجتاز من الصعاب تكون عظمته ويكون الأثر الذي تتركه في الناس حركاته ، ومن هنا أيضاً كان ترحيب العظماء بملاقاة المكاره ، ثم من هنا جاءت قيمة التضحية والفداء وولدت الزعامة

والألم فوق ذلك يمحص المجاهدين فيستخفون كل مرة بما يأتي بعدها من ضروبه حتى ليصير مألوفاً لديهم ؛ وذلك ضرب من الغلب يأتيهم من بطلان سبب من أكبر أسباب الهزيمة

لذلك صبر مازيني ، ومثله خليق أن يصبر وهو الذي جعل من مبادئ جمعيته التضحية والفداء والصبر على الآلام ، بل والسعي إليها ومجابهتها ، فلما كتبت إليه أمه تسأله أن يرجع عما هو بسبيله كتب إليها يقول : إنه كان يفعل ما تأمر لو أنه استطاع ذلك ! فانظر إليه كيف لا يستطيع أن يبتعد عن المحن والآلام وخذ من رده هذا معنى من أبلغ معاني البطولة ...

وكان له في وحشته نور من مبادئه ترى قبساً منه في قوله : « لقد جعلنا قضية الناس قضيتنا ، ولقد حملنا على عاتقنا باختيارنا آلام جيل بأجمعه ؛ وقبسنا من الله الباقي شعلة ، ووضعنا أنفسنا بينه وبين الناس ؛ واضطلعنا بدور المحرر ، وتقبلنا على ذلك الله »

وعلمه ما سبق من الفشل أن يصبغ مبادئه صبغة تجعل لها مثل قوة الدين ، فتكون بذلك أسرع نفاذاً إلى القلوب ، فإذا مستها علقت بها حتى ما تنتزع منها ؛ لذلك جعل من تعاليمه الحث على المبادئ السامية التي بها تكمل الإنسانية ؛ كأداء الواجب لذاته ، ومحبة الناس جميعاً ، والعمل لخير الإنسانية عملاً لا يبتغي المرء من ورائه جزاء ولا شكوراً ، والبذل والفداء في غير منّ ، والصبر على المكاره في سبيل النصر

وراح يوحي ذلك إلى الناس بخيال شاعر ويقين نبي حتى أحيطت دعوته بروح مثل روح الدين ، وأصبحت الكلمات التي لا تكون على لسان غيره أكثر من كلمات، قوة لها سحرها وفتونها على لسانه هو ؛ وأصبح شخصه بين حوارييه وكأنما رفعته قوة خفية إلى مرتبة فوق مرتبة البشر وإن كانت دون مرتبة الأنبياء

وأصبحت وطنية الذين اتبعوه أكثر من أن تكون وطنية ؛ فلقد ملأت قلوبهم الآمال واشرأبت نفوسهم إلى المثل العليا ، وفي ذلك تتجلى رسالته الحق إلى الجيل ، إذ قد جعل الناس يؤمنون أن في هذه الحياة غير الدين ما يستحق تضحية النفس في سبيله ، ومن ذلك الوطن والحرية والكرامة الإنسانية

وكان يشتد به الحنين إلى وطنه وهو في سويسرا حتى ليفعل به الحنين ما يفعل المرض ؛ وإنه ليعلق خياله بتلك السحب التي تجتاز الجبال لأنها تسير إلى إيطاليا ؛ وإنه ليمد بصره إلى أقصى ما يستطيع نحو وطنه وكأنه يستأنس بهذه النظرات فهو يطيلها أحياناً كما لو بات في غيبوبة

على أن الأنباء التي كانت تصل إلى مسمعيه عن أهل هذا الوطن كانت تزيده غماً على غم ، فهذه الرجعية العتيدة التي تؤيدها النمسا تزعج خاطره وتؤلم نفسه ، وهذا الخور الذي حل بالرجال يغيظه ويحزنه ، حتى ليصل به الأمر أحياناً إلى أن يتدبر أهو على صواب فيما هو فيه من جهاد يجر عليه عذاباً كذلك العذاب الأليم ؟

ولكن نفسه كانت تحدثه أبداً أنه مهما قل أنصاره ، ومهما مسه من الضر أو أصابه من الهم ، فلا بد أن تكون العاقبة بحيث تستحق ما يلاقيه ؛ وكان قلبه يوحي إليه دائماً أن مبادئه محققة في غد لا محالة على يده أو على يد غيره ؛ وكثيراً ما أعانه هذا الأمل على التغلب على كثير من الصعاب ؛ ولقد يشتد هذا الأمل عنده حتى لكأنه يرى المستقبل فهو يبشر أبداً بالفوز كأنما كان يوحى إليه به من وراء حجاب . فهل كان مرد ذلك إلى شدة يقينه وقوة حماسته أم إلى جموح خياله وقلة تجربته ؟ الحق أن خياله كان ذا سلطان كبير عليه ، ولكن جانب اليقين في نفسه لم يكن أقل من جانب الخيال ، بل لقد نستطيع أن نقول إن قوة خياله كان مبعثها قوة يقينه فلولا ما أيقنه واعتزمه ما طمع في شيء ثم ما تخيل شيئاً

وجمع مازيني في سويسرا حوله نفراً من أهلها وأوحى إليهم

أن يملوا للحرية وأغراهم أن ينشئوا جمعية على غرار إيطاليا الفتاة فتألفت بذلك سويسرا الفتاة، وأصدر أعضاؤها صحيفة تعبر عن مبادئهم وعاونها مازيني بقلمه، ولقد كان مازيني يبني من وراء ذلك أن تنتشر الحرية في كل مكان في أوربا لتتألف منها قوة عظيمة تجرف أمامها الرجعية، وتقذف بها إلى غير رجعة؛ وانتشار الحرية في سويسرا من شأنه أن يؤدي إلى تسربها إلى جارتها، هكذا حدثته نفسه الوثابة وخيلت له روحه المتوقدة

ولكن الحكومة السويسرية تقرر نفيه من بلادها مخافة أن يبذر فيها بذور الثورة، وتجد في البحث عنه وتقضي في غير إبطاء على حركته هذه، وهي في مهدها، فيجد نفسه مضطراً إلى الرحيل فيختار انجلترة ويسعى إليها عام ١٨٣٧ وهو في الثانية والثلاثين من عمره

وفي لندن يحيا حياة طليقة حرة فيظهر بشخصه في المجتمعات ولا يلجأ إلى الاختفاء ولكنه يضيق أول الأمر بجو لندن وحياتها الصاخبة وضبابها المقبض، ويذكر ما خلف وراءه من شمس منيرة وسماء ضاحية وفضاء رحيب منضور الجوانب مسكي النفحات، وهو بطبعه شاعر يهفو لجمال الطبيعة قلبه، فلا عجب أن تقبض صدره عيشة لندن التي أحس منذ وطئتها أقدامه أن المادية فيها هي أساس كل شيء، وأن الروحية فيها غريبة شريدة مثلما كان هو غريباً شريداً

ولئن منح حرية التجول والعيش السافر، فلقد وجد أمامه من دوافع العزلة والقبوع في داره ما لا يقل إيلاماً عن نوازع الرجعية والاستبداد، وذلك هو الفقر! الفقر الذي تركه رث الثياب حتى ليتوارى من الخزي عن الأعين، الفقر الذي جعله يرهن ما حمل معه من ضئيل المتاع ليقتات والذي اشتد به زمناً حتى لقد راح ذات يوم يرهن ملابسه من أجل بعض دراهم، وذهب مرة أخرى يرهن حذاء له ليشتري به طعاماً لغده

وأخذ يبحث عن عمل يمسك من ورائه رمقه، فلم يجد إلا أن يكتب بعض المقالات في بعض الصحف، على أن أجره على ذلك كان ضئيلاً وكان المترجم الذي ينقل كلامه إلى الإنجليزية يحصل على نصيب من هذا الأجر

ومن غريب أمر هذا الطريد النازح أنه كان لا يبخل في غربته على غريب غيره بماله على قلته، فكلما اكتسب شيئاً منه أو أرسلت أمه شيئاً وجاءه أحد معارفه يسأله العون مد يده إليه بما تملك وهو في أشد الحاجة إلى من يعينه، حتى الملابس لقد كان يجود بما ترسله إليه أمه منها على الغرباء من بني وطنه لتقيهم غائلة البرد في لندن، وحسبه هو دفء قلبه وابتهاج نفسه بما تقدم يداه

وكان يستدين على ما كان في الدين من مذلة، ثم يحاول أن يسد دينه بقلمه فيفلح حيناً ويفشل أحياناً فأضاف ذلك إلى آلامه وأشجانه ما نعجب كيف أطاق احتماله!

على أن أعظم ما نال من نفسه بعده عن بلاده وقصر ذات يده عن مواصلة جهاده في سبيل تحريرها، ومخافته في هذا البلد النازح من أن تموت مبادئ جمعيته فتنحل وينساها أعضاؤها، وفي ذلك الطامة الكبرى والبلاء الذي لا يجدي معه صبر ولا تنفع فيه حياة

ومما قاله في هذا الصدد: «لن يستطيع رجل أن يعيش وحده، وهأنذا لا أجد حولي من يدري ما أفكر فيه وما أبتغيه» ووصف ذلك العصر بقوله: «إنه عصر انحلال خلقي، عصر إنكار، عصر كذلك الذي مات فيه المسيح»

وكأنه كان بينه وبين الدهر ثأر فهو يأبى إلا يأتيه بالمحن بعضها في إثر بعض، فلقد جاءه وهو في غربته نبأ وفاة أخته العذراء، وقد كان يحبها أشد الحب إذ كانت تكبر مبادئه وتعجب به من أجلها، وكان إعجابها هذا به يزيده حماسة وأملاً. وكيف نستطيع أن نصف مبلغ حزنه على أخته التي ذهبت فلن يراها أبداً وهو ذلك الشاعر الرؤوف العطوف الذي يهب حبه الناس جميعاً؟

وكان الأسى يرمض فؤاده كلما ذكر ما عسى أن يكون عليه حال أمه المحزونة، ويتضاعف حزنه إذا حدثته نفسه أنه كان سبب كثير من شقائها بما جره على نفسه من العذاب والغربة، ولكن شيئاً واحداً كان يخفف عنه بعض ما به، وذلك شعوره أنه يلقى ذلك كله من أجل وطنه ومبادئه.

(يتبع) الخفيف



أنت ...

[مهداة إلى الدكتور ابرهيم ناجى]

للأستاذ خليل شيبوب

النورُ فى عينيكِ أنشودةٌ   تَروى عن البحر أعاجيبا
تُرقِصُ فى هُدْبيهِما ناظراً   كاللجِّ بالخضرة مشبوبا
قد أُسمِعتْ عينىَّ ألحانَها   عيناكِ تنغيماً وتطريبا
خدَّرَتِ النفسَ أهازيجها   واقتدحتْ فى القلبِ أُلهوبا
فاختبطتْ فى الصدْر أغوارُه   تهدرُ تصميداً وتصويبا
لكِ ابتسامُ الصبحِ خطَّتْ به   منازلُ الشمس أساليبا
من خَطَفاتِ السحرموهومُهُ   يُخالُ تفضيضاً وتذهيبا
أحسُّ فى النفس حفيفاً له   أزْهقَها حبًّا وتمذيبا
وشَعْرُكِ المرسلُ نَبتُ الدُّجى   يموجُ تصفيفاً وترتيبا
ملتمعٌ من سافرٍ تحته   أضنى ضياء البدر مسكوبا
رعاه قلبى حَلَكاً هادياً   يجلو عن النفس الغياهيبا
الحسنُ فى الوجهِ وفى الشَّعرِ قد   سافر تشريقاً وتغريبا
جيدُكِ أعيي الفنَّ لما بدا   فى قالَبِ الفتنة مصبوبا
لانَ لُجَيْناً وضياء كما   قام عمودُ الصبح منصوبا
سطَّر فيه الحسنُ أطواقه   دائرةً لم تكسُ مسلوبا
الحسنُ وصفٌ لكِ والفنُّ قد   أضحى لأوصافكِ تلقيبا
جسمُكِ قدسُ الحبِّ طافتْ به   عبادةُ العابدِ محبوبا
فى كل عضو منه أعلى الهوى   معابداً لى ومحاريبا
أعبُدُ فيها اللهَ مستشعراً   قُدْرَتَهُ لا أختشى حوبا
وقفتُ عمرى لكِ مستلحقاً   بصدر أيامى الأعاقيبا
عواطفى فى الصدر مكبوتةٌ   أدْبها حسبىَ تأديبا
لو أُطلِقَتْ لاندفقتْ مثلما   تدفَّقَ الغيثُ شآبيبا
أحببْتُكِ الحبَّ جماً فهل   أعيشُ محروماً ومحروبا
ياهند لا يُغضِبْكِ حبى فكم   وَضْعٍ صحيح بات مقلوبا
وإننى ما اخترتُه عامداً   بل هو شىءٌ كان مكتوبا
أخْفَقْتُ فى سعيى إليه ومن   أخفقَ فى مسعاه ما عيبا
إن عاش بالآمال غيرى فقد   أموتُ بالآمالِ منكوبا
أو صدَقَ الحبُّ لغيرى فقد   أعاد لى العمر أكاذيبا

(الاسكندرية)   خليل شيبوب

لحظة

للأستاذ حسن حبشى

آهِ ما أجمَلَها مِنْ لحظةٍ   حادَثتْ عينىَّ فيها مُقلتاكِ
لحظة مِنْ عُمُرى خالِدَة   لامَستْ كَفِّىَ فيها رَاحتاكِ
وأضاءتْ لَيلَ قلبى بَسْمةٌ   أطلَعتْها كالأمانى شفتاكِ
فَصَحا القلب على فِتْنتها   وهفا من شوقهِ نحو عُلاكِ

* * *

أنت يا مولاى عُلوىُّ السَّنا   فاحبُنى من نورك الزاهى شُعاعا
هاتِهِ أجمِلْ فؤادى زورقاً   وضياك الحلوَ فى اللجِّ شِراعا
عَلَّهُ يُنقِذُ روحاً حرةً   سئمتْ فى عالم الأرض الصراعا
وامضِ لا تعبأ بذيَّاك الورى   فالورى قد أحسنوا فيها الخداعا

* * *

يا نجىَّ القلبِ فى عُزلتهِ   رامَكَ القلبُ فهلاَّ تُشفقُ
لا تخلْ صمتى جحوداً بالهوى   أنا إنْ أسكُتْ فعينى تنطقُ
أنتِ فى هذى الدُّنا زَنْبقةٌ   عِطرُها الفوّاح فينا يشرُقُ
عطَّرَ الرُّوح فأمسى خاطرى   بالهوَى العفِّ طروباً يخفقُ

حسن حبشى



دراسات فى الفن

مع هـــذه الأجسام

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— اسمعى ! إذا كنت تريدين زوجاً صالحاً فعليك بهذا الشاب الذى مر الآن ونظر

— أيهم ؟ فهم كُثر ، الذين مروا ونظروا

— نعم هم كثر ، ولكنه هو واحد ، وقد عرفك وأنت عرفتيه ، وقد حياك وأنت حييته ... فلم التجاهل ؟

— أأنا حييت أحداً الآن وحيانى؟متى كان ذلك؟وكيف كان؟

— زعموا أن آنسة كانت جالسة على قارعة الطريق فى مقهى وكان معها دلو ...

— دلو ؟

— أى نعم ... بمعنى رجل ... وهو عند المرأة هكذا لأنها تلقى به حيث شاءت ، وتملؤه بما يطيب لها ، و « تدفقه » أينما أرادت ، وتأخذ منه كل ما يحتويه فتختص به نفسها أو توزع منه على من تحب ... فإذا انثقب رقعته ، فإذا انكسر جبرته ، فإذا تحطم حرقته واستدفأت بحطامه ...

— يا له من ثأر بينك وبين المرأة ...

— أنا ؟ أنا ما بلغت إلى اليوم منزلة الدلو ... ومهما أكن فلن أزيد على لوح من ألواحه فلا يمكن أن يكون بيننا ثأر

— يا للفضيحة ... ما علينا ... أتمم قصتك ...

— ... وكان الدلو يتحدث إلى الآنسة بكلام تافه سخيف لا غناء فيه لأنه يدور حول أسرار الوجود ...

— وهل يقال عن الحديث الذى يدور حول أسرار الوجود إنه تافه سخيف ؟ فما الحديث الجليل الخطير ؟

— هو عندكن ما يدور حول هذه الجثث التى هى أنتن ، وحول هذه الخرق و « الهلاهيل » التى هى ثيابكن أو دروعكن وما أشد التباين بينها وبين دروع الرجال ، فهم يتدرعون بما يقيهم الهجات ، وأنتن — يا ويلى منكن — دروعكن مغامز ومطاعن تكشفنها كشفاً ، وتظهرنها عمداً ليسهل افتراسكن على الجرذ الضئيل كما يسهل على الأسد الضرغام

— يا أخى ! أما تُتم قصتك وتدع هذه المهاترات ...

— فلندعها ... ومر بالآنسة وصاحبها ... آخر ... عريض المنكبين متين الألواح ... طفت رجولته على جلده ولم يعد منها شىء فى داخل نفسه . فلما رأى الآنسة ، تجمعت قواه فى عينيه ، ثم انبثقت هذه القوة تياراً ، وانطلق التيار جارفاً قوياً ، فصدم الآنسة فى عينيها ، وفيما بين عينيها ، وفيما حول عينيها ، فآلمتها الصدمة ، فرفعت يدها إلى رأسها تحول بين رأسها وبين هذا التيار الذى لو ثقل عليها لتراخت وتخاذلت وتساقطت ، ولتتحسس بيدها أيضاً مكان الصدمة تختبرها وتتعرف مداها ، كما نصنع دائماً عند كل صدمة ، ولكنها فطنت إلى أنها بين جماعة من الناس قد يكون فيهم من يتتبع حركاتها ، فررت يدها سريعاً من جبهتها إلى شعرها حتى يظن الذى يراها أنها إنما رفعت يدها لتصلح من شعرها ، لا لتتقى تياراً ، ولا لتشد أعصابها ... وجازت هذه الحركة على كل من رأوها ... وصاحبها أولهم

— وما لنا نحن وهذه الحكاية ؟

— هذه الحكاية حدث الآن ما يشبهها ، وكل ما فى الأمر أنى أردت ألا تفوت من غير أن ألفتك إليها لعلك تستغلينها ، وتربطين إليك بسبب صاحبك هذا الذى مر ، وهو فيما يظهر ممتلىء ... رجولة وغروراً ، ومالاً أيضاً ...

— ولكن هذا أجنبى

— إذن فانتظرى الذى ليس أجنبياً ، والذى يؤثر فيك هذا التأثير ، واعلمى أنه هو الأهل لك

— ولكن رجالاً كثيرين ... كثيرين جداً يفضلون السحلب على « الملفات » ...

— نعم لأن الكاكاو أطيب طعماً من جوز الهند

— عدنا إلى الخلط ؟

— لقد مشيت معك ... كنا نتحدث عن الرجال والنساء فانتقلت أنت إلى المطارة ، فآثرت أن أجاملك وأن أمضى معك حيثما تريدين . . . فهل نعود إلى ما كنا فيه وتقولين لى مالهم الرجال الكثيرون الذين كنت تريدين أن تتحدثى عنهم . . . أو الأحسن أن ندعهم ونتحدث فى الحمص وغزل البنات ؟ مالهم الرجال الكثيرون ... مالهم ؟

— فأنت مصر على أن تهتك نفسى ؟

— مهتوكة يا آنستى نفسك وكل نفس ما دامت الأنفس فى الأجسام !

— إذن ، فليست الأجسام حجباً كما قلت مرات ؟

— إنها حجب ، وليست حجباً ، كالنور يبصر فيه البلبل ويعشى فيه الخفاش ...

— أو كالظلمة تبصر فيها البومة ويعمى فيها الطاووس ... فهل أنت طاووس أو أنت بومة ؟

— ولم لا أكون البلبل وأنت الخفاش ؟

— لم أسمعك يوماً تصدح ...

— لأنك تسهرين الليل وتنامين النهار ... عيناك لها الظلام ونفسك اطمأنت للسواد !

— قسمتى !

— ولماذا ترضين هذه القسمة وهى مما لم يكتبه الله على الناس فما كتب على المبصرين العمى، ولكنهم هم الذين يضمون أصابعهم فى أعينهم كمن يخشى أن يرى، وكمن يحب أن تزل قدمه ليسقط فينهار! افتحى عينيك ، وانظرى ، وابصرى ، وافهمى ، والله لا يتماطى من عبيده أجراً على ما يعلمهم ، ولا هو يتقاضاهم رسوم الألعاب .

— وماذا تريد منى أن أفعل ؟

— ترقبى حركاتك ، وترقبى دوافعها فى نفسك ، ثم ترقبى حركات الناس ، تعرفى دوافعها فى أنفسهم .

— وهل كل الناس يتشابهون ؟

— من غير شك، هم يتشابهون فى مقومات الإنسانية وأصولها كما تتشابه الأسود فى مقومات « الأسدية » ، وكما تتشابه الأبقار فى أصول « البقرية » ... وكل ما بين أفراد الناس من خلاف ، فإنما يتناول الفضول والزوائد ولا يتعداها ، فالأمير إذا مات وحيده حزن وبكى ومسح دموعه فى منديل ، والخفير إذا مات وحيده حزن وبكى ولكنه يمسح دموعه فى ذيل ثوبه ، وكل من المنديل وذيل الثوب ، لا صلة له بالحزن ولا البكاء ... أنت تضحكين فتكتمين صوتك تحشما ، وأنا أضحك فأفزع الناس بقهقهة كالرعد ولكننا مع هذا نتساوى فى أننا نضحك وإن كنت أنت تضحكين بقدر ، وأنا أضحك بكل القوة التى فى القدر والقضاء . وبهذه المراقبة يا آنستى تستطيعين أن تفهمى الناس ، وتستطيعين بعد ذلك أن تكتبيهم أو تصوريهم أو تعزفيهم أو تغنيهم أو تلعبى بهم ما شاء لك الفن ... ولكن عليك — كما رأيت — أن تعرفى نفسك أولاً ، وأن تحكمى عليها بالحق دائماً مهما آلمك هذا الحكم ، وإذا كنت تكرهين الألم فحاولى أن تصلحى نفسك بالحق ، واحذرى أن تخدعيها بالباطل لأن الباطل يتلفها فلا تعود تصلح مقياساً للحق الذى تنشدينه ، فالحق مستقيم ، ولا يقيسه إلا ما استقام ، ولا يمكن أن يحصره حلزون ...

— وكيف تعرف الحق ؟

— الحق معروف ، هو ما فطر عليه الناس لا ما اصطنعوه ، الله خلق الخلق بالحق ... فالحق فيهم ، وهو إلى اليوم على رغم ما جاهدوه طويلاً لا يزال فيهم ، ونحن نعرفه فى البشر بذيوعه بينهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم . فالموت حق لأنه يتناول الناس جميعاً ، والحب حق لأنه يتمكن من قلوبهم جميعاً ، والفن حق لأنهم يطربون له جميعاً ... هذا هو الحق ...

— هذا حسن . فكيف تريدنى أن أبدأ فى تفهم هذا النوع من الحق الذى تدعى حدوثه بين الأجسام ، والذى يخيل إلى أنك تجعله كتيار الكهرباء . أنظر مثلاً : هذا رجل ممتلئ رجولة ، هو أيضاً كذلك الذى رأيناه فى البدء ، وهو ينظر إلى هذه السيدة ولكنها تتحسس رأسها من الخلف لا من الأمام، فهل حركتها هذه هى أيضاً تدل على أن تياراً انبثق منه نحوها، وأن هذا التيار أثر فيها إلى آخر هذه الدعاوى التى تدعيها . ليست المسألة إلا ارتباكاً فقط

— ما فى الذى قلناه شك . وكل ما فى الأمر أن هذه السيدة أنضج أنوثة من الآنسة الأولى التى هى أنت ، وعينها أشد تبجحاً من عينك ، وحيلتها أوسع من حيلتك ، وأعصابها أقوى من أعصابك ... لقد رفعت يدها لتمر بها على جبهتها مثلما صنعت أنت ، ولكنها أفاقت ويدها فى منتصف الطريق فبدلاً من أن تضع يدها على موطن « النتزة » فى جبينها لفت بيدها إلى قفاها... وهذه هى الدرجة الثالثة من درجات الصد

— وهل للصد درجات ... غير ما فعلتُ وما فعلتْ ؟

— نعم ... أولى درجاته هى ما يلجأ إليها الأطفال عند ما يهاجمهم مهاجم بعينيه ونظراته ... فهم يرفعون أيديهم ويغطون

بها أعينهم ويمسكون بها رؤوسهم ، وهذه حركة من حركات الصد المكشوفة التي لا يلجأ إليها إلا الواثق من ضعفه ... وهي تشبه الجري والهرب ... والدرجة الثانية هي هذه الحركة التي بدرت منك ، والدرجة الثالثة هي هذه الحركة التي بدرت من هذه السيدة ... والدرجة الرابعة هي الصد بالنظر ··· تيار ضد طيار ··· والفوز لمن غلب ، والفشل لمن أرخى عينيه ··· ومن الناس مخادعون ··· يريد الواحد منهم عند الهجمة أن يغطي عينيه أو أن يغطي رأسه ؛ فإذا رفع يده خشى أن ينكشف فعبث بعنقه أو بأذنه أو بأنفه ··· ألم تلحظي شيئاً من هذا ··· وبهذه المناسبة أريد أن أسألك سؤالاً لعلك تجيبين عنه ··· بعد ما استنار لك الطريق

— اسأل ··· ولكن اجعل سؤالك خفيفاً فأنا لا أزال في في السنة الأولى معك ···

— ليتني أبلغ السنة الأولى أنا ! إسمعي ، ألا تستطيعين بناء على ما تقدم أن تستنبطي للتحيات التي يتبادلها الناس منطقاً ؟...

— وماذا تقصد بالتحيات ؟

— التحيات. التحيات. رفع اليد إلى الرأس. أليست هذه تحيات؟

— الناس يحيي بعضهم بعضاً لأنهم مؤدبون ، والصغير يبدأ الكبير ، لأنه مطالب باحترام الكبير ···

— ليس لي شأن بهذه المطالبات. إنما أنا أريد التحيات الطبيعية التي لا يلحظ الناس فيها الفروق الصناعية ··· حتى فروق العمر والسن يجب أن تعلمي أنها ليست طبيعية في هذا الصدد فهناك صغار نفوسهم أقوى من نفوس الكبار ··· هأنذا وضعت لك الأساس

— وبهذا الأساس زدتني اضطراباً ···

— لا بأس ... قوي وضعيف التقيا ... يرفع الضعيف يده إلى رأسه بالتحية في هذا الزمن ، ولكنه في الأصل كان يغطي عينيه ورأسه ... والكبير يرد عليه بعد ذلك من باب (جبر الخاطر) لأنه في الواقع لم يشعر بالدافع الطبيعي الذي يحمله على أن يرفع يده إلى رأسه ... ويلتقي القويان فيرفع أحدهما يده إلى رأسه في الوقت الذي يرفع الثاني يده فيه ... وهكذا يفعل الضعيفان . هذا هو منطق التحية الذي أطلبه ... والآن ... وبعد هذا المثل ... هل تستطيعين أن تستنبطي منطق التقبيل ؟

— وهل للتقبيل هو أيضاً منطق ؟ إن التقبيل استجابة لعاطفة ، والعواطف لا منطق لها ...

— من الذي قال لك هذا ؟... كل ما في الطبيعة له منطق وقانون حتى المفاجآت والمصادفات ... وإن الذي تر الكون في هذا الفضاء وحفظه هذه الدهور وهذه العصور لا يمكن إلا أن يكون حكيماً له سنن هي الحكمة .. فكري مني قليلاً ...

— طيب ! قل لي من أين أبدأ ؟

— من حيث تشائين . ابدئي بالقبلة التي يطبعها الأب على جبين الابن ··· لماذا يختار لها الجبين ؟

— لماذا ؟

— ليعطيه شحنة من الكهرباء القوية في هذا الوطن الذي هو أصلح مكان في جسم الإنسان لاستقبال الكهرباء ... والجبين هو المكان الذي يسلطون عليه الكهرباء في أجسام الذين يعدمونهم بها في أمريكا ··· أو هو المكان الرئيسي لهذا ···

— كأنه معقول ... والابن يقبل يد أبيه ... ثم إنه يضع يد أبيه على جبينه ... فلماذا ؟

— الابن يقبل يد أبيه فيمتص شحنة من كهرباء أبيه ، واليد من أطراف الإنسان التي تشع منها الكهرباء باستمرار وبسهولة... والنوم المغناطيسي يستعين بيديه على تنويم وسيطه إلى جانب القوة التي تنبعث من عينيه ... والابن يضع يد أبيه على جبينه لأن الجبين كما قلت لك من أطيب المواطن في الجسم لاستقبال الكهرباء

— والأخوان ؟ يقبل كل منهما الآخر في خده ، أو يمسح الواحد منهما وجهه في وجه الآخر ...

— ذلك لأن المفروض في الأخوين أن يكونا متساويين في كمية الكهرباء التي شحن بها كل منهما ... فالواحد منهما لا يريد أن يكسب من الآخر شيئاً ، ولا أن يعطي الآخر شيئاً ولذلك فإنهما يلتفان كل منهما حول الآخر ولا يتماطيان ...

— والعاشقان ؟ ... يتبادلان القبل من الشفاه

— لأنهما يريدان أن يتعادلا ... فمن كان منهما قوياً أعطى الآخر الفضل من قوته ... حتى يتم التعادل ...

— عجيبة ... ولكن غاب عنك شيء يا سيدنا ... إن القبل ليست شائعة بين البشر جميعاً ... وهي أقرب إلى العادات المكتسبة منها إلى الأفعال الطبيعية ...

— إذا كانت القبل على هذه الصورة التي نعرفها ليست شائعة بين البشر جميعاً ، فالذين لا يعرفونها من البشر قُبَلٌ ولكن على صور أخرى ... فنهم من يحك أنفه في أنف صاحبه ومنهم من يحك رأسه في رأس صاحبه ... وبالملاحظة نرى أن من يفعلون هذا هم المتأخرون من الشعوب الذين لم يهتدوا إلى القُبل ... وهم بتقبيلهم أقرب إلى ما يصنعه الحيوان ... والإنسانية تتفتق عن الجديد كل يوم ... والذين رأوا القبل من هؤلاء المتأخرين مارسوها واطمأنوا إليها ... ولا تحسبي أن



لحظات الالهـــام
فى تاريخ العـــلم
بقلم مريون فلورنس لانسنغ

اختراع الألوان

تتعلق قصتنا التالية بالعصور الحديثة فقد حدثت فى المائة والخمسة والسبعين عاماً الأخيرة . لكنه للوصول إلى مصدر هذه القصة يجب أن نعبر جسراً ضيقاً من الزمن يمتد إلى ألف عام

وكان فى خلال هذه المدة فنان يتدرجان فى سبيل التطور كلاهما يصلح للاستخدام فى تهيئة الثياب للحالة التى هى عليها اليوم أما أحد الفنين فهو فن الصناعات الآلية فإن اختراع الآلات الميكانيكية فى القرن الثامن عشر قد أفسح المجال للحذق فى فن النسيج . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ بدايات العهود لصناعة القماش وجدنا أنه من فجر التاريخ أى فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت عناصر النسيج فى كل العالم بسيطة أولية هى المغزل بأنواعه ومنها المغزل الصينى للحرير والمغزل الهندى للقطن . ولم يكن أهل القرون الوسطى فى أوربا قادرين على إحداث تغيير عملى كبير فى صنع أنوالهم

فظل النسيج إلى منتصف القرن الثامن عشر على طريقته القديمة طريقة عجل النسج والنول الذى يدار باليد . وكان هذان المنصران هما كل ما لدى الغزالين والنساجين فى انكلترا من أدوات هذه الصناعة. لكن الناس كانوا قد بدأوا يسائلون أنفسهم:

فى هذا تنكراً على الطبيعة وإنما هو ارتقاء بها. فإنه لا يزال فى الدنيا ناس يعيشون على الأشجار ... وهؤلاء إذا عرفوا الحياة على الأرض اطمأنوا لها وعاشوا عليها كما يعيش بقية الناس لأنها الطور من أطوار الحياة الذى يتلو ذلك الطور الذى عاش فيه الناس على الأشجار ...

— كأنه معقول ...

— أنا أعرف أنه لن يكون كلامى معقولاً إلا إذا كان مترجماً أو منقولاً ، وكى تطمئنى يا آنستى اعلمى أنى أخذت هذا الكلام عن الأستاذ A. B. C. D. وهو أستاذ مشهود له فى أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقا واستراليا وهونولولو أيضاً

— على أى حال إن كلامه لذيذ . ألم يقل شيئاً غير هذا ؟

— ياما أكثر الذى قال ... ولكنى أنسى كثيراً مما يقول . أنظرى ... ألم ترى ...

— ماذا ؟ هذه الفتاة الجالسة فى الركن ؟

— نعم ... لقد نظرتُ إليها فماذا صنعت ؟

— هل تريد أن تقول إنها رفعت يدها إلى رأسها فتستدل بهذا على أنك رجل قوى الكهرباء ... لا يا سيدى لقد رأيتها وكنت مثبتة نظرى عليها ... هى لم ترفع يدها ... ولم ترفع يدها ...

— ولكنها فعلت ما هو أحلى من رفع اليد

— ماذا ؟ ... كل ما كان منها أن أطلت بلسانها من فمها فمرت به بين شفتيها ...

— علامة على أى شىء ...

— إذا كان وراء هذا معنى ، فلا معنى له إلا أنها تخرج لك لسانها استهزاء بك ...

— يصح هذا ... ويصح شىء آخر ... وهو أن يكون إخراج لسانها ترطيباً لشفتيها اللتين جفتا على أثر انطلاق التيار الكهربائى منهما ، وهذا التيار لا ينطلق إلا فى حالة التقبيل شوقاً إلى الازدواج ... فهى قد شيمت لى قبلة فى الهواء ...

— كده ؟ لقد اشتد البرد فى هـذا المكان ... قم بنا ... ألست تريد أن تدرك السينما من أولها ...

— والله إنى أفضل هذا « التياترو » ...

— وهذه الفتاة القبيحة التى تشيع للناس القبل فى الهواء. قم. قم

— قمنا ...

عزيز أحمد فهمى

أليس من الممكن اختراع وسيلة يمكن بها أن تظل عجلة النسيج دائرة وأن تظل الوشيعة «المكوك» تتحرك فيصبح النسج أسهل مما كان عليه بواسطة اليدين ؟

وكان أحد الضباط البحريين في فرنسا في القرن السابق واسمه « دي جانس » قد اخترع آلة لصنع الأقمشة التيلية لا تحتاج إدارتها إلى عامل ولكن فكرته في الاختراع لم تنجح عملياً . وفي سنة ١٧٣٣ اخترع جون كاي في مدينة بوري في مقاطعة لانشستر نوعاً جديداً من الوشائع وقد سمي باسم « مكوك الذبابة » لسرعته في الحركة سرعة خارقة للعادة

وبعد اثنى عشر عاماً صنع بالاشتراك مع جوزيف ستيل نولاً وصفه بأنه « يشتغل باليد أو بالماء أو بأية قوة أخرى » وكانت لحظة أحق بالذكر في تاريخ العلم الصناعي تلك اللحظة التي جاءت في سنة ١٧٦٤ إذ اخترع « جيمز هارجزيفز » دولاباً . وهو نساج يشتغل على النول وهو في الوقت ذاته نجار . وكان يقيم في بلاكبيرن . وقد قيل إن الفكرة قد أوحى إليه بها عند ما رأى عجلة الغزل يقلبها أحد أبنائه فرأى عند ذلك أنهـا استمرت تدور أفقية وأن المغزل ظل يدور عمودياً

وبواسطة هـذا الدولاب صار في الإمكان غزل عشرين أو ثلاثين خيطاً في وقت واحد بنفس السرعة وبنفس السهولة التي يغزل بها خيط واحد

ولما عرفت هذه الحقيقة لدى زملاء هارجريفز انزعجوا خشية أن تكون نتيجة الاختراع تخفيض أجورهم وكثرة العاطلين بينهم فهاجموا بيت المخترع في أحد الأيام وأتلفوا جهازه

وكانت الخيوط التي يخرجها النول قبل أن يبدأ النساج عمله تعرف باسم السدى . أما الخيوط التي يخرجها المكوك فتعرف باسم « اللُحمة » لكن الخيوط التي يخرجها دولاب الغزل كانت كلها من نوع اللحمة فليست متينة ولا قوية مثل السدى الذي يمتاز بالطول وبالقوة

وجاءت لحظة أخرى من اللحظات العظيمة في تاريخ الصناعة عند ما قدر أن يؤثر رجل آخر في حياة الملايين من زملائه، وهذه هي قصة صبي الحلاق الذي مات وهو حامل للقب سير ورتبة فارس وأصبح من كبار الأغنياء

كان رتشارد اركرايت (١٧٣٢ — ١٧٩٢) أصغر الأبناء في أسرة عدد أبنائها ثلاثة عشر . وكان أبواه فقيرين فلم يستطيعا تعليمه إلا إلى الحد التافه فاشتغل رتشارد صبياً لحلاق ؛ فلما بلغ العشرين من العمر أنشأ لنفسه حانوت حلاق في بولتون ولم يكتف بأن يحلق لعملائه ، وعشط لهم الشعر المستعار بل كان يبيعهم شعوراً مستعارة مصبوغة على طريقة ابتكرها . وبهذه الوسيلة أدرك ثروة وصار في وسعه بعد ذلك أن يترك حرفة الحلاقة ، وأن تنصرف عنايته إلى غزل القطن ، وكان قد اهتم جد الاهتمام بدولاب الغزل فأخذ يجرى تجاربه ليعرف هل في وسعه أن ينشيء دولاباً من هذا النوع يخرج خيوطاً قوية تصلح للسدى ، وقد استعان برجل اسمه جون كاي (وهو غير جون كاي مخترع المكوك السريع وربما كان من أقاربه) فصنعا دولاباً كان لأول مرة في تاريخ النسيج يخرج الخيوط القوية اللازمة بطريقة آلية

وكان أول مصنع أنشأه اكرايت في نوتنجهام سنة ١٧٦٨ وكان يديره بواسطة الخيل . وبعـد ثلاثة أعوام أنشأ مصنعاً في كروفورد في دربشاير ، وكان يدار بالماء . وقد تعرض أيضاً لسخط الجماهير وتحطمت مصانعه وآلاته أكثر من مرة بسبب غضب الجماهير

ولكنه عاش العمر الكافي للانتصار على كل المصاعب ولإنشاء مصنع بخاري للنسيج في نوتنجهام سنة ١٧٩٠

وجاءت لحظة أخرى من اللحظات العظيمة في تاريخ الصناعة وهي قصة قسيس أديب هادئ هو الأب أدموند كارترايت وقد تغير كل نظام حياته بسبب زيارة زارها لمصانع السير رتشار اركرايت

اخترع هذا القسيس في سنة ١٧٨٥ نولاً آليـاً كان على الرغم من كل عيوبه بشيراً بالنول الذي يستعمل اليوم . واشتد به التحمس للفكرة فأنشأ مصنعاً في دونكاستر وآخر في مانشستر ، ولكن الرعاع المتسخطين الذين يرون في هذه المعامل عدواً لهم قد حطموها

على أن كارترايت استمر على خطته وتحول من القطن إلى الصوف وعكف على دراسة مباحث وتجارب كان يجريها مهندس أرلندي متأمرك اسمه روبرت فولتون ، وهو أول من أدخل قوة البخار في الملاحة

ومع أن اختراعات كارترايت لم تعد عليه شخصيـاً بالنفع الطائل فإنه لم يمت فقيراً قليل الاعتبار ككثيرين من المخترعين

لأن البرلمان كافأه بمبلغ (١٠٫٠٠٠) جنيه فى سنة ١٨٠٩

وآخر قصة نرويها هنا عن تطور الصناعة الآلية لنسج القطن والصوف فى انكلترا هى قصة العازف على الكمان الذى استكشف طريقة جديدة لصنع الشاش . وهو من أهل لانكشاير مثل هارجريفز أركرايت وهو مثلهما من الأوساط الوضيعة

اسم هذا الرجل صمويل كرمبتون وقد ولد فى فايروود بالقرب من (بولتون ان ذى مورز) فى سنة ١٧٥٣ وقد مات أبوه وهو طفل ؛ وكانت أمه الأرملة تشتغل بالغزل فساعدها على ذلك

وبعد قليل اشتغل عازفاً على الكمان فى مسرح بولتون . وكان يقسم وقته بين العزف وبين الغزل . وكان يغيظه أن الغزل الذى يصنعه تتهدل أطرافه وخطر له أنه قد يستطيع تحسين عمله على طريقة دولاب هارجريفز فيمتنع هذا التهدل . واستمر خمسة أعوام يعمل على هذا التحسين . وفى نهاية هذه المدة اخترع آلة تغزل خيوطاً رقيقة ناعمة تصلح لنسج الشاش

أراد أصحاب المناسج أن يعرفوا سره فحاصروا منزله ولما كان المبدأ الذى بنى عليه عمله فى نهاية البساطة بحيث يستطيع أى خبير بالصناعة أن يعرفه فى لحظة فإن هذا المخترع المسكين قد اضطر إلى استئجار حرس حول المنزل طول الليل والنهار، وأخيراً أفشى سره لأحد أصحاب المصانع فى بولتون . ومما يدعو إلى الأسف أنه لم يكافئه المكافأة التى وعده بها

وأطلق فى انكلترا وفى إيقوسيا على تلك الآلة اسم بغلة النسيج . وتشجع كرمبتون بما بذله البرلمان الإنكليزى من المكافأة لكارترايت ، فاستجمع الأدلة على كثرة ما استُعمل من الآلة التى اخترعها فى أنحاء البلاد ، وطلب معونة الدولة فمنحه البرلمان ما يعدل نصف المكافأة التى منحها زميله المخترع القسيس وعاد كرمبتون المسكين إلى بولتون وهو يشعر بالخيبة والمضاضة

من الاستكشافات التى استكشفها هؤلاء الأربعة الحاذقون الموهوبون نشأت المراكز الصناعية للصوف والقطن فى لانكشاير ويوركشاير وإيقوسيا ، وأصبحت هذه اللحظات الهامة فى أعمارهم حلقات فى سلسلة متصلة فى صناعة النسيج الآلى تربط مصانع اليوم بالمغزل والطارة اللذين كانا يستعملان فى أقدم العصور

وكان على الكيميائى أن يشترك بقسطه الوافر فى صناعة القماش ، فنشأ كيميائى فى السابعة عشرة من العمر كان يشتغل فى معمل فى لندن ، واستكشف فى سنة ١٨٥٦ استكشافاً يستحق أن يعد أوانه من اللحظات العظيمة العلمية فى تاريخ العالم الحديث

ومن الغريب أنه بينا كان التقدم مطرداً فى غزل الأقمشة العظيمة ونسجها كان فن الصناعة يكاد يكون من الوجهة العلمية واقفاً تمام الوقوف

كانت المواد النباتية مثل النيلة والفوة والمواد المشبهة كشيشة البحر والمواد الحيوانية كدودة القرمز والمعدنية مثل الدار صينى، كانت هذه المواد التى تستعمل فى الصناعة إلى أن انقضى عهد ليس بالقصير من القرن التاسع عشر، وبهذه المواد المحدودة الناقصة التأثير كان النساجون فى أوربا يلونون منسوجاتهم تلويناً بديعاً كما نرى فى الحرير والشيت والقماش المطبوع الذى يوجد الكثير منه فى المتاحف

ولكن لم يظهر إلى ذلك العهد ذهن عبقرى من المخترعين يكشف أن مزج مادتين كيميائيتين يمكن أن يؤدى إلى استخراج ألوان كثيرة أخرى .

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

ثروتنا تكسب الحرب

[ملخصة من « الأوبزر »]

كانت ألمانيا عام ١٩١٤ تعتقد أنها ستمحو فرنسا في أسابيع معدودات . ولكن الحرب مع ذلك دامت أربع سنوات . وقد تكون الحرب الأسبانية أكثر دلالة على أن الحروب العصرية ليست من الحروب القصيرة المدى ، وإن تفوقت الدول المحاربة في التسلح . لذلك نستطيع أن نقول إن الحرب الأوربية الحالية ستكون حرب اجتياح

وتدل الجهود المضنية التي تبذلها ألمانيا في سبيل إصلاح حالتها الاقتصادية ، على أن الدول الدكتاتورية لن تجد الفرصة المواتية في مثل هذه الحرب

ويقول (ميجر - جنرال توماس) : إن القوة الاقتصادية في الحروب الطويلة لها شأن أعظم من القوى الحربية ، وقد برهنت الحرب العظمى عام ١٩١٤ — ١٨ على صدق هذا القول . وهو في الأيام الحاضرة يزداد صحة وتأييداً

إن نظام ألمانيا الاقتصادي يقوم منذ زمن طويل على أسس واعتبارات حربية ، وتدل محاولاتها في غرب أوربا على حاجتها الملحة إلى الحنطة والبترول

ولا مفر من الاعتراف بأن ألمانيا اليوم أقل استعداداً للحرب من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩١٤. فالثروة الألمانية أقل مما كانت في ذلك العهد . والألمان لا يستطيعون أن يقوموا بإنتاج الأطعمة والسلع التي تسد حاجتهم أيام الحرب ، بل لا يستطيعون كذلك أن يحافظوا على التوازن اللازم بين الصادر والوارد . فهم إذن إما أن يثقلوا كاهلهم بالديون أو يلجأوا إلى الاحتياطي الضئيل الذي لديهم من الذهب فينفقوه

ويعتقد « بول إينزج » الاقتصادي الإنجليزي المشهور أن الاحتياطي الذهب سيكون له الشأن الأول في هذه الحرب دون سائر الشئون الخاصة بالحرب . ومما لا شك فيه أن ألمانيا لم تكن في عهد من العهود أكثر استعداداً من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩١٤، ومع ذلك فقد ضاقت بها سبل الاقتصاد، ومن الحق أن يقال إنها جاعت وتسلحت ، ولا يستطيع شعب من الشعوب أن يجابه الجوع والضغط أربع سنوات ، تزداد حالته فيها سوءاً يوماً عن يوم ، ومن البديهي أن هتلر إذا استطاع أن ينال بعض الموارد عن طريق الاغتصاب ، فإن هذه الموارد لا يمكن أن تزيد على موارد ألمانيا في الحرب السالفة ؛ وهي مع ذلك لا تكفي لإقامة نظام اقتصادي ثابت يضمن لبلاده المال الاحتياطي الضروري لها عند الأزمات .

يقول الدكتور « فردنزرج » الإخصائي الألماني : إن ألمانيا تحتاج من البترول في زمن الحرب إلى ما يتراوح بين خمسة عشر وعشرين مليوناً من الأطنان كل عام ، ولا يزيد ما يستخرج منها على ثلاثة ملايين في العام . ويقدر محصول رومانيا من هذه المادة بثمانية ملايين من الأطنان على أكبر تقدير ، وإذا وجهنا نظرنا نحو الدول الديمقراطية ، وجدناها أكثر استعداداً اليوم منها سنة ١٩١٤ . فاحتياطي الذهب في انجلترا وفرنسا يزيد خمسين ضعفاً على الاحتياطي الموجود بألمانيا الآن ، وللدول الديمقراطية موارد أخرى فيما وراء البحار تستطيع أن تزودها بما يكفيها عند الحاجة . ولا ننس هنا أن أميركا على استعداد لتموينها بما تحتاج إليه دون أن يؤثر ذلك في مركزها الاقتصادي المتين .

من هنا يتبين أن الميزان الاقتصادي راجح في ناحية الدول الديمقراطية ، ولا تجهل ألمانيا ذلك ، ولكنها تمني نفسها بفكرة الهجوم السريع ، ولكن الحرب في أوربا اليوم لا تعرف القصر

نشرة نازية !

[من بنك التوفير العام ببرلين]

حدث بعد إقالة دكتور شاخت من رآسة بنك الريخ تغيير كبير في سياسة ألمانيا المالية . فقد كانت أثمان الأطعمة والملابس حتى ذلك العهد تزداد زيادة لا تصل بها إلى حد التضخم ، فقد علمتنا الأيام أن تضخم الأسعار يبدأ بزيادة الأثمان كل شهر ،

وتعلو ثم تعلو حتى تصير فى كل أسبوع ، ولا تنتهى حتى يصبح المبلغ الذى يدفع فى يوم الجمعة لا يساوى شيئاً فى يوم الإثنين الذى يليه . وقد تبين فى عام ١٩٣٨ أن إيراد الضرائب لا يكفى لسد ما تنفقه الحكومة فى التسليح ، فعمدت إلى سد هذه الثغرة بعض القروض ، ولكنها وجدت فى عام ١٩٣٩ أن تلك القروض لم تكن لتكفى لإمدادها بالمال الذى تريده . فلجأت إلى فرض الغرامة اللازمة على الأمة . وكانت حتى ذلك العهد مترددة بين أمرين : إما أن ترفع الضريبة ، أو تزيد فى عدد الأوراق المالية . وكان من رأى دكتور شاخت زيادة الضرائب . ولكن رجال المال وأصحاب الأعمال أشاروا على الحكومة باجتناب هذه الطريقة لأن ماليتهم لم تعد تحتمل زيادة فى الضرائب على الإطلاق . وعلى ذلك فقد لجأت الحكومة إلى توسيع دائرة الأوراق المالية مع فرض بعض الضرائب . وكان من البديهى بعد ذلك أن ينحي دكتور شاخت عن منصبه ، إذ لا يتسنى للحكومة أن تترك مالية الدولة فى يد رجل رفع عقيرته بالاحتجاج عليها صراحة حين اعتزمت زيادة الأوراق المالية المتداولة

نحن لا نستطيع أن ننكر بحال من الأحوال أن السياسة المالية الجديدة قد جعلت المصارف على حافة الخطر ، وعلى الأخص مصرف التجنيب (التوفير)

إننا لا نشك فى فائدة التسليح ، ونود أن يكون لألمانيا استعداد حربى يفوق كل أمة على وجه الأرض ، ولا يمكننا أن ننصح لأصحاب الأموال بأن يسحبوها من المصارف إذ يصير من المتعذر على الحكومة أن تعقد قروضاً جديدة بعد ذلك ، ولكننا على العكس قد أصبحنا مضطرين تحت ضغط بعض الظروف والاعتبارات أن نمنع سحب الأموال من المصارف لتبديدها بغير وعى فى شئون الرفاهية والأهواء . فحياة الدولة كما يقول الفوهرر فى ثروتها . ونحن نعد أموال عملائنا من مالية الأمة ومرافقها العامة . فهى العمود الفقرى لتسليح البلاد . لذلك نستطيع أن نقول لكل إنسان فى ألمانيا دع أموالك لبنك التوفير

ألم الشعور بالوحدة

[عن « يور لايف الأمريكية »]

فى الحياة آلام كثيرة ، ومن أقسى تلك الآلام الوحدة والوحدة التى نعرفها بالانفراد ، تختلف كل الاختلاف عن شعور الإنسان بأنه وحيد . كل إنسان يميل أن يكون وحيداً فى بعض الأحيان . وقد يثير نفسه ويضجرها أن يكون قريباً منه أحب الناس إليه . والمرء ينشد الهدوء والعزلة فى بعض الأوقات ليفكر ويسترح ، ويبنى قصوراً فى الفضاء . إلا أن الوحدة تثلم القلب وتؤذيه وتؤدى إلى الكآبة ، وتحرك فى النفس أفكار السوء . والنفس الوحيدة تشعر على الدوام بأنها غريبة عن العالم مجفوة من بنيه ، ومن العجيب أن صاحبها يشعر بالوحشة وهو فى المدينة تعج بالملايين من السكان المحيطين به المجاورين لداره ، كما لو كان وحده وسط صحراء قاحلة لا صديق فيها ولا أنيس

ومما يثير فى نفوسنا شعور الوحدة ، كبت بعض الغرائز التى تريد الظهور ، ففى كل إنسان غريزة تدعوه إلى البحث عن رفيق من الجنس الآخر . وكبت هذه الغريزة يسبب له كثيراً من الآلام من الطبيعى ولا شك أن يكون الإنسان وحيداً ، ولكن الوحدة ليست من الأمور التى تؤخذ بالوراثة ، ولا من الغرائز التى لا يمكن التغلب عليها وتغييرها . فنحن لم نخلق فى هذه الحياة بهذا الضعف ، إن الظروف هى التى جعلتنا كذلك ، وفى وسعنا أن نغير هذه الظروف فلا نعود إلى احتمال آلام الوحدة بعد

ويختلف علاج الوحدة باختلاف الأشخاص والأحوال ، فبعضنا يعانى آلام الشعور بالوحدة حتى يتزوج ، وبعضنا يعانى الوحدة حتى يكون له أبناء . وبعضنا يؤنسه كلب صغير أو طائر جميل . وقد كان للمذياع فضل كبير فى معالجة هذا الداء عند الكثيرين ، كما أن للقراءة والأفلام المصورة فضلا يذكر فى هذا الشأن .

من هنا يتبين أن علاج الوحدة يختلف باختلاف الظروف والبيئات . فقد يكون لعصفور صغير فضل كبير فى معالجة إنسان من هذه الحالة ، وقد يكون للطبيعة فضل فى معالجة إنسان آخر . وقد يأنس بعضنا بمشاهدة حفلات الرقص ، وقد يأنس البعض بمشاهدة بعض المباريات الرياضية والاندماج فى غمار الناس

ومن واجب الشخص الوحيد أن يتعلم كيف يتصل بالناس ، وألا يضيق على نفسه كثيراً فى اختيار معارفه ، فإن الأمور يؤدى بعضها إلى بعض

ونحن نستطيع أن نقهر الظروف وأن نحكمها ، إذا قوينا غرائزنا وأفسحنا لها طريق المران . فإذا أخذنا بهذه الأسباب أتيحت لنا الفرصة للتغلب على أحوالنا ، فأصبحت تأتمر بما نريد .



تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

سبق لى أن وصفت الجزء الأول والثانى والثالث لذلك الكتاب من غير توسع ولا إفاضة فى الفحص عن المسائل المتناولة والتفصيلات المتفرقة فى البحث. واليوم أعدل عن الوصف المجمل إلى تعقب الفقر بعض التعقب. وقد وعدتُ الأستاذ بروكلن نفسه بذلك، ولا أدرى هل يصله هذا العدد من الرسالة وقد انقطع حبل البريد بين مصر وألمانية

يجرى الكلام فى الجزء الرابع على النثر فى مصر. وإليك أسماء الذين نظر المؤلف فى آثارهم: فرح أنطون، محمد ابرهيم المويلحى، المنفلوطى، محمد حسين هيكل، منصور فهمى، محمد عبد الله عنان، شبلى شميل، سلامة موسى، يعقوب صروف، فؤاد صروف، محمد تيمور، محمود تيمور، نقولا الحداد، محمد فريد أبو حديد، خير الدين الزركلى، الهلباوى، حسين شفيق المصرى، عبد الله حبيب، عبد العزيز عمر الساسى، توفيق الحكيم، طاهر لاشين، حسين فوزى. ثم عاد المؤلف إلى الكلام على أحدث ما أخرجه العقاد ومحمود تيمور بعد أن تناول هذا فى صدر الجزء الرابع وذاك فى الجزء الثالث. وهنالك طائفة من الكتاب لم يتمهل المؤلف عندهم بل قنع بذكر أسمائهم وإثبات كتبهم وتصانيفهم، والحق أن بعضهم، مثل ابرهيم المصرى، يستحق فوق هذا، وكان أولى به أن يشغل المحل الذى ظفر به بعض صغار الكتبة (أنظر مثلاً ص ٢٤١)

ولن أناقش هنا آراء المؤلف فى كتابه، فقد قلت من قبل إنى مرجىء هذا حتى تخرج الأجزاء كلها فينتظم سلك المناقشة وينبسط على ما تقدم وما تأخر. وإنما همى اليوم التنبيه على بعض الأوهام حتى يتمكن المؤلف من مراجعة ما فاته فى المستدرك الذى أخبرنى بأنه صانعه:

١ — رسم الكلمات العربية بالحروف الرومانية ورسم الأعلام الأفرنجية

ص ١٩٣: سياحة فى أرز لبنان — لا: عرز لبنان — ابن الشَعب — لا: الشِعب —

ص ٢١٤: مُقدمة السور من — لا مَقدمة

ص ٢١٧: أساطين العلم الحديث (لفؤاد صروف)، لا: أساطير

ص ٢٢٠: مَهْزَلة الموت، لا مُهْزِلة

ص ٢٢٦، ٢٢٨: مسامرات الشَعب، لا: الشِعب

ص ٢٢٨: مرقص فهمى، لا: مَرقوص

ص ٢٣٣: محمد عَوض، لا: عِوض

ص ٢٣٤: شِحاتَه عُبيد، لا: شحّاته

ص ٢٣٦: مصطفى الهلباوى، لا: الُهلباوى

ص ٢٤١: A. H. Paxton، لا: Baxton (وكان من المدرسين الإنجليز فى كلية الآداب عندنا)

ص ٢٤٣: Jean Giraudoux، لا: Grandoux (وهو المؤلف المسرحى الفرنسى لهذا العهد)

ص ٢٤٣: Morik Brin، لا: Maurice Berin (وهو الذى نقل إلى الفرنسية «شهر زاد» لتوفيق الحكيم)[1]

ص ٢٤٣: صلاح الدين ذُهنى، لا: ذِهنى

ص ٢٤٨: كوم حمادة، لا: حمّادة

ص ٢٦٦: رواية قَصصية، لا: قِصصية

٢ — بعض الواقعات

ص ٢١٥ و٢١٧: يجعل المؤلف لفؤاد صروف لقب دكتور ويقول إنه ابن يعقوب صروف، والوجه أن صديقى الأستاذ فؤاد ليس بدكتور وأنه ابن أخى يعقوب صروف

ص ٢٣٥: أدخل المؤلف خير الدين الزركلى فى كتّاب

(١) إنه يلوح لى أن الأستاذ بروكلن نقل هذه الأسماء الثلاثة عن مصادر عربية فالتبس عليه النطق فاختلط الرسم

مصر باعتبار الإقامة ، وهو من أدباء الشام أصلاً

ص ٢٤٠ : جعل المؤلف أحدهم مهندساً فى مصلحة السكة الحديدية وهو موظف صغير فيها

وبعد، فهذه مآخذ حقيرة الشأن لا تضير عمل الأستاذ بروكلن وهو جليل ، ولو كان الأستاذ يعيش بين ظهرانينا ما فاته مثل هذه الهفوات ، إلا أنه بعيد عن البيئة التى يكتب فيها ، أجنبى عن أهلها

بشر فارس

رجيع

أقول لصديقى الدكتور زكى مبارك إنى لم أقل « بوجوب إلقاء الشعر كما يلقى النثر » . فليراجع كلمتى الأولى والثانية (الرسالة ٣٣٠ ، ٣٣٢) يقرأ ما حرفه : « فإن الشعر لمهدنا هذا فى أوربة (وعنها نأخذ فن التمثيل) يلقى على المسرح كأنه نثر (إذاً : فى أوربة وكأنه) . وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها ... وخير من إنشاد البيت بتقطيعه وفصمه مصراعين والضغط على القافية الراجمة أن يُنشَد على حسب انسياب المعنى فى تضاعيفه » ثم « ومما يحق على الوزن أن ينتشر خفيةً فى تضاعيف البيت » . وعلى هذا فبيّن أن المحل الأول عندى فى إلقاء الشعر على المسرح للمعنى واللفظ وأما الوزن فليكن كالنغم الخفىّ يذهب ويجىء من وراء ستار رقيق . وأظننى بينت الأسباب التى من أجلها أغلّب إلقاء الشعر بحسب المعانى والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل . فهل أعود إلى التبيين ؟

وأما تهديد الصديق إياى من أجل ليلاه — حَفِظت لطبيبها المهدَا — فما أنشط له . ألا أعِدْ علىّ يا زكىُّ صروف ليالى باريس ونحن أيامها ، فقد لعمرى سئمتُ حياة الطمأنينة ومصر كلها اطمئنان . ألا « أطع رأسى عن كتفىَّ » ولا تخشَ بأساً فلا ليلى لى فتنوح علىّ . وهل تكون ليلى ، على مرضها، إلاّ لمثلك . يا للجمال والفتنة ووسوسة الشياطين ! وأعوذ بالله من شيطان غير رجيم . . . ب . ف

إلى مشيخة الأزهر ومشيخة المقارىء

ظهرت طبعة جديدة للمصحف الشريف بعنوان (التنزيل الربانى بالرسم العثمانى) قام بطبعها ونشرها عبد الرحمن محمد الكتبى بشارع الصنادقية بميدان الأزهر

وقد وقع فى يدى مصحف من هذه الطبعة ، فساءنى أن أجد بكتاب الله أخطاء منشؤها التهاون فى التصحيح والإهمال فى المراجعة ، كما سرنى أن أعلن للناس عنها ، ليصلحها كل من كان عنده مصحف من هذه الطبعة ذات الحجمين وإليك البيان :

ص ٩	س ٤	: ثم	والصواب : ثُم
» ٦٤	» ١٣	: الغيت	» : المنت
» ٨٧	» ٧	: حاءتهم	» : جاءتهم
» ٩٧	» ٤	: ادكر	» : اذكر
» ١١٢	» ١٠	: بطعمها	» : يطعمها
» ١١٢	» ١٠	: نشاء وزعمهم	» : نشاءبزعمهم
» ١٩٨	» ٢	: فيضلّ	» : فيضلُ
» ٢٤٩	» ١٥	: بومئد	» : يومئذ
» ٢٥٤	» ١٣	: ءابنى	» : ءايتى
» ٢٥٥	» ١٠	: أتننا	» : أتينا
» ٢٥٨	» ١	: أت	» : أنت
» ٢٥٨	» ١٤	: ميها	» : فيها
» ٢٦٠	» ١١	: بجدل	» : يجدل
» ٢٩٢	» ١٥	: علمه	» : عليه
» ٣٠٢	» ١	: ضللهم	» : ضللهم
» ٣٠٩	» ١٦	: من وضله	» : من فضله
» ٣١١	» ٢	: مالحسنة	» : بالحسنة
» ٣١٢	» ١٢	: ميهم	» : فيهم
» ٣١٤	» ٩	: هده	» : هذه
» ٣٢٠	» ١٣	: حلقكم	» : خلقكم
» ٤٢٤	» ٩	: ولا حان	» : ولا جان

هذه هى الأخطاء التى استرعت نظرى . ولا أقول إنها كل ما فى المصحف ، بل هى ما عثرت عليه فى فترات متقطعة . وكل ما نريده أن تتخذ مشيخة المقارىء وذوو الشأن الإجراءات لتصحيح هذا الخطأ وتلافى ذلك الأمر

عبد الحفيظ أبو السعود

فى كلية الآداب

قرأنا كلمة الدكتور بشر فارس فى العدد السابق من الرسالة تحت عنوان « فى كلية الآداب » . ولا ريب أن هذه الكلمة أصابت الهدف ونبهت الأذهان إلى أشياء إن كانت معلومة عند

أغلب الجامعيين إلا أنها خافية عن الجمهور الذى من حقه أن يكون مطلعاً على ما يجرى فى دوائر العلم والثقافة

وبهذه المناسبة يحضرنى أمران عن ذلك الدرس الأجنبى الذى قال فيه الدكتور بشر إنه « يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة » . الأمر الأول يتلخص فى أن كليـة الآداب كانت قد أخذت صورة فوتغرافية للترجمة العربية من كتاب « الارغانون » (منطق أرسطو) وهو مخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس. فلاحظ بعضهم أن الهوامش غير واضحة فى الصورة وكذلك كل ما هو مكتوب بالمداد الأحمر. فكلفت الكلية ذلك الدرس الأجنبى بأن يراجع الهوامش ويتمها فى باريس فى صيف ١٩٣٨ وصرفت له أجراً كبيراً لذلك ، والذى حدث أن هذا الدرس عاد من باريس بدون أن يقوم بما كلف به ، والدليل على ذلك أن كتاب أرسطو كان طول مدة صيف ١٩٣٨ — أى أثناء وجود ذلك الدرس الأجنبى فى باريس — بين يدى عالم مصرى عاد من باريس فى نهاية الصيف

أما الأمر الثانى فهو خاص بإعادة طبع كتاب « كليلة ودمنة » ، وتفصيل ذلك أن مطبعة المعارف كانت قد عزمت على إعادة طبع هذا الكتاب ورأت أن تعهد بمراجعته إلى لجنة مكونة من بعض كبار رجال وزارة المعارف . فسألت فى ذلك الدكتور بشر فارس فكان من رأيه أن تعهد بهذا العمل إلى رجال الجامعة لأنهم أدرى بفن مقابلة المخطوطات ومراجعة المصادر فى السريانية والفارسية ثم اللغات الحديثة واقترح للعمل أسماء : الدكتور طه حسين لكتابة المقدمة والمراجعة الأخيرة للأصل العربى والأستاذ عبد الوهاب عزام للمخطوطات الفارسية ، والدكتور مراد كامل للمخطوطات السريانية فضلاً عن استشارة المصادر الحديثة وبخاصة الألمانية . والذى حدث بعد ذلك أن الدرس الأجنبى حلّ محلّ الدكتور مراد كامل وإن كان الدكتور مراد كامل هو الذى يدرس اللغات السامية ومنها السريانية فى كلية الآداب

فهذان أمران يدلان على أن ذلك الدرس الأجنبى يحظى برعاية خاصة قد لا يحظى بها مدرس مصرى

(جامعى)

يوميات نائب فى الأرياف للأستاذ توفيق الحكيم

نقل هـذا الكتاب إلى الفرنسية الأستاذان جاستون ڤيت وزكى محمد حسن، وقدم له صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا ونشرته (مجلة القاهرة) الفرنسية ، وقد كتب عنه الناقد الأدبى لمجلة (مريان) فى أحد أعدادها الأخيرة ما يأتى :

« قرأت فى سرور عظيم (يوميات نائب فى الأرياف) للسيد توفيق الحكيم . وهى صورة حية للريف المصرى تغلب على أكثرها الفكاهة وتظهر فى بعضها القسوة . رسمها رجل من رجال الضبط القضائى الذين لا يستطيعون أن يقفوا عند الألفاظ بحكم وظيفتهم . فبرز هذا العالم الصغير على صفحات الكتاب فى خفة عجيبة وجلاء باهر . وفى الغالب ينسى القارئ الفكرة الإصلاحية التى حركت الأستاذ توفيق الحكيم حتى ليتمنى أن يبقى كل شىء فى هذه المجموعة الإنسانية على حاله ما دامت بهذا الإمتاع والغرابة . ولكن من المؤكد أن كثيراً منها سيتغير .

إن المؤلف إذا لم يقنع بالألفاظ فإنه لا يعضنها أيضاً . ومع ذلك فإن الذى يبقى فى ذاكرة القارئ هو شعبية الحادث وطبعية الملاحظة واطراد السياق . إن الأستاذ توفيق الحكيم هو لا شك كاتب مطبوع . وهو يكتب ليرشد وينقد ويعلن ، وليسامحنى إذا أضفت إلى ذلك أنه يكتب أيضاً لمجرد الرغبة فى الكتابة »

حول الأمير شكيب أرسلان

. . . قرأنا ما نشرتموه فى الرسالة عن عطوفة مجاهد الإسلام الكبير الأمير شكيب أرسلان نقلاً عن إحدى الصحف اللبنانية. والصواب هو أن الأمير يقيم فى جنيف وقبلها فى لوزان منذ أعوام كثيرة يدافع عن الإسلام والأوطان العربية ، ولما عاد إلى سويسرا بعد زيارته لمصر اقتضت ظروفه أن يزور ألمانيا لشأن يتعلق بمنزل يمتلكه فى برلين منذ عشرين سنة ، والبيت مرهون الآن ومحجوز عليه . وبعد أن سوى مسألته على وجه عاد إلى جنيف ليصوم رمضان فى بيته بين عائلته . وآخر أخبار الأمير الجليل أنه كان فى أواخر رمضان فى مدينة زوريخ السويسرية لزيارة صديقه القديم صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا ، وقد بلغنا أن الأمير يفكر فى ترك أوربا والسكنى فى الحجاز إلى أن تنتهى الحرب والسلام عليكم .

عربى

صدى صوت من ألف عام

أشكر للأستاذ النجار نصحه وتنبيهه ، فقد دلّ فى استهلال حديثه على براءة نقده ونزاهة قصده . أما ما نشرت من شعر الأمير تميم فى مساجلة ابن المعتز العباسى ، فما كان يسمى ، وأنا أنشر

الأنواع المختلفة من شعر تميم أن أهمل نوعاً منها ، لأنه يتناول خلافاً سياسياً لا وجود له عند أحد من الناس ، ولا عند الأستاذ النجار أيضاً .

وقد نشرت فى هذا العصر عشرات الكتب وفى طليعتها عصر المأمون وبهذه المطبوعات الحديثة شعر يؤيد العباسيين وشعر آخر فى هجائهم والطعن عليهم ، فلم يوجه مثل هذا النقص الذى لو وجه إلى كل مؤرخ لبطل التاريخ من أساسه ، أو اتهم المؤرخ على الأقل بإثارة الفتنة أو انتحال دين الأمة التى يؤرخ لها وقد تكون وثنية . وأنا حين أكتب عن الفاطميين لا أستطيع أن أهمل شأناً من شؤونهم ، فلسنا فى عصرهم ولا فى عصر منافسيهم . وكتمان الحقائق العلمية خوفاً من فتنة موهومة من شأنه أن يطمس آثار العلوم ويضلل الأذهان ويترك باب الفوضى مفتوحاً للأراجيف الباطلة التى شاع بسببها سوء الظن وانتشرت دواعى الفرقة بين شعوب الإسلام لجهل بعضهم ببعض .

ثم إنى أعتب على الأستاذ تناوله موضوع الأخوة الإسلامية فى موضوع كتبته أنا بصفتى الشخصية ، ولم أذكر فيه الجماعة ، ولا أنى أحد أعضائها . فأرجو أن لا يغيب عن الأستاذ ولا عن غيره أننى حين أتناول الأدب أو التاريخ أو الفلسفة لا أكتب لحساب الجماعة ولا لغيرها ، بل أكتبه للحق وللواجب .

محمد حسن الأعظمى

مصر فى أفريقيا الشرقية للدكتور محمد صبرى

الدكتور محمد صبرى مدير الثقافة والنشر علم من أعلام مصر فى فقه التاريخ وأصول الأدب . شغل الأذهان وملأ الأسماع حيناً من الدهر بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه . ثم اعتكف منذ أعوام فى دور الكتب ودواوين السجلات فى مصر وفى أوربا يجمع النصوص، ويطلب الوثائق، ويستخرج الدفائن، ويسأل الآثار، حتى اجتمع له عن تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر ما لم يجتمع لغيره . ثم توفر على تحرير هذا التاريخ فى عمومه وخصوصه بعدة المؤرخ الموهوب والقارئ المتتبع والكاتب المحلل ؛ وهو فى أثناء ذلك يفرد النقط المهمة بالتصوير الخاص والنشر المستقل جلاء لغامض أو تحقيقاً لفرية أو استنباطاً لعبرة . ومن تلك الموضوعات الخاصة التى أراد الأستاذ أن ينشرها تحديداً للذكرى « التى تنشر الأمل وتحفز الهمم وتجرف قوى الاضمحلال البادى فى وجه الدولة وفى كل عضو من أعضائها » كتاب مصر فى أفريقيا الشرقية : هرر وزيلع وبربرة .

وهو كتاب لطيف الحجم أنيق الطبع رائق الأسلوب ، ألم فيه الدكتور بتاريخ هذه البلاد واستعمار إسماعيل لها وتاريخ الحكم المصرى بها، معتمداً فى ذلك على ما لم ينشر من مخطوطات قصر عابدين ومحفوظات وزارة الخارجية الإنجليزية وعلى ما نشر من المطبوعات الأوربية فجاء الكتاب حقيقاً بعبقرية الكاتب خليقاً بثقة القارئ

الطفل من المهد إلى الرشد للأستاذ محمد خلف الله

هو كتاب جديد فى العربية ، يتناول موضوعاً طالما شعر الآباء والمعلمون والمشتغلون بشئون التربية عامة بحاجتهم إلى كتاب فى العربية يتناوله على أسلوب من البحث العلمى يكشف لهم السبيل ويحدد لهم النهج فى دراسة الطفل دراسة نفسية تعينهم على ما هم بسبيله من شئون التربية

وإذا كانت أكثر المصادر فى مذاهب التربية وعلم النفس أوربية لا يتأتى لغير الدارس المتخصص أن يلم بها إلماماً يعينه على القصد ؛ فإن لنا أن نزعم أن كتاب (الطفل من المهد إلى الرشد) هو محاولة موفقة لتعريب هذا الفن

على أن فائدته إلى ذلك لا يستغنى عنها أحد من رجال التربية، فإن فيه جهداً شخصياً يطبعه بطابع مؤلفه ويرفعه منزلة فوق كثير من الكتب المنقولة إلى العربية فى هذا الفن . وحسب القارئ أن يعلم أن مؤلفه وضعه أول ما وضعه بالإنجليزية بعد دراسة تسع سنين وتقدم به إلى جامعة لندن فمنحته به درجة الأستاذية فى علم نفس الطفل

خطاب العرش من الوجهة الأدبية

[بقية المنشور على صفحة ٢١٨٠]

ويقول خطاب العرش :

« ومما تطيب له النفس أن الأمة متعلقة بعرشها » .

فهل يظن أن هذا مما يُنص عليه ؟

إن تعلق الأمة بالعرش لا يحتاج إلى هذا النص ، لأنه من البديهيات ، ولأنه ليس من موضوع الخطاب .

ويقول :

« كان لا بدّ من السير بسفينة البلاد في يقظة وأمن وحذر »

فما موقع كلمة « الأمن » بين اليقظة والحذر ؟ لعله كان يريد كلمة : « الإيمان » أو « العزيمة » أو « الثقة » ولم يسعفه التعبير بما يريد .

ويقول بعد أن أشار إلى وجوب العناية بإصلاح جميع المرافق :

« فلا يجدى والحالة هذه أن نعدد برامج الإصلاح في الوزارات القائمة » .

فما معنى « الوزارات القائمة » ؟ وبأى حق يكون تعدد برامج الإصلاح شيئاً « لا يُجدى » ؟

إن خطاب العرش يريد أن يقول : إن المقام مقام إجمال لا مقام تفصيل؛ ثم ضاقت به العبارة عما يريد ، فرأى تعديد برامج الإصلاح من الفضول !

ويقول في إعادة إنشاء المجلس الأعلى للتعليم : إن الغاية منه أن « تتحقق مصلحة البلاد العليا التي يجب أن تعلو على كل مصلحة أخرى » .

فما موقع كلمة « كل مصلحة أخرى » ؟ وما الموجب للنص عليها في هذا الخطاب ؟

ويقول :

« وإن حرصنا على الدفاع عن أرض البلاد واستقلالها لا يحده حد ولا يدركه وهن » .

وعبارة « لا يدركه وهن » لا تخلو من وهن !

ويقول :

« إن تعاوننا مع حليفتنا سيكون أكبر رائد لنا في العمل »

ونحن حلفاء الإنجليز ، ولكن لا ينبغى أن نقول إن ذلك التحالف أكبر رائد لنا في العمل ، لأن لنا إرادة ذاتية هي رائدنا الأكبر في السلم والحرب

***

بقيت مسألة على جانب من الأهمية وهي سكوت خطاب العرش عن الحياة الأدبية في هذه البلاد

العمال موضع اهتمام ، والفلاحون موضع اهتمام ، والجنود موضع اهتمام ، كل شيء في مصر موضع اهتمام في خطاب العرش إلا الأدب والأدباء ، فكيف جاز ذلك ، أيها الناس ؟

إن خطاب العرش يتمدّح بما وصلنا إليه في توثيق الروابط الأدبية والثقافية بيننا وبين الأمم الشرقية

فهل يذكر خطاب العرش أن أدباء مصر هم الذين رفعوا القواعد من تلك الروابط ؟

وهل يرى الشرق مصر إلا في مرآة الآداب والفنون ؟

إن الأدباء هم سفراء الثقافة المصرية في الشرق ، فكيف يكثر على منشئ خطاب العرش أن يشير إليهم بكلمة تشجيع وهو يتحدث عن صلات مصر بأمم الشرق ؟

إننا نعتب على رؤساء الحكومات المصرية أشد العَتْب ، فلكل هيئة من الهيئات حظ من الرعاية والتشجيع ، إلا جماعات الأدباء والباحثين الذين يُقذون أبصارهم تحت أضواء المصابيح ، فهم وحدهم المنسيُّون ، مع أنهم يحملون أكثر الأعباء ، ويؤدون للأمة وللدولة أعظم الخدمات ، وبأعمالهم تظهر خصائص الشعوب

أين حظ الأدباء من ألقاب التشريف ودعوات التشريف في المواسم والأعياد ؟ وأين الوزير الذي يقترح رتبة لموظف أو غير موظف باسم المواهب الأدبية ؟ بل أين من يعرف أن أدباء مصر رفعوا اللغة العربية مكاناً علياً لم تعرف مثله في عهد بني أمية وعصر بني العباس ؟

إننا نرفع هذا الصوت إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول راجين أن يضع سُنّةً جديدة في تشجيع الأدب والأدباء تضاف إلى مآثره الغُر في عهده السعيد

زكي مبارك

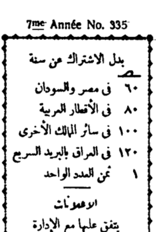
7me Année No. 335 — Lundi - 4 - 12 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

جسومنا وعقولنـــا

بين الصحة والمعارف

إذا عجبت من أن تقوم فينا وزارة المعارف قرناً ونيفاً ثم يظل ثمانية أعشارنا أميين، فإن أعجب العجب أن تقوم فينا وزارة الصحة زهاء هذا العمر المبارك ثم لا يزال تسعة أعشارنا مرضى !

ولا تحسبن ذلك لأن شعبنا بِدْعٌ من الشعوب هواه فى أن يجهل ومزاجه فى أن يمرض ؛ فإن الله لم يخلق إلى اليوم إنساناً يكره المعرفة ولا حياً يرفض السلامة . إنما السبب الأول فى هاتين الظاهرتين الخاصتين بهذ البلد أن القائمين على ثقافته والمسئولين عن سلامته قد حصروا همهم فى الديوان، وقصروا جهدهم على الشكل، فلم يشغلوا ذرعهم إلا بالتعيين والنقل والترقية والميزانية والدرجات والامتحانات والتقارير والتجارب والدسائس ، ولم يكلفوا أنفسهم النظر من نوافذ المكاتب الرسمية إلى هذا الشعب الذى يعيشون عليه ويعملون له ، فيضعوا سياستهم على مقتضيات حاله ، ويرسموا خطتهم على دواعى حاجته

* * *

أما الحديث عن ماضى المعارف وخيبتها فى كفاح الجهالة وتبعتها من هذه الخيبة، فقد جف من تكراره المداد والقلم، فلندعها فى ذمة الرجلين العظيمين النقراشى والسنهورى ، فعلى استقلالها فى الرأى

الفهـــــرس

يُعقد الرجاء، وبإخلاصهما في العمل تُناط الثقة؛ ولنمض في الحديث عن وزارة الصحة فقد راعنا أن يتخطفنا الموت اختصاراً وعلى حراستنا جيش من الأطباء له المستشفيات المنشأة على آخر طراز، والمعامل المجهزة بأحدث جهاز، والصيدليات المزودة بأندر الأدوية؛ وأصبحنا كلما رأينا القرى والقبور تكتظ بضحايا البلهرسية والأنكلستوما والطحال والملاريا والبلّغرا وداء الفيل ننكر الواقع ونفكر ونطيل التفكير، ثم نسأل ونكثر السؤال: هل في مصر وزارة للصحة؟ وهل في وزارة الصحة أطباء؟ وهل لأطباء الصحة ضمائر؟ ولا تكفيني الإبانة عن آراء الناس، فإنك تستطيع أن تسأل هذه الأسئلة فيكون لديك من الأجوبة عنها ألوف مختلفة الصيغ والأساليب في التألم والتهكم والاتهام والشكاية والزراية والضغينة واليأس. ثم تسمع عن المستشفيات الحكومية في حواضر الأقاليم شجوناً من أحاديث الإهمال والقسوة والفوضى وغير ذلك مما تمسك عن ذكره محافظة على ما بقي فيها من الثقة.

ولكنني أحد الذين جُنِّدوا في جيش الإصلاح وفُرض عليهم أن تكون أقلامهم عارية كالسيف، وأصواتهم عالية كالمدفع، وألسنتهم صريحة كالحق، فأنا أروى لك حال قريتي في وراثة المرض، ونصيب قريتي من وزارة الصحة؛ وحظ قريتي من الأدواء والأطباء هو حظ كل قرية: هي جزيرة من الأكواخ والحظائر في مستنقع وخيم من مصافي المزارع؛ نمت على عفنها وأسنها جراثيم الأمراض المتوطنة فجعلت كل وجه في صُفار الخوف، وكل جسم في هزال الجوع، وكل حي في همود الموت. وقطعت مراحل عمرها الماضي على هذه الحال الشديدة، لا يزهر فيها شباب ولا تثمر بها كهولة. ولم يكن لمصلحة الصحة يومئذ إلا شبه طبيب في المركز لا تراه القرية إلا إذا انتشر وباء أو وقعت جناية. وعمله كله مع حلاق القرى: يصرح لهم بدفن الموتى من بُعد، ويكلفهم جلب المرضى إلى عيادته من قرب؛ وعلاجه قائم على البركة والتوكل: ماء من الترعة القريبة يشتمل على عقّور مسهل. فلما صارت هذه المصلحة وزارة أرادت أن يكون لها كالوزارات عمل، فأنشأت المستشفيات الثابتة والمتنقلة، ودرست الأمراض الوافدة والمستوطنة، وقررت تطهير القرى بقتل الأمراض وردم المناقع. وكان من نصيب حاضرتنا مستشفى، ومن حظ مركزنا طبيب. فأما الطبيب فقد عجز عن ردم البركة لأن مالكها الباشا لا يريد، وإذا لم يرد الباشا وجب ألا يريد الناس، لأنه يملك الخراف والسمن والفاكهة والكلمة المسموعة. وأما المستشفى فقد دعا القرويين إلى طبه فأهرعوا إليه من كل طريق. وأمحى طبيبه على الأذرع الذابلة بالحقن المنيف، فخشع الداء، وتنبهت العافية، وشعر الفلاح أن في (الاسبتالية) رجاء وفي الطب منفعة، فازداد وفود المرضى على المدينة حتى شَرِقت الشوارع وغص المستشفى وضاقت المساكن. فلما وثق الطبيب من الإقبال جعل منزله عيادة خاصة، وسلط أعوانه على المرضى ينفرونهم من المستشفى، ويرغبونهم في العيادة، حتى أشاعوا أن الطبيب يحقن هنا بالماء، ويحقن هناك بالدواء. وأخذ هو يقسو في المعاملة ويهمل في المعالجة ويشتط في القبول، حتى اشتد على الناس الأذى، وخرجت بهم الأخرجة، وكثرت فيهم الوفيات، فانقطعوا في دورهم مفضلين الموت البطيء الهادئ على الموت السريع المضطرب. وعادت الجراثيم الطفيلية ترتع في الكلأ الآدمي المباح، فلم يبق في القرية من لم يخامره داء. ثم انتشر من استفحال البلهرسية داء الطحال فانتفخت البطون واصفرت الأطراف وثقلت الجوارح، فمات به الأكثرون، ولاذ بعض الأقلين بالقصر العيني يرجون استئصال الداء بالجراحة؛ وقد سمعوا أن أساطين الطب من أساتذة الجامعة هم الذين يتولون الفحص ويزاولون العلاج ويباشرون العملية، ولكنهم حين دخلوا لم يجدوا إلا أطباء كأولئك الأطباء، ونظاماً كذلك النظام، ومعاملة كتلك المعاملة. أما بقراط وجالينوس وابن سينا فقد اتخذوا من (القصر) عنواناً ومن (الكلية) وظيفة. فهم يحضرون - إن حضروا - ساعة من النهار، فيقابلون أطباء الامتياز، ويحادثون طلاب الطب، وغاية المقابلة أو المحادثة إشارة أو عبارة، ثم ينقلبون سراعاً إلى عياداتهم أو مستشفياتهم يعملون فيها بقية النهار وطرفاً من الليل بصبر الفقير إلى الناس، وعزم الكادح لنفسه

* * *

هذه حال قريتنا في عهد من العهود وكل القرى المصرية على هذه الحال. وإن الناس لينسجون حول المستشفيات الرسمية من الحوادث والأحاديث ما لا يجرؤ القلم على روايته مهما شجع. ولعل في هذه الإشارة ما ينبه أولي الأمر في وزارة الصحة إلى شدة الحساب ودقة المراقبة؛ فإن الاعتماد في كفاح المرض على التقارير والدفاتر والأرقام، أشبه بالاعتماد في كفاح العدو على رسم المعارك في الورق وكسبها بالكلام!

احمد حسن الزيات

مع أبي العلاء في سجنه

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال صديقنا الدكتور طه حسين فى تبيين مقصده من كتابه هذا : « وستقول فإنك إن مضيت على هذا النحو لم تقدم إلينا كتاباً فى البحث العلمى ولا فى النقد الأدبى ، وإنما تتحدث إلينا عن صديق ! وهذا حق ، فإنى لا أقدم إليك كتاباً فى البحث العلمى عن أبى العلاء ، ولا فى النقد الأدبى لأبى العلاء ، ولعلى قدمت إليك من ذلك ما فيه مقنع ، وإنما أتحدث إليك عن صديق لا يرجى نفعه ولا يتقى شره ، ولا يصدر المتحدث عنه إلا عن الحب المبرأ من الرغب والرهب ومن الطمع والإشفاق . أفتراك تكره مثل هذا الحديث ؟ ألم تسأم هذه الأحاديث الكثيرة التى تمتلئ بالبحث العلمى والنقد الأدبى والتى تكتب ابتغاء لرضى الأصدقاء واتقاء لسخطهم . . . ؟ »

وقد أحسن الدكتور القصد ، وأحسن التعريف . فكتابه حديث المرء عمن يحب لمن يحب . وأراه مذكرى أحاديث الآباء عن أبنائهم الأعزاء : كيف يضحكون وكيف يبكون ، وكيف يخطون وكيف يتعثرون ، والسامع يرتاح إلى الإصغاء إن كان ممن يعنيهم أمر أولئك الأبناء ، فأما إن لم يكن منهم فإلى غيره يساق الحديث ، وليس من حقه أن يلوم المتحدث كما ليس من حق القارئ الذى يطلب الهندسة أن يلوم المؤلفين الذين لا يكتبون كتابة المهندسين

وأنا ممن يحبون أبا العلاء وممن أطالوا قراءته فى أول عهد الشباب ، وما أحسب أحداً من الشبان المشغولين بالأدب لم تمض به فترة معرية فى باكورة كفاحه حين تصطدم أحلام الصبا بمتاعب الدنيا وتجارب الأيام ، فهناك يروقنا التشاؤم ويعجبنا من يعيبون لنا الحياة . ثم نخرج من هذه الربقة فنعاودها معاودة الحنين إلى تلك الباكورة المشتهاة ، ونقرنها بذكرى الشباب وذكرى الأحلام ، ونعطف عليها كما يعطف الرجل الجلد على بكاء طفولته وهى لا تستوجب بعض ذلك البكاء . فما زلت أعتقد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى . فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء ! وليس الحزن قدرة بل هو انهزام أمام قدرة . . . أما الفرح فهو القدرة والانتصار .

والدكتور طه لفرط حبه أبا العلاء يتهم نفسه بمحاباته فيقول : « قل إنى أوثر أبا العلاء وأحابيه وأرضى منه أشياء لا أرضاها من غيره فقد لا تخطئ ولا تبعد ، وأظننى نبهتك إلى ذلك فى أول الحديث ، وقلت غير مرة إنى لا أملى كتاباً فى البحث العلمى ولا فى النقد الأدبى ، وإنما أسجل خواطر أثارتها فى نفسى عشرة أبى العلاء فى سجنه وقتاً ما »

فمن المصادفات العجيبة أننى حابيت أبا العلاء على نحو قريب من هذا النحو ، ولكنى لم أسمها محاباة بل قلت إنها هى الإنصاف المعقول فى قياس الأقوال بالقائلين ، وعبت من نصحونا بأن ننظر إلى ما قيل لا إلى من قال ، فكتبت قبل ثلاثين سنة فى مذكراتى التى جمعتها باسم « خلاصة اليومية » أنها قاعدة لا يصح إطلاقها على كل حال . فالكلمة تختلف معانيها باختلاف قائليها ، وكلمة مثل قول المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجـ ... ـب إلا من راغب فى ازدياد

يؤخذ منها مالا يؤخذ مما تسمعه فى كل حين بين عامة الناس من التذمر من الحياة وتمنى الخلاص منها ، لأننا نثق بأن المعرى مارس الأمور الجوهرية فى الحياة ودرس الشؤون التى تكون منها عذبة أو مرة ، نكداً أو رغداً ؛ ولم يسبر منها أولئك العامة إلا ما يقع لهم من الأمور التى لا تكفى للحكم على ماهية الحياة

فكلانا إذن يسمع القول من شيخ المعرة فيعجبه ، ويسمع القول نفسه من غير الشيخ فلا يحظى عنده بذلك الإعجاب . لكن صديقنا الدكتور يسميها محاباة ومجاملة لصديق ، وأنا أجرى فيها على سنتى الغالبة فى كل شىء من التوفيق بين الحجة والعاطفة فلا أبرح بالعاطفة حتى أقنع بها عقلى وأثبت له أنها جديرة بإقراره وترخيصه ، فيعيش العقل والعاطفة معاً فى وئام ، وأخلص بهذا مما يقع بينهما من ملام وصدام

وشىء آخر أخالف به الدكتور أو يخالف فيه طريقتى طريقته فى صداقة أبى العلاء

فأنا لا أذكر أننى كرهت أحداً أحبه أبو العلاء ، أو أحببت أحداً كان هو من كارهيه

أما الدكتور فيعلم ما كان فى نفس صاحبه من الحب والإكبار لأبى الطيب ثم يقول : « أنا أقدر فن المتنبي وأعجب ببعض آثاره إعجاباً لا حد له ، وأعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعاً إن صح أن يتواضع الإعجاب ، وأمقت سائرها مقتاً شديداً ، ولا تثير حياة المتنبي فى نفسى إشفاقاً عليه ولا رثاء له ، وإنما هو منافس طلب مالم يخلق له ، وتعرض لما كان يحسن أن يعرض عنه فانتهى إلى ما ينتهى إليه أمثاله المنافسون »

ترى ماذا كان المعرى قائلاً للدكتور لو سمع منه هذا المقال ؟ أخشى أن تكون وقيعة بين الصاحبين وإن كنت لا أخشى أن يعود الشيخ إلى استحسان قصيدة أبى الحسين التى مطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

لأن الشيخ يعلم أن الدكتور لا يكره أبا الحسين كراهة الناقص للكامل ويستشفع له بشفيع من طيب النية وصدق الولاء

والحق أننى أعجب لهذا النفور بين الدكتور وشاعرنا العربى الكبير ، وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله ولكنى أزن ما زاده فى ثروة الآداب العربية وما زاده فى شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه فأعلم أن الحياة لم تفسد بفساد المتنبي وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره ، وأن لأصغر الملافيت من خلق الله لسيئات أكبر من سيئات المتنبي بكثير واحتملتهم الدنيا مع ذاك ... أفتحتمل الدنيا هذا من أصغر الملافيت ولا تحتمله من الرجل الذى لو قبلنا حسناته بألف ضعف من سيئاته لكنا نحن الرابحين ؟

هنا أيضاً أعود إلى العاطفة والحجة وأحسبنى أقرب من الدكتور إلى وفاق الصداقة بينى وبين شيخ المعرة ، وأقرب إلى الإنصاف

***

أهذا كل ما أخالف به الدكتور من رأى أو هوى فى حديثه عن صديقنا المظلم ؟

كلا ! بل هناك خلاف وخلاف ، وأكثر من خلاف وخلاف

هناك قول الدكتور تعقيباً على كلام الأديب الفرنسى بول فاليرى فى المصور ديجاس : « المجيب الذى لم أكن أتوقعه ولا أفترضه أن كثيراً من صفات هذا المصور الفرنسى الذى كنت أسمع اسمه وأجهل من أمره كل شيء تشبه ما ألفت وأحببت من صفات أبى العلاء. فشدة الرجل على نفسه إلى أقصى غايات الشدة، وشك الرجل فى مقدرته إلى أبعد آماد الشك ، وارتياب الرجل بأحكام الناس فى أمور النفس ، وزهد الرجل فى الشهرة وبعد الصيت، وفى الثراء وسعة ذات اليد، وانصرافه عن الحمد الكاذب والثناء الرخيص ، وتأجيله لذة الظفر بالفوز ، وخلقه المصاعب لنفسه وبغضه للطرق القصار والأبواب الواسعة ، وإيثاره الطرق الطوال والأبواب الضيقة — كل هذه الخصال التى يحدثنا بها بول فاليرى عن صديقه وأثيره ديجاس قد حدثتنا بها القرون والأجيال عن أبى العلاء ، إلا أن الأول كان مصوراً رساماً والآخر كان شاعراً حكيما ... »

أفصحيح أن المعرى وديجاس شبيهان فى خليقة واحدة لأنهما على نفسيهما صارمان ؟

هنا قسوة وهناك قسوة ، وهنا تعذيب وهناك تعذيب ، ولكن أين قلق الفنان فى سبيل الخلق من قلق الناسك فى سبيل الإحجام؟ أين تعذيب الجواد بالسوط لينبعث ويسبق من تعذيب الجواد باللجام ليسكن ويكف عن الوثوب ؟ أين اللزوميات وهى قيود ، من « الأمبرشنالزم » وهى انطلاق من القيود ؟ أين رياضة الفقير المندى المتقشف من رياضة الحسناء بالتقتير على جسدها فى الشراب والطعام لتزداد جمالاً على جمال ونشاطاً على نشاط ؟ أين الزهد فى المال انصرافاً إلى الغنى من الزهد فى المال انصرافاً عن الدنيا ؟ إن الفرق بين تعذيب وتعذيب ليبلغ أحياناً من السعة أبعد مما بين النعيم والعذاب ، وهكذا كان الفرق بين صرامة المعرى وصرامة ديجاس

***

وثمة خلاف غير هذا الخلاف بينى وبين الدكتور فى حديثه عن صديقنا القديم

فالدكتور ينقل شذرة من فصول المعرى وغاياته يقول فيها :

« يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجارى دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشى إلى الغرض على هامته ، وأن يقرن بين النيروسنير حتى يُريا كفرسى رهان »

ثم يعقب الدكتور على هذه الشذرة فيقول : « أما أنا فما أشك فى أن أبا العلاء قد قصد بهذا الفصل خاصة إلى رأى من أشد

الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً وهو إنكار العلة الغائية وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التى نعرفها نحن ونزعم أن الأشياء قد خلقت لتحقيقها »

وعندنا نحن أن سماع الإنسان بيده أو شمه الروائح بمنكبه لا ينفى العلة الغائية ، لأن الوسيلة والغاية هنا موجودتان ، ولم تختلف إلا الوسيلة التى تتحقق بها الغاية

وأصوب من هذا أن يقال إن رأى المعرى شبيه برأى المعاصرين الذين يقولون: « إن الوظيفة تسبق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة »

فإذا وجدت الرغبة فى الحركة أو فى هضم الطعام وجدت الأعضاء التى تتكفل بأداء هذه الوظيفة على اختلاف الأشكال والأوضاع فى أجناس الحيوان

وللشاعر الإنجليزى « كولردج » على ما أذكر كلة فى مصور عظيم يقول فيها : « إنه لمصور ولو خلق بغير ذراعين » مريداً بذلك أن التصور وظيفة قبل أن يكون عضواً من الأعضاء ، فلو خلق المصورون بغير أذرع لخلقت لهم وسائل أخرى لإبداع ما لا بد أن يبدعوه

* * *

وقال الدكتور يخاطب أبا العلاء :

« ... أنت لا تعرف ماباريس وما أظنها قادرة على أن تصرفك عن حزنك وتشاؤمك ، بل أنا واثق بأنك لو عرفتها لأمعنت فى حزنك وتشاؤمك كشأنك حين عرفت بنداد . أما أنا فإن باريس تصرفنى عن الحزن والتشاؤم وتثير فى نفسى لذات عقلية ليست أقل من هذه اللذات التى أجدها فى الحديث إليك والحديث عنك ، وهى على كل حال تزعجنى عن سجنك الذى كنت أود لو أطيل المقام فيه . ومن يدرى لعلى أسأم لذات باريس فأفزع منها إليك من حين إلى حين . فليكن وداعى لك الآن موقوتاً ولأقل لك فى لهجة المحب المشفق الوامق : إلى اللقاء »

فالدكتور واثق بأن أبا العلاء لن يكون فى باريس إلا كما كان فى بغداد

فما باله أراد منى أن أجعل أبا العلاء يرى فى باريس ما يراه السامحون ، ويقول فيها ما يقوله أولئك السامحون ؟

فى هذه أنا أيضاً أقرب إلى وفاق الصداقة من الدكتور أنا ذهبت إلى باريس بالخيال فأخذت إليها صاحبى بالخيال ، والدكتور طه ذهب إلى باريس حسًّا وخيالاً فأبى على صاحبه الزمالة وهتف به : ... إلى اللقاء ؟

وما أردت علم الله أن أوغر صدر الشيخ على صديقنا الدكتور أو أن أظفر بنصيب من الحظوة عنده فوق نصيبه ، ولكننى أحببت الحديث عن الشيخ ولم أحبب أن يكون تكريراً وإعادة تبطل بها متعة الحديث . فليكن خلاف وكان خلاف ! ! وإنما هو اتفاق فى حب التحدث عن صاحبنا المحبوب

عباس محمود العقاد

أبو كلثوم الوفدي !

للدكتور زكي مبارك

ما كنت أنتظر أن أجد في « شبرا » ما رأيت هذه الليلة .

فشبرا حيٌّ صخّاب لا مثيل له في الحركة والضجيج بين أحياء القاهرة . هو في الأصل من الضواحي الهادئة الوادعة المجمَّلة الشوارع بأشجار الجمّيز والتُّوت ، ثم تحوّل في مدة قليلة إلى محلة مزدحمة بالتجار وأرباب الأعمال

كانت سهرة هذا المساء في منزل صديق عزيز يسكن تلك المحلة ، وكانت السهرة مثقلة بالحديث عن مشروعات وزارة المعارف ، فلم يكن فيها جانب واحد من جوانب الهدوء والصفاء

ومن عيوب رجال التعليم في مصر أنهم يحملون شواغلهم في كل مكان ، حتى لنحسب أن تلك الشواغل هي كل ما يملكون من زاد الحديث في سهرات الأندية والبيوت . . . لطف الله بكم يا زملائي !

وزاد في عنف الجدل أن معالي النقراشي باشا كان تحدث مع جريدة المقطم في أشياء تفتح المجال للنظر والتأمل ، وتقدم للمشتغلين بالتعليم فرصاً كثيرة لحركة الأفكار والعقول

وأردت أن أخرج قليلاً من ذلك الميدان الذي كنت أركض فيه وقت الصباح ، ونويت أن أتخلص من شواغله وقت الليل ، فاقترحت أن تتفضل « روحية » فتقرأ علينا حديث النقراشي باشا بصوتها الذي يشبه بُغام الظباء ، وأنا أرجو أن أحوّل تلك المعضلات التعليمية إلى مشكلات وجدانية

ولكن روحية تلحن حين تقرأ ، واللحن من مثلها لا يغتفر : لأنها طالبة بإحدى كليات الجامعة المصرية ، ومن البعيد أن أطرب لكلامها الملحون ، فقد كان المقام مقام تعليم ، ولم يكن مقام تشبيب ، وإن كنت قصدت أن يُفيض صوتها على ذلك الموضوع الجاف نفحةً من نفحات الوجدان

فهل غيرتني الأيام حتى صرت أعدُّ اللحن من ذنوب الملاح ؟!

معذرةً ، ياروحية ، فإن عمك نقله الزمان من حال إلى أحوال !

* * *

خرجت مكروب الصدر أفكر في أشياء وأشياء ، ولكن القمر طالعني بوجه أصبح وهّاج ، فنظرت إليه برفق وحنان ، وكدت أنسى ما في الصدر من هموم وأثقال . . . والشعراء كالأطفال ينسون أشجانهم الفوادح في لحظات !

قال رفيقي : أين تقع هذه الليلة من الشهر ؟

فنظرت في المقطم على نور القمر فرأيتنا في مساء اليوم الثالث عشر من شوال ، فقلت : هذه ليلة البدر ، يا رفيقي !

وما هي إلا لمحة حتى كان المذياع يصافح آذاننا بجلجلته من منزل بعيد فهرعت إليه وأنا مأخوذ ، فجذبني الرفيق من يدي وهو يقول : إن لم يكن بد من السماع فارجع بنا نسمع المذياع في البيت ؟

فقلت : أريد أن أسمع مع قوم لا يعرفون وزارة المعارف ، ولا يفكرون في المناهج ، ولا تهمهم مصاير التلاميذ !

وقفت أسمع كما وقف ابن عبد ربه يسمع منذ أكثر من تسعة قرون ، ولم أخف مما وقع لابن عبد ربه ؛ فقد طردوه بأسلوب قبيح حين رموه بجرة من الماء ليحرموا أذنيه ألحان الغناء !

ثم نظرت فرأيت الدنيا حولي تذكر بمحلة الصدرية في بغداد. هي والله محلة الصدرية بمنازلها المنثورة بلا نظام ولا ترتيب ، وفي ثناياها نخلات طوال تخيلتُها نُقلتْ من هناك

قال رفيقي : إن المذياع في بيت ليس فيه ضياء

فقلت : إنه يغنّي أهل البيت في لحظة صفاء

فقال : ألا يكون من الأدب أن ننصرف ؟

فقلت : ومن الخير أن أرجع إلى داري لأكتب كلمة عن أبي كلثوم الوفدي، فقد تذكرته حين رأيت في شبرا صورة الصدرية في وطن الأهل والأحباب، إن بَقِيَ لي في الدنيا أهلٌ وأحباب!

* * *

فمن هو أبو كلثوم الوفديّ ؟

هو أبو كلثوم : لأنه مفتون كل الفتون بأغاريد أم كلثوم ، وهو يهذي بها في كل وقت

وهو وفديٌّ : لأنه حقًّا وصدقًا من أشياع الوفد المصري ، وهو يهفو إليه في كل حين

فمن هو أبو كلثوم الوفدي الموزع القلب بين القاهرة وبغداد؟

هو الأخ العزيز الأستاذ محمد باقر الشبيبي أحد الشعراء المجيدين في العراق

وما كان باقر الشبيبي أول من فتن بأغاريد أم كلثوم ، فقد فتن بها الزهاوي والرصافي والبناء ، ولهم في الهيام بأغانيها قصائد جياد، وربما جاز القول بأن أم كلثوم شغلت جميع شعراء العراق، فمن النادر أن تمر أغانيها هناك بلا تشوف . وقد زاد الاهتمام بأم كلثوم عند أهل العراق بعد أن عرفوا أن حنجرتها مسروقة من الحمامة الموصلية التي تقيم بإحدى نوافذ المنارة الحدباء

لم يكن باقر الشبيبي أول المفتونين بأغاريد أم كلثوم ، ولكن هيامه بها قد اتصل بنزعة نبيلة هي الجزع من الانشقاق الذي وقع في الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية أعضاء

في تلك الأيام ذهبت أم كلثوم لزيارة بغداد فاستقبلها الشاعر بخفقة من القلب والروح وهو يهتف :

على الشاطئ صيداحٌ هنيئاً لك يا دجله
سأرعى النجم للصبح وأحيي الليل في الحفله
فأهلاً ظبية النيـل ومرعى جارة الرمله
وبوركتِ على السير وهُنّئت على الرحله

هنيئاً لكِ بغـدادُ فهذي أم كلثوم
من الغيد الأعاريبِ أتتنا ، لا من الروم
لقد أحيتْ لياليكِ بتغريد وترنيم
فعذراً فرحة النفسِ إذا قصّر تكريمي

أعيدي السجعَ والصدحَ وغنّينا إلى الفجرِ
فهذي الأنجمُ الزُّهرُ مُطلّاتٌ مع البدرِ
فغنّي أروع الشعرِ وصُوغيه من السِّحرِ
فمن تحرك للثغرِ ومن ثغرك للنحرِ

أطِلّي بنت فرعونٍ على المسرح واللعبْ
ورفقاً ربّة الصوتِ بأحشائيَ أن تُنهبْ
فأنت الكاعبُ الرُّودُ فما الظبيُ وما الرَّبرب
خذي روحي إلى مصرٍ فمصرُ الوطنُ الأقرب

ثم تثور النزعة الوفدية في صدر الشاعر فيصيح :

سـلي قلبي عن الحبِّ فقد ذاب من الوجـد
فكم لابَ على الروض وكم حام على الوردِ
سليني شاحبَ اللونِ فمن سُهدٍ إلى سُهدِ
خـذي قلبيَ للوفدِ فإني في الهوى وفدي

ولم يكتف « وفديُّ الهوى » بهذه الزفرة ، بل انتقل إلى انشقاق الوفد وهو يصرخ :

عجبنا أمَّ كلثوم من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفدُ ؟ ومن ذا بيّتَ الأمرا ؟
ألا مَنْ يجمع الشَّملَ ؟ ألا من يطرد الشرّا ؟
خُذي حِذْرك يا مصرُ وردّي الكيدَ والمكرا

وتوجع الشاعر لما صار إليه سعادة الأستاذ محمد نجيب الغرابلي باشا فقال :

رأيت الخصمَ جذلانَ بما جَدَّ من الْخُلف
أحقًّا فصَلَ الوفدُ « نجيباً » وهو في الصف
فهذا الحادثُ البِكرُ أرانا موطنَ الضعفِ
إلى الوحدةِ يا مصرُ إلى الإشفاقِ والعطفِ

* * *

نُظمتْ تلك القصيدة في مثل هذه الأيام من سنة ١٩٣٢ فهل كانت آخر زفرة من زفرات الأستاذ باقر الشبيبي في التشوق إلى أم كلثوم وإلى الوفد المصري ؟

إليكم هذا الخبر الطريف :

في بواكير الربيع من سنة ١٩٣٨ اجتمع نادي القلم العراقي بمنزل سعادة الدكتور فاضل الجمالي ، وكانت الجلسة برياسة معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكانت الكلمة يومئذ للأستاذ عبد المسيح وزير ، فما الذي قال ؟ أخذ يقرأ قصة من قصصه ، فاشتركت مع الأستاذ عباس العزاوي في السخرية من خياله الجميل!

وعند نهاية القصة طلبتُ الكلمة لأحاسب « القارئ » ، ولكن معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي خشيَ عاقبة الهجوم على الأستاذ عبد المسيح فاقترح ترك التعقيب ، ثم قال إن عنده موعداً وانصرف

واستؤنفت الجلسة برياسة الدكتور الجمالي فقلت : إن معالي الرئيس أغلق باب التعقيب لأنه مشغول ، وهو قد انصرف ، فأنا أطلب الكلمة من جديد ، ثم قلت : إن الغرض هو إلقاء محاضرة ، لا قراءة قصة ، فكيف جاز للأستاذ عبد المسيح وزير أن يحبسنا ساعة لنشهد طريقته في التلاوة؟ فقال الدكتور عقراوي: الأصل أن يُلقي العضو محاضرة ، ولكن ما الذي يمنع من أن يقرأ شيئاً من آثاره الأدبية ؟ إن الأدب هو الأصل والتعليق عليه هو الفرع ، فالقصة كالقصيدة لونٌ من الأدب الصِّرف

وقال الدكتور الجمالي : فليكن هذا تقليداً جديداً من تقاليد نادي القلم العراقي ، ومن حق الشعراء من أعضاء نادي القلم أن ينشدوا بعض قصائدهم في الجلسة المقبلة، وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكي مبارك ، فقد سمعت أنه شاعر ، وله ديوان

فقال الدكتور عقراوي : ولا يُشترط أن يكون الشعر جديداً ، فالدكتور مبارك شاعر مُقِلّ ، وعليه واجبات في دار المعلمين العالية قد تعوقه عن نظم قصيد جديد

وبهذه المحاورة نجا الأستاذ عبد المسيح من لساني ، وما كاد ينجو ، مع أنه أبو إيناس

* * *

أنا شاعرٌ مُقِلّ ؟

هذا صحيح، ولكن كيف ألقى نادي القلم العراقي بقصيد نظمته منذ سنين ؟ وكيف أضيع الفرصة فلا أقرع أسماع بغداد بقصيد جديد ؟ ومضيت وأنا أحاور شيطاني فنظمت قصيداً (في أحد عشر ومئة بيت) عنوانه :

« من جحيم الظلم في القاهرة إلى سمير الوجد في بغداد »

وأنشدته في الأسبوع التالي بالرستمية . فقال معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي : كيف استجزت يا دكتور قتل هذه الشاعرية ؟ فقلت : قتلها التأليف ، وهو يشغل الفكر عن الغناء

وصاح الأستاذ رفائيل بطي : أين الشاعر الذي يجيب الدكتور مبارك ؟

فقال الدكتور الجمالي : سيجيبه الأستاذ باقر الشبيبي حين نجتمع في منزله بالزوية في الأسبوع المقبل، إن شاءت الشياطين !

واجتمعنا بالزوية في مساء مقتول النسيم ودجلة تصغي إلينا في تودد وترفق ، والإخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي ، فهتف البلبل :

وفاء بعهدي أو نزولاً على وعدي … وقفت أحيّي معشري وبني ودي
وقفتُ أحيّي عصبةً عربيةً … بها نستبين الرشد حقاً ونستهدي
فأهلاً بكم في روضة الحب والصفا … وأهلاً بكم عند المسرّة أو عندي
وهيجني في الرستمية شاعرٌ … به مثل ما بي من أنين ومن سُهد
به من هوى ليلى رسيسٌ من الهوى … وبي لهب لا ينطفي من هوى هند

وما كاد يصل إلى هذا الحد حتى حدثني القلب بأنه سيتحدث عن أم كلثوم والوفد لأن القافية دالية، فقلت: أراهن أنك ستعلن انضمامك إلى الوفد ! فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ، ثم مضى يقول :

وذكّرني عهد الصبا في نشيده … سلامٌ على عهد الصبا في رُبا نجد
هواه على أجراف دجلة وافدٌ … وأما هوى قلبي فللنيل و«الوفد»

فصاح الأعضاء : صحّت فراسة الدكتور مبارك في « الوفد » فهل تصح في « أم كلثوم » ؟ فمضى الشاعر في النشيد :

فلا تحسبوه شارد اللب وحدهُ … ولا تحسبوني سادراً في الهوى وحدي
صريعَ الغواني ، لا تلمني فإنني … صريع أغاني أم كلثومَ لا دعد
سلام على تلك الأغاريد إنها … أغاريد من وحي الصبابة والوجد

* * *

أما بعد فهذا حديث أبي كلثوم الوفدي ، أعزه الحب ورضيتْ عنه العروبة المصرية والعراقية ، فإن كنتُ فضحتُ هواه فلا يلمني « فإني في الهوى وفدي » وربما صرحتُ فقلتُ إني شيوعيٌّ في الحب : فلي صبابات تغرّب فتصل إلى باريس ولواحق باريس، وتشرّق فتصل إلى بغداد ولواحق بغداد من حواضر العراق ، وهل تركتني دمشق وبيروت بلا عقابيل ؟

إنّ حالي لعجيبٌ … ما يُرَى أعجبُ منهُ
كلُّ أرض لِيَ فيها … غائبٌ أسأل عنهُ

زكي مبارك



أعرابي في المدينة

الأعرابي والشعر الحديث

للأستاذ علي الطنطاوي

أتاني منذ يومين (صُلَبي)، فقال لي:

هل أنت من المَعْنِيين بالشعر والأدب؟

قلت: نعم، فماذا عندك؟

قال: نعمة ساقها الله إليك، إن أنت أضعتها يوشك ألا تلق مثلها يدَ الدهر

قلت: فاذكر لي ما هي، فإني أرجو ألا أضيعها

قال: أتعرف (السوالم)؟

قلت: نعم، جمع تكسير...

قال: لا والله ما هم بجمع تكسير، إنهم أكرم من ذاك، هم والله جمع مبارك

قلت: إنما أردت الكلمة...

قال: كلمة ماذا؟ إنها قبيلة كانت متوارية في رملة من رمال (عالج) لا يدري بها أحد ولم يكشفها إلا حكم الإمام عبد العزيز أطال الله عمره، فعرفها العرب وعرفوا فيها العربية البرأة من العجمة، والبلاغة التي ما وراءها بلاغة، والنبرة الصافية التي إن سمعتها فإنما سمعت كلام سحبان، أو خالد بن صفوان...

قلت: ولكن ما أبعدك يا رملة عالج!

قال: بل ما أدناك يا شارع الحلبوني، ألا تعرف دار الباشا؟

قلت: القنصلية السعودية؟

قال: بارك الله فيك. إن شيخ السوالم نازل فيها وقد هبط دمشق ليلة دمشق، وهو أول (سالمي) يهبطها بعد إذ فارقتها قبيلته

قلت: متى فارقوها؟

قال: صبيحة الفتنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد، الملك المظلوم الذي عبث خصومه بتاريخه، فقوّلوه ما لم يقل، ونسبوا إليه ما لم يفعل، وروى هذا العبث مؤرخون هواهم عليه وميلهم مع أعدائه... وأدباء معاصرون لا يبالون ما يروون

قلت: إنك لتذكر تاريخاً قديماً!...

قال: هو ما قلت لك. غير أن (الشيخ) لا يحب أن يلق أحداً، وقد حذروه قوماً يقال لهم أهل الصحف، يفضحون الناس: ينشرون من أسرارهم ما يطوون، ويعلنون من أخبارهم ما يسرّون، ليسألوا بذلك من يشتري منهم هذه الصحائف، فاحتل للقائه بحيلة...

قلت: وأنى لي الحيلة؟

قال: سمعت أن ها هنا عالماً جليل القدر يقال له الشيخ بهجة البيطار، لو أقسم على (الإمام) لأبرّه، ولو قال لسمع منه، وما كان الباشا ليرد له طلباً، وإننا إن قصدناه أوصلنا إلى (الشيخ). أفلك به معرفة؟

قلت: لي به معرفة؟ أقول لك هو أستاذنا وصديقنا ثم إننا إذا لم نلقه سرت بك إلى مَن مكانته عند (الإمام) مثل مكانته أو أعلى، الزعيم العالم المصلح الشيخ كامل القصاب رئيس علماء دمشق، ومدير معهدها العلمي

قال: إنه رئيسكم الذي...

— فقاطعته وأنا أقول: رئيسنا، ولكني لست من العلماء!

قال: وله؟ أو أنت إذن من الجهلاء؟

قلت: إن علماءنا (يا صُلبي) لا يقبلون فيهم من كان مثلي، مخلوع العذار، محفوف اللحية والشاربين، يمشي في الطرقات حاسراً، ولا يرون الرجل عالماً إلا إذا اتخذ عمّة طولها ثلاثون ذراعاً، ولحية لا تقصر عن مدّ قبضة، واتخذ جبة تَسَع معه اثنين آخرين، ويُصنع من كمها وحده جبة ثانية...

— فضحك صلبي وقال: ولكن هذه الكتب ما ألّفتها الأكمام ولا العمائم، وهذا العلم ما جاءت به اللحى... أفلا يعلم أصحابك هؤلاء أن العلم دماغ وقلم ولسان؟

* * *

وتفضل أستاذنا البيطار فسعى لنا بجاهه عند الباشا (القنصل) حتى جمعنا بـ (الشيخ) فإذا هو فوق ما وصف لنا، وإذا لسان مبين ولغة معربة وحديث كأنك تقرأ في البيان والتبيين أو في عيون الأخبار. ولقد خضنا معه كل بحر، وعرجنا على كل منزل، فسألته عن الشعر واستطلعت رأيه في جديده، وسأله أستاذنا عن مسائل من اللغة والنحو، وعرض عليه أشياء من تمحلات النحاة وغلاطاتهم، فأجاب بأسدّ جواب وأحكمه، فما كان أعجب من سؤال الأستاذ إلا جوابه، وما تقول فيهما إلا الأصمعي يشافه بلغاء الأعراب من أهل زمانه...

وإني مثبت هنا طرفاً من حديثه في الشعر، بكلامي أنا، لا ببيانه هو، فما استطعت حفظ ما قال بحروفه. ولعلي راجع يوماً فراو حديث النحو، أو لعل الأستاذ البيطار يرويه بنفسه ليعلم

القراء أننا نصف مجلساً قد كان حقاً ، لا نتخيل ولا نبالغ . . .

* * *

قلت له : كيف أنت والشعر ؟

قال : أما ما قالت العرب فإني أرويه كله لا أخرم منه شيئاً ، وأما ما قال المحدثون بعد إذ فشا اللحن فى الأمصار وعمت (فيما بلغنا) العجمة فلا أعرفه ، ولا أرضى لنفسى روايته ، لأن أصحابه أفسدوا على العرب ديوانهم ، وجاءوهم بما ينكرون من القول

قلت : ولكنك رجل عادل حصيف ، أفلا تسمع قول هؤلاء المحدثين قبل أن تحكم عليهم ؟

قال : بلى والله ، إنى سامع فأنشدنى

فنظرت فكأن الله محا الشعر كله من قلبى إلا أبياتاً لأبى تمام فى وصف الربيع ترويها التلاميذ . فأنشدته إياها وفى ظنى أنه لا رضى عنها ، لأنها ليست مما ألف ، ولو أنشدته لغير أبى تمام أو أنشدته لأبى تمام غيرها ، لكان ذلك أدنى إلى رضاه ، ولكن ماذا أصنع وقد نسيت كل ما جاوزها من الشعر ؟ قلت :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالأنواء غيث ظاهر لك وجهه والصحو غيث مضمر

فرأيته قد طرب لها طرباً لم يخفه وصفق بدأ يبدى من الإعجاب وتمايل فقلت وقد قويت نفسى : كيف سمعت ؟

قال : لقد أحسن وجاء بما لم يسبقه إليه سابق ، وما أحسبه يلحقه فيه فيدرك شأوه لاحق . لقد عرف الناس ثلجاً يذوب ، فأذاب لهم الصحو حتى سال ماء ، ثم عاد فجعل الصحو من طراوته كأنه يمطر ، فلم يخلهم فى المطر من صحو ذائب ، ولا فى الصحو من مطر . ثم أصّل وفرّع ، فجعل من الغيث ظاهراً ومضمراً ، وما يكون مضمر إلا وثمة ضمير ، ولا ضمير إلا فى حى ، أفلا تراه كيف أسبغ الحياة على الجماد ؟

قلت : هذا مذهب فى الشعر يعرفه أهل زماننا ويحسبون أنهم ابتكروه ... يعطيك صورة جميلة ولكنها ليست بينة الحدود ولا واضحة المعالم ، فأنت تستمتع فيها بكشف المجهول ، وهو لعمرى أصل الآداب ، وأقوى الغرائز ، ثم تملأ فراغها بعواطفك وتجمل حدودها من أفكارك ، فتكون كأنك صغتها لنفسك ، وتفهم منها ما لا يفهم سواك

قال : هذا شىء ما أعرفه ولكنى لا أعيبه ، ولقد طربت لما سمعت منه ... قلت : أفلا أسمعك من شعر أهل زماننا ؟

قال متعجباً : وإن لأهل زمانكم لشعراً ؟

قلت : ولم لا يكون ؟ إسمع مقطوعة من حديث الشعر لشاعر اسمه فياض ، قالها على لسان المتنبى أكبر شعراء العرب كأنه يعلمه بها كيف يكون القول

قال : هذا لعمرى النبوغ ، فماذا قال ؟ قلت : قال :

جسدى النازل من شهوته سلم العار وروحى الساميه
يا لعمر مشيا فيه معا

فوثب كمن داس على جمرة ، أو لسعته عقرب ، فأمسك بفمى فسكت فزعاً وقلت : مالك ؟

قال : ما هذا ؟ قلت : شعر جديد !

قال : أعوذ بالله (جسدى النازل من شهوته) ؟ وهل كانت شهوته جبلاً عالى الذرى ، أو قصراً شامخ الدعائم حتى ينزل منها ؟ وإلى أين ينزل ؟ وهل بعد الشهوة منحدر ، أو دونها منزل ؟ وما (سلم العار) ؟ هل هو جسده ؟ فكيف صار سلماً ؟

قلت : لعله أراد أن جسده ينزل على سلم العار ، أى ينحط فى درك العار بسبب شهوته التى ركبت فيه ، فما استقام له طريق القول ؟

قال : برئت من العربية إن كان هذا يفهم من كلامه ، إننا نعرف (ينزل فلان) إذا كان عالياً وهبط ، و (ينزل البلد) إذا سكنه ، و (ينزل بالقوم وعليهم) إذا حل فيهم ، و (ينزل من الجبل) إذا كان قد صعّد فيه ، و (ينزل إلى الوادى) ، و (ينزل على الدرج) ولا نعرف (نزل السلم) إلا إذا قام فيه ، كما يقيم المرء فى المدينة ، ثم إن السلم يصعد عليه من يكون على الأرض ، فأين كان هذا حتى نزل على السلم ؟ هل ولدته أمه على المنارة فنشأ فيها ، ثم بدا له فنُصب له (سلم العار) لينزل عليه ؟

قلت : أو لا تسمع سائر المقطوعة ؟ قال : لا والله

قلت : ولكنه ألقاها على ملأ من الأدباء والشعراء فى سوق من أسواق الأدب فى دمشق ، كان أقامها أديب من أدباء تنوخ اسمه عز الدين بن علم الدين ، فسمعوها وارتضوها وما رأينا فيهم من أنكرها عليه

قال الأستاذ البيطار : لقد كنت حاضر السوق وسمعتها ولكنى لم أرتضها ولا ارتضاها صديقى أبو قيس

قال الشيخ : ومن أبو قيس ؟

قلت : هو التنوخى الذى حدثتك عنه ، وهذه كلها أسماؤه وله غيرها . قال : ما أكثر ماله من أسماء !

قلت : وما أكثر ماله من فضائل وحسنات ، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى

قال: هذا صحيح ! قلت: أتحب أن أقرأ لك من شعر شوقي ؟

قال : أسمع اسماً منكراً !

قلت: نعم، ولكن له شعراً معروفاً. إنه الذي يقول في الأزهر:

قم في فم الدنيا وحيّ الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع ملياً واقض حق أئمة ... طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا
كانوا أجلّ من الملوك جلالة ... وأعز سلطاناً وأفخم مظهرا

فاستوى جالساً ، وقال: لا جرم أنه شعر معروف ، هذا هو الشعر لا ما سككت به سمعي آنفاً ، هذا هو الشعر . لقد أنطق أعظم ناطق وهو الدنيا ، وأسمع أجل سامع وهو الزمان ، وجعل مدح الأزهر جوهراً، وهذا لعمر الحق أكبر مما صنع امرؤ القيس حين وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ... ثم وصف أئمته بخير ما يوصف به علماء ، سموٌّ كالنجم ونور كالنجم ، وهدى كهدى النجم ، وعلم كالبحر وهم بكثرتهم كماء البحر ، ولو شئت لكشفت عن تحسين معنى مستتراً وراء قوله (طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا) زدني من قوله . .

فمضيت في القصيدة حتى بلغت قوله : (يا معهداً أفنى القرون جداره) فترنح طرباً ، وأعجبته صورة هذا الجدار ، وهو قائم في وجه القرون كالصخرة المهولة ترتد عنه القرون كليلة عاجزة ، ثم تفنى وتضيع كما ترتد الأمواج عن الصخرة ثم تذهب وتضمحل والصخرة راسية ما ذهبت ولا اضمحلت

واستزادني من شعره فأنشدته قوله وهو لم يبلغ العشرين :

صوني جمالك عنا إننا بشر ... من التراب وهذا الحسن روحاني
أو فابتغي فلكاً كوني به ملكاً ... لا تنصبي شركاً للعالم الفاني

فهزّه الطرب هزاً وقال : إن الشعراء يقولون ولكن مثل هذا ما يقولون . إنهم وصفوا حسن المرأة وجمالها ، ولكن لم يستطيعوا أن يرفعوها فوق الناس وأن يجعلوها من طينة غير طينتهم ، وأن يبرئوها من مادة التراب حتى تخلص لصفاء الروح ثم يجعلوها ملكاً يسكن السماء . إني لأعجب لكم ! ... عندكم هذا الشاعر ولا تفاخرون به شعراء الأرض ؟

* * *

ثم قرأت عليه من شعر حافظ فأعجبه ولكنه قال :

هذا من عيار وذاك من عيار ، ولست أسوّي بينهما . إن الأول عبقري إمام، وهذا مقلد ذو بصيرة، وسبّاق ذو وثبات.

قلت : إن الناس كانوا يسوّون بينهما أو يقاربون يوم كانا حيّين ، والأحياء مقاييس من صداقة أو عداوة ، ولهم صفات يحبون من أجلها أو يبغضون : كخفة الروح وبسطة الكف وحسن المجالسة . فلما ماتا ولم يبق إلا موازين الأدب بدأ الناس يدركون أن بينهما بوناً شاسعاً وأمداً بعيداً

ثم أسمعته لكثير من الأحياء فلم يعدل (بأحمد محرم) و (بشارة الخوري) أحداً وفضلهما على كل من ينظم اليوم شعراً ، وأعجبه غزل (رامي) ، وأنس بجزالة شعر (البارودي) وحسن ابتكار (صبري) . وقرأت عليه من أشعار الشاميين ، فقدم (الزركلي) واستقلّ شعره وعجب من سكوته الآن ، لأن الشاعر عنده من ينظم أبداً لا ينقطع حتى ينقطع عن نفسه سيل العواطف ويجف منها معين الحسّ . ومن يقول مثل شعر الزركلي الوطني الذي يسيل منه الدمع ، دمع القلب ، لا يمكن أن ينضب ينبوعه. وقد كره قصيدته (العذراء) ورأى فيها ضعفاً في التأليف بيّناً . وأعجبته جزالة شعر (محمد البزم) ولكنه رأى ألفاظه أجزل من معانيه ومفرداته أمتن من جمله ، وأخذ عليه قوله :

إذا كان من أسدى لك الشر هيناً
فقل لي أبيت اللعن من أين تثأر

وقال إن العرب تقول أسدى إليه يداً ولا تنطق بها في الشر ، أما قوله (أبيت اللعن) فإقحام لا معنى له ، لأنها كلمة كان يخاطب بها ملوك الجاهلية وقد بطلت ، فأيّ ملك من ملوك الجاهلية يخاطب ؟ وأخذ على (مردم) قوله في نشيده :

سماء لعمرك أو كالسماء

ورآه سبكاً مقلوباً ، وكان ينبغي أن يقول هم كالسماء بل هم سماء ، وكره منه قوله في مطلع النشيد :

حماة الديار عليكم سلام

وقال بأن تنكير السلام بجمله أشبه بلغة مستعربة الروم يعني عمال الفنادق في الإسكندرية، وأعجبه شعر (مردم) الوصفي التصويري أما (الشعر الجديد) كشعر الرمزيين ، والمهاجرين ، فلم يفهم منه إلا بعض مفردات من ألفاظه ولم يعدده شعراً ولا كلاماً عربياً !

وقد استمر المجلس ساعات طويلة ، ومال الحديث فيه على من يتلقى العربية اليوم على أبناء باريز ، من أمثال الإمام اللغوي أبي جُرَيْجَةَ الشيخ مارسيه أصمعي العصر ... وكان مجلساً نادراً ما قمنا منه إلا ونحن كارهون . نتمنى لو أنه يمتد بنا أسبوعاً ... وخرجنا وقد امتلأ وطابنا علماً وفوائد ، هذا طرف منها وإنه (طبق الأصل) بشهادة أستاذنا الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار .

علي الطنطاوي

من وراء المنظار

بيني وبين كتبي

ضقت بالكتب حتى لأخشى أن ينقلب هذا الضيق قطيعة ليس بعدها صلة . والحق أني حائر في تعليل هذا الضيق الشديد ، وأنا الذي ظل الكتاب زماناً مبعث أنسي وبهجتي ، فلا أمله إذا قعدت ، ولا أدعه إذا خرجت ، كأنما كان صار ضرورة كالهواء الذي أتنفسه ، فلا تقوم حياتي إلا به ، أو كأنه على أقل تقدير بعض ملابسي فلا أستطيع أن أبرح منزلي إلا وهو معي ، بل كثيراً ما خيل إلى رفاق - كما حدثوني - أني أستغني عن أي شيء ولا أستغني عن الكتاب ، وإن لم أفتحه فيا بينهم إلا دقائق معدودات

أيكون مرد هذا الضيق إلى ما تبعثه طول الألفة من السأم ؟ أم يكون مرده إلى أن الكتب وقد صارت عندي درساً وملهاة قد شغلتني عن كثير من متع هذه الحياة ؟ . . . فأنا أصدف عنها كيلا أنسى نصيبي من الدنيا فأحرم من زينة الله التي أخرج لعباده ؟ . .

ولكنني لا أرتاح إلى هذا التعليل ولا إلى ذلك . ففي نفسي مما ينغص الكتب إلى نفسي ما هو أعظم خطراً مما ذكرت ! . . . فلقد استحوذ على لبي خيال ، لا أدري إن كنت فيه مخطئاً أم مصيباً : وهو أن الكتب على طول صحبتي لها لم تعلمني شيئاً مما ينبغي لي أن أعلمه عن هذه الحياة ، ولا يزال هذا الخيال يوسوس إلى أني إن لبثت بعد ذلك بين كتبي ، فمصيري أن ينقطع ما بيني وبين هذا الوجود . . . ولا تحمل أيها القارئ كلامي هذا على المبالغة أو المزاح ، فلو شئت لجئتك بألف دليل على أن لي العذر فيا أقول . وحسبك أن الكتب قد بينت لي كثيراً من أصول الفضائل وقواعد الخلق ؛ فلما أتيح لي أن أتبين ذلك في سلوك من أخالط من الناس ، وجدتني في حيرة مما تقول الكتب ، وأنكرت أكثر هؤلاء الناس وأنكروني ، ولا شك أنهم رموني بالغفلة والحمق كما رميتهم بالضلال والسفه . وحسبك أن كثيراً من ذوي قرباي ومن خلاني الأدنين ، قد سخروا مني أكثر من مرة سخراً كان ينال من نفسي بعض الأحيان ، حتى لأهم بالغضب منهم والثورة عليهم ؛ فهم يتهمونني بالغفلة إذا جادلتهم في أمر كما أرى ذلك في أعينهم ، وكما تفسره لي ابتساماتهم التي يطلقون بها على كلامي إذا خشوا أن يسيئوا إلي بألفاظهم . وكان مما يزيد تبرمي بهم أنهم يظنون بي الحمق بينما أعتقد أنا وفق ما علمتني الكتب أنهم هم بما يبدون من آراء أكبر الحمقى . ولقد يصارحني من يجد نفسه في مأمن من غضبي — إما لكبر سنه ، وإما لسمو مكانته عندي — أن عيبي الأساسي هو أني رجل خيال ، أو بعبارة أصح رجل كتب لا أدري شيئاً مما تقوم عليه الحياة بين من يفهمون الحياة ، وهو — كما ترى — سب ولكن على صورة « ذوقية » إن جاز اصطناع الذوق في السب ، وإلا فما الفرق بين هذا وبين قولهم : إني جاهل غر مثلاً ؟

وأكثر من ذلك لقد كان مرد كثير من أخطائي في معاملة من تربطني بهم صلة العمل الذي أكسب قوتي منه إلى جهلي بطباعهم ، أو قل إلى جهلي بمبادئهم . ولطالما سبب لي ذلك كثيراً من العنت . . . فأنا على حق إذا تدبرت ما تقول الكتب ، وأنا على باطل إذا قست ما يصدر عني بأقيستهم . وأنا لا أدري أأسير طوع الكتب فلا أفرغ من الخصام والحرب وإن أرحت ضميري بذلك ، أم أسير وفق تعاليمهم فأكسب الهدوء والسلام

وكادت تقل ثقتي بنفسي لما رأيت شبه إجماع ممن أخالط على إنكار مسلكي ، حتى لقد وقفت أحياناً أسأل نفسي : أأنا الغر حقاً ، أم أنهم هم الأغفال الأغرار ؟

لذلك طويت كتبي زمناً ورحت أتعلم مكر الناس لا لأمكر مكرهم ، ولكن لآمن منهم فلا يكون سبب كثير من متاعبي . ونظرت من وراء منظاري ورحت أتدبر فزادتني هذه التجربة اعتقاداً بأن الكتب جنت علي بقدر ما قدمت من قواعدها إلي . . .

وما لبثت أن رأيت منظاري يقع على كثير مما أصبت فيه الدرس ، حتى لقد أصبحت أشبه نفسي بأولئك الفلاسفة الأقدمين الذين لم يأخذوا فلسفتهم من الكتب ، وإنما أخذوها من الحياة !

وليت لي مثل بصيرة هؤلاء . . . إذاً لأفدت من العلم من وراء المنظار ما لن يأتيني من جميع ما في دار كتبنا العظيمة من كتب ، ولكن لا ضير أن أنظر وأن أطيل النظر ، وأن أدور بمنظاري هنا وهناك في المدينة وفي القرية ، في القصر وفي الكوخ ، في « الدواوين » ، وفي الطرقات والمتاجر والمنتديات ودور اللهو ، وفي الحقول وعلى المصاطب وفي الأسواق ، وفي غير ذلك جميعاً من نواحي هذا المضطرب الواسع ، أو هذا المسرح الهائل الذي تمثل عليه الحياة . ولعل طول النظر وتنوعه يعوض على ما فاتني من العلم فيا تصرم من سني عمري بين أوراق وكتبي .

« عين »

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

ذكرت فى المقالين السابقين آراء بعض الفلاسفة والمربين ومعلمى البيان فى الفروق السيكلوجية ، وأشرت إلى أنهم طبقوا نظرية الفروق السيكلوجية فى الحياة العملية . فقد بنى أفلاطون نظام التربية فى المدينة الفاضلة على هذه النظرية ، كما وجه فيتو رينو دافلترى تلاميذه إلى الدراسات التى يصلحون لها بطبعهم ، وأوصى روسو أن تترك لأميل حرية اختياره العمل الذى يتفق وميوله الفطرية

غير أن هؤلاء الفلاسفة والمربين قد استنبطوا آراءهم استنباطاً من الملاحظة العامة لتصرفات الأفراد وسلوكهم ، فلم تكن إذاً هذه الآراء علمية مبنية على التجربة والبحث الاستقرائى ، وذلك طبيعى لأن علم النفس ما أصبح علماً مستقلاً بالمعنى العلمى إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وأعنى بذلك أنه اتبع فى دراسة موضوعاته التجربة والإحصاء والطريقة الاستنباطية Inductive method ذات الخطوات الأربع :

١ — ملاحظة الظواهر المختلفة للنوع الواحد فى موضوع البحث

٢ — جمع المتشابه من هذه الظواهر

٣ — اقتراح بعض الفروض لشرح هذه الظواهر وتعليلها

٤ — إجراء بعض التجارب لإثبات صحة الفرض أو الفروض المقترحة

ولم يعن علماء النفس بموضوع الفروق السيكلوجية إلا فى الربع الأخير من القرن الماضى. على أن دراسة الاختلافات البشرية بين الأفراد دراسة منظمة ، وقياس هذه الاختلافات ، وتحديد آثارها لم تنشط إلا فى القرن العشرين

ويعتبر فرانسيس[1] جولتن أول من بحث موضوع الفروق الفردية بطريقة منظمة Systematic مبنية على الإحصاء . ومن الحق أن نذكر أن دارون[1] هو الذى مهد السبيل له — ولغيره ممن عُنوا بموضوع الفروق السيكلوجية الفردية — بنظرياته البيولوجية كنظرية النشوء والارتقاء ، ونظرية الوراثة فى النبات والحيوان . وقد عاصر جولتن دارون وصدق بنظرياته . وكان دارون ورائى المذهب ، وفى هذا يقول : « إن التربية أو البيئة لا تؤثر إلا قليلاً فى عقل الأفراد ومواهبهم ، وأغلب صفات الأفراد وخواصهم وُلِدَت معهم »

اعتمد جولتن على نظريات دارون فى بحوثه وبخاصة فى علم إصلاح النسل البشرى Eugenics الذى لم يسبق جولتن أحد إلى الكتابة فيه . فهو أول من وضعه . ويعرف هذا العلم « بأنه دراسة العوامل الاجتماعية والبيئية التى يمكن ضبطها ، والتى تؤثر بالإيجاب أو السلب فى تحسين الصفات الجسمية أو العقلية للأجيال البشرية المقبلة » وتشمل هذه الدراسة دراسة الفروق السيكلوجية الموروثة ، وأثر البيئة فى هذه الفروق . ويمكن إجمال رأى جولتن فى أسباب هذه الفروق فى عبارته « لقد أصبح من المؤكد أن الإنسان إنما هو إنسان نتيجة لمؤثرين : أولاً لما به من الصفات الأبوية والجنسية الموروثة ، وثانياً لما تحدثه فيه البيئة التى يعيش فيها »

وقد وقف جولتن حياته وجهوده على دراسة الفروق الفردية بين أشخاص بذواتهم ، وأسرات بذاتها ، وهو يقول فى مقدمة كتابه المسمى « بحوث فى القوة البشرية[2] » Inquirissinto Human Faculty ما يأتى :

« كانت غايتى فيما قمت به من بحوث أن أدرس القوى الوراثية المختلفة لأفراد مختلفين، وكذلك أدرس الخصائص المختلفة لأسرات مختلفات وشعوب مختلفة ، وأن أعرف إلى أى حد يمكن أن نُعوِّض عن النقص الوراثى بعناصر تربوية، وقد فكرت

(١) Francis Galton ولد سنة ١٨٢٢ ومات سنة ١٩١١ صاحب البحوث القيمة والمؤلفات المشهورة فى علم طبائع البشر (Anthropology) وفى علم إصلاح النسل البشرى Eugenics

(١) Charles Robert Darwin ولد سنة ١٨٠٩ ومات سنة ١٨٨٢ وهو أعرف من أن يعرف ، ونظرياته فى طبيعة الانسان ونشوئه شغلت عقول المفكرين فى القرن التاسع عشر ، ولا زالت موضع جدال وبحث

(٢) طبع لأول مرة سنة ١٨٨٣ م

فى أن من الواجب أن نقوم بهذا التعويض بقدر ما تسمح جهودنا وظروفنا . وبهذه الطريقة يمكننا أن نعجل إصلاح الجنس البشرى وتطوره حتى لا يقاسى من المتاعب ما يقاسى لو تُرك وشأنه يسير فى تطوره الطبيعى »

وكان جولتن قد نشر سنة ١٨٦٩ كتابه « النبوغ الوراثى » Hereditary Genius وبه كان أول عالم حاول دراسة أثر الوراثة فى نبوغ الأفراد دراسة منظمة . وقد اتخذ فى كتابه هذا منهجين علميين للبحث : أحدهما هو دراسة تاريخ الأسرة Family History Method ، والثانى طريق التلازم Correlational method . درس فى كتابه هذا بعناية حياة أفراد ٩٧٧ أسرة اشتهرت كل واحدة منها بوجود نابغة فيها فى ناحية : فى الشعر أو الكتابة أو السياسة أو الخطابة أو العلوم أو الفلسفة الخ ، كما درس أيضاً نوع المهن التى احترفها كل واحد من هؤلاء الأفراد ، وطبيعة هذه المهن ، ومقدار إنتاج الفرد فى مهنته . ثم عالج ما وصل إليه من معلومات بطريقة إحصائية لا حاجة لذكرها هنا . ولكنه استخلص من هذه الدراسات أن إمكانية وراثة النبوغ فى الأسرة التى بها نابغة تبلغ ١٣٤ مثلاً لإمكانية وراثة النبوغ فى أسرة عادية . ومن هذه النتيجة يرى أن المواهب العقلية عند الأفراد موروثة ، وأن النبوغ الذى نجده بين عدد كبير من أفراد بعض الأسرات[1] لا يمكن أن يعزى إلى التربية والبيئة ، بل لا بد أن يكون نتيجة الوراثة . ولا شك أن القارئ يلاحظ مما سقناه عن جولتن أنه من الأنصار المتعصبين لمذهب الوراثة ، وأنه ينسب إليها كل الفروق السيكولوجية بين الأفراد . ومما يؤثر عنه فى كتابه (النبوغ الوراثى) قوله : « إن الأفراد الذين ميزوا أنفسهم فى الحياة الاجتماعية لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى مراكزهم الممتازة إلا بالمواهب الطبيعية »

وليست قيمة أبحاث جولتن محصورة فى النتائج التى وصل إليها ، بل إن الطريقة العلمية التى اتبعها فى أبحاثه تعتبر بنت[2] أفكاره ، فقد استخدم الإحصاء والتحليل العلمى فى طرق بحثه . وكانت نتائجه العلمية مبنية دائماً على عمليات رياضية ومقاييس حسابية دقيقة . وقد اقتدى به فى طرقه العلمية هذه خلفه الأستاذ كارل بيرسُن رئيس معمل جولتن بلندن الآن ، والأستاذ تشارلس سبيرمان السيكولوجى الشهير

كان لجولتن أثر محسوس فى إيقاظ الرغبة فى بحث الفروق السيكولوجية بين الأفراد ، كما كان ذا نفوذ علمى كبير فى توجيه علم النفس التجريبى ومقاييس الذكاء . وذلك بوساطة الاختبارات التى ابتكرها لقياس قوة الخيال ودقة الإدراك الحسى . ابتكر جولتن مقياساً به تعرف دقة تمييز الأفراد للأثقال المختلفة اختلافاً بسيطاً ، كما ابتكر الصفارة المعروفة « بصفارة جولتن » لقياس قدرة الأفراد المختلفة على سماع النغم العالى وتمييزه[1] ووضع عدداً من الاختبارات لقياس قوة الشم والذوق واللمس وغيرها من الحواس

وكانت هذه المحاولات من جانبه لمعرفة الفروق الحسية بين الأفراد ترمى إلى معرفة ما إذا كانت هناك علاقة تلازمية Correlation بين الذكاء وبين قوة الإدراك الحسى ودقته فى نفس الفرد . ويؤيد ما نقول أنه كان دائماً يختار للبحث والقياس أفراداً بينهم تفاوت كبير فى الذكاء . كان يختار عبقريا Genius وضعيف العقل Feeble minded ثم يجرى عليهما تجاربه فى الإدراك الحسى ليعرف : هل هناك تلازم بين قوة الإدراك الحسى ودقته فى الفرد وبين ذكائه أو غبائه

غير أنه لسوء الحظ وبالرغم من مجهوده العظيم ومحاولاته الكثيرة لم يجد تلازماً يذكر بين ذكاء الفرد وقوة إدراكه الحسى. وبالرغم من هذا نجد أن بحوثه وطرقه العلمية كان لها أثر عظيم فى كل ما أجرى من تجارب سيكولوجية حتى نهاية القرن التاسع عشر حين ظهرت مقاييس الذكاء التى وضعها السيكولوجى الفرنسى الشهير ألفريد بينيه A. Binet

***

(١) كأسرة عبد الرازق وأسرة أباظة وأسرة بركات مثلا

(٢) استعملت عبارة « بنت أفكاره » قاصداً ما يسمى بالفرنسية والانجليزية Original ولم أعثر بعد على كلمة فى العربية تقابل اللفظة الفرنسية فهل من مقترح ؟ (الرسالة) : لعل كلمة (الأصالة) ومشتقاتها تغنى فى ذلك

(١) تسمى بالانجليزية Galton Whistle

يقسم جولتن الأفراد إلى أنواع وفقاً لقوة خيالهم الحسى . فمنده النوع الإبصارى Visualiser ، وهو الذى يغلب عليه الخيال البصرى ، والنوع السمى Audile ، وهو الذى يغلب عنده الخيال السمى ، والنوع الحركى Motile وهو الذى يغلب عنده الخيال الحركى الخ . فالنوع الإبصارى مثلاً يفكر باستحضار الأشياء المرئية ، بينما السمى يستحضر الصور الصوتية ، على حين أن الشَّمّى يستحضر الصور الشَّمّيّة الخ ، ولكى يعرف أن فرداً يتبع للنوع الإبصارى أو السمى أو الشَّمّى مثلاً كان يجرى عليه تجربة كالآتية :

تصور أنك جالس فى الصباح على المائدة لتناول طعام الإفطار . تخيل بدقة المائدة التى أنت جالس عليها . هل الصورة الخيالية المرئية واضحة أو غامضة ؟ هل ألوان الأطباق والفناجين والأكواب والخبز واضحة أو غامضة ؟ هل تستطيع أن ترى بخيلتك جانبى الكرة فى وقت واحد ؟ هل تستطيع أن تتخيل بوضوح تقاطيع الوجه لأقرب قريب لك (زوج أو أب أو أم الخ) ؟ هل تسمع بخيلتك صوت السيارة تمر تحت نافذة منزلك ؟ هل يمكنك أن تتخيل حركة الفم والأسنان واللسان حينما تنطق بكلمة « تَعجّب » أو كلة « وطن » ؟ هل يمكنك أن تسمع بخيلتك سقسقة العصافير فوق الشجرة ؟ هل تستطيع أن تشم بخيلتك رائحة البطيخ أو القهوة أو البرتقال ؟ هل تستطيع أن تتخيل طعم الشكولاتة أو الليمون أو الكفتة ؟

وهكذا وضع جولتن سلسلة من الأسئلة فى أنواع الخيال الحسى المختلف ، وقسم الأفراد إلى الأنواع السابقة كما قسم النوع إلى درجات تختلف من « قوى جداً » إلى « ضعيف جداً » باختلاف قوة الفرد على التخيل

عبد العزيز عبد المجيد (بخت الرضا)

بين الأستاذين
أحمد أمين وزكي مبارك
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لما قرأت المقالة الأولى للأستاذ أحمد أمين في جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي كان ذلك بحضرة الأستاذ الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء، فذكرت له أن الأستاذ أحمد أمين يرى في هذا ما سبقته إليه في كتابي (زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد) وأخذت عليه أن يجعل الزهديات من أدب المعدة لا من أدب الروح، مع أنها أحق من غيرها بأن تكون من ذلك الأدب الذي ارتضاه، لأن اتجاه الزهاد إلى الروح من الأمور التي لا يجهلها أحد، وكل زهدياتهم تتجه نحو هذا الاتجاه، فلا يمكن مع هذا أن تكون من أدب المعدة.

وقد أنكر ذلك الرأي على الأستاذ أحمد أمين كما أنكر علي قبله، وكان ممن أنكره عليه الأستاذ زكي مبارك في مقالاته التي نشرتها له مجلة الرسالة، وقد سبق للأستاذ زكي مبارك أن أنكر عليّ أيضاً ذلك الرأي في نقده لكتابي (زعامة الشعر الجاهلي) بجريدة الأهرام، وكان مما ذكره في ذلك أنه لا يمكن القول بأن زهديات أبي العتاهية أبلغ في الشاعرية من خمريات أبي نواس، فرددت عليه بأن أبا نواس نفسه يشهد بتقديم أبي العتاهية في هذا عليه، وذكرت له ما رواه صاحب الأغاني عن هارون بن سعدان أنه قال: كنت جالساً مع أبي نواس في بعض طرق بغداد، وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل بين بني هاشم وفتيانهم، والقواد وأبنائهم، ووجوه أهل بغداد، فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم، ولا يقبض رجله إليه، إذ أقبل شيخ على حمار مَرِّيسيّ، وعليه ثوبان دَبِيقيّان: قميص ورداء قد تقنع به ورده على أذنيه، فوثب إليه أبو نواس، وأمسك الشيخ عليه حماره واعتنقا وجعل أبو نواس يحادثه وهو قائم على رجليه فمكثا بذلك مليّاً، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى مستريحاً من الإعياء، ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس فجلس في مكانه، فقال له بعض من بالحضرة: من هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الإعظام وتجله هذا الإجلال؟ فقال: هذا إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية فقال له: لم أجللته هذا الإجلال؟ وساعة منك عند الناس أكثر منه، قال: ويحك لا تقل، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي

ولا شك أن هذا بعينه هو تقسيم الأستاذ أحمد أمين الأدب إلى أدب الروح وأدب المعدة، فأدب الروح هو الأدب السماوي، وأدب المعدة هو الأدب الأرضي. وخلاصة ما ذهبت إليه في ذلك أن الشعر لا يصح أن ينظر إليه على أنه ليس إلا ألفاظاً وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولا يليق أن نمده من وحي الشياطين، فيكون لهواً وعبثاً في الحياة لا غير، وإنما يجب أن يكون الشعر إلهاماً شريفاً، ووحياً صالحاً، وعملاً نافعاً في هذه الحياة، يدعو إلى النهوض، ويجهر بالإصلاح، ويوقظ النفوس النائمة، ويحرك العقول الجامدة، وبهذا يكون الشعراء في الأمة رسل إصلاح، وأئمة هداية فينفعون ولا يضرون، ولا يكونون في هذه الحياة أبواقاً للشياطين

وهذا الأدب الذي دعوت إليه وذهبت إلى تقديمه على غيره هو الأدب الذي دعا إليه الإسلام، وجاء به القرآن الكريم، فذم شعر الجاهلية في جملته، وقبح موضوعه وأغراضه، وذلك في قوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وفي قوله أيضاً: (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فقال: «لما نشأت بُغِّضت إليّ الأوثان وبُغِّض إليّ الشعر». وقال أيضاً: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً»

ثم جاهد في إصلاح ذلك الأدب الجاهلي الضال جهاده في إصلاح عقيدتهم الضالة، وسلك سبيله في ذلك الخلفاء الراشدون فضربوا على يد كل شاعر أراد أن يستن في الإسلام سنة شعراء الجاهلية، فيجعل الشعر سبيلاً لجمع المال، ولا يعرف في ذلك إلا المدح والهجاء ونحوهما من تلك الأغراض التي وقف عندها الشعر الجاهلي، وجمد عليها جمود أهل الجاهلية على عبادة الأوثان، وقد حبس عمر الحُطَيْئة في ذلك حتى استشفع إليه بقوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ	زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظلمة	فاغفر عليك سلامُ الله يا عُمرُ
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه	ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البَشر
لم يُؤثِروكَ بها إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الخِيَر

فأطلقه عمر وهدده بقطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . وكذلك فعل عثمان رضى الله عنه مع ضابئ البُرْجُمِىّ ، وكان قد استعار كلباً من بعض بنى حنظلة يصيد به ، فطالبوه به فامتنع من إعطائه فأخذوه منه قهراً ، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله :

فيارا كباً إما عرضتَ فبلِّغَنْ أُمَامَةَ عنى والأمور تَدُورُ
فأُمُّكُمُ لا تتركوها وكلبكم فإن عُقُوقَ الوالدين كبير
فإنك كلب قد ضَرِيت بما ترى سميعٌ بما فوق الفراش بصير
إذا عَبِقَتْ من آخر الليل دخنةٌ يبيت لها فوق الفراش هَدِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان فحبسه وقال : والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية ، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك

ثم جاء بنو مروان بعد الخلفاء الراشدين فعادوا بالشعر إلى سنته الأولى قبل الإسلام ، وعملوا على تقديم الشعراء الذين سلكوا فى الشعر هذه السنة من جرير والفرزدق وأضرابهما ، وعقدوا لهم لواء الزعامة على غيرهم من الشعراء ، وتأثر علماء الأدب الذين كان يقربهم أولئك الملوك بهم ، فذهبوا فى الشعر والشعراء مذهبهم ، وقدموا من الشعراء من قدموهم على غيرهم ، حتى إن الأصمعى رحمه الله كان يقول : إن الشعر لا يقوى إلا فى باب الشر ، فإذا دخل فى باب الخير لان ، وإنما طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحُمُرِ والخيل والحروب والافتخار وما إلى ذلك ، فإذا دخل فى غيره مما دخل فيه بعد الإسلام ضعف ولان . ألا ترى أن حسان بن ثابت كان شديداً فى الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم لان شعره

ولست الآن بصدد الدفاع عن ذلك الرأى فى قياس الشعر بموضوعه وأغراضه قبل أن يقاس بألفاظه ومعانيه ، وفى تقديم الشعر الجاد النافع فى الحياة على ذلك الشعر الذى لا يعنى إلا بالألفاظ ، فالذى يهمنى الآن أن أبين أن ذلك إذا كان جناية على الأدب الجاهلى ، فإن الأستاذ زكى مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عنه ، وموعدنا بهذا المقال الآتى .

عبد المتعال الصعيدى

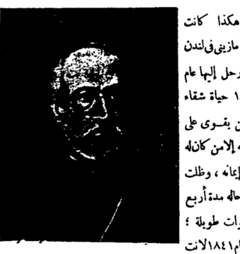
التاريخ في سير أبطاله

مازيـــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٥ —



هكذا كانت حياة مازيني في لندن منذ رحل إليها عام ١٨٣٧ حياة شقاء لم يكن يقوى على احتماله إلا من كان له مثل إيمانه ، وظلت هذه حاله مدة أربع سنوات طويلة ؛ وفي عام ١٨٤١ لانت الأقدار له بعض اللين ، إذ أخذت يد الصداقة تخفف عنه بعض آلام الغربة والوحدة ، وكان أكثر أصدقائه الجدد من الإنجليز ، وقد حلوا في قلبه محل أصدقائه الأقدمين الذين نسوه وإن لم ينسهم والذين تركوه في غربته ، وإنه ليغترب من أجل قضيتهم ويعاني من الآلام ما يعاني في سبيل تحريرهم .

وأعجب مازيني بأصدقائه الإنجليز وأعجبوا به ، وكان يرى في صداقة هؤلاء القوم له ما يزيده تعلقاً بهم ؛ فهو يحب إخلاصهم وصراحتهم ورقة آدابهم وظرف أحاديثهم ؛ وود مازيني لو كان لديه من المال ما يكفي لأن يشتري الملابس التي تليق به ويدفع منه أجر تنقله من جهة إلى جهة ليتسنى له أن يكثر من الأصدقاء في هذا البلد العظيم ، وكم آلمه وأحزنه فقره في هذه الغربة الطويلة

وكان ممن اتصلت بينه وبينهم أسباب المودة والحب الفيلسوف الإنجليزي الشهير كارليل ، فلقد أعجب كارليل بما انجلى لعينه البصيرة من معاني العظمة في نفس هذا المجاهد الغريب ، وكانت قد ترامت إليه من قبل أنباء حركاته في سبيل بلاده ؛ وكذلك كانت تربط قلبيهما دعوة كليهما إلى العناية بالجانب الروحي من حياة الإنسان ومحاربة النفعية والأنانية ، ثم ذلك الحماس الذي كان يبث الحرارة والحيوية في كل ما يكتبان .

وكثيراً ما كان مازيني يزور صاحبه في منزله ، وقد اتصلت أسباب المودة كذلك بينه وبين زوج الفيلسوف الكبير ، وأعجبت بخلاله وأكبرت مبادئه ، حتى لقد كانت تجادل زوجها غالباً وتأخذ جانب مازيني فيما كان ينشأ بينهما من خلاف في الرأي ، فإن الأمر لم يخل من خلاف بينهما ، إذ كان كارليل يرى أن مبادئ مازيني غير ممكنة في هذا الوجود ، الأمر الذي كان يغضب له الزعيم أكبر الغضب فيؤدي إلى احتدام الجدال بينه وبين صاحبه .

وكان عليه من أول الأمر أن يعمل ليكسب قوته ، ولم يكن أمامه إلا الكتابة ، فراح يكتب على الرغم مما كان يحسه من كآبة وهم ، وكان مما يضايقه أشد الضيق أن يرى نفسه مقيداً في اختيار موضوعاته بما يلائم الذوق الإنجليزي ، وإلا ردها إليه أصحاب الصحف معتذرين من نشرها ؛ فكان لذلك كثيراً ما يتناول من الموضوعات ما لا يحس في تناوله بما ينبغي من الارتياح واللذة ، وقد كانت أكثر كتاباته في الأدب ، فجال في ميدانه جولات موفقة ، وتوثقت الصلة بينه وبين كثير من نابهي الكتاب من الإنجليز ، وعرف فيمن عرف من كتاب فرنسا يومئذ لامنيه ، والكاتبة الفرنسية الشهيرة التي اتخذت لقلمها اسم « جورج ساند » ؛ فتبودلت الرسائل بينه وبينهما . وصار لمازيني في الواقع شخصيتان ، فهو الزعيم السياسي الذي تعرفه الجمعيات السرية ، وهو الأديب الكاتب الذي يذيع اسمه في الأوساط الأدبية .

ورأى الزعيم أن الأدب قد يصرفه عن السياسة كما أوشك أن يفعل ذلك من قبل في مستهل حياته العامة ، فمال إلى السياسة وراح من جديد يوليها من عنايته إلى جانب الأدب ؛ وقد عز عليه أن تموت جمعيته إيطاليا الفتاة . فأخذ يزيح الرماد عن هذه الجمرة لتظهر من جديد متوقدة مستعرة ؛ فأكب على مراسلة أعضائها في إيطاليا وخارج إيطاليا . وشد ما كان يزعجه ويؤلمه ألا تقابل حماسته إلا بالفتور ، وكان يعظم حزنه كلما آنس ذلك الفتور فيمن كانوا بالأمس يتحمسون أشد التحمس للجمعية ومبادئها ، ترى ذلك في مثل قوله : « إني لأحس بالخجل حينما أكتب من أجل إيطاليا كما لو كنت ألجأ إلى الكذب » .

وكان يخاف أن يموت دون أن يتم ما بدأه ، كما كان يعتقد

أن التراخي في الجهاد تفريط في كرامة الشهداء الذين جادوا بأنفسهم في سبيل وطنهم ، وتفريط في حق الوطن الذي يتطلب من بنيه أن يموتوا كما مات غيرهم أو يهبوه الحرية والاستقلال . وكان يسأل نفسه ماذا عسى أن يصنع وحده وقد تخاذل الرجال وهانت الحرية على كثير من طلابها بالأمس ؟ ولكن مثله لم يخلق له اليأس. ومتى كان اليأس من خلال الزعماء وهم الذين يبددون بإيمانهم ظلماته؟ وهل صرفه ما ألح عليه من المحن والشدائد عن وجهته ؟ أم أن الشدائد قد زادته صلابة ويقيناً وإن كان جسمه يشكو من التعب وسوء الغذاء وغيرها مما يكون نتيجة للعسر المالي ؟

الحق أنه كان يزداد إيماناً فوق إيمانه كلما تصرمت الأيام . ولقد كان على بينة من أن جهاده لن يذهب سدى ، وأن هذه البذور التي بذرها فسقتها دماء الأحرار لا بد أن تنمو وتؤتي أكلها ، وأن تلك الجمرة التي يخفيها الرماد لا بد أن يتطاير الرماد من فوقها إذا نفخ فيها الشباب من روحهم فتعود كما كانت وهاجة مستعرة ولا تقوى بعد على إطفائها الأيام. ولئن تخاذل الرجال عن دعوته فذلك لأنهم فقدوا الثقة في الثورات وفي الحرب الهمجية ، أما مبادئ الوطنية والحرية فقد تغلغلت في النفوس واستقرت في أعماقها ، ولسوف تكون هذه المبادئ في غد أكبر حافز لأبناء إيطاليا أن يقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل وطنهم يوم يسيرون في حروبهم النظامية ليضربوا عدوتهم الكبرى، ألا وهي النمسا . ولئن تمت وحدة إيطاليا في غد بفضل مساعي كافور وبطولة غاريبلدي والبواسل الأشداء من رجاله ، فإن التاريخ لن يستطيع أن ينكر أن دعوة مازيني كانت الروح المحركة في جميع هاتيك الخطوات ، فهو الذي أعد الرجال وإن كان غيره ساقهم جنداً ؛ وهو الذي حشد من الأبطال ما لن يستطيع غيره أن يحصيهم عدداً ؛ وفضلاً عن ذلك فني حجر جميته ولد كافور وغاريبلدي فكان أحدهما رأس الحركة الوطنية وكان الآخر ساعدها

دأب مازيني في غربته على العمل من أجل قضيته الكبرى؛ وما كانت الكتابة يومئذ إلا وسيلة لكسب قوته ؛ ولئن لم يستطع أن يتصل بمواطنيه في إيطاليا إلا في مشقة شاقة ، فقد أخذ يتصل بالإيطاليين في انجلترة عامة وفي لندن خاصة ونشط في بث دعوته في قلوبهم ؛ وكان يعني أكبر العناية بأن يقبل العمال على دعوته لأنه كان يقدر القوة التي يمكن أن تنبعث من صفوف هذه الطائفة

ولم يحل الفقر بين هذا الرجل العظيم وأبناء وطنه في انجلترة ، فانظر إليه على ما كان به من الفاقة كيف يفتتح مدرسة ليلية لتعليم أبناء إيطاليا الغرباء وتثقيف عقولهم حتى ينفذ إليها النور الذي يسعى به فيكونوا عوناً لبلادهم إذا رجعوا إليها ويكونوا عدتها غداً في كفاحها ؛ ولك أن تتصور مبلغ ما عاني في سبيل جمع المال للإنفاق على هذه المدرسة ، وهو الذي فدحه الدين وتركته الفاقة رث اللابس مضموف الجسم ؟ ولكن المدرسة قد نجحت على الرغم من ذلك ، وازداد مازيني بها قدراً في أعين الإنجليز وهم الذين يقدرون مثل هذه الأعمال حق قدرها ؛ وزاد نجاحها على نجاح المدارس فبثت الروح الوطنية في قلوب أبنائها ، وبثت فيها غير الوطنية عرفان الجميل وشكر المحسنين ، فهذا غلام يعود إلى موطنه فيأبى عليه شعوره النبيل إلا أن يسافر إلى جنوة ليحدث أم الزعيم عن ابنها العظيم ويعبر لها عن امتنانه وحفظه صنيع ذلك الرجل الذي علمه وملأ قلبه حماسة وإخلاصاً

ونشر مازيني صحيفة للعمال يحدثهم فيها عن حقوقهم وواجباتهم ويرفع بها مستوى مداركهم لأن العلم عنده من أكبر أسلحة الوطنية ، ولقد كان لهذه الصحيفة في صفوفهم أثر بالغ وإن لم يكن يستطيع أن يذيعها فيهم إلا في فترات متقطعة لحاجته إلى المال ؛ وكثيراً ما كان يهرب العمال أعداداً منها إلى إيطاليا فيكون لها في قلوب العمال هناك أكثر مما قدر لها من التأثير إذ كان يحس قراؤها أن هذا الكلام كلام زعيم إيطاليا، وأنه فوق ذلك منبعث إليهم من المنفى . . . وكان الزعيم لا يفتأ يحدثهم عما يعانون من البؤس ويلاقون من الإهمال ويبين لهم أسباب ذلك ، ويبشرهم بمستقبل سعيد تسود فيه الحرية وتقرر فيه حقوق الأفراد فينالون حظهم من التعليم والرقي والرخاء

إتكأ مازيني على نفسه على الرغم من ضنى جسمه وقصر ذات يده؛ وكلما اشتد الموقف عليه لاذ بالأمل فبدد أمله أشباح اليأس. ولئن كبر على نفسه أن تضمف « إيطاليا الفتاة » فلقد كان عزاؤه فيما بثته مبادئها في قلوب الشباب والشيوخ من الحماسة والعزم ؛ فكان العمال يتلقفون صحيفته الخاصة بهم على الرغم من يقظة الرقيب

والبوليس، وكان شباب الجامعات يتهافتون على كتاباته ويتلونها كما يتلون الإنجيل فلها في أنفسهم مثل جلال الإنجيل ومثل سحر الإنجيل

وكانت النمسا تضيق بهذا أشد الضيق، كما كان يضيق به أنصار الرجعية في القارة كلها. وأصبح اسم مازيني يقض مضاجعهم وينذرهم بالويل في المستقبل القريب. وكان مما تطيب له نفس ذلك الغريب المجاهد، أن يصبح وهو فرد مبعث خوف هؤلاء الجبابرة الحاكمين.

وترامت إلى مازيني في انجلترة نبأدعوة جديدة أخذت تتسرب إلى أذهان الإيطاليين، وهي دعوة الاعتدال، ومؤداها الاقتصار في ذلك الوقت على المطالبة بالإصلاح الداخلي، حتى تتهيأ البلاد للاستقلال، فتكون وثبتها في غد وثبة قوية لا تخاذل بعدها. وكان أصحاب هذه الدعوة يتطلعون إلى ملك بيدمنت ليكون عوناً لهم في تحقيق آمالهم في الإصلاح... وغضب مازيني من هذه الدعوة وضاق بها صدره، إذ كان يرى النمسا أساس كل فساد. وكيف يتسنى للبلاد أي صلاح وسلطانها مفروض على الأمراء ونفوذها متغلغل حتى الأعماق؟ إنه يرى أن سياسة المعتدلين قلب للوضع المعقول؛ فالوطنية هي الخطوة الأولى والثورة تأتي بعدها، ومن وراء الثورات المتلاحقة يأتي النلب في النهاية، ويكون بعد النلب الإصلاح كأسرع وأكمل ما يكون الإصلاح!

وإنه ليخشى أن يركن الناس إلى هذه الدعوة فتموت روح الوطنية في نفوسهم ويستطيع بعد ذلك المستبدون بهم أن يلهوهم عن غايتهم الكبرى ببعض مظاهر الرخاء المادي حتى تنحل عزائمهم وينسوا القبلة التي كانوا يتجهون إليها، وتغرهم مطامع الدنيا فيصبح بعضهم لبعض عدواً، وقد كانوا بالوطنية والجهاد في سبيل قضيتهم المشتركة بعضهم أولياء بعض.

وأمض نفس الزعيم النازح أن يسفه بعض دعاة الاعتدال آراءه، وأن يهاجموا حركاته أقسى مهاجمة، فيتهموه بأنه يلقي بالشباب بين براثن الموت وهو بعيد، كل أولئك في غير جدوى، مرة بعد مرة... وأثارت هذه التهمة نفسه حتى لقد فكر أن يذهب إلى إيطاليا على الرغم من الحكم عليه بالإعدام، فيضحي نفسه في سبيل قضيته. فللموت أهون على نفسه من هذه التهمة، ولولا أن صدفه عن ذلك بعض أصدقائه لأقدم عليه في غير تردد. وكأنما أراد الغريب المناضل أن يرد عليهم بالعمل خيراً من القول، فأخذ يدبر ثورة جديدة يذيعها في طول إيطاليا وعرضها يكون مركزها هذه المرة الولايات البابوية، إذ كان قد علم أن وسط إيطاليا كان يزخر يومئذ بالمؤامرات السرية، وكان ذلك في عام ١٨٤٣

واتصل مازيني بنبيلين ضابطين في بحرية النمسا، وهما أتيليو وإميليو من أهل البندقيـة، وأوعز إليهما أن يوقدا نار الثورة في وسط إيطاليا — ولكن البوليس — ألقى القبض عليهما بعد أن وثق من حركاتهما ومراميهما، فسيقا إلى الإعدام، وزادت دماؤهما الزكية شجرة الحرية نماء وقوة. وعلم مازيني أن الحكومة الإنجليزية هي التي دلت عليهما، لأنها كانت تفتح رسائله إليهما ورسائلهما إليه، فاستشاط الزعيم غضباً، وأطلع أحد النواب في مجلس العموم، وكان من أصدقائه الأدنين على الأمر، فاحتج النائب في المجلس على مسلك الحكومة الإنجليزية؛ وسرعان ما شاع في المجتمع الإنجليزي شعور الخجل مما فعلت الحـكومة، حتى لقد حار وزير الداخلية ماذا يدافع به عن نفسه أمام المجلس حين وقف يرد على تساؤل بعض النـواب، وكان بينهم ما كولي الـكاتب الإنجليزي العظيم . . . وكتب كارليل في جريدة التيمس يسفه عمل الحـكومة فكان مما قاله: « إن فتح الرسائل المغلقة مسألة جد خطيرة بالنسبة إلينا، لأن هذه الرسائل كما كنا نظن تحترم في مصلحة بريد انجلترة كما تحترم الأشياء المقدسة. إن فتح الرسائل المغلقة على غير علم من أصحابها عمل قريب جداً من سرقة جيوب الناس » .

ودافع كارليل عن صديقه مازيني في تلك الجريدة. فكان مما ذكره عنه: « مهما يكن من رأيي في نظرات هذا الرجل العملية وفي خبرته بشؤون الدنيا، فإني أستطيع في غير تحرج أن أشهد أمام الناس جميعاً أن هذا الرجل — إن كنت قد عرفت شبيهاً له — رجل عبقرية وفضيلة، رجل شجاعة صحيحة ورجل إنسانية؛ وهو كذلك نبيل الفكر، فهو أحد هؤلاء النوادر الذين ترى عددهم في هذه الحياة وا أسفاه قليلاً، أولئك الجديرون بأن نسميهم الأرواح الشهيدة؛ أولئك الذين يسيرون على التقوى في حياتهم اليومية، والذين يدركون في صمتهم، ويسلكون في الحياة مسلكاً يتفق مع ما يفهم من ذلك » .

« يتبع »

الخفيف

هاتف من الحرب ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أغنّي ربابُك لا شدوٌ ولا طربُ   وجفّ حانُك لا كأسٌ ولا عنبُ
وزفّت الريح ، هل زفّ النشيد لها   أم ظلّ سأمان هذا اليائس التعب
هذا الذى اهتزّت الدنيا ، وعازفه   ساهٍ على ضفّة الأحلام مكتئب
نشوانُ يمرح فى دنيا محلّقة   من الخيال ترامت دونها الشهب
هزّ الطموحُ جناحيه وأتعبه   أنّ الطريق إلى الآفاق مضطرب
وأنّ أيامه من طول ما رتعت   بها النوائب أدمى نحرها العطب
تغدو الجراح مدلّات بشقوتها   ما دام فيها لأمجاد العلا نسب
وجرحه راعش الآهات تحسبه   هشيمة جنّ فى تحريقها اللهب

ناشدتُ لوعته السلوانَ فامتعضت
كيف الهدوء وأنفاس الورى تجب[1] ؟

والأرض موقدُ أعمار قد اشتعلت   فى جمره الناس لا الأعواد والحطب
كأنها رأس مجنونٍ قد احتدمت   به الهواجس واستشرى به الغضب
ترتجّ فى راحة الطاغى كجمجمة   تحت القتام طوت أحلامها الكرب
علا دخانُ المنايا فى سماواتها   فزلزلت رهبةً من هوله السحب
وكبكب الناس للميدان لا فرقٌ   من الحِمام ، ولا خوفٌ ، ولا رهب
كأنما سئموا الدنيا وبهجتها   فراح يغريهم للفتكة الهرب
الأرض أمٌّ رءومٌ ما جفت ولداً   ولا تقطّع من أرحامها سبب
تُقيت جائعها حيًّا وتشربه   وما تضنّ بستر الهالك الترب

فما لهم مزّقوا أوصالها طمعاً
وناهشوا الوحش فى الآطام واحتربوا ؟
ودوّخوا كلّ سجواء الظلال بها
وكلّ عزلاء فيها السيف مغترب !

وكلّ ناسكة الكفّين فى يدها   غصن السلام بنيم الود مختضب !

وكلّ شلّاء فى الطغيان ، باطشةٌ
فى الخير فى يدها الريحان والقضب !

زيتونة السلم خلوها معفّرة   دم الضحايا عليها هاطل سكب
نوح الليالى ، وإعوال السنين على   ترابها جوقةٌ خرساء تنتحب

(١) تخفق من الوجيب

وللثكالى نشيجٌ ردّ حرقته   فى كلّ بيت تداعى مضجع خرب
وللأجنّة همسٌ حول مصرعها   كأفرخ فتّ فى أكبادها اللغب
قد أعجلتها يد الفتاك مولدها   فمرها قصة فوق الثرى عجب !

هزّ الصباح لها مهداً ، وأرضعها
قطر الندى ، وكساها ضوؤه القشب
وفى الضحى نشقت آجالها ... وغدت
عمراً حديث الأسى عن أمسه كذب

ميدانُ حربٍ هنا !؟ أم تلك مجزرةٌ
دمُ الحضارة فيها راح ينسكب ؟
فى البر ، فى البحر ، فى صدر السماء وغى
لمخلب الوحش فيها النصر والغلب

أتت إلى غابة الأشلاء صاغرةً   فعافها وتجافى نتنها السغب[1]

يا حان «عزريل» إن الكرم قد نضجت
به القطوف وحيّا كأسه العنب
قم أترع الدنّ . أولا ! فهى مترعةٌ
فاحبس خطاك ، عداها الأين والتعب

وادع الندامى ، وقل للظامئين : هنا   نبعٌ من الموت بالأرواح يصطخب

هيّا اشربوها على نخب الطغاة فهم
من خمرها فى ليالى الحرب كم شربوا ...

وكم تنادى ضحًى بالسلم عاهلهم   فما دجى الليل حتى راح ينقلب
وأرسل البغتة النكراء صاعقةً   تدفّ من نارها الأرزاء والنوب
الناس منها أعاصيرٌ مزمجرةٌ   يرجّ فى يدها الفولاذ واللهب
والموت شاعرُ آجالٍ على فمه   ينمى النشيد ، ويرثى نفسه القصب
قد جنّ فارتجل الأعمار قافيةً   مزمورها من قلوب الناس منتهب

ترى الحضارة ثكلى فى مآتمه
ودمعها من جراح العصر منسرب !

***

يا قومنا وتراب «النيل» ضجّ بنا ...
أما كفانا عليه اللهو واللعب !

أما كفانا كرًى فى جنّة سجدت   لها العصور وأحنت رأسها الحقب !
وجاس (هاروت) يوماً فى ظلائلها   فردّه سحرها حيران يرتعب

(١) الجوع

تَبكى الرُّقَى بين كفَّيه تمائمها   بكاء راجى الأمانى خانه الطَّلب
وكيف؟ والسحرُ فى أعتابها رصدٌ   وحُسنُها بشعاع السحر مُنتقب
هٰذى المحاريب كم ريعت دفائنها   فأقسمت أرضها لن ترفع الحُجب!
قد ختَّمت سِرَّها الأقدار فانع لها   مَن راحَ مِن فَمها للسرّ يرتقب
وكم تحطَّمَ جبَّارٌ على يدها   ودُكَّ باغٍ قويُّ البطش منتصب
شُطآنُها الخضر ألواحٌ مقدَّسة   تنزيلها عجزت عن حمله الكُتُب
صحراء، مسكيَّة الأغراس طاهرة   وفيَّةٌ مادنت من عهدها الرِّيَب
كانت مصلَّى جبين الدهر فى زمن   ملَّت قرابينه الأصنام والنُّصُب
والناس من نَزَق الفوضى وظُلمتها   ماجوا من الجهل كالقُطعان واضطربوا
كنا لهم قبساً (فرعون) أشعله   كنَّا تضىء به للعالم الشُّهُب
لولا شعاع سرى من مهدنا انقدت   أجيالهم فى ظلام الفكر تحتجب!
والنخل فيها كفرسان على كثَب   ترنَّحَ النصرُ فيهم بعد ما غلبوا
ترجَّلوا، وشأت أعلامُهم، ومضت   رُءوسهم بفروع الغار تختضب
إنْ هزَّها الريحُ خِلتَ الجيش صاح به   من بوق «رمسيس» صوتٌ صاخبٌ لجب
وإن سجت قلتُ عُبَّاد قد ابتهلوا   فى معبد حفَّه الإجلال والرهب
والنيلُ جبار آبادٍ كم احتُضِرت   بشاطئيه سنونٌ واختفت حِقب
الأسيويون حجوا فوق صفحته   وأُنسيت مهدها فى ظلِّه العرب
وأقبلَ الغرب أرسالاً متيَّمةً   كأنما عُلِّقت فى زرعه السُّلُب
أمواجه هتفت بالناس: مِن زَبَدى   ومن رَشاش هَديرى ينبت الذهب
دعوا الغَمام وشوق الموعدين به   فلجَّتى من سُفوح الخلد تنسكب
كلَّت بأرضى خطا الأيام من سفر   ما مسَّ خطوى به يأسٌ ولا تعب
علا وقارُ الندى كفى فما افتخرت   على النزيل بما تعطى وما تهب
تسنَّيت كل غريب أهله، فغدا   من ذاقنى مرَّةً للنيل ينتسب!
ياشعبَ (مصر) وعظتُ اليوم فاستمعوا   فإننى لكمُ يومَ الفخار أبُ!
خلقتُ من أرضكم للشمس رايةً   عِطرُ الخلود بها ريَّان منسكب
النورُ فوق مجانيها وأغصُنها   متيَّمٌ شفَّهُ الإغراد والطرَب
وحاملُ الفأس يسقيها حشاشته   وحظه من جناها البؤس والوصب
من عهد آدم يرعاها... وشقوتهُ   دمعُ السواقى لها غضبان ينتحب
الأسمرُ القانعُ المسكينُ تحسبهُ   فى الكوخ بين حماهُ والبلَى نسب
مُرُّوا به مثلما مرَّ النعيمُ بكم   فمالكم بِسوى أجدادِهِ حسب!
وأنقذوا مصر من خُلفٍ يكادبه   جنانها من صراع القوم ينشعب
كونوا العاصفَ أبطالٍ على فمهم   نشيدُ مجدٍ بلحن النار يلتهب
فإن دعا هاتفٌ للحرب أو رجفت   من بوقها نُذُرٌ بالشرّ تقترب
هُبُّوا حُتوفاً وطيروا أنسُراً وثبوا   صواعقاً بالمنايا الحُمْرِ تصطخب
وفى دمى النغمُ الجبَّارُ يلهمُكم   شجواً تعانق فيه السِّحرُ واللهب
والشعرُ دُنيا من الإعجاز ساكنةٌ   لولا الأسى رفرفت أنغامها الشهُبُ!

أنــــوار...

[مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب]

للدكتور إبراهيم ناجى

طابتْ بكِ الأيام وافرحتاهْ   أنتِ الأمانى والغِنى والحياةْ!
قد وَجدَ الضِّلِّيل نور الهدى   يا حُلمه يا نجمه يا سماه!
فليذهبِ الليل، غفرنا له   ما دام هذا الصبح عقبى دُجاه
جمالك الطاهر عندى له   إيمان قلب فى خشوع الصلاه
ولى إلى ذاك الجلال اتجاهْ   ولى بسلطانكِ عزٌ وجاه!
قد طرق الباب فتى مُتعبٌ   طال به السيرُ وكلَّت خُطاه
تنقَّل فى الأيام أقدامه   يبنى خيالاً ماثلاً فى مُناه
عندك قد حط رحال المُنى   وفى رحى حُسنك ألقى عصاه
أينَ شقاءٌ صاخبٌ فى دمى   جرَّعنى الضنك إلى مُنتهاه
له إذا دوَّى به ساخراً   ضِحك التشفِّى وجنونِ الطغاه
شكراً لذات هبطتْ من علٍ   تحدت النحس فشُلَّت يداه
بأى كف طمأنتْ قلبه   فمات فى قلبىَ حتى صداه!
قد هدأ الليل وران الكرى   إلا أخا سهد يُغنى شجاه
ناداكِ من أقصى الرُّبى فاسمعى   لِمَنْ على طول الليالى نداه
نادى أليفاً نام عن شجوه   عذبٌ تجنيه عزيزٌ جناه
أحببتك الحب وغنَّى به   عفُّ الأمانى والهوى والشفاه
وإنما الحب حديثُ العُلى   أنشودة الخلد ونحن الرُّواه

ناجى



دراسات في الفن :

اليد فاللسان فالقلب

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— أأنت الذي قطعت أوتار هذا العود هكذا ؟

— نعم

— وتقول بكل وقاحة « نعم » ؟! ألم أعد أطيق معك صبراً !

— وبهذا أنذر الخضر موسى . ومع هذا فقد أصر موسى على صحبته ...

— الخضر وموسى ؟ إذن فلك حكمة في هذا الخبل يا سيدي الخضر الثاني ...

— من غير شك . فالمحروس أخوك الصغير خلقه الله مستبداً بالغريزة والسليقة ، وقد كان هنا طول الأمس ، فلو أنه عثر على العود مشدود الأوتار لأبى إلا أن يطربنا ويشنف أسماعنا بنشيد « المنزة والضفدعة » وأغنية « الجحش النجيب » ، وغير ذلك من محفوظاته الرائعة ... فقطعت أوتار العود، ونجونا بذلك من الكرب

— أما كنت تستطيع أن تخفيه ؟

— كان يستطيع أن يجده !

— فإذا وجده أما كنت تستطيع أن تنهاه عن العزف ؟

— بل كنت أستطيع أيضاً أن أدعه يعزف فلا أمنعه ، ولا أنهاه ، وإنما أدعو الله في قرارة نفسي أن تنقلب أوتار العود ألغاماً فما يمسها حتى تنفجر في وجهه فنرتاح ويرتاح ...

— يا حفيظ ! ولماذا لم تفعل هذا يا سيدي الخضر فكنت ترينا كرامة من كراماتك ؟

— لا يفعل هذا إلا من كان إيمانهم أضعف الإيمان

— الكرامات لا يفعلها إلا ضعفاء الإيمان ؟ ما هـذا ؟ إنما الكرامات للأولياء ...

— الكرامات للأولياء ، وما أكرمه على الله عبده الذي يلهمه الصواب ويوفقه إلى فعله بيده ... أتظنين أن هذا شيء يسير؟ هذه هي الكرامات ، وأولياء الله هم الذين يفعلون الصواب ، ويقيمون الحق بأيديهم ... والحق من الله ...

— كنت أحسب للأولياء آيات

— إن لهم آيات . بل إن للذين أقل منهم آيات أيضاً ... بل إن في كل الذي ترين وتسمعين من هذا الوجود آيات ...

— ما هذا التناقض ؟ تنكر عليهم الكرامات ، وتشهد لهم بالآيات ، بل تمضي فتشهد لمن هم دونهم بها . . . ثم تذوب آخر الأمر في هـذا الوجود الذي لا يمكن أن نحصره فتقول إنه كله آيات في آيات ، فما الذي تحب أن أفهمه من هذا كله ؟

— إذا استطعت فافهميه كله ، ولكي تفهميه كله اذكري الحديث الشريف من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان . واذكري إلى جانب هذا الحديث قصة الخضر وموسى ، واذكري مع هذا وذاك أن القرآن روى عن حوار دار بين الكفار وبين النبي (ص) طلب فيه الكفار منه آيات ومعجزات فأوحى إليه الحق الجبار أن يقول لهم إن الوجود ملؤه الآيات والمعجزات . واعذريني إذا كنت لا أحفظ نصوص الآيات فقد استعصى عليّ الحفظ بفضل الطرق التي كانوا يحفظوننا بها في المدارس ...

— إني أذكر هذه الآيات ولكني مع هذا لا أستطيع أن أخلص من جمعها إلى الحديث الذي ذكرته ، وإلى قصة الخضر بشيء مما تريدني أن أخلص به ...

— هذه هي عادتك ... فلو كان ما نناقشه حسبة فستان وروائح ومساحيق لخلصت منها كالجن بالذي تريدين ... وأكثرا لا بأس فلنبدأ معاً ... أنت تعلمين أن كل ما في هذا الوجود يتبع في حياته قانوناً خاصاً به . وأنه لو حاد عن هذا القانون اختل واضطرب وفسد وقد يفقد الحياة . وأنت تعلمين إلى جانب هذا

أن كل القوانين التي تخضع لها كل الخلائق لما هي أيضاً قانون تخضع له هو قانون التطور والارتقاء الناهض إلى الكمال والوصل إلى الله واسمه الآخر، تباركت أسماؤه . والخلائق متنوعة : منها ما يبدو لنا بإدراك ، ومنها ما لا يبدو له إدراك ، ومن الخلائق التي لها إدراك الإنسان ، وله إلى جانب الإدراك أو بهذا الإدراك إحساس وإرادة وعقل ، ثم إن له آخر الأمر قدرة على الإنتاج .

وحياة الموجودات في مجموعها حين تنزع إلى الارتقاء والكمال لا تزحف بالتساوي ولا تتماسك في صف واحد ، والذي صنع بها هذا هو تشابك القوانين المؤثرة فيها وتعقدها وتكاثر الظروف الفعالة فيها وتباين أصولها واتجاهاتها ، وهذا التشابك وهذا التعقد وهذا التكاثر وهذا التباين ... كل هذه حين تتفاعل تغلي بالوجود غلياناً ، وفي هذا الغليان تتناثر بعض الموجودات فتخرج عن محيط أخواتها متطايرة متطيرة ، فأقوى ما في الموجودات هو الذي يستطيع أن يرد هذه الشاذة إلى مرجل الحياة بالدفع أو بالجذب ، وأقل قوة من هذا هو الذي يدعوها بالكلام عسى أن تقتنع وتعود إذا كانت مما يفهم الكلام ... والأقل قوة من هذين هو الذي ينظر إلى هذه الشاذة نظرة العارف بروقها والآسف لهذا المروق والراغب في عودتها ، والعاجز عن إعادتها بالفعل أو القول. وهذا الذي وصفه النبي (ص) بأنه أضعف الإيمان، وليس الإيمان - كما لعله وضح - إلا الخضوع بالرضى لقوانين الحياة الساعية إلى الله ، ومن أقوى هذا الخضوع ما لم يشبه التردد وما صاحبه الإدراك ، كخضوع الخضر، ومن أضعفه الخضوع الذي لا إدراك فيه وهو خضوع الجماد والتراب ، وبين هذا وذاك درجات للإيمان

— والآيات ... ؟

— الآيات هي البراعة في هذا الإيمان ... إن في تتابع الليل والنهار آية ، لأن هذا التتابع بارع ، فهو ماض منذ كان إلى ما شاء الله لم يضطرب يوماً ولم يتأخر يوماً ، ولم يحدث أن تعاقب نهاران أو تلاحقت ثلاث ليال من غير أن يتوسطها نهاران

— في القطب يطول النهار شهوراً ...

— نحن نتحدث في التتابع لا في الطول والقصر فلهذين قانون آخر هو أيضاً آية لأنه أيضاً بارع

— طيب ...

— وكما أن للشمس والقمر براعة في إيمانهما تحتم أن يكون للناس براعة في إيمانهم ما دام الناس هم أشرف المخلوقات . وقد حدث هذا . فإن من الناس من هم بارعون في إيمانهم براعة هي آية ... فالخضر الذي ثقب سفينة الفقراء لينقذها من اغتصاب الحاكم الطاغية الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً إذا أعجبته ، ولا تعجبه المثقوبة ، كان في عمله هذا من أولياء الله ، أي من ملازمي الحق ، أي من الناس البارعين في خضوعهم لقوانين الحياة الصحيحة التي كان جديراً بالأفراد جميعاً أن يتبعوها فلا يعتدي منهم إنسان على ملك إنسان ، أو على جهد الإنسان ، والخضر — فيما روى كتاب الله — كانت له أفعال كثيرة كهذه ، ولعل بعضها لموسى حين ألح في سؤاله إياه عنها ، وهذا التعليل يدل على أنه كان يستطيع التمييز بين الخلائق والحوادث المنتظمة في النهج الصحيح للحياة — أو بعض ذلك — وبين الخلائق والحوادث الأخرى التي تشذ عن هذا النهج الصحيح — أو بعض ذلك — وبراعة الإيمان في الخضر ليست هي مجرد الإحساس بهذا وإدراكه ، وإنما براعة إيمانه في أنه رد الحق إلى نصابه ... وهذا فعلاً هو الأمر الجلل الذي لا يستطيعه كل إنسان ... فنحن في كل يوم نرى عيوباً وشذوذاً عن الحق يصاب بها الناس وتصاب بها الأشياء ، ولكن أكثرنا يتشاغل عنها بشئونه هو كأن شئونه لا تتصل بشئون الكون . وقليلون جداً من الناس هم الذين يلفتون الناس بالكلام أو بوسائل أخرى من وسائل التنبيه تشبه الكلام إلى هذه العيوب ويطلبون منهم أن يصلحوها ، وهؤلاء هم الفنانون فهم أيضاً من ملتزمي الحق أي من أولياء الله ، ولكنهم ليسوا كالخضر إيماناً ولو كانوا مثله لتحولت فنونهم هذه إلى أفعال يؤدونها بأيديهم ؛ فيقيمون بها الحق ويقومون بها المعوج بدلاً من الكلام وما يشبه الكلام ، ولكنهم على أي حال أقوى إيماناً ممن لا يفعلون ولا يقولون وإنما ينظرون ويدركون ويأسفون ويعجزون ... وحتى هؤلاء أصلح حالاً ممن ينظرون فلا يدركون ، ولا يأسفون ولا يحزنون !...

وما أسعد الجمهور من الناس الذي يتولى أمره نفر من هؤلاء المؤمنين ، أولئك الذين يقومون العوج بأيديهم ...

— وما حال الجمهور الذي يتولى أمره الفنانون ؟

— الفنانون فيهم عيب ، وهو أنهم يقولون ما لا يفعلون ... وقد وصف القرآن الشعراء بهذا ...

— هذا صحيح ، ولكن لماذا ؟

— ألم نقل إن درجات الإيمان تختلف في الخلائق، وأن اختلافها يظهر في مدى خضوعها لقوانين الحياة المرتقية إلى الكمال بظهور القوة على رد غيرها إلى مرجل الحق بالدفع أو الجذب، ثم بعد ذلك

بالنداء أو الكلام ثم بعد ذلك بالأسف ... إلى آخر هذا الذى قلناه

— هيه ...

— الفنانون إيمانهم من الدرجة الثانية ومظهره أنهم يقولون، أو ينتجون من الفنون ما يشبه القول ، وتنظرين بعد ذلك إلى أعمالهم فترين فيها ما قد يتناقض مع أقوالهم ...

— أو لا يستطيعون أن يصلحوا من أنفسهم ؟

— يستطيعون ... فالله لا يمنع الرقى عمن أراده ، وقد علمنا فى القرآن وفى الإنجيل وفى التوراة أن نناديه وأن نطلب منه الهداية إلى الطريق المستقيم ، وليس هذا الذى علمنا إياه عبثاً ، وهو لم يقل لنا : « أدعونى أستجب لكم » ، وفى نفسه ألا يستجيب . . . إنما هو الرحمن يريد أن يستجيب ، ويطلب منا أن ندعوه ليستجيب ... فنى يد كل إنسان إذن أن يطالب من الله ما يريد على أن يكون الذى يريده شيئاً مما يعطيه الله الذى هو الحق والذى هو الرحمن والذى هو العادل ، والذى هو الهادى .. فالهداية إذن بابها مفتوح ... إنما علينا أن نطلبها ...

— علمنى كيف أطلبها لعل الله يهدينى فأكون من أولياء الله الصالحين ...

— أظن ذلك يكون بأن تمدى لها نفسك أولاً ... أنت تريدين أن تهتدى للحق ، فهدى نفسك للحق ... ثم اعرفى الحق ثم ابذريه فى نفسك ، ثم تعهديه بالحفظ والصون ، ثم غذيه واسقيه حقاً وحقاً ... عندئذ لا بد أن يثمر الحق فى نفسه حقاً هو أزهى الحق وأزكى الحق ... وسترين نفسك بعد ذلك ، تقولين الحق كما يفعل الفنانون ، ثم إذا رضى الله عنك رأيت نفسك تفعلين الحق بيدك كما يفعله أولياء الله الصالحون رضى الله عنهم ... أظن أن هذا هو الطريق ... بل إنه الطريق

— فلماذا لا يمضى الفنانون فى طريقهم هذا إلى نهايته ؟ ما داموا يستطيعون ؟

— لعل إعجابهم بيراعتهم فى إيمانهم يستهويهم .

— هذا الإيمان الشفوى الذى لا غناء فيه ، والذى لعنهم القرآن من أجله ...

— ليس إيمان الفنانين شفوياً يا هذه ، وإن القرآن لم يلعنهم يا تلك . . . بل إن القرآن وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون وهذا حق لأنهم هكذا ، وقال عنهم القرآن إنهم يتبعهم الغاوون وهم الذين يستهويهم كلام الشعراء وفنون غيرهم من الفنانين ، ويهيمون وراءهم فى دنيا كلها خيال تريد الكمال ولكنها لا تطلب الكمال إلا بالكلام، بينما الكلام لا يحقق هذا الكمال ، وإنما تحققه الأفعال ... فالفنانون هم حقاً لا ينتجون إصلاحاً ... ولكن دعوتهم إلى الإصلاح والكمال لا بد أن تصادف مؤمناً ممن يستطيعون أن يفعلوا بأيديهم فيحقق بهذا الإيمان الذى يستقيه منهم وبإيمانه الذى يهديه إليه الله ... ذلك الكمال أو جانباً مما كانوا ينشدون ... وحين وصف القرآن الشعراء بهذا الوصف الذى لا شك أن فيه كثيراً من التعبير كان الإسلام فى حاجة إلى الذين يبذلون الأرواح والأجسام فى تقويمه وتثبيته ، ولم يكن فى حاجة إلى من يقول شيئاً ، لأن الله عندئذ كان هو الذى يقول ...

— إذن فليسوا الآن ضالين ...

— ولم يكونوا يوماً ضالين ما استوحوا الحق فنونهم ، وإنما كان على أنوارهم أن تسجد لنور الله حين تجلى الله بنوره على محمد سيد العالمين ...

— ولكن دفاعك هذا كله عنهم لا يزال عاجزاً عن رفع إيمانهم منزلة على الإيمان الشفوى كما أقول . . .

— أعوذ بالله منك ومن اللوغاريتمات . . . إن لإيمانهم هذا المظهر الشفوى الذى تقولين عنه لأن تعبيرهم عن هذا الإيمان يكون بالكلام أو ما يشبه الكلام ، ولكن إيمانهم نفسه ليس كلاماً ولا شيئاً يشبه الكلام . وإنما هو إحساس وفهم وإدراك وتمييز واهتداء إلى الحق . هم يشعرون بأنفسهم ، ويشعرون بما يحيط بهم ، ويشعرون بالحق فى بعض هذا ، وبالشذوذ عن الحق فى بعضه ، وهم يشعرون بأن الحق واتباعه خير من الشذوذ ، فيرجون أن يحدث هذا الحق ، ويتصورون أنه قد حدث فعله لأنهم يستطيعون بعقولهم أن يرتبوا النتائج على المقدمات ، ومتى اهتدوا إلى علاج للعيب الذى يرونه فإن أنفسهم تخيل إليهم أن هذا العلاج قد تم بالفعل وأن الخلائق قد صلحت بعد ذلك واتبعت قوانين الحياة الصحيحة ... وهم يصفون هذا كله بفنونهم : يصفون رجاءهم، ويصفون علاجهم، ويصفون آثار هذا العلاج ويصفون قبل هذا وذاك الأشياء التى يرونها على ما هى عليه بما فيها من خير وما فيها من شر ... ولو أنهم عدلوا عن هذا الوصف إلى الإصلاح باليد لما قلت عنهم إن إيمانهم شفوى، وإنما الذى يسحبك إلى هذه المغالطة هو المظهر الشفوى لإيمانهم . وحرام عليك هذه القسوة

— ولكن من الفنانين عابثين ، وإن منهم داعرين . . .

— ليس هؤلاء فنانين ، وإنما هم حيوانات يتفننون .

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحـــدث

وتنبئنا عن قصة الألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

- ١ -

لم يتطرق إلى ذهنى أى وهن يمنعنى عن متابعة الكتابة لقارئ (الرسالة) الذى وعدته المرة بعد المرة بأني منبئه بقصة الوجود، مطلعه قدر المستطاع على حلقة التفكير الإنسانى فى أحدث صوره، مستعرض أمامه مبلغ ما وصل إليه من السمو، مطلعه على الطفرة التى بلغتها العلوم الطبيعية والذروة التى ارتقى إليها العلم التجريبى محدثه فى الأسباب التى دعت العلماء إلى الأخذ بفكرة معينة والإعراض عن أخرى. ولكن تطرق إلى جسمى نوع من الوصب ظننته بادئ الأمر وصباً دائماً، وحل بهذ التركيب الجسمانى مرض عاقنى عن الكتابة شهراً، اختل خلاله توازن الجسم ووصل الاختلال إلى العينين، فغير المرض فيهما معامل الانكسار ومنعنى هذا عن المطالعة وأبعدنى عن الكتابة. ولم تكن مقالاتى بالتى أستطيع أن أمليها على أحد، فأستطيع الاستمرار فى الكتابة، إنما كان من الضرورى مراجعة بعض المصنفات والاطلاع على بعض الجداول، نتاج البحث التجريبى وعماد الفلسفة الحديثة. وكان من اللازم تصفح عدد من النشرات العلمية لأستطيع أن أكوّن للقارئ هيكل موضوعاتى وأحدد معه مجمل مقصدى

وهكذا شاءت الظروف أن أحتجب عن الكتابة على غير إرادتى، وأبتعد عن القراء على غير رغبتى، ولكن الاختلال أخذ طريقه فى الزوال، والمرض بدأ يتضاءل، والعينين بدأتا عملهما كسابق عهدى بهما، فكان أول همى أن أتصل بالقارئ وأول أغراضى أن أتم له حديثى وليكن ذلك من حيث انتهينا آخر مرة

***

حدثنا القارئ عن الألكترون الوحدة المكونة للكهرباء، هذه الشخصية التى هى أصغر ما نعرفه فى المادة يعتبرها فريق من العلماء جسيماً ضئيلاً ويعتبرها البعض الآخر اتحاداً بين جسيم صغير وموجة مستصحبة لها. ووصفنا التجارب الشهيرة التى قام بها مليكان فى خريف سنة ١٩٠٩ التي استطاع بها أن يقيس شحنة الألكترون، هذه التجارب التى فصل فيها هذا العالم جسيماً حاملاً إلكتروناً حراً واحداً، وقد وضعنا جهاز مليكان وشكله فى مقال سابق، ويتكون من بخّاخة Pulverisateur تنشر رذاذاً رفيعاً من الزيت فى غرفة عليا يسقط فيها هذا الرذاذ ويمر بعد سقوطه فى غرفة سفلى فضاؤها صغير يبلغ ارتفاعه ١٥ ملليمتراً وواقع بين كفتى مكثف كهربائى. هذا الرذاذ مكهرب بسبب احتكاك جسيماته بعضها ببعض بحيث أن كل جسيم منه يحمل فريقاً من الشحنات الكهربائية بعضها سالب وبعضها موجب، ويمكن كهربة هذه الجسيمات بتسليط أشعة راديومية عليها تخترق الغرفة التى تحويها فتُكسب هذه الجسيمات شحنات كهربائية، وتُرى هذه الجسيمات الميكرسكوبية بتسليط حزمة ضوئية عليها بشرط أن نراها فى اتجاه عمودى على مسار الحزمة؛ عندئذ تبدو كالكواكب اللامعة فى فضاء الغرفة الصغيرة

ولا يجوز أن يختلط الأمر على القارئ فيظن أن هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر هى الألكترونات التى نتحدث عنها ويعتقد بهذا أن مليكان رأى الألكترون، والواقع أن هذه الجسيمات مهما صغرت كبيرة بنسبة الألكترون، فهى عليها كالإنسان على الأرض أو كمخلوق على كوكب المريخ — إننا نستطيع فى الليل أن نرى المريخ يتنقل فى أبراجه السماوية ونتحقق بالمنظار من دورانه حول نفسه، ودورانه حول الشمس، ونرى ما يحيط به من سحب وما يعلوه من جبال ويكتنفه من هضاب ووديان، ولكننا لا نستطيع بما أوتينا اليوم من علم أن نرى رأى العين ما قد يعيش عليه من حيوان أو نبات — كذلك الحال

فى تجارب مليكان . رأى جسماً يحمل الـكترونا أو بضعة الكترونات أو عدداً عديداً منها ، وكان على ثقة فى كل حالة من وجود الالكترونات على هذا الجسم المضىء السابح فى جو الغرفة الصغيرة كما يسبح المريخ حول الشمس وكما تسبح هذه فى المجرة وكما تسبح المجرة فى الكون المحدود، ولكنه لم ير الالكترونات بذاتها

على أنى أزيد القارئ شرحاً: لو أننا استطعنا يوماً أن نتحقق من وجود مخلوقات فى المريخ فلا يتحتم أن نرى هذه المخلوقات لنعرف عددها ، ثمة وسائل أخرى يصح أن نجيل فيها النظر فانه يكفى أن تتبادل هذه المخلوقات معنا رسائل مفهومة يستطيع هؤلاء فيها أن يوافونا باحصاء عن عددهم ، عند ذلك نقول : إن المريخ يسكنه كذا من المخلوقات الأذكياء دون أن نكون فى حاجة لنرى أياً منهم

كذلك كان الحال فى تجارب مليكان الخالدة التى يجذبنى هيكلها الرائع منذ تجولت فيه بالطالعة والمرس والذى أبسطه للقارئ قدر المستطاع — كان فى استطاعته أن يرى الجسيم الزيتى المتناهى فى الصغر، وكان يعرف عدد ما يحمله من الكترونات وهى جسيمات أصغر من الرذاذ المادى كما أن المخلوقات الفرضية فى المريخ أصغر بكثير من الـكوكب الحامل لها وكان مليكان يعرف عدد ما يحمله الجسيم المضاء من الالكترونات كما نستطيع أن نعرف عدد ما تحمله الأرض من مخلوقات بشرية ، وليس ثمة فارق بين معرفتنا هذه ومعرفة مليكان إلا أننا لا نستطيع أن نعرف على وجه التدقيق عدد الأحياء من البشر فى لحظة معينة ، وتواجهنا فى ذلك مصاعب يتفق القارئ معنا فيها ، منها أننا لم نكتشف الأرض كلها ومنها أننا لا نستطيع فى بعض الشعوب الاعتماد على وسائل الإحصاء الصحيحة، بينما نستطيع أن نعرف على وجه التحقيق عدد المخلوقات الألكترونية التى يحملها كل جسيم، ولم يتطرق إلى ذلك أى خطأ

كيف تسنى لمليكان التحقق من وجود هذه الشخصيات التى لا تُرى ، هذه المكونات الأولى للخليقة ؟ ـ كيف استوثق من عددها ؟ ـ أمور أحدث عنها القارئ فى الأسطر الآتية واحتاج فى ذلك إلى بعض الشرح

***

فى باريس محال للبيع يسمونها Unis Prix أى « أثمان موحدة » تشبهها فى لندن محلات اسمها « ولورث » Wolworth تدخل إليها فتجد فيهـا كل شىء ، تجد جميع الأصناف من المأكولات فتجد الشكولاته كما تجد علب الأناناس والفواكه المحفوظة ، كذلك ترى أطباقاً ساخنة للأكل تنفنيك وأنت فى عجلة عن الغداء أو العشاء يسمونها « طبق اليوم » وترى أطباقاً باردة تقوم مقام « الساندوتش » وترى الأنواع المختلفة من لعب الأطفال أو أدوات النجارة والبرادة ، وفى هذه المحلات توجد اللابس بجانبها الأدوات الكهربائية من مصابيح إلى أجراس وخلافه، وتوجد الأقمشة والأحذية بأنواعها؛ وتوجد أدوات الزينة للسيدات وأدوات الحلاقة للرجال ، كل ما يعوزنا نجده فى هذه المحلات من أدوات الحديقة إلى أدوات الحمام من المأكل إلى المشرب إلى كل ما يطرأ على بالنا من الحاجيات ، وقد حددوا الأثمان فيها لجميع ما فيها يباع مثلاً بخمسة فرنكات أو بأعداد مضاعفات للخمسة مثل عشرة أو ١٥ أو ٢٥

ثمة غاية لنا من وصف هذه المحلات يراها القارئ فيما بعد ، ونكرر القول أن المعاملة فى مختلف أقسام هذه المحلات تجرى بخمسة الفرنكات أو أضعافها ، فإذا دخلها فى اليوم الواحد ألوف من الجمهور فإننا على ثقة بأن كل شخص اشترى بضاعته بخمسة فرنكات أو بعدد منها ، ثمة رجل اشترى بمبلغ ٢٠ فرنكاً وآخر بمبلغ ٣٥ وثالث بخمسة ورابع بمائة أو مائتين ولكنه لا يوجد متردد واحد اشترى بضاعة ثمنها ٣٧ فرنكاً أو ١٠٢ من الفرنكات لسبب واحد ، ولكنه سبب رئيسى ، ذلك أن هذه البضاعة غير موجودة ولا يجوز شراؤها بهذا الثمن

ولو أننا الآن عرضنا على أحد الطلبة المبتدئين فى الحساب الجدول الآتى من الأثمان المختلفة التى اشترى بها عدد من الجمهور الباريسى

١٠ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥ ، ١٠٥ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٦٥ وسألناه عن العدد الذى يقسم كل هذه الأعداد لأجابنا على الفور ٥ ، ومعنى ذلك أن كل عدد من الأعداد السابقة يقبل القسمة على ٥ فالعدد الأول يحوى اثنين منها والثانى ٧ والثالث ٩ والرابع ١ والخامس ٢١ الخ

هذه المسألة البسيطة التى يسميها المعلمون فى المدارس القاسم المشترك الأعظم الذى هو ٥ فى المسألة السابقة ، كانت المسألة الوحيدة التى استنتج منها مليكان شحنة الالكترون وتثبت من وجود عدد الالكترونات الحرة المحمولة على كل جسيم كان ينظر إليه فى الغرفة الدقيقة السابقة. وإلى القارئ كيف حدث ذلك :

ترك العالم المعروف « مليكان » رذاذ الزيت يسقط فى الغرفة الأولى ، وتتبع بالميكرسكوب ما يمر من هذه الجسيمات الصغيرة فى الغرفة الثانية ، وكانت تسقط تحت تأثير جاذبية الأرض كما يسقط كل جسم عليها، وكان يراها كالكواكب تتألق ساقطة

جيمها من أعلى إلى أسفل بين كفتى المكثف المكون لسقف وأرض الغرفة الصغيرة الثانية ، وكان من الميسور باستعمال ساعة ثوان [١] أن يقيس الزمن الذى يمر على أحد هذه الجسيمات لتقطع مسافة معينة ، هى المسافة التى بين شعرتى عدسة الميكرسكوب ، مسافة تبلغ فى تجارب مليكان خمسة مليمترات

على أنى ألفت نظر القارئ إلى أن كل جسم يسقط فى الفضاء بعجلة معروفة أى أن سرعته تزداد كلما اقترب من الأرض بمعدل فى الزيادة معروف يسمونه « العجلة » ، بمعنى أننا لو تركنا كرة تسقط من أحد الأدوار العليا فى منزل مرتفع فإن سرعة هذه تزداد كلما اجتازت الكرة الأدوار التالية حتى تبلغ أقصاها عند اقترابها من الأرض : أمر آخر يدخل فى محل الاعتبار عند سقوط هذه الكرة ، ذلك أن الهواء كما لكل سائل مقاومة للأجسام التى تتحرك فيه ، وتزداد هذه المقاومة أيضاً كلما ازدادت السرعة بحيث تتعادل بعد فترة معينة هذه القوة المقاومة مع قوة جاذبية الأرض للكرة ، عند ذلك تسير الكرة بسرعة منتظمة لتعادل القوتين ، ويسمى العلماء هذه المنطقة « المنطقة ذات السرعة المنتظمة » Regime Uniforme ، ولقد كانت المنطقة المحددة بامتداد شعرتى الميكرسكوب والعين من هذه المناطق التى تسير فيها الجسيمات بسرعة منتظمة بالنسبة للجسيمات الكروية الصغيرة التى استعملها مليكان ، وقد أعطى « ستوكس » [٢] و[٣] Sir G. Stokes القانون الذى يمكن أن تحسب منه سرعة هذه الكرات من كتلتها أو بالعكس ، وهو معادلة نجد فى أحد طرفيها ثقل الكرة فى السائل وفى الطرف الثانى مقاومة السائل للكرة ويحوى هذا الطرف الثانى سرعة الكرة أيضاً

راقب مليكان سرعة أحد هذه الجسيمات الساقطة والمتناهية فى الصغر بملاحظة الوقت الذى يمر على الجسيم لكى يقطع المسافة بين شعرتى الميكرسكوب ، عند ذلك أوصل التيار الكهربائى بين كفتى المكثف ، وشاهد أن هذا الجسم الساقط بدأ يرتفع فى جو الغرفة الضيقة المحدودة بكفتى المكثف ــ ذلك لأن الجسيم يحمل عدداً من الألكترونات كما قدمنا أى إنه مكهرب ، وطبيعى أن تجذبه الكفة العليا إليها ، لأنها مكهربة من نوع من الكهرباء يختلف عن الكهرباء الموجودة على الجسيم ــ عند ذلك قطع مليكان المجال الكهربائى الموجود بين الكفتين ، وفى هذه اللحظة ذاتها بدأ الجسيم فى السقوط مرة أخرى تحت تأثير المجال الأرضى ؛ فإذا أوصل التيار الكهربائى عاد الجسيم إلى الصعود وهكذا

وقد لاحظ مليكان أن الوقت الذى يسقط الجسيم فيه المدى الواقع بين الشعرتين واحد لا يتغير — إلا فى حدود الخطأ التجربى — وأن الزمن الذى يمر لكى يصعد الجسيم فيه المدى عينه يتغير من وقت إلى آخر ، ويتخذ فترات مختلفة إلا أنها فترات تتكرر دائماً أو تتكرر مثيلاتها ؛ وهى كلها مضروبة فى عدد واحد يقسمها جميعاً ، بمعنى أن يسقط الجسيم مثلاً فى ١٣٫٦ من الثانية ولكنه يرتفع دائماً إما فى ١٢٫٥ ثانية أو ٢١٫٨ أو ٣٤٫٨ أو ٨٤٫٥ ، ومهما أعاد التجربة على الجسيم ذاته فإنه يسقط دائماً تحت تأثير المجال الأرضى فى ١٣٫٦ من الثوانى ، ولكنه يرتفع تحت تأثير مجال كهربائى ثابت فى عدد من الثوانى هو حاصل ضرب عدد معين يقسم الأعداد جميعاً

لم يكن هناك إلا فرض واحد لتفسير الحادث الواضح لحركة الجسيم فى المجال الأرضى وحركته فى المجال الكهربائى ، ذلك أن الجسيم يحمل باحتكاكه فى الهواء أو بالتأثير الراديومى فيه كميات كهربائية ذات شحنات مختلفة إلا أنها لا يمكن أن تختلف بعضها عن بعض إلا بقدر معلوم

(يتبع) محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) تستعمل هذه الساعة عند ما يراد معرفة الزمن لأقرب $\frac{1}{5}$ أو $\frac{1}{10}$ الثانية وتسمى بالانجليزية Stop-watch وبالفرنسية Montre-a-course وتستعمل فى سباق الخيل وقد استعملها مليكان فى تجاربه كما استعمل أيضا كرونوسكوب هيب Chronoscope de Hipp وهذا الأخير يقيس الواحد على ألف من الثانية

(٢) السير ج . ج ستوكس النشرات الرياضية والطبيعية . كامبردج المجلد الثالث سنة ١٩٠١

(٣) ذكرنا معادلة ستوكس فى مقال سابق . ونذكر الذين يهتمون بهذه الناحية من العلوم الرياضية والطبيعية أن جولدستاين Goldstein عدل فى سنة ١٩٢٩ معادلة ستوكس بمعادلة نجد فى الطرف الثانى منها متوالية Serie تحوى عدد رينولدز Reynolds ، وهو عدد معروف عند الطبيعيين أنه ليس له حدود

من هنا ومن هناك

السياسة والأخلاق

[عن « نشرة اكسفورد فى الأحوال الحاضرة »]

منذ عرف الإنسان السياسة لم يجد سبيلاً للتوفيق بينها وبين المثل الأخلاقية العالية . فهو إما أن يهجرها ويبعد عن سبيلها كما يفعل رجال الدين فى مختلف العصور ، أو يشتغل بها ويواجه كل موقف بما هو أهل له ، فيرد ما لقيصر لقيصر كما يقول المثل المعروف . والسياسة لا تعرف غير الحقائق الواقعة ، فليس من السهل أن نسألها العطف أو الرحمة أو الأناة أو ما إلى ذلك من الخلال التى نعرفها فى حياتنا العامة .

ولعل من أهم الأسباب التى تجعل للسياسة هذا اللون ، أنها تدين فى الحياة للقوة ، والقوة سلاح خطر ، وإن كانت فى ذاتها شيئاً لا هو من الخير ولا هو من الشر ، شيئاً لا لون له ولا صفات فرجعها فى الحقيقة إلى الغاية التى تستخدم فى سبيلها والوسائل التى تلتمس لها .

وقد واجه الحكام والمحكومون هذه الصعوبات منذ عرفت السياسة . إلا أن ظروف العالم الحاضرة اليوم قد أمدتهم بشىء من الصرامة والتأييد . ويرجع ذلك إلى سببين : السبب الأول هو اتساع نطاق الحياة السياسية باشتباك الصوالح الدولية ، فكثير من أحوال السياسة اليوم لا يرجع أمره إلى المصالح والأغراض الوطنية كما كان بالأمس ، فللشئون الدولية أهميتها الكبرى فى هذه الأحوال ، ومن هنا يصير الاعتماد على القواعد الأخلاقية أشد صعوبة مما كان عليه فى العهود السالفة .

أما السبب الثانى فهو أشد عمقاً من السبب الأول : وذلك أن الشعوب فى هذه الأيام لم تعد تهتم بالدعوة الأخلاقية فى العالم السياسى ، لأنها غير واثقة من كيانها الأخلاق نفسه .

لقد كانت الدول الأوربية منذ خمسين عاماً ، بل — منذ عشرين عاماً كذلك — يربطها وثاق متين من الأخلاق المسيحية — ولا أقول إن الحياة فى تلك العهود قد وصلت إلى مستوى الأخلاق المسيحية السامية — ولكن هذا الباب كان مفتوحاً على كل حال . ولكنا اليوم نرى فجوة واسعة فى العلاقات الدولية فلم يعد يصل ما بينها ذلك التعاون القديم الذى تقلصت ظلاله ولم يحل محله شىء على الإطلاق ، وقد أصبحنا نرى على الصهوة رجالاً متعلقين بعنان القوة ، وهم لا يخشون شيئاً غير الهزيمة ، ولا يخجلون من شىء غير الانحدار . فهل من الغريب مع هذا أن تنحط القوى الأدبية والمعنوية فى العلاقات بين الدول الأوربية إلى الحضيض الذى لم تنحدر إليه فى عهد من العهود ؟

نحن اليوم أمام موقف يدعونا إلى بعض التأمل . ومما يدعو إلى الأسف الشديد أن نرى الحالة السياسية والفكرية والأخلاقية يعروها هذا الجمود .

وإذا كنا هنا بصدد الكلام عن الأخلاق ، فمن الواجب أن نقول : إن حكام ألمانيا الحاليين قد أساءوا استعمال القوة التى فى أيديهم ، فزادوا إلى ويلات الإنسانية بلاء لم يعهد له مثيل ؛ ومن الحق أن نحملهم وزر ما جنوا على العالم الإنسانى ، ونجعل الدفاع عن الأخلاق من الواجبات العامة التى ينشدها الجميع لخير الإنسانية العام .

إن الدول الدكتاتورية ما زالت تعتقد أن القوة هى سيطرة الإنسان على الإنسان ، لا سيطرة الإنسان على الطبيعة ؛ وترى فى الجار عدواً يجب أن تتحين الفرص لهلاكه . فالجار والجار عدوان على الدوام .

وتستبيح لنفسها الاعتداء على كل أمة وهبتها الطبيعة شيئاً من خيراتها ، وهذه حالة ينهار معها كيان الشرف والأخلاق .

نحن نحارب لأجل المدنية

[تقلا من مجلة « بكشرز بوست »]

نحن اليوم فى حرب ، فماذا نحارب من أجله ؟ أنحارب لأجل بولندة ؟ أجل ، نحن نحارب من أجل بولندة ، لا لأن فى بولونيا شعباً ضعيفاً معزولاً هوجمت بلاده دون إعلان سابق للحرب ، ولكن لما هو أكثر من هذا ، وهو أنا منحنا هذا الشعب كلمتنا

— وهى الكلمة البريطانية .. ولكننا كذلك نحارب من أجل حياتنا . فنحن نعلم أن انتصار النازية ليس فى الحقيقة انتصاراً على بولندا واستريا وتشيكوسلوفاكيا فحسب، تلك البلاد التى وجدت وذاق أهلها أشد أنواع العسف فى العصر الحديث .

نحن نحارب لهذه الأسباب — ولا شك — ولكن هناك اعتباراً أعظم وأسمى من تلك الاعتبارات ، وهو أنا نحارب لأجل المدنية ، فما هى المدنية ؟ ليست المدنية لبس القبعة الحريرية ، أو المعرفة بفن وجنر ، أو الاضطلاع بعلم الكيمياء . ولكن المدنية هى معرفة فلسفة الحياة الحقة ، هى أن تدرك تماماً أن القوة ليست الطريق إلى المجد ، وأن المادية العمياء ليست كل شىء فى الحياة ، وترى راحتك فى عمل الخير للصالح العام. إن الألمانيين ولا شك أكثر انهماكاً فى دراسة الكتب من البريطانيين ، ولكنهم لم يدركوا هذه الحقيقة ، فهم إذن بعيدون كل البعد عن المدنية

يقول بعض المتشائمين : إن كل شىء فى الحياة قد تناولته يد الفساد فما أجدرنا بأن نهدم بيدنا كل شىء ونبنى حياتنا من جديدا وما أجدرنا بأن نقتدى ببساطة ذلك الهمجى النبيل ولكن الهمجى النبيل ليس إلا أسطورة فى خيال ذلك القائل المسكين، إن أهالى الشعوب الهمجية على ما عرف عنهم من الخرافات الكثيرة ليسوا بسطاء، فهم يطوون قلوبهم على الشحناء ويجدون نخارهم فى الحروب

إن الحياة ولا شك لم تصل إلى الغاية التى يستريح فيها كل إنسان، وعلى الأخص الفقراء، ولكن حالة الفقير اليوم خير منها بالأمس والعالم بمختلف طبقاته اليوم أكثر اتجاهاً إلى البر والإحسان والاعتراف بحقوق الفقراء مما كان عليه منذ مائة عام . وقد أخذت الشعوب تجنى ثمار الراحة والرفاهية نتيجة جهادها الجهل والقسوة مئات السنين ونحن مطالبون اليوم بأن نحارب تلك الدعاوى الباطلة التى غرس بذورها هتلر ولنين ، ضناً بتلك الثمار النقية من الفساد

وإن بريطانيا وفرنسا لتزهيان بقيامهما بواجبهما فى سبيل الدفاع عن المدنية ، ضد هذه الحالة التى ترجع بالعالم إلى عصور الهمجية الأولى ، ولا تختلف عنها إلا فى استعمال الطائرات قاذفة القنابل والدرعات الحربية بدلاً من القوس والنبال

إن الكفاح العظيم الذى نراه اليوم قد أوجد بيننا نوعاً جديداً من الوئام والارتباط ، ونحن نرى روح التعاون اليوم يشع نورها فى كافة الأنحاء ، ومن واجبنا إذا انتهت الحرب أنعمل على دوام هذه الروح ، ومن واجب وزارة الخدمة العامة ألا تغلق أبوابها إذا دقت الأجراس مؤذنة بانتهاء الحرب ليدوم هذا التعاون الجليل لمكافحة الجهل والفقر والمرض .



في المسرح

١ – فجع المسرح الفرنسي بل العالمي في الإخراج والتمثيل بوفاة جورج بيتويف Pitoëff . وقد شارك بيتويف المجددين من المخرجين الفرنسيين في فك قيود المسرح . فأتم هو وجوفيه Jouvet ودولان Dullin وباتي Baty مسعى كوبو Copeau (ومن قبله: Antoine) في مسرحه الذي ثار فيه على الأوضاع المربوطة واسم المسرح Le Vieux-Colombier . والذي أحدثه هؤلاء النفر أنهم أنزلوا نص المسرحية في المنزل الأول فجعلوه كالصورة المنصوبة، وأخذوا هم يسلطون عليه الضوء من هنا والظل من هنا، من طريق الإخراج والتمثيل، حتى يبرز للعين وخصائصه تكاد تجسها اليد، ودقائقه تتعلق بها البصيرة فتتصورها الحواس . وقديماً كان النص كالعجين يعجنه المخرج والممثل على أهوائهما . ومزية بيتويف أنه ذهب في الطريقة المستحدثة أبعد مذهب ، واشتهر بالبساطة بل بالسذاجة ، وقد كنت أمل أداءه أول الأمر حتى فطنت إلى قوته المستترة وجلاله المتواري ، فأدركت كم يجتهد الرجل (وزوجته أيضاً: Ludmilla) في ساعات التدريب حتى يبرز للنظارة كأنه غائب عنهم أو كأنه شبح يذهب ويجيء في عالم ثان . وكان بيتويف يختار من المسرحيات أبعدها غاية وأدقها لمحة وألطفها وضعاً . فأدى فيما أدى مسرحيات لأندرييف وتشيكوف الروسيين وإبسن النرويجي وشكسبير، وأقدم على بيرندللو الإيطالي فأقام باريس وأقعدها إذ أدى « ستة أشخاص يفتشون عن مؤلف » ثم أقدم على رابندرانات تاغور فأدى « رسالة أمال » . فشق بتلك المسرحيات الدخيلة كوّى ونوافذ في المسرح الفرنسي . وكان اعتماده على الجمهور المثقف، على الخاصة ، وكثيراً ما راعتني قلة النظارة في مسرحه ، ولكنه الفن الخالص ، وبيتويف وأحزانه خدّامه وسدنته . حتى إن الرجل كان يؤدي المسرحية الواقعية البيّنة المعالم في أسلوب يغلب عليه اللطف ، رغبةً في الإيحاء والإيهام ؛ وهل المسرح سوى هذا ؟

* * *

٢ – وأما الفرقة القومية عندنا فلا تزال تقول : إن جمهورنا يريد كذا أو لا ينشط لكذا . بالله لمَ أنشئت الفرقة : ألتسلي الناس أم لترفع قدر المسرح وتستدرج النظارة إلى تذوق الفن الدقيق ؟ إن في مصر عدداً من المسارح القائمة للتسلية والترويح عن النفس ، والربح من وراء ذلك . وإن كان هذا غرض الفرقة فلتهجر دارَ الأوبرة ولتقصد إلى شارع عماد الدين تنافس فيه ما تشاء . وإنا نَربأ بالفرقة أن يستهويها مثل هذا . ولكن ماذا نصنع وهي تمنينا كذا وكذا ولا تصنع شيئاً . فإذا أصرت على أنها خرجت إلينا بأموالنا لتخدم الفن فهل راجعت ما هي عليه سائرة ؟ هل نظرت في أمر لجنة القراءة التي تأذن في تأدية مسرحيات موضوعة قد نفض لونها واختل اتساقها ؟ هل جعلت لجنة من أهل الاطلاع والمعرفة تختار من المسرحيات الإفرنجية ما له شأن ؟ هل عزمت على أن تطلب المدد ممن وقف حياته على فن المسرح ؟ هل فطنت إلى إرضاء الخاصة ؟ هل ذكرت أن في أوربة ما يقال له : « تأدية الشعر » représentation poétique وهي أن ينشد رجال الفرقة الحين بعد الحين قصائد ومقطوعات في كذا وكذا من الموضوعات ؟

إن في رجال الفرقة وفيمن أقصوا عنها بغير حق من يقدر على معالجة الفن الخالص . فقد شهدت من سنوات « أهل الكهف » . ثم شهدت أول من أمس « تحت سماء أسبانيا » ، فرأيت إخراجاً حسناً وتمثيلاً صحيحاً ؛ ولن أنسى مشهداً اجتمع فيه زوزو الحكيم وعلام ومنسى فهمي وعباس فارس فتجلى الصدق في الإحساس والتعبير ، ومن وراء ذلك فتوح نشاطي . إلا أن المسرحية نفسها ليست بآية ، وهي أقرب إلى رواية سينمائية منها

إلى مسرحية، وذلك لما فيها من التأثير المباشر والحوادث النفّاسة فكيف يكون السبيل إلى التلطف فى الإخراج وبث الأوهام ؟ ولم أرَ اسم المؤلف ولا عنوان المسرحية فى لغتها على صفحات البرنامج الذى دفع إلىّ وأنا أدخل إلى دار الأوبرة ، وهذا غريب . وعلى كل حال فإن فى المسرحيات الأفرنجية ما هو خير وأعلى

وبعد فقد كتبتُ (الرسالة ٣٣٢) أن إدارة الفرقة (وغيرها) تسرف فى بذل تذاكر الدخول لهذا ولذاك على حين أنها تضن بها على الكتاب المقدّمين والنقاد البصراء ، فسألت من سألت أن يتدارك الأمر . وبلغنى بعد ذلك أن وزارة الشؤون الاجتماعية جعلت للإسراف حداً عنيفاً . على أن التشدد هنا كالترخص؛ أفلا نطلب الاعتدال ؟ والوجه أن تُعمل قائمة تدوّن فيها أسماء الذين يدعون فى الليلة الأولى La Première وفيهم النقاد والكتاب . أما الممثلون فلهم أن يظفروا بعدد من التذاكر على ألا يدعوا حلاقهم وطباخهم وبقال الناحية . . . إلا إذا كانوا من طلاب الفن . ومتى أقول الفن الخالص ؟

بشر فارس

لغة الأدب ولغة العلم

من تقصّى محققاً كما يتقصى الفاضل الباحث (الدكتور بشر فارس) الأديب العربى المشهور علم « أن اللغة لا تنحصر فى الإنشاء الأدبى فثمة الإنشاء العلمى ، وله أن يجرى إلى جانب الإنشاء الأدبى : هذا فى شعب وذاك فى شعب ، وفى تاريخ آدابنا ما يؤيد هذا ...[1] »

ولى شيء كنت قلته فى تضاعيف كلام فى خطبة طويلة منذ ثلاث عشرة سنة — يعضد المعنى الذى غزاه (أى قصده) الدكتور المفضال ، وقد رأيت أن أشيّع مقالة (الفارس) — وإن لم تفتقر إلى تقوية — بأن أروى اليوم فى (الرسالة الغراء) ذاك الكلام :

... لا تلوموا العربية ولوموا أمة ركضت إلى الدعة (قبح الله الدعة) ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعّما وتظل معتكفاً على الأقداح
ما للرجال وللتنعم ، إنما خلقوا ليوم كريهة وكفاح[2]

(١) (مسألة) للدكتور بشر فارس ، الجزء (٣٢٨) من (الرسالة)

(٢) أبو دلف القاسم بن عيسى القائد البطل

والحركة — كما قالوا — ولود والسكون عاقر ، وقد قال أبيقور : أى معنى للكون بالسلم بفقدان الحركة ؟ ولام هذا الحكيم هوميرَ حين سأل الآلهة أن تصطلح كى تزول الحروب

إذا المرء لم ينش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[1]

وابن نتشه يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال ، وعمل النساء هو تمريض الجرحى . وليس القصد (يا بنى) أن تَغلب أو أن تُغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة ...

... فليست اللغة العربية (والحالة فى تلكم العصور كما سمعتم عنها) بمستأهلة أن تلام وأن تعاب ، فإنها لا بست ضعفاء فلبست كساء ضعف ، وعاشرت وضماء فارتدت شمار ضمة ، وما الضعف وما الضمة (والله) من خلائقها . ولو استمرت تلك القوة ، ولو استمرت تلك المدنية ، ولو لم يكن ما كتب فى اللوح أن يكون — للأت بدائع العربية الدنيا ، فإنها معدن البدائع ، ومنجم كل عبقرى رائع

على أن لغة العلم فى العربية ، وللعلم لغة وللأدب لغة ، لم تُضم ضيم أختها ، وما المقاصد والمواقف وشرحاها ، وأقوال ابن الخطيب ومقدّمة[2] ابن خلدون ، وكلها فى العصور المتأخرة ، بالتى تذم (فى أسلوب اللغة العلمىّ) جلتُها ...

(م)

أصدقاء المؤلف !

أخى الأستاذ الزيات

يجب أن تصدق ما أقصه عليك :

هل تعرف أن مؤلفاتى ستضيع أصدقائى ؟

هو ، والله ، ذلك : فكل صديق ينتظر أن أهدى إليه مؤلفاتى ، فإن لم أفعل فأنا عنده من أهل العقوق !

وهل يصدّق قراؤك ما أقص عليهم ؟

ليسمعوا ، إن شاءوا :

(١) هبيرة بن عبد مناف (الكلحبة اليربوعى)

(٢) قائمة فى (الفائق) : « المقدمة الجماعة التى تتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم ، وقد استعيرت لأول كل شىء فقيل منه مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام ، وفتح الدال خلف » ومقدمة ابن خلدون هى الجزء الأول من كتابه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ...)

إن صداقتي لمجلة الرسالة لا تخفى على أحد ، وقد بذلتُ في خدمتها ما أطيق ، وجهد المقل غير قليل ، ومع ذلك رفضتُ أن تُوسل إليَّ هديةً ، فأنا أشتريها من السوق كما يصنع سائر القراء ، وكذلك حالي مع جميع الجرائد والمجلات ، إلا ما يتفضل به كرام الصحفيين في مصر ولبنان والحجاز وسورية والعراق

وكانت حجتي يوم رفضت هديتك أني حين أشترى الرسالة أحس أني أقول : « صباح الخير ، يا صديقي الزيات » وقد أشترى العدد الواحد مرتين أو ثلاث مرات ليشمر الباعة الذين يعرضونها عليَّ بأن الأدب شيء مقبول ، وله أنصار أوفياء

هذا ، وقد كان من عادتي أن أهدي مؤلفاتي إلى محرري الجرائد والمجلات ليؤدوا واجب النقد الأدبي في التنويه بالمؤلفات الحديثة ، ولكني لا حظت أنهم يفرّطون في هذا الواجب بحجة أني أقدم إليهم عدة كتب في العام الواحد وهم لا يستطيعون أن يتحدثوا عني في كل عام عدة مرات !

أفلا يكون من الذوق أن أعفي أولئك الأصدقاء من هذا الواجب ؟ !

قد أعفيتهم ، فهل يعفونني من العتاب حين أبخل عليهم بمؤلفاتي وأنا أنفق عليها من رزقي وأرزاق أطفالي ؟

وفي ختام هذه الكلمة أراني مضطراً إلى التنويه بفضل الأستاذ خليل بك ثابت فقد كان دائماً مثال الرجل الحريص على الواجب . أما الأستاذ حافظ محمود فقد حفظ لمؤلفاتي مكاناً في السياسة الأسبوعية ، وأما الأستاذ المازني فهو من المتوب عليهم .

وهذا آخر العهد بإهداء مؤلفاتي إلى أصدقائي ، ولا أستثني الأستاذ الزيات ولا الدكتور طه حسين ولا الأستاذ أحمد أمين !!

زكي مبارك

في كلية الآداب

أشار « جامعي » في العدد السابق من الرسالة إلى حوادث تدلّ على مقدار كبير من المحاباة يتمتع به أجنبي يدرّس الآن في كلية الآداب ، وعلى أنه يحظى برعاية لا يصيبها مصري أحق منه . وجاءت هذه الإشارة عقب كلمة الدكتور بشر فارس في العدد الذي سبقه وهي الكلمة التي كان لها فضل كبير في تنبيه الأذهان إلى مدى الحظوة التي يجود بها بعضنا على الغريب على حساب دافعي الضرائب المصريين ، فيطمع في المزيد منها ولو كان في ذلك حرمان للمصري . ولا شك أن كثيراً من شباب مصر الذي نبغ في معاهدها ، ثم نال من الإجازات من معاهد أوربا أكثر مما نال هذا المدرس الأجنبي ، ثم لا يجد بعد طول التحصيل عملاً يفيد به الأمة — يشكر الدكتور بشر فارس صراحته وشجاعته. وإني لأعرف بينهم من يود إعلان تأييده إياه وبسط شكواه من الواقع لولا خشية الذين يضرون وينفعون .

وإني أرجو أن تتفضل « الرسالة » بإفساح صدرها لشرح حقائق أخرى تضاف إلى حساب هذا الشاب الأجنبي الذي عين في كلية الآداب بمرتب يزيد على مرتب اثنين من المصريين الذين أتموا من الدراسة والتحصيل ما لم يتم ، وحصلوا من الإجازات على ما لم يحصل عليه .

إن الرجل عُين في مصر بسعي مستشرق فرنسيّ كبير ذي نفوذ واسع وكلمة نافذة في بعض الدوائر المصرية ، وذلك بعد أن رفضت وزارة المعارف الفرنسية تجديد عقده الذي كان يمنحه سنوياً في باريس مبلغاً يقل بكثير - على حسب سعر العملة اليوم - عن مرتبه الشهري في مصر ؛ وقد فعلت هذا حكومة فرنسا الغنية ابتغاء للاقتصاد . وتم تعيينه عندنا في عام ١٩٣٦ . وفي عام ١٩٣٧ منحته كلية الآداب مكافأة لتمضية العطلة الصيفية في فرنسا وفعلت مثل هذا في عام ١٩٣٨ . والمتداول عندنا أن المكافأة الثانية صرفت من الاعتماد المخصص لمكافآت الطلبة . ثم إن الكلية ذهبت في سخائها الحاتمي إلى زيادة مرتبه مرتين ، وقررت أيضاً منحه مبلغ خمسمائة جنيه مصري إعانة له على طبع رسالته التي يتقدم بها أمام جامعة باريس لنيل الدكتوراه في الآداب . كل هذه الألوان المتعاقبة من المحاباة نفذت في زمن قصير بتوصية المستشرق الكبير الذي سبقت الإشارة إليه

وإني لأعرف أديباً مصرياً مشهوراً طلب إلى كلية الآداب منذ عشرة أعوام أن تعينه على طبع رسالته للدكتوراه أمام جامعة باريس فلم يجد أذناً مصغية ، وكان هذا الأديب في حاجة إلى الإعانة وقتئذ ، إذ لم تجر عليه كلية الآداب راتباً شهرياً بل كان يجاهد بقلمه ليعيش أثناء إقامته للتحصيل في العاصمة الفرنسية . ولعل هذا الأديب يقرأ هذه الكلمة فنزكي هذه الذكرى بقلمه لينصف حقاً من حقوق الأمة .

وإنى أتمنى أن يجرؤ كل عارف لمثل هذه الحقائق على نشرها ليمتنع حصول مثلها . وهنا أبر بالشعب من محاربة بعضنا لبعض واضطرار الكثير منا إلى الالتجاء إلى الأجنبي يشترى عونه وحمايته بأموال مواطنيه ، وهو لا يبيعه العون والحماية إلا ليثبت مصلحة له يعلم من يعلم مقدار خطرها . جامعى آخر

إلى الأستاذ الجليل « النشاشيبي »

كثر الجدال فى صحة نسبة نهج البلاغة وتقارعت الأدلة . فمن يرى أنه للشريف الرضى لا للإمام عليّ يقول إن أسلوبه أسلوب العصر العباسى لا أسلوب الصدر الأول ، ومن قابل بينه وبين آثار المصرين ، والثابت من مأثور المهديين ، وكان من نقدة الكلام وجهابذة القول حكم بإحالة صدوره عن الإمام . وإن فيه من الطعن على الصحابة ما ينزه عنه أبو الحسنين ويناقض ما روى عنه (بالتواتر) من الثناء على الشيخين ومبايعتهما والرضا باتباعهما ، وإن فيه أشياء من مصطلحات أهل العلوم التى لم تكن قد وضعت على عهد الإمام أصولها ، ولا اصطُلح على تلك الألفاظ فيها ، وإن فيه ما يخالف (طبائع الأشياء) . فقد كان الإمام مدة خلافته كلها فى حروب ومشاكل لا يفرغ معها ولا يجد داعياً ولا مجالاً لإلقاء خطبة طويلة فى وصف الطواويس وأنواع الخلق أو البحث فى فلسفة اللاهوت — هـذه الحجج لمن ينفى ، ولمن يثبت حجج دفاعية (يرونها) مقنعة — وقد كنا فى مجلس (هو واحد من مئات أمثاله) اشتد فيه بيننا الخصام وامتد الجدال ، ثم اتفقنا على تحكيم أعلم الناس بمراجع هذا البحث وأوسعهم اطلاعاً عليها ، ومَن قوله فيها القولُ ، فوجدنا هذا الشرط فى حجة الأدب النشاشيبي

فهل لك يا أستاذنا الجليل أن تقول (كلمة الفصل) فى هذا الموضوع فتخدم بذلك الحقيقة والأدب وأهلهما ؟

(العراق) (سائل)

اليونان والبلاغة العربية

ذهب الدكتور طه حسين بك فى بحثه الذى صدر به كتاب نقد النثر لقدامة إلى أن قواعد البلاغة إنما أسست على ما وضع أرسطو ، ونقله العرب عن اليونانية ، وشايعه على ذلك الأستاذ البشرى (الهلال يناير ١٩٣٦) وقد وجدت فى المثل السائر لابن الأثير وهو من أشهر كتب البلاغة وأجودها كلها فى هذا الموضوع ، رأيت أن أطرف بها من لم يطلع عليها من القراء

قال : « ... فإن قلت إن هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه ، قلت لك فى الجواب هذا شىء لم يكن (إلى أن قال) : وهذا باطل بى أنا ، فإنى لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ، ومع هذا فانظر إلى كلامى (إلى أن قال) : ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا وانساق الكلام إلى شىء ذكره لأبى على بن سينا فى الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليونانى يسمى اللاغوذيا (؟) وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبى على ، فوقفنى على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته فإنه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذى ذكره لغو لا يستفيد منه صاحب الكلام العربى شيئاً »

ولست أنقض ما رآه الدكتور طه حسين ولا أثبته ، ولكنى أردت إطراف القراء (ع . ط)

يوميات نائب فى الأرياف بالفرنسية

وقع تساهل فى ترجمة الفقرة الأخيرة من مقال مجلة مريان الفرنسية عن هذا الكتاب التى نشرناها فى العدد الماضى ، فقد ورد فيها : « أنه يكتب لمجرد الرغبة فى الكتابة » . والأقرب إلى الصواب : « أنه يكتب لأنه يجد لذة فى الكتابة »



المحكم فى أصول الكلمات العامية

للدكتور أحمد عيسى

من العجيب أن الذين أجدوا على العربية وخدموها أجل الخدمات ، ليسوا من أولئك الذين ربطوا أنفسهم بدراستها ، وأفنوا أعمارهم بحثاً فى أصولها وفروعها ، ونحوها وصرفها ، ولكنهم جماعة ابتدأوا حياتهم بدراسة لعلها آخر ما يتصل بالثقافة اللغوية ، ثم دفعتهم الرغبة النفسية الخالصة فخاضوا لجج البحث اللغوى ، وأمعنوا فى دراسة فقه العربية وأصولها ومفرداتها ، فخدموا لغتهم وأمتهم خدمة أقل ما يقال فيها إن مجمع اللغة بجاهه وماله لم يبلغها فى شيء . ولعل فى طليعة أولئك الباحثين الهواة (كما يقولون) الدكتور أحمد عيسى بك، فهو طبيب نابه فى مهنته ، ثم هو باحث معروف فى اللغة، وقد أخرج فى خدمتها مؤلفات قيمة، آخرها ذلك الكتاب : « المحكم فى أصول الكلمات العامية »

ووضع الدكتور الباحث كتابه هذا ليثبت به كما يقول : أن اللغة العامية التى نتكلمها الآن فى مصر ليست بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى ، وهى تبتعد عن الفصحى فى شيئين : الإعراب وتركيب الحروف ، على أن أكثر الكلمات العامية التى ينفر منها الذوق الآن ويستنكرها الحس إنما كانت من أفصح الألفاظ العربية، وإن كثيراً منها قد استعملت فيه المجازات اللطيفة والاستعارات المستملحة التى تعد من أرقى أساليب الفصاحة فى الكتابة والكلام

ولاشك أن المؤلف قد استطاع أن يحقق رأيه بما جمعه وشرحه من المفردات العامية وردها إلى أصولها وبيان ما اعتورها من التحريف ، وقد رتب سردها على حسب الحروف الهجائية ، بذكر اللفظ العامى وبجانبه تفسيره عند العوام ، ثم يأتى بالأصل الفصيح مبيناً ما فيه من الحقيقة والمجاز

والمؤلف طبعاً لم يجمع كل الكلمات المستعملة فى لغة العامة ولكنه قد جمع منها ما استطاع أن يرده إلى أصوله فى اللهجات العربية ، ومنها ما رده إلى أصله فى الفارسية واللاتينية والتركية والسريانية وغيرها من اللغات التى دخلت على لهجات المصريين. وقد قدم لذلك كله ببحث واف فى أسباب التحريف فى اللغة وتعدد اللهجات والفصيح منها والمرذول ، ومخالطة العرب للأعاجم وتحديد الصلة بين العامية المصرية واللغة العربية ، وكل هذا بأسلوب سهل مهذب ، ودقة علمية فاحصة فجاء كتابه نافعاً لا للمعنيين باللغة فحسب ؛ بل لكل أديب وطالب وقارئ

تاريخ الطب فى العـــراق

للدكتورين هاشم الأنرى ومعمر خالد الشابندر

اشترك فى تأليف هذا الكتاب الدكتور هاشم الأنرى عميد الكلية الطبية العراقية من قبل ، والدكتور معمر خالد الشابندر المتخرج فى تلك الكلية ، وهو بحث تاريخى متصل ، يتناول سير الثقافة الطبية ، والأدوار التى اجتازتها فى ربوع الرافدين منذ أيام العباسيين حتى تأسيس الكلية الملكية فى العصر الحاضر

والكتاب فى موضوعه لا يقف عند الناحية الطبية ، ولكنه صورة رائعة لتاريخ العراق العلمى والعمرانى ، فقد قسم المؤلفان كتابهما إلى ستة فصول : الفصل الأول فى الكلام على موقع بغداد التاريخى ، وما كان لها من جد ومجد ، وما انتابها من الحوادث والكوارث ؛ والفصل الثانى عن اتصال العراق بالثقافة الطبية ومدى ما بلغته فى ذلك ؛ والفصل الثالث يتناول الأحوال الطبية فى العهد التركى ؛ والرابع فى توحيد المستشفيات والمعاهد الصحية وتوسيع المستشفى الملكى وتقدمه ؛ والفصل الخامس فى مشروع الكلية الملكية والفكرة فى إنشائها ؛ والفصل السادس فى تأسيس الكلية ومناهجها وأساتذتها ونواحى الدارسة فيها

ولقد اعتمد المؤلفان الفاضلان فى سرد الوقائع التاريخية على المراجع الصحيحة ، والروايات البعيدة عن زيف الشكوك

والأوهام، والمشافهة من الشيوخ الثقات، وقد حرصا على الترجمة لأشهر الأطباء والمترجمين العرب الذين أقاموا أساس الطب في العراق، والتعريف بكثير من المدارس والمعاهد والمستشفيات، كما حرصا على نشر كثير من الصور والرسوم للمعالم والشخصيات فجاء بحثهما وافياً من جميع جهاته، وخدمة جليلة نحو وطنهم ونحو بغداد العظيمة جنة الدنيا في القديم، ومحط العلم والعرفان، ومجمع العلماء والدارسين من أقطار الأرض وأقاصي المعمور

ساعات في الجحيم

للأديب يوسف عيسى البندك

« هذه شعل من اللهب الأحمر، فيها وصف لرجعية المجتمع الشنيعة، وفيها نقد لنظم الحياة الوحشية، ثم فيها تصوير لآلام الجماهير التي تقاسي أهوال الاستبداد والظلم، وتهرق دماءها جزافاً إرواء لجشع الرأسمالية المكّم التي أوشكت أن تغرق الإنسانية في طوفان من النار »

بهذه الكلمات قدّم الأديب يوسف عيسى البندك كتابه « ساعات في الجحيم »، وإنها لكلمات تحمل في أطوائها الفكرة التي عالجها المؤلف الفاضل بشعور ملتهب، وعاطفة فياضة، وثورة عنيفة على النظم المرهقة التي يدعمها الاستعمار والرجعية والجمود والتعصب، ولقد حاول المؤلف أن يسوق أفكاره مساق القصة، وأن يمزج الحقيقة بالخيال حتى تكون قريبة سائغة، ولكنا لا نستطيع أن نقبل كتابه على أنه قصة لها خصائصها ومميزاتها، إذ تنقصه الحبكة الفنية، وقوة الحوار والسرد القصصي

وأسلوب المؤلف أسلوب ملتهب، أسلوب أديب تفيض نفسه بحب الطبيعة وحب الحرية، على أنه يتهاون كثيراً بحق اللغة، وهو حق تجب العناية به، فإن الفكرة لا يمكن أن يتميز بها الفنان إلا إذا أظهرها في لبوس فن له روعته وله تأثيره

البلبل

للأديب حسين عفيف

هذه قصة، أو كما يقول المؤلف « شبه قصة » في مقطوعات غرامية من صنيع الخيال. ومؤلف هذه القصة الأديب حسين عفيف كاتب له أسلوب شعري يفيض بالموسيقى والعاطفة، وله قراء يتلهفون عليه، ويطيرون به

وأسلوب المؤلف أسلوب يشيع فيه التقديم والتأخير، ويقول حضرته: « إنه يلتزم ذلك وفقاً لما تقتضيه رغبة إشاعة النغم فيه » والواقع أن للبلاغة العربية قواعد مقررة، وهذه القواعد تحتم على الكاتب مراعاة الدقة في الأداء، ولكن هذه الدقة لا اعتبار لها في تقدير المؤلف، فكثيراً ما يفرق في تقديمه وتأخيره حتى من غير أن يكون هناك نغم ينشده، بل كثيراً ما يخل بقواعد العربية في سبيل ذلك فيقدم الصفة على الموصوف!

إن الكاتب الأسلوبي يجب عليه ألا يكتب للإفهام فحسب، بل للتأثير الذي هو غاية البلاغة وروحها، ولن يكون التأثير إلا بمراعاة الدقة والقوة والجزالة؛ فإذا كان المؤلف الفاضل يريد أن يظهر بين الكتاب بأسلوبه، فليؤد له ما يجب من قوة الأداء، ودقة الصياغة، وسلامة التعبير، حتى يتم له الكمال، والنغم ليس كل ما هنالك من خصائص الأسلوب، كما أن الدنيا ليست كلها أشجاناً وآلاماً، فلا ينبغي أن تكون أنغام قيثارته كلها على هذا النحو

م. ف. ع

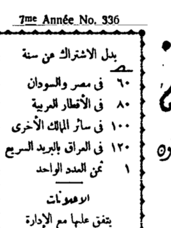
7me Année No. 336 | Lundi - 11 - 12 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

سـيـاسـة السمك !

« إن الحرب الحالية ستزيل الدول
الصغيرة من الوجود » (هتلر)

يلتهم الدب الرومى الآن فنلندا كما التهم النمر الألمانى من قبل بولندا ! وما هذه وتلك ـ حفظك الله ـ إلا أكلة اليوم ! أما أكلات الغد وما بعده فملء ُها لا يزال عند هذين الوحشين اللذين يُنقّلان النظر المحمرّ من أوربا الشمالية إلى أوربا الشرقية، ومن آسيا الصغرى إلى آسيا الوسطى ؛ والدول الصغيرة ترى هذه العيون المتقدة والأفواه المتحلبة فترتعد فرَقاً من الخطر الهاجم والعاقبة المبهمة . ولقد كان لهذه الدويلات الغريرة فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة ، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير ، والفقير من عون الغنى . فلما كفر النازيون والشيوعيون بشرائع الله وقوانين الناس أخذوا العالم بسياسة السمك التى تجعل الضعيف طعاماً للقوى ، ففسد النظام وفقد السلام ، واختل التوازن ، واضطربت الحياة ، وذل الحق ، وأفلس المنطق ، وأخذت جماعات السمك الصغير الرخو تضطرب اضطراب القلق والحيرة بين الحيتان الدكتاتورية التى لا تريد أن تُبقى على سمكة، وبين التماسيح الديمقراطية التى لا تريد أن تُبقى على حوت

***

كان ضمان العيش والاستقلال للدول الصغرى ذلك النظام السياسي الذي وضعته الدول الكبرى وسمته « التوازن الدولي » وحمته بالقوانين والمواثيق والمعاهدات والمحالفات وعصبة الأمم ، فجعلت من بعض هذه الدويلات حدوداً فاصلة ، ومن بعضها الآخر أسواقاً مشتركة ، حتى لا يبغى حد على حد ، ولا تطغى قوة على قوة . ولكن هتلر رسول الشيطان ونبي الألمان وخليفة نيتشه ، قضى بالموت على الدول الصغرى وقرر ألا يحكم الأرض غير دولتين : دولة ملكة هي ألمانيا ، ودولة وزيرة هي انجلترا كما كان رأيه بالأمس ، وروسيا كما أصبح رأيه اليوم ؛ فليت شعري ماذا تصنع هذه الدويلات وصغرُها عمل من أعمال الطبيعة لا حيلة فيه لمحتال ، كما يقصر شخص عن شخص ، ويصغر شيء عن شيء ؟ ليس لها الآن إلا أن تنضوي إلى الأمم الديمقراطية التي تجاهد في سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها في سبيل نفسها ؛ حتى إذا انتصر الأحلاف على هذا الطغيان المسلح الكافر الأثِر ، نظرت هي في يومها وفي غدها فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقرود : وهو التجمع و (التكتل) والتعاون، فيكون بين البلاد المتجاورة، كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام ، شبه ما بين الدول المتحدة في أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشرع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع، ويميل من جرّاها ميزان السلامة. واعتبر ذلك مثلاً ببلاد الوطن الإسلامي الأربعة عشر : مراكش وتونس والجزائر ولوبيا ومصر والسودان وفلسطين وسورية والحجاز واليمن والعراق وتركية وإيران وأفغانستان إذا انتظمها كلهـا اتحاد كاتحاد الولايات الأمريكية الثماني والأربعين، وقدّر في نفسك ماذا يقدم هذا الاتحاد القائم على صلة الدم أو على نسب الروح من الخير المتصل للعالم والضمان الدائم للسلام

***

إن الحلفاء الديمقراطيين المنتصرين متى جلسوا إلى مائدة الصلح سيذكرون ما صنعوا في فرساي من تقسيم الممالك وتمزيق الشعوب وتركها في حمى الضمير الإنساني والحق الأعزل دون أن يكون لها من شَرَه الدول الكبيرة وشرّها نصير ولا عاصم . وسيفكرون ثم يفكرون في هذا المخلوق العجيب الذي صوروه من مداد وورق ثم أسكنوه قصراً في جنيف وأزموه حماية السلام وجعلوا في خدمته قوماً من ذوي القبعات والقفازات والعصي ، وقالوا له مرة : قف أمام الدوتشي فانسرقت قواه ؛ ثم قالوا له مرة ثانية: اثبت في وجه هتلر فارتهكت مفاصله ؛ وهم يقولون له اليوم مرة ثالثة : خذ الطريق على ستالين ؛ وأغلب الظن أنه لاستمرار الخجل وإلحاح الفشل وتتابع الخذلان لن يستطيع أن يتحرك . ثم سيفكر المنتصرون فيما جَنوا من (عصبة الأمم) ويقررون — إذا وفقهم الله — أن ينشئوا السلم العالمية الدائمة على قواعد من التركيب لا من التحليل ، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتقاربة في الوطن والجنس والنفعة اتحادات مستقلة تتحد في الرياسة والحكومة والدستور ، وتشترك في الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذي يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وغلة الأرض

على أننا الآن بسبيل الحرب لا بسبيل السلم ، فلندَعْ حديث الصلح إلى يومه ، ولندْعُ الله مخلصين أن ينصر جنود الديمقراطية على أعوان الطغيان والبغي . فإن أوربا تكابد محنة لا سابقة لها في التاريخ . وهي بالحق أو بالباطل رأس العالم اليوم ، وقد قضى عليها جنون رجل واحد أن تصبح كلها مخزناً هائلاً للبارود والنار ؛ فأينما تسر في قطر من أقطارها أو على بحر من بحارها تر الموت مشتعلاً يتلظى ، أو كامناً يترقب ؛ فإذا قضى عليها جنون الرجل الآخر أن تنفجر فتنهار على شمشون وأعدائه ، زُلزلت بانهيارها القارات الأربع ، وأصبحت النكبة نكبة العالم أجمع

***

إن مصرع بولندا وفنلندا على هذه الصورة الأليمة الأثيمة إنذار من الله للدول الصغيرة في الغرب والشرق أن فوز النازية والشيوعية معناه فوز الوحشية التي لا تعترف بحق الحياة لفرد ، ولا بحق الاستقلال لأمة

إن الشرف هو معنى الإنسانية وخصيصتها في الإنسان . وهو الضمان السلمي لأداء الحق وإطراد المعاملة ؛ فإذا انتفى الشرف عن الكلمة بين الرجل والرجل ، وعن المعاهدة بين الدولة والدولة ، لم يبق لضمان الحياة والحق إلا القوة ؛ والقوة لا تتيسر لكل حي في كل وقت وفي كل حالة

احمد حسن الزيات

(حاشية) : وقعت في الصفحة الأولى من العدد السابق كلمة (القلم) بدل (الريق) فصواب الجملة : « فقد جف من تكراره المداد والريق » ، أي كثر فيه الكتابة والكلام

كتاب الإمتاع والمؤانسة

مصالحة الأستاذ أحمد أمين

للدكتور زكي مبارك

لم يبق شك فى أن الأستاذ أحمد أمين غضبان بسبب المقالات التى تجاوزت العشرين ، والتى حرضت عليه بعض من خاصموه فى مجلة المكشوف وأغرت بعض « أنصاره » فى العراق ، وأخرجته عن وقاره فشتمنا فى مجلة الثقافة بأبيات جاهلية ، سامحه الله وعفا عنى !

وأقول اليوم إنى استوحشتُ مما صنعت — والاعتراف يهدم الاقتراف — فمن واجبى نحو نفسى أن أقدم إلى الأستاذ أحمد أمين عملاً صالحاً يعطفه علىّ ، ويردُّه إلى سابق عهده فيبدأنى بالتحية حين يرانى ، ويذكرنى بالجميل كما كان يصنع قبل أن أجترح فى نقده ما اجترحت ، وليس من الكثير أن أرجو عفوه ، فقد عفا « أخٌ » له من قبلُ !

والأستاذ أحمد أمين يعرف أنى رجلٌ ممتحَن بمداوات الرجال، وقد عانيت من ذلك مصاعب لو صادفت رجلاً غيرى لدحرته فى أقصر وقت ، فمن حقى عليه وهو صديقى وجارى ، وزميلى كان فى الجامعة المصرية ، أن يتجاوز عن سيئاتى ، إنه — ولله المَثَل الأعلى — غفورٌ رحيم !

ولكن كيف أتقرب إلى الأستاذ أحمد أمين وهو فيما يظهر أقسى من الجلمود ؟

أتقرب إليه بالعلم الذى يقول إنه حارسه وراعيه ، فأقدم إليه ملاحظات على تصحيح كتاب الإمتاع والمؤانسة الذى نشرته لجنة التأليف بتصحيح الأحمدين أمين والزين ، كما صنعتُ يوم صحح هذان الفاضلان ديوان حافظ ابراهيم ، فقد استدركت على الجزء الأول عشرين غلطة جوهرية اعترف بها الأستاذ أحمد أمين ، ثم صرفتنى الشواغل عن النظر فى الجزء الثانى ، ولعلى أرجع إليه بعد حين

ويجب قبل الشروع فى سرد ملاحظاتى أن أقدم أصدق التحية إلى المصححين الفاضلين ، فقد بذلا فى إخراج الجزء الأول جهداً لا يعرف قيمته غير من عانى المصاعب فى تحقيق بعض النصوص المخطوطة من الأدب القديم ، جزاهما الله خير الجزاء

ويجب أيضاً أن أنبه القراء إلى واجبهم فى اقتناء هذا الكتاب، فهو تحفة أدبية قليلة الأمثال ، ورواج مثل هذا الكتاب قد يشجع لجنة التأليف والترجمة والنشر على متابعة السير فى هذا الطريق ؛ فتنشر من ذخائر الأدب القديم ما يعجز عن نشره الأفراد

وقد يلاحظ بعض القراء أن الكتاب غالى الثمن ، ولكنهم سيعرفون أن ثمنه معتدل حين يذكرون أن أمثال هذه الكتب تستوجب فى تصحيحها ونشرها كثيراً من التكاليف

وأعود إلى الموضوع فأقول :

كان فى النية أن أتعقب الجزء الأول كله ، وهو يحتاج إلى عدة مقالات ، ولكن كثرة الشواغل حالت دون ذلك ، فوقفت عند « الليلة الثامنة » وهى من عيون الكتاب

١ — جاء فى ص ١٣٢ « طريقة الربانيين » ويقول المصححان الفاضلان : إن الأصل « الديّانين » ولكنهما لم يجداها فى كتب اللغة بهذا المعنى

ونقول إن الديانين جمع ديّان وهو الناسك ، وهى كلمة قديمة فى اللغة العربية ، ولها شواهد فى كتب التصوف ، وهى كذلك من الألفاظ المألوفة عند التوحيدى ، وقد استعملها فى مواطن كثيرة سأدل عليها إن وجدت ما يوجب ذلك

والديان بمعنى الناسك كلمة عرفها الأدب الحديث : فقد رأيتها فى مقال نشره الدكتور طه بك حسين فى جريدة السياسة فى صيف سنة ١٩٢٦ وهو يقصّ حكاية ديكارت فى السخرية من المرحومين علام سلامة و محمد عبد المطلب

٢ — جاء فى ص ١٢٣ « وإنما يودكم أن تشغلوا جاهلاً » ويقول المصححان الفاضلان إن « يودكم » هى فى الأصل « تقولكم »

ونقول إن عبارة الأصل هى الصواب ، ويؤيد هذا أن المؤلف قال قبل ذلك « لأنكم لا تقولون بالكتب » ولم يفطن المصححان لغرض المؤلف فأثبتا فى مكان « لا تقولون » عبارة « لا تفون » وبهذا ظلما المؤلف فى صفحة واحدة مرتين

٣ — وجاء فى ص ١١٩ « إذا حضرتَ الحلقة استفدت » ويقول المصححان الفاضلان إن « الحلقة » هى فى الأصل « المختلفة » ولم يفهما معناها فغيراها إلى « الحلقة »

ونقول إن « المختلفة » كلمة يريدها التوحيدى ، فمن الظلم

تحويلها من وضع إلى وضع ، والمختلفة هم طلبة العلم الذين يحضرون الدرس ، وقد وردت بهذا المعنى فى ص ١٢٩ إذ يقول المؤلف « وأحضر بركة على المختلفة »

٤ — وفى ص ١١٢ « فإن علم العالَم مبثوث فى العالَم بين جميع من فى العالَم »

ونقول إن السياق يوجب أن نقرأ « فإن علم العالِم » بكسر لام العالم لا فتحها

٥ — وفى ص ١٠٩ يقول المصححان الفاضلان إن « المِساع » من ساع الشجاعُ أقرانه إذا حل عليهم ، وهذا خطأ فى التصريف والصواب أن « المِصاع » مصدر ما صَعَ بمعنى جالَد ، فهو من فصل الميم لا فصل الصاد ، والسرعة هى التى أوقعت المصححين الفاضلين فى هذا الغلط

٦ — وفى ص ١٠٨ « بما حويناه من المنطق » ويقول المصححان الفاضلان إن « حويناه » هى فى الأصل « جربناه »

٧ — وفى ص ١١٥ « وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة » ويقول المصححان الفاضلان إن « الترجمة » هى فى الأصل « التجربة »

ومن هنا نفهم أن المصححين الفاضلين ظلما المؤلف فى موطنين : فالتجربة كلمة مقصودة يريدها التوحيدى بالذات . فيجب فى الطبعة الثانية أن تبقى كلمة « جربناه » فى ص ١٠٨ وكلمة « التجربة » فى ص ١١٥ فتصير العبارة الثانية هكذا :

« وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل التجربة فلا بدّ لك أيضاً من كثيرها من أجل الترجمة »

٨ — وفى ص ١١١ « فما تقول فى معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية »

ويقول المصححان الفاضلان إن « متحولة » هى فى الأصل « مملوكة »

ونقول إن الأصل صحيح وتغييره ليس إلا تحكماً فى توجيه غرض المؤلف

٩ — وفى ص ١١٠ « ليس كل ما فى الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال وفيها ما يُذرع وفيها ما يُمسح وفيها ما يُحزر » ومن كلام المصححين الفاضلين نفهم أن أصل عبارة التوحيدى « وفيها ما يمسح ويحزر » وأنهما زادا عبارة « فيها ما »

وبذلك نعرف أن دقة المؤلف فى التعبير خفيت على المصححين الفاضلين ، وتعبير التوحيدى جيد جدًّا ؛ لأن ما يُحزر داخل فيما يمسح فلا موجب لتخصيصه فى التفريع

١٠ — وفى ص ١١١ « الأغراض المعقولة والمعانى المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة »

ويقول المصححان الفاضلان : « ورد فى الأصل بعد قوله « إلا » جيم وألف وذال وهى زيادة من الناسخ والصواب حذفها »

ونقول إن المصححين الفاضلين لم يفطنا إلى أن كلمة « جاذ » محرفة ، وصوابها « مجاز » ويريد المؤلف أن يقول إن اللغة مجاز أى مَعبَر نصل به إلى المعانى والأغراض

١١ — وفى ص ١٠٩ « الأسماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الحادة والألباب الناقدة »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « المصيخة » كانت محرفة فى الأصل ، وأقول يجب أن تصير « مُصغية » ليتم التزاوج بينها وبين « مُحْدِقة » ومن كلامهما نفهم أن العقول الحادّة هى فى معجم الأدباء العقول الجامدة ، وأقول إن الحادة لا تتزاوج مع الناقدة فيحسن أن نقول : « العقول الصامدة ، والألباب الناقدة » والصمود له معنى يتسق مع مراد المؤلف ومع أسلوبه فى إيثار الازدواج

١٢ — فى ص ١٠٦ « ومتى اتفق إنسان بهذه الحلية » ويقول المصححان الفاضلان : لعله الجِبلّة ، ونقول إن « الحلية » معناها الصفة ، ولها شواهد فى آثار القرن الثالث والرابع

١٣ — وفى ص ١١٥ « إنك فى هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها »

ونقول إن « وصفها » محرفة ، والصواب « رصفها » وهى كلمة معروفة فى اصطلاحات الإنشاء

١٤ — وفى ص ١١٦ « فلم يبق إلا أحكام اللغة » والسياق يوجب أن نقرأ « إحكام اللغة »

١٥ — وفى الصفحة نفسها « قبل واضع النطق » والصواب « قبل وضع النطق » وقد وردت كذلك فى موطن آخر من

الحوار بين متّى والسيرافى (أنظر ص ١٢٦)

١٦ — وفى ص ١١٧ « فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطلٌ من القول الذى أفاض فيه » والقول صوابها القائل ، كما يشهد السياق

١٧ — وفى ص ١١٩ « فأما وهو يريغ أن يبرر ما صحّ له بالاعتبار والتصفح »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « يبرر» أصلها « يزن » ونقول إنهما أخطآ فى التصحيح : لأن « يزن » هى الكلمة التى يريدها المؤلف ، وهو قد نص عليها فى بعض المواضع وكلمة (يبرر) بهذا المعنى لا تعرفها اللغة

١٨ — فى ص ١٢٧ « فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو] مريض العقل »

ويقول المصححان الفاضلان إنهما زادا عبارة «صحيح وهو» وتلك زيادة يضيع بها غرض المؤلف لأنه يريد أن يقول : إن الكندى اعتُقِد فيه أنه مريض العقل حين جاز عليه التلبيس

١٩ — وفى ص ١٣٤ « بَلَل الريق ، وغزارة النفث » ، والصواب حرارة النفث

٢٠ — وفى ص ١١٦ ضبط المصححان « مسكويه » بفتح الميم ، وكذلك صنعا فى ص ٣٢ والصواب مِسكويه بكسر الميم ، وقد نص عليها صاحب القاموس ، وقال إنها على وزن سِيبويه

٢١ — وفى ص ١٣٧ « ليس للعقل من شعره منال ، ولا له فى قرضه مثال »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « قرضه » هى فى الأصل « عرصته » وأنا أفضّل أن تبقى هذه اللفظة كما وردت فى الأصل ، ثم نقول « مثال » فى مكان « منال » ونقول « مجال » فى مكان « مثال » فتصير العبارة هكذا :

« ليس للعقل من شعره مثال ، ولا له فى عرصته مجال »

وهى أدل على المراد مما اختاره المصححان الفاضلان ، أجزل الله لهما الثواب

٢٢ — وفى ص ١٣٨ « وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارعنا على هذا لفلجت عليك »

وكلمة « دون » صوابها « فوق » وتنقل الواو فتصير العبارة :

« كان عجبى منك فوق عجبك منى ، ولو تقارعنا على هذا لفلجت عليك »

٢٣ — وفى ص ١٣٩ « لكنه يقرص فيحزّ ، ويَكْشم فيهز »

وكلمة « يَكْشمُ » من الغلط القبيح ، والصواب « يَسِمُ » من الوسم وهو الكىّ ، بدليل قوله بعد ذلك « ويجرح فيُجهز »

٢٤ — وفى ص ١٤١ « وأما النصيبى فدقيق الكلام » و « دقيق » خطأ ، والصواب « رقيق » ورقة الكلام هى ضعف الدين بدليل قول المؤلف فى النصيبى :

« يشكّ فى النبوّات كلها » والعقيدة الصحيحة يسميها التوحيدى « الدين الثخين » انظر ص ١٣٣

٢٥ — وفى الصفحة نفسها « إلا أنه يأنى لابن عباد فى سمته ولزوم ناموسه حتى خف عليه » والسياق يوجب أن نقول « تأنّى » فى مكان « يأنى » والتأنى هو التلطف

٢٦ — وفى ص ١٤٢ « إن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرأون ولا يحتجون ولا يناظرون ولا يُكرَمون ولا يفضّلون خيرٌ من هذه الطائفة »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « لا يُكرَمون ولا يفضّلون » أصلها « يلزمون ولا يتفضلون »

وأقول إن الصواب « ويُلزَمون ولا يَفصِلون » والمعنى أنهم يُلزَمون الحجة ولا يستطيعون الفصل ، وهو الحُكم والتمييز بين دقائق الأغراض

٢٧ — وفى ص ١٤٣ « وتَحِيلَ الحالَ به عند خوضك وفيضك »

كذلك ضبط المصححان عبارة « تَحِيلَ الحال » والمعنى غير واضح ، وأنا أحب أن تكون « وتُجيل المَحال »

والمحال بفتح الميم هو الحيلة ، وهو يتسق مع المراد

* * *

أما بعد فهذه سبع وعشرون ملاحظة قيدناها عند قراءة « الليلة الثامنة » من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، وفى هذا الفصل نفسه أشياء سكتنا عنها لأنها قليلة الأهمية

وهذه الملاحظات خليقة بأن تصلح ما بيني وبين الأستاذ أحمد أمين ، فإن لم تكف للإصلاح فسأراجع الكتاب كله ولكن أين الوقت ؟

الوقت عند صديقنا الدكتور بشر فارس ، وهو قد عزم على مراجعة كتاب التوحيدي ، وأنا أنتظر أن يكون بحثه أوفى وأشمل ، لأنه يملك من الفراغ ما لا أملك

***

بقيت كلمة عن الأستاذ أحمد الزين وهو المسئول الأول عن تصحيح هذا الكتاب :

ألا يرى هذا الصديق أن بعض التصحيحات غلب عليها الارتجال ؟

وإلا فكيف جاز أن يكون المصاع من صاع ؟ وكيف جاز أن يكون الديان بمعنى الناسك أمراً غير معروف ؟

وأمثال هذه الأغلاط تشهد بأن الأستاذ أحمد أمين لم يشترك في التصحيح بطريقة جدية ، لأن من كان في مثل علمه وفضله لا يخطئ في هذه البديهيات

***

وفي ختام هذا البحث أعتذر للقراء من عادتهم في شؤون لا يدركها غير من يملك نسخة من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، فلولا الثقة بأنهم لن يضنوا على أنفسهم بنسخة من هذا الكتاب لطويت عنهم هذه الملاحظات

وذلك إعلان ننشره في « الرسالة » بالمجان مراعاةً للتضامن الأدبي بين المؤلفين والناشرين ، فهل يكون القراء عند الظن الجميل فيُقبلوا على اقتناء هذا الكتاب ؟

إن ثمنه لا يزيد على ثمن أربع عُلب من السجاير المصرية ، فأين من يفكر في متعة العقل كما يفكر في مُتعة الحس ؟ سارعوا إلى اقتناء الكتب الجيدة لتعرفوا أن العرب لهم أذواق وعقول

زكي مبارك



البغـــاء فى أوربا

للمستر أبراهام فلكسنر

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدى

سندرس موضوع البغاء فى الصحائف التالية على أساس التجارب العلمية فى الأمم الأوربية . وسينصرف الجهد إلى تحقيق أنواع الدعارة ومدى انتشارها والأسباب التى تزيدها اتساعاً أو تضيق من مجالها ، وإلى تحقيق الجهود التى تبذلها الهيئات المختلفة حيال هذه الرذيلة والوسائل التى اتخذت إما لمحاربتها وإما للاشراف على تنظيمها والنتائج التى أسفرت عنها هذه الجهود

وسيضاف إلى هذه التحقيقات نتائج بحث شخصى وتحريات وملاحظات فى المدن الكبرى من انكلترا وايقوسيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا والسويد وألمانيا والنمسا والمجر وسائر الأقاليم التى يطلق عليها اسم أوربا الغربية والتى يشتد التشابه بين بعضها وبعض فى حياتها الاجتماعية ومُثُلها الوطنية العليا ومعاهدها السياسية

ولكن القوانين فى تلك الأمم نفسها ليست متجانسة المواقف حيال مسألة البغاء ؛ ومن أجل ذلك اختلفت الآثار المترتبة على هذه القوانين بين بعضها وبعض اختلافاً بيناً ، ففى البعض أدت إلى كبح قوى ، وفى البعض الآخر أدت إلى زيادة انتشار الرذيلة نفسها . على أنه بالرغم من اختلاف هذه الظاهر فقرار هذه الرذيلة متشابه من حيث المنشأ بحيث تصلح الوسيلة المختارة للعلاج فى رأى هذا الكتاب لجميع هاته الأمم ، ولن نتجاهل فى أثناء البحث وجوه الاختلاف وإن تكن وجوه الخلاف نفسها دالة على وجوب اتخاذ وسائل متوافقة لمناهضتها ، فإن البحوث الحديثة أسفرت عن تطابق بين هذه الأسباب إلى درجة أكثر مما كان مفترضاً . فأمر البغاء ينطبق عليه المثل القائل « لا جديد تحت الشمس » أكثر من انطباق هذا المثل على أى أمر آخر . كما دلت الكتب التى خلفتها القرون الوسطى فى شأن البغاء على تطابق عجيب فى حالة هذه الرذيلة بين تلك العصور وبين العصور الحاضرة

وإن وجوه الخلاف التى سبقت الإشارة إليها فى الأمم التى ذكرناها إما بشأن وجوه النظر فيها وإما فى حالة انتشار المرض وإما فى السياسة التى تتبع حيالها — إن وجوه الخلاف هذه آخذة فى سبيل الاضمحلال والتلاشى ، فقد قرَّب ما بين مختلف الأمم انتشار الأفكار الديمقراطية وتوطد الحكم الديمقراطى . ولئن اصطحب ذلك تعديل فى القواعد الخلقية ، وبخاصة بعد أن شاع مبدأ التساوى بين الجنسين ، فإن التأمل الحصيف يوجب سلوك مسلك متشابه بين هاته الأمم قائم على اعتبارات إنسانية أساسية ، وإن الذى يدرس هذا الموضوع الخاص الذى نشتغل بدراسته الآن ليدهشه اتفاق الظاهر أكثر مما يسترعى نظره اختلاف البيئات المحلية أو الاعتبارات الأهلية فى موضوع التحقيق الذى بدئ به فى جلاسجو وختم فى بودابست

ومن أهم ما يلاحظه الناظر فى هذا الموضوع عن بعد أن الدعارة فى أوربا الغربية قد تطورت فى مدى القرون القليلة الماضية على نظام واحد بين أممها المختلفة . وليس ذلك بدعاً ، فإن مدى انتشار هذه الرذيلة مرتبط بمقدار اتساع المدن لأنه بعض ظواهر المدنية ، وقد كانت المدن فى أوربا الغربية فى العصور الوسطى كلها مدناً صغيرة . أما المدن الكبرى فى تلك العصور فقد كانت كلها إسلامية ، فقد كان عدد السكان فى كل من القسطنطينية وبغداد والقاهرة يربى على المليون . وكانت كل من اشبيلية وقرطبة تربو فى عدد سكانها على نصف المليون فى حين كانت باريس لا يكاد يصل عدد سكانها إلى ٢٠٠,٠٠٠ وفينا ٥٠,٠٠٠ ولوندرا ٣٥,٠٠٠ وكولونيا ٣٠,٠٠٠ وهامبورج ١٨,٠٠٠ ودرسدن ٥,٠٠٠ . أما المدن التى لا تتصل بمواصلات مائية فلم يكن عدد السكان فى إحداها لنزيد على ٢٥,٠٠٠ . وكثير جداً من المدن التى تعتبر الآن ذات أهمية لم يكن عدد سكانها فى القرون الوسطى يزيد على ٥٠٠٠ . وما من شك فى أن اتساع المدينة يؤثر فى صبغة مدنيتها وبكيف طبيعتها ، فإذا نظرت إلى تاريخ الدعارة فى أوربا فى القرون الوسطى وجدت أن معظم مدنها إذ ذاك لم يكن إلا قرى يعرف بعض أهلها بعضهم الآخر ، وكان كيان الأسرة لا يزال سليماً . ولقد يقال إنه كان فى المدائن غرباء كالصليبيين والحجاج والجيوش ولكن جموعهم لم تكن كثيفة وعلى أية حال فقد كان الغرباء معروفين كذلك كالأهلين . وكانت الدعارة فى العصور الوسطى ذات نوعين أساسيين : نوع مستوطن ونوع متجول . أما الأول فيشمل العاهرات المقيمات أو المترددات على مساكن معدة للدعارة ، وقد لا تكون الإقامة على صورة نظامية

وهذه البيوت تدعى بالمواخير . وأما النوع الثاني فكان من المتشردات اللواتي يلحقن على صورة غير رسمية بعسكرات الجيوش التي كانت في تلك العصور كثيرة التجوال في القارة . أو اللواتي يلحقن كذلك على صورة غير رسمية بالطبع برجال الطوائف الدينية المجتمعين في تجوالهم الموسمي وفاء منهن لنذور نذرنها . ولكن على أية حال فإن العاهرة كانت امرأة موسومة في العصور الوسطى التي امتازت بقلة عدد السكان في مدنها وما كان لينتفي هذا الوسم سواء بين المستوطنات أو المتجولات . وحتى لو أن إحداهن كانت تزاول رذيلتها سراً فسرعان ما تتلوث سمعتها وتوصف بالخطر ، وبخاصة إذا كانت محترفة لأنها في هذه الحالة تكون مميزة بشكل ثيابها ومظهرها ومسكنها وطبيعة حياتها الخارجية، وكان الفارق في العصور الوسطى شديد الوضوح بين المرأة الشريفة والمرأة الداعرة

أما في العصور الحاضرة فالتناقض بَيِّنٌ من هذه النواحي فالمدن كبيرة وقد أضيفت إليها لأغراض عملية ضواح تقوم منها مقام الحواشي المزركشة ، فالفروق المتعلقة بالكمية بين المدينة في العصور الوسطى وبين المدينة في العصور الحديثة قد رتبت فروقاً متعلقة بالكيفية في أمر البغاء

في أواخر عهد بابل أصبح نظام الأسرة يسمح بأن يتصل بها ألوف من الناس تتفاوت درجات الصداقة بينهم كما يختلف الشعور بالمسئوليات نحوها وفيهم الفتيات والفتيان ومعظمهم في ظروف تقضي على الأخلاق بالانحلال

ولقد أصبحت المدن الكبرى في العصور الحديثة في حالة أشد تعقداً بسبب المهاجرة إلى باريس وبرلين ولوندرا إما للاتجار وإما للهو وإما للشغب

أما في الأوساط الضيقة المحيط فإن كيان الجماعة فيه لا يزال على سذاجته ، فأفراد هذا المجتمع معروف بعضهم لبعض ومطالبهم المشتركة ومثلهم الأخلاقية العليا تخضع لتقاليد واحدة أو متقاربة من شأنها أن تسيطر على الأعضاء الضعفاء من هذا المجتمع . وفضلاً عن ذلك فإنه مهما يكن وصف هؤلاء الأفراد فإن بعضهم معروف لبعض

وأما في المدن الحديثة، وكل منها بابل عصرية وهي التي أتحدث عنها الآن ، فإن الفرد فيها لا يعرف جيرانه الأدنين . وهنا تشتد وسائل الإغراء بقدر ما تضعف وسائل الكبح والمنع فالأحوال ليست تقف عند الحد الذي يقل فيه الشعور بالمسئولية بل قد تصل إلى حد ارتفاع هذا الشعور

ومن هذا يتبين أن مجرد زيادة العدد في مدينة من شأنه أن يقلل إمكان التقسيم بين رجالها ونسائها إلى طبقات من حيث العفة أو الرذيلة . ومن شأنه أيضاً تجهيل ماضيهم الخلقي وهذا فارق أساسي عظيم في موضوع الدعارة بين العصور الوسطى وبين العصر الحاضر، فقد كانت في العصور الوسطى محدودة واضحة وهي الآن لا بالواضحة ولا المحدودة

وثمت حقائق لمامن الوجهة العملية أهمية لايستطاع جحودها فالمدينة التي فيها ثلاثون امرأة عاهرة وعدد سكانها ٣٠٠٠٠ تبدو كأن النسبة متجانسة فيها مع المدينة التي فيها من العاهرات خمسة آلاف وعدد سكانها نصف مليون . وذلك لأن النسبة المئوية في الحالتين هي واحدة في المائة . ولكن ضخامة العدد على الرغم من الاحتفاظ بالنسبة المئوية تؤدي إلى خلاف جسيم بين أمر الدعارة في المدينتين، فإن الاجراء الذي يتخذ لمناهضة الدعارة ضد ثلاثين عاهرة فينجح لا بد من حبوطه إذا هو اتخذ ضد خمسة آلاف عاهرة في مدينة كبيرة . وكذلك تتغير المسألة من النواحي الاقتصادية والإدارية والصحية إذا زاد العدد على حد معين

(يتبع) ترجمة عبد اللطيف حمدي

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

كان كاتل[1] السيكلوجى الأمريكى الشهير معاصراً لجولتن ومن تلاميذه وأتباع مذهبه وقد بحث باستيعاب موضوع الفروق السيكلوجية . درس كاتل فى معمل جولتن بلندن ، كما درس علم النفس التجريبى على يد فنت Wundt الألمانى فى معمل علم النفس الذى أسسه فى ليبزج Leipsig وتأثر به

وتعتبر تجارب جولتن وكاتل أول مجهود علمى بذل فى موضوع الفروق الفردية . ويحدثنا البرفسور ثورنديك[2] تلميذ كاتل عن أستاذه فيقول « هذب أستاذى كاتل من طرق جولتن التى استعملها فى قياس الفروق السيكلوجية بين الأفراد ، وحاز اعتراف العلماء بما ابتكره من مقاييس القوى العقلية المختلفة . وبذلك جعل دراسة الفروق السيكلوجية فرعاً مستقلاً من فروع علم النفس . وكانت أبحاثه فى الفروق العقلية ومقاييسها أول حلقة من سلسلة حلقات البحوث التى توالت بعد ذلك فى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر . وبذلك وضع كاتل مقدمة موضوع السيكلوجية الفردية Individual Psychology » ويعزى إلى كاتل أنه أول من وضع اصطلاح « المقاييس العقلية » Mental tests . وذلك فى سنة ١٨٩٠ حينما طبع ملخصاً لتجارب مقاييس[3] الذكاء التى أجراها فى معمله بجامعة بنسلفانيا

وكانت تجارب كاتل التى أجراها لمعرفة الفروق السيكلوجية منصرفة لقياس الذاكرة ، والمخيلة ، وحدة البصر والسمع ، ومقارنة الألوان والمفاضلة بينها ، والدقة فى إدراك الأصوات والأوزان ، والإدراك الزمنى ، ودقة إحساس الألم ، وسرعة الإدراك الذهنى ، وسرعة الحركة ودقتها وتكييفها ، وزمن الرجع أو رد الفعل Reaction time

(١) J. Mck. Cattell ولد سنة ١٨٦٠

(٢) E. L. Thorndike أستاذ علم النفس فى جامعة بنسلفانيا وكولمبيا

(٣) أنظر Mind الجزء ١٥ سنة ١٨٩٠ صفحات ٦٧٣ — ٣٨١

وأهم ما يوجه من انتقاد إلى هذه التجارب التى أجراها كاتل أنها أولاً : إنما تقيس فقط العمليات العقلية البسيطة كالذاكرة مثلاً ، أو المخيلة ، أو قوة الإدراك . وثانياً : إن الطرق الإحصائية التى استخدمت مع هذه التجارب لم تكن مضبوطة ومطردة بحيث تعطى نتائجها حكما صحيحاً على ذكاء الأفراد . وإذا فلا يمكن الاعتماد عليها فى معرفة الفروق العقلية

أثار كاتل باستخدامه زمن الرجع ضمن مقاييس الذكاء اهتمام معاصريه ومن تبعه من العلماء حتى أصبح زمن الرجع مقياساً لقدرة الفرد على التمييز والاختيار وسرعته فيهما . وتستعمل لذلك آلة كهربائية خاصة يتصل بها مسجل الزمن Chronometer . ويجلس المختبَر أمام هذه الآلة ، ويطلب إليه المختبِر أن يضغط على زر خاص فى الآلة إذا رأى علامة خاصة كعلامة X أو علامة O مثلاً . ويثبت « مسجل الزمن » الفرق بين ظهور هذه العلامة وبين ضغط الزر ، أى الزمن الذى استغرقه الفرد من حين رؤية العلامة إلى أن يحدث رد فعل منه (أو رجع) لهذه الرؤية بضغط الزر . ومثل هذه التجربة تجرى فى قياس زمن الرجع السمعى أو اللمسى ، أى الذى تكون فيه العلامة شيئاً يسمع أو يلمس . وقد تكون التجربة أكثر تعقيداً فيطلب من المختبَر مثلاً أن يضغط الزر (ا) إذا كانت العلامة المعروضة X ، والزر (ب) إذا كانت العلامة O ، وبذلك يكون على المختبَر أن يميز أولاً العلامة وأن يختار ثانياً الزر المناسب لها

وبالرغم من شيوع تجارب زمن الرجع وتنوعها وتسجيل نتائجها لم يوجد بينها وبين الذكاء من التلازم الاطرادى إلا القليل بمعنى أنه لا يلزم أن يكون الذكاء أكثر كلما كان زمن الرجع أقصر . والواقع أننا لا نجد الآن بين مقاييس الذكاء الحالية مقاييس زمن الرجع التى استخدمها كاتل

ويعود كاتل فيعترف بأن مقاييس زمن الرجع ، ومقاييس الإدراك الحسى وغيره من الخواص الفردية ما قصد بها فى الأصل قياس فروق الذكاء بين الأفراد ، وإنما استخدمها لأنها تدخل ضمن موضوع علم « طبائع البشر » Anthropology الذى كان معنياً بدراسته

وعلى أية حال فقد كان لبحوث كاتل فى الفروق الفردية أثر واضح فى اتجاه التفكير العلمى . ففى سنة ١٨٩٥ عينت « الجمعية السيكلوجية الأمريكية » لجنة لتعمل على إيجاد الصلات والتعاون بين معامل علم النفس الأمريكية لكى تجمع المعلومات الممكنة عن الصفات العقلية والجسمية المختلفة للأفراد ، وتدرسها درساً علمياً إحصائياً . وكان كاتل عضواً فى هذه اللجنة . وكذلك عنيت معاهد التعليم بمعرفة الفروق السيكلوجية بين الطلبة وقياسها ففى سنة ١٨٩٩ أجرت جامعة شيكاغو تجارب لقياس ذكاء طلبتها وميولهم الخلقية Character

لم تكن دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد — بطبيعة الحال — قاصرة على انجلترا وأمريكا ، فإنا نجد فى فرنسا عدة محاولات لمعرفة أثر كل من البيئة والوراثة فى الفرد ، كتلك المحاولات التى قام بها جولتن فى انجلترا ، فقد ظهر عدد من الكتب حول هذا الموضوع منها كتاب « تاريخ العلم والعلماء خلال القرنين الماضيين[1] » درس فيه المؤلف حياة كل عالم وأسرته وبيئته والعوامل التى أثرت فى تكوينه . وكتاب « العلاقة بين الوراثة وانتخاب الأصلح من البشر[2] » ، وكتاب « أصل عظماء الرجال ، ورجالُ الأدب الفرنسى المعاصرون[3] »

عالج كاتل أيضاً ضمن ما عالج من بحوث — أثر البيئة والوراثة فى إيجاد الفروق بين الأفراد . ففى سنة ١٩٠٦ كتب فى مجلة « العلوم » Science موضوعاً تحت عنوان « بحث إحصائى فى حياة رجال العلم الأمريكيين[4] » ذكر فيه أماكن ميلاد ألف من العلماء البارزين وأماكن إقامتهم وعوامل الوراثة فى حياتهم وعوامل البيئة وإنتاجهم

وقد أثارت النتائج التى وصل إليها عجب القراء . فقد وَجد أن عدد العلماء فى ولاية ماساشوستس ١٠٨٫٨ فى كل مليون من السكان ، بينما هم ٨٦٫٩ فى كل مليون فى ولاية كونيكتيكوت ، و ٤٫١ فى كل مليون فى ولاية لويزيانا ، و ٣٫١ فى ولاية ميسيسبى واستنتج من هذا الإحصاء « أن هذا التوزيع النسبى غير المتظم لرجال العلم بين الولايات يدل دلالة قوية على أن الاستعداد العلمى Scientific ليس وراثياً كما قال جولتن وبيرسُنْ ، وليس من المعقول أن ثمة فروقاً وراثية كبيرة بين الأسرات فى الولايات المختلفة نتيجتها هذا الفرق النسبى الكبير بين عدد رجال العلم الذى قد يبلغ فى ولاية مائة مرة عددهم فى ولاية أخرى . صحيح قد يكون لجنس الزنوج أثر وراثى فى ذلك ، ولكن الإحصاء لا يثبت ذلك ويظهر أن العوامل الأساسية فى المواهب العلمية والإنتاج الفكرى هى الثروة ، وازدحام السكان ، والفرص الاجتماعية ، والمؤسسات العلمية ، والتقاليد ، والمثل العليا للجماعات ، وقد يمكن إرجاع كل هذه العوامل فى النهاية إلى الوراثة الجنسية[1] ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأننا إذا أخذنا أى جنس فإنه من الممكن بتسليط العوامل البيئية عليه أن نزيد فى عدد ذوى المواهب العلمية كما نشاء ، وإن كان هذا ليس معناه أننا نستطيع تحسين هذه المواهب . إن الحقيقة المشاهدة هى أنه لا يوجد فرق كبير بين مقدرة العالم فى هذه الولاية ، ومقدرة العالم فى الولاية الأخرى . ومعنى هذا أن الإنتاج العلمى هو أثر من آثار البيئة لا الوراثة » . ثم يقول فى مكان آخر « والرأى عندى أن أنواع المواهب والخلق إنما هى وراثية ، أما الاتجاهات التى تأخذها هذه المواهب ، فإنها خاضعة لتأثير البيئة »

وبالمقارنة بين مذهب كاتل ومذهب جولتن وبيرسن نجد أن الأول يرى أن الظروف والبيئة لها أهمية كبرى فى الإنتاج العلمى Scientific achievement ، وأن عامل الوراثة فقط لا يكفى لتعليل النبوغ العلمى . نعم يعترف كاتل بالوراثة وأنها البذرة الأولى التى تحمل معها خواص الفرد ، ولكنه يؤكد أن الفروق الفردية التى تظهر فى الإنتاج والابتكار والخلق إنما هى من صنع البيئة

وفى سنة ١٩١٥ نشر كاتل بحثاً جديداً عنوانه : « أسرات العلماء[2] الأمريكيين » ، واستخلص فى بحثه هذا أن ٤٣٪

---

(١) Histoire des Sciences et des Savants depuis Deux Siècles, par de Candolle

(٢) Etudes sur la Sélection dans ses Rapports avec l'Hérédité chez l'homme par Jacoly, 1881

(٣) Genèse des Grands Hommes, Gens de lettres Modernes par Odine, 1895

(٤) Statistical study of American men of Sciencs

(١) المقصود بالوراثة الجنسية Racial heredity وليس المقصود هنا الذكر أو الأنثى

(٢) Families of American men of Science

من آباء هؤلاء العلماء كانوا من الموظفين وذوى الحرف غير اليدوية وأن ٣٥٫٧٪ من التجار والصناع ، وأن ٢١٫٢ من الزراع .

ويعلق كاتل على هذا الاحصاء فيقول : لو أن ظروف الحياة الاجتماعية ، والفرص التربوية خاصة ، كانت متشابهة بين هذه الطبقات الثلاث لكان توزيع النسبة المئوية لرجال العلم متعادلاً ، ولما وجد ذلك الفرق بين رجال طبقة وأخرى . ولا يمكن أن تكون الوراثة هى التى أوجدت هذا التوزيع ، لأن معظم سكان القارة الأمريكية كانوا منذ قرنين من مستوى واحد تقريباً جسمياً وعقلياً . ويؤيد رأى كاتل هذا إحصاء آخر عمل سنة ١٩٣٢ ظهر فيه أن أقل الولايات علماء Scientists أكثرها تأخراً فى التعليم

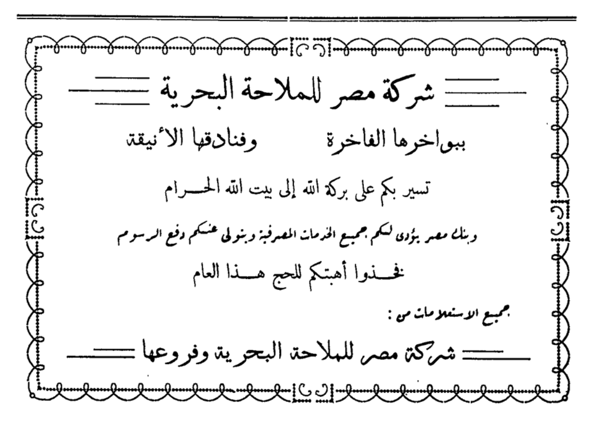
وقد اقتفى أثر كاتل غيره من علماء النفس ، فاستخدموا مقاييسه وأخرى شبيهة بها فى معرفة الفروق السيكلوجية للأفراد ومعظمها لقياس الإدراك الحسى وسرعة الحركة والقدرة على تكييفها

ومن هؤلاء العلماء جاسترو Jastrow الذى انتهز فرصة معرض شيكاغو العالمى الذى أقيم سنة ١٨٩٣ فاستأجر (كشكا) وجلس فيه يجرى بعض الاختبارات على من يقدم إليه نفسه من زوار المعرض . وكذلك أجرى جلبرت Gilbert بعض الاختبارات على بعض تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات . فقاس الطول والوزن والقوة الرئوية ودقة الإحساس وزمن الرجع والذاكرة والتأثر بالإيحاء ؛ وقارن نتيجة هذا كله بآراء المدرسين . ونشر فى ذلك بحثين الأول سنة ١٨٩٤ بعنوان « بحوث فى النمو العقلى والجسمى لأطفال المدارس[1] » والثانى سنة ١٨٩٧ بعنوان : « بحوث سيكلوجية فى أطفال المدارس وطلبة الجامعات[2] »

(بخت الرضا) السودان — عبد العزيز عبد المجيد

(١) Researches on mental Physical Development of School Children

(٢) Researches upon School Children & College Students



كتاب «الدين الإسلامى»

عودة الى الموضوع فيها ايضاح لعلمائنا وبيان

للأستاذ على الطنطاوى

أما والله لولا اعتقادى بأن شباب المسلمين هم أحوج اليوم إلى هذا الكتاب منهم إلى الخبز الذى يأكلونه والهواء الذى ينشقونه ، ما عدت إليه بعد إذ تكلمت فيه ، ولا ألححت عليه (هذا) الإلحاح ، بعد أن وجدت من علمائنا (ذلك) الإعراض . وإنى لأومن بما أقول ، لا أبالغ ولا أغلو ، وإن بالهواء والخبز لحياة الشاب فى هذه الدنيا ، ولكن بهذا الكتاب حياته فى الأخرى وما الدنيا فى الآخرة إلا هباء ، ولا يؤثر الفانية على الباقية إلا جاهل أو غافل . ولو أن علماءنا داخلوا الشباب وخالطوهم وأخذوا منهم وأعطوهم ، لوجدوا الكثرة منهم تجهل المعلوم من مبادئ الإسلام وتنكر المعروف من أحكامه ، ولوجدوا فيهم من لا يعرف إذا أراد الصلاة كيف يصلى ، وفيهم من لا يفرق بين كلام الله والثابت من حديث رسوله ، وشروح الأئمة المعتبرين ، وبين كلام المشعبذين والدجالين ، ويضع ذلك كله فى سطر واحد فيقرؤه جملة أو يطامسه جملة ، ثم لا يعمل بشىء منه ، ولا يراه لازماً له فى حياته ، ولا مرافقه فى غدواته وروحاته ، ولا يدخله فى عداد الأمور الجدية التى يوليها عنايته ويجعل فيها همه ... وإذا تكلم أحدهم فى الدين . صلتـه بالحياة أو مساسه بالسياسة ، أعاد ما حفظ من أقوال الأوربيين والنافخين فى مزاميرهم من الشرقيين

ولقد غدا من المفهوم المشهور الذى لا يحتاج إلى إيضاح أن هؤلاء الشبان لا يمكن أن يقرءوا كتب الفقه والتفسير والحديث ولو طبعتها لهم على ورق أبيض . فأخرجتها عما يتنزونها به من أنها (كتب صفر ...) ولا يمكن أن يدخلوا المساجد فيستمعوا فيها درس العلم ، أو يحضروا مجالس الوعظ ، لأنهم نفروا منها وأبعدوا عنها ، ولا يمكن أن يتعلموا علوم الدين فى مدارسهم (النظامية) الرسمية ، لأن القائمين عليها ، فى مصر والعراق والشام لم يقتنعوا إلى اليوم بأن للدين علوماً محترمة تستحق أن تضيع فى درسها سبع ساعات فى الأسبوع ، ولم يروا فى علوم الدين ما هو أهل ليعنى به كعنايتهم بالرسم والغناء ، ونسوا أو هم لم يعلموا أن من الأوربيين من يهتم بهذه العلوم ويرفع من قدرها ، ويعلى مكانها ، وأن رجلاً جرمانياً اسمه (برتزل) قدم علينا الشام منذ سنوات ، فعرفنا بنفسه ، وأرانا بطاقته وإذا هو قد كتب عليها (فلان : متخصص بقراءة القرآن) يفخر بذلك ويعتز به ، وسأل عن الذى طبع كتاب (النشر فى القراءات العشر) فلما لقيه أكبره وعظمه ، وعلمنا بعد أنه ملم بعلم القراءة عارف برواياتها ، وقارئ للقرآن ، ناشر لكتب فى هذا العلم عدة ، ومن شباننا من لا يعرف ما الإدغام وما الاخفاء ، وما المخارج وما الأداء ، ويرى اشتغاله بذلك ذلة له لأنه لا يشتغل به (على ما أفهموه ...) إلا رجعى غير متمدن ، وشيخ جامد ... وأمثال (برتزل) أكثر من أن يحيط بهم حصر

* * *

أصبحت الحملات على الإسلام منظمة مرتبة قوية ، تأتيه من كل صوب ، وتهاجمه من كل ناحية ، من ناحية الأخلاق بنشر الفسوق والخمور ، وتهوين أمر العرض ، ونشر أدب الشهوة ، وصور العراة ، ومن ناحية العبادات بصرف الناس عنها ، والتزهيد فيها ومن ناحية العقائد بإدخال الشكوك عليها ، ووضع الشُّبَه من حولها ومن ناحية العلم ، بإبعاد الناشئة عن علوم الإسلام ، بصرفهم عن كتبه ، وتحقير علمائه فى أنظارهم . فماذا فعل علماؤنا حيال ذلك كله ؟

لا أشك فى جلال العمل الذى قام به الشباب فى مصر والشام ولا أبخسهم قيمتهم ، ولا أهمل ذكر جهادهم ؛ وإن للاخوان المسلمين فى مصر ، والشبان المسلمين فى مصر وفى غيرها ، ولشبان الأزهر ، وشباب محمد ، والتمدن الإسلامى فى الشام : (دمشق

وحلب وبيروت) وأمثالهم ممن اختصرت فلم أذكر ، أو جهلت فلم أعلم ، إن لهم بما عملوا لذكراً فى الناس وعجداً ، وثواباً عند الله وأجراً ...

ولكن كلامى هنا عن (كبار العلماء) ماذا عملوا فى رد هذه الحملات ؟

أو أقل من أن يؤلفوا للشاب المسلم كتاباً يعرف به دينه إذا ألهمه الله الرجوع إلى الدين ، وخلصه من كيد الشياطين ؟

* * *

لقد فهمت من الرسائل الكثيرة التى جاءتنى تبحث فى فكرة تأليف الكتاب أن الذى يمنع العلماء من تأليف هذا الكتاب أن عندهم علوماً متميزة ، وفنوناً متباينة ، فهم لا يدرون أيجعلون الكتاب فقهاً أو حديثاً ، أو أصول فقه ، أو مصطلح حديث ؟

وهذه إن تكن هى (العلة) فإن عندى (دواءها) الذى يشفيها بإذن الله :

يقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب كبار : باب العلم ، وباب العمل ، وباب الاعتقاد

ففى (باب الاعتقاد) يبين للشاب كل ما يجب عليه الإيمان به بأسلوب (عصرى) بيّن ، بعيد عما أحدث من الخلاف ، يعرض فيه عرضاً لأهم الشبه التى تتردد كثيراً فيجاب عنها جواباً حاسماً باتًّا ، ويكون (مقصد) هذا الباب تكليف الشاب بالإيمان بما لا يكفى أقلّ منه للنجاة فى الآخرة . وهو الذى جاء فى الكتاب والحديث المتواتر الذى يفيد العلم ، أما ما لم يثبت بالتواتر كنزول المسيح ، وظهور الدجال ، ولا يكفر منكره ، فلا يبحث فيه فى هذا الكتاب

وفى باب العلم يلخص له الأصول والمصطلح مع طرف من علوم القرآن ، ويكون على فصول :

الفصل الأول : فى الأدلة مجملة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وبيان منزلة العقل من الشرع ، وأن الحسن ما رآه الشرع حسناً ، وأن العقل شارح لا شارع

الفصل الثانى : فى القرآن : نزوله وجمعه ومكيّه ومدنيّه ، ومحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه (مع بيان أن النسخ الذى هو إبطال الحكم السابق والغاؤه بالمرة قليل جداً) وحكمة النسخ ، وإعجاز القرآن ، من جهة عجز فصحاء العرب (الفعلى) عن محاكاته ، ومن جهة ألفاظه وأسلوبه ، وعلاقته بالشعر والنثر العربيين ، ومن جهة إخباره بالغيبيات ، وإشارته لبعض نواميس الكون التى لم يكن يعرفها على عهد محمد بشر على ظهر الأرض ، ومن جهة إحاطته بكل شىء وأن فيه الإيمان والعلم والقانون والأخلاق مع أنه ليس كتاب تاريخ ولا علم ، وما أراد التقصى وإنما ضرب الأخبار أمثلة ، وأمر بالنظر فى نواميس الكون لإدراك عظمة الخالق ، — والتفسير والمفسرين وطبقاتهم ، والتلاوة والأحرف السبعة والقراءات السبع وأنها ليست هى الأحرف السبعة وإنما هى على حرف واحد ، وعربية القرآن وترجمته ، وأن ترجمته غير ممكنة لمكان المتشابه منه ، ولأن الترجمة لا تمكن فى بليغ الشعر فضلاً عن القرآن لأنها تفقده أحد عنصريه ، وهو (موسيقية) الألفاظ — ثم تشرح آيات من القرآن

والفصل الثالث : فى الحديث ، المتن والسند ، ورجال الحديث وأقسامه المتواتر والمشهور والصحيح وما دون الصحيح ، والمرفوع والموقوف والمرسل ، وعن تدوينه وكتبه وما يوثق به منها ، وتصح الرواية عنه مع شرح نماذج منه

والفصل الرابع : فى الاجتهاد ، معناه وشروطه ، وكبار المجتهدين ، وأسباب الاختلاف بينهم ، وكون الاختلاف فى تأويل آية أو فهم حديث ، لا فى الأصول ، وحكم التنقل بين المذاهب

والفصل الخامس فى الإجماع وفى شرح القواعد الفقهية العامة : كالموادّ التى فى صدر مجلة الأحكام الشرعية التى يفهمها الناس على غير وجهها ، فيحسبون أن قولهم : (لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان) معناه تبديل كل حكم ، مع أن الحكم الثابت بالقرآن والسنة الصحيحة القطعية لا يمكن تبديله . وفى المجلة أيضاً أنه (لا مساغ للاجتهاد مع ورود النص)

والفصل السادس فى ميزة الإسلام ونظره إلى السياسة والقوانين والإدارة والأخلاق

و (مقصد) هذا الباب أن يعلم الشاب قارئ الكتاب كل ما ينبغى للمسلم أن يكون عالماً به باختصار ووضوح ، وبعد عن المصطلحات العلمية على الأسلوب الذى يدعونه اليوم بتبسيط العلم أو تعميمه

الباب الثالث فى الأعمال ويشتمل على فصول :

الفصل الأول : حقوق الله على العبد ، ويكون تلخيصاً لباب العبادات من الفقه بشرط أن تذكر كيفية العبادة وفائدتها من غير تفصيل لسننها وواجباتها وفرائضها ومكروهاتها ومبطلاتها ، وأن تقرن بما ورد فى الترغيب فيها والترهيب من تركها

الفصل الثانى : حقوق النفس ، كنحو تحريم الانتحار والإقدام على الهلكة ، وإضعاف الجسم ، وفضيلة السمو بالنفس عن الأخلاق المنحطة ، والأدواء الباطنة

الفصل الثالث : حقوق الأسرة ، كنحو حق الوالدين والأولاد والزوجة والأخ وفقراء الأسرة

الفصل الرابع : حقوق المسلمين ، من نحو عيادة المريض منهم ومساعدة الضعيف ، ونصيحتهم وحرمة غيبتهم والنميمة بينهم الخ .

الفصل الخامس : حقوق غير المسلمين ، من نحو إحسان معاملة الذمى وحفظ ماله ونفسه وضمان حريته التى هى له ، والوفاء لدى العهد من المحاربين ، واحترام المبادئ الإسلامية الإنسانية فى الحرب

الفصل السادس : حقوق الوطن ، من نحو احترام المصلحة العامة ، والاستعداد للجهاد فى سبيل الله والذود عن الحمى ، والتهيؤ للتضحية ، وتعلّم الإيثار ونحو ذلك

الفصل السابع : درجة الورع والصلاح ، وبيان الصورة الكاملة للمسلم ، وأنه يعمل للدنيا ولا يجعلها فى قلبه ، ويعمل للآخرة ويستعد لها دواماً ، وتضرب الأمثلة من أخبار الصالحين من طبقة الفضيل والسفيانين وابن المبارك وابن حنبل ممن كان ورعاً وعالماً وعاملاً للدنيا فى وقت واحد

* * *

فمن اطلع من علمائنا على هذا المقال ، وكان قادراً على كتابة فصل من هذه الفصول ، فلم يكتبه ، ولم يمنعه منه مانع ، فليعلم أنه يعين بسكوته أعداء الإسلام على ما هم فيه ، وإن لنا معشر الشبان لموقفاً معه بين يدى أحكم الحاكمين ، فنقول : يا ربنا سَلهُ لِمَ قدر على إرشادنا فلم يرشدنا ، وهو يروى قول نبيك محمد (لأن يهدى بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) ؟

فليهيئ لهذا السؤال جوابه . . . وهيهات !

(كركوك) علي الطنطاوي

بين الأستاذين
أحمد أمين وزكي مبارك
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

قلت في مقالي السابق إن الدكتور زكي مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الأدب الجاهلي ، وإنما قلت هذا لأنه هو وأستاذه الدكتور طه حسين لا يؤمنان بصحة ذلك الأدب ، والدفاع عن الشيء لا يكون إلا بعد الاعتقاد بصحته ، فقد ألف الأستاذ طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) وكان أكبر جناية على أدب الجاهلية ، إذ أنكر فيه صحة ذلك الأدب ، وقلد في هذا الرأي أعداء الأدب العربي من المستشرقين ، فلم يكن من الدكتور زكي مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك الكتاب ، وعده فتحاً جديداً في الأدب العربي وقال في هذا من جريدة البلاغ الأسبوعي (٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦) : « كان كتاب الشعر الجاهلي الذي ألفه أستاذنا الدكتور طه حسين فاتحة لعهد جديد في دراسة الآداب العربية ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتب في نقده من الرسائل المطولة ، والأسفار الضخام ، لترى كيف أثار ذلك الكتاب ما خمد من القرائح ، وكيف أيقظ ما هجع من العقول »

والفرق كبير بين رأي الأستاذ طه حسين في الأدب الجاهلي ورأيي ورأي الأستاذ أحمد أمين فيه ، فالأستاذ طه حسين يرى في رأيه إلى الهدم والطعن في ثقة السلف ونحن نرى إلى الإصلاح ونريد تقويم اعوجاج الأدب العربي ، وهذه غاية نبيلة يكاد علماء الأدب يتفقون الآن عليها ، لإجماعهم على أن الأدب العربي في حاجة إلى الإصلاح ، وعلى أن إصلاحه يجب أن يكون من الناحية التي أشرنا إليها ، حتى لا يكون أدب ألفاظ مزوقة ومعان خيالية لا طائل تحتها

ومن الغريب أن الدكتور زكي مبارك يؤمن أيضاً بذلك الإصلاح ، ويدعو إليه في كتابه (النثر الفني) ولكنه ينسى ذلك في حب التغلب على الأستاذ أحمد أمين ، ويأخذ عليه تهوينه من شأن التشبيه وما إليه من المعاني الثانوية ، ومما جاء في ذلك الكتاب: ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما في المعنى من قوة وروح ، وقد تجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ، ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى غايات الإبداع ، ومثال ذلك قول حِطّانَ بن المُعَلَّى يشكو فقره ، وما وضع القدر في رجليه من قيود الأهل والذرية :

أنزلني الدَّهْرُ على حكمه من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ
وغالني الدهر بِوَفْرِ الغنى فليس لي مال سوى عِرْضِي
أبكانِيَ الدهر ويا رُبَّمَا أضحكني الدهر بما يُرْضِي
لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا
رُدِدْنَ من بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ
في الأرض ذات الطول والعَرْضِ
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هَبَّتِ الريح على بعضهم لامتنعتْ عيني عن الغَمْضِ

فقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ، ولا إلى الاسلوب . ومن ذلك يتضح أن من يزعمون أن القرآن ليس من جنس كلام العرب لم يفهموا شيئاً من أسرار الإعجاز، ولذلك تراهم يدورون حول الظواهر والمحسنات اللفظية ، ويرجعون في ذلك إلى الناحية اللفظية أو الفنية ، ونحن نرى غير ذلك ، فنرى أن محمداً عليه السلام اجتذب العرب لأنه نبي ، ولم يجتذبهم لأنه فنان ، فالفن الكلامي لم يكن جديداً عند العرب ، وإنما كان الجديد عندهم أن يأتيهم رجل منهم بأساليب من الفكر والعقل والوجدان غير التي كانوا يألفون ، ومن العبث أن نظن أن البلاغة لا تخرج عن المناورات اللفظية ، فإن هذا إسراف في تقدير الزخرف ، وامتهان لصولة المعقول ، إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية ، ولكن معناه

أننا نقرر أن الفكرة تجىء أولاً ، ويجىء الورق ثانياً ، كما يقول الفرنسيون »

وإنما أطلت النقل من كتاب (النثر الفنى) لأقيمه دليلاً قاطعاً على أن الأستاذ زكى مبارك لا يؤمن بتلك الناحية الفنية التى أخذ على الأستاذ أحمد أمين تهوينه من أمرها ، ويكاد يتفق معه فى أن الشأن فى ذلك لقوة الروح والفكرة ، ومن الإنصاف أن نذكر أن الأستاذ زكى مبارك لا يفرق فى ذلك بين قوة الروح فى الخير والشر ، ويرى أن الشاعرية روح يتمرد به الشاعر فيهز نفس القارىء أو السامع هزاً عنيفاً يحمله على أن يؤمن وهو طائع ذلول بما يدعو إليه الشاعر من تزيين الإثم والبغى ، أو تقبيح الغى والفسوق ومن الأول قول ديك الجن :

لمّا نظرتِ إلىَّ عن حَدَقِ المَها ... وبَسَمْتِ عن مُتفتّحِ النُّوّارِ
وعقدتِ بين قضيبِ بانٍ أهيفٍ ... وكثيبِ رملٍ عُقْدَةَ الزُّنّارِ
عفّرتُ خدى فى الثرى لك طائعاً ... وعزمتُ فيك على دخول النار

ومن الثانى قول معن بن أوس :

لَعمْرُكَ ما أهويتُ كفّى لريبة ... ولا حملتنى نحو فاحشة رِجْلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلّنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تُصبْنى مصيبةٌ ... من الدهر إلا قد أصابتْ فتى قبلى
ولستُ بماشٍ ما حَييتُ لمنكرٍ ... من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى
ولا مُؤْثِرٍ نفسى على ذى قرابة ... وأوثِرُ ضيفى ما أقامَ على أهلى

ولكنا لا نحب للدكتور زكى مبارك أن يمضى فى ذلك إلى حد التسوية بين روح الخير وروح الشر فى الشعر ، فيجعل قول ديك الجن مثل قول معن بن أوس بعد اتفاقهما فى قوة الروح ، لأنه يبقى بعد هذا شرف المعنى والغرض وهو مما لا بد من اعتباره أيضاً فى المفاضلة بين شعر وشعر ، أو كلام وكلام . ولا يمكن الدكتور زكى مبارك أن ينكر هذه الناحية فى الموازنة الشعرية ، فقد ذكرها فى قوله تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على ألاّ تَعْدِلُوا) ، فجعل الفضل فيه لهذا النصح النبيل والمعنى الشريف والدعوة إلى إيثار العدل فى جميع الأحوال ، من غضب وسكون ، وحب وشنآن ، وإذا لم يكن للدكتور زكى مبارك بد من اعتبار ذلك أيضاً فإنه لا يكون بيننا وبينه فرق فيما ندعو إليه من ذلك الإصلاح ، ولا يكون له حق فى تلك الحملات القاسية التى تقف عقبة فى سبيل غايتنا جميعاً

هذا وإذا كنت اقتصرت فى أول هذا المقال على موقف للدكتور زكى مبارك من كتاب (فى الشعر الجاهلى) فلأنى أحببت الترفق به ، ولم أشأ أن أذكره بمواقف له جارى فيها أستاذه فى الجناية على الأدب الجاهلى ، وذهب إلى الشك فى صحته كما ذهب إليه قبله ، وتلك هى الجناية على الأدب الجاهلى حقاً ، لا ما ذهبنا إليه من ذلك الإصلاح ، والله الهادى إلى الصواب .

عبد المتعال الصعيدى

من وراء المنظار

كرنفال ! . . .

أبداً لا تقع عيناى أو لا يقع منظارى على هذا الذى أحدثك عنه إلا اعتلج فى نفسى شعور من الهم والحزن يلازمنى فترة طويلة بعد فوات المنظر ، ويتجدد كلما تجدد فى خاطرى طيفه ، وأنا أكتب هذا على أثر رؤية جديدة لذلك المنظر الذى أنكره أشد الإنكار ، وما أزال أزداد إنكاراً له فى كل مرة عنى فى سابقتها .

وإنما أكتب لأدعو القارئ إلى أن يغضب معى ، فإن لم يغضب ، ومن على هذا الذى أقول من الكرام ، فلا شك عندى أنه قوى الأعصاب جداً — على أحسن تعبير — قوة لا أدرى أيحمد عليها أم يذم من أجلها ؟ !

على أنى لا أشك فى أن كثيراً من القراء غضبوا مثلما غضبت وسيغضبون كلما وقعت أعينهم على ذلك المنظر البغيض ، منظر جنائزنا « البلدية » فى أجمل وأعظم أحياء القاهرة العظيمة مهبط السائحين فى الشتاء من أنحاء الغرب والشرق ! ...

وللقارئ أن يخطر فى باله صورة لجنازة من هاتيك الجنائز ... فهناك فى الطليعة أنماط من الناس منهم من يرتدون هلاهيل من القماش كانت من قبل جبباً وقفاطين ، ويضعون فوق رؤوسهم ما يشبه العمائم ، أو ما يصح أن يكون أبلغ صورة هزلية للعمامة ، وكأنما يقول الواحد منهم «متى أضع العمامة تعرفونى» فهو كما أتخيل بل كما أكاد أعتقد يتخذ هذه الهيئة عن عمد ليكون جديراً بأن يظهر فى الطليعة ! وأنا أرى أبداً هذا الصنف من الخلائق على أشكال متقاربة فى صورها .

ويندس بين هؤلاء « الفقهاء » الحق فريق من « الجدعان » من أهل الحى الذى خرج منه الميت وهم يخطرون جميعاً فى جلاليبهم «البلدية» ، وإنما تتميز رؤوسهم بأشكال من الطواقى و«اللاسات» وما شئت من أنواع « الكليوش » وألوانه ...

وينطلق هؤلاء وهؤلاء فى نشاط عجيب ، وقد تأبط كل منهم ذراع جاره ، ويطلقون حناجرهم بأفظع الأصوات وأنكرها ، يستجمعون لها كل قواهم ، ويمضون فى ترديد عبارة حفظوها ، أو يتغنون بورد من الأوراد ، لا يفترون ولا تكل حناجرهم أبداً ، كل أولئك وهم يتمايلون ويتسابقون فى النعيق على صورة أجدر أن تكون فرحاً فى موت هذا الذى يحملونه من أن تكون حزناً عليه ، وإلا فكيف يكون هذا الزعيق وهذا التهريج حزناً فى أى وضع من الأوضاع ؟ !

ولو أن متفنناً فى التهريج أراد أن يحشد « كرنفالاً » من المهرجين لما تعلق خياله بأبلغ وأروع من ذلك الكرنفال الجنائزى

وتأتى بعد ذلك الآلة الحدباء يحف بها من رهبة الموت وجلاله ما لا يتفق مع هــذا التهريج المنكر أمامها . . . ومن ورائها ذيل أسود طويل بغيض لعله أشد نكراً من الطليعة ؛ هؤلاء النسوة الماشيات أو الراكبات عربات « الكارو » ، ومنهن من تدور طرحتها حول عنقها كالحبل ، ومنهن المصفقة كفاً بكف ، والمشيرة بمنديلها إشارات عجيبة مزعجة معاً ، والمولولة المترنحة ذات اليمين وذات الشمال ؛ وأفظع من هؤلاء الصابغات وجوههن « بالنيلة » فى شكل لا يمكن أن يتخيل معه أنهن ينتمين إلى بنات حواء ... ولا أريد أن أزعج خاطرك — أيها القارئ — بوصف أصواتهن التى تجىء مع ذلك الزعيق فى المقدمة نشازاً على نشاز ، وشناعة على شناعة ...

وبعد ، فهل فى هذا شىء يتفق مع الدين أو يجوز فى عرف معقول أو يليق بسمعة أمة ؟ ... ولشد ما يوجع نفسى أن أذكر وا أسفاه أنى رأيت مثل هذا المنظر مرتين فى أسبوع واحد أمام دار الآثار ساعة « انصراف السائحين » ؛ فسألت نفسى والألم والحزن يحزان فى صدرى : ماذا عسى أن يقول هؤلاء عن حياتنا الاجتماعية إذا رجعوا إلى قومهم ؟ وهل هم يرون « الأنتيكة » التى جاءوا ليروها داخل « الأنتيكخانة » حقاً ؟ أم أنهم يرون ما هو أبلغ فى معناه منها فى شوارع العاصمة الكبيرة ؟ !

يا وزارة الشئون الاجتماعية ... هذا والله فى صميم الشئون الاجتماعية ... شيعى هــذا المنظر إلى حيث لا يعود ، فهذا لعمرى وعمرك خير من إنشاء ألف حديقة فى هذه المدينة أو نشر ألف صحيفة من صحف الدعاية عن مصر والمصريين .

« عين »

الثقـــافة العسكرية

وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

في الثورة المصرية

ولقد مرَّ بك أن « المتطوعين » المصريين في الحرب الكبرى لم يجدوا من يضع لهم أناشيد تعرب عن آمالهم ، فوضعوا لأنفسهم تلك الأناشيد كما تخرج الأرض المهجورة زرعها « الشيطاني » ، وكان بعض الذي وضعوه نظماً ولحناً مما يستحق الإعجاب لدلالته على خوالج نبيلة كالشوق إلى الوطن ، وكالشكوى من تحكم السلطة العسكرية إذ ذاك في التجنيد باسم « التطوع » .

ولقد قرأت في بعض الصحف الإنكليزية على أثر الثورة المصرية بحثاً ضافياً عن أسباب تلك الثورة ، وقد عدَّ كاتب ذلك البحث مسألة « التطوع الإجباري » من أهم المسائل التي أدت إلى الثورة واستدل على ذلك باللحن الذي أشرنا إليه في المقال السالف ونشره بلغته العربية بأحرف انكليزية مع ترجمته إلى تلك اللغة ، وهكذا كانت ترجمته :

O! My native Town! O! My native Town!
The Military Anthority has taken my boy

والنص هو :

بـــلدي يا بـــلدي والسلطة خدت ولدي !

ومن البـديهي أن الذين كانوا يتغنون بهذا النشيد ليسوا هم الذين أخذت السلطة أولادهم ، ولكنهم هم الأولاد المأخوذون وكان المأخوذة أولادهم مقيمين في مصر ، أما الذين يرددون هذا اللحن فكانوا بعداء عنها يتحرقون تشوقاً إليها بدليل البيت الآخر وهو :

يا عزيز عيـــني وأنا بدي اروح بلدي

ولـكن هكذا الشعر الذي ينال شرف السيرورة لا يمكن إلا أن يكون صادق التعبير عن البيئة التي صدر عنها .

وكان هؤلاء « المتطوعون » يعبرون عن مصر كلها لا عن الفريق المتطوع حينما وضعوا هـذا اللحن الذي سار والذي استدل به الباحثون فيما بعد عن أسباب الثورة المصرية ، كما يستدل الطبيب بالنبض على حركة القلب .

وكذلك الشعر لم يكن قط قلباً للأمة ، ولـكنه نبضها الذي يستدل به على حالة ذلك القلب . وهذه الحقيقة هي أساس النقد الحديث الذي يذعن له النقاد منذ وضع سانت بيف كتابه « تاريخ الحضارة الإنكليزية كما يظهر من خلال أدبها » .

ولم يكن المتطوعون في الحرب الكبرى كلهم من طبقة واحدة ولا كان تطوعهم ذا صبغة واحدة ، ولا كانت أغراضهم واحدة ، ولـكن كانت الكثرة كما تقدم وصفها ، وكان فيها فريق تطوع بمحض الرغبة فراراً من الفتك الاقتصادي وطمعاً في القوت .

وكان هذا الفريق من لابسي « الملاهيل » ، وقد أبت طبيعة الأشياء إلا أن يسجل هذا الفريق من البؤساء على جبين الزمن شكواه من ذهابه للقاء الموت من أجل الكساء الذي يستر العورة ولم توفق مصر إلى شاعر من أبنائها يحس إحساس هذا الفريق فيعبر عن مشاعره . فأعرب هؤلاء الرعاع عن مشاعرهم ولحنوها بأنفسهم (ولا الحوجة للشعراء والموسيقيين) .

وهكذا كان في متطوعي السلطة في الحرب الماضية مصريون كالمراة ينشدون هذا النشيد :

« ياللي رماك الهـوى حود على الـكامبـو
يقلعوك المـلاهيل ويلبسوك البلطـو »

ومن الذي تراه كان من شعرائنا أو موسيقيينا يستطيع أن يقول ذلك القول أو يلحنه ؟

لقـــد كنا ...
ولا تسل كيف كنا ...
نتعاطى من الهوى ما نشاء ...

كان شعراء مصر في ذلك الحين يشربون الـكوكتيل أو الويسكي على الأقل !

هل تصدق أنني كنت في سنوات الحرب أتقاضى مرتبي من وظيفتي في الحـكومة ، وكان مضافاً إليه علاوة الحرب مماثلاً لمرتبي الآن ؟ لقد ترقيت ترقية طبيعية في مسافة العشرين عاماً بين الحربين ولـكن الترقية في مسافة عشرين عاماً لا تكاد تبلغ المائة في المـائة التي كنا نتقاضاها علاوة حرب ، وكان في الشعراء

الآخرين من هو أيسر حالاً وأهنأ بالاً ، والملة مقطوعة بطبيعتها بين شعراء مصر وبين لابسى الملاهيل ، فلم نضع ألحاناً لسير المليون مصرى الذين تطوعوا فى الحرب الكبرى ووضعوها هم لأنفسهم . فإذا بعضها :

يالى رماك الهوى   حود على الكامبو

والكامبو هو الـ Camp أى معسكر الجيش الإنكليزى

وانتهت الحرب الكبرى ونشبت الثورة المصرية وكان لها شأن آخر. كانت هناك قيادة للثوار واتحاد فى الغرض والوسيلة، واشترك فى المشاعر الثائرة أصحاب « العراك » و « البونجور » و « الردنجوت » مع أصحاب الملاهيل . ومن أجل ذلك كان هناك الأناشيد التى يضعها الشعراء للسير والتى نالت شرف السيرورة لصدق تعبيرها عن عواطف البيئة

قد لا تكون هذه الأناشيد مما يسميه الشعراء غروراً « بالشعر الخالد » ولكنها على كل حال ستظل باقية ما بقى لتلك الثورة ذاكر . وإذا شئت أن تدرس طبيعة تلك الثورة وتعرف أسبابها فإن أهم مرجع هو الذى يدلك عليه سانت بيف وهو الشعر الذى قيل فيها ، هو تلك الأناشيد :

نشيد شوقى . ونشيد العقاد . ونشيد صدق . ونشيد الرافعى ونشيد صادق . ومائة نشيد ونشيد غير أناشيد هؤلاء ... ولكن هل كانت الثورة المصرية خالية من الأوشاب ؟ وهل كانت كل العواطف من طراز عواطف هؤلاء النبلاء ؟ كلا . فقد كان فى المتظاهرين من لا يقنعه « حيوا العلم » ولا « مكانكو تهيا » ولا « لحبى فتاك شهيد هواك » ولا أمثال هذه الاتجاهات السامية

ولم يكن فى الشعراء من يستطيع الإعراب عن عواطف الذين يلقون بالأحجار على اللوحات الزجاجية فيحطمونها ولم يكن فيهم من يستطيع الإعراب عمن لا يجد تعبيراً أطيب من قلب مركبة الترام أو قطع خطوط التلغراف . وكان هذا الفريق من الأوشاب موجوداً بالفعل وكان لا بد له من الإعراب بالموسيقى عن عواطفه تلك . والإنسان برغم أنف الناطقة حيوان موسيقى وليس فقط بالحيوان الناطق ، بل أستغفر الله فهو يرضى المناطقة وعن طيب خاطر منهم حيوان موسيقى لأن النطق لا يمكن أن يتم إلا والموسيقى جزء منه

ظهر فى الثائرين أيام الثورة المصرية من يحطم اللوحات ويقذف بالطوب ولم يكن بينهم شعراء من أمثال « فرلان » ذلك الوغد الفرنسى المتشرد الشاعر ليضع لهم نشيداً فوضعوا هم أناشيدهم نظماً وألحاناً ومن بينها :

مش عاوزين حد أبداً يحكمنا   والا إن غلطنا حد يلومنا

كان هذا الفريق أقل من أن يقل « حيوا العلم » فلم يثر من أجل كرامة العلم ولكنه فقد النظام فأبى أن يحكم أبداً كما يقول

وبعد فيا شعراء الجيل هل تريدون أن ينال شعركم شرف السيرورة ؟ إذن فانغمروا فى كل وسط تريدون أن ينتشر فيه شعركم . أنتم (وأنا من بينكم) من رواد المقاهى فلن يروج شعرنا إلا بين رواد المقاهى

ويا وزارة الدفاع ويا وزارة الشؤون الاجتماعية ويا قيادة الجيش المرابط ، هل تريدون ألحاناً للجنود تعرب عن روح عسكرية قوية وتدعم الروح العسكرية وتصل بين حاضرها ومستقبلها

لن تكون تلك الأناشيد من وضع الجالسين على مكاتبهم فى الدواوين ولكن أفسحوا المجال فى المعسكرات فى ساعات التدريب لطائفة من الشعراء

تقول قيادة الجيش المرابط إنها تريد أن يتعلم الفلاح المشية العسكرية والنظام فى الجلوس والقيام وحالة المعيشة العامة . هذا جميل كله ، ولكن إذا استثنينا الأستاذ الشاعر عباس العقاد فمن من بين شعرائنا يمشى مشية عسكرية ؟

أتمنى أن أرى فى ساحات التدريب الأساتذة حسين شفيق المصرى والدكتور زكى مبارك وشاعراً ثالثاً على الأقل وسيرى الجميع بعد أيام من التدريب كيف يمشى هؤلاء الثلاثة مشية غير مشيتهم الحاضرة . وإلى الملتقى فى ميادين التدريب

عبد اللطيف النشار

أحلام سـوداء ...

للدكتور إبراهيم ناجي

رب ليل قد شفا الأفقُ به … وبما قد أبدعَ اللهُ ازدهرْ
قد سرى فيه نسيمٌ عبقٌ … فكأنَّ الليلَ بستانٌ عطرْ !
قلتُ ، يارب ، لمنْ جمَّلتَهُ … ولمنْ هذى الثريَّاتُ الغُرَرْ
نخَلىٌّ نائمٌ عنه القدرْ … نام لم يَسمدْ بهاتيكَ الصُّوَرْ
وشجِىُّ القلبِ يشدو للذِّكَرْ … دامِىَ الألحانِ مجروحَ الوترْ
كل شىء نائمٌ فى عينه … لا الكرى طابَ ، ولا طابَ السهرْ
غامَ وجهُ الأفقِ واربدَّت به … سُحبٌ حامتْ على وجهِ القمرْ
كلما تقربُ تمتدُّ له … كأكُفٍّ شَرِهاتٍ تنتظرْ
قائماتٍ ، كذئابٍ حُوَّمٍ … جائماتٍ مثلَ غربانِ الشجرْ
صِحتُ بالبدرِ ، تنبَّه للنُّذُرْ … أدرِكِ الهالةَ حُفَّتْ بالخطرْ
لا تُبِحْ مائدةَ النورِ لمنْ … لا تبحها لسوادٍ مُعتكرِ
قهقهَ الرعدُ ودوَّى ساخراً … فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سَكِرْ
قمتُ مذعوراً ، وهمَّتْ قبضتى … ثم مُدَّت ثم رُدَّت ، مِنْ خَوَرْ
لهفَ القلبِ على الدنيا ، إذا … عجزَ القادرُ ، والباعُ قَصُرْ
لهفَ القلبِ ، على الحسن ، إذا … قهقهَ الغربانُ والذئبُ سَخِرْ
تحتمى الوردةُ بالشوكِ فإنْ … كثُرَ القُطَّافُ لم تُغنِ الإبَرْ
آهِ مِن غصنٍ غنىٍّ بالجَنَى … ومن الطامعِ فى ذاك الثمرْ
آهِ من شكٍّ ، ومن حبٍّ ، ومن … هاجساتٍ وظنونٍ وحَذَرْ !
كسَتِ الأفقَ سواداً لم يكن … غيرَ غَيْمٍ جاثمٍ فوقَ الفِكَرْ
طالما قلتُ لقلبى ، كلما … أنَّ فى جنبى أنينَ المحتضَرْ
إن تكن خانت ، وعقَّتْ حُبَّنا … فأضِفْها للجراحاتِ الأُخَرْ ...
كان طيفاً من ظنونٍ لم تدُمْ … وسحاباً من جنونٍ وعِبَرْ !!

ناجى

شريد !...

للأديب محمود السيد شعبان

يا ليلُ ! هذا شريدٌ تائهٌ تعِسٌ … يحوطه الصمتُ فى واديك والغلسُ
حيرانُ ... يُدلِجُ فى طخياءَ مظلمةٍ … تكادُ من خوفه الأنفاسُ تحتبسُ !
لهفان ... تحسبُه الأنظارُ واهمةً … إنساً من الجنِّ أو من جنَّةٍ إنسوا !
أسوان ... تنشدُه الأوهامُ ساخرةً … لحناً من البؤس فيه العِىُّ والخرس
هيمانُ ... تلقفُه الأغلاسُ ذاهلةً … كأنما هو فى كفِّ الدجى قبس !
ظمآنُ ... يرتشفُ الظلماءَ يحسبها … كأساً من الدمع فيها الطهر والقدس
ندمانُ ... يبحثُ عن إلفٍ يقاسمُه … جوبَ الغياهبِ ما فى طبعه دنس
نهمانُ ... يُطعِمه ماليس يُطعِمه … من السرابِ إذا ما لفَّه غلس !
أقولُ للنجم لما لاح يرقُبُه : … كلا كما فى الدياجى حائرٌ تعِس
علامَ لا ترقدانِ الليلَ وحدَكما ؟ … والكون أغفى وكل الناس قد نعسوا
وفيمَ لا تهجرانِ الليلَ ويحكما … والليل للنفس ذاتِ الشجو يفترس
أأنتَ يا ليلُ موجٌ ضلَّ غايتَه … تطوى دياجيه من عاشوا ومن درسوا ؟!
علامَ يا ليلُ لم تفرحْ بمنْ سعدوا ؟ … وكيف يا ليل لم تحزنْ لمن تعسوا ؟
وفيم يا ليل لم تحفلْ بمن ضحكوا … ولا بمن فيك يا نبعَ الأسى عبسوا ؟
سيَّان عندكَ من باتوا على أملٍ … فيه النعيمُ ومن يا ليلُ قد يئسوا ...!

* * *

يا سائلاً عن شبابى كيف تعجبُه … تلك الأناشيدُ منها الدمع ينبجس ؟
أقصِرْ ربَّك !.. فالآلامُ تعرفنى … لأنها فى فؤادِ الفذِّ تنغرسُ !

محمود السيد شعبان

حـيرة !...

للأستاذ أحمد فتحى

جهلتُ حقائقَ الآمالِ ، لكن … قنعتُ بها من الزمن اللئيم
وحسبى من أعاجيب الأمانى … رضاها بالخسيسِ وبالكريم
تكفكفُ من مدامعِ كل شاكٍ … وتحفزُ همَّةَ الباغى الظلوم
ويزجيها خيالٌ كالليالى ... … فلا هوَ بالصحيحِ ولا السقيم
فكمْ يهوى إلى قاعٍ سحيقٍ … وكم يسمو إلى هامِ النجوم
وكم يُغرى فؤادى بالدنايا … وكم يُغريه بالشأوِ العظيم
وما ألقاهُ يأسو من جراحى … ولا ألقاه يجلو من غيومى
ومن عجبٍ وصلتُ به حياتى … كما اتصلَ الشرابُ إلى النديم
إذا أزمعتُ منْ أملٍ فراراً … فررتُ من الجحيم إلى الجحيم !

أحمد فتحى



دراسات فى الفن

مـــــلامح الأرواح

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— هل سمعت أن شارلس لوتون سيمثل هتلر للسينما ؟

— قرأت ذلك ومن يومها وأنا مشتاق لمشاهدة لوتون فى هتلر

— أظن أنه لم ينجح

— لماذا ؟

— لأن لوتون طويل عريض ، وهتلر ضئيل الجسم

— وأى شىء فى هذا ؟ إن الذى سيمثله لوتون من هتلر نفسه لا بدنه

— ولكن هذه الصورة الحاضرة فى أذهاننا والتى نعرف بها هتلر لا يمكن أن يمحوها لوتون بتمثيله ، وسيذكر الناس عند ما يرونه أنه ممثل يمثل ، بل قد يرى بعض الناس أنه ممثل اغتصب دوراً ليس هو أهلاً له

— هذا يخيل إليك . وقد يكون الذى تقولين حقاً إذا كان الممثل ضعيفاً ... ولكن هذا لوتون . ألم تريه فى هنرى الثامن ؟ لقد كان هو هنرى الثامن

— لأنه يشبه هنرى الثامن كثيراً فى جسمه ، وعلى الخصوص فى وجهه ...

— صحيح ! فكيف رأيت هارى بور فى بتهوفن ؟ هارى بور طويل عريض هو أيضاً وكان بتهوفن ضئيل الجسم مثل هتلر ، ومع هذا فلا أظن أحداً من النظارة أحس شيئاً من الكذب فى بتهوفن الذى أخرجه هارى بور ... اللهم إلا أولئك الذين يذهبون إلى السينما ليعرضوا على الناس أجسامهم وأزياءهم ...

— قد يكون التوفيق أتيح لهارى بور فى بتهوفن ، لأن هارى بور ممثل وبتهوفن موسيقى ، وليس عسيراً على الفنان أن يدرك الدخائل فى نفس فنان مثله ، فإذا حاكاه ومثله كان كمن يحاكى نفسه ويمثلها ...

— والله إنها فكرة لم أكن أتوقع أن تجول فى ذهنك ، وإنها لجديرة بالتأمل والدرس ، وإنك لجديرة بالمكافأة عليها ... خذى هذه النكلة ...

— شكراً . سأعلقها على باب البيت تعويذة وحجاباً دون إبليس ...

— بل أعيديها فقد وجدت الرد ... هات ... إن هتلر أيضاً ممثل

— رحت فى داهية ! هل أنت ممن يؤمنون بهذا الذى يدعيه من أنه فنان ؟ !

— ليس هذا قصدى ، وإنما الذى أقصد إليه هو أن الناس جميعاً يمثلون

— آه . هـذه فكرة أخرى . ولكن ألا ترى أن فكرتك هذه لو كانت صحيحة لما ارتفع سعر التمثيل فى الدنيا ، ولما كان أجر الممثل المجيد آلاف الريالات ومئات الجنيهات فى الدور الذى لا يستغرق منه إلا الساعات القليلة ...

— الحق معك

— إذن فرأيك غير صحيح ...

— لماذا ؟ أفلا يستطيع الحق أن يكون معك وأن يكون معى فى الوقت نفسه ؟

— يستطيع . قادر على كل شيء ...

— ولا قادر غيره ... والتوفيق بين الذي تقولين وبين الذي أقول يسير . فأما أن كل الناس ممثلون فهذا حق . وأما أن أندر الناس هم الذين يستطيعون أن يمثلوا فهذا حق أيضاً ، فالناس كالأواني : كل آنية تصلح لأن تمتلئ بما يملؤها ، فإذا امتلأت لم تعد تصلح لأن تمتلئ مرة أخرى ، إلا إذا فرغت . ومن الناس من يملك نفسه يملؤها ويفرغها وهؤلاء هم الممثلون المجيدون ، ومنهم من امتلأت نفسه مرة فاكتظت وجد حشوها فيها فلم يعد ميسوراً أن تفرغ وأن تملأ . ومن هؤلاء محمد عبد الوهاب فهو يمثل على نفسه وعلى الناس دور الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء وقد « عقد » هـذا الدور في نفسه فكان مثل دوراً ظهر فيه بمظهر هذا الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء مهما تطلب منه هذا الدور الجديد شيئاً من البؤس ، أو شيئاً من الخيبة ، أو شيئاً من اليأس . زيدى على ذلك أن الصورة التي رسمها عبد الوهاب لنفسه في خياله صورة متكلفة ليس فيها من الحقيقة شيء ، فقد عرف الناس هنا في مصر مطرباً كان الملوك والأمراء والعظماء يطلبونه حقاً ويسمون إليه ويكرمونه كل التكريم ولم يكن فيه شيء من هذه الأرستقراطية التي يلبسها عبد الوهاب فيتعثر في أذيالها ، ذلك هو المرحوم عبده الحامولي الذي تؤكد الروايات أنه كان يأكل الطعام ويمشى في الأسواق

— وهل لا يأكل عبد الوهاب الطعام ويمشى في الأسواق ؟

— حاشا لله . وإن أكل فتنازل ، وإن مشى فكما كان يمشى هرون الرشيد

— إنى لا أحب فيك هذا التعصب على عبد الوهاب . وإن الذي تأخذه عليه يمكن أن آخذه على شارلى شابلن نفسه ، فلشارلى أيضاً لوازم تبدر منه في كل أفلامه : قبعته وعصاه وشارباه ومشيته وحذاؤه وتلعيب فمه ومسحه الحذاء في البنطلون وهزة كتفيه .

— صحيح صحيح ... ولكنك نسيت أن شارلى يمثل في كل أفلامه شخصاً واحداً هو ذلك المتشرد الحائر الذي يطارده المجتمع في أغلب الأحيان ، ولا يعطف عليه إلا في أقل الأحيان . وروايات شارلى شابلن كلها يمكن أن توصل وأن تعرض على أنها حوادث حدثت لهذا المتشرد . وعلى هذا الأساس فإنه ليس عجيباً أن يلزم هذا المتشرد حركات وسكنات وإشارات خاصة هي هذه التي تقولين عنها

— طيب . ونجيب الريحاني الذي تشهد له بالتفوق . أليست له هو أيضاً لازمة لا تخلو منها رواية من رواياته هي هذه «المطة» التي يختم بها أكثر جمله وعباراته

— صحيح أيضاً . ولكنك أيضاً نسيت أن هذه (المطة) هي من آثار كشكش بك في نجيب الريحاني ، فقد كان نجيب مثل شارلى يمثل شخصاً واحداً هو عمدة كفر البلاص ، وكان هذا العمدة لا ينجو من مأزق حتى يقع في مأزق ، وكانت الحيرة والدهشة و (اللخمة) تأخذه من أول الرواية إلى آخرها ، وكان يستغيث ، وكان يلوم ، وكان يسترحم ، وكل هذا يستدعى منه هذه (المطة) فلزمته ولكنه بدأ يتخلص منها فهي لا تعاوده الآن إلا نادراً

— ولم تلجأ إلى هذا التعسف ولا تقول إن لكل ممثل أسلوبه الخاص به

— لأن موضوعنا هذا لا صلة له بأسلوب الممثل . وإنما أسلوب الممثل شيء آخر

— وما هو ؟

— هو الطريقة التي يتذوق بها الممثل الناس ، والتي يعرض بها بعد ذلك هؤلاء الناس

— وكيف يتذوق الممثل الناس ؟

— للأرواح ملامح كما للأجسام ملامح ، ومن الممثلين من ينعم النظر في هذه الملامح حتى يحصرها كلها ، ومنهم من يروعه بعضها فيقف عنده ولا يعود يرى غيره ، أو يرى غيره ولا يهتم به . والممثل بعد أن يشبع من التمعن في هذه الملامح الروحية يبدأ فيرسمها في نفسه هو ، ويشكل روحه بشكلها ويكون تمثيله بعد ذلك إبرازاً لها ، وأقدر الممثلين على هذا من لم تكن لروحه هو ملامح قوية ناتئة تستعصى تغطيتها على الماكياج الروحي ، وهؤلاء

المثلون القادرون هم الذين تكون نفوسهم شديدة الشبه بنفوس الأطفال فهي بريئة صافية تعيش على الفطرة والحق ، ولعلك قد لحظت أن الأطفال أقدر من غيرهم على تقليد الناس وتصوير نفوسهم والمظاهر الواضحة التي تنثرها نفوسهم على أجسامهم . ولو كان الناس كلهم يعيشون على الفطرة وعلى الحق لكثرت بينهم أوجه الشبه ، بل ربما كانت أشكالهم تتوحد فلا يكون بينها خلاف ، والذي يعزز هذا الرأي هو ما نراه من توحد أشكال الحيوانات التي من فصيلة واحدة — ولا أقول ألوانها — فهذا التوحد لا مرجع له إلا أن الحيوانات تسلك في حياتها المسلك الفطري الحق

— فكأنك تقول إن اختلاف ملامح الوجوه في الناس يرجع إلى اختلاف الملامح في أرواحهم

— هو هذا . وإن كنت لا أنكر آثار البيئة والوراثة وغيرها

— ومعنى هذا أن الذي يسيطر على حياة الإنسان نفسه وليس بدنه وغريزته الجنسية كما يقول فرويد

— لو كانت الغريزة الجنسية هي التي تسيطر على حياة الإنسان لما اختلفت أشكال الناس ، وإنما الغريزة الجنسية نفسها تخضع لذوق الإنسان والذوق عامل نفسي لا بدني

— ولكنك قلت مرة إن له مرجعاً يرده إلى كهرباء الجسم

— وقلت لك وقتها إني أستعمل كلمة الكهرباء حيث أريد أن أقول « الروح » وإني أختارها لأضمن ارتياحك وارتياح الناس إليها فهي عند أهل هذا العصر أقرب إلى العقل من كلمة الروح ...

— فهل تريدني أن أعرف الروح على أنها كهرباء ؟

— يصح ولكن على أن تكون كهرباء لها إرادة ولها عقل ولها عواطف ولها ذاكرة ولها أمل ولها صلة بالماضي ولها صلة بالمستقبل ولها كل ما للحياة من مميزات تسمو بها على الجمود والموت

— وملامح الأرواح التي تتحدث عنها هي ملامح هذه الكهرباء ...

— ولم لا ؟ فهناك إنسان قوته ألف شمعة ، وهناك إنسان قوته خمس شمعات ، وهناك إنسان كهرباؤه مائة فولت وهناك إنسان كهرباؤه عشرون . وهناك إنسان كهرباؤه مستقاة من دينامو ، وهناك إنسان « بطارية » ، وهناك إنسان كهرباؤه صواعق ، وهناك إنسان كهرباؤه شرر ... وهناك وهناك ... وكل هذا يحسه المثل الجيد ويستطيع أن يقلده ...

— فإذا قصرت قوة الكهرباء في المثل عن قوة الشخص الذي يريد أن يمثله فماذا يصنع ؟

— لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أراد المثل أن يقلد طفلاً صغيراً ... وكلما كان أصغر كان تمثيله أصعب

— ومعنى هذا أن في الطفل كمية من الكهرباء أوفر مما في الكبير ...

— لا . وإنما معناه أن درجة وضوح الروح في الطفل أكبر منها في الكبير . فالطفل إذا فرح ظهر عليه الفرح فياضاً جارفاً ، وهو إذا غضب لم يمكنه أن يكتم غضبه وإنما أرسله قوياً عنيفاً وهذا شيء لا يقوى عليه إلا هو أو ممثل فيه من هذا الوضوح ما في نفوس الأطفال . وهذا الوضوح الذي يستوجبه التمثيل ، وهذه البراءة التي تستلزمها المحاكاة هي التي تحول بين النساء وبين النبوغ في هذا الفن ... إلا النادرات النوادر منهن ...

— ولماذا ؟

— لأن النساء لا يمشين على الفطرة مطلقاً وإنما كل منهن تمثل في حياتها دوراً خاصاً

— بل أدواراً

— لا ... لو أن النساء كن يمثلن أدواراً مختلفة لقلنا إنهن قادرات على التمثيل ، ولكن هذه الأثواب المختلفة التي تبدو عليهن إنما يلبسنها في دور واحد يظللن يمثلنه طول الحياة وهو دور حواء

— وهل سيطلب المسرح منهن أو السينما أن يمثلن دوراً آخر

— نعم ، والمشكلة هنا أصلها أن الذين يؤلفون الروايات رجال ، والرجل مهما ألم بنفس المرأة ومهما أحاط بها فهو لا يرضى

أو لا يستطيع أن يظهرها فى تأليفه على صورتها الطبيعية ، وإنما يكتب لها عادة صورة أقرب إلى الروحانية من صورتها ، وهذه الروحانية أمر صلة المرأة به صلة بعيدة ولذلك فإنها لا تدركها الإدراك التام ولا تخرجها الإخراج الصحيح

— فهو عيب الرجال الذين لا يطبقون أدبهم على الواقع ...

— إنه العيب الذى ينزعون إليه بأدبهم وفنونهم محاولين به أن ينقذوا الحياة من شر الواقع ...

— ولكن لماذا نقول إن صلة المرأة بالروحانية صلة بعيدة

— لأن المرأة تبدأ فى صناعة التمثيل من سن مبكرة فالتمثيل عونها على الإغراء ، وهو ستارها ، وهو سلاحها . . . وكي أثبت لك ما أقول أسألك كم مرة مثلت النساء فى السينما مريم العذراء وجان دارك مثلاً وكم مرة مثلت النساء فى السينما كليوباترا ؟ إن مريم العذراء لم تمثلها إلى اليوم ممثلة وجان دارك مثلتها ممثلة فرنسية لشركة بانيه منذ خمسة عشر عاماً على ما أذكر...أو أكثر...أما كليوباترا فقد مثلتها ممثلات كثيرات وفى أوقات مختلفة ...

— وعلى أى شيء تستدل بهذا ؟

— أستدل به على أن النساء أقرب إلى كليوباترا منهن إلى جان دارك ومريم العذراء

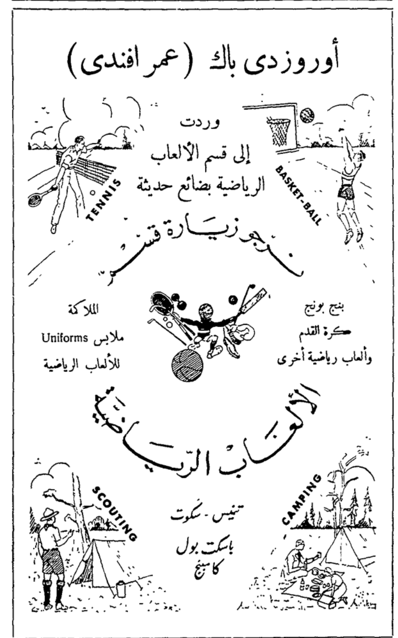
— ولكن لمريم العذراء قدسية لا تحب شركات السينما أن تمسها

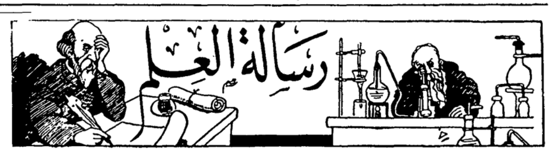
— لقد مثلت شركات السينما المسيح نفسه ...

— طيب .. وجان دارك هذه لم تكن امرأة وإنما كانت رجلاً ...

— إنها التى بذلت نفسها فى سبيل وطنها ... أنا معك لم تكن امرأة

عزيز أحمد فهمى





أرقام تتحدث وتنبئنا بقصة الألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

— ٢ —

من تجارب مليكان — رسالته الشائقة يطالعها فى الطبيعة — رقصة الألكترونات وحركاتها الثابتة — مليكان كشامبلون فى تمرنه على اللغة الهيروغليفية — رقصة أخرى لجسيمات يكشف عن مغزاها جان بيران

لا بد أن يكون قد استشعر القارىء عظم المعنى الذى أدته هذه الرسالة ، رسالة الجسيمات التى علقت بها الألكترونات ، ولا بد من أن يكون قد فطن إلى مبلغ الدقة الذى يُظهر جلال هذه التجارب الرائعة لمليكان التى ذكرناها فى مقالاتنا السابقة ، وهى التى حصل فيها على ألكترون حر واحد محمول على جسيم دقيق يتحرك فى غرفة صغيرة ، وما على القارىء إلا أن يستدرك فى ذهنه أمراً سبق أن ذكرناه ليتأمل مقدار ضآلة الألكترون الذى هو أصغر ما نعرفه من الوحدات المادية والكهربائية فيذكر أن ذرة الهيدروجين التى هى واحد على ألف مليون المليون من الجرام تكبر الألكترون بحوالى ألفى مرة ، وللقارىء بعد ذلك أن يتخيل مقدار صغر الألكترون الذى يصعب استيعاب مبلغ ضآلته ، وبذكر أن هذا الألكترون بذاته هو الذى فصله مليكان وتحقق من وجوده حرا على هذا الجسيم طوراً يعلق به وتارة ينفصل عنه ، ولا يسع القارىء مع دهشته إلا تصديق الحوادث بعد البراهين التى أدلينا بها والتى يثبت منها أنه كان يعلق بالجسيم إما قدر محدود واحد أو قدران أو ما يزيد من الأقدار الصحيحة ، ولكن لا يمكن أن يعلق به قدر ونصف القدر أو قدر وثلثان . كسور هذا القدر وأجزاء هذا الألكترون غير موجودة ، وهى حالة تشبه بالضبط تلك التى ذكرناها من قبل عن بعض المحال التجارية فى باريس ولندره التى لا تبيع الأشياء إلا بأقدار معلومة هى ضعف أو أضعاف قدر أولى معين، فهى لا تبيع مثلاً إلا بخمسة فرنكات أو مضاعفاتها

وإلا فلماذا لم يحدث مرة واحدة فى آلاف التجارب التى أجراها « مليكان » وأجراها العلماء من بعده أن أخذ الجسيم طيلة ارتفاعه تحت تأثير المجال الكهربائى فترة تقع بين فترتين من الفترات التى كان يختارها الجسيم لذاته ويلاحظها مليكان ؟ لماذا تخيَّرَ الجسيم فى الصعود فترات معينة لا تتغير ؟

ثمة مخرج واحد وتفسير وحيد للظاهرة المتقدمة ، ذلك أن يفرض مليكان فرضين :

الفرض الأول : وجود جسيمات صغيرة كهارب يسمونها ألكترونات يستطيع أن يعلق بالجسيم واحد منها أو اثنان أو ثلاثة أو ما يزيد ، ولكن لا ينقسم الكترون منها ليعلق بالجسيم جزء منه

الفرض الثانى : أن وزن هذه الألكترونات صغير بالنسبة إلى وزن الجسيم الحامل لها ، وهذا يُفسِّر السرعة الثابتة التى يسقط الجسيم بها دائماً عند انعدام المجال الكهربائى ، هذه السرعة تتغير متى أخذ الجسيم فى الصعود تحت تأثير هذا المجال ، بحيث إذا علق بالجسيم الكترونان صعد بسرعة تعادل ضعف السرعة عند ما يعلق به الكترون واحد ، وإذا علقت به خمسة ألكترونات صعد خمسة أضعاف هذه السرعة الخ

ولا يتسع المجال هنا لنذكر للقارئ الذى قصدنا معه التبسيط

المعادلات السهلة التى استنتج منها مليكان شحنة الألكترون ، وذلك من حساب المجال الكهربائى وسرعة الجسيم وهذه المعادلات التى استعملها من قبله توسند وغيره من علماء معمل كافندش بكامبردج ، ولكنا نكرر أن مليكان استنتج هذا القدر الألكترونى بطريق سهلة كما يستنتج طالب المدرسة المبتدئ فى الحساب العدد خمسة فى مثال عملات باريس الذى ذكرناه فى مقالنا السابق، على أننا نورد للقارئ أمثلة من تجارب مليكان الأولى منقولة عن نشراته الخاصة :

الزمن مقدر بالثانية الذى سقط فيه جسيم معين للدى بين شمرتى اليكروسكوب	الزمن مقدر بالثانية الذى صعد فيه الجسيم ذاته للدى السابق
١٣ر٦	١٢ر٥
١٣ر٨	١٢ر٤
١٣ر٤	٢١ر٨
١٣ر٤	٣٤ر٨
١٣ر٦	٨٤ر٥
١٣ر٦	٨٤ر٥
١٣ر٧	٣٤ر٦
١٣ر٥	٣٤ر٨
١٣ر٥ المتوسط ١٣ر٠٩٥	١٦ر٠
١٣ر٨	٣٤ر٨
١٣ر٧	٣٤ر٦
١٣ر٨	٢١ر٩
١٣ر٦	
١٣ر٥	
١٣ر٤	
١٣ر٨	
١٣ر٤	
المسافة بين الشمرتين ٠ر٥٢٢٢ س . م	

ويلاحظ أنه خلال صعود الجسيم لثالث مرة تغيرت فترة صعوده من ١٢ر٤ إلى ٢١ر٨ ثانية ، وهذا يدل على أن هذا الجسيم ذا الشحنة الموجبة اكتسب يوناً[1] Ion جديداً ، ثم اكتسب بعد ذلك يونات أخرى حافظ عليها طيلة صعوده للمرة الخامسة والسادسة وفقدها فى المرة السابعة فعاد إلى فترة من فترات صعوده السابقة وهى ٣٤ر٦ ثانية وهكذا ، وفى الجدول الثانى تتضح فكرة وجود الشحنات الكهربائية بحالة متقطعة بسبب وجود الألكترونات

ويحوى العمود الأول الشحنة المرصودة والعمود الثانى مقدار هذه الشحنات لو أننا استنتجناها نظرياً بضرب عدد ثابت قدره ٤ر٩١٧ فى الأعداد الصحيحة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ الخ ، وفى العمود الثالث الأعداد الصحيحة التى بضربها فى عدد ثابت تنتج أرقام تدل على الشحنات المقيسة

الشحنة الكهربائية المرصودة	الشحنة المشتركة (٤ر٩١٧) مضروبة فى عدد صحيح قدره ١ أو ٢ أو ٣ . الخ	العدد الذى يضرب فى العدد الثابت (٤ر٩١٧) فتنتج الشحنة المتقدمة
——	٤ر٩١٧	١
——	٩ر٨٣٤	٢
——	١٤ر٧٥	٣
١٩ر٦٦	١٩ر٦٦	٤
٢٤ر٦٠	٢٤ر٥٩	٥
٢٩ر٦٢	٢٩ر٠٠	٦
٣٤ر٤٧	٣٤ر٤٢	٧
٣٩ر٣٨	٣٩ر٣٤	٨
٤٤ر٤٢	٤٤ر٢٥	٩
٤٩ر٤١	٤٩ر١٧	١٠
٥٣ر٩١	٥٤ر٠٩	١١
٥٩ر١٢	٥٩ر٠٠	١٢
٦٣ر٦٨	٦٣ر٩٢	١٣
٦٨ر٦٥	٦٨ر٨٤	١٤
——	٧٣ر٧٥	١٥
٧٨ر٣٤	٧٨ر٦٧	١٦
٨٣ر٢٢	٨٣ر٥٩	١٧
——	٨٨ر٥١	١٨

وليس أبلغ من هذه الأرقام التى تحدثنا عن قصة الألكترون وتعطينا شحنته ، إذ يرى القارئ أن ثمة عدداً ثابتاً قدره ٤ر٩١٧ إن ضربناه فى الأعداد الصحيحة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ حتى العدد ١٨ فى الجدول السابق تنتج الشحنات الكهربائية المرصودة

وهكذا استطاع هذا العالم الكبير الذى يسرنا أن نسمع أنه سيزور مصر قريباً[1] أن يقيس قدر الألكترون ، وأن يحصل على جسيمات صغيرة سخرها لتجاربه وأبحاثه جسيمات استوثق

(١) سبق أن عرفنا اليون وجمعناه على يونات بدل أيونات وهو ذرة تحمل الكتروناً أو يزيد عن الكترونات الذرة ذاتها

(١) القيام بتجارب خاصة بدراسة « الأشعة الكونية » التى حدثنا منها القارئ فى أربع مقالات سابقة

بالدليل أن بعضها كان يحمل ألكتروناً حراً واحداً ولا يحمل سواه . وكأنى بمليكان فى الريخ استطاع وهو فيه أن يمد سكان الأرض من البشر دون أن يكون بحاجة لأن يراهم . ذلك أنه كان أمام أرقام تتحدث وحقائق لا تقبل الجدل ، بل إنه كان أمام رسالة علمية عرف كيف يطالع رموزها ويستخلص منها أمراً خاصاً بقصة الوجود ، وكان شأنه فى ذلك شأن شامبليون الفرنسى عند ما استطاع أن يطالع اللغة الهيروغليفية من مجرد معرفته للغتين الإغريقية والقبطية القديمة ، وذلك عند ما وجد نصاً مكتوباً باللغات الثلاث على حجر رشيد المعروف ، وعند ما استطاع أن يجد فى إطار بيضاوى الشكل اسم « بطليموس » ذلك الاسم الذى فصّل شامبليون حروفه والذى بسببه قرأ الأسماء « رنيس » و « كليوبترة » و « اسكندر » ، وتوصل منها إلى حروف أبجدية أولية ساعدته فى معرفة اللغة المصرية القديمة بحذافيرها

* * *

تُرى هل استوعب القارئ معنا أسطورة مليكان ؟ وهل اطلع فيها على جانب من التطور العلمى وأدرك ناحية من نواحى البحث التجربى ؟ تُرى هل لمس القارئ أمراً خالداً تدل عليه تلك الأسطورة — أمراً فى خلوده صورة من صور الأبد تختلف عن صور العاديات القديمة التى تبلى مع كر الزمن : الألكترون المكوّن لنا — وجوده — قدره — كل ذلك نشهده فى هذه التجارب الخالدة

وعندما يتغيّر وجه المدنية ، ويرقى الإنسان إلى مدنية أعظم شأناً ، عندما ينمو فيه عقل أكثر رجحاناً من عقله الحاضر فتوجد جماعات تتسابق جميعها فى سبيل تقدمه بدلاً من أن تتهالك أحياناً على تحطيمه ، عندما يأتى عصر تزدهر فيه دور الكتب والعلم ، ويأتى إنسان أعظم ، يطالع فيفهم ويتأمل فيُقدّر ، فإنه سوف يرى على ممر الأجيال أسطورة مليكان ويطالعها بين الأساطير البارزة التى يحفظها التاريخ ، فإذا حصل هذا القارئ البعيد فى الزمن على « بطارية » من صنع يديه ، وصنع لنفسه مكثفاً كمكثف مليكان ، وغرفة صغيرة كغرفة جهازه ، وإذا وضع إزاء هذا ميكروسكوباً فى اتجاه عمودى على خط الضوء الواقع على جسيمات دقيقة من الميسور الحصول عليها ، استطاع أن يعيد رقصة هذه الجسيمات ، واستطاع أن يراها تعلو وتهبط فى فراغ الحجرة فيرى رقصات رذاذ الزيت كما تحددها للقارئ البعيد ، يرى رقصة الأبد وهى بهذا ثابتة مهما كرّ الزمن وأينما دارت الأرض ، رقصة يلعب الراقصون فيها على أنغام ثابتة ويبدون فى ذلك حركات لا يتغير شىء فى جوهرها ولا يتعدل حدث فى مسارها ، وهى رغم الذى ذكرناه لم تكن الدليل الأول والأخير على وجود الألكترون والتحقق من شخصيته ومن قدره . ثمة طريقة أخرى نلمس فيها هذا الكائن فى ثوب جديد وبدليل يختلف عن دليل مليكان السابق

* * *

ثمة شيخ بلغ اليوم السبعين حولاً لا يزال حيًّا يرزق ، متوسط القامة ينتهى وجهه بلحية مدببة وخطها الشيب ، قد تركت له الطبيعة التى تفنى كل شىء شعره المنتشر كثيفاً على رأسه والذى يكسوه طوله هيبة وجلالاً . ولو أنك جلست ظهراً فى أحد مقاهى الحى اللاتينى بباريس مر أمامك هذا الشيخ فى تجواله كما يمر أى رجل من الشارع ، وهو طوراً لا يعرفه أحد من الجالسين وتارة يشير إليه أحدهم من بعيد قائلاً : « هذا هو (جان بيران) Jean Perrin مكتشف شحنة الألكترون ومحدد عدد (أفوجادرو) » . وإذا تركت المقهى ودخلت إحدى المكتبات أمكنك أن تشترى صورته إذ تباع للجمهور كما تباع صور الملوك والفاتحين ، ذلك أن بيران من العلماء المعروفين فقد توصل فى الوقت ذاته الذى قام فيه مليكان بتجاربه السابقة إلى شحنة الألكترون وإلى النتائج ذاتها من سبيل جديد يختلف جد الاختلاف عن سبيل مليكان ، ويتميّز بدقة الموضوع ومهارة الطريقة وبساطة التجارب وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء ، فأتم هو أيضاً أسطورة جديدة نأتى عليها لنكون قد أنصفنا العلم وأرضينا التاريخ ، وهى الأسطورة التى وإن كانت تمت فصولها

فى سنتى ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ سنتى تجارب مليكان ، إلا أن معهد السويد منحه عنها جائزة نوبل فى سنة ١٩٢٩

تحضرنى ليلة فى السوربون إذ كانت الساعة التاسعة مساء دخل هـذا العالم بعد نيله الجائزة المدرج الكبير ليحدث العلماء والجمهور الباريسى عن أسطورته الخالدة ، وعمر بذاكرتى الصور العديدة التى عرضها ، والجمهور الغفير الذى استمع إليه ، هذه الأسطورة أخط فيها على صفحات الرسالة مقالاً أو اثنتين وأعنونها « أرقام تتحدث » وهو العنوان الذى اتخذته لموضوع مليكان ، ولقد كان فى الواقع « بيران » هو أيضاً أمام أرقام تتحدث إليه ، وفهم حديثها ، واستطاع أن ينقل هذا الحديث إلى الناس ، وأن يسطره فى حالة مفهومة ومعقولة للأجيال القادمة

* * *

لى من هذه الأساطير غاية لقراء الشرق ، الأدباء منهم والعلماء والمطلعون ، أطمع أن تتعدى الحدود العلمية التى أردنا منها هذا النوع من الكتابة فى التبسيط ، ذلك أن يستنتج القارىء فوق ما قصدناه من علم أن العمل العلمى ككل عمل سلمى هو حجر الزاوية فى مستقبل الإنسان ، وأنه خير لسكان هذه المعمورة عن كل ما عداه من الأعمال ، فالعلم يحمل فى طياته سر الوجود وعليه وعلى المتصلين به تترتب حركة التقدم ، وغرضنا أن يدرك القارئ من وقت لآخر أننا مهما أصبنا فى هـذه الأزمنة من محن فإن أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً . ثمة أناس حريصون على الميراث العلمى الكبير يشملون دائماً شمعة المستقبل ، وغايتنا أن يدرك القارئ أن الإنسانية تخطو دائماً خطوات جريئة إلى الأمام وأن يلمس شيئاً من هذه الخطوات على حقيقتها فيلمس أثر ما بلغته الفلسفة وما وصل إليه الفكر

هناك فى السوربون استطاع بيران ، كما استطاع مليكان فى باسادينا وتومسون فى كامبردج ، أن يتعرف هو أيضاً بطريقته الخاصة الألكترون ، وفى هذه البيئة الجامعية ، حيث الحسد أقل خطراً هناك منه عندنا ، وحيث الهجوم الخفى لا يعرف طريقاً للدخول ، وحيث الجميع يتعاونون على الخير وعلى رفعة حق الإنسان ، رأينا « بيران » يحدث العلماء عن قصته مع الذرة والألكترون فى المدرج ذاته الذى رأى باستير وكيرى وغيرهم من هذا الحديث الذى أصبح ملكاً للبشرية ، ومن هذه الذكريات العزيزة التى مضى عليها اليوم عشرة أعوام نستملى للقارئ مقالنا القادم الذى يرى فيه كيف عثر « بيران » على رقصة تشبه الرقصة السابقة ، وكيف استنتج من طول ملاحظتها قصة خالدة من قصص الوجود ، وكيف وضع بهذا حجراً أساسياً فى بناء المعرفة .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة



هتلر كما يراه علم النفس

[ملخصة عن « يوروب نوفل » باريس]

كثر الكلام عن دكتاتور ألمانيا فى هذه الأيام لمناسبة الحرب التى أشعلها فى أوربا ، والروح التى تسلط بها على البلاد الألمانية ، وكثر القول فى تحليل تلك العقلية الغريبة التى أورثت العالم كثيراً من النصب ، وقد نشرت مجلة « أوروب نوفل » الباريسية حديثاً للعالم النفسانى المشهور دكتور « كارل جنج » حلل فيه دكتاتور النازى من ناحية علم النفس فقال : « كان فى العصور الأولى البائدة نوعان من الرجال الأقوياء الذين تخضع لهم الجماهير : الرئيس ويمتاز عن سائر رجاله بالقوة الجسدية ، والعراف ويكتسب نفوذه عليهم بعقيدتهم فيه » .

ولا شك أن بنية هتلر لا توحى بشىء من الصرامة الجسدية. وأكثر ما يلاحظ فى أخلاقه هو ذلك المزاج الحالم العجيب ، وتلك النظرات السماوية الرهيبة مما يجعلنا ندرجه فى صف العرافين .

ولعل تلك النزعة الروحية فى هتلر هى التى تحفزه إلى بعض الأعمال التى نراها بعيدة كل البعد عن المنطق والصواب لما فيها من الغرابة والشذوذ . وقد نستطيع أن نقول : إن تسمية الريخ الألمانى بالريخ الثالث قد قصد بها إلى معنى روحى خاص ... إن أحداً من الناس لم يفكر فى تسمية امبراطورية القيصر وليام الثانى : الريخ الثانى .

فاختيار النازى لكلمة (الريخ الثالث) لم يكن يقصد به معنى الكلمة فى ذاته ، وإنما اختارها النازى لأن كلة « ثالث » لها معنى روحى يوحى فى الباطن إلى القداسة المثلثة .

وقد أخذ الألمان يحيون نوعاً من التقليد تحت اسم « وتان » فما هو وتان ؟ هو ألم الريخ ، وقد أنشأوا بعض الكتائب تحت اسم كتائب « العاصفة النازية » يعنون العاصفة التى تتسلط فيها الرياح فتقتلع الأخضر واليابس وهى رمز الشر عند البوزيين .

فهذه الرموز والأسرار التى ابتدعها الريخ الثالث قد ساقت الألمان ونبيهم المزعوم تحت لواء الرياح ووراء تلك الشارة التى ترمز إلى معنى الزوبعة بغير وعى ولا تعقل نحو ذلك الموقف الدقيق الذى لا يعرف نتيجته أحد .

ويعد هتلر مرآة لما هو مطبوع فى نفوس تابعيه ، فكأنه الصوت المكبر لما يجول بخواطرهم ، وهو يستمد قواه من عقله الباطن الذى يتحول إلى عقل واع يسيطر عليه ويسوقه كيف شاء

نحن نعرف عقلنا الباطن ولكننا لا نطيعه ، ولكن هتلر يصغى إليه ويطيعه طاعة عمياء .

إن الألمان فى موقفهم الحالى كاليهود فى العهد القديم . فمنذ اليوم الذى هزموا فيه ، وهم ينتظرون مسيحاً . فلما وجدوا هتلر تعلقوا به وألقوا إليه القياد . وقد جعل رسالته إليهم أن يوجد بينهم ويقودهم إلى الأرض الموعودة . ومن هنا نستطيع أن نعرف السبب الذى من أجله يحارب النازى كل ديانة لا تتفق ومبدأه .

الألمان قوم وجدانيون ، يندفعون فى كل شىء نحو غاياته . وقد كان يسرهم أن يظهروا فى ثوب « الجنتلمان » الإنجليزى فنادى بهم هتلر : لقد آن الأوان لنكون ألمان ...

إن هتلر كاهن وعراف ، فإذا بحثنا عنه كرجل فقد لا نجده فى الواقع . هو شتى أحلام وأحوال تكونت جميعها فأوجدت رجلاً

الغازات السامة منذ الإغريق

[من « لارف بلج »]

قال أحد مؤرخى الإغريق الأقدمين فى سفر من مؤلفاته : « إن الأعداء فى أثناء حصارهم لمدينة « ميجارا » عام ٤٧٠ قبل الميلاد حاولوا أن يغزوا المدينة ويستولوا عليها بتسليط الدخان ، فحفروا حولها الأسوار وملؤوها بالحطب والكبريت والقار ؛ ثم أشعلوها حول المدينة ، ولكن الدخان ارتد إليهم لتغير فى مجرى الرياح فاضطرهم إلى الهزيمة والفرار .

ولكنهم أعادوا هذه التجربة فى حصار « بلاتا » ، وفازوا فى هذه المرة بالاستيلاء على المدينة إلا أنهم ما كانوا ليدركوا أن

أكسيد الكربون هو الذى ساعد على نجاحهم لا مجرد الدخان .

وقد استخدمت هذه الطريقة نفسها فى العصور الوسطى ؛ ويقال : إن أحد الأعداء كان يسكن فى برج عال ، فوصل إليه الدخان فى قلعته وقضى عليه . إلا أن هؤلاء الذين كانوا يستخدمون هذه الوسيلة لم يدركوا أن الموت كان متسبباً عن أكسيد الكربون وكانوا يفضلون أن يدسوا فى نيرانهم الكبريت والنار وهما يلتهبان حتى فى الماء ويسمونها (نار الإغريق) ، وكانت (نار الإغريق) هـذه معروفة فى عهد الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية البيزنطية ، والعصور الوسطى ، وعصر النهضة .

وقد أشار أحد مؤرخى العرب فى القرن الرابع عشر إلى إحراق الأفيون وإضعاف العدو بما ينبعث منه من الأبخرة السامة وقد وجد فى مكتبة المواد السامة فى برلين كتاب مؤرخ فى سنة ١٤٣٧ يعطى فكرة عن صنع القنابل السامة المحتوية على الزرنيخ. وقد أدرك المتقدمون أن بعض الغازات تحوى ثقلاً أخف من الهواء ، ورأى العالم اللتوانى (سيمونكسيس) فى أواسط القرن السابع عشر أن يجعلها فى ثقل الدخان الذى ينبعث من الحشائش المحترقة ، وزعم أنه بذلك يستطيع أن يخلق جواً ساماً لا ينجو منه إنسان

وإلى هنا تنتهى المرحلة الأولى من تاريخ الغازات السامة ، وإذا كنا لم نر أحداً أقدم على استعمالها حتى عام ١٩١٤ فليس ذلك لأن العاطفة الإنسانية هى التى وقفت دون ذلك ، ولكن المحاربين كانوا يخشون عند إلقاء القذيفة السامة ، أن يصيبهم دخانها كما يصيب أعداءهم وقد قدم كيميائى إنجليزى إلى نابليون اختراع قنبلة سامة فلم يوافق عليه . ثم كثرت المخترعات التى من هذا النوع وتعددت فى القرن التاسع عشر ، وفى سنة ١٩١٢ أجمعت جميع الدول فى مؤتمر لاهاى على عدم استعمال الغازات السامة ، ولم تسمح باستعمال شىء منها على الإطلاق ، وقد أباحت استعمال الغازات التى تسيل الدموع لأنها لا تسبب للانسان علة يعسر شفاؤها

ولكن ألمانيا استعملت الغازات فى أواخر أكتوبر سنة ١٩١٤ مناقضة بذلك تعهدها فى مؤتمر لاهاى . إلا أن القذائف التى استعملتها لم تف بالمرام ، فقد كانت ضعيفة القوى سريعة الزوال فعدلت عنها بعد عدة محاولات ، ولكنها عادت إلى استخدامها فى فبراير ١٩١٦

وقد أحرقت ألمانيا فى ثلاث سنوات ونصف ٧٥٫٥٠٠ طن من الغازات السامة ، وقد بلغ عدد الذين أصيبوا من الجنود الفرنسية بهذه الغازات ٥٠٧٫٠٠٠ جندى ، وقد ثبت أن ٢٧٪ من الجنود الذين فقدتهم الحملة الأميركية فى الحرب ماتوا بالغازات السامة

دراسة التوأمين

[ملخصة من مجلة « باريد »]

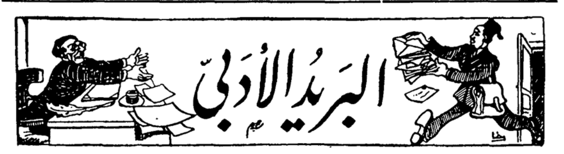
بدأت فى أميركا فى السنين الأخيرة دراسات وأبحاث جديدة فى علم النفس ، وقد بذل الباحثون مجهوداً عظيماً فى تحليل نفسية التوأم ، واكتناه ما فيها من الأسرار والعجائب . وهى نفسية معقدة حار فيها الكثير من العلماء الذين قضوا حياتهم فى دراسة الطفل . إذ أن حياة التوأم تختلف من الناحية العقلية والنفسية عن سائر الأطفال

وتنقسم التوائم إلى نوعين ، التوائم المتشابهة وهى التى يتشابه فيها التوأمان حتى يصعب على الإنسان التفريق بينهما ، وهذان التوأمان يتكونان فى الرحم من بويضة واحدة . تنشطر بعد أن يدركها النمو ، إلى شطرين كل منهما يكون إنساناً منفصلاً عن أخيه

أما النوع الثانى فلا تكون المماثلة فيه بين التوأمين ، إلا كما تكون بين سائر الإخوة الذين يولدون لأم واحدة . وهما على هذه الحال يتكونان من بويضتين منفصلتين تنموان ـ كيفما كانا ـ فى وزن واحد

وقد وضع الأسس العلمية لدراسة التوائم سير فرنسيس جالتون (١٨٢٢ — ١٩١١) واضع علم الوراثة ، وقد أمد بمباحثه القيمة فى الانتقال الوراثى ، من جاءوا بعده بالحقائق الهامة ، التى استطاعوا بوساطتها أن يجنوا أحسن الثمرات

ومن الحوادث التى تسترعى الأنظار فى هذا الباب : أن أختين توأمين إحداهما تعيش فى باريس والأخرى فى مرسيليا ، أصيبت الأولى بتدرن فى موضع فى الرئة فأرسل الطبيب إلى زميل له ليكشف على الأخت الأخرى ، ولشد ما كانت دهشة الطبيبين حينما تبين لهما أنها أصيبت بالتدرن فى نفس الموضع الذى أصيبت به الأولى . فكان الأختان توأمين متشابهين ، وقد أثبتت التجارب أن التوائم المتشابهة تصاب بالتدرن الرئوى والتهاب الأذن والحمى القرمزية فى وقت واحد .. إلا أن هذه الحالة كانت أولى ما عرف فى اتفاق التوأمين فى موضع الإصابة وفى الوقت الذى حدثت فيه.



خطر إهدار النشء

كُنّا ضَيْفاً على بحر الروم ، وكانت «النيل» موضع رعاية الأمواج البيض القِصار وهُنّ صواحب بعاشرٍ في غالب الأمر وأكثر الحال

جلس قوم بعضهم إلى بعض يتحدثون عند صدر الباخرة (أو سَمّ نَحيِّها، كما كانت العرب تقول)، على عادة الذين يجتمعون فى رحلة : معرفة مستطرفة أو لقاء على غير وعد . وانطلق الحديث فى شؤون مصر ؛ وركّزه من ركّزه فى وجوه الإصلاح ، حتى انساق إلى قصة التعليم وتنشئة أبناء الأمة . وإذا رجل ، خافض صوته، قاصد فى الإشارة، يندفع فى حديث انعطفت إليه أذنى . قال:

« ما أظن أحدكم يشك فى أنّ وجهة التعليم الغالبة عندنا إنما هى إخراج كتبة وموظفين . وأما علة ذلك فكذا وكذا من الأمور المتصلة بالسياسة المفروضة أول الأمر ، يوم كنا لا نملك لأنفسنا من النفع شيئاً . ثم ذهبت العلة الأولى ، ولكن الآثار بقيت من طريق تسلط العادة وتجمد المنهج . ومن هنا اختل التوازن : تكسرت القيود الاجتماعية ، فانفسحت مسالك الحياة وانبسطت مرافق العيش ـ والمدارس لا تنفك تخرج طوائف متماثلة من بغاة الرزق الهيّن ، لفتور فى عزماتهم ، وقصور فى مداركهم . ذلك الرزق الذى تناله وأنت جالس إلى مِنضدة عليها ركام من اللفّات والأضابير ، فلا طموح ولا اعتماد على النفس ولا رغبة فى التميّز عن النظراء باقتحام باب من أبواب الاحتراف الصعب ، وشق أفق من آفاق الارتزاق . . .

« بقيت هذه الآثار ، على سعى أولى الأمر فى محوها . وسبب ذلك أن الإصلاح ، فى مثل هذه الحال لا يكون من باب التصور والتخيل . وشتان ما الإزماع والإنجاز . فعلى المشرف على التعليم أن ينظر فى وجوه الحياة ويتتبع موارد الكسب . والحياة تقوم ، أول ما تقوم ، على المادة ؛ وموارد الكسب إنما هى السوق على تفاريقها وتفاريعها . وهكذا تصح الوجهة إذ تَمّ القصد

« وإذا قلت السوق عنيت التجارة والصناعة والزراعة ، وما ينطوى تحتها جميعاً أو يأخذ مأخذها . والمدارسُ المصرية التى تعلّم هذه الفنون الثلاثة قليلة ، ونسبتها إلى المدارس التى تخرج الكتبة والموظفين حقيرة . ومن هنا نرى أن التوظف فى مصر سيمانى ما يُقال له : « التضخم » من وجهٍ ، ويعجز عن ضمّ جميع طلابه من وجهٍ آخر . وينشأ عن هذا أمران : الأول بقاء سلطان الموظف البليد الحركة ، والثانى البطالة . وينضاف إلى كل ذلك أن مرافق الحياة الاقتصادية مصيرها الانحلال أو تخرجَ من قبضة المصرى إلى الأجنبى ، بل قُلْ : أو تبقى فى قبضة غير المصرى

« ثم إنه يحسن بنا أن نفسح من مجال السوق نفسها ، فنشق سبلاً جديدة ثم نُعدّ لها الناس فى المدارس ؛ ولا يكون هذا إلا بمعاونة وزارة المالية ووزارة التجارة والصناعة . وعلى هذا النحو نَمطّ دائرة الحياة الاقتصادية ونوزّع همم النشء ، فلا تنحصر

وقد يتفق التوأمان (المتشابهان) فى الاتجاه الإجرامى إذا كانا من المجرمين ، فيأتى أحدهما بنفس الجريمة التى يأتيها الآخر وقد يكون فى معزل عنه منذ أمد بعيد ، وقد أثبتت التجارب وقائع كثيرة من هذا النوع

ومن التجارب النفسية المعروفة اختبار الورقة والحبر ، فيلقى بقليل من الحبر على الصفحة من الورق وتطوى ثم تفتح . ويسأل الشخص الذى يراد اختباره عما قد تذكره به فيفسرها كل إنسان تفسيراً يختلف عن الآخر ، فبعضهم يقول مثلاً إنها تشبه الثعبان ، والبعض يقول إنها تذكر بالطائر أو المنزل أو الإنسان أو ما إلى ذلك . ولكن التوأمين المتشابهين ، يجيبان فى الغالب إجابة واحدة . فبقعة الحبر المرتسمة تثير فى رأسيهما صورة واحدة فى غالب الأحيان .

وجوه النشاط فى مصارف معلومة مربوطة ، ولا تنقلب المنافسة إلى مناوأة . وفى ذلك كله أسباب غنى للبلد فضلاً عن استغنائه . »

قال الرجل مقاله السديد ، ثم نهض ونهضنا إلى الغداء فلت إلى صديق لى فسألته : من الرجل ؟ فقال : الدكتور السنهورى . واتفق لى أن جلست إليه بعد ذلك ، فإذا هو على أوفر علم وألطف أدب

* * *

وجمعنى بالسنهورى بك مجلس جد؛ لأسبوعين مضيا . وجرى الحديث على خطة وزارة المعارف فى التعليم . فنطق الدكتور السنهورى — وهو الآن وكيل الوزارة — بما كان نطق به و « النيل » تحملنا إلى شواطىء أوربة . فأيقنت أن هذه الخطة مما ظفر بالروية والتثبت ؛ فما هى بالمرتجلة ارتجالاً ولا المبتدعة بحكم العمل

وقد بدا لى أن أسأل وكيل الوزارة فى شأن الثقافة ، وما تكون حالها إذا هو صرف همه إلى وجوه الحياة الاقتصادية . فقال : إنى أدرك ما وراء سؤالك من القلق لأحب الأشياء إليك وأعلاها عندك . فلا عليك ، لا عليك ! إن الثقافة لا تزال موضع عناية . على أننا لا بد لنا من السهر على مستقبل العيش من بسط مرافق الحياة المادية وإعداد النشء لها . هنا سهر وهنالك عناية ؛ والتفاوت بينهما فى الدرجة ، لا فى المرتبة ، على قول الفلاسفة

قلت : لأهل الثقافة إذن أن يرقبوا الإصلاح هنالك . فهل تنظر الوزارة فى إخفاق المعهد الملكى للموسيقى العربية ، وتراجع طريقة إنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتسأل كلية الآداب عن صحة ما يقال فيها ، وترد بعض كبار موظفيها عن الاستبداد بتقرير الكتب ، وتجعل لتصرف بعض موظفيها من الأجانب حداً واجباً (فلا تعود قصة « نفائس دار الآثار العربية » : « الرسالة » رقم ٣٠٤ و ٣٠٦ ، ولا قصة الدرس الفرنسى : مازويل الذى نال — فيما قيل لى — شهادة الدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس على حساب الحكومة المصرية)

ذلك قليل من كثير . وأجل من ذلك شأناً أن تصلح طرائق التلقين فيخرج النشء للقراءة والتطلع والتفكير والمرح ، لا للكسل والبلادة والتقبض . وأظننى فصلت ذلك فى بحث نشرته « مجلة الدراسات الإسلامية » فى باريس (١٩٣٦) ؛ ولا حاجة بمثل عبد الرزاق السنهورى بك إليه . بشر فارس

النقد الأدبى

قراء « الرسالة » يذكرون مقالى فى نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية ، ويذكرون أن بعض الجرائد والمجلات قالت إنى تخطيت الجانب الأدبى إلى شؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، ومن الصحفيين من أشار إلى أنى موظف بوزارة المعارف ، وهى إشارة لها مدلول !

فهل أستطيع أن أدافع عن نفسى ؟

هل أستطيع أن أقول إن النقد الأدبى لا يقتصر على المفردات اللغوية كما قالت إحدى المجلات ؟

النقد الأدبى هو درس الصلات بين التعابير والأغراض ، فلو درست نصاً فقهياً لكان من واجبى أن أنظر إلى المعنى من ناحية فقهية ، ولو كان النص فلسفياً لكان من واجبى أن أنظر إليه من ناحية فلسفية ، ومع ذلك أظل فى حدود النقد الأدبى

وخطاب العرش بطبيعة موضوعه يتعرض لشؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، فنقده من وجهة أدبية يستوجب أن ننظر فيما احتواه من هذه الشؤون ، فكيف يستجيز بعض الناس أن يقول إنى اتخذت من النقد الأدبى ستاراً لأغراض سياسية ؟

ومعاذ الوطن أن أتبرأ من قول الحق ، ولكن يجب أن أنصف نفسى فأقول إنى لم أتجاوز الحدود الأدبية فى نقد خطاب العرش ، فمن طاب له أن يقول إنى موظف بوزارة المعارف ليحد من حرية الفكر فليمض فى طريقه وهو منفور الذنوب ، لأنه على كل حال مواطن عزيز

وهنا مسألة يجب النص عليها لأهميتها من الوجهة القومية :

إن مقالى فى نقد خطاب العرش مر على الرقابة بوزارة الداخلية فأجازت نشره وهى تعرف أنى موظف بوزارة المعارف ، فما معنى ذلك ؟

معناه أننا فى مصر وطن الرأى والحرية ومَشرِق النقد الأدبى

فإن قيل إن هذه أول مرة ينقد فيها خطاب العرش من الوجهة الأدبية فسيقال أيضاً إن هذا تقليد يصدر أول مرة عن وطن مصطفى كامل ومحمد عبده وسعد زغلول

والصحفيون الذين أرادوا أن يعدوا هذا المقال من ذنوبى قد نسوا أنى زميل قديم ، له عليهم حقوق ، وفيهم من يذكر

أن «الوظف» هو أيضاً وطنيٌّ له أهداف سامية ، وبعضهم يحفظ الآية الكريمة : (ولا يَجرِمنَّكم شَنَآن قوم على أن لا تعدلوا)

زكي مبارك

في كلية الآداب

منذ أسابيع أقرأ في (الرسالة) الغراء حملة على مدرس في كلية الآداب ، حمل لواءها أول من حمل صديق للدكتور بشر فارس على لسان الدكتور بشر ، وتلاه من بعد (جاميان) آخران. ولا يعنيني من هذه الحملة إلا أن أراجع الوقائع التي سردها الدكتور بشر فارس نقلاً عن صديقه ، ثم ما ذكره الآخران من وقائع أخرى . وإلى الدكتور بشر أولاً أسوق الحديث:

ذكر في حديثه عن هذا المدرس مسألتين : الأولى تتصل بمكتبة الجامعة ؛ والثانية تتصل باستقدام الأستاذ الدكتور سالومون بينس

أما المسألة الأولى وما ذكره في شأنها من أن هذا المدرس « يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة » فلعله قد اقتنع من الحديث التليفوني الذي ساقه إليه أحد كبار الأساتذة في كلية الآداب ، وهو ولي الأمر فيما يتصل بشؤون مكتبة الجامعة الخاصة بكلية الآداب ، إن هذا « التلطف » نفسه لا أساس له من الواقع ، وأنه من اختراع مخيلة صديقه الخصبة الجريئة . بل إن المسألة على العكس من ذلك تماماً . فإن صلة هذا المدرس بمكتبة الجامعة صلة يجب أن نشكره عليها كل الشكر ، فقد أدى لمن يريدون البحث في المسائل الإسلامية أجل الخدمات دون أدنى مقابل . ويكفي أن تعلم أنه خلق قسماً خاصاً في المكتبة يجمع كل ما تحتويه من كتب إسلامية عربية أو غربية ، وأنفق جهداً ضخماً في مساعدة القائمين على شئون هذا القسم من موظفي المكتبة من حيث جمع الكتب وتبويبها ووضع الفهارس لها والإرشاد عن مظان المسائل الإسلامية المختلفة . كل هذا الجهد الهائل قد بذله دون أن يؤجر عليه ، على أي نحو من الأنحاء . فصلته بالمكتبة إذاً صلة فضلٍ عليها لا صلة فضول ، صلة يجب أن يسجل له الباحثون في المسائل الإسلامية من أجلها أعظم الشكر

وفيما يتصل بالدكتور سالومون بينس يجب أن نقرر أولاً أن هذا المدرس في كلية الآداب لم يقترح مطلقاً على الكلية أن تستقدمه . بل إن صلته بالدكتور بينس منقطعة منذ أكثر من سنة ونصف ، وليس أدل على تهافت كلام صديق الدكتور من ذكره أن قسم اللغة العربية قد نشطت آذانه لسماع اقتراح هذا المدرس . فمثل هذا الاقتراح لا يتعلق بقسم اللغة العربية ، وإنما بقسم الفلسفة ، لأن الدكتور بينس يشتغل بالفلسفة الإسلامية فحسب ، وليست له مشاركة في أية ناحية أخرى من نواحي الاستشراق ؛ فإذا استقدمته كلية الآداب ، فذلك لكي يكون مدرساً للفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة .

هذا هو الواقع في مسألة صلة هذا المدرس بالدكتور بينس وما قيل عن اقتراحه المزعوم .

أما مسألة استقدام الدكتور بينس فهي في ذاتها أمنية تجيش في نفوسنا نحن المدرسين المصريين المستقلين بالفلسفة الإسلامية وليس أدعى إلى اغتباطنا من أن يأتي إلى الكلية مدرس في تدريسه أعظم الفائدة للطلاب، ونهوض بمناهج الدرس للفلسفة الإسلامية. في كلية الآداب نهوضاً كبيراً. فالدكتور بينس مستشرق ممتاز، وقطب من أقطاب الجيل الذي بدأ يتبوأ مركز الصدارة في حركة الاستشراق بعد أن انقضى الجيل السابق من المستشرقين أو كاد بعد موت المرحوم نلينو . وإن أعجب لشيء فعجبي لجهل الدكتور بشر فارس بمكانة بينس ، مع أن الدكتور بشر فارس ممن لهم إلمام بحركة الاستشراق غير قليل ، وأغلب الظن أنه إنما تجاهل بينس — ولم يجهله — حرصاً على إرضاء شهوة الصديق أن ينال من هذا المدرس في كلية الآداب . فيكفي أن يذكر المرء من أبحاث الدكتور بينس « رسالته في مذهب الجوهر الفرد عند الإسلاميين » فهذا البحث من أحسن البحوث التي كتبها المستشرقون في الفلسفة الإسلامية على الإطلاق؛ وسيرى ذلك قراء العربية حينما ننتهي من طبع ترجمتنا لهذه الرسالة . هذا ولم نذكر مقالاته العربية التي تظهر في مجلات المستشرقين وخصوصاً في مجلة « الحضارة الإسلامية » التي يصدرها بعض الهنود المشتغلين بالدراسات الإسلامية وهذه الأبحاث التي كتبها بينس تمتاز بالطرافة في النتائج التي يصل إليها ، والاستقامة في مناهج البحث الفيلولوجي والعمق في فهم المذاهب الفلسفية الإسلامية وغير الإسلامية

فاستقدام الدكتور بينس للتدريس في كلية الآدب فائدة

كبرى ، وأمل أعز ما نرجوه من أجل مصلحة الدراسة فى الكلية أن نراه عن قريب وقد تحقق

ومن هذا كله يتبين أن الحال فى المسألتين اللتين ذكرهما صديق الدكتور بشر ليست كما زعم الصديق . بل هى على العكس من ذلك تحملنا على تسجيل الشكر لهذا المدرس فى كلية الآداب

أما المسائل التى ذكرها الجامعيان الآخران فلا تستحق منا أن نرد عليها بأكثر من قولنا إن ما ذكر باطل كله . فالمرتب الذى يتناوله هو المرتب العادى الذى يتناوله أصغر المدرسين الأجانب بالكلية ، وقصة الخمسمائة الجنيه قصة أقل ما تستحقه هو السخرية لبطلانها ، وفى هذا فليرجع إلى كلية الآداب من شاء

وأخيراً أقول لمن تحدث عن الحق منهم كما أقول لزميليه الآخرين : اتقوا الله فى الحق أمام ضمائركم ، قبل أن تدعوا اتقاءه فيه أمام الناس حتى لا تضطروا إلى الدفاع عن أجنبي مواطناً لا يؤذيه شيء قدر أن يلجأ إلى الدفاع عن أجنبي بإزاء مواطنين

عبد الرحمن بدوى

المصريون فى ميدان الثقافة

اطلعت فى مجلة الرسالة بالعدد ٣٣٣ على كلمة قوية على هدوئها للدكتور بشر فارس تحت عنوان « فى كلية الآداب » أثار فيها مسائل هامة تمس الحياة الثقافية عندنا . واطلعت بعد ذلك فى مجلة (المصور) تحت عنوان « النبوغ فى مصر . هبوط سعره فى بورصة الحكومة » على بيان للأستاذ فكرى أباظة ذكر فيه حقائق خاصة بضياع حقوق الجامعيين من الشباب المصرى . وقد تلت كلمة الدكتور بشر فى الرسالة كلمة أخرى لزميل (جامعى) بيَّن فيها كيف يحظى المدرس الأجنبي بما يعز على المدرس المصرى فى بلده ، ثم كلمة ثانية تعززها بقلم (جامعى آخر)

ولقد سمعت – حين كنت بباريس – أن بعض أولئك الأجانب – وكان قد قضى بمصر سنوات – لما سمع لأول مرة قدر المرتب الذى عرض عليه لم يصدق أذنيه ؛ فلما رأى كشف المرتبات كاد لا يصدق عينيه ! ومما لا نشك فيه أنه لو عرض على أمثاله نصف المرتب لقبلوه ولكانوا هم الفائزين . هذا مع العلم بأن فى المدرسين والأساتذة الأجانب نخبة لا ينكر فضلها وعلمها عندنا جميعاً

كيف يرفع المستوى الاجتماعى والأدبى عندنا وبين قادة الثقافة من ينتقص من أقدار مواطنيه وينظر إلى المتعلمين الأكفاء منهم كأنهم من طينة دون طينة الأجنبي إطلاقاً ... أما تعلمنا لغة الأجانب على طول الاحتكاك بهم ، أعنى لغة الوطنية الصحيحة لا لغة الكرم والضيافة والدعاوى المريضة التى لا تجدى ؟

ثم لِمَ تنفق أموال الدولة على أعضاء البعثات الذين يقضون فى الخارج سنين أكثر أيامها جهد وكد ، فإذا عادوا إلى الوطن أشد ما يكونون حماسة لخيره وتلهفاً إلى العمل لخدمته ، رأوا زملاءهم الأجانب أوفر حظاً

رحم الله شوقيًّا إذ قال :

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس؟

جامعى ثالث

حول المصحف المحرف

جاءنا من الأستاذ شيخ القارئ ما يأتي :

إطلعت على الكلمة المنشورة بالعدد رقم ٣٣٤ من الرسالة الصادر فى ١٩٣٩/١١/٢٧ بشأن أخطاء فى مصحف يسمى « التنزيل الربانى » : طبعه عبد الرحمن أفندى محمد — ورداً عليها أفيد أن المصحف المذكور قام بطبعه ونشره ذلك الملتزم بدون مراجعة ولا إذن . وقد سبق لنا رفع أمره إلى مشيخة الأزهر فى شهر يناير سنة ١٩٣٩ ، وطلبنا منها إلزام ناشره بإصلاح أكلشيهاته ونسخه التى طبعت عليها مع منعه من الاتجار بها بدون إصلاح .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . الضباع

شيخ القارئ

شمال أفريقيا والأستاذ الحصرى

يقول الأستاذ الحصرى فى مقاله « بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية » الرسالة ٣٢٨ — (إن العالم الإسلامى يشمل الأقطار العربية وتركيا وإيران والأفغان وتركستان مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس وأفريقيا الشمالية مع قسم فى أفريقيا الوسطى)

فالأستاذ الحصرى يوهم أن الأقطار العربية هى فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن أما أفريقية الشمالية التى تبتدأ من تونس وتنتهى بمراكش فهذه عنده بلاد إسلامية وليست بعربية . فهل هذا هو الحق يا سيدى الأستاذ ؟

لقد انصرم أكثر من اثنى عشر قرناً على تعريب أفريقية الشمالية ودلت الحوادث على أن جريان الزمن لا يزيدها إلا تمسكا بعروبتها وقوميتها ؛ ولكن بعض إخواننا فى الشرق ينكرون — عن غير عمد — هذه الحقائق البسيطة .

والأستاذ الحصرى نفسه زار شمال أفريقيا منذ أشهر قلائل ووصل إلى المغرب فتطلعنا لرؤيته ورجونا خيراً من زيارته للقطر العربى الذى تجهله الأقطار العربية وبحثنا عنه فى كل مكان فما أسعدنا الحظ بلقياه

سلوه هل زار كلية القرويين وشاهد مكتبتها العربية ؟ سلوه هل طاف بمدارس فاس الأثرية وشاهد ما تركته يد العرب بجدرانها ؟ سلوه هل زار قصور اسماعيل بمكناس ومنارة الكتبية بمراكش ودار الآثار العربية بفاس وهو مدير لمثل هذه الدار ببغداد إن لم تخطئنى الذاكرة

سلوه بالله ماذا أفاد من رحلته إلى (مجاهل !) أفريقيا الشمالية كان يمكنه أن يعلم شيئاً كثيراً عن عربية هذه البلاد لو اتصل بعلمائها وأدبائها واختلط بالشعب الذى يود التعرف بأمثاله من نبهاء الشرق

وعلاوة على ذلك فإن المغرب وهو جزء من أفريقية الشمالية يمتاز فى عربيته بوحدة دينية مذهبية لا تجدها فى غيره من الأقطار العربية كمصر أو سوريا أو العراق؛ فليس فى المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود الذين يتكلمون باللغة العربية . وسوى أقلية تافهة من الأجانب الذين نزلوا المغرب بعد الحماية

أما الوحدة المذهبية فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وليس فيه طوائف دينية كالرافضة أو الأباضية أو غيرهما من بقية الفرق الدينية التى توجد كثيراً فى بلدان الشرق العربى والإسلامى

الحق أن النزعة القومية المتأصلة فى دمائنا هى التى تضطرنا أحياناً لإصلاح أغلاط إخواننا العرب فينا، فمتى يكون بين البلاد العربية سفراء سياسيون وثقافيون يقومون بربط الملاقات الثقافية والسياسية بين أبناء البلاد العربية ؟

(فاس) أبو الوفا

الاحتفال الرسمى بضريح أبى العلاء

روت صحف سورية أنه احتفل بالمعرة بوضع الحجر الأساسى لضريح الفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى؛ وقد حضر هذه الحفلة رجال الحكومة وافتتحها السيد طالب الحراكى بكلمة ترجمها إلى الفرنسية السيد زكريا شكرى وقد تقدم رئيس المديرين والمسيو هوتكلوك فوضعا الحجر الأساسى

وألقى رئيس المديرين خطاباً تكلم فيه عن عبقرية أبى العلاء وأن الأمة التى أنجبته تنجب مثله ما دامت مياهها مياهها وسماؤها سماءها ، ثم شكر رجال فرنسا والمندوبين وكل من شجع الحكومة بحضور هذه الحفلة . ثم وقف المسيو هوتكلوك فألقى خطاباً أعرب فيه عن سروره باشتراكه فى الحفلة وذكر شهرة أبى العلاء وأنه كان أبدع مظهر للذكاء العربى ، وأسهب المندوب فى الكلام عن شعره، ثم شكر باسم المفوض السامى وباسمه الذين قاموا بهذا المشروع وهنأ المعرة وتمنى أن تحذو البلاد السورية حذوها .

جائزة مختار للنحت لعام ١٩٤٠

تقيم جمعية أصدقاء مختار فى هذا العام مسابقة فى فن النحت إحياء لذكرى المرحوم المسيو فيس صديق المرحوم مختار الذى ساهم بقسط وافر فى نهضة الفنون الجميلة بمصر وظل لآخر لحظة من حياته عضواً عاملاً فى جمعية أصدقاء مختار

وجائزة هذا العام قدرها خمسة وأربعون جنيهاً مقدمة من حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى . وهذه الجائزة على ثلاث درجات: الأولى ٢٠ ج والثانية ١٥ ج والثالثة ١٠ ج

وموضوع المسابقة «الحرف الجوالة» وللمشتركين فى المسابقة الحرية فى اختيار نوع الحرفة ووضع المحترف الجوال كأن يختار واحداً من هؤلاء :

بائع العرق سوس . قرداتى . مسحراتى . حاوى . نبين زين . سن السكين وسن المقص . بائعة اللبن . بائعة على لوز السقاء . غزالك ربَّع . يا جابر . بخور عاشوراء . حب العزيز . . . الخ

وآخر موعد لقبول الاشتراك فى هذه المسابقة هو ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٠ ويجب أن يقدم المشتركون فى المسابقة تماثيلهم قبل نهاية يوم ٢٥ مارس ١٩٤٠ بصالة العرض التى سيعلن عنها فى الوقت المناسب

والمرجو من حضرات الفنانين الراغبين فى الاشتراك فى هذه المسابقة أن يقدموا طلباتهم إلى سكرتير «جمعية أصدقاء مختار» جبرائيل بقطر أفندى بشارع الأنتكخانة رقم ٦ بالقاهرة ت ٥٢٩٤٧

رواية «الأمل» على مسرح الأوبرا

حسبك من هذه الرواية أنها تدعو الجيل الجديد للتحرر مما يرسف فى أغلاله الجيل القديم وأنها تفتح عيون الشباب على حياة جديدة جديرة بهم

أما أنها تعبر أو لا تعبر عن الروح المصرية فهذا ما ندعه جانباً إلى حين ، وحسبنا أن المؤلف (هنرى برنشتين) كان فيها إنساناً أكثر من مواطن فرنسى ، فهو لم يعبر عن حالة معينة فى الخلق الفرنسى والبيئة الفرنسية وإنما أراد أن يرسم للشباب كله — الذى خرج من الحرب منهوك القوى محطم النفس مندفعاً بكل قواه إلى اللذات والمباهج — حياة جديدة ، وأن يدعوه إليها طالباً منه أن تكون لديه الشجاعة الكافية للانتقاض على الجيل القديم وتقاليده وما عرف عنه من الاستسلام للأمر الواقع وانتظار حكم الزمن ...

أما ممثل الشباب فإنه كان قوياً بحيث لم يخش الفضيحة وألسنة الناس وهو يسترد كلمة أعطاها ووعداً ارتبط به مع فتاة عابثة ليعطى كلمته فتاة جديرة بحمل اسمه ، هى أخت الأولى ومن لحمها ودمها

ولم يستطع ممثل الجيل القديم أن يكون الإنسان الذى يدافع عن سعادته وهناءته العائلية واكتفى بأن يكون سلبياً فى انتظار حكم الزمن ، أما ممثل الجيل الجديد فقد أصدر حكمه بنفسه وفى الحال ، فآب الأول بحياة كسيرة وفاز الثانى بحياة حافلة بشتى ضروب السعادة والهناءة .

وبعد فإن مقتبسى الرواية أو على الصحيح اللذين قاما بترجمتها وتمصيرها قد نملا القليل فى هذا السبيل. ارتفعا بأشخاص الرواية إلى الطبقة الأرستقراطية كيا يبررا هذه الحياة الأجنبية التى تحياها هذه الطبقة عندنا ، وقالا فى برنامج الرواية :

« وأن تفتح عينها — أى الزوجة العابثة — على حقائق الحياة المصرية فتعلم أن التقليد الأعمى لعوائد الغرب إنما ينقلب فى جونا الشرقى وبالاً وشقاء على الأسرة » فالمقتبسان على ذلك يأخذان الصورة كما هى بنصها وفصها ليكون لهما مجال للتنديد بهذه الطبقة الارستقراطية التى تقلد تقليداً أعمى عوائد الغرب . على حين أن الرواية لا تقصد إلى شىء من هذا وإنما ترمى إلى ما هو أسمى وأعم نفعاً وأوسع مدى من هذه الفكرة المحلية ، فهنرى برنشتين يرى أن خضوع رجل الزوجية العابثة يفقده هناءه العائلى ويحطم كيان أسرته ؛ وفرق كبير بين هاتين الفكرتين.

وما دعا المقتبسين إلى الركون إلى ذلك إلا مخافة أن يقول النقاد إن أشخاص الرواية ليس فى مصر من يشبههم ، كما قالوا — أى النقاد — فى رواية لهما من قبل هى (الزوجة الثانية)

وهذه الرواية هى الثانية التى يخرجها الأستاذ فتوح نشاطى . فأما الرواية الأولى (تحت سماء أسبانيا) فقد كان نجاحه فيها شاملاً . سيطر على المجموعة سيطرة تامة فنال عن طريق ذلك الفوز المبين . أما فى هذه الرواية فقد أفلت منه البعض رغمه؛ فما يستطيع أن يقوم اللسان المعوج أو العود المائل اللذين لم يقومهما الزمن ، ومع ذلك فقد نجحت الرواية. وقد كان بارعاً البراعة كلها فى ترتيب وتنظيم المنظرين اللذين ظهرا فى الرواية، فقد نثر الأثاث فى ظرف وأناقة بحيث لا يعوق الممثلين ولا يقصر عن حاجتهم ، وكانت الحوائط قد زانتها الصور والمرايا فى تناسق مثير وأناقة بالغة؛ وكأنى بالمخرج ينظم عشه ويجمل الإطار الذى يعيش فيه

أما التمثيل فقد كان موفقاً فى أغلب المواقف. وليس يعاب على البعض إلا تعثره فى الكلمات التى لم تمها الذاكرة الكليلة؛ وبالتالى إخفاقه فى إنجاح المشاهد التى تعثر فيها . وعلى أى حال فلا بد من التنبيه إلى أن أول ما يعنى به الممثل هو حفظه دوره حفظاً تاماً فإذا لم يفعل فليس غريباً أن يخفق مهما كان فاهماً لدوره

وبعد فقد نجحت الرواية نجاحا حد منه أنها خرجت بغير ثوبها الأصلى ، فإن من رأينا ألا تمصر الروايات وأن يكتفى بترجمتها وإخراجها كما هى منسوبة إلى مؤلفيها دون سواهم . ومن رأينا كذلك أنه إذا عن لبعضهم أن يقتبس فكرة من رواية فليؤد معنى الاقتباس أداء دقيقاً وافياً فيأخذ الفكرة ويخضعها للبيئة التى ينقلها إليها ثم يكتب روايته من جديد غير ناظر إلى الرواية المصرية ، فلا ينقل منها حواراً بنصه بل بروحه حتى يكون له فضل التأليف لا فضل النقل .

زهوير الصغير

7me Année No. 337 — Lundi - 18 - 12 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

صفحة

صاحبَ المعالى وزيرَ المعارف

على ذكر مراقبة الثقافة العامة

عرفك الناس يا صاحب المعالى فى جميع أطوار النهضة وأدوار الجهاد رجل جد وعزيمة ، وصاحب رأى ونفاذ . ولعلك واحد الزعماء فى حب الصمت وكراهة الإعلان وإيثار العمل . ولقد كان تَوليك أمور المعارف أمنية من أمانى النفس المصلحة طالما هفت بقلبك وقلوب رجال الثقافة . فإن داء وزارة التعليم قد استفحل وأعضل حتى استيأس منه الطبيب والعائد ، وأنت من الرجال القلال الذين عرفوا أن هذه الزَّمانة التى خزلت هذه الوزارة عن السير فى عصر السرعة إنما هى الذبذبة فى سياستها والفوضى فى ساستها والتواكل فى جنودها . وكنت تنظر إليها من بعيد وهى تمشى متخلجة متخلفة فترجو أن يتيح الله لها قوماً غير القوم فينفخوا فيها من روح العصر ونشاطه ما يساعدها على مسايرة النهضة وموائاة الحاجة

وها أنت ذا قد أتاحك لها الله كما رجوت ورجا أنصارك ، وقد استقر الأمر واتسق الحكم واستبان الطريق ، وعلى رأس الدولة ملك ديمقراطى النزعة عُمَرى الإصلاح ، يريد أن يكون عهده السعيد عهد مصر الذهبى فى العمران والعرفان والسلطان والنِعمة ؛ وعلى رَآسة الحكومة رجل قوى الإرادة نزيه

السياسة حر الضمير، يود أن يكون حكمه حكم الأمة فى إشاعة الخير، وتوخى المنفعة، وتعميم العدالة! والك وكيل منطق الرأى أصيل الثقافة يتساير هواك وهواه فى الطريقة والغاية. فنحن إذن حريون أن نرى وزارة المعارف فى عهدك شيئاً آخر يختلف عن هذا الشيء فى روحه ونظامه وعمله وغرضه ومداه

* * *

إن مراقبة الثقافة العامة يا معالى الوزير هى الناحية التى ستخرج منها الوزارة عن سياستها الدوانية التقليدية التى انحصرت إلى اليوم بين جدران المكاتب وأبواب المدارس فلم تتصل بالفكر العام اتصالاً مباشراً تغذيه أو تهديه أو تعاونه. فى هذه الناحية الجديدة ستلتقى الوزارة بالشعب وترى بعينها أنها فرطت فى جانب الثقافة العامة تفريطاً لا يسعها فيه عذر. فالأدب لا يزال ناقصاً فى نوعه، قاصراً فى بيانه، قليلاً فى نتاجه، ضعيفاً فى انتشاره. فهو ناقص فى نوعه لأنه أنكر قديمه وجهل جديد الناس فلم يُغذِّه ماض ولم ينمّه حاضر، فبقى مُخْدَجاً الخلق لا هو ميت ولا هو حى. ولقد كان أدبنا القديم فى حدود مراميه اللسانَ العام لخوالج النفس الإنسانية فى أكثر بقاع الأرض، فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب، ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر، إلا وجدت فى هذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيها. فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار وجفت على جوانبه الروافد، عاد كالبحيرة الراكدة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل من حين إلى حين. فالقارئ العربى الحديث لا يجد فيا أثر منه ولا فيا استجد فيه غذاء عقله ولا رضى شعوره، لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية، والجديد فيه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية. والغريب أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية! فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله، وشكسبير كله، وجيته كله؛ ولكن العربى لا يجد فى لغتـه لهؤلاء العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرها على حسابه. فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس: نرفده بآداب الأمم الأوربية، ونصله بتيار الأفكار الحديثة. فإن لكل أمة مزايا، ولكل بيئة خصائص. ولن يكون أدبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم. والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب

والأدب العربى قاصر فى بيانه، لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون وأثاث، ولا أن يصف ما يركب من باخرة أو طائرة. ومجمعنا اللغوى ليس فى مقدوره بحكم تأليفه وطريقة عمله أن يقدم إلى الناس معجمه المتيد إلا بعد جيل أو جيلين، حين يكون كل شىء فى العالم قد تغير أو تطور، فيصبح معجمه فى الجدّة يومئذ كمعجم لسان العرب اليوم! فلا بد لهـذه الحال من علاجك الحاسم يا معالى الوزير، فإن اللغة الناقصة هى نصف البَكَم إن لم تكن أكثر الجهل!

والأدب العربى قليل فى نتاجه ضعيف فى انتشاره، لأن الأدباء ينتج بعضهم لبعض؛ فهم الذين ينشئون وهم الذين يقرأون. أما الخاصة فلجهالتهم لا يفهمونه، والعامة لأميتهم لا يعرفونه. وإذا حرم الأدب تشجيع الخاصة لا يزدهر، وإذا لم ينل إقبال العامة لا ينتشر، وإذا لم يكن حاجة هؤلاء وهؤلاء لا يتنوع. وعلاج ذلك يا معالى الوزير تعويض الأدب من تمضيد الجمهور بالمكافآت والجوائز؛ فإنها تحفز القرائح للعمل، وتضمن الإجادة بالتنافس، وترفع المستوى بانتخاب الأجود. وبضعة آلاف جنيه من الخزانة العامة ينفق أضعافها فى تمهيد طريق أو تجميل بناء تخلق فى الأمة أدباء عالميين، وتجمع لها من الأدب الصحيح ثروة

* * *

وملاك ذلك كله يا معالى الوزير أن تفكر مراقبة الثقافة العامة فى أمرين جليلين: أحدهما إنشاء دار للترجمة تنقل الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً، فلا تدع نابغة من نوابغ العالم فى العلم والأدب والفلسفة إلا نقلت كتبه ونشرتها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية؛ والآخر تأليف مجمع للأدب يقوم على رعايتـه وتوجيهه وتشجيعه ونشره؛ ثم يكون لقرائح الشباب وهى فى أول الشوط مناراً وحمى، ولعبقريات الشيوخ وهى فى آخره أمناً ومثابة. والأستاذ المراقب الذى اخترته يا معالى الوزير أقدر من يحقق الرجاء فى هذه المراقبة متى ظفر بتسديدك وتأييدك وعطفك.

احمد حسن الزيات

الإنسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

حركة !

إذن هو الخطر بعينه !

وهل فى موقف الحراسة من الميدان حركة لها أمان ؟ ...

كلا . بل هو الخطر جد الخطر على الحارس وعلى من يحرسهم ، وهم مئات ألوف .

ثم حفيف بين العشب !

فهو الخطر إذن يقترب ، وهو الانتباه أشد ما يكون انتباه ، والاستتار أخفى ما يكون استتار !

وانبطح الحارس وانتظر ، ولمت عينان على مقربة ، فإذا بالحارس كله عيون ، لو قتل إنسان شيئاً بنظرته لمات صاحب تينك العينين فى جنح الظلام !

وسدد الحارس الرامية ، ومضت العينان تدنوان وتدنوان ، وأوشكت القذيفة أن تنطلق لولا أن انطلاقها محظور لغير الخطر المحقق القريب ، مخافة الانتباه من جانب الأعداء إلى موضع الحراسة وموضع المعسكر ، فلا مناص من انتظار .

ثم بدا صاحب العينين برأسه وبشخصه :

الحمد لله ...

هو كلب ... وليس بإنسان !

***

تلك خلاصة قصيدة انجليزية من قصائد الجنود فى حرب الدردنيل الماضية .

حمد الشاعر ربه لأنه كان يحذر فصيلة الإنسان دون الفصائل جميعاً من عالم الحيوان ، فهو من أخيه الإنسان على أخطر الخطر فى ذلك الظلام ... أما عالم الحيوان جميعاً ، فهو منه فى أمان !

لم أقرأ هذه القصيدة قط إلا ذكرت شاعرنا العربى حين يقول :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

نعم . وأصدق مايكون ذلك فى مقام حراسة وفى ميدان قتال !

ثم قامت الحرب الحاضرة ، فإذا ببطل من أبطال الحيوان، يعلو ذكره فى كل ميدان ، ويستوحونه القصائد والألحان !

ذلك تونى المنسوف

أو هو بالإنجليزية Tawny The Torpedoed

أتعرفه ؟

لم أزودك به معرفة على ما يظهر ، فاعلم أنه قط من مشاهير القطط فى الدنيا ، أو هو الآن من مشاهيرها بعد أن لم يكن على بال أحد غير أصحابه وعشرائه قبل بضعة أسابيع

كان يومئذ فى سفينة انجليزية أغرقتها الغواصات على مقربة من شواطئ السويد ، وبصر به جنـدى فى الماء فعاد إليه ونجاه ولم يحفل بما يصيبه من مكامن البحر « اللغوم » فى سبيل هذه النجاة : نجاة تونى المنسوف !

وضبطه رجال الميناء ميناء جوذنبرج فاعتقلوه ، وقرروا إبادته فى الحجر كما يصنعون بالحيوان من قبيله إذا خيفت منه العدوى أو احتاج أمره إلى الرقابة والتمحيص . وأين هى الحـكومة التى تنفق على حيوان طريح من طرائح البحر حتى ينجلى الشك فيه ، فإما سليم فيرسل، وإما مصاب فيباد !

يباد ؟

إن الجنود الذين أنقذوه من الغرق لم ينقذوه من الماء ليقذفوا به إلى النار المحرقة أو إلى السم الزعاف

فلن يباد تونى المنسوف ، وفى أولئك الجنود بقية من دماء

واتصلت المشكلة بالصحيفة الوقور التى أسماها بعضهم بالدولة المستقلة ، وهى صحيفة « التيمس » اليومية

فكُتبت الحياة لتونى المنسوف !

وتقاطرت الهبات على ميناء جوذنبرج للإنفاق على ضيفها المضنون به على غـير أهله ، طوال مدة الرقابة الصحية وعدتها ستة شهور

وجاشت قرائح المصورين وقرائح الشعراء

فظهرت فى الصحيفة صورة « تونى » على لوحة تنوص وتطفو بين اللجج المزبدات ، والحطام المتناثر من الأحياء والأموات

وعلى رأسه طيـارات ، ومن حوله غواصات ، وهو بينهن

كأشجع ما يكون الشجعان من البطولة والثبات !

وكتب شاعر تحت الصورة هذه الأبيات :

« المخلوق الضعيف القليل النصير في ألعوبة من ألاعيب الأقدار، يبدو أنها ختام ما قدّر له من وجود

« تولته صداقة « التيمس » فامتدت به حبال الأجل الممدود

« ووثب من ذراعي الموت إلى أحضان الشهرة والخلود

« لقد كان مجهولاً لا عنوان له بين قطط العالمين

« فارتقى سلم الشهرة قفزة واحدة إلى مكانها المكين

« مذكور الأحزان والأشجان بين الناس، معروف الشجاعة على كل لسان مبين ، من المادحين والمعجبين

« والآن تتلقى أنباءه أمواج الأثير ، وهو قابع في المحجر مستقر أمين

« يشرب اللبن ويستطعم الغذاء، ويلعب ويطرب ويستكين

« وعلى ضفاف السويد من خليج بوهاس الجميل الموصوف

« ينتهي منظر القصة المنظومة، وتبتدئ شهرة تونى النسوف

« وتسرى على « الكانيجات » أنفاس الخضم ، وآهات الخريف ! »

* * *

اقرأ هذه القصيدة الظريفة وقل معي : يا لذلك القط من حيوان مجدود !

بل قل معي: يا للانسان من حيوان مكدود منكود !

ولا تعجب أن تكون هذه عنايته بقط مسكين، وفي العالم حرب ضروس تنذره بهلاك الألوف أو الملايين

أو إن عجبت فاعلم أنني لا أعجب مما أرى وأسمع من أشباه هذه الأنباء ، ولا أراها أهون ولا أهزل من أن تشغلنا بعض الشغل في هذا البلاء أو عن هذا البلاء

فأهون ما فيها أنها لا تيئس من العاطفة الإنسانية ، وأنها تزيدنا علماً بسرائرنا النفسية ، وأنها توازن ما في الحرب كلها من عداء ، بما في ودائع القلب الآدمي من شغف بالمودة وحرص على الولاء ، وشوق إلى الوفاء

* * *

إن عداء الحرب لا يستنزف ما في النفس من ينابيع الرحمة بل ينبش عنها في الأعماق فيرسلها على شتى الصور وأغرب المناسبات .

فكلما اشتد العداء كان اشتداده مدعاة إلى اشتداد البحث عن جانب المودة والرفق ، وجانب الألفة والمونة ، وجانب الطمأنينة إلى ملاذ في قرارة الحياة

ولهذا تعظم الحرب لأنها تشمل الملايين من أفراد السلالة الآدمية .

وتعظم إلى جانبها حادثة « تونى » الضعيف لأنها تشمل نفس الإنسان ، أو تشمل جميع بنى الإنسان

* * *

ونحن بصدد الحيوان والإنسان فلنختم هذا المقال بقصة طريفة من قصص هذا المقام

على الصفحة الأولى من الصحيفة الإنجليزية المصورة « اللسترآتد » Illustrated رسم كبير لكلب من فصيلة « البول دوج » المشهورة بين الإنجليز وعلى رأسه قبعة من قبعات الجنود

ومناسبة هذا الرسم أن « المذياع الألماني » أشاع في الشهر الماضي أن الغواصات الألمانية أغرقت « السفينة » كستريل Kestrel وليست هي بسفينة ولكنها نقطة تدريب برية يختبرون فيها سلاح السفن ويتبعونها من أجل ذلك لوزارة الشؤون البحرية

فلما شاع هذا النبأ المضحك بين جنود تلك النقطة نقله الجندي الذي يخلع قبعته على كلبها المحبوب إلى ذلك الكلب النافل عن مذياع الألمان ودعوة الألمان ، وقال له مازحاً :

أندرى يا بوللى أنك الآن في عداد الأموات وفي سجل الغرقى ؟ هكذا زعم جوبلز يأيها الميت الذي يدعى الحياة !

قال الراوي : فزمجر بوللى غاضباً : « ومن هو جوبلز ؟ »

والحق أن بوللى ليقولها ويقول ألماً من قبيلها ! . . .

نعم . . . ومن هو جوبلز ؟

ولهذا السؤال ولا ريب معناه !

عباس محمود العقاد

إليك رجعت يا قلبي

« لكاتب من الكتاب »

ينم عليه أسلوبه

قلبي ، ألم يأن لك أن تعفو وتصفح ؟

أنت تعرف أني لم أقبل على التحرير والتأليف في شؤون الأدب القديم والحديث إلا طلباً للسلامة من ظلمك وعدوانك ، ولم أشغل قلمي بوصف أوهام المجتمع إلا لأصرفه عن الشغل بأحلامك وأوهامك

فهل تراني مع ذلك نجوت من شرك ؟

أنت تعرف أني لا أرى الناس من وقت إلى وقت إلا رغبة في الانصراف عنك ، فإن الخلوة إلى نزواتك وبدواتك تشبه الخلوة إلى أوكار الأراقم ، وملاعب الجن ، ومساقط البراكين

فكيف تريد أن أرجع إليك ؟

إن لي عقلاً يعصمني من غيك ، فاصنع ما أنت صانع

ألست أنت الذي أغراني بالتطلع إلى مشارق الأقمار والأزهار ومواسم الأفئدة والقلوب ؟

ألست أنت الذي حدثني بأن النعمة الصحيحة هي جودة الفهم لأطايب الوجود ؟

فهل تراك صدقت فيما حدثت ؟

وهل تراني أحسنت في الاطمئنان إلى وسواسك ونجواك ؟

الدنيا في طاعتك ليست إلا مهالك ومعاطب ، فكيف فاتني التوفيق فلم أتمرد عليك ؟

ما رأيت إنساناً يعيش في سلام وأمان إلا حكمت بأنه يحيا بلا قلب

ولا رأيت إنساناً مسلوب الأمن مهدود العافية ، إلا عرفت أنه من أرباب القلوب

فمتى أنجو من شرك يا قلبي ؟

إن اشتباك المهلكات والمدمرات في المعارك البرية والبحرية والجوية ليست إلا صورة مصغرة لما يقع بيني وبينك حين أخلو إليك

فمتى أنجو من شرك يا قلبي ؟

وما يضمر الأعداء المتحاربون بعضهم لبعض ، وما تضمر الغابة الشجراء في ظلام الليل ، وما يستتر في جوف المحيط من غدرات وفتكات ، كل أولئك أخف وأهون مما تمده لمحاربتي أيها القلب !

إن الحرب بين الممالك والشعوب يسبقها النذير ليأخذ الرجال أهبتهم للصراع والقتال ، والحرب بيني وبينك لا يسبقها نذير حتى أستعد لمصاولتك ومغالبتك . فمن أنت بين المقتالين ، أيها القلب ؟

وقد درج المقاتلون منذ آماد طوال على الترفق بأسرى الحرب وأنت لا تعرف الرفق بأسيرك ، أيها القلب !

فمتى ينصرني الله عليك فأجزيك ظلماً بظلم وعدواناً بعدوان ؟

أنت الذي جعل إيذاء الصديق للصديق من شرائع الوجود ، أيها القلب

فكيف أعاتب أصدقائي وأنت على قربك أول من أتلقى منه الطعنة الدامية ؟

أنت تظلم وتغدر وتفتك ، وما أسأت إليك في سر أو علانية ، وليس بيني وبينك واش ولا نمام ولا رقيب

فكيف ألوم صديقاً يغدر أو يخون وبيني وبينه ألوف من المفسدين والمرجفين ؟

عنك تلقيت درساً لن أنساه ، أيها القلب ، فعدوانك وأنت صديق لا تصل إليه الوشايات والسعايات دليل على أن الدنيا قامت على أساس منخوب لا يصلح للخلود

لو كانت الدنيا أهلاً للجمال لكان من المستحيل أن تكون الأشواك أطول أعماراً من الأزهار والرياحين

ولو كانت الدنيا أهلاً للقوة لما جاز أن يقضي الأسد دهره وهو محموم

ولو كانت الدنيا أهلاً للرفق والعطف لصار من العسير أن يفسد ما بيني وبينك ، أيها القلب

إن آهة الألم من الحيوان الفاتك هي التي تدل عليه الصائد المغتال حين يطرق الغابة بليل

وزقزقة العصافير في الظلمات هي التي ترشد الثعابين إلى عشها الأمين

ورحيق الأزهار هو الذي يسلط عليها خراطيم النحل

والنور الذي ينبعث من مخدع آمن قد يعرض مدينة برمتها إلى غارة جوية

فما الذي دلك علي ، أيها القلب ؟

دلتك القوة ؟ دلك الرفق ؟ دلك الضعف ؟ دلك الشعر والخيال ؟

أنا أعرف أني كتلة جسيمة من الأحلام والأوهام والحقائق

والأباطيل ، فن أى جانب نفذت إلى ، أيها النادر المفتال ؟

تخلقْ مرة واحدة بأخلاق المحاربين الشرفاء ، أيها القلب ، وحدثنى كيف استطعت النفاذ إلى ما أقمتُ من معاقل وحصون ؟

أنت قوة خطرة مخوفة ، أيها القلب ، ومن حقك أن تبغى وتستطيل، لأنى سوّيتك بيدى، وطوفت بك فى الشرق والغرب لأمدك بأصول القوة والعنف ، وآيةُ هذا المصرهى نكران الجيل، فلا عتب عليك ولا ملام إن بذلتَ فى إيذائى كل ما زودتُك به من جهد وعافية « ومَن غرس الرياح جنى العواصف » !

كل حرب إلى سلام ، وكل شقاق إلى وفاق ، إلا ما بينى وبينك ، أيها القلب

سيتعب أعدائى فينسحبون من ميدان القتال ، ولن تتعب أيها القلب ، لأنك جذوة من العواطف لا تخمُد ولا تبيد

فهل ترانى أتمنى لك الخمود وأنت صديق ؟

الناس على دين زمانهم ، أيها القلب ، وأنت اصطنعت الغدر طاعةً لزمانك ، فكيف لا أستبيح الغدر طاعةً لزمانى ؟

أترانى ألتفت إلى رعاية الجوار ؟ وهل رعيت أنت الجوار ومثواك بين ضلوعى ؟

المودّات فى الدنيا أخذٌ وعطاء ، فكيف تنتظر أن يكون أمرى كله إليك ، ولا يكون لى سلطان عليك ؟

كيف تنتظر ألاّ أتقدم أو تأخر إلا بوحى منك وأنت لاتسمع دعائى مرة واحدة فتصدف عمن تسقيهم الشهد ويسقونك الصاب ؟

أنت الشريك المخالف ، أيها القلب ، والشريك المخالف تعوّذ منه الآباء والأجداد . فكيف أسلم من شرك ولن يفرّق بينى وبينك غير الموت ؟

إن أمرك لعجيبٌ غريب ، أيها القلب ، فأنت تغدر بى ، ثم تفى لسائر أصدقائك وأصفيائك

أنت والله لئيم ، أيها القلب ، فأنت لا ترعى عهدى لأنك وثقت بأمانتى ثقةً أبدية . وأنت تراعى غيرى ممن أحببت لأنك تخشى أن ينقلبوا عليك . والاتجار بالصداقة من أخلاق زمانك ، وأنت ابن زمانك ، فشرّق فى مكايدتى وغرّب ، فسأبقى بجانبك يوم تنكشف لك أخلاق الزمان فتصبح بلا صديق

أراك انزعجت ، أيها القلب

الحمد لله ، فلا يزال فى الدنيا إخوان يزعجهم العتاب . وبالرغم منى أن يرقّ الصخر الذى جعلتُه علامة القِبلة فى أوقات الصلوات

لا تجزع ، يا قلبى ، فلن أعاتبك فى كل يوم ، فلست بالصديق الذى يشوك أصدقاءه بالعتب فى كل حين

أراك غضبت

إنى الله والحب ، أيها القلب ، فقد صبرتُ على تجنّيك عدداً من السنين ، وما يجوز لك أن تثور على من ينطق بكلمة الحق مرة واحدة بعد أن صبر على كلمة الزُّور ألوف المرات

كنت أودّ أن ألقاك بالهجر الجميل ، أيها القلب ، كما تعودت أن ألقاك فى الليالى الخوالى ، ولكنى رأيتك تعدّ سكوتى علامة من علائم العجز أو دلالة من دلائل الشّبهات ، فاسمع صوتى يا جاحد ، لتعرف أنى أملك الثورة عليك حين أشاء

ومن العجز أن تظن أن التفريط فى حق الصديق يمرّ بلا عقاب ، كما مرّت حسنات الصديق بلا ثواب

تلك أيامٌ خلَتْ . فأعدّ نفسك لحساب العاشق الذى صحا وأفاق

ما هذا ؟ ما هذا ؟

أراك تبكى وتنتحب أيها القلب

أمن دعابة وجهتها إليك يتفجر حزنك وأساك ؟

فكيف أكون وقد قضيت السنين الطوال فى رأب ما يَصدَع الأصدقاء ؟

كيف أكون ولى فى كل يوم رفيق يغدر ، وصديق يخون ؟

أنا أثور عليك أيها القلب ؟

وكيف وقد صفحت عن ذنوب قوم أسكنتهم فى سوادك ؟

أنا الأخير بين من تَعمَى عيونهم عن عيوب الصديق ، أيها القلب

وأنا الأخير بين من لا ترى عيونهم غير محاسن الصديق ، أيها القلب

فاغدر كيف شئت ، وليغدروا كيف شاءوا ، فأنا أحق من « الحجَر الأسود » بحَمل الذنوب وسَتر العيوب

ولن أنطق إلا يوم ينطق الحجر الأسود ، فإن نطق فسأعتصم بالصمت

أترانى أمنّ عليك ، أيها القلب ؟

أنت الذى تمنّ علىّ ، لو شئتَ ، وأنت تشاء لأن زمانك منّان ، ولكنى سأعفيك من رذيلة المنّ على الأصدقاء

أنا أختلق المحاسن لأصدقائى ، فكيف أبخل بالثناء عليك

بما أنت له أهل ؟ وكيف أجاريك في طمس محاسن الصديق وأنا أقوى منك ؟

لا تنزعج من كلمة الحق ، أيها القلب ، فستسمع مني بعد ذلك ما يرضيك . أنا راضٍ عنك مع جهلك ، لأن شاعرنا يقول :

ولربما اعتصم الحليم بجاهل ... لا خير في يُمنى بدون يسارِ

وعقلي محتاج إلى جهلك ، أيها القلب

أتذكر ما وقع في صباح اليوم ؟

كنت في سيارة عمومية ، وصعد زوجان أنجليزيان ومعهما طفل وطفلة ، فوثب الطفل إلى صدري يسكن إليه ، فنهرته أمه فغضب ، وجذبه أبوه من يده فثار وجرى إلى باب السيارة لينزل وهي في جنون السرعة ، وخاف والد الطفل فأشار إليه أن يتوجه حيث شاء ، فأقبل الطفل على صدري من جديد ، وأخذ يشير إلى أخته أن تصنع كما صنع ، فقضيت المسافة وأنا أحتضن طفلين عزيزين في رقة الأزهار ونضارة الرياحين

ونظر الأب والأم إلى هذا المشهد نظرة حنان وهما في عجب عُجاب ، فقلت : لا تعجبا يا سيديَّ ، فهذان الطفلان يعرفان بوحي الفِطرة أني رجل له قلب . . .

وشاءت ظروف عملي أن أنزل في منتصف الطريق فتشبث الطفل بي وهو دامع العين مكروب ، فلثمت جبينه فاستراح ، وأوى إلى صدر أبيه وهو جذلان

وكان ذلك لأنك كنت في صحبتي ، أيها القلب

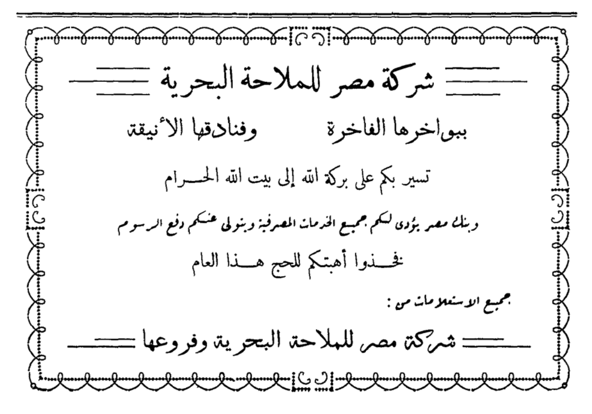
وأرادت إحدى النوادر أن تنسى ما صنع قلمي في التشبيب بجمالها الفتّان فدلت وتاهت ، فأصليتها صدًّا بصد وإغضاء بإغضاء ، فهي منذ سبعة أشهر تترضّاني برسائل تذيب الجلاميد وأنا ألقاها بصمت الأوثان ، فهل كان يمكن ذلك إلا لأنك في صحبتي ، أيها القلب ؟

عندي ألوف من الشواهد على أنك المصدر الأصيل لما أملك من عنفوان القوة والعافية ، فإن صح أنك أصل لما قد يساورني من ضعف فذلك دقة النصل في السيف الصقيل

إليك رجعت يا قلبي ، فارجع إليَّ كما رجعتُ إليك :

فلقد يُسعف الجريح أخاهُ ... ويواسي الغريب في الأحزانِ

« کاتب من الکتاب »



فلنـــدا أو سوومى

أحدث أمة فى أقدم أرض

للدكتور مأمون عبد السلام

تقع فنلندا بين خطى العرض ٦٠ — ٧٠ شمالاً وخطى الطول ١٩ — ٢٣ شرقاً، فهى فى أقصى المعمورة شمالاً، وجوها أدفأ من جو البلاد التى تقع شرقها على نفس خط العرض بسبب تيار الخليج الذى يمر بها . فمتوسط الحرارة فى أبرد شهور السنة خمس عشرة درجة تحت الصفر فى لابلندا شمالاً، و ٥ تحت الصفر فى القاطعات الجنوبية، ومتوسطها فى الصيف ١٧ مئوية فى الجنوب و ١٤ فى الشمال . ويكسو الثلج الأرض نحو مائة يوم فى الجنوب ومائة وخمسين يوماً فى الوسط ومائتين وعشرين يوماً فى لابلندا شمالاً، ويتساقط على ساحلها الجنوبى خمس وعشرون بوصة من الثلج والمطر، ونحو أربع عشرة بوصة فى داخليتها الجنوبية. وكثيراً ما يشتد البرد صيفاً فيتلف الصقيع محصولاتهم كما فى صيف سنة ١٨٦٧ إذ أتلف نصف المحصول فمات مائة ألف مزارع فى الشتاء الذى تلاه واضطر عدد كبير من الفلاحين إلى النزوح إلى المدن للاشتغال فى المصانع ليدفعوا عن أنفسهم غائلة الموت جوعاً

وفنلندا سابعة دولة أوربية من حيث المساحة التى تبلغ ١٥٠٠٠٥ أميال مربعة. فهى أكبر من الجزر البريطانية بما فيها إرلندا، وهذه المساحة موزعة كما يأتى :

١١٫٥٪ بحيرات أى ١٦١٥٠ ميلاً مربعاً، وأكبرها بحيرة لادوجا التى هى أكبر بحيرة فى أوربا، ويصب فى هذه البحيرات نهيرات صغيرة تتكون منها شبكة نهرية فى جنوب فنلندا كلها صالحة للملاحة ويتولد من تياراتها القوية كميات هائلة من الكهرباء

و ١٫٦ ٪ من الجزر فى البحيرات أى ٢٣٨٥ ميلاً مربعاً

و ١٫٣ ٪ من الجزر فى البحر أى ١٩٦٨ ميلاً مربعاً

والباق وهو ٨٥٫٦ ٪ عبارة عن أرض قارية

و ٧٣٫٦ ٪ من أرض فنلندا تكسوها الغابات و ٦٫٣ ٪ أرض زراعية

وتقع فنلندا بين بحر البلطيق والبحار المتجمدة الشمالية، وتحيطها الأراضى الروسية والسويدية وجزء بسيط من شمال النرويج، فهى أقصى جمهورية فى شمال العالم. وتحتوى على جزء كبير من لابلندا، وفى جنوبها الغربى على جزائر خليج فنلندا وأرخبيل ألاند، وبه ما لا يقل عن ستة آلاف جزيرة

وأرض فنلندا عبارة عن عدة هضاب يرتفع بعضها إلى ٣٧٥٠ قدماً عن سطح البحر . وكان عدد سكانها فى سنة ١٧٥١ نحو ٢٩٩٠٠٠ نسمة فارتفع إلى ٨٣٢٦٥٠ بعد خمسين سنة، ثم إلى ١٫٦٣٦٫٩٠٥ بعد مائة سنة، وإلى ٢٫٥٢٠٫٤٣٧ بعد مائة وخمسين سنة، وأصبح ٢٫٧١٢٫٥٦٢ فى سنة ١٩٠٤ . وقد بلغ الآن ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف نسمة منهم ٨٨٫٧ ٪ فنلنديون يتكلمون اللغة الفينية، و ١٠٫١ ٪ فنلنديون يتكلمون السويدية ثم ثلاثة آلاف من اللابلنديين

وديانة الفنلنديين المسيحية ومعظمهم ٩٦٫٢ ٪ بروتستانتيون لوثريون و ١٫٨ ٪ روم أرثوذكس، والباقون وهم ٢ ٪ يتبعون ديانات مختلفة

وفنلندا من أقدم أراضى العالم من الوجهة الجيولوجية. ونظراً لكثرة ما فيها من المستنقعات سماها أهلها بلغتهم سوومى أو سوومناما؛ وسماها السويديون فنلندا أى أرض الفن (بكسر الفاء وسكون النون) Fen بمعنى المستنقع

وكان يسكن هذه البلاد فى الأصل اللابلنديون ، فغزاهم أسلاف الفنلنديين الحاليين وأجلوهم عنها فرحلوا إلى أقصى الشمال حيث لا يزالون يعيشون فى بيوت يزرعون بجوارها مساحات صغيرة من البطاطس ويقتنون بعض البقر . وهم يحبون الحياة المنزلية الهادئة ويتمسكون بأهداب الدين، فإذا مات أحدهم يحفظون جسمه فى صندوق إلى أن ينزل الجليد فيذهبوا به إلى أقرب كنيسة للصلاة عليه . وهم لا يهتمون بالسياسة وما تجره من الحروب، فإذا اعتدى أحد على أراضيهم تركوها له من غير حرب

وتعيش العائلة فى حجرة واحدة مع كلابها . وغذاؤهم السمك ولحم الرنة المجفف وقليل من البطاطس ونبات الخضر الوحيد الذى ينمو فى بلادهم واسمه العلمى أنجليكا أركانجيليكا Angelica archangelica وهو من فصيلة الينسون وله طعمه ورائحته فيأكلونه نيئاً أو مطبوخاً . وهم مشغوفون بشرب القهوة المحلاة بالسكر الكثير؛ وقد ألفوا شرب لبن البقر، وكانوا فى الزمن السابق يشربون لبن الرنة

ويملك اللابلنديون نحو مائتى ألف رأس من حيوان الرنة

يخص أغنامهم منها نحو ألف رأس، وهم يجمعونها في الشتاء ويطلقون سراحها للرعى في مايو فتسرح في الوديان للرعى وتذهب إلى العوالى في الليل هرباً من البعوض . ويعرف كل منهم قطيعه بما عليه من علامات الوسم

وأول من اتصل بهؤلاء الناس راهب روسى اسمه تريفون فى سنة ١٥٥٠ فأسس دير بتشينجا فنشر الرهبان المسيحية بينهم وزرعوا الأشجار وربوا الماشية وشيدوا الكنائس على الساحل، وملحوا الأسماك وبنوا السفن وحفروا طلباً للمعادن وتاجروا مع أركانجل وأنقرس وأمستردام فكانوا يصدرون إليها أسماك السالمون الأحمر . وفى سنة ١٥٨٩ أحرق السويديون الدير وقتلوا الرهبان، وبذا أصبحت بلاد اللابلنديين فريسة للطامعين من دانماركيين ونرويجيين وروسيين، وصارت مشاعاً للجميع، فكان الكل يطلبها والكل يرسل إليها عماله لجباية الضرائب من أهلها الساكنين الذين كانوا يدفعون الضرائب للروسيا والنرويج والسويد فى آن واحد

وقد ورد ذكر الفنلنديين فى التاريخ من سنة ٢٥٠٠ ق . م وهم قوم من الفرع الأوجرو الفيني فهم بذلك طورانيون من العائلة الألطية الأورالية التى انتشرت فى كل فنلندا ولابلندا ومقاطعات البلطيق المسماة أستونيا وليفونيا وكورلندا، وعلى ضفتى نهر الفولجا وبيرم وفولوجدا، وغرب سيبيريا بين جبال الأورال وينيسى، وفى بلاد المجر فهم يمتون بصلة الدم؛ إلى الأتراك والبلناريين والمجريين

وقد كانوا فى مبدأ أمرهم بدوا رحلاً يعيشون من الصيد فنزحوا غرباً واستولوا على ما هى فنلندا الآن فى القرن السابع أو الثامن الميلادى، وكانوا يعيشون إذ ذاك فى مجاميع مستقلة وفى قرى لا يربطها أى نظام حكوى. وكانت ديانتهم الوثنية إذ كانوا يعبدون القوى الطبيعية فجعلوا للرياح إلهاً سموه « أوكو » وآخر للغابات سموه « تابيو » وثالثاً للماء اسمه « أهتى » . وكانت الشجاعة والإقدام من صفاتهم فسببوا متاعب شديدة لجيرانهم فقد هاجموا شواطئ السويد مدة طويلة فجرد عليهم ملك السويد أريك التاسع فى سنة ١١٥٧ ميلادية جيشاً عرمرماً وبصحبته بطريق أوبسالا المسمى هنرى الإنجليزى فغزا البلاد وأدخل أهلها فى المسيحية ورجع تاركا جزءاً من جيشه ليتمم غزو البلاد، والبطريق هنرى وقساوسته ليمهد أهلها فقتل البطريق هنرى بعد مدة وأصبح فيما بعد قديس فنلندا وشفيعها

ولكن الفنلنديين دافعوا عن استقلال بلادهم ورفعوا نير السويد عنهم ثم ارتدوا إلى وثنيتهم الأولى إلى أن جاءهم فى سنة ١٢٠٩ مبشر إنجليزى آخر اسمه البطريق توماس فأعادهم إلى المسيحية ونجح فى فصل فنلندا تقريباً عن السويد وجعلها مقاطعة تابعة رأساً للبابا

وقد اضطرت السويد من جراء الحروب المتتالية بينها وبين الروسيا أن تحتل فنلندا فاحتلتها زهاء ستمائة سنة وأدخلتها ضمن مملكتها . وفى سنة ١٣٢٣ جعلت حدود فنلندا هى الحد الفاصل بينها وبين روسيا . وقد نشر السويديون مدنيتهم وثقافتهم بين الفنلنديين فعلموهم الزراعة وشتى ضروب الفنون والصناعة، ومنحوهم نفس الحقوق التى يتمتعون هم أنفسهم بها

وفى سنة ١٥٢٨ أدخل جوستاف فاسا الديانة البروتستانتية فى فنلندا التى رفعها الملك جون الثالث إلى درجة دوقية عظمى .

وقد خسرت فنلندا خسائر كبيرة من الحروب المستمرة بين السويد والروسيا والدانمارك

وفى أوائل القرن السابع عشر أسس الملك جوستافوس أدولفوس مجلس النواب الفنلندى المسمى « ديات » وجعل أعضاءه من أربع طبقات : الأشراف ورجال الدين وأصحاب الأراضى والفلاحين . وقد شجع التعليم فأنشأ المدارس وأدخل الطباعة وشيد الكنائس .

وفى حكم شارلس التاسع (١٦٩٢ — ١٦٩٦) تحملت البلاد شدائد ومتاعب عظيمة من جراء ما حل بها من القحط والأوبئة فهلك فى أبرشية « أبو » نحو ستين ألفاً فى أقل من تسعة أشهر

وفى سنة ١٧١٦ ضم بطرس الأكبر قيصر الروس فنلندا إلى أملاكه، ثم استردتها السويد بعد ذلك ولكنها تخلت عنها وعن جزر ألاند فى سنة ١٨٠٨ للروسيا، ونظراً لما رآه اسكندر الأول الروسى من شجاعة الفنلنديين فقد أبقى فنلندا كدولة شبه مستقلة وجعلها تحتفظ بقوانينها وعاداتها فاجتمع البرلمان الفنلندى ونادى به دوق فنلندا المعظم فأقسم على احترام دستور البلاد ودياناتها وشرائعها وحريتها . واستمرت مدينة « أبو » عاصمة للبلاد حتى سنة ١٨٢١ ثم انتقلت إلى هلسنكى ولم يجتمع البرلمان بعد ذلك لمدة ٥٦ سنة، ثم دعاه اسكندر الثانى فى سنة ١٨٦٣ .

وفى حكم اسكندر الثالث نقض الروس عهودهم وأنزلوا بفنلندا من ضروب الاضطهاد ما غرس بذور الحقد والكراهية لهم فى قلوب

الفنلنديين الذين حاربوا من أجل استقلالهم ، فازداد الروس قسوة وطغياناً وحاولوا فرض لغتهم ودياناتهم وقوانينهم قسراً على الفنلنديين وملأوا البلاد بالجواسيس، فهب الفنلنديون للدفاع عن حريتهم وأعلنوا الإضراب العام في سنة ١٩٠٥ واشتركت الأمة فيه على اختلاف طبقاتها في كافة أنحاء البلاد فتعطلت المواصلات والبريد والتلغرافات والتلفونات وأغلقت المدارس ودور الحكومة والمتاجر، واضطرت الحكومة الروسية إزاء اتحاد كلمة الفنلنديين أن تجيب طلباتهم بمرسوم إمبراطوري صدر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٥. ولكن الروسيا حاولت ثانياً حد سلطة البرلمان ، فثار الفنلنديون في سنة ١٩٠٨ و سنة ١٩١٠ وقاوموا الروس بشدة ورفضوا أن يتجندوا في الجيش الروسي المقوت ودفعوا ٢٠ مليون مارك سنوياً ليعفوا من الخدمة العسكرية

ولما استقرت نيران الحرب العظمى أعلن برلمان فنلندا حياد البلاد فقطع بذلك كل علاقة بين فنلندا والروسيا . وقد أعلن الفنلنديون أنهم لا يحاربون إلا من أجل فنلندا

ولما ألفت الحكومة البلشفية في الروسيا اعتقد بعض الفنلنديين أن من مصلحة البلاد الدخول ضمن الاتحاد السوفيتي فقامت من جراء ذلك حرب أهلية بين الحمر الفنلنديين والبيض من أهل فنلندا بقيادة المارشال مانرهايم بطل فنلندا الذي استولى على هلسنكي وطرد البلاشفة؛ وهو بعينه الذي يحاربهم الآن

وفي سنة ١٩١٩ نودي بفنلندا جمهورية مستقلة لأول مرة في تاريخها ، فهي بذلك أحدث أمة مستقلة في العالم

وفي سنة ١٩٢٠ التحقت فنلندا بعصبة الأمم وتنازلت الروسيا بمقتضى معاهدة دوربات عن الجزء الضيق الذي فيه ميناء بتسامو لفنلندا ، وبذا أخذت في إنشاء الطريق القطبي العظيم الذي لا مثيل له في العالم

والعَلَم الفنلندي مكون من اللونين الأزرق والأبيض رمزاً إلى زرقة السماء والماء وبياض الجليد

والفنلنديون أقوياء الأجسام وهم في الأصل ربمون ذو رؤوس مستديرة وجباه منخفضة وجلود تضرب إلى السمرة وعظام خدودهم بارزة وشعر ذقونهم خفيف؛ وشعرهم أسود لامع طويل، وهذه من صفات المغول ولكنهم تزاوجوا مع من جاورهم من الأمم فدخل فيهم الدم النوردي الأسوجي والصقلبي الروسي ؛ فأصبح شعرهم بنيا أو أحمر أو أشقر، وتحسنت سحنهم عن أسلافهم

ولا يزال الفنلنديون يحتفظون بعاداتهم البدوية التي ورثوها عن أسلافهم المغول، فهم كرماء للضيف محبون للحرية والاستقلال ميالون للانتقام، وهم أهل عفة وأمانة وطهارة وحسن خلق، يحبون وطنهم حباً يقرب من العبادة، لذلك لا يهجرون ديارهم إلا قليلاً.

والفلاح الفنلندي مجد صبور يجهد نفسه في استغلال أرضه. ويكون الفلاحون ٨٧ ٪ من الأمة الفنلندية . وألد أعداء الفلاح الصقيع الذي ينزل في يونية فيتلف محصولاته الجذرية

وقد ازدادت مساحة الأراضي المزروعة ولكنها ليست متصلة في مساحات شاسعة بل هي حقول منفصلة تتخللها غابات ومستنقعات. وتبلغ المساحة المزروعة نحو ٦٫٣ ٪ من المساحة العامة . وتعمل الحكومة على إكثارها بتجفيف المستنقعات وإصلاح أرضها . ولكنها لن تبلغ أكثر من ١٢ ٪ من المساحة العامة على أكبر تقدير . وتوزع الأراضي الزراعية بالنسبة المئوية الآتية :

٥٢٫١	ملكيات فردية
٣٩٫٧	ملك الدولة
٦٫٥	ملك جمعيات تعاونية
١٫٧	ملك جمعيات أخرى

ومحصولات فنلندا محدودة ؛ فهي تقتصر على الغلال كالقمح والشعير والزمير والجويدار وبعض المحصولات الجذرية كبنجر السكر واللفت والبطاطس ونباتات العلف. وتوزع هذه المحصولات بالنسبة المئوية الآتية :

٥٠٫٧	نباتات علف
١٨٫٩	زمير
٩٫٦	جويدار
٥٫٤	شمير
٣٫٣	بطاطس
١٢٫١	محصولات أخرى كالقمح والبنجر والكتان

وفنلندا غنية بنباتاتها ، وقد درست الفلورا الفنلندية دراسة مستفيضة فقسم النباتيون البلاد إلى ٢٨ مقاطعة بحسب ما فيها من أنواع النبات . وقد بلغ عدد الأنواع النباتية الفنلندية ١١٣٢ نوعاً موزعة كما يأتي :

٣١٨ — ٤٠٠	نوع في لابلندة
٥٠٨ — ٦٥١	في كاريليا
٧٥٢	في فنلندا الأصلية

ولا يوجد فى فنلندا نباتات ألبيه Alpine ولكنه يوجد منها فى شبه جزيرة كولا ٣٢ — ٦٤ نوعاً

وتبلغ مساحة الغابات فى فنلندا نحو ٦٣ مليون فدان، منها نحو ٣٥ مليوناً ملك للدولة . وقد حصروا أشجار هذه الغابات فوجدوا أن مكعب جذوعها النامية يبلغ ٥٧٢١٤ مليون قدم مكعب من الخشب . ومنها ٧ر٦٠ ٪ من الصنوبر البرى Pinus sylvestus و١ر٢٨ ٪ من شجر الأسبروس و٢ر١١ ٪ من خشب البيرش . ومن أشجار الغابات المهمة عندهم شجر البيرش القصير، والحور، واللارش السيبيرى الذى أدخلوه فى القرن الثانى عشر . ويبلغ مقدار ما يقطعونه من الأشجار سنوياً نحو ستة ملايين شجرة يلقونها فى مجارى المياه المتدفقة التى يبلغ مجموع طولها فى فنلندا نحو ٦٥ ألف ميل فتعوم إلى أن تصل إلى الآلات الخاصة بقطعها ونشرها بالتيار الكهربائى المتولد من مساقط المياه استعداداً لتصديرها وصنع لب الورق ومشتقات الأخشاب منها

ويوجد فى فنلندا خمس مدارس للغابات، مدة الدراسة فيها سنتان . وتعطى جامعة هلسنكى دراسة فى الغابات مدتها ثلاث سنوات. ويمكن للطالب أن يحصل منها على درجة الأستاذية والدكتوراه فى الغابات. وللجامعة فنلندا غابات للتمرن. وقد أنشئت من ثلاثين سنة مضت جمعية للغابات يتبعها معهد للبحوث تديره الحكومة وتدرس فيه علوم الغابات ويتبعه عدة غابات للتجارب ولتدريب عمال الغابات . وتطبع هذه الجمعية ثلاثة أنواع من النشرات. وتنفق الحكومة الفنلندية على أبحاث الغابات مليونين من الماركات سنوياً

وجميع مزارع فنلندا وطرقها تصرف فى مصارف وخنادق عميقة . وأرضها غنية بالدبال ، ولدفء جوها فى الجنوب ينمو الخشخاش والبازى والفوشيا وتكثر المزارع والحقول والضياع بما فيها من المناحل وأكوام الدريس والأخشاب المقطوعة

ويشكر الفنلنديون الله على استقلالهم . فقد مكنهم من أن يمتلكوا أراضيهم إذ كان ذلك مستحيلاً تحت الحكم الروسى، ولكنه أصبح من الممكن فى أوائل القرن العشرين أن يمتلك المزارع الفنلندى الأرض التى يزرعها فبلغ ما ملكه الزراع فى سنة ١٩٠١ نحو ٤٠ ٪ من الأرض الزراعية والباقى أراض محكرة ولم تأت سنة ١٩٢٩، حتى أصبح ٩٠ ٪ من أرض فنلندا ملكاً لفلاحيها . ويرجع الفضل فى ذلك إلى قانون ليكس كاليو الذى صدر فى سنة ١٩٢٢ نسبة إلى كيوستى كاليو زعيم الحزب الزراعى الفنلندى . وبمقتضى هذا القانون أجبر كبار الملاك على بيع أراضيهم الواسعة بأثمان زهيدة جداً لصغار الزراع ، فترتب على ذلك وجود طبقة وسط من صغار الملاك فأصبحت فنلندا فى مأمن من انتشار الشيوعية . وتمد الحكومة صغار المزارعين بالنصح والإرشاد والمساعدات المالية

ويحصل المزارع من أرضه على جزء بسيط من غذائه وغذاء عائلته ، فهو يعتمد إذن فى معيشته على ألبانه ومشتقاتها ، وعلى ما يتقاضاه من الأجر من قطع الأخشاب وما يستعمله منها فى بناء بيته وفى وقوده ، فمن ذلك نرى أن فنلندا لا تقوم كقطر زراعى بحاجة سكانها

ومعظم مزارع فنلندا صغيرة. ولا تزال مزارع شرق كاريليا وشمالها فى حالة أولية محضة، ولكن المزارعين يقبلون على المستحدثات الزراعية بشغف، فترى كل جماعة منهم يشتركون فى شراء آلة زراعية حديثة ليستعملوها شركة بينهم

وقد توصل البرفسور فيرتانين الأستاذ بجامعة هلسنكى إلى طريقة لحفظ العلف فى الشتاء وذلك بعمل حفرة فى الأرض يكوم فيها العلف الذى لم يتمكنوا من تجفيفه ، ويكومون فوقه الأجزاء الخضر المتخلفة من المحصولات الجذرية المختلفة ، ويرشون فوق الكومة محلولاً كيميائياً يجعل العلف طرياً ويحتفظ بخمس وتسعين فى المائة من مواده الغذائية التى تبلغ فى الدريس العادى ٦٠ـ٦٥ ٪ . ويمتاز العلف المحفوظ بهذه الطريقة بأنه ليس له رائحة كريهة كالتى توجد فى العلف المحفوظ بطريقة السيلو القديمة . ولذلك تقبل الماشية على أكله إقبالها على العلف الأخضر . وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً باهراً ، وانتشرت فى البلاد الأجنبية تحت اسم علف V. I. V

(البقية فى العدد القادم)

مأمون عبد السلام

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد الحميد

ومن بين علماء النفس الألمان الذين ساهموا بنصيب فى دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد ووضع مقاييس للذكاء كريبلين Kraeplin ، وكانت مقاييسه لاختبار سرعة الإدراك أن يطلب إلى المختبَر (بفتح الباء) أن يمُدّ بأسرع ما يمكن حروف الكاف (ك) الموجودة فى مقالة ، أو أن يضع بقلم الرصاص علامة على كل حرف (راء) فى قطعة مكتوبة ، أو أن يعرض على المختبر قطعة مطبوعة بها بعض الأغلاط الإملائية أو الحروف الساقطة ويطلب إليه أن يوجد مواضع الأغلاط والحروف المفقودة. كذلك وضع اختبارات لقياس الذاكرة الرقمية ليكشف الحد الأعلى من الأرقام التى تستطيع أن تستعيده ذاكرة الفرد إذا عرضت هذه الأرقام مدة خمس عشرة ثانية مثلاً ، واختبارات أخرى لقياس القدرة على تذكر الكلمات « الفارغة » Nonsense syllables مثل : غضنذ ، تنغط ، قصخ خخق الخ ، وغير هذه الاختبارات التى أسفرت عن أن لكل فرد خواص عقلية وذوقية تميزه عن غيره. ولكن كريبلين أدركه اليأس حينما ساقه البحث إلى أنه لا يوجد تلازم مطرد بين نتائج هذه الاختبارات المختلفة للفرد الواحد. وقد حكم من عدم اطراد التلازم أنه لا يمكن الاعتماد على مجموعة هذه الاختبارات فى قياس الذكاء . وهو يقول فى ذلك : « إننا لا نستطيع أن نخفى عن أنفسنا أن النتائج التى وصلنا إليها بعد هذه الاختبارات والبحوث الطويلة لم تحقق ما كنا نتوقع من وضع مقاييس مضبوطة للذكاء ، تقاس بها العمليات العقلية البسيطة »

كان لتقدم علم النفس التجريبى فى أواخر القرن التاسع عشر أن ظهر علم النفس التطبيقى وفكر العلماء فى كيفية الاستفادة من نتائج قياس الفروق السيكلوجية بين الأفراد ، ومعرفة الخواص العقلية والجسمية والخلقية لكل فرد للاستفادة منها فى المهن والصناعات ، وكانت غايتهم هى أن يختاروا لكل مهنة الفرد الصالح لها ، أو كما يقولون The right man for the right job . ومن الغريب أن أول من قام بتجارب الاختيار المهنى هو مهندس ميكانيكى أمريكى لا علاقة له بعلم النفس ، يسمى تيلور F. W. Taylor . كان موظفاً فى شركة لصنع العجلات . وكانت فى مصنع العجلات مهنة فنية[1] تحتاج إلى أفراد سريعى الرجع (رد الفعل) . وقد اختبر المائة والعشرين فتاة المشتغلات فى هذه المهنة فوجد أن عدداً كبيراً منهن بطىء الرجع ، فاضطر إلى فصل البطيئات وإبقاء السريعات ، وعددهن خمس وثلاثون . وكانت النتيجة أن هؤلاء الفتيات الخمس والثلاثين أمكنهن أن يعملن نفس العمل الذى كانت تقوم به المائة والعشرون فتاة وفى زمن أقل . وقد نشرت نتائج هذه الاختبارات فى سنة ١٩٠٣ ، وأثارت اهتمام علماء النفس وبخاصة القائمون منهم بدراسة الفروق الفردية السيكلوجية

ومن بين هؤلاء الأفراد البروفسور هوجو مونستربرج Hugo Muensterberg الألمانى. وكان حينئذ أستاذاً لعلم النفس فى جامعة هارفرد Harvard بأمريكا ، فأجرى عدداً كبيراً من التجارب لمعرفة الفروق الفردية ، وخصائص كل فرد ، والمهنة التى تليق له أو يليق لها . وطبع فى ذلك كتاباً سماه (علم النفس والكفاية الصناعية[2]) . وقد عالج مونستربرج فى هذا الكتاب موضوع المواهب الطبيعية واللياقة المهنية . وهو يرى أن لكل فرد خواص ومميزات تجعل شخصيته أو تكوينه صالحاً لنوع من العمل دون نوع آخر . ومن العبث والإسراف الاقتصادى ألا يكون الفرد صالحاً للمهنة التى يقوم بها ، أو أن يُعَدّ لغير المهنة التى يصلح لها بطبيعته ، ولا بد إذاً من اختبار الأفراد ، ومعرفة مواهبهم واستعدادهم ، ومقدار ذكائهم ، ونوع ميولهم ومقدرتهم الجسمية وأمراضهم وأخلاقهم حتى يوكل إلى كل منهم العمل الذى يصلح له. فمن المعقول أن الرجل الذى يصلح لأن يكون سائق ترام قد لا يصلح لأن يكون ناظر زراعة ، ومن يصلح لأن يكون محامياً قديراً قد لا يمكن أن نخلق منه طبيباً نطاسيا . وإذاً فلا بد من اللياقة المهنية Vocational - Suitability حتى يستطيع الفرد أن ينتج أكثر ما يمكن من إنتاج فى أقل ما يمكن من زمن ، وبأقل ما يمكن من

(١) هى مهنة Inspecting bicycles'balls
(٢) Psychology and Industrial Efficiency

مجهود ، وهو فى أكثر ما يمكن من راحة وسعادة . فلو نجحنا فى كشف الرجل الصالح لمهنة بذاتها لأمكننا أن نقتصد فى الزمن والمجهود والمال ، وأن نرقى من نوع الإنتاج وكيته ، وكذلك نجعل العامل سعيداً فى عمله . يقول مونستربرج : « حينما نبحث فى الفروق السيكلوجية بين الأفراد ونذكر كلة (خصائص) الفرد نستعمل هذه الكلمة فى معناها الأعم . فهي تشمل القوى العقلية للفرد التى قد تكون كامنة ، والتى قد تظهر وتحيا تحت ظروف خاصة ، وتشمل أيضاً الصفات الثابتة لشخصية الفرد مزاجية كانت أو خلقية ، كما تشمل معارف الإنسان وتجاربه المكتسبة . ويدخل ضمن ذلك كل أنواع الإرادة ، والشعور ، والإدراك ، والتفكير ، والانتباه ، والعاطفة ، والذاكرة ، والخيال . إن العالم النفسى حينما ينظر إلى الفرد يجده مجموعة من هذه القوى السابقة ؛ ولكننا فى الحياة العملية وحينما نريد أن نكل لفرد عملاً يجب أن ننظر أولاً إلى أخلاط الخصائص التى تكون شخصيته بغض النظر عما إذا كانت هذه الخصائص وراثية أو مكتسبة ، وعما إذا كانت خاصة بالفرد أو شائعة فى أسرته ، أو فى قبيلته ، أو فى جنسه race ؛ ومن دراسة هذه الخصائص المتداخلة يتضح لنا أن بعض الناس أصلح من بعض للقيام بنوع من العمل[1] »

ويحتج مونستربرج على جعل الامتحانات المدرسية والشهادات العلمية مقياساً لكفاية الفرد وصلاحيته للعمل الذى يقوم به ، إذ أنه ليس من المعقول أن الامتحان المدرسى يقيس غير المعلومات المكتسبة ، ولا يكشف لنا شيئاً من خصائص العقل وخصائص الخلق . ويعيب أيضاً على الآباء أن يختاروا لأبنائهم الدراسات التى يرغبون فيها ، فإن مجرد الرغبة ليس معناه أن هناك ميلاً طبيعياً حقيقياً إلى الشيء . فالأولاد فى سن الصغر لا يعرفون شيئاً عن استعدادهم وميولهم الطبيعية . وقد يرغب اليافع فى أن يكون طبيباً لأن أخته تتحدث بإعجاب عن زوجها الطبيب ، أو أن يكون ضابطاً حربياً لأن قريبه ضابط حربى جميل المظهر . وقد يعرف الآباء حقيقة ميول أبنائهم واستعدادهم ولكن ذلك يجيء فى الغالب متأخراً

وضع الأستاذ مونستربرج اختبارات مختلفة لقياس الذكاء ، ولقياس المواهب الخاصة ، كاختبار القراءة المرتفعة السريعة ، وكطالبة المختبر بذكر ألوان الأشياء التى تتلى عليه ، وكتقسيم مجموعات من النباتات أو المعادن إلى أنواعها المتشابهة ، واختبار القدرة على الجمع والطرح بسرعة . وكذلك وضع اختبارات لقياس القدرة على تقسيم الخطوط إلى أقسام متساوية ، أو رسم خطوط تساوى خطوطاً أخرى معينة ، واختبارات أخرى لمعرفة مكان صدور الصوت ونوعه

قلنا إن مونستربرج عالج موضوع اللياقة المهنية ، ونادى بضرورة اختيار أنسب رجل لكل مهنة . ومن الأمثلة التى يسوقها لتأييد رأيه أن من الناس من هم « عمى الألوان » Colour-blind فلا يستطيعون أن يفرقوا بين اللون الأحمر واللون الأخضر . فهؤلاء لا يصلحون لوظائف إشارات السكة الحديدية ، ولا سياقة السيارات والقاطرات ، إذ لا يخفى ما يحدث من خطر إذا التبس اللونان على السائق ، وكذلك لا يصلحون لمهنة النقاشة التى تحتاج للتمييز بين الألوان فى التصوير والتلوين

وقد أجرى بعض التجارب لمعرفة الصفات العقلية الضرورية لسائق الترام والسيارات ، فوجد بطريق الإحصاء أن بعض السائقين لم يحدث منهم أى خطأ طول مدة سياقتهم ، بينما غيرهم عرضة دائماً للأخطاء بالرغم من حرصهم الشديد . ووجد أن أهم صفات السائق هى حدة الانتباه واستمراره ، وعدم تشتت الفكر بما يحدث فى الطريق أثناء السياقة ، ودقة الحكم فى تقدير حركات الراجلين والسائقين ، وسرعة الرجع وضبط الأعصاب . واخترع آلة بسيطة أمكن بها معرفة خير الأفراد لمهنة السياقة

كذلك أجرى تجارب لمعرفة الصفات الضرورية لربانى السفن الذين قد تودى غلطة واحدة منهم بأرواح الآلاف من الناس . واخترع لعبة مكونة من أربع وعشرين بطاقة استطاع بها أن يعرف الأفراد الصالحين لقيادة السفن

وقد وُكِلَ إليه أن يضع مقاييس لمعرفة أليق العاملات فى مركز التليفون (السنترال) فوضع مجموعة اختبارات للذاكرة والانتباه والذكاء والدقة والسرعة . وأجرى هذه التجارب على فَصْل من العاملات مكون من ثلاثين وهى تتلخص فيما يأتى :

---

(١) أنظر صفحة ٢٧ من كتابه علم النفس والكفاية الصناعية طبعة ١٩١٣

الذاكرة : قراءة عددين مكونين من أربعة أرقام وعددين من خمسة وعددين من ستة وهكذا إلى اثنى عشر ، ثم مطالبة العاملات بكتابة ما يذكرن من هذه الأعداد كل واحدة فى ورقتها

الانتباه : أعطى كل عاملة نسخة من المقالة الأولى فى جريدة يومية ، وحدد لهن زمناً ، وأمرهن أن يعلمن علامة بقلم الرصاص على كل حرف (a) فى هذه المقالة

الذكاء : قرأ على العاملات أربعة وعشرين زوجاً من الكلمات وكان بين كلمتى كل زوج ارتباط منطقى مثل : جوع وأكل ، ونار واحتراق ، وعين ودموع ، وماء وبخار ، وأسود وأبيض الخ ثم ذكر بعد ذلك أربعاً وعشرين كلمة مفردة على أن تقترح العاملة لكل كلمة كلمة أخرى ذات علاقة منطقية بها[1]

(١) سنشرح فى المقالات الآتية كيف تطورت مقاييس الذكاء منذ القرن الماضى حتى الآن

الدقة : تقسيم خطوط مختلفة الطول إلى أنصاف

السرعة فى حركة اليد : أعطى كل عاملة صفحة من أوراق الربعات ، وطلب إلى كل العاملات فى الفصل أن يرسمن فى زمن مخصوص أكثر ما يمكن من أقطار المربعات على أن تكوّن خطوطاً متصلة منكسرة

ثم تبع هذه الاختبارات الجمية باختبارات أخرى فردية لقياس دقة الحركة وسرعتها معا

أما مقدار نجاح هذه الاختبارات فيحدثنا عنه مونستربرج بقوله : « لقد قارنت نتائج هذه الاختبارات بتقارير شركة التليفونات بعد أن مضى على هذه العاملات الثلاثين ثلاثة أشهر فى العمل فوجدت أن نتيجة المقارنة تؤيد تجاربى بصفة عامة[1] »

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) علم النفس والكفاية الصناعية صفحة ١٠٨

من وراء المنظار

دُبّ في الترام ! . . .

أرى الناس في هذه المركبة أبداً مرهقي الأعصاب ، وقل من رأيته فيها مطمئناً هادئاً ، وعلى الأخص في الصباح وعند الظهيرة ؛ وليس الأمر قاصراً على الراكبين ، فقاطع التذاكر عصبي اللفتة عصبي الكلمة عصبي الزمارة ؛ والسائق من فرط يقظته ، أو من فرط توجسه مما يخبئه له القدر ، زائغ البصر ، مذعور الوجه والعينين ؛ يغضب لأى بادرة ، وينفد صبره — إن كان ثمة لديه من صبر — لأقل سبب أو لغير سبب ! ...

وأمر قاطع التذاكر وصاحبه يمكن أن نرده إلى أسبابه في غير مشقة ... ولكنني من أمر الراكبين في حيرة ! أم تضيق صدورهم وتنقبض نفوسهم ، حتى لتقع العين منهم على قوم كأنما يساقون على رغمهم إلى ما لا يحبون ؟ ... أيكون مرد ذلك إلى أنهم في الصباح مقبلون على عبء اليوم من العمل ، فهم متبرمون عابسون ، وأنهم في الظهيرة خارجون من أعمالهم فهم مكدودون ساهمون ؟ أم يكون ذلك لأنهم يستبطئون هذه المركبة وليس لهم عنها منتدح ؟ ...

ومهما يكن من سبب ، فتلك ظاهرة أشاهدها في معظم الوجوه كل يوم ، ولم أخل أنا منها ، ولكنني لا أتبرم من العمل أو يؤودني حمله ، وليصدقني القارئ في ذلك أو فليكذبني إذا شاء فليس هذا ما أردته بهذه الكلمة .

وإنما أردت أن أصور له منظراً رأيته جديراً بأن يغضب الراكبين جميعاً ولو كانوا كلهم هادئين : فهذا شاب من شبابنا المثقفين ، أو ممن يدعون من الوجهة الرسمية « مثقفين » ، انتهت المسافة التي تبلغه إلى نهايتها تذكرته ؛ فطلب إليه قاطع التذاكر أن يدفع أجراً جديداً إذا شاء أن يستمر راكباً ، ولكن صاحبنا أبى ذلك دون أن يبدى أية علة ، ثم استكبر أن يجادل الرجل ؛ فاتجه ببصره إلى الأمام ، ورفع رأسه إلى آخر ما يستطيع حتى كادت تتدلى إلى الخلف ! ...

ونفخ الرجل في زمارته ، فوقف الترام ، وانتزع السائق مفتاحه ، وجاء إلى حيث وقف صاحبه ، ووقف خلف هذا الترام خمسة غيره أو ستة ، وأخرج معظم الراكبين ساعاتهم ، وشاعت في وجوههم أمارات الغضب والقلق والاستنكار ...

وجاء نفر من هؤلاء العمال ، ووقفوا جميعاً ينظرون إلى هذا الذي كان سبباً في هذا التوقف : فرأوا فتى بادي الفتوة ، عبل الساعدين ، عريض المنكبين ، غليظ العنق ؛ ورأوه لا يلتفت إليهم ، بل لا يعبأ بتلك النظرات التي رشقته من كل ناحية من نواحي العربة — وهو في جلسته — شامخ الرأس ، هادئ المحيا كأن لم يجر حوله شيء ! ...

وحار هؤلاء العمال ـ أول الأمر ـ ماذا يصنعون ، وليس فيهم من عابث من قبل دباً أو قرب منه ؟ ! ... ثم استجمع أحدهم قوته وقرب من هذا الدب وهو على أهبة أن يقفز إلى الخلف عند أية بادرة منه : ثم رجا منه أن يدفع الأجر حتى لا يتعطل الناس فرماه الدب بنظرة كانت وحدها كافية لأن ينكمش ويتراجع من فوره ! ...

وازداد الناس ضيقاً وسخطاً وقلقاً ، وبلغ حنقي غايته ... ثم جرؤ أحد الراكبين فاقترب من الدب في هيئة لم يسعني معها إلا أن أضحك على الرغم من غيظي . فقد أخذ هذا الراكب يتلطف ويتظرف ، ويحاول أن يبتسم ، فلا يستطيع من فرط حنقه ... فيرفع شفته العليا من إحدى زاويتيها ، ويكشف عن أسنانه كأنه يبتسم ! ثم ربت على كتف الدب ويقول وهو يلوى عنقه مبالغة منه في التواضع : « ألا ترى أنك بهذا تسبب عطلاً لنا جميعاً ؟ »

. . . وكأن الدب لم يعبأ به لضعفه فلم يزد على أن قال له في هدوء : « أنت حضرتك عاوز تتفلسف ؟ » ... وانكمش الرجل ولم يلتفت بعدها إلى الخلف أبداً ...

وكان في العربة بعض الأجانب ، فتخاطبوا بالأحداق ، وعلقوا على المنظر بالإيماء والابتسام ... وكان قاطع التذاكر المسكين قد ذهب ليحضر الشرطي ، فعاد وهو في صحبته ، وقد بلغ قلق الناس أقصاه ؛ وسمع الشرطي القصة ... فما كان أشد عجب الناس أن يسمعوه يعنف « الكمسارى » ويلومه قائلاً له : « ياعني ياسيدي هم الستة مليم دول اللى حاتزودوها ؟ اطلع يا شيخ بلا عطلة دى محطتين أو تلاتة وينزل » ! !

وكان خزيي أمام الأجانب وخزى الراكبين جميعاً مما فعل الشرطي أعظم مما فعل ذلك الفتى المدل بقوته . ولعله خاف أن يقرب منه كما خاف غيره ، وأمره في ذلك أدهى وأمر ...

وقلت في نفسي : متى تشيع فينا الآداب الاجتماعية ؟ ومتى نحس بالوسط الاجتماعي ؟ ... ورجوت أن ينسى هؤلاء الأجانب هذا الحادث وأشباهه إذا حدثوا قومهم عن مبلغ ما وصلنا إليه من المدنية ، فبهذا تقاس المدنية الحق ، كما رجوت ألا يحكموا على شرطتنا جميعاً بما رأوا من هذا الشرطي . « عين »

أقاصيص

بين الخوارزمي والهمذاني

للأستاذ علي الجندي

— ١ —

من أروع ما وعاه تاريخ الأدب في صفحاته تلك المناظرة الحادة العنيفة بين إمامين من أئمة الأدب، أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني، وقد أسفرت عن هزيمة أولهما هزيمة ساحقة، لم يقو على احتمالها فقضى نحبه بعدها بقليل!

ما ذكرت تلك المصاولة قط إلا غام الحزن على عيني، وملأ شِعاب قلبي، وشعرت للبديع بمقت شديد يكاد يعقل لساني عن الترحّم عليه!

فني الحق أن هذا الرجل بالرغم من وصف الثعالبي[1] له: بحسن العشرة، ونصاعة الظرف، وعظم الخُلُق، وشرف النفس وكرم العهدة، وخلوص الود، وحلاوة الصداقة، قد الثاث نفسه بأمراض تتوارثها الكثرة الكاثرة من الأدباء جيلاً بعد جيل، وتتمثل في تلك الصورة الشوهاء من حدة الغيرة، وفرط الأثرة وحمل الحقد، وحب الانتقام والزراية على النظراء والسعي الجاهد في هدمهم بالحق والباطل، حتى كاد مدلول الأدب لطول ما اتسم أصحابه بهذه المثالب، يرادف في الأذهان نشوز الطبع وانحراف المزاج، وانحلال الخلق، والتمرد على الشرائع المرعية والارتكاس في الخلاعة والمجون، ورحم الله من قال:

ليس الأديب أخا الروا ... ية للنوادر والغريبْ

ولشعر شيخ المحدَثين (م) أبي نواس أو حبيب[2]

بل ذو التفضل والمرو ... ءة والعفاف هو الأديب

ولد أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (بخُوارِزْم)[3] ونشأ بها متأدباً، وإن كان أصله من طبرستان ثم جاب الأقطار من الشام إلى أقصى خراسان في تحصيل العلم والأدب، فبرع في كل فن من فنون العربية، وغزر محصوله من اللغة والشعر

(١) يتيمة الدهر ٤ — ٢٤١ (٢) أبو تمام

(٣) على بحر خوارزم الذي يسمى بحيرة أرال من خصائصها البطيخ الذي كان يحمل إلى المأمون والواثق في قوالب الرصاص معبأة في الثلج فكانت تقوم الواحدة السالمة منه بسبعمائة درهم

حتى كان يحفظ عشرين ألف[1] بيت من شعر النساء خاصة

ورشحه فضله لخدمة الملوك والأمراء والوزراء في الدويلات المتفرعة عن الخلافة العباسية، وكانت خاتمة مطافه، مدينة نيسابور من أعمال خُراسان، فاتخذها دار إقامة، واقتنى بها الدور الفاخرة، واعتقد الضياع المُغِـلّة، وفرغ إلى الكتابة والشعر وتصدّر للتدريس، وظن أنه يستطيع أن يقضي بقية عمره هادئ النفس ناعم البال، في ظل النعمة الفاشية والثراء الواسع والجاه العريض، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد مُنِي بهذا الواغل الدخيل، فنغّص عليه عيشه، وشاب صفو حياته، وساقه إلى الفناء الذريع!

ولم يكن الخوارزمي دون الهمذاني في حوك القصائد، وتحبير الرسائل، وجمع اللغة، وحفظ الأشعار والأخبار، بل ربما كان أوفر منه حظاً في كل ما يتصل بالنقل والرواية؛ ولكن الهمذاني كان يمتاز بحدة القريحة وحضور البديهة وشدة العارضة وسرعة الخاطر وقوة الارتجال، وهي أمضى سلاح يملكه المناظر لقهر خصمه وإفحامه

وما ظنك برجل[2] كان يُنشد القصيدة تبلغ خمسين بيتاً لم يسمع بها قط، فيحفظها كلها ويؤديها لا يخرم منها حرفاً واحداً! ويُقترح عليه إنشاء قصيدة أو رسالة في معنى من المعاني، فيفرغ منها في الوقت والساعة! وينظر في أربع أوراق أو خمس من كتاب نظرةً طائرة فيحفظها ويسردها عن ظهر قلبه! ويُقترح عليه الكتاب فيبتدئُ بآخر سطر منه، وينتهي بأوله ويخرجه كأحسن شيء وأملحه! وتُملَى عليه الأبيات الفارسية فيترجمها شعراً إلى العربية جامعاً بين الإسراع والإبداع! إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التي يحلو لي أن أسميها بشعوذة البيان!

ومع أن هذه الصفات مواهب عظيمة لم يُرزقها كل إنسان ولا ينكر خطرها في ميادين المصاولة الأدبية، إلا أنها لا تصح أن تكون فيصلاً في الحكم على أقدار الرجال وآثارهم. فأبو العتاهية مثلاً وهو رأس شعراء البديهة لا يتسامى إلى منزلة مسلم بن الوليد وأبي تمام وابن الرومي من شعراء الرّوية، والمتنبي — على سنيّ مكانته — تمد مقطوعاته الارتجالية من سقط المتاع، حتى تمنى بعض شارحي ديوانه أنْ لو خلا من هذا السخف والهذر، وعبد المحسن الكاظمي أقوى شعراء العصر طبعاً وأسرعهم

(١) هبة الأيام البديعي (٢) يتيمة الدهر ٤ — ٢٤٠ — ٢٤١

خاطراً ، ولكنه لا يُوزن بشوقي من شعراء الأناة ، بل لا يقاس بحافظ وهو أكثر الشعراء تعباً في نحت القريض وصوغ القوافي

ولم يكن سلاح البديع مقصوراً على هذه المزايا الخارقة التي أوردناها ، بل كان - إلى ذلك - في طراءة عمره وغضارة شبابه وكان الخوارزمي قد علت به السن فتحيفت جسمه وعقله معاً

وأنكى من هذين على الخوارزمي أن جماعة من وجهاء نيسابور لا يخلو من أمثالهم بلد من بلاد الله ، كانوا يكرهونه وينفسون عليه نعمته ، فصاروا عليه إلباً في هذه المحنة ، وشدوا أزر خصمه ، ولا شيء أثلم للعزمة وأقعد بالهمة من خذلان الآل والأقارب !

وهي حال شاذة ممضة أنطقت بالشكاة كثيراً من جلة الفضلاء ! فقال في ذلك قاضي الأندلس وخطيبها المصقع المنذر ابن سعيد :

هذا المقال الذي ماعابه فَنَدُ لكنَّ صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً كنت مُطَّرَفاً لكنني منهمو فاعتالني النكد

وقال الفيلسوف ابن حزم :

أنا الشمس في جو السماء منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع لجدَّ على ماضاع من ذكرى النهب
هنالك تدرى أن للعلم غصّة وأن كساد العلم آفته القرب
فوا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له ، ودنوّ المرء من دارهم عيب

ولنأخذ الآن في إيراد هذه المناظرة ، موفّقين بقدر الإمكان بين الروايات المختلفة ، فنقول :

في سنة ثمانين وثلاثمائة هـ فارق البديع بلده همذان التي نشأ به وتأدب ، إلى حضرة الصاحب بن عباد وزير آل بويه وخليفة ابن العميد ، وهي - إذ ذاك - مرمق العيون ، ومناط الآمال ، ومحطّ الرحال ، فلقي فيها ما يلقاه كل أديب : من كرم الوفادة ، وحسن الرعاية ، وجميل التعاهد

وكان مجلس هذا الوزير العالم الأديب ، آخر مجلس لوزير ضم خيرة العلماء وصفوة الأدباء ، وأعيان المصنفين والمتكلمين ، وهم دائماً في حوار متصل ، وجدال مستحر ، ومذاكرة دائبة لا تهدأ ولا تفتر ، فكان لذلك أثره البالغ في صقل مواهب البديع ، وفتق جنانه ، وتزويده بمعارف جديدة واسعة ، وهو في مقتبل الشبيبة وميعة الحداثة

وكان الظن بمثله أن يضن بمفارقة هذا الروض الونق والجناب الخصيب ، ولكنا رأيناه في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة يشخص إلى خراسان ، وبعد جولة قصيرة في ربوعها يرد نيسابور[1] وقد سلبه قطاع الطريق ما يملكه من مال ومتاع !

ونيسابور هذه مدينة مقرورة بهرأ بردها الأجسام ، ويُوسم أهلها[2] بالجفاء والشغب والضعف والخبث وكراهة الغرباء ! وفيها يقول السمعاني :

لا قدس الله نيسابور من بلد مافيه من صاحب يُسلى ولا سكن

ويقول فيها المرادي :

لا تنزلن بنيسابور مغترباً إلا وحبلك موصول بإنسان
أولا ، فلا أدب يغني ولا حسب يجدى ولا حرمة ترعى لإنسان

ويقول أيضاً :

قال المرادىُّ قولاً غيرَ مُتَّهم والنصحُ - ما كان من ذي اللب - مقبولُ
لا تنزلنّ بنيسابور مغترباً إن الغريب بنيسابور مخذول

فما هو سر اختيار البديع لها بالذات ؟ وقد كان له في غيرها مَراد ومسرح . أهو حب التنقل والضرب في البلاد ، للدراسة والاطلاع ، واستفادة العلم والمال ؟ وهو الطابع الغالب على علماء هذه العصور وأدبائها ؟ أم هو القصد إلى مناضلة الخوارزمي وانتزاع صولجان الشهرة منه ، حتى يقال عنه : إنه غزا النسر في وكره واقتحم على الليث عرينه ؟

على أن بعض المؤرخين[3] يسوق لهذه الرحلة علة طريفة نذكرها للتفكهة : وهي أن البديع كان في مجلس الصاحب يوماً فخرج منه ما يخرج من غير المتمكن في قعدته ؛ وكان خيراً له أن يعوذ بالصمت ، ولكنه أراد أن يموّه على الصاحب فقال : هذا صرير التخت ! فقال الصاحب أخشى أن يكون صرير التحت !

فخجل البديع خجلاً شديداً حمله على مفارقة حضرته والخروج إلى خراسان !

ويلذ لنا أن نقول - بهذه المناسبة - : إن مجلس الصاحب - على رفعة شأنه - كثيراً ما كان مهبًّا لهذه الزعازع ! وكان الصاحب لا يمنعه وقاره أن يعقب على ذلك بالنكتة البارعة والتورية اللطيفة

---

(١) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان عرفت بالفيروزج النفيس والثياب الرقاق ، وقد خربها التتار في غارتهم ولم تعمر ثانياً

(٢) نهاية الأرب في خصائص البلدان ج ١

(٣) معجم الأدباء ٢ — ١٨٤

فمن ذلك أن الصاحب أخذته ليلة سِنَةٌ من النوم، وبين يديه جماعة من الأدباء شرع أحدهم فى قراءة (الصافات) واتفق أن نام أيضاً بعض الحضور، فأحدث صوتاً منكراً أيقظ الصاحب من نومه! فقال — يخاطب سُمَّاره — : يا أصحابنا، نمنا على (والصافات) وانتبهنا على (والمرسلات)

وأظرف من ذلك: أن الفقيه ابن الخضيرى كان يحضر مجلسه بالليالى، فغلبته عينه مرة، فخرج منه شىء فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عنى:

يا ابن الخضيرىّ لا تذهبْ على خجَلِ
لحادث كانَ قبل النَّاى والعود
فإنها الريح لا تستطيع تحبسها
إذ لست أنت سليمان بن داود

وكيفما كانت الأسباب التى حفزت البديع إلى انتجاع نيسابور فقد بدأت المناوشة بين الرجلين بكتاب أرسله الهمذانى إلى الخوارزمى، صدَّره بهذا الكلام المعسول: إنا لقرب[1] دار الأستاذ — أطال الله بقاءه — كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح إلى لقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ثم ختم كتابه بأن طلب منه إرسال غلامه لينفض له جلة حاله

والتقيا بعد ذلك على موعد مضروب فى دار الخوارزمى، وما نشك فى أنه أكرم مثواه، وأحاطه بألوان البر والرعاية، ولكن البديع كان مدخول النية مطوىّ الجوانح على الضغينة! فخرج من دار مُضيفه غير حامِد لقياه، وأرسل إليه كتاباً حشوُه عتاب مرٌّ، يذكر فيه: أن الخوارزمى استزراه لغربته، واقتحمته عينه لرثاثة ملبسه، وأنه تكلف القيام له والسلام عليه، وأنه كان يكلمه بنصف طرفه، ويشير إليه بشطر أنفه، وأن أهل بلده همذان فى الذؤابة من الشرف والسيادة، وفى الصميم من الجود والسماحة، ولو قد حل الخوارزمى بينهم لخبئوه فى سواد العيون والقلوب!

وقد رد عليه الخوارزمى رداً جيلاً يستلّ السخائم، ويطفىء الأحقاد، ولكن موقف البديع منه أشبه بموقف الروسيا من فنلندا: إدلاء بالباطل وتورُّط فى الضلال، وتجن للذنوب، وتصيد للمثالب، ومن كان هذا شأنه فإرضاؤه محال!

[1] الوافى بالوفيات ١٢٨

وهكذا أخذت تتردد الرسائل بينهما وهى تزداد عنفاً وحدة، حتى انتهى الأمر إلى الخصومة الصريحة! التى كان يعمل لها البديع ومَنْ وراءه كل وسيلة!

وكان يمكن إطفاء هذه الثائرة لولا أن خصوم الخوارزمى الذين سبقت الإشارة إليهم انتهزوها فرصة للنكاية به، فأذكوا العداوة وأرَّثوا النار!

وكان أن أرسل نقيب الأشراف إلى الخوارزمى يستدعيه إلى داره ليجمع بينه وبين البديع، فترفع عن المجىء لأنه كان يعرف ما دُبِّر له، فأحرجه النقيب بإرسال دابته إليه، وشفع ذلك البديع برسالة يستفزه بها! فلم يرَ الرجل بداً من الحضور يحف به تلاميذه البررة فالتقى الخصمان فى بيت النقيب وجهاً لوجه وقد حُشِرَ الناس ليروا لمن تكون الغلبة!

(يتبع) على الجندى

منقذ الآف الأحياء

إن نحواً من العشرين ألف شخص يتقنون الآن وكل سنة فى ايطاليا بفضل أنجلو تشالى الاختصاصى الشهير للملاريا.

فبعد الاكتشاف الذي توصل إليه روس حوالى سنة ١٩٠٠ فى الهند الانجليزية وكراسى فى ايطاليا هذا الاكتشاف الذى سمح بمعرفة الدور الذى تقوم به طفيلية الملاريا فان كراسى هو أول من توصل إلى استنتاجات عملية. فالملاريا كانت تسبب فى بلاده ٢٠٠٠٠٠ وفاة كل سنة وكان عدد الاصابات بالمرض يفوق بكثير فان كراسى كرس حياته ساعيا لتغيير هذه الحالة فظن أولا انه يستطيع أن يتوصل إلى نتائج جيدة بالتجائه إلى وسائل ميكانيكية بحته مثل حواجز مشبكة وناموسية وتجفيف لكنه ما لبث أن عرف ان هذا غير كاف وتوصل حينئذ إلى استعمال الكينا كدواء واق فكل الناس الساكنين فى منطقة عمت فيها الحميات والملاريا رأوا أنفسهم فى مناعة من عدوي هذا المرض باخذ الكينا بانتظام.

إن تشالى الذى كان عضواً فى البرلمان هو الدافع إلى التشريع الايطالى الشهير بخصوص الملاريا وهو التشريع الذى يمكن أن يكون مثلا لعدد كبير من البلدان الأخرى فمنذ سنة ١٩٠٤ يلزم هذا القانون كبار الملاك والمديرين أن يوزعوا الكينا مجانا على سبيل الوقاية والشفاء فقبل الحرب الكبرى كان يوزع هكذا كل سنة فى ايطاليا ٥٣٠٠٠ كيلو جرام كينا.

ثم أعلنت الحرب سنة ١٩١٤ وكان ان مات تشالى بعد أن رأى الوفيات بالملاريا ينقص عن ٩٠ بالمائة بفضل تدابيره.

فالأسلوب الذى أشار به تشالى لمحاربة الملاريا باستعمال الكينا قد استعملته لجنة الملاريا بجمعية الأمم وأوصت بأخذ ٤٠٠ مليجرام يوميا من الكينا على سبيل الوقاية طول مدة موسم الحميات حيث يخاف الناس من العدوي. وإذا أصيب الانسان بالمرض فيجب أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتيجرام من الكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا لزوم فى هذه الحالة للمعالجة التكميلية فلجنة الملاريا تصف على الأخص استعمال الكينا بأن هذا العلاج لا ضرر منه حتى بين أيدى من يجهلون استعماله.

التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثــل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف



عول مازينى على استغلال هـذا الحـــادث ليلفت الأنظار إلى حركته وأخـــذ ينشر الأحاديث عما يجب أن تسلكه الحكومة البريطانيــة تجــاه الحركات القوميــة فى القارة ؛ وتزايد عدد محبيه فى العاصمة الإنجليزية ، وسعى كثير من ذوى المكانة والرأى إلى رؤيته ؛ وكان الإنجليز يعجبون برأى هذا الزعيم الغريب فى ملابسه السوداء ورونه بمظهره وبما يرتسم على وجهه من سمات الصبر والعزيمة ، ومن أمارات التعب وأثر الفاقة أقرب إلى القديسين منه إلى رجال السياسة .

وكان مازينى فضلاً عن اهتمامه بمسألة إيطاليا لا يفتأ يتصل بكثير من ذوى الأفكار الحرة فى أنحاء القارة ، يريد بذلك أن يزيد شعور القومية والحرية فى أوربا نماء وانتشاراً ، ليكون من حياته حرباً متصلة على الرجعية والاستبداد القائم ؛ ولذلك يعد مازينى إلى جانب كونه زعيم إيطاليا من أكبر المؤثرين فى نمو الحركات القومية فى القرن التاسع عشر . وظل مازينى يشكو العسر وما يجره العسر من إبطاء فى السير نحو هدفه ، وكان يفكر فى بعث حركة ثورية جديدة فى إيطاليا يقودها بنفسه . فأوحى إلى بعض صديقاته من الإنجليز أن يقمن سوقاً إيطالية خيرية بدعوى جمع المال لمدرسته وكان يريد من وراء ذلك جمع مبلغ أهلى يسعى به إلى الوصول إلى غرضه، وافتتحت تلك السوق عام ١٨٤٧، ولـكن ما جمه من المال من ذلك المبلغ الأهلى الذى منى به نفسه لم يزد على مائة من الجنيهات !

وكانت الأنباء التى تأتيه من إيطاليا فى ذلك العام تزيده غضباً ونكداً ؛ فلقد اشتدت فيها دعوة المتدلين ، وكان هؤلاء المتدلون فريقين : فريق الملكيين الداعين إلى الالتفاف حول شارل ألبرت ملك بيـدمنت ، وانتظار ما عسى أن تأتى به الأيام ؛ وفريق الاتحاديين المنادين بقاء إيطاليا وحدات مستقلة بعضها عن بعض فى شؤونها الداخلية مع ارتباطها فى شؤونها القومية بإقامة اتحاد عام من ممثلين للولايات ؛ وكان هؤلاء الاتحاديون يدعون إلى الالتفاف حول البابا ليكون زعيم الاتحاد المطلوب ، وكان زعيمهم فى ذلك جيوبرتى .

وكان مازينى ينكر دعوة هؤلاء وهؤلاء ، فلم يكن يرضى إلا بأن تتحد إيطاليا جميعاً فتصبح شعباً واحداً وقطراً واحداً يخضع لحكومة واحدة جمهورية لا ملكية ، حكومة مستقلة عن نير الأجنبى ونفوذه ، تستمد سلطانها من الشعب ، وتعمل لصالح الشعب؛ على أنه فى سبيل الحرص على مبدأ الوحدة قد صرح ذات يوم أنه يقبل أى شكل من أشكال الحكومة ما دامت تقوم على أساس وحدة البلاد . وكان قد استوى على كرسى البابوية عام ١٨٤٦ بيوس التاسع ، وكان معروفاً بعدائه للنمسا وبآرائه الحرة ورغبته فى الإصلاح ، فسرعان ما اتجهت الأنظار إليـه فى إيطاليا حتى خيل إلى الناس أن دعوة جيوبرتى وأشياعه هى الفائزة بين الدعوات ؛ وخطا البابا بعض خطوات حرة كاصدار العفو العام عن جميع المجرمين السياسيين مما أزعج له كبير الرجعيين مترنخ أشد انزعاج قائلاً : « لقد كنا على أهبة للقاء أى نبأ إلا أن نعلم نبأ ظهور بابا حر ، أما وقد ظهر هذا البابا ، فلا حد لما سنراه فى المستقبل » .

وسرعان ما تحركت الولايات تطلب الإصلاح على نحو ما يصلح البابا فى ولايته ، ففى الصقليتين أرغم هياج الشعب الملك على إعلان الدستور ، وفى نابلى عجل الملك فأعلنه قبل الهياج ، وسرت العدوى إلى ولايات البابا فأعلن فيها كذلك ، وكذلك أعلن فى تسكانيا ؛ ومالبث أن خطا شارل ألبرت هذه الخطوة فى بيدمنت ، فأعلن الحكم الدستورى على نحو ما حدث فى تلك الولايات ، وهكذا تشيع المبادئ الدستورية فى طول إيطاليا وعرضها .

وانبعثت الثورة فى فرنسا فطاحت بالملكية هناك وأعلن الأحرار فيها قيام حكومة جمهورية ؛ ولم يقف الأمر عند فرنسا ،

بل لقد امتدت العاصفة إلى النمسا نفسها فزلزلت الحكومة فيها زلزالاً شديداً وأخذت مترنح أخذاً أليماً فأسقطته من مركزه العتيد بعد طول تربعه فيه وانبعاث سلطانه منه . وهب الناس على أثر ذلك فى لمبارديا ينضون عن أعناقهم نير النمسا ، فلم يمض أسبوع حتى طردت الحاميات النمساوية هناك ، ثم بادر ملك بيدمنت شارل ألبرت فأعلن الحرب على النمسا وتبعه أمير تسكانيا وسرعان ما أتى الناس من كل حدب ينسلون ، كأنهم شعب السيل وساروا أخلاطاً من كل طبقة ومن كل حرفة عالمهم بين جاهلهم وشيخهم بين فتيانهم إلى حيث يلتقون تحت راية بيدمنت، ولم يبق فى إيطاليا ولاية لم تأخذ بقسط فى هذه الحرب حتى لقد خيل إلى الناس أن حلم مازينى قد تحقق ، فها هو ذا علم إيطاليا يخفق على رؤوس الإيطاليين من كل حزب ومن كل ولاية

وكان الزعيم المجاهد يومئذ فى باريس يؤلف قلوب المنفيين من بنى قومه هناك على مبادئه ، فما أن جاءه نبأ ما حدث فى إيطاليا حتى هرع إليها وإنه ليكاد من فرط فرحه أن يطير ومن فرط حماسته أن يشتعل ؛ ونزل الزعيم فى ميلان إذ لم يكن يستطيع بناء على حكم الإعدام الذى حكم به عليه عام ١٨٣٣ أن يذهب إلى بيدمنت أو إلى جنوة ؛ وعرفه رجال الجمارك من صوره التى رأوها من قبل فكانوا يحيونه فى حماسة بالغة ويسمعونه من عبارات الوطنية ، واستقبله أهل ميلان استقبالاً رائعاً ومشى والزحام من حوله إلى الفندق الذى اختاره لإقامته

وراح الزعيم القائد يعقد الآمال على فوز هذه الحركة ، وكأنما حل اليوم الموعود فتمت رسالته بعد جهاد طويل لاقى فيه ما لاقى من أنواع العذاب وصنوف البؤس والشقاء ... ووقف مازينى أول الأمر من الحرب موقف السياسى الرشيد ، فوجه همه إلى نصرة بنى قومه وترك الخلاف على الجمهورية والملكية جانباً فإن هذا أمر يمكن النظر فيه بعد النصر ، وأخذ الزعيم يحث الرجال إلى التطوع لنصرة قضيتهم المشتركة لا يتوانى عن ذلك ولا يكل

ولكنه ما لبث أن حاد عن هذا الطريق الخليق به وأخذ يذيع مبادئه الجمهورية على أساس الوحدة رادا بذلك على الملكيين ودعاة الاتحاد ؛ وكان عمله هذا وا أسفاه مما يعرقل سير الحرب فإن من شأن هذا الخلاف أن يشيع فى الجند وأن يتسرب إلى المتطوعين ؛ وكان الزعيم يعتذر عن فعلته بأن مخالفيه فى الرأى هم الذين بدأوا بإثارة الخلاف ، ولكن عذره هذا سقيم لا يقبل ممن كانت له مثل مكانته ومثل ماضيه فى الجهاد ... ولعل مسلك مازينى يومئذ كان أكبر أخطاء حياته جميعاً

وكتب إليه شارل ألبرت يدعوه أن يحث أتباعه الجمهوريين فى شمال إيطاليا على الانضمام إلى القائلين هناك بالاندماج فى بيدمنت وكانت قد بدأت تظهر لهؤلاء حركة قوية نحو هذا الغرض ؛ وذكر الملك فى خطابه إلى الزعيم الكبير أنه مستعد للقائه إذا قبل ذلك وعرض عليه أن يكون وزيره الأول وأن يكون له ما شاء من الرأى فى وضع دستور تحكم به المملكة على أساس ديمقراطى ورد مازينى بأنه لن يرضى بغير الوحدة للإيطاليين جميعاً وما به حاجة إلى السلطة ولا نزوع إلى الجاه ونعيم الحياة لأن هذه أمور تصغر أمام غرضه الأسمى الذى تحمل فى سبيله ما سلف من مصائب الحياة ... ولم يرد الملك على الزعيم بعد ذلك فقد يئس من ضمه إليه

ولا ريب أن إصرار مازينى على مبادئه وعدم التساهل فيها خلة من أبرز خلال الزعماء ، بل هى عندى أكبر هاتيك الخلال وأهمها ، وماذا يبقى للزعيم من زعامته إذا هو تهاون فيما يرى أنه الحق وفيما جاهد فيه جهاده ؟

وما لبثت أن تجمعت عوامل الهزيمة فأحاطت بجيش الإيطاليين فإن البابا بيوس التاسع ما لبث أن أعلن استنكاره رفع الحسام فى وجه النمسا وهى من أكبر الدول الكاثوليكية ؛ وقد أدى هذا إلى أن يسحب ملك بيدمنت جنوده من الميدان ؛ كما أن الخلاف بين الزعماء قد فت فى عضد المتطوعين فتخاذلوا ثم قعدوا وتركت بيدمنت وحدها تحارب جيوش النمسا . وما لبث شارل أن انهزم فى كستوزا ، فتراجع إلى ميلان وتبعته جنود النمسا إليها فسقطت فى أيديهم بعد قتال شديد وانسحب منها شارل وجنوده

وخرج مازينى من ميلان قبل أن يصل إليها جيش النمسا ؛ وذهب يبحث عن المتطوعين من رجال غاريبلدى ، وكان هذا المجاهد البطل قد أخذ بقسط من هذا الجهاد القائم ، ولكن حماسة المتطوعين لم تغن عنهم شيئاً أمام تفوق النمسا فى العدة والعدد فتفرقوا كما تفرق الجيش الرسمى، وتم للنمسا النصر على شمالى إيطاليا ، ولحقت بالمجاهدين خيبة أخرى وكانوا من النصر على قاب قوسين . وحار مازينى ماذا يفعل وقد هده الإعياء وأحزنته الخيبة ؛ ولكنه فكر فى الذهاب إلى الولايات الوسطى ليدعو هناك إلى مبادئه الجمهورية على أساس الوحدة عسى أن يجد فى القلوب بقية من العزم أو أثراً من الرجاء ، وندم مازينى أشد الندم على أن لم

يذهب إلى تلك الولايات الوسطى منذ قيام الحرب ليدعو أهلها إلى الجهاد القوى فتكون منهم قوة إلى جانب قوة الحرب الرسمية

وكان البابا قد فر من أملاكه واعتصم بملك نابلى، فأمل مازينى أن ينشئ من أملاك البابا ومن ولاية تسكانيا وحدة على أساس جمهورى ، وقد كاتب مازينى بعض الأحرار منذ أن فر البابا يدعوهم إلى ذلك ، وبعد ذلك بنحو شهرين اتخذ طريقه إلى روما فبلغها فى شهر مارس عام ١٨٤٩ وكان ذوو الرأى من أهلها قد اجتمعوا فى مجلس وأعلنوا أن مازينى من مواطنى روما كما نادوا بالحكم الجمهورى وطلبوا من الزعيم أن يحضر إليهم

وقد استقبل مازينى استقبالاً عظيما فى جمهورن وهو فى طريقه إلى روما، ولاقى فى روما من روعة الحفاوة به والتحمس لمبادئه ما أنساه مرارة العيش فيما مر به من الأيام

واختاره أهل روما ومعه سافى وأرمللينى نواباً عن الجمهورية فتكونت منهم حكومة ثلاثية، وجمعت أزمة الحكم فى الحقيقة فى يد مازينى فأخذ يتأهب لتحقيق مبادئه وسرعان ما أعد للجهاد عشرة آلاف من المجاهدين

وعاش الرئيس الجديد عيشة فى غاية البساطة ؛ فكان يخفض جناحه للناس جميعاً ، وكان لا يضع بينه وبين أحد حجاباً فبابه مفتوح لجميع من يريدون مقابلته لا فرق بين كبير وصغير ؛ وهو فى الحكم كما هو فى حياته الشخصية مثال للنبل والنزاهة واللطف ، أكبر همه أن يعتنق الناس مبادئه فيجعلوا وحدة إيطاليا قبلتهم التى لا يرضون غيرها

وكان يحرص مازينى أشد الحرص أن تكون جمهوريته مثالاً يحتذى ، وأن تكون فى أسلوبها وروحها خير داعية إلى مبادئه ، لذلك ضرب للناس أحسن الأمثلة فى التسامح والعدالة وحب الخير للأهلين جميعاً ؛ وكذلك رأى الناس من نشاطه وإقباله على عمله ما زادهم تعلقاً بشخصه وإيماناً بمبادئه .

ولكن هذه الجمهورية لم يقدر لها أن تعيش إذ ما لبثت أن جاءتها الضربة القاضية على يد دولة ما كانت ترجو منها الجمهورية الوليدة إلا العون ، دولة طالما ترنم أهلها بالحرية وأشعلوا نيران الثورات فى سبيل الحرية والديمقراطية ، وأعلنوا أنهم أبداً على أهبة لتعضيد كل شعب يعمل على نيل حريته ، وما كانت تلك الدولة إلا فرنسا التى قضت فى أمسها القريب على الملكية ، وأحلت محلها الجمهورية !

لم تتورع فرنسا عن توجيه حملة حربية لإسقاط الجمهورية فى روما وهى بذلك ترتكب إثماً من أكبر آثام السياسة الدولية فى العصور الحديثة ، وكان ذلك الإثم مضاعفاً لصدوره عن فرنسا ذاتها، وإنما تكون الجريمة من أهل الشر جريمة فحسب؛ أما مجيئها على أيدى من يدعون أنهم أنصار الفضيلة ففيه معنى الجريمة ومعنى الفجور وخيبة الآمال جميعاً

وأحاط جيش فرنسا بأسوار روما وحاول مازينى وغاريبلدى ومن انضم إليهما من الأحرار الدفاع عن المدينة ، وكان مازينى يشخص بنفسه إلى مراكز الدفاع ، يأكل أكل الجند وينام نومهم ويبث فيهم روح الفداء ؛ وجاء كثير من الناس من أنحاء إيطاليا للدفاع عن الجمهورية ، ومنهم الملكيون ومنهم الأدباء والكتاب ، ولكن المدينة لم تقو على الحصار ، ولما رأى مازينى أنها واقعة فى أيدى الأعداء لا محالة استقال من منصبه

وصمم غاريبلدى ومعه ثلاثة آلاف من رجاله على المقاومة إلى النهاية ، ودعا مازينى إلى ذلك ، ولكن الزعيم رأى مالا يراه ذلك الجندى المتحمس فذهب إلى مرسيليا ؛ ثم لم يلبث أن انتقل إلى سويسرا ، ولكن الحكومة السويسرية ضاقت بوجوده فى بلادها كما فعلت من قبل وهو فى أولى سنى جهاده، ولذلك اتخذ مازينى سبيله إلى انجلترة وراح يستأنف العيش فيها من جديد . وعاد إلى القلم والقرطاس يكتب ليعيش مما يكسب ولينشر مبادئه مجاهداً بالقلم بعد أن فشل جهاده بالسيف ، وكأنما صارت انجلترة موطنه الثانى ، فلقد استراح إلى العيش فيها وأحبها هذه المرة أكثر مما أحبها من قبل ، وكثر فى المدينة العظيمة أصدقاؤه من الإنجليز ومن الفرنسيين والإيطاليين ، فكانت تخفف صداقة هؤلاء عنه آلام الغربة ومصائب الزمن ، تلك المصائب التى ذاق كبراها عام ١٨٥٢ بموت أمه التى ظلت حتى وفاتها تعطف أشد العطف على حركاته ، وتتألم أشد الألم لما يلاقى فى سبيل بلاده

(البقية فى العدد القادم) الخفيف

بنت القــــرية

للأستاذ محمود الخفيف



أنا بنتُ الشمسِ والفجرُ أبى   شيّع النجمَ وراقبْ مطلعى
كمْ سبقتُ الصبحَ فى طلعتهِ
وسرقتُ السّحرَ منْ غرتهِ
وفى كمْ صاغَ من بسمته

أيُّها السائلُ هـذا نسبى   مثلَ ذا فاطلبْ وإلا فدَعِ
مِنْ جُمانِ الطلِّ عِقْدى انتظما
ولكمْ صُغتُ بِلَيلِى الأنجُما
وأخى البدْرُ روَى لى حُلُما

أينَ مِن رُؤياىَ سحرُ الذهبِ   ومعانى السّحرِ والطُّهرِ معى؟
لستُ أحصى مَنْ هوَوْنى عدَدا
ثمَّ لم أشرِكْ بقَلبى أحدا
لا ولا أرخصتُ حُبّى أبدا

بسمةٌ منهُ قصارَى طَلبى   وهواهُ العفُّ أقصى مطمعى
أنا أغلى عنــــدهُ من ناظرَيْه ،
وهْوَ ؟ ... هل أبخلُ بالرُّوح عليه ؟
إن يَشَأْ جُدْتُ بها بينَ يدَيْه

طيفُ أحلامِى ودُنيا طرَبى   وشذا رُوحى وريَّا أضلُعى
أمَلى ... هل دونه مِن أملِ ؟
وغَــداً ليسَ سِواهُ موئِلى
أىُّ شىء قُربه لم يكُ لى ؟

كلما غازلنى مِن كثَب   لاحَ لى العهدُ الذى لم يُقطعِ
حُبُّهُ لحنِىَ أيامَ الحصادْ
وهُيامِى كلَّ يومٍ فى ازدياد
لا أسمّيهِ ولكنْ فى الفؤاد

شخصُه منذُ زمانِ اللّعبِ   يُنبِتُ الحبَّ بهذا الموضعِ
إنْ جفانِى فى منامى طيفُه
أوْ رنا يوماً لغيْرى طرفُه
أوْ تجــنّى فتوالى خُلْفُه

شاعَ فى جِسْمى بَرْحُ الحبِ   وجفا جَنبِيَ فيه مَضجعى

***

يا ابنــةَ الرِّيفِ هواىَ افتضَحا
فِيكِ كم سَفَّهتُ غِرًّا نصَحا
ما انجَلَى رأيىَ إلا رَجحا

ليتنى قَيْسُكِ هـذا أرَبِى   لستُ بالعابثِ أو بالدَّعى !
تنبتُ الزّهرةُ فوْقَ الجبـــلِ
مثلَما تنبتُ عنـــد الجدولِ
إنْ تفزْ هذى بماء سَلْسَلِ

حسب هاتيك دموع السُّحب   ومن الصبحِ ندىُّ الأدمعِ
زَهرةٌ أنتِ تَرُوعُ الناظِرِينْ
فوقَ خدّيكِ وفى هذا الجبينْ
لمحَةُ الوَرْدِ وطيْفُ الياسَمِينْ

ووَميضٌ كوميضِ الشُّهب   ملء عينيكِ سَنِيُّ الموْقِعِ
إملِكى ... مَنْ يمتلكْ هذا الجمالْ
حازَ ما لنْ يُشتَرَى يوماً بمال
الجلالُ الحقُّ فى هـــذا الجلال

لا تقولى قد تدلّى حسَبى   لن يَضيرَ الشمسَ قربُ المطلع
إيهِ بنتَ الشمسِ أختَ القمرِ
يا خيالى فى ليــالى السَّمَرِ
ونصيبى من غِنــاء الوَتَرِ
بَدِّدى بالسِّحرِ وَهْمَ الحِقَب   وابزغى كالشمس وارقى واسطعى
أسفرى كالصُّبح نوراً وابتساما
واخطرى كالغُصن مَيْساً وقواما
واملأى دُنياك سِحراً وهُياما
أبلغى بالحسن أعلى الرُّتَب   فذُبول الحُسنِ فى أن تقنعى
أينَ فى غيرِ الحِمى هـذا القوام ؟
أعلى حبِّك ذو لُبٍّ يُلام ؟
بعضُ صُنعِ النِّيل هذا الانسجام
أينَ مِن لحظِكِ بنتُ العنبِ   كدتُ من سحرى به ألا أعى !
كمْ سَـقانى الخمرَ فى لفتته
فقضى قلبىَ فى سَكْرَتِهِ
ويحهُ ... كمْ هِمتُ فى فتنته
كم رَوى لى من حديث عجبِ   ثمَّ نادى مُهجتى : لا تهجعى !
صدرُكِ النَّاهدُ يَسبِى الأعيُنا
أبلغُ الفتنةِ والسِّحرِ هُنـا
لم تزلْ للسِّحر مصرُ الموْطِنا
مُنذُ (نفرتيتىَ) لم يقترب   عن ثرى الوادى البهيج الممرعِ
أختُ بطليموسَ سحرُ القيصرَينْ
لمْ ترثْ فتنتَها عنْ أبوَينْ
حسنُها للنِّيل دَيْنٌ أىُّ دَيْن
لسِوَى وادِيهِ لم ينتسبِ   فاتَ مِنْ يونانَ مالمْ يَرجع
يا ابنــةَ النِّيل نميرُ النِّيل غالى
إملأى الجرَّةَ مِنْ هذا الزُّلالِ
حدِّثى الضفَّةَ عنْ خطو الغزال
آهِ كم طفتُ بها من كثبِ   أطفئ الشَّوقَ بقلبٍ مُولعِ
نظــراتٌ بدأتْ فى خافقِ
أبداً لم أعصِ فيهـا خالِقِى
ملؤها كلُّ شُعورٍ صادِقِ
صلواتٌ لم تُحطْ بالرِّيَبِ   فى جنانى للعَلىِّ المبدِعِ
إكشِفى عن هذه السَّاقِ الثيابا
ملكتْ لُبِّى ظهوراً واحتجابا
كيف يسهو من يرى هذا الإهابا ؟
ويحَ خلخالِكِ كم يصنعُ بى   لكِ ما شئتِ فما شئتِ اصنعى
اجتَلى وجهَكِ فى هذا النَّمير
فهْوَ مرآةُ محيَّاكِ النَّضير
واضحكى فى الماء للوجهِ الغرير
كم نفى الكُربةَ عن مكتئبِ   بسناهُ العبقرىِّ الأروعِ
أبهجتنى صِبغةُ اللهِ به
إن زكا الورْدُ فهلْ مِنْ مُشبهِ
للجنىِّ المشتهى من رُطَبِهِ ؟
اخلعى كلَّ طِلاءٍ كذبِ   لكِ مِنْ غاليهِ ما لنْ تخلعى

الخفيف



دراسات فى الفن

يا سارية ، الجبـــــل !

[مع الاجـــلال إلى معالى الدكتور هيكل باشا بمناسبة حديثنا الشفوى عن عمر]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— قرأت اليوم أن عمر ... كان يخطب يوم جمعة فى مسجد المدينة ، وكان للمسلمين جيش فى حرب مع بعض أعدائهم عند سفح جبل على حدود فارس ، وكان على هذا الجيش قائد اسمه « سارية » وحدث أن كان الأعـداء قد بدأوا فى تطويق جيش المسلمين بحيث لم تكن له نجاة إلا أن يلجأ إلى الجبل ، وحدث أن توقف عمر عن الخطابة وصاح : « يا سارية الجبل » ، وحدث أن لجأ سارية إلى الجبل بجيشه ، فنجوا ، فلما عاد سارية إلى المدينة روى أنه سمع هاتفاً يهتف فى أذنه صارخاً : « يا سارية الجبل » فلجأ إليه فنجا ، فقال له الناس إنه صوت عمر ... أليست هذه قصة عجيبة ؟ وهل تصدقها ؟

— ولم لا ؟ أو ما يهتف الآن الإنسان فى لندن فيسمعونه فى طوكيو ؟ هذه كتلك

— ولكنهم الآن يتصل بعضهم ببعض عن طريق التليفون

— بل لقد اختصروا الآن التليفون ، واستغنوا عن أسلاكه وجعلوه « راديو » . الناس ارتقوا

— فليكن . . ولكن الراديو لا يزال أداة يستعين بها الإنسان على التخاطب من بعد ، ولولاها لعجز عنه

— لا بأس . ولكن الإنسان إذا واصل رقيه العلمى واصل اختصار الراديو والتقليل من أدواته حتى يبلغ من الرقى درجة يستغنى بها عن اختراعه هذا واختراعاته كلها ...

وعندئذ يستطيع أن يخاطب طوكيو وهو فى لنـدن من غير أداة ؟

— وأن ينتقل من طوكيو إلى لندن بغير أداة !

— فى كم من الزمن ؟

— هذا يرجع إلى مقدرته على تحويل الزمن !

— تحويل الزمن ؟ وإلى أى شىء يمكن أن يتحول الزمن ؟

— إلى أزمنة وإلى غير ذلك مما يعلم الله . ما يخيل إلينا أنه مستحيل الحدوث ، يمكن حدوثه ، فالله قادر على كل شىء ... أنظرى ... أتصدقين أننى أستطيع أن أمسك هـذه الزجاجة الفارغة وأن أقول فيها بعض كلمات ثم أسدها فإذا الزجاجة مصباح مضىء يلقى النور ؟

— هذه لم يصنعها حاو ، ولا نبى ، فتصنعها أنت ؟

— ولا أنا أصنعها ... ولكنى أسألك أين وجه الاستحالة فيها ؟

— إستحالتها فى أن تتحول الكلمات إلى نور ... هذا هو المحال المتعذر لأن الكلمات حروف والنور أشعة

— وما رأيك فى أن هذه الاستحالة قد ذللت واستطاع أهل السينما الناطقة أن يحولوا الكلمات والحروف والأصوات إلى أشعة ونور ، بل إنهم يخزنون الصوت والضوء فى أشرطة من « الباغة » ... ما رأيك ؟

— هذا مفهوم ومعقول لأنهم يستعينون عليه بالآلات

— أنت لم تقولى فى البدء إن المعضلة معضلة آلات ، وإنما قلت إنها مسألة استحالة طبيعية ، وإنه ليس من شأن الصوت أن يتحول إلى ضوء ... والآن ، وقد رأيت أن الصوت قد تحول إلى ضوء ، قلت إن ذلك تيسر بالآلات ... وأنا أقول لك إن لكل شيخ طريقة وأدوات ، فمن الناس من يستعينون بالحديد وبالمناطيس والكهرباء يستعيرونها من الخارج ، ومنهم

من له عزم هو الحديد ، ونزوع هو المغناطيس ، وروح مؤمنة صافية هي الكهرباء ؛ وقد كان عمر من هؤلاء ، وقد اكتفى بهذا فانطوى له الزمان وانطوى له المكان ، وهتف في المدينة فسمعه سارية وهو على حدود فارس ... وإذا كنا نحن نعيش في هذه الحضارة صما بكماً عمياً فليس لنا أن نلزم السامعين الناطقين المبصرين بأن يكونوا مثلنا فلا يسمعون ولا يتكلمون ولا يرون إلا بالآلات والأدوات ... أنا ولله الحمد نظرى كامل وإن كان سمعى ناقصاً ، أفإذا رأيت النملة في السقف أنكرت أنت على أن أراها بغير منظار معظم ، فإذا سمعت أنت دبيبها أنكرت أنا عليك أن تسمعه بغير مكبر الأصوات ؟ ليس هـذا من حقى ولا من حقك ، ولا من حق جيل الحديد والزلط الذى يريد أن ينكر على عمر إلقاء الأمر إلى سارية من المدينة وسارية على حدود فارس.

وإن نسبة التقى بين عمر البشر وأستاذه الهادى الأمى محمد النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ، لتساوى فيما أرى النسبة بين هذه التى حدثت من عمر وبين تلك التى كانت من النبى إذ أسرى الله به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

— آمنت بالله ورسوله ... إذن فقد انتقل النبى بجسمه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...

— انتقل بروحه وبجسمه وبكيانه كاملاً غير منقوص ، وليس هذا من الله عجباً ، وهو يرويه في القرآن ، والقرآن كتابه ، وإن كنت تنكرين فاجمعى الإنس والجن وائتوا بسورة من مثله

— وأنى لى أن أجمع الجن ... هل تعرفهم أنت وهل تستطيع جمعهم ؟

— إنى لا أستطيع جمعهم لأنى أضعف من ذلك ...

— ولكنك تعرفهم ؟ ولعلك أيضاً تعرف الملائكة ؟

— لم يقل لى أحد ما الملائكة ، وإن كان أستاذى النائم عبد السلام شهاب قد عرفنى بالجن ...

— ما هذا الاسم العجيب ؟ لم أره يكتب لا في الهلال ولا في المقتطف، ولا في الرسالة ، ولا في السياسة، ولا في الثقافة ... فأين تقرأ له

— إنى لا أقرأ له ولكنى أسمع منه ، وهو يكتفى بأن يقول لى وأن أكتب أنا ، وقد قال لى إن الجن ناس ، وأسمعنى مرة إياهم وأرانى مرة بعضهم . ولم يزد على هذا

— وكيف يمكن هذا ؟ أو أن له استعداداً خاصا ؟

— له ، وهو مثل كل استعداد غيره يهبه الله لمن يشاء من عباده فيمكنهم به من القيام بما يعجز عنه غيرهم ... وهو كذلك الاستعداد الذى يستطيع به الفنان أن يلمح طبع الخير في بعض الناس وطبع الشر في بعضهم من غير أن يحتك بهم ... وهو كذلك الاستعداد الذى يلمح به المهندس العلاقات بين النقط والمستقيمات والمنحنيات فيصل بعضها ببعض ويفرق بعضها عن بعض ويبنى على ذلك ما يشاء وما لا يوفق إليه غيره ... ولقد سمعتهم يطبلون طبلاً رهيباً في ليلة هادئة ... وهؤلاء لم أرهم ... أما الذى رأيته فواحد كان يسير في ليلة مظلمة في طريق قفر ضيق وراء بيت « عبد الرازق » في عابدين

— ألم يقل لك « يخ » ؟

— لا ... وإنما كان يهرول إلى جانب الجدران وقد انشغل كل الانشغال عن الدنيا وكل ما فيها بما لا يمكن أن يكون إلا تسبيحاً ؛ فلما قرأ عليه الذى كنت معه السلام رد السلام في خفوت وسرعة ركبت فيها حروف السلام بعضها بعضاً ...

— إذا كان هذا هو كل ما سمعته ورأيته فإنى أستطيع أن أقول إن الذين سمعتهم يطبلون الطبل الرهيب بشر ، وإن الذى رأيتماه وحياه صاحبك بشر أيضاً ...

— وعلى الرغم من أنه كان معنا ثالث لم يرشيئاً مما رأيناه ... ولم يسمع ، فأنا لا أقول غير ما تقولين

— إذن فلا جن ولا عفاريت

— إنكارك هذا راجع إلى أنك تتصورين الجن من غير الناس بينما هم ناس . وكل ما في الأمر ، عندى ، أنهم يختلفون عن الإنس بأنهم جنوا بمحجوب ، لكل منهم محجوب . وهم ينطلقون إلى هؤلاء بإحساسهم وتفكيرهم وأخلاقهم وأجسامهم وكل كيانهم ولم يعودوا بعد ذلك يأنسون بغيرهم من الناس ، وقد يسندنى في هـذا أن العرب رووا أقاصيص كثيرة عن الجن وأنهم كانوا يظهرون للناس ويحادثونهم ويباشرونهم أحياناً ، والقرآن الذى نزل بلغة العرب ذكر الجن بلغة العرب وعنى الجن الذين يعرفهم العرب . . . زيدى على ذلك أن بعض أئمة المسلمين أباحوا للمسلمين التزوج من الجن المسلمين وأهل الكتاب ، ومعنى هذا أن الجن ناس يكونون جناً أحياناً ، ويكونون إنساً أحياناً . أو يلزمون حالة الجنة إذا استغرقوا فيها .

— إذا كان هذا ممكناً فإنه ممكن أيضاً أن يتحول الإنسان إلى جن ... أليس كذلك ؟

— كل شيء ممكن . فقد كان إبليس ملكا وتحول إلى جن بعد أن فسق عن أمر ربه ، والملك الذى أرسله الله لمريم يبشرها بعيسى تمثل لها بشراً سويا . وسئل النبى (ص) كيف يرى جبريل فقال : إنه يراه أحياناً فى صورة دحية الكلبى ، على ما أذكر ، وهو إنسان . وتفسير قول النبى يحتمل فرضين : فإما أن يكون النبى فى الخلوة فيحضره جبريل فى صورة دحية ، وإما أن يكون مع دحية على انفراد أو بين ناس فيستشف النبى فى قرارة دحية ... جبريل ... وأنا أميل إلى الأخذ بالفرض الثانى ، ولا أمنع الفرض الأول ... وأعلل الرأى الذى أميل إليه بأن حالات من التق والرحمة والصفاء تحل ببعض الناس ، فإذا هم ينقون من نوازع الدنيا ويسمون إلى دعاء الله فهم عندئذ ملائكة ... يبشرون بالخير والهدى لا يراهم إلا من فتح الله عليه ، وهم أنفسهم لا يهدون وإن كانوا يلهمون الهدى لمن قسم له الله أن يُلهم وأن يُهدى بنظرة منهم أو إشارة أو كلمة أو سكتة أو حركة

— ولكن هذا الذى تقول ليس فى شيء من كتب الدين .

— وليس فى كتب الدين حديث عن الألغام المنطسة ، وليس فى كتب الدين ذكر التلفزيون . ولا تنس أن كثيراً من كتب الدين أحرق بعد سقوط بغداد ، وأن ديننا إسلام وتفكير وتدبر ، وللمجتهد المخفق فيه ثواب ، وللمصيب ثوابان ، والله يعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسه ... وإنى سألته التوفيق فلا تقف فى طريقى ، أو فدى لى يد العون يكن لك عند الله الجزاء ... أو تعرفين أنت الملائك والجن ؟

— لا ، وإنما أرى وصفك الملائك كأنه الشعر ، وأرى وصفك الجن يمكن أن يطبق على ناس كثيرين جداً هم الذين ينصرفون بكيانهم كله إلى هدف ما ، ومن هؤلاء من هم خيرون ، ومنهم من هم أشرار

— إنى لا أستطيع أن أدافع عن رأيى فى الملائك بأكثر مما قلت إلا أن أزيد أنى أراك كالملائكة أحياناً ...

— إذن فرأيك صحيح ...

— وأما الجن ، فلا تتصورى أن وصنى إيام يمكن أن يطبق على ناس كثيرين جداً كما تقولين ، فليس من اليسور للكثيرين أن ينصرفوا بكيانهم كله إلى محبوب واحد يجنون به ، ويستولى على جامهم ... وإنما أغلب الناس بل جلهم يتشتتون وتتوزع اتجاهاتهم ورغباتهم وأهواؤهم ، وينزعون إلى الائتناس بغيرهم كلما استوحشت أنفسهم أهواءهم ورغباتهم واتجاهاتهم

— ومع هذا القيد فإنى لا زلت أستطيع أن أعتبر الإنسان العبقرى المنصرف إلى فنه من الجن ...

— إذا كان لا يأنس بغير فنه ، وإذا كان لا يستوحش فنه مطلقاً ، وإذا كان لا يشغله غير الفن شاغل ... وكلما قل فيه هذا كان أقرب إلى الناس

— واتباعاً لما تقول أيضاً نستطيع أن نعتبر الإنسان الشرير المستغرق فى الشر جناً ...

— إذا كان لا يأنس بغير الشر ، وإذا كان لا يستوحش الشر مطلقاً ، وإذا كان لا يشغله شاغل غير الشر إذا ترك لنفسه يختار الشاغل ، فهو إذا قابل الناس ابتدرهم بالأذى ، وهو إذا غفلت عنه الدنيا أحرقها بناره . إنه الجن الشرير غير المسلم

— ولكن الذين يمنون بهذه الأحاديث يروون عن الجن أنهم قادرون على الاختفاء ، فكيف تملك هذا الاختفاء ...

— قلت لك إنها قدرة يعطيها الله لمن يشاء فيطوى بها المكان ويطوى بها الزمن ، يقابلها فى الناحية الأخرى عجز عن الملاحظة

— لقد سكت عنك حين نسبت هذه الخوارق للانسان الراق ولكنى لا أظن أنه يحسن السكوت عنك إذا نسبتها أيضاً للانسان الشرير الذى يؤذى الناس

— إن هذا الشرير الذى يؤذى الناس إنما ينزل بالناس قضاء الله الذى هم أهله ، وإن لله حكمة فى كل ما ترين من تصرفات عباده ألم يقتل الخضر طفلاً لحكمة ؟

— كان الخضر شريفاً ... وقوة كقوته إذا أعطيت لشرير كان فيها تشريف للشر

— ليس التشريف فى القوة ، وإنما هو فى استعمالها ... كل الناس فيهم القوة التى تمكنهم من الارتقاء والتحول ، أو فيهم نواتها ، ومع هذا فأقلهم الذين يريدون أن يرقوا وأن يتحولوا ...

— وهل تريد أنت أن تتحول ؟ ... أظنك تريد أن تكون ملكاً ؟

— لا ... إنى أريد حقاً أن أرق ، ولكنى أريد أن أظل إنساناً فقد فضل الله الناس على خلقه جميعاً ... ذلك أن الملك منصرف إلى الله يعبده فقط ، والإنسان يستطيع أن يعبد الله وأن يتأمل خلقه أيضاً ، وأن يفكر فيه ، وأن يتدبر حكمة الله ، وأن يتحدث بنعمته ، وأن ينشئ بعد ذلك من فنه عبادة ترضى الله وهى غير عبادة الملائكة ... وإلا فقولى لى لماذا فضل الله الناس على خلقه جميعاً ... إلا بالعقل ، إن علينا أن نتجه إلى الله بعقولنا... كى نحقق أفضليتنا. إن فينا القوة التى تمكننا من التعالى على الملائكة...ولكن كم منا استطاع أن يكون ملكاً لا أكثر

— ألست تقول إننى أحياناً أبدو كالملائكة ؟ ...

— لا تؤاخذينى فقد نسيت ... لأنك لا تكونين هكذا إلا نادراً

— إذا كان عمر وهو عمر لم تحدث منه الخارقة فيما روى من حياته إلا مرة واحدة حسبما قرأت ، فهل تظن أن غيره يمكن أن تحدث منه أمثال هذه الخوارق مرات ؟

— كان موسى نبياً رسولاً ، وقد ساير الخضر وكأنما كان طفلاً معه ... فالله أعلم كم يستطيع كل إنسان أن يأتى من الخوارق ... ولكن المؤكد أن الجنة تصيب بعض الناس فى لحظات خاصة يتلخص فيها وجودهم فيقومون بأعمال ، أو يقولون كلاماً، ولو سئلوا كيف صدرت عنهم أعمالهم أو أقوالهم هذه عجزوا عن تعليلها ، وقال بعضهم إنها إرادة الله ، وقال بعضهم وجدت نفسى فعلت أو قلت ، وقال بعضهم لا أدرى ، وقال بعضهم جننت ، والحق أنهم جنوا بأهوائهم ، وغلبتهم طبائعهم وانطلقوا غير مختارين ولا مقيدين بعقولهم إلى نحو ما كانت تنزع إليه أرواحهم ، وما كانت ترتاح إليه أبدانهم تنفيذاً لشىء من قضاء الله سبحانه

— وقد كان كذلك عمر ؟

— كلا ... إن عمر لم يجن ، وإنما عمر رأى ، وقال ، وسارية سمع ... فعمر إنسان ممن فضلهم الله على الجن وغير الجن من خلقه ...

عزيز احمد فهمى

الرســـالة فى سنتهـــا الثـــامنة

تدخل الرسالة عامها الثامن فى أول يناير وهى أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها فى تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلائه الفاحش فى العالم كله ستستمر الرسالة على تخفيض اشتراكها ومنح هداياها وإصدار عددها الممتاز — فمن الآن إلى آخر شهر يناير الآتى سيكون الاشتراك فى الرسالة مميزاً بما يأتى :

٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة فى مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون للمشترك الحق فيما يساوى خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة التى سننشرها فى عدد أول يناير من الرسالة

٥٠ خمسون قرشاً عن سنة كاملة فى مصر والسودان للمعلمين الالزاميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع فى أثناء المدة المذكورة ويكون للمشترك الحق كذلك فيما يساوى خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا. ويجوز لهم دفع الاشتراك خمسة أقساط متتابعة.

والاشتراك فى البلاد العربية كالاشتراك فى مصر من حيث القيمة والمدة والهدايا ، وإنما يدفع المشترك فيها فرق البريد وهو أربعون قرشاً فى العراق ، وعشرون قرشاً فى سائر البلاد العربية

الـــرواية

أما الرواية فسندغمها مؤقتاً فى الرسالة حتى يسهل ورود الورق فتصدر منفردة بشكل أفخم ونظام أجمل . وستعنى الرسالة فيما تعنى به من الأمور الجديدة بالأقصوصة فيكون فى كل عدد منها أقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما يوضع أو ينقل .

الاشتراك فى الرسالة الآن يضمن لك دائرة معارف ومكتبة



الأغمـــاء ...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

كنت صديقاً حمياً للأستاذ عزيز سامر وزوجته سلمى . أما عزيز فترجع علاقتى به إلى عهد الحداثة الأولى . وأما سلمى فإن والدتها كانت وثيقة الصلة بوالدتى وكانت تصطحبها فى زيارتها إلى منزلنا حيث كنت أراها يافعة تبرق عيناها ذكاء وأستلذ محادثتها فى فترات قصيرة بين والدتها ووالدتى

ولعلى كنت السبب فى زواجهما لأن عزيزاً قابلها فى منزلنا غير ما مرة ، ولم يصادف صعوبة حين عقد النية على الزواج منها لا من أهله ولا من أهل الفتاة . وعاشا عيشة رضية بضع سنوات ماتت فى خلالها والدة سلمى ووالدتى . وكم مرة كنا نتحدث عنهما وتثير ألمنا الذكريات . ولم يرزق عزيز ولداً فما اهتم للأمر كما أن سلمى أيضاً لم تهتم له ولم ينشب بينهما ذلك الخلاف المعهود الذى يبعث به عقم الرجل أو المرأة

أجل، كنت صديقاً حميا للأستاذ عزيز سامر وزوجته سلمى حتى أنى كنت أتناول طعام الغداء أو العشاء مرات كل شهر فى منزلها الذى اشتراه عزيز على ضفة المحمودية فى عزلة عن الأوساط الصاخبة وفرشه بأفخر أنواع الرياش ، ووسع حوله حديقة مغروسة بمختلف الأزهار والرياحين . ولا أزال أذكر مجالسنا فيها للأنس والسمر فى أيام الربيع المزهرة ، وليالى الصيف المقمرة ، كما لا أزال أذكر مجالسنا بعد العشاء فى قاعة التدخين على مقاعد الجلد العريضة فى ليالى الشتاء الباردة ، وأستار الحرير القاتم مدلاة على النوافذ ، والطنافس المفروشة تحت أقدامنا تبعث فى جو القاعة حرارة طيبة ، بينما يتساقط المطر خارجاً بين هزيم الرعود ، وولولة الرياح

والأستاذ عزيز سامر محام معروف كثير الأعمال وافر الربح يعيش فى يسر ودعة . وسلمى فتاة طيبة القلب ، جميلة الوجه ، أنيقة الملبس . تدير منزلها فى كثير من النظافة والمرح ، وتستلذ الخروج مع زوجها إلى مشارب الجمة ومساهر السينما ودور التمثيل . وكم صحبتهما إليها وكم احتدم الجدل بينى وبين سلمى على الملابس النسائية وائتلاف ألوانها ، واختلاف أشكالها وطولها وقصرها ، ومناسبتها وغير مناسبتها . وكانت سلمى تحب مداعبتى وإحراج زوجها وتهمته بفقدان الذوق فى هذه الأمور الهامة

ولا أعدو الحقيقة إذا قررت أن سلمى على جانب من الثقافة يجعلها تتذوق القراءة الأنيقة ، وبخاصة هـذه الأقاصيص التى اكتظت بها الكتب الحديثة . ولكنها كانت تعجب كل الإعجاب بالكاتب القصصى جى دى موباسان، لأن أقصوصته نبرة مشرقة مترعة بالحياة يتدفق الذوق الفنى فى سطورها البارزة حتى كأنها رسم بارع الألوان تامّ التخطيطات تكاد الصورة تنطق بين ثناياه

وإنى لأشعر بكثير من الغبطة كلما ذكرت تلك الساعات الأدبية التى مرت بنا وبخاصة كيف كنت أضحك من الأحكام الجائرة التى كان يحمل بهـا عزيز سامر على الأدب والأدباء فيقول لزوجته :

— دعى عنك هذه السفاسف !.. إن أدباءك أناس أخفقوا فى عواطفهم فقذفوا بها فى وجه الناس وهم يظنون أنهم يأتون بالمعجزات .

فتقول له سلمى فى كثير من التهكم :

— أنت يا عزيز لا تفهم إلا « حيث إنّ » ... تريد بذلك « حيثيات » الأحكام ... وتضيف إلى قولها : أن الأدب مرآة الحياة كما يقولون ولكن « حيث إنّ » هذه لا حياة فيها

فيجيبها عزيز بأن الأدب مرآة مشوّهة للحياة لا تعكس إلا ما يظهر منها بينما ما خفى أكثر وأدق ، وقد يكون أجل وأعظم . . .

فأتدخل بينهما وأقول :

— قد يكون ذلك كذلك وكلا كما على حق . والأدب دنيا والمحاماة دنيا، قد تلتقيان وقد تفترقان...

وكنا نفترق عادة ولم يقنع أحد فينا رفيقه

ولكن هذه العيشة الراضية لم تدم طويلاً ، لأن سلمى كانت تمر بها السنون مقفرة الأيام إلا من زوج تمودته وخدم ألفتهم وقليل من الأصدقاء ملّت صحبتهم . وصرت أشعر فى أحاديثها بكثير من الضجر والسأم فاختصر الزيارة أو أعكس وجهة الحديث أو أنقطع عنهما أسابيع

ولا أنس يوماً وأنا مكب فى مكتبى على عمل هام إذ اندفع إليه عزيز سامر فجأة كأنه قذيفة طائشة فنهضت مذعوراً أرحب به ، وهو يقول :

— اسمع يا فريد ! إن هذه الحياة لن تطول بى وإنى لأختنق . لقد بلغت مناقشاتى مع سلمى درجة من الحدّة حملتها على التفكير فى الطلاق

فسكنت روعه ولطفت من هياجه ، وبين فنجان من القهوة ولفافة من التبغ فهمت أن سلمى اندفعت من طريق المطالعة إلى حد خرجت به عن التسلية إلى الجد ، وأنها صارت تطبق على زوجها كل الآراء والأفكار التى تقرأها. وأنها تلح عليه فى الجدل والمساجلة حتى يتبرم بها ويكاد يجنُّ من الأسئلة والأجوبة، وهو رجل لا يفكر إلا فى قضاياه وملفاته ، وقد أضحكنى عزيز كل الضحك حينما سألته أن يضرب لى مثلاً لذلك فقال :

— تصور يا فريد أنها قرأت قصة من قصص موباسان حدثتنى أن صاحبتها كانت إذا أرادت رجلاً لنفسها ورأت فيه شيئاً من الاستحياء والخجل تصنّعت الإغماء بين يديه حتى يضمها إلى صدره وينتهز فرصة إغمائها

فتهالكت من الضحك وقلت لعزيز : إن هذا لا يوجد إلا فى القصص . فتغاضب عزيز وقال : لا تضحك بل اسمع ماذا سألتنى سلمى

قلت : ماذا ؟

قال: سألتنى بعد أن أعربت عن إعجابها بهذه الناشزة المريضة: ماذا أفعل لو أن سيدة أغمى عليها وألقت بنفسها بين يدى ... فأجبتها بأنى أستدعى لها الإسعاف ... فقالت لى : أنت رجل مغفّل! ومن هنا نشأ بيننا جدل عنيف لم ينته إلى الصباح، وقضينا ليلة ساهرة فى المصايحة والمهاترة

وزاد عزيز على قوله :

— لذلك أرجو منك يا صديق أن تحاول ردّ سلمى إلى صوابها ، وتحملها على الإقلاع عن هذا الهذيان الذى يقودنا حتماً إلى المحكمة الشرعية

ووعدت عزيزاً بالتدخل ، وفعلاً خاطبت سلمى فى الأمر وأخذت أخضد من رغبتها فى قراءة الكتب الجامحة دون أن تسترشد بدليل يميز لها الغث من السمين ، والنافع من الضار . ورضيت بى سلمى مرشداً أدلها على الكتب الطيبة والأقاصيص الطريفة الأدبية التى تمتزج بالحياة من جهاتها القويمة . وصرت أشترى لها بعض الكتب التى كنت أعرف فى مؤلفيها ميلاً إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الأخلاق

ومضت فترة من الزمن تبينت فيها أن سلمى لم تعد تلك الزوجة المفهومة التى ترتسم على وجهها كل معانى نفسها بل أصبحت كثيرة التأنق فى ملبوسها وزينتها واختيار عطورها بل صرت أراها تتعمد إثارة الفتنة بملامحها وجلستها ومشيتها ، وكأنما زاد بريق عينيها السوداوين الواسعتين بما كانت توسع من أشفارها بالكحل ، وتبالغ فى توضيح أنوثتها بارتجاج جسمها فى نقل خطواتها . وصارت تزيد أثوابها قصراً وتغالى فى تعرية زنديها

وصدرها، وصار زوجها يشكو من هذا كله فأقول له :

— دع سلمى ، إنها فتاة طيبة ، وإن الزينة حياة المرأة ، ولا ضير عليك ولا عليها من الأناقة ومسايرة أزياء العصر

وفي الواقع كان تطور سلمى بطيئاً وما كانت لتلفت نظري ونظر زوجها لولا بعض أثواب قديمة لها كانت ترتديها في بعض الأحايين فترينا الفرق بين ما كانت عليه وما صارت إليه ، ولكنني وزوجها ما رحنا نعتقد أن شغفها بالزينة نتيجة التقليد فقط ، وأن المرأة أكثر ما تتزين لتباهي بزينتها غيرها من النساء ، وأن هذا كله بريء كل البراءة ، لا يفضي ولن يفضي إلى ما لا يصح السكوت عنه

ولقد صادفت سلمى مرات في الشارع منفردةً تدور على المخازن كما تقول ذلك كل النساء ، وأظن أني لمحت مرة شاباً يترسم خطاها وهي تشجعه بابتسامها له ، ولكن ظهوري أمامها صرفه عنها وصرفها إليّ . وأذكر أني فسرت ذلك بأنه حادث عادي ، ولم أشأ أن أفسر ابتسامة سلمى له سوى أنها محض توهم مني

وسئمت سلمى من المطالعة ورغبت إليّ ألاّ أتعب نفسي في اقتناء الكتب لها ، وكنت سئمت التفكير فيما أقدمه إليها ، وهي مهمة محرجة ، فحمدت لها رغبتها تلك وفي صدري منها مرارة مبهمة . وصرت ألاحظ أن سلمى إذا جلست إلى جانبي ألقت بنفسها متهالكة على المقعد في حركة غريبة ، وكانت من قبل تقعد قعود الصراحة ، وصرت ألاحظ أنها ترنو إلى خلسة بعض الرنو بألحاظ فاترة مستطيلة ، وأني إذا حملت إليها على عادتي القديمة بعض الهدايا أخذتها بلا شكر كأنها فرض أؤديه ولكنها كانت تتحين فرصة يكون فيها زوجها بعيداً عنا فتخاطبني عن هديتي في لطف وهدوء لم أعهدهما فيها كأنما تجمل نفسها مقصودة بها باعثة عليها ، لا الغزل ولا الصداقة القديمة

وإننا معشر الرجال ليطيب لنا مثل هذا الجو الفاتر الذي تثيره المرأة حولنا ونشعر فيه بلذة غامضة، إلا أن هذه اللذة كانت مشوبة عندي بكثير من تأنيب النفس وكنت أشعر بأنني لست راضياً عن سلمى الجديدة لأنني كنت أكثر ميلاً إلى سلمى القديمة المرحة التي عايشتها مع زوجها عيشة الألفة البريئة الصريحة .

ومما زاد في عدم رضائي عنها أنها صارت تكثر من مخاطبتي بالتلفون وتطيل صوتها في شيء من الدلال وتسألني دائماً عن صحتي وعن ليلتي وعن إصباحي وعن إمسائي كأنني مريض تريد أن تطمئن على سير مرضه

وصرت الأيام وهذا الجو يزداد حرارة حتى إني صرت أحس بأن عينيَّ تثبتان على سلمى ثبوت تفحص لجسمها البض ، ووجهها النضر ، وقوامها المجدول وابتسامتها الساحرة وجبينها المشرق ، وبخاصة بريق عينيها السوداوين الواسعتين .

(البقية في العدد القادم) خليل شيبوب



من هنا ومن هناك

حرب الحصار

[من مجلة « تروث » لندن]

الحرب الحديثة حرب مصادرات وتضييق ، فالجانب الذى يتغلب على الآخر فى مصادرة بضائعه هو الذى يكسب الحرب .

إن الحصار البحرى فضلاً عن أنه سلاح ناجح قد قل بواسطته عدد القتلى فى الحرب ، فإذا أخفق فى مهمته لم تكن الخسارة بالشىء الذى لا يحتمله المحاربون ، وقد جعلت البحرية البريطانية من همها أن يقل عدد السفن التجارية التى تنرق فى عرض البحار .

إن الحصار البحرى الناجح – مع ما له من القوة – لا يحتاج فى تنفيذه إلى شىء من العنف ، فقد تقضى السفن الحربية مدة الحرب جميعها دون أن تسمع كلة « ارفع البندقية وكن مستعداً » وقد بلغنا عن طريق الأسر ومصادرة السفن ضعف ما بلغه عدونا بإغراق السفن بواسطة « الغواصات » ؛ فإن الأسر والمصادرة « كالانتخاب ذى الصوتين » ، ولكن أصحاب العقول المخربة ، والنفوس المتعطشة للدماء ، يظنون أن الحرب لا تكسب بغير القتل والتدمير ؛ والحروب البريطانية على النقيض من ذلك ، فهى تصل بنا إلى الغاية بالمصادرة لا بالقتل ، وبالاحتفاظ ببضائع العدو التى تقع فى أيدى رجالنا لا بتدميرها . فالجندى المخرب حين يرسل إلى البحار لا يفكر إلا فى إغراق السفن ، ولكن رجل البحار يصادر بضائع العدو ليستخدمها لنفسه ، وبذلك يكسب الحرب .

إن سكان البلاد الشمالية وجيوشها ومصانعها لا تستطيع جميعاً أن تحصل على شىء من خيرات البلاد الاستوائية بغير إرادتنا .

وقد تذهب مجهودات الأمة المحاربة أدراج الرياح إذا هى حرمت من بعض المواد الأساسية : كالقطن والنترات والفسفات والمطاط وزيت النخيل وغيره من المواد الدهنية والشحوم والبن والكاكاو وأطعمة البلاد الاستوائية جميعاً . بل إن شيئاً من صادرات تلك البلاد لا يمكن أن يصل إلى أوربا بغير إرادتنا . فجميع المضايق التى تمر بها تلك الصادرات تحت إشرافنا ، ويكفى إرسال قوة من الطرادات والسفن الصغيرة تحت حراسة الأسطول لحصر التجارة بين مضيق جبل طارق البالغ اتساعه ثمانية أميال ، ومضيق دوفر البالغ اتساعه ثمانية عشر ميلاً ، ومائتى الميل الواقعة بين سكوتلاند والنرويج ، وبذلك نستطيع أن نحاصر أوربا إذا اختارت أوربا أن تكون عدواً لنا ، ومن هذه المضايق نستطيع أن نسمح بمرور ما نشاء لحلفائنا وأصدقائنا المحايدين سواء أكان وراداً إليهم من المناطق الاستوائية أو الأمريكتين أو أفريقيا أو الدنيا القديمة ...

ونستطيع أن نصادر ما يحمل منها إلى أعدائنا ونستغله لأنفسنا وقد اختفت من البحار فعلاً جميع السفن التى كانت تحمل البضائع لألمانيا ، ولم يحاول أحد الآن أن يفر من حصارنا ويجازف بإرسال شىء إلى ألمانيا ، لأن الجميع لا يشكون فى أننا سنصادر بضاعتهم فى الحال .

فالحصار البحرى — وهو سلاحنا فى الحرب — هو أقوى الأسلحة وأكثرها اقتصاداً فى المال والأرواح ...

يوم من أيام الحرب فى برلين

[عن « لاربابليك دى ليه »]

سكان ألمانيا اليوم يعيشون عيشة رتيبة ، ويحيون حياة لا تختلف عن حياة الجنود : فالرجل الألمانى يستيقظ من الساعة السادسة والنصف صباحاً – لا لسبب – إلا أن يكون أمام موزع الألبان قبل الساعة السابعة ... فيتاح له أن يصرف البطاقة التى يستطيع بها أن ينال القرر له من هذا الطعام !

وفى غالب الأحيان لا يصل إلى أيدى الباعة أكثر من ثلث اللبن المطلوب . فيندفع الأهالى إلى شرائه ، ويتزاحم المشترون بالمناكب ... فإذا كانت الساعة السابعة والربع جاء موعد توزيع القرر من الخبز : وهو خمس أوقيات ونصف أوقية ؛ وعليك أن تطلبها ثلاث مرات فى اليوم الواحد ، حتى لا تحرم نصيبك من هذه المادة الأساسية فى الطعام .

ولا يحتاج المشترى لحمل نقود معه لشراء هذه الأشياء ، فيكفى

أن تكون معه البطاقة ليصرف إليه المطلوب ، وتجمع هذه البطاقات في نهاية الأسبوع وتخصم قيمتها من مجموع الأجور ، ولا يتبقى بعد هذه المشتريات في غالب الأحيان غير النذر القليل من باقي الأجور . ونستطيع أن نقول : إن في مقدور الرخ أن يسخر الشعب على هذه الصورة وقتاً ما ، كما يسخر الأرقاء ، ولا يبذل « ماركا » واحداً في الأسواق .

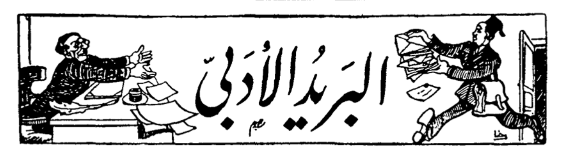
وكما أن جميع سكان ألمانيا المتحضرين يستيقظون كالأبطال في ساعة مبكرة من النهار ، وينتظرون في صبر وجلد توزيع الأقوات ، فإنهم لفي حاجة شديدة إلى الانتظار لتوزيع البترول والفحم اللذين يوزعان بمقادير دقيقة .

فالألمان والحالة هذه لا يستطيعون أن يقوموا بتحضير طعام الإفطار قبل الساعة الثامنة ؛ وفي هذا الوقت يستمعون إلى الإذاعة إذ أن التيار الكهربائي ينقطع بعد هذا الميعاد .

وقد وضع الفوهرر هذا النظام ليكون متفقاً مع النظام الذي وضعه للعمل . فقد لا تجد بعد الساعة الثامنة نازياً واحداً خارج العمل : إما داخل المصنع أو في الإدارة حيث يجب أن يكون خاضعاً لمثل هذه التعاليم ، ويتسلم مثل هذه البطاقات شأن ثمانين مليوناً من الوطنيين . وفي الساعة العاشرة تماماً يجب أن يقف على قدميه سواء أكان في المصنع أو المصلحة ليستمع إلى حديث الدعاية الرسمي ثم يعود فيعكف على عمله صامتاً حتى منتصف النهار ، إذ يتناول بطاقته ويتبوأ مكاناً في المطعم، وعليه أن يقضي نصف ساعة في هذه الوجهة ، ثم يعود إلى عمله .

ويظل في هذا العمل إلى الساعة الثامنة مساء . فإذا ما عاد إلى منزله ، فعليه أن يسارع إلى استحضار الغذاء المقرر له ، وعليه ألا يهمل حمل بطاقته . فإذا جاءت الساعة التاسعة وجب عليه أن يصغي مجبراً إلى الإذاعة مرة ثانية ، وقد لا يستطيع الخروج إلى نزهة خلوية ، أو الذهاب إلى دور السينما لتتبع الأفلام الحديثة إذا فقد البترول وانقطعت السيارات العامة . أما السهرات المنزلية المعروفة ، فقد صدرت الأوامر بمنعها بتاتاً .

وهكذا ينقضي اليوم في ذلك البلد المسكين !



نهج البلاغة

إلى حضرة الأستاذ البارع الفاضل (سائل) من (العراق) في مجلة العرب (الرسالة)

(نهج البلاغة) يا أخي — من كتب إخواننا الإمامية، ومن الكنوز العربية، وهو مجموعة مصطفاة، وإن لم يحبره سيدنا عليّ (رضوان الله عليه) فقد انتقاه وحبره علويون كما زخرف محدثون و «كل حزب بما لديهم فرحون» وإن همهم تحقيق وتأريخ، فقد ابتهج الأدب واللغة. ولولا إبداع المبدعين أو صوغ الصياغين[1] ما ورثنا هذه الثروة الفخمة الضخمة في الأدب العربي. وليس عندي اليوم مزيد على ما قلته في (نهج البلاغة) في (كلمة في اللغة العربية[2]) وفي (الإسلام الصحيح[3]) وإذا لم يكن ما خططته في الكتابين (كلمة الفصل) فربما كان (فصلاً من الفصول) المرصّنة فيه

محمد اسعاف النشاشيبي

في كلية الآداب

كتب الأديب عبد الرحمن بدوي في عدد الرسالة الماضي كلمة حاول الرد فيها على إشارة الدكتور بشر فارس ومقالات غيره من الجامعيين التي ظهرت متعاقبة في الرسالة تحت عنوان «في كلية الآداب» وكان الغرض منها ذكر ما ينعم به مدرس أجنبيٌّ عندنا من حظوة وما يلاقيه المصريُّ المائل له من ضيق. ونحن ندهش كيف لم يتعرض لنا غيره مع علمنا بانتشار ما أذيع هنا في الدوائر المسئولة وإحداثه ما يستحق من تأثير. ولولا الخوف من أثر ما قد يحدثه كلام الكاتب في نفوس بعض القراء ما تعرّضنا اليوم للكشف عن اغتصابه للدفاع وتهافته فيه

(١) الصياغ فيعال من الصوغ كالديار والقيام. وقد أثبت هذه اللفظة حتى لا يظن أنها خطأ كما حسب لغوى مشهور

(٢) الصفحة ٦٦ — ٧٢

(٣) الصفحة ٣٣١ — ٣٥٦

يقول: «أما مسألة استقدام الدكتور بينس فهي في ذاتها أمنية تجيش في نفوسنا نحن المدرسين المصريين المستقلين أو المشتغلين بالفلسفة الإسلامية الخ»، والذي نعرفه — وأمامنا برامج دروس كلية الآداب لهذا العام — أن الكاتب لا علاقة له بتدريس الفلسفة الإسلامية في الكلية، وإنما هو طالب في قسم (الماجستير) فهو يتصف بغير صفته، وقد قال بعد ذلك إنه مصري يعز عليه الدفاع عن أجنبي إزاء مواطنين، ويحق له أن يعتذر عن ذلك ولا سيما إذا تذكر انتماءه إلى طائفة الشباب التي اشتهرت في حين ما بالعداء المتطرّف لكل ما هو أجنبي. ألم تنشر «مصر الفتاة» صيف ١٩٣٧ مقالاً تهكمياً عن هذا المدرس الأجنبي لما حظي إذ ذاك بمكافأة للسفر إلى باريس؟ وهذه المكافأة هي إحدى الحقائق التي ينكرها الكاتب ويحاول تكذيبها اليوم

وعلى ذلك فإذا تعرض بدوي أفندي لما لا يعنيه، وتعامى عن الواقع الذي ثار له هو وإخوانه من قبل، فاغتصب الدفاع عما كاد يتم لولا ما كتب في الرسالة فهنالك ما أومن أنه دفعه إلى ذلك دفعاً، وبئس التوجيه في مثل هذه الحال، ومتى استقر التوجيه قام الشك. وعليه فإننا في هذه الكلمة نزدري دفاعه المغتصب، وإنما غرضنا أن نبين له كيف يجري قدمه بغير ضابط وهو يطلب العلم العالي

على أن الكاتب المدافع لا يتردد في تعمد المغالطة. وبيان هذا أن الدكتور بشر فارس، وله الفضل في إثارة المسئلة، أشار فيما أشار إلى «تلطف» ذلك المدرس الأجنبي للظفر بإدارة المكتبة العامة للجامعة. ولكن بدوي افندي تكلم عن مكتبة الكلية ومكتبة معهد من معاهدها مع علمه أن الإشراف على مثل هذه المكتبات لا يحتاج إلى مدير. وأما إشادته بفضل المدرس المشار إليه في ترتيب المكتبة الخاصة بقسم اللغة العربية، فإننا نؤكد أننا لم نسمع من قبل مدحاً لهذا العمل، بل سمعنا من المختصين بفن المكتبات الشكوى منه. ويبرر شكواهم أن هذه المكتبة الفرعية لم يستقر لها نظام بعد، وأن وجودها على ما هي عليه معطل للنظام

القائم فى المكتبة العامة . وما دمنا ملزمين بالكشف عن تهافت السيد بدوى فى دفاعه فإننا نزيد : كيف يأذن لنفسه أن يقول فى وصف الشاب (بينس) بأنه «مستشرق ممتاز، وقطب من أقطاب الجيل» وادّعى أن الدكتور بشر تجاهل اسمه! أن (بينس) لا يحمل إلا الدكتوراه الألمانية المادية ، وهى شهادة لا تقنع بها كلية الآداب ولا الجامعة الأزهرية من أعضاء بعثاتها إذ تلزمانهم نيل إجازة التدريس العالى فى ألمانيا وهى « الهابلتاسيون ». فضلاً عن أن دكتوراه (بينس) لم تقبلها جامعة باريس معادلة لشهادة « الليسانس فى الآداب الفرنسية » يوم تلمس الرجل الانتساب إلى جامعة باريس ليظفر منها بالدكتوراه

ومما يدل أيضاً على عدم تحوط الدافع فى الكتابة أنه قال : إن (بينس) « بدأ يتبوأ مركز الصدارة فى حركة الاستشراق بعد أن انقضى الجيل السابق من المستشرقين أو كاد بعد موت المرحوم نلّينو » . ألم يسمع الكاتب من أساتذته أنه لا يزال من المستشرقين على قيد الحياة أنداد لنلّينو العظيم ومن جيله ، وبين قراء الرسالة من يعرف بروكلمن وليتمن وشيدر ورتّر وفشر وهرتمن فى ألمانيا . ثم ماسّيه ودومامبين فى فرنسا . ومرغوليوث ومِنْفُنغ ودُس مثلاً فى انجلترا ، وبالاثيوس فى أسبانيا ، ونيبرج فى أسوج؟

ثم إن الكاتب يجدّ فى ترويج البضاعة المزجاة فيترخص فى استعمال الألفاظ ويسرف فى سوء الظن ويقول : إن الدكتور بشر حرص على إرضاء شهوة صديقه (يعنينا) فى أن ينال من هذا الدرس الأجنبى ، والدكتور بشر وزملاؤه من الجامعيين لا يعنيهم أمر هذا الدرس على وجه التخصيص بقدر ما يعنيهم إنصاف المصرى والرفق بماله، كما تعنيهم فوق ذلك مصلحة الثقافة إطلاقاً

وأحب أن أختم هذه الكلمة بقولى للكاتب ومن دفعه إلى الكتابة إننا نعلم اليوم حق العلم أن كلية الآداب لن تستقدم (بينس) بالرغم من سعى بعضهم . والفضل فى ذلك راجع إلى ما أثير فى مجلة الرسالة

(جامعى آخر)

١ — جائزة نوبل تمنح لأديب فنلندى

منحت جائزة نوبل فى هذا العام لأديب بارع من فنلندا اسمه Sillan pöä ، وقد أجمع أهل الرأى فى الأدب على أن هذا الأديب هو أعظم قصصى عرفته فنلندا فى هذا القرن من حيث طرافة مادته ، وخصوبة خياله ، وغزارة بيانه

ولد هذا الأديب سنة ١٨٨٨ ، فى أسرة فقيرة معدمة ، بين أحضان إحدى القرى . فقضى طفولته ، وشطراً من صباه ، بعيداً عن المدن ، بين غابات الصنوبر وشطآن البحيرات ، ومال إلى الأدب والشعر مذ كان يافعاً . ثم انكب على المطالعة الشخصية حتى استطاع أن يصبح الأديب الأول فى بلاده . فلما كانت سنة ١٩١٦ أخرج للناس كتابه الأول « الحياة والشمس » فبهر الناس بوصف رائع للطبيعة ، يجذب ويغرى . ثم أتبعه بكتابه الثانى « البؤس المقدس » . وقد نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية . ثم اختص بالأقاصيص ، فأخرج : « وطنى العزيز » و « بالقرب من الأرض » .

وفى سنة ١٩٢٨ أخرج « اعترافاته » فأحدث أثراً فى فنلندا ، وقد شبه الناقدون كتابه هذا ، بالزهرة المتفتحة ذات الأريج العطر المسكر . لأنه كان فيه بعيداً عن التكلف والنحت ، سهلاً متدفقاً رائعاً

وكان يؤخذ على أديب فنلندا الأكبر الإطناب وعدم الدقة ، وهذا المأخذ لا يأتى من ضعف الشخصية المبدعة ، ولكن من قلة إعمال الفكر والملاحظة . على أنه نجا من هذا العيب فى كتابه الذى أسماه « ماتت فى ريعان الصبى » ، وقد ترجم إلى كثير من اللغات ويعد أروع ما أخرجه للناس

ونستطيع أن نقدّم لهذه القصّة خلاصة موجزة لشأنها الكبير : فقد كان لزوجين من أغنياء القرويين ولد فرد ، تزوج فتاة من أقرباء أبيه . ولم يلبث طويلاً حتى قضى أبوه ولحقت به أمه . فبدأ يعانى جفوة الزمان وإهمال الزوج . فقد كانت زوجه ضعيفة الخلق مريضة الجسم ، لا تستطيع أن تشد أزره أو تساعده على تدبير أطيانه واستثمار أمواله . ولم يكن ذا بأس شديد أو حزم ماض أو إرادة صلبة ، فبدأ الناس يسلبونه ماله ، ويوقعون بينه وبين أعوانه ، فاضطر إلى بيع أراضيه الواسعة وحقوله الشاسعة ، وداره التى رأى النور فيها ، ومنزله الذى عاش فيه أبواه ومن قبلهما أجداده . تخشى الذل ، ورحل إلى قرية مجاورة وعاش فيها يعانى ألم الفقر وبؤس العوز، ثم فجع فى زوجته التى قضت نحبها أسيانة حزينة

وعاش الرجل (غوستاف) مع ابنته « سيلجا » التى تركتها زوجته من خلفها ، وكان شديد الحب لها ، والتعلق بها ، ولكنه لم يتمتع بالعيش معها طويلاً ، بل مات وعمرها خمسة عشر عاماً .

فاضطرها اليتم والفقر إلى الخدمة فى قرية مجاورة . وكانت حلوة العينين ، عذبة الكلام، أنيقة الجمال؛ وكانت تؤثر الوحدة والانفراد إذا فرغت من عملها على الاختلاط بالناس . وما كان أحد ليستطيع معرفة ما يجول فى خاطرها ويعج فى نفسها . فلما تخطت العشرين من عمرها التحقت بخدمة شيخ كان أستاذاً فى إحدى الجامعات فحنا عليها بلطفه وآثرها بعطفه ، فذاقت الراحة وعرفت الهناء وساعدها الزمان ، فعرفها شاب اسمه « أرماس » أتى من المدينة ليصيف ، فتحابا وقضيا ليلة « تدنيه ويدنيها » حتى إذا كان طفل النداة تلقى كتاباً ينبئه بمرض أصاب أمه وكاد يهلكها فتفارقا ، وكان العام ١٩١٧ فى أوائله والحرب مستمرة الأوار ، والفوضى ضاربة أطنابها فى كل مكان

ومرضت « سيلجا » وما شفيت إلا بعد زمن طويل، وكان الأستاذ الشيخ قد اضطر إلى الرحيل ، فتركته والتحقت بخدمة أناس آخرين ، فعاودها المرض ، وكانت تدعو ربها أن يعيد إليها « أرماس » وأن ينقذه من شر الحرب الأهلية التى قامت آنئذ وأن يقيه شر الجنود الحمر الذين هاجوا البلاد . وأضنى المرض جسمها فعجزت عن العمل ، ولكن سيدتها أبقتها طمعاً فى صبابة مال كانت ادخرتها ، وآوتها فى غرفة حقيرة قطعت فيها أيامها الأخيرة وهى راضية مطمئنة لا تأبه بمرضها ولا تخشى الموت ، معتقدة أنها ستلتقى يوماً خطيبها الشاب الذى أحبته ، والذى أصيب بمرض فى صدره ، وقطع الحمر رجله . وتفقدوها ذات يوم فألفوها ميتة وهى تبسم

ويعدُّ هذا الأديب مجدداً ، فقد أعرض عن الأقوال السالفة والتعابير السخيفة التى لجأ إليها من سبقه من الكتاب، ولا تصلح الآن ، وابتدع أقوالاً وتشبيهات كثيرة ترقص وتعجب .

صموئيل الدين الخير

٢ — خير الدين الزركلى الكاتب

قرأت فى ثنايا نقد الدكتور بشر فارس لتاريخ الآداب العربية لبروكلمن أن هذا المستشرق قد جعل خير الدين الزركلى فى عداد الكتاب . على أن خير الدين ليس بكاتب ، ولا يصح أن نسميه كاتباً لئلا تنهار شهرته ، لأن ما أخرجه للناس فى النثر ليس بشىء ، اللهم إلا « أعلامه » وكلها جمع

أما ميزة خير الدين فهى فى شعره . ولقد كان — وأعنى خير الدين الشاعر ، لا خير الدين الموظف — من أرق شعرائنا وأنصعهم ديباجة ، وأحلاهم شعراً ؛ ولقد كان فى طليعة شعراء سورية المطبوعين السباقين

ونقد الدكتور بشر يبين للناس خلط بعض هؤلاء ... وهل من الدقة ومن البحث والتحقيق جعل الشعراء كتاباً ومنح الألقاب من لا ألقاب لهم !

ص ا

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

اطلعت فى عدد يوم الأحد الماضى من جريدة (الإجبشان مايل) الإنجليزية على كلمة كتبها مكاتب فاضل بمناسبة قصيدة أخى الشاعر الأستاذ على محمود طه « أغنية الجندول » التى غناها الأستاذ عبد الوهاب فى الإذاعة المصرية

وكل ما جاء فى الإجبشان مايل خاصاً بشاعرية صديقى فهو حق؛ وصديقى شاعر مجيد له وثبات وومضات معروفة . إلا أن الكاتب الفاضل ذكر أن على محمود طه « هو الشاعر الشرقى الوحيد الذى سحر بجمال الطبيعة فى الغرب وسجل هذا الجمال فى شعره الغنائى »

والواقع أن هذا الكلام بعيد من الحق كل البعد . ففى الشرق شعراء كثيرون اطلعوا على مباهج الطبيعة فى الغرب وسجلوها فى شعرهم قبل أن يشدو على محمود طه ببيت ، وقبل أن يزور أوربا زيارته العابرة بزمن طويل

وإذا خلَّينا شوقياً وحافظاً ومطران فهناك كثير من الشعراء الشرقيين تغنوا بمحاسن الطبيعة الغربية فى شعر عربى جميل

أين إيليا أبو ماضى وقصيدته « الموسجة » وأين مخائيل نعيمة وقصيدته الخالدة « النهر المتجمد » وأين شكر الله الجر وقصيدته « شلال تيجوكا » التى نشرت بالمقتطف سنة ١٩٣٢ ؟

ولصديقى العتيق (فى الصداقة لا فى السن !) الدكتور بشر فارس قصائده الغنائية الخالدة فى وصف الطبيعة الأوربية ، وقد نظمها متأثراً بالجو الغربى الذى عاش فيه زمناً طويلاً ، وقد نشر المقتطف أكثر قصائده منذ سنة ١٩٢٨ كقصائده الأربع « الخريف ، والشتاء ، والربيع ، والصيف فى باريس » ، ثم الخريف فى برلين . وآخر قصائده «فى جبال بافاريا» التى نشرت فى مقتطف مارس سنة ١٩٣٧ وأعادت نشرها مجلة « الجمهور » البيروتية فى العام نفسه

وأغلب شعر « الشاعر القروى » فى وصف مجالى الطبيعة فى أمريكا الجنوبية . وزميلى الأستاذ فخرى أبو السعود شعر

كثير فى وصف الطبيعة الأوربية وخاصة مقاطعة « ديفون » الإنجليزية التى عشنا فيها زماناً

ولكاتب هذه الكلمة قصائد كثيرة تنشر فى مجلة المقتطف من سنة ١٩٣٥ إلى الآن تحت عنوان (وحى انجلترة) نذكر منها « ديفون الجميلة » « وأرض شاكسبير » « وبحيرة ونذرمير » والقرية النائمة — مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٩ ، وقد سجلت تذكاراً لزيارتى القصيرة للجبل الأبيض بفرنسا قصيدة فى مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٧ عنوانها : « ثلاجة الجبل الأبيض » ...

محمد عبد الغنى حسن

طبع الكتب الدينية

على أثر ما نشرناه من بعض الأخطاء فى طبع أحد المصاحف التى ظهرت أخيراً ، اهتم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالأمر، وأخذ فى تحقيقه تمهيداً لمنع تداول هذا المصحف

وقد قابل فضيلته فى مكتبه فضيلة شيخ المقارىء، وصاحب المطبعة التى طبعت هذا المصحف ودار البحث حول هذا الموضوع

وقد اعتزم فضيلة الأستاذ الأكبر اتخاذ التدابير لتنظيم الإشراف على طبع القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير والفقه والتوحيد وما إلى ذلك من الكتب الدينية ، بحيث يراجع بعض حضرات العلماء هذه الكتب فى أثناء طبعها ، فلا يؤذن لدور الطباعة فى إصدارها إلا بعد هذه المراجعة ، إذ يرى فضيلته أن وقوع أى خطأ فى هذه الكتب ، قد يقوم عليه حكم شرعى غير صحيح ، أو يتخذ منه دعاة التأويل وسيلة لتضليل العامة

تاريخ الأمة المصرية

أصدر معالى وزير المعارف قراراً بترجمة كتاب « تاريخ الأمة المصرية » من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وقد جاء فى ديباجة القرار أنه بالنسبة لما لهذا الكتاب الذى ألفه جماعة من المؤرخين الفرنسيين برياسة المسيو جبرييل هانوتو والذى شمله بالرعاية السامية صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، من القيمة العظيمة فى تصوير تاريخ مصر فى عصورها المختلفة

ولما كان من الخير أن يعم به النفع ويستطيع الرجوع إليه والانتفاع به جميع المثقفين فى مصر والشرق العربى من الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية ، وتحقيقاً لما ينبغى من إغناء اللغة العربية بأن تنقل إليها أمهات الكتب الجامعة فى العلم والأدب والفن، فقد تقرر ما يأتى : تؤلف لجنة لترجمة كتاب «تاريخ الأمة المصرية » إلى اللغة العربية فى أسلوب قريب يسير ولمراجعة هذه الترجمة يكافأ المترجمون والمراجعون على ما يبذلون من جهد

يشرف الدكتور طه حسين بك على هذه الترجمة تحقيقاً لما ينبغى بين أجزائه المختلفة من الوحدة والاتساق

والكتاب فى ستة أجزاء نيط كل جزء منه بمترجم من وزارة المعارف ومراجع من كلية الآداب .

الجيش المصرى قبل عهد محمد على باشا

تناول أحد الكتاب الأفاضل خطاب العرش ، فنقده نقداً أدبياً طريفاً على صفحات « الرسالة » ، غير أنه أنكر ما جاء فى هذا الخطاب من أن عهد محمد على باشا كان أول عهد لظهور الجيش المصرى فى الوجود

ولكن التاريخ يحدثنا بوضوح أن مصر لم يتكون فيها جيش مصرى صميم من أبنائها الخلصاء قبل عهد محمد على باشا الكبير بزمن طويل . ولا يمتد هذا الزمن إلى الفتح العربى فحسب ، بل إلى ما قبل ذلك أيضاً . إنه يمتد إلى حكم البطالسة لهذه الديار . فمنذ حكمت مصر الملكة كليوبترا ، وأدت سياستها إلى الاحتلال الرومانى حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد ، فقضى بذلك على جيش مصر قضاء مبرماً . وظلت البلاد مزرعة للرومان نحو ٦٧٠ سنة حتى استنقذها منهم العرب ، ومن هنا انتقل إليهم أمر احتلالها حتى ولوا أمرها أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ وذلك فى خلافة العباسيين

وأحمد بن طولون رجل تركى ، ولكنه صنع بهذه البلاد كما صنع محمد على باشا من بعده إذ أداه بعد نظره إلى إصلاح مرافقها والسهر على مصالحها وتدبير أموالها وتثميرها وتكوين جيش قوى لها . ثم أعلن الناس باستقلالها

هذا ما صنعه ابن طولون، غير أن أبناءه لم يحافظوا على استقلال مصر كما حافظ ، ولم يدافعوا عنها كما دافع . أما أبناء محمد على باشا فقد حافظوا على هذا الاستقلال ودافعوا عنه ، ولا يزالون مدافعين ... ليس هذا كل الفرق بين الرجلين ، بل هناك فرق لا ينسى ، وهو أن بن طولون لم يستخدم فى جيشه جنوداً مصرية من صميم أبناء البلاد كما فعل محمد على ، بل كان جيشه من المماليك الأتراك الديالمة . وقد أخطأ بعض المؤرخين المعاصرين ودونوا فى الكتب المدرسية الحالية أن أول من استخدم المماليك الأتراك فى مصر وجلبهم إليها واستعان على تثبيت سلطانه ، خلفاء الفاطميين تشبهاً منهم ببنى العباس . والواقع أن أول من فعل ذلك هو أحمد بن طولون ، فقد ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى ما نصه عند الكلام عن ابن طولون : « وفى أيامه عظمت نيابة

مصر وشمخت إلى الملك . وهو أول من جلب المماليك الأتراك إلى الديار المصرية واستخدمهم فى عسكرها » . وقال ابن إياس : « قال ابن وصيف شاه : فلما تم أمر الأمير أحمد بن طولون فى ولايته على مصر واستقامت أحواله بها استكثر من مشترى المماليك الديالمة حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف مملوك »

وبعد قليل فتح الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ فاشتهروا باستخدام كثير من الجنود المرتزقة من أمم شتى ، فتكون الجيش فى عهدهم من أتراك وعرب ومغاربة ومصامدة وصقالبة وروم وعبيد وغيرهم . وكان عدم التجانس بين فصائل الجيش الفاطمى سبباً قوياً لنزاع طال بين هذه الأجناس أدى إلى زوال الدولة

وخلفها صلاح الدين الأيوبى عام ٥٦٧ هـ فقضى على نظام الجيش الفاطمى المضطرب، ورغب فى توحيد جنس فصائل جيشه، ولكنه بدلاً من أن يتجه إلى أبناء مصر فيتخذ منهم حاجته من قادة وجند ، إستعار ذلك من الجنس الكردى

وفى أواخر الدولة الأيوبية استكثر الملك الصالح الأيوبى من شراء المماليك الأتراك ونشأهم تنشئة عسكريه وأطلق عليهم اسم (البحرية) وهم الذين انتزعوا حكم البلاد من يد الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ وأسسوا دولة المماليك ..

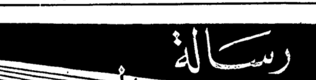
وفى عهد هذه الدولة الجديدة أصبح شراء المماليك الجدد وتزويد الجيش منهم سنة متبعة لبث زهاء ثلاثة قرون انقسمت فيها جنود المماليك إلى طوائف متنابذة كان تنابذها وبالاً على مصر، على الرغم من خدماتها الجليلة التى يعترف بها التاريخ

وقد زالت دولتا المماليك بواسطة الاحتلال العثمانى عام ٩٢٣هـ ولم يعد فى مصر جيش خاص بها لا من أبنائها ولا من الطارئين عليها . وتضافرت عليها الكوارث فى ذلك العهد البغيض حتى أنقذها من براثن العثمانين هذا المصلى النابه محمد على باشا . وكان من جملة ما قام به وفى مقدمة حسناته إلى مصر أن دفع أبناءها إلى ميدان الجندية وفتح لهم المدارس الحربية وغرس فيهم معنى المصرية الصحيحة ونبه روح الإقدام والتضحية ونال من وراء ذلك جاهاً عريضاً وملكاً كبيراً . وعاد جيش مصر لأول مرة فى التاريخ بعد زمن البطالة

محمود رزق سليم

ذكرى ابن الهيثم

ستحتفل الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية فى الساعة السادسة من يوم الخميس ٢١ ديسمبر بقاعة الاجتماعات الكبرى بالجامعة المصرية بذكرى الحسن بن الحسن بن الهيثم العالم العربى الذى عاش فى القاهرة، بمناسبة مرور تسعة قرون على وفاته. وسيكون الاحتفال تحت رياسة الأمير محمد عبد المنعم رئيس الشرف للجمعية، وسيلقى كلمة الافتتاح حضرة صاحب السعادة أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة ، ثم يعقبه معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف السابق ؛ ثم يتكلم عن ابن الهيثم من نواحيه الرياضية والطبيعية والفلكية والهندسية الأساتذة : الدكتور على مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم ، ومصطفى نظيف بك أستاذ الطبيعة بكلية الهندسة ، والدكتور محمد رضا مدور مدير مرصد حلوان ، والدكتور محمد محمود غالى بمصلحة الطبيعيات . وكلهم من أعضاء مجلس إدارة الجمعية. ثم يتناول الدكتور حجاب مدير مكتبة الجامعة الموضوع من الناحية الببليوغرافية . والاحتفال بذكرى عالم من علمائنا العظام على هذه الصورة العظيمة عمل عظيم يسجل لهذه الجمعية الجليلة بالحمد والشكر

كتاب
« الامتاع والمؤانسة »
بقلم الدكتور بشر فارس

صيف سنة ١٩٣٠ قدمت من باريس إلى القاهرة أطلب فيها كتباً ومخطوطات ؛ فاهتديت « دارَ العروبة » ، فعرفت أحمد زكي باشا – رحمه الله رحمة واسعة – فكان بيني وبينه ما تشاء من الود : أُكبره ويأنس بي . وقد وقع إليَّ فيما وقع من خزانة كتبه الخاصة كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي. فأقبلت عليه ، فإذا هو جليل نفيس . وكم تمنيت وتمنى « شيخ العروبة » أن يُنشر هذا المخطوط فتُذاع فوائده فتُدرك على غير كلفة . وهذان الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين أقدما على طبعه وليس بين أيديهما سوى نسخة وبعض نسخة على جانب غير يسير من الاضطراب والتحريف (والنسختان مما خلفه زكي باشا) . فما أحرى الأستاذين بالتهنئة والشكر ! وكان الأستاذ أحمد أمين أخبر المستشرقين في مؤتمرهم (سبتمبر ١٩٣٨ ، بركسيل) بأنه ناشر كتاب التوحيدي ، فاهتز القوم لذلك

ونشرُ كتابٍ ذاهب في التصرف بضروب الكلام ، جامع لمنثور المسائل من أدبية وفلسفية ، مَعَ ما يُفسد ألفاظه ويُسقم عباراته من جهة مسخ النسّاخ ، ليس بالمطلب السهل . ومن هنا ما جاء في ضبط الكتاب من فَرَطات . وقد بيّن طائفة منها صديق الدكتور زكي مبارك في العدد الماضي من الرسالة ، ولا عجب فإن الدكتور زكياً بأدب التوحيدي عارف وبأسلوبه بصير ؛ ألم يؤلف فيه فصولاً ؟

والحق أني كثيراً ما توقّفت وأنا أقرأ «الإمتاع والمؤانسة» . فلا أرى بدّاً من التنبيه هنا على ما وَقَفني ، وإنما مقصِدي تقويم الكتاب لوجه العلم وحدَه . وإني قاصر الاستدراك على الأربعين صفحة الأُوَل ، على سبيل التمثيل (والكتاب في ٢٢٦ ص) . ثم إني مقسم المآخذ على حسب المنهج الذي عليه يجري العلماء في تحرير المخطوطات .

* * *

١ – التباعد عن سياق النصّ :

ص ١٩ – ٢٠ : يروي التوحيدي كيف مثل في « الليلة الأولى » بين يدي الوزير ، فأخبره الوزير بأنه استقدمه للمحادثة والتأنيس . فيكتب التوحيدي (ص ٢٠ س ٨) : « فقلت : قبل كلٍّ ، شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصري على ما يُراد مني . فقال (الوزير) : قل ما بدا لك . قلتُ : يؤذن لي في كاف المخاطبة وتاء المواجهة للفرار من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض . . »

هذا وأما الناشران الفاضلان فقد دوّنا ذلك هكذا : « فقلتُ قبلُ : كلُّ شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصري ... » . وهذا غريب : فإن التوحيدي لم يبدأ بالكلام ، وإنما قوله ذلك هو فاتحة نطقه في مجلس الوزير . فكيف يكتب : « فقلت قبلُ » . ثم إن غرضه أن يقول للوزير ما تفسيره : « أجل سأحادثك وأؤنسك ، ولكنْ قبلَ كلٍّ هنا لك شيء أريد أن أجاب إليه وهو أن تأذن لي في استعمال كاف المخاطبة وتاء المواجهة فترفع الكلفة وتيسّر لي الحديث إليك »

وعلى ذلك اضطراب الترقيم، وهو كثير تصيبه في كل صفحة. ولن أُهمل عند هذا المآخذ خشية الإملال . وحسبك وضع نقطة في آخر السطر الـ ١٤ من الصفحة الثانية ، وأخرى بعد الكلمة الرابعة ص ٧ س ٤ ، وأخرى بعد الكلمة الثانية ص ١٣ س ١١،

وأخرى بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٦ ، وأخرى بعد الكلمة السابعة ص ١٥ س ٢ ؛ ثم ضع شولة منقوطة بعد الكلمة الأولى ص ١٣ س ١١ ، ونقطتين بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٥ ، وبعد الكلمة الثانية ص ١٦ س ١٣ ؛ ثم ضع علامة استفهام بعد الكلمة السادسة ص ١٥ س ١٤ والكلمة الثانية ص ١٥ س ١٦

٢ — التجافي عن أسلوب المؤلف

ص ١٤ س ٢ ، ٣ : « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كافة محرجة إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها وفاشية (أي مال) تَمُدُّها » — والوجه : تُمِدُّها ، موازنةً لتُجِدُّها؛ والتوحيدي معروف بإيثار الازدواج (راجع مقدمة الكتاب لأحمد أمين ص : ق ، و « النثر الفني في القرن الرابع » ج ١ ص ١١٣ ، ١١٥)

ص ٢٤ — س ٤ ، ٥ : « فأما الفلك وأجرامه المزدهرة في المانقة العجيبة ، ومناطقه الخفيّة ، فقد... » — والصواب : « في ممانِقه » . والذي هداني إلى ذلك كلمة « مناطقه » ، إذ قلت : إن التوحيدي أراد الازدواج هنا . وإذا « المانق » جمع لِمْنقَة ومعناها القِلادة ، كما أن « مناطق » جمع لِمنطقة (وهو كل ما شُدَّ به وسطه كالنطاق : عن « لسان العرب ») . ثم استُعملت المِنطقة والقِلادة والمِمنقة في مصطلح علم الهيئة (راجع مثلاً : « مفاتيح العلوم للخوارزمي » مصر ١٣٤٢ ص ١٢٨ و « محيط المحيط » مادة : ن ط ق ، ق ل د ، ونص التوحيدي) . والدليل القاطع — بعد هذا كله — أن التوحيدي كتب بعد خمس عشرة صفحة (ص ٣٩ س ٤) : « الصعود إلى معانق الفلك »

٣ — ترك الغامض على حاله :

ص ١٤ س ٣ ، ٤ : « وترْكُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين ... » — ما المعنى هنا ؟ وما غيرُ الممكن » ؟

ص ٢٥ س ٦،٧: « ما الفرق بين الحادث والمحدَث والحديث؛ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلحظ نفسُه... » — فربما كان يحسن بالناشرين أن يهتديا بكتب الفلسفة ودواوين مصطلحاتها فيشرحا تلك العبارة. لنير قراء الفلسفة، على نحو شرحهما — في غير موطن — لألفاظ لغوية قد تدق على المتأدبين

٤ — التسرع في تصويب الأصل :

ص ١٧ س ١٢ : « فذهب هذا كله ، وتاه أهله » . وزاد الناشران في الهامش : « تاه أهله : هلكوا . وفي الأصل : باه » — والصواب عندي : « باد » ، فهو أقرب إلى مدلول العبارة ، فضلاً عن أن التوحيدي كتب بعدُ (ص١١١س١٣) : « وقد عفت (اللغة) منذ زمان طويل ، وباد أهلها »

ص ٣٩ س ٣ : « الشهوات الغالبة ، والعقيدة الرديئة ، والأفعال القبيحة » . وفي الأصل : « العالية » — وألصق بمادة النص عندي : « الغالية أو العاتية أو العائبة . ألا ترى التوحيدي يستعمل « الرديئة » صفة للعقيدة ، و « القبيحة» صفة للأفعال، فأين ما يفيد التهجين في كلمة « الغالبة » ؟

٥ — قلة التقصي :

ص ٣٨ س ١٥ ، ص ٣٩ س ١ : « ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة العائقة تمنع الناس من العدو ... لأن الحركة قد بطلت بالركاكة ... » . وهنا زاد الناشران في الهامش : « الركاكة : الضعف أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيراً ما تستعمل في ضعف العقل والرأي ، والمراد هنا ما يخص البدن »

فإن صح أن الركاكة كثيراً ما تستعمل في ضعف العقل والرأي (راجع « لسان العرب » أول مادة رك ك) فلا شك أنها استعملت أولَ الأمر في ضعف البدن ، وذلك على حسب سُنّةٍ من سنن فقه اللغة : مدارها أن الألفاظ تتدرج من جانب الحسّ إلى جانب المعنى. والركاكة للبدن معروفة، من ذلك ما جاء في « باب ضعف الخلق » من « مختصر تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (بيروت ١٨٩٧ ص ٨٨) : « والركيك : الفَسل الضعيف (والفَسل بالفتح : الذي لا مروءة له ، عن « القاموس» والمروءة ههنا : الهمة) قال جميل بن مَرثد :

فلا تكونَنَّ ركيكا ثنتلا   لمواً وإن لاقيته تقهّلا»

(وتقهّل : مشى مشياً ضعيفاً ، عن « القاموس ») . وعلى هذا فالذي جاء في الهامش لم يظفر بالتدبّر كله

٦ — التحكم فى رفض رواية النصّ :

ص٢٤ س١٣، ١٤: «وأما قولهم : هذا شيء خَـلَـق، فهو مضمَّن معنيين(كذا):أحدهما يُشار به إلى أن مادته بالية ، والآخر أن نهاية زمانه قريبة » . وفى الأصل « سايلة » ـ فرفض الناشران الفاضلان رواية الأصل إذ وجدا فيها « تحريفاً وقلباً » . هذا وكان يحسن بهما أن يتبينا مُفاد كلمة « السايل » من دواوين الفلسفة ، وكلام التوحيدى فى هذا الوطن يدخل فى فنها . فالسايل فى الفلسفة العربية من السيلان الذى هو « عبارة عن تدافع الأجزاء ... » (« كشّاف اصطلاحات الفنون » كلمة « السيلان » و « السائل ») . وفى «تهافت التهافت» لابن رشد مثلاً (بيروت ١٩٣٠ ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٥٧٢) يرد « السيلان » فى سياق الكلام على الفناء ، وتأتى صفة « سيّال » ضداً لصفة « ثابت » . وقد جاء « السايل » (لا : السائل) فى « كشاف اصطلاحات الفنون » من غير تفريق (واذكر قول الناطقة : « الألفاظ أعراض سيالة ») . وعلى هذا فرواية الأصل صحيحة إذ يجرى الحديث على الفناء فى أسلوب فلاسفة العرب

ص ٢٥ س ١٤ : « كله من ديوان واحد وواد واحد وسبك واحد» . وفى الأصل ، بدلاً من «وواد» : « وهو » — فرفض الناشران رواية الأصل إذ قالا « لا معنى لها » ، وكأنى بهما عدّا « هو » ضميراً منفصلاً لا اسماً مُعْرباً . ففى « لسان العرب » ج ٢٠ ص ٢٥١ س ١٦ : « هَوٌ من الأرض : جانب منها » . فالـهَـوّ إذن له معنى ، ومعناه يفيد مُفاد الوادى وهو اللفظ الذى آثره الناشران بسلائقهما الُمحدثة على سلامتهما ، ظناً منهما أنّ الـهَـوّ ليس فى اللغة

أذكر فى لغتنا العامية : « الهوّ » ، وفصيحه : الهوة

***

ذلك ما حقّـقتـُه . ولعلّ الأستاذ أحمد أمين ينظر فى سطور الكتاب على منهج قويم هو به أدرى ، فيستدرك عليه . فإنى لا أشك ـ بعد الدكتور زكى مبارك ـ أنه لم يصرف إليه عند التحرير موفور همّه

بشر فارس

7me Année No. 338

Lundi - 25 - 12 - 1939



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٣٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــــــرس

ذكرى مولد المسيح

وعلى الأرض السلام !

في هذا اليوم يحتفل المسيحيون بذكرى مولد المسيح عيسى ابن مريم . وفي ليلة هــذا العيد المجيد بات القسس والرهبان يرتلون وحدهم بين أروقة البِيَع وصحون الكنائس ذلك القُنوت الشمري الجليل :

« المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة ! »

وربما تابعهم الأقوام فرتلوا وهللوا جرياً على التقليد وخضوعاً للعادة ؛ ولكنهم وا أسفا لا يجدون في الآفاق ولا في أنفسهم معنى هذا النشيد ، ولا حقيقة هذا العيد !

في أي جهة من جهات الأرض ذلك السلام ؟ وفي أي قلب من قلوب الناس تلك المسرة ؟ لقد عادت روح يهوذا الأسخريوطي في جسدي هتلر وستالين فدلا على السلام الإلهي أبالسة الشر وزبانية الجحيم فصلبوه في بولندة ، ودفنوه في فنلندة ، ومكّنوا في الأرض لعوامل القحط والموت ، فأوقروا مائدة عيسى سماً وصاباً ، وأنبتوا شجرة ميلاده هماً وعذاباً ، وحولوا أعشاش الأسر ورياض الحقول قبوراً موحشة على كل قبر منها ركام من الثلج وصليب من الخشب !

* * *

لكأنى بك يا روح الله كنت تمشى من الناصرة إلى بحيرة الجليل ، ومن صفد إلى كفر ناحوم ، وأنت ناكس الرأس ساهم الوجه ، يختلج بين جوانحك الهم ، ويجول فى مآقيك الدمع ، لأنك كنت ترى بعين الله التى تخترق الأزل والأبد كيف تلازَم الشر والخير فى ملكوته ، فابتلى آدم بإبليس ، وموسى بالسامرى ، وعيسى بيهوذا ، ومحمداً بأبى لهب ؛ وقضى ألا تخلو الأرض من أتباع هؤلاء وهؤلاء ، ليدوم صلاحها بمدافعة بعض لبعض ، حتى إذا طغت قوى الشر وسادت عناصره أرسل عليها طوفان نوح بالماء أو بالوباء أو بالدم أو بالنار فترعوى وتهمد

وكان الشر فى عهد المسيح وحشاً يتسمر فى عيون الروم ، ويتنمر فى نفوس اليهود ، فأخذ هو وحواريوه يكفكفون طغيانه بالمسالمة ، ويخففون عدوانه بالصفح ، ويسعفون ضحاياه بالمواساة ، ويشفون مرضاه بالدعاء ، ويحاربون أولياءه بالوعظ . ولكن الشر كان قد تفاقم واستطار فلم يرتدع باللين حتى جاء محمد رسول الله فردّ جماحه بالسيف . وظلت محنة عيسى عليه السلام ألماً واخزاً فى ضمير الإنسانية لا يفتُر ، وأنينا موجعاً فى أذن الدهر لا يخفت. وتوالت القرون وتعاقبت الدول وتتابعت الحضارات ، ولا يزال إبليس والسامرى ويهوذا وأبو لهب مُنظَرين فى الأرض ، يدعون إلى الشر ويُرَغبون فى الرذيلة ويعملون للفساد ، والعالم المسكين يتدرع فى جهادهم بالدين والمدنية والتربية والعلم ، ولكن ذلك كله لا يغنى عنه إلا كما يغنى السد فى دفع الفيضان، أو الفرجة فى كف البركان ، أو الكوخ فى اتقاء العاصفة

* * *

يا راعى السلام وداعى المودة ، لقد ضل قطيعك كله وشرّد ! فاسأل الله أن يُطلع فى سماء أوربا القاتمة « نجم المجوس » فعسى أن يهتدى به إليك طاغية موسكو وجبار برلين . والله قادر على أن يحوّل فى يديهما القنبلة والطربيد واللغم إلى « ذهب ولبان ومر(١) »

يا حامل الآلام ورسول الرحمة ، كيف استحال حلمك وسلمك وهداك فى ألمانِيَة لوثر وروسِيَة تولستوى سمائم لحظ وزلازل دمار وطوفان هُلك ؟! ألأنك لا تزال غريباً عن الغرب فلم يصادف دينك هواه ، أم لأنك شرعت الألم تكفيراً عن الكفر بالله ؟

لشد ما تختلف المسيحية فى الغرب عنها فى الشرق ! إنها مع المسيح قد خرجت من الغسق إلى النور ، ولكنها مع بولس قد دخلت من الشفق إلى الظلام ! ومن سار فى ضحوة النهار اهتدى ودل ، ومن ضرب فى سُدفة الليل اعتسف وأضل

* * *

بأية حال عاد عيدك يا رسول السلام وحامل الآلام على بولندة وفنلندة ؟! هل قضى الآباء والأمهات ليلة البارحة مُشبِلين على بنيهم وبناتهم فوق الفرش الوثيرة حول المدافئ الواهجة وعيونهم تشرق بالغبطة وقلوبهم تفيض من السرور ، وهم يتناغون بأحاديث الحنان والحب تناغى البلابل الآمنة ، فى أعشاش الربيع الساكنة ؟ هل باتت الصغار الأبرار هذه الليلة فى مهودهم الحريرية يحلمون فى أحضان الكرى ببابام (نويل) وهو يضع لهم الألطاف واللعب والحلوى تحت أفنان الشجرة وفى نواحى المدفأة ؟

يا حسرتا عليهم ! لم يأتهم عيدك يامبرئ المرضى ومحيي الموتى إلا وهم حطام وأشلاء . فلا الدار آهلة ولا الرزق موصول ولا الشمل جامع ! إن نار الأعداء تحرق البلاد فلا مأوى، وصقيع الشتاء يهرأ الأجساد ولا دفء ، وخوَى الأمعاء يلحس الأكباد ولا قوت ، وبقايا القنابل والرصاص والناز من النساء والأطفال والشيوخ مشرّدون على الجليد يلتمسون الحياة الموقوتة فى قرية بعد قرية !

وليت الخراب والعذاب كانا مقصورين على أمة أو أمتين فتمدهما الأمم الأخرى بالمواساة والعون ! ولكن الخطب شامل والطامة عامة . فالأمم المحاربة والمحايدة فى شقاء العيش وبلاء الموت على حد سواء. قضت عليهم هنا وهناك نزوات الفرد وبدواته أن يساقوا إلى الجزر سوق القطيع ؛ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ومن المنتظرين من يقتله الجوع والخوف ، قبل أن يقتله المدفع والسيف . والله وحده يعلم بأى حال ستعود ذكرى مولدك المقبلة على هذا الصدام ، أيقول الحى يومئذ : السلام على الأرض ، أم يقول : على الأرض السلام ! !

احمد حسن الزيات

(١) إشارة إلى الهدية التى قدمها مجوس الفرس إلى مريم وقد اهتدوا إلى بيت لحم بنجم بزغ فى السماء يوم ولد عيسى .

حول مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف

إلى الدكتور طه حسين بك

كلمة صريحة

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكر أن الصحف أخبرتني وأنا ماض إلى الأسكندرية لبعض الواجبات أن معالي وزير المعارف أصدر أمراً بندبك مراقباً للثقافة العامة ، فخفق قلبي خفقة الفرح لأمرين : الأول هو الاطمئنان إلى أن للحق دولة في هذه البلاد ، فقد كان قيل إنك انسحبت من عمادة كلية الآداب فراراً من المناوشات التي تعترضك من حين إلى حين . وكان قيل إنك طلبت إجازة طويلة تقضيها في جوّ هادئ ، وإن معالي النقراشي باشا لم يسمح بذلك ، وقد ظهر أنه كان يدخرك لهذا المنصب الرفيع ، فكان معنى هذا التلطف أن كفاحك في ميدان الحياة الأدبية يجعلك دائماً موضع الحظوة عند كبار الرجال .

ومن المؤكد أن في الناس من يعترض على اختيارك لهذا المنصب ، لأسباب لا تخفى عليك ، ولكني مغتبط بما صرت إليه ، لأنه شهادة بأن الكفاح له في مصر جزاء ، وأنت برغم حسادك من أقطاب المكافحين .

أما الأمر الثاني فهو الاطمئنان إلى أنك أصبحت معنا في وزارة المعارف ، وقد كان بيننا وبينك حجاب كثيف هو أشجار حديقة الارمان بالجيزة الفيحاء ، فلن تملك بعد اليوم أن تُبرِم وتَنقُض بلا رقيب ولا حسيب كما كنت تصنع في « القصر المسحور » : قصر كلية الآداب !

أصبحت معنا في وزارة المعارف ، وصار من السهل أن نتعقبك حين نشاء بدون أن نتجشم عُبور النيل فوق جسر فؤاد أو جسر إسماعيل أو جسر عباس .

فماذا أعددت لصحبتنا بوزارة المعارف ، أيها الراقب الحصيف ؟

أتكون جئت وفي يمينك كتابك « مستقبل الثقافة في مصر » ؟

إن كان ذلك فاعلم ، أيها الأستاذ الجليل ، أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً لعملك الجديد ، فقد ناشه الناقدون من كل جانب ولم يتركوا فيه أديماً صحيحاً !

وأنت قرأت مقالي في نقد كتابك ، وقرأت مقال الدكتور عبد السلام الكرداني بك ، فهل قرأت مقالات الأستاذ ساطع الحصري بك ، وقد نبهتك إليها منذ أكثر من شهرين ؟

أنت صرحت مرات كثيرة بأن العقلية المصرية عقلية يونانية ، وأن تلك العقلية تجب مراعاتها في التعليم والتثقيف ، أفتظن أن هذا الأساس لا يزال صالحاً لأن تقيم عليه عملك الجديد ؟

وأنت دعوت إلى تعلم اليونانية واللاتينية بحجة أنهما أصل للحضارة الأوربية ، فهل تظن أن تلك الدعوة لا يزال لها في مصر والشرق مكان ؟

أيها الأستاذ الجليل :

إنك لا تفرق بين ما يقال في حُجرات كلية الآداب لتثقيف عدد محدود من الطلاب ، وما يقال في وزارة المعارف لتثقيف السواد الأعظم الذي تدخره الأمة للنهوض بأعباء العصر الحديث .

وإليك بعض التفاصيل :

أنت سميت سعيك لسيطرة الجامعة على السنة التوجيهية ، فهل تعرف كيف كانت العواقب ؟

أردت بعقليتك (الجامعية) أن تفرض على الطلبة دراسة كتاب « نقد النثر » لقُدامة بن جعفر ، فهل تظن أن نصوص ذلك الكتاب مما تسيغه عقول الطلبة في السنة الخامسة الثانوية ؟

كان يجب أن تشتغل بالتدريس في القسم الثانوي سنة أو سنتين قبل أن ترشح نفسك لوضع منهج الأدب بالمدارس الثانوية .

كان يجب أن تذكر مصير كتاب « المجمل » عليه رحمة الله ! وهو الكتاب الذي انتظم تاريخ الأدب من عصر امرئ القيس إلى عصر شوقي ، ومع ذلك كان من الحتم على طلبة السنة الثالثة أن يدرسوه في عام واحد !

ولكن لا بأس ، فقد أعانني الله على وأد ذلك الكتاب ومؤلفوه أحياء ينظرون !

وأنت سميت سعيك إلى أن يكون منهج الأدب في السنة الخامسة خلاصةً لتاريخ الآداب اليونانية واللاتينية ، وأتعبت

نفسك فى تأليف مذكرات يستعين بها الدرسون على فهم ذلك المنهج الطريف !

فهل تستطيع أن تدلنى على أمة واحدة كان فيها منهج الأدب القومى خلاصة لآداب أمة أجنبية ؟

وهل جشمت نفسك مشقة الانتقال لحضور الامتحانات الشفوية بوزارة المعارف عساك تدرك إلى أى حد نجح اقتراحك الجديد ؟

إن وزارة المعارف سكتت عنك، لأنها كانت تعرف ما (ترجوه) منك ، فقد قلت فى كتابك : إن أكثر المراقبين لم يثقفوا ثقافة جامعية . وأنت فى الواقع خصمٌ مخيف ، فليس من المستغرب أن يسكت عنك المراقبون وهم كارهون !

فهل تنتظر أن يطول هذا السكوت ؟

هذا يوم له ما بعده ، يا سيدى الدكتور ، فقد تحدثك النفس بعد أسبوع أو أسبوعين بدعوة وزارة المعارف إلى فرض إحدى اللغات الميتة على بعض الأقسام بالمدارس الثانوية ، وقد تحدثك النفس بوجوب القول بأن عقلية مصر عقلية يونانية لا عربية ، وقد تحدثك النفس بأن الجهل بحياة البحترى لايقاس إلى الجهل بحياة هوميروس !

هل تذكر خرافة « تيسير النحو » التى شغلت بها وزارة المعارف ؟

وهل تذكر أين صارت تلك الخرافة بين غيابات التاريخ ؟

وهل تذكر ما قوبلت به من السخرية فى الشام والعراق ؟

إن محاسنك هى عيوبك ، يا سيدى الدكتور ، فأنت تفرّ من السكون لأنه ينافى الحياة ، وأنت بالفعل من أقوى الأحياء ، ولكنك مع ذلك لا تحب الحياة فى الحقيقة كما تحبها فى الخيال ، وإلا فكيف جازعندك أن تُدرس الخطب القديمة فى وطن ديموستين قبل أن تدرس الخطب الحديثة فى وطن زغلول ؟ وكيف صح فى ذهنك أن تُدرس مجادلات الأحزاب فى أثينا قبل أن تدرس مساولات الأحزاب فى القاهرة وبغداد ؟

أنا أرجو — وأنت مَن أعرفُ فى رحابة الصدر ورجاحة العقل — أن تثق بأنى لا أجامل وطنى ولا أصانع زمانى ، وإنما أنا معلّم يدرك أصول التعليم إلى أبعد الحدود، وهى مهنة سأصل بها إن شاء الله إلى ذروة المجد ، فلا يعيينى أن أستطيل بها على من أشاء ؛ ومعرفتى بهذه المهنة تفرض علىّ أن أصارحك بأنك قد تسلك مسالك لا تخلو من وعورة والتواء

أنت تلوذ بالقديم فى كل وقت لتأمن سيطرة الناقدين ، ولكن القديم قد اندحر أمام الجديد ، فمن واجبك أن تفكر فيما تقدم عليه قبل أن يذكرك ناقدوك

فأين أنت من مشكلات العصر الحديث ؟

هل ترى أن يظل شبابنا على جهل بالتطورات التى تثور فى الممالك الأسيوية والأوربية والأمريكية ، اكتفاء بما تقترح أن نعلّمهم من أخبار اليونان والرومان ؟

وهل تظن أن العلم بمناوشات الأحزاب فى أثينا القديمة يغنى عن العلم باصطخاب المذاهب فى لندن وباريس وموسكو وبرلين لهذا العهد ؟

وهل ترى أن درس مخاطرات هانيبال أنفع من درس دسائس ستالين ؟

وهل تظن أن النظر فى أسباب سقوط الأمبراطورية الرومانية أهم من النظر فى أسباب سقوط الخلافة الإسلامية ؟

وهل يخطر فى بالك أن درس تاريخ الآشوريين والبابليين أهم من درس العراق الحديث ؟

وهل تفهم أن درس الصلات بين مصر والشرق لعهد الفراعين أهم من درس الصلات بين مصر والشرق لهذا العهد ؟

التاريخ واجب الدرس ، ولكنه على كل حال تاريخ ، فكيف يغيب عنك أن من العيب ألا نعرف من مذاهب روسيا وألمانيا وإيطاليا غير ما تسوقه إلينا بعض الجرائد الأجنبية ؟

وهل تثق بأن تلاميذ المدارس عندنا يعرفون الفروق بين الاشتراكية والشيوعية ، مع أننا نعلّمهم الفروق بين مذهب أهل السنة ومذهب الاعتزال ؟

هل يعرف تلاميذنا ما النازية وما البلشفية وما الفاشيستية ؟

وهل يعرفون أصول العقائد التى تحترب فى الشرق لهذا العهد ؟

وهل فى مصر كتابٌ واحد يؤرخ الثورة المصرية التى شبت فى سنة ١٩١٩ ؟

وهل فى مدارسنا تلميذ واحد علّمه أساتذته كيف يقرأ أخبار الأسواق المالية فى الجرائد ؟

وهل تعرف مدرساً شرح لتلاميذه كيفية الاستفادة من الإذاعة اللاسلكية ؟

وهل عندك فى كلية الآداب مدرس يستطيع أن يُلقى محاضرة وافية عن الأفلام المصرية ؟

وهل تعرف أنت كُنه الاتجاهات الأدبية فى البلاد العربية لهذا العهد ، كما تعرف كُنه الاتجاهات الأدبية فى عصر بنى أمية وعصر بنى العباس ؟

وهل عندك فى مكتبة قسم اللغة العربية بكلية الآداب مجموعة من الجرائد والمجلات تصور عقول الكتاب والباحثين فى مختلف الأقطار العربية تشبه مجموعة الكتب القديمة التى اشتركتُ معك فى تكوينها سنة ١٩٢٥ ؟

وهل يعرف طلبة الفلسفة عندكم عدد المذاهب الصوفية بهذه البلاد ؟

وهل فكرتم فى تصحيح الأغلاط التى وقعت فيها بعثة بونابرت ؟

وهل أقمتم متحفاً لمخطوطات العلماء والشعراء والكتاب الذين حفروا الأساس لبناء العصر الحديث ؟

وهل عندكم نبأ مما صنع النجارى فى ترتيب « لسان العرب » ؟

وهل فكرت كلية الآداب فى البحث عن كتاب تيمور باشا فى اللهجات العامية ؟

يا سيدى الدكتور

اسمع كلمة الحق من رجل كان تلميذك ، وكان زميلك ، ولا يزال أصدق أصدقائك ، وهو يصارحك بأنك تجهل بلدك وعصرك بعض الجهل

لقد جاورتَنا مدة فى مصر الجديدة ، فهل تعرف عدد المدارس فى مصر الجديدة ؟

فى مصر الجديدة أربع وثلاثون مدرسة لا تعرف منها وزارة المعارف غير آحاد !

أنت جئت إلينا فى وزارة المعارف ، ولم يعُد بيننا وبينك حجاب من أشجار الأورمان ، فأعدَّ عزيمتك لحرب ضروس تنقلك من حال إلى أحوال

أقول هذا وأنا أعرفُ الناس بفضلك وشهامتك ، فإن استرحتَ لبعض ما قدمتُ إليك فذلك بعض ما عهدتُ فيك ، وإن ضاق صدرك من بعض ما أسمعتُك فلك عذرٌ مقبول : فأنت من أهل هذا العصر ، وهم يتنكرون لكلمة الحق فى بعض الأحيان .

لا تنزعج ، يا سيدى الدكتور ، فليس هذا المقال إلا صدًى لهدير البحر بالاسكندرية ، ولن ألقاك فى وزارة المعارف إلا بلسان معسول يشبه ألسنة الفنيين بوزارة المعارف !

زكى مبارك

(الرسالة) يظهر أن الدكتور المبارك فهم من (الثقافة العامة) المرحلة الثانوية من السنة الأولى إلى الرابعة . والذى نعرفه أن (مراقبة الثقافة العامة) لا يتصل عملها بالمدارس والمناهج وإنما يتصل بشؤون الثقافة الشعبية فيما وراء ذلك



في مزارات الاسكندرية

للدكتور عبد الوهاب عزام

« بقية المنشور في العدد ٣٣٤ »

سرنا إلى جامع البوصيرى وهو من أجل المساجد وأحبها إلى نفسي لا يمل زائره الجلوس فيه يقلب الطرف في جوانبه ويرى البردة منقوشة على أربعة جدرانه في إطار واحد، ويرى بين الحين والحين زرقة البحر والسماء فيطلق فكره من المعبد الصغير إلى المعبد الأكبر بين لجة الماء ولوح الجو

ذكرنا هناك المحدث الأديب الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة والهمزية القصيدتين المباركتين اللتين خلدتا صاحبهما وخلدتا في صفحات الدهر ونالتا من الحفظ والإنشاد والكتابة والنقش والتذهيب والتحلية ما لم ينله شعر آخر في الجاهلية والإسلام

وجلسنا في الإيوان المشرف على الصحن جلسة خفيفة أنشدنا فيها الشيخ الخالدى هذه الأبيات :

أما المحبة فهي بذل نفوس	فتنمّى يا مهجتي بالبوس
بذل المحبّ لمن أحبّ دموعه	وطوى حشاه على أحر رسيس
شرفاً لشاذلة ومرسية سرتْ	لهما الرياسة من أجلّ رئيس
ما إن نسبت إليهما شيخيهما	إلا جلوتهما جلاء عروس

وليست هذه الأبيات غريبة في مسجد البوصيرى، وإن لم يذكرفيها، فهو تلميذ أبي العباس المرسى. وأبو العباس تلميذ الشاذلى

وأبو الحسن الشاذلى هو الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ الطريقة الشاذلية . كان عالماً واسع العلم وبلغ الدرجات العالية في التصوف وتوفى بصحراء عيذاب متوجهاً إلى مكة في ذي القعدة سنة ٦٥٦ ونسبته إلى شاذلة إحدى قرى تونس

وأردنا أن نزور قبر الشاطبي الذي ينسب إليه حي الشاطبي في رمل الاسكندرية فقيل لنا إن قبره قد اشتملت عليه العمارة الشامخة التي شادتها جمعية العروة الوثقى هناك

وهذا الشاطبي غير صاحب الشاطبية ، ولكنه من رجال القراءات كذلك ذكره السيوطي في حسن المحاضرة في عداد من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية . وقد كتب لي العلامة الشيخ الخالدى ترجمته من كتاب « الزهر المضي في مناقب الشاطبي » وهأنذا أثبتها هنا :

« أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة، جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والتخلى عن الناس ، والتمسك بطريقة السلف ، قرأ القرآن ببلده بالقراءات السبع على أبي عبد الله محمد ابن سعادة الشاطبي وغيره ، وقرأ بدمشق على الواسطى وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ ، وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصرى وأبي المعالى بن خضر وأبي الوفا ابن عبد الحق وغيرهم. وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبي عبد الله الراسى ، وصنف كتباً حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب، وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة، وتفسير القرآن العزيز، وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالى في القراءات والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية ، وكتاب الحرقة في إلباس الخرقة، وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الأربعين المضية في الأحاديث النبوية ، ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالأسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ، ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله »

ويوم الأربعاء التاسع والعشرين من رجب خرجت أنا والأستاذ الزيات لرؤية جامع الشيخ . وكنت واعدت الشيخ ابراهيم القادرى شيخ التكية القادرية أن أمرّ به صباح هذا اليوم ووعد أن يكلف خازن مكتبة الجامع أن يكون هناك ليطلعنا على خزانة الكتب .

زرنا التكية وصحبنا الشيخ ابراهيم إلى الجامع ، وكنت أسمع بجامع الشيخ وأود أن أراه فلم تتح الفرصة قبل

الجامع مبنى فوق سوق بها حوانيت كثيرة. دخلنا من الباب الخلفي فصعدنا درجاً وملنا ذات اليسار إلى مكتب لتعليم القرآن ، ثم صعدنا درَجاً آخر إلى حجرات يسكنها طلاب العلم في ذلك الجامع . ثم هبطنا من حيث صعدنا فدخلنا إلى جامع واسع فيه مصلى كبير محيط به ثلاثة أروقة كبيرة، رواقان مستطيلان عن جانبي القبلة ورواق إلى الشمال كبير يفضي إلى باب المسجد الأمامىّ وقد ألفيت المسجد أوسع وأجمل مما حسبت قبلاً

وسرنا في الرواق الذي إلى يسار القبلة إلى حجرة ، وتقدم شيخ وقور هو إمام المسجد ففتح الغَلَق عن باب يؤدى

إلى حجرة تفضي إلى حجرة أخرى فيها الكتب

سمعت من قبل أن هذه الخزانة أغلقت أربعين عاماً ثم فتحت وقد فعلت الأرضة فعلها بالكتب فأتلفت كثيراً منها . ورأيت بقية الأرضة والإهمال من هذه الكتب مكدسة في رفوفها لا يدرى ما فيها . ولعل فيها من نفائس الكتب ما نتفقده في دور الكتب فلا نجده، أو ما نحن في حاجة إليه شديدة لتصحيح ما لدينا من الكتب المخطوطة . ولست أدرى على من تقع التبعة فيما أصاب هذه الأسفار من التلف وما هي فيه من ضياع. إن أسرة الشيخ ابراهيم باشا الذى أسس هذا المسجد أسرة عريقة في البر لها أياد على العلم والعلماء . وكانت دورهم مقصد رجال العلم من مصر وغيرها . وكان هذا الجامع معهداً في الاسكندرية قبل إنشاء المعهد الديني التابع للأزهر . فلماذا ترك الخلف من هذه الأسرة سنن السلف وأهملوا آثار آبائهم ؟ وإن كان لوزارة الأوقاف إشراف على هذا الجامع فعليها تبعة عظيمة، وعليها أن تستولي على المسجد ومكتبته أو تلزم القائمين عليهما أن يحسنا القيام

لعل كلمتى هذه لا تذهب سدى بين الأوقاف وأسرة الشيخ ابراهيم باشا .

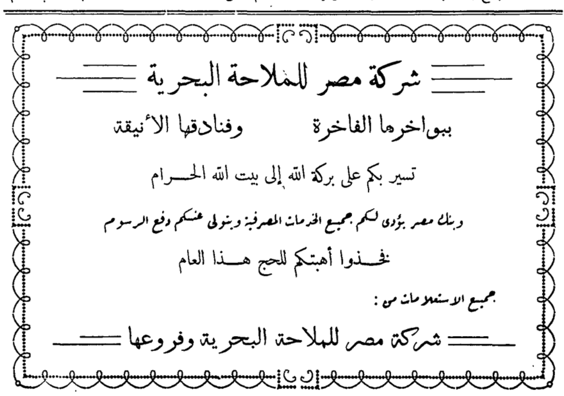
تركنا الجامع إلى مكتبة الاسكندرية في دار موصيري .

وهنالك لقينا الأخ الأديب الشيخ بشير الشندى ، فأنسنا به وأفدنا من حديثه عن الكتب ، وعن آثار الاسكندرية . وقد أطلعنا على رحلة ابن رشيد التى ذكرتها فى المقال السابق . وفى المكتبة منها الجزء الثالث وهو المتضمن وصف مصر . وهو منقول عن نسخة فى الأسكوريال . وهذه الرحلة ذات جدوى كبيرة فى تاريخ مصر ولا سيما الاسكندرية ، وهى جديرة بالعناية والنشر

وكان من حديث الأخ بشير أن قال : أسمعتم عن بئر مسعود ؟ قلنا : نعم هو على ساحل سيدى بشر . قال : لكن مسعود الذى أضيفت إليه البئر ؟ قلنا : لا ندرى . قال : عندى حديث عنه لا تجدونه فى الكتب. كان شيخنا الشيخ عبدالفتاح شريف والشيخ جاد الحق يذهبان إلى تلك الجهة للرياضة والدرس وكنت أذهب معهما ؛ وكان الشيخان ومن يصحبهما يجلسون على هذه البئر يتمتعون بمنظر البحر وهوائه . وكان فيمن يحضر هذا المجلس رجل ظريف موظف فى الجمرك يسمى مسعود أفندى طراطيش فبدا لشيخنا أن يسمى البئر « بئر مسعود » فعرفت بهذا الاسم حتى اليوم قلت: هى فائدة لم يفكر فيها اللاهون حول البئر اليوم

رجعت إلى دارى وأنا أتمنى أن تمكن الفرص من بعد لرؤية ما لم نر من مشاهد المدينة العظيمة

عبد الوهاب عزام



فنلندا بلاد التعاون

مواردها والحركة التعاونية فيها

للدكتور مأمون عبد السلام

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

تعمل الحكومة الفنلندية جهدها لترقية الزراعة فأنشأت مدارس للزراعة وفلاحة البساتين وتربية الماشية وصناعة الألبان وتربية الخيل والتدبير المنزلى، وأنشأت معهداً للبحوث الزراعية يتبعه محطات تجارب لتربية النباتات وصناعة الألبان وإصلاح أراضى المستنقعات . ومما يدل على اهتمام الفنلنديين بالزراعة أن كل مزارع منهم ينتمى إلى جمعية زراعية، وجميع الجمعيات الزراعية تساعدها الحكومة

والفنلنديون مغرمون من قديم بشرب اللبن فتراهم يدعون الله فى صلواتهم أن يكثر ألبانهم . وهم مشغوفون بأكل الزبد فتحث الأم ابنتها على الإكثار من أكله وهى تنشدها قائلة :

كلى الزبد الطازج طول العام
كى يستدير جسمك
كلى لحم الخنزير طول العام
كى يزيد حسنك
كلى القشدة طول العام
كى يزيدك جمالاً

وكان الفنلنديون فى سنة ١٢٦٠ ميلادية يدفعون بعض الضرائب للحكومة أقراصاً من الزبد . وفى سنة ١٥٦٠ بلغ الزبد الذى صدرته فنلندا إلى دنزيج ولوبك والدانمارك وهولندا نصف مجموع صادراتها . أما الآن فعشرة فى المائة من الصادرات من الزبد والجبن، وقد بلغت الحركة التعاونية فى الألبان درجة لا تضارع فى أى قطر آخر . وخمسون فى المائة من أعمال الفلاح فى فنلندا محصورة الآن فى صناعة الألبان ومشتقاتها

وقد كانت الأبقار الفنلندية رديئة ضعيفة صغيرة قليلة اللبن تجوب المستنقعات وراء الغذاء، فعملت الحكومة على تحسينها فأوجدت عترات نقية جيدة وعلمت الزارعين ضرورة إنتاج الألبان الجيدة فأسست المعاهد والمدارس لتدريبهم على صناعة الألبان بالطرق الحديثة وأوجدت معياراً ثابتاً standard للبن والزبد وصدرتها على هذا الأساس

ويوجد الآن فى ميناء هانكو مخزن ومعمل عظيم للزبد المعد للتصدير فيفرزونه من حيث الرائحة والطعم والجودة ولا يصرح بالتصدير إلا للزبد المتفوق الحائز للشروط، ويباد غيره إلى داخلية البلاد للاستهلاك المحلى بسعر يتناسب مع رتبته . وبذلك أصبح الزبد الفنلندى يضارع زبد الدانمارك، والجبن الفنلندى لا يقل فى الجودة عن الهولندى والفرنسى، ويصدر ٩٠٪ من زبد فنلندا عن طريق الجمعية التعاونية المسماة فاليو



عند الرأس الشمالى، على ضفة المحيط المتجمد، حيث يجرى القتال الآن فى منطقة بتسامو
(من مجموعة الدكتور بشر فارس)

وتعتمد فنلندا فى ثروتها القومية على الزراعة وصيد الأسماك والتعدين، ففيها قليل من الذهب فى لابلندا والنيكل والفضة والنحاس، ويستخرج الحديد من المناجم ومن قاع البحيرات

وقد تقدمت الصناعة فى فنلندا فى السنوات الأخيرة مما يشهد لأبنائها بطول الباع واستحقاقهم للحياة، وإليك النسبة المئوية للفنلنديين من حيث حرفهم

٥٩،٦ يشتغلون فى الزراعة
و ١٦،٨ فى الصناعة والأعمال اليدوية
و ٤،٣ فى التجارة
و ٣،٨ فى أعمال النقل
و ١٥،٥ فى صناعات أخرى

وقد ازدهرت فى فنلندا صناعة الأخشاب والورق والسليولوز ولب الخشب وخشب الأبلاكاش والبوبينات ويشتغل ٣٥٪ من الصناع فى الصناعات الخشبية . وقد أسس أول مصنع يشتغل

بقوة المياه من مائة سنة مضت. وفى سنة ١٨٦٠ استكشفت طريقة صناعة لب الخشب ، ومن ثم انتشرت مصانعه بفنلندا

ومساكن العمال بالمصانع على جانب عظيم من النظام والنظافة. ويشتغل العامل ثمانى ساعات فى اليوم ويعطى فى أول عام من التحاقه بالمصنع أجازة قدرها أسبوع ثم أسبوعان فى السنة الثانية وهكذا إلى الخامسة إذ تزاد إلى ثلاثة أسابيع. وفى سنته العاشرة تزاد إلى شهر فى العام

وقد كانت حالة العمال قبل ذلك سيئة فقد كانوا لتفككهم وفقرهم وتحكم أصحاب الأعمال فيهم يشتغلون ١٤ ساعة فى اليوم بأجور زهيدة، فتسربت إليهم التعاليم الحديثة الخاصة بحقوق العمال من ألمانيا ، فألفوا اتحادات العمال فى المدن ، وكانت فى أول أمرها غير سياسية ، إذ اشترك فيها أصحاب الأعمال والعمال ، ولكنها ما لبثت أن لبست ثوب الاشتراكية . وفى سنة ١٨٩٩ تأسس حزب العمال ونشر برنامجه الذى طالب فيه بالمساواة فى الحقوق وبجعل ساعات العمل ثمانيا فى اليوم وتحريم الخمور . ثم تكون الحزب الصناعى وهو دائماً متحد مع حزب الفلاحين

وتتجر فنلندا مع الروسيا ثم بريطانيا العظمى وألمانيا والدانيمارك وفرنسا والسويد، وأهم وارداتها الغلال والدقيق والمعادن والآلات والمنسوجات. وأهم الصادرات الأخشاب. ومن مصنوعاتها الورق ولبه ، وبعض المنسوجات ، والمصنوعات المدنية والجلود

وقد افتتح أول خط حديدى فى سنة ١٨٦٢ وأنشئ آخر يصل عاصمتها بعاصمة الروسيا (لنينجراد) فى سنة ١٨٧٠ . وفى فنلندا نظام بديع من الترع والقنالات أهمها القنال الذى يصل بحيرة سايما بخليج فنلندا ، ويمكن بواسطته أن تتوغل البواخر من بحر البلطيق إلى ٢٧٠ ميلاً داخل فنلندا

ولفنلندا أسطول تجارى، ويمكن المسافر السويدى أن يصل إليها فى بواخر تبرح ستوكهولم فى كل مساء عدا أيام الأحد فيصل إلى ميناء توركو الفنلندى وهو ميناء عظيم على أحدث نمط فيه مصانع للسجاير والخزف والمأكولات ، والمصنوعات الحديدية والمخازن الكبيرة المملوءة بالبضائع. ومعنى توركو باللغة الفنلندية (السوق) وقد كانت كذلك أيام وثنيتها فأنشئت مكانها هذه المدينة فى القرن الثالث عشر .

وفنلندا فى مقدمة أمم العالم من حيث بواخرها التى تمخر فى الجليد وقد صنعت لأول مرة فى سنة ١٨٩٠ وهى تجرى على الجليد فتهشمه بثقلها وتشق لنفسها طريقاً فى الماء، وبذا يمكنها أن تمخر طول العام إلى ميناءى توركو وهانكو

ويؤمن الفنلنديون إيماناً صادقاً بنظام التعاون . فنظام فنلندا الاجتماعى مشبع بالجمعيات والمؤسسات التعاونية حتى لا يضارعها فيه أى قطر . فترى المزارع يبيع زبدا بواسطة الجمعية التعاونية لتصدير الزبد المسمى «فاليو» ويحصل على نقود من البنوك التعاونية ليوسع بها مصانع ألبانه ويبتاع آلاته الزراعية عن طريق الجمعية التعاونية الزراعية للبيع بالجملة المسماة هانكيجا. وتبتاع زوجته ما يلزم البيت من الشركة التعاونية المسماة إيلانتو ، ويكتب ابنه الصغير بمداد من صنع الجمعية التعاونية المسماة S. O. K. وتبيع ابنته الصغيرة ما تجمعه من الثمار البرية من الغابات لجمعيات تعاونية خاصة لتصنع منها المربيات



الرنة — وتستعمل لجر العربة — تستريح على الثلج فى لابلندا

وقد أدخل نظام التعاون فى فنلندا فى منتصف القرن التاسع عشر ولكنه أصبح حقيقة واقعة فى سنة ١٨٩٩ وذلك بتأسيس جمعية بليرفو التى أخذت على عاتقها نشر الحركة التعاونية فنجحت فى ذلك نجاحاً كبيراً . وكان من أكبر أسباب ضعف التعاون فى فنلندا عدم ارتباط الجمعيات التعاونية بعضها ببعض . ولكنهم تغلبوا على ذلك فى سنة ١٩١٥ بإنشاء المؤسسات التعاونية المركزية الآتية :

١ — جمعية S. O. K. وهى جمعية عظيمة تشترى جميع المواد الغذائية والبضائع المختلفة لحساب المخازن التعاونية المحايدة. وتصنع جمعية S. O. K. الكبريت والفرش والملابس الداخلية والورق والطوب والدراجات والأخشاب، كما أنها تحفظ الفواكه وتحمص

البن . وقد شيدت بناء عظيما زودته بآلات تولد الكهرباء بقوة المياه للاضاءة والصناعة، وهى تستورد الآلات ولها من أجل ذلك مكاتب فى القارة الأوربية ولندن وأمريكا الشمالية والجنوبية



بين تيارات فنلندا وغاباتها

٢ — جمعية هانكيجا Hankkija وتشترى الآلات الزراعية والأسمدة والبذور والسيارات والزيت والأسمنت وكل ما يحتاج الزارعون وتبيعها للجمعيات التعاونية والمزارعين، ولها محطات للتجارب ومشتل ومحطة لتنظيف الحبوب واختبار نقاوتها وآلة للطحن ومخازن لبيع الآلات

٣ — جمعية العمل وهى جمعية المزارعين التعاونية للجملة، وتختلف عن السابقة فى تكوين عضويتها

٤ — جمعية بنوك التسليف الزراعى المركزى لتسليف البنوك الزراعية، وهذه تسلف أعضاءها لتحسين زراعتهم أو أعمالهم الأخرى التى يعيشون منها

٥ — جمعية فاليو Valio لتصدير الزبد

٦ — الجمعية التعاونية الفنلندية لتجارة الماشية

٧ — جمعية ماتا للتصدير

٨ — جمعية انيغتين Enigheten لصناعة الألبان

٩ — الجمعية المركزية لأصحاب الغابات

١٠ — جمعية O. T. K. التعاونية للجملة وهى فرع من جمعية S. O. K. السابقة

ومما يلفت نظر زوار فنلندا وجود اسم أبلانتو فى كل مكان وهو اسم جمعية للبيع بالقطاعى أنشئت سنة ١٩٠٧ كمخبز. وهى لا تزال إلى الآن أكبر مخبز فى فنلندا، ولكنها توسعت فى اختصاصها فأصبحت تبيع مصنوعات الألبان والبقالة واللحوم والبيرة والعقاقير الطبية والملابس وإدارة المطاعم ويبلغ عدد أعضائها خمسين ألفاً

والفنلنديون أهل ذمة وأمانة ووفاء. فحكومتهم هى الوحيدة من جميع الحكومات الدينة للولايات المتحدة التى تسدد أقساط دينها بفائدته مما جعلها محط احترام الأمريكيين ومحبتهم. فالفنلنديون بطبيعتهم مقتصدون حسنو التدبير. وهم يكرهون المضاربات والمساهمة فى الشركات وكل أعمال البنوك اعتقاداً منهم أنها تخالف قواعد الأمانة وحسن الذمة، لذلك لا تجد فيهم أمثال كروجر وغيره من الدجالين النصابين من زعماء المال. وفنلندا هى الدولة الوحيدة التى أخفق كروجر فى الحصول على احتكار الكبريت فيها

وأنشىء بنك فنلندا فى سنة ١٨١١ فى هلسنكى وله فروع فى ١٣ مدينة أخرى، ومديروه ينتخبهم البرلمان وينتخب مجلس الإدارة رئيس الجمهورية مباشرة

وأسست العملة الفنلندية فى سنة ١٨٦٠ وكانت تجرى على قاعدة الذهب من سنة ١٨٧٧ واحتفظت بها حتى أول يناير سنة ١٩٢٦. أووحدة عملتها المارك الفنلندى المجزأ إلى مائة جزء يسمى بنيا وقيمته سنتيمان

وفى فنلندا تسعة بنوك للسندات وستة للرهنيات و ٤٨٢ بنكا للايداع وبنك مركزى للتسليف و ١٣٤٢ بنكا تعاونياً للتسليف.

وتعتبر فنلندا من أرخص بلاد العالم، لأن أهلها لا يميلون إلى الكماليات إذ يعتقدون أن أحسن وسيلة للمعيشة هى اكتساب

القوت من العمل فى الحقل أو فى المصنع لا عن طريق اللصوصية المقنعة بالمضاربة وغيرها

ويعطى الفنلنديون كل عنايتهم لنشر التعليم، فخصصت حكومتهم ١٢ ٪ من ميزانيتها له ، وحتمت على كل طفل مهما نأى بلده أن يتعلم القراءة والكتابة ، فترى فى الدساكر والقرى والمدن المدارس الأولية الحرة ومدارس التعليم التعاونية والمدارس الصناعية والزراعية ومدارس التدبير المنزلى ، والدراسة فيها باللغتين الفنلندية والسويدية على أحدث النظم الألمانية

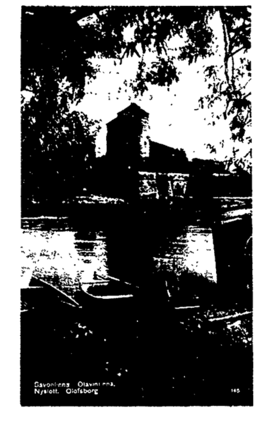
والتعليم عندهم ذو وجهة عملية يهيء الطالب ذكراً كان أو أنثى ليكون عضواً نافعاً لبلاده جسميًّا وعقلياً ، لذلك يتضمن التعليم التدريب الجسمى والفكرى

ويلتحق صغار الطلبة من سن ٧ إلى ١٣ أو ١٤ سنة بالمدارس الأولية الحرة التابعة للمجالس البلدية وبالمدارس التعاونية والمدارس التحضيرية . وتوجد كذلك مدارس أولية راقية للطلبة من سن ١٠ إلى ١٧ أو ١٨ سنة ، ومدة الدراسة ثمانى سنوات وتديرها الحكومة .

وبفنلندا ثلاث جامعات أنشئت فى سنة ١٦٤٠ وسنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٠ على التتابع، منها اثنتان فى مدينة توركو والثالثة فى هلسنكى ، وهى أكبرها وأعظمها استعداداً . والتدريس فى الجامعات باللغتين الفنلندية والسويدية وهما اللغتان الرسميتان بحسب نص الدستور . وعلى الطالب الفنلندى أن يتكلم لغة إضافية كالألمانية أو الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ليسهل عليه الاتصال بالعالم الخارجى . وكانت دراسة اللغة الروسية إجبارية فى الزمن السابق فأبطلت، وتدرس علاوة على ذلك اللغتان اليونانية القديمة واللاتينية . ونسبة الأمية فى فنلندا ٩ و ١٠ ٪ من الذين يزيد سنهم على ١٥ سنة

وتهتم فنلندا أعظم اهتمام بالرياضة البدنية . وقد اشتركت فى الألعاب الأولمبية الدولية وحاز مصارعوها السبق أربع سنوات متتالية على أمم العالم، كما أنهم تفوقوا فى كثير من الألعاب كالجرى البعيد . وقد رفع العلم الفنلندى فى سنة ١٩١٢ فوق بناء الألعاب الأولمبية الدولية بالرغم من احتجاج الروسيا . وفى سنة ١٩٢٠ دخلت فنلندا دورة أنفرس الدولية كدولة مستقلة وتبوأت مكانها كالثانية أى بعد الولايات المتحدة وأرسلت ٥٨ عضواً وقد احتفظت بمكانها فى سنة ١٩٢٤ فى دورة باريس فى جميع الألعاب التى اشتركت فيها. وسبقت فنلندا الأمم الأوربية فى منح النساء حريتهن واهتمام الفنلنديين بشؤون النساء يرجع إلى عهد بعيد فإن أقدم مستند فنلندى تاريخى يرجع إلى سنة ١٣١٦ كان خاصاً بحقوق النساء .

وتزاول الفنلنديات كافة الأعمال والحرف ، فمنهن المهندسات والمعماريات والبناءات ، ورواصفات الطرق ، وسائقات السيارات وما إلى ذلك . وقد منحن حق التصويت فى الانتخاب من سنة ١٩٠٦ ، وأصبح لهن الحق فى أن ينتخبن لعضوية البرلمان فى سنة ١٩٠٧ . ونسبة النساء فى عمال المصانع ٢٠٪ كما أن ١٠٪ من مخازن الأدوية يملكها نسوة و ٨٠ ٪ من مستخدميها من النساء . وقد جاهدت الفنلنديات لمنع شرب الخمر وكان لهن الفضل فى إجبار الحكومة على مراقبة بيع المشروبات الروحية . وقد تسبب عن اشتغال النساء بالحرف متاعب زوجية عظيمة . والفنلنديات ماهرات فى فنون الطهى وتدبير المنزل



فى بحيرات فنلنـــدا

وبرغم أن سبعة أثمان سكان فنلندا من الفنلنديين ، وبالرغم

من أنه لم يحرم عليهم التكلم بلغتهم فى عهد تحكم الدول الأجنبية فيهم ، فإن الأقلية التى تتكلم السويدية كانت تملك معظم الثروة وكل الإدارة والسلطة السياسية والمراكز الاجتماعية الهامة ، ولم توجد كتب باللغة الفنلندية قبل سنة ١٨٦٠ عدا الكتب الدينية.

وقد ترجم ميخائيل أجريكولا (وهو تلميذ مارتين لوثر منشئ البروتستانتية كتاب العهد الجديد إلى اللغة الفنلندية فى سنة ١٥٤٨ وقد طبع أول قاموس لاتينى فنلندى فى سنة ١٨٢٦ ، وقد وضع لونروث فى سنة ١٨٣١ و سنة ١٨٣٥ قاموساً للغة الفنلندية وأصدر أول جريدة بهذه اللغة ولم يتكلم فى عهده أحد باللغة الفنلندية سوى ست أسر إذ كان الفنلنديون يفضلون التكلم باللغة السويدية

ولم تأت سنة ١٨٤١ حتى أصبحت اللغة الفنلندية تدرس بالمدارس الأولية ، واعترف دستور سنة ١٩١٩ بلغتين رسميتين وطنيتين : اللغة السائدة الفنلندية ولغة الأقلية السويدية

ويوجد الآن بفنلندا فئتان : الأولى فئة الفينومان الذين يرفضون التكلم بغير الفنلندية ، وفئة السفيكومان ولا يتكلمون غير السويدية قائلين إن اللغة الفنلندية ليست إلا رطانة الفلاحين. ولكن لا دخل لهذا الخلاف فى تفانيهم فى حب بلادهم وأبناء وطنهم وفى سنة ١٩٠٦ غير ستة عشر ألف أسرة أسماءها السويدية بأسماء فنلندية مدفوعين إلى ذلك بعوامل وطنية أو سياسية ، وقد رجع بعضهم إلى اسمه الأصلى القديم الذى غير مدة حكم السويد. فترى الآن أخوين يحملان اسمى أسرتين مختلفتين وأحدهما يتكلم السويدية والآخر الفنلندية

واللغة الفنلندية صعبة وهى تشبه لغة استونيا والمجر وهى خالية من أداة التعريف ومن الجنس وليس فى حروفها الأبجدية حروف b و c و f و q و w وكلماتها طويلة جداً مثال ذلك :

puunjalostusteollisuuden Keskusliitto

وحكومة فنلندا جمهورية دستورية على رأسها رئيس ينتخب كل ست سنوات وراتبه الشهرى مائتا جنيه . والقوة التشريعية فى يد برلمانها المسمى ديات ، والقوة التنفيذية فى يد مجلس الوزراء المسئول أمام الديات ، وهو فى بناء من أجمل أبنية أوربا ، وعدد أعضائه مائتا عضو ينتمون إلى الأحزاب المختلفة كما يأتى :

حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ويمثله ٧٨ عضواً
والحزب الزراعى ويمثله ٥٣ عضواً
والحزب السويدى ويمثله ٢١ عضواً
وحزب الاتحاد ويمثله ١٨ عضواً
والحزب الوطنى الأهلى ويمثله ١٤ عضواً
وحزب التقدم ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب المزارعين الصغار ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب الشعب ويمثله اثنان

وأنشىء الجيش الفنلندى النظامى فى سنة ١٩٢٢ ، وسن الاقتراع ٢١ سنة ويقضى الفرد سنة فى سلاح المشاة وخمسة عشر شهراً فى سلاح آخر ويمكث فى الرديف سبع سنوات وفى الجيش المرابط ٢٤ سنة . ولفنلندا أسطول ولكنه ليس فى قوة جيشها وهو يحتوى على سفن للحراسة ومراكب للطوربيد وغواصات . والفنلنديون من أحسن البحارة فى العالم ، لذلك استخدمتهم الروسيا فى أساطيلها الحربية والتجارية . وللفنلنديين سمعة عالية فى صيد الأسماك.

مأمون عبد السلام

حكم استئنافياً بتغريم بنيامين روفاييل البقال بشبرا بالقضية الاستئنافية رقم ١٨٥٤١ سنة ١٩٣٩ ٢٠٠ قرش صاغ بجلسة ٢٥ نوفمبر لبيعه زيت بأزيد من التسعيرة .

كاتب الجلسة
١٩٣٩/١٢/١٧ عبد العزيز حمدى

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

قرأت كلمة الأستاذ الكبير عباس العقاد بعدد الرسالة رقم ٣٣٥ التي عنوانها « مع أبي العلاء في سجنه » وفيها يتعقب الدكتور طه حسين بك في بعض ما ذكره في بحثه عن شيخ المعرة رهين المحبسين، إذ لا يرضى ما فهم من قول أبي العلاء في بعض فصوله: « يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجاري دمعه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشي إلى الغرض على هامته ... » لا يرضى أن فيلسوف المعرة « قصد بهذا الفصل خاصة إلى رأي من أشد الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً ، وهو إنكار العلة الغائيـة وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها نحن ونزعم أن الأشياء خلقت لتحقيقها » . ويرى - أي الأستاذ العقاد - أن هـذا الرأي من الدكتور فيه شيء من الصواب ، ولكن « أصوب من هذا أن يقال إن رأي المعري شبيه برأي المعاصرين الذين يقولون : إن الوظيفة تخلق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة » .

هذه الكلمة أثارت مني رغبة كامنة في متابعة الكتابة في الرسالة — تحت عنواني الذي اخترته العام الماضي ، وهو على هامش الفلسفة — لو إلى ذلك سبيل الآن ! ذلك أن البحث الذي أعنى بإعداده هذا العام أو بالتحضير له عن ابن رشد ومكانته في الفلسفة الإسلامية يملك عليّ كل أمري ويستأثر بكل وقتي أو لا يدع هـذه الرغبة تخرج من القوة للفعل ، إلى حين أرجو أن يقصر أمده إن شاء الله تعالى . إلا أن اتصال الموضوع الذي أثاره الأستاذان عن غير قصد بالدراسات التي أحبس نفسي عليها هذه الأيام ، جعل من الواجب أن أكتب كلمة قصيرة أبين فيها أن التوفيق أخطأهما كليهما فلم يصيبا المحز . وإلى القارئ البيان: تشير كلمة أبي العلاء — فيما أرى إن كان قالها جادًّا — إلى مسألة الأسباب والمسببات التي ثار حولها الخلاف الشديد بين الغزالي وبين الفارابي وابن سينا في تهافت الفلاسفة . ثم أثارها بعده ابن رشد في تهافت التهافت الذي كتبه دفاعاً عن الفلسفة والفلاسفة ضد ما وجهه الغزالي من هجمات نالت من الجميع نيلاً كبيراً ، ولا تزال الفلسفة متأثرة بها حتى هـذا العصر الذي نعيش فيه

يرى الغزالي ، ممثل المتكلمين في عصره ، أنه كان من الممكن أن يكون العالم على غير ما نشاهد الآن ، وأن ما نظنه سبباً للإبصار أو الكلام أو الموت أو الحياة أو ما نعتقده أداة لشيء من هذا ونحوه ليس كذلك في نفسه ، بل لأن الله قدره هكذا أزلاً . وفي ذلك يقول : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ... فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر . مثل الري والشرب ، والشبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء ... وإن اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقهما على التساوق لا لكونه ضرورياً في نفسه . بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا إلى جميع المقترنات، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته[1] »

إذاً فمند الغزالي أنه يمكن أن يجعل الله العين أداة وسبباً للشم لا للإبصار ، والأذن للشم لا للسمع ، وأن يخلق الشبع دون سببه وهو الأكل ، والري دون الشرب ، وهكذا إلى سائر الأمور التي نعتقدها أسباباً تتلوها حتماً مسبباتها

أما ابن رشد — وقد جعل من نفسه مدافعاً عن الحكمة ، وهي كما يقول : صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة — فيرى أن لكل شيء سبباً لا يتخلف عنه ، ولكل عضو عملاً لا يعدوه ، وأن « العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الأسباب فقد رفع

(١) تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٧٧ - ٢٧٨ الطبعة العلمية للاب بويج

العقل . وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ههنا أسباباً ومسببات ، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورفع له[1] » ثم يعود إلى تأييد نظريته هذه فى موضع آخر فيقول : « ولو ارتفعت الضرورة عن كيات الأشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها كما تتوهم الأشعرية مع الخالق لارتفعت الحكمة فى الصانع والمخلوقات . . . إلى أن يقول : وهذا كله إبطال للعقل والحكمة[2] »

على أنه لا يجب أن يتبادر للذهن أن ابن رشد ، الرجل الذى كان يرى اكتفاء الأسباب بنفسها فى خلق مسبباتها . فمن الحق أن نقول إنه يقرر « أنها ليست مكتفية بأنفسها فى هذا الفعل

(١) تهافت التهافت لابن رشد ص ٥٢٢ الطبعة العلمية للأب بوريج
(٢) المرجع نفسه ص ٩٣

بل بفاعل من خارج فعله شرط فى فعلها بل فى وجودها فضلاً عن فعلها[1] »

أعتقد أن القارئ يرى معى بعد ما سقناه من كلام الغزالى وفيلسوف قرطبة ، أن الدكتور طه حسين بك لم يكن مصيباً فيما أكده من أن شيخ المعرة كان يرى بقولته التى أسلفنا إلى شيء من الفلسفة الأبيقورية ، وأن الأستاذ الكبير العقاد لم يكن موفقاً كذلك فى التعقيب عليه ، وأن المعرى لم يقصد بكلمته — إن كان سلك فيها مسلك الجد — إلا الإشارة لفلسفة المتكلمين الذين يدفعون التلازم بين الأسباب والمسببات على النحو الذى ذكرناه عن ممثلهم وزعيمهم فى عصره حجة الإسلام الغزالى . وبالله التوفيق .

محمد يوسف موسى

(١) المرجع نفسه ص ٥٢٤

من وراء المنظار

حلاقو القاهرة . . . !

لا تفهم يا قارئي العزيز أني أعقد لك فصلاً تاريخياً عن منظر من مناظر القاهرة العظيمة في زمن ابن طولون أو في زمن الحاكم بأمر الله أو في زمن قلاوون عليهم رحمة الله، فإني لا أكتب هنا إلا عما يقع عليه منظاري . . . وإنما أنا محدثك عن منظر من مناظر هذه العاصمة الكبيرة في القرن العشرين بل وفي عام ١٩٣٩ الذي أوشك أن ينطوي على وجه التحديد

ولا تتوهم أني فيما أصف لك أذهب بك إلى تلال زينهم أو إلى أعلى الدراسة أو إلى جوار المحمدي أو إلى ما وراء سيدي الحلي ؛ فإنك قد تنكر علي ما أقول لجهلك فيما أظن مظاهر العيش في هاتيك البقاع ... على أنه قد لا يكون جهلك بها أكثر من جهلي

وإن لك في أقرب شوارع المدينة غنية عن الذهاب إلى أطرافها فسر في شارع ماسبيرو على ضفة النيل أو في شارع شبرا حيث المدرسة التوفيقية أو في شارع الملكة نازلي أو حول حديقة الأزبكية وانظر ماذا ترى

لاشك أنك رأيت هؤلاء الحلاقين الذين يتربعون على الأرض أو على الأسوار ويأخذون في حلق رؤوس زبائنهم ولحاهم في صورة تدعو إلى الاشمئزاز والأسف والضحك جميعاً

وقفت على مقربة من أحدهم ورأيته وقد شمر عن ساعديه وأمسك بالموسى ودعا إليه من زبائنه الجالسين حوله من جاء دوره . ومثل الرجل بين يديه وله لحية ما أحسبه أجرى الموسى عليها منذ مثل هذا اليوم من العام الماضي ؛ ووضع الحلاق كفه في إناء بجواره فاغترف غرفة من الماء بيده ورشها على تلك الأشواك الكثيفة في وجه صاحبنا وأجرى عليها قطعة من الصابون ، ثم شحذ الموسى على ذراعه بأن حكها بها عدة مرات في سرعة عجيبة ولما استيقن من مضيها راح يقطع هاتيك الأشواك ، ثم يمسح ما تجمع منها على حافة سلاحه في ظهر يسراه أو يأخذها على سبابته ويقذف بها في الجو لا يبالي أين تقع ولا من يصيب برشاشها . . .

ونظرت إلى الحلاق وزبائنه أتبين ماذا كان يخالجهم شعور من المبالاة ، فلم أصب في وجوههم إلا مثل ما يرى في الحيوانات من عدم المبالاة فيما تأتيه من أعمالها جميعاً على أعين الناس ؛ وكأن هؤلاء الناس جلوس في دكان لا تقتحمهم فيه الأعين !

وهممت أن أدور بمنظاري عن هذا المنظر الذي لست أدري لم وقفت إليه تلك اللحظة ، وقد كنت أبداً أمر به مسرعاً ، وإني لأضيق به أشد الضيق، وكأن الظروف أرادت أن تكيد لي أشد الكيد فلا تقلع عن العناد حتى في مثل هذا الموقف التافه ؛ فهذا غريب مقبل ومعه سيدة وفي يده آلة تصوير ، وإنه ليضحك ملء شدقيه كأنما يقع من الحلاق وزبائنه على بغية طالما تمناها

وأعد الفرنجي آلته للتصوير ، ولشد ما غاظني أن أرى الحلاق ومن حوله يضحكون ضحكة البلهاء كأنما يفرحهم أن يأخذ « الخواجة » صورهم ، وسمعت ذلك « الخواجه » يقول لصاحبته بالإنجليزية ما ترجمته : « أنظري سنحصل على صورة ظريفة لحلاق القاهرة »

ودنوت منهما فسلمت وتكلفت الابتسام أولاً ، ثم عبست وبالغت في العبوس لأعبر عن احتجاجي ، وتكلمت في لهجة استخذى لها ذلك الغريب ، وحار ماذا يقول ؛ وأشارت إليه صاحبته فطوى آلة التصوير؛ وكأنما أملى عليه إحساسه بالغربة أمام احتجاجي الشديد أن يتلطف فاعتذر ، ولكنه أعقب اعتذاره بقوله : « جميل منك أن تغضب لسمعة شعبك ولكن أجمل من ذلك أن تزيحوا عن الأعين ما يشوه هذه السمعة »

وجميل من الرجل قوله هذا لا شك عندي في ذلك ؛ ولكن ما حيلتي وما أملك غير القرطاس والقلم ؟

ليس يهمني من هذا المنظر وأشباهه ما عسى أن يقول عنا الأجانب من أجله فحسب ، وإنما أراه على ذلك شيئاً تتأذى به العيون وتشمئز منه النفوس . ولئن لم تقع عليه وعلى أمثاله أعين غير أعيننا ، ففيه مما يشعرنا بالضعة والمعجية

« عين »

البغـــاء في أوربا

للمستر أبراهام فلكسنر
بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدى

البوليس والبغاء

فضلاً عما ينشأ في المدن الفسيحة من الصعوبة في تمييز الداعرات فهناك صعوبة أخرى مترتبة على الأولى : ذلك أنه حيث يكثر الداعرات المحترفات يكثر كذلك ما يسمونه بالدعارة السرية .

وقد كانت الدعارة السرية في العصور الوسطى على غير ما هي عليه الآن ، فإن سهولة التعرف على الداعرات في تلك العصور ، والنظرة التي كان ينظر بها إليهن ، كانتا سببين كافيتين لحصر بؤرهن . فكانت المومس التائبة إن تركت حياة المواخير لا تجرؤ على السكنى في حي آخر ، بل كن يقمن في تلك الأحياء ؛ ولم يكن ثمت شك في أشخاصهن ولا في ماضيهن . وفي العصور الحاضرة فريق من الداعرات يحترفن ما يسمى بالدعارة السرية وهن مثل الداعرات في العصور الوسطى معروفات حتى المعرفة لرجال البوليس ، بل هن رغم التسمى باسم « السرية » معروفات كذلك لكل عابر سبيل وذلك لافتضاح أمرهن . ولكن على الرغم من ذلك هناك فارق مهم بين أنواع من البغاء السرى في العصور الحاضرة . فالنوع الأقل عدداً والأقل خطراً هو الفريق المعروف باحترافه للدعارة[1]

أما الكثرة من البغايا السريات ، فهن اللواتي لا يدل عليهن شيء من ثيابهن ولا مظهرهن ولا مسكنهن ، وهن يمشين بين سائر النساء بحيث يتعذر تمييزهن ، ولكنهن مع ذلك يزاولن البغاء السرى بحالة مستمرة أو متقطعة

إن المومس المجاهرة أقل أهمية ؛ ودراسةُ حالتها أقل جدارة لدى من يحاول درس التطورات التي تحدث بالمدن الكبرى أثناء تقدمها من النواحي الصناعية وغيرها

ولقد بذل جهد ليس بالقليل في سبيل تعريف الدعارة تعريفاً دقيقاً ، لأن النظر إليها من وجوه مختلفة يسفر عن تعريفات مختلفة ، فالداعرة من وجهة النظر الإدارية لدى رجال البوليس هي التي ليس لديها وجه من وجوه الرزق غير ابتـذال العرض ، وهذه هي التي توجب الإدارة تسجيل اسمها . فالأمر إذن لدى رجال البوليس يتعلق بالتسجيل . ولما كان موجبه هو الرزق فقد وجد الكثيرات من البغايا مهرباً منه لأن هذه الشبكة واسعة الخروق ، وأكثر البغايا حقاً يحترفن حرفة مكسبة . ففي ألمانيا نوع من الحانات[1] تعمل فيه أجيرات . وفي أماكن أخرى مغنيات وراقصات وذوات حرف مماثلة ، وكلهن في الواقع بغايا يتخذن هـذه الحرف ذرائع لاستجلاب الرجال ويحتمين بها في نفس الآن من واجب التسجيل على اعتبارهن محترفات . ومتى سقط عنهن التسجيل سقط كذلك عند البوليس وصفهن بالدعارة

ومما يدل على أن هـذه الحرف التي لا تقوم أجورها بالأود أو التي إنما تنتحل ستاراً دون قوانين البوليس ، أن علاقة هؤلاء النسوة بحرفهن علاقة تكاد تكون اسمية من حيث المواظبة من جهة والأجر من جهة أخرى ، وقد قام مستشفى زوريخ بإحصاء للمريضات بأمراض تناسلية اللواتي عولجن فيه في عام واحد فكانت النتيجة[2] أن عدد المريضات ١١٧٧ منهن ٧ وتسعة أعشار في المائة من المومسات وستة وسبعة أعشار في المائة لا صناعة لهن وخمسة وثمانون في المائة وأربعة أعشار من ذوات الحرف . فمن الواضح إذن أن التعريف الإدارى للبغاء إنما هو تعريف لا يتفق مع الواقع . ويرى الأب « دوشاتليه » في تعريف الدعارة « أنها هي الجرائم الخلقية التي يدفع عنها أجر وترتكب في أماكن أنشئت بمقتضى القانون ، ولا تعتبر المرأة فيها مخالفة إلا بأن يشهدها شاهد غير متهمها وغير رجال البوليس »

وهذا التعبير يخرج الدعارة السرية إخراجاً تاماً من التعريف فهو لا ينطبق عليها . وإنما يكفي لتحديد الغرض الضرورى في نظر رجال البوليس

وعلى الخلاف من هذا التحديد الشديد الضيق أرى للأسباب

(١) قد يبدو من المتناقضات أن يوصفن بالسرية والمعرفة في آن واحد ولكن تأويل ذلك أن التعبير بكلمة محترفات في العصر الحاضر يعني من سجلت أسماؤهن في سجلات البوليس . أما المحترفات فعلا والمعروفات باحترافهن ، ولكنهن لم يسجلن أسماءهن في تلك السجلات، فيعرفن باسم النساء السريات .

(١) هـذا النوع من الحانات اسمه « مبريكنيب » وهو نوع منحط تجالس فيه الساقية عملاءها وتشرب معهم وفي أركانه ستائر معدة للتأجير

(٢) راجع كتاب مولر Zur Kenntnis der Prostitution in Zürich (1911)

وراجع كتاب De la Prostitution dan la Ville des Paris

التي سأسردها بعد قليل أن الدعارة تتميز باجتماع ثلاثة عناصر مختلفة . وهي (١) العوض (٢) التعدد (٣) فقدان العاطفة

وليس من الضروري أن يكون العوض نقداً ؛ فإن الهبات والهدايا والاصطحاب في مجال اللهو ـ كل ذلك وهو مما لا يحصل عليه إلا بالنقد يعتبر عوضاً

وليس كذلك من الضروري أن يكون شرط التعدد مانعاً من الاختيار ، فإن اتصاف المرأة بالدعارة لا ينفيه أنها تختار مَن تشاء وترفض حين تشاء

وأما شرط فقدان العاطفة فهو أوضح من الشرطين السابقين وعلى هذا الأساس تعتبر المرأة داعرة متى اتصلت اتصالاً جنسيًّا من أجل الأجر أو الهدايا برجال متعددين سواء كان هذا الاتصال عرضيًّا أو احترفته . وليس من الضروري بعد ذلك أن تكون مفضوحة السمعة ولا أن تكون قد اعتقلت ولا عديمة الكسب من حرفة ؛ فقد لا تكون المرأة سيئة السمعة ولا من صواحب السوابق ولا من الخاليات من العمل لكنها مع ذلك بغى

وعلى أساس هـذا التعريف للدعارة يكون مداها قد اتسع وتكون ضرورة علاجها أمسّ ؛ وهذا الذي أرجو أن أدل عليه

فالعوض وفقدان العاطفة وتعدد الرجال سواء قلوا أو كثروا ، كل ذلك في المدن المصرية لا يميز العلاقة الجنسية للبغى المحترفة وحدها . بل هذه الصفات للداعرة السرية أيضاً ، بل إن أردنا التسمية بالاسم الصحيح فهذا التعريف يشمل أنواعاً كثيرة من الداعرات المحترفات اللواتي لا يعرف حقيقتهن إلا زميلاتهن في البيوت السرية كما يشمل المرأة العادية التي تخرج بين حين وآخر من هدأة الحياة إلى هذا النوع الشاذ منها ، ويشمل كذلك ذوات المراكز المصونة اللاتي قد يزاولن عرضاً هذه الرذيلة دون أن يمسسن ظاهر شرفهن . ويشمل كذلك المتسترات بحرفة من الحرف ، واللواتي تتخذ إحداهن خليلاً واحداً ربما تستطيع الاستبدال به من تراه خيراً منه ، واللواتي تخادن إحداهن أكثر من خليل واحد لعدم استطاعة فرد من هؤلاء الأخلاء القيام بأودهن ، واللواتي تخون إحداهن خليلها الوحد مع فرد أو أكثر طلباً للنفع . وأخيراً يشمل هذا التعريف النسوة المتزوجات ولسن جميعاً من الطبقة الدنيا بل فيهن من سائر الطبقات وكلهن في نظر العالم بريئات يترفعن عن مظنة الكسب من الزنا ولكنهن في الواقع يصحبن من يصحبهن إلى أماكن اللهو

فهذه ثمانية أنواع تخرج عن التحديد الضيق الذي يقيد صفة الداعرة في نظر البوليس . ولكن هذه الأنواع جميعاً تدخل تحت عنوان الدعارة إذا ما تميز هذا العنوان (١) بالعوض (٢) وبالتعدد (٣) وبفقدان العاطفة . أي أن الدافع للصلة لم يكن وجدانياً بل هو نفعي . ولكن دون هذا كله سؤالاً لا بد منه وهو لماذا نعترض على البغاء على أي نوع من أنواعه ؟

والجواب واضح وهو أن الزنا بغيض لأسباب كثيرة . فأما أولاً فلما يترتب عليه من الانحلال الشخصي

وأما ثانياً فلأنه ضار بالمجتمع من الناحية الاقتصادية

وأما ثالثاً فلأنه من الناحية الصحية ينشر أمراضاً تناسلية، ومن الناحية القضائية لأنه يرتبط بالإخلال بالأمن وينشر الجرائم ؛ وما لا ريب فيه أن العاهرات اللواتي يقصر البوليس اهتمامه عليهن منحلات الأخلاق ينشرن الانحلال ، ويسببن استهلاكاً اقتصادياً جسياً ، وينشرن الأمراض . والقاعدة أن بؤرهن مباءات للمجرمين . ولكن من الخطأ الفاحش أن نظن صواحب الأنواع الأخرى من البغايا أقل أثراً منهن على المجتمع في نشر هذه الويلات ، فإن البغى العرَضية أو المستمرة المحترفة أو الهاوية المتسترة بحرفة أو التابعة ـ كل أولئك يؤدين بأنصالهن الأثيم إلى نفس النتائج ولقد تختلف آثار بعضهن عن بعض ولكنهن جميعاً خطرات .

(يتبع) عبد اللطيف حمدى



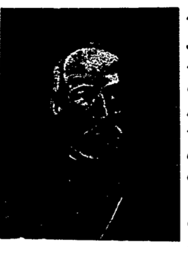
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثـل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمـة)



ود مازينى لو أنه استطاع أن يجمل للأدب من وقتـه أكثر مما جعل له ، ولكن مشاغل السياسة حالت بينه وبين أمنيته ؛ وكان منذ عودته إلى لندن بعد ثورة عام ١٨٤٨ يوجه أكثر همه إلى الأدب الإنجليزى ، وقد أكب على دراسة حياة الشاعر الإنجليزى العظيم اللورد بيرون الذى أحبه أشد الحب لأنه الشاعر الذى هز القلوب وأيقظ المشاعر بأناشـيد الحرية والقوة ، ولأنه ذلك الروح المتمرد على الطغيان والاستبداد ، ثم لأنه لم يكن رجل الفن الذى يجلس فى معزل عن عصره يتغنى بالجمال ويستغرق فى الفن استغراق الصوفى المسحور ، بل كان الرجل الذى كانت أغانى قيثارته صدى لآلام عصره وأحلامه ، والذى ذهب إلى حيث لاقى الموت فى مناقع مسولنجى فى سبيل الدفاع عن حرية اليونان

وجعل مازينى يوحى مبادئه إلى كل من يلاقيهم ، يريد بذلك أن يكسب لقضية إيطاليا أكثر ما يستطيع من الأنصار ؛ ثم أنشأ عام ١٨٥١ جمعية أصدقاء إيطاليا لهـذا الغرض وسرعان ما انتظم فى صفوفها كثير من ذوى المكانة من الإنجليز ، وفتحت لها بعض الجرائد الذائعة أبوابها ؛ فكانت من أكبر وسائل مازينى فى الدعاية عن قضية وطنه . وكان لهذا الرجل أن يفخر يومئذ بأنه أدى إلى بلاده من جليل الخدمات ما لم يؤد مثله رجل غيره ، بل لقد كان له أن يفخر بأنه أدى إلى الجيل كله ما يجعله فى مصاف قادته ويسلكه فى سجل القلائل الأفذاذ الذين يباهى بهم تاريخ أوربا

لقد ملأ قلوب المستنيرين فى إيطاليا كلها بمعانى الوطنية والحرية ولقنهم مبادئ الديمقراطية وسيادة الشعوب ، ونشأ الجيل كله فى إلهامه ، فما من رجل من رجال السياسة وقادة الرأى فى الولايات جميعاً إلا من تأثر بتعاليم هذا المجاهد العظيم ؛ ولئن كان فيهم من يخالفه فى الوسيلة ، فما كانت الغاية التى يعمل على بلوغها إلا أنشودة كل وطنى حر

على أنه وجد البلاد تتأثر بعد فشل حركات سنة ١٨٤٨ بسياسة بيدمنت، تلك السياسة التى كان يمثلها كافور، ذلك السياسى الفذ الذى يعد فى حركة إيطاليا رأسها المفكر ؛ وكان كافور ومازينى على طرفى نقيض ؛ إذ كان أولهما رجل العمل الدبلوماسى الرشيد الذى يتحين الفرص ويسير إلى غايته فى حذر وبطء ، ولـكن فى وثوق ، والذى جعل خطته تقوية بيدمنت أولاً ، ثم دفعها إلى الحرب متى آنس فيها القوة ووجد لها الفرصة ؛ وكان ثانيهما الزعيم الثائر الذى لا يفتأ يدعو البلاد إلى العصيان والتمرد لتبقى شعلة الجهاد متوهجة ، وتظل نار القلوب متأججة ، فلا يركن الشعب إلى القعود ، فينسى تلك الغاية التى تهيب بالرجال وتشد عزائم الأعزال وتوحى إليهم اليأس والاستبسال . وضاق الرجلان أحدهما بالآخر ، وكان كل منهما حرباً على صاحبه ؛ وهذا مما نعده على مازينى الذى وضع أصبعيه فى أذنيه تلقاء كل دعوة إلى مشايعة أنصار بيدمنت وتعضيدهم ، والذى اعتبر كل قاعدة غير الوحدة والاستقلال مروقاً وإلحاداً فى مبادئ الوطنية ودين الحرية ...
وليت شعرى ماذا كان يضيره لو أنه عضد كل حركة تقرب البلاد من غايتها ؛ على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل لقد أخذ يدعو إلى الجمهورية ضد الملـكية، جاعلاً بمسلكه هذا تلك المسألة الثانوية مقدمة على المسألة الرئيسية مما أضعف دعوته وزاد الناس إقبالاً على كافور وسياسته

وكذلك أخذ كثير من الناس يعيبون على مازينى اتخاذه الثورات وسيلة إلى تحقيق آماله ؛ وعابوا عليه أكثر من ذلك

تدبيره مؤامرات الاغتيال ، ولكنهم كانوا فى ذلك يرمونه بتهمة هو منها براء ، وقد رد مازينى على متهميه بأنه يرى الثورات ضد الغاصب المسلح وسيلة شرعية ، أما الاغتيال فإنه يعده جريمة إذا أريد به الانتقام أو إذا أدى إلى القضاء على شخص لا يذهب الاستبداد معه إلى القبر ؛ وكأنما كان يبرر اغتيال من يموت بموتهم الظلم ؛ يتجلى ذلك فى رده على اتهام كافور إياه بأنه يدبر مؤامرة لاغتيال الملك فكتور عمانويل ، قال مازينى : « إن حياة الملك فى مأمن وذلك لسببين أولهما أخذه بقواعد دستورية فى حكمه ، وثانيهما أنه ليس ثمة من جدوى لهذه الجريمة »

على أن مازينى لم يعبأ بما يقول مخالفوه وما فتئ يترقب الفرص لإثارة الثورات من جديد ؛ وما لبث أن جاءته الأنباء عام ١٨٥٢ عن ثورة تدبر فى ميلان ضد النمسا بين صفوف العمال وكان فى هؤلاء كثير من شيعته ، نخف إليهم متنكراً حتى صار على مقربة منهم ، ولكن ثورتهم كان نصيبها الفشل السريع ، فاضطر الزعيم إلى العودة إلى انجلترة وفى نفســه من الألم والحزن والشعور بالخجل ما جاء عبأ جديداً فوق أعبائه ؛ ولقد حملت عليه صحافة بيدمنت حملات عنيفة وحملته مسؤولية هذه الحوادث وما ذهب فيها من ضحايا ، فازداد بذلك حنقه على الملكيين وتوالت حملاته هو أيضاً على خطتهم وعلى زعيمهم . وظل فى انجلترة يتربص ويتصل بشيعته فى وسط إيطاليا وشمالها ؛ وقد عقد النية على بعث ثورة كبرى فى الوسط والشمال تكون أبلغ رد على الملكيين ، وتكون قائمة على أساس وحدة إيطاليا وطرد النمسا وإقامة الحكم الجمهورى فى إيطاليا الموحدة ؛ واتصلت أسباب المودة بينه وبين قنصل أمريكا فى لندن ومناه القنصل بمعونة حكومته أن كان من أكبر دعاة الديموقراطية فى أوروبا

وذهب ما زينى عام ١٨٥٤ متنكراً إلى باريس ثم إلى إيطاليا حيث كان يلتقى سراً بأنصاره ويوحى إليهم من خططه ما يوحى ، وكان يقضى أكثر وقته فى جنوة ، وكان تنكره يحير الشرطة وزعيمهم ، وهو فى الحق يعد من أغرب نواحى كفاح ذلك الرجل الذى قضى فى الجهاد إلى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً بين اغتراب وسجن اختيارى وتنكر ، فما صرفه هذا العذاب عن وجهته وما قعد به الجهد عن غايته ، الأمر الذى يكفى وحده لأن يسلك هذا الرجل العظيم فى سلك أكبر زعماء الحرية فى جميع العصور ويلحقه بالشهداء والقديسين الذين وهبوا أرواحهم لخير الإنسانية

وبينما كان مازينى يعد العدة لثورته الجديدة كان كافور يمشى إلى غايته بخطى حكيمة تضمه هو أيضاً فى صف أعاظم الساسة فى تاريخ الأمم ؛ انتهت إلى كافور رياسة الحكومة فى بيدمنت عام ١٨٥٢ فجعل أولى خطاه إصلاح مرافق الولاية والنهوض بماليتها وبناء قوتها الحربية على أساس متين ، ولما تم له ذلك على خير ما يرجى أخذ يخطو خطاه السياسية وكانت تتجه إلى مكافحة النمسا بالأساليب الدبلوماسية أولاً ثم بالحرب آخر الأمر ؛ على أن يكون بدء الحرب من جانب النمسا فتكون هى المعتدية ، ويعتبر مسير كافور إلى غايته من أجل وأقوى الحركات فى تاريخ السياسة الدولية

بدأ أولاً بالتدخل فى جانب المضطهدين السياسيين فى لمبارديا وفينشيا الذين صادرت النمسا أملاكهم عام ١٨٥٣ ، فجعل بيدمنت فى ذلك زعيمة المضطهدين فى إيطاليا ، فولى الأحرار شطرها وجوههم ؛ ثم واتته الفرصة فى حرب القرم فأرسل جيوش بيدمنت لمساعدة قضية الحلفاء ضد الروسيا ، فلما عقد مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٨٥٦ ، كان لبيدمنت مقعد فيه وهى مزية سياسية لها مغزاها بالنسبة لنفوذ النمسا ؛ وشكا كافور إلى رجال المؤتمر وقد كسب مودتهم بمساعدته قضيتهم من مسلك النمسا فى إيطاليا فهيأ بذلك الجو الصالح لخطواته فى المستقبل

واتجه كافور بعدها إلى فرنسا ، ومال إلى محالفة نابليون الثالث ، وكان نابليون يعطف على حركة إيطاليا إذ كان يرى نفسه وريث مبادئ سميه العظيم ، كما كان يطمع أن ينقض ما وضعه الساسة عام ١٨١٥ عقب هزيمة بونابرت ؛ لذلك اتفق كافور ونابليون سراً فى بلومبير عام ١٨٥٨ على أن يساعده نابليون ضد النمسا نظير أن تضم مقاطعة سافوى إلى فرنسا

وأوحى كافور إلى الملك فى بيدمنت أن يستفز النمسا ، فكان مما جاء فى خطاب العرش الذى ألقاه فكتور عمانويل فى تلك السنة : « إننا مع احترامنا جميع المعاهدات لا يمكن أن نصم آذاننا عن صيحات الألم التى تنبعث إلينا من نواح كثيرة فى إيطاليا » ؛ وسرعان ما توجه الأحرار إلى بيدمنت بآمالهم فى انتظار ساعة الخلاص على يديها

هكذا كسب كافور حليفة قوية وكسب الرأى العام فى إيطاليا وبقى أن تعلن النمسا عليه الحرب ليتم رسالتـه ؛ وكان كافور يستعجل هذه الحرب ! إذ كان يعلم أن نابليون رجل قلب كثير الأهواء والنزعات، فكان يخشى أن يتخلى عنه ؛ وكانت الحكمة تقضى على النمسا أن تتريث حتى ينقضى ما بين كافور ونابليون؛ ولكن رأى الحزب الداعى إلى الحرب فيها تغلب على أولى الحكمة فأعلنت الحرب واحتلت جنودها بيدمنت . ومشت جنود بيدمنت وفرنسا فأوقعت بالنمسا هزائم متلاحقة كانت كبراها فى سلفرينو ؛ ورأى كافور والفرح يملأ فؤاده أنه من النصر النهائى على قاب قوسين ؛ فما هى إلا أيام ثم تطرد النمسا من إيطاليا ؛ ولكن شد ما أزعجه وآلم أن يرى نابليون يخذله على حين غفلة فيعقد الصلح مع النمسا فى فلافرنكا فى يوليو عام ١٨٥٩

حنق مازينى على كافور أشد الحنق لانضمامه إلى نابليون ؛ إذ كان الزعيم لا يؤمن بغير قوة الشعب ، ويخشى كما خشى فى أول سنى جهاده من الاعتماد على قوة خارجية قد يأتى من جانبها الخذلان بدل النصر ؛ وكان الخصام قد بلغ أشده بينه وبين كافور منذ عام ١٨٥٧ ، ففى تلك السنة فكر كافور فى بعث ثورة فى مودنيا وقابل مازينى شخصياً فى جنوة لهذا الغرض ، ووعده مازينى بالمساعدة ؛ وفى العام التالى رأى مازينى أن تكون الثورة فى الجنوب أيضاً فى صقلية ونابلى ، وكان قد أعد عدته لذلك ؛ ولكن الحكومة فى بيدمنت أساءت فهم أغراض الثوار فى جنوة فحسبتهم يعملون لإقامة الجمهورية وإسقاط الملكية، فشتت شملهم وأصدرت ضد مازينى ونفر من أصحابه حكماً غيابياً بالإعدام

ولما خذل نابليون كافور استقال هـذا من منصبه ؛ فجاء مازينى إلى إيطاليا وإنه ليرجو أن يبعث الثورات الشعبية فى ولايات الوسط والجنوب عسى أن يصل بها إلى تحقيق ما عجز الزعيم السياسى عن تحقيقه ، واختفى الزعيم الشعبي الـكبير عند حاكم تسكانيا من ولايات الوسط ، فقد كان هذا الحاكم يجله ويؤمن مثله بالوحدة وإن لم يأخذ إخذه فى الاعتماد على الثورات ؛ وحاول مازينى أن يضمه إلى رأيه فلم يفلح

وأخذ الزعيم فى مخبأه يتصل بأعوانه ويحثهم على النضال ؛ وكان يرى إلى اكتساح الولايات البابوية أولاً ثم يسير منها الثوار إلى ولاية نابلى فيتم بذلك توحيد نصف إيطاليا الجنوبى ؛ وكان كافور بينه وبين نفسه يعطف على هذه الحركة ويتمنى نجاحها لتكون أجل رد على النمسا وفرنسا ؛ وفرح أن يسمع عن مازينى أنه يدعو إلى ترك الخلاف الحزبى والعمل للوحدة فحسب ، بل لقد كان لا يرفض يومئذ ضم الولايات الجنوبية إلى بيدمنت

ولكن حاكم تسكانيا خاف من بقاء مازينى مختبئاً عنده ، ففى تهديد ولايات البابا ما يدعو إلى تدخل النمسا ، ولذلك طلب إلى مازينى أن يرحل فلم يسعه إلا الطاعة ، وخرج وإنه ليأسف الأسف كله أن يعامل هذه المعاملة من بنى وطنه وأن يكون فى إيطاليا سجيناً وهو ما يجاهد هذا الجهاد الهائل إلا من أجلها ، ولكنه تعود الألم وألف الصبر فى هاتيك السنين الطويلة ؛ واتخذ الزعيم سبيله إلى انجلترة من جديد

ومتى يهدأ هـذا الثائر المجاهد ؟ إنه لن يعرف الهدوء حتى تتحقق آماله أو يموت ، ذلك ما عقد النية عليه من أول الأمر ، وذلك ما درجت عليه نفسه الحرة وعمد له قلبه الكبير

وعاد كافور إلى الحكم واتجه صوب فرنسا من جديد وقدم نيس وساقوى إلى نابليون ليكون ظهيراً له مرة أخرى ؛ ولقد حنق مازينى وغاريبلدى على ذلك أشد الحنق . على أن مازينى أخذ من جديد يفكر فى بعث ثورة فى الجنوب يؤيدها كافور ، وصرف إلى ذلك همه وما زال بغاريبلدى حتى حمله على أن يسير هو والبواسل الألف من رجاله إلى صقلية ، وقد جاء مازينى إلى إيطاليا متنكراً ليكون على مقربة من الأبطال المجاهدين ، وحل بجنوة وأقام بها فى مخبأ لا يراه أنصاره فيه إلا تحت ستار الليل، وراح يمد غاريبلدى ورجاله بكل ما يصل إلى يده من المال ؛ وحالف النصر غاريبلدى فعبر من صقلية إلى نابلى ، وطرب الأحرار فى إيطاليا كلها لهذه الحركة العجيبة تأتى على يد ذلك البطل المظفر ؛ وانتعشت آمال مازينى وذهب إلى نابلى ليستحث القاتلين وكانت قد سقطت تلك المدينة فى يدهم ، وأخذ كافور يترقب فى حذر على عادته ويخشى أن يعتدى غاريبلدى وجنوده على أملاك البابا فتتدخل أوربا ، ولـكنه ما لبث أن وجد الفرصة المرجوة فأرسل جيشاً دخل أراضى البابا ، ثم تقدم فكتور عمانويل على رأس جيش فدخل نابلى وقابله غاريبلدى وقدم له الطاعة ؛ ورأى الأحرار أن الوحدة المرجوة أوشكت أن تتم

ولـما صار مازينى على مقربة من النصر أخذ ينادى بمبادئه الجمهورية من جديد فأدى هذا إلى حنق كثير من الناس عليه حتى لقد ألقيت قنبلة فى نابلى تحت نافذة مسكنه ، وطلب إليه

أصدقاؤه ففعل بعد احتجاج شديد وعاد إلى انجلترة في نهاية ذلك العام ١٨٦٠ ؛ ولكنه عاد هذه المرة مسروراً بما تم تحقيقه من آماله، تطيب نفسه بما يحسه من شعور الناس جميعاً نحوه حتى الملك فقد قال حينما طلب إليه الخروج : « دعوا مازيني حيث هو ؛ إذا نحن عجزنا عن بناء إيطاليا فليبنها هو ، ويومئذ أكون أول المصفقين له » وإن الملك ليشعر في قرارة نفسه أن ما تم بناؤه حتى ذلك اليوم من هذا الصرح إنما قام أكثره على كاهل ذلك المجاهد الصبور

لم يبق إلا روما وفينسيا كي تتم الوحدة ؛ وذلك ما كان يشغل مازيني بعد عودته إلى لندن . وكان لا بد من حرب ضد النمسا كي تضم فينسيا ، أما روما فقد كانت بها حامية فرنسية وقد تعهد فكتور عمانويل ألا يمسها بسوء بعد أن رفضت الانضمام إلى بيدمنت .

ولم يكن مازيني بالرجل الذي ينتظر ما عسى أن تفعل حكومة بيدمنت، ولذلك جعل يتصل بغاريبلدي لكي يحل العقدة أو يقطعها. وقد آلمه موت كافور عام ١٨٦١ على الرغم مما كان بينهما من خلاف

وفي سنة ١٨٦٢ هجم غاريبلدي ورجاله على روما فردته جنود عمانويل وأصيب البطل في هذا الهجوم بجرح بالغ على يد رجل من بني وطنه . وكان مازيني قد حضر إلى لوجانو ليكون على مقربة من هذا الجهاد الجديد، ولقد آلمه ما حل بغاريبلدي وبخاصة عندما علم بالقاء القبض عليه وسجنه ، فراح يندد بالملك وحكومته في حماسة وسخيمة لم يسع الملك إزاءهما إلا أن يصدر حكم الإعدام عليه للمرة الثالثة

ولما فشلت حملة غاريبلدي ، عاد مازيني إلى انجلترة ، وكان يومئذ في الثامنة والخمسين ، إلا أنه كان لطول ما أبلي وناضل يبدو أكبر سناً . على أنه لم يفقد شيئاً من حميته ، وظلت له حرارة قلبه وقوة روحه وحماسة عبارته وسحر نظرته ؛ وعاودته الفاقة في غربته ، ولكنه ازداد أنصاراً ومحبين . وكان يؤلم نفسه أن يرى عمره يتصرم دون أن يستطيع أن يجمل للأدب ما أراد من خدمة. وكان في تلك السنين يتتبع أخبار الحرب الأهلية في أمريكا ، واتصل بجماعة التحرير الانجليزية في لندن . وكان يبدي إعجابه ببطولة الرئيس لنكولن وجهاده في سبيل الوحدة والتحرير ويتمنى لو كان له مثل ما كان لذلك الرئيس المظفر من النفوذ الرسمي . ولما اغتيل الرئيس لنكولن حزن عليه مازيني أشد الحزن ، ولكنه كان يرى الفرق بينهما جلياً ، إذ لو حضره الموت الآن لمات قبل أن يرى وحدة بلاده، ولم ينعم بها ساعة كما نعم لنكولن قبل موته

وحاول ملك بيدمنت أن يستعين بمازيني على بعث ثورة في فنسيا وفاوضه فعلاً في هذا ، ولكنه عاد فتركه أمام اعتراض رجال حكومته . وفي سنة ١٨٦٦ أعلنت حكومة بيدمنت الحرب ضد النمسا منتهزة فرصة انشغالها أمام ألمانيا ، ولكن جيوش بيدمنت هزمت في البر والبحر هزائم كانت مخزية للملك ورجال حكومته ، ولقد أدت هذه الهزائم إلى نشاط دعوة مازيني من جديد إلى الجمهورية ، ولقد لقي في تلك الظروف من الآذان الصاغية إليه أكثر مما لقي من قبل ؛ والحق لقد أصبح هذا الأعزل الشيخ رجل إيطاليا كلها . وأي رجل يبلغ منزلته وله من جهاده في سبيلها زهاء أربعين عاماً لم يعرف خلالها إلا الغربة والفاقة والعذاب الشديد ؟ إن مخالفيه في الرأي ومؤيديه جميعاً ليرون فيه الروح الذي علم الجيل وأوحى إليه الإيمان والفداء. وها هي ذي العرائض عليها أكثر من أربعين ألف توقيع ترفع إلى الملك بطلب العفو عن الغريب المجاهد كيلا يغمض عينيه إغماض الأبد في بلد غير إيطاليا التي وهبها حياته ، وها هي ذي ولاية مسينا تختاره أربع مرات متتالية ليمثلها في برلمان إيطاليا كلما أبطلت الحكومة انتخابه عادت الولاية فاختارته

وبقيت روما لتتم الوحدة وكان قد عاد غاريبلدي عام ١٨٦٧ بهجوم عليها ولكن الحامية الفرنسية انتصرت عليه فردته عنها . على أن مازيني كان يرجو أن تعلن روما الجمهورية فتكون عاصمة إيطاليا الجمهورية ؛ وقد عاد ينشر مبادئه الجمهورية ويأمل أن يبعث آخر ثورة في البلاد تكون هذه المرة ضد ملكية بيدمنت وتكون غايتها إقامة الحكم الجمهوري ؛ وقد اتصل مازيني برجل ألمانيا بسمارك ورجا منه المساعدة فماطله بسمارك ثم انقطعت الصلة بينهما

وفي سنة ١٨٧٠ رحل إلى صقلية ليبدأ الثورة فيها على الرغم من توسل بعض أصدقائه إليه ألا يفعل ، وهناك ألقي القبض عليه في بالرمو حيث سيق إلى السجن في جيتا ؛ ودخل السجن الزعيم الشيخ وود حراسه لو لم ينط بهم حبسه . أنظر إلى حارس السجن كيف يدير المفتاح في مدة ثلاث دقائق حتى لا يسمع الزعيم أنه يغلق الباب عليه ...

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

رماد . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا تَعْبَثي بفؤادي وأكْرِمي آلامِي
شَيَّبْتِ في القلب ناراً من لَوْعةٍ وهُيَام
أضْلَلْتِني عن حَياتي بِلَذْعةٍ واحتِدام
فما أخافُ وَرَائِي غَيْباً ، أراهُ أمامي
أرتابُ حتّى أراني في حَيْرةٍ وظَلام
في مَهْمَهٍ من شكوكٍ قَفْرٍ من الأعلام
لا أهتدي لِنَجاةٍ في أُفْقِهِ المُتَرامي
اسوَدَّ لَيْلِي، وصُبحِي مُلفَّفٌ في قَتَام
فلا أرى من دَليلٍ يَهْدِي خُطَى أقدامي
صَحِبتُ نفسي، ونفسي من صُحبتي في اضطرام
كأنّنا في زِحامٍ يَرى بنا في زِحام
مجرَّحَيْن كُلُوماً من صَدْمةٍ ولِطام
حتى أُبيدَتْ قُوَانا فنحنُ صَرْعَى مُدام
ثم استفقتُ فطارتْ لَوَاهِبٌ في عظامي
قلبي ورُوحي وعَيْني — وكلهن ظَوَامي —
لا يَهْتَدِينَ لِبَرْقٍ مُبَشِّرٍ بِرِهام
ولا لِنُطْفَةِ ماءٍ تَبُلُّ حَرَّ أُوَام

وعُدْتُ فرْداً وحيداً يجُوب غَوْلَ المَوَامي
حَيرانُ أعمى يجولُ مُصَوَّرٌ من سَقَام
يكادُ يمسُرُ وَهْناً بنفسِهِ في القِيام
تخطَّفَتْهُ شكوكٌ جياشةٌ كالضِّرام
لم تُبْقِ إلاّ حُطاماً يَنْقَضُّ فوقَ حطام
تستقبلُ الأذْنُ منه حسًّا كَبيْتِ الكلام
تخالُه من فُتُورٍ مَنَاحةَ الأيتام
مُفزَّعِينَ وُجوماً يبكونَ فوقَ رِجَام

* * *

يا مَاثِلاً لعُيُونِي وطائفاً في منامي
وسابحاً في سُكُونِي وساربًا في كلامي
وحاسِراً عن فؤادٍ صَبٍّ فضُولَ اللِّثام
أفنَيْ شَكاتي، وأوْدِي بمَتْبِهِ ومَلامي
ما كنتُ أحسبُ دَلاً يَسيلُ سَيْلَ انتقام
أو أنَّ سُكْرَ شبابٍ يجورُ سُكْرَ غَرَام
يَقْسُو فيرمي بسَهمٍ مَهْدَ الجُرُوح الدوامي

* * *

أحببتُ مِلْءَ فؤادي ومِلْؤُهُ أوهامي
حتّى وَجَدْتُ كأني أعيشُ مِنْ أحلامي
ملأتِ دُنيايَ نوراً يُضيءُ دُنيا الأنام
فكلُّ مَرْأًى عليه حَلاوةٌ من وَسام
يَغْذُوهُ نورُكِ حُسناً حيًّا كصَوْبِ الغَمام
فما ترى العينُ إلاّ زَهْراً على أكمام
أنفاسُهُ عَطِراتٌ نشوَى بغير مُدام
ممثِّلاتٌ لرُوحي مُغَرِّدَاتَ القَوَام
أَسْنِني، إخالُ، كأني أَسْنِي إلى أنغام
تدنو فأدنو ، فتفنَى أنغامُها في ظَلام
وتارةً هي همْسٌ كلَمْحةٍ من سَلاَم
كأنها في ضميري تُسِرُّ بعضَ الغَرام
أو يستطيرُ سَنَاها في القلب ضوءَ ابتسام

* * *

أوّاهُ من خطَراتٍ تقودُني بزِمام

ولبث في السجن بضعة أسابيع يقرأ شكسبير وبيرون ، ثم أفرج عنه عقب سقوط روما في تلك السنة في بيدمنت وأصدر الملك عفوه عنه ولكنه رفض أن يقبله ؛ وشهد الزعيم في أواخر أيامه وحدة إيطاليا ، ولكنه كان لا يفتأ يعمل للجمهورية !

وقضى سنتين متنقلاً بين بعض البلاد تحت اسم مستعار حيث زار قبور الشهداء من رجاله وحج إلى قبر أمه في جنوة . وفي مارس من عام ١٨٧٢ سكت هذا القلب الكبير وانطوت هذه الحياة الحافلة بالجهاد المرير الطويل ، وبكت إيطاليا كلها الرجل الذي ظل حتى آخر عمره يكدح ويلاقي صنوف العذاب من أجلها

(تم البحث) الخفيف

أنا والبحر

للأستاذ خليل شيبوب

أيُّها البحرُ رَجِّعِ الأحلاما   مثلَ ترجيعِ موجِكَ الأنغاما
فى ظلام الدُّجى تبثُّ شكاوا   كَ الحزيناتِ تستثيرُ الظلاما
غير أن النُّيامَ لم يسمعوها   إيهِ ليتَ النيامَ ظلُّوا نياما
ليس فيهم سوى الأذى لمحبٍّ   موجعِ القلبِ لا يُطيقُ مناما
فى فؤادى موجٌ كموجك يبكى   بدموعِ الألحانِ تجرى انسجاما
ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ   فى فؤادى دَوِيُّها يترامى
لا تُهِمُّ الصخورَ شكواكَ ترويها   كشكوايَ لا تُهِمُّ الأناما
نحن إلفانِ ساهرانِ ولكنْ   ثُرْتَ ماءً ونارَ قلبى ضراما
إن شكواكَ حالةٌ ثم تمضى   لا كشكوايَ من شقاءٍ أقاما
أنتَ تصفو حيناً وتهتاجُ حيناً   وحياتى ما تستقرُّ احتداما
لكَ هذى الآفاقُ تمرحُ فيها   وفؤادى فى الصدرِ جُنَّ اكتتاما
وإليكَ الأقمارُ ترنو ولكنْ   كلُّ من قد أحببتُ عنى تعامى
لك بأسٌ يغادرُ الريحَ صرعى   لا كضعفى يصارعُ الآلاما
ويوالى النسيمُ تقبيلَ أموا   جكَ منشورةً تُراحُ جماما
ويوالى الغرامُ نفسىَ تعذيـ   باً ويُغرى السقامَ بى والحِماما
وبقلبى كما بقلبكَ دُرٌّ   أنبتتهُ الحياةُ خيراً تُؤاما
وكِلانا ضمَّتْ قراراتهُ الهوْ   لَ وراعتْ أسرارُها الأفهاما

* * *

واصِلينى أو قاطِعينى سِيَّا   نِ إذا كنتُ لا أرومُ مَراما
حبذا هجرُكِ الطويلُ إلى نفـ   سى ويا ليتهُ يدومُ دَواما
إن فى لذةِ الوصالِ شكوكاً   قد أحالتْه عَلقماً وسِماما
لستُ أخشى إلا الشكوكَ التى بى   كالأعاصيرِ تكسحُ الآجاما
ليتنى لا أحنُّ وجداً ولا أشـ   تاقُ تلكَ العهودَ والأياما
كيفَ لى بالحياة من بعد ما أصـ   بحَ يُقذِى الجمالُ عينى ابتساما
سَوْأةً للحياةِ ما كان أغنا   نِى عنها لو استطعتُ انعداما
وأقولُ الزمانُ يُصلِحُ قلبى   ويداوى الجراحَ والأسقاما
وعلىَّ الصبرُ الجميلُ فها رُحـ   تُ أعدُّ الشهورَ والأعواما
غير أنى أزيدُ يأساً على يأ   سٍ وأستنجدُ الرَّدى استرحاما
خجِلاً من عواطفى غاضباً كيـ   فَ أرانى معذَّباً مُستضاما
مستلِذاً ما بى أغالط نفسى   مُستطارَ النُّهى رضًى وملاما

* * *

أيها البحر هاجنى نغمٌ كد   تَ به توقظ الصخورَ النياما
أبديٌّ تصبِى إليه الدرارى   رانياتٍ تَرُدُّ عنكَ الظلاما
حمَلَتهُ الأنسامُ فالتفَّ بالمو   جِ يُباصى الأمواجَ والأنساما
أيها البحرُ ثُرْ وَرُقْ واصفُ واكدُرْ
قد رَضينا حياتَنا استسلاما

(الاسكندرية)   خليل شيبوب

لا تملكُ النفسُ منها   إلاَّ رمادَ الكلام
قد كان جمراً فنامتْ   أيقاظُهُ فى النُّيام
واستيقظتْ لى همومٌ   حياتُها من خِصام
أفنتْ شبابَ خيالى   وعيَّثتْ فى نظامى
حتى رأيتُ الليالى   تطوفُ فى أيامى

محمود محمد شاكر



دراسات في الفن

آلو ... الدكتور عزام؟!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— يا للنهار ! مالك أنت والغناء ؟ لك ساعة وأنت تموء وتهق بأكره الصوت جادا مجتهداً كأنما تجرب إذاعة لهذا المساء ؟ هل زيفت نفسك على ماركوني وألقيت في روعه أنك موسيقي مغن مطرب ملحن ؟ أما إذا كنت فعلتها فهي كبرى المصائب ، ونكبة النكبات

— إني لم أفعلها إلى الآن . ولكني أعد نفسي لها ، وهي من غير شك أربح الأشغال في هذه الأيام . فقد وصل سعر اللحن عند ماركوني إلى مائة جنيه ، ينفق عليه منها عشرة على الأكثر يأخذها تخت كامل وفوق الكامل . ثق أني سأبدأ العمل وثق أني أعرف طرق النجاح فيه

— قل شيئاً غير هـذا ، وامح علامات الجد هذه من على وجهك فقد كدت أصدقك ... أمجنون ؟!

— سترين أني عاقل عندما تسمعين مصطفى بك رضا بنفسه يقدمني للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول : « آنساتي سيداتي سادتي . أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقري البروفسور عزيز فهمي في أغنيته الأولى « التختروان » وهي من تأليفه وتلحينه ... على تخت مكون من كبار رجال الفن »

— وما الذي يمنعك ما دمت واثقاً أن هذا ممكن ؟

— لا شيء يمنعني . وإنما كانت الفكرة غائبة

— وقد جاءت الفكرة وستنفذها . أليس كذلك ؟ قل لي الآن بم ستبدأ

— بالشعر ... صحيح أني لست شاعراً ولكني أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام . ثم إني أعرف الكلام الذي يحبه الجمهور وليس علي أكثر من أن أرصه في النظم رصًا وهو لا يعدو « النوح والهوح ، والأغاني والأماني ، والدموع والخضوع ، والغزل والأمل » وسائر هذه الألفاظ التي يقولها القمر للأستاذ أحمد رامي وهو نائم تحت السرير في الغرفة الغربية المطلة على الحقول من منزله في حدائق القبة ... فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً بدأت في تلحينها ، وهذا شيء أيسر من الشعر ، وهو لا يكلفني أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الشرقيـة والغربية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه ، وآخذ لكل شطر أو لكل بيت من أغنيتي لحناً من هذه الألحان ، فإذا لاحظت في هذا الترقيع أن يكون منسجماً يمشي بعضه مع بعضه من غير تنافر فإني قد جئت بما لم يجيء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه، فنحن لا نزال نرى في مقطوعاته جيماً التنافر ظاهراً بين أجزائها المجموعة من الشرق والغرب ... فماذا تريدين مني أكثر من التفوق على عبد الوهاب ؟

— وبعد ؟

— أتفق مع الأستاذ محمد القصبجي على أن يتعهد بمراجعة اللحن مع أفراد التخت بخمسة جنيهات يأخذها ربحاً حلالاً على هذا ، وعلى أن يعزف معي بعوده الممتاز في الإذاعة ... وهو لن يرفض خمسة جنيهات حلالاً ... وإذا أخذ الأستاذ إبراهيم العريان وهو سيد العازفين على القانون في مصر جنيهاً واحداً ليشترك معي في الإذاعة فإنه سيدعو لي ليلاً ونهاراً لأنه يقضي الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا زكريا أحمد الذي يعرف قدره وقدر فنه ولأن الباقين يتقونه خشية أستاذيته ... وتبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت ، ولا شيء أخيراً إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الملق والمداهنة وأنا زميل لهم وأظن أنهم يجاملونني

— طيب والغناء ؟ أتغني بصوتك هذا نفسه ؟

— ولم لا ؟ أليس صوتى أرخم من صوت الأستاذين حسين الليجى وحامد مرسي ؟ وما دامت الصحافة ستقول هى ومار كونى أنى مغن ممتاز عبقرى ، فلا بد أن يصدق الناس أنى كذلك ... والحق أنى كذلك ...

— تريد أن يجوز هذا علىّ أنا أيضاً ؟

— الفنان الحق يا آنستى لا بد أن يؤمن بفنه قبل أن يؤمن به الناس ...

— يا عينك ! ولكنك لم تقل لى كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهى إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ...

— هذه أهون الهينات ... وهى بيد الدكتور عبد الوهاب عزام الذى لا يزال يذكر أنى تلميذه ، والذى يعطف علىّ فيما يبدو لى ، والذى أعتقد أنه لا يتأخر عن مساعدة رشيقة كهذه . .

— وما للدكتور عزام الأستاذ فى الجامعة والذى يكتب عن رحلاته فى الشرق والغرب ، وهذه « الألعوبة » أو « الألعبانة » التى تريد أن ترتكبها ...

— الرجل رجل طيب ، فإذا التصقت به لم يجرؤ على طردى لأنه حيىّ خجول ، ولأنى سأذكره بالحكمة التى تقول : « من علمنى حرفاً صرت له ضيفاً » وقد علمنى هو اللغة الإيرانية كلها ... والدكتور عزام قريب صاحب المعالى عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف فى وزارة الأوقاف فإذا رآنى حول الوزير مرة أو مرتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً ... فإذا دعوته يوماً إلى سماعى ونبهته إلى أن الدكتور عزام سيسمعنى معه خف إلىّ كالبرق الخاطف حباً فى مجالسة الناس الطيبين ، فإذا بى الدعوة هؤلاء الناس الطيبون الذين من عادتهم أن يجبروا خواطر الناس ، بدأ الإيمان بى وبفنى يدخل نفس ماركونى ، فإذا جاءنى أحد الناس الطيبين « بآه » أو « بأحسنت » كان هذا مستنداً لى على أنى فنان مقتدر ... فإذا قلت عن نفسى بعد ذلك بأنى عبقرى وأنى نابغة العصر والأوان زيادة على أنى شاعر كبير ومثقف مطلع ومفكر عظيم فإنى من غير شك واصل إلى الاتفاق الذى أرجوه ...

— ولكن هذا كله لا يساعدك فى شىء ... فمصطفى بك رضا نفسه موسيقى ، وهو نفسه حَكَمٌ فى الفن لا يمكن التدليس عليه

— قد يكون هذا حقاً ، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم بالفن وحده ... فهو بلا شك يقيم إلى جانب الفن اعتبارات أخرى يستعينها فى الحكم على الفنانين الذين يعملون فى الإذاعة . . وإلا فكيف يسمح بالغناء لمن تعرفهم من المغنين الذين لو استمعوا إلى أنفسهم لما رضوا أن يغنوا ... ألا يذيع كثيرون من هؤلاء ؟

— ولماذا يفعل هذا ؟

— إسأليه ... واعلمى أنه محسوب على السيدة نفيسة فهو تقى جداً وورع جداً ولا يمكن مطلقاً أن يقول غير الحق ولا أن يظهر غير ما يخفى ... زيدى على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية ، وأن له من الحسب والنسب ما يدرأ عنه كل شبهة ... وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب ... طيب جداً ، سبحته لا تفارقه ، وشفتاه لا تكفان عن التمتمة والتسبيح ، ولعل ماركونى لم يأخذه إلا لأنه بركة

— إذن فقد انتهى الأمر ، وإنى أوصيك بأن تبدأ ...

— اسألى لى عن الدكتور عزام بالتليفون ، فإذا وجدته فقولى له : إن هيئة كبار العلماء ستتغدى عندك اليوم .

— وما لهيئة كبار العلماء هذه أيضاً ؟

— هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على فرقتنا التى كانت مؤلفة من ثلاثة . قال الأستاذ أحمد أمين يوماً : إن كلية الآداب لم تر مثلهم ولن ترى مثلهم

— فى الجد والتحصيل ؟

— لا . فى العنف والكفاح والرجاء والإيمان . دعينا من هذه الذكريات . هل وجدت الدكتور ؟

— لا . فلننتظر ساعة . والآن قل لى : لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك « التختروان » ؟

— أنا لم أختر هذا . وإنما هو الرد الطبيعى على أغنية « الجندول » التى غناها عبد الوهاب . « فالجندول » هذا مركب أوربى يسير فى شوارع البندقية — وهى مياه — ولا يعرف هذا « الجندول » إلا فئة خاصة من المصريين ؛ أما « التختروان » فيعرفه المصريون جميعاً والعرب جميعاً ، لأنه « الهودج » الذى يوضع على ظهر الجمل فإذا كان « الجندول » الذى لا يعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب فى أن يتغنوا « بالتختروان » !

— ليس الذنب فى « الجندول » ذنب عبد الوهاب ، وإنما هو ذنب الأستاذ الشاعر على محمود طه المهندس الذى زار البندقية وحدث له « الجندول » فيها فسجله شعراً ، ولحنه عبد الوهاب

— قد يغتفر للأستاذ الشاعر هذا الجندول ما دام قد حدث له

ولكن لماذا يغنيه الأستاذ عبد الوهاب ؟ وقد خلق الله له موهبة التقليد التي يأبى أن يستغلها

— لم أسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانتها بين الفنون إلا الآن

— هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ؛ وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يغني كل ما يسمعه ويوفق في تأديته خير التوفيق ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يمرنه بين الفصول يغني المنظارة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت، فكان ينال إعجاب الناس، وسمعه بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك فطرب له فاحتضنه وتبناه وقدمه لأصفيائه وللبيئة التي كان يعيش فيها وهي بيئة الأمراء والكبراء فكان عبد الوهاب يغنيهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستحسنوا غناءه ؛ فلما مات سيد درويش فوجئ الجمهور بعبد الوهاب الملحن الموسيقار، وكانت الفاجأة بالطريقة التي أربد أما أن أنجأ الجمهور بها ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يتمثر إذ عدل عن الموهبة التي خلقها الله له إلى ما لم يسمح الله له به . على أنه كان غالباً ما ينجح إذا غنى المواليا ، ذلك أنها غناء مصري للقاهرة ، فيه أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد سلمت بعض قصائده من التنافر والتخبط لكثرة ما غنى في ماضيه للمرحومين : الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ؛ أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب يعاني الأمرين في غير شك في صوغه . وقد كان المرحوم شوقي بك يغربل له موسيقاه فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأى إلا السجود لها ولا أقل

— يا شيخ ! لا تكن ظالماً

— لست أظلمه . ولو أنصف عبد الوهاب لظل كما كان مغنياً يغني لغيره ممن يستطيعون التلحين ، أو أن يكون مغنياً بلدياً كغيره من أولاد البلد الفنانين البارزين ، وليس هذا عيباً ، وليس فيه حطة ، فالناس كلهم أو أغلبهم مجمعون على استحسانه في المواليا ، وفي القصائد قبل أن يفرنجها ... أليست « يا جارة الوادي » خيراً من « الجندول » ؟ ولكنه أصيب بما في رأسه ، وهو لا يريد مطلقاً أن يذكر الجالية ، ولا باب الشعرية ، ولا « حوانيت التربية ... » مع أنه أنفق حياته الأولى في هذه ... وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل ماضيه ... وإن حياة الفنان الأولى التي قضاها وهو بعيد كل البعد عن التفكير في مشاغل الدنيا وأرباحها وخسائرها لهي المعين من الفن الذي لا ينضب ... وإنها أصدق ما يمكن أن يبرزه من الفن ، وأصفى ما يمكن أن يطالع به الناس من عواطفه وخلجات روحه . أليس كتاب «الأيام» هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين بك . وأي شيء في كتاب « الأيام » غير قسط ظاهر من الصدق ... إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام ... وهذا الإنسان الآخر له مجد وله مكانة وله شهرة ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل « طه حسين » بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك نفسه يعترف بهذا فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يكتبها ويخرج من بين يديه خير ما كتب ...

— إذن فعلى عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره ...

— من غير شك هذا هو خير ما يستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى ما فيه ، ولأنه كان هكذا في طفولته ... فهذا هو ما خلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه ...

— ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً ... فمن الذي يعطيه مائة جنيه في أغنية قديمة ؟

— الرزق هذا شيء لا حيلة للانسان فيه ، وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يعطى بعد ذلك من غير حساب ... إن بتهوفن وسيد درويش ماتا معدمين ولم يجمعا في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أنصع منهما فناً ؟ ... إن كرستوف كولمبس الذي عثر على أمريكا لم يمت إلا بعد أن استجدى في شوارع نابولي على ما أظن ... فالرزق شيء والعمل شيء ... والفرقة القومية بدأت تفكر في تقديم الأوبرا والأوبريت ، وعبد الوهاب من غير شك هو المغني الأول الذي أرشحه لها ... فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا العرض ؟ ...

— يهديه الله ...

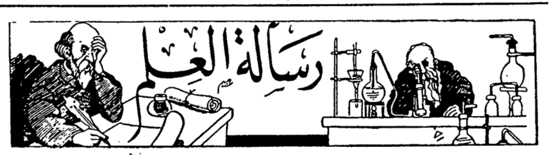
— سيهتدي عند ما يراني أزاحمه، وعند ما يجد مني سر نجاحه، وعند ما يلحظ أني سأحسن استعمال هذا السر أكثر مما يحسنه

— إذن . فأنت لا زلت مصراً

— من غير شك ... إسأل عن الدكتور ...

عزيز أحمد فهمي

(الرسالة) لا نظن كثيراً من النقاد يشاطرون الأستاذ عزيزاً رأيه في الأستاذ عبد الوهاب .



الهندسة وابن الهيثم

قديماً وحديثاً (*)

للدكتور محمد محمود غالى

أفاض المتكلمون وأبدعوا، وأخرجوا للعالم العربى ما فى بطون الكتب من مآثر ، لم نكن نوليها انتباهاً ، فلم يدعوا لى شيئاً بارزاً أذكره لابن الهيثم ، ورسموا صوراً هى أقرب الصور إليه سجلوا فيها أعماله ومبلغ تحليله للمسائل وفهمه للأشياء . هذا هو ابن الهيثم، عالم طبيعى له مشاركة فى الفلك والعلوم الرياضية والفلسفية وفضلاً عن ذلك نرى الهندسة تقترن باسمه ، بل إن شهرته كمهندس غلبت على بقية صفاته ، من ذلك ما ذكره القفطى فى كتابه : « أخبار العلماء » من أنه الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصرى، وأنه صاحب التصانيف والتآليف المديدة فى علم الهندسة، وهو بعد ذلك يتحدث عنه فى بقية الكلام كمهندس أكثر منه عالماً طبيعياً

والواقع أن دراسة تحليلية لابن الهيثم لقمينة أن تضمه فى صفوف علماء الطبيعة أكثر من أن تمده بين المهندسين، وإنما وصل إلى هذه النتيجة من أثره التجريبى لا من أثره فى التأليف ، ولكنا لا نجزم بهذا الرأى كنتيجة نهائية لبحثنا هذا . فتجاربه فى علم الضوء معروفة ، وقد شرحها بمهارة زميلى الأستاذ مصطفى نظيف بك ، ولا نزاع فى أننا متفقون فى التفريق بين الهندسة كجزء من علم الرياضة وبينها كمجموعة لأعمال فنية أو إنشائية . إنما يُعرف المهندس بآثاره الإنشائية أكثر من أثره فى التأليف .

فأعوتب مهندس الملك زوسر بانى هرم سقارة، مهندس كشف عن استعمال « الطوبة » وهى تدعو للإعجاب ؛ وكيف لا نعجب له حين عرف كيف يُكوّن من اللِبن والحجارة أشكالاً منتظمة، أشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع ، فيها كل هندسة إقليدس .وأكتنيوس ومساعده كليكراتس ، عند ما شيدا البارثينون Partinon أهم معبد فوق الأكروبول ، وهو الذى تم تحت إشراف النحات المعروف فيدياس فى عهد بركليس الذهبى ، كانا مهندسين عظيمين ، فإن عملهما الإنشائى لا يزال إلى اليوم جديراً بالتقدير ؛ وجارنييه Garnier بانى أوبرا باريس وإيفيل الذى شيد بها البرج المعروف مهندسان أحدهما فى العمارة والثانى فى الإنشاءات الحديدية وكلاهما باعث دهشة . تُرى هل كان لابن الهيثم من عمل إنشائى يضمه بين المهندسين الذين يذكرهم التاريخ ؟ هذا ما لم يقم دليل عليه كما لم يقم دليل على بطلانه ، ومع ذلك فهو صاحب كتاب العقود الذى لم نعثر عليه لنتبيّن غاية ما بلغه من التقدم فى أعمال ما زالت أهم ما يقابل المهندس عند تصميم القناطر والخزانات والأبنية الكبيرة

ولسنا نغض بهذا من شأن ابن الهيثم كمهندس وهو الذى بين تصانيفه كتب عديدة تمت إلى علم الهندسة وتبحث فى علم المساحة والتخطيط، وقد ذكر الكثير منها الدكتور مشرفة بك، وأضيف إلى ما ذكره كتاب العقود ، وكتاب أصول المساحة ، واستخراج أربعة خطوط ، وحساب الخطين ، وحلل الحساب الهندسى ، ومسألته فى المساحة وغيرها

ترى هل خرج ابن الهيثم من مجال التأليف إلى مجال الإنشاء؟ يغلب على ظننا ذلك، وقد يدلنا التاريخ أو البحث يوماً عن آثار له فى هذا ، فإن شهرته كمهندس بلغت من الذيوع والانتشار ماجعل الحاكم صاحب مصر من العلويين يتوق إلى رؤيته ، وقد نقل له

(*) محاضرة ألقيت فى الاجتماع التخليدى الذى عقد بالجامعة المصرية لذكرى هذا العالم الذى عاش بالقاهرة

عن ابن الهيثم أنه قال : « لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل منه النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الإقليم المصرى » فازداد الحاكم شوقاً إليه وأرسل فى طلبه ورغّبه فى الحضور ؛ فشدّ ابن الهيثم رحاله إلى مصر ولما بلغها خرج الحاكم للقائه على باب القاهرة وأمر بإكرامه ، وطالبه بما وعد به من أمر النيل ؛ فسار ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على ما خطر له ، فلما جال الاقليم بطوله وتبين آثار الأقدمين ، وهى تمد بدعة فى الصناعة وآية فى الهندسة ، تحقق أن الذى يقصد إليه خارج عن طوقه ، فإن من تقدموه لم يكن ليغيب عنهم علم ما يعلم ولو أمكن لفعلوا ، ففترت همته ، ووهنت عزيمته ، ووصل إلى موضع الشلالات بعد أسوان وعاينه واختبره فوجد أنه يختلف عما كان قد فكر فيه ، وتحقق الخطأ فيما وعد به واعتذر للحاكم

وليست هذه الواقعة التى سردها بعض المؤلفين لتُقلل من شأن الرجل العالم الذى نحتفل بذكراه ، ففى بناء هيكل المعرفة خطا ابن الهيثم المهندس البصرى الخطوة الكبرى إلى الأمام ، وكان ممن وضعوا حجراً أساسياً فى العلوم نتوارثه جيلاً بعد جيل

* * *

جيل يتلو جيلاً ، جيل يتصرم ويحل جيل ، وطوى الزمن تسعمائة عام على هذا العالم ، تغيّر خلالها وجه الأرض ، وحلت مدنية تختلف عما تقدمها من مدنيات ، وعصر لا يشبه ما خلا من عصور ، وألفينا أنفسنا أمام صورة جديدة للفن الهندسى ارتبط بالتقدم العلمى ارتباطاً وثيقاً وتفرّعت الهندسة فى غير المهارة إلى هندسة آليّة وكهربائية بل وموجيّة ، وأثر هذا فى مقدرتنا على العمل وأثرنا فى الإنتاج ، ولو أننا نظرنا إلى أحد هذه الفروع وإلى الهندسة الموجية لوجدنا أننا وصلنا إلى نتائج تستوجب النظر

أولاً : فى الانتشار الصوتي وعلى متن الأسلاك يستطيع أن يتخاطب بالتليفون مئات الأشخاص أو أكثر على سلك نحاسي واحد فى وقت واحد ، أمر يحدث اليوم بين العواصم الكبيرة . أذكر على سبيل المثال الخط بين لندرة وبرمنجهام، حيث يتكلم على سلكين للمخاطبات التليفونية وضع بجانبهما سلكان للتوسع المنتظر فى استعمال التليفزيون حوالى ٣٥٠ شخصاً فى آن واحد ، ويفهم كل منهم أخاه دون أن تختلط هـذه الأصوات العديدة .

بل أرجع السامع إلى محاضرات فورتيسكيو Fortescue أستاذ جامعة لندن عند زيارته لكلية الهندسة العام الماضى بدعوة من العميد ، بل أحيله إلى ظواهر يعرفها منذ عدة سنين كل الذين شغلوا أنفسهم فى المختبرات بظاهرة الانتخاب فى الظواهر الدورية

ثانياً ، فى الانتشار الموجى والتبادل الضوئى الكهربائى استطاع الإنسان أن ينقل الصور الفوتغرافية إلى مسافات بعيدة ، دون استعمال الأسلاك ، وكان تطبيق ذلك فى نقل الرسائل فى الصين بلغتهم المعروفة بحروفها العديدة مما يدعو للاعجاب ، وهو الإعجاب الذى استولى على كل منا عند ما طالعنا من أربعة أيام فى الصحف كيف نقلت باللاسلكى الصور الفوتغرافية للحوادث البحرية التى جرت فى الأورجواى ، وهى الحوادث الخاصة بالبارجة « فون شبيه » وكيف رأى البرلينيون صورها ولم يمر على أخذ الصور التى يبعد مكانها عنهم بنصف محيط الأرض إلا كسر ضئيل من الثانية

ثالثاً : فى الانتشار الكهربائى استطاع الإنسان بغير أسلاك أن يسمع الأصوات ويتكلم على مسافات بعيدة تبلغ محيط الأرض بل استطاع أخيراً أن يرى عن بعد الأشياء المتحركة كما لو كانت أمامه

هذا ما حدث من الهندسة التطبيقية ، ولقد كانت خطوات العلوم البحتة أوسع بكثير من هذه ، وجرى العلم الحديث شوطاً لم تستطع الهندسة التطبيقية أن تلاصقه فيه : ثمة اكتشافان عظيمان ، النشاط الأشعاعى والتفتت الذرى . تُرى ماذا سيحدثه الإنسان الدائب التفكير الموفور الذكاء فى أثرها من تطبيقات تنشأ عنها مدنية تختلف عن مدنيتنا جدّ الاختلاف بل تختلف عن كل ما عهدناه من مدنيات .

أو يصبح عصر الكمّ والنسبية والموجية الذى نعيش فيه بداية لعصر أعظم شأواً وأهم قدراً وأعجب فى الحوادث ؟

إنما يلزم لذلك أناس أذكياء تعودوا الإقامة فى المختبرات والتردد على دور الكتب ؛ هؤلاء الذين أسميهم أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً

عند ذلك يختلف العهد ، وينظر اللاحقون لنا نظرة جيلنا لزمان ابن الهيثم . ومع ذلك وبعد الذى ذكرناه لا يجوز لنا

أن نذهب فى المبالغة شوطاً بعيداً لما حدث بعد عهده ، فإن المواد ما زالت تستعمل فى عصرنا على النحو الذى عرفه ابن الهيثم ، بل إن هندسة أقليدس القديمة ونظرياته الأربع والعشرين المعروفة التى كانت حجر الزاوية لكل معارفنا الحالية هى الهندسة ذاتها التى تعلمها ابن الهيثم وعرفها وجدد فيها ونقلها قوية مجددة للأجيال التى تلته

إن الخط المستقيم والدائرة والمثلث وعلم الهندسة وعلم المساحة وما يتعلق بكل هذا من نظريات كان لازماً لنستمتع بما نستمتع به اليوم ، وكان من اللازم وجود أمثال ابن الهيثم ليرى الإنسان بعده جاليليه ونيوتن وإلا صادف عصراً بدائياً لا يصلح للتجديد

نعم إن المعارف القديمة لم تعد تقدم لنا صورة صحيحة لهذا الكون ، وقد غدت لدينا صورة جديدة تغاير تلك الصورة البسيطة التى عللها لنا الأولون بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة ولا يزال الجامعيون يشهدون يوماً بعد يوم انقلابات فى التفكير ، ويقفون على أوصاف للكون أدق من صورته التى عهدناها حتى عصر ابن الهيثم ، بل عصر جاليليه ونيوتن ؛ فلا مادة بالمعنى القديم ، بل إن المادة جسيمات صغيرة فى حركة دائمة ، وفى هذا الكون المتكون من هذه الدقائق المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، وكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد ، والذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء ، بل لا فارق بين الطاقة والمادة ، ويمكن القول اليوم إنهما تمتان إلى أصل واحد ، بل إن المادة ذاتها كهرباء والكهرباء مادة

أجل . إن قوانين هذا العالم المضطرب باتت تختلف وفق صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن القوانين القديمة التى لم يظهر أنها صحيحة إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم ، وقد تمدى هذا الاختلاف فى فهمنا لظواهر العالم كل شىء ، حتى إن القوانين المادية الخاصة بالزمن والحيز اللذين يحكمان العالم باتت تختلف عن التى تعلمناها فى المدارس ، والحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أعوتب هو حيز مموج ، والمثلث الذى جرينا على اعتبار أن مجموع زواياه يساوى قائمتين هو فى الواقع ليس كذلك ، والخط الذى اعتدنا اعتباره مستقيما يلتف من النهاية حول نفسه ، والكون الذى اعتبرناه لا نهائياً هو فى الحقيقة محدود ، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا التى تفتقر إلى المعرفة والتعيين

نعم قد حدث هذا كله ، ووصلنا إلى نوع جديد من التفكير والتطور ، ترى ماذا سيكون من أثر المعارف الجديدة فى الإنسان القادم ؟ ومع ذلك فإن هذا النوع من التفكير قد وصل به الإنسان إلى ما وصل إليه لأن البناء كان صالحاً ، كل هذا ترتب على هذا النحو لأن المعرفة القديمة كانت عظيمة الأثر ، ولأن ثمة رجالاً كابن الهيثم زرعوا لحصدنا ونزرع اليوم ليحصد الغير .

فى كثير من المحاضرات نشيد بذكر العلماء الحديثين الذين يساهمون فى تشييد صرح العلوم ، وقد توجهنا فيما كتبنا هذا العام بمثل هذه التحية لكثير منهم أمثال بلانك وبيران ودى بروى ، وجدير بنا ولا ريب أن نحيى فى هذه القاعة أولئك الأعلام الذين وضعوا أساس الصرح . لهذا أتقدم فى ختام هذه الكلمة بالتحية والإجلال لابن الهيثم ، ولست أيأس من أن يقدره مجلس الجامعة قدره فيقرر إطلاق اسمه على إحدى درجات كلية العلوم

لشد ما يتزايد الميراث العلمى ، ولشد ما يشتغل أنصار الإنسان !

فى مزاد للكتب كان فى القاهرة هذا الأسبوع تصفحت الكراسة التى تحوى أسماء الكتب والمؤلفين فإذا بها ما يزيد على عشرين ألف مجلد فى الأدب ، إنما لفت نظرى العدد الكبير من الأسفار للمؤلف الواحد ، وقلت فى نفسى : من أين الوقت لإخراج هذا الميراث ، فلكليمنسو ١١ مؤلفاً من هذه المكتبة الخاصة ، ولديهامل Duhamel ٢٨ ، وللكاتب موروا ٢٤ ولغيرهم الكثير ؛ ولما رأيت أن لابن الهيثم ما يربو على السبعين سفراً ، وأن من بينها ما له القيمة التى ذكرها إخوانى ، أدركت حقاً أننا بصدد عالم كبير جدير بهذا الاجتماع العظيم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة



الإغماء!...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

زارتنى سلمى مرة فى مكتبى وطلبت منى أن أصطحبها إلى مكتب زوجها ، ففعلت ، ولما كنا فى الشارع ، علّقت يمناها بيسراى كأن ذلك طبيعى بيننا ، ولم يظهر على وجهها أى استغراب لما فعلته ، وصارت إذا جزنا عرض الشارع من رصيف إلى رصيف احتمت بى من السيارات المسرعة ، وشدت بذراعها على ذراعى فى حركة عصبية عنيفة

وصرت أفكر طويلاً ، هل بدر منى شيء يدل على رغبتى فى استدراجها إلى ، لأن سلوكها معى لم يعد يحتمل الشك فى رغبتها فى استدراجى إليها ؟ ووقفت حائراً بين أن أفقد صديقين أحبهما حب الإخلاص الصحيح ، وبين أن أخون صديقاً ألفته منذ الصبا وأحول صداقة فتاة عرفتها متدارية بثياب والدتها ووالدتى ، إلى حب لا أقدر مداه ولا نتيجته

وكانت كل هذه الأمور تجرى وسلمى لم تحرك شفتها مرة واحدة بكلمة ملتوية ، ولا تنهدت مرة واحدة فى وجهى ، ولا لمست مرة واحدة يدى لمسة تحتمل تفسيراً أو تأويلاً . ولكن سرعان ما زحمتنى الحوادث وبعدت بى عن تلك الحياة الطيبة التى أذكرها اليوم والأسى يملأ صدرى ، والدمع يكاد يتفجر من مقلتى

أجل خاطبتنى سلمى بالتليفون تقول : ألا تشرب الشاى معنا اليوم فإنى بانتظارك فى الساعة الخامسة تماماً لعلنا نخرج فى السادسة والنصف إلى السينما

وإنى اليوم بعد طول العهد لا أزال أرانى نازلاً من العربة أمام باب الحديقة سائراً فى الممشى القصير إلى باب المنزل أقرعه قرعة تعرفها الخادمة فتخف إلى الباب تفتحه وأدخل إلى القاعة التى ألفت كل أثاث من مفروشاتها . فهذه مقاعدها المذهبة وحريرها الأحمر المجزع بالبياض ، وهذه خزانة البلور التى حفلت بقطع النفائس التى يتأنق عزيز فى اقتنائها ، وهذه مائدة الرخام المستديرة عليها طاقة الورد الصناعى، وهذه الرسوم المعلقة التى أعرفها وتعرفنى ، وأحسن ما فيها صورة سلمى الزيتية متقنة كل الإتقان أما صورة عزيز ففيها سطور غامضة والنور منعكس عليها من فوق يمينا وجب على الرسام أن يعكسه عن اليمين ، وطالما تناقشنا فى هذا الرسم وبحثنا فى نظرية النور والمنظر . وهذا صندوق اللفائف مصنوعاً من الآبنوس الملبس بالأصداف أتناول منه واحدة أشعلها وأقف أمام النافذة المطلة على المحمودية أنظر مياهها الكدرة المتدفقة إذ كنا فى أول سبتمبر وفيضان النيل على أشده

نعم لا أزال أفكر فى هذا كله كأنى أراه الآن ماثلاً أمام عينى. ثم طال انتظارى فقرعت الجرس وجاءت الخادمة ، فقلت لها: أين الجماعة ؟ ... فأجابت : إن سيدتى ترتدى ثيابها، وأما الأستاذ فقد ذهب منذ هنيهة. ثم نظرت إلى الخادمة نظرة لم أرتح لها. وما هى إلا ثوان معدودة حتى جاءت سلمى يموج جسمها فى دثار يابانى قد التفت به حاسرة عن ذراعيها وصدرها . وقد صففت شعرها

وعقصته بمشط لين العاج قد انتظمت على حافته حجارة مبرقة ، وأصلحت من شأنها في كثير من الاختصار والانسجام . فما أن رأتني حتى مدت إليّ يدها مصافحة، وقالت وهي تبتسم عن مثل اللآلئ صفاء : عفواً لقد جرى مالم يكن في حسابي، فإن عزيزاً قد استدعى فجأة لأمر هام وهو يأسف لأنه لا يعود قبل الساعة الثامنة . وقد أوصاني أن أحتبسك حتى عودته لنصل جلسة بعد الظهر بالسهرة ...

ولم أجد غرابة في هذا كله بل وجدته طبيعياً وقلت لها : لعلك لولا حضوري كنت تخرجين مساء . قالت : لا وحقك إني متعبة فاجلس تزرّ قليلاً ...

وأخذنا في حديث عن الفيضان والبعوض ، وكانت سلمى تقول إنها لم تعد تطيق السكنى في هذا المنزل وإنها سوف تنتقل إلى ضاحية الرمل حيث أكثر الأصدقاء والمعارف، ثم اندفعت في امتداح ضاحية الرمل بينما كانت الخادمة تحضر مائدة الشاى ، فأصبت كوباً منه وأكلت قطعة من الحلوى ، وقدمت إلى سلمى لفافة من التبغ شرعت في تدخينها ، وقد قامت وقعدت مراراً تستحضر إما منديلاً أو صحفة أو ملعقة ، ورأيت في تثنيها شيئاً من التصنع والارتباك ، ثم نادت الخادمة وقالت لها : إنه يمكنها الانصراف على أن تكون في المنزل في حدود الساعة الثامنة

وشدت سلمى ثوبها على جسمها ، وقعدت بجانبي ، فصور الثوب أعضاء جسمها تفصيلاً ، وهبّت منها رائحة عبقة تغلغلت في دماغي ، ثم مدت ذراعها وألقتها على ظهر المقعد ورائي دون أن تمسني ، ونظرت إليّ نظرة كدت أستريب منها وقالت : ما رأيك في كأس من الكونياك ؟ ولم تتم كلمها حتى وثبت إلى غرفة الطعام ، وفتحت خزانة واستحضرت منها زجاجة وهي تقول : إن هذه الزجاجة تزعم أن هذا الكونياك كان شراب نابليون

فضحكت وقلت : ونحن الآن نقلد نابليون بشربه وسكبت لي كأساً ومثلها لنفسها فشربنا وقد تذوقت الكأس وأعجبت بجودة الصنف فملأ ، أما هي فترشفت نصف كأسها ، ثم سكبت لي الثانية

وقد جرى هذا كله في سهولة وبساطة ، وسلمى تقول : إن خياطتها أصبحت من الطمع بحيث صارت تفكر في استبدالها وقالت : إنها خاطت لها قميصاً من الحرير هو هذا الذى تلبسه — ثم كشفت دثارها عنه فإذا به يضم نهديها إلى ركبتيها في تموج غريب — وإنها تقاضت منها أجرة وكلفة لا يحتملها القميص .

وكنت تجرعت الكأس الثانية فسكبت لي كأساً ثالثة رفضتها رفضاً قاطعاً لكنها لم تصغ إليّ . ومضت في حديثها عن القميص بينما أخذت أتمصص الكأس ، ثم وقفت أنظر إليها مصغياً إلى حديثها أقول : أنتن السيدات لا تعرفن اهتماماً إلا بهذه الخرق الحريرية . . . فقالت : ألا يعجبك حرير هذا القميص . فابتسمت ، فإذا بها واقفة حيالي فاترة العينين ملتهبة الخدين ، ثم رفعت ذراعها إلى جبينها وهي تقول : لا أدرى ما بي ... لعل هذا الكونياك قد دار رأسي به . فقلت: لا عليك اجلسي . ولكنها تثنت قليلاً وقالت كأنها تريد أن تصيح : فريد ! فريد ! اسندني إليك . . .

فذعرت كل الذعر؛ وما أن أسندتها إليّ حتى استرخت بين يدي وضمتني إليها متعلقة بي متثاقلة بجسمها عليّ وأنا أدفع بها في لطف وتؤدة حتى أجلستها على المقعد وقد تلاصقت بي تلاصقاً غريباً وشدتني إلى صدرها شداً عنيفاً

وأردت أن أهرع إلى حيث أستحضر لها كوباً من الماء، ولكن تعلقها بي منعني من ذلك . ولا أدرى لماذا خطر لي في إبراق عجيب ذاك الحادث الذى حدثني به زوجها عن تصنع الإغماء . فرأيتني في موقف مدهش يقتضيني بتاً سريعاً: إما الخيانة ومسايرتها أو القطيعة والجفاء . وكان دمي يفور ويغلي والعرق يتصبب مني ولا أعرف كيف ولا لماذا قلت لها :

— إياك أن يغمى عليك فإني حينئذ أستدعي لك الأسعاف .

ولا شك أنها سمعت كلامي ولم تأبه له وحسبت أكبر حساب لغريزة الرجل فأصرت على إغمائها، وتلطفت في التملص منها وتباعدت عنها ونسيت الماء والكوب والأسعاف وبقيت واقفاً حائراً، وسلمى قد فتحت دثارها وكشفت قميصها وزاد خفقان صدرها ثم أنَّت قليلاً في خفوت واختناق ثم لزمت الهدوء

فأشعلت لفافة من التبغ وصرت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا لا أعي ما أطأ حتى عيل صبري . وكلما طال انتظاري وتمادت في غيبوبتها كان الغضب يطرد في صدري وتقوى عوامل الشرف والصداقة والإخلاص، حتى رأيتني واقفاً أقول :

— هذه مهزلة مألوفة وليس مثلك من يمثلها مع مثلي . ونحن أصدقاء العمر فقد أخطأ حسابك ، وإذا كنت أتقنت مثل هذه المهازل فجربيها مع سواي

وإني لأذكر تمام الذكر أن سلمى انتفضت عن مقعدها كالنمرة الضارية ، ثم لمَّت دثارها والتفت به ووقفت في وجهي تلهث من الخيبة وتحدجني بلحظ يتقد غيظاً وقالت وهي تتلظى غضباً :

— أنت رجل مغفَّل

***

واليوم إذ أستعيد هذه الذكريات أحاول عبثاً أن أستبين كيف مضت الأيام التي تلت هذا الحادث وكيف نزلت بي حمى شديدة استوجبت نقلي إلى المستشفى حيث قضيت أشهراً بين الموت والحياة علمت بعدها أنه لم تعدني فيها سلمى ولا زوجها .

وقد فتَّت الحمى في عزيمتي وغادرتني شائب الرأس مهدوم الجسم ؛ وهأنذا اليوم بعد خمس سنين أراني قد انحدرت بي السن أشنع انحدار وتوغلت في الكهولة أيما توغل .

وفي كل هذه المدة لم تقع عيني على الأستاذ عزيز سامر ولا على زوجته سلمى، ولكنني لا أزال أذكر والأسى يملأ صدري والدمع يكاد يتفجر من مقلتي أنني كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامر ولزوجته سلمى

(الأسكندرية) خليل شيبوب

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشر من تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن فآثار الهياكل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التي أهملوها لا تزال برهانا على ذلك .

ولا داعي للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائي بقساوة فان أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها في الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيراً من تفشي هذا الوباء وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لا تدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض .

ففي سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد « د هامابو » قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على مايؤكده الرواة في سيلان بدرجة أنهم عجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج عن ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذي الجوائح وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد .

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجوائح كما يقول الرواة وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جمعية الأمم تتلخص في تطبيق العلاج السريع بالكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات.

من هنا ومن هناك

هتلر والهتلرية

[من تقرير السفير البريطاني ببرلين « سابقا »]

ظهر الهر هتلر والاشتراكية الوطنية نتيجة لهزيمة أمة كبيرة في الحرب وما تبع هذه الهزيمة من الفوضى واليأس. والاشتراكية الوطنية في ذاتها ثورة، وهي كذلك مذهب في الفلسفة الوطنية وعلى النقيض من الديمقراطية التي تجعل الحكومة خاضعة للجمهور تقوم النازية على جعل الجمهور تابعاً للحكومة خاضعاً لها بل للفرد الوحيد الذي يدير دفتها

كان العالم خارج الحدود الألمانية، لا ينظر إلى الاشتراكية الوطنية بكثير من الاهتمام ما دام أمرها مقصوراً على داخلية البلاد. وكان بعض الناس يذهبون إلى نقد صاحب هذه الحركة وبعضهم إلى استحسانه وبعضهم يراقب حركاته بشيء من القلق؛ ولكن الحكومة الألمانية كانت على الدوام شأناً من شئون الشعب الألماني وحده. فلما انتقلت نظرية الوطنية الألمانية خارج الجبهة الألمانية بدأت الفلسفة النازية تبرز رأسها خارج حدود السلام

ومن الجهل أن ننكر الإصلاحات التي قام بها ذلك الرجل الذي يقود ألمانيا اليوم داخل بلاده. إلا أن الوسائل الظالمة التي اتبعت في سبيل تنفيذها كانت مما يمجه الذوق الإنساني، وإن كانت لا تهم أحداً غير الألمان

ولم يكن ضم النمسا والسوديت الألماني هو الذي أثار شعور الكراهية ضد الهر هتلر، وحرك ضده الرأي العام في جميع أنحاء العالم. فإن العالم الذي ذاق مضاضة الحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ كان على استعداد لاحتمال ذلك. فقد كان منتظراً أن تضم إليه تلك البلاد طائعة مختارة ولا يمس السلم بشيء. إلا أن هتلر لم يكن ليقبل الاعتراف بحقوق الغير التي يريد أن يغتصبها لألمانيا ... والثورة آلة طائشة، إذا تحركت لا تقف، حتى تصل إلى النهاية التي تتحطم عندها. والتاريخ وحده هو الذي سيقول إذا كان في مقدور الهر هتلر أن يسير بالنازية في الطريق المعتدل القويم، أو أنه كان ضحية الحركة التي بدأها، أو أن نوعاً من جنون العظمة هو الذي دفع به إلى تلك النهاية التي كانت المدنية على استعداد لمجابهتها

خلقان لا يفارقان طبيعة الألماني: عجزه عن إدراك أمر من الأمور إلا من وجهة نظره الخاصة، وقصوره عن فهم معنى الاعتدال

إن مأساة الدكتاتور كائناً من كان، هي أنه بتقييده حرية الرأي، يفقد معونة خير رجاله وأصلحهم، وأنه لا يحتمل معارضة أي إنسان. فكل من وهبهم الله شيئاً من الشجاعة لإبداء آراء مخالفة لوجهة النظر التي يراها، يضحي بهم واحداً بعد الآخر، حتى يصبح وليس معه إلا بعض الأفراد المتملقين الذين لا يعرفون غير كلمة « نعم » في سائر الأحوال

وإذا كان الدكتاتور يتأثر إلى حد ما بمن يلتفون حوله، فإن الهر هتلر لا يعتمد إلا على رأيه في كل ما يتوجه إليه. وقد قال لي « الفيلد مارشال جورنج » ذات مرة: نحن عند البت في أمر من الأمور لا نكون إلا كالحجر الذي تقف عليه الآن، فالفوهرر وحده يرجع البت في كافة الشئون ...

يجب أن يتحرر التشيك

« لماذا يجب أن يتحرر التشيك؟ »: هذا عنوان رسالة للاتحاد الوطني التشيكوسلوفاكي بأمريكا جاء فيها: التشيكوسلاف أمة قديمة في أوربا، يرجع تاريخهم إلى العصر المسيحي القديم.

وهم جزء من ذلك العنصر السلوفي الذي حكم أواسط أوربا يوماً ما، وامتد ملكه إلى حدود نهر الألب وجبال الألب من الناحية الغربية، وبحرى البلطيق والإدرياتيك من ناحيتي الشمال والجنوب ...

والثقافة التشيكية تعادل أرقى الثقافات التي ظهرت في قارة أوربا. فقد أتيح لها أن تجمع كثيراً من المدنيات العظيمة، فحملت شجرتها للعالم ثمار المدنيات البيزنطية والألمانية والفرنسية وللتشيك أثر عميق في المدنية الأوربية، وعلى الأخص العصور الوسطى وفجر العصور الحديثة، وقد كان الشعب التشيكي فيما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر عاملا هاما في حمل رسالة القرون الوسطى، وكان ملوك « التشيك » رءوس الامبراطورية

الرومانية المقدسة، ولهذه المملكة الفخر فى إنشاء أول كلية فى أواسط أوربا؛ ولمركزها الممتاز بين مختلف الدول كان لها أعظم شأن فى عالم التجارة وبيوت الأموال؛ وقد انتعشت فيها الفنون والعلوم بانتعاش الحالة المالية وتوفر أسباب الترف والعيش الرغيد للأهلين

كان للتشيك فى القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر أبطال حرية الفرد وأنصار الديمقراطية الصحيحة. وكان (جورج بودبراد) ملك التشيك، يدعى دائماً لفض الخلاف الذى يقع بين الألمان أو السادة المنجاريين، وكان فى مقدمة رجال السياسة الأوربية الذين يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى لحمى السلام من الأفراد والممالك، وإيجاد رابطة قوية منهم لحماية القانون والنظام العام

ولما فقد التشيك حريتهم فى عام ١٦٢٠ نجحوا فى الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وتقاليدهم على الرغم من المظالم التى أحدقت بهم. وقد أخرجوا إلى العالم فى تلك الفترة المظلمة فى تاريخهم (كومنسكى) المشهور، وهو من أكبر رجال التربية الذين عرفهم التاريخ

ولما كان القرن التاسع عشر وضع التشيك لأنفسهم مبادئ عملية لنيل حقوقهم السياسية والوطنية وكانت الديمقراطية والسلم رائدهم فى كل الخطوات، وقد برهنوا دائماً على مقدرتهم على حكم أنفسهم. وكانوا على الدوام أصدقاء مخلصين وجيرة مسالمين. عرف عن بلادهم أنها ترحب دائماً بالمظلومين والمضطهدين الذين يأوون إليها من البلاد الأخرى

فالتشكوسلافيون ليسوا حديثين فى أواسط أوربا، ولهم حضارة قديمة لا تنكر وأثر خاص فى الثقافة الأوربية على وجه العموم؛ وقد برهنوا فى حياتهم القديمة وحياتهم الحديثة على مقدرتهم على السير إلى الأمام، والتغلب على القوى المنافسة. وساروا خطوة خطوة مع تقدم الحالة الثقافية والسياسية فى أنحاء العالم. وجعلوا مبادئ مزاريك الإنسانية أساساً لمعاملاتهم فيما بينهم ومابينهم وبين العالم، وهى مبادئ تقوم على حب الخير والشرف والتواضع

الرجل الذى يرهبه هتلر

[من «ورلد بجازين»]

من هو الشخص الذى يسند بيده الحديدية عرش هتلر ويحمل وزر تلك الأعمال القذرة، من هو الشخص الذى يدير دفة الحركة النازية فى الحياة العملية؟ الجواب: هو هنريك هملر رئيس قوة (الجستابو) الرهيب (البوليس السرى) و (الجستابو) ذلك الجيش المدنى المتسلط على الأهلين فى ألمانيا بجواسيسه ورجاله السفاحين، قد جعل من رئيسه (هنريك هملر) أكبر الطغاة الظالمين فى العصر الحديث. وقد تبوأ هملر مركزه من العصابة الهتلرية حين استولى هتلر على الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ وكان إذ ذاك فى الثالثة والثلاثين من عمره، ومنذ ذلك الوقت وهو منساق فى تيار الظلم والإرهاب بغير هوادة أو تردد

فقام بعملية التطهير فى الحزب النازى، وقضى على الرئيس الأعلى للجيش، وسلط النار والحديد على اليهود. فإذا نظرنا إلى أعماله وأنعمنا النظر قليلاً فى تاريخه الحافل بالمخازى لم نشك مطلقاً فى أنه يضرب بسهمين على الدوام، فقد كان والده مدرساً بمدرسة كاثوليكية فى ميونخ وتربى تربية كاثوليكية واليوم هو يحارب الكنيسة الكاثوليكية بغير رحمة، ويضطهد رجالها بغير وازع أو رادع، إلى درجة لا يجاريه فيها رجل فى أوربا غير ستالين

وقد تطوع فى الحرب العظمى سنة ١٩١٧، ولكنه عمل على أن يكون دائماً بعيداً عن خطوط الدفاع. والتحق بجماعة هتلر — التى كان نصيبها السقوط — عام ١٩٢٣، ولكن سرعان ما ابتعد عن ناحية المخاطر، فلم يدع للمحاكمة، وكان أول عمل كبير التحق به هو اشتغاله سكرتيراً خاصاً «لجرجورسترسر»، وقد أثنى هذا على مواهبه، وتوسط إلى هتلر فى تعيينه رئيساً لفرقة من القمصان السود، فلما كانت سنة ١٩٣٤ صوب فريق هذه القمصان رصاص بنادقهم إلى صدر سترسر بأمر هملر فى «حمام الدماء» المعروف. وقد كان «روهم» صديقاً حميماً له فى فرق العاصفة، ولكن هملر كان الرجل الذى نفذ إطلاق الرصاص على روهم تحت إشرافه فى «ليلة الدماء»

وقد عينه هتلر لتأليف فرقة قوية، تقوم تحت إشرافه لحمايته شخصياً فلم ينته ذلك العام حتى كان لديه ١٠٠,٠٠٠ رجل لهذا الغرض. وقد أسس هملر فريق (الجستابو) بعد ذلك ونظم له المعسكرات وأعده بالمعدات. وأوجد للريخ منه ١٣٨,٤٧٠ رجل عام ١٩٣٣، وبلغ عدد الرجال الذين هم تحت إمرته اليوم ٤٣٧٠٠٠ رجل بنسبة رجل لكل ١٣٥ نفساً من سكان ألمانيا. وللجستابو قوة قاهرة فى حياة ألمانيا اليوم، فلا يخلو من رجالهم ناد ولا يخلو منهم مصنع. ويبث بوليس (الجيستابو) فى المصالح والوزارات بما فيها وزارة الحربية ووزارة الخارجية، وتصدر عنه التقارير إلى هملر كل يوم. مثل هذا الرجل لا غنى عنه للدكتاتور ما دام قائماً بواجباته، ولكن هملر معروف بأنه يضرب بسهمين على الدوام، فإذا انقلب على زعيمه أصبح الأخير فى مركز لا يحسد عليه. وهذا ما لا يجهله هتلر الآن



في شمال فنلندة

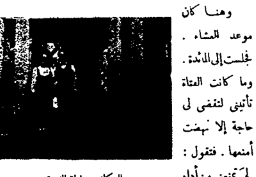
كان ذلك في « الزمان الطيِّب » ، في مزدهر « الشباب الرَّيق » . فررت من مصر في شهر يونية لسنة ١٩٣٤ والحرّ يفتك بالقرائح ، أقصد إلى ألمانية ، ومنها إلى بلدان الشمال . وبعد إقامة قصيرة بأسطونية صمدت إلى هلسنكي عاصمة فنلندة ، ومن هناك أخذت أتنقل في نواحي الشمال بين البحيرات والغابات حتى (بتسامو) عند بحر الشمال الجامد

ولن أحدثك هنا كيف هزّتني تلك الطبيعة الغريبة ، فلي في ذلك كلام يطول . وإنما أريد أن أروي لك قصة أظنها لطيفة ، فأنقلك معي تخيُّلاً إلى بلد هو حديث اليوم في كل مكان ، ردّ الله عنه كيد الظالم العاتي!

الكاتب إلى المائدة في الفندق عند بحيرة في منطقة بتسامو حيث يجري القتال اليوم

في الطريق الخارج من هلسنكي إلى الشمال عدد من الفنادق ينزل فيها السياح يوماً أو أكثر من يوم . ونزلت مع غيري في فندق نطلب العشاء والنوم ؛ فجعلت أرقب موعد الطعام وأنا أتصفح اللحمة الفنلندية الشعبية « كاليڤالا Kalevala » في ترجمة فرنسية . وبينا عيناي في الكتاب إذا فتاة تذهب وتجيء وفي يديها أطباق وأكواب فتنضدها على مائدة مبسوطة . وكانت كلما دنت مني تتمهل في لطف وترسل إلى الكتاب نظرة أو نظرتين ؛ ولما فرغت من عملها أتتني فقالت : عفواً ! أتقرأ « الكاليفالا » ؟ قلت : نعم ، إني أحبُّ أن أطّلع على هذه اللحمة الخارجة من غاباتكم وبحيراتكم وهضباتكم . قالت : أتعلم قصتها ؟ قلتُ : أعلم أن (إلياس لونروت) Elias Lönnrot جمعها ونشرها . قالت : هل تحب أن أعلمك القصة كلها ، فهذه الشمس لم تغل بعدُ ؟ قلت : بالله اجلسي وخبريني

فروت لي الفتاة كيف خرج (لونروت) إلى فيافي منطقة (كاريليه) فمكث فيها زمناً يدوّن أغاني المنشدين حتى استقامت له عناصر اللحمة فربط بعضها ببعض وفضل رواية على رواية وأسقط الضعيف والمُعاد والتافه . إلا أنه أقام اللحمة ونظرفيها وسوّاها كأنه أحد أولئك المنشدين لاتصاله بهم واستقائه منهم . ثم أخذت الفتاة تحلل لي خصائص « الكاليڤالا » ، وجعلت تصف وتبيّن وتستطرد وتعارض في منطق عجيب ودراية نادرة ، حتى إنها ذهبت في الموازنة بين طائفة من أغاني اللحمة وأسطورة أرفيوس الإغريقية . فما كادت تتم حديثها حتى سألتها : من أين لك كل هذا العلم ؟ قالت : إني دكتورة في الآداب من جامعة هلسنكي ، وإنما أجيء هنا في الصيف أطلب الراحة فأخدم في الفندق فأدفع بذلك ثمن ما أطلبه وعلى هذه الحال كثير من زميلاتي



الكاتب وفتاة الفندق

وهنا كان موعد العشاء . فجلست إلى المائدة . وما كانت الفتاة تأتيني لتقضي لي حاجة إلا نهضت أمامها . فتقول : لِمَ تمنعني من أداء الواجب ؟ أنا هنا لأخدمك . فأقول : لا أدع دكتورة في الآداب تخدمني ، فتضحك من حيائي .

قد كنت نويت فى ذلك اليوم أن أبيت الساعة التاسعة فلم أغمض عينى قبل الواحدة . كرّت الساعات وأنا يقظ أستمع إلى أحاديث الفتاة؛ فوقفتنى على تاريخ الثقافة الفنلندية وهو قصير؛ ولم تترك باباً إلا طرقته : موسيقى وتصوير ونحت وأدب وفلسفة . وكنت أجاذبها الحديث كلما أجرته فى جانب لا أجهله . من ذلك أنى شرحت لها كيف تباعد (وِسْتِرْ مَرْك) العالم الاجتماعى الفنلندى عن الواقع عند كلامه على « المهر » عند العرب فى كتابه : « نشأة المعانى الأخلاقية وتحولها » إذ يرى أن المهر إنما هو تعويض للأب مما بذله فى سبيل تنشئة ابنته

حدثتنى الفتاة عن استواء الثقافة الفنلندية القومية بفضل الموسيقى Sibelius ، والمصور Edelfelt ، والمهندس Paariren ، والقصّاص Sallanpaä . وهنا وقفتنى على دقائق الطبيعة الفنلندية ، فتذاكرنا قصة (سالانبا) : « البؤس القدسى » وراجعنا ما فيها من بساطة جليلة وقوة مطمئنة وبصيرة وقّادة

ولما فرغت من حديثها قالت : أحب أن أخبرك بشىء لعلك أن تجهليه . قالت : أيتصل بأمر وطنى ؟ قلت : نعم . قالت : أى شىء يكون ؟ قلت : إن أول كتاب بُسطت فيه جغرافية فنلندة إنما كتب باللغة العربية وصاحبه الشريف الإدريسى واسمه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ؛ وقد نشره من أربع سنين مستشرق من عندكم اسمه (تلجرن توليو) . قالت : وما أدرى العرب بنا ؟ قلت : سمعت رفيقة لك تدعوك سلمى . قالت : هذا اسمى . قلت : هو اسم عربى ولديكم غيره . إن فى نسائكم من تسمى سليمى وعدلة وسوسانة، وفى رجالكم من اسمه: ألى وأمر وسالم. قالت : هذا حق ! قلت : ذلك زمان اتصال من طريق التجارة . وهذا زمان اتصال من طريق الثقافة . مساء الخير ! وانصرفت . وإذا الفتاة تجعل على الحاكى أسطوانة للموسيقى (سيبيليوس) اسمها : « فنلاندا » أصبت فيها وأنا أعرج فى السلّم كآبة تلك الفيافى المترامية وبطء تلك الثلوج المنسابة فى بحر يريد أن يجمد

بشر فارس

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

كتب الأخ الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يعقب على الكاتب الذى أشاد بذكر الشاعر العبقرى على محمود طه وينحى عليه باللائمة أنه نسى كثيراً من الشرقيين الذين وصفوا الطبيعة الغربية فى شعرهم

وإنى أعتقد - ومعى كثير - أن وصف طبيعة الغرب ليست موضع فخر للمصرى ولا للشرق ولا تشرفهما فى كثير أو قليل

وإنا لنى حاجة إلى الشاعر الذى يشيد بذكر مصر خاصة والشرق عامة . ومصر - بحمد الله - جميلة ساحرة ، والشرق كذلك جميل فتان

فتى ينقل شعراؤنا الغربيون — رحمهم الله — معازفهم ومزاهرهم ونايانهم من لندن وباريس وروما ، إلى القاهرة ودمشق وبغداد ، حتى يعيدوا إلينا عهد بنتاءور ، والبحترى ، وشوقى وغيرهم من أساطين الشعر فى الشرق . ورحم الله شوقى إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

محمد عبد المنعم سالم
مدرس بمدرسة الخديو إسماعيل بالاسكندرية

مجلات الاستشراق فى إيطاليا

(١) مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Studi Orientali

تعتبر هذه المجلة العلمية أكبر مجلات الاستشراق فى العالم ، يصدرها أساتذة المدرسة الشرقية فى جامعة روما ، ويقوم بإدارتها كبير المستشرقين الإيطاليين البروفسور جلنجلو جويدى ، مدير المدرسة الشرقية وأستاذ الأصول الإسلامية فى جامعة روما ومدير المعهد الشرقى فى نابولى وعضو المجمع العلمى الإيطالى

ونشرت هذه المجلة أقوم المباحث العلمية فى الاستشراق لجميع المستشرقين الأوربيين

ومن أهم مباحث أعداد هذا العام ١٩٣٩ المجلد الثامن عشر :

فى تفسير جيل بثينة للأستاذ فرنشكو جبرييلى أستاذ اللغة والآداب العربية فى جامعة روما

والقصيدة فى الفقهاء لوميٍ بن عبيد الله بن خاقان : للدكتور باولو بونسكى .

(٢) الشرق الحديث (Oriente Moderno) وهى مجلة شهرية فى الاستعلام والدراسات لتعميم معرفة الشرق ولا سيما الإسلامى يقوم بنشرها « المعهد الشرقى » بروما

وقد أسسها المستشرق الكبير المرحوم نالينو وقام بإدارتها مدة ١٨ عاماً حتى وفاته ؛ وقد خلفه فى الإدارة الأستاذ أتورى روسى ، أستاذ اللغة والآداب التركية فى جامعة روما

وتبحث هذه المجلة ذات المكان الممتاز فى جميع أوساط الاستشراق عن جميع ما يهم حياة الشعوب الشرقية الإسلامية

وتنشر كل شهر مختصراً عن الحوادث السياسية والاقتصادية والثقافية فى البلاد الشرقية ، ولا سيما العربيـة ؛ وتنشر جميع الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه البلاد . ونذكر هنا بعض أبحاثها فى هذا العام (المجلد التاسع عشر) :

الحقيقة فى مسألة قناة السويس للدكتور انجلو سنمركو . تاريخ نهضة الشعوب العربية فى كتاب حديث لجورج أنطونيوس للمستشرقة فرجينيا فكا . حوادث تركستان الشرقية الأخيرة للبروفسور اتورى رومى . الحركة الوطنية فى منطقة المغرب الأقصى الفرنسية للبروفسور اتورى رومى

(٣) المجلة الشرقية الحقوقية (Rivista giuridica del Medio ed Estremo Oriente)

وهى مجلة حقوقية تبحث فى العلوم والحقوق والتشريع ويديرها المحامى فنشنزو ناورمينا . وهى مجلة شهرية فى عامها الرابع تتناول فى أبحاثها الحقوقيـة ما يتعلق بالشرق المتوسط والشرق الأقصى والمستعمرات . ثم يلى ذلك باب الأخبار التشريعية والحوادث فى الشرق فالمباحث العلمية . وهذه المجلة فريدة فى نوعها فى أوربا (من النشرة الشهرية لمحطة بارى)

عدد سكان الأرض

نشرت عصبة الأمم إحصاء بعدد سكان الكرة الأرضية، وهو إحصاء ناقص، لأنه لم يشتمل على التعداد الصحيح لسكان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية واستراليا . ويتضح من ذلك الإحصاء أن عدد سكان الكرة الأرضية ملياران و ١٣٤ مليون نفس . وفيما يلى تعداد بعض البلاد :

الصين ٤٥٠ مليوناً — روسـيا ١٧٨ مليوناً — الولايات المتحدة ١٣٠ مليوناً — ألمانيا ٧٩ مليوناً

اليابان ٧٢ مليوناً (يضاف إليهـا ٣١ مليوناً عدد سكان الأراضى الملحقة بها)

بريطانيا العظمى ٤٧ مليوناً (يضاف إليها ٤٩٥ مليوناً عدد سكان مستعمراتها والملكات الحرة)

إيطاليا ٤٣ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٨ ملايين فى مستعمراتها)

فرنسا ٤٢ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٧٥ مليوناً فى ممتلكاتها وراء البحار)

بلجيكا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ١٤ مليوناً فى مستعمراتها)

هولندا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ٦٧ مليوناً فى مستعمراتها)

البرتغال ٧ ملايين (ويضاف إليها أكثر من ١٠ ملايين فى مستعمراتها)

وقد رؤى بعد الحساب أن عدد سكان الكرة الأرضية قد زاد فى خلال سنتين ١٨ مليوناً ...

تصويب

ورد البيت الآتى فى مقال الخوارزمى والبديع هكذا :

لا تنزلنّ بنيسابور مغترباً إلا وحبلك موصول بإنسان

وصحته : إلا وحبلك موصول بسلطان

على الجندى

أصل النور

يبحث كثيرون عن أصل النوَر (الغجر) وكيف وصلوا إلى أوربة فلا ينصرفون من بحثهم إلا بالعجز . وقد وقع لى فى بعض مطالعاتى رأى استنتجته من نصوص التاريخ لعل فيه حل هذه المشكلة

فى كتب التاريخ عند الكلام على فتنة الزُطّ (وهم النور) فى البصرة ، أن أصلهم من أواسط آسيا (غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا فيها ، وأفسدوا البلاد) إلى أن تغلب عليهم قائد المعتصم (عجيف بن عنبسة) واضطرهم إلى التسليم فوجد عددهم نحو ثلاثين ألفاً بين رجل وامرأة وصبى ، فنقلوا بأمر المعتصم إلى قرية من قرى الثغر فلبثوا فيها إلى سنة ٢٤١ هـ فأغار الروم على القرية وأسروهم جميعاً فاستاقوهم معهم

فهل يمكن أن يكون انتقالهم إلى أوربة من ثمة ؟

هذا افتراض ، ولعل فى أهل هذا الفن من ينتدب لبحثه وقبوله أو رده ... ع . ط

قصر هشام بن عبد الملك ونقله الى الشام

من أجل الآثار العربية التى تمكنت دار الآثار فى الشام وبعثات التنقيب من كشفها فى ديار الشام ، القصر العربى الأموى الجليل الذى عثر عليه فى طريق تدمر ، وعرف أنه

« قصر الحير » أو قصر هشام بن عبد الملك

وقد نقل هذا القصر من المكان الذى كشف فيه إلى متحف الآثار فى دمشق ، حيث يتوفر المهندسون والعمال على وضعه كما وجدوه دون أن ينقص من بنائه وحجارته وزخرفه وكتابته قليل أو كثير . وقد خصصت لهذه الغاية مبالغ كبيرة من ميزانية متحف الآثار أنفقت عليها حتى الآن ثمانية وثلاثون ألف ليرة سورية

وقد تم بناء نصف هذا القصر ، والأعمال لا تزال مستمرة لإنجاز نصفه الثانى

وشغلت المساحة التى يستوعبها هذا القصر مكاناً لا يقل عن مساحة متحف الآثار كله .

حول ابن تيمية وابن بطوطة

إتماماً لكلمتى المنشورة فى (الجزء ٣٣١ من الرسالة الغراء) وتأييداً لما ذهب إليه الدكتور عبد الوهاب عزام فى (الجزء ٣٣٠) حيث قال : « لا أجد ما يحملنى على تكذيب ابن بطوطة فى أمر يدعى أنه رآه وسمعه » ، أنقل ما أورده العلامة النقاد ابن خلدون فى مقدمته (فى الصفحة ٨٩ من طبعة بولاق) :

واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة ، وذلك أنه ورد المغرب لعهد السلطان أبى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلى حاضرة (عاصمة) ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه ، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه ، وكان له منه مكان ، واستعمله فى خطة القضاء بمذهب المالكية فى عمله ؛ ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبى عنان . وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يستغربه السامعون ... وأمثال هذه الحكايات ، فتناجى الناس بتكذيبه . ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته فى هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض فى الناس من تكذيبه ؛ فقال لى الوزير فارس : إياك أن تستنكر مثل هذا بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ فى السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث فى السجن سنين ربى فيها ابنه فى ذلك المحبس ، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التى كان يتغذى بها ؛ فقال له أبوه : هـذا لحم الغنم ، فقال : وما الغنم ؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول : يا أبت تراها مثل الفأر ؟ فينكر عليه ويقول : أين الغنم من الفأر ؟ وكذا فى لحم الإبل والبقر ، إذ لم يعاين فى محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر . وهذا كثيراً ما يعترى الناس فى الأخبار كما يعتريهم الوسواس فى الزيادة عند قصد الإغراب ... إلى آخر ما أورده ابن خلدون

سيف الرحمن الخليلى

تعقيب

قرأت للأستاذ عبد المتعال الصعيدى مقالة : بين الأستاذين أحمد أمين وزكى مبارك ، ولقد استوقفنى فيها شاهد جاء به من الحديث فى ذم الشعر إطلاقاً إذ يقول : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً . وما كنت لأبدى أو أعيد لو أن الحديث صحيح، أما وهو غير ما ذكرت فإنى مورد هنا قصته

فقد جاء فى رسالة « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » أن أبا هريرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً » ولما بلغ السيدة روايته ارتاعت لها وقالت : « لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به » وهكذا أنقذت السيدة ــ رضى الله عنها ــ بسعة علمها ودقة روايتها ثروة طائلة من الكلام الجميل حرّمها أبو هريرة ــ غفر الله له ورضى عنه ــ رواية الحديث ناقصاً !

والغريب أن كثيراً من العلماء ، يولون وجوههم شطر هذا الشطر من الحديث يستشهدون به فى ذم الشعر ! وما جنى الشعر ولا جنى الشعراء ، وإنما بغض الشعر إلى النبى ، لأنه يجرى وراء الخيال ، وأن الشاعر يقول ما لا يفعل . فأما النبى فقد اتخذ من الحق نوره ، ومن الحقيقة غايته ، ومن أجل هذا ولد ، وكذلك عاش ، وهكذا مات .

عبد الرزاق أمان الدين

(رجع) فى مقالى السابق فى كتاب الامتاع والمؤانسة (الرسالة رقم ٣٣٧) وقع سهواً : ص ٢٣٢٤ ع ٢ س ١١ : عنى . ، والصواب منى . ص ٢٣٢٥ ع ١ س ١٤ . الخفية ، والصواب : الخفية ــ ع ٢ س ١ : العبارة . لغير ، والصواب : العبارة لغير ــ س ١١ : العائبة والصواب : العائبة » ــ ص ٢٣٢٦ ع ١ س ١٣ : وقد جاء « السايل » ، والصواب : وقد جاء « السيال » و « السايل » .

(ب . ف)



رحـــلات

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه رحلات وأسفار، صور شاهدها قلم مبين، وناهيك بقلم يحمله الدكتور عبد الوهاب عزام

وقراء الرسالة لا شك يعرفون الدكتور الفاضل باحثاً مدققاً وعالماً متمكناً، وناقداً بارعاً، ورجلاً تتمثل كل معانى الرجولة فى أخلاقه وفى سلوكه، ولكن قلّ فيهم من يعرفه شاعراً موهوباً من الطراز الأول، يستطيع أن يجرى فى الحلبة فيسبق، لأنه رجل لا يحب أو قل لا يحسن الإعلان عن نفسه، فهو يجاهد ويجاهد حتى يرضى بالجهاد ربه ونفسه، ثم لا يعنيه بعد ذلك مأرب، فيرضى من الغنيمة بالإياب

وشاعرية الأستاذ عزام تنجلى فى قصائده «المكتمة» أو قل الموءودة، وهو لا شك محاسب بين يدى الله «إذا الموءودة سئلت، بأى ذنب قتلت»، وإن هـذه الشاعرية لتتجلى أيضاً فى آثار قلمه فى الوصف والإفصاح عن إحساسه بالمرئيات، فأنت إذ تقرأ هذه الرحلات، فستجد فيها دقة الباحث، وحكمة العالم، وظرف الأديب، وخيال الشاعر وعاطفته. وأى شعر أبلغ من قول الدكتور، وهو يجيل النظر فى أرجاء سيناء: «وأصبحنا نطل على بيداء ليس فيها إلا رمال تتخللها أعشاب وأشواك، ولكنها سيناء! ولله ماذا ضمنت سيناء من الخبر والعبر! فيها الطور الذى آنس موسى من جانبه نور الهدى، وعليها مدّ الزمان وجزر بالغير سعيدة وشقية، والجيوش هازمة ومهزومة، فتمثّل جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وآيبة، أو جيوش بابل وفارس مطرودة وطاردة، ثم جيش الاسكندر وجيوش الرومان، ثم جيوش العرب والترك دول بعد دول، وسطور تمحو فى صحائف الزمان سطوراً، كما خط فى القرطاس سطر على سطر، تزاحمت الذكريات، وترادفت العظات»

بل أى شعر أفصح من قول الدكتور على قبر صلاح الدين الخالد: «ثم رقينا درجات قليلة إلى باب آخر؛ فيالك حجرة جمت من العظمة سورة متلوة على الدهور، وحوت من عبر التاريخ ما تضيق به السطور! يالك حجرة كعنوان الكتاب الكبير يقتحمه النظر فى لحظة، ثم لا يزال ينفتح على الصفحة بعد الصفحة! يالك من مكان وسع ملء الزمان! ويالك من أحجار طويت على أعصار! مجد رجف به الشرق والغرب، وطأطأ له الصديق والعدو. هذا مرقد «صلاح الدين»، أطفنا بالقبر ووقفنا هنيهة خاشعين، ووقعت أبصارنا على صورة تمثل المجاهد المظيم؛ ثم قال أحدنا: أين التاج الذى وضعه على القبر ملك الألمان غليوم؟ قال دليلنا: أخذه الإنكليز! قلت: إن مجد «صلاح الدين» أعظم من أن يزيده غليوم وأجل من أن ينقصه الإنجليز، فليمطوا أو فليأخذوا، وليمدحوا أو يذموا، فذلك صرح لا تناله أيديهم، ومجد قصرت عنه أمانيهم، وحلبة التاريخ تشهد من كان الفارس الأمجد؟! »

فهذا هو إفصاح الشاعر وخياله وإحساسه... وهذا هو الأسلوب الذى صور به الدكتور الفاضل كل المشاهد التى رآها والآثار التى وقف بها فى حلب ودمشق وبغداد وبلاد الفرس وموطن الأتراك، ثم فى الحجاز مشرق النور المحمدى، وفى أوربا حيث السفوح كلها البهاء والرواء والشعر، فجاءت هذه الرحلات صورة قوية من عقل الرجل وقلبه، فهى فوق ما فيها من علم وتعريف آيات بينات من الأدب الوصفى الرائع، وقطع من الشعر المرسل تفيض بالعواطف والأحاسيس، وتملأ نفس القارئ بالعظات والعبر، والحكمة والبهجة. وبهذا المعنى ستظل رحلات عزام خالدة خلود العواطف الإنسانية، باقية بقاء الإحساس القوى فى نفس الكبير

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

هذا كتاب يأخذ موضوعه من التاريخ والعلم والأدب والشعر والحب والبغض والخير والشر ، فهو كما يقول المؤلف الفاضل «تاريخ يفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨، ويشرح جوانب من أسرار المجتمع، وسرائر القلوب»

ولا شك أن قراء الرسالة الكرام يعرفون بعض الشيء عن كتاب ليلى المريضة في العراق ، نعم بعض الشيء فإن الدكتور الفاضل قد نشر صدراً منه في الرسالة ، ثم أمسك على بقية الحديث ، وطوى جوانحه على ما بقي من الشؤون والشجون ،

ولقد يبدو هذا الكتاب هيناً في تقدير بعض الناس ، على حين نجد بعضهم يمجده حتى ليرتفع به عالياً عالياً ... إلى السماء ، ولا غرو في ذلك ، فقديماً كان كتاب « كليلة ودمنة » لمن يقف عند الظواهر ملهاة وتسلية ، وللعالم موعظة وحكمة ، وللأديب جمال وجلال . وكذلك كتاب صديقنا الدكتور ، فهو في ظاهره شيء ، وهو في دلالته ومغزاه أشياء ... ثم هو في التقدير الصحيح صورة لما في الإنسان من عواطف الخير والشر ، وما يصطرع في عالم الناس ودنيا الأدباء من الحلم والجهل ، والرشد والغي ، والهدى والضلال

إنها آفاق من المعاني يتحاماها كتاب العصر الحديث ، ولقد أراد الدكتور زكي مبارك أن يكفر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق في ارتياد تلك المجاهيل ، يقول الدكتور : « ولقد اقتحمت تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أني أعرض سمعتي للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليشرح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول

إقتحمت تلك المهالك وليس لي إلا سناد واحد هو الشعور بأني أؤدي خدمة للأدب والطب ! ! وهل كنت أملك الفرار من الصنع الذي صنعت »

وصدقني أيها القارئ أن الدكتور ما كان يملك هذا الفرار ولو استطاع ذلك لنكص على عقبيه وكان بذلك من القاعدين الناعمين ، ولكنه رجل ابتلاه الله بالصراحة والصدق ، فهو لا يدين بمذهب « النفعية » في شيء ، ولو استطاع زكي مبارك - كما يقول أستاذنا الزيات - أن يتملق الظروف ، ويصانع السلطان ، ويحذق شيئاً من فن الحياة في المواربة والمداورة ، لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع ، وجفاوة الصراحة

ولكن أيفلت مني الدكتور فلا أمسكه بشيء ؟ كلا ! فأنا أحب أن أسأله عن ذلك التكرار ، وتلك الكركرة « الطهوية » إذ يقول : من الذي يستطيع أن يتعقب حركات العقول والأهواء في القاهرة ؟ من الذي يستطيع أن يحاور في الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية ؟ من الذي يتسع وقته لمسامرة الصحفيين القاهريين بعد نصف الليل ؟ من الذي يستطيع أن يسجل حركات القاهريين قبل الشروق؟ من الذي يفهم أن أهل القاهرة عوتون قبل الأوان بسبب الإفراط في الكدح والكفاح! من الذي يصدق أن من أهل القاهرة من يملأ الدنيا بالنشاط والحركة وفي جوفه خمسون علة ؟ من الذي يصدق أن في القاهرة ألف خطيب في فصاحة سحبان، من الذي يصدق أن الأمان ذهب من القاهرة بسبب الإفراط في المنافسة والنضال؟ من الذي يصدق أن زكي مبارك سيؤلف كتاباً في مثالب زكي مبارك ؟

أما أنا يا دكتور فذوقي لا يحتمل كل هذه « النمنمة » ، وأنا أسألك ولا أريد الجواب ، فإني أعلم أن أزمة الورق سترد إلى ما كنت عليه من الإيجاز في التعبير ، والقصد في البيان !

م . ف . ع

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

فهرس الموضوعات للمجلد الثاني من السنة السابعة

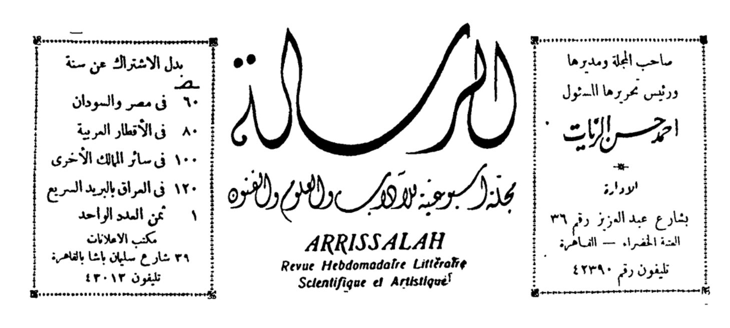
فهرس الكتاب للمجلد الثانى من السنة السابعة

(ا)

FIN

DU

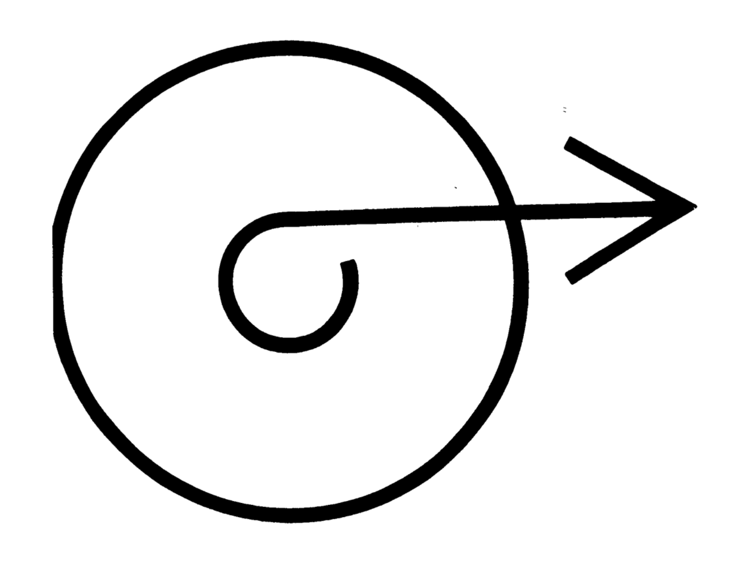
DOCUMENT



1939

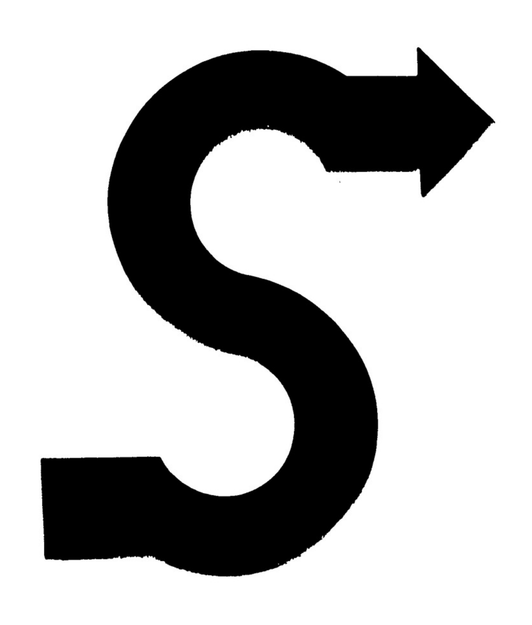
3 juillet - 25 décembre

(n°313 - 338)



Fin de bobine

NF Z 43 120 3



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6